سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(١٥٧٣)

الحكمة من والحكمة في

مسائل وتعليل

من مصنفات العقيدة

أكثر من ١٩٠٠ مادة

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٦هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"المخلوقات أجمع أم عن مخلوق أعظم منها قدرا، وأعلى منها مكانا، والصحيح إنهما جميعا صحيحان موجودان.

المعنى الثاني: الكرسي، وقد اختلف الناس فيه فمنهم من قال: إنه العلم، وقيل: إنه موضع القدمين (١)، ومعناه أن العرش منصوب كهيئتي الدست، والكرسي، موجود تحته كهيئة الكرسي الموضوع للملك في الدنيا يرقى إلى الدست عليه، ويضع إذا جلس قدميه فيه، وهي جلسة الجبارين فيما شاهدتهم عليه، ولم يرد في هيئته حديث يعول (٢) عليه، فلا يلتفت إليه أما أنه من الجائز أن يكون كذلك والله (٣) أعلم بوجه **الحكمة في** خلقه، إذ لا يصح بحال من المعقول أن يكون مقرا له، ونحن لا نعلم **الحكمة في** خلق الذر، فكيف أن نعلم (٤) **الحكمة في** خلق العرش والكرسي، فلا معارضة بين القولين، فيجب الإيمان بالورود والتجويز للمعنيين، واعتقاد وجوب سعة العلم للكل، وتنزيه الرب عن الحلول والاتصال، ونكون حينئذ من الراسخين بفضل الله. المعنى الثالث: القلم، ليس يمتنع أن يكون جسما مؤلفا، ولا خلاف بين الأمة أنه كذلك، وقد تظاهرت الأخبار والآثار أنها أقلام، وقد سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - في رواية الصحيح، صريفها في ليلة الإسراء، في العلو الأعلى، ويحتمل أن يكون أول مخلوق قلما واحدا، فكتب، ثم خلقت سائر الأقلام بعده، ويحتمل أن يكون قوله: "أول ما خلق الله القلم" عبارة عن الجنس لا عن الواحد، والظاهر عندي أنه واحد خلقت بعده أقلام سنواه، والله أعلم.

المعنى الرابع: أنه قال له: اكتب، قد بينا في "قانون التأويل" وجه الحاجة إلى الكتابة، وفضل الله فيها على الخلق، وما يدفع من مضرتهم، ويرفع من حاجتهم، ولما قال في الحديث: "فقال له اكتب" دل على أن هنالك مكتوبا فيه، وهو المعنى الخامس عبر في آية باللوح (٥) وفي آخر (٦) بالرق

---

(١) ب: القدس.

(٢) ب: نعول.

(٣) ب، ز: في نسخة: ربنا.

(٤) ج: تعلم.

(٥) ب، ز: في حديث بأنه اللوح.

(٦) كذا في جميع النسخ، وصوابه: أخرى، بناء على أنه وصف للآية.." [١]

"وحركات الكواكب. فإن ذلك مما لا تستقل «١» به عقول البشر، ولا تفي أعمارهم بادراكه بالتجربة لو اشتغلت به عقولهم «٢».

ومنها: تعريف الأحكام البطنية كقوى الأدوية والأغذية وخواصها، ومنافعها، ومضارها «٣»، إذ الأعمار لا تفي بمعرفة ذلك بالتجربة «٤»، كما قال" أبقراط «٥» ":

---

(١) في (أ): يستقل.

(٢) كان دور الأنبياء فيما يتصل بذلك: الاستدلال- بالكواكب والأفلاك وعظيم خلقها وحركتها العجيبة واتقان صنعها ونظامها العجيب- على وحدانية الله وعظيم قدرته وبيان **الحكمة من** خلق هذه الأفلاك والكواكب ومنفعتها للخلق، كالاستضاءة والاهتداء بها وحساب الوقت والزمن، وكونها مواقيت للناس في معاملاتهم وعباداتهم كالصوم والحج والفطر ومدة الحمل وغير ذلك.

والآيات القرآنية في ذلك كثيرة لا يمكن إيرادها في هذا المكان منها قوله تعالى: يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج الآية (سورة البقرة ١٨٩) وقوله تعالى: هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون (سورة يونس ٥) وقوله تعالى: وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون [الأنعام: ٩٧] (سورة الأنعام ٩٧) وغيرها.

(٣) كلمة:" مضارها" ليست في (م)، (ش)، وهي من هامش (أ).

(٤) عرف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن كل داء له دواء، قد يهتدي إليه البشر أو لا يهتدون، كما في قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٧٨): «إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله» [وبعضه في البخاري ومسلم).

وأعظم الأدوية للمؤمنين القرآن الكريم: وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين (الاسراء ٨٢)، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء (فصلت ٤٤). وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا من الأغذية والأدوية

---

(١) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم، ابن العربي ص/٢٣٣

كالعسل والحجامة وغيرهما وبين ما فيهما من منافع، ولكن تجارب الأطباء في الأدوية وخواصها ومنافعها ومضارها كثيرة جدا، فليس معرفة الأحكام الطبية مقصورة على النبوات.

(٥) أبقراط بن راقيلسر الطبيب الحكيم اليوناني، وهو من نسل اسقلينوس الذي كان بداية صناعة الطب منه، والذي كان الملوك يختارون الملك من نسله، وكان أبقراط يلبس السواد، وهو شعاره، برع في علم الطب. (انظر نزهة الأرواح ... في تاريخ الحكماء والفلاسفة ١/ ٢١٧ - ٢٢٦).." [1]

"ونزيد هاهنا بأن نقول: هو وإن كان له على الشيطان هذا السلطان لكن يجوز أن يسلط عليه الشيطان بإذن الله لحكمة. وقد بين الله سبحانه **الحكمة في** ذلك حيث يقول: ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ... (٥٣) «١» يعني الكفار والمنافقين كانوا قد أيسوا من محمد أن يعبد آلهتهم،/ أو يسكت عن ذمها، وقد ضجر بعضهم وهم أن يدخل في الإسلام فألقى الشيطان على لسانه «٢» مدح الأصنام ليظنوا أنهم منها على شيء فيتمسكوا بعبادتها، وأن لها قدرا عند محمد، فيطمعون في إجابته إلى عبادتها أو الكف «٣» عنها، فأمسك من كان أراد الدخول في الإسلام عنه بهذا السبب حتى مات كافرا، وظنوا أن رجوع محمد عن مدحها بعد إلقائه على لسانه عناد لها ورجوع عن الحق في أمرها «٤». وهذه الآية من أكبر الأدلة على إثبات القدر. وسيأتي عند ذكر هذا الخصم له.

---

(١) سورة الحج، آية: ٥٣.

(٢) قال الإمام القرطبي في تفسيره (١٢/ ٨٢):" والذي يظهر ويترجح في تأويلها على تسليمه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا، ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات، محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم. بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار، فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها، ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله، وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الأوثان وعيبها ... " اهـ.

(٣) في (ش): والكف.

---

(١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي ١/ ٢٦٠

(٤) كل هذا الكلام الذي ذكره الطوفي بناء على ما رآه من صحة القصة، ولذلك بنى رده على النصراني في هذه المسألة على أنها صحيحة، وليست كذلك- والله أعلم-.." (١)

"موجدون لأفعالهم استقلالا وأن الله- تعالى- «١» لا تعلق له بها بخلق ولا إرادة.

وفرقة توسطت الطرفين المنحرفين، وقالت «٢» بمقتضى القسمين. فنسبوا الأفعال إلى الله إرادة وخلقا، وإلى العباد اجتراحا وكسبا، وفسروا الكسب بأنه أثر القدرة القديمة في محل القدرة الحادثة، وساعدهم على ذلك ظواهر نصوص الكتاب والسنة من الطرفين «٣». وورد على كل واحدة من الفرقتين الأوليين ما قالت به الأخرى، فاحتاجت إلى تأويله، والتعسف في تبطيله، فلزم الجبرية

---

(١) - تعالى-: زيادة من (ش).

(٢) في (أ): أو قالت.

(٣) هذا قول الأشعرية. ومن وافقهم من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد الذين يقولون: إن قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل. لكن الأشعرية يقولون: إن الله فاعل فعل العبد وإن عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسب له وإنما هو فعل الله فقط. وأما قول جمهور أهل السنة فغير هذا فهم يقولون: إن العبد فاعل حقيقة وإن له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية، لها تأثير لفظا ومعنى كما قال تعالى: ونكتب ما قدموا وآثارهم، [يس: ١٢] وهذا التأثير هو تأثير الأسباب في مسبباتها فالله تعالى خالق الأسباب، والمسببات. يقول الله تعالى: والله خلقكم وما تعملون [الصافات: ٩٦]. وخلقه لفعل العبد لا يدل على أن العبد لا يفعل باختياره، وأنه لا قدرة له، وإلا فما الحكمة من خلقه؟ إنه خلقه ليعمل وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون [سورة الذاريات ٥٦] " اعملوا فكل ميسر لما خلق له" [صحيح البخاري تفسير سورة والليل إذا يغشى].

ولكن عمل العبد وقدرته تحت مشيئة الله وقدرته: وما تشاؤن إلا أن يشاء الله [الإنسان: ٣٠]. [من مراجع هذه الفقرة: منهاج السنة ١/ ٣٥٨ وما بعدها، شفاء العليل ص ٢٤ وما بعدها، خلق أفعال العباد للبخاري ص ٣٩ وما بعدها].." (٢)

---

(١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي ٤٠٨/١

(٢) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي ٤٥٨/١

"ندركها «١».

وقد ذكر" بقطينوس الحكيم" «٢» - وهو من فضلاء النصارى وعلمائهم- من شأن الله- سبحانه- مع ملائكته ما إن صح، صلح أن يكون حكمة لهذا.

وقد أشرت إليه في التعليق على الإنجيل. ولا يسهل علي الآن ذكره «٣».

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-:" فالذي يفعله- أي الله- لحكمة اقتضت ذلك، كما أن الذي يمتنع من فعله لحكمة تقتضي تنزيهه عنه، وعلى هذا فكل ما فعله علمنا أن له فيه حكمة، وهذا يكفينا من حيث الجملة، وإن لم نعرف التفاصيل، وعدم علمنا بتفصيل حكمته بمنزلة علمنا بكيفية ذاته، وكما أن ثبوت صفات الكمال له معلوم لنا، وأما كنه ذاته فغير معلوم لنا فلا نكذب بما علمناه وما لم نعلمه. وكذلك نحن نعلم أنه حكيم فيما يفعله ويأمر به، وعدم علمنا **بالحكمة في** بعض الجزئيات لا يقدح فيما علمناه من أصل حكمته، فلا نكذب بما علمناه من حكمته ما لم نعلمه من تفصيلها ... " اهـ.

[مجموع الفتاوى ٦/ ١٢٨].

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) سئل بقطينوس الحكيم عن فائدة ظهور المسيح إلى البشر، فقال كلاما معناه:" إن الله لما خلق الملائكة جعلوا يتقربون إليه بالعبادة، ويزيد هو في إكرامهم، وكان فيهم مقدم جاهل، قال لهم:

إني أرى أن الله إنما يزيد في إكرامنا خشية أن نقهره على ملكه، فهو يصانعنا، فهلموا نغلبه على ملكه ونكون مكانه، فوافقته فرقة وخالفته فرقة، فالذين خالفوا بقوا على ملكيتهم، والذين وافقوه ركب الله سبحانه أرواحهم اللطيفة النيرة في هذه الأجسام الكثيفة المظلمة، ثم كلفهم أنواع التكاليف، فمن أطاع هاهنا رفع بعد الموت إلى حيث كان من الملائكة، ومن عصى أهبط إلى أسفل، وجعل الله سبحانه مقدم الملائكة الذين أشار عليهم بذلك الرأي إبليس في دار التكليف، ومغويهم كما كان مغويهم في عالم السماء، ثم إن الله أدركته الرحمة لملائكة فظهر للبشر ليستنقذهم من حبائك شيطانهم ومغويهم" هذا كلام بقطينوس الذي ذكر الطوفي في التعليق على الأناجيل. وفيه ما ترى من التخبيط. [انظر تعاليق على الأناجيل للمؤلف ص ٣٠ - ٣١ مخطوط].." (١)

---

(١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي ٤٦٢/١

"والبحار والأقوات وغيرها في أربعة أيام، لأن هذه الأشياء إما من حقيقة «١» الأرض، أو مما بينها وبين السماء. فتعين بما ذكرناه أنها داخلة فيما خلق في أربعة أيام التي منها اليومان الأولان «٢».

الوجه الثاني: أن قوله: في أربعة أيام إما أن نعلقه بتقدير الأقوات فقط، أو به وبما قبله من خلق الأرض وجبالها، والبركة فيها. والأول باطل، لأنه يلزم «٣» / أن يكون فعل ما قبل ذلك، لا في زمان، وهو محال. فتعين الثاني، وهو أن أربعة الأيام متعلقة بجميع ما تقدم، من قوله: خلق الأرض إلى قوله: أقواتها «٤» وعلى هذا اعتراض لا يخفى.

الوجه الثالث: أن محمدا- عليه السلام- لم يشك أحد في حكمته وفصاحته ولهذا نسبه الأعداء إلى أنه إنما أقام ناموسه بالحكمة والسيف. ومن يكون من **الحكمة في** هذه الرتبة لا يناقض ما صرح به في ستة مواضع بما يقوله في موضع، ولا يخفى عليه ذلك. فدل هذا على أنه أراد بما في هذه الآية ما في تلك الآيات. وذلك إنما يصح بجعل اليومين الأولين داخلين في الأربعة الثانية ويصير/ هذا كما لو قلت: سرت من القاهرة «٥» إلى بيت المقدس «٦» في عشرة أيام، وإلى

---

(١) كلمة:" حقيقة" ليست في (م).

(٢) وهذا ما ذهب إليه ابن كثير في تفسيره للآية ٤/ ٩٣، ولا اعتراض على هذا التفسير فهو الصحيح.

(٣) في (ش): لزم.

(٤) ذكر هذا بمعناه الإمام الطبري في تفسيره (٢٤/ ٩٥ - ٩٧).

(٥) القاهرة: مدينة بجنب الفسطاط يجمعها سور واحد، وهي اليوم المدينة الكبيرة التي تجتمع عدة محافظات وهي عاصمة جمهورية مصر العربية، وتعرف قديما باسم القاهرة المعزية لأنها عمرت أيام المعز العلوي فصارت مدينة أعظم من مصر الذي أصبح معها مدينة واحدة الآن.

[انظر مراصد الاطلاع ٣/ ١٠٦٠].

(٦) من أسمائها: أورشليم، وايليا. انظر التعريف بها في هامش ص: ٣١٧ و٤١٥ من هذا الكتاب.." [١]

"وشعاره إليهم، ثم صار «١» ذلك سنة متبعة، كالرمل «٢» زالت حكمته السببية وبقيت صورته السنية.

---

(١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي ١/٥٠٦

قلنا: جوابه من وجهين:

أحدهما: أن تنفيرهم من الكفر وتكريهه إليهم/ بأمرهم بمراغمته ومناقضة أهله بعبادة الله «٣» عبادة أبلغ.

الثاني: أن ذلك منقوض بصلاة الفرض. فإنه أجازها لهم، وهي جائزة بالاجماع في تلك الأوقات المنهي عن التطوع فيها. مع أن مشابهة الكفار الصورية موجودة «٤» / فإن قيل: الفرض واجب فلا يترك حق لباطل «٥» قلنا: والتطوع مندوب فلا يترك حق لباطل، وخصيصة الوجوب لا تصلح فارقا فبان بهذا البحث والتقرير: أن هذا الحكم وأمثاله مما يتلقى عن الشرع بالقبول ولا يصادم بتصرفات العقول، ولا شك أن دين الإسلام مشتمل على الأحكام التعبدية والمعقولة «٦» العلية كما قررته في" القواعد الصغرى" وبنيت **الحكمة فيه** على الوجه الأجل.

---

(١) في (م):" وشعاره، لكنهم بمرصاد ذلك ... ".

(٢) الرمل: إسراع المشي مع تقارب الخطا دون الوثوب والعدو، وهو الخبب.

[انظر تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٢٨].

(٣) في (ش)، (م):" بعبادة الله حين عبادة غيره أبلغ".

(٤) في (م): موجودية، وفي (ش): لموجودة.

(٥) في (أ): الباطل.

(٦) في (ش): المعقولية.." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

[مقدمة الكتاب]

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي سدد فأرشد إلى الإيمان والإسلام، وأطلق بتوحيده وتمجيده الأنام وأضراب الأعلام.

والصلاة والسلام التامان الأكملان على سيدنا ونبينا ومولانا محمد الآتي بالهدى والإيمان، والآيات

---

(١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي ٢/٧٠٠

الواضحات البيان، الناسخ بدينه القويم كل الأديان، والرضى عن آله وأصحابه الأبرار وعن التابعين لهم بإحسان.

أما بعد، بعد حمد الله تعالى وترديد الصلاة على سيدنا ومولانا محمد يتكرر ويتوالى. فيقول العبد المعترف بما آتاه المغترف من فيض نعماه ورحماه، عبد الحق الإسلامي، وفقه الله وسدده وهداه وأرشده الله تعالى وله **الحكمة فيما** قدر وقضى: كان أطلعني منذ ستة عشر سنة على الحق الذي لا يشك فيه عاقل ولا يرتاب فيه إلا أهل الباطل، وهو الإيمان بسيدنا ونبينا ومولانا محمد – صلى الله عليه وسلم – والاقتداء به في جميع الأحكام، وكان من." (١)

"ينشدون الأشعار التي فيها ذكر الله وذكر رسوله، وكثيرا ما يكون فيها ما لا يجوز شرعا، ويتمندلون بذكر الله ورسوله في الأسواق والمواضع القذرة، ويجعلون ذلك آلة الأخذ ما في أيدي الناس، لكن بأصوات مطربة؛ يخاف بسببها على النساء ومن لا عقل له من الرجال.

ومنها: أنهم ربما أنشدوا الشعر في الأسفار الجهادية؛ تنشيطا لكلال النفوس، وتنبيها للرواحل أن تنهض في أثقالها، وهذا حسن.

لكن العرب لم يكن لها من تحسين النغمات ما يجري مجرى ما الناس عليه اليوم، بل كانوا ينشدون الشعر مطلقا من غير أن يتعلموا هذه الترجيعات التي حدثت بعدهم، بل كانوا يرققون الصوت ويمططونه على وجه لا يليق بأمية العرب الذين لم يعرفوا صنائع الموسيقى، فلم يكن فيه إلذاذ ولا إطراب يلهي، وإنما كان لهم شيء من النشاط؛ كما «كان الحبشة وعبد الله بن رواحة يحدوان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما كان الأنصار يقولون عند حفر الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما حيينا أبدا

فيجيبهم صلى الله عليه وسلم (بقوله):

اللهم لا خير إلا خير الآخره. فاغفر للأنصار والمهاجره».

ومنها: أن يتمثل الرجل بالبيت أو الأبيات من **الحكمة في** نفسه؛." (٢)

---

(١) الحسام الممدود في الرد على اليهود، عبد الحق الإسلامي ص/٢٥

(٢) الاعتصام للشاطبي ت الهلالي، الشاطبي، إبراهيم بن موسى ٣٤٦/١

"النفوس، وتنبيها للرواحل أن تنهض بأثقالها (١)، وهذا حسن، لكن العرب لم يكن لها من تحسين النغمات ما يجري مجرى ما الناس عليه اليوم، بل كانوا ينشدون الشعر مطلقا من غير أن يعتملوا (٢) هذه الترجيعات التي حدثت بعدهم، بل كانوا يرققون الصوت ويمططونه على وجه يليق بأمية (٣) العرب الذين لم يعرفوا صنائع الموسيقى (٤)، فلم يكن فيه إلذاذ (٥) ولا إطراب يلهي، وإنما كان لهم فيه (٦) شيء من النشاط؛ كما كان أنجشة (٧) وعبد الله بن رواحة يحدوان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨)، وكما كان الأنصار يقولون عند حفر (٩) الخندق:

نحن الذين (١٠) بايعوا محمدا ... على الجهاد ما حيينا أبدا

فيجيبهم رسول الله (١١) صلى الله عليه وسلم بقوله (١٢): اللهم لا خير إلا خير الآخره، فاغفر للأنصار والمهاجره (١٣) ".

ومنها: أن يتمثل الرجل بالبيت أو الأبيات من **الحكمة في** نفسه ليعظ نفسه، أو ينشطها، أو يحركها لمقتضى معنى الشعر، أو يذكرها لغيره (١٤) ذكرا مطلقا؛ كما حكى أبو الحسن القرافي الصوفي عن الحسن: أن قوما

---

(١) في (خ) و (م): "في أثقالها".

(٢) في (خ) و (م): "يتعلموا".

(٣) علق رشيد رضا هنا بقوله: لعله: "لا يليق".اهـ.

(٤) في (خ) و (م): "الموبسقي".

(٥) في (م): "لداد".

(٦) "فيه" زيادة من (غ).

(٧) في (م): "نحشة".

(٨) أما حديث عبد الله بن رواحة: فتقدم تخريجه (ص١٠٣). وأما حديث أنجشة: فأخرجه البخاري في "صحيحه" (٦١٤٩ و٦١٦١ و٦٢٠٢ و٦٢١٠ و٦٢١١)، ومسلم (٢٣٢٣)، كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، وغلام أسود يقال له: أنجشة يحدو، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أنجشة! رويدك سوقا بالقوارير".

(٩) قوله: "حفر" سقط من (ر)، واستدرك في الهامش، ولم يتضح جيدا في التصوير.

(١٠) في (خ): "الذون".

(١١) قوله: "رسول الله" ليس في (خ).

(١٢) قوله: "بقوله" من (خ) فقط.

(١٣) أخرجه البخاري (٢٨٣٤ و٢٨٣٥)، ومسلم (١٨٠٥).

(١٤) قوله: "لغيره" ليس في (خ).." [١]

"فبأي دليل من الكتاب أو السنة أو إجماع الأمة يستحق أبا (١) بكر الصديق [٨/أ] شيئا من الملامة والمذمة، وإنما **الحكمة في** ذلك أن لعن (٢) لاعنيه يرجع إليهم، ويكون سببا بغضب الله عليهم، وموجبا له في زيادة الدرجات العالية والمقامات الغالية، كما أن مسابقته في الإيمان صارت باعثا لمشاركته في ثواب إسلام أهل الإيمان (٣).

[خراسان ليست بدار حرب]

وبهذا الذي قررناه وفي هذا المقام حررناه، تبين أن خراسان ليست بدار الحرب، كما توهم (٤) بعض الفقهاء، بل دار بدعة (٥) كما هو ظاهر عند العلماء، وتوضيحه أن أكثر سكانه على مذهب أهل السنة والجماعة، وغالبهم الحنفية وفيهم بعض الشافعية، وإنما العسكرية جماعة معدودة وشرذمة قليلة، يدعون أنهم الشيعة [ولا يتحاشون عن الشنيعة])٦(.

وقد صرح علماء الكلامية بأن الشيعة من الطوائف الإسلامية، نعم فيهم طوائف، فمنهم من يحب ولا يسب، وإنما يفضل عليا على البقية، ومنهم من لا يحب ولا يسب [زعما منه أنه على الطريقة النقية، ومنهم من يسب] (٧) ولا

(١) في (م): (أبي).

(٢) في (د): (لعنة).

(٣) في (د): (الاتقان).

[١] الاعتصام للشاطبي ت الشقير والحميد والصيني، الشاطبي، إبراهيم بن موسى ١١٤/٢

(٤) في (د): (توهمه).

(٥) في (د): (البدعة).

(٦) زيادة من (د).

(٧) سقطت من (د).." [١]

"وجب رد الرواية ووجب السكوت وترك الطعن، للقطع بأن الحق سبحانه وعدهم المغفرة والحسنى. وفي الحديث: "إن النار لا تمسهم" وقد عظم الوعيد على من وقع فيهم. فحسن الظن والتأدب لجميعهم واجب على كل مسلم. فهذا مذهب السلف الصالح وأهل الحديث والأصول. ونسأل الله الثبات عليه.

وقد وقع أكثر الناس في مطاعن معاوية رضي الله عنه ولعل **الحكمة فيه** أنه صدر عنه شيء فأراد الله سبحانه أن يجلب له الاعمال الصالحة ما دامت الدنيا {وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم}

فأحد المطاعن فيه هو أن بعض المحدثين ومنهم المجد الشيرازي في سفر السعادة قالوا: لم يصح في فضائله حديث. وكذا عنوان البخاري حديث ابن أبي مليكة بقوله: "ذكر معاوية" لا بالمناقب والفضل كما فعل في غيره.

والجواب أنه مر حديثان أحدهما من مسند أحمد والآخر من سنن الترمذي. فإن أريد بعدم الصحة عدم الثبوت فهو مردود لما مر بين المحدثين، فلا ضير فإن فسحتها ضيقة، وعامة الأحكام والفضائل إنما تثبت بالأحاديث الحسان لعزة الصحاح. ولا ينحط ما في المسند والسنن عن درجة الحسن. وقد تقرر في فن الحديث جواز العمل بالحديث." [٢]

"كرم الله وجهه واتفق أن بكى عليه كرم الله وجهه فقد أخرج ابن الجوزي عن أبي صالح قال: قال معاوية لضرار: صف لي عليا، فقال: أوتعفيني؟ قال: بل تصفه، فقال: أوتعفيني؟ قال: لا أعفيك، قال: أما إذ لا بد فإنه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق **الحكمة من** نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما خشب كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويبتدينا إذا أتيناه ويأتينا إذا دعوناه –إلى أن قال– لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من

---

(١) شم العوارض في ذم الروافض، الملا على القاري ص/٤٩

(٢) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، عبد العزيز الملتاني ص/٦٧

عدله فأشهد بالله تعالى لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجونه وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين فكأني أسمعه يقول: يا دنيا يا دنيا أبي تعرضت أم بي تشوقت، هيهات هيهات غري غيري، قد بتتك ثلاثا، لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. قال: فذرفت دموع معاوية فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء." (١)

"فينتبه، قال تعالى {إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون}. نعم إن النقصان في اتباع الشيطان، وهو بمعزل عنه. (١)

ومنها أنه روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: «ألا إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقي الله المؤمنين شرها، فمن عاد بمثلها فاقتلوه» (٢) قالوا: ويؤيد هذه الرواية رواية البخاري في صحيحه فقد دلت صراحة على بيعة أبي بكر قد وقعت بغتة بلا تأمل ولا مشورة، وإنها غير تمسك بدليل، فلم يكن إماما بحق.

والجواب أن هذا الكلام صدر من عمر في زجر رجل كان يقول إن مات عمر أبايع فلانا وحدي أو مع آخر كما كان في مبايعة أبي بكر ثم استقر الأمر عليها، فمعنى كلام الفاروق في رده لهذا القول أن بيعة رجل أو رجلين شخصيا من غير تأمل سابق ومراجعة أهل الحل والعقد ليست بصحيحة، وبيعة أبي بكر وإن كانت فجأة بسبب مناقشة الأنصار وعدم وجود فرصة للمشورة فقد حلت محلها وصادفت أهلها للدلائل على ذلك والقرائن على ما هنالك كإمامة الصلاة ونحوها. وهذا معنى «وقي الله المؤمنين شرها» فلا يقاس غيره به. (٣) وفي آخر هذه الرواية التي رواها الشيعة «وأيكم مثل أبي بكر» أي في الأفضلية والخبرية وعدم الاحتياج إلى المشورة. على أنه قد ثبت عند أهل السنة وصح أن سعد بن عبادة وأمير المؤمنين عليا والزبير قد بايعوه بعد تلك المناقشة واعتذروا له عن التخلف أول الأمر.

ومنها أن أبا بكر كان يقول للصحابة: «إني لست بخير منكم وعلي فيكم». (٤) فإن كان صادقا في هذا القول لم يكن لائقا للإمامة البتة، إذ المفضول لا يليق مع وجود الفاضل. وإن كان كاذبا فكذلك إذ الكاذب فاسق والفاسق لا يصلح للإمامة.

والجواب على فرض التسليم بما يجاب من قبلهم عما يثبت في الصحيفة الكاملة (٥) وهي من الكتب الصحيحة عندهم من قول الإمام السجاد – رضي الله عنه – «أنا الذي أفنت الذنوب عمره» ... الخ. فإن

---

(١) الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية، الألوسي، شهاب الدين ص/٤٢

كان صادقا بهذا الكلام لم يكن لائقا للإمامة أن الفاسق المرتكب للذنوب لا يصلح للإمامة، وكذا إن كان كاذبا لما مر. فما هو جوابهم فهو جوابنا.

وزاد بعض الشيعة

---

(١) قال ابن الجوزي: «إن الطائف ما يطوف حول الشيء والطيف اللمة والوسوسة وروي عن ابن عباس أنه قال الطائف اللمة من الشيطان والطيف الغضب». زاد المسير: ٣/ ٣١٠.

(٢) ليس في الصحيح اقتلوه؛ فالحديث أخرجه البخاري عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال: « ... ثم إنه بلغني أن قائلا منكم يقول والله لو قد مات عمر بايعت فلانا فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي تابعه تغرة أن يقتلا ... »

(٣) قال الحافظ ابن حجر: «وقى الله شرها إيماء إلى التحذير من الوقوع في مثل ذلك، حيث لا يؤمن من وقوع الشر والاختلاف قوله: ولكن الله وقى شرها: أي وقاهم ما في العجلة غالبا من الشر؛ لأن من العادة أن من لم يطلع على **الحكمة في** الشيء الذي يفعل بغتة لا يرضاه، وقد بين عمر سبب إسراعهم ببيعة أبي بكر لما خشوا أن يبايع الأنصار سعد بن عبادة». فتح الباري: ١٢/ ١٥٠.

(٤) ليست في كتب السنة بل من موضوعات الشيعة: أوردها ابن شاذان، الفضائل: ص ١٣٢؛ المفيد، الفصول المختارة: ١/ ٢٤٦؛ ابن طاوس، الطرائف: ٢/ ٤٠٢؛ ابن مطهر الحلي، نهج الحق: ص ٢٦٤.

(٥) الصحيفة السجادية." (١)

"من المؤمنين اقتتلوا فيما بينهم، وأن يقاتلوا إذا بلغت إحداهما حتى تفيء. (١)

ولا يخفى ما في هذا الجواب من الوهن وعدم نفعه للمجيب أصلا، لأن الأمر الثاني يستدعي أن يكون القتال مع الإمام ضرورة فافهم. ومما يدل على أن المحارب غير كافر صلح الحسن - رضي الله عنه - مع معاوية، وهو مما لا مجال لإنكاره. (٢)

وقد روى المرتضى وصاحب (الفصول المهمة) من الإمامية أنه لما أبرم الصلح بينه - رضي الله عنه - وبين معاوية خطب (٣) فقال: «إن معاوية نازعني حقا لي دونه، فنظرت الصلاح للأمة وقطع الفتنة، وقد كتنم

---

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية، الألوسي، محمود شكري ص/٢٤٣

بايعتموني على أن تسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني، ورأيت أن حقن دماء المسلمين خير من سفكها ولم أرد بذلك إلا صلاحكم» (٤) انتهى.

وفي هذا دلالة ظاهرة على إسلام الفريق المصالح وأن المصالحة لم تقع إلا اختيارا، ولو كان المصالح كافرا لما جاز ذلك ولما صح أن يقال «فنظرت الصلاح للأمة وقطع الفتنة» أه. فقد قال سبحانه وتعالى {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله}.

ويدل على وقوع ذلك أختيارا أيضا ما رواه صاحب (الفصول) عن أبي مخنف (٥) من أن الحسين – رضي الله عنه – كان يبدي كراهة الصلح ويقول لو جز أنفي كان أحب إلى مما فعله أخي. (٦) فإنه لا معنى لهذا الكلام لو لم يكن وقوع الصلح من أخيه رضي الله عنهما اختيارا فإن الضرورات تبيح المحظورات وهو ظاهر.

وبعد هذا كله قد ثبت عند جمع أن معاوية – رضي الله عنه – ندم على ما كان منه في المقاتلة والبغي على الأمير كرم الله تعالى وجهه واتفق أن بكى عليه كرم الله تعالى وجهه. فقد أخرج ابن الجوزي عن أبي صالح قال: قال معاوية لضرار: صف لي عليا. فقال: أوتعفيني. قال: بل تصفه. فقال: أوتعفيني. قال: لا أعفيك. قال: أما ولابد فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس

---

(١) القطب الراوندي في فقه القرآن: ١/ ٣٧١.

(٢) والحسن – عليه السلام – معتبر في دين الشيعة معصوما، وكل ما يصدر عن المعصوم يجب عليهم أن يؤمنوا بأنه الحق، فبيعة الحسن لمعاوية من عمل المعصوم في مذهبهم ومعاوية هو الإمام الحق ببيعت المعصوم له. وانظر التعليق على العواصم ص ١٩٧ – ١٩٨.

(٣) أي الحسن بن علي – رضي الله عنهما –

(٤) تقدم التخريج

(٥) هو مؤرخ الشيعة، وصفه ابن عديس بأنه «شيعي محترق».

(٦) تقدم التخريج." (١)

---

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية، الألوسي، محمود شكري ص/٢٨١

"الذين لا يخطر في بال أحد أن معاوية يتقدم على واحد منهم، وعلي كان سيدهم والمقدم عليهم أجمعين باتفاقهم واتفاق الأمة أجمع. ومع كون الأمر كذلك تهيأت الأسباب لمعاوية حتى صار ملكا منصورا. وقتل الخليفة الحق مقهورا. ومع كل هذا العجز الظاهر الباهر الذي قدره الله تعالى على علي رضي الله عنه ما زال ناس كثيرون يدعون فيه الألوهية إلى زماننا هذا، كطائفة النصيرية في بلاد الشام وغيرها من طوائف بلاد الأعجام. فكيف لو حصل له رضي الله عنه من القوة واجتماع الكلمة وضبط الأمور وفتح الفتوحات ما حصل لأبي بكر وعمر وعثمان، فكان يخشى حينئذ أن يضل باعتقاد ألوهيته كثير من الناس غير من ضلوا. فقد اجتمع فيه من العلوم الزاخرة والأنوار الظاهرة والأسرار السافرة والفصاحة الباهرة ما يدهش العقول ويخيل لبعض الناس أن ذلك لا يمكن اجتماعه في بشر؛ ولذلك ضل فيه بعض الطغام من ضعفاء الأحلام. فهذه والله أعلم هي **الحكمة في** إظهار عجز هذا الإمام الكبير وقوة معاوية الذي هو." (١)

"الظواهر، حسبما مر في باب العموم من هذا الكتاب؛ فإذا كان كذلك؛ خرج من سوى الأنبياء من أن يشتركوا مع الأنبياء صلوات الله عليهم في العلم بالمغيبات " (٤/ ٨٤).

ومراده بعلم الأنبياء بالغيب ما كان عن طريق الوحي كما لا يخفى.

• ابتداع نسبة علم الغيب للمخلوق:

وقد بين ابن قتيبة– لسان أهل السنة في القرن الثالث– مبتدعي نسبة علم الغيب للمخلوق مع الحكم بكفرهم، فقال في رسالة " الاختلاف في اللفظ ":

" غلت الرافضة في حب علي وتقديمه على من قدمه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصحابته عليه، وادعائهم له شركة النبي [صلى الله عليه وسلم]، في نبوته وعلم الغيب للأئمة من ولده، وتلك الأقاويل والأمور السرية التي جمدت إلى الكذب والكفر إفراط الجهل والغباوة " [ص:٤٧].

وقد سرت هذه البدعة من الرافضة إلى متأخري الصوفية؛ لاندماج الطائفتين بعضهما في بعض، وانتحال الصوفية كثيرا من العقائد التي ابتدعها الرافضة.

• كلام الرازي في علم الغيب:

---

(١) الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة، يوسف النبهاني ص/١٤٥

وقال الفخر الرازي أوائل تفسير سورة البقرة: " الغيب ينقسم إلى ما عليه دليل، وإلى ما لا دليل عليه، أما ما لا دليل عليه، فهو سبحانه وتعالى العالم به لا غيره، وأما الذي عليه دليل، فلا يمتنع أن تقول: نعلم من الغيب ما لنا عليه دليل " (١/ ٢٥١).

وذكر في تفسير آل عمران أن **الحكمة في** ما أصاب المؤمنين يوم أحد تمييز المنافق من المؤمن، ثم قال:." (١)

"٨ – وعن ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال: «لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره وأنا صادق» (٢٢٤). أخرجه الطبراني في " الكبير " موقوفا عليه، ورجاله رجال الصحيح.

• **الحكمة في** النهي عن الحلف بغير الله:

قال الحافظ في " الفتح ": " وقال ابن المنذر: اختلف العلماء في معنى النهي عن الحلف بغير الله، فقالت طائفة: هو خاص بالأيمان التي كان أهل الجاهلية يحلفون بها تعظيما لغير الله تعالى؛ كاللات، والعزى، والآباء، فهذه

=

قال الحافظ في " الفتح " (١١/ ٥٣٦): " سنده حسن ".

وقال البوصيري في " الزوائد ": " رجال إسناده ثقات ".

(٢٢٤) صحيح: أخرجه الطبراني في " الكبير " (٩/ ٢٠٥/ ٨٩٠٢) عن عبد الله بن مسعود موقوفا، وإسناده صحيح على شرط الشيخين؛ كما في " الإرواء " (٨/ ١٩٢)، وقال المنذري في " الترغيب " (٥/ ٢٠٩): " ورواته رواة الصحيح "، وقال الهيثمي في " المجمع " (٤/ ١٧٧): " ورجاله رجال الصحيح ".

وأخرجه عبد الرزاق في " المصنف " (٨/ ٤٦٩/ ١٥٩٢٩) عن الثوري عن أبي سلمة عن وبرة قال: قال عبد الله– لا أدري أبن مسعود أو ابن عمر– ... فذكره.

وهذا إسناد جيد إن كان أبو سلمة هو المغيرة بن مسلم السراج، والله أعلم.

وأخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٤٨٠): وكيع عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن أبي بردة؛ قال: قال عبد

---

(١) رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي ص/٢٠١

الله (فذكره)، وسنده صحيح على شرط الشيخين.

" تنبيه ": وقد روي مرفوعا، أخرجه أبو نعيم في " الحلية " (٧/ ٢٦٧) من طريق محمد بن معاوية ثنا عمر بن علي المقدمي ثنا مسعر عن وبرة عن همام عن ابن مسعود مرفوعا، وقال: " تفرد به محمد بن معاوية عن عمر عن مسعر ".

قلت: محمد بن معاوية هو: ابن أعين النيسابوري "كذبه ابن معين والدارقطني، وقال مسلم والنسائي: متروك "؛ كما في " الميزان " (٤/ ٤٤)، والله أعلم.." (١)

"والعدل والحكمة. ولا يخدش في ذلك الجهل بوجه **الحكمة في** بعض ذلك، فإن ذلك ضروري؛ لأن الدين من شرع الحكيم العليم الذي أحاط بكل شيء علما، وعقل المخلوق وعلمه محدود، وأنت ترى عقول الناس مختلفة، فكم من أمر يجزم كثير من الناس بأنه خلاف الحكمة، فيجيء من هو أعقل أو أعلم منهم فيبين لهم وجه الحكمة، وقد قال الله عز وجل {وفوق كل ذي علم عليم}.

وكثير من الأحكام يحصل المقصود بالعمل بها، ولا يحتاج إلى العلم بوجه حكمتها، وقد يكون العلم بوجه الحكمة يفتقر إلى صرف مدة طويلة من العمر.

ومثل ذلك مثل الطبيب والمريض؛ فإن الطبيب يعلم من طبائع الأمراض والأدوية ما لا يعلمه المريض، ومن ذلك ما لا يدرك إلا بعد صرف مدة طويلة في التعلم، وقد يكون المريض ضعيف الفهم لا يتهيأ له معرفة ذلك ولو أتعب نفسه فيه؛ ففي مثل هذا ليس على الطبيب إلا إعطاء المريض الدواء المناسب، وليس عليه أن يشرح له حقيقة المرض، وأسبابه، وسبب تأثير الدواء؛ لأن هذا يطول ويتعب في غير فائدة، وبحسب المريض أن يعلم أن الذي أعطاه الدواء طبيب ناصح، والعلم بذلك لا يحتاج إلى استقراء مستغرق.

ولو قال المريض: لا آخذ الدواء حتى تشرح لي حقيقة المرض وأسبابه وحقيقة الدواء وتأثيره، لعد أحمق الناس! ولطرده الطبيب." (٢)

"ومقصود هذا العالم – على ما فهمته – أنه لا يصح الاستناد إلى ظاهر آية من القرآن أو حديث من السنة في تقرير أمر من تلك العلوم الكونية، كما هو بالنسبة إلى غالب الناس غيب.

فأما قوله: إن الشريعة إنما جاءت لتعليم الدين عقائد وأحكاما، ولم تجئ لتعلم العلوم الكونية، فحق.

---

(١) رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي ص/٤٠٨

(٢) رسالة في حقيقة التأويل، عبد الرحمن المعلمي اليماني ص/٥٢

والحكمة في ذلك أن العلوم الكونية منها ما لا فائدة في علمه، [ومنها ما فيه] فائدة، ولكن علمه لا يتوقف على الوحي، بل يعلم بالبحث والنظر. وقد قضى الله عز وجل أن يكون ظهور ذلك في أوقات متراخية، كما وقع من اكتشاف الكهرباء والهاتف والمذياع وغير ذلك.

على أن الناس محتاجون إلى كثرة الحكام، وليس كل حاكم." (١)

"كاملا في العقل والفهم والنظر حتى يدرك جميع الأحكام بنظره، واجتماع جماعة من العقلاء لوضع القوانين لا يكفي، لقصر نظرهم واحتمال ميلهم وتعصبهم، ولأن غالب القوانين تختل الحكمة المقصودة منها في كثر من الجزئيات الداخلة فيها؛ فأما القوانين الشرعية فإنها تؤمن الغلط والميل والعصبية فيها، يمتثلها المتدينون تدينا ويقبلونها طيبة أنفسهم منشرحة صدورهم؛ لأنهم يرون القبول خيرا لهم في دينهم ودنياهم، ويلزمونها غالبا بدون إلزام حاكم؛ لا فرق في ذلك بين قويهم وضعيفهم، وافية منها على الغالب بحيث يمكن تخلف **الحكمة في** بعض الجزئيات، فإن الله عز وجل يجبره بقدره.

والمقصود أن الخلق مفتقرون إلى تلقي الأحكام من طريق الرب عز وجل وليسوا مفتقرين إلى تلقي العلوم الطبيعية ونحوها.

وقد قيل في تفسير قول الله عز وجل: {يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها}: "إن." (٢)

"" لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله ذلك اليوم، حتى يخرج رجل من ولدي فيملأها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما " (١).

وكذبوا على نبي الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال:

القائم من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشمائله شمائلي، وسنته سنتي. يقيم الناس على ملتي وشريعتي، يدعوهم إلى كتاب الله ربي. من أطاعه أطاعني، ومن عصاه عصاني، ومن أنكر غيبته فقد أنكرني، ومن كذبه فقد كذبني، ومن صدقه فقد صدقني. إلى الله أشكو المكذبين لي في أمره، والجاحدين لقولي في شأنه، والمضلين لأمتي عن طريقته. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " (٢)

---

(١) رسالة في حقيقة التأويل، عبد الرحمن المعلمي اليماني ص/١١٠

(٢) رسالة في حقيقة التأويل، عبد الرحمن المعلمي اليماني ص/١١١

من يكون المهدي؟

فلقد كذب الشيعة على الحسن بن علي رضي الله عنهما. أنه لما صالح معاوية، دخل عليه الناس، فلامه بعضهم على بيعته، فقال:

"ويحكم، ما تدرون ما علمت، والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أني إمامكم، ومفترض الطاعة عليكم، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، بنص رسول الله علي؟

قالوا: بلى، قال: أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار كان ذلك سخطا لموسى، إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان عند الله تعالى ذكره حكمه وصوابا؟ أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم خلفه، فإن الله عز وجل يخفي ولادته، ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد عنقه بيعة إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخي الحسين بن

---

(١) أعلام الورى للطبرسي ص ٤٢٧.

(٢) أيضا ص٤٢٥.." (١)

"وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم).

تعال يا أخي القارئ المسلم ولنقف قليلا ... ونستعرض هذا العمل العظيم ... خطوة خطوة .. نر الامتثال لأمر الله في كل خطوة بارزة فيه أخلاق النبوة من الطاعة والتنفيذ .. دون أي زمن يفصل بين الأمر والطاعة

١ - تنفيذ إبراهيم عليه الصلاة والسلام أمر ربه ببناء البيت وبسفره فورا من فلسطين إلى مكة.

٢ - قول إبراهيم: يا إسماعيل: إن الله أمرني بأمر ... ولم يسمه له وجواب إسماعيل فورا: فاصنع ما أمرك ربك دون أن يسأله عنه.

٣ - قول إبراهيم: وتعنني عليه ... ؟ وجواب إسماعيل فورا: وأعينك.

٤ - مباشرتهما بالعمل: إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة.

إنها النبوة الجليلة السامية تظهر واضحة جلية هكذا النبي ينفذ أمر ربه دون بحث أو سؤال عن نوع هذا

---

(١) الشيعة والتشيع - فرق وتاريخ، إحسان إلهي ظهير ص/٣٦١

الأمر .. وهكذا فإن أمر الله يجب تنفيذه فورا .. دون السؤال عن **الحكمة منه** ما دام صادرا عن الحكيم العليم. هكذا كان موقف إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

بعد أن استعرضنا وإياك .. هذه المراحل الأربعة القولية والعملية لهذين النبيين والرسولين الجليلين .. فكر يا أخي بهذا العمل وشكل تنفيذه ... أتراه عملا صالحا أم لا ... ؟ لا ريب أنك ستجيب فورا: أكرم وأعظم به من عمل صالح عظيم كريم جليل وكيف لا ... وهو تنفيذ أمر الله تعالى بعمارة بيته المحرم الذي جعل أفئدة من الناس تهوي إليه أجل أنه عمل صالح لا من آحاد الناس ... بل من أبي الأنبياء إبراهيم وبكره النبي الرسول إسماعيل جد خير الأنبياء محمد صلى الله عليهم أجمعين.

وخليق ببناء بيت الله، العمل الصالح العظيم أن يرفعاه وسيلة صالحة طيبة إلى جانب الله تبارك وتعالى وتقدس يتقربان إليه عز وجل.

با شرا به فعلا ... ثم ابتهلا إليه عز شأنه: (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع." (١)

"فمن اعترض بأن إبليس كان من الملائكة فعصى، أجيب بأن الله توصف الملائكة بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وقد ذكر القرآن أن إبليس كان من الجن كما استثنى من الملائكة وذلك يدل على أنه منهم. والتوفيق السليم أن يقال: إن إبليس كان من الجن حقيقة، وكان من الملائكة حكما، أي إنه لشدة عبادته وبعده عن المخالفة أول الأمر كان شبيها بالملائكة فأخذ حكمهم.

ومن اعترض بقول الملائكة لله في آدم قبل خلقه:

{أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك} [البقرة: ٢٠].

أجيب بأن الملائكة لم ترد بهذا القول غيبة آدم ولا تزكية أنفسهم ولا الظن السيء كما قد يتوهم، إنما أرادوا السؤال عن **الحكمة في** خلق آدم في الأرض، وكانوا قد علموا عن الله تعالى ما يحصل من ذريته من الإفساد، أو كان قولهم سببه أن الأرض كانت مسكونة قبل آدم بمخلوقات أفسدت وسفكت الدماء.

ومن اعترض بأن هاروت وماروت كانا ملكين فعلما الناس السحر، وتعلم السحر للسحر معصية، أجيب بأن هاروت وماروت قيل إنهما كانا ملكين بكسر اللام، وقرئ بذلك، وحينئذ فلا إشكال لأنهما آدميان، والقول الثاني أنهما نزلا بأمر الله في زمن كثر فيه السحر والسحرة ودعوى السحرة أنهم أنبياء، لأنهم يأتون بأمور خارقة للعادة فنزل الملكان في صورة بشر وعلما الناس علم السحر حتى يكذبوا السحرة في ادعائهم

---

(١) التوصل إلى حقيقة التوسل، محمد نسيب الرفاعي ص/٦٦

النبوة، وتعلم السحر للتوقي من ضرره غير محظور وغير ممنوع. بل قد يكون مطلوبا وبهذا تثبت عصمة الملائكة، وتسقط الاعتراضات الموجهة إليهم.." (١)

"{فمن كان يرجو لقاء ربه فليعلم عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا} [آخر الكهف].

فمن صلى، أو صام، أو زكى، أو حج، أو اعتمر، أو جاهد بغير نية فإن عمله باطل، وإن نوى به غير وجه الله تعالى فكذلك، وهذا بخلاف المعاملات والأخلاق والسياسات وغيرها، فإن العقود فيها تصح بنية وبغير نية، وتصح سواء كانت النية لله أو لغيره. كل ما في الأمر أنها إن قصد بها وجه الله أثيب صاحبها وإلا فلا. فلو تزوج إنسان امرأة لمالها أو لجمالها أو لحسبها فإن الزواج صحيح، غير أنه لا ثواب فيه، لأن الثواب في المعاملات والأخلاق وأمثالها يأتي نتيجة نية صالحة.

وكذلك عقود البيع والتجارة والشركات، والمعاهدات بين الدول، والاتفاقيات بينها، أو بين الأشخاص بعضهم مع بعض في جميع أمور الحياة لا يشترط في صحتها أن يراد بها وجه الله، بل تصح بدون هذه الإرادة، أو بإرادة سيئة كإرادة الرياء، والجاه والاستعلاء، والمنافع الشخصية، والإضرار بالآخرين. كمن اشترى دارا بنية الإضرار بالجيران أو بساكن معين في الشارع.

ثانيا: هذه الأمور مطلوب من المسلم أداؤها كما أمر الله تعالى وبين رسوله صلى الله عليه وسلم سواء فهم المسلم الحكمة في أدائها أم لم يفهم. إنها خضوع خالص لله تعالى على الوجه الذي جاءت به الشريعة، فإن كان العبد مستسلما حقا نفذ أمر الله وأمر رسوله بدون أن يسأل: لم شرع؟ ولم كان على هذا النظام؟ ولم لم يكن على نظام كذا وكذا. إن عليه أن يقول:

{سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير} [البقرة: ٢٨٥].

صحيح أن جميع شرع الله يجب أن يتلقاه المسلم بالقبول والتسليم والخضوع له سواء فهم الحكمة أو العلة أم لم يفهم، غير أن باب المعاملات أوضح." (٢)

"الرحال، والصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.

وقد ورد النهي عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة: المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، فيدخل في النهي سائر البقاع والقبور، فلا تقصد للصلاة فيها أو التبرك بها أو التعبد فيها.

---

(١) تبسيط العقائد الإسلامية، حسن أيوب ص/١٨٦

(٢) تبسيط العقائد الإسلامية، حسن أيوب ص/٢٦٩

وأما الأمر بزيارة القبور، فإن **الحكمة فيه** تذكر الآخرة، وهو يحصل بقبور أي بلد، فإنها لا تخلو قرية غالبا من وجود مقابر بفنائها، فزيارة تلك القبور تذكر بالآخرة، وينتفع الأموات بالدعاء لهم.

فأما القبر النبوي، فقد ورد النهي عن اتخاذه عيدا، أي: تكرار زيارته كما يتكرر العيد، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «لا تتخذوا قبري عيدا، وصلوا علي حيث كنتم، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»؛ فيعم ذلك المسلم من قريب أو بعيد.

وأما الأحاديث التي في فضل زيارة قبره -عليه الصلاة والسلام- فكلها ضعيفة أو موضوعة، مثل قوله: "من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي"، وقوله: "من زار قبري"، أو قال: "من زارني كنت له شفيعا أو شهيدا"، وقوله: "من زار قبري وجبت له شفاعتي"، وقوله: "من حج ولم يزرني فقد جفاني". وكلها باطلة لا أصل لها، وقد بين العلماء بطلانها، كما في "الرد على الأخنائي " لشيخ الإسلام ابن تيمية، و"الرد على السبكي " لابن عبد الهادي، و"الرد على النبهاني " للألوسي ولا يغتر بمن يروج هذه الأحاديث ويترجمها.." (١)

"ولا يفهم أن منع زيارته حط من قدره، فإن محبته -عليه السلام- ثابتة في قلوب أتباعه، ولا ينقصها بعدهم عن قبره. والله أعلم.

حكم وضع علامة على القبر

س١٢: ما حكم وضع علامة على القبر كحديدة وخشبة لكي يعرف بها؟

الجواب: لا بأس بذلك، فقد روى أبو داود برقم (٣٢٠٦) عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: لما مات عثمان بن مظعون فدفن، أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- رجلا أن يأتيه بحجر فوضعها عند رأسه، وقال: «أتعلم بها قبر أخي، وأدفن إليه من مات من أهلي» سكت عنه أبو داود؛ فهو عنده صالح.

وهذه العلامة لأجل معرفة الميت عند الزيارة ليدعو له، وليدفن إليه أقاربه لتسهل زيارتهم، ويجوز أن تكون من حجارة أو لبن أو خشبة أو نحوها، توضع عند رأس القبر، أو على أحد جانبيه، وقد ورد النهي عن البناء على القبور، ففي "صحيح مسلم " عن جابر قال: «نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يقعد على

---

(١) فتاوى في التوحيد، ابن جبرين ص/٢٤

القبر، وأن يجصص، وأن يبنى عليه». وفي رواية: «وأن يزاد عليه، وأن يكتب عليه».

والنهي عن هذه الأمور ظاهره التحريم، **والحكمة فيه** أن ذلك مما." [1]

"فكل ميسر لما خلق له. وقرأ قوله –تعالى-: {فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى} (١) الآية»، فأثبت له عملا وهو العطاء والتقوى والتصديق، وأخبر بأن الله –تعالى– هو الذي يسره أي: أعانه وقواه، فلو شاء لأضله وسلط عليه من يصرفه عن الحق، فهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء.

ومذهب أهل السنة أن ما يقع من المعاصي والمخالفات كلها بإرادة الله –تعالى– الإرادة الكونية القدرية، بمعنى أن الله خلقها وأوجدها مع أنه يكرهها، ولا يحب أهلها بل يعاقبهم عليها، فتنسب إلى العبد الذي عملها وباشرها، ويوصف بأنه مذنب وكافر وفاجر وفاسق، ومع هذا فإن الله –تعالى– هو الذي قدرها وكونها، فلو شاء لهدى الناس جميعا، فلله **الحكمة في** خلقه وأمره، فلا يكون في ملكه ما لا يريد.

وقد ذهب المعتزلة إلى إنكار قدرة الله –تعالى– على أفعال العباد، بل عندهم العبد هو الذي يضل ويهتدي، فقدرته أقوى من قدرة الرب.

وخالفهم الجبرية، فبالغوا في إثبات قدرة الرب، وسلبوا العبد قدرته واختياره، وجعلوه مقسورا لا حركة له ولا اختيار.

وتوسط أهل السنة فقالوا: إن للعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة تمكنهم من فعلها، والله –تعالى– خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم؛ حتى لا تبطل شريعة الله وأمره ونهيه، ولا ينفى فعله وعموم قدرته لكل شيء. والله أعلم.

---

(١) سورة الليل، الآيات: ٥ – ٧.." [2]

"وهناك آخر أحمد المعشوق المتوفى ٧٧٣هـ ذكروا عنه أنه كان تاركا للصلاة فسأله الناس عن السبب فأجاب قائلا:

---

(١) فتاوى في التوحيد، ابن جبرين ص/٢٥

(٢) فتاوى في التوحيد، ابن جبرين ص/٥٣

" إني امرأة حائضة ، لا تجب الصلاة علي " (١).

وكذلك ذكر العطار عن ذي النون المصري أنه قال له أحد مريديه: حججت أربعين حجة وقمت الليل أربعين سنة ولكني ما حظيت بمحادثة الله تعالى ومكاشفاته ، فقال له ذو النون: كل شبعا ولاتصل العشاء.

ثم يعلق عليه العطار: لو سأل سائل ما **الحكمة في** الأمر بترك الصلاة؟ فالجواب أن الطريق أحيانا تخالف ظاهر الشريعة كقتل الخضر الولد بدون سبب ظاهري ، فإذن لا إنكار في الطريقة على مثل هذه الأمور " (٢).

وحكى عنه العطار أيضا أنه كان تاركا للصلاة وكان يقول: " أن الله رفع عني فريضة الصلاة " (٣).

وهناك صوفي كان يبغض المؤذن للصلاة ، فيقول الشعراني:

"كان سيدي إبراهيم بن عصيفير رضي الله عنه يتشوش من قول المؤذن: " الله أكبر " فيرجمه ويقول: عليك يا كلب ، نحن كفرنا يا مسلمين حتى تكبروا علينا " (٤).
وينقل ابن عجيبة الحسني عن أحد الصوفية أنه كان ينشد:

تذلل له تحظى برؤيا جماله ... ففي وجه من تهوى الفرائض والنفل (٥).

وحكي عن الواسطي أنه لما دخل نيسابور سأل أصحاب أبي عثمان: بماذا كان يأمركم شيخكم؟

فقالوا: كان يأمرنا بالتزام الطاعة ورؤية التقصير فيها:

---

(١) تذكرة أولياء بر صغير للميرزه الدهلوي ج ٣ ص ١٦٥.
(٢) تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ص ٧٣ ط باكستان.
(٣) أيضا ص ٨٦.

(٤) طبقات الشعراني ج ٢ ص ١٤١.

(٥) إيقاظ الهمم لابن عجيبة الحسني ص ٥٠٧.." [1]

"لا بأس بذلك، هل اللذة إلا بذلك" (١).

كما سئل أبو الحسن عن "الرجل يقبل فرج امرأته؟ قال: لا بأس" (٢).

ولا ندري ما علاقة أئمة القوم بمثل هذه المسائل، وما **الحكمة في** بيانها؟ ثم وأي دين هذا الذي يأمر أتباعه بالنظر إلى الحسناوات، وتشديد الذكر، والترغيب في الأكل والشرب والجماع وغير ذلك من الخرافات التي يأبى الإنسان العادي أن يذكرها دون الأئمة والثقاة حسب زعم القوم؟.

هذا وقد رووا أيضا عن جعفر أنه قال: النظر إلى عورة من ليس بمسلم مثل نظرك إلى عورة الحمار" (٣).

وأما عورة المسلم فرووا عن أبي الحسن موسى الكاظم أنه قال:

العورة عورتان القبل والدبر، أما الدبر فمستور بالإليتين وأما القبل فاستره بيدك" (٤).

هذا وليس هذا فحسب، بل هناك فضائح أكثر من هذا حيث قالوا: إن أبا جعفر – محمد الباقر – عليه السلام كان يقول:

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بميزر، فقال: فدخل ذات يوم الحمام فتنور – أي جعل النورة على جسمه – فلما أن أطبقت النورة على بدنه ألقى الميزر، فقال له مولى له: بأبي أنت وأمي إنك توصينا بالميزر ولزومه وقد ألقيته عن نفسك؟ فقال: أما علمت أن النورة قد أطبقت العورة؟.

كما رووا عن عبيد الله الدابقي أنه قال: دخلت حماما بالمدينة، فإذا شيخ

---

(١) "الفروع من الكافي" ج٢ ص٢١٤ ط الهند

(٢) "الفروع من الكافي" ج٢ ص٢١٤

(٣) "الفروع الكافي"، كتاب الزي والتجمل ج٦ ص٥٠١ ط طهران

(٤) "الفروع الكافي" كتاب الزي والتجمل ج٦ ص٥٠١." [2]

---

(١) دراسات في التصوف، المؤلف غير معروف ص/١٠٤

(٢) الشيعة وأهل البيت، المؤلف غير معروف ص/٢٤٨

"إلا من هذا الوجه من حديث أبي الحوراء السعدي واسمه ربيعة بن شيبان. ولا نعرف عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في القنوت شيئا أحسن من هذا] وصححه الشيخ الألباني (١).

وقد أحدث الناس بدعا كثيرة في القنوت أذكر منها:

أولا: تقليب اليدين عند الدعاء وقول المأمومين بعض الكلمات عند دعاء الإمام كقولهم: حق، حق، أشهد، ونحو ذلك.

وهذا التقليب للكفين لم يرد عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – في دعاء القنوت لا في قنوت الفجر ولا في قنوت الوتر وإنما ورد تقليب الكفين في دعاء الاستسقاء خاصة ولعل **الحكمة في** الإشارة بظهر الكفين في الاستسقاء دون غيره التفاؤل بتقليب الحال كما قيل في تحويل الرداء كما أفاده الشوكاني (٢).

ولم يرد عن الصحابة رضي الله عنهم حال القنوت في الصلاة إلا التأمين وأما زيادة هذه الألفاظ نحو: حق، وأشهد فليس لها مستند، بل هي بدعة لأن الدعاء من العبادة والأصل في العبادة التوقيف (٣).

ولو فعله الصحابة رضي الله عنهم لنقل إلينا كما نقل أنهم كانوا يؤمنون على دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – كما جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [قنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شهرا متتابعا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح دبر كل صلاة إذا قال سمع الله لمن حمده في الركعة الأخيرة يدعو على أحياء من بني سليم ويؤمن من خلفه] رواه أبو داود بإسناد حسن أو صحيح كما قال الإمام النووي (٤).

---

(١) سنن الترمذي مع شرحه التحفة ٤/ ٤٦١، إرواء الغليل ٢/ ١٧٢.

(٢) نيل الأوطار ٤/ ١٠.

(٣) انظر السنن والمبتدعات ص ٦٢، القول المبين ص ١٣٢، المسجد في الإسلام ص ٢٤٧

(٤) سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ٤/ ٢٢٤، الخلاصة ١/ ٤٦١.." (١)

"وقال قتادة: [بلغنا أن أبا الدرداء – رضي الله عنه – نظر إلى رجل يضحك في جنازة فقال له: أما كان فيما رأيت من هول الموت ما يشغلك عن الضحك].

---

(١) اتباع لا ابتداع – قواعد وأسس في السنة والبدعة، المؤلف غير معروف ص/١٢٩

وكان مطرف يلقى الرجل من خاصة أهله في الجنازة فعسى أن يكون غائبا فما يزيده على السلام ثم يعرض عنه اشتغالا بما هو فيه.

ذكر هذه الآثار السيوطي (١) ثم قال: [فهذا خوف هؤلاء السادات من الموت فأما اليوم فغالب من تراه يشهد الجنازة يلهون ويضحكون، وما يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته] (٢).

وقال الإمام النووي رحمه الله: [يستحب له – أي الماشي مع الجنازة – أن يكون مشتغلا بذكر الله تعالى والفكر فيما يلقاه وما يكون مصيره وحاصل ما كان فيه، وأن هذا آخر الدنيا ومصير أهلها، وليحذر كل الحذر من الحديث بما لا فائدة فيه، فإن هذا وقت فكر وذكر يقبح فيه الغفلة واللهو والاشتغال بالحديث الفارغ، فإن الكلام بما لا فائدة فيه منهي عنه في جميع الأحوال فكيف هذا الحال.

واعلم أن الصواب المختار ما كان عليه السلف رضوان الله عليهم السكوت في حال السير مع الجنازة، فلا يرفع صوتا بقراءة ولا ذكر ولا غير ذلك، **والحكمة فيه** ظاهرة وهي أنه أسكن لخاطره وأجمع لفكره فيما يتعلق بالجنازة وهو المطلوب في هذا الحال، فهذا هو الحق ولا تغترن بكثرة من يخالفه، فقد قال أبو علي الفضيل بن عياض – رضي الله عنه – ما معناه: الزم طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين] (٣).

---

(١) الأمر بالإتباع ص٢٥٣ – ٢٥٥.

(٢) الأمر بالإتباع ص ٢٥٥.

(٣) الأذكار ص ١٣٦ وانظر يسألونك ٣/ ٤١ – ٤٣.." [1]

"**الحكمة في** أنه لم يطلب دخولها ليعمى قبره لئلا تعبده الجهال من ملته] (١).

وقال الإمام العيني: [واختلف أهل السير في موضع قبره فقيل بأرض التيه وهارون كذلك ولم يدخل موسى الأرض المقدسة إلا رمية حجر رواه الضحاك عن ابن عباس وقال: لا يعرف قبره ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – أبهم ذلك بقوله (إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر)، ولو أراد بيانه لبين صريحا وقال ابن عباس لو علمت اليهود قبر موسى وهارون لاتخذوهما إلهين من دون الله.

وقيل: بباب لد بالبيت المقدس.

---

(١) اتباع لا ابتداع – قواعد وأسس في السنة والبدعة، المؤلف غير معروف ص/١٥٤

وقيل: قبره بين عالية وعويلة عند كنيسة توماء.
وقيل: بالوادي في أرض ماء بين بصرى والبلقاء.
وقيل: قبره بدمشق ذكره ابن عساكر عن كعب الأحبار.
والأصح أنه بالتيه قدر رمية حجر من الأرض المقدسة] (٢).

وقال الحافظ ابن حجر: [وزعم ابن حبان أن قبر موسى بمدين بين المدينة وبيت المقدس وتعقبه الضياء بأن أرض مدين ليست قريبة من المدينة ولا من بيت المقدس. قال - أي الضياء -: وقد اشتهر عن قبر بأريحاء عنده كثيب أحمر أنه قبر موسى وأريحاء من الأرض المقدسة] (٣). قلت وظاهر حديث أبي هريرة السابق يرد القول المشهور الذي ذكره الضياء لأن أريحا من الأرض المقدسة وظاهر الحديث أنه لم يدخل الأرض المقدسة وإنما سأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة.

قال الحافظ ابن كثير: [وقد زعم بعضهم أن موسى عليه السلام هو الذي خرج بهم من التيه ودخل بهم الأرض المقدسة.

---

(١) فتح الباري ٣/ ٤٥٠.
(٢) عمدة القاري ١١/ ١٤١.
(٣) فتح الباري ٧/ ٢٥٢.." (١)

"التداخل في شأن ذلك وجب زجره وكفه عن مثل ذلك

سؤال: ما تفسير آية {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}؟

الجواب: تفسيرها الذي يجب اعتقاده يأتي بعد - إن شاء الله تعالى - أقول: ظاهر هذه الآية وبعض الأحاديث يدل على أن الباعث لخلقهم هو عبادتهم له تعالى، أخرج ابن أبي شيبة عن أبي الجوزاء في الآية قال: أنا أرزقهم وأنا أطعمهم ما خلقتهم إلا ليعبدوني، وهذه الدلالة (١) غير مرادة قطعا أجمع أهل الحل والعقد من المسلمين على أن الله تعالى لم يوجد شيئا، ولم يكلف أحدا بحكم لغرض وعلة، فلا بد من نظر آخر في الآية والأثر فنظرنا فوجدنا أن لام الجر موضوعة لمعان كثيرة منها أن تكون للعاقبة والمآل وهي

---

(١) اتباع لا ابتداع - قواعد وأسس في السنة والبدعة، المؤلف غير معروف ص/١٩٣

المتعينة في الآية والأثر ولا يصح غيرها من المعاني والدليل

---

(١) قوله: غير مرادة إلخ سئل الإمام الجامع بين علمي الظاهر والباطن أبو العباس أحمد التيجاني – رضي الله عنه ونفعنا بمدده – عن العلل المذكورة في كلام الله – تعالى – نحو {وما خلقت الجن والإنس} و {ليطاع بإذن الله} و {ليكون لهم عدوا وحزنا} ونحو ذلك فأجاب – رضي الله عنه – بقوله: اعلم أن العلة المستحيلة في حقه – تعالى – هي أن لو قدر شيئا يعود منه النفع أو الضرر على الله – تعالى عن ذلك علوا كبيرا – فهذه هي العلة المستحيلة في حقه تعالى، أما العلة التي يعود نفعها أو ضررها على العباد فهذه لا شيء فيها؛ لأن حكمة الله هي شرائع أنبيائه أظهر فيها – سبحانه وتعالى – الارتباط بين الأشياء من النسب والإضافات كالسبب بمسببه، والعلة بمعلولها نحو: {من يطع الله ورسوله ندخله جنات} {ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده ندخله نارا} إلى غير ذلك من الآيات والأخبار فعلى هذا معنى قوله: {ليعبدون} أي لنحكم عليهم بالعبادة فمن لم يعبدني منهم عاقبته بعذابي، وأما الأشياء بالنسبة بمشيئة لله تعالى فعارية عن العلل والشروط والأسباب ونحوها، وإنما حكم الله في أزله بما اختار، فجعل هذا سعيدا وهذا شقيا وهذا غنيا وهذا فقيرا من غير علة ولا غرض، وما أظهره الله تعالى في حكمته من الارتباطات بين الأمور في الظاهر نحو: من فعل كذا عاملته بكذا من الخير أو الشر فذلك بمحض الفضل أو العدل له الحكم والاختيار لا يسأل عما يفعل ا. هـ وقال سيدي علي وفا – رضي الله عنه –: جميع الأعمال إنما شرعت تذكرة بمشرعها؛ كي لا ينسوه ولا يصبوا إلى غيره {أقم الصلاة لذكري} فافهم، وفي الإبريز إنما شرعت العبادات وجميع الطاعات وأرسلت الرسل بذلك؛ ليحصل التوجه إلى الله ويردوهم عن الغفلة الناشئة لهم عن الحجاب، ولولاها لكان البشر مثل الملك ولم يتحمل هذه التكاليف الشاقة ولم تكن جهنم ا. هـ باختصار ولعل هذا الإنسان السائل يستحسن عقله أن تترك العباد سدى كالأنعام لا تكلف عليهم، وهو كأحدهم فيكون من مصدوق آية سورة القيامة

بقي سؤال آخر يتعلق بالآية وهو أن الله تعالى علمه محيط بكل شيء، وقد قال: {وما خلقت الجن والإنس} الآية فمقتضى ذلك أن يكون عالما بأنهم سيعبدونه، وينافي علمه بذلك تخلف العبادة من بعضهم، وأحسن ما أجيب به عن الآية ما قاله أبو العباس التيجاني أيضا أن قوله تعالى: {وما خلقت} الجن الآية خطاب منه تعالى في بساط الحكمة لا في بساط الحقيقة والمشيئة المشار إليها بقوله تعالى:

{ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم} فهذا هو الواقع؛ لأن خطاب المشيئة لا يتأتى انتفاؤه بخلاف خطاب الحكمة في بعض الموجودات؛ لأن أمره – تعالى – مسوق إلى المشيئة لا إلى الحكمة، والحكمة سجاف على المشيئة كما قال صاحب الحكم – رضي الله عنه –: إلى المشيئة يستند كل شيء، ولا تستند هي لشيء يعني لا يقال لم شاء الله هذا؟ أو لا علة لاختياره ومشيئته تعالى، فقوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس} الآية {وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله} خطاب في عالم الحكمة؛ فلذا وقع التخلف وكفر الكثير بالرسل إذ لو كانت عبادتهم وطاعتهم مقررتين في هذه المشيئة ما أمكن تخلفهما، قال تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} وقال تعالى: {وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين} أي بأن السعادة بيدي دون خلقي ا. هـ المراد منه." (١)

"(فهرست كتاب الأجوبة الكافية عن الأسئلة الشامية)

صحيفة

---

(١) الأجوبة الكافية عن الأسئلة الشامية، المؤلف غير معروف ص/١٤

في صرفها عن ظاهرها.

٣٢ – مطلب الكلام مع الشيخ محمد عبده في إنكاره ورود لفظ السائل." [١]

"ولذلك منع المؤمنين من التزوج بهن من بعده" (١).

سادسا: تطهيرهن من الرجس (الشرك والشيطان والأفعال الخبيثة والأخلاق الذميمة) قال تعالى: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا} (٢)، وهذا بناء على القول الذي لا يصح غيره وهو أنهن من جملة أهل البيت.

سابعا: مضاعفة الأجر لهن على الطاعات والعمل الصالح، كما في قوله تعالى: {ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما} (٣).

ثامنا: لقد شرفهن الله بتلاوة القرآن **والحكمة في** بيوتهن مما يدل على جلالة قدرهن ورفعتهن، قال تعالى: {واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا} (٤).

وبالجملة: فهذه شذرات مقتضبة في فضائل أمهات المؤمنين، أردنا بها التنويه على عظيم فضلهن، وشموخ مقامهن، وإلا فالبحث يحتمل أكثر من ذلك، ولا يتسع المقام لما هنالك، فاللبيب تكفيه الإشارة، والحر تكفيه البشارة.

---

(١) ينظر: شذى الياسمين في فضائل أمهات المؤمنين ص (١٧).

(٢) سورة الأحزاب، الآية:٣٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية:٣١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية:٣٤.." [٢]

"@ ٧٣@إلى الإيمان والحكمة أكثر منهما إلى غيرهما ؟ لأن أفئدتهم أرق فهي أكثر شهودا للغيب ، لأن الشيء الرقيق أنفذ في خلال الأشياء المانعة ، والحجب الساترة من الشيء الغليظ ، ومن خرق الحجب أدرك الإيمان وحقيقته ، والحكمة التي هي التكلم عن الله عز وجل . ويجوز أن يكون أشار بلين القلب أي خفض الجناح ، ولين الجانب ، والانقياد والاحتمال ، وترك العلو والترفع ، لأن هذه الأفعال

---

(١) الأجوبة الكافية عن الأسئلة الشامية، المؤلف غير معروف ص/١٦٧

(٢) إجلاء الحقيقة في سيرة عائشة الصديقة، المؤلف غير معروف ص/٨٦

إنما تظهر ممن لان قلبه ، وهي أوصاف الظاهر ، وأشار برقة أفئدتهم إلى شفقتهم على الخلق والرحمة لهم ، والرأفة بهم ، والتعطف عليهم ، و النصح لهم ، وأن يحبوا لهم ما يحبون لأنفسهم ، وهذه أوصاف الباطن ، فكأنه أشار إلى أنهم أحسن أخلاقا ظاهرا وباطنا ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا.

| فقوله : الإيمان يمان أي أهل اليمن اكمل الناس إيمانا ، وتكون **الحكمة من** أوصاف من كمل إيمانه ويقينه ، ويجوز أن يكون وصفه لهم بلين القلوب إشارة إلى قبول الحق ، لأن أهل اليمن أجابوا إلى الإسلام بالدعوة دون المحاربة والقتال ، فقبلوا الحق للين قلوبهم ، لأن من قسا قلبه لا يقبل الحق وإن كثرت دلائله وقامت حججه ، وقال الله تعالى : {فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون . ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة} [البقرة : ٧٣ ٧٤] أخبر أن من قسا قلبه لا يرجع إلى الحق وإن ظهرت أعلامه ، والآيات إنما يعقلها من كانت صفته ضد صفة القاسية قلوبهم ، ولذلك نسب الإيمان إليهم لأنهم قبلوه من غير عنف ، ونسبهم إلى الحكمة لأن الحكمة هي الإصابة للحق ، فأصابوا الحق فآمنوا للين قلوبهم ومواتاتهم وقبولهم الحق.

| ويجوز أن يكون معنى قوله : أرق أفئدة إشارة إلى توسطهم في مشاهدات القلوب ، ومنازلات الأسرار ، وذلك أنهم قالوا . إن الفؤاد عين القلب ، فكأنه أشار | ." (١)

"@ ٧٨@ثم بالغا أشده ، ثم شيخا ، أي لم يخلق اطوارا ، بل خلق على الصورة التي كان بها ، ويقال : خلق على صورته فكان في الأرض حين اهبط إليها على صورته التي كان في الجنة عليها لم تتغير صورته التي اهبط فيها إلى الارض ، ولم ينتقص طوله ، ولا سلب نوره ، يدل عليه قوله طوله ستون ذراعا ، أي على هذا الطول خلق ، ولم يكن في الجنة اطول منه في الأرض ، ولا أقل نورا ، ولا أدنى حالا فيها منه في الجنة.

| ويجوز أن يكون معنى صورته : أي صورة حاله ، وأن يكون متفاوت الحال متغاير الوصف ، فيوصف مرة بالغوية ، ومرة بالهداية ، وبالعصيان والتوبة . قال الله تعالى : {وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى} [البقرة : ١٢١ ١٢٢] ووصفه بالعلم مرة ، وبالجهل أخرى فقال : {وعلم آدم الأسماء كلها} [البقرة : ٣١] وقال : {وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا} [الأحزاب : ٧٢].

---

(١) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، المؤلف غير معروف ص/٧٣

|وهذا إلى سائر أحواله في تباينها ، وأوصافه في تغايرها ، ثم ما اكرمه به من فضله واختصه ، واصطفاه ، واستخلصه ، واجتباه ، وكان خليفته في أرضه وقبلة ملائكته ، وقسيم أهل ناره وجنته ، علمه الأسماء ، وألهمه الحمد والثناء ، فكان خلقه عز وجل بهذه الاوصاف ، وعلى صورة هذه الاحوال ، وهذا كما قال الله تعالى : {ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك} [هود : ١١٨ ١١٩] ولذلك قيل خلقهم ليكونوا مختلفين.

|وقال جل جلاله : {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات : ٥٦].

|فلذلك خلق الله تعالى آدم ليكون على هذه الأوصاف ، وما لا يحصى من **الحكمة فيه** فكان معنى قوله : خلق آدم على صورته ، أي : خلقه ليكون صورة حاله هذه الصورة وخلق سائر الخلائق عل حالة واحدة ، خلق الله الملائكة للطاعة لا غير ، والشياطين للعصيان لا غير ، والبهائم وسائر الحيوان للتسخير لا غير ، وفي رواية أخرى أنه خلق آدم على صورة الرحمن.

|أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد البجلي ، قال : حدثنا منصور بن نصر ، قال : حدثنا أبو جعفر بن محمد بن محمد عبد الله ، قال : حدثنا إسحق بن إسماعيل ، قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن الاعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عطاء بن أبي رباح | ." (١)

"@ ١٢٠@وقوله : {ولكن حق القول مني} [السجدة : ١٣] فيجوز أن يكون معنى القول مصروفا إلى الله تعالى وإن لم يتقدم قبله اسمه عز وجل كقوله تعالى : {إنا أنزلناه في ليلة القدر} [القدر : ١] فكانت الدعاء إشارة إلى القرآن وإن لم يسبق له ذكر فكذلك قوله : لولا كلمة قالها يعني قالها الله تعالى وإن لم يسبق ذكر قول الله تعالى ، ويجوز أن يصرف إلى قوله : والله يغفر له فيكون القول مصروفا إلى الاسم المذكور في قوله والله يغفر له ، ويكون الفائدة فيه أن لبث يوسف في السجن ما لبث لم يكن عقوبة لذنب كان منه ، وذلك سبقت ولا عتاب على تقصير في حق ، لكن لقضاء سبق وقدر مضى لما فيه من التدبير **والحكمة منها** ما ظهر ، والذي أستأثر الله تعالى بعلمه اكثر ، والله أعلم.

$حديث آخر$

قال : حدثنا علي بن محتاج ، قال : حدثنا علي بن عبد العزيز ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي اسحاق ، عن عاصم بن ضمرة ، عن علي بن أبي

---

(١) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، المؤلف غير معروف ص/٧٨

طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى وتر يحب الوتر وأوتروا يا أهل القرآن.

|قال الشيخ الإمام الزاهد المصنف رحمه الله : الوتر : الفرد ، والفرد هو الذي لا يزدوج ، فالوتر هو الذي لا يشفع فالله عز وجل وتر لا يشفع بشيء من خلقه إذ هو الفرد الذي لا يزدوج بشيء ، وكل ما سواه من الأفراد يزدوج بشكل أو بضد ، وكل وتر غيره يشفع بخلاف أو وفاق ، فالله تعالى وتر إذ لا شكل له ولا ضد ، وكل وتر سواه فهو في نفسه ليس بفرد بل هو شفع لأنه مركب ويقبل التركيب ، والله تعالى | ." (١)

"@ ٣٢٦@$ حديث آخر$

حدثنا أبو القاسم أحمد بن محمد بن العباس بن عبد الله بن طاهر الطاهري ، قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن داود السمناني ، قال : حدثنا محمد بن المصفى ، قال : حدثنا بقية بن الوليد ، قال : حدثنا عثمان بن زفر الجهني ، عن أبي عمار الأسدي ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأس الحكمة مخافة الله تعالى.

|قال الشيخ الإمام الزاهد رحمه الله : الحكمة إحكام الأمور ، وهو أن يعمل أعماله بحيث لا يدخلها آفة ، وإحكام الأمور الأخذ بالأحوط والأوثق ، ومن أراد الأخذ بالأوثق والأحوط عمل على المخافة أكثر مما يعمل على الرجاء فكأنه يحاسب نفسه على كل خطرة ونظرة ويطلبها بحق الله ، فكان الله عز وجل يقول : {ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} فشرط المشيئة لغفران ما دون الشرك ، فإن وافى القيامة وهو من أهل المشيئة فيكون مغفورا له ما إن ازداد بتوقيه ومخافته درجة وثوابا ، وإن كان من الذين يحاسبون ، ويطالبون بالواجب عليهم لم يكن قط في عمره بل كان معه من الأعمال الصالحة ما يقاص لها سيئاته ، **والحكمة منع** النفس عن شهواتها ، يقال للحديدة التي تكون في فم الدابة من اللجام محكمة لأنها هي الواقفة بالدابة والممسكة لها | ." (٢)

"@ ٣٥٦@: كل من المحكم والمتشابه من عند ربنا ، وقد استأثر الله تعالى بعلم المشابهة في هذا القول فلا يعلمه إلا الله عز وجل ، قالوا : فمثله المتشابه من اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم إذا حجب عنا علم تأويله امنا وصدقنا بما قال ، ووكلنا علم تأويله إلى الله عز وجل ثم :

---

(١) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، المؤلف غير معروف ص/١٢٠

(٢) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، المؤلف غير معروف ص/٣٢٦

|حدثنا أحمد بن عبد الله ، قال : حدثنا القاسم بن زكريا المقرئ ، قال : حدثنا محمد بن الصباح ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الاوزاعي انه سأل الزهري عن بعض الأخبار المشابهة ؟ فقال : من الله العلم ، وعلى رسوله البلاغ ، وعلينا التسليم ، أمروا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاءت.

|وقال عبد الله بن نافع : سئل مالك بن أنس عن قوله : {الرحمن على العرش استوى} [طه : ٥] كيف استوى ؟ فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واحب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا ضالا.

|هذا مذهب كثير من العلماء.

|قال : والمذهب الثاني : أن الإيمان بما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم فرض ، والبحث عن متشابه التنزيل ، وأخبار الرسول واجب في الأصول والعقول فرارا من تعطيل الصفات وآفة التشبيهات.

|قال : والقدوة في هذا المذهب علي ، وابن عباس رضي الله عنهما ومن تابعهما من فقهاء أهل الأثر.

|قال : وبمعرفة المحكم والمتشابه تميز الفاضل من المفضول ، والعالم من المتعلم ، والحكيم من المتعجرف ، ومن أمر الأحاديث على ما جاءت حين التبس عليه كنه معرفتها لم يردها راو منكر جاحد ، بل أمن واستسلم ، وانقاد ووكل علمه إلى الله تعالى ، وإلى من علمه الله ، {وفوق كل ذي علم عليم} [يوسف : ٧٦].

|ورد الأخبار ، والمتشابه من القرآن طريق سهل يستوي فيه العالم والجاهل ، والسفية والعاقل ، وإنما يتبين فضل علم العلماء ، وعقل العقلاء بالبحث والتفتيش ، واستخراج الحكمة من الآية ، والسنة ، وحمل الأخبار على ما يوافق الاصول ، وتصححه العقول.." (١)

"@ ٣٦٣@إذا فجبريل صلوات الله تعالى عليه وإن كانت الصورة صورة إنسان ، إذا فالصورة ليس الملك ، وإن كان الملك في تلك الصورة.

|وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما : حدثنا حاتم ، قال : حدثنا يحيى ، قال : حدثنا يحيى ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن عبد الرحمن ابن اسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن علي رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن في الجنة لسوقا ما فيها شراء ولا بيع إلا صورة الرجال والنساء من اشتهى صورة دخل فيها.

(١) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، المؤلف غير معروف ص/٣٥٦

|فأخبر أن الصورة غير الذي يدخل فيها فكذلك الصورة التي أتى ملك الموت فيها موسى ، هي صورة ادخل الله الملك فيها ، والفقاء إنما حل في الصورة دون الملك ، وهو أن يكون الله تعالى اذهب عين الصورة عند لطم موسى عليه السلام ، فكأنه في ذلك الوقت في صورة رجل اعور ، كما كان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة رجل ليست له اجنحة ، ولا على ذلك العظم الذي أتى له مرة على صورة دحية فهو يعرفه فيها ، ومرة على صورة غيره فلم يعرفه فيها ، كذلك ملك الموت أتى موسى صلوات الله عليهما حين اتاه على صورة إنسان صحيح العينين ، ثم نقله الله عند لطم موسى على صورة إنسان فقئت عينه ، وهو ملك كما هو قبل انتقاله إلى إحدى الصورتين لم ينتقل من الملكية إلى الإنسانية والبشرية.

|والله تعالى فعل ذلك بها اعني الصورة دون موسى ، والله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، وهو مصيب في أفعاله ، وأفعاله كلها حكمة لأنه تعالى لم يفعل عبثا ولا سفها ، تعالى الله عن السفه والعبث علوا كبيرا ، فأفعاله كلها حكمه وصواب ، وإن جهل وجه **الحكمة فيها** ، والله أعلم.

$حديث آخر$

حدثنا أحمد بن عبد الله الهروي ، قال : حدثنا أحمد بن نجدة ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الحميد ، قال : حدثنا عبد العزيز ، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، عن عطاء بن يسار ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن فقال معاذ : أوصني يا رسول الله ، قال : عليك بتقوى الله ما | ." (١)

" فإذا عرفت هذا فانظر كيف يمكن أن يتغير المني المستوي إلى تلك الأمور المختلفة المحكمة البديعة الاحكام العجيبة الصنعة وهل ذلك إلا بمنزلة تجويز أن يصير المداد مصحفا معربا لا غلط فيه ولا لحن بطبع المداد من غير كاتب عالم بل احكام الانسان أبلغ وأعجب وقد رأيت كم جمع في الأنملة الواحدة من الاصابع من الاشياء المختلفة فوضع فيها جلدا ولحما وعصبا وشحما وعروقا ودما ومخا وعظما وبلة وظفرا وشعرا وبضعة عشر شيئا غير ذلك كل واحد منها يخالف الآخر قدرة وحياة واستواء وارتفاعا وانحدارا وخشونة ولينا وحرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة وصلابة ورخاوة ثم خلق في بعضها الحياة دون بعض كالشعر والظفر والعظم وجعلها مدركة لأمور شتى كالحرارة والبرودة واللين والخشونة والقلة والكثرة والرطوبة واليبوسة ومن لطيف **الحكمة فيها** اختلافها في الطول والقصر حتى تستوي عند القبض على الأشياء فتقوى

---

(١) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، المؤلف غير معروف ص/٣٦٣

بالاستواء وهذا مم تخفى فيه الحكمة جدا أعني كون الاختلاف في ذلك سبب الاستواء عند القبض ولذلك خصت بالذكر في قوله تعالى بلى قادرين على أن نسوي بنانه فتبارك الله أحسن الخالقين

وقد أشار الله تعالى إلى بطلان مذهب الطبائعيين بهذا المعنى ونبه عليه سبحانه وتعالى حيث قال في كلامه الكريم وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وآخر الآية دليل على أن العقل يدرك بذلك بطلان قول أهل الطبائع

ومما يدل عليه عافية كثير من المرضى بعد غلبة العلة وقوتها وضعف أسباب العافية ويأس الطبيب من العلاج فقد ذكر الأطباء أن الطب لا ينفع في بعض تلك الأحوال فيتأمل ذلك كثيرا ففيه شفاء لما في الصدور وقد وقعت في ذلك فقلت فيه ." (١)

" ما لم يكونوا يحتسبون فإن نفرت النفس من الايمان ببعص المحارات وتوهمت أنه من المحالات كثبوت القدم الذي لا نعرفه إلا بالتصديق أو ثبوت **الحكمة في** العذاب وخلق أهله فسيأتي الجواب في ذلك في اثبات حكمة الله تعالى

ومن أنفع ما يدفع الحيرة به أنه لابد من لزوم المحارة في العقول على كل تقدير والاسلام أقل المحارات من جميع الملل الكفرية وبالاسلام تندفع كلها وتخرج العقول من الظلمات إلى النور وانظر إلى هذا العالم المحسوس بالضرورة تجد المحارة العقلية لازمة لوجوده لأنه لا يخلو بالضرورة من الحدوث أو القدم فالقدم من محارات العقول والحدوث من غير محدث من محاراتها بل من محالاتها فالمحارات أقرب من المحالات لأن الممكن البعيد أقرب من الممتنع ولا ثالث لهذين الأمرين إلا الاسلام وإلى هذا أشار من قال

صورة الكون محال ... وهي حق في الحقيقة

لكنه أخطأ في تسمية المحارة محالا فإن كانت المحارة لازمة للإسلام فهي لما عداه ألزم فإن كان هذا اللزوم حقا فالمحارة حق والحق لا يستوحش منه وإن كان باطلا فالباطل حقيق لا يستوحش من خشيته لأنه لا شيء حقيقة فكيف الخوف من لا شيء فمن لم يثبت الرب قديما أثبت العالم قديما ومن لم يثبت

---

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/٤٩

له أسماءه الحسنى بلا سبب أثبت الاحكام العجيب للعالم بلا سبب ومن لم يثبت الرب بكماله بلا سبب أثبت العالم بأحكامه وعجائبه بلا سبب ومن لم يقبل الايمان بالبرهان والقرآن قبل الكفر بلا قرآن ولا برهان

وإلى هذا آشار رسول الله حيث قال لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله وأمرنا بالاستعاذة والانتهاء حينئذ لأنه يقال للكافر فإذا أمكن وجود العالم بغير خالق فأولى منه وجود الرب بغير خالق ودل على أنه لابد من انتهاء الموجودات الممكنة إلى واجب الوجود عز و جل ." (١)

" أما الأمر الأول وهو اختلافهم في ماهيتهما فمنهم من قال المحكم ما لا يحتمل إلا معنى واحدا والمتشابه ما احتمل أكثر من معنى فهؤلاء رجعوا بالمحكم إلى النص الجلي وما عداه متشابه وعزاه الامام يحيى إلى أكثر المتكلمين وطوائف من الحشوية ومنهم من قال المحكم ما كان إلى معرفته سبيل والمتشابه ما لا سبيل إلى معرفته بحال نحو قيام الساعة والحكمة في العدد المخصوص في حملة العرش وخزنة النار ومنهم من قصر المتشابه على آيات مخصوصة ثم اختلفوا فمنهم من قال هي الحروف المقطعة في أوائل السور ومنهم من قال آيات الشقاوة والسعادة ومنهم من قال المنسوخ ومنهم من قال القصص والامثال ومنهم عكس فقال المحكم آيات مخصوصة وهي آيات الحلال والحرام وما عداها متشابه إلى غير ذلك حكى الجميع الامام يحيى في الحاوي واختار أن المحكم ما علم المراد بظاهره بدليل عقلي أو نقلي والمتشابه به ما لم يعلم المراد منه لا على قرب ولا على بعد مثل قيام الساعة والاعداد المبهمة

وقال شيخ الاسلام ابن تيمة في القاعدة الخامسة من جواب المسألة التدبيرية إنا نعلم ما أخبرنا الله تعالى به من وجه دون وجه لقوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن وهذا يعم المحكم والمتشابه وجمهور الأمة على أن الوقف عند قوله تعالى إلا الله وهو المأثور عن أبي ابن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وغيرهم وعن مجاهد وطائفة أن الراسخين يعلمون تأويله ولا منافاة بين القولين عند التحقيق فالتأويل على ثلاثة وجوه الأول كلام الأصوليين وهو ترجيح المرجوح لدليل الثاني أن التأويل هو التفسير وهو اصطلاح المفسرين كما أن الأول اصطلاح الاصوليين ومجاهد امام التفسير عند الثوري والشافعي والبخاري وغيرهم والثالث أن التأويل هو الحقيق التي يؤول اليها الكلام لقوله تعالى هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله

---

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/٦١

فتأويل أخبار المعاد وقوعها يوم القيامة كما قال في قصة يوسف لما سجد أبواه وأخوته هذا تأويل رؤياي من قبل ومنه قول عائشة رضي الله ." (١)

" وقد تقصيت الردود الواضحة عليهم والبراهين الفاضحة لهم في العواصم وجمعت في ذلك ما لم أسبق إليه ولا إلى قريب منه في علمي فتمت هذه المسألة في مجلد ضخم وبلغت أحاديث وجوب الايمان بالقدر اثنين وسبعين وأحاديث صحته مائة وخمسة وخمسين الجملة مائتان وسبعة وعشرون حديثا من غير الآيات القرآنية والأدلة البرهانية

وصنف ابن تيمية في بيان **الحكمة في** العذاب الأخروي وتبعه تلميذه ابن القيم الجوزية وبسط ذلك في كتابه حادي الارواح إلى ديار الافراح فافردت ذلك من جزء لطيف وزدت عليه ومضمون كلامهم أنه لا يجوز اعتقاد أن الله يريد الشر لكونه شرا بلا لابد من خير راجح يكون ذلك الشر وسيلة اليه وذلك الخير هو تأويل ذلك الشر السابق له على نحو تأويل الخضر لموسى وطردوا ذلك في شرور الدارين معا ونصر ذلك الغزالي في شرح الرحمن الرحيم ولنورد في ذلك حديثا واحدا مما يدل على المنع من الخوض في تعيين **الحكمة في** ذلك فنقول قال البيهقي في كتابه الاسماء والصفات عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس لما بعث الله موسى وكلمة قال اللهم أنت رب عظيم ولو شئت أن تطاع لأطعت ولو شئت أن لا تعصى لما عصيت وأنت تحب أن تطاع وأنت في ذلك تعصى فكيف هذا يارب فأوحى الله اليه لا أسأل عما أفعل وهم يسئلون فانتهى موسى ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه إلى الطبراني وزاد فيه فلما بعث الله عزيزا سأل الله مثل ما سأل موسى ثلاث مرات فقال الله تعالى له أتستطيع أن تصر صرة من الشمس قال لا قال أفتستطيع أن تجيء بمكيال من الريح قال لا قال أفتستطيع أن تجيء بمثقال أو بقيراط من نور قال لا قال فهكذا لا تقدر على الذي سألت عنه أما أني لا أجعل عقوبتك إلا أني أمحو اسمك من الأنبياء فلا تذكر فيهم ." (٢)

" ولا اتخذ ابراهيم خليلا بغير قرينة ولا تأويل كما يجوز أن تقول في الجدار أنه ليس بمريد ولا يجوز ذلك الاثبات إلا بالتأويل والقرينة الدالة عليه

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/٨٨

(٢) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/٩٦

والمسلم بالفطرة ينكر هذه البدع وبالرسوخ في علم الحديث يعلم بالضرورة حدوثها وأن عصر النبوة والصحابة بريء منها مثل ما يعلم أن المعتزلة أبرياء من مذهب الأشعرية وأن الأشعرية أبرياء من مذهب المعتزلة وأن النحاة أبرياء من مذهب الشعوبية وأمثال ذلك فيجب تقرير ذلك وأمثاله مما وصف الله تعالى به ذاته الكريمة على جهة التمدح والحمد والثناء وسيأتي الجواب عن سبب تخلف الرحمة لكثير من أهل البلاء كما يتخلف العطاء عن كثير من الفقراء ولا يقدح ذلك في مدح الله بالجود والكرم حقيقة باجماع المسلمين لمعارضة الحكمة في الموضعين سواء وقد جود الغزالي القول في هذا المعنى في المقصد الامنى فلا حاجة إلى التطويل بنقل كلامه وموضعه معروف

والدليل على أنه لا يجوز القول بأن ظاهر هذه الاسماء كفر وضلال وأن الصحابة والسلف الصالح لم يفهموا ذلك أو فهموا ولم يقوموا بالواجب عليهم من نصح المسلمين وبيان التأويل الحق لهم أمران الأول قاطع ضروري وهو أن العادة توجب في كل ما كان كذلك أن يظهر التحذير منه من رسول الله ومن أصحابه يتواتر أعظم مما حذروا من الدجال الأعور الكذاب ولا يجوز عليهم مع كمال عقولهم وأديانهم أن يتركوا صبيانهم ونساءهم وعامتهم يسمعون ذلك منسوبا إلى الله وإلى كتابه ورسوله وظاهره الكفر وهم سكوت عليه مع بلادة الأكثرين ولو تركوا بيان ذلك ثقة بنظر العقول الدقيق لتركوا التحذير من فتنة الدجال فان بطلان ربوبيته أجلى في العقول من ذلك ألا ترى أن المتكلمين لما اعتقدوا قبح هذه الظواهر تواتر عنهم التحذير عنها والتأويل لها وصنفوا في ذلك وأيقظوا الغافلين وعلموا الجاهلين وكفروا المخالفين وأشاعوا ذلك بين المسلمين بل بين العالمين فكان أحق منهم بذلك سيد المرسلين وقدماء السابقين وأنصار الدين الثاني أنه قد ثبت في تحريم الزيادة في الدين أنه لا يصح سكوت الشرع عن النص على ما يحتاج اليه من مهمات الدين ." (١)

" أحدهما لا ظاهر له ولا يفهم منه شيء فلا يضل به أحد وذلك مثل حروف التهجي في أوائل السور على الصحيح كما تقدم فحكمه الوقف في معناه وكذلك المشترك الذي تجرد عن القرائن في حق من لم يعرف قرينه مرجحة لاحد معانيه وما جري هذا المجرى وقد تقدم الوجه في جواز ورود السمع بمثل هذا ولا يجوز القطع على خلوه عن الحكمة لجواز فهم البعض له ولو رسول الله وحده أو لجواز أن تكون الحكمة فيه غير فهم معناه ولعدم الدليل القاطع على أنا مخاطبون بهذا الجنس

---

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/١٣٠

النوع الثاني من المتشابه ما كان له ظاهر يسبق إلى افهام أهل اللغة ولكن خفيت **الحكمة فيه** على العقول مثل عدم العفو عن المشركين في الآخرة وعمن شاء الله من المذنبين مع أن العفو أرجح وأحب إلى الله تعالى في جميع كتبه وشرائعه وأحكامه وأوامره فهذا نؤمن بظاهره ولا نقول أن ظاهره باطل بل نقول أن **الحكمة فيه** خفية ولو أنا علمناها لعرفنا حسنه بل نقطع أنا أجهل من أن نعلم جميع حكم الله في جميع أحكامه ولو علمنا الله تعالى نصف ما يعلمه لجاز أن تكون **الحكمة في** هذا النصف الذي لم يعلمناه كيف وقد صح أن جميع علم الخلائق في علم الله مثل ما يأخذه الطائر بمنقاره من البحر الأعظم

وأما المجاز المعلوم أنه مجاز مثل واخفض لهما جناح الذل من الرحمة فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور فليس من المتشابه فان هذا يعرف معناه جميع أجلاف العرب ولا يصح دخول اللبس والاختلاف في معناه ولذلك لم يقل بنفي عمى الابصار لأن معنى الآية نفي عمي القلوب عن الابصار وأن عمي القلوب هو الحقيقي العظيم المضرة والابصار لا تعمى عنه إنما تعمى القلوب وكذلك الأمر بخفض جناح الذل معلوم أن المراد به الخضوع للوالدين واللطف بهما ونحو ذلك وكذلك كلما وضحت فيه احدى القرائن المجازية الثلاث ." (١)

" في نهايته وابن الجوزي في جامعه بعد روايته وذكر الحجاب قرآني صحيح كما يأتي في آيات الصفات قال الله تعالى أو من وراء حجاب وقال في الكافرين كلا انهم عن ربهم يؤمئذ لمحجوبون والحجاب حاجب للعباد لا لله سبحانه كما نبهت عليه بهذه الآية الكريمة فانه بين فيها انهم المحجوبون لا هو وهذه نكتة شريفة فتأملها وقد طال الكلام في هذا الاسم الشريف وهو موضعه لأن الخطر من أسماء الله سبحانه جليل والكثير من البحث والتحقيق فيها قليل

ومثال الثاني اسم الضار وذلك أن الله تعالى لما ثبت بالأدلة أنه لا يصح أن يريد الشر لكونه شرا بل إنما يريده لما علم من الخير كما بينه الغزالي في المقصد الأسنى وسوف نبين أدلته في اثبات حكمة الله تعالى في جميع أفعاله من هذا المختصر ثبت أن كل ضر من الله تعالى هو خير ونفع بالنظر إلى **الحكمة فيه** وبذلك فسر النووي الحديث الصحيح في التوجه الخير بيديك والشر ليس اليك أي ليس بشر بالنظر إلى حكمتك فيه ومن هنا سمى الله تعالى القصاص حياة وهو قتل وقطع ونحو ذلك ومن هنا لم يستحق الطبيب الذي يكوي ويقطع اسم الضار فثبت أن كل ضر منه سبحانه وتعالى يستحق أن يسمي

---

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/١٣٢

الله منه أسماء حسنة مثل الديان والمنتقم والمبتلى وهذه خير من اسم الضار لأنه يفهم منها المجازاة على أفعال متقدمة يستحق أهلها ذلك لأجلها بخلاف الضار وكذلك عذاب الله في الآخرة فانه مشتمل على ذلك وإلى ذلك الاشارة بقوله انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد وقال تعالى قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون وقال تعالى جزاء لمن كان كفر بضم الكاف وكسر الفاء وأمثال ذلك كثير مما يدل على نفع المؤمنين بعذاب الكافرين والانتصاف لهم فيجب أن يكون في الاسم ." (١)

" **الحكمة من** هذا المختصر إن شاء الله تعالى وسيأتي في مسألة الافعال بيان أن المعاصي من العباد وما ورد في ذلك من نصوص القرآن والسنة الجمة التي لا نزاع فيها ولا معارض لها ومجموع ذلك يقتضي نسبتها ونسبة جميع ما يترتب عليها ويتفرع عنها من شرور الدارين إلى العباد المستحقين للذم والعذاب عليها بالنصوص والاجماع

وأما تقدير الله تعالى لوقوعها باختيار العباد لحكمة فهو مثل سبق علمه بذلك لا يوجب لله تعالى إلا وصف القدرة والعزة كما يأتي أيضا مبسوطا في موضعه من هذا المختصر إن شاء الله تعالى

فان قيل فكيف جاز اطلاق الضار عليه سبحانه فالجواب من وجهين أحدهما أن اسم الضار لم يرد في القرآن ولا في حديث متفق على صحته فمن لم يتحقق الاذن فيه ولم يصح له كالبخاري ومسلم ومن شرط في الصحة شرطهما لم يجب عليه ادخاله في الاسماء الحسنى وقد بسطت القول فيه في العواصم في آخر مسألة العباد وذكرت فوائد تستحق الرحلة اليها إلى أبعد مكان فلتطلب من مكانها وثانيهما على تقدير صحة أن اسم الضار لا يجوز افراده عن النافع فحين لم يجز افراده لم يكن مفردا من أسماء الله تعالى وإذا وجب ضمه إلى النافع كانا معا كالاسم الواحد المركب من كلمتين مثل عبد الله وبعلبك فلو نطقت بالضار وحده لم يكن اسما لذلك المسمى به ومتى كان الاسم هو الضار النافع معا كان في معنى مالك الضر والنفع وذلك في معنى مالك الأمر كله ومالك الملك وهذا المعنى من الأسماء الحسنى وهو في معنى قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذلك من تشاء بيدك الخير الآية وهو في معنى القدير على كل شيء

---

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/١٧٢

وميزان الاسماء الحسنى يدور على المدح بالملك والاستقلال وما يعود إلى هذا المعنى وعلى المدح بالحمد والثناء وما يعود إلى ذلك وكل اسم دل هذين الأمرين فهو صالح دخوله فيها والضار النافع يرجع إلى ذلك مع على الجمع وعدم الفرق ومع القصد فيلزم من أطلقه قصد ذلك مع الجمع ." (١)

" والثناء لم يصح منع أحدهما على أن تفسير الحكيم بالحاكم مطلقا مما لم أره في كتب اللغة ولعل ابن الأثير قلد فيه بعض المتكلمين وهذه كتب اللغة موجودة والله يحب الانصاف

وذكر ابن كثير في الأول من البداية والنهاية في قصة نوح عليه السلام في تفسير قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون قال ابن كثير أي من يرد الله فتنته فلن يملك أحد هدايته هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد وهو الحكيم العليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة اه بحروفه هو إشارة إلى قوله تعالى وما يضل به إلا الفاسقين كما ذكره الذهبي

فالزنجاني والذهبي وابن كثير من أئمة الاثر وأئمة الشافعية وأهل السنة وقد تطابقوا على تعليل أفعال الله **بالحكمة من** غير حكاية خلاف في ذلك بل ذكر ذلك الغزالي مع توغله في علم الكلام ذكره في المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى في شرح الرحمن الرحيم وكذلك ذكر مثل ذلك في الاحياء في سر القدر كما تقدم

ومن كلامه في المقصد الاسنى ما لفظه ولذلك قال الله سبقت رحمتي غضبي فغضبه ارادته الشر والشر بارادته ورحمته ارادته الخير والخير بارادته ولكن أراد الخير للخير نفسه وأراد الشر لا لذاته بل لما تضمنه من الخير إلى قوله فلا تشكن أصلا في أن الله أرحم الراحمين وانه سبقت رحمته غضبه ولا تستريبن في أن مريد الشر للشر لا للخير غير مستحق اسم الرحمة إلى آخر ما ذكره وهو كلام طويل متداول بين أهل السنة وكذلك قال النووي في شرح مسلم في حديث والشر ليس اليك أي ليس بشر بالنظر إلى حكمتك فيه وإنك لا تفعل العبث وذكره في الاذكار أيضا

وذكر ذلك الفقيه ابن العربي المالكي في شرح الترمذي ومن كلامه فيه ما لفظه فان البارى لا يجوز عليه الاهمال بحال ولا بوجه قال ." (٢)

---

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/١٧٤

(٢) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/١٨٨

" ومن ذلك قوله تعالى حاكيا عن الأشقياء لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وقوله في غير آية وأنتم تعقلون وأنتم تعلمون فانها وأمثالها تدل على معرفتهم بعقولهم قبح ما هم عليه وبطلانه معا إذ لو عرفوا بطلانه بها دون قبحه لم تقم عليهم الحجة وإنما أرسلت الرسل لقطع عذرهم لكيلا يقولوا ما حكى الله تعالى عنهم وذلك لزيادة الاعذار لأنه لا أحد أحب اليه العذر من الله تعالى لا لأنه لا حجة عليهم قبل الرسل أصلا ولذلك صح عند أهل السنة أن تقوم حجة الله بالخلق الاول في عالم الذر على ما سيأتي بيانه وذلك قبل الرسل ولم يختلفوا في صحته وإنما اختلفوا في وقوعه

ومن ذلك سؤال الملائكة عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته ولولا اعتقادهم للقطع بالحكمة ما استغربوا ذلك ولا سألوا عنه ولذلك كان الجواب عليهم بقوله تعالى اني أعلم ما لا تعلمون ولم يقل اني يصدر مني ما يفعل المفسدون وأوضح من هذا كله ما جرى بين موسى والخضر عليهما السلام فانه مناد نداء صريحا على اشتمال أفعال الله تعالى على المصالح والغايات المحمودة ولولا اعتقادهما لذلك ما استنكر موسى ولا أجاب الخضر بوجوه الحكمة الراجعة إلى المصالح ولا قنع موسى بذلك الجواب والخصم يعتقد أن المفسدة البينة الفساد في البداية والنهاية الخالية عن الحكمة والمصلحة باطنا وظاهرا جائزة على ا تعالى بل مساوية للمصلحة البينة الصلاح باطنا وظاهرا بل لا يجوز أن يعلل شيء من أفعاله بحكمة بل يجب القطع بخلوهاعن ذلك بل يجب القطع بأن ذلك هو الأولى في ممادح الرب تعالى حتى صرحوا بتأويل اسمه الحكيم بمعنى المحكم لخلق المخلوقات لا سواه لا أن له في ذلك الأحكام حكمة ألبتة ولو كان كذلك لم يقع منه الاحكام لأنه لا يكون أولى به من عدمه وإن لم يكن أولى به فلا ولا أكثر وقوعا في مخلوقاته بل لو كان كذلك لارتفع التحسين والتقبيح في الشرع ولم يكن الامر بالشيء أولى من النهي عنه ولا العكس لأن الممكن لا يترجح وجوده على عدمه إلا بمرجح ولا مرجح في ذلك كله إلا داعي الحكمة والعلم بفضل بعض الأمور على بعض ." (١)

" ثم إنا قد علمنا أن الشيطان محكم لأسباب فساده ووسواسه أشد الاحكام مع أنه في غاية القبح لخلوه عن الحكمة وكذلك المشركون أحكموا حربهم وسبهم للأنبياء وقالوا في ذلك القصائد المحكمة وإنما قبح ذلك كله وسخف قائله لخروجه عن الحكمة فكيف يرد اسم الحكيم إلى مثل ذلك

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/١٩٣

وقد نقل تفسير الحكيم بالمحكم من لم يفهم هذه الغائلة من شراح الاسماء الحسنى حتى نقله البغوي في تفسيره ومصنف سلاح المؤمن وأما ابن الأثير في النهاية فنقل التفسيرين معا وأما الغزالي في المقصد الأسنى فانه اتقى فيه من المخالفين بغير شك لأنه صرح بمخالفتهم في شرح الرحمن الرحيم لكنه تلطف في إخفاء المخالفة على الأكثرين بكونه جعلها في الموضع الذي لم يشتهر فيه الخلاف بينهم وبين خصومهم وهو تعظيم رحمة الله تعالى وسعتها وقد أشار إلى مخالفة الأكثرين للحق في خطبة هذا الكتاب بل صرح بذلك وأيضا فيلزم أن لا يكون الجود ونحوه أولى بالله من أضدادها وأيضا كل مقدور ممكن الوجود والبقاء على العدم ولا يترجح أحد الممكنين إلا بمرجح ولا مرجح إلا الدعي وأيضا فيلزم أن لا يحتاج المتشابه إلى تأويل

ومن ذلك أنه يتعذر على من نفى حكمة الله تعالى أن يقطع على صدقه سبحانه وصدق رسله الكرام عليهم السلام كما تقدمت الاشارة اليه وهذا مبسوط في كتب الكلام ولا يصح لهم عنه جواب إلا ما يلزمهم معه ثبوت الحكمة في الافعال والاقوال معا كما تقدم

ومن ذلك أنهم إنما أن يحسنوا نفي الحكمة بغير حجة أو لا يحسنوه إلا بحجة إن حسنوه بغير حجة أكذبهم قوله تعالى قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين وإن لم يحسنوه إلا بحجة اعترفوا بالتحسين العقلي

ومن ذلك أنهم اعترفوا بأن العقل يعرف الحق من الباطل فيقال لهم فاذا تقرر ذلك فالمعلوم في الفطر ترجيح الحق على الباطل وقد اجتمعنا في الاقوال على ترجيح الصدق على الكذب بخصوصه والصواب ترجيح الحق على الباطل بعمومه في الافعال كالأقوال والله يحب الانصاف ." (١)

" بالحكمة كما قال الله تعالى ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر وأمثالها وهي مانعة من تأويلهم الحكيم بأنه ذو الأحكام في المخلوقات لا ذو الحكمة فيها ولا شك أن إثبات الحكيم بأنه ذو الأحكام في المخلوقات لا ذو الحكمة فيها ولا شك أن إثبات الأحكام لها والحكمة فيها أكثر مدحا وأنه تعالى أولى بكل مدح

---

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/١٩٤

الوجه الثاني أنه لا بدعة في إثبات الحكمة لله تعالى وعدم تأويل الحكيم بالاجماع لأن البدعة احداث ما لم يعهد في عصر النبوة والصحابة وما كان منصوصا في كتاب الله تعالي فهو موجود في عصرهم ضرورة وإنما الذي لم يوجد في عصرهم نفي ذلك أو تأويله والقول بأنه صفة ذم أو يستلزم ذلك

الوجه الثالث أنه يخاف الكفر بجحد ذلك لما قررناه من أنه معلوم ضرورة وكذلك يخاف الكفر في تأويله وإن كنا لا نكفرهم احتياطا للاسلام وأهله لما سيأتي ولمعارضة الأدلة الموجبة لاسلامهم كما تقدم ولأن قصدهم إنما هو حسم مواد الاعتراض علي الله تعالي لكنهم أساؤا النظر بالتزام مثل ما فروا منه وأما القول بذلك فلا وجه لخوف الكفر فيه أبدا حتي عند نفاة الحكمة لأن الكفر هو جحد الضرورات من الدين أو تأويلها ولم تأت في نفيها آية قرآنية ولا حديث آحادي فضلا عن متواتر وأما مخالفة غلاة المتكلمين في دقائقهم فلم يقل أحد أنها كفر وإلا لوجب تكفير أكثر أهل الاسلام بل خيرهم

وإنما أوضحت هذا لأتي بنيت هذا الكتاب علي لزوم الأحوط في الدين مهما وجدت اليه سبيلا وترك كل ما يخاف من القول به العذاب أجارنا الله تعالي منه وعلي تقديم عبارة القرآن ونصه ولفظه لقوله تعالي إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وقوله تعالي اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ولأنه لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ." (١)

"كآية الحج بعد السجدة لا تقتضى خلاف ما قبلها قال البغوي ما يشاء من التوفيق والخذلان والتثبيت وعدمه

والوجه فيه عندي أن يفسر اجماله بالآيات البينات في القرآن مثل ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء ومثل ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء بعد ذكر الكافرين

ومنه الأحاديث الصحيحة الحسنة بعشر أمثالها أو أزيد والسيئة بمثلها أو أعفو والمعني انه لما قال ويضل الله الظالمين استثنى من ذلك من يشاء أن يتوب عليه وهذا من تفسير القرآن بالقرآن وهو الذي يناسب جلال عدله وجمال فضله وحسن أسمائه وليس لأحد أن يفسره بما لم يشهد له كتاب الله بل بما صرح بتنزيهه عنه من نفي الحكمة في أفعاله وما سمى لعبا وعبثا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وأمثال ذلك مما يطول ذكره وبذلك جاءت السنة كما احتج رسول الله على القدر بالآية في سورة الليل المقدمة وهي مصرحة بتأخير التيسير لليسرى عن العصيان حتى وقع التيسير بعد العصيان عقوبة عليه وكما قال في حديث

---

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/٢٢٣

الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه وكل ذلك في البخاري ومسلم وعند مسلم من حديث عياض المجاشعي يقول الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فجاءت الشياطين فاجتالتهم الحديث كما مضى وعنده أيضا حديث أبي ذر فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد شرا فلا يلومن إلا نفسه وعند مسلم أيضا من حديث علي عليه السلام الخير بيديك والشر ليس إليك وسنده على شرط الجماعة وله شاهد آخر أخرجه الحاكم أحسبه من حديث أبي بكر رضي الله عنه ومعنى ذلك ليس اليك الذم عليه واللوم فيه كقوله ومن وجد شرا فلا يلومن إلا نفسه فان الله مكن بالقدرة وبين بالعقل والرسل وأزاح العلل وقطع الاعذار

وفي الصحيحين لا أحد أحب اليه العذر من الله تعالى من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل وهذا كله متطابق تطابقا يفيد العلم على أن الله ." (١)

" أنه لا يدخل فيه ما تمنع منه **الحكمة من** قلب صدق الاقوال الربانية إلى الكذب وبعثة الرسل كذا بين على ما مر محققا في إثبات الحكمة وان الامة أجمعت على امتناع النقص في كلام الله تعالى وامتناع ارادته وأن ذلك يستلزم امتناع النقص في أفعاله كامتناعه في أقواله

ويوضحه اجتماع الكلمة من الأشعرية والمعتزلة على أن الله تعالى لا يوصف إلا بما يستلزم المدح دون ما يستلزم الذم أو ما لا يستلزم لا مدحا ولا ذما أما الأشعرية فنصوا على ذلك وأما المعتزلة فنصوا على امتناع العبث واللعب على الله تعالى وعلى اعتبار التحسين العقلي وهما يستلزمان ذلك والله سبحانه أعلم

الوجه الثالث من وجوه الجمع توجيه الجمع إلى الوقوع والواقع وهو مثل الفرق بين الوقوع والواقع وهو مثل الفرق بين التلاوة والمتلو والحكاية والمحكي كما أوضحت بيانه في مسألة القرآن وهو قول الامام المنصور بالله عليه السلام وبين ذلك الفرق بين الوقوع والواقع أنه لما ورد الشرع بجواز ارادة اليمين الغموس الفاجرة من جاحد الحقوق الواجبة عليه في الأموال والدماء والقسامة واللعان ونحو ذلك فانه يجوز لصاحب الحق ارادة هذه اليمين من حيث أنها حق له واجب وان كان يعلم أنها يمين فاجرة معصية لله تعالى ومع ذلك فلا يجوز له أن يحبها ويرضاها من حيث أنها قبيحة معصية لله تعالى

فتبين أن هذه اليمين ذات وجهين وجه جازت منه ارادتها ووجه وجبت منه كراهتها فالوجه الذي جازت منه ارادتها وقوعها من خصمه الظالم من حيث هي حق له على من ظلمه على جهة العقوبة للظالم

---

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/٢٣٧

والوجه الذي وجبت منه كراهتها هو ذاتها الواقعة معصية لله تعالى فافترقت الجهتان اللتان يتوهم عدم افتراقهما بذلك فمتى وردت النصوص مختلفة في نحو ذلك أمكن حملها على مثل ذلك

مثال ذلك قوله تعالى في المستحقين للعقوبة دون غيرهم ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وقول رسول الله ." (١)

" ذنوبه وتفريطه في عمل الخير إن يترك الاكل والشرب والبذر والوطئ والتوقي من الحر والبرد وسائر المضار وإلا فقد فضل الدنيا على الآخرة حيث توكل في الآخرة وما سعى لها سعيها وترك التوكل في الدنيا وسعى لها أكثر من سعيها ثم احتج على ضلاله بالباطل وهيهات

ثم أنه لابد مع التوكل من السعي كما قال الله تعالى وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله وذكر الزركشي في شرح جمع الجوامع عن الجنيد رحمه الله أنه قال كلمت يوما رجلا من القدرية فلما كان في الليل رأيت في النوم كأن قائلا يقول ما ينكر هؤلاء القوم أن يكون الله قبل خلقه للخلق علم أنه لو خلق الخلق ثم مكنهم أمورهم ثم رد الاختيار اليهم للزم كل امرئ منهم بعد أن خلقهم ما علم أنهم له مختارون

قلت بل قد أوجب ذلك الرازي بنظر عقلي معناه أن العلم تابع للمعلوم في الرتبة لا في الوجود مثل تبع حركة الخاتم للاصبع فلا يتصور حصول العلم متعلقا بالمعلوم إلا وللمعلوم ثبوت في الذهن لا في الخارج والنكتة في هذا أن الله تعالى غير مختار في علمه إجماعا فان كونه قادرا عالما من صفات الكمال اللازمة الواجبة وإنما يختار سبحانه في كونه فاعلا فان شاء فعل وإن شاء ترك وليس يقال إن شاء علم وإن شاء جهل فكذلك لا يقال إن شاء علم الموجود معدوما والمعدوم موجودا ونحو ذلك إنما يقال لو شاء لجعل ذلك كذلك لكنه لا يشاء خلاف ما علم كما سبق تقريره لكنه يقال إن كان المعلوم أسبق في الرتبة فانه راجع إلى أفعال الله تعالى وهي اختيارية وكان الاختيار تابعا للحكمة فهي أسبق في الرتبة وهذا نفيس جدا فتأمله

وسبق في مسألة الحكمة طرف صالح من الكلام في **الحكمة في** خلق الاشقياء فيراجع من هنالك ومن ذلك أن يقال انما يلزم في قضية العقل قطع أعذار الخلق في الربوبية وتقديسها عن كل عيب ونقص وظلم وعبث ولعب فمن أنكر شيئا من ذلك قامت عليه البراهين كما تقدم ومن اعترف بهذين الامرين فقد

---

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/٢٤١

اعترف بان الله حكيم نافذ المشيئة غني كريم فلا يصح منه بعد هذا ان ينازع ربه تعالى في حكمة خفية لوجهين ." (١)

" الأول خلق الله تعالى الاشقياء لعبادته بالنظر إلى أوامره اجماعا ونصا وبالنظر الى محبته للخير من حيث هو خير على الصحيح كما مر في اثبات الحكمة وقد أوضحت هذا في العواصم في تفسير قوله تعالى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون وهو مذهب جمهور أهل السنة في قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وقوله تعالى والله لا يحب الفساد فانهم أقروهما وفرقوا بين الرضى والمحبة ومعنى الارادة والمشيئة ولذلك قال السبكي في جمع الجوامع في آخره في الاعتقاد ما لفظه والمحبة غير المشيئة والارادة فلا يرضى لعباده الكفر ولو شاء ربك ما فعلوه ولم يحك خلافا لشذوذه عنده ومن لم يبحث حوافل أهل السنة يظن ان هذا يخالف قواعدهم

الثاني الابتلاء بالنظر الى عدله وحجته كما يظهر من قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا كما مر في الحكمة في العمل مع القدر

الثالث لما يوجب عليهم شكره من احسانه اليهم بعظيم نعمه وسوابغ مواهبه بالنظر الى تكليفهم شكر نعمته وقد ذكر غير واحد من الائمة الأذكياء ان فرار الحيوانات من الموت وحرصها على الحياة من أعظم الأدلة على عظم النعمة بها وعلى وجوب الشكر عليها ثم نعمة العافية والتمكين من الخير والمعارف باكمال العقول والاسماع والابصار والأيدي والبنية السوية الصحيحة والانفاس والارزاق الجارية

الرابع لما شاء بالنظر الى عزة ملكه وعظيم سلطانه وقاهر قدرته

الخامس لما لم يحط بجميعه الا هو سبحانه وتعالى بالنظر الى واسع علمه ورحمته

السادس للعذاب المستحق بكفر نعمته وجحد حجته بالنظر الى علمه واختياره وقدرته وقضائه وكتابته ". (٢)

" وقد صرح الامام يحيى بن حمزة بابطال قولهم في كتابه التمهيد في أوائل الباب السابع من النبوات على ذلك وهو قول جماعة من قدماء محمد بن منصور الكوفي والسيد أبو عبد الله الحسيني في كتابه الجامع الكافي وهو قول غير واحد ممن عاصرت من أئمتهم عليه السلام

---

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/٢٥٩

(٢) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/٢٦١

وهذه المسألة هفوة المعتزلة الكبرى في مقابلة هفوة الجبرية في نفسى الاختيار وبها تمكن خصومهم منهم ومن سلم منهم من هذه المسألة قارب أهل السنة في مسألة الأفعال بل كان منهم فان أمام الحرمين الجويني ما وافق أهل السنة في مسألة الأفعال الا فيها فعدوه من أئمتهم ولم يختلفوا في ذلك ولا شك في صحة قدرته على هداية الخلق أجمعين باللطف والاختيار عقلا وسمعا ولا شك انه أحوط وأولى من قول المعتزلة فانه يمكن في العقل أن يكون الله تعالى انما ترك ذلك لحكمة استأثر بعلمها مثل حكمته في خلق أهل النار والعقول تقصر عن الاحاطة بجميع حكمة الله تعالى ومعلوماته فيحسن في بعض ما لا تعرف العقول حسنه أن يكون حسنا عند الله لحكمة اختص بعلمها فيجب قصر استقباح العقول على من لم يعلم من الحكم في الغيوب المحجوبة الا ما يعلمه وليس يحسن أن يقال ان الله لا يقدر على شيء لوجه حسن استأثر الله بعلمه ولا نحو ذلك من الاعذار لان عدم القدرة نقص في الربوبية وان مثل الجهل ببعض الامور وأما التحسين والتقبيح فبابه واسع وتفاوت المعارف فيه غير واقف على حد ولا نهاية لانه موقوف على الوجوه والاعتبارات ومعرفة العواقب الحميدة والغاية الغيبية البعيدة

والمرجحات الخفية عند تعارض المصالح والمفاسد وهذا باب واسع يدخله التأويل القريب والبعيد بل قد اختلفوا في هذا أحوال المخلوقين كما أخبر الله تعالى عن موسى والخضر عليهما السلام ولا يزال العالم ينكر على الاعلم كيف الجاهل على العالم كيف المخلوق الظلوم الجهول على علام الغيوب كما تقدم في الحكمة في خلق الأشقياء فكما أن الحكمة في خلق الأشقياء لما خفيت لم يحسن من أحد أن يقول انه تعالى غير مختار في وجودهم ورد أهل الاسلام ذلك على الفلاسفة فكذلك في مسألتنا ." (١)

" كان ذلك فعل الله فمن أين له الاستقلال ولله الخلق والأمر واليه يرجع الأمر كله ولكن الله قد استثنى من تعجيز العباد حيث قال قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله وهذا الاستثناء هو الذي رددنا به قول الجبرية حيث احتجوا بقوله تعالى وما تشاؤون إلا أن يشاء الله فانهم تمسكوا بنفي المشيئة ونسوا الاستثناء وقد قال رسول الله اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك وقال موسى عليه السلام رب إني لا أملك إلا نفسي وذلك مثل كوننا لا نعلم إلا ما علمنا يؤتي الحكمة من يشاء ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ولم يؤد إلى استقلال العبد في العلم فلا بدعة في القول بأن العبد يملك بعض الامور بتمليك الله له ذلك لاقامة حجته أو سعة رحمته أو خفي حكمته

---

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/٢٦٨

والقطع بأن ذلك محال غير ممكن يؤدي إلى تعجيز الله عنه ورجوع القهقري من مذهب السنة والمسلمين فانظر إلى الغلو في الأمور كيف ينتهي إلى الوقوع فيما كان الفرار منه فان السني إنما يحاول البقاء على تعظيم القدرة لله عز و جل فاذا غلا في مذهب رجع إلى تعجيز الله الذي كان يشنع به على المبتدعة فصار هذا التمليك من الله تعالى لمن يشاء من عباده من جملة أحكام ملكه وعطاياه التي لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع على معنى ما كان يقول رسول الله ليس لنا من أمرنا ما شئنا وإنما نأخذ ما أعطينا فجعل أخذهم ما أعطاهم الله تعالى من فعلهم ليكون فرق بين الحيوان المختار والجماد المسخر وهو فرق معلوم ضرورة وعقلا وشرعا مدرك بالفطرة التي فطر الله الخلق ولن تجد لسنة تبديلا فنسأل الله الاعتدال وترك بدع الجبر والاعتزال وهو حسبنا ونعم الوكيل

الوجه الثاني إن العبد لا يستقل في الخير لقول الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولحديث أبي ذر رضي الله عنه من وجد خيرا فليحمد الله وأمثال ذلك كثير وأما الشر فسيأتي تحقيقه في مسألة الأفعال والظاهر أن اللطف ." (١)

" بل من كل وجه إلا ما اقتضته **الحكمة من** خلق المختارين له واقدارهم عليه وتقدير وقوعه منهم للحكمة البالغة والحجة الدامغة

وفي القرآن الكثير مما يقوم مقام هذا لكن بغير لفظ من كقوله تعالى فانه فسوق بكم ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقد ذكرت في العواصم من ذلك خمسة وعشرين نوعا وذكرت هناك من الأحاديث الصحيحة الشهيرة قدر خمسة عشر حديثا ونسبتها إلى رواتها من الصحابة ومن خرجها من الأئمة مثل حديث التثاؤب من الشيطان وحديث إن تقليب الحصى وقت الخطبة في الجمعة من الشيطان وحديث إن تفرقكم في الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان وحديث الاناة من الله والعجلة من الشيطان وحديث كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وحديث الرؤيا الصالحة من الله تعالى والحلم من الشيطان رواه الجماعة عن أبي قتادة ولمسلم مثله بل أبين عن أبي هريرة وروى البخاري والنسائي مثل ذلك عن أبي سعيد الخدري وقال إنما هي من الشيطان بالحصر وخرج ابن ماجة وابن عبد البر في التمهيد مثل حديث أبي هريرة عن عوف بن مالك وكلها مرفوعة إلى النبي وإنما تواترت النصوص في الرؤيا أكثر من غيرها لأن الأمر يشتبه فيها هل هي من الله تعالى أو من الشيطان ولا يتميز إلا بالنص

---

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/٢٧٥

وأما الفواحش والقبائح الصادرة من المنهيين عنها المذمومين عليها فلم يشتبه الامر في ذلك حتى يرتفع الاشتباه فيه بالنصوص ولو وقع في ذلك غلط في ذلك العصر لتواترت النصوص في الرد على صاحبه

وإنما أوضحت رواة أحاديث الرؤيا وحدها كيلا يتوهم أنه حديث واحد ومن ذلك حديث المستحاضة وقوله فيه إنما ذلك ركضة من الشيطان قال ابن الأثير في نهايته والمعنى أن الشيطان قد وجد سبيلا إلى التلبيس عليها في أمر دينها ذكره في خرف الراء مع الكاف وعندي فيما قاله نظر لأنه لو أراد ذلك لقال إنما ذلك من الشيطان ولم يذكر أنه ركضة من ولا مانع من تمكينه من ركضته بعض العروق حتى تنقطع ليلبس بذلك عليها أمر دينها ." (١)

" أحدها باعتبار الشهوة والنفرة وثانيها باعتبار جلب النفع ودفع الضر وثالثها باعتبار صفة النقص كالكذب والجهل وصفة الكمال كالصدق والعلم وعنوا بالكذب الذي لم تدع اليه ضرورة وبالصدق الذي ليس بضار

ومن هنا لم يجوزوا وقوع الكذب في كلام الله تعالى لأنه صفة نقص قالوا وإنما الخلاف في معرفة العقل لوجوب استحقاق الذم في الدنيا والعقاب في الآخرة على فعل صفة النقص لا جوزها من غير وجوب وكذلك معرفة العقل لوجوب استحقاق الثناء في الدنيا والثواب والثناء في الآخرة على فعل صفة الكمال لا جواز ذلك من غير وجوب ولذلك حكى الزركشي في شرحه لكتاب السبكي المسمى جمع الجوامع أن قوما توسطوا فقالوا إن القبح واستحقاق الذم عليه ثابت بالعقل وأما العقاب فمتوقف على الشرع قال وهو الذي ذكره أسعد بن علي الزنجاني من أصحابنا الشافعية وأبو الخطاب من الحنابلة وذكرته الحنفية وحكوه عن أبي حنيفة قال وهو المنصور لقوته من حيث الفطرة وآيات القرآن المجيد وسلامته من الوهن والتناقض اه

وقد تقدم في المسألة الأولى أن تسليم هذا القدر من التحسين العقلي يوجب الموافقة على إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى وأنه لا فرق في التحسين بين الأقوال والأفعال وقد ثبت وقوف الأقوال على الحكمة حيث وجب القطع بأن الله تعالى يختار الصدق على الكذب في جميع كلامه وكتبه والموجب ذلك هو بعينه يوجب مراعاة الحكمة في الأفعال وهذه فائدة مهمة وحجة بينة ينبغي التعويل عليها في دعاء من ينكر الحكمة إلى الحق والله الهادي

---

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/٣٠٣

وقول الزركشي أن ذلك هو المنصور لموافقته الفطرة وآيات القرآن المجيد قول صحيح وأراد بآيات القرآن المجيد ما ورد في ذلك مثل ما قدمنا من قوله تعالى أولم يتفكروا في أنفسهم الآية ومثل قصة موسى والخضر عليهما السلام فانها صريحة في ذلك والحجة فيها من وجهين ." (١)

" مؤمن ومثال القبيح بالضرورة الذي لا يجوز على الله بعثة الكذابين لما فيه من الفساد المتفاحش وهو عدم الثقة بكلام الله تعالى وكلام جميع رسله عليهم السلام لا في دين ولا في دنيا ولا في حد ولا في مهم ولا ترغيب ولا ترهيب وهذا هدم للمصالح كلها والصلاح أجمع ولذلك كان الله أصدق القائلين وكان من أبغض الخلق اليه الملك الكذاب لأن الذي قد يهون قبح الكذب في بعض المواضع ويعارض ما فيه من الفساد هو الضرورة الملجئة اليه كخوف المضار ونحو ذلك والملوك أبعد الناس منها لقدرتهم على دفع المضار وإن كانت قدرتهم قاصرة فكيف بملك الملوك الذي هو على كل شيء قدير وعن كل شيء غني وإنما يجوز عليه ما تخفى فيه الحكمة على الخلق لقصور علومهم من الامور المحتملة مثل ما سألت عنه الملائكة عليهم السلام من **الحكمة في** خلق آدم وذريته لظنهم أنهم كلهم أشرار لا خير في أحد منهم والشر المحض الذي لا خير فيه ألبتة لا عاجلا ولا آجلا قبيح في العقول وأما الشر المشتمل على الخير والغايات الحميدة أو المجوز فيه شيء من ذلك فلا مجال للعقول في القطع بقبحه ولذلك أجاب عليهم بقوله تعالى إني أعلم ما لا تعلمون ولم يقل إنه يحسن مني كل ما تستقبحون وكل ما تستقبحه العارفون ولو كانت أفعال الله معطلة من الحكم لم يكن لذكر علمه وزيادته على علمهم معنى في هذا الموضع لأن الحكمة على قول الخصم ممتنعة الامكان في حق الله تعالى فلم يتعلق بها علمه كما لا يتعلق برب ثان مشارك له في الربوبية ومن ثم أظهر الله تعالى بعد ذلك فضل آدم بعلم الاسماء ولو كان كما زعموا من تعطيل أفعاله من الحكم لفضله بغير سبب فدل على أنه أراد ببيان شيء من الخير الذي أحاط به علمه في خلق آدم عليه السلام وذريته ولم يحيطوا بشيء من الخير في ذلك فبين لهم أن فيه خيرا كثيرا وبان بذلك أن الشر المحض لا يكون من أفعاله تعالى بخلاف الشر المشتمل على الخير فيكون فيها ويكون ذلك الخير هو المقصود وهو المسمى تأويل المتشابة في لسان الشرع وغرض الغرض في لسان الحكماء ولذلك

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/٣٤٣

قال تعالى لهم بعد ذلك إنه يعلم غيب السموات والأرض ويعلم ما لا يعلمون وهذا يدل على ما قيل أن العالم كله كالشجرة وأهل الخير من الخلق هم ثمرة تلك الشجرة ويدل عليه ." (١)

"وقوله عز وجل : {فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء} {٣٨}.

وقوله تعالى : {يرزق من يشاء} {٣٩}.

وقوله تبارك وتعالى : {وعلمه مما يشاء} {٤٠}.

وقوله جل جلاله : {ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء} {٤١}.

وقوله جل وعلا : {يؤتي **الحكمة من** يشاء} {٤٢}.

وقوله عز وجل : {إن ربي لطيف لما يشاء} {٤٣}.

وقوله جلت عظمته : {من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد} {٤٤}.

وقوله تعالى : {ولكن ينزل بقدر ما يشاء} {٤٥}.

وقوله جلت قدرته : {إن يشأ يسكن الريح} {٤٦}.

وقوله تعالى : {وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا} {٤٧}.

وقوله عز وجل : {إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء} {٤٨}.

وقوله جل وعلا : {ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله}.

وقوله جلت عظمته : {ثم إذا شاء أنشره} {٤٩}.

وقوله جل جلاله} {وهو على جمعهم إذا يشاء قدير} {٥٠}.

وقوله تبارك وتعالى : {إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد} {٥١}

٢٩٧- أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الحسين علي بن أحمد بن قرقوب التمار ، بهمذان ، حدثنا إبراهيم بن الحسين ، حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب : ". (٢)

---

(١) إيثار الحق على الخلق، المؤلف غير معروف ص/٣٤٥

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي، المؤلف غير معروف ٣٧٠/١

"أو بتعبير آخر أن الإسلام يعبر عن التمسك بأوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم ، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم ،وقضاء حياة مثل ما قضاها رسول الله ، واختيار الطرق والسنن التي اختارها أصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كما أمر به الرب تبارك وتعالى في كلامه المحكم:

{أطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ١٣٢} (١)

و {أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ٢٠} (٢)

و {من يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ١٣} (٣)

و {ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم ٦٣} (٤)

و {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} (٥)

{ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ٧١} (٦)

و {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ٢١} (٧)

و {واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ١٥} (٨).

وأوامر الله ورسوله ، وكذلك نواهي الله ونواهي رسوله موجودة محفوظة في الكتاب والسنة ، والكتاب المنزل على سيد البشر وخاتم الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليه ، المعبر عنه بالذكر الحكيم والفرقان الحميد والقرآن المجيد ، الذي جعله الله شفاء وهدى ورحمة للمؤمنين ، وسنة رسول الله المعبر عنها **بالحكمة في** قوله جل وعلا: {ويعلمكم الكتاب والحكمة} وبالحديث النبوي الشريف ، ما ثبت عنه وصح من أقواله وأفعاله وتقريراته ، الكتاب والسنة اللذين ذكرهما الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله حيث حرض أمته ، وحثهم على التمسك والتشبث بهما قائلا: (تركت فيكم أمرين لن

---

(١) آل عمران ١٣٢

(٢) الأنفال ٢٠

(٣) الأنفال ١٣

(٤) التوبة ٦٣

(٥) الحشر ٧

(٦) الأحزاب ٧١

(٧) الأحزاب ٢١

(٨) لقمان ١٥." (١)

"إنه الخضر. وروي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال ـ وقد ذكر له الخضر ـ: «من أحالك على غائب فما أنصفك، وما ألقى هذا على ألسنة الناس إلا الشيطان».

٥ – ليس هناك دليل قط على أن الخضر حي أو موجود ـ كما يزعم الزاعمون ـ بل على العكس، هناك أدلة من القرآن والسنة والمعقول وإجماع المحققين من الأمة على أن الخضر ليس حيا.

ذكر الإمام ابن القيم – رحمه الله – في كتابه (المنار المنيف في الحديث الصحيح والضعيف) ضوابط للحديث الموضوع الذي لا يقبل في الدين، ومن هذه الضوابط: «الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته، كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد.

وسئل إبراهيم الحربي عن تعمير الخضر وأنه باق، فقال: ما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان. وسئل البخاري عن الخضر والياس هل هما أحياء؟ فقال: كيف يكون هذا؟ وقد قال النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – : «لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد» [رواه الشيخان]. وسئل عن ذلك كثير غيرهما من الأئمة فقالوا ـ مستدلين بالقرآن ـ: {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون} (الأنبياء: ٣٤)

فالقرآن، والسنة، وكلام المحققين من علماء الأمة ينفي حياة الخضر.

القرآن يقول: {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون} (الأنبياء: ٣٤) فالخضر إن كان بشرا فلن يكون خالدا، حيث ينفي ذلك القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ فإنه لو كان موجودا لجاء إلى النبي

---

(١) التصوف – المنشأ والمصادر، المؤلف غير معروف ص/١٢

– صلى الله عليه وآله وسلم –، فقد قال – صلى الله عليه وآله وسلم –: «والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعني» (رواه الإمام أحمد وحسنه الألباني) فإن كان الخضر نبيا، فليس هو بأفضل من موسى، وإن كان وليا فليس أفضل من أبي بكر.

وما الحكمة في أن يبقى طيلة هذه المدة ـ كما يزعم الزاعمون ـ في الفلوات والقفار والجبال؟ ما الفائدة من هذا؟ ليس هناك فائدة شرعية ولا عقلية من وراء هذا. إنما يميل الناس دائما إلى الغرائب والعجائب والقصص والأساطير، ويصورونها تصويرا من عند أنفسهم ومن صنع خيالهم، ثم يضفون عليها ثوبا دينيا، ويروج هذا بين بعض." (١)

"وفي صحيح البخاري أيضا عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: من حدثك أن محمدا – صلى الله عليه وآله وسلم – رأى ربه فقد كذب وهو يقول: {لا تدركه الأبصار} (الأنعام: ١٠٣) ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب وهو يقول: {قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون} (النمل: ٦٥)

فهذه الآيات والأحاديث ومثلها كثير جدا قاطع بأنه لا يعلم أحد في السماوات والأرض الغيب إلا الله لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وأنه لا يعلم أحد من هؤلاء الغيب إلا ما أطلعه الله سبحانه عليه، فهاهم الملائكة يخلق الله آدم ولا يعلمون الحكمة من خلقه، ويعرض الله عليهم مسميات معينة ويقول لهم {أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين} (البقرة:٣١)، فيقولون: {قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم} (البقرة:٣٢)، ويعلم الله آدم النبي الأسماء فيعلمها لهم، وآدم نبي مكلم كما جاء في الحديث الشريف.

وهؤلاء الأنبياء لا يعلمون الغيب بنص القرآن وبمئات بل بآلاف الوقائع، فإبراهيم – عليه السلام – لم يعلم بأنه يولد له ولد من زوجته سارة إلا بعد أن جاءته الملائكة، ولقد جاءته الملائكة في صورة بشر فذبح لهم عجلا وقربه إليهم وهو لا يعلم حقيقتهم حتى أعلموه، ولم يكن يعرف مقصدهم حتى أعلموه أنهم ذاهبون لتدمير قرى لوط.

وأما لوط فإن الملائكة قد أتوا لإنجائه وإنجاء أهله، ولم يعلم حقيقة أمرهم إلا بعد أن علموه ولم يكن له كشف خاص، ولا علم خاص يستطيع أن يعرف من القوم.

---

(١) كشف شبهات الصوفية، المؤلف غير معروف ص/١٦٢

وأما محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – فقد حدث له مئات الوقائع التي تدل يقينا أنه لم يكن يعلم في الغيب إلا ما أعلمه الله إياه. فقد ظن أن جبريل الذي أتاه في الغار شيطان وقال لخديجة: «لقد خفت على نفسي»، ولم يعرف أنه الملك حتى أتى ورقة بن نوفل فأخبره أن الكلام الذي جاء به يشبه الكلام الذي نزل على الأنبياء من قبله. ولم يدر بخلد النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – أنه سيؤذى ويخرج من مكة أبدا علما بأن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قد مكث يتعبد في غار حراء سنوات طويلة." (١)

"والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال.

وحكمته نوعان:

النوع الأول: **الحكمة في** خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملا على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللا، ولا نقصا، ولا فطورا، فلو اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلى آخرهم ليقترحوا مثل خلق الرحمن أو ما يقارب ما أودعه في الكائنات من الحسن والانتظام والإتقان لم يقدروا، وأنى لهم القدرة على شيء من ذلك، وحسب العقلاء الحكماء منهم أن يعرفوا كثيرا من حكمه،." (٢)

"ويطلعوا على بعض ما فيها من الحسن والإتقان. وهذا أمر معلوم قطعا بما يعلم من عظمته وكمال صفاته، وتتبع حكمه في الخلق والأمر، وقد تحدى عباده وأمرهم أن ينظروا ويكرروا النظر والتأمل هل يجدون في خلقه خللا أو نقصا، وأنه لابد أن ترجع الأبصار كليلة عاجزة عن الانتقاد على شيء من مخلوقاته.

النوع الثاني: **الحكمة في** شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجل من هذا؟ وأي فضل وكرم أعظم من هذا، فإن معرفته تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له وحمده، وشكره والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق، وأجل

---

(١) كشف شبهات الصوفية، المؤلف غير معروف ص/١٦٨

(٢) الثمر المجتنى مختصر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٢٩

الفضائل لمن يمن الله عليه بها. وأكمل سعادة وسرور للقلوب والأرواح، كما أنها هي السبب الوحيد للوصول إلى السعادة الأبدية، والنعيم الدائم، فلو لم يكن في أمره وشرعه إلا هذه الحكمة العظيمة التي هي أصل." (١)

"والقلوب، وهو الرافع لأقوام قائمين بالعلم والإيمان، الخافض لأعدائه، وهو المعز لأهل طاعته، وهذا عز حقيقي؛ فإن المطيع لله عزيز وإن كان فقيرا ليس له أعوان، المذل لأهل معصيته وأعدائه ذلا في الدنيا والآخرة. فالعاصي وإن ظهر بمظاهر العز فقلبه حشوه الذل وإن لم يشعر به لانغماسه في الشهوات؛ فإن العز كل العز بطاعة الله، والذل بمعصيته: {ومن يهن الله فما له من مكرم} (١)، {من كان يريد العزة فلله العزة جميعا} (٢)، {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} (٣). وهو تعالى المانع المعطي فلا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى، وهذه الأمور كلها تبع لعدله وحكمته وحمده؛ فإن له **الحكمة في** خفض من يخفضه ويذله ويحرمه، ولا حجة لأحد على الله، كما له الفضل المحض على من رفعه وأعطاه وبسط له الخيرات، فعلى العبد أن يعترف بحكمة الله، كما عليه

---

(١) سورة الحج، الآية: ١٨.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٨.." (٢)

"فنقول له: ما هي العلة الأولى في إيجاد الذرات الأولى المتفاعلة؟ وما علة التفاعل الذاتي؟ فإن قال: العلة في ذلك الذرات ذاتها، أي أنها أوجدت نفسها ثم تفاعلت لتوجد الكون. قلنا له: إن هذا هو الدور الممنوع ذاته، لأنك جعلت الشيء علة لوجود غيره وهذا الغير علة لوجوده هو في ذاته، حيث إنه لما كان في العدم المطلق، كان وجوده متوقفا على أن يخرج من العدم، فإذا خرج أصبح علة لا يجاد نفسه. ثم نقول له: إنك قلت إن الكون محدث غير أزلي، فكيف يكون المحدث علة لنفسه وهو لم يكن موجودا من قبل، والعدم المحض لا يوجد شيئا. فإن الشيء يمتنع أن يكون خالقا ومخلوقا في الوقت نفسه!!!!

رابعا: قانون العلة:

---

(١) الثمر المجتنى مختصر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٣٠

(٢) الثمر المجتنى مختصر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١١٧

إن التخصيص والنظام يدلان على العلة **والحكمة من** وراء ذلك التخصيص والنظام. ولا يعقل أن توجد علة أو حكمة بدون مؤثر مدبر لها، فلو قلنا: إن هذه الشمس إنما وجدت اتفاقا،وليس من وراء وجودها حكمة، وكل ما تقوم به من وظائف حياتية في الكون إنما جاءت بطريق الاتفاق ومحض الصدفة. لو قلنا ذلك لما شك أحد –في عصرنا الحاضر– في جنون القائلين به. كما أننا لو قلنا لعالم في وظائف الأعضاء: إن الأجهزة العضوية في الإنسان مثل المخ والكبد والبنكرياس وغير ذلك إنما جاءت اتفاقا وتهيأت لوظائفها صدفة لما شك ذلك العالم لحظة في جنوننا. فإذا كنا نستنكر أن تكون هذه الجزئيات قد وجدت اتفاقا، فكيف نصدق من يقول: إن الكون بكل موجوداته قد وجد اتفاقا. وأن النظام الذي فيه ليس له مدبر من ورائه، وأن الأحداث المعللة والحكم النافذة في أجزائه قد جاءت اتفاقا بدون قصد لغايتها؟ هل يعقل أن يكون مثل هذا الكون المعجز في نظامه وترتيبه وضبط مقاديره قد وجد عبثا، وأن كل تلك الدقة قد جاءت اتفاقا؟؟!!.

إن المصدق لهذا يكون كالمصدق لمن يقول له: إنه لو أتينا بستة من القرود وأجلسناها إلى ست آلات طابعة لملايين السنين، فإنه لا يستبعد أن يخرج لنا أحدها بقصيدة رائعة من روائع المتنبي مثلا. هل تصدق هذا القائل؟ إنه– بلا شك – أعقل من القرود الستة،." (١)

"المحكومة بمذاهب موجهة – أن تساوى جميع الأفراد في هذا الرزق أبدا: «ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات» ..

والحكمة في هذا التفاوت الملحوظ في جميع العصور، وجميع البيئات، وجميع المجتمعات هي: «ليتخذ بعضهم بعضا سخريا» .. ليسخر بعضهم بعضا .. ودولاب الحياة حين يدور يسخر بعض الناس لبعض حتما. وليس التسخير هو الاستعلاء .. استعلاء طبقة على طبقة، أو استعلاء فرد على فرد .. كلا! إن هذا معنى قريب ساذج، لا يرتفع إلى مستوى القول الإلهي الخالد. كلا! إن مدلول هذا القول أبقى من كل تغير أو تطور في أوضاع الجماعة البشرية وأبعد مدى من ظرف يذهب وظرف يجيء .. إن كل البشر مسخر بعضهم لبعض. ودولاب الحياة يدور بالجميع، ويسخر بعضهم لبعض في كل وضع وفي كل ظرف. المقدر عليه في الرزق مسخر للمبسوط له في الرزق. والعكس كذلك صحيح. فهذا مسخر ليجمع المال، فيأكل منه ويرتزق ذاك. وكلاهما مسخر للآخر سواء بسواء. والتفاوت في الرزق هو الذي يسخر هذا لذاك،

---

(١) أركان الإيمان، علي بن نايف الشحود ص/٢٠

ويسخر ذاك لهذا في دورة الحياة .. العامل مسخر للمهندس ومسخر لصاحب العمل. والمهندس مسخر للعامل ولصاحب العمل. وصاحب العمل مسخر للمهندس وللعامل على السواء .. وكلهم مسخرون للخلافة في الأرض بهذا التفاوت في المواهب والاستعدادات، والتفاوت في الأعمال والأرزاق ..

وأحسب أن كثيرين من دعاة المذاهب الموجهة يتخذون من هذه الآية موضع هجوم على الإسلام ونظمه الاجتماعية والاقتصادية. وأحسب أن بعض المسلمين يقفون يجمجمون أمام هذا النص، كأنما يدفعون عن الإسلام تهمة تقرير الفوارق في الرزق بين الناس، وتهمة تقرير أن الناس يتفاوتون في الرزق ليتخذ بعضهم بعضا سخريا! وأحسب أنه قد آن لأهل الإسلام أن يقفوا بإسلامهم مواجهة وصراحة موقف الاستعلاء المطلق، لا موقف الدفاع أمام اتهام تافه!." [١]

"كالظلة، فإذا أقلع رجع إليه الإيمان)). (١)

ومثله قوله – صلى الله عليه وسلم –: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)). (٢)

فالزنا وعدم محبة الخير للمؤمن يناقضان الإيمان، حسب ظاهر النص، وعليه قاسوا غيرها من المعاصي، فصار مرتكب المعصية عندهم كافرا، لأنه ليس مؤمنا بنص وظاهر قول النبي – صلى الله عليه وسلم –.

لكن المحققين من أهل السنة والجماعة ردوا هذا الفهم الظاهري الضعيف للنصوص بدلالة نصوص أخرى جمعوها إليها، وخلصوا منها إلى فهم يعمل جميع النصوص ولا يهملها، ولا يضرب بعضها ببعض.

فلئن وصف الزاني بعدم الإيمان فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يرفع عنه أصل الإيمان، لأنه شهد بإمكانه دخول الجنة، ففي حديث أبي ذر أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((ما من عبد قال: لا إله إلا الله. ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر)). (٣)

قال ابن حجر: "وفي الحديث أن أصحاب الكبائر لا يخلدون في النار، وأن الكبائر لا تسلب اسم الإيمان، وأن غير الموحدين لا يدخلون الجنة، **والحكمة في** الاقتصار على الزنا والسرقة الإشارة إلى حق الله تعالى وحق العباد، وكأن أبا ذر استحضر قوله – صلى الله عليه وسلم –: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) لأن ظاهره معارض لظاهر هذا الخبر.

---

(١) أركان الإيمان، علي بن نايف الشحود ص/١٤٣

لكن الجمع بينهما على قواعد أهل السنة، بحمل هذا على الإيمان الكامل، وبحمل حديث الباب على عدم التخليد في النار". (٤)

قال النووي: "فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي

---

(١) رواه أبو داود ح (٤٦٩٠)، والترمذي ح (٢٦٢٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ح (٣٩٢٤).

(٢) رواه البخاري ح (١٣)، ومسلم ح (٤٥).

(٣) سبق تخريجه ص (٢٨).

(٤) فتح الباري (٣/ ١١١).." [١]

"القيامة)) فجعل لا يزيده على أن يقول: ((كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة))؟ قال أسامة - رضي الله عنه -: فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ (١).

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة، وقد ذكرت منها ستة أحاديث غير هذا في شروط لا إله إلا الله في هذا الكتاب (٢).

وهذه الأحاديث دلت على أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، ولكن لابد من استكمال شروطها، وأركانها، ومقتضاها، والابتعاد عن نواقضها، فمن أتى بهذه الكلمة وقد سلم من أنواع الظلم الثلاثة: ظلم الشرك، وظلم العباد، وظلم العبد نفسه بالمعاصي فيما دون الشرك فله الأمن التام والهداية التامة، ويدخل الجنة برحمة الله وفضله بغير حساب، ومن جاء بهذه الكلمة وقد نقصها بالذنوب التي لم يتب منها؛ فإن كانت صغائر كفرت باجتناب الكبائر كما في قوله تعالى: {إن تجتنبوا كبآئر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما} (٣)، وإن كانت كبائر فهو تحت مشيئة الله تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ثم أدخله الجنة (٤).

وأحسن ما قيل في هذه الأحاديث ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، برقم ٩٦، وانظر:

---

(١) التكفير وضوابطه - السقار، منقذ السقار ص/٤٢

الحكمة في الدعوة إلى الله، للمؤلف، ص٧٣.

(٢) حديث عثمان في الشرط الأول، وحديث أبي هريرة في الثاني، وحديث معاذ في الخامس، وحديث أبي هريرة في السادس، وحديث أبي مالك في الثامن.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص٧٠، و ٧١.." (١)

"المبحث السادس: الإله الحق سخر جميع ما في الكون لعباده

من الحكمة في دعوة المشركين إلى الله تعالى لفت أنظارهم وقلوبهم إلى نعم الله العظيمة: الظاهرة، والباطنة، والدينية، والدنيوية. فقد أسبغ على عباده جميع النعم: {وما بكم من نعمة فمن الله} (١)، وسخر هذا الكون وما فيه من مخلوقات لهذا الإنسان.

وقد بين سبحانه هذه النعم، وامتن بها على عباده، وأنه المستحق للعبادة وحده، ومما امتن به عليهم ما يأتي:

أولا: على وجه الإجمال:

قال تعالى: {هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ... } (٢)، {ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة} الآية (٣). {وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} (٤).

فقد شمل هذا الامتنان جميع النعم: الظاهرة والباطنة، الحسية والمعنوية، فجميع ما في السموات والأرض قد سخر لهذا الإنسان، وهو شامل لأجرام السموات والأرض، وما أودع فيهما من: الشمس، والقمر، والكواكب، والثوابت والسيارات، والجبال، والبحار، والأنهار، وأنواع الحيوانات،

---

(١) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

---

(١) العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٢٥

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

(٤) سورة الجاثية، الآية: ١٣.." [١]

"المبحث الخامس–مساكن الجن

المبحث السادس–طعام الجن

المبحث السابع–الجن كالإنس يموتون

المبحث الثامن–الجن مكلفون كالإنس

المبحث التاسع–العلاقة بين الجن والإنس

المبحث العاشر–الصراع بين الحق والباطل والإنسان والشيطان

المبحث الحادي عشر–أهداف الشيطان في إغواء الإنسان، وفيه تفصيل ..

المبحث الثاني عشر–أساليب الشيطان في إضلال الإنسان، وهي كثيرة جدا ..

المبحث الثالث عشر–كيف يصل الشيطان بوسوسته إلى نفس الإنسان، وفيه كلام أيضا عن تمثل الشياطين وعن رجال الغيب، وحكم الاستعانة بالجن في الطب وغيره، وتحضير الأرواح، والتنويم المغناطيسي ...

المبحث الرابع عشر–كيف نقي أنفسنا من كيد الشيطان؟ وفيه أمور كثيرة ...

المبحث الخامس عشر–الجن وعلم الغيب، وفيه تفصيل عن العرافة والكهانة، والتنجيم، والأطباق الطائرة.

المبحث السادس عشر–النهي عن التشبه بالجن

المبحث السابع عشر–تلبس الجان ببدن الإنسان، وذكرت الأدلة على وقوع ذلك، وأسباب الصرع، وحكم قتل حيات البيوت ...

المبحث الثامن عشر–علاج المس والصرع بالوسائل الشرعية ..

المبحث التاسع عشر–حكم التزاوج بين الإنس والجن ..

المبحث **العشرون–الحكمة من** خلق الشيطان ...

هذا وقد ذكرت الآيات القرآنية، وقمت بتفسيرها بشكل مختصر اعتمادا على كتب التفسير المعتبرة. وقد حاولت استقصاء الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، وقمت بتخريجها من مظانها، والحكم عليها صحة

---

(١) العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٢٦

وضعفا إذا لم تكن في الصحيحين أو أحدهما، وقمت بشرح الغريب، والتعليق على بعضها حسب مقتضى الحال.." (١)

"والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تمهيد للجو الذي يتلى فيه كتاب الله، وتطهير له من الوسوسة واتجاه بالمشاعر إلى الله خالصة لا يشغلها شاغل من عالم الرجس والشر الذي يمثله الشيطان.

فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم .. «إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون» فالذين يتوجهون إلى الله وحده، ويخلصون قلوبهم لله، لا يملك الشيطان أن يسيطر عليهم، مهما وسوس لهم فإن صلتهم بالله تعصمهم أن ينساقوا معه، وينقادا إليه. وقد يخطئون، لكنهم لا يستسلمون، فيطردون الشيطان عنهم ويثوبون إلى ربهم من قريب .. «إنما سلطانه على الذين يتولونه» أولئك الذين يجعلونه وليهم ويستسلمون له بشهواتهم ونزواتهم، ومنهم من يشرك به. فقد عرفت عبادة الشيطان وعبادة إله الشر عند بعض الأقوام. على أن اتباعهم للشيطان نوع من الشرك بالولاء والاتباع. (١)

وقد بين ابن القيم **الحكمة في** الاستعاذة بالله من الشيطان حين قراءة القرآن، فقال:

١ - " إن القرآن شفاء لما في الصدور يذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشهوات والإرادات الفاسدة، فهو دواء لما أمره الشيطان فيها، فأمر أن يطرد مادة الداء، ويخلي منه القلب، ليصادف الداء محلا خاليا، فيتمكن منه، ويؤثر فيه، كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فيجيء هذا الدواء الشافي إلى القلب، وقد خلا من مزاحم ومضاد له، فينجع فيه.

٢ - ومنها: أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب، كما أن الماء مادة النبات، والشيطان نار يحرق النبات أولا فأولا، فكلما أحس بنبات الخير من القلب، سعى في إفساده وإحراقه، فأمر أن يستعيذ بالله - عز وجل - منه، لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن.

والفرق بين هذا الوجه والوجه الذي قبله أن الاستعاذة في الوجه الأول لأجل حصول فائدة القرآن، وفي الوجه الثاني لأجل بقائها وحفظها.

---

(١) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، علي بن نايف الشحود ص/٤

(١) – في ظلال القرآن للسيد قطب – ت– علي بن نايف الشحود (ص:٢٨٥١)." [١]

"المبحث العشرون

الحكمة من خلق الشيطان

أولا– **الحكمة من** خلق الجن والإنس:

قال ابن عثيمين رحمه الله:" قبل أن أتكلم عن هذا السؤال أحب أن أنبه على قاعدة عامة فيما يخلقه الله – عز وجل – وفيما يشرعه. وهذه القاعدة مأخوذة من قوله – تعالى –: {وهو العليم الحكيم}.وقوله: {إن الله كان عليما حكيما}.وغيرهما من الآيات الكثيرة الدالة على إثبات الحكمة لله – عز وجل – فيما يخلقه وفيما يشرعه أي في أحكامه الكونية، وأحكامه الشرعية، فإنه ما من شيء يخلقه الله – عز وجل – إلا وله حكمة سواء كان ذلك في إيجاده أو في إعدامه، وما من شيء يشرعه الله – تعالى – إلا لحكمة سواء كان ذلك في إيجابه، أو تحريمه، أو إباحته، لكن هذه الحكم التي يتضمنها حكمه الكوني والشرعي قد تكون معلومة لنا، وقد تكون مجهولة، وقد تكون معلومة لبعض الناس دون بعض حسب ما يؤتيهم الله – سبحانه وتعالى – من العلم والفهم، إذا تقرر هذا فإننا نقول: إن الله – سبحانه وتعالى – خلق الجن والإنس لحكمة عظيمة وغاية حميدة، وهي عبادته – تبارك وتعالى – كما قال – سبحانه وتعالى –: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}.وقال – تعالى –: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون}.وقال – تعالى –: {أيحسب الإنسان أن يترك سدى} إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن لله – تعالى – حكمة بالغة من خلق الجن والإنس وهي عبادته، والعبادة هي:" التذلل لله – عز وجل – محبة وتعظيما بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه ".قال الله – تعالى –: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء}.فهذه **الحكمة من** خلق الجن والإنس، وعلى هذا فمن تمرد على ربه واستكبر عن عبادته فإنه يكون نابذا لهذه الحكمة التي خلق الله العباد من." [٢]

"أجلها، وفعله يشهد أن الله خلق الخلق عبثا وسدى، وهو وإن لم يصرح بذلك لكن هذا هو مقتضى تمرده واستكباره عن طاعة ربه." (١)

---

(١) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، علي بن نايف الشحود ص/٣٥٦

(٢) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، علي بن نايف الشحود ص/٥٤٧

ثانيا- الحكمة من خلق الشيطان:

الشيطان منبع الشرور والآثام، فهو القائد إلى الهلاك الدنيوي والأخروي، ورافع الراية في كل وقت ومكان، يدعو الناس إلى الكفران، ومعصية الرحمن، فهل في خلقه من حكمة؟ وما هذه الحكمة؟

أجاب عن هذا السؤال ابن القيم رحمه الله تعالى فقال (٢):" في خلق إبليس وجنوده من الحكم ما لا يحيط بتفصيله إلا الله ".

فمن ذلك:

١ - ما يترتب على مجاهدة الشيطان وأعوانه من إكمال مراتب العبودية:

فمنها أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه، ومخالفته ومراغمته في الله، وإغاظته وإغاظة أوليائه، والاستعاذة به منه، واللجوء إليه أن يعيذهم من شره وكيده، فيترتب على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لم يحصل بدونه ... والموقوف على الشيء لا يحصل بدونه.

٢ - خوف العباد من الذنوب:

ومنها خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعدما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه، وسقوطه من المرتبة الملكية إلى المنزلة الإبليسية (٣) يكون أقوى وأتم، ولا ريب أن الملائكة لما شاهدوا ذلك، حصلت لهم عبودية أخرى للرب تعالى، وخضوع

---

(١) - لقاءات الباب المفتوح (١٥٥/ ٣) ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ٨٧) وفتاوى أركان الإسلام (ص:٥٠)

(٢) - شفاء العليل: ص٣٢٢.

(٣) - إبليس لم يكن من الملائكة يوما قال تعالى: {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا} [الكهف:٥٠]،بل هو من الجن لأن الملائكة لا تستطيع معصية الله تعالى قال تعالى: {يا أيها الذين

آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (٦)} [التحريم:٦]." [(١)]

"٩ – ظهور آياته وعجائب قدرته:

ومن هذه الحكم أن في خلق من يضاد رسله ويكذبهم ويعاديهم، من تمام ظهور آياته، وعجائب قدرته، ولطائف صنعه ما وجوده أحب إليه وأنفع لأوليائه من عدمه، كظهور آية الطوفان، والعصا، واليد، وفلق البحر، وإلقاء الخليل في النار، وأضعاف ذلك من آياته، وبراهين قدرته، وعلمه، وحكمته، فلم يكن بد من وجود الأسباب التي يترتب عليها ذلك.

١٠ – الخلق من النار آية:

ومن هذه الحكم أن المادة النارية فيها الإحراق والعلو والفساد، وفيها الإشراق والإضاءة والنور، فأخرج منها – سبحانه – هذا وهذا، كما أن المادة الترابية الأرضية فيها الطيب والخبيث، والسهل والحزن، والأحمر والأسود والأبيض، فأخرج منها ذلك كله حكمة باهرة وقدرة باهرة، وآية دالة على أنه {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} [الشورى:١١].

١١ – ظهور متعلقات أسمائه:

ومن هذه الحكم أن من أسمائه الخافض الرافع، المعز المذل، الحكم العدل، المنتقم، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها أحكامها، كأسماء الإحسان والرزق والرحمة ونحوها، ولا بد من ظهور متعلقات هذه وهذه.

١٢ – ظهور آثار تمام ملكه وعموم تصرفه:

ومن هذه الحكم أنه سبحانه الملك التام الملك، ومن تمام ملكه عموم تصرفه وتنوعه بالثواب والعقاب، والإكرام والإهانة والعدل، والفضل والإعزاز والإذلال، فلا بد من وجود من يتعلق به أحد النوعين، كما أوجد من يتعلق به النوع الآخر.

---

(١) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، علي بن نايف الشحود ص/٥٤٨

١٣ – وجود إبليس من تمام حكمته تعالى:

ومن هذه الحكم أن من أسمائه الحكيم، **والحكمة من** صفاته – سبحانه – وحكمته تستلزم وضع كل شيء في موضعه الذي لا يليق به سواه، فاقتضت خلق المتضادات، وتخصيص كل واحد منها بما لا يليق به غيره من الأحكام والصفات." (١)

"ومن توهمت أن البحر راحته جودا وأن عطاياها جواهره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره

ولو قال ذلك في ربه وفاطره لكان أسعد به من مخلوق مثله.

والمقصود أن ملك الملوك يحب أن يلوذ به مماليكه، وأن يعوذوا به، كما أمر رسوله أن يستعيذ به من الشيطان الرجيم في غير موضع من كتابه، وبذلك يظهر تمام نعمته على عبده إذا أعاذه وأجاره من عدوه، فلم يكن إعاذته وإجارته منه بأدنى النعمتين، والله تعالى يحب أن يكمل نعمته على عباده المؤمنين، ويريهم نصره لهم على عدوهم، وحمايتهم منه، وظفرهم به، فيا لها من نعمة كمل بها سرورهم ونعيمهم، وعدل أظهره في أعدائه وخصمائه.

وما منهما إلا له فيه حكمة ... يقصر عن إدراكها كل باحث (١)

ثالثا– **الحكمة في** بقاء إبليس إلى آخر الدهر:

تحدث العلامة ابن القيم، رحمه الله، عن ذلك في (شفاء العليل(ووضحه، فمن ذلك: (٢)

١ – امتحان العباد:

فمما ذكره رحمه الله تعالى: أن الله جعله محكا ومحنة يخرج به الطيب من الخبيث، ووليه من عدوه، ولذا اقتضت حكمته إبقاءه ليحصل الغرض المطلوب بخلقه، ولو أماته لفات ذلك الغرض، كما أن الحكمة اقتضت بقاء أعدائه الكفار في الأرض إلى آخر الدهر، ولو أهلكهم ألبتة لتعطلت الحكم الكثيرة في إبقائهم، فكما اقتضت حكمته امتحان أبي البشر، اقتضت امتحان أولاده من بعده به، فتحصل السعادة لمن خالفه وعاداه، وينحاز إليه من وافقه ووالاه.

---

(١) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، علي بن نايف الشحود ص/٥٥١

٢ – وأبقاه مجازاة له على صالح عمله السابق:

ومنها أنه لما سبق حكمه وحكمته أنه لا نصيب له في الآخرة، وقد سبق له طاعة وعبادة، جزاه بها في الدنيا بأن أعطاه البقاء فيها إلى آخر الدهر، فإنه سبحانه لا يظلم

---

(١) – شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص:٢٤٠)

(٢) – شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص:٢٤٠)." (١)

"ونهيهم، والله هو الحي الذي لا يموت، فكم في إماتتهم من حكمة ومصلحة لهم وللأمة. هذا وهم بشر، ولم يخلق الله البشر في الدنيا على خلقة قابلة للدوام، بل جعلهم خلائف في الأرض، يخلف بعضهم بعضا، فلو أبقاهم لفاتت المصلحة **والحكمة في** جعلهم خلائف، ولضاقت بهم الأرض، فالموت كمال لكل مؤمن، ولولا الموت لما طاب العيش في الدنيا، ولا هناء لأهلها بها، **فالحكمة في** الموت **كالحكمة في** الحياة."

رابعا- إلى أي مدى نجح الشيطان في إهلاك بني آدم؟

عندما رفض الشيطان السجود لآدم، وطرده الله من رحمته وجنته، وغضب عليه ولعنه، أخذ على نفسه العهد أمام رب العزة بأن يضلنا ويغوينا، ويعبدنا لنفسه: {لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا (١١٨) ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا (١١٩)} [النساء:١١٨ - ١١٩]، {قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا} [الإسراء:٦٢]. (١)

فإلى أي مدى حقق الشيطان مراده من بني الإنسان؟

إن المسرح نظره في تاريخ البشرية يهوله ما يرى من ضلال الناس، وكيف كذبوا الرسل والكتب، وكفروا بالله ربهم، وأشركوا به مخلوقاته، قال تعالى: {وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين} [يوسف:١٠٣]

---

(١) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، علي بن نايف الشحود ص/٥٦٢

لقد كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – حريصا على إيمان قومه، رغبة في إيصال الخير الذي جاء به إليهم، ورحمة لهم مما ينتظر المشركين من نكد الدنيا وعذاب الآخرة. ولكن الله العليم بقلوب البشر، الخبير بطبائعهم وأحوالهم، ينهي إليه أن حرصه على إيمانهم لن يسوق الكثرة المشركة إلى الإيمان، لأنهم – كما قال في هذه الآيات – يمرون على الآيات

---

(١) – قال إبليس للرب الكريم متواقحا: ألا ترى إلى هذا الذي شرفته وكرمته علي فإن أخرتني وأنظرتني إلى يوم القيامة، لأضلن ذريته، ولأسيطرن عليهم، ولأحتوينهم إلا قليلا منهم. أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص:٢٠٩٢،بترقيم الشاملة آليا)." (١)

"قال الحافظ ابن حجر: وفيه استعمال (لا نعلم إلا خيرا) في التزكية (١)

فالخيرية التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) (٢)، تقتضي الوقوف في وجه من يطعن في عرض أهله، والذب والدفاع، وبذل الطاقة والوسع لتبرئتهم.

ولذا تجد في ثنايا قصة الإفك، أن النبي صلى الله عليه وسلم استشار وسأل، فاستشار عليا وأسامة، وسأل الجارية وسأل زينب:

فأما أسامة فقال: أهلك ولا نعلم إلا خيرا.

وأما علي فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك فقالت الجارية لما سئلت، ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام من عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله.

وفي رواية قالت: ما علمت عنها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر، أي: كما لا يعلم الصائغ من الذهب الأحمر إلا الخلوص من العيب.

وفي رواية قالت: والله لعائشة أطيب من الذهب، ولئن كانت صنعت ليخبرنك الله.

يا لها من جارية، أنوار **الحكمة فيها** سارية، وأقوال الحق والصدق

---

(١) ابن حجر: فتح الباري: ٨/ ٣٣٧

---

(١) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، علي بن نايف الشحود ص/٥٦٥

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب فضائل الصحابة المناقب باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (٣٩٠٤)." [1]

"قال الإمام ابن القيم: وأما قصة الأنصار وقول من قال منهم: فقد اعتذر رؤساؤهم بأن ذلك كان من بعض أتباعهم ولما شرح لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما خفي عليهم من **الحكمة فيما** صنع، رجعوا مذ عنين، ورأوا أن الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عود رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بلادهم.

وقال الحافظ ابن حجر: وفيه حسن أدب الأنصار في تركهم المماراة والمبالغة في الحياء وبيان أن الذي نقل عنهم إنما كان عن شبانهم، لا عن شيوخهم وكهولهم (١).

فرضي الله سبحانه وتعالى عنهم، ما أزكاها من نفوس، وأطهرها من قلوب، وأعلاها من أرواح، وأرضاها من جوارح، علت وسمت في سماء الإسلام.

[٤] أقوال أهل البيت وأفعالهم مع بقية أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أظهر دليل، وأقوى حجة وأسطع برهان لدحض أقوال المفترين المغرضين الذين وسعوا الشقة، وأطالوا المفازة بين الفريقين، فمصاهرة الصحابة رضي الله عنهم لأل البيت، وتسمية أبناء آل البيت بأسماء كبار الصحابة، لهو أكبر دليل على كمال القرب بينهم.

فعثمان بن عفان تزوج من بنتي الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام، رقية ثم أم كلثوم رضي الله عنهما، وتوفين في حياته، حتى قال

---

(١) ابن حجر: فتح الباري: ٧/ ٦٦ – ٤٦٧." [2]

"(وكل أمة) من الأمم، وطائفة من الطوائف السابقة (بعث الله إليهم رسولا) إقامة منه تعالى الحجة على عباده. (من نوح إلى محمد) ودعوتهم واحدة، يدعوهم و (يأمرهم بعبادة الله وحده) جل وعلا، (وينهاهم عن عبادة الطاغوت) وهو كل ما عبد من دون الله، طاغوت فعلوت مأخوذ من الطغيان وهو مجاوزة الحد، ومنه {إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية} [الحاقة: ١١] يعني في السفينة، و {طغا الماء} أي تجاوز حده، فكل ما تجاوز العبد به حده فهو طاغ، (والدليل قوله تعالى: {ولقد بعثنا} [النحل:

---

(١) الإصابة في الذب عن الصحابة – رضي الله عنهم –، مازن بن محمد بن عيسى ص/٢٨٠

(٢) الإصابة في الذب عن الصحابة – رضي الله عنهم –، مازن بن محمد بن عيسى ص/٣٨٥

٣٦]) واللام واقعة في جواب القسم، وقد هنا للتحقيق، وبعثنا بمعنى أرسلنا ({في كل أمة}) يعني في كل طائفة وقرن وجيل. ({رسولا}) هذا نكرة في سياق القسم. ({أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}) وهذا مدلول لا إله إلا الله. فحينئذ نقول: الرسالة عمت كل أمة لقوله: ({ولقد بعثنا في كل أمة}) وقال جل وعلا: {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} [فاطر: ٢٤]. وهذا أدل من جهة العموم. {وإن من أمة} من هذه زائدة، وأمة هذا مبتدأ، وهو نكرة في سياق الشرط فحينئذ يعم كل الأمم، وأن دين الأنبياء واحد لأنه قال: ({كل أمة رسولا}). ماذا يقول لأممهم؟ ({أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}) أي أفردوا الله جل وعلا بالعبادة، واتركوا كل ما عبد من دون الله جل وعلا، من متبوع أو معبود أو مطاع.

قال المصنف: (وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله) وحده وهو مدلول الآية السابقة قوله جل وعلا: {أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}. وهذا مجمع عليه بين الرسل وأقوام الرسل المصدقين لهم.

(وافترض الله على جميع العباد) إنسهم وجنهم (الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله) لأن هو معنى العبادة التي جاء بيان **الحكمة في** خلق الإنس والجن لها {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦]. يعني إلا ليؤمنوا بالله جل وعلا ويكفروا بالطاغوت.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسير الطاغوت، لأن الطاغوت هذا اختلف فيه قال رحمه الله: (الطاغوت). في بيان حد جامع لكل ما قيل. لأنه قيل: الطاغوت هو الشيطان، وقيل: الكهان، وقيل: من عبد من دون الله وهو راض، بل أطلق ثيل: من عبد من دون الله، جمع ابن القيم هذه الحدود في حد جامع مانع فقال: (الطاغوت - فعلوت كما ذكرنا - (ما) يعني شيء أيا كان حسيا أو معنويا (تجاوز به العبد حده) أي قدره الذي ينبغي له في الشرع (ما تجاوز به العبد حده) يعني قدره الذي ينبغي له في الشرع.." (١)

"إذا حضرت الدرس من أوله إلى آخره وقلت: أنا فاهمه من أوله إلى آخره ما عندي ولا إشكال، نقول: لا، ما فهمت الدرس أبدا، إلا اللهم إذا كان الدرس مشروح لك فيما سبق، أما درس جديد وتقول: فهمته من أوله لآخره، تخادع نفسك، لا بد أن تبقى بعض المسائل مشكلة عندك، ثم ما تفهمه لن تفهمه على الوجه التام، ولذلك لو نظرت - أمر عقلي - يعني تسمع مثلا من أهل العلم أن يشرح لك مسألة

---

(١) شرح الأصول الثلاثة للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٣٣/١٦

فقهية وأنت أول مرة تسمعها، هو له أربعين سنة في هذه المسألة في تصورها وبيان شروطها وقيودها ويفتي بها عشر سنين، خمسة عشرة سنة وشرحها وقيد وكتب عليها وانتقد، إذا جاء يشرحها تريد أن تفهم مثل فهمه هو، لو قلنا بالعقل هكذا تأتي؟ ما تأتي، أبدا لا يمكن أن يستوي فهمك أنت مع فهم الملقي، إذا كان الملقي قد سبقك في العلم، عشر سنين، خمسة عشرة سنة وهو يشرح مسألة أنت تأتي في يوم وخمس دقائق تريد أن تفهم مثل فهمه، نقول: هذا محال، لا يمكن، لذلك ينبغي للطالب أن يصبر نفسه على ما يسمع، قد يكون فيه بعض الإشكالات في درس الأصول أو في الزاد، ولا ينبغي أن تحدث بلبلة أو يحدث أشياء الدرس موسع الدرس صعب، نقول: لا بد أن يكون موسع، ولا بد أن يكون صعبا، هذا أمر محال، والمتن الذي يحفظ ينبغي للطالب أنه لا يحفظ أو يعتني في دراسته أنه لا يحفظ الكلمة إلا وتحتها معاني، كل كلمة لا بد أن يكون تحتها ينطلق الطالب من معاني، سواء معاني تتعلق بالفن، أو بغيره، ولذلك بعض المسائل أهل العلم لا يتعرضون لها إلا في المقدمات، لذلك تجد اعتراضات وتجد شروح وتجد أشياء لما يختص بالصلاة على ... النبي – صلى الله عليه وسلم –، لما يكون بالبسملة، لما يكون من الحمدلة، الفرق بين النبي والرسول، أكثر ما يتعرض له ويبحث نجده في المقدمات، لذلك ينبغي للطالب أن يصبر ويصبر نفسه، وهذا طريق العلم، العلم لا بد من الجهاد، ولا بد من **الحكمة في** تلقيه، **الحكمة في** إلقائه ونحو ذلك. طيب نشرع.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلا زال الحديث في المسائل الأربعة التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، ووقفنا مع المسألة الأولى وهي العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة. وذكرنا أن قوله: العلم. أل هنا للعهد الحضوري، والمراد بها العلم الذي عرفه هو رحمه الله بقوله: معرفة الله، ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام هذه ثلاثة أصول، وهي متلازمة لا بد من وجودها معا، لا توجد المعرفة الأولى وهي معرفة الله دون معرفة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ودون معرفة الإسلام، ولا توجد المعرفة الثانية دون معرفة الله جل وعلا ومعرفة الإسلام.." (١)

---

(١) شرح الأصول الثلاثة للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٣/٣

"الإنسان الذي معنا الآن هذا دال على أنه لفظ عام. إذا المراد بقول العرب: (كثر الدرهم في أيدي الناس) أي كثرت الدراهم، حينئذ يصح حلول كل محل (أل) أو كل محل أل، إذا المراد بالإنسان هنا جنس الناس.

قال الطبري رحمه الله: (يقول - يعني الله جل وعلا- إن ابن آدم لفي هلكة ونقصان). وفسر الخسر هنا بالهلكة والنقصان. ويقال الخسر والخسران بمعنى واحد. فسره الطبري رحمه الله بقوله: (إن ابن آدم لفي هلكة ونقصان) وقيل: لفى غبن (إن الإنسان لفى غبن) مغبون. وقال الفراء: {إن الإنسان لفي خسر} أي لفي عقوبة، ففسر الخسر بالعقوبة. ومنه قوله تعالى: {وكان عاقبة أمرها خسرا} [الطلاق: ٩] يعنى عقوبة، وقيل: لفي شر {إن الإنسان لفي خسر} يعني لفى شر.

وهذه المعاني كلها متقاربة فيحمل اللفظ عليها. فيقال: {إن الإنسان لفي خسر} يعني لفي هلكة، ونقصان، وغبن، وشر، وعقوبة، وهذه كلها معان متقاربة ولا تضارب بينها.

قال بعضهم: فالخسر هو هلاك رأس المال أو نقصه - هذا في الأصل -. - يعني لما عبر الرب جل وعلا عن الإنسان أنه في خسارة. قال ابن الجوزى في تفسيره: (والإنسان إذا لم يستعمل نفسه وعمره فيما يوجب له الربح الدائم فهو فى خسران - لماذا؟ - لأنه عمل في إهلاك نفسه وعمره وهما أكبر رأس ماله). فلذلك عبر بالخسران الذي يقابل الربح عند التجار (تجار الدنيا) - لماذا؟ - ليكون أوقع في النفس.

لأنه إذ قيل: تجارة، أول ما يتبادر إلى الذهن تجارة الدنيا، وأما تجارة الآخرة فهذه تكون أمرا ثانيا عند السامعين، فإذا عبر بالخسران حينئذ فأول ما يتبادر هو الخسران المقابل للأرباح - أو الربح - في باب الدنيا، حينئذ إذا خسر عمره ولم يستعمله فيما يوجب له النجاة فى الدنيا والآخرة فهو خاسر. مثل ذلك التاجر الذي قد خسر في تجارته في الدنيا، لذلك قال: (فهو في خسران) لأنه عمل في إهلاك نفسه، وعمره، وهما أكبر رأس ماله.

{والعصر * إن الإنسان} الإنسان قيل هذا مأخوذ من النوس وهو الحركة، اشتق من النوس وهو الحركة، {لفي خسر} اللام هذه واقعة في جواب إن، فعندنا في هذا التركيب ثلاث مؤكدات:

- والعصر: قسم، هذا مؤكد يعتبر، مقوي للكلام.
- إن هذا حرف نصب وتوكيد.
- لفي خسر: اللام واقعة في جواب خبر إن فهي مؤكدة.

فهذه ثلاث مؤكدات اجتمعت في الآيات.

والأصل في كلام العرب: (أنه لا يؤكد إلا إذا كان المخاطب مترددا أو منكرا، وأما إذا لم يكن كذلك كأن يكون خالي الذهن فهذا لا يصح له التوكيد إلا على تأويل). فحينئذ نقول: ما **الحكمة في** توكيد مطلع هذه السورة بثلاث مؤكدات؟." (١)

"(أن الله خلقنا ورزقنا) هذا فعل ثان من أفعال الرب جل وعلا (خلقنا) بين الغاية **والحكمة من** خلق وإيجاد الإنس والجن وهو ماذا؟ العبادة، إذا خلقنا لطاعته لعبادته لتحقيق التوحيد (ورزقنا) النعم لنستعين بها على عبادته وطاعته، فالله جل وعلا هو الرازق، وهنا أيضا كالجملة السابقة رزقنا (نا) الدالة على ماذا؟ على المكلفين لأن الحكم عام للإنس والجن. ودليل الرزق أنه مختص بالرب جل وعلا الكتاب والسنة، وكذلك الدليل العقلي، أما الكتاب فقوله جل وعلا {إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين} [الذاريات: ٥٨] {إن الله هو الرزاق} هذا فيه حصر أنه لا رازق إلا الله؛ لأن قوله {هو} هذا ضمير فصل جيء به للتأكيد {وأولئك هم المفلحون} [البقرة: ٥] أولئك مبتدأ، والمفلحون خبره، وهم هذا وقع بين المبتدأ والخبر لدلالته على التأكيد، وأن الخبر محصور في المبتدأ، كذلك {إن الله} الله هذا اسم إن، وهو ضمير فصل لا محل له من الإعراب {الرزاق} هذا خبر إن، لماذا جيء بضمير الفصل؟ نقول: من باب التأكيد والحصر أن هذه الصفة محصورة في الرب جل وعلا ومنفية عن غيره سبحانه {قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله} [سبأ: ٢٤] {قل من يرزقكم من السماء والأرض} [يونس: ٣١] إلى آخر الآية. كذلك من السنة جاء في قوله صلى الله عليه وسلم في الجنين «يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد». كذلك ثم دليل عقلي - وقد لا يحتاج للدليل العقلي هنا - أن الرب جل وعلا جعل قوام الإنس على الطعام والشراب، لا وجود للإنس إلا بهذا الغذاء، وهذا الغذاء قد دل دليل كما ذكره الشيخ هنا في سورة الواقعة أنه من خلق الله جل وعلا، فحينئذ خلق الرب الخلق ورزقهم الطعام والشراب الذي به قوام أبدانهم فلا حياة لهم إلا بالطعام والشراب وهو مخلوق لله عز وجل، فدل على اختصاص الرزق للرب سبحانه وتعالى، ورزقنا نقول: المراد به النعم وهذا في شأن المؤمنين لا إشكال فيه، ولكن ثم مسألة هل الرزق يختص بالحلال أم أنه يشمل الحرام؟ هل هو خاص بالحلال أم أنه يشمل الحرام؟ يعني إذا كان ثم إنسان منذ أن نشأ إلى أن مات وهو لا يأكل إلا الربا والخنزير والميتة نقول: هذا مرزوق أم لا؟ إذا خصصنا

---

(١) شرح الأصول الثلاثة للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٤/٥

الرزق بالحلال قلنا: هذا لم يرزق. وهذا فيه إشكال لأنه مخالف لقوله تعالى {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها} [هود: ٦] فكل دابة حيوان أو إنسان مسلم أم كافر كل ما ينتفع به في قوام بدنه وإقامة وصحة بدنه فهو داخل في هذه الآية {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها} دلت هذه الآية على عموم ما ينتفع به كل منتفع في قوامة بدنه بأنه رزق يلزم من هذا أن نقسم الرزق إلى نوعين:

والرزق ما ينفع من حلال ... أو ضده فحل عن المحال

لأنه رزق كل خلق ... وليس مخلوق بغير رزق." (١)

"(وبذلك) أي العبادة الخالصة، (أمر الله) أمر إيجاب، لأن (أمر) قد يكون أمر استحباب، وقد يكون أمر إيجاب، والمراد به أنه أمر الإيجاب، بل أعلى درجات الإيجاب، كما سبق بيانه على أنه أصل الدين، ومعقد الدين، وهو توحيد الرب جل وعلا، (وبذلك أمر الله جميع الناس) يعني مسلمهم وكافرهم، ولو قال: الخلق. لكان أحسن ليشمل الجن والملائكة، (وبذلك أمر الله جميع الناس) لقوله جل وعلا: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} [الأنبياء: ٢٥] فاعبدون هذا أمر بالعبادة، ولا يأمر الله جل وعلا إلا بعبادة شرعية، ولا عبادة شرعية إلا مع الإخلاص، فصار كالحقيقة الشرعية إذا أطلق لفظ العبادة ينصرف إلى العبادة التي استوفت شرطيها وركنيها، كمال الذل مع كمال الحب والإخلاص مع المتابعة، حينئذ تسمى عبادة. {فاعبدون} هذا أمر بالعبادة، إذا أمر الله جميع الناس بهذه العبادة، بالإخلاص لقوله تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} [الأنبياء: ٢٥].

(وخلقهم لها)، (وخلقهم) أي خلق الجن والإنس، (لها) أي لهذه العبادة، (لها) الضمير يعود للعبادة الخالصة، واللام هنا للتعليل، يعني لبيان الحكمة من الخلق، لم خلق الله الإنس والجن؟ للعبادة لقوله تعالى: ({وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦]). حينئذ المراد بالتعليل هنا بيان الحكمة من الخلق وليس التعليل الملازم للمعلول، يعني خلق الله جل وعلا الخلق ليعبدوه، ففعل هو الأول سبحانه ليفعل الجن والإنس الثاني، ولم يخلقهم ليفعل الأول ويفعل بهم أيضا الثاني، وإلا لصارت العبادة كونية، بمعنى أنه لا يتخلف أحد عن العبادة. أمر الله وخلق الخلق للعبادة، أليس كذلك، ({وما خلقت الجن

---

(١) شرح الأصول الثلاثة للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٣/٥

والإنس إلا ليعبدون} إذا كل إنسي وكل جني خلق لغاية وحكمة وهى العبادة، هل كل إنسي وجني امتثل أمر الرب جل وعلا؟

الجواب: لا، إذا تخلف ما أراده الله جل وعلا من حكمة عن بعض أفراد الإنس والجن، دل على ماذا؟ دل أنه فعل الأول ليقوم الإنس والجن بفعل الثاني، وهذا مثل قوله جل وعلا: {وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله} [النساء: ٦٤]. ثم قد يطيعون وقد لا يطيعون قد يعصون، هنا كذلك خلقت الجن والإنس ليعبدون، وقد يعبدون وقد لا يعبدون. إذا نفسر اللام هنا بلام التعليل وليست بلام الصيرورة والعاقبة، لأننا لو فسرناها بلام الصيرورة والعاقبة صار المعنى هكذا: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ثم كل فرد من أفراد الإنس والجن قد عبد الله جل وعلا. فالذي سجد للصنم يكون قد عبد الله لأنه ما خلق إلا لهذه الحكمة، فقد استوفى ما خلقه الله جل وعلا لهذا، نقول: هذا باطل، لأن المراد بالعبادة هنا الشرعية وليست العبادة الكونية، ففعل الأول سبحانه ليفعلوا هم الثاني. واضح هذا؟." (١)

"(وخلقهم لها)، قلنا: اللام هذه للتعليل، لبيان **الحكمة من** الخلق، وليس تعليل الملازم للمعلول، حينئذ علة الخلق هي عبادة الله مع الإخلاص، ({وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}. لكن هنا المصنف رحمه الله قال: (وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم لها). أيهما أسبق الخلق أم الأمر؟ نقول: الخلق سابق، والأمر لاحق أليس كذلك؟ الخلق سابق، والأمر لاحق ولا أدري لماذا قدم؟ (كما قال تعالى) هذا دليل على ماذا؟ دليل على أن الله خلق الناس أجمعين لهذه العبادة الخالصة، فقال تعالى: ({وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦]). ({وما}) هذه نافية، و ({خلقت}) هذا فعل ماض، وفسرنا فيما سبق الخلق بمعنى الإيجاد، وما خلقت أي ما أوجدت، فالخلق بمعنى الإيجاد لكن يقيد مسبوق بالتقدير:

ولأنت تفري ما خلقت وبع ... ض القوم يخلق ثم لا يفري

والفري هو التنفيذ، والخلق هو الإيجاد، وهو التقدير، ولأنت تفري ما خلقت يعني تنفذ ما قدرته، وبعض القوم يخلق يقدر ثم لا يفري، لا ينفذ، كلام فقط، يقدر في نفسه يقدر يقدر ثم لا وجود له، إذا الخلق بمعنى الإيجاد المسبوق بالتقدير. و ({الجن}) هذا عالم غيبي مخفي عنا لا نراه وقد يراه البعض، لكن

---

(١) شرح الأصول الثلاثة للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٢/٨

في الجملة لا يرى هذا الأصل فيه، وقد يظهرون لبعض الناس لأمر ما. إذا عالم غيبي مخفي عنا، مخلوق من نار، قال تعالى: {وخلق الجان من مارج من نار} [الرحمن: ١٥]. سموا جنا لاجتنانهم، وهو استتارهم، الاجتنان: الاستتار عن العيون، ومنه الجنة والجنة ولذلك يقال: روضة الناظر وجنة المناظر. وجنة يعني ما يستتر به المناظر، ({والإنس})، ({وما خلقت الجن والإنس} وهم البشر، سموا بذلك لأن بعضهم يأنس ببعض، فهم لا يعيشون بدون إيناس، ففيه معنى الإيناس والحركة أيضا، لأنه يتحرك بعضهم إلى بعض، ({إلا}) هذه أداة استثناء مفرغ من أعم الأحوال، أي ما خلقت الجن والإنس لأي شيء من الأحوال ولأي شيء من الغايات والحكم إلا للعبادة، وهذا هو معنى الحصر والقصر عند البيانيين، أعلى درجات الحصر والقصر أن يؤتى بما والاستثناء. أعلى الدرجات هذه.." (١)

"أهمية العقيدة

في هذا اللقاء سنبحث ثلاث مسائل: المسألة الأولى: أهمية العقيدة.

المسألة الثانية: أسماء علم العقيدة.

المسألة الثالثة: المسائل الأولية في هذا العلم.

أولا: أهمية العقيدة.

العقيدة: هي من عقد الشيء، ويقال: عقدت الحبل إذا أوثقته، ويقصد به الاعتقاد الجازم الوثيق الثابت الذي لا يدخله شك ولا ريب.

والعقيدة المقصود بها هنا العقيدة الإسلامية، وأهميتها تظهر من كونها أساس الدين وأصل الدين، ولا يتم إيمان العبد ولا يقبل عند الله سبحانه وتعالى إلا بها، ولهذا يقول الله عز وجل: {ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين} [المائدة:٥].

ولهذا كانت هذه العقيدة هي أساس دعوة الرسل، يقول الله عز وجل: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل:٣٦].

وهي مما أمر الله عز وجل به، قال عز وجل: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا} [النساء:63].

وهذه العقيدة هي أساس وجود الإنسان في هذه الدنيا، وهي **الحكمة من** وجوده، قال سبحانه: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦].

---

(١) شرح الأصول الثلاثة للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٣/٨

وهي المهمة الكبرى التي يضطلع بها الإنسان في هذه الدنيا، ولهذا يجب أن نعلم أن الله عز وجل خلقنا في هذه الدنيا؛ لتحقيق هذه العقيدة.." (١)

"أدلة أركان الإسلام

قوله: دليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة} [البينة:٥]، فنلاحظ في هذه الآية أن الصلاة والزكاة ربطت بالتوحيد؛ لأن ترك التوحيد كفر، وترك الصلاة كفر، وترك الزكاة يعتبر من الكفر، وإن كان في المسألة خلاف بين أهل العلم؛ ولهذا قال الله عز وجل: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين} [التوبة:١١] أي: تابوا من الشرك، وقول الله تعالى: {وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين} [التوبة:١١] في سورة التوبة توافق قوله تعالى في سورة البينة: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين} [البينة:٥].

ودليل وجوب الصيام قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام} [البقرة:١٨٣] أي: فرض، {كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} [البقرة:١٨٣]، **والحكمة من** الصيام هي تحقيق التقوى.

ودليل الحج قوله تعالى: {ولله على الناس حج البيت} [آل عمران:٩٧]، واللام هنا لام الاستحقاق، أي: أن الله عز وجل له حق على الناس وهو الحج.

الأمر الثاني: قوله: (على الناس) فإن (على) هنا تدل على الوجوب، وهذا ينبهنا إلى أهمية دراسة اللغة العربية، ودراسة المعاني؛ ولهذا بعض العلماء أفرد كتبا مستقلة في معاني الحروف فقط ومنها: الجنى الداني في حروف المعاني، ومعاني الحروف للرماني، وغيرها من الكتب التي تتحدث عن معاني الحروف فقط؛ لأن أحيانا الحرف الواحد في القرآن قد يأتي بأكثر من ستة عشر معنى، في آية له معنى، وفي آية أخرى يكون له معنى.

فالحرف (على) يدل على الوجوب وعلى الاستعلاء؛ ولهذا استدل بهذه الآية من كفر تارك الحج عمدا إذا استطاعه ومنهم علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وغيرهما، والمسألة فيها خلاف.." (٢)

---

(١) تأصيل علم العقيدة - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٣/١

(٢) تأصيل علم العقيدة - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٩/٣

"**الحكمة من** إرسال الرسل

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى: {رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما} [النساء:١٦٥]، وأولهم نوح عليه السلام].

والدليل على أن أولهم نوح هو حديث الشفاعة وهو أقوى من الدليل الذي ذكره المصنف.

قال المصنف رحمه الله: [وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى: {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده} [النساء:١٦٣]].

ووجه الدلالة من هذه الآية يكون من وجهين: الوجه الأول: قوله: {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح} [النساء:١٦٣]، فبدأ بنوح، فدل على أنه هو الأول، ثم قال: {والنبيين من بعده} [النساء:١٦٣]، فقوله: {والنبيين من بعده} [النساء:١٦٣] يدل على أنه هو الأول والنبيون جاءوا من بعده، كما جاء الحديث عن النبيين بشكل مجمل، أي: أنهم كلهم بعده وهو قبلهم، لكن الدليل الصريح في ذلك حديث الشفاعة؛ لأنهم إذا أتوا إلى نوح يقولون -كما جاء في الحديث-: أنت أول رسول، ففيه تصريح بالأولية.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وكل أمة بعث الله إليها رسولا من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت].

ونحن نلاحظ أن الشيخ دائما يركز على موضوع رسالات الأنبياء، وهو الأمر بالتوحيد، وعبادة الله عز وجل، والكفر بالطاغوت.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [والدليل قوله تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل:٣٦].

ويلاحظ أيضا كثرة ربط كلام الشيخ بالأدلة في كل مسألة من المسائل.." (١)

"أقسام علم التنجيم

علم التنجيم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: ادعاء أن الكواكب فاعلة مختارة، وأن الموجودات في العالم السفلي مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات، وأن الحوادث مركبة من تأثيرها، وهذا كفر بإجماع المسلمين وشرك أكبر بالله العظيم من غير خلاف، وهذا الشرك هو الذي وقع فيه الصابئة عباد الكواكب،

---

(١) تأصيل علم العقيدة - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ١١/٤

وهم الذين بعث فيهم إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل السلام وأتم التسليم، وهذا شرك أكبر، وهو شرك في الربوبية.

القسم الثاني: الاستدلال على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها، ويقولون: إن ذلك بتقدير الله ومشيئته، وإن الله هو المسير وهو المقدر، لكن يستدلون على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب، فإذا سارت الكواكب أو اجتمعت أو افترقت استدل بذلك على وقوع حرب في الأرض، أو زوال دولة أو قيام دولة، أو ولادة عظيم أو موت عظيم، أو وقوع المطر، أو تغير الأسعار، أو ظهور الحر والبرد، أو هبوب رياح عظيمة، أو ما أشبه ذلك، فهؤلاء يقولون: هذا بمشيئة الله وقدرته، وهو الذي خلق ذلك وأوجده وسيره، لكن يستدلون على ذلك بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها، فإذا سارت الكواكب أو اجتمعت أو افترقت استدل بها على حادث يقع في الأرض، وهذا -أيضا- كفر وشرك أكبر؛ لما فيه من دعوى علم الغيب؛ لأن صاحبه يدعي علم الغيب.

وهذا اقتباس من النجوم، وهو داخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد)، فكلما زاد في تعلم علم النجوم زاد في اقتباس السحر.

وقد اختلف المتأخرون في حكم متعلم هذا النوع، والصواب الذي ينبغي القطع به أنه كافر، فمن استدل على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها فهو كافر؛ لما فيه من دعوى علم الغيب، وقد نص الله سبحانه وتعالى على أنه لا يعلم الغيب إلا هو سبحانه فقال تعالى: {وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو} [الأنعام:٥٩]، {قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله} [النمل:٦٥]، {ويعلم ما في الأرحام} [لقمان:٣٤] ومن ادعى علم الغيب كفر، ومسير الكواكب واجتماعها ليس دليلا على علم الغيب، فإنه لا يعلم الغيب إلا عن طريق الأنبياء والرسل، فما أخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم من علم الغيب قبلناه وصدقناه، أما الاستدلال على علم الغيب بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها فهو كفر أكبر، نسأل الله السلامة والعافية.

وهذان النوعان والقسمان من علم التنجيم يسميان عند العلماء بعلم التأثير.

النوع الثالث من علم التنجيم: علم التسيير، فيكون علم التنجيم قسمان: علم التأثير وهو قسمان كما سبق، والثالث: علم التسيير، وهو الاستدلال بمنازل الشمس والقمر على معرفة القبلة، ومعرفة الزوال ليعلم به وقت دخول الظهر، ومعرفة فصول السنة، أو الاستدلال به على معرفة أوقات البذور من الفلاحين، ومعرفة الطرق

في البر أو في البحر حتى يستدل بها المسافرون، كأن ينظر في النجوم فيعرف النجم القطبي؛ لأن النجم القطبي نجم ثابت في جهة الشمال، وإذا تحددت جهة الشمال تحددت بقية الجهات، فيعرف المسافر الطريق ويمشي، ويستدل بالنجوم على معرفة سيره، فيعرف في أي جهة هو، وينظر إلى النجم القطبي فيستدل به، سواء أكان في البر أم في البحر، فهذا جائز عند جمهور العلماء، وهو الصواب، وهو علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر، وشيء يخبرك به الثقات، فتعلم به جهة القبلة، ويعلم به وقت الزوال وأوقات الصلوات، ويعلم به معرفة الطرق، ويهتدي به المسافرون في البر أو في البحر، ويعرف به فصول السنة، فيعرف فصل الربيع وفصل الخريف وفصل الشتاء وفصل الصيف، وتعرف أوقات البذور؛ لأن البذر يختلف، فهناك بذر في وقت الصيف، وبذر في وقت الشتاء، وبذر في وقت الخريف، فتنظر في النجوم حتى تعرف أوقات البذر، فهذا لا بأس به عند جمهور العلماء، وهو الصواب، قال الله سبحانه: {هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون} [يونس:٥].

فهذا يسمى علم التسيير عند أهل العلم، وهو تعلم منازل الشمس والقمر، والنظر في النجوم؛ ليستدل بذلك على معرفة جهة القبلة حتى يصلي المرء، أو يستدل بذلك على معرفة زوال الشمس، فإذا كانت الشمس أمامك فإنه تصلي، وإذا كانت بين الحاجبين فوقع وقت العصر فإنك تصلي، وتنظر في الشمس حتى تعرف جهة القبلة، وتعرف وقت الزوال، وتعرف أوقات فصول السنة، وأوقات البذر للفلاحين، وطرق المسافرين في البر أو في البحر أو في الجو، فالطيار في الجو قد يستدل بالنجوم، فهذا جائز عند جمهور العلماء، وهو الصواب.

وذهب بعض العلماء إلى المنع منه، ومنهم قتادة بن دعامة السدوسي وسفيان بن عيينة، ذكر ذلك حرب الكرماني في مسند الإمام أحمد عنهما، وأنهما منعا من علم التسيير.

ورخص في تعلم المنازل الإمام أحمد رحمه الله وإسحاق بن راهويه، وهو رأي جمهور العلماء وهو الصواب.

أما القول بأنه ممنوع فهو قول ضعيف؛ لأنه لا محذور فيه، ولأن الحاجة ماسة إلى معرفته، ولأن الفائدة ظاهرة، بل قد يضطر الإنسان إلى معرفته، بل قد يؤمر الإنسان بالنظر في الشمس والقمر والنجوم حتى يعرف جهة القبلة إذا أراد أن يصلي، ويعرف وقت الزوال، وكذلك المسافر ينظر في النجوم حتى يعرف جهة سيره في البر أو في البحر، وهذه فائدة محضة لا محذور فيها، ولهذا يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله

مبينا خلاف العلماء في هذا: والمأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير؛ فإنه باطل محرم قليله وكثيره، وأما علم التسيير فتعلم ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق جائز عند الجمهور، وما زاد عليه لا حاجة إليه؛ لشغله عما هو أهم منه، وربما أدى تدقيق النظر فيه إلى إساءة الظن بمحاريب المسلمين، كما هو واقع من أهل هذا العلم قديما وحديثا، وذلك يفضي اعتقاده إلى خطأ المسلمين في صلاتهم.

انتهى كلام الحافظ ابن رجب رحمه الله.

إذا: الحافظ ابن رجب رحمه الله يحكي الخلاف في هذا، ويقول: المأذون في تعلمه علم التسيير، أما علم التأثير فإنه باطل محرم قليله وكثيره، وقد سبق أن علم التأثير ينقسم إلى قسمين: إدعاء أن الكواكب فاعلة مختارة، أو ادعاء علم الغيب عن طريق سير الكواكب واجتماعها وافتراقها.

قال: وأما علم التسيير فتعلم ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق، ومعرفة القبلة والطرق جائز عند الجمهور، وما زاد عليه لا حاجة إليه، لشغله عما هو أهم منه، فكون الإنسان يتعمق في معرفة منازل الشمس والقمر والنجوم شيء زائد عن الحاجة يشغل عما هو أهم.

قال: وربما أدى تدقيق النظر فيه إلى إساءة الظن بمحاريب المسلمين، كما هو واقع من أهل هذا العلم قديما وحديثا، وذلك يفضي اعتقاده إلى خطأ المسلمين في صلاتهم.

وهذا واقع الآن، فبعض الناس يتشدد إذا أراد أن يحدد جهة القبلة بالبوصلة بالشعرة، فيقول: هذه جهة القبلة، حتى إن بعض الناس قال: إن كثيرا من المساجد الآن مائلة عن جهة القبلة؛ لأنه ينظر إلى البوصلة بالدقة، وهذا تشديد لا وجه له؛ لأن ما بين الشمال والجنوب قبلة والحمد لله، وما بين المشرق والمغرب قبلة لأهل المدينة ونحوهم، فالميل اليسير والانحراف لا يضر، فإذا كانت القبلة عندنا في مدينة الرياض على أربعة عشر، فمالت القبلة إلى خمسة عشر أو ثلاثة عشر فذلك لا يضر.

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: إن التعمق وتدقيق النظر في علم التسيير قد يؤدي إلى محذور، وهو إساءة الظن بمحاريب المسلمين، كما هو واقع من أهل هذا العلم قديما وحديثا، فبعض الناس يتعمق وينظر إلى القبلة بالشعرة، فيرى القبلة مائلة عن أربعة عشر فيقول: القبلة مائلة، والقبلة ليست بصحيحة، هذا معنى قول الحافظ ابن رجب: وربما أدى تدقيق النظر فيه إلى إساءة الظن بمحاريب المسلمين، وذلك يفضي اعتقاده إلى تخطئة المسلمين والعلماء السابقين والمسلمين في صلاتهم، يقول: مضت مئات السنين أو مائة سنة والمسجد هذا مائل عن القبلة، فالمسلمون الذين سبقوا أخطئوا في صلاتهم، هذا مراد الحافظ

ابن رجب رحمه الله.

إذا: لا ينبغي التشدد في مثل هذا، فقد قال بعض الناس: كل المساجد القديمة مائلة عن جهة القبلة، وهذا غلط، فليست مائة عن جهة القبلة؛ إذ القبلة ما بين الجهتين، والميل اليسير لا يضر، إنما الذي يضر أن تستقبل الشمال أو تستقبل الجنوب وتنحرف انحرافا واضحا، أما كون الإنسان يقول: أن القبلة بالدقة وبالشعرة والدبوس لا تميل عن أربعة عشر فهذا غلط.

وعلى كل حال فإن هذه النجوم خلقها الله سبحانه وتعالى وجعلها علامات يهتدى بها، كما قال الله تعالى: {وعلامات وبالنجم هم يهتدون} [النحل:١٦] وخلقها الله زينة للسماء ورجوما للشياطين، فلا ينبغي للإنسان أن يتجاوز هذا الحد ويستدل بها على دعوى علم الغيب، فهذا باطل، بل كفر وردة، ولهذا قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف مالا علم له.

وهذا كلام سديد وجيد، وهذه الثلاث التي ذكرها قتادة رحمه الله دل عليها القرآن، فهي زينة للسماء ورجوم للشياطين، قال الله تعالى: {ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين} [الملك:٥]، فهذان أمران، وعلامات يهتدى بها، قال الله تعالى: {وعلامات وبالنجم هم يهتدون} [النحل:١٦]، فهذه الحكمة من خلق النجوم: زينة ل." (١)

"تعريف الإيمان والإسلام إذا اجتمعا

قلنا: الإيمان لغة: التصديق، وشرعا له حالتان: الأولى: إما أن يأتي مفردا، فبالتالي يشمل كل أمور الدين، والحالة الثانية: أن يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام، وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل وما في معناه، وكما في قول الله عز وجل: {الذين آمنوا وعملوا الصالحات} [البقرة:٢٥]، حيث اقترن الإيمان بالعمل الصالح، فدل على أن الإيمان هو الأمور الباطنة، وكما في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعاء الجنازة: (اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان)، وما الحكمة في التعبير عن الشخص الحي بالإسلام، والمتوفى بالإيمان؟ الحكمة أن الإسلام إذا كان مجرد الأعمال الظاهرة كالصلاة والصيام والحج والزكاة إلى آخره، فعند الوفاة وعند خروج الروح لا يوجد متسع لعمل البدن، وإنما يوجد متسع لأعمال القلب، وأن يموت على الإيمان الكامل، فالأعمال المتعلقة بالجوارح

---

(١) دروس في العقيدة - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٧/١٠

إنما يتمكن منها في الحياة، فأما عند الموت فلا يبقى غير قول القلب وعمله، لحديث أنس عند أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الإسلام علانية، والإيمان في القلب).

فهنا اجتمعا في النطق فيفترقان في المعنى.

الحاصل: أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ، بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله، وإن فرق بين الاثنين كان الفرق بينهما بما في هذا الحديث: (الإسلام علانية والإيمان في القلب).

والمجموع مع الإحسان هو الدين، أي: أن الإسلام مع الإيمان مع الإحسان هو الدين، كما سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله دينا فقال: (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم).

وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التي فيها تفسير الإيمان بالإسلام، والإسلام بالإيمان.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث جبريل عليه السلام وسؤاله عن الإسلام والإيمان، وتفريق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما، وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان، فإنه يتضح بتقرير أصل، وهو: أن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن الاسم بغيره صار دالا على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال على باقيها.

كالفقير مع المسكين، إذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها، فهكذا اسم الإسلام والإيمان.

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى: ما أكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة، فأما الزهري فقال: الإسلام الكلمة، والإيمان العمل، واحتج بقوله تعالى: {قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم} [الحجرات:١٤]، وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد، واحتج بقوله تعالى: {فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين} [الذاريات:٣٥ - ٣٦].

يقول الخطابي: والصحيح أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الأحوال، ولا يكون مؤمنا في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا، يعني: كما فعل بعض السلف: نرسم دائرة كبيرة تمثل الإسلام، وفي داخلها دائرة أصغر منها هي دائرة

الإيمان، فكل من كان في دائرة الإيمان فهو أيضا داخل في دائرة الإسلام، لكن ليس كل من كان في دائرة الإسلام يكون في دائرة الإيمان، فمن خرج عن الإيمان بقي في دائرة الإسلام، وقد يخرج عن الإيمان بالمعاصي، ولا يخرج عن الإسلام إلا بالكفر، فالمعاصي تخرج من الإيمان إلى الإسلام، والأحاديث معروفة في ذلك، مثل: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)، نعم الإيمان موجود في قلبه، والتصديق بأن هذا الفعل حرام، لكن يغيب عنه حضور هذا الشعور، وتجنب هذا الذنب ساعة هذا الفعل، فيخرج الإيمان من قلبه ولا يبقى في قلبه، فإذا نزع وتاب دخل ثانية في الإسلام.

يقول: وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات، واعتدل القول فيها، ولم يختلف شيء منها.." (١)

"عقيدة ابن حنبل في ضرب الأمثال بالسنة

قال: [وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال].

أي: إذا أخبرتك بحديث فلا تقل لي: لكن المثل يقول كذا! طيب ما هو رأيك لو عملنا كذا! طيب العقل يقول كذا! والكتاب يقول كذا! أبدا هذا كلام لا يجوز أبدا لمسلم أن يتفوه به في مقابل السنة الصحيحة، وهي لا تدرك بالعقول ولا الأهواء، ولكن بالاتباع وترك الهوى.

فلو أننا -مثلا- نظرنا إلى قول النبي عليه الصلاة والسلام: (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر). وعرضنا هذا النص على العقل فإنه لا يقبله.

والحوض الذي طوله مثل عرضه، ومسيرته مسيرة شهر، لا يقبله العقل كذلك، ومسائل كثيرة جدا من أمور الغيب، لو عرضناها على العقل فإنه لا يقبلها، كعذاب القبر، ومشاهد يوم القيامة، والجنة والنار، وغيرها من المغيبات، ولذلك لو كان الدين بالعقل لرددناها، والعرض على العقول ليس منهجا لأهل السنة، وإنما هو منهج المعتزلة، ولذلك جعلوا العقل هو الميزان الأعظم الذي توزن به الأعمال، بل أقول: الذي توزن به النصوص، فإذا وافق النص بعد عرضه على العقل العقل أخذوا به وقالوا به؛ لأنه يدخل في حد عقولهم، وإذا خالف النص العقل ردوه، أو أولوه تأويلا يتناسب مع العقل، أما أهل السنة فإن ظهرت لهم **الحكمة من** كلام الله ومن كلام رسوله فخير ونعمة، وإن لم تظهر لهم آمنوا به وسلموا دون نزاع وجدال وخصومات.." (٢)

---

(١) سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٤/٦

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ٨/١١

"**الحكمة من** تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله

Q قال تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس} [آل عمران:١١٠] الآية، فما **الحكمة من** تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله؟

A سؤال لطيف، الله تعالى يقول: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله} [آل عمران:١١٠]، فأخر الإيمان وقدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما السياجان اللذان يحيطان بالإيمان ويحفظانه، فأمة ليس فيها أمر بالمعروف ولا نهي عن المنكر لابد أن يضيع فيها الإيمان، فقدم المولى تبارك وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنهما السياجان اللذان يحيطان بالإيمان ويحافظان عليه.

وأنتم تعلمون بداهة: أن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو ليس من أهل الإيمان والإسلام لا يقبل منه ذلك، فالكافر لو أمر بالمعروف ونهى عن المنكر يكافئه الله عليه بزينة الحياة الدنيا، لكن في الآخرة ليس له نصيب، ولا يقبل الله تبارك وتعالى منه ذلك العمل؛ لأنه عديم الإيمان، وعديم الإسلام والتوحيد.." (١)

"**الحكمة من** العمل مع أن الأمور مقدرة ومفروغ منها

وابن أبي العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية يقول عند قول الإمام الطحاوي: وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله.

أي: أن كل ميسر لما خلق له من السعادة أو الشقاوة، ولذلك في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له).

ولذلك فإن أكثر من واحد قال للنبي عليه الصلاة والسلام: (يا رسول الله! أرأيت ما بقي لنا من أعمالنا وعمرنا شيء قد سبق وقد كتبه الله عز وجل، أو شيء مستأنف؟ قال: بل شيء سبق -أي: مكتوب ومعلوم لدى الله عز وجل- قال الصحابي: (ففيم العمل إذا؟) أي: إذا كانت الأمور معلومة لدى الله عز وجل ومقدرة ومكتوبة؛ فلماذا نعمل؟ فكل واحد إذا يركن على المكتوب.

فنقول: تشتغل لأنك لا تدري أأنت من أهل الشقاوة، أو أنك من أهل السعادة، فابذل جهدك لأن تكون من أهل السعادة، والله تبارك وتعالى ييسر لك بحرصك على الطاعة أمر الطاعة، ولو أنك تركت الطاعة

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ٢٤/٢٢

وحرصت على المعصية؛ سهلها لك؛ لأنك نفسك تميل إلى المعاصي، فهناك نفوس خبيثة تميل إلى الخبيث، وهناك نفوس طاهرة نظيفة مؤمنة إذا سمعت بمعصية فرت منها فرارها من الأسد، وهرولت وأسرعت إلى طاعة الله عز وجل.

فهناك من إذا فاتته تكبيرة الإحرام يتفطر قلبه حزنا، وهناك من إذا أجبرته على الدخول إلى المسجد فإنه لا يصلي، ولو كان اسمه محمدا، أو أحمد، أو عبد الله، أو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ويشابه اسم النبي عليه الصلاة والسلام، فهناك نفوس خبيثة ونفوس طيبة، فهذا كله بقدر الله، لكن الله تعالى يسر لهذا لأنه علم منه أزلا أنه لا يميل إلى الطاعة، وخلق الله النار لحكمة.." (١)

"عدل الله تعالى **والحكمة من** خلق الجنة والنار

فتصور أنك رجل مؤمن موحد مطيع لله عز وجل، وجارك رجل عاص وفاسق وزنديق وغير ذلك، لو أتيتما يوم القيامة والله تعالى أدخلكما جميعا الجنة فستقول: ما هي القضية؟! وهذا لا يحصل؛ لأن الله خلق الجنة وخلق النار لحكمة عظيمة، فهل مآل هذا المشرك المعرض العاصي الجاحد الجنة؟ وهل أهل الجنة يقفون على الباب والعصاة يدخلون الجنة؟ لا، لا بد للكفرة من عقاب، وعقابهم أن يدخلوا النار.

والذي يهزأ ويسخر، بل ويعذب المؤمنين الموحدين؛ لا يهنأ قلبك حينما يكون بجوارك في الجنة؟ فهو لن يدخلها، ولا بد له من عذاب وعقاب.

ولا بد أن تعتقد أن ما عند الله عز وجل من خيرات هي أعظم مما في أيدي العباد من خيرات، وما عند الله كذلك من عذاب وعقاب هو أشد وأبقى، فهناك من عنده روح الانتقام، ولا يحب أن يفوت صغيرة، فعندما يغلط عليه واحد لا بد أن يتشفى منه، ولا يقر له قرار إلا بعد أن يأخذ حقه، فالله بقادر على أن يأتي به يوم القيامة، والله يقدر على مثل ذلك بمئات المرات، فلماذا أنت متضايق؟ ففوض أمرك إلى الله عز وجل، واصبر واحتسب، فالصبر عبادة، وقد فرضه الله على عباده {والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر} [العصر: ١ - ٣]، فالحق عبادة، والصبر أيضا عبادة.

وهذه العبادة تستخدمها وقت الضعف، وأما في وقت القوة فتستخدم الحق؛ لأنك ستكون لك صولة وجولة ونجدة وغير ذلك حينما تكون في زمن القوة، فعندها تستخدم الجهر والصدع بالحق وغير ذلك، وكل

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ٧/٣٥

الذي يقابلك في الطريق يعطلك عن هذه الدعوة خذه في طريقك، ولذلك نجد الإسلام حينما كانت له دولة وشوكة كان النبي عليه الصلاة والسلام يبعث الجيش إلى أي بلد من البلدان ليغزوها، أو يفتحها، أو يدعوها فإنه يخيرهم بين ثلاثة أشياء.

إما أن تسلموا وتدخلوا معنا في الدين، فلكم ما لنا وعليكم ما علينا فليس هناك فرق بيننا وبينكم.

وإما أن تبقوا على ديانتكم ولكن لا بد أن تأذنوا لنا في الدخول، فإذا أذنتم ولم تدخلوا في الدين فادفعوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون.

والواحد منا الآن حينما يسمع هذه الآية قلبه يتقطع فيقول: نحن صاغرون في هذا الوقت، يقول الإمام ابن تيمية: ولو أن اليهود والنصارى علوا وحاصروا المسلمين في ثغر أو بلد، وأمروهم بدفع الجزية وإلا أريقت دماؤهم؛ كان واجبا على المسلمين أن يدفعوا الجزية، وأصبحت الجزية على المسلمين بعد أن كانت مفروضة على رقاب النصارى واليهود، وليس هذا فحسب، وإنما أيضا يدفعونها بذلة فيدفعونها وهم صاغرون، أي: أن زعيمهم وعمدة بلدهم يأتي بالجزية فتقول له: اذهب وخذها معك وهاتها غدا، ثم يأتي في الغد فتقول له: خذها وأرجعها في الشهر القادم، وتذله وتذل أنفاسه، وأما الآن فنحن في ذلة؛ وهذا إنما هو بسبب بعدنا عن الكتاب والسنة.." (١)

"القدر سر الله في خلقه فلا يتعمق فيه

ثم قال الطحاوي: وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، أي: الذي يظل يجادل ويناظر في القدر، ويقول: لماذا فعل الله كذا؟ ولماذا لم يفعل كذا؟ وما هي الحكمة من كذا؟ فهذا يدل على أن العبد هذا مخذول، فالخير كل الخير في اتباع من سلف، والسلف لم يكونوا يعملون هذا، فالسلف ممسكون تماما عن الكلام في القدر، فما الذي يمنعنا أن نمسك عن القدر، ونؤمن به خيره وشره! قال: والتعمق والنظر في ذلك -أي: في القدر- ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه -أي: عن خلقه-، ونهاهم عن مرامه -أي: عن مقاصده وغاياته-

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ٨/٣٥

كما قال الله تعالى في كتابه: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء:٢٣]، فمن سأل: لم فعل الله كذا؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين.." (١)

"ذكر ما روي في تفسير قوله تعالى: (فألهمها فجورها وتقواها)

فالله عز وجل هو الخالق الواجد للخير والشر؛ لأنه لا يقع في ملكه إلا ما أراد وشاء، وأما العبد فهو المكتسب لفعل الشر، وهو كذلك المكتسب لفعل الخير، والله عز وجل يتمنن على عباده أحيانا بالخير والفضل والثواب دون عمل ودون سبب، ويتمنن عليهم بالخير والفضل والثواب بسبب العمل.

وهنا سيذكر الأدلة في إثبات وبيان أن الله تعالى خالق للخير والشر جميعا.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [سياق ما روي في تفسير قوله تعالى: {فألهمها فجورها وتقواها} [:٨].

قال أبو الأسود الدؤلي: قال لي عمران بن حصين: أرأيت ما يعمل الناس ويتكادحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم، وثبتت به الحجة عليهم؟ قال: قلت: بل شيء مضى عليهم -أي: شيء مكتوب أزلا- قال: فهل ذلك ظلم؟ -أي: فهل ذلك المكتوب الذي كتبه الله تعالى ظلم وعدوان على العبد؟ - ففزعت منه فزعا شديدا فقلت له: ليس شيء إلا خلقه وملك يده، {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء:٢٣].

قال: سددك الله! إنما سألتك لأحزر عقلك -أي: لأختبر ذكاءك- إن رجلا من مزينة أو جهينة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا رسول الله! أرأيت ما يعمل الناس ويتكادحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر سبق، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم، وأقيمت عليهم الحجة في دينهم؟ فقال: بل في شيء مضى عليهم، قال: ففيم العمل؟ -أي: لم نعمل إذا إذا كان كل شيء مكتوب أزلا؟ - قال: من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين -أي: للجنة أو النار- يهيئه لها، تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل {ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها} [الشمس:٧ - ٨])].

أي: فجبلها على الطاعة أو جبلها على المعصية بعلمه السابق الأزلي أن هذا العبد إنما يختار طريق الطاعة، أو يختار طريق المعصية، وإلا فالله عز وجل قادر على أن يجعل العباد جميعا على قلب أتقى رجل واحد، وقادر كذلك على أن يجعلهم جميعا على قلب أفجر رجل واحد، ولو شاء الله عز وجل لهدى الناس جميعا، ولو شاء لأضلهم جميعا، لكن هذا على غير مقتضى الحكمة من الخلق، والله تبارك وتعالى

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ١١/٣٥

موصوف بالحكمة ومتسم بها، فلو خلق الله جميع الناس كلهم مؤمنين؛ فمن ذا الذي يعرف الكفر أو الشرك؟ وما فائدة خلق النار هنا؟ قال: [وعن الحسن في هذه الآية: {فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها} [الشمس:٨ - ١٠]].

في الحقيقة هذه الآية محل نزاع في عود الضمير فيها: هل يعود على الله عز وجل، أو يعود على صاحب النفس في قوله: {قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها} [الشمس:٩ - ١٠] أي: قد أفلحت نفس زكاها الله عز وجل، وقد خابت نفس دساها الله عز وجل، هذا معنى، وهو الراجح، وهو مذهب جماهير المفسرين.

والمعنى الثاني: أن ذلك دعاء لصاحب النفس وعلى صاحبها بأنه هو الذي زكاها، وهو الذي دساها زكاها بالطاعة، ودساها بالمعصية، فيكون التقدير، قد أفلح عبد زكى نفسه، وقد خاب عبد دس نفسه بالمعصية.

[وعن الحسن قال: قد أفلحت نفس اتقاها الله عز وجل، وقد خابت نفس أغواها الله عز وجل].

إذا: فالله تبارك وتعالى هو واهب التقوى، وهو باعث الضلال والشقاء، بمعنى أنه هو الذي أذن في وجوده وخلقه، وترتب في العبد لعلم الله تعالى الأزلي أن هذا العبد سيختار طريق التقوى أو طريق المعصية.

فحينما علم الله عز وجل من عبده سلفا وأزلا أنه يختار طريق الطاعة حتى يموت عليها؛ أذن له في دخول الجنة، وجعله من قسمها، وحينما علم أن عبده الآخر لا يقبل الطاعة، وإنما يقيم على المعصية ويميل إليها، ويعملها ولا يتوب منها؛ جعله من قسم النار وهيأه لهذا العمل، وإلا فما فائدة بعث الرسل وإنزال الكتب؟ والله عز وجل أخذ الميثاق الأول على بني آدم حينما أخرجهم جميعا من صلب آدم: أن يكونوا موحدين لا مشركين، وأقروا بذلك، فالله عز وجل أرسل بعد ذلك الرسل والأنبياء ليذكروا العباد فقط بذلك الميثاق الغليظ، وهو أعظم ميثاق على الإطلاق، ألا وهو ميثاق الإيمان والتوحيد.

قال: [وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قول الله عز وجل: {قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها} [الشمس:٩ - ١٠] يقول: قد أفلح من زكى الله نفسه، وقد خاب من دس الله نفسه].

وهذا يدل على أن التزكية والطهارة والنقاء والتقوى من الله، كما أن الدس والضلال والحيرة والتيه من الله عز وجل.

إذا: فيكون الله تعالى هو الخالق للخير والشر.." (١)

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ٤/٣٦

"حديث: (سيكون في أمتي قوم يكفرون بالله)

قال: [عن عطاء بن أبي رباح: كنت عند سعيد بن المسيب جالسا فذكروا رجالا يقولون: إن الله قدر كل شيء ما خلا الأعمال].

أي: أن كل شيء من قدر الله إلا الأعمال.

وتصور حينما يسمع البخاري عليه رحمة الله شيئا كهذا، فينتفض وينبري قلمه للرد على من اعتقد ذلك بتأليف كتاب كامل مسند اسمه: (خلق أفعال العباد)؛ ليرد على هؤلاء الذين يقولون: إن الله عز وجل قدر كل شيء إلا الأعمال.

قال عطاء: [فوالله ما رأيت سعيدا غضب غضبا أشد منه حتى هم بالقيام.

فقال: ثم سكت.

ثم قال: تكلموا به؟ أما والله لقد سمعت فيهم حديثا كفاهم به شرا، ويحهم لو يعلمون! قال: قلت: رحمك الله وما هو؟ قال: حدثني رافع بن خديج أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (سيكون في أمتي قوم يكفرون بالله وبالقرآن وهم لا يشعرون)].

إذا: فالذي ينكر القدر ولو في جزئية من جزئياته فإن حكمه أنه كذب الله، وكفر بالله، وكفر بكلام الله عز وجل، وهو القرآن والسنة.

[قال: قلت: (يقولون ماذا يا رسول الله؟)].

أي: ما هو سبب كفرهم هذا؟ [(قال: يقولون الخير من الله، والشر من إبليس)].

وفي هذا الزمان الكثير من الناس يقولون هذا، والقدرية يقولون هذا، بل هم أصل هذا البلاء، [(يقولون: الخير من الله، والشر من إبليس، ويقرءون على ذلك كتاب الله، ويكفرون بالله وبالقرآن بعد الإيمان والمعرفة، فما تلقى أمتي منهم من العداوة والبغضاء، ثم يكون المسخ فيهم عاما، أولئك قردة وخنازير، ثم يكون الخسف قل من ينجو منهم)]، أي: أن المسخ والخسف قائم في الأمة، وهذا من علامات الساعة، والمسخ أن يمسخ البشر قردة وخنازير على الحقيقة، وهذا مذهب من المذاهب، وأن الإنسان يتحول إلى خنزير أو يتحول إلى قرد، وذلك كعقوبة من الله عز وجل لا أن أصل الإنسان قرد، وإنما يتحول بعد أن يخلقه الله تعالى آدميا مكرما معززا، فيعيش في وحل المعاصي، فالله تبارك وتعالى يعاقبه بأنه يجعله قردا أو خنزيرا.

وإذا كان هذا المسخ على الحقيقة -وهو مذهب كثير من أهل العلم- فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: صعدت جدارا قد مسخ الله تبارك وتعالى أهل هذا الجدار بسبب معاصيهم، فلما نزلت على سلم أقبلوا إلي، إذ إنهم يعرفونني ولا أعرفهم.

لأنهم خنازير وقردة.

ولذلك فهذا مذهب كثير من أهل العلم أن المسخ حصل على الحقيقة في صدر هذه الأمة، والسند إليه فيه نزاع، والراجح أنه حسن، ذكره الحافظ ابن كثير، وذكر كلاما كثيرا جدا وعظيما حول تفسير المسخ.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: (لا يسبق أحدكم الإمام فإن من سبق إمامه حول الله رأسه رأس حمار، وصورته صورة حمار).

والحديث في صحيح البخاري ومسلم.

قال الإمام النووي: وما المانع أن يحول الله تعالى رأسه رأس حمار على الحقيقة، فيكون بدنه بدن آدمي ورأسه رأس حمار؛ لأن العقوبة وقعت على الرأس دون غيره كما في الحديث، ولأن أول ما يتحرك من المأموم رأسه، وهو الذي يفكر به، فالله تبارك وتعالى يمسخه ويجعله في صورة حمار على الحقيقة.

قال: وربما قصد بذلك مسخه من جهة الفكر والحس، فيكون بليدا كالحمار.

ولو كانت القضية هكذا لامتسخت معظم الأمة والله العظيم، فهو لا يمكن أن يكون هذا دين الله عز وجل الذي نحياه الآن، وهذه حياة المسلمين تعج ليلا ونهارا بالمعاصي، فهل هذه الحالة الآن يرضاها الله عز وجل أم هي دينه، أو ربع دينه؟ لا يمكن، بل ولا جزء من مليون جزء من دين الإسلام الذي نحن عليه الآن.

إذا هذه الأمة ممسوخة، وامش مع واحد تجده يمشي مع امرأته على اليمين وبناته على الشمال عاريات كما لو كانوا يمشون في شوارع نيويورك وأمثالها، ويتبجح ويتحامق ويقول إنه مسلم، أو أنه موحد.

وآخر يفرغ من صلاة الجماعة ثم يجد امرأته تنتظره في السيارة عريانة! ألم تكن قبل قليل تعبد الله عز وجل؟ إن الذي أمرك أن تعبده أمرك أيضا أن تستر امرأتك.

فيقول لك: أنا حر في امرأتي! فلها أن تمشي عريانة، فالذي أمرك بالصلاة هو الذي يأمرها أن تأمر امرأتك بالحجاب والنقاب، ثم يقول لك: لا تأتي بسيرة امرأتي فهي شريفة! إلى غير ذلك من حماقة وجهل وقلة أدب وسفالة.

وعندما تأتي لمناقشته في عقيدته تجده زبالة القوم وحثالة القوم، فتجده لا يقع إلا على كل ساقطة ولاقطة، فهذا واحد يقول: ليس هناك شفاعة في الإسلام، فيوافقه آخر فيقول: هذا كلام منطقي.

وآخر يقول: ليس هناك عذاب قبر، فيوافقه آخر أيضا فيقول: صحيح.

وهل هناك عذاب في الدنيا وفي الآخرة؟! وآخر يقول: لا وجود للملائكة، فنحن لا نؤمن بالملائكة إلا بملك نراه.

فيقول: صحيح.

وما هي **الحكمة من** إخفاء الله عز وجل لملائكته؟! فتصور أن هذه هي حال المسلمين! وقل أن تجد رجلا في الأمة كما أراد الله عز وجل وخاص." (١)

"سياق ما فسر من كتاب الله عز وجل من الآيات في الحث على الاتباع وأن سبيل الحق هو السنة والجماعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [سياق ما فسر من كتاب الله عز وجل من الآيات في الحث على الاتباع؛ وأن سبيل الحق إنما هو اتباع منهج أهل السنة والجماعة] أي: الأدلة من كتاب الله عز وجل على أن الطريق المستقيم هو طريق أهل السنة والجماعة: جاء ذلك [عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا} [المائدة:٤٨] قال: سبيلا وسنة].

يعني: طريقا واحدا وسنة واحدة.

قال: [وعن الحسن البصري رحمه الله في قول الله تعالى: {ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها} [الجاثية:١٨] قال: الشريعة هي السنة].

قال: [عن عطاء في قول الله عز وجل: {الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته} [البقرة:١٢١] قال: يتبعونه حق اتباعه، ويعملون به حق عمله].

قال: [عن الحسن في قوله تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} [آل عمران:٣١] قال:

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ١٥/٣٨

وكانت علامة حبه إياهم -أي: علامة حب الله تعالى لهم- اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم].

قال: [عن سفيان بن عيينة: أنه سئل عن قوله عليه الصلاة والسلام: (المرء مع من أحب)] والحديث في الصحيحين.

سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن الرجل يحب القوم ولما يعمل بعمله، يعني: يحب أبا بكر وعمر وعثمان كما ورد من حديث أنس بن مالك، ولكنه في العمل لم يلحق بهم، ولم يعمل مثل عملهم: (أين هو يا رسول الله! قال: النبي عليه الصلاة والسلام: المرء مع من أحب).

أما سفيان بن عيينة فقال: ألم تسمع قوله تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} [آل عمران:٣١].

قال: يقربكم الحب من الرب تبارك وتعالى.

وقال في قوله تعالى: {ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين} [آل عمران:١٤٠].

قال: لا يقرب الظالمين.

إذا: الله تبارك وتعالى يقرب المحبين، يقرب المتبعين، ويبعد الظالمين.

قال: [وعن الحسن في قوله تعالى: {ويعلمهم الكتاب والحكمة} [البقرة:١٢٩]، قال: الكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة].

وغير واحد من السلف فسروا **الحكمة في** القرآن بأنها السنة.

قال: [وعن قتادة وعن سعيد بن جبير في قول الله تعالى: {وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى} [طه:٨٢]، قال: ثم استقام -الهدى هي الاستقامة- وقال: والاستقامة هي لزوم السنة والجماعة].

لم سمي أهل السنة بأهل السنة والجماعة؟ أولا: سموا بأهل السنة؛ لأنهم يتبعون السنة ويلتزمونها.

وسموا بالجماعة؛ لأنهم اجتمعوا على ذلك، اعتقادا وعلما وعملا، وسموا أهل السنة بالتزامهم السنة، وعدم خروجهم عنها، وسموا الجماعة؛ لأنهم اجتمعوا على هذا المعتقد، واجتمعوا على هذا العلم وهذا العمل.

قال: [وعن شمر بن عطية في قوله تعالى: {وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى} [طه:٨٢].

قال: لمن تاب من الشرك وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأدى الفرائض ثم اهتدى للسنة.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: {يوم تبيض وجوه وتسود وجوه} [آل عمران:١٠٦].

قال: فأما الذين ابيضت وجوههم فهم أهل السنة والجماعة وأهل العلم، وأما الذين اسودت وجوههم فأهل

البدع والضلالات.

وعن عطاء في قوله تعالى: {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} [النساء:٥٩].

قال: هم أولو العلم] ومن طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة؛ لأن بعض الناس يتصور أن طاعة الرسول هي اتباع السنة فقط، كما أن بعض الناس وهم القرآنيون اعتبروا أن طاعة الله هي اتباع القرآن فقط، مع أن القرآن أمر بطاعة الرسول فكيف نطيع الرسول هنا؟ فالقرآن والسنة متلازمان من جهة التشريع لا يمكن أبدا فك أحدهما عن الآخر.

لو أنك قلت: أنا أثري وأنا ألتزم الأثر فقط دون القرآن لكفرت قولا واحدا.

وإذا قلت: أنا قرآني فقط، ولا أعتبر إلا القرآن، فقد تجد في السنة التحذيرات الكثيرة والتهديدات والتوعيدات الكثيرة في الرد إلى كتاب الله، وإلى سنة النبي عليه الصلاة والسلام، ف." (١)

"ما يفعله من عصى الله ثم أراد التوبة وطلب العلم

Q ماذا يفعل من كان في أول سن البلوغ والمراهقة ومارس مع الصبية والفتيات الأقارب الفحشاء في نهار رمضان، علما بأنهم كانوا ممسكين، ولكنهم مارسوا الفحشاء، حيث لم يكونوا يعلمون بمدى حرمة ذلك، ولا عقوبته، وإن كانوا يعلمون بفطرتهم أن ذلك حرام، فهل يفسد صيامهم، وعليهم إعادة؟ مع العلم أن ذلك تكرر خلال رمضانين، وقام أحدهم -عندما نوى التوبة- بحصر الأيام التي فعل فيها ذلك وصام أغلبها، ولضعف بدنه وفتور صحته فدى عن الباقي، وأقلع عن تلك الأفعال ومصاحبة هؤلاء الأقارب، وكان ذلك منذ أربع سنين تقريبا، ولكن لا زال ألم المعصية يقلقه ويريد القول الفصل في ذلك، فهل يكفيه ما فعل، وإن لم يكن فأين السبيل يرحمكم الله، وماذا يفعل من يريد التخلص من مظلمة عرض مع العلم أن صاحبها ذو قرابة، وإن صارحه بذلك قد تنقطع صلة الرحم ولا يعفو إلا قليلا، وأن **الحكمة في** سؤالهم العفو وابتغاء وجه الله ويحدث ما يحدث أم ماذا؟ والذي يريد طلب العلم مع العلم بفقره الواضح، وأن أهله وأبويه يضطرونه لجلب المال، هل عليه أن يستجيب لهم وينعزل في المنزل بعد ذلك للقراءة حتى يتيسر الحال، أم يضرب بهم عرض الحائط، ويتفرغ لطلب العلم، خاصة وأن جهله قد أورده الموارد؟ أسألك بالله أن تكون بي رفيقا في الجواب، فإني لا أهنأ بعيش ولا بنوم وأشعر أنني من كثرة ذنوبي أن توبتي لن تقبل، وأنني سأصير بعد حياتي هذه والعياذ بالله حطبا لجهنم، فأرجو مراعاة إقبالي على ربي وحالتي النفسية، وبم

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي – حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ٢/٥

تنصحني لأجتنب حياة الفساد وأحيا حياة كريمة؟

A على أية حال هذه الرسالة تشير إلى توبة صاحبها، فهنيئا له أنه يتقلب بالليل والنهار ألما، فهذا يدل على صدق التوبة والأوبة والرجوع إلى الله عز وجل، ولكن سؤال السائل ينقسم إلى عدة أمور: الأمر الأول: أنه وقع في الفحشاء، والواضح من قراءة الرسالة بتمامها أنه وقع في الزنا، فإن تكرر منه هذا فإجماع أهل العلم أن كل زنا يحتاج إلى كفارة، ولا تجزئ كل كفارة واحدة لمجموعة من الوقائع أو الفحشاء، فعلى الأخ أن يتقرب إلى الله عز وجل في صدق توبته بأن يصوم شهرين متتابعين ومعها يوم إذا كان ذلك في رمضان لكل وقعة فاحشة وقع فيها بغير اتصال، وإذا كنت تتلذذ بهذه المعصية فاعلم أنك لو داومت على الصيام فإنك تستمرئ صوم الدهر كله.

وكثير من السلف كانوا يقولون: لقد عانينا قيام الليل عاما حتى صار سجية، وقد سأل غير واحد من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يقدرون على سرد الصوم، فأذن لبعضهم ولم يأذن للبعض الآخر، فكل هذه النصوص هي بشرى لك بأنك إذا ألفت أن تصوم هذه الكفارات فستكون في نهاية الأمر سجية لك، وما الذي يمنعك أن تصوم عاما أو عامين أو ثلاثة، كفارات لهذه الفواحش التي وقعت فيها؟ الأمر الثاني: أن صحبة هذا الرجل كلها صحبة فساد كما هو واضح من سؤاله، وأنتم تعلمون أن من عوامل نجاح التوبة التخلص من أصحاب السوء، ولا أدل على ذلك من هذا الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا ثم ختمها بالراهب فأتم المائة؛ فأمر به أن يرحل عن بلده؛ لأن بها قوما سوءا، إلى أرض أناس صالحين يعينونه على طاعة الله عز وجل، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل).

ويقول الحسن البصري: صديقك من صادقك -أي: من نصحك- لا من صدقك، صديقك من صادقك، أي: من نصحك وأخذ على يديك وأرجعك إلى الصواب، لا من صدقك في كل ما تقول من خير وشر، فإن هذا ليس بصاحب.

وأنصح هذا الأخ السائل أن يحرص على طلب العلم فإنه النجاة كل النجاة، وما أوقعه فيما وقع فيه إلا الجهل كما يقول، وهو صادق إن شاء الله في زعمه أنه لم يكن يعرف أن هذا حرام أو لا يعرف عقوبة هذا الفعل، غير أنه يعلم بفطرته أن هذا الفعل قبيح، بل إن لفظة قبيح تعتبر قولا رقيقا بالنسبة لهذه المسائل، فهذا وقوع في الفاحشة.

فعلى أية حال لو فرضنا صدقه -والأصل فيه الصدق- فيجب عليه أن يتخلص من صحبته تماما، وأن يقبل على الله تبارك وتعالى، ولا يجد أحسن من طلب العلم؛ ففيه النجاة كل النجاة، ويتخلص من الصحبة السيئة، ولا ينام وحده حتى لا يفكر في مقدمات هذه المعصية مرة أخرى، وألا يغلبه الشيطان في وحدته، ولا أدل على ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يسافر الرجل وحده ولا يبيتن وحده)؛ وذلك لتسلط الشيطان وغلبته على هذا الوحيد الشريف، ويقول عليه الصلاة والسلام: (إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية)، فربما حدثتك نفسك بالوقوع في المعصية، ولكنك لعلمك أن فلانا أو فلانا ينظر إليك تكف عن هذه المعصية؛ ولذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (استحيوا من الله على قدر حيائكم من رجلين صالحين من قومكم)، فتصور لو أنك أردت أن تنظر إلى امرأة أجنبية جميلة تمر في الشارع، ولكن معك رجل من صالحي قومك، هل تجرؤ أن تنظر إليها؟! فاستحي من الله عز وجل استحياءك من هذا الرجل الصالح.

أما ما ذكره من صلة." (١)

"وحكمته نوعان:

النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملا على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللا، ولا نقصا، ولا فطورا، فلو اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلى آخرهم ليقترحوا مثل خلق الرحمن أو ما يقارب ما أودعه في الكائنات من الحسن والانتظام والإتقان لم يقدروا، وأنى لهم القدرة على شيء من ذلك، وحسب العقلاء الحكماء منهم أن يعرفوا كثيرا من حكمه، ويطلعوا على بعض ما فيها من الحسن والإتقان. وهذا أمر معلوم قطعا بما يعلم من عظمته وكمال صفاته، وتتبع حكمه في الخلق والأمر، وقد تحدى عباده وأمرهم أن ينظروا ويكرروا النظر والتأمل هل يجدون في خلقه خللا أو." (٢)

"نقصا، وأنه لابد أن ترجع الأبصار كليلة عاجزة عن الانتقاد على شيء من مخلوقاته.

النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ٢٥/٦٤

(٢) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٠٢

ويعبدوه، فأي حكمة أجل من هذا، وأي فضل وكرم أعظم من هذا، فإن معرفته تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له وحمده، وشكره والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق، وأجل الفضائل لمن يمن الله عليه بها. وأكمل سعادة وسرور للقلوب والأرواح، كما أنها هي السبب الوحيد للوصول إلى السعادة الأبدية والنعيم الدائم، فلو لم يكن في أمره وشرعه إلا هذه الحكمة العظيمة التي هي أصل الخيرات، وأكمل اللذات، ولأجلها خلقت الخليقة وحق الجزاء، وخلقت الجنة والنار، لكانت كافية شافية.

هذا وقد اشتمل شرعه ودينه على كل خير، فأخباره تملأ القلوب علما، ويقينا، وإيمانا، وعقائد." (١)

"والرحمة والقلوب، وهو الرافع لأقوام قائمين بالعلم والإيمان، الخافض لأعدائه، وهو المعز لأهل طاعته، وهذا عز حقيقي؛ فإن المطيع لله عزيز وإن كان فقيرا ليس له أعوان، المذل لأهل معصيته وأعدائه ذلا في الدنيا والآخرة. فالعاصي وإن ظهر بمظاهر العز فقلبه حشوه الذل وإن لم يشعر به لانغماسه في الشهوات؛ فإن العز كل العز بطاعة الله، والذل بمعصيته: {ومن يهن الله فما له من مكرم} (١)، {من كان يريد العزة فلله العزة جميعا} (٢)، {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} (٣). وهو تعالى المانع المعطي فلا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى، وهذه الأمور كلها تبع لعدله وحكمته وحمده؛ فإن له **الحكمة في** خفض من يخفضه ويذله ويحرمه، ولا حجة لأحد على الله، كما له الفضل المحض على من رفعه وأعطاه وبسط له الخيرات،

---

(١) سورة الحج، الآية: ١٨.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٨.." (٢)

"عناصر الدرس

* تمهيد للدرس.

* شرح عنوان الرسالة، معنى الأصل: لغة واصطلاحا.

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٠٣

(٢) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٩٥

* التعليق بسيط على البسملة.

* شرح المسألة الأولى: "العلم": العلم لغة واصطلاحا، العلم والمعرفة بمعنى واحد.

* لم عبر المصنف بـ"معرفة نبيه" ولم يعبر بـ"معرفة رسوله".

* الإسلام له معنيان: إسلام عام، إسلام خاص، وتعريفهما.

* العلاقة بين "معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام" هي التلازم.

* هل يصح إيمان المقلد؟

* شرح المسألة الثانية: "العمل به".

* المسألة الثالثة: "الدعوة إليه"، معنى الدعوة.

* متى تجب الدعوة، ومتى تستحب؟

* حكم دعوة الجاهل لغيره.

* المسألة الرابعة: "الصبر على الأذى فيه"، ولم ذكرها المصنف بعد الدعوة؟

* تفسير سورة العصر، قول الشافعي فيها.

* ذكر قول لقول الشافعي من باب الاستئناس وليس للاحتجاج به.

* تبويب البخاري، **والحكمة من** ذكره هنا.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

سنشرع في هذا اليوم بإذن الله تعالى في شرح ((الأصول الثلاثة)) لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد من بني تميم. وتوفي هذا العالم الجدير سنة ست ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية. وهو غني عن التعريف لديكم إن شاء الله تعالى.

وهذه الرسالة رسالة مشهورة مستفيضة تعلمها العامي وطالب العلم، بل قد فرضت وكان في زمان أهل العلم زمن الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى ومن بعده كان يحفظ هذه العوام هذه ((الأصول الثلاثة)) وتشرح لهم في المساجد لأنها مشتملة على أهم مسائل الدين وأصول مسائل الدين من تقرير التوحيد، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وما يناقض ذلك من الشرك الأكبر، ويدخل فيه الشرك الأصغر. هذه الرسالة قد يشكل على البعض إنها مبدوءة ببعض المسائل التي علق عليها المصنف رحمه الله تعالى بـ إيجاب

تعلمها والعمل بها حيث بدأ بأربع مسائل، ثم ثلاث مسائل، ثم بعد ذلك بيان ملة إبراهيم عليه السلام، ثم شرع في ((الأصول الثلاثة)) وعليه لا بد من بيان ما يتعلق بهذا الكتاب أولا من أجل أن يستقيم أوله وآخره، فنقول اسم الرسالة كتاب سماه المصنف بـ ((الأصول الثلاثة)). ولذلك سيأتي قوله: (فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ ..) إلى آخر كلامه، سماها بعض الشراح ابن القاسم في حاشيته ((ثلاثة الأصول)) الأصول الثلاثة: ثلاثة الأصول. ولذلك العنوان المشهور المطبوع ((حاشية ثلاثة الأصول)) وكذا ابن عثيمين، وابن باز حاشية أو شرح ((ثلاثة الأصول)) والظاهر عند المصنف أنه لا يفرق بين التسميتين، حيث قال: قررت في ((ثلاثة الأصول)) توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية والولاء والبراء، وهذا هو حقيقة الإسلام. إذا ما اشتهر أنها ((ثلاثة الأصول)) أو ((الأصول الثلاثة)) كلاهما اسمان لمسمى واحد. وذكر بعضهم أن ((ثلاثة الأصول)) هذه مختصرة من الأصل.

وصف الكتاب ومحتواه: رسالة مؤلفة من ثلاثة أقسام تقريبا:

القسم الأول: مقدمة مكونة من ثلاثة أمور، كل واحد منها يصدره بقوله: (اعلم رحمك الله)، (اعلم أرشدك الله لطاعته) وهي كما ذكرنا ثلاث.

أولى: بيان وجوب أربع مسائل على كل مكلف.

ثانيا: بيان وجوب ثلاث مسائل على كل مكلف، هذا من جهة التقسيم فحسب وإلا المسائل بعضها مندرج في بعض.

ثالثا: بيان وإيضاح حقيقة دعوة وملة إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

هذه ثلاث مقدمات هي من صلب الكتاب أم أنها ملحقة بالكتاب؟

قيل: هذا. وقيل: ذاك. قيل أصل الأصول الثلاثة وتبدأ من قوله: ... (فإذا قيل لك) .. إلى آخره (ما الأصول الثلاثة). وقيل أنها من صلب الكتاب، ولذا سردها كما هي في ((الدرر السنية)) وفي مصنفات الشيخ رحمه الله تعالى، وهذا هو الظاهر أنها مؤلفة من هذه المجموعات الثلاث قبل الدخول في صلب الكتاب.

وأما موضوع الكتاب وهو الحديث عن ((الأصول الثلاثة)).." (١)

"الحصر، (ما، وإلا) أعلى درجات الحصر، ففيه إثبات الحكم في المذكور وهو العبادة لله عز وجل {ليعبدون}، ونفي ذلك عمن سوى الله عز وجل، {إلا ليعبدون} اللام هذه للتعليل، وفيه إثبات تعليل

---

(١) شرح الأصول الثلاثة المختصر، أحمد بن عمر الحازمي ١/١

أفعال الرب جل وعلا لأن الخلق صفة وفعل لله سبحانه وعلله، إذا فعل لعلة {إلا ليعبدون} النون هذه للوقاية، و {ليعبدون} فسرها المصنف قال: ومعنى {يعبدون} يوحدون، وهذا تفسير للعبادة لبعض أفرادها لأن العباد اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، حينئذ العبادة هل هي مرادفة للتوحيد أو أن العبادة أعم من التوحيد؟ فهي توحيد وزيادة؟ لا شك أن العبادة توحيد وزيادة، حينئذ تفسير العبادة بالتوحيد يكون تفسيرا للشيء الأعم ببعض أفراده، ولا مانع منه إذ هو طريقة لبعض السلف في ذلك، ومعنى {يعبدون} يوحدون أي يفردوني بالعبادة. وهذا هو التوحيد وهو إفراد الله تعالى بالعبادة. إذا ما **الحكمة من** خلق الإنس أو الجن والإنس على هذه البسيطة؟ نقول: هي عبادة الله تعالى بالإخلاص. وإنما ذكر المصنف قوله: (معنى {يعبدون}) يعني يوحدون، لم عين التوحيد وهذا له مغزى عنده وهو صحيح، وهو أن العبادة مبناها من حيث الصحة والعدم والفساد على التوحيد، فكل عبادة خلت عن التوحيد فهي عبادة باطلة فاسدة، لأن أصل العبادة أن تكون مبنية على شرطين اثنين لا تصح إلا بشرطين وهما الإخلاص والمتابعة، والإخلاص إذا انتفى التوحيد عن العبادة انتفي الشرط الأول، حينئذ صار ماذا؟ صار شركا، لأن الذي ينافي الشرط الأول وهو الإخلاص هو الشرك فيقع في ضده، والذي ينافي الشرط الثاني وهو المتابعة للنبي – صلى الله عليه وسلم – وهو البدعة، حينئذ إذا خرج عن الإخلاص دخل في الشرك، وإذا خرج عن المتابعة دخل في البدعة، والعبادة مبنية على التوحيد ولذا خصها المصنف هنا بالتوحيد، فكل عبادة لا توحيد فيها ليست بعبادة كما قال تعالى في الحديث القدسي: («أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيره تركته وشركه»).

(وأعظم ما أمر الله به التوحيد)، أعظم أشد عظمة ما أمر الله به عز وجل من سائر أمور أو أوامر الشريعة التوحيد، ثم عرف التوحيد هنا بقوله: (إفراد الله بالعبادة).فدل على أن مراده بالتوحيد هنا توحيد الإلوهية، والتوحيد هذا مصدر مشتق من الوحدة، وهي الإنفراد، تقول: جاء الرجل وحده. والتوحيد في الشرع هو اعتقاد أن الله واحد لا شريك له في ربوبيته أو إلوهيته أو أسمائه وصفاته، وعليه التوحيد ينقسم إلا ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله واحد لا شريك له في ربوبيته.

وتوحيد الإلوهية: وهو إفراد الله تعالى بالعبادة أو اعتقاد أن الله واحد لا شريك له في إلوهيته.

والنوع الثالث وهو توحيد الأسماء والصفات: وهو اعتقاد أن الله واحد لا شريك له في أسمائه وصفاته.." (١)

"قد يدل العقل على جهة الإجمال لأن الله تعالى لم يخلق هذا الخلق عبثا وإنما لحكمة عظيمة بالغة من حيث الأصل ومن حيث الفرع، حينئذ ما الذي يدلنا على تحقيق هذه **الحكمة من** جهة الإجمال ومن جهة التفصيل؟ نقول: لا بد من رسول وواسطة يكون بين الخلق وبين خالقهم يبين لهم على لسانه ما أراده الله عز وجل من عباده، فأهمية معرفة هذا الأصل وهو معرفة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - من أهمية معرفة مرسله وما أرسل به، إذا هذه هي الأصول الثلاثة ذكرها المصنف مجملة ثم فصلها أصلا تتميما للفائدة وتنشيطا للقارئ، فإنه إذا عرف على جهة الإجمال حينئذ تتشوق النفس ويقع فيها من محبة معرفة ما هذه الأصول الثلاثة على جهة التفصيل. فقال رحمه الله تعالى: (فإذا قيل لك: من ربك؟) هذا الأصل الأول وهو ... (معرفة العبد ربه)، (فإذا قيل) الفاء هذه فاء الفصيحة إذا قيل لك كذلك القائل لا يسأل عنه لأن المراد هنا الجواب (فإذا قيل لك: من ربك؟) نقول: هذا شرح وتبيان الأصل الأول (من ربك؟) أي من خالقك ورازقك ومعبودك، خالقك ورازقك هذا ما يتعلق بالمعنى اللغوي للرب، ومعبودك هذا نضيفه من جهة الشرع، فإن لفظ الرب له حقيقة شرعية كما أن لفظ الصلاة نقول: لفظ له حقيقة شرعية، وكذلك الزكاة والصيام والحج، فلا يحمل على معناه اللغوي فحسب، وإنما ينظر في سياقات الشرع فما جعل له حقيقة شرعية وجب إعماله، وما لا فنرجع إلى المعنى اللغوي، إذا أصل حمل الشرع على لسان العرب، (فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله) أصل الرب في اللغة بمعنى المربي، وجاء بمعنى الحفظ والرعاية، ويطلق كذلك على الخالق المربي، ويطلق على المالك والسيد والمدبر والقيم والمنعم، وهذه كلها معان لغوية وهي مرادة من جهة الشرع، ولكن لا بد من إضافة المعنى الذي ذكرناه سابقا وهو المعبود، لكن مراد المصنف هنا ... (فقل: ربي الله) ليس المعنى الشرعي وإنما هو المعنى اللغوي حينئذ (ربي الله) أي الذي رباني، ولذلك فسره بقوله: (الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه وهو معبودي)، (وهو معبودي) هذا إضافة لا بد من تقييد اللفظ السابق بها، لأن المعنى الخالق المعبود لأنه يفسر أصلا من الأصول التي يسأل عنها العبد في قبره، ومعلوم أن العبد إنما يمتحن في معاني الإلوهية لا في معاني الربوبية، إذ الربوبية هذه ليست محل خلاف بين الجملة ليست محل خلاف بين الرسل وأقوامهم، وإنما في صرف العبادة لغير

---

(١) شرح الأصول الثلاثة المختصر، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٢٢

الله جل وعلا، وذلك قال سبحانه: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} [الأنبياء: ٢٥].." (١)

"قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: فإن الله خلق الخلق لعبادته كما قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦] وإنما تعبدهم بطاعته وطاعة رسوله، فلا عبادة إلا ما هو واجب أو مستحب في دين الله، وما سوى ذلك فضلال عن سبيله، ولهذا قال – صلى الله عليه وسلم –: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» أخرجاه في الصحيح، ثم قال بعد ذلك: وقد ذكر الله طاعة الرسول وإتباعه في نحو من أربعين موضعا من القرآن الكريم كقوله تعالى: {من يطع الرسول فقد أطاع الله} في نحو من أربعين موضعا أمر بطاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقرن بين الطاعتين بل رتب طاعة الرب جل وعلا على طاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم –، إذا: (طاعته فيما أمر) لأنه هو هذا **الحكمة من** إرسال الرسل أن يطاع قال الله عز وجل: {وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله} [النساء: ٦٤] هذه هي الحكمة، وإن كان قوله تعالى: ... {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} [الأنبياء: ١٠٧] تعتبر من الحكم كذلك، لكن الأصل هو الطاعة، (طاعته) – صلى الله عليه وسلم – (فيما أمر) يعني فيما أمر به (فيما) ما: اسم موصول بمعنى الذي فهو من صيغ العموم فيعم كل ما أمر به النبي – صلى الله عليه وسلم – الأصل فيه وجوب الطاعة، (وتصديقه) أي نسبته إلى الصدق (فيما أخبر) به من الغيب، فإذا أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – عن أمور قد وقعت في سالف الأمم أو عما سيقع في آخر هذه الأمة وجب تصديقه، يعنى تنسبه إلى الصدق، فهو الصادق المصدوق وأمين الله على وحيه، فكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا امتراء. (واجتناب) يعني ترك (ما عنه نهى وزجر)، (ما) اسم موصول بمعنى الذي فيعم، كل ما نهى عنه النبي – صلى الله عليه وسلم – وجب اجتنابه وتركه، (ما عنه نهى) أي نهي تحريمه أو نهي كراهة، (وزجر) وهذا نهي بشدة، فيكون من باب عطف الخاص على العام، كأن الزجر هنا بمعنى التحريم، ونهى يكون عاما شاملا للكراهة والتحريم. قال الله تعالى: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} [الحشر: ٧] وقال – صلى الله عليه وسلم –: «ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه». (وأن لا يعبد الله إلا بما شرع) هذه قاعدة عامة وهي الشرط الثاني من شرطي صحة

---

(١) شرح الأصول الثلاثة المختصر، أحمد بن عمر الحازمي ٥/٣

العبادة، قلنا: العبادة لا تصح إلا بالإخلاص والمتابعة (وأن لا يعبد الله إلا بما شرع) لا بالبدع ولا بالأهواء، ولذلك قال – صلى الله عليه وسلم –: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد».." (١)

"اتفاق الأسماء لا يوجب تماثل المسميات

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه، وما هو محدث ممكن يقبل الوجود والعدم، فمعلوم أن هذا موجود، وهذا موجود، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا، بل وجود هذا يخصه، ووجود هذا يخصه، واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الإضافة والتخصيص والتقييد ولا في غيره].

هذا دليل بدهي في الرد على الذين أنكروا الأسماء والصفات، كالجهمية، أو أنكروا بعضها، كالمعتزلة ومن سلك سبيلهم، فهؤلاء كلهم يرد عليهم بمثل هذه القاعدة العقلية البدهية، إذ إن شبهتهم في إنكار الأسماء أو الصفات أو بعضها: أن إثبات هذه الأسماء أو الصفات لله عز وجل يقتضي التشبيه، فالجهمية يقولون: إذا سمينا الله عز وجل بالعليم أو الحكيم فقد شبهناه بالمخلوق؛ لأن المخلوق قد يكون حكيما، وكذلك الذين ينفون الصفة يقولون: الحكمة من صفات المخلوقين، فإذا وصفنا بها الخالق فقد شبهناه بالمخلوق، وبالتالي نفوا عنه الحكمة، وكذلك بقية الصفات، فكان الاشتباه عندهم هو في التشابه اللفظي، والشيخ قد بدأهم من حيث الأساس الذي ينطلقون منه جميعا، فكلهم يثبتون الوجود لله، سواء الجهمية والمعتزلة ومتكلمة الأشاعرة والمؤولة لبعض الصفات أو لكثير منها، وكلهم يجتمعون على وصف الله باعتبار أنه موجود.

فيقول لهم: أنتم إذا عبرتم عن الله بأنه موجود، أليست كلمة (موجود) اسما وصفة؟ سيقولون: بلى.

يقول: إذا كان من أجل التشابه اللفظي تنكرون الأسماء والصفات، فكذلك كلمة: (وجود) فيها اشتباه لفظي؛ لأننا كما نصف الله بأنه موجود، والمخلوق موجود، نستطيع أن نقول: المخلوق إذا غير موجود، لكن ما دام أنه موجود فإذا هو حي ويرزق، وعليه فكما نفيتم يلزمكم أن تنفوا حتى الوجود، وأما إذا أثبتم الوجود –مع وجود الاشتباه اللفظي– فيلزمكم أن تثبتوا بقية الصفات لله عز وجل على ما يليق بجلاله، وإن قلتم: نحن نثبت وجودا يليق بجلال الله، فنحن نقول أيضا: ونحن نثبت لله بقية الأسماء والصفات على ما يليق بجلاله، فما الفرق؟! وهذه قاعدة تطرد معنا في الدروس التي ستأتي بمشيئة الله تعالى.

---

(١) شرح الأصول الثلاثة المختصر، أحمد بن عمر الحازمي ٢١/٤

قال المصنف رحمه الله تعالى: [فلا يقول عاقل إذا قيل إن العرش شيء موجود، وإن البعوض شيء موجود، إن هذا مثل هذا، لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود؛ لأنه ليس في الخارج شيء موجود غيرهما يشتركان فيه، بل الذهن يأخذ معنى مشتركا كليا هو مسمى الاسم المطلق، وإذا قيل هذا موجود، وهذا موجود، فوجود كل منهما يخصه لا يشركه فيه غيره، مع أن الاسم حقيقة في كل منهما]. ." (١)

"الجواب الثاني: يمكن إثبات هذه الصفات بنظير ما أثبتت به تلك من العقليات

قال المصنف رحمه الله تعالى: [الثاني: أن يقال: يمكن إثبات هذه الصفات بنظير ما أثبت به تلك من العقليات، فيقال: نفع العباد بالإحسان إليهم دل على الرحمة كدلالة التخصيص على المشيئة، وإكرام الطائعين يدل على محبتهم، وعقاب الكافرين يدل على بغضهم، كما قد ثبت بالشهادة والخبر من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه، والغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته -وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة- تدل على حكمته البالغة؛ كما يدل التخصيص على المشيئة وأولى، لقوة العلة الغائية، ولهذا كان ما في القرآن من بيان ما في مخلوقاته من النعم والحكم أعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على محض المشيئة].

في الحقيقة هذا رد علمي موضوعي كما يعبر به كثير من المعاصرين الذين يعجبون بالشعارات الغربية ممن يسمون بالعلمية والموضوعية، فإذا أخذناه على مقاييسهم فهذا الكلام علمي وموضوعي واستقرائي وعقلي، ولا يستطيع أن ينفك عنه لا المؤولة ولا المعطلة، والشيخ هنا قد رجع إلى الأشاعرة وقال لهم: كما أنكم أثبتم الصفات السبع، وقيل لكم: لماذا أثبتموها؟ قلتم: أثبتناها بالعقل، ونحن إذا تأملنا عقلا لوجدنا أن الفعل الحادث دل على قدرة الله عز وجل، وأن التخصيص كون المخلوقات مميزة بعضها عن بعض، هذه سماوات وأرضون وأحياء وأموات، هذا يسمى تخصيصا، ووجود التمييز بين المخلوقات يدل على الإرادة، والإحكام -إحكام المخلوقات- يدل على العلم، وهذه الصفات كلها مستلزمة للحياة؛ لأنه لا يمكن أن يكون قادر ومريد وعالم إلا حيا، والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام، فنقول لهم: اطردوا هذه القاعدة.

كما نقول أيضا: وجود الرحمة والنفع، أي: نفع العباد بالإحسان، يدل على الرحمة، وكذلك التخصيص يدل على المشيئة والحكمة، مع أن الشيخ لم يذكر **الحكمة في** هذا المقام، لكنه أتى بها بعد ذلك، فدلالة

---

(١) شرح التدمرية - ناصر العقل، ناصر العقل ٣/٧

التخصيص كما تدل على المشيئة تدل على الحكمة أيضا، وأنتم قلتم: تدل على الإرادة، أو أضيفوا مع الإرادة الحكمة، وإكرام الطائعين يدل على المحبة، وعقاب الكافرين يدل على البغض، وهكذا بقية الأمور، فنقول لهم: كما أثبتم القدرة بالفعل، والتخصيص بالإرادة، والعلم بالإحكام، وبقية الصفات، كالحياة والسمع والبصر؛ لأنها من لوازم الحياة، فكذلك بقية الصفات، مثل: الرحمة والمحبة والمشيئة والبغض والحكمة ونحو ذلك، فكل هذه دلت عليها مخلوقات الله عز وجل، وشئون الله في خلقه دلت على هذه الصفات، والله عز وجل له في خلقه شئون نراها يوميا في حياتنا الخاصة والعامة، وكلها دليل على بقية صفات الله، فنرى أثر محبة الله في عباده، ونرى أثر غضب الله في عباده، ونرى أثر حكمة الله في مخلوقاته، ونرى أثر كثير من أفعال الله، مثل الرزق والإحياء والإماتة وغير ذلك في مخلوقاته، فلماذا جعلتم بعض الأشياء دالة على نوع من الصفات، ولا يدل على النوع الآخر منها؟ إن هذا هو دليل انغلاق أهل الأهواء على أهوائهم، وعدم إدراكهم لعموم القواعد الشرعية، ولذا فإن المتأمل سيلاحظ أنه لا يوجد كما عند أهل السنة والجماعة في تعميم دلالات النصوص على الوجه الصحيح، فهؤلاء يغلقون دلالات النصوص بأهواء يضعونها لأنفسهم، وينتقون في الاستدلال انتقاء، فلا يأخذون بشمولية الاستدلال، وإلا فأدلتهم العقلية كما ذكر الشيخ هي دليل عليهم، وكما أن العقل يدل على الصفات السبع، فكذلك يدل على بقية الصفات من باب الضرورة، وكلها كمال، فلماذا كانت الإرادة والعلم كمالا، والمحبة والحكمة غير كمال؟! إن هذا مما يعجب منه صاحب العقل السليم.

كما أنهم يقولون بعدة وجوه، فلا يثبتون السمع على حقيقة ما يثبته السلف، ولهم في ذلك تأولات كثيرة، لكن نوجزها: فهم يرون أن السمع هو العلم بالمسموعات، فيردونها إلى العلم، والبصر هو العلم بالمبصرات، وهذا مجمل قولهم، وإلا فلهم في ذلك مسالك عجيبة، فهم في الحقيقة لا يثبتون حتى السمع والبصر على وجهها الشرعي، ولذلك أكثر ما رد عليهم المعتزلة في إثبات السمع والبصر، يعني: أنهم هم قد يوافقونهم في بعض الصفات الأخرى، لكن في السمع والبصر قال المعتزلة للأشاعرة: لماذا أثبتم السمع والبصر ولم تثبتوا اليد والوجه؟ بالرغم أن قاعدتهما واحدة، والمعتزلة يقولون نحو ما قالت الأشاعرة: كما أنكم تقولون: اليد لا تكون إلا الجارحة، يقولون: نحن لا نعرف السمع إلا الجارحة، والبصر إلا الجارحة، وهؤلاء لا نوافقهم كلهم، لكن هكذا يضرب بعضهم بعضا، لذا فأقول: إثباتهم للسمع والبصر على غير قاعدة عقلية

صحيحة، وأيضا على غير القاعدة المطردة عندهم، لكنهم تورعوا عن نفي السمع والبصر، ولذلك أولوهما، وأكثر ما يدور تأويلهم على أن البصر العلم بالمبصرات، والسمع العلم بالمسموعات.." (١)

"واجب المسلمين تجاه ظاهرة تدنيس المصحف

Q ما واجب المسلمين تجاه ما حدث من تدنيس للمصحف؟

A لاشك أن هذا الأمر شنيع، لكن لابد أن تؤخذ الأمور بالضوابط الشرعية، وخاصة الأمور الكبار التي تتعلق بمصالح الأمة، وأنا أرى أنه لابد من الرجوع إلى أهل العلم والعقل **والحكمة في** ذلك، كما لابد من إنكار هذا المنكر بالوسائل المتاحة بحدود وضوابط؛ لأنه يجب أن نراعي الظروف التي نعيشها، من حيث إننا لا نستفز عدوا متربصا خبيثا، بل لا أستبعد أن يكون لها أصل، لكن ربما يكون لا أصل لها، وإنما هي نوع من إبقاء الحجر الاستفزازي لاستثارة الأمة، ومن أجل التذرع بالتدخل في شئون المسلمين بشكل أكبر، وأنا منذ أن سمعت هذه القصة ورد في خاطري -ولا تزال الأحداث تؤكد ما أظنه- أن القضية قضية استفزازية، وذلك من أجل جر الأمة إلى فتنة عظيمة، فالذي ينبغي أن نأخذ الأمور بقدر، ولا نترك القضية تمر بسلام، بل لابد أن نرجع إلى مشايخنا وعلمائنا والدعاة الراشدين، ونأخذ الأمور بالطرق التي تؤدي إلى أن نحفظ كرامتنا وكرامة ديننا، بدون التصرفات المتشنجة التي يفرح بها العدو، ويتخذها ذريعة لأن يتدخل أكثر، فكفى الأمة هوانا وذلا فيما هي فيه الآن، فلا نزيد من تصرفاتنا المتشنجة التي تؤدي إلى مزيد من الهوان والذل، فلابد أن يكون هناك تثبت على مستوى يطمئن إليه، ولذا فهم قد نفوا، وأنا قد قرأت نفيهم، وزعموا أن الصحيفة التي نشرت هذا ما تثبتت، بل كانت مجرد عبارات طليقة، وأن هذا ما ثبت عندنا لكنه من مصدر مسئول، فيبقى الأمر نحسب له حسابا في نتائجه، والإنكار الإعلامي والخطابات مطلوب، لكن إلهاب المشاعر بشكل يؤدي إلى تصرفات هوجاء ترجع إلينا بالضرر في ديننا وأنفسنا، أمر يجب أن نحسب له حسابا.." (٢)

"**الحكمة من** قسم الله بالمخلوق

والحكمة من قسم الخالق بالمخلوق مع أنه حرم الإقسام به كما سنبينه: أن قسم الله بالمخلوق فيه الدلالة على عظمة المخلوق، وعظمته تدل على عظمة الخالق، فكل كمال في المخلوق فالله أحق به، وكل عظمة

---

(١) شرح التدمرية - ناصر العقل، ناصر العقل ٦/٤

(٢) شرح التدمرية - ناصر العقل، ناصر العقل ١٤/٣٠

في المخلوق فقد دلت على عظمة الذي خلق.

فإذا: **الحكمة من** أن يقسم الله بمخلوقاته: أن في هذه المخلوقات دلائل باهرة على ربوبية الله وعظمته سبحانه جل في علاه، قال الله تعالى: {والسماء والطارق * وما أدراك ما الطارق * النجم الثاقب} [الطارق:١ - ٣].

وقال الله تعالى: {والسماء ذات البروج * واليوم الموعود} [البروج:١ - ٢].

وقال جل في علاه: {والسماء ذات الحبك} [الذاريات:٧]، وقال جل في علاه: {والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى * وما خلق الذكر والأنثى} [الليل:١ - ٣].

و (ما) في الآية الأخيرة اسم موصول بمعنى الذي، أي: والذي خلق الذكر والأنثى، وقد تكون مصدرية، فيكون المعنى: وخلق الذكر والأنثى، أي: يبين الله أن خلق الإنسان خلق عظيم، ومن عظمة خلقه يقسم الله به.

فيكون القسم إن قلنا: إنها (موصولة) بالذات المقدسة، وإن قلنا: إنها (مصدرية) فيكون القسم بخلق الإنسان البديع، فالآية: والذي خلق الذكر والأنثى، فيها نوعين من القسم: نوع بالمخلوق، ونوع بالخالق.

ومما أقسم الله تعالى به: {والنجم إذا هوى} [النجم:١] وقوله تعالى: {والشمس وضحاها * والقمر إذا تلاها * والنهار إذا جلاها} [الشمس:١ - ٣].

وقوله تعالى: {والضحى * والليل إذا سجى} [الضحى:١ - ٢]، وقوله جل في علاه: {ونفس وما سواها} [الشمس:٧].

والقسم في هذه الآية الأخيرة إما أن تكون (ما) فيه (موصولة)، فيكون المعنى: والذي سواها، وهو الله جل وعلا ويكن هنا أن الله أقسم بذاته جل في علاه، وقد تكون (مصدرية) ويكون المعنى: وتسويتها، وفيه إشارة إلى عظمة تسوية النفس، ويكون قسم الله هنا بالمخلوق.

إذا: يقسم الخالق بما شاء، بالمخلوقات، بذاته، بصفاته، وكذا أقسم الله بحياة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك عندما قال: ((لعمرك))، أي: وحياتك يا رسول الله! وحياتك يا محمد! {لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون} [الحجر:٧٢].

فهذا القسم من الخالق جل في علاه يكون بما يشاء.." (١)

---

(١) شرح الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، محمد حسن عبد الغفار ٥/١٠

"**الحكمة من** خلق إبليس

إن من الشرور التي تنسب إلى الله جل وعلا خلق إبليس، وإبليس هو من هو في الغواية والوسوسة وإضلال البشر، فإنه شر كله، ولكن إذا نظرت في **الحكمة من** خلقه، فإنك ستوقن بأن الله جل وعلا ما خلق إبليس إلا لحكمة عالية بليغة تابعة لهذا الشر، فالله حكم عدل لا يساوي بين المفترقين، ولا يجعل صف الكفار مع صف المسلمين، قال تعالى: {أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون} [الصافات:١٥٣ - ١٥٤].

ويوضح ذلك أن الله جل وعلا جعل إبليس يوسوس لهذا ويغوي هذا، حتى يميز بين المؤمن المخلص الذي باع نفسه لله جل وعلا، والذي لا يستجيب لهذه الغواية، وبين الذي يتبع نفسه شهواتها، ويتبع إبليس فيما يوسوس له.." (١)

"**الحكمة من** خلق الكفر

إن الله لا يحب الكفر ولا يريده، ولكنه شاءه كونا لحكمة عالية بليغة، وهي: أن يتحقق علم الله جل وعلا في أن الخلق منهم المؤمن ومنهم الكافر، وهذا الشر الذي خلقه الله جل وعلا لم يكن شرا محضا، ولكنه شر نسبي إضافي، أي: بالنسبة للشخص الذي نزل عليه هذا البلاء، أو نزل عليه هذا الشر، فهو شر بالنسبة له، أما لغيره فهو خير.." (٢)

"**الحكمة من** تشريع الحدود

إن لله تعالى في تشريع الحدود حكم عظيمة، فالقصاص مثلا هو: أن يقتل القاتل بالمقتول، وهذا القصاص شر بالنسبة للقاتل الذي سيقتل، وهو شر لأهله.

كذلك إذ أنهم سيحزنون على ميتهم، ولكن هذا القصاص بالنسبة لولي الدم، الذي يريد أن يقتص من قاتل أخيه، أو قاتل ابنه هو خير له، كما هو خير لباقي الناس، فإنك إذا قتلت القاتل ارتعد الناس واتعظوا بغيرهم، فيمتنعون عن القتل، ولذلك قال الله تعالى: {ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب} [البقرة:١٧٩]، مع أننا نعلم أن القصاص قتل، فكيف يكون فيه حياة كما في الآية؟

A لأنه يمنع الاقتتال.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٦/٣٥

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٧/٣٥

وكذلك حد السرقة، أو حد الرجم للزاني المحصن، أو حد الجلد للزاني البكر، فهذه الحدود هي شر بالنسبة للمقطوع، أو المرجوم، لكنها خير لباقي البشر، فإذا رأى الرجل أن هذا تقطع يده في دراهم معدودة، خاف على يده وامتنع عن السرقة، وإذا رأى غيره يجلد ويفضح أمام البشر على الزنا، فإنه سيمتنع عن أن يهتك أعراض المسلمين، فظهر من هذا أن الله جل وعلا لم يخلق شرا محضا، ولكنه خلق شرا نسبيا إضافيا.." (١)

"**الحكمة من** تأييد الرسل بالمعجزات

أقول: ما من نبي ولا رسول أرسله الله جل وعلا إلى قومه إلا أرسله لحكمة عظيمة، ومهمة جسيمة، وهي: إخراج الناس من عبادة الشيطان أو عبادة الأهواء أو عبادة الناس إلى عبادة رب الناس، سحب الناس بالسلاسل إلى الجنان، وإنقاذ الناس من النيران، فعندما يأتي الرسول إلى قومه فإن الناس من الأرض، والأرض مختلفة، فمنها ما يقبل الماء فيتشربه فينبت الكلأ، فهذا أنفع وأفضل الناس على الإطلاق.

ومن الأرض: ما لا يشرب الماء ولا ينبت الكلأ، وإنما هو قيعان يأخذ الماء فيحفظه، فيأتي الناس وينتفعون من هذا الماء.

ومن الأرض الثالثة: الأرض الملساء، التي لا تشرب الماء فتنبت الكلأ فينتفع الناس به، ولا هي تأخذ الماء فتحوطه حتى ينتفع الناس بالماء؛ فلذلك الرسول إذا أتى الناس فلتفاوت عقولهم وتفاوت نقاوة قلوبهم، منهم من يصدق قبل أن يرى أي آية، ومنهم من يجادل حتى يرى برهانا، ومنهم من يجحد جحودا بينا، وعلى مر الدهور والعصور ظهر ذلك الأمر.

فمن أجل ذلك أيد الله جل وعلا رسله بآيات بينات باهرات، حتى يتبين لهؤلاء القوم فيقبلون من النبي أو الرسول الذي جاءهم واسطة بين الله وبينهم، فالله جل وعلا حبا الأنبياء بمعجزات وآيات حتى يصدقوا عند قومهم.

فخاتم الرسل وأفضل البشر على الإطلاق -كما قلنا: سيد ولد آدم على الإطلاق- هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الله له كل هذه الخصال سبحانه وتعالى، فما من آية ولا معجزة حبا الله بها رسولا إلى قومه إلا وترى شبه هذه المعجزة والآية موجودة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سنبين.." (٢)

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٨/٣٥

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٣/٣٧

"لكل إنسان أجل محدد معلوم عند الله

الموت هو أول منازل الآخرة: فما من أحد إلا وسيموت وسيقبض وسيأتيه أجله، قال الله تعالى: {كل نفس ذائقة الموت} [آل عمران:١٨٥]، وقال جل وعلا: {كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام} [الرحمن:٢٦ - ٢٧] فهذا تنصيص على أن الموت لا يفوت أحدا، وأن هذا الكأس كل منا سيشربه، وإذا كان كل واحد منا سيموت وسيقبض فله أجل مضروب ومعلوم، ومقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ.

صح عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أنه سمع أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها تقول: اللهم! متعني بزوجي: رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومتعني بأبي: أبي سفيان، ومتعني بأخي: معاوية بن أبي سفيان، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: قد سألت الله جل وعلا آجالا مضروبة وأرزاقا مقسومة، وآثارا موطوءة لا يتقدم منها شيء ولا يتأخر، ولو أنك سألت الله جل وعلا أن يعافيك من عذاب الآخرة وعذاب القبر لكان خيرا لك).

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ليبين أن لكل أجل كتاب، وأن كل إنسان لا بد أن يموت في وقته، قال الله تعالى: {لكل أجل كتاب} [الرعد:٣٨]، وقال: {لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون} [يونس:٤٩]، فالأجل مضروب ومكتوب ومعلوم، والمرء لا يتقدم ولا يتأخر عما كتب من أجله كما في الحديث أن الملك يقول: (أي رب! ذكر أم أنثى؟ أي رب! كم عمره؟) فيكتب العمر، وصحائف الملائكة يمكن أن تتغير فيها هذه الثوابت، لكنها في اللوح المحفوظ قد كتبت، وعلم عمر المرء ومدة حياته، لكن الله جل وعلا بحكمته لم يبين للناس متى سيموتون، فما اطلع أحدنا على الغيب، ولا علم متى سيموت، **والحكمة في** ذلك: أن يجتهد المرء؛ ليصل إلى ربه وإلى طاعة ربه وإلى رضا ربه باجتهاد عال، قال الله تعالى: {وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت} [لقمان:٣٤]؛ لأنه إذا جهل أجله فإن الله جل وعلا مد له حتى يجتهد في عبادته.

قال ابن عيينة مترجما لبعض رواة الحديث: هذا الراوي لو قيل له: ستموت غدا ما زاد في عبادته شيئا؛ لأنه كان يجتهد اجتهادا عاليا، حتى يصل إلى ربه جل وعلا وهو مجتهد في عبادته، طائع لربه متذلل متمسكن لله جل وعلا.

وكان عمر بن الخطاب ينصح الأمة، ينصح الصحابة الكرام، وينصح التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم

الدين بأن يجتهدوا في العبادة، فإنهم حتما راجعون إلى الله جل وعلا، فقال: قد ارتحلت الدنيا مدبرة، وقد ارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فاليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل.

وكان يقول رضي الله عنه وأرضاه: إن الدنيا تطلعت مدبرة، وتطلعت الآخرة مقبلة، فعليكم بالجد والسعي.

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقبض على لحيته ويقول: يا دنيا! غري غيري طلقتك ثلاثا.

وكان بعضهم ينشد ويقول: إن لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا والموت هو من أقوى دواعي استكمال إيمان العبد، إذ إن الله جل وعلا قد علق الفلاح والهدى بالإيمان بالغيب، فقال الله تعالى: {الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون} [البقرة:٤ – ٥]، فربط الفلاح والهدى بالإيمان بالغيب.

أول المباحث: بعدما يموت المرء، ويأتي الملكان فيسحبان روحه، فإن كان من المؤمنين جاء الملك بكفن وحنوط من الجنة، وطيب من الجنة، فأخرج روحه بسهولة، فتخرج فيرتقي بها الملك إلى السماء فتقول الملائكة: روح من هذه الطيبة؟ أو يمدحون هذه الروح ويسألون عنها، فيقال: فلان بن فلان بأحلى وأجمل أسمائه التي كان يحبها في الدنيا، ثم يصعد إلى السماء السابعة فيقال: (صدق عبدي فاكتبوا كتاب عبدي في عليين).

أما إن كانت الأخرى والعياذ بالله فيكون حنوط من النار وكفن من النار، فيأخذها الملك ويصعد بها إلى السماء بأنتن ريح فتقول الملائكة: ما هذه الريح النتنة؟ فيقال: فلان بن فلان بأبغض أسمائه، ثم يصعد إلى السماء السابعة فيقال: (قد كذب عبدي فاكتبوا كتاب عبدي في سجين) فبعد أن يموت المرء ويكفن ثم ينقل إلى القبر، وتبقى روحه فيبشر فإن كان من أهل الإيمان كأنه ينادي ويقول: قدموني قدموني، وإن كان من أهل الكفر والعصيان والعياذ بالله فيقال: (يا ويليها إلى أين تذهبون بها؟) فالأحاديث أثبتت أن كل الخلائق تسمع هذا، كل الخلائق من شجر وحجر وثمر وطير إلا الثقلين: الجن والإنس، وإلا لما كان للغيب فائدة، ولذلك نصح النبي صلى الله عليه وسلم أمته فقال: (أسرعوا بالجنازة) وبين العلة في ذلك: (إن كان خيرا قدمتموها إليه، وإن كان غير ذلك فشر تضعونه عن أكتافكم).." (١)

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي – محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٤/٥١

"اختلاف العلماء فيما يوزن في الميزان

ما **الحكمة من** الميزان يوم القيامة؟ الإجابة: لتوزن الأعمال أو الصحائف أو البشر، أقوال اختلف فيها العلماء.

وسيكون يوم القيامة ميزان على مرأى من الناس، لتوزن أعمال العباد فيه، لكن هل العمل شيء حسي أم معنوي؟ معلوم أن الأعمال كلها معنوية، فكيف ستوزن؟ أقول: إن الله صادق، فإن الله جل وعلا سيظهر لنا قدرته يوم القيامة، والأعمال ستجسم وتصور وتوضع في الميزان، يدل على ذلك ما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما يوم القيامة)، فالله جل وعلا يجعل البقرة وآل عمران وكأنهما غمامة تظلل صاحبها، وتحاج عنه، بل تتكلم، فهي ليست فقط ظلة فوق المؤمن، وهذه كرامة للقارئ بين يدي الله.

فالأعمال إذا ستجسم وستوزن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح: (كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان للرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) فهذه الكلمتان ستوضعان يوم القيامة في الكفة لتزن وترجح بها، فهي ثقيلة جدا في الميزان.

وفي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أثقل شيء في ميزان العبد: حسن الخلق)، فحسن الخلق شيء معنوي، ومع ذلك فإن الله سيجسمه يوم القيامة، ثم يوضع على الميزان فيكون أثقل شيء فيه.

فهذه دلالة واضحة على أن الأعمال ستجسم وتصور وتوزن يوم القيامة لتفرق بين العاملين.

هذا هو القول الأول لأهل العلم، وهم من أهل السنة والجماعة.

القول الثاني: أن الذي سيوزن هو العامل، وهذا القول يلزمه الدليل؛ إذ لا يقبل قول أحد إلا بدليل، وإلا يرد على صاحبه حتى يأتينا بالحجة والبرهان.

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين قول فقيه ودليل أصحاب هذا القول حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن المرء البدين الجسيم يأتي يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة)، إهانة واحتقارا وسخرية وتبكيتا وتوبيخا لهذا المرء الجسيم البدين أمام أعين الخلق من لدن آدم إلى آخر الخليقة نعوذ بالله من الخسران، ونعوذ بالله من الفضيحة يوم القيامة.

هذا الرجل الذي ملأ الأرض، وكان يمشي كأنه يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طولا، وكان ممتلئا بالكبر، يأتي يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، ثم قال الراوي: فاقرءوا إن شئتم: {فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا} [الكهف:١٠٥]، وأيضا حديث في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه صلى الله عليه وسلم جاء إلى صحابته فرآهم يضحكون، فسألهم عن ذلك، فقالوا: نضحك من دقة ساق ابن مسعود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مقولة تبين لك أنك إذا أردت أن تقدر الناس حتى ولو بشيء فيه ضحك أو ابتسامة فلا تبتسم حتى تنزل الناس منازلهم وتعطيهم قدرهم، فرسول الله ما ابتسم كما ابتسموا وما أنكر عليهم، ولكنه بين لهم عظم قدر الرجل فقال لهم: (والذي نفسي بيده! إنها لأثقل في الميزان من جبل أحد)، ومعنى هذا: أن ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه سيوزن كله، وعليه فالبشر أيضا سيوزنون في هذا الميزان يوم القيامة، والكيفية يعلمها الله جل وعلا، وهذا القول الثاني لأهل السنة والجماعة.

القول الثالث: إن الذي سيوزن هي الصحائف، فلله جل وعلا ملائكة يتعاقبون فينا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يتعاقبون فيكم ملائكة في الليل والنهار يلتقون في الفجر والعصر، ثم يصعدون إلى الله) إلى آخر الحديث، والملائكة وصفهم الله بقوله: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق:١٨]، كل شيء مكتوب ومسطر، وكل شيء قد كتب في الزبر من قبل، ولكن الملائكة تكتب وتصعد لتقارن بين ما في الصحيفة وبين ما في اللوح المحفوظ فلا يخطئه في شيء، فالله جل وعلا يجعل الملائكة يكتبون السيئات والحسنات في الصحائف، ثم هذه الصحائف هي التي ستوزن يوم القيامة، واستدلوا على ذلك بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: (توضع السجلات في كفة) السجلات هي التي تكتب فيها الحسنات اليومية والسيئات، ثم توضع في الميزان، فهذه دلالة على أن الصحائف توزن، وهذا أيضا قول صحيح لأنه مستند لدليل.

إذا دققت النظر ستقول: لا منافاة بين الأقوال الثلاثة بل ستجتمع بينها بقول واحد وهو: يصح أن نصرح بأن الأعمال توزن يوم القيامة، ولدينا الدليل على ذلك من السنة، وأيضا العامل سيوزن يوم القيامة، وعندنا دليل ذلك من السنة، كما أن الصحائف ستوزن للدليل الوارد في السنة، وإذا نظرت ودققت النظر بالتدبر في آثار أسماء الله الحسنى وصفاته العلا تجد أن لكل شيء حكمة من الله جل وعلا، فالمرء يوزن **والحكمة في** ذلك: أن يظهر الله جل وعلا لنا مقدار كرامة هذا المؤمن الذي سارع بالخيرات عند ربه، ويبين للناس ثقل ميزانه، وإن كنتم تحتقرونه في الدنيا ولا تسمعون له، (ورب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب)

وإن كنتم تنظرون إليه نظرة لا تساوي حقه فهو عندي ثقيل، وأنا سأكرمه على رءوس الأشهاد، فيوزن وتظهر مكانته وكرامته على الله جل وعلا يوم القيامة، وما أجلها من حكمة! وما أروعها من كرامة يكرم الله بها عباده المؤمنين! كما أكرم الله جل وعلا نبيه بأن جعل حاجة كل البشر إليه في الشفاعة، فهذه حكمة من الحكم التي ستظهر.

أيضا هناك حكمة أخرى تظهر في الأعمال إذا وزنت، حيث يبين الله لنا يوم القيامة أنها تأتي مجسمة مصورة، وفي هذا أيضا دلالة على قدرة الله جل وعلا، وعلى عظمة الله جل وعلا بأن جعل المعنوي حسيا مادياً أمامنا؛ تقريرا لقول الله تعالى: {إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون} [يس:٨٢].

ومن الحكم أيضا: أن هذه الصحائف ستميز بين الحسنات إذا كثرت على السيئات ويكون مآله إلى الجنة -نسأل الله أن نكون منهم- وإذا السيئات كثرت فهو تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له وأدخله الجنة.." (١)

"شرح حديث (أنا أحق بذلك منك)

Q ما **الحكمة من** قول الله تعالى للمتخاصمين إذا عفا أحدهما عن الآخر: (أنا أحق بذلك منك) الحديث؟

A **الحكمة في** ذلك هو إظهار سبيل رحمة الله جل وعلا بعباده، لكن هذا ليس لأي أحد، بل لمن علم الله في قلبه مخافته، وإلا فإبليس كان يدعى بطاووس الملائكة؛ لشدة عبادته، لكن علم الله من قلبه الكبر والتكبر فابتلاه بالأمر بالسجود فلم يسجد لكبره؛ فلعنه، وجعله من الخارجين والملعونين إلى يوم القيامة.." (٢)

"**الحكمة من** رؤية المؤمنين لأهل النار في النار

Q ما **الحكمة من** رؤية المؤمنين لأهل النار في النار وهم يعذبون؟

A من متعة أهل الجنة أن ينظروا إلى الفسقة الفجرة الكفرة في النار يعذبون، بل وأهل النار يقولون: {أفيضوا علينا من الماء} [الأعراف:٥٠]، فهذا من تمام متعة أهل الجنة، بأن تشفى صدورهم وهم يرون أهل الكفر

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٦/٥٣

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٢٣/٥٤

يعذبون أمامهم، وأيضا هذه من زيادة النكاية والعذاب والتوبيخ والتنكيل بأهل الكفر وهم في النار، حيث يرون أهل الجنة يمتعون وينعمون بما ينعمون به في الجنة.." (١)

"الحكمة من وقوع السحر في النبي عليه الصلاة والسلام

والله عز وجل لا يصنع شيئا إلا وله حكم بليغة في هذا الصنيع، والله حكيم عليم، ومن دقق النظر في خبر سحر النبي صلى الله عليه وسلم ظهرت له وحكم بليغة جدا منها:." (٢)

"الجن مكلفون

الجن مكلفون كبني البشر، لهم الثواب إذا أحسنوا وعليهم العقاب إذا أساءوا، قال الله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦].

الاستثناء هنا يمكن أن ينزع منه (ما) و (إلا) فيكون المعنى: خلقت الجن والإنس ليعبدون، ثم انزع (الإنس) وأكمل الجملة لو كانت في خارج القرآن فتقول: خلقت الجن ليعبدون.

إذا: الحكمة من خلق الجن هي العبادة، فهذه دلالة على أنهم مكلفون ولهم الثواب وعليهم العقاب، بل هم مخاطبون بفروع الشريعة، بل حتى في النكاح، فلو قلنا بوجوب النكاح على الموسر نصحب الحكم على الجن أيضا؛ لأنهم مكلفون ومخاطبون بفروع الشريعة.

وقد ثبت عن ابن مسعود بسند صحيح: (أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى الجن وأمرهم ووعظهم وذكرهم)، والقرآن أصرح من ذلك وأرقى دلالة، قال الله تعالى: {وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين} [الأحقاف: ٢٩]، ونحن أولى بذلك منهم، فهم عندما سمعوا وانقادوا وفهموا عن الله قول الله جل وعلا ذهبوا لينذروا قومهم: {وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين} [الأحقاف:٢٩].

وهذه دلالة على أنهم مكلفون.

وأيضا هم أصناف من حيث الظلم، ومن حيث الحقد والحسد، ومن حيث الإسلام والكفر، والعتو في الكفر، فمنهم الجني ومنهم العفريت ومنهم المارد، قال الله تعالى على لسان الجن: {وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا} [الجن:١١]، وقال أيضا: {وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون}

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٢٤/٥٤

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٣/٥٧

[الجن:١٤] يعني: الظالمون، {فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا * وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا} [الجن:١٤ - ١٥].

فهؤلاء أيضا أصناف من الجن، فمنهم المسلم ومنهم الكافر؛ ولذا نقول: إن المصروع لو صرع بجني مسلم فلك أن تخاطبه وتقول له: قد ظلمت، اتق الله واخرج، وكما نعلم فإن الصرع موجود حقا من أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، بل النبي صلى الله عليه وسلم قد عالج من السحر، وعالج من الصرع، وأخرج الجني من الإنسان المصروع رغم أنف هؤلاء المبتدعة الذين يردون ذلك كله.

ونذكر هنا مسألة مهمة حول الجن؛ وهي أن الجن له فقه وله علم ويعلم، وقد حصل ذلك لأروى الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وأعلم الناس بحديث النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبو هريرة، فقد علمه جني، إذ فاقه فقها في مسألة فعلمه إياها، وهذا هو الجني الذي جاء متمثلا في صورة الرجل، فقد جاء في الصحيحين: (أن أبا هريرة كان حارسا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة، فكان هذا الرجل يأتي ويأخذ من الصدقة، فيأخذه أبو هريرة ويقول: سآخذك إلى رسول الله، فيقول: دعني عندي عيال ويعده ألا يعود، ثم يأتيه في الليلة الثانية والنبي صلى الله عليه وسلم يسأله عنه ويخبره أنه سيعود، ثم بعد ذلك جاء في الليلة الثالثة فأمسكه وقال: لا بد أن آخذك إلى رسول الله، فقال: دعني وسأعلمك كلمات ينفعك الله بها، ثم علمه فقال: إذا أخذت مضجعك فاقرأ آية الكرسي).

وفي رواية قال: (إذا قرأت آية الكرسي فلا يزال عليك من الله حافظ بهذه الآية).

فلما ذهب أبو هريرة فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بخبره قال له: (صدقك وهو كذوب) يعني: صدق في تعليمك هذا، وهذه أصبحت سنة من هذا الجني الذي لا نعرف اسمه، وهي سنة لإقرار النبي صلى الله عليه وسلم لما قاله هذا الجني من أننا لا ننام حتى نقرأ آية الكرسي.." (١)

"تعالى: {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا} (١).

٤ - والإسلام من حيث الثواب والعقاب ذو جزاء أخروي، بالإضافة إلى جزائه الدنيوي.

٥ - الإسلام يحرص على إبلاغ الناس أعلى مستوى ممكن من الكمال الإنساني، وهذه مثالية الإسلام، ولكنه لا يغفل عن طبيعة الإنسان وواقعه، وهذه هي واقعية الإسلام.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٤/٥٨

٦ – الإسلام وسط: في عقائده، وعباداته، وأخلاقه، وأنظمته، قال الله – عز وجل –: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا} (٢)، وهذه خصائص جميلة (٣).

المطلب الرابع: نواقض الإسلام

نواقض الإسلام كثيرة، وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى في باب حكم المرتد أن المسلم قد يرتد عن دينه بأمور وأنواع كثيرة من النواقض التي تحل دمه وماله، ويكون بها خارجا من الإسلام، ومن أخطرها وأكثرها وقوعا عشرة نواقض (٤):

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال تعالى: {إِن الله لا يغفر أن يشرك

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٣) انظر: **الحكمة في** الدعوة إلى الله، للمؤلف، ص ١١٧.

(٤) انظر: هذه النواقض في مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية، ص٣٨٥، ومجموعة التوحيد لشيخي الإسلام أحمد بن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، ص٢٧، ص٢٨.." (١)

"الشرط الثاني: رضا الله عن الشافع والمشفوع له، لقوله تعالى: {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى} (١)، {يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا} (٢).

الشفاعة الثانية: الشفاعة المنفية: وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والشفاعة بغير إذنه ورضاه، والشفاعة للكفار: {فما تنفعهم شفاعة الشافعين} (٣)،ويستثنى شفاعته – صلى الله عليه وسلم – في تخفيف عذاب أبي طالب (٤).

٣ – الاحتجاج على من طلب الشفاعة من غير الله بالنص والإجماع، فلم يكن النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا الأنبياء من قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة، أو الأنبياء، أو الصالحين، ولا يطلبوا منهم

---

(١) نور الإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٧

الشفاعة، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولم يستحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا مجتهد يعتمد على قوله في الدين، ولا من يعتبر قوله في مسائل الإجماع، فالحمد لله رب العالمين (٥).

المطلب الرابع: مسبغ النعم المستحق للعبادة

من **الحكمة في** دعوة المشركين إلى الله تعالى لفت أنظارهم وقلوبهم إلى

---

(١)) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٢)) سورة طه، الآية: ١٠٩.

(٣)) سورة المدثر، الآية: ٤٨.

(٤)) انظر: البخاري مع الفتح، مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، ٧/ ١٩٣، برقم ٣٨٨٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابا، ١/ ١٩٥، برقم ٢١١.

(٥)) انظر: فتاوى ابن تيمية،١/ ١١٢،١٥٨، ١٤/ ٣٩٩ – ٤١٤، ١/ ١٠٨ – ١٦٥، ١٤/ ٣٨٠، ٤٠٩، ١/ ١٦٠ – ١٦٦، ١٩٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤١، ودرء تعارض العقل والنقل، له، ٥/ ١٤٧، وأضواء البيان، ١/ ١٣٧.." [١]

"ثم تتابع الرسل عليهم الصلاة والسلام (١)، والغلو يكون: في الأشخاص، كتقديس الأئمة، والأولياء، ورفعهم فوق منازلهم، ويصل ذلك في النهاية إلى عبادتهم، ويكون الغلو في الدين، وذلك بالزيادة على ما شرعه الله، أو التشدد والتكفير بغير حق، والغلو في الحقيقة: هو مجاوزة الحد في الاعتقادات، والأعمال، وذلك بأن يزاد في حمد الشيء، أو يزاد في ذمه على ما يستحق (٢)، وقد حذر الله عن الغلو فقال – عز وجل – لأهل الكتاب: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم} (٣)، وحذر النبي – صلى الله عليه وسلم – من الغلو في الدين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) (٤)، فظهر أن الغلو في الدين من أعظم أسباب الشرك، والبدع، والأهواء (٥)؛ ولخطر الغلو في الدين حذر النبي - صلى الله عليه وسلم – عن الإطراء فقال: ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله))

---

(١) نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٣٣

.(٦)

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ١/ ١٠٦.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ١/ ٢٨٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٤) النسائي، كتاب المناسك، باب التقاط الحصى، ٥/ ٢٦٨، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، ٢/ ١٠٠٨، وأحمد ١/ ٣٤٧، وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم، ١/ ٢٨٩.

(٥) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ١/ ٢٨٩، والاعتصام للشاطبي، ١/ ٣٢٩ – ٣٣١، ورسائل ودراسات في الأهواء والبدع وموقف السلف منها، للدكتور ناصر العقل، ١/ ١٧١، ١٨٣، والغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، للدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص٧٧ – ٨١، **والحكمة في** الدعوة إلى الله – عز وجل –، لسعيد بن علي [المؤلف]، ص٣٧٩.

(٦) البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: {واذكر في الكتاب مريم ... }، ٤/ ١٧١، برقم ٣٤٤٥.." (١)

"وجوب الإيمان بالغيب وإن لم تعقل صوره

لا يمنع أن يكون في الدين ما يوافق معقول الإنسان ونظره، فبعض الدين بين الله تبارك وتعالى **الحكمة منه**، وكانت تتمشى مع العقل السليم، لكن الله تبارك وتعالى أخفى على عباده حكمة بعض الأوامر والنواهي ليبتلي إيمانهم أيؤمنون به أم لا، وأنا أضرب لك أمثلة أنت تؤمن بها، ولكنك لا تتصورها، ولا يمكن أن تتخيلها بل ولا تعقلها: الجنة وما فيها من نعيم، والنار وما فيها من عذاب هل تتصورها؟

A لا.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف) من يعقل هذا؟ لا أحد.

خلق الملائكة: ملك واحد بلغت أجنحته ستمائة جناح، الجناح الواحد يسد ما بين السماء والأرض، من يعقل ذلك؟! ولذلك ابتلى الله عز وجل إبراهيم عليه السلام صاحب الحنيفية أبو الأنبياء، وجعل الله تعالى

---

(١) نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٣٩

الأنبياء من نسله، ولذلك كان إمام الأنبياء؛ لأنه سلم في غير المعقول، من منا يأخذ امرأته وولده ويتركهما في أرض قفر صحراء لا زرع فيها ولا ماء، لابد أنه قبل الآخرين يحكم على نفسه بالجنون، إبراهيم عليه السلام لما أمر بترك ولده وزوجه في صحراء مكة عند البيت الحرام قبل بنائه وقبل ظهور معالمه لما أمر بترك زوجه وولده في هذا المكان القفر تركهم بغير تردد ولا شك ولا ارتياب، ثم انطلق إلى ربه، وكذلك لما أمر بذبح ولده البكر إسماعيل نفذ الأمر مباشرة، فلما علم الله عز وجل منه الصدق والإذعان أنزل نجاة ولده كبشا يذبح فداء، وهو سنة لجميع أهل الإسلام إلى قيام الساعة، من منا يفعل ما كان يفعله إبراهيم عليه السلام.

الإيمان عجيب إذا خالطت بشاشته القلوب، ينطلق صاحبه لينفذ كل أمر ويجتنب كل نهي.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (ضرس الكافر يوم القيامة كجبل أحد) ضرس من أضراس الكافر يوم القيامة كجبل أحد، فما بالكم بجميع أضراسه، بل ما بالكم بجميع بدنه كيف يكون الكافر حينذاك؟ لابد من التسليم، وإلا إذا لم تسلم وقعت في التكذيب وهو كفر.

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام: (إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر)، وهجر هي أرض البحرين الآن، بين قوائم الباب الواحد من أبواب الجنة كما بين مكة والبحرين، وفي رواية: (ما بين مكة وبصرى) أي: الشام، من منا يصدق أن بابا واحدا سعته ما بين البحرين ومكة، أو مكة والشام، من منا يصدق أن في الجنة شجرة يسير الراكب المسرع في ظلها مائة عام؟ لابد من الإيمان والتسليم وإلا وقعت في التكذيب والجحود والنكران، لابد أن تقول: سمعنا وأطعنا حتى تتميز عن غيرك، وحتى تكون حقا مقدما للنقل على العقل.

وكذلك القبر وما فيه من عذاب ونعيم نؤمن به إيمانا جازما، ونؤمن أن هذا القبر الضيق الذي لم يبلغ عرضه مترا وطوله مترين نؤمن أنه يفتح لأهل الإيمان وأهل الطاعة حتى يكون مد بصرهم، وينعمون فيه أكثر من نعيمهم في حياتهم الدنيا، كما نؤمن أن هذا القبر يكون على أهل الكفر والجحود والعناد وعلى أصحاب المعاصي حفرة من حفر النار يضيق على صحابه؛ حتى يبعثه الله عز وجل يوم القيامة فيدخله النار، نؤمن بهذا كله، وإن كان المعقول يقول: هذا شيء غير معقول، لكننا لا نحكم عقولنا والحالة هذه، بعض الناس يقول: لابد لي من إثبات الحكمة من الأمر والنهي؛ لأن دين الله تبارك وتعالى مبني على الحكمة، وهو الحكيم الخبير اللطيف سبحانه وتعالى.

أقول: نعم، لا يوجد أمر إلهي إلا ووراءه حكمة، لكن الفارق بيني وبينك: أنني أؤمن أن الله تبارك وتعالى أحيانا يبين الحكمة في الأمر والنهي، وأحيانا يخفيها ابتلاء لإيمان العبد.

نعم، كل أمر ونهي مبني على الحكمة لا محالة، الله تعالى لا يشرع شرعه سدى ولا هباء ولا بغير مصلحة للعباد، وربما ظهرت المصلحة وربما خفيت، لكنها تخفى على العباد ولا تخفى على رب العباد الذي شرعها وأمر بها أو نهى عنها.." (١)

"الحكمة في الأمور التعبدية

بعض الناس يقول في عدة المرأة: إن حكمتها وعلتها استبراء الرحم، وبيان هل في الرحم حمل أم لا؟ A أن هذا يتبين بحيضة واحدة، فلماذا جعلت العدة لمن تحيض ثلاث حيضات، مع أن براءة الرحم تظهر بحيضة واحدة بعد الطلاق، ثم المرأة هي المرأة، والرحم هو الرحم عند الأمة والحرة، فلماذا جعل الشرع عدة الحرة ثلاث حيضات، وجعل للأمة حيضتين؟ ولماذا جعل الله تبارك وتعالى العدة ثلاثة قروء لمن تحيض، وثلاثة أشهر لمن أيست من المحيض أو الصغيرة المقدور على جماعها والتي لم تبلغ سن الحيض بعد، ولكنها تزوجت قبل الحيض؟ مع أن المرأة التي أيست من المحيض إذا اعتدت بالأشهر فأدركها الحيض أو أتتها حيضة في أثناء أشهرها ولو في الشهر الثالث انقلبت العدة في حقها من الأشهر إلى القروء، ولزمها أن تمكث حيضتين أخريين بعد حيضتها التي أدركتها في الشهر الثاني.

المرأة الحامل تعتد وعدتها وضع الحمل، هب أن امرأة حاملا توفي عنها زوجها، المعلوم أن عدة المرأة التي توفي عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا، بعض الناس قالوا: هذا لحرمة الزوج، ولعدم جرح أولياء الميت، فلزم المرأة أن تنتظر أربعة أشهر وعشرا، على أية حال ربما تكون هي الحكمة، لكننا لا نعتمد عليها، بل نقول: إن هذا مردود بأن المرأة لو توفي عنها زوجها وهي حامل، ووضعت حملها وزوجها على فراشه بعد أن مات وقبل أن يدفن حل لها أن تتزوج، فأين الأربعة أشهر وعشرا؟ إنما الأربعة أشهر وعشرا للمرأة التي مات عنها زوجها وهي غير حامل، أما الحامل فعدتها وضع الحمل وإن كان لحظة واحدة، لو أن الرجل شخص بصره إلى السماء ولفظ أنفاسه ثم وضعت المرأة حملها ولا يزال الرجل على السرير، جاز لمن أدرك الرجل قبل أن يدفن أن يتزوج هذه المرأة، فأين الأربعة أشهر وعشرا؟ أين خاطر الأولياء؟ لابد من التسليم وعدم الاعتماد على العلة والحكمة، فأحيانا تظهر وأحيانا لا تظهر، وهل أنت لا تؤمن بما في كتاب الله ولا بما في سنة

---

(١) أصول أهل السنة والجماعة، حسن أبو الأشبال الزهيري ٩/٨

النبي عليه الصلاة والسلام إلا إذا بانت لك العلة وظهرت لك الحكمة؟ إذا أنت لا تعبد إلا نفسك، فالجانب التعبدي في الإسلام وفي دين الله عز وجل كبير جدا، فالشريعة الإسلامية في عمومها فيها ما يوافق أهل العقل والحجى والحكمة، لكن الجانب التعبدي كبير جدا كذلك، فإن مواقيت الصلاة، وأعداد الركعات من الأمور التعبدية، هل يمكن أن تقول لله عز وجل: لماذا جعلت المغرب ثلاثا والظهر أربعا والصبح اثنتين؟ وما هي **الحكمة في** ذلك؟ إذا كنت لا تؤمن بأمر إلا إذا ظهرت حكمته لك، فقل لي بربك: ما حكمة توقيت الصلاة في هذه المواقيت بالذات وأعداد الصلوات؟ نعم لها حكمة، لكن لا يعلمها إلا الخبير اللطيف سبحانه وتعالى.

وكذلك كون الزكاة في بعض الأموال دون جميعها، وجعل النصاب في الغنم غير البقر غير الإبل غير الزروع غير الثمار، فكل له مقدار وله توقيت، فزكاة المال ٢.

٥% إذا حال عليه الحول وبلغ النصاب، ربما يقول قائل: لماذا ٢.

٥ بالذات، لم لم يكن ٢ فقط، أو ٣ أو ٥؟ أقول: آمنت بالله وصدقت النبي عليه الصلاة والسلام.

وكذلك أعمال الحج من طواف وسعي وتقبيل للحجر والوقوف بعرفة والمبيت بالمزدلفة ومنى ورمي الجمار، كلها أعمال تعبدية، ولذلك تحرج عمر رضي الله عنه من تقبيل الحجر الأسود، ولولا أنه رأى النبي عليه السلام يقبله ما قبله؛ لأن عمر أمر بما أمر الله تعالى به ورسوله، لذا يسمع ويطيع وإن كان الأمر فوق المعقول، يقول عمر: والله لولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك، وهذا إيمان من عمر.

كما أن العقوبات والحدود الشرعية أمور تعبدية، لا يمكن أن يقال لله: لم، وكيف؟ فعقوبة الزاني المحصن تختلف عن غير المحصن، عقوبة الزنا غير عقوبة السرقة، عقوبة السرقة غير عقوبة قطع الطريق، فالله عز وجل رتب لكل عقوبة حدا معينا، لا يجوز لأحد أن يعترض على الله، بل نقول: سمعا وطاعة لله عز وجل، ولذلك جعل الله عز وجل عقوبة السرقة قطع اليد، لكن ليست أي سرقة، سرقة من حرز وربع دينار فصاعدا، لقوله عليه الصلاة والسلام: (لا قطع في أقل من ربع دينار فصاعدا)، أما أقل من ربع دينار فيعزر السارق، وربع دينار فصاعدا يحد حدا، وتقطع يده من الرسغ، أي: تقطع كفه اليمنى، فإذا سرق ثانية قطعت كفه اليسرى، أما إذا عتدى أحد عليك فقطع يدك، فالدية خمسمائة دينار، فلماذا لا تكون ربع دينار؟ لأن العقل يقول هذا، ولذلك بعض الملاحدة قال: يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار يعترض على الله عز وجل، يقول: هي ديتها خمسمائة دينار، فلماذا تقطع في ربع دينار؟ إما أن تكون ديتها

ربع دينار أو أنها لا تقطع إلا إذا سرقت خمسمائة دينار فصاعدا، فرد عليه المؤمن الموحد وقال: لما كانت أمينة كانت ثمينة، فلما خانت هانت، فافهم حكمة الباري.

لما كانت أمينة واعتدي عليها استحقت دية عظيمة خمسمائة دينار، فلما خانت ومدت يدها لأموال الناس بغير حق وسرقت هانت.." (١)

"فضائل توحيد الألوهية

ننتقل إلى مسألة أخرى وهي: فضائل توحيد الألوهية.

أولا: توحيد الألوهية: هو **الحكمة من** خلق الجن والإنس، يقول الله سبحانه وتعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦]، ففي هذه الآية بيان أن الله عز وجل خلق الإنس والجن لتحقيق غاية معينة وهي العبادة، ولهذا قال ابن عباس في معنى قوله: {إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦]: إلا ليوحدون، يعني: إلا ليفردوا الله عز وجل بتوحيد العبادة.

ثانيا: توحيد الألوهية هو أساس دعوة الرسل جميعا: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل:٣٦].

ثالثا: أن توحيد الألوهية -وهو إفراد الله عز وجل بالتأله والتعبد- هو حق الله عز وجل على الناس، كما ورد في حديث معاذ بن جبل عندما كان رديفا للنبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال له: (يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله: ألا يعذب من لا يشرك به شيئا).

رابعا: أن من حقق هذا التوحيد وخلصه من شوائب الشرك الأكبر والأصغر وخلصه من البدع والمعاصي، فإنه سيكون من السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، كما ورد في حديث ابن عباس الطويل في السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

خامسا: أن من جاء بهذا التوحيد تاما فإن له الأمن والاهتداء بحسب توحيده، ومن جاء بالتوحيد ناقصا فإن له الأمن والاهتداء ناقصا.

يقول الله عز وجل: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون} [الأنعام:٨٢]، ومعنى (الذين آمنوا ولم يلبسوا) يعني: لم يخلطوا، (إيمانهم بظلم) يعني: بشرك، (أولئك لهم الأمن وهم

---

(١) أصول أهل السنة والجماعة، حسن أبو الأشبال الزهيري ٩/٩

مهتدون) فالأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة.
وقد فسرت الآية الأخرى في سورة لقمان أن المقصود بالظلم هو الشرك، قال تعالى: {إن الشرك لظلم عظيم} [لقمان:١٣] كما ورد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عندما جاء الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: (يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه؟ -لأنهم فهموا من الآية ظلم العبد لنفسه، فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن المقصود بالظلم هو الظلم الأكبر الذي هو الشرك، واستدل بآية لقمان السابقة- فقال: ألم تسمعوا قول العبد الصالح: {إن الشرك لظلم عظيم} [لقمان:١٣]).
سادسا: هو أن من كان معه أصل توحيد الألوهية فإنه لابد أن يدخل الجنة حتى لو كان معه بعض الذنوب والمعاصي والآثام ودخل النار، فإنه يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبادة بن الصامت: (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)، وهذا الحديث في الصحيحين.
فقوله: (أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) فيه مجموعة من الشروح لأهل العلم، منها: سيدخل الجنة على أي عمل كان، فإذا كان فاسقا وعنده ذنوب ومعاصي فإنه سيدخل الجنة حتى لو دخل النار زمنا وطهر فإن عاقبته إلى الجنة، وهذا يدل على فضل هذا التوحيد، وأن عاقبته هي الخير للإنسان.
سابعا: أن من جاء بالتوحيد فإن الله يغفر به جميع الذنوب، ولهذا جاء في الحديث القدسي أنه قال: (ولو أتيتني بقراب الأرض خطايا لأتيتك بقرابها مغفرة)، وأهم شيء هو أن يكون الإنسان موحدا وألا يكون عنده شيء من الشرك.
ولهذا فإن فضائل توحيد الألوهية كثيرة لا تكاد تعد ولا تحصى، بل إن ابن القيم رحمه الله في كتابه (مدارج السالكين) قال: إن القرآن كله راجع إلى هذا النوع من التوحيد، فهو إما آيات صريحة في توحيد الله عز وجل فهو راجع إلى التوحيد صراحة، وإما آيات في الأحكام وهي من لوازم التوحيد؛ فإن توحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادة ومن العبادات هذه الأحكام، أو قصص وأخبار، فهي قصص لأهل التوحيد مع أهل الشرك وكيف كانت عاقبة الموحدين المشركين، أو أنها في ذكر صفات الله عز وجل وهذه راجعة أيضا للتوحيد، فكل القرآن يرجع إلى التوحيد.
ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة)،

وكانت (آية الكرسي) أعظم آية في القرآن؛ لأنها تشتمل على توحيد الألوهية، فهو أول الأمر وآخره، وهو الذي تحقن به الدماء، فإن من لم يوحد ربه بهذا النوع من التوحيد فإن دمه حلال، ولا يكون حراما إلا إذا وجدت عهود أو عقود بح." (١)

"حكم من يقول: إن وجود الله ظني وإن **الحكمة من** خلق الإنسان جمع المال لا العبادة

Q يقول السائل: أنا طالب في جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وعندنا دكتور يدرسنا مادة الثقافة الإسلامية، وفي ذات مرة وهو يشرح الدرس تكلم وقال: إن وجود الله وجود ظني؛ لأن الله غير ملموس ولا محسوس، ووجود القرآن وجود يقيني؛ لأن القرآن محسوس وملموس.

ويقول أيضا: **الحكمة من** خلق الإنسان هي جمع المال وليس العبادة في الدنيا، فما حكم قوله هذا في الشريعة الإسلامية؟ علما بأن هذه الدروس تأتي في الاختبارات، فهل نجيب عليها أم لا؟

A أنا أخشى أن يكون الأخ فهم من كلام الدكتور فهما غير صحيح، أما إذا كان كلام الدكتور فعلا بهذا الأسلوب الذي يقول فيه: إن وجود الله وجود ظني فهذا قدح في عقيدة هذا الإنسان، فإن وجود الله عز وجل لا شك فيه، حتى عند الكفار، وقد سبق أن أشرنا إلى هذا المعنى، وقلنا: إن الله عز وجل يقول: {ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله} [لقمان:٢٥] فالمسلمون من باب أولى، كيف يقول: إن وجود الله عز وجل وجود ظني، هذا كلام كفري، وقوله: إن وجود القرآن وجود يقيني، يعني: هذا الدكتور يفهم من كلامه أنه يعتقد أن اليقين هو في المحسوس، وأما الغيبيات فلا يقين فيها، ولهذا يقول: القرآن يقين؛ لأنه محسوس، والله عز وجل وجوده ظني؛ لأنه غير محسوس، هذا قول فاسد؛ فإنه ليس كل أمر غير محسوس يكون ظنيا، وفي الرد على الماديين الشيوعيين كان يقال: إن العقل مثلا أمر غير محسوس باليد، ومع هذا هو أمر مقطوع به، وكذلك الروح، وكذلك الأرواح الطيبة والخبيثة، هذا أمر مقطوع به، ويبدو أن هذا الشخص لديه خلفيات مادية، وهذا أمر في غاية الخطورة.

وقوله: إن **الحكمة من** خلق الإنسان هي جمع المال وليس العبادة في الدنيا هذا معارض لصريح القرآن، قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦] وهذا كلام كفري والعياذ بالله؛ ولهذا إذا كان هذا الدكتور يتكلم بهذا الكلام حقيقة، يجب على الطلاب أن يسجلوا أقواله صوتيا وهذا أضبط، ويسجلوا شهادتهم على هذا الدكتور، وأن يتقدموا إلى القضاء بشكوى رسمية ضد هذا الدكتور؛ لأن هذا

---

(١) أصول العقيدة – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٦/٣

الدكتور ينشر كلاما كفريا خطيرا على عقائد المسلمين، لكن إذا سمع الإنسان بشيء ينبغي أن يكون متثبتا؛ لأن ظلم الآخرين لا يجوز، وإذا لم يفهم الإنسان كلام أحد من الناس بالطريقة الصحيحة فلا يجوز أن يتهمهم، لكن إذا كان فعلا يتكلم بهذا الكلام الخطير وبطريقة واضحة ومفهومة، فيجب على مجموعة الطلاب الموجودين أن يسجلوا هذا الكلام على شكل شكوى، وأ، يتقدموا بها للمحكمة، ويكتبوا شهادتهم فيها عند القاضي، وأن يقولوا: نحن نشهد بالله العظيم على أن هذا الرجل قال كذا وقال كذا، أيا كان سواء كان دكتورا في الجامعة أو في أي مكان، يجب أن يشتكى إلى القاضي، والقاضي يستدعيه وإن اعترف عنده بهذا الكلام يعلمه أن هذا كفر، فإن أصر فإنه يقتل؛ لأنه مرتد بعد البيان والتوضيح، أما إذا اعتذر وتراجع وأعلن إسلامه، فإنه يعزر حسب رأي القاضي، وحسب المصلحة، وحسب الأحوال المحيطة بهذه القضية.

فلا يترك لأهل النفاق وأهل الفجور والكفر الكلام، خصوصا ونحن في بلاد التوحيد ولله الحمد، والمحاكم الشرعية منصوبة، والقضاة موجودون، فلا يجوز السكوت على هذه النماذج أبدا، وأي إنسان يجد كلاما كفريا خطيرا والعياذ بالله في الصحافة، أو في أي مكان من الأماكن، ينكره بشرط أن يكون متثبتا في هذا، وأن تكون لديه أدلة يقينية، لا تكون لديه ظنون أو أوهام؛ لأن الظنون والأوهام لا قيمة لها، ولا يجوز للإنسان أن يظلم الخلق، لكن إذا كانت هناك أدلة يقينية فيجب أن يتقدم بشكوى للمحكمة، والقاضي بدوره يستدعي هذا الرجل ويحاسبه؛ لأن هذا الكلام خطير على عقائد المسلمين.." (١)

"أحدهما: أن هذه الموجودات مخترعة، وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات، كما قال تعالى: إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له الآية [الحج: ٧٣]؛ فإنا نرى أجساما جمادية ثم تحدث فيها الحياة، فنعلم قطعا أن هاهنا موجدا للحياة، ومنعما بها وهو الله تبارك وتعالى، وأما السموات فنعلم من قبل حركاتها التي لا تفتر أنها مأمورة بالعناية بما هاهنا ومسخرة لنا، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة.

وأما الأصل الثاني: فهو أن كل مخترع فله مخترع، فيتضح من هذين الأصلين أن للموجود فاعلا مخترعا له، وفي هذا الجنس دلائل كثيرة على عدد المخترعات.

وكذلك كان واجبا على من أراد معرفة الله تعالى حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ليقف على الاختراع

---

(١) أصول العقيدة - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ١٧/٥

الحقيقي في جميع الموجودات، لأن من لم يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع، ولهذا أشار تعالى وتقدس بقوله: أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء [الأعراف: ١٨٥] وكذلك أيضا من تتبع معنى الحكمة في موجود أعني معرفة السبب الذي من أجله خلق الغاية المقصودة به كان وقوفه على دليل العناية أتم. فهذان الدليلان هما دليل الشرع.

وأما أن الآيات المنبهة على الأدلة المفضية إلى وجود الصانع سبحانه في الكتاب العزيز هي مختصرة في هذين الجنسين من الدلالة، فهذا بين لمن تأمل الآيات الواردة في الكتاب العزيز في هذا المعنى، إذا تصفحت وجدت على ثلاث أنواع:

إما آيات تتضمن التنبيه على دلالة العناية.

وإما آيات تتضمن التنبيه على دلالة الاختراع.

وإما آيات تجمع الأمرين من الدلالة جميعا.

فأما الآيات التي تتضمن دلالة العناية فمثل قوله تعالى: ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا – إلى قوله – وجنات ألفافا [النبأ: ١٦] ومثل قوله تعالى: تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا – إلى قوله - أو أراد شكورا [الفرقان:٦١] ومثل قوله تعالى: فلينظر الإنسان إلى طعامه [عبس:٢٤] ومثل هذا في القرآن كثير.

وأما الآيات التي تضمنت دلالة الاختراع فقط فمثل قوله تعالى: فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق [الطارق:٦] ومثل قوله تعالى: أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت الآية [الغاشية:١٧]، ومثل قوله تعالى: يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له الآية [الحج: ٧٣] ومن هذا قوله حكاية عن إبراهيم صلى الله عليه وسلم: إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين [الأنعام: ٧٩] إلى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى.." (١)

"فأما الآيات التي تجمع الدلالتين فهي كثيرة أيضا، بل هي الأكثر مثل قوله تعالى: يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون – إلى قوله تعالى - فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون [البقرة: ٢١ - ٢٢] فإن قوله: الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون [البقرة: ٢١] تنبيه على

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٥٨/١

دلالة الاختراع، وقوله: الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء تنبيه على دلالة العناية، ومثل قوله تعالى: وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون [يس: ٣٣] وقوله: ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار [آل عمران:١٩١]. وأكثر الآيات الواردة في هذا المعنى يوجد فيها النوعان من الدلالة.

فهذه الدلالة هي الصراط المستقيم الذي دعا الله تعالى الناس منه إلى معرفة وجوده، ونبههم على ذلك بما جعل في فطرهم من إدراك هذا المعنى، وإلى هذه الفطرة الأولى المغروزة في طباع البشر الإشارة بقوله تعالى: وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم – إلى قوله تعالى - قالوا بلى شهدنا [الأعراف: ١٧٢] ولهذا قد يجب على من كان وكده طاعة الله في الإيمان به، وامتثال ما جاء به رسله أن يسلك هذه الطريقة حتى يكون من العلماء الذين يشهدون لله بالربوبية، مع شهادته لنفسه، وشهادة ملائكته له، كما قال تبارك وتعالى: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ودلالة الموجودات من هاتين الجهتين هو التسبيح المشار إليه بقوله تعالى: وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم [الإسراء: ٤٤].

فقد بان من هذا أن الأدلة على وجود الصانع تعالى منحصرة في هذين الجنسين: دلالة العناية، ودلالة الاختراع. وأن هاتين الطريقتين هما بأعيانهما طريقة الخواص، وأعني بالخواص العلماء، وإنما الاختلاف بين المعرفتين في التفصيل: أعني أن الجمهور يقتصرون في معرفة العناية والاختراع على ما هو مدرك بالمعرفة الأولى المبنية على علم الحس، وأما العلماء فيزيدون إلى ما يذكرون من هذه الأشياء بالحس ما يدركون بالبرهان، أعني من العناية والاختراع، حتى لقد قال بعض العلماء: إن الذي أدرك العلماء من معرفة منافع أعضاء الإنسان والحيوان هو قريب ألف منفعة. وإذا كان هذا هكذا فهذه الطريقة هي الطريقة الشرعية والطبيعية، وهي التي جاءت بها الرسل ونزلت بها الكتب. والعلماء ليسوا يفضلون الجمهور في هذين الاستدلالين من قبل الكثرة فقط؛ بل ومن قبل التعمق في معرفة الشيء الواحد نفسه؛ فإن مثال الجمهور في النظر إلى الموجودات مثالهم في النظر إلى المصنوعات التي ليس عندهم علم بصنعتها؛ فإنهم إنما يعرفون من أمرها أنها مصنوعات فقط، وأن لها صانعا موجودا، ومثال العلماء في ذلك مثال من نظر إلى المصنوعات التي عنده علم ببعض صنعتها وبوجه **الحكمة فيها**، ولاشك أن من حاله من العلماء بالمصنوعات هذه الحال فهو أعلم بالصانع من جهة ما هو صانع من الذي لا يعرف من تلك المصنوعات

إلا أنها مصنوعة فقط. وأما مثال الدهرية في هذا الذين جحدوا الصانع سبحانه وتعالى فمثال من أحس مصنوعات فلم يعترف أنها مصنوعات، بل نسب ما رأى فيها من الصنعة إلى الاتفاق والأمر الذي يحدث من ذاته. بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية – ١/ ١٧٢." (١)

"وبين وجه الدلالة من الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قرر ضماما على ما اعتمد عليه في تعرف رسالته وصدقه صلى الله عليه وسلم من مناشدته ومجرد إخباره إياه بذلك، ولم ينكر عليه ذلك قائلا له: أن الواجب عليك أن تستدرك ذلك من النظر في معجزاتي، والاستدلال بالأدلة القطعية التي تفيدك العلم (١).
مستند الإجماع: من تأمل نصوص الكتاب والسنة وجدها حافلة بذكر الأمر الذي بعث الله عز وجل من أجله المرسلين، واجتمعت عليه كلمتهم أجمعين، فكان ذلك الأمر هو أوجب الواجبات، أول الفرائض والمطلوبات والذي شغل حيزا من حياتهم، بل كل حياتهم لتبليغه والدعوة إليه، فكان وظيفتهم والحكمة من بعثتهم، ألا وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، لا كما زعم المتكلمون أنه النظر المؤدي إلى معرفة الباري؛ فدونك الأدلة على ذلك، من الكتاب والسنة:
فمن الكتاب: قول الله تعالى: ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت [النحل: ٣٦].
وقوله تعالى: وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون [الأنبياء: ٢٥].
ونظائرهما كثير.
ووجه الدلالة من هاتين الآيتين ظاهر وصريح في أن الرسل إنما بعثوا لأمر الناس بعبادة الله ودعوتهم إلى ذلك، بل دلت الآية على حصر مهمتهم ووظيفتهم في ذلك، ولو كان النظر أوجب الواجبات وأولها، لنبه عليه الشارع الحكيم، ولكان على رأس الاهتمام من الأنبياء والمرسلين، ولما لم يكن كذلك تبين بطلان ما ذهب إليه المتكلمون، وفساد طريقتهم ومسلكهم.
وأما السنة: فقد أخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى)) (٢).
وفي رواية: ((ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)) (٣).
وعن سهل بن سعد: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى الراية عليا رضي الله عنه يوم خيبر، فقال

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/١٥٩

علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام ...)) (٤).

ووجه الدلالة من الحديثين بينة؛ إذ لو كان النظر إلى معرفة الله تعالى واجبا كما يدعي المتكلمون لأمر صلى الله عليه وسلم بالدعوة إليه أولا، ولما قدم عليها غيره، ومن ثم تظهر مخالفة المتكلمين لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن الأدلة أيضا ما أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)). (٥)

ووجه الدلالة ظاهر بين؛ إذ إن الرسول صلى الله عليه وسلم علق كفه عن قتال الناس على شرط به يعصم المرء دمه وماله، ألا وهو التلفظ بالشهادتين، بخلاف ما سلكه المتكلمون من الحكم بسفك دم من لم يعرف الله تعالى بالطرق والأقيسة العقلية التي ابتدعوها.

فالرسول صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى توحيد الله عز وجل وقبل إسلام من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهؤلاء المتكلمون يدعون الناس إلى الاستدلال والدخول في الإسلام بهذه الطريقة المبتدعة ويجعلونه أول واجب على المكلف ومن لم يعرف أو عاند في تركه حكم بكفره وسفك دمه، فتأمل ما بين المنهجين من البون الشاسع والفرق الكبير. المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع لمجموعة مؤلفين – ص: ٢٦٠

---

(١) ((صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط)) لابن الصلاح (ص: ١٤٢ - ١٤٤).

(٢) رواه البخاري (٧٣٧٢).

(٣) رواه البخاري (١٣٩٥).

(٤) رواه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٥) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢). من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.." [1]

"القاعدة الأولى:

أسماء الله تعالى كلها حسنى

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢١١/١

أي بالغة في الحسن غايته، قال الله تعالى: ولله الأسماء الحسنى [الأعراف:١٨٠] وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالا ولا تقديرا مثال ذلك: "الحي" اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم، والقدرة، والسمع، والبصر وغيرها ومثال آخر: "العليم" اسم من أسماء الله متضمن للعلم الكامل، الذي لم يسبق بجهل، ولا يلحقه نسيان، قال الله تعالى علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى [طه:٥٢] العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا، سواء ما يتعلق بأفعاله، أو أفعال خلقه، قال الله تعالى: وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين]الأنعام:٥٩] وما من دآبة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين [هود:٦] يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور [التغابن:٤] ومثال ثالث: "الرحمن" اسم من أسماء الله تعالى متضمن للرحمة الكاملة، التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لله أرحم بعباده من هذه بولدها)) (١) يعني أم صبي وجدته في السبي فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته، ومتضمن أيضا للرحمة الواسعة التي قال الله عنها: ورحمتي وسعت كل شيء [الأعراف:١٥٦] وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما [غافر:٧] والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال مثال ذلك: "العزيز الحكيم" فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيرا فيكون كل منهما دالا على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزة في العزيز، والحكم **والحكمة في** الحكيم، والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلما وجورا وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم، فيظلم ويجور ويسيء التصرف وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لمحمد بن صالح بن عثيمين- ص٩

---

(١) رواه البخاري (٥٩٩٩) ومسلم (٢٧٥٤). من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.." [1]

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/٤٤٥

"- القابض، الباسط، المعطي

قال الله تعالى: والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون [البقرة:٢٤٥] وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله هو المسعر، القابض، الباسط الرزاق)) (١) وقال صلى الله عليه وسلم: ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين والله المعطي وأنا القاسم)) (٢) وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل)) (٣) الحديث

وقال تعالى: قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير [آل عمران:٢٦] وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين)) (٤) وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول بعد السلام من الصلاة حينما ينصرف إلى الناس: ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد)) (٥) هذه الصفات الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا ينبغي أن يثنى على الله بها إلا كل واحد منها مع الآخر، لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، فهو القابض للأرزاق والأرواح والنفوس، والباسط للأرزاق والرحمة والقلوب وهو الرافع لأقوام قائمين بالعلم والإيمان، الخافض لأعدائه وهو المعز لأهل طاعته، وهذا عز حقيقي، فإن المطيع لله عزيز وإن كان فقيرا ليس له أعوان، المذل لأهل معصيته وأعدائه ذلا في الدنيا والآخرة فالعاصي وإن ظهر بمظاهر العز فقلبه حشوه الذل وإن لم يشعر به لانغماسه في الشهوات فإن العز كل العز بطاعة الله والذل بمعصيته ومن يهن الله فما له من مكرم [الحج:١٨] من كان يريد العزة فلله العزة جميعا [فاطر:١٠] ولله العزة ولرسوله [المنافقون:٨] وهو تعالى المانع المعطي فلا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى وهذه الأمور كلها تبع لعدله وحكمته وحمده، فإن له الحكمة في خفض من يخفضه ويذله ويحرمه، ولا حجة لأحد على الله، كما له الفضل المحض على من رفعه وأعطاه وبسط له الخيرات، فعلى العبد أن يعترف بحكمة الله، كما عليه أن يعترف بفضله ويشكره بلسانه وجنانه وأركانه، وكما أنه هو المنفرد بهذه الأمور وكلها جارية تحت أقداره، فإن الله جعل لرفعه وعطائه وإكرامه أسبابا، ولضد ذلك أسبابا من قام بها ترتبت عليه مسبباتها، وكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، وهذا يوجب للعبد القيام بتوحيد الله، والاعتماد على ربه في حصول ما يحب، ويجتهد في فعل الأسباب النافعة فإنها محل حكمة الله شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة لسعيد

بن علي بن وهف القحطاني - ص١٨٨

---

(١) رواه أبو داود (٣٤٥١)، والترمذي (١٣١٤)، وابن ماجه (٢٢٠٠)، وأحمد (٣/ ١٥٦) (١٢٦١٣). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. والحديث سكت عنه أبو داود. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال ابن عبد البر في ((الاستذكار)) (٥/ ٤٢٣): روي من وجوه صحيحة لا بأس بها. وقال ابن كثير في ((إرشاد الفقيه)) (٢/ ٣٣): إسناده على شرط مسلم. وقال ابن حجر في ((تسديد القوس)) (١/ ٩٣): أصله في مسلم. وقال ابن دقيق العيد في ((الاقتراح)) (ص١١٣)، والألباني في ((صحيح أبي داود)): صحيح.

(٢) رواه البخاري (٣١١٦) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٧). من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(٣) رواه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٨١٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٥) البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣). من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.." [1]

"المطلب الخامس: كلمة (الأغراض)

هذه الكلمة من إطلاقات المتكلمين، وإليك بعض التفصيل في هذا اللفظ.

أ- الأغراض في اللغة: جمع غرض، والغرض هو الهدف الذي يرمي فيه، أو هو الهدف الذي ينصب، فيرمى فيه.

والغرض يطلق في اللغة أيضا على الحاجة، والبغية، والقصد (١).

ب- الغرض في اصطلاح علماء الكلام: قيل هو ما لأجله يصدر الفعل من الفاعل (٢).

وقال الجلال الدواني رحمه الله: (الغرض هو الأمر الباعث للفاعل على الفعل، وهو المحرك الأول، وبه يصير الفاعل فاعلا) (٣).

وبذلك نرى توافق المعنى اللغوي والاصطلاحي للغرض، وأنه غاية الفاعل من فعله، وهو الباعث له على فعله (٤).

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٩٤/١

ج- مراد أهل الكلام بهذه اللفظة: يريدون إبطال الحكمة في أفعال الله عز وجل وشرعه.

د- حجتهم في ذلك: يقول المتكلمون – وعلى وجه الخصوص الأشاعرة – إننا ننزه الله عن الأغراض، فلا يكون له غرض فيما شرعه أو خلقه؛ فأبطلوا الحكمة من ذلك، وقرروا أن الله لم يشرع إلا لمجرد مشيئته فحسب؛ فإذا شاء تحريم شيء حرمه، أو شاء إيجابه أوجبه.

وقالوا: لو قررنا أن له حكمة فيما شرعه لوقعنا في محذورين:

الأول: أنه إذا كان لله غرض فإنه محتاج إلى ذلك الغرض؛ ليعود عليه من ذلك منفعة، والله منزه عن ذلك.

والثاني: أننا إذا عللنا الأحكام أي أثبتنا الحكمة والعلة لزم أن نوجب على الله ما تقتضيه الحكمة؛ لأن الحكم يدور مع علته، فنقع فيما وقع فيه المعتزلة من إيجاب الصلاح والأصلح على الله؛ لأن الغرض عند المعتزلة بمعنى الغاية التي فعل لها، وهم يوجبون أن يكون فعله معللا بالأغراض (٥).

هـ- الرد عليهم:

١ – أن هذا اللفظ – الأغراض أو الغرض – لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة، ولا أطلقه أحد من علماء الإسلام وأتباعهم؛ لأن هذه الكلمة قد توهم النقص، ونفيها قد يفهم منه نفي الحكمة؛ فلابد إذا من التفصيل، والأولى أن يعبر بلفظ: الحكمة، والرحمة، والإرادة، ونحو ذلك مما ورد به النص.

٢ – أن الغرض الذي ينزه الله عنه ما كان لدفع ضرر، أو جلب مصلحة له، فالله سبحانه لم يخلق، ولم يشرع لأن مصلحة الخلق والأمر تعود إليه، وإنما ذلك لمصلحة الخلق.

ولا ريب أن ذلك كمال محض، قال تعالى: إنهم لن يضروا الله شيئا [آل عمران: ١٧٦].

وقال: إن تكفروا فإن الله غني عنكم [الزمر: ٧].

وفي الحديث القدسي: ((يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني)).

وهذا أمر مستقر في الفطر.

٣ – أن إيجاب حصول الأشياء على الله متى وجدت الحكمة حق صحيح، لكنه مخالف لما يراه المعتزلة من جهة أن الله عز وجل هو الذي أوجب هذا على نفسه، ولم يوجبه عليه أحد، كما قال عز وجل: كتب ربكم على نفسه الرحمة [الأنعام: ٥٤].

وكما قال: وكان حقا علينا نصر المؤمنين [الروم: ٤٧].

وكما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه لما كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال:

((أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قال معاذ: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به)) (٦) الحديث.

فهذا حق أوجبه الله على نفسه، ولله أن يوجب على نفسه ما يشاء.

ثم إن مقياس الصلاح والأصلح ليس راجعا إلى عقول البشر ومقاييسهم، بل إن ذلك راجع إلى ما تقتضيه حكمة الله تعالى، فقد تكون على خلاف ما يراه الخلق باديء الرأي في عقولهم القاصرة؛ فانقطاع المطر – على سبيل المثال– قد يبدو لكثير من الناس أنه ليس الأصلح، بينما قد يكون هو الأصلح لكنه مراد لغيره لقوله تعالى: ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون [الروم: ٤١].

وكذلك استدراج الكفار بالنعم، وابتلاء المسلمين بالمصائب، كل ذلك يحمل في طياته ضروبا من الحكم التي لا تحيط عقول البشر إلا بأقل القليل منها.

بل إن خلق إبليس، وتقدير المعاصي، وتقدير الآلام يتضمن حكما تبهر العقول وتبين عن عظيم حكمة أحكم الحاكمين (٧). رسائل في العقيدة لمحمد بن إبراهيم الحمد– ص: ٢٣٢

---

(١) انظر ((لسان العرب)) (٧/ ١٩٦).

(٢) انظر ((شرح مطالع الأنصار على طوالع الأنوار)) لشمس الدين بن محمود الأصفهاني (ص: ٩١٧).

(٣) ((شرح العقائد العضدية)) للجلال الدواني (٢/ ٢٠٤).

(٤) انظر: ((الحكمة والتعليل في أفعال الله)) د. محمد المدخلي (ص: ٢٦ – ٤٧).

(٥) انظر ((آراء المعتزلة الأصولية)) دراسة وتقويما د. علي الضويحي (ص: ١٠٦ – ١١٥).

(٦) رواه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

(٧) انظر تفصيل ذلك في ((كتاب الإيمان بالقضاء والقدر)) للكاتب، (ص: ١٤٥ – ١٧٦).." [(١)]

"تاسع عشر: الآثار الإيمانية لاسم الله المعطي والمانع

أن المؤمن عندما يدرك أن الله تعالى متصف بالعطاء والمنع فإنه يقطع الأمل من المخلوقين، وينزل حوائجه بالمعطي المانع المتفرد بالعطاء والمنع فيطرح الأواسط طرحا ويضرب عن الأسباب صفحا، ويجعل الله هو

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٥٨/٢

الكل وكل موجود مع القدرة كالطل لا حكم له في الفعل، فلا يذم مانعا بوجه ولا يمدح معطيا إلا من حيث ينظر إلى الله فيمدحه لمدح الله إياه إذ جرت بالخير يداه على ما أجراهما الله.

كما يدرك أن التأييد والإحاطة والنصر على الأعداء إنما يكون بحسب متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعندها تكون العزة والكفاية والنصرة. كما أنه بحسب متابعته تكون الهداية والنجاة، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة والولاية، والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة. ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة (١).

ومن مقتضى الإيمان بهذين الاسمين الكريمين: أن لا يفر أحد هذين الاسمين عن الآخر وذلك تأدبا مع الله تعالى، فإن إفراد أحدهما عن الآخر يوهم نقصا.

قال الخطابي: وفي ذكرهما معا إنباء عن القدرة وأدل على الحكمة، كقوله تعالى: والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون [البقرة: ٢٤٥]، وإذا ذكرت القابض مفردا عن الباسط كنت كأنك قد قصرت بالصفة على المنع والحرمان، وإذا وصلت أحدهما بالآخر فقد جمعت بين الصفتين منبئا على وجه **الحكمة فيهما** (٢).

منهج الإمام ابن قيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى لمشرف بن علي بن عبد الله الحمراني الغامدي – ص: ٤٢٢

---

(١) انظر: ((زاد المعاد)) (١/ ٣٧) بتصرف.

(٢) ((شأن الدعاء)) للخطابي (ص: ٥٨). وانظر: ((تفسير أسماء الله الحسنى)) للزجاج (ص: ٤٠).." (١)

"وقوله في القتل الخطأ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطئا إلى قوله وكان الله عليما حكيما [النساء: ٩٢] وقوله وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما [النساء: ١٣٠].

وقوله قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم [التحريم: ٢]، وغيرها من الآيات.

٥) وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يحكم بين الناس بما أنزل إليه من الأحكام الربانية، وأن يترك ما سواها من الآراء والأهواء، قال تعالى فاحكم بينهم بما أنزل الله [المائدة: ٤٨].

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٤٩/٢

قال تعالى وأن احكم بينهم بمآ أنزل الله ولا تتبع أهواءهم [المائدة: ٤٩].

ولم يكن هذا الأمر لمحمد صلى الله عليه وسلم خاصة، وإنما هو ما أمرت به جميع الرسل من قبله، يبين هذا قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه [البقرة: ٢١٣].

وقوله إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا [المائدة: ٤٤].

والمؤمنون يرضون بحكم الله، قال سبحانه إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا [النور: ٥١].

أما من لم يرض بذلك وترك تشريع الحكيم العليم، وأخذ بآرائه وما يمليه عليه عقله من أفكار، أو اتبع أهواءه وما تشتهيه نفسه، فقد وقع في هاوية الكفر أو الظلم أو الفسق التي حكم الله بها عليه.

قال سبحانه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون [المائدة: ٤٤].

وقال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون [المائدة: ٤٥].

وقال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون [المائدة: ٤٧].

٦) الله سبحانه يؤتي حكمته من يشاء:

كما قال عن نفسه جل ثناؤه يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا [البقرة: ٢٦٩].

وقد تنوعت عبارات المفسرين في تأويل قوله تعالى يؤت الحكمة فمنهم من قال هي الإصابة في القول والفعل، وقيل: هي الفقه في القرآن والفهم فيه. وقال بعضهم: هي الفهم والعقل في الدين والأتباع له. وقال آخرون: هي النبوة. وقيل هي: الخشية لله.

قال ابن جرير جامعا بين الأقوال السابقة: وقد بينا فيما مضى معنى الحكمة وأنها مأخوذة من الحكم وفصل القضاء، وأنها الإصابة بما دل على صحته، فأغنى عن تكريره في هذا الموضع.

فإذا كان ذلك كذلك معناه، كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك، داخلا فيما قلنا من ذلك، لأن الإصابة في الأمور، إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة، وإذا كان ذلك كذلك، كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره، فهو خاشيا لله عالما، وكانت النبوة من أقسامه لأن الأنبياء مسددون مفهمون وموفقون لإصابة الصواب في الأمور، والنبوة بعض معاني الحكمة.

فتأويل الكلام: يؤتي الله إصابة الصواب في القول والفعل من يشاء، ومن يؤته الله ذلك فقد أتاه خيرا كثيرا. اهـ (١).

---

(١) ((جامع البيان)) (٣/ ٦٠ - ٦١)، وانظر ((تفسير ابن كثير)) (١/ ٣٢٢).." [1]

"قال شيخنا محمد بن صالح العثيمين في بيان بطلان هذا الزعم: (.. إن كون طريقة السلف أسلم من لوازم كونها أعلم وأحكم، إذ لا سلامة إلا بالعلم والحكمة. العلم بأسباب السلامة، **والحكمة في** سلوك تلك الأسباب، وبهذا يتبين أن طريق السلف (أسلم، وأعلم، وأحكم) (١).

والسلامة التي يمكن إثباتها في مذهب أهل التفويض هي السلامة من التحريف الذي تقوله المتكلمون على الله بغير علم، بصرف معاني النصوص إلى استعمالات مجازية. ولا ريب أن هذا لون من السلامة، لكن قابله الوقوع في هلكة التجهيل، بتفريغ تلك النصوص من أي معنى يفهمه السامع، فكانوا كما قيل:

المستجير بعمرو حال كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

ثانيا: أن هذه (السلامة) المدعاة، المبنية على الجهل، لن تصل بأصحابها إلى شاطئ الأمان، وبر الطمأنينة إلا من ابتلي بالإعراض والصدود ولم يشتغل قلبه بمعالي الأمور. أما النفوس الزكية، والقلوب الحية فلا يمكن أن تحال على مجهولات، وطلاسم، ومعميات ثم تركن إليها. (لأنه لا يمكن لأي قلب فيه حياة ووعي وطلب للعلم ونهمة في العبادة إلا أن يكون أكبر همه هو البحث في الإيمان بالله تعالى، ومعرفته بأسمائه وصفاته، وتحقيق ذلك علما واعتقادا) (٢). وبالتالي يظل معتنق التفويض يعيش في حيرة، واضطراب، وتناقض، وحسبه بذلك بعدا عن السلامة المزعومة. مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات لأحمد بن عبدالرحمن القاضي -بتصرف – ص ٤٣٩

---

(١) ((فتح رب البرية بتلخيص الحموية)) (ص: ١٩).

(٢) ((تلخيص الحموية)) (ص: ٨).." [2]

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٣٩٥

(٢) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٤٧١

"الفرع الرابع: التنجيم

وهو في اللغة: طلب العلم بالنجوم فالتاء في لفظ التنجيم للطلب فهو تفعيل منه.

وشرعا: هو الاستدلال بالنجوم.

والحكمة من خلق النجوم التي أخبرنا بها في كتابه الكريم هي:

١ – علامات على الجهات التي تعرف بها الجهات الأصلية والفرعية.

٢ – يهتدي بها المسافر إلى جهات البلدان؛ لمعرفة طرقها، أو أماكن وجودها، قال تعالى: وعلامات وبالنجم هم يهتدون.

٣ – زينة للسماء الدنيا.

٤ – رجوما للشياطين المسترقين للسمع بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وعليه فمن ادعى لها فائدة غير هذه طولب بالدليل الشرعي على ذلك، ولا يقر على شيء مما يقول حتى يقيمه بلا شبهة إذ لا يترك ما دل عليه كتاب الله لقول قائل كائنا من كان.

والتنجيم على قسمين:

الأول: علم تأثير:

وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، بأن تجعل أسبابا مؤثرة أو مقارنة لها، فإن اعتقد أنها الفاعلة أو المؤثرة، سواء بنفسها أو ادعى أنها مؤثرة بإذنه تعالى فهو مشرك شركا أكبر مخرجا عن ملة الإسلام.

وإن اعتقد أنها مقارنة للحوادث الأرضية لا تفارقها فهو مشرك شركا أصغر، ينافي كمال التوحيد، وذلك لأن اعتقاد أن الشيء سبب مؤثر أو مقارنة أمر شرعي فلابد من ثبوت السببية شرعا أو عادة وهي منفية هنا فدعواها قول على الله بغير علم.

الثاني: علم تسيير:

وهو الاستدلال بها على الجهات، ومواقع البلدان، ونحو ذلك، فهو جائز لا محظور فيه ومنه: حساب التقاويم، ومعرفة بروج الشتاء والصيف، وأوقات التلقيح، والتأبير، والأمطار، وهبوب الرياح وصلاح الثمار، وتهييج العلل. والأمراض، ونحو ذلك.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: ((من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد)) رواه أبو داود، وإسناده صحيح (١). فالمراد به القسم الأول؛ لأن المعروف من حال المنجم هو الاستعانة بالشياطين واعتقادهم ما يعتقده الصابئة من أن النجوم ذوات أرواح فاعلة، فيستعينون بالشياطين في قضاء أمورهم، وبناء عليه اعتبر نوعا من السحر. المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لإبراهيم بن محمد البريكان– ص: ١٤٦

(ينظر الفصل الثاني، من الباب الخامس، في الكتاب التاسع من الموسوعة)

---

(١) [٣٧٠٤])) رواه أبو داود (٣٩٠٥) ، وابن ماجه (٣٧٢٦) ، وأحمد (١/ ٢٢٧) (٢٠٠٠) والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (٨/ ١٣٨) ، والطبراني (١١/ ١٣٥) ، كلهم رووه بلفظ: ((من اقتبس علما من النجوم)) بدلا من ((من اقتبس شعبة من النجوم)) ، والحديث سكت عنه ابو داود، وقال ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٣٥/ ١٩٣) ، والنووي في ((رياض الصالحين)) (٥٣٦) ، والعراقي في ((تخريج الإحياء)) (٤/ ١٤٤) ، وأحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (٣/ ٣١٢) قالوا: إسناده صحيح، وصححه الألباني في ((صحيح ابن ماجه)).." (١)

"وقد ذكر النووي من أحكام هذا الحديث: تبرك الصحابة بشعر الرسول صلى الله عليه وسلم الكريم، وإكرامهم إياه أن يقع منه إلا في يد رجل سبق إليه (١).

ولعل حرص الصحابة رضي الله عنهم على ذلك في حجة الوداع لإظهار مدى حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم له على مرأى جموع الحجاج.

٢ – التبرك بريق النبي صلى الله عليه وسلم.

في الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى بعبد الله بن الزبير. قالت: ((فأتيت المدينة فنزلت بقباء، فولدته بقباء، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ثم حنكه بالتمرة)) الحديث (٢).

وجاء في صحيح البخاري في حديث صلح الحديبية أن عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه قال عن

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١١٠/٣

أصحاب النبي صلى اللہ عليه وسلم: ((فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده ...)) (٣).

قال ابن حجر رحمه الله معلقا على فعل الصحابة رضي الله عنهم ونحوه في هذه الغزوة مع الرسول صلى الله عليه وسلم: (ولعل الصحابة فعلوا ذلك بحضرة عروة، وبالغوا في ذلك،، إشارة منهم إلى الرد على ما خشيه من فرارهم، وكأنهم قالوا بلسان الحال: من يحب إمامه هذه المحبة، ويعظمه هذا التعظيم، كيف يظن به أن يفر عنه ويسلمه لعدوه؟ بل هم أشد اغتباطا به وبدينه وبنصره من القبائل التي يراعي بعضها بعضا بمجرد الرحم) (٤).

٣ - التبرك بعرق النبي صلى الله عليه وسلم.

جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأتيت فقيل لها: هذا النبي صلى الله عليه وسلم نام في بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق، واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها، فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((وما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: أصبت)) (٥).

ج- تبركهم بما لبسه أو لمسه أو فضل منه صلى الله عليه وسلم:

- التبرك بثياب النبي صلى الله عليه وسلم:

جاء في صحيح البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ((جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ببردة، فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة، فقال سهل: هي شملة منسوجة، فيها حاشيتها، فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه، فاكسنيها، فقال: نعم فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم لامه أصحابه فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجا إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وسلم لعلي أكفن فيها)) (٦).

وثبت في الصحيحين أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطى اللاتي يغسلن ابنته إزاره وقال: ((أشعرنها إياه)) (٧).

قال النووي رحمه الله تعالى: معنى ((أشعرنها إياه)): اجعلنه شعارا لها، وهو الثوب الذي يلي الجسد، سمي شعرا لأنه يلي شعر الجسد، ثم قال: (**والحكمة في** إشعارها به تبريكها).

---

(١) من كتاب ((شرح النووي لصحيح مسلم)) (١٥/ ٨٢).

(٢) رواه البخاري (٣٩٠٩)، ومسلم (٢١٤٦).

(٣) رواه البخاري (٢٧٣١،٢٧٣٢).

(٤) ((فتح الباري)) (٥/ ٣٤١).

(٥) رواه مسلم (٢٣٣١).

(٦) رواه مسلم (٦٠٣٦).

(٧) رواه البخاري (١٢٥٣)، ومسلم (٩٣٩).." [١]

"المبحث الخامس: أنه لا ينسب إلا إلى الله تعالى

الأصل في الأقوال أن تنسب إلى قائليها، تلك قضية مسلمة لا شك فيها. وما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس من عند نفسه، بل هو من عند ربه: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى [النجم: ٣ - ٤].

لكن ما بلغه عليه الصلاة والسلام لأمته، إما أن يؤمر بتبليغه بلفظه على أنه قرآن لا يزيد فيه حرفا، ولا ينقص منه حرفا، وإما أن يوحى إليه معناه، ويوكل إليه التعبير عنه.

فما كان من الأول فليس للرسول صلى الله عليه وسلم منه إلا التبليغ، ولا يمنحه هذا حق نسبته إليه، فلا ينسب إلا لله سبحانه وتعالى.

أما النوع الثاني فإن للرسول صلى الله عليه وسلم فوق تبليغه صياغة ألفاظه، وحينئذ فيجوز أن ينسب إلى الله نسبة إنشاء، ويجوز أن ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم نسبة تبليغ وعبارة، هذا فيما يضيفه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربه أو ما يسمى بالأحاديث القدسية.

وعلى هذا فإن القرآن الكريم هو الذي لا تجوز نسبته لغير الله، لأن لفظه ومعناه من عند الله.

قال ابن حجر الهيثمي رحمه الله تعالى عن الأحاديث القدسية: (وهي ما نقل إلينا آحادا عنه صلى الله

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٧٧/٣

عليه وسلم مع إسناده لها عن ربه، فهي من كلامه تعالى، فتضاف إليه وهو الأغلب، ونسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء لأنه المتكلم بها أولا، وقد تضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه المخبر بها عن الله تعالى، بخلاف القرآن فإنه لا يضاف إلا إليه تعالى فيقال فيه: (قال الله تعالى) ، وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى) (١).

ولعل **الحكمة في** جواز نسبة الأحاديث القدسية إلى الله تعالى وإلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنها ليست كالقرآن، ألفاظها ومعانيها من الله، فلا تصح الصلاة بتلاوتها، وينال قارئها ما ينال تالي القرآن من الثواب على كل حرف، ويجوز أن يمسها المحدث، وتجوز روايتها بالمعنى، وتختلف الروايات فيها، بخلاف القرآن وما إلى ذلك، ولو كان لفظها من الله، لكان لها ما كان للقرآن الكريم. خصائص القرآن الكريم لفهد بن عبد الرحمن الرومي– ص: ١٣٢

---

(١) ((فتح المبين لشرح الأربعين)) أحمد بن حجر الهيثمي (ص: ٢٠١).." [1]

"وأهل السنة والجماعة: يؤمنون ويعتقدون اعتقادا جازما بأن الله سبحانه أرسل إلى عباده رسلا مبشرين ومنذرين، ودعاة إلى دين الحق، لهداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور. فكانت دعوتهم إنقاذا للأمم من الشرك والوثنية، وتطهيرا للمجتمعات من التحلل والفساد، وأنهم بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، ونصحوا الأمة، وجاهدوا في الله حق جهاده، وقد جاؤوا بمعجزات باهرات تدل على صدقهم، ومن كفر بواحد منهم؛ فقد كفر بالله تعالى: وبجميع الرسل عليهم السلام، قال تعالى: إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما [النساء:١٥٠]. وقد بين الله **الحكمة من** بعثة الرسل الكرام، فقال تعالى: رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما [النساء:١٦٥]. ولقد أرسل الله رسلا وأنبياء كثيرين منهم من ذكره لنا في كتابه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ومنهم من لم يخبرنا عنهم، قال تعالى: ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك [غافر:٧٨]. وقال: ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت

---

[1] الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٥٩/٣

[النحل:٣٦]. والمذكور من أسمائهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون رسولا ونبيا، وهم: أبو البشر آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، شعيب، أيوب، ذو الكفل، موسى، هارون، داود، سليمان، إلياس، اليسع، يونس، زكريا، يحيى، عيسى، ومحمد خاتم الأنبياء والرسل؛ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وأفضل أولي العزم نبي الإسلام، وخاتم الأنبياء والمرسلين ورسول رب العالمين؛ محمد بن عبدالله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال الله تبارك وتعالى: ولكن رسول الله وخاتم النبيين [الأحزاب:٤٠]. وأهل السنة والجماعة: يؤمنون بهم جميعا من سمى الله منهم ومن لم يسم، من أولهم آدم عليه السلام ... إلى آخرهم وخاتمهم وأفضلهم نبينا محمد بن عبدالله؛ صلى الله عليهم أجمعين. والإيمان بالرسل إيمان مجمل، والإيمان بنبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم إيمان مفصل يقتضي ذلك منهم اتباعه فيما جاء به على وجه التفصيل. الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة عبدالله بن عبدالحميد الأثري – ص: ١٤١." (١)

"وكان من ابتلائه أن ذهب أهله وماله، وكان ذا مال وولد كثير، وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين [الأنبياء: ٨٣ – ٨٤]. والأنبياء لا يصابون بالبلاء فحسب، بل هم أشد الناس بلاء، فعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: ((قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة)) (١).

((ودخل أبو سعيد الخدري على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يوعك، فوضع يده على الرسول صلى الله عليه وسلم فوجد حره بين يديه فوق اللحاف، فقال: يا رسول الله، ما أشدها عليك! قال: إنا كذلك، يضعف علينا البلاء، ويضعف لنا الأجر، قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر، حتى ما يجد إلا العباءة التي يحويها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء)) (٢).

ثالثا: اشتغال الأنبياء بأعمال البشر:

ومن مقتضى بشريتهم أنهم قد يقومون بالأعمال والأشغال التي يمارسها البشر، فمن ذلك اشتغال الرسول

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٥٣/٣

صلى الله عليه وسلم بالتجارة، قبل البعثة، ومن ذلك رعي الأنبياء للغنم، فقد روى جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: ((كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجني الكباث وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: عليكم بالأسود منه، فإنه أطيبه، قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: وهل من نبي إلا وقد رعاها)) رواه البخاري في صحيحه (٣).

ومن الأنبياء الذين نص القرآن على أنهم رعوا الغنم نبي الله موسى عليه السلام، فقد عمل في ذلك عدة سنوات، فقد قال له العبد الصالح: إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك ومآ أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل [القصص: ٢٧ - ٢٨] قال ابن حجر: (والذي قاله الأئمة أن الحكمة في رعاية الأنبياء للغنم ليأخذوا أنفسهم بالتواضع، وتعتاد قلوبهم بالخلوة، ويترقوا من سياستها إلى سياسة الأمم) (٤).

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٣٢٦٥)، وأحمد (١/ ١٧٣) (١٤٩٤)، والدارمي (٢/ ٤١٢) (٢٧٨٣)، وابن حبان (٧/ ١٦١) (٢٩٠١)، والحاكم (١/ ١٠٠). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصحح إسناده عبد الحق الإشبيلي في ((الأحكام الصغرى)) (٨٣٢) كما أشار إلى ذلك في مقدمته، وأحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٣/ ٩٧)، وقال ابن القيم في ((طريق الهجرتين)) (٢٢٦): ثابت، وحسنه ابن حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (٢/ ١٦٧) كما أشار إلى ذلك في مقدمته، وقال الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)): حسن صحيح.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٢٦٦)، وأبو يعلى (٢/ ٣١٢) (١٠٤٥)، والحاكم (١/ ٩٩). وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال البوصيري (٢/ ٢٨٦): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وصححه على شرط مسلم الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (١٤٤).

(٣) رواه البخاري (٣٤٠٦). ورواه مسلم (٢٠٥٠).

(٤) ((فتح الباري)) (٦/ ٤٣٩).." [١]

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٦/٤

"بينا الكمال الذي حبا الله به رسله في صورهم الظاهرة، وأخلاقهم الباطنة، والمواهب والسجايا التي أعطاهم إياها في ذوات أنفسهم، وهناك نوع آخر من الكمال وفق الله رسله وأنبياءه لتحصيله، وهو تحقيق العبودية لله في أنفسهم. فكلما كان الإنسان أكثر تحقيقا للعبودية لله تعالى، كلما كان أكثر رقيا في سلم الكمال الإنساني، وكلما ابتعد عن تحقيق العبودية لله كلما هبط وانحدر. والرسل حازوا السبق في هذا الميدان، فقد كانت حياتهم انطلاقة جادة في تحقيق هذه العبودية، وهذا خاتم الرسل وسيد المرسلين يثني عليه ربه في أشرف المقامات بالعبودية، فيصفه بها في مقام الوحي فأوحى إلى عبده مآ أوحى [النجم: ١٠]، وفي مقام إنزال الكتاب تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا [الفرقان: ١]، وفي مقام الدعوة وأنه لما قام عبد الله يدعوه [الجن: ١٩]، وفي مقام الإسراء سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله .. [الإسراء: ١] وبهذه العبودية التامة استحق صلوات الله وسلامه عليه التقديم على الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك فإن المسيح عليه السلام يقول للناس إذا طلبوا منه الشفاعة بعد طلبها من الرسل من قبله: ((ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم، فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)) (١).

وإليك صورة من صور هذه العبودية ترويها لنا أمنا عائشة – رضي الله عنها – قالت رضي الله عنها وعن أبيها: ((قلت: يا رسول الله، كل – جعلني الله فداك – متكئا، فإنه أهون عليك، فأحنى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض، وقال: بل آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد)) رواه البغوي في (شرح السنة)، وابن سعد، والإمام أحمد في (الزهد) (٢).

- الذكورة:

ومن الكمال الذي حباهم به أنه اختار جميع الرسل الذين أرسلهم من الرجال، ولم يبعث الله رسولا من النساء يدل على ذلك صيغة الحصر التي وردت في قوله تعالى: ومآ أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم [الأنبياء: ٧]. **الحكمة من** كون الرسل رجالا:

كان الرسل من الرجال دون النساء لحكم يقتضيها المقام فمن ذلك: ١ - أن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة، ومخاطبة الرجال والنساء، ومقابلة الناس في السر والعلانية، والتنقل في فجاج الأرض، ومواجهة المكذبين ومحاجتهم ومخاصمتهم، وإعداد الجيوش وقيادتها، والاصطلاء بنارها، وكل هذا يناسب الرجال دون النساء.

٢ - الرسالة تقتضي قوامة الرسول على من يتابعه، فهو في أتباعه الآمر الناهي، وهو فيهم الحاكم والقاضي، ولو كانت الموكلة بذلك امرأة لم يتم ذلك لها على الوجه الأكمل، ولاستنكف أقوام من الاتباع والطاعة.

٣ - الذكورة أكمل كما بينا آنفا، ولذلك جعل الله القوامة للرجال على النساء الرجال قوامون على النساء [النساء: ٣٤] وأخبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن النساء ناقصات عقل ودين.

٤ - المرأة يطرأ عليها ما يعطلها عن كثير من الوظائف والمهمات، كالحيض والحمل والولادة والنفاس، وتصاحب ذلك اضطرابات نفسية وآلام وأوجاع، عدا ما يتطلبه الوليد من عناية، وكل ذلك مانع من القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها. الرسل والرسالات لعمر الأشقر - ص ٧٨

---

(١) رواه البخاري (٦٥٦٥). من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (١/ ٣٨١)، والبغوي في ((شرح السنة)) (١١/ ٢٨٧)، ورواه أبو يعلى (٨/ ٣١٨) (٤٩٢٠)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٤/ ٧٤). قال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) (٢/ ١٩٤): حسن غريب، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٩/ ٢٢): رواه أبو يعلى وإسناده حسن، وحسن سنده العجلوني في ((كشف الخفاء)) (١/ ١٧)، وصححه الألباني ((صحيح الجامع)) (٧)..." (١)

"فإن قيل: فما **الحكمة في** الإسراء إلى بيت المقدس أولا؟ فالجواب - والله أعلم -: أن ذلك كان إظهارا لصدق دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم المعراج حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس فنعته لهم وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك، إذ لا يمكن اطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس، فأخبرهم بنعته. وفي حديث المعراج دليل على ثبوت صفة العلو لله تعالى: من وجوه، لمن تدبره، وبالله التوفيق شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي-١/ ٢٧٠

قال الشيخ حافظ الحكمي-رحمه الله تعالى- في شرح منظومة سلم الوصول

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢١/٤

بعد خمسين من الأعوام ... مضت لعمر سيد الأنام

أسرى به الله إليه في الظلم ... وفرض الخمس عليه وحتم." (١)

"المطلب الثاني: هل العذاب في البرزخ على الروح أم على البدن أم على كليهما؟

الفرق الإسلامية في هذا الموضوع على أقوال (١):

الأول: مذهب أهل السنة والجماعة أن الروح منفصلة عن الجسد، ومتصلة به، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح مفردة عن البدن).

الثاني: قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين ينكرون النعيم والعذاب في البرزخ مطلقا، والسر في ذلك أنهم ينكرون وجود روح مستقلة عن الجسد، فالروح عندهم هي الحياة، ولا تبقى الروح في نظرهم بعد الموت، فلا نعيم ولا عذاب حتى يبعث الله العباد، قال بذلك بعض المعتزلة والأشاعرة كالقاضي أبي بكر، وهذا قول باطل لا شك في بطلانه خالفه أبو المعالي الجويني، وقد نقل غير واحد من أهل السنة الإجماع على أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة.

الثالث: قول الفلاسفة الذين يرون أن النعيم والعذاب على الروح وحدها، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب، وقد قال بهذا القول من أهل السنة ابن ميسرة، وابن حزم. الرابع: قول من قال من علماء الكلام: إن الذي ينعم ويعذب في القبر البدن وحده، وقال بذلك طائفة من أهل الحديث منهم ابن الزاغوني (٢). القيامة الصغرى لعمر بن سليمان الأشقر – ص ١٠٧

وليس السؤال في القبر للروح وحدها، كما قال ابن حزم وغيره، وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح! والأحاديث الصحيحة ترد القولين. وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعا، باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به. واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادا ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر- وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور. وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك – فيجب أن يفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥٥/٤

مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله. بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد. والله المستعان. فالحاصل أن الدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار. وقد جعل الله لكل دار أحكاما تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم – صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعا. فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل، ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم. ويجب أن يعلم أن النار التي في القبر والنعيم، ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله تعالى: يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى يكون أعظم حرا من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها. بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا في حفرة من النار، وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه. وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما. وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير. وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه وغيبه عن غيره، ولو اطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما في (الصحيح) عنه صلى الله عليه وسلم: ((لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع)) (٣). ولما كانت هذه **الحكمة منتفية** في حق البهائم سمعته وأدركته شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي – ٢/ ٥٧٩

---

(١) انظر: ((مجموع فتاوى ابن تيمية)) (٤/ ٢٦٢ – ٢٨٢).

(٢) انظر: ((مجموع فتاوى ابن تيمية)) (٤/ ٢٦٢ – ٢٨٢).

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٧).." [1]

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٧٨/٤

"وقوله تعالى: لا يجليها لوقتها إلا هو [الأعراف:١٨٧]، معناه: لا يكشف حجاب الخفاء عنها، ولا يظهرها فيوقتها المحدود عن الرب تعالى إلا هو، فلا وساطة بينه وبين عباده في إظهارها، ولا في الإعلام بميقاتها، وإنما وساطة الرسل، عليهم السلام، في الإنذار بها) (١).

ونقل الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله عن الآلوسي، رحمه الله وله: (وإنما أخفى سبحانه، أمر الساعة لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك، فإنه أدعى إلى الطاعة، وأزجر عن المعصية، كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك، ولو قيل بأن الحكمة التكوينية تقتضي ذلك أيضا لم يبعد، وتدل الآيات على أنه صلى الله عليه وسلم لم يعلم وقت قيامها، نعم علم صلى الله عليه وسلم قربها على الإجمال وأخبر صلى الله عليه وسلم به) (٢) (٣).

وقال صاحب المنار، رحمه الله، تعالى - أيضا -:

(فيجب على المؤمنين أن يخافوا ذلك اليوم، وأن يحملهم الخوف على مراقبة الل‍ه تعالى، في أعمالهم؛ فيلتزموا فيها الحق، ويتحروا الخير، ويتقوا الشرور والمعاصي، ولا يجعلوا حظهم من أمر الساعة الجدال، والقيل والقال، وإننا نرى بعض المتأخرين قد شغلوا المسلمين عن ذلك ببحث افتجره بعض الغلاة، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق طول عمره لا يعلم متى تقوم الساعة، كما تدل عليه آيات القرآن الكثيرة، بل أعلمه الله تعالى به، بل زعم أنه أطلعه على كل ما في علمه، فصار علمه كعلم ربه (٤) ، أي صار ندا وشريكا لله تعالى، في صفة العلم المحيط بالغيوب التي لا نهاية لها، ومن أصول التوحيد أنه تعالى، لا شريك له في ذاته، ولا في صفة من صفاته، والرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله، لا يعلم من الغيب إلا ما أوحاه الله تعالى إليه، لأداء وظيفة التبليغ، ولكن الغلاة يرون من التقصير في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه أن تكون صفاته دون صفات ربه وإلهه، وخالق الخلق أجمعين، فكذبوا كلام الله تعالى، وشبهوا به بعض عبيده، إرضاء لغلوهم، ومثل هذا الغلو لم يعرف عن أحد من سلف هذه الأمة، ولو أراد الله تعالى أن يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم بوقت قيام الساعة بعد كل ما أنزله عليه في إخفائها واستئثاره بعلمه لما أكده كل هذا التأكيد في هذه السورة وغيرها، كقوله عز وجل: يسألونك كأنك حفي عنها [الأعراف:١٨٧] ا. هـ.

الحكمة في تقديم أشراط الساعة ودلالة الناس عليها:

ثبت في حديث جبريل المشهور أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فأخبرني عن الساعة)) فقال

صلى الله عليه وسلم: ((ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)) ، قال: ((فأخبرني عن أمارتها)) (٥) وفي رواية قال: ((ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها ...)) الحديث (٦).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (والحكمة في تقدم الأشراط إيقاظ الغافلين، وحثهم على التوبة والاستعداد) (٧).

ونقل القرطبي - رحمه الله - عن العلماء قولهم: (والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها، تنبيه الناس عن رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة، كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها، والله أعلم، وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها) (٨) المهدي وفقه أشراط الساعة لمحمد أحمد المقدم - ص:٥٨٩ - ٥٩٧

---

(١) ((تفسير المنار)) (٩/ ٣٩٠).

(٢) حديث السؤال عن الساعة رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ((تفسير المنار)) (٩/ ٣٩٣).

(٤) ((تفسير المنار)) (٢٨٢ - ٢٨٣).

(٥) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رواه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) ((فتح الباري)) (١١/ ٣٥٠).

(٨) ((التذكرة)) (ص: ٦٢٤)..." [١]

"ولله تعالى فوق هذا كله حكم قد ندركها، وقد لا ندركها، فإن الكافر في الدنيا كان ذا عتو واستكبار، يمشي على رجليه متبخترا معتزا بنفسه، لا يحني رأسه لشيء غير هواه، فلا يعرف التواضع لله في شيء، بل كان يستنكف من السجود لربه والخضوع له.

وهذا ما ذهب إليه ابن حجر في بيان حكمة هذا المشي حين قال: (والحكمة في حشر الكافر على وجهه: أنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا، بأن يسحب على وجهه في القيامة؛ إظهارا لهوانه،

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٧٨/٤

بحيث صار وجهه مكان يده ورجله في التوقي عن المؤذيات)) (١)

وكثرة النصوص في هذا الموضوع تمنع كونه من باب التمثيل، فهو إذا على حقيقته فلا ينبغي تأويله، بالإضافة إلى أنه من الأمور الممكنة عقلا، وليست من قبيل المستحيلات على الله تعالى .....

٣ - حشر المتكبرين

ومن الأوصاف الأخرى التي وردت في السنة لحشر فئات من الناس، صنف من الناس يحشرون في أحقر صفة وأذلها، وهؤلاء هم المتكبرون.

فلأنهم في الدنيا يمشون في كبرهم وتبخترهم على الناس، عالية رؤوسهم عن التواضع لله أو لخلقه، هؤلاء المستكبرون ورد في صفة حشرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان)) (٢) الحديث.

وفي رواية عن جابر رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يبعث الله يوم القيامة ناسا في صور الذر يطؤهم الناس بأقدامهم، فيقال: ما هؤلاء في صور الذر؟ فيقال: هؤلاء المتكبرون في الدنيا)) (٣).

وهذه الحالة المخزية تناسب ما كانوا فيه في الدنيا من تعاظم وغرور بأنفسهم، لأنهم كانوا في الدنيا يتصورون أنفسهم أعظم وأجل المخلوقات؛ فجعلهم الله في دار الجزاء أحقر المخلوقات وأصغرها.

٤ - حشر السائلين:

ومن الصور الأخرى التي تشاهد في يوم القيامة صور أولئك السائلين الذين يسألون الناس وعندهم ما يغنيهم، يأتون يوم القيامة وفي وجوههم خموش أو كدوح، أو يأتون وليس في وجوههم مزعة لحم، يعرفهم الناس كلهم.

وهذا ما ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما يزال الرجل يسأل الناس؛ حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم)) (٤).

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من سأل وله ما يغنيه؛ جاءت خموشا أو كدوحا في وجهه يوم القيامة)) (٥) والجزاء من جنس العمل.

---

(١) ((فتح الباري)) (١١/ ٣٨٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٩٢)، وأحمد (٢/ ١٧٩) (٦٦٧٧)، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (٥٥٧). قال الترمذي: حسن صحيح، وحسنه البغوي في ((شرح السنة)) (٦/ ٥٣٧)، وصححه ابن مفلح في ((الآداب الشرعية)) (٣/ ٥٢١)، وقال العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٣/ ٤١٥): إسناده حسن، وحسنه ابن حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (٤/ ٤٧٤) كما قال في المقدمة.

(٣) رواه البزار كما في ((مجمع الزوائد)) (١٠/ ٣٣٧)، والمنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٤/ ٢٩٣). وقال: [لا يتطرق إليه احتمال التحسين]، وقال الهيثمي: فيه القاسم بن عبد الله العمري وهو متروك، وقال الألباني في ((سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة)) (٥٠١٠): موضوع.

(٤) رواه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠).

(٥) رواه أبو داود (١٦٢٦)، والترمذي (٦٥٠)، والنسائي (٥/ ٩٧)، وابن ماجه (١٥٠٢)، وأحمد (١/ ٣٨٨) (٣٦٧٥)، والحاكم (١/ ٥٦٥)، والبيهقي (٧/ ٢٤) (١٣٥٨٦). والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الترمذي: حسن، وصححه ابن العربي في ((عارضة الأحوذي)) (٢/ ١٠٨)، وحسنه ابن حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (٢/ ٢٧٣) كما قال في المقدمة.." [١]

"قال: (أي على الحالة التي مات عليها من خير أو شر، فالزامر يأتي يوم القيامة بمزماره، والسكران بقدحه، والمؤذن يؤذن، ونحو ذلك) (١).

٦ - حشر أهل الوضوء، أهل الغرة والتحجيل:

وإذا كان من قدمنا ذكرهم كانوا أمثلة سيئة لمن يعمل أعمالهم، فإنه في الجانب الآخر نجد من يتسم بالصفات الحميدة، ولهذا فإنه يبعث حميدا عليه سيما أهل الصلاح والتقوى، سيما أمة محمد صلى الله عليه وسلم، من الغرة والتحجيل بسبب آثار الوضوء.

وهي كرامة من الله تعالى لأوليائه وأحبائه، كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة: ((إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل)) (٢).

وكما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عبد الله بن بسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أمتي يوم القيامة غر من السجود، محجلون من الوضوء)) (٣).

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٥٦/٤

٧ – حشر الشهداء:

ومن المشاهد الأخرى: مشهد لأقوام يحشرون ودماؤهم تسيل عليهم، وهم الشهداء، فإنهم يحشرون ودماؤهم تسيل كهيئتها يوم جرحت في الدنيا، تفجر دما، كما ورد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله ثم تكون يوم القيامة كهيئتها إذا طعنت تفجر دما. اللون لون دم والعرف عرف المسك)) إلى آخر الحديث (٤).

وهذا إكرام لهم وبيان لمزاياهم، وتشهيرا بمواقفهم وعلو مقامهم عند الله تعالى، لأن الجزاء من جنس العمل.

قال النووي: (وأما الكلم – بفتح الكاف وإسكان اللام – فهو الجرح، ويكلم – بإسكان الكاف – أي يجرح) قال: (وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، **والحكمة في** مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى) (٥).

ويلخص البرديسي أحوال البشر في مجيئهم إلى الموقف فيقول: (واعلم أن الناس يحشرون يومئذ على ثلاثة أصناف: ركبانا، ومشاة، وعلى وجوههم. قال تعالى: يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا [مريم: ٨٥ – ٨٦].

ثم قال: الوفد في اللغة: القوم المكرمون، يفدون من بلادهم في جماعتهم إلى ملكهم، فينزلون ويكرمهم، والورد: العطاش، يساقون كما تساق الإبل وغيرها من الأنعام، فتسوقهم الملائكة بأسياط النار إلى النار، وقوم يمشون على وجوههم.

وقال بعضهم: إذا قام الناس من قبورهم لفصل القضاء؛ حضروا على أحوال مختلفة: فمنهم من يكسى، ومنهم من يحشر عريانا، ومنهم راكبا، ومنهم ماش، ومسحوب على وجهه، ومنهم من يذهب إلى الموقف راغبا، ومنهم من يذهب خائفا، ومنهم من تسوقه النار سوقا) (٦).

وقوله: (ومنهم راكبا)، هذه المسألة مما أكثر فيه المؤلف الكلام عنها، وإن كان القول بأن الناس يأتون ركبانا يخالف ما ثبت في الصحيح من أنهم يأتون ((حفاة عراة غرلا))، إلا أن المؤلف جمع بين أقوال من ذهب إلى أنهم يأتون ركبانا، وبين هذا النص وما جاء في معناه بقوله:

(ثم إن الروايات التي فيها الركوب في المحشر تخالف حديث الصحيحين أن الناس يحشرون حفاة عراة، ولا يبعد أن يكون الركوب في المحشر لبعض السعداء، فيكون حديث الصحيحين محمولا على بعض الصور) (٧). الحياة الآخرة لغالب عواجي – بتصرف– ١/ ٢٠٧

(١) ((تكملة شرح الصدور)) (ص: ١٢).

(٢) رواه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦).

(٣) رواه الترمذي (٦٠٧)، وأحمد (٤/ ١٨٩) (١٧٧٢٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٧)، والضياء (٩/ ١٠٦) (٩٤). قال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث ابن بسر، وقال الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)): صحيح، وصحح إسناده على شرط الشيخين شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند.

(٤) رواه مسلم (١٨٧٦).

(٥) ((شرح صحيح مسلم)) (٤/ ٥٤١).

(٦) ((تكملة شرح الصدور)) (ص: ١٨).

(٧) ((تكملة شر ح الصدور)) (ص: ١٨).." (١)

"المبحث الرابع: صفة الأرض التي يقف الخلق عليها

عن سهل بن سعد قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي)) قال سهل – أو غيره –: ليس فيها معلم لأحد (١).

ويتبين من معاني تلك الكلمات الواردة في الحديث: أن تلك الأرض التي يقف عليها الخلق غير هذه الأرض، وليس بينهما تشابه، فتلك أرض لها صفات وهذه أرض لها صفات أخرى، وأن هذه الأرض المعهودة قد انتهت وحلت محلها أرض أخرى هي أكبر منها وأشرف.

أما معنى كونها عفراء، فقال الخطابي: (العفر: بياض ليس بالناصع).

وقال عياض: (العفر: بياض يضرب إلى حمرة قليلا، ومنه سمي عفر الأرض وهو وجهها) (٢).

وقال ابن فارس: (معنى عفراء: خالصة البياض).

وقال الداودي: (شديدة البياض)، قال ابن حجر: (كذا قال، والأول هو المعتمد).

ومعنى (كقرصة النقي: بفتح النون وكسر القاف: أي الدقيق النقي من الغش والنخالة، قاله الخطابي).

ومعنى (ليس فيها معلم لأحد) أو (علم) كما في رواية مسلم – وهما بمعنى واحد، قال الخطابي: (يريد

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٥٨/٤

أنها مستوية، والمعلم – بفتح الميم واللام بينهما مهملة ساكنة – هو الشيء الذي يستدل به على الطريق).
وقال عياض: (المراد أنها ليس فيها علامة سكن، ولا بناء، ولا أثر، ولا شيء من العلامات التي يهتدى بها في الطرقات كالجبل، والصخرة البارزة).
قال ابن حجر: (وفيه تعريض بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة منها)، وقال الداودي: (المراد أنه لا يحوز أحد منها شيئا، إلا ما أدرك منها).
ويذكر ابن حجر – نقلا عن أبي جمرة – أن في الحديث إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جدا.
وأن **الحكمة في** نقاء وصفاء تلك الأرض المبدلة وانبساطها: أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق؛ فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهرا عن عمل المعصية والظلم، وليكون تجليه سبحانه على عباده المؤمنين على أرض طاهرة لعظمته، ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده؛ فناسب أن يكون المحل خالصا له وحده (٣).
وقال صلى الله عليه وسلم: ((يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر)) (٤).
قال البرديسي: (يريد عليه الصلاة والسلام أرضا مستوية، لا جبل فيها، ولا أكمة، ولا ربوة، ولا وهدة، أرض بيضاء نقية، لم يسفك عليها دم، ولا عمل عليها خطيئة، ولا ارتكب فيها محرم) (٥).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟)) (٦). الحياة الآخرة لغالب عواجي- ١/ ٢٥١

---

(١) رواه مسلم (٢٧٩٠).
(٢) ((إكمال المعلم)) (٦/ ١٢٣).
(٣) ((فتح الباري)) (١١/ ٣٧٥)، و ((تكملة شرح الصدور)) (ص: ١٧).
(٤) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) ((تكملة شرح الصدور)) (ص: ١٧).

(٦) رواه البخاري (٦٥١٩)، ومسلم (٢٧٨٧).." (١)

"المبحث السابع: حكمة الله تعالى في وزن أعمال العباد والرد على من ينكره

كل مسلم يعلم أن الله تعالى حكيم عليم، يفعل ما يشاء لحكمة، وقد يعرف الناس بعض الجوانب من الحكم، وقد تخفى عليهم، وإذا كان الناس ينزهون العقلاء من بني آدم عن إتيانهم أعمالا لاحكمة فيها ولا فائدة من ورائها، فكيف بالله سبحانه وتعالى؟!

وليس من صفات المسلم الحق أن يرد ما أخبر الله به، أو يتأوله بما يبطل المراد منه.

ومن ذلك أمر الميزان، فقد أخبر الله به، وأخبر به رسول صلى الله عليه وسلم فيجب الإيمان بذلك، وأن لله حكمة عظيمة في نصبه يوم القيامة، من أعظمها وأجلها: إظهار أقصى كمال عدله جل وعلا بين عباده، حتى لايساوى المحسن والمسيء، وليظهر التفاوت بين البشر جليا واضحا، يقتنع كل مخلوق بذلك كما يقتنعون بما يرجحه الميزان في الدنيا، ولو شاء الله أن لا يقيم ميزان ويأخذ العباد بما يعلمه سبحانه من أعمالهم الطيبة أوالخبيثة؛ لما كان في ذلك أي نقص على العباد ولا هضم لحق أي مخلوق: ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير [الملك: ١٤].

لكن الله تعالى لم يشأ ذلك، بل أراد أن يعلم العباد بأعمالهم بما يقتنعون به هم أنفسهم، وحتى لا يبقي حجة ولا اعتراض لمعترض، ولله الحجة البالغة.

وفي بيان حكمة الله في إقامة الميزان يقول الثعلبي بأن **الحكمة في** ذلك: تعريف الله عباده عدد مالهم عنده من الجزاء من خير أوشر (١).

وقال الشيخ مرعي – فيما ينسبه إليه السفاريني -: بل **الحكمة فيه**: إظهار العدل وبيان الفضل، حيث إنه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما [النساء: ٤٠] (٢).

ويقول البرديسي: وحكمة الوزن ليبين ما يستحقه من العذاب وما يكون فيه من درجات الجنة (٣).

ويقول القاضي عبد الجبار – من كبار المعتزلة – عن فائدة وضع الموازين: وأما فائدته: فهو تعجيل مسرة المؤمن وغم الكافر، هذا في القيامة، وفيه فائدة أخرى تتعلق بالتكليف: وهي أن المرء مع علمه أن أعماله

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٦٧/٤

توزن على الملأ؛ كان عند ذلك أقرب إلى أداء الواجبات واجتناب المقبحات، وهذه فائدة عظيمة (٤).

ويقول الطبري في رده على من ينكر الميزان **والحكمة منه**: فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى (٥). خبر الله عن الميزان وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنه وجهته (٦). وقال أوبالله حاجة إلى وزن الأشياء وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه إياه، وبعده، وفي كل حال؟ أو قال: وكيف توزن الأعمال والأعمال ليس بأجسام توصف بالثقل والخفة؟ وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها، وكثرتها من قلتها، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة والكثرة والقلة، قيل له في قوله: وما وجه وزن الله الأعمال وهو العالم بمقاديرها قبل كونها: وزن نظير إثباته إياه في أم الكتاب واستنساخه ذلك في الكتاب من غير حاجة إليه ومن غير نسيانه، ليكون ذلك حجة على خلقه كما قال جل ثناؤه في تنزيله: وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق [الجاثية: ٢٨ - ٢٩].

---

(١) ((لوامع الأنوار)) (٢/ ١٨٨).

(٢) ((لوامع الأنوار)) (٢/ ١٨٨).

(٣) ((تكملة شرح الصدور)) (ص ٢٩).

(٤) ((شرح الأصول الخمسة)) (ص ٧٣٦).

(٥) هكذا العبارة في الكتاب المشار إليه ولعل معناها فإن أنكر ذلك جاهل بالمراد من معنى خبر الله عن الميزان.

(٦) هكذا العبارة في الكتاب.." [1]

"فكذلك وزنه تعالى خلقه بالميزان: حجة عليهم ولهم إما بالتقصير في طاعته وإما بالتكميل والتتميم (١).

ويقول ابن أبي العز – في رده على الذين ينفون الميزان، لخفاء الحكمة عليهم، وقولهم: إنه لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال ومدى خطورة هذا الكلام – يقول (فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق صلى الله عليه وسلم، من غير زيادة ولا نقصان، ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤/٤٩٧

أخبر الشارع – لخفاء الحكمة عليه – ويقدح في النصوص بقوله: لايحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنا ولو لم يكن من **الحكمة في** وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه) (٢).

ثم إن الذين يحاولون التشكيك في الميزان، وإنكار حقيقته، لا يستندون على أي دليل يصح الاحتجاج به، بل غاية ما تشبثوا به، مجرد الاستبعادات العقلية، وليس في ذلك حجة على أحد، فهذا إذا لم تقبله عقولهم فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم، حتى جاءت البدع كالليل المظلم، وقال كل ما شاء، وتركوا الشرع خلف ظهورهم، وليتهم جاؤوا بأحكام عقلية يتفق العقلاء عليها ويتحد قبولهم لها، بل كل فريق يدعي على العقل ما يطابق هواه، ويوافق ما يذهب إليه هواه، ومن هو تابع له. فتتناقض عقولهم على حسب ما تناقضت مذاهبهم، يعرف هذا كل منصف، ومن أنكره فليصمت فهمه وعقله عن شوائب التعصب والتمذهب، فإنه إن فعل ذلك أسفر الصبح لعينيه (٣).

وذكر محمد رشيد رضا: (أن حكمة وزن الأعمال بعد الحساب: أنه يكون أعظم مظهر لعدل الرب تبارك وتعالى، أي ولعلمه وحكمته وعظمته في ذلك اليوم العظيم، إذ يرى فيه عباده – أفرادا وشعوبا وأمما – ذلك بأعينهم، ويعرفونه معرفة إدراك ووجدان في أنفسهم، فإن أعمالهم تتجلى لهم فيها أولا، ثم تتجلى لهم ولسائر الخلق في خارجها ثانيا، فياله من منظر مهيب، وياله من مظهر رهيب، وما أشد غفلة من قال: إنه لا حاجة إليه للاستغناء بعلم الله عنه (٤).

ومهما قيل في الحكمة فإن الأمر لا يزال يتطلب الإيمان الكامل بأن وزن الأعمال هو عين الحكمة، وأن هذه مجرد استنباطات للعلماء، وتبقى حقيقة علم ذلك إلى الله وحده. الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار لغالب بن علي عواجي- ٢/ ١١٥٣

---

(١) ((جامع البيان)) (٨/ ١٢٤).

(٢) ((شرح الطحاوية)) (ص ٤٧٥).

(٣) ((فتح القدير)) (٢/ ١٩٠).

(٤) ((تفسير المنار)) (٨/ ٣٢٥).." (١)

"وكثيرا ما يحكي الصوفية قصصا وروايات عمن يسمونهم الأولياء، تتضمن هذه القصص سقوط الفرائض، أو بعضها عنهم، بل ويحكى عنهم فعل الفواحش والمنكرات واستحلالها، وفي (طبقات الشعراني)، و (جامع كرامات الأولياء) للنبهاني من ذلك الكثير، فمنه مثلا: ما ذكره العطار عن ذي النون المصري أنه نصح أحد مريديه بترك الصلاة، فعلق العطار قائلا: لو سأل سائل ما **الحكمة في** الأمر بترك الصلاة؟ فالجواب: إن الطريقة أحيانا تخالف ظاهر الشريعة كقتل الخضر الولد بدون سبب ظاهري، فإذا لا إنكار في الطريقة على مثل هذه الأمور. وحكي عن العطار نفسه أنه كان تاركا للصلاة وكان يقول: إن الله رفع عني فريضة الصلاة (١).

وذكر الشعراني (٢) في آخر كتابه (الطبقات الكبرى) مشايخه الذين أدركهم في القرن العاشر، فقال: (وفيهم سيدي بركات الخياط رضي الله تعالى عنه: كان رضي الله عنه من الملامتية) (٣)

قال: (مدحته للشيخ جمال الدين الصائغ مفتي الجامع الأزهر وجماعة فقالوا: امضوا بنا نزوره وكان يوم جمعة فسلم المؤذن على المنارة، فقالوا: نصلي الجمعة، فقال: ما لي عادة بذلك، فأنكروا عليه، فقال: نصلي اليوم لأجلكم ...) (٤).

(ومنهم: سيدي الشريف المجذوب - رضي الله عنه ورحمه - وكان رضي الله عنه يأكل في نهار رمضان، ويقول: أنا معتوق، أعتقني ربي ...) (٥)، (ومنهم: الشيخ شعبان المجذوب، وذكر من أحواله أنه كان يقرأ سورا غير السور التي في القرآن على كرسي المساجد يوم الجمعة وغيرها، ... وكان يرى حلال زينة الدنيا كالحرام في الاجتناب، وكان الخلائق تعتقده اعتقادا زائدا لم أسمع قط أحدا ينكر عليه شيئا من حاله، بل يعدون رؤيته عيدا عندهم ...) (٦).

لعل فيما ذكرنا كفاية وغنية يتبين من خلالها إتيان الصوفية للمحظور وتركهم الواجب وادعائهم أن بعض الناس، يصل إلى درجة يسقط عنه التكليف، ويستغني عن الشريعة وعن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم (٧). نواقض الإيمان الاعتقادية لمحمد بن عبدالله بن علي الوهيبي - ٢/ ٧٤

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤/٤٩٨

(١) ((تذكرة الأولياء)) لفريد الدين العطار (ص: ٧٣، ٨٦) نقلا عن: ((دراسات في التصوف)) إحسان إلهي ظهير رحمه الله (ص: ٩٨).

(٢) هو: عبدالوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، فقيه، أصولي، من أعلام الصوفية، ولد في قلقشنده بمصر سنة ٨٩٨ هـ له تصانيف كثيرة منها: ((الجوهر المصون والسر المرقوم)) و ((لواقح الأنوار في طبقات الأخيار)) توفي سنة ٩٧٣ هـ. انظر: ((شذرات الذهب)) لابن العماد الحنبلي (٨/ ٣٧٢)، ((فهرس الفهارس)) للكتاني (٢/ ٤٠٥)، ((معجم المؤلفين)) لعمر كحالة (٢١٨).

(٣) الملامتية: ومقصودهم الظهور بين الناس بالمظاهر التي لا تتفق مع الشرع؛ كإتيان البهائم، وشرب الخمور، والسرقة ليستروا عن الناس ولايتهم - زعموا - وليستجلبوا ملامة الناس وتأنيبهم فيسقطوا من أعينهم، ومن أشهر رجالهم: حمدون القصار، وأبو حفص الحداد. انظر: ((تلبيس إبليس)) لابن الجوزي (ص: ٤٩١،٤٨٢)، ((دراسات في التصوف الإسلامي))، د. محمد جلال شرف، ((الكشف عن حقيقة التصوف)) لمحمود القاسم (ص: ٣٥٥).

(٤) ((الطبقات الكبرى)) (٢/ ١٤٤).

(٥) ((الطبقات الكبرى)) (٢/ ١٥٠).

(٦) ((الطبقات الكبرى)) (٢/ ١٨٥، ١٨٦).

(٧) يراجع في هذا mm المبحث: ((التصوف المنشأ والمصادر)) لإحسان إلهي ظهير - رحمه الله - (٢٦٠ - ٢٧٣)، ((أصول الإسماعيلية)) رسالة دكتوراه (مخطوطة) د. سليمان السلومي (٢/ ٨٣٤ - ٨٤١)، ورسالة ((التكفير والمكفرات)) رسالة ماجستير (مخطوطة) حسن بن علي العواجي (٢/ ٤٥٥ - ٤٦٦).." (١)

"نقول: نفي القبول إما أن يكون لفوات شرط، أو لوجود مانع، ففي هاتين الحالين يكون نفي القبول نفيا للصحة، كما لو قلت: من صلى بغير وضوء لم يقبل الله صلاته، ومن صلى في مكان مغصوب لم يقبل الله صلاته عند من يرى ذلك.

وإن كان نفي القبول لا يتعلق بفوات شرط ولا وجود مانع، فلا يلزم من نفي القبول نفي الصحة، وإنما يكون المراد بالقبول المنفي: إما نفي القبول التام، أي: لم تقبل على وجه التمام الذي يحصل به تمام الرضا وتمام

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٣٥/٦

المثوبة.

وإما أن يراد به أن هذه السيئة التي فعلها تقابل تلك الحسنة في الميزان، فتسقطها، ويكون وزرها موازيا لأجر تلك الحسنة، وإذا لم يكن له أجر صارت كأنها غير مقبولة، وإن كانت مجزئة ومبرئة للذمة، لكن الثواب الذي حصل بها قوبل بالسيئة فأسقطته.

ومثله قوله صلى الله عليه وسلم: ((من شرب الخمر، لم تقبل له صلاة أربعين يوما)) (١).

وقوله: (أربعين يوما). تخصيص هذا العدد لا يمكننا أن نعلله، لأن الشيء المقدر بعدد لا يستطيع الإنسان غالبا أن يعرف حكمته، فكون الصلاة خمس صلوات أو خمسين لا نعلم لماذا خصصت بذلك، فهذا من الأمور التي يقصد بها التعبد لله، والتعبد لله بما لا تعرف حكمته أبلغ من التعبد له بما تعرف حكمته، لأنه أبلغ في التذلل، صحيح أن الإنسان إذا عرف الحكمة اطمأنت نفسه أكثر، لكن كون الإنسان ينقاد لما لا يعرف حكمته دليل على كمال الانقياد والتعبد لله عز وجل، فهو من حيث العبودية أبلغ وأكمل، أما ذاك، فهو من حيث الطمأنينة إلى الحكم يكون أبلغ، لأن النفس إذا علمت **بالحكمة في** شيء اطمأنت إليه بلا شك، وازدادت أخذا له وقبولا، فهناك أشياء مما عينه الشرع بعدد أو كيفية لا نعلم ما **الحكمة فيه**، ولكن سبيلنا أن نكون كما قال الله تعالى عن المؤمنين: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم [الأحزاب: ٣٦].

فعلينا التسليم والانقياد وتفويض الأمر إلى الله تعالى.

ويؤخذ من الحديث: تحريم إتيان العراف وسؤاله، إلا ما استثني، كالقسم الثالث والرابع، لما في إتيانهم وسؤالهم من المفاسد العظيمة، التي ترتب على تشجيعهم وإغراء الناس بهم، وهم في الغالب يأتون بأشياء كلها باطلة.

---

(١) [١٠٨٢٥])) رواه ابن ماجه (٣٣٧٧) ، وأحمد (٢/ ١٨٩) (٦٧٧٣) ، والحاكم (٤/ ١٦٢) ، وابن حبان (١٢/ ١٨٠) ، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال الحاكم حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال البغوي في ((شرح السنة)) (٦/ ١١٨): حسن، وقال أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (١١/ ٤٤): إسناده صحيح، وصححه الألباني في ((صحيح ابن ماجه))..". [1]

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٠٥/٧

"٥ – وما رواه الطبراني عن مسروق قال: (شاممت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا الدرداء وزيد بن ثابت، ثم شاممت الستة فوجدت علمهم انتهى إلى علي وعبد الله بن مسعود) (١).

٥ – وما رواه ابن سعد عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: (كان ابن عباس قد فات الناس بخصال: بعلم ما سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم، وسيب ونائل، وما رأيت أحدا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، ولا أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولا أعلم بما مضى ولا أثقف رأيا فيما احتيج إليه منه.

ولقد كان يجلس يوما ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوما التأويل، ويوما المغازي، ويوما الشعر، ويوما أيام العرب، وما رأيت عالما قط جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلا قط سأله إلا وجد عنده علما) (٢).

٦ – وما رواه ابن عبد البر في (الاستيعاب) قال: (وسئل الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: كان علي والله سهما صائبا من مرامي الله على عدوه،ورباني هذه الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها، وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالنومة عن أمر الله ولا باللومة في دين الله ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه، ففاز منه برياض مونقة، ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا لكع) (٣).

٧ – وما رواه أبو نعيم في (الحلية) عن أبي صالح قال: (دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية فقال له: صف لي عليا فقال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أعفيك، قال: أما إذا لابد فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشب. كان والله كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أخرى الليل سدوله، وغارت نجومه، يميل في محرابه قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا – يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: إلي تغررت؟ إلي تشوفت؟ هيهات هيهات، غري غيري، قد بتتك ثلاثا، فعمرك قصير، ومجلسك

حقير، وخطرك كبير، آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء فقال:

كذا كان أبو الحسن رحمه الله، كيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال: وجد من ذبح واحدها في حجرها، لا ترقأ دمعتها، ولا يسكن حزنها، ثم قام فخرج) (٤).

---

(١) رواه الطبراني (٧/ ٤٩٠) (٨٤٣٤). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٩/ ١٦٣): رجاله رجال الصحيح غير القاسم بن معين وهو ثقة.

(٢) رواه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٢/ ٣٦٨).

(٣) رواه ابن عبد البر في ((الاستيعاب)) (٣/ ١١١٠).

(٤) رواه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (١/ ٨٤ - ٨٥).." [1]

"وقد روى البخاري في (صحيحه) من حديث طويل عن عمرو بن ميمون فيه تفاصيل حادثة استشهاد عمر رضي الله عنه وعدد الذين طعنوا معه، ووصية عمر لابنه عبدالله أن يحسب ما عليه من الدين وكيف يقضيه، وطلبه رضي الله عنه الاستئذان من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه فأذنت في ذلك رضي الله عنها بطيب نفس كما اشتمل هذا الحديث على الكيفية التي بويع بها لعثمان والاتفاق عليه ومما جاء فيه بشأن خلافة عثمان رضي الله عنه أنهم ((قالوا: أوص يا أمير المؤمنين استخلف قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذلك وإلا فليستعن به أيكم ما أمر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة -إلى أن قال- لما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف فقال عبد الرحمن بن عوف: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي والله علي أن لا آلو عن أفضلكم قالا: نعم. فأخذ بيد أحدهما فقال: لك

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٨٠/٧

قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم في الإسلام ما قد علمت فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه فبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه)) (١).

وروى أيضا: بإسناده إلى الزهري أن حميد بن عبد الرحمن أخبره أن المسور بن مخرمة أخبره ((أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا قال لهم عبد الرحمن: لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن فلما ولوا عبد الرحمن أمرهم فمال الناس على عبد الرحمن حتى ما أرى أحدا من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه، ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها فبايعنا عثمان قال المسور: طرقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل فضرب الباب حتى استيقظت فقال: أراك نائما فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم انطلق فادع الزبير وسعدا فدعوتهما له فشاورهما ثم دعاني فقال: ادع لي عليا فدعوته فناجاه حتى ابهار الليل، ثم قام علي من عنده وهو على طمع وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئا، ثم قال: ادع لي عثمان فدعوته فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى للناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضرا من المهاجرين والأنصار وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلا، فقال: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون)) (٢). ففي هذين الحديثين بيان أن عمر رضي الله عنه لم يعهد بالخلافة من بعده إلى واحد بعينه وإنما جعلها شورى في الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، وقد التمس بعض أهل العلم وجه **الحكمة من** جعل عمر الأمر شورى بين الستة دون أن يعين واحدا.

---

(١) رواه البخاري (٣٧٠٠).

(٢) رواه البخاري (٧٢٠٧).." [1]

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٨٠/٧

"الثالثة: أنها بإخبار النبي صلى الله عليه وسلم قد سنت سنة حسنة، فيكون لها أجر باقي الأمهات لا سيما والنبي صلى الله عليه وسلم يخبرهن جميعا بما قالت عائشة رضي الله عنها.

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من سن في الإسلام سنة حسنة؛ فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا)) (١).

الرابعة: استبشار النبي صلى الله عليه وسلم باستجابتها حتى رئي الفرح في وجهه صلى الله عليه وسلم.

وكان من تبعات اختيار أمهات المؤمنين رضي الله عنهن الله ورسوله والدار الآخرة – وهو من الفضائل- إنزال بقية الآيات تكريما لهن.

قال الشوكاني: (لما اختار نساء رسول الله رسول الله؛ أنزل فيهن هذه الآيات تكريما لهن وتعظيما لحقهن) (٢).

الفضيلة الثالثة: العناية بنصحهن وخطابهن بأحسن الألقاب:

وهذا أمر تميزن به عن بقية الصحابة، بل عن بقية آل البيت رضي الله عنهم أجمعين، يقول الألوسي: (قال تعالى: يا نساء النبي [الأحزاب: ٣٠] تلوين للخطاب، وتوجيه له إليهن لإظهار الاعتناء بنصحهن. ونداؤهن هاهنا وفيما بعد بالإضافة إليه صلى الله عليه وسلم؛ لأنها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الأحكام، واعتبار كونهن نساء في الموضعين أبلغ من اعتبار كونهن أزواجا كما لا يخفى على المتأمل) (٣).

الفضيلة الرابعة: استحقاقهن الأجر العظيم:

قال تعالى: فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما [الأحزاب: ٢٩]، هذه الآية الكريمة تدل على أنهن سينلن أجرا عظيما، وهذا الأجر العظيم مجمل بينته الآيات الأخر، وإذا تأملنا وجدنا أن هذا الأجر العظيم في الدنيا والآخرة؛ أما في الآخرة فكونهن مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، وهذا أمر لا غاية فوقه ولا مزية بعده، وفي ذلك من زيادة النعيم والثواب على غيرهن ما هو معلوم؛ فإن الثواب والنعيم على قدر المنزلة.

أما في الدنيا فمن ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: جعلن أمهات المؤمنين تعظيما لحقهن، وتأكيدا لحرمتهن، وتشريفا لمنزلتهن.

الوجه الثاني: حظر طلاقهن، وتحريم التزوج عليهن على أحد القولين عند المفسرين في قوله تعالى: لا يحل

لك النساء من بعد [الأحزاب: ٥٢]؛ لأنهن لم يخترن غير النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بإمساكهن (٤).

الوجه الثالث: قتل قاذفهن، أما غيرهن فالجلد فقط.

ويلاحظ في الآية الكريمة إيقاع الظاهر موقع المضمر؛ فإنه تعالى قال: فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما [الأحزاب: ٢٩]، ولم يقل فإن الله أعد لكن أجرا عظيما.

والحكمة من ذلك كما قال بعض المفسرين: (تنبيها على الوصف الذي ترتب لهن به الأجر العظيم وهو الإحسان؛ كأنه قال: أعد لكن؛ لأن من أراد الله ورسوله والدار الآخرة كان محسنا) (٥)، وهذا التعليل يتماشى مع الفائدة العامة للإظهار في موضع الإضمار عند المفسرين (٦)، وهو بيان علة الحكم.

وقال بعض المفسرين: الفائدة من ذكر الإحسان؛ ليعلم أن هذا الأجر حاصل لهن على مقدار إحسانهن؛ لأن الإحسان متفاوت، فعلى مقدار إحسان كل واحدة يكون أجرها العظيم (٧).

ولا مانع من صواب هذا الرأي أيضا؛ إذ أنه لا يخلو مثال للإظهار في موضع الإضمار من فائدة خاصة به (٨).

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧).

(٢) ((فتح القدير)) (٤/ ٢٧٦).

(٣) ((روح المعاني)) (٢١/ ١٨٤).

(٤) ((أحكام القرآن)) لابن العربي (٣/ ٥٦٥ - ٥٦٦).

(٥) ((البحر المحيط)) (٧/ ٢٢٠).

(٦) ((تفسير القرآن)) لابن عثيمين (١/ ٦٧).

(٧) ((التحرير والتنوير)) (٢١/ ٣١٦).

(٨) ((قواعد التفسير)) (١/ ٣٤٠).." (١)

"وكما تحدث المفسرون عن الإظهار في موضع الإضمار تحدثوا عن حرف (من) في الآية، وهل هو لبيان الجنس أو للتبعيض.

فقال بعض المفسرين: إنها لبيان الجنس؛ لأن الجميع اخترن الله ورسوله والجميع محسنات (١)، وقال

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٧/٤٢٠

بعضهم بجواز: أن تكون للتبعيض؛ لأن اختيار الجميع لله ولرسوله لم يعلم وقت النزول.

والظاهر أن (من) هنا للتبيين لا للتبعيض؛ لأن علامة (من) التبعيضية صحة مجيء (٢) (بعض) مكانها، وهنا لا يستقيم وضع (بعض) مكانها، بينما التي لبيان الجنس تقدر بتخصيص الشيء دون غيره (٣)، وهو ما يناسب هنا، فكأن الآية: فإن الله أعد للمحسنات أخص أمهات المؤمنين أجرا عظيما، كقوله تعالى: فاجتنبوا الرجس من الأوثان [الحج: ٣٠]، والمعنى: فاجتنبوا الرجس أخص الأوثان.

وغير خاف أنه على القولين لا إشكال في كون كل أمهات المؤمنين محسنات، وفي ذكر الإعداد إفادة العناية بهذا الأجر والتنويه به زيادة على وصفه بالتعظيم (٤).

الفضيلة الخامسة: إبراز شرفهن وعلو منزلتهن:

وهذا الأمر وإن كانت الآيات تدل عليه صراحة أو ضمنا إلا أننا هنا سنبرزه في قوله تعالى: يضاعف لها العذاب ضعفين [الأحزاب: ٣٠].

وقد يكون مستغربا لأول وهلة كيف تدل هذه الآيات على شرف أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –؟

والجواب هو بالنظر إلى الحكمة من وراء مضاعفة العذاب.

فقد ذكر أهل التفسير حكما من وراء ذلك تدل على ما نحن بصدده، فمن هذه الحكم قولهم: (إن مضاعفة العذاب لشرف المنزلة وفضل الدرجة وتقدمهن على سائر النساء، فهن وإن كن كالنساء جبلة؛ فإنهن لسن كغيرهن شرفا، وشرف المنزلة لا يحتمل العثرات (٥)، وزيادة قباحة المعصية تتبع زيادة الفضل) (٦)، وهذا التعليل لأكثر المفسرين (٧).

بل إن الرازي تأكيدا لهذا الأمر جعل نسبة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحرائر المسلمات، كنسبة الحرة إلى الأمة، فالحرة يضاعف عذابها على الأمة، وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم يضاعف عذابها على الحرة (٨).

وقيل الحكمة من مضاعفة العقوبة لكون أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في مهبط الوحي قوي الأمر عليهن بسبب مكانتهن (٩)، وغير خاف أن هذا يعود للأول.

وقيل: لما فيه من كفران نعمة القرب، وهذا يعود للأول (١٠).

وقيل: لعظم الضرر في جرائمهن بإيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم (١١).

وقيل: لأنه قد يقتدى بهن (١٢).

ولا مانع من صحة كل هذه الحكم.

وقد يستشكل مضاعفة العقوبة لما قد علم أن من كثرة حسناته يحتمل منه ما لا يحتمل من غيره.

---

(١) ((الكشاف)) (٣/ ٢٥٩)، ((روح المعاني)) (٢١/ ١٨٢).

(٢) ((مغني اللبيب)) (١/ ٣٤٩).

(٣) ((رصف المباني)) (ص: ٣٨٩).

(٤) ((التحرير والتنوير)) (٢١/ ٣١٧).

(٥) ((أحكام القرآن)) لابن العربي (٣/ ٥٦٧ - ٥٦٨).

(٦) ((حسن الأسوة)) (ص: ٨٥).

(٧) ((مفاتيح الغيب)) (٢٥/ ١٧٩)، ((الجامع لأحكام القرآن)) (١٤/ ١١٣)، ((تفسير القرآن العظيم)) (٦/ ٤٠٨)، ((أضواء البيان)) (٣/ ٥٦٤).

(٨) ((مفاتيح الغيب)) (٢٥/ ١٧٩).

(٩) ((الجامع لأحكام القرآن)) (١٤/ ١١٣).

(١٠) ((الجامع لأحكام القرآن)) (١٤/ ١١٤).

(١١) ((جواهر العقدين)) (١/ ١٥٨).

(١٢) ((جواهر العقدين)) (١/ ١٥٨).." (١)

"٣ - ومنها ما رواه ابن عباس في الصحيحين وغيرهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - حين بعث معاذا إلى اليمن قال له: ((... أعلمهم أن الله افترض عليهم في أموالهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ...)) الحديث (١).

والشاهد من الحديث قوله: ((تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)) فبين الحديث أن الشأن فيها أن يأخذها ويردها راد، لا أن تترك لاختيار من وجبت عليه (٢).

قال الحافظ ابن حجر: (استدل به على أن الإمام هو الذي يتولى قبض الزكاة وصرفها، إما بنفسه وإما بنائبه فمن امتنع منهم أخذت منه قهرا) (٣).

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٢١/٧

ومعروف في السيرة النبوية والتاريخ سعاة النبي – صلى الله عليه وسلم – الذين بعثهم إلى الأمصار، وكذلك سار على نهجه خلفاؤه من بعد. وللصحابة فتاوى كثيرة في هذا الموضوع (٤)، ولهذا قال العلماء: (يجب على الإمام أن يبعث السعاة لأخذ الصدقة لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – والخلفاء من بعده كانوا يبعثون السعاة، ولأن في الناس من يملك المال ولا يعرف ما يجب عليه فيه، ومنهم من يبخل فوجب أن يبعث من يأخذ ...) (٥).

الحكمة في دفعها للإمام:

ولقيام الإمام بجمعها ثم توزيعها دون قيام المالك بتوزيعها بنفسه على مستحقيها حكم كثيرة منها:

١ – أن كثيرا من الأفراد قد تموت ضمائرهم أو يصيبها السقم والهزال فلا ضمان للفقير إذا ترك حقه لمثل هؤلاء.

٢ – في أخذ الفقير حقه من الحكومة لا من الغني نفسه حفظ لكرامته، وصيانة لماء وجهه أن يراق بالسؤال، ورعاية لمشاعره أن يجرحها المن والأذى.

٣ – أن ترك الأمر للأفراد يجعل التوزيع فوضى فقد ينتبه أكثر من غني لإعطاء فقير واحد، على حين يغفل عن آخر لا يفطن له أحد، وربما كان أشد فقرا (٦).

كل ما سبق يدل على أن على الإمام أن يطلب الزكاة ويجبيها من أصحابها، ثم يقوم بتوزيعها على مستحقيها الذين ذكرتهم الآية السابقة. وعلى الأمة أن تدفعها إليه أو إلى عماله الذين يرسلهم لجبايتها.

دفعها إلى أئمة الجور:

الواقع أننا عند استعراض الأدلة والفتاوى والنصوص الواردة في المسألة نجد منها ما يوجب الدفع ومنها ما يمنع ذلك، فلنستعرضها ونرى الراجح منها:

الأدلة الموجبة لدفع الزكاة لأئمة الجور:

١ – عن جرير بن عبد الله قال: ((جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالوا: إن أناسا من المصدقين (جباة الصدقة) يأتوننا فيظلموننا، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: أرضوا مصدقيكم)) (٧).

٢ – وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ((أن رجلا قال لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –: إذا أديت الزكاة إلى رسولك فقد برئت منها إلى الله ورسوله؟ قال: نعم. إذا أديتها إلى رسولي فقد برئت منها إلى الله

ورسوله، ولك أجرها وإثمها على من بدلها)) (٨).

٣ - كما يدل على ذلك فتاوى الصحابة والتابعين، وكلام الفقهاء من ذلك:

---

(١) رواه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩) (٢٩).

(٢) [١٣١١٦])) ((فقه الزكاة)) للقرضاوي (٢/ ٧٤٩).

(٣) [١٣١١٧])) ((فتح الباري)) (٣/ ٣٦٠).

(٤) [١٣١١٨])) انظر: ((فقه الزكاة)) للقرضاوي (٢/ ٧٥٤).

(٥) [١٣١١٩])) ((المجموع)) (٦/ ١٦٧) و ((روضة الطالبين)) النووي (٢/ ٢١٠).

(٦) [١٣١٢٠])) انظر: ((فقه الزكاة)) للقرضاوي (٢/ ٧٥٦).

(٧) [١٣١٢١])) رواه مسلم (٩٨٩).

(٨) [١٣١٢٢])) رواه أحمد (٣/ ١٣٦) (١٢٤١٧)، والطبراني في ((الأوسط)) (٨/ ٣٣٨) (٨٨٠٢). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٣/ ٦٦): رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، وقال الوادعي في ((أحاديث معلة)) (٤١): رجاله رجال الصحيح، ولكن في ((تهذيب التهذيب)) أن رواية سعيد بن أبي هلال عن أنس مرسلة.." [١]

"تمهيد

مما لا شك فيه أن في صلاح الراعي صلاحا للرعية، حيث إن للراعي سلطة وقوة ونفوذا ليست بيد أحد من أفراد الرعية.

وإذا كان المسؤول عن معظم الطوائف والجماعات والفئات صالحا انعكس صلاحه على من تحته فما بالك بالسلطان.

لذا فإنه ينبغي أن لا يتولى أمور المسلمين إلا من هو أهل لذلك ممن يتصف بالتقوى والخوف من الله تعالى ومراقبته والقوة في الرأي والسداد **والحكمة في** المنطق، ولكن قد يتولى على المسلمين من ليس أهلا لذلك فيذعن المسلمون له وللأمر الواقع نظرا لما يترتب على ذلك من جلب المصالح ودفع المفاسد.

ولكن على أي الحالين فلابد أن يسعى العلماء والمصلحون إلى بذل جميع الأسباب إلى إصلاح الراعي

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦٧/٨

وتذكيره ونصحه، والسعي لإصلاح من حوله. انطلاقا من توجيهات الشرع. يقول صلى الله عليه وسلم ((الدين النصيحة –ثلاثا– قلنا لمن يا رسول الله قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم)) (١). الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعبد العزيز بن أحمد المسعود – ص ٥٤٣

---

(١) رواه مسلم (٥٥). من حديث تميم الداري رضي الله عنه.." (١)

"المطلب الأول: الأدلة من القرآن على تكليف الجن

وردت آيات كثيرة تدل على تكليف الجن، وهي على أنواع مختلفة هي:

١ – ما جاء من التصريح في الحكمة من خلق الجن والإنس.

وذلك في قوله تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون [الذاريات: ٥٦ – ٥٧]. فالآية صريحة في أن الله قد خلق الجن والإنس للعبادة، وعلى هذا وردت أقوال العلماء:

قال ابن عباس: (إلا ليعبدون أي: إلا ليقروا بعبادتي، طوعا أو كرها)، وهذا اختيار ابن جرير الطبري (١).

وورد عن علي بن أبي طالب، وابن جريج، والربيع بن أنس أن معنى قوله تعالى: إلا ليعبدون أي إلا لآمرهم بالعبادة، وهو اختيار الزجاج (٢).

ويدل على ما تقدم قوله تعالى: وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا [التوبة: ٣١] وهي عامة في الجن والإنس.

قال ابن كثير: (ومعنى الآية: أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم) (٣).

٢ – ما ورد عن صرف الجن إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، واستماعهم للقرآن منه.

أ– قال تعالى: وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم [الأحقاف: ٢٩ – ٣١].

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٤٩/٨

فقد أخبر القرآن الكريم أن الله قد صرف الجن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام لاستماع القرآن منه، وسواء كان حضورهم إلى مكة – حيث كان الرسول عليه السلام يقرأ القرآن، بعد منعهم من استراق أخبار السماء – أو كان حضورهم بتوفيق من الله هداية لهم، على ما ذكره الإمام الماوردي (٤). فإن في ذلك دلالة على استماعهم للقرآن منه عليه السلام، وانصاتهم لسماعه. قال ابن القيم: وقوله تعالى: وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن [الأحقاف: ٢٩]. الآية، تدل على تكليف الجن من عدة وجوه:

أحدها: أن الله تعالى صرفهم إلى رسوله يستمعون القرآن ليؤمنوا به، ويأتمروا بأوامره وينتهوا عن نواهيه.

الثاني: أنهم أخبروا أنهم سمعوا القرآن وعقلوه وفهموه، وأنه يهدي إلى الحق، وهذا القول منهم يدل على أنهم عالمون بموسى وبالكتاب المنزل عليه، وأن القرآن مصدق له، وأنه هاد إلى صراط مستقيم، وهذا يدل على تمكنهم من العلم الذي تقوم به الحجة، وهم قادرون على امتثال ما فيه، والتكليف إنما يستلزم العلم والقدرة.

الثالث: أنهم قالوا لقومهم: يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به [الأحقاف: ٣٠]. والآية صريحة في أنهم مكلفون، مأمورون بإجابة الرسول، وهو تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر (٥) اهـ.

وقال الألوسي في قوله تعالى: يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به (وهذا ونحوه يدل على أن الجن مكلفون) (٦).

---

(١) ((تفسير الطبري)) (٢٧/ ٨) ط١ ١٣٢٨هـ.

(٢) ((تفسير القرطبي)) (١٧/ ٥٥) ((تفسير فتح القدير)) (٥/ ٩٢).

(٣) ((مختصر تفسير ابن كثير)) (٣/ ٣٨٧).

(٤) ((أعلام النبوة)) (ص: ١٤٣).

(٥) ((طريق الهجرتين وباب السعادتين)) (ص: ٤٢١).

(٦) ((تفسير روح المعاني)) (٢٦/ ٣٢).." [1]

"شرح القواعد الأربع

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يرحمه الله

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٨٠/٨

تفريغ شريط رقم (٢)

عناصر الدرس

* تعريف برسالة القواعد الأربع.
* سبب اقتصار المصنف على البسملة، وترك الخطبة.
* دعاء المصنف للطالب، **والحكمة من** افتتاح الرسالة بالدعاء.
* تفسير ملة إبراهيم.
* أسباب نسبة الملة لإبراهيم عليه السلام مع أنها ملة سائر الأنبياء.
* التوحيد والشرك ضدان لا يجتمعان، ولا يرتفعان. .
* شرح القاعدة الأولى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد

نشرع في هذا اليوم بإذن الله تعالى في شرح رسالة القواعد الأربعة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى بعدما انتهينا من شرح الأصول الثلاثة شرح مختصر والذي يحسن للطالب أن يتبعها بالقواعد الأربعة، وهذه المسائل .. القواعد الأربعة تتعلق بالحكم على المسلم و .. المشرك، بمعنى أنك إذا عرفت التوحيد وعرفت الشرك .. فسيذكر المصنف رحمه الله تعالى شيئا مما يتعلق بذلك في .. مقدمة لـ المسائل الأربع أو القواعد الأربع، حينئذ كيف نميز بين النوعين؟ كيف نميز بين .. النوعين، فمعرفة التوحيد ومعرفة الشرك حينئذ تحتاج إلى تطبيق وتنزيل على .. الواقع لئلا يلتبس على المسلم المسلم بـ .. أو الموحد بـ .. بالمشرك، فثم اختلاط بين الشخصين موحد و .. والمشرك، إذ الموحد قد يقع في الشركيات، قد يكون مصليا صائما مزكيا حاجا تاليا صواما قواما ومع ذلك يحكم عليه بالشرك الأكبر إذا وقع فيه.

كما سيذكر المصنف رحمه الله تعالى أن الشرك إذا دخل العبادة أفسدها كما يفسد الحدث الوضوء، حينئذ قد يكون الوضوء صحيحا ويأتي بشرائطه وأركانه ومستحباته ثم يأتي الحدث فينتقض الوضوء، كذلك

يأتي بالإسلام على وجهه ثم يقع في شرك أكبر فينتقض الإسلام، إذ الإسلام له نواقض كما أن للوضوء نواقض كما أن للصلاة مبطلات كما أن للصوم مفسدات كذلك للتوحيد مبطلات ومفسدات ونواقض، وهذا محل وفاق بين .. بين أهل العلم.

ولو لم يكن الأمر كذلك لما كان لـ الباب العظيم الذي .. يقرره الفقهاء في كتبهم وهو حد باب "المرتد " .. باب "المرتد "، من هو المرتد؟ هو من كفر بعد إسلامه، إذا قد يدخل في الإسلام ثم بعد ذلك قد يخرج منه.

جرى هنا المصنف رحمه الله تعالى على تأصيل وتقعيد لفهم الفرق بين التوحيد والشرك، وبمعرفة هذه القواعد يرتفع اللبس في الحكم على الشخص بكونه مشركا أو موحدا، إذا هذه القواعد الأربعة لتمييز المسلم من؟ .. من المشرك، والرسالة مختصرة وذكر أربعا، وليست محصورة فيها وإنما جرى المصنف رحمه الله تعالى على طريقته وهي تقريب العلم لـ .. للنفس، إذ المخاطب بهذه الرسائل: الأصول الثلاثة، القواعد الأربعة .. ونواقض الإسلام ومسائل الجاهلية، ليس الأمر خاصا بطلاب العلم فحسب دون غيرهم من عامة المسلمين، بل التوحيد مخاطب به كل مكلف، {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} ، حينئذ يتعين على الكل أن يعرف هذه القواعد الأربع، وهذا من العلم الذي هو فرض عين، بمعنى أنه لا يعذر بجهله البتة، لا يعذر بجهله .. البتة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم)." (١)

"وقال مجاهد: إلا لآمرهم وأنهاهم، فالعبادة هنا ليست خاصة بـ .. بالتوحيد بل هي عامة بـ .. التوحيد وماعداه من الأوامر، ولا شك أن قول مجاهد هنا (إلا لآمرهم) أعظم الأوامر هو التوحيد ودخل فيه من باب الأولوية، (وأنهاهم) أعظم ما نهى الله تعالى عنه هو .. هو الشرك ودخل فيه بـ الأولوية، واختاره ابن تيمية رحمه الله تعالى قال: ويدل على هذا قوله سبحانه {أيحسب الإنسان أن يترك سدى} قال الشافعي: لا يؤمر ولا ينهى؟ ، فدل على أن تفسير عليا رضي الله تعالى عنه ومجاهد أقرب إلى .. المعنى، والمصنف

---

(١) الشرح الميسر للقواعد الأربع، أحمد بن عمر الحازمي ١/١

رحمه الله تعالى كثيرا ما يفسر العبادة هنا في هذا الموضع بالتوحيد بـ .. بالتوحيد، كما قال في الأصول الثلاثة: ومعنى يعبدون أي يوحدون، ومعنى يعبدون أي يوحدون أي يفردوني بالعبادة وهذا هو التوحيد، قال ابن عباس: كل موضع في القرآن {اعبدوا الله} معناه وحدوا الله، معناه .. وحدوا الله، وعنه في قوله تعالى {إياك نعبد} إياك نوحد، إياك نعبد إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك، فدل على أن معنى يعبدون أي يوحدون، ومعنى إياك نعبد أي إياك نوحد، وهذا يوافق ما اختاره المصنف رحمه الله تعالى في كثير من المواضع في تفسير العبادة بالتوحيد وعند التأمل لا فرق بين القولين، من عمم ومن خصص، لأن العبادة مبينة على التوحيد .. العبادة مبينة على التوحيد، فكل عبادة لا توحيد فيها ليست بعبادة كما سيذكر المصنف رحمه الله تعالى، قال تعالى كما في الحديث القدسي {أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه} دل على أن العمل الذي يكون فيه شيء من الشرك مردود على .. على صاحبه، إذا نظر المصنف رحمه الله تعالى إلى قول ابن عباس (كل أمر بالعبادة هو أمر بالتوحيد) ثم المعنى أن العبادة بسائر أنواعها وآحادها وأصنافها مبينة من حيث الصحة و .. والفساد ومن حيث القبول والرد .. مبينة على التوحيد، فإن جاء بالتوحيد حينئذ قبلت عبادته، وإذ لم يأتي بالتوحيد ردت عبادته، ولذلك إذا كان واقعا في الشرك فلو صلى فصلاته مردودة، و .. ولو زكى فزكاته مردودة، وكذلك صيامه وحجة، لماذا؟ لكونه لم يأتي بالأساس الذي تبنى عليه العبادات وهو توحيد الله جل وعلا.

وإلا فالتوحيد من العبادة وهي أعم منه حينئذ فسر الشيء ببعض أفراده لأن تلك الأفراد مبنية على هذه .. على هذا الأصل العظيم وهو توحيد الرب جل وعلا، {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} إذا دلت الآية على .. **الحكمة من** خلق الخلق وهي عبادته جل وعلا.

ثانيا إذا علم أن الله تعالى خلق الخلق من أجل عبادته تعين عليهم أن يعبدوا الله تعالى تحقيقا لهذه الغاية، فيجب عليهم أن يحققوا هذه الحكمة وهي عبادته وحده حينئذ يكون التوحيد واجبا.." (١)

"عناصر الدرس

* ترجمة مختصرة لابن قدامة المقدسي.

* استنباط طريقة السلف في تلقي العلم من ترجمة المؤلف.

* هل عرف السلف ما يسمى بالتخصص في فن معين؟

---

(١) الشرح الميسر للقواعد الأربع، أحمد بن عمر الحازمي ١١/١

* بيان أسماء أخرى للكتاب.

* قوله: لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد.

* قوله: بسم الله الرحمن الرحيم.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد.

فهذه فرصة سعيدة أرحب بإخوان لي من طلبة العلم ومشايخ في هذا البلد وهو محافظة الطائف في باكورة، نسأل الله عز وجل أن ينفع بها إخواني من طلاب العلم الذين حرصوا أن يكون ثم درس في هذه المنطقة، ولا شك أن قدوم من هو خارج عن بلد ما قد يكون فيه يعني: لا يلزم منه أن لا يكون في البلد من هو أولى منه بتدريس متن معين، لكن فيه كما هو المعتاد النفوس تحب التجديد وترغب في شيء جديد حينئذ كانت الموافقة على ما ذكر، وإلا فأهل البلد أعلم بطلابه، ومتن العقيدة الذي معنا ((لمعة الاعتقاد)) متن مختصر وجل أهل العلم على قدرة تامة بإذن الله تعالى على تدريسه، ولكن كما ذكرت **الحكمة من** افتتاح هذا الدرس في هذه المنطقة أن يكون ثم تجديد لبعض طلاب العلم إذ النفوس ترغب في ذلك.

((لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد)) هذا متن مختصر في المعتقد هو ذكر فيه نبذ من العقيدة، واشتملت على مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة، وقبل الدخول في ثنايا هذا المتن نقدم بمقدمة تتعلق بترجمة مختصرة لهذا الإمام العلم شيخ الإسلام الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه المقدسي رحمه الله تعالى.

ومرادي من ذكر المختصرات في تراجم من ندرس له المراد به أن يكون ثم اقتباس واقتداء من طلاب العلم بالأئمة المتقدمين، فأما العلم يختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان، وكما أن الدين يدخله نوع من الغربة كذلك طلب العلم والمنهجية في طلب العلم يدخلها شيء من الغربة، ولذلك ذكر بعض أهل العلم أن العلم كما هو معلوم رفعه في آخر الزمان من أشراط الساعة، ولا يمكن أن يرفع العلم إلا بارتفاع طرق تحصيل العلم، فترفع أولا طرق تحصيل العلم، ويبذل الساعي ما يبذل لكنه لا يحصل شيئا من العلم، ثم بعد ذلك يكون العلم على جهة الثقافات وتنويع المعارف كما هو موجود في كثير في الساحة الآن، وقل

من يوجد من أهل العلم لمن كان على سنن المتقدمين ومن كان على طريقة الأئمة الأعلام كشيخ الإسلام ابن تيمية، ومن قبله ومن بعده.

شيخ الإسلام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبد الله المقدسي ثم الدمشقي الصالحي الفقيه الزاهد الإمام شيخ الإسلام وأحد الأعلام موفق الدين أبو محمد، هكذا تجد في كثير من تراجم أهل العلم مصدرة بمثل هذه الألقاب، وإن كان في بعض من يترجم لهم قد يكون ثم مبالغة، ولكن في كثير من أحوال المترجم لهم إنما تكون على وجه الحقيقة.." (١)

"المحمود من الخوارق والمذموم والمباح

فالخارق ثلاثة أنواع: محمود في الدين، ومذموم، ومباح؛ فإن كان المباح الذي فيه منفعة كان نعمة، وإلا فهو كسائر المباحات التي لا منفعة فيها.

قال أبو علي الجوزجاني: كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة.

قال الشيخ السهروردي في عوارفه: وهذا أصل كبير في الباب، فإن كثيرا من المجتهدين المتعبدين سمعوا سلف الصالحين المتقدمين، وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات، فنفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك، ويحبون أن يرزقوا شيئا منه، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متهما لنفسه في صحة عمله، حيث لم يحصل له خارق، ولو علموا بسر ذلك لهان عليهم الأمر، فيعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك بابا، **والحكمة فيه** أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وأمارة القدرة يقينا؛ فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا، والخروج عن دواعي الهوى، فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة، فهي كل الكرامة].

هذه إشارة إلى أن تعلق بعض الناس بالكرامة، واعتبارها هي دليل الصلاح أو دليل التوفيق هذا خطأ، خاصة من يطلبون الكرامات ويلتمسونها، ولذلك الذين يجعلون كثرة الكرامات دليلا على الاستقامة، أو أن قلة الكرامات دليل على عدم الاستقامة وعدم التوفيق، هؤلاء يخطئون؛ فإن الكرامة هبة من الله عز وجل يهبها لمن يشاء بقدر، أيضا لم تكن من الأمور الذي يفتن بها الصالحون، ولذلك نجد أن الكرامات عند أولياء الله الصالحين من الصحابة رضي الله عنهم، ومن جاء بعدهم قليلة.

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١/١

ولما وجد من العباد والجهلة والمبتدعة من كثر تعلقهم بالكرمات، كثرت عندهم الكرامات والمخارق أيضا، واختلطت عليهم الكرامة بالخوارق وبالمخارق والدجل، ولذلك فتن بعضهم.

وهناك طائفة من الدعاة الذين ينتسبون لبعض الجماعات يتعلقون كثيرا بالكرامات، ويجعلونها دليلا دائما أو غالبا على التوفيق والصلاح والاستقامة، وهذا خطأ، فكونهم يفرحون بالكرامة هذا أمر طيب، وإذا حدثت الكرامة لمسلم استبشر بها، لكن أن يطلبها ويتعلق بها قلبه، بحيث يعتمد عليها كثيرا، وأن يشيعها ويجعلها دليلا على الاستقامة والتوفيق، فهذا خطأ؛ لأن الإكثار من ذلك ليس هو من سبيل المؤمنين، ولم يكن الإكثار من الكرامة أو التنويه عنها أو التماسها والتعلق بها من السنة، وإنما كما قال الشارح: إن أكبر كرامة للمؤمن أن هداه الله عز وجل ووفقه وسدده وأعانه، هذه بحد ذاتها كرامة، فلا ينبغي أن يبحث عن غيرها، إلا إن جاءت بدون طلب فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وليستبشر بها خيرا، لكن أن يلتمسها ويتعلق بها خاطره، ثم يبدأ يتعلق بها في مناماته ورؤاه، ويتعلق بها في أحواله الأخرى، فهذا مما يضعف التوكل على الله عز وجل، ويروج البدعة في كثير من الأمور، ويضعف جانب الصلاح والاستقامة في الظاهر.

قال رحمه الله تعالى: [ولا ريب أن للقلوب من التأثير أعظم مما للأبدان، لكن إن كانت صالحة كان تأثيرها صالحا، وإن كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدا، فالأحوال يكون تأثيرها محبوبا لله تعالى تارة، ومكروها لله أخرى، وقد تكلم الفقهاء في وجوب القود على من يقتل غيره في الباطن].

يشير المؤلف رحمه الله إلى جانب آخر مما يلتبس على الناس بالكرامات، وهو جانب المؤثرات المعنوية والمؤثرات النفسية وتعلق النفس بها، وجعلها من ضمن الأسباب.

والمقصود بهذا أن هناك من يتوسع في مفهوم الخوارق، حتى يستخدمها في ضر الناس ونفعهم، أو في كف الشر عنه، أو في جلب الخير إليه، كما يحدث من بعض الرقاة الجهلة، ويحدث من بعض المشعوذين وبعض الدجالين أو بعض المبتدعة، أو غيرهم من الذين عندهم نوع من الصلاح، لكن عن جهل، فهؤلاء قد يستخدمون بعض التأثيرات النفسية، أو يستخدمون أحيانا الجن، أو يستخدمون الرقى في التأثير على الخصم.

ولذلك تكلم الفقهاء في وجوب القود على من يقتل غيره في الباطن، يعني: بغير سلاح مباشر، كمن يستخدم العين للقتل، وهذا يوجد عند بعض الحسدة مرضى القلوب، يعين الناس حتى يقتل بعضهم، نسأل الله العافية.

أو يستعين بعائن، بأن يذهب إلى عائن مشهور ممن لا يتقون الله، من الجهلة المركبين في الجهل، ويكون مشهورا بالعين، فيقول عن لي فلانا، أو افعل معه كذا، أو سأصفه وأنت اصرف له العين إلى آخره! فيحدث أحيانا قتل للنفس، ويحدث مثل هذا عن طريق الجن أيضا، بعض الناس يستعين بالجن استعانة يظن أنها مشروعة على قتل خصومه، أو قتل من يكرههم ومن يحسدهم، هذا كله من القتل بغير سلاح، واختلف أهل العلم هل فيه قود أو ليس فيه قود؟ هذه مسألة خلافية مبنية على عدم وجود القرينة أو الدليل القطعي على التعمد في القتل؛ أما إذا وجد التعمد في القتل بهذه الوسيلة فلا شك أنه من باب القتل الذي توعد الله به من يفعله، إنما يبقى هل يكون فيه قود (قصاص) أو لا يكون؟ والشاهد عندنا أن هؤلاء يستعملون هذه المخارق، وهذه الأساليب الدجلية، ويظنون أنها مشروعة في التأثير على خصومهم، أو في الإضرار بالآ." (١)

"حكم التماس **الحكمة في** التشريع

Q هل للعقل السؤال عن حكمة الأمور التعبدية، كالسؤال عن **الحكمة من** الصلوات؟

A التماس الحكمة جائز شرعا في كل أمر، وإذا التمس الإنسان الحكمة فهذا أحيانا يعينه على قوة اليقين والإيمان، لكن يجب ألا يتوقف تصديقه ولا عمله على معرفة الحكمة، فلو توقف تصديق الإنسان وعمله على معرفة الحكمة لترك كثيرا من أمور الدين، كما روي عن علي بن أبي طالب: (لو كان الدين بالرأي لكان مسح أسفل الخف أولى من مسح أعلاه)، لكن الدين ليس بالرأي، فلا مانع من أن يلتمس الحكمة؛ لأن هذا يقوي إيمانه ويقينه، فتؤيد الأدلة النقلية بالبراهين العقلية، لكن بشرط ألا يتوقف الإيمان ولا العمل على النظر في الحكمة.." (٢)

"**الحكمة من** تقديم الإسراء إلى بيت المقدس

قال رحمه الله تعالى: [فإن قيل: فما **الحكمة في** الإسراء إلى بيت المقدس أولا؟ فالجواب والله أعلم: أنه كان ذلك إظهارا لصدق دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم المعراج حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس، فنعته لهم وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك، إذ لا يمكن إطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٦/١٠٠

(٢) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٧/١٨

فأخبرهم بنعته].

مما ينبغي أن يعلم أن الإيمان بمثل هذه الأمور الغيبية لا يتوقف على معرفة الحكمة، فالإيمان بجميع مسائل الغيب -ومن ذلك الإسراء والمعراج وما حدث فيهما من مشاهد وأحداث- لا يتوقف على معرفة الحكمة أبدا؛ فالإسراء والمعراج هذا أمر حدث وكان على سبيل الإعجاز والإكرام للنبي صلى الله عليه وسلم ولهذه الأمة، فلا داعي لأن نقول: لماذا ذهب إلى بيت المقدس؟ ولماذا مر على السماوات السبع على هذا النحو؟ ولماذا تردد بين موسى وربه؟ إلى غير ذلك من الأمور التي هي من باب الترف العلمي الذي لا ينبغي أن يسلكه المؤمن، بل أحيانا تكون من باب ما نهى الله عنه من السؤال، فالتباس الحكمة في هذه الأمور لا يتوقف عليه شيء.." (١)

"الحكمة من خلق إبليس

قال رحمه الله تعالى: [فهو سبحانه يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره وكونه سببا إلى أمر هو أحب إليه من فوته، من ذلك: أنه خلق إبليس الذي هو مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد وعملهم بما يغضب الرب تبارك وتعالى، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه، ومع هذا فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه، ووجودها أحب إليه من عدمها، منها: أنه تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذه الذات التي هي أخبث الذوات وشرها وهي سبب كل شر، في مقابلة ذات جبريل التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها، وهي مادة كل خير، فتبارك خالق هذا وهذا! كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار، والداء والدواء، والحياة والموت، والحسن والقبيح، والخير والشر.

وذلك من أدل دليل على كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه، فإنه خلق هذه المتضادات وقابل بعضها ببعض، وجعلها محال تصرفه وتدبيره، فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير مملكته.

ومنها: ظهور آثار أسمائه القهرية، مثل: القهار، والمنتقم، والعدل، والضار، والشديد العقاب، والسريع الحساب، وذي البطش الشديد، والخافض، والمذل؛ فإن هذه الأسماء والأفعال كمال لا بد من وجود متعلقها، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء].

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٤٧/٨

يعني بذلك أنه لا تتحقق هذه المعاني إلا بوجود ابتلاء الخلق بالخير والشر، فهذا لحكمة، والله عز وجل يفعل في خلقه ما يشاء، فهو فعال لما يريد، وما فعله الله عز وجل كله خير وحكمة.

فخلق الله عز وجل الشر وخلق إبليس لحكم، منها: أنه لا تظهر آثار أسماء الله عز وجل القهرية إلا بمثل هذا الابتلاء، وبمثل هذه الفتنة التي فتن الله بها العباد، ولذلك جعل الله الشر والخير فتنة وابتلاء للخلق.

قال رحمه الله تعالى: [ومنها ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعتقه لمن شاء من عبيده، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا بقوله: (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم).

ومنها ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإنه الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه ولا ينزله في غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكره على انتهائها إليه، وأعلم بمن لا يصلح لذلك، فلو قدر عدم الأسباب المكروهة لتعطلت حكم كثيرة ولفاتت مصالح عديدة، ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب، وهذا كالشمس والمطر والرياح التي فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر].

الخير المحض لا تحصل به حقيقة الابتلاء ولا التكليف ولا معنى الجزاء ولا معنى الوعد والوعيد ولا تظهر فيه للعباد معاني الحكمة ومعاني الرحمة ومعاني القوة والجبروت وغير ذلك، فكان من خلقه تعالى المتضادات، ومن ذلك الخير والشر، وفيما يترتب عليهما من الجزاء للعباد في الدنيا والآخرة ظهور معاني الحكمة وحقيقة الابتلاء ونحو ذلك مما هو معلوم لدى العقلاء.

قال رحمه الله تعالى: [ومنها: حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت، فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة لله سبحانه وتعالى، والمعاداة فيه، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى، وإيثار محاب الله تعالى، وعبودية التوبة والاستغفار، وعبودية الاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه ويعصمه من كيده وأذاه، إلى غير ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن إدراكها].

فإن قيل: فهل كان يمكن وجود تلك الحكم بدون هذه الأسباب؟ فهذا سؤال فاسد، وهو فرض وجود الملزوم بدون لازمه، كفرض وجود الابن بدون الأب، والحركة بدون المتحرك، والتوبة بدون التائب.." (١)

"حصول الشر في المادة بقطع الإعداد والإمداد وظهور حكمة الله تعالى في تفاوت المخلوقات في ذلك

قال رحمه الله تعالى: [فإن قيل: لم تنقطع نسبته إليه خلقا ومشيئة؟ قيل: هو من هذه الجهة ليس بشر، فإن وجوده هو المنسوب إليه، وهو من هذه الجهة ليس بشر، والشر الذي فيه من عدم إمداده بالخير وأسبابه، والعدم ليس بشيء حتى ينسب إلى من بيده الخير].

يعني: بذلك أن الشر والمعاصي من حيث خلقها وإيجادها ليست شرا؛ لأنها لحكمة وابتلاء للعباد، إنما الشر هو فعل المعاصي وفعل الممنوعات، أما خلقها فهو لحكمة، والحكمة ليست شرا، إنما هي خير.

قال رحمه الله تعالى: [فإن أردت مزيد إيضاح لذلك، فاعلم أن أسباب الخير ثلاثة: الإيجاد، والإعداد، والإمداد].

الإيجاد: هو التقدير والخلق، والإعداد: إقدار العباد وإقدار الفاعلين على الفعل، والإمداد التيسير والإعانة والتوفيق.

قال رحمه الله تعالى: [فإيجاد هذا خير، وهو إلى الله، وكذلك إعداده وإمداده، فإذا لم يحدث فيه إعداد ولا إمداد حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس إلى الفاعل وإنما إليه ضده.

فإن قيل: هلا أمده إذ أوجده؟ قيل: ما اقتضت الحكمة إيجاده وإمداده، وإنما اقتضت إيجاده وترك إمداده، فإيجاده خير، والشر وقع من عدم إمداده.

فإن قيل: فهلا أمد الموجودات كلها؟ فهذا سؤال فاسد، يظن مورده أن التسوية بين الموجودات أبلغ في الحكمة!].

هذا مذهب الفلاسفة، فالفلاسفة يرون أن التسوية ضرورية وأنها من اللوازم التي تلزم الله عز وجل، وانتقلت هذه الفلسفة إلى المعتزلة، وإلى كثير من أهل الكلام، ولذلك أنكروا حكمة الله عز وجل، وأنكروا الرحمة عن الرب سبحانه؛ لأنهم يرون أن الأفعال في الكون كلها لابد من أن تكون متساوية، ويرون أن مقتضى العدل فيها ألا يكون فيها خير وشر مطلقا، وإن وجد الشر فمن أفعال العباد بذاتهم، فهم خالقون لها، فمن

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٤/٥٢

هنا ضلوا من حيث أرادوا أن ينزهوا الله، لكنهم وقعوا في شر مما هربوا منه.

قال رحمه الله تعالى: [وهذا عين الجهل، بل الحكمة كل **الحكمة في** هذا التفاوت العظيم الذي بين الأشياء].

مبدأ التسوية -كما قلت- هو الذي جعل كثيرا من أهل الأهواء يغلطون في مسألة الحكم على الناس، ولعلي أكتفي بالإشارة بهذه المناسبة إلى ما وجد من أحكام باطلة من خلال هذه العقيدة الباطلة عبر نظرة سادت في الآونة الأخيرة عند كثير ممن يسمون بالمثقفين والمفكرين من المسلمين -مع الأسف- تبعا لغيرهم من الفلاسفة ونحوهم من الذين الأصل عندهم هو الخلل في توحيد الله عز وجل.

أقول: هذا الفكر السائد المبني على هذه الفكرة الفلسفية يرى أنه لا فرق بين المسلم وغيره، وأنه لا يليق بالله عز وجل أن يعذب البشر، فمن هنا ظهرت مقولة في الآونة الأخيرة تقول: لا فرق بين المسلم واليهودي والنصراني، فكلهم يؤمنون بالله، إنما الفرق في عملهم، فمن كان طيبا متخلقا محسنا إلى الناس فهو من أهل الجنة وإن كان يهوديا أو نصرانيا! فهذا ناتج عن مبدأ التسوية وعدم الإيمان بحكمة الله عز وجل وأن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وأنه هدى من شاء ووفقه ووعده الجنة فضلا منه سبحانه، وتوعد الكفار بالنار عدلا منه عز وجل، وأن ذلك كله راجع إلى حكمته.

إذا: فمبدأ الحكمة لا يعترف به هؤلاء، بل ربما يعبرون عن الحكمة بالعدل فقط، فيقولون: ليس من الحكمة كذا، ويقصدون بذلك أنه: ليس من العدل؛ لأنهم يضعون مقاييس من عند أنفسهم فيفرضونها على الله عز وجل.

فلذلك قالت المعتزلة ونحوهم: يجب على الله أن يفعل كذا، ويجب عليه ألا يفعل كذا! بدون تورع وبلا خوف من الله عز وجل، يقولون: يجب على الله أن يفعل كذا، ويجب عليه ألا يفعل كذا، تعالى الله عما يزعمون.

فالمهم أن هذا الأصل كله ناتج عن عقيدة التسوية، والنظرة الخاطئة إلى مفهوم العدل المطلق.." (١)

"جواب الاعتراض بامتناع التوبة من المعصية مع شهود **الحكمة في** تقديرها

قال رحمه الله تعالى: [فإن قيل: كيف يتأتى الندم والتوبة مع شهود **الحكمة في** التقدير، ومع شهود القيومية والمشيئة النافذة].

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٢/٥٣

أي: كيف يطلب من العبد التوبة من المعاصي مع أنها حدثت بتقدير الله وحكمته؟! هذا منشأ السؤال.

قال رحمه الله تعالى: [قيل: هذا هو الذي أوقع من عميت بصيرته في شهود الأمر على خلاف ما هو عليه، فرأى تلك الأفعال طاعات لموافقته فيها المشيئة والقدر، وقال: إن عصيت أمره فقد أطعت إرادته].

هذا القول هو قول أغلب الصوفية، والعجيب أن هذا القول وجد في العباد الأوائل قبل أن تظهر الطرق الصوفية، فالعباد الأوائل النساك في أول القرن الثاني وما بعده هذا أصل كثير منهم، خاصة الجهلة؛ لأن العباد المشاهير منهم عندهم شيء من العلم، لكن الجهلة منهم -وهم كثير- هذا مبدؤهم، ولذلك دخلت من خلالهم هذه العقائد إلى الصوفية المتأخرة؛ لأنهم يرونهم قدوة لهم، والمتأمل لأحوال العباد الأوائل يجد أنهم تقمصوا عقائد كثير من الفرق التي وجدت في البلاد المفتوحة، خاصة العراق، فأغلب هذه الأقوال موجود أصلا في عباد النصارى وفي عباد الهنود وموجودة عند طوائف من المجوس، فانتقلت إلى المسلمين عبر وراثة هذه العقائد عن أولئك القوم الذين، دخلوا في الإسلام ولم يتفقهوا في الدين، أو عن طريق الزنادقة الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا تلك العقائد ثم دعوا إليها.

قال رحمه الله تعالى: [وفي ذلك قيل: أصبحت منفعلا لما يختاره مني ففعلي كله طاعات وهؤلاء أعمى الخلق بصائر، وأجهلهم بالله وأحكامه الدينية والكونية، فإن الطاعة هي موافقة الأمر الديني الشرعي، لا موافقة القدر والمشيئة، ولو كان موافقة القدر طاعة لكان إبليس من أعظم المطيعين له، ولكان قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وقوم فرعون كلهم مطيعين، وهذا غاية الجهل].

قد يظن بعض الناس أن هذا من باب الإلزام، لكنه في الحقيقة واقع، فهناك طوائف من هؤلاء القوم من المتصوفة الفلاسفة الزنادقة الباطنية، والذين يجمعهم كلهم ابن عربي الطائي الاتحادي صاحب وحدة الوجود الحلولي الجهمي، صرحوا بأن خصوم الأنبياء هم أصحاب الحقيقة والتوحيد، وصرح به ابن عربي أكثر من مرة في كتبه صراحة لا التواء فيها ولا غموض، وكرر ذلك تكرارا بينا، وألف في ذلك كتبا ورسائل، حتى إنه صرح بأن خصوم الأنبياء من الأمم المشركة التي كفرت بالنبوة وبأنبياء الله ورسله أعرف بالتوحيد من الأنبياء وأتباع الأنبياء، وأنهم حينما دعا بعضهم إلى عبادة نفسه أو عبادة الأوثان ما قال إلا الحقيقة وما فعل إلا الحقيقة.

فهذا ليس من باب الإلزام فقط، وإن كان فعلا يلزم من ألغى الحكمة والمشيئة ولم يفرق بين الأمر الشرعي وبين الأمر الكوني والقدري أن ينتج عنده أنه لا فرق بين التوحيد والشرك، فهذا إلزام فعلي عقلي وشرعي،

لكنه حدث فعلا، فتوصلوا إليه، وانتهى مذهبهم الباطل بقول ابن عربي، وصار مذهبا يحتذى إلى الآن في الفرق الباطنية في أكثر العالم الإسلامي، فالعالم الإسلامي الآن تنتشر فيه الفرق الباطنية، وأغلبها تتبنى هذا الرأي.

قال رحمه الله تعالى: [لكن إذا شهد العبد عجز نفسه، ونفوذ الأقدار فيه، وكمال فقره إلى ربه وعدم استغنائه عن عصمته وحفظه طرفة عين كان بالله في هذه الحال لا بنفسه، فوقوع الذنب منه لا يتأتى في هذه الحال البتة، فإن عليه حصنا حصينا من (فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي)، فلا يتصور منه الذنب في هذه الحالة، فإذا حجب عن هذا المشهد وبقي بنفسه استولى عليه حكم النفس، فهنالك نصبت عليه الشباك والأشراك، وأرسلت عليه الصيادون، فإذا انقشع عنه ضباب ذلك الوجود الطبعي؛ فهنالك يحضره الندم والتوبة والإنابة، فإنه كان في المعصية محجوبا بنفسه عن ربه، فلما فارق ذلك الوجود صار في وجود آخر، فبقي بربه لا بنفسه].

هذا الكلام فيه إيهام، وإن كان قاله ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين، وابن القيم لاشك في أنه أراد بمثل هذا الكلام أن يجر جهلة الصوفية إلى التوحيد بعباراتهم، وأن يفسر لهم أقوال أئمتهم بتفسير أقرب إلى الحق والسنة، وأن يعبر عن الحق بتعبيراتهم من أجل أن يكمل الحق الذي أراد بيانه، لكن مع ذلك ينبغي ألا نجيز هذا بإطلاق؛ لأن المسلم الذي عوفي من هذه الأمور وهذه المصطلحات وهذه المفاهيم الأولى له ألا يخوض فيها وألا يتعلق قلبه ولا خاطره بمثل هذه الأمور، ولا يقرأ الكتب المتعلقة بتقرير هذه القضايا إلا للحاجة، أو أن يكون طالب علم متمكنا، فمدارج السالكين كتاب جيد، وقد أفاد فيه في تقريب جهلة الصوفية وغير المعاندين منهم إلى الحق، وشرح مصطلحات بمعنى أقرب إلى الحق، فسلم من الولوغ في الكفريات، لكنه لا يصلح لأهل السنة الذين سلموا أصلا من هذه المصطلحات ولم يعرفوها ولم يسمعوا بها ولا توجد عندهم.

ولذلك فمثل هذا الكتاب يوصى بأن ينتشر في البلاد التي يكثر فيها التصوف أو تسود فيهم مصطلحات الصوفية، أما في البلاد التي سلمت فلا حاج." (١)

"قيام مبنى العبودية والإيمان على التسليم وعدم الخوض في تفاصيل **الحكمة في** الأمر والنهي والشرع

قال رحمه الله تعالى: [وقوله: (فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٧/٥٣

الكافرين): اعلم أن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع، ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي صدقت بنبيها وآمنت بما جاء به أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه وبلغها عن ربها، ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت وسلمت وأذعنت وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته، ولا جعلت ذلك من شأنها، وكان رسولها أعظم عندها من أن تسأله عن ذلك، كما في الإنجيل: يا بني إسرائيل! لا تقولوا: لم أمر ربنا؟ ولكن قولوا: بم أمر ربنا.

ولهذا كان سلف هذه الأمة التي هي أكمل الأمم عقولا ومعارف وعلوما لا تسأل نبيها: لم أمر الله بكذا؟ ولم نهى عن كذا؟ ولم قدر كذا؟ ولم فعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام، وأن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم، فأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأمورا به بحيث لا يتوقف الإتيان به على معرفة حكمته، فإن ظهرت له فعله وإلا عطله، فإن هذا ينافي الانقياد ويقدح في الامتثال.

قال القرطبي ناقلا عن ابن عبد البر: فمن سأل مستفهما راغبا في العلم ونفي الجهل عن نفسه باحثا عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه فلا بأس به؛ فشفاء العي السؤال، ومن سأل متعنتا غير متفقه ولا متعلم فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره.

قال ابن العربي: الذي ينبغي للعالم أن يشتغل به هو بسط الأدلة، وإيضاح سبل النظر، وتحصيل مقدمات الاجتهاد، وإعداد الآلة المعينة على الاستمداد، قال: فإذا عرضت نازلة أتيت من بابها ونشدت من مظانها، والله يفتح وجه الصواب فيها.

انتهى.

وقال صلى الله عليه وسلم: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، رواه الترمذي وغيره، ولا شك في تكفير من رد حكم الكتاب، ولكن من تأول حكم الكتاب لشبهة عرضت له بين له الصواب؛ ليرجع إليه، فالله سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته ورحمته وعدله، لا لمجرد قهره وقدرته كما يقول جهم وأتباعه، وسيأتي لذلك زيادة بيان عند قول الشيخ: (ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله): قوله: (فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى، وهي درجة الراسخين في

العلم؛ لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر، وادعاء العلم المفقود كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود): الإشارة بقوله: (فهذا) إلى ما تقدم ذكره مما يجب اعتقاده والعمل به مما جاءت به الشريعة، وقوله: (وهي درجة الراسخين في العلم) أي: علم ما جاء به الرسول جملة وتفصيلا، نفيا وإثباتا، ويعني بالعلم المفقود: علم القدر الذي طواه الله عن أنامه ونهاهم عن مرامه، ويعني بالعلم الموجود: علم الشريعة أصولها وفروعها، فمن أنكر شيئا مما جاء به الرسول كان من الكافرين، ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين، قال تعالى: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول} [الجن:٢٦ - ٢٧] الآية.

وقال تعالى: {إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير} [لقمان:٣٤]، ولا يلزم من خفاء حكمة الله تعالى علينا عدمها ولا انتفاؤها جهلنا حكمته، ألا ترى أن خفاء حكمة الله علينا في خلق الحيات والعقارب والفأر والحشرات التي لا يعلم منها إلا المضرة لم ينف أن يكون الله تعالى خالقا لها؟! ولا يلزم ألا يكون فيها حكمة خفيت علينا؛ لأن عدم العلم لا يكون علما بالمعدوم].." (١)

"دفع احتجاج القدرية على خلق الإنسان فعله بقوله تعالى: (فمن نفسك)

قال رحمه الله تعالى: [وليس للقدرية أن يحتجوا بقوله تعالى: ((فمن نفسك))].

يقصد القدرية الذين قالوا بأن الإنسان خالق أفعاله أو بعض أفعاله، فبعضهم قالوا: إنه خلق أفعاله، وبعضهم قالوا: خلق بعض أفعاله، وبعضهم يقول بأنه هو الموجد والأصل في أفعال الشر، وليس لله فيها خلق! تعالى الله عما يزعمون، المهم أن هؤلاء هم القدرية الأولى، وقدرية المعتزلة كذلك.

قال رحمه الله تعالى: [وليس للقدرية أن يحتجوا بقوله تعالى: ((فمن نفسك))، فإنهم يقولون: إن فعل العبد حسنة كان أو سيئة فهو منه لا من الله! والقرآن قد فرق بينهما وهم لا يفرقون، ولأنه قال تعالى: ((كل من عند الله))، فجعل الحسنات من عند الله، كما جعل السيئات من عند الله، وهم لا يقولون بذلك في الأعمال، بل في الجزاء.

وقوله بعد هذا: ((ما أصابك من حسنة))، و ((من سيئة()، مثل قوله: ((وإن تصبهم حسنة))، و ((وإن تصبهم سيئة)).

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ١١/٥٤

وفرق سبحانه وتعالى بين الحسنات التي هي النعم، وبين السيئات التي هي المصائب؛ فجعل هذه من الله، وهذه من نفس الإنسان؛ لأن الحسنة مضافة إلى الله؛ إذ هو أحسن بها من كل وجه، فما من وجه من وجوهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه.

وأما السيئة فهو إنما يخلقها لحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه؛ فإن الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وخير؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الاستفتاح: (والخير كله بيديك، والشر ليس إليك)، أي: فإنك لا تخلق شرا محضا، بل كل ما تخلقه ففيه حكمة هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، فهذا شر جزئي إضافي، فأما شر كلي أو شر مطلق فالرب سبحانه وتعالى منزه عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه.

ولهذا لا يضاف الشر إليه مفردا قط، بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات، كقوله تعالى: {اللہ خالق كل شيء} [الرعد:١٦]، ((كل من عند الله))، وإما أن يضاف إلى السبب، كقوله: {من شر ما خلق} [الفلق:٢]، وإما أن يحذف فاعله، كقول الجن: {وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا} [الجن:١٠].

وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان لا يكون فيه حكمة، بل لله من الرحمة والحكمة ما لا يقدر قدره إلا الله تعالى، وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة يكون شرا كليا عاما، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيرا ومصلحة للعباد، كالمطر العام، وكإرسال رسول عام]..." (١)

"اختلاف الأحكام المتعلقة بالأبدان والأرواح باختلاف الدور

قال رحمه الله تعالى: [فالحاصل أن الدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكاما تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعا، فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم، ويجب أن يعلم أن النار التي في القبر والنعيم ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى يكون أعظم حرا من

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ١٠/٧٦

جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بـها، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه وهذا في حفرة من النار وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه، وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما، وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير، وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه وغيبه عن غيره، ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: (لولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع)، ولما كانت هذه **الحكمة منتفية** في حق البهائم سمعته وأدركته]..." (١)

"الرد على من ينفي الميزان

ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال، وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنا.

ولو لم يكن من **الحكمة في** وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فلا أحد أحب إليه العذر من الله؛ من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه؟ فتأمل قول الملائكة لما قال الله لهم: {إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون} [البقرة:٣٠].

وقال تعالى: {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} [الإسراء:٨٥].

وقد تقدم عند ذكر الحوض كلام القرطبي رحمه الله: أن الحوض قبل الميزان والصراط بعد الميزان، ففي الصحيحين: (أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة).

وجعل القرطبي في التذكرة هذه القنطرة صراطا ثانيا للمؤمنين خاصة، وليس يسقط منه أحد في النار، والله تعالى أعلم]..." (٢)

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٧/٨٥

(٢) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٥/٨٨

"الآيات الواردة في بقاء الجنة وعدم فنائها

وأما آيات بقاء الجنة.

فالأول: مثل قوله تعالى: {أكلها دائم وظلها} [الرعد:٣٥].

فأخبر أنه دائم، والمنقطع ليس بدائم.

والثاني: مثل قوله: {إن هذا لرزقنا ما له من نفاد} [ص:٥٤]، والمنقطع ينفد.

والثالث: قوله تعالى: {ما عندكم ينفد وما عند الله باق} [النحل:٩٦]، فأخبر أن ما في الدنيا من الخير ينفد، وما عند الله باق لا ينفد، فلو كان لما عند الله من النعيم آخر، لكان ينفد كما ينفد نعيم الدنيا، ولم يكن باقيا لا ينفد.

والرابع: مثل قوله تعالى في آيتين: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون} [فصلت:٨].

وقوله: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون} [الانشقاق:٢٥].

كما قال: {وإن لك لأجرا غير ممنون} [القلم:٣].

قال عامة المفسرين: غير مقطوع ولا منقوص.

وذكروا عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: غير مقطوع.

وعن مقاتل: غير منقوص أيضا.

قال عامة المفسرين: غير مقطوع ولا منقوص، كما قال: {وإن لك لأجرا غير ممنون} [القلم:٣].

قالوا ومنه المنون؛ لأنه يقطع عمر الإنسان.

وعن مجاهد: غير محسوب.

وهذا يوافق ذلك؛ لأن ما ينتهي مقدر محسوب، بخلاف ما لا نهاية له فإنه غير محسوب.

وقد شذ بعض الناس فقال: غير ممنون عليهم، من جنس قوله: {يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان} [الحجرات:١٧].

وهذا القول مع مخالفته لأقوال السلف والجمهور هو خطأ لوجوه: أحدها: أن الله يمن علينا بكل نعمة أنعم بها علينا، حتى بالإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: {يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين} [الحجرات:١٧].

وقال تعالى: {لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم} [آل عمران:١٦٤].

وقال أهل الجنة ما أخبر الله تعالى به في قوله: {وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين * فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم} [الطور:٢٥ - ٢٧].

وهذا قولهم: {الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله} [الأعراف:٤٣].

وقوله: {ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين} [الصافات:٥٧]، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لن يدخل أحد منكم بعمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل).

والله تعالى في غير موضع يذكر آلاءه وإحسانه ونعمه على عباده، ويأمرهم أن يذكروها، ويأمرهم أن يشكروها.

والعبد قد نهي أن يمن بصدقته بقوله تعالى: {لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى} [البقرة:٢٦٤]؛ لأن المتصدق في الحقيقة إنما أحسن إلى نفسه لا إلى المتصدق عليه؛ فإنه لولا أن له في ذلك منفعة وأجرا وعوضا لم يتصدق عليه، فصار كالذي يخدم المماليك بأجرة يأخذها من سيدهم ليس بمحسن إليهم.

وأيضا فإن المصدق الله هو المنعم عليه بما يسره الله للإحسان إلى نفسه، وعليه أن يشكر الله تعالى ويرى أن الله هو المحسن إليه، فإن نظر إلى الفعل فالله خالقه، وإن نظر إلى غايته فهو يطلب جزاءه وعوضه من الله، وإن نظر إلى المحسن إليه فهو المحسن إلى نفسه، والله أحسن إليه أن جعله محسنا إلى نفسه لا ظالما لها.

فلهذا كان منه على المخلوق ظلما أبطل به صدقته، والله هو المنعم على عباده حقيقة بالنعمة، والشكر عليها إذا أعانهم على شكره، وجعلهم شاكرين بنعمته، بثواب الشكر، فكل ذلك تفضل منه وإحسان من غير أن يكون له على ذلك عوض يأخذه من غيره، لا من المحسن إليه ولا من غيره فهو المنعم حقيقة، وإن كان له في الإنعام حكمة يحبها ويرضاها، فتلك **الحكمة منه**، فما لأحد عليه منة، وهو الجواد المحض، وهو سبحانه ليس كمثله شيء.

وللناس كلام في الجود والإحسان، ومن يفعل لحكمة ومقصود لحكمة هو مقصود هل هو جواد أم ليس بجواد؟ أم يفرق بين من يطلب عوضا من غيره، فيحتاج إلى غيره، فيكون جوده من باب المعاوضة، وبين من لا يحتاج إلى غيره، بل هو الجواد بالنعم وبالحكم كما قد بسط في غير هذا الموضع.

ولأنه لما قال تعالى: {." (١)

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ١٣/٩٢

"**الحكمة في** أن الداعي قد لا يعطى شيئا أو لا يعطى غير ما سأل

وهنا سؤال معروف: وهو أن من الناس من قد يسأل الله شيئا فلا يعطى، أو يعطى غير ما سأل، وقد أجيب عنه بأجوبة، فيها ثلاثة أجوبة محققة: أحدها: أن الآية لم تتضمن عطية السؤال مطلقا، وإنما تضمنت إجابة الداعي، والداعي أعم من السائل، وإجابة الداعي أعم من إعطاء السائل؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟).

ففرق بين الداعي والسائل وبين الإجابة والإعطاء، وهو فرق بالعموم والخصوص، كما أتبع ذلك بالمستغفر، وهو نوع من السائل، فذكر العام ثم الخاص ثم الأخص، وإذا علم العباد أنه قريب يجيب دعوة الداعي، علموا قربه منهم، وتمكنهم من سؤاله، وعلموا علمه ورحمته وقدرته، فدعوه دعاء العبادة في حال، ودعاء المسألة في حال، وجمعوا بينهما في حال، إذ الدعاء اسم يجمع العبادة والاستعانة، وقد فسر قوله: {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم} [غافر:٦٠] بالدعاء الذي هو العبادة، والدعاء الذي هو الطلب، وقوله بعد ذلك: {إن الذين يستكبرون عن عبادتي} [غافر:٦٠] يؤيد المعنى الأول].

أحب أن أشير إلى أن كثيرا من قضايا الدين ترد في نصوص مجملة، ثم إن كانت من أمور العقائد تفصل بإيضاح وبأخبار، وإن كانت من أمور العبادات تفصل بأوامر ونواه، ولا شك أنه ورد في النصوص الصريحة الصحيحة في كتاب الله عز وجل، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أن الله يجيب دعوة الداعي في نصوص مجملة، لكن هناك نصوص أخرى صحيحة تفسر معنى الدعاء وحقيقة الدعاء الذي يجاب؟ ومتى يجاب؟ وكيف يجاب؟ وهذا مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله دخل الجنة) هذا نص مجمل، لكن هناك نصوص مفسرة لشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ومبينة للوازم شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وهذه اللوازم ضرورية.

ووردت نصوص: أن من فعل كذا قبلت صلاته، من فعل كذا قبل صيامه، لكن للصيام ضوابط ووقت معين وشروط وواجبات، وكذلك للصلاة شروط وواجبات لا بد منها، فكذلك الدعاء ورد في نصوص مجملة: أن الله يستجيب الداعي إذا دعاه، لكن هناك نصوص أخرى مفصلة تضع للدعاء المقبول المجاب شروطا، وتوضح أن هناك موانع قد تمنع إجابة الدعاء.

هذه قاعدة ينبغي أن يترسمها طالب العلم دائما في كل ما يتعلق بقضايا الشرع العامة، والنصوص المجملة

التي هي عبارة عن قواعد، وهذه النصوص مربوطة بالنصوص الأخرى، ولا بد من ضبطها بالأوامر والنواهي والشروط والواجبات، ولا بد من فهم الموانع أو المفسدات التي تتعلق بالأمر إن كان عبادة، أو تتعلق بالخبر إن كان عقيدة، لا بد من الرجوع في كل نص عام إلى ما يقيده ويفسره، ومن ذلك الدعاء، ورد للدعاء إجابة، لكن للإجابة شروط ولها موانع، ينبغي فهم هذه الشروط وتحقيقها، وفهم الموانع والابتعاد عنها.
قال رحمه الله تعالى: [الجواب الثاني: أن إجابة دعاء السؤال أعم من إعطاء عين المسئول، كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم، فيما رواه مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها، قالوا: يا رسول الله إذا نكثر؟ قال: الله أكثر) فقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أنه لا بد في الدعوة الخالية عن العدوان من إعطاء السؤال معجلا، أو مثله من الخير مؤجلا، أو يصرف عنه من السوء مثله.
الجواب الثالث: أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره، وهكذا سائر الكلمات الطيبات من الأذكار المأثورة، المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعينها، وقد يعارضها مانع من الموانع، ونصوص الوعد والوعيد المتعارضة في الظاهر من هذا الباب، وكثيرا ما تجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه، وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكرا لحسنته، أو صادف وقت إجابة ونحو ذلك، فأجيبت دعوته، فيظن أن السر في ذلك الدعاء، فيأخذه مجردا عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي.
وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعا في الوقت الذي ينبغي، فانتفع به، فظن آخر أن استعمال هذا الدواء بمجرده كاف في حصول المطلوب، فكان غالطا.
وكذا قد يدعو باضطرار عند قبر فيجاب، فيظن أن السر للقبر، ولم يدر أن السر للاضطرار، وصدق اللجأ إلى الله تعالى، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله تعالى كان أفضل وأحب إلى الله تعالى.
فالأدعية والتعوذات و." (١)

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٤/٩٦

"عناصر الدرس

* حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، اعتناء المصنف به.

* أي منازل التحقيق عنى المصنف بهذا الحديث؟

* تقدير خبر "لا" النافية للجنس في قوله صلى الله عليه وسلم (لا رقية إلا من عين أو حمة).

* متى عرض الله- عز وجل- الأمم على النبي -صلى الله عليه وسلم-؟

* فقه الصحابة وحرصهم على الخير.

* صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

* أقوال العلماء في رواية: (لا يرقون ولا يسترقون).

* حكم الكي، **والحكمة من** تبويب البخاري - رحمه الله - له.

* أقوال الأئمة الأربعة في الكي.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

سنشرع في بداية هذه الأيام في كتاب ((التوحيد)) إن شاء الله تعالى.

وقفنا عند قول المصنف رحمه الله تعالى (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) أي: ولا عذاب، وسبق بيان محترزات هذه القيود، ومن حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، وذكر العمل وذكر النتيجة وهي ما ترتب على هذا العمل. قوله: (بغير حساب) أي: ولا عذاب. وذكر في هذا الباب آيتين وحديث، ذكر آيتين وحديث على جهة الإجمال، وسبق الكلام في ما يتعلق بالآيتين وهي قول الله تعالى: ({إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين} [سورة النحل: ١٢٠]. وقوله: {والذين هم بربهم لا يشركون} [سورة المؤمنون: ٥٩])

سبق أن تحقيق التوحيد يكون على مرتبتين: مرتبة الوجوب، ومرتبة الاستحباب.

والآية الأولى والثانية يحتمل أن المراد بهما المرتبة الأولى وهي مرتبة الإيجاب أو الوجوب، والحديث قوله: («لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون»). يحتمل أن المراد به مرتبة الثانية وكذلك قوله تعالى: ({والذين هم بربهم لا يشركون}). ويحتمل أن يراد به المرتبة الثانية إذا جعل قوله: ({لا يشركون}). أن المعاصي داخلة في مفهوم الشرك بالمعنى العام، وما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وغيره قلنا: هذا

فيه شيء من النظر إدخال المعاصي فيه شيء من النظر. وأما حديث حصين قد قال المصنف رحمه الله تعالى: وهذا الحديث اعتنى به المصنف حيث ذكر جزءا منه في الترجمة (دخل الجنة بغير حساب) ولا عذاب هذا جزء من هذا الحديث فدل على أنه مراد للمصنف، وكذلك ذكر في مسائل الباب ثنتين وعشرين مسألة ذكر على هذا الحديث ثمانية عشر مسألة، دل على أن مقصود المصنف من هذا الباب هو هذا الحديث.." (١)

"عناصر الدرس

* تتمة حديث السبعين ألفا.

* الحكمة من تبويب البخاري للحديث.

* هل الحديث اعتبر تعاطي كل الأسباب منافي للتوكل، أم اقتصر على المذكور في الحديث؟

* وجه العموم في قوله - صلى الله عليه وسلم - "لا يرقون".

* توجيه أهل العلم للحديث.

* مسألة طلب الدعاء من الغير.

* مسائل الباب.

*كيف عرضت الأمم على النبي - صلى الله عليه وسلم -؟

* قول المصنف - رحمه الله - في المسائل: "كون ترك الرقية".

* تعريف التعريض وحكمه.

س: الارسترقاء لو فعله الشخص ثم تابعته؟ إيش يعني؟ السؤال لمن .. ها، تابعه كيف؟ ثم تاب؟

ج: والله أعلم ليس فيه توبة هذا، ليس فيه توبة إذا فعله، ثم رجع خلاص قد فعله، ولا يسترقون، فإذا استرقى طلب الرقية ثم ندم نقول: لا، إذا طلبت الرقية وأنت جاهل ممكن يعني: إنه لا يخرج لأن مثل هذه المسائل يحتاج إلى العلم، فإذا لم يعلم حينئذ الأصل أنه لا يكلف سواء كان بواجب أو بمستحب أو درجة كمال، مثل الذي معنا إن درجة الكمال لا يسترقي يعني: لا يطلب الرقية، حينئذ إذا لم يعلم وعلم، ما مضى عفا الله عما سلف فيستأنف في المستقبل، أما إذا كان يعلم بالحكم وأنه إذا استرقى فاته الكمال ثم استرقى ثم

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٥/١

ندم، نقول: لا، الأمر لا يعود كما كان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.." (١)

"قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: أجاب بعضهم - يعني به ابن الصلاح - أجاب بعضهم أو أجاب بعض الناس أن الرواة اختصر بعضهم الحديث وليس الأمر كذلك فإن هذا طعن في الرواة، لأن إنما هذا يقع في الحديث الواحد. الحديث الواحد يمكن أن يقال رواه زيد بزيادة الحج والصوم وتركه عمر حينئذ يجمع بينهما يقال: اختصر بعض الرواة أو اقتصر، وأما الحديث الواحد الذي لم يرد ذكر الحج والصوم في رواية أخرى ونقول: اختصره يعني: حذفه ولم يرد هذا طعن في الرواة، وهو كذلك كما قال رحمه الله تعالى: فإن هذا طعن في الرواة الحديث الواحد مثل حديث عبد القيس حيث ذكر بعضهم الصيام وبعضهم لم يذكره - يعني بعضهم روى الصيام، وجاءت رواية أخرى لم يذكر فيها الصيام حينئذ نقول: هذا مثبت وهذا لم يذكر ساكت عن الشيء والمثبت مقدم على المسكوت عنه، ولا إشكال فيه، فصار النص محفوظا، وأما أنه لم يحفظ البتة لا باخ‍ت‍صار هذا طعن في الرواة، فإما الحديثان المنفصلان فليس الأمر فيهما كذلك. وأجاب الكرماني بأن اهتمام الشارع بالصلاة والزكاة أكثر يعني: فرض الصوم والحج لكن اهتمام الشارع بالتوحيد والصلاة وكذلك الزكاة أكثر، ولهذا كررا في القرآن، فمن ثم لم يذكر الصوم، يعني: النبي - صلى الله عليه وسلم - والحج في هذا الحديث مع أنهما من أركان الإسلام، يعني الاختصار من النبي - صلى الله عليه وسلم - ليس من الرواة على كلام الكرماني رحمه الله تعالى أن الاختصار والاقتصار إنما كان من جهة النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو لم يذكره لأن اهتمام الشارع إنما هو بالصلاة والزكاة، ولذلك تارك الصلاة كافر بالإجماع وأما تارك الزكاة فهذا محل نزاع والقول بتكفيره قوي جدا.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: وقال شيخنا شيخ الإسلام. الحافظ إذا قال: قال شيخنا شيخ الإسلام - يعني: به البلقيني رحمه الله تعالى - إذا كان الكلام في بيان الأركان لم يخل الشارع منه بشيء - يعني: النبي - صلى الله عليه وسلم - المتكلم قد يريد بيان الأركان - إذا هنا عندنا تأسيس وبيان للأركان، إذا كان هذا المقصد لم يخل النبي - صلى الله عليه وسلم - من ذكر الأركان الخمسة فلا بد أن يذكرها، وإن

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١/١٦

كان المقام مقام دعوة فقد يترك بعض ويترك بعض، ولذلك قال هنا: إذا كان الكلام في بيان الأركان لم يخل الشارع منه بشيء كحديث ابن عمر «بني الإسلام على خمس» فإذا كان في الدعاء إلى الإسلام اكتفى بالأركان الثلاثة، الشهادة والصلاة والزكاة ولو كان بعد وجود فرض الصوم والحج وأورد مثالا قويا على ذلك كقوله تعالى: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة} [التوبة: ٥] هذه جاءت في براءة في موضعين وبراءة من آخر ما نزل يعني بعد فرض الصوم والصلاة، ولم يذكر الصوم مذا؟ والحج مع كونهما مفروضين. كقوله تعالى: {فإن تابوا وأقاموا} تابوا من الشرك {وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة} في موضعين من براءة مع أن نزولها بعد فرض الصوم والحج قطعا وحديث ابن عمر أيضا رضي الله تعالى عنهما: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» وغير ذلك من الأحاديث، يعني: هذا في مقام الدعوة وليس في مقام بيان الأركان فاقتصر على الشهادتين وإقام الصلاة والزكاة. قال رحمه الله تعالى - يعني البلقيني -: **والحكمة في** ذلك أن الأركان الخمسة اعتقادي وهو الشهادة يعني: منها اعتقادي وهو الشهادة، وبدني وهو الصلاة. لكن الاعتقادي الشهادة هذه من باب المقابلات فقط يعني: لا ينبني عليها أن الشهادتين لا تقتضي أو لا تستلزم العمل البدني، لا، ليس هذا المراد، ولو كان هذا المراد لقلنا: القول باطل، لكن يريدون به ماذا؟ التقابل بين أن بعض العبادات قد يكون بالأصل المراد به الباطن وهو الشهادتان ولا إشكال، لكن يلزم منه وجود الفرع الذي لا ينفك عن أصله وهو العمل الظاهر، ولذلك تعبيرات ابن تيمية رحمه الله تعالى في بعض مواضع كلامه عن الإيمان والعمل والتلازم بينهما أن يعبر بأن الإيمان الأصل في القلب والعمل الظاهر فرع له، ليس المراد الفرع الذي يمكن أن ينفك عن أصله ولا يؤثر في فواته، لا، ليس هذا المراد بل الفرع فرعان:

- فرع له تأثير في زوال الأصل.." (١)

"ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقول الله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [سورة الذاريات: ٥٦]) كما ترى أنه لم يذكر بابا بعد. التكتيب، كتب ((كتاب التوحيد))، ثم ذكر الآية مباشرة، وذكرنا أن الصحيح أنه يقدر له باب، يقال: (باب بيان حكم التوحيد وأهميته، وبيان مكانته)، أو (باب وجوب التوحيد). والثاني هذا كما ذكرناه اختاره الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في ((القول المفيد)). فالباب الأول الذي ترك الترجمة له هنا أو التبويب له هو (باب وجوب التوحيد)، وهذا يدل عليه النصوص

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٥/٢٣

التي ذكرها، إذ بين **الحكمة من** خلق الإنس والجن وهو التوحيد، ثم بين **الحكمة من** إرسال الرسل في الآية الثانية: وهو الدعوة إلى التوحيد، ثم بين أنه قضى ووصى وأمر بهذا التوحيد في الآيتين أو الثلاث المذكورة بعدها، وبذلك بين أنه حق الله على العبيد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، هذه الآيات وهذه النصوص تدل على أنه أراد حكم التوحيد، وبوب بعضهم أو قدر (باب بيان التوحيد) أو تفسير التوحيد، نقول: هذا يرد أنه سيأتي باب خاص في تفسير التوحيد وبيان حقيقة التوحيد، فيبعد أن يكون المصنف رحمه الله تعالى قد كرر ذلك في الباب الأول والباب الخامس أو السادس.

إذا الباب الأول في بيان حكم التوحيد وأهميته وبيان مكانته، أورد فيه المصنف أربع آيات وحديثين أو حديثا.

أربع آيات وحديثين إذا اعتبرنا قول ابن مسعود حديثا، أو حديثا واحدا وأثرا إذا اعتبرنا قول ابن مسعود ليس بحديث على الخلاف في الاصطلاح عند أهل الاصطلاح.

الآية الأولى: أشار إليها بقوله: (وقول الله تعالى)، (قول)، (قول) وجهان: الرفع والخفض، الرفع على أنه مبتدأ وما بعده خبر له، (وقول الله)، (وقول) تكون الواو هنا للاستئناف البياني، أو للاستئناف النحوي، إذا لم ننظر في الباب، يعني إذا قيل: ((كتاب التوحيد)) وجلنا التبويب نسيا منسيا حينئذ يكون الاستئناف هنا استئناف نحويا، وإذا جعلنا المقدر ملحوظا عند العطف حينئذ يكون الاستئناف استئنافا بيانيا، على كل الواو للاستئناف سواء اعتبرناه استئنافا نحويا أو استئنافا بيانيا، والفرق بين النوعين:

- أن الاستئناف البياني هو ما وقع في جواب سؤال مقدر.

- والاستئناف النحوي هو الكلام المقطوع عما قبله، أو الذي لم يسبقه شيء، الذي لم يسبقه شيء فيسمى استئنافا، لكنه استئناف نحوي وليس استئنافا بيانيا، وهذا له مدركة وخاصة في القرآن، له ارتباط من حيث تسلسل أو ارتباط الآيات، إذا جعلته استئنافا نحويا فصلت بين الآيات، وإذا جعلته استئنافا بيانيا فقد جعلت رابطا بين الآيات، ويختلف في كل موضع بحسبه.

إذا (قول) بالرفع على أنه مبتدأ وهو مضاف ولفظ الجلالة مضاف إليه وجملة (تعالى) هذه نعت للفظ الجلال أو حال، نعت أو حال؟ حال لأن لفظ الجلال (الله) علم بل هو أعرف المعارف، فإذا الجملة إذا وقعت بعدها تكون حالا.." [1]

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٤/٢

"فالناس الأول المراد به واحد، وهذا كثير في لسان العرب وكذلك في القرآن والسنة، وهل هو مجاز أم حقيقة هذا سبق بحثه في فن الأصول. فالآية محمولة على المؤمنين منهم، وهو كقوله: {قالت الأعراب آمنا} الأعراب كلهم أو فريق منهم؟ بعضهم، فأطلق العام وأراد به الخاص، ابتداء قبل التركيب أطلق العام وأراد به الخاص ليكون من قبيل العام الذي أريد به الخصوص، وهو كقوله: {قالت الأعراب آمنا} وإنما قال: فريق منهم. ذكره الضحاك والفراء، إذا هذا الذي سبق ذكره الضحاك من المفسرين، وكذلك الفراء من أهل التفسير والبيان. وفي قراءة عبد الله بن مسعود (وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون) هي قراءة شاذة لكنها معتمدة من حيث المعنى، لا يقرأ بها لكن يستفاد منها أحكام، مثل (أيام متتابعات) ثلاثة أيام، فحينئذ نقول: قراءة ابن مسعود (وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون) يدل على هذا القول، وهو أن قوله: الإنس والجن في الآية عام أريد به الخاص، وأن قوله: (من المؤمنين) هذا التقدير لا بد منه من أجل يستقيم معنى الآية مع الآيات الأخرى، وكذلك الواقع الذي هو وجود من كفر ولم يعبد الله عز وجل من الجن والإنس، هذا القول الأول في معنى الآية.

وقال علي رضي الله عنه: أي وما خلقت الجن والإنس إلا لآمرهم بالعبادة. على القول الأول هل دخل الكافر في النص؟ لا، وعلى قول علي رضي الله عنه إلا لآمرهم أن يعبدوني دخل الكافر أو لا لأنه مأمور بالعبادة.

إذا النص باق على عمومه ({وما خلقت الجن والإنس}) كل إنسي وكل جني ({إلا ليعبدون}) يعني إلا لآمرهم بالعبادة وأدعوهم إلى عبادتي، وعلى هذا يكون فهم علي رضي الله عنه للنص أنه عام أريد به العموم، عام على بابه يعني، ولم ينقل إلى المعنى الثاني وهو أنه عام أريد به الخصوص. إذا هذه يجعل مثال للمسألة في كتب الأصول (العام الذي أريد به الخاص، والعام الذي أريد به العموم).

وما خلقت الجن والإنس إلا لآمرهم يعني بالعبادة، ويدل عليه قوله تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا} . هذا قاله في شأن من؟ النصارى واليهود {وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا} إذا أمروا، وهذا كما سبق أن الكفار بالإجماع أنهم مأمورون بأصول الشريعة، بالإجماع أن يعبدوا إلها واحدا، هذا هو أصل التوحيد، إذا هم مأمورون أو لا؟ نقول: نعم هم مأمورون. هل خلقوا في هذه الدنيا من أجل العبادة على هذا القول؟ الجواب: نعم. يعني ما خلقهم الله عز وجل: {إلا ليعبدوا} يعني ليوحدوا الله تعالى. دل هذا المعنى قول علي رضي الله تعالى عنه وهو الذي رجحه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى والزجاج، دل عليه

قوله تعالى {وما أمروا} والضمير هنا يعود إلى اليهود والنصارى {إلا ليعبدوا إلها واحدا} فهم مأمورون وعليه فهم داخلون في **الحكمة من** خلق اليهود والنصارى وغيرهم من كونهم خلقوا لأجل العبادة فحسب.." (١)

"القول الثاني: إلا ليقروا بالعبودية طوعا وكرها. قلنا: هذا قاله ابن عباس، وبيان هذا في قوله {ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله} [الزخرف: ٨٧] يعني أقروا جاءت نصوص تدل على أن المشركين أقروا ببعض مفردات توحيد الربوبية، إذا هذا مما خلقوا لأجله، لأنهم جاءوا بشيء من التوحيد، يعني مطلق التوحيد، وهذا فيه نظر.

الثالث: أنه خاص في حق المؤمنين. قال سعيد بن المسيب: ما خلقت من يعبدني إلا ليعبدني. وهذا الذي عناه بقوله: ({وما خلقت الجن والإنس}) من المؤمنين ({إلا ليعبدون}).

وقال الضحاك والفراء وابن قتيبة: هذا خاص بأهل طاعته. وهذا اختيار القاضي أبي يعلى. هكذا نص ابن الجوزي في ((زاد المسير)) على أنه اختيار أبي يعلى وهو من الحنابلة، فإنه قال: معنى هذا الخصوص لا العموم. يعني حمل النصوص على الخصوص، وليس عاما، وإن كانت (أل) هنا تدل على العموم، لأن البله والأطفال والمجانين لا يدخلون تحت الخطاب، وهو أصولي فنظر إليها نظرا أصوليا، الخطاب هنا ({وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}) هذه كما سيأتي في معنى الآية أنهم مأمورون بما خلقوا لأجله، يعني دل النص على شيئين:

أولا: بيان **الحكمة من** خلق الجن والإنس.

ثانيا: أمرهم بها. لأنه يستحيل أن يقال: بأن الله خلقهم لشيء ثم لم يأمرهم. هل يمكن أن يقال: بأنه خلقهم للعبادة ثم لم يأمرهم بالعبادة، ولم يبين لهم العبادة؟ هذا محال.

فدلت الآية على أنه يجب العمل بالتوحيد كما سيأتي. إذا قال القاضي هنا: معنى هذا الخصوص لا العموم لأن البله والأطفال والمجانين لا يدخلون تحت الخطاب، وإن كانوا من الإنس، وكذلك الكفار يخرجون من هذا بدليل قوله: {ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس} فمن خلق للشقاء ولجهنم لم يخلق للعبادة. إذا حمل هذا النص على العموم وخصه بما ذكر.

القول الرابع: إلا ليخضعوا إلي ويتذللوا. ومعنى العبادة في اللغة: الذل والانقياد. وكل الخلق خاضع ذليل لقضاء الله عز وجل لا يملك خروجا عما قضاه الله عز وجل، وهذا مذهب جماعة من أهل المعاني، يعني

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٤/٧

حملوا معنى العبادة على المعنى اللغوي، وهذا فيه نظر كما أن القول الثالث فيه نظر إلا إذا اعتبرنا قول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، ويعتبر قولا يحكى، وهو له وجهه من حيث التأصيل، ويرجح عليه قول علي رضي الله عنه، حينئذ يكون تضارب بين بعض أنواع التفسير.

وهذا الاختلاف هل يقال بأنه اختلاف تضاد أو اختلاف تنوع؟." (١)

"هل يمكن أن نجمع بين الأقوال؟ نقول: الآية كلها يحمل على قول ابن مسعود وقول علي؟ لا، لأن قول ابن مسعود أن الكفار ليسوا داخلين في النص، وقول علي أنهم داخلون في النص، وهذا تضارب لا يمكن أن تكون الآية تشمل الكافر ولا تشمل الكافر، هذا بعيد، وهذا تناقض، حينئذ لا بد من الترجيح، وهذا القول الأخير فيه نظر لأنه فسروا العبادة بالمعنى اللغوي فحسب، وسبق معنا قاعدة: أن الألفاظ الشرعية التي لها حقائق شرعية حينئذ متى ما ورد النص في كتاب أو سنة بلفظ شرعي وجب حمله على الحقيقة الشرعية، فالعبادة لها معنى لغوي ولها معنى شرعي، هل إذا جاء لفظ العبادة (اعبدوا، عباد) .. إلى آخره. نقول: هل يفسر بالمعنى اللغوي أو بالمعنى الشرعي؟ الأصل أن يفسر بالمعنى الشرعي، وهل يجوز أن يفسر بالمعنى للغوي؟ نقول: نعم إذا دل القرينة عليه، وأما إذا لم يكن ثم قرينة فوجب حمله على المعنى الشرعي، وكذلك الصوم والصلاة والطهارة كل الذي له حقائق شرعية وجب حمله على الحقيقة الشرعية، إلا لدليل، فحينئذ يحمل على المعنى اللغوي ولا حرج، وليس المراد أنه لا يفسر إلا بالمعنى الشرعي؟ لا، [وإنما قد يفسر، نعم]

نقول: الأصل أنه يحمل على المعنى الشرعي، فإن كان ثمة قرينة تدل على أن المراد به المعنى اللغوي أو المعنى الاصطلاحي حينئذ نقول: يحمل على المعنى اللغوي والاصطلاحي.

وكذلك القول الثالث فيه نظر، وبحثه في معنى (اللام) من قوله: ... ({ليعبدون}) يعني سبب الخلاف هنا في قوله: ({ليعبدون}) اللام هذه للتعليل، وهذا التعليل واضح بين من نص الآية أنه لبيان **الحكمة من** الخلق، وهو ما يعبر عنه بالحكمة الغائية، وليس التعليل المراد به ملازمة العلة للمعلول، وهو ما يسمى بالعلة العقلية الموجبة، وهذا فيه بحث عند الأصوليين، وعليه يقال: (اللام) هنا هل هي للتعليل الشرعي الذي هو ربط الحكمة بفعل الرب جل وعلا؟ أو أن المراد به التعليل العقلي؟ يعني هل العلة هنا شرعية أو عقلية؟ هذا محل النزاع بين المفسرين.

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٤/ ١٠

والظاهر وهو المتبادر إلى الأصل الشرعي أن المراد به العلة الشرعية.
العلة في اللغة قيل: هي اسم لما يتغير حكم الشيء بحصوله. مأخوذ من العلة التي هي المرض، هذا يذكره الأصوليون في العلة التي هي أحد أركان القياس، لم سميت علة؟ تسمى الباعث والسبب .. إلى آخره، لكن العلة سميت علة من المرض لماذا؟ لأن الإنسان إذا أصيب بالمرض السبب الذي نقله من حالة الصحة إلى المرض (الجرثومة) مثلا تسمى علة. إذا اسم لما يتغير حكم الشيء بحصوله. لما وجد هذا السبب الذي يترتب عليه نوع مرض حينئذ حكم بتغيره من حالة الصحة إلى حالة المرض، هذا ما يسمى بالعلة.." (١)

"وهي السبب الباعث على الإيجاد، حينئذ يسمى علة غائية وهي متقدمة لأنها أصل الفكرة وهي منتهية من حيث الوجود، على كل ليست العلة الغائية منحصرة في الشرعية، إذا التعليل في الآية ({إلا ليعبدون}) ليس من قبيل العلة العقلية، وهي الملازمة لمعلولها، وإلا للزم أن يكون الخلق من الجن والإنس كلهم عبادا لله يتعبدون له. إذا ({إلا ليعبدون}) جعلها على أن العلة عقلية كل إنسي وكل جني فهو عابد لله، لماذا؟ لأن اللام هنا للتعليل وهي علة عقلية، هل هذا المعنى يستقيم؟ الجواب: لا. من لاحظ قال: لا بد من صرف ظاهر الآية، فإما أن يحملها على عام ويريد به الخصوص، وإما أن يجعلها مخصصة بنصوص أخرى. إذا قلنا: التعليل هنا شرعي حينئذ لا تلازم بين العلة والمعلول، فلا إشكال. يكون في النص، وإلا لزم أن يكون الخلق من الجن والإنس كلهم عباد الله يتعبدون له. هذه إذا فسرناه بمعنى العقل، وليس الأمر كذلك، وإنما المراد من التعليل ذكر الغاية والمقصود من هذا الخلق، لكنها قد تقع وقد لا تقع، وهذا من الفوارق بين العلتين.
العلة العقلية المعول ملازم للعلة، لا بد من إيقاعها، فإن تخلفت صار قدحا في العلة.
وأما التعليل الشرعي فلا ({وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}) هذه علة شرعية، قد يعبدون وقد لا يعبدون، إذا لا تنافي بين الخلق وبين الأمر بالعبادة. وإنما المراد من التعليل ذكر الغاية والمقصود من هذا الخلق، لكنها قد تقع وقد لا تقع.
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وهذه الآية تشبه قول الله تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله} [النساء: ٦٤] إذا إطاعة الرسول هي **الحكمة من** الإرسال، ثم قد تقع وقد لا تقع،

---
(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١١/٤

صحيح؟ نعم، وهذه الآية تشبه قوله تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله} ثم قد يطاع وقد يعصى، وكذلك ما خلقهم إلا لعبادته، ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون.

وهذا مراد ابن تيمية ومن تكلم بهذه الآية الرد على من حمل (اللام) هنا للعلة العقلية، يعني هذا الكلام ليس هكذا عبثا جاء، وإنما مرادهم بهذا النص التنصيص أن المراد هنا التعليل ليست العلة العقلية كما حمله بعض المفسرين، (وكذلك ما خلقهم إلا لعبادته ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون، وهو سبحانه لن يقول إنه فعل الأول وهو خلقهم ليفعل بهم كلهم الثاني، نعم. قال: ({وما خلقت الجن}) أسند الفعل هنا (الخلق) إليه بالتاء ({خلقت})، ... (يعبدون) الواو هنا هي الفاعل ففعل الأول وهم يفعلون الثاني، وما أنبأنا أو أخبرنا بأنه فعل الأول ليفعل بهم الثاني كما فعل بهم الأول ففرق بين الخلق والعبادة.

وهو سبحانه لم يقل إنه فعل الأول وهو خلقهم ليفعل بهم كلهم الثاني وهو عبادته، ولكن ذكر الأول ليفعلوا هم الثاني، فيكونوا هم الفاعلين له، فيحصل لهم بفعلهم سعادتهم ويحصل ما يحبه ويرضاه منهم ولهم). انتهى كلامه رحمه الله.." (١)

"حينئذ يقع الثاني يمكن أن يخاطب باعتبار الثاني دون الأول، **فالحكمة من** النهي أن يكون غيره متأسيا به، فإذا كان النهي موجها إلى من لا يمكن منه باعتبار حاله فهو إلى من يمكن من باب أولى وأحرى، وعلى ذلك لا يصح التقدير قل كما قاله بعض أهل العلم لأنه خروج عن سياق وظاهر النصوص، كلما جاء {ولا تكونن} إذا قل يا محمد {ولا تكونن}، يعني خاطب الناس، ({ولا تدع}) أي قل ({ولا تدع})، نقول: ما الذي أحوجنا إلى هذا التقدير؟ هذا لا يصح، وهو تقدير ضعيف، فلا يصح تقدير بعض العلماء، قل ({ولا تدع}) بناء على أنه لا يصح أن يكون الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه يستحيل أن يقع ذلك منه وهذا ضعيف وإخراج للآيات عن ظاهرها وسياقها. قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية يقول تعالى ذكره: {ولا تدع} يا محمد جعلها خطابا للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وابن جرير يأتي بالردود والإيجابيات والقواعد مسلمة، يعني: يأتي به حكاية في كلامه، قال: يقول تعالى ذكره: {ولا تدع} يا محمد {من دون} معبودك وخالقك شيئا ما، أي شيئا فسره بماذا؟ {ولا تدع من دون الله ما} قال: شيئا، يعني نكرة موصوفة لأن ما هذه في محل نصب مفعول به، {ولا تدع من دون الله ما} يعني: شيئا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، لأن الذي ينفع في الدنيا والآخرة هو الذي يستحق أن يكون

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٤/٤

معبودا، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد وهو الله جل وعلا، وأما نفع المخلوقين وهذا نفع مزيف نفع ظاهر ليس بحقيقته ورفع وكشف الضر ولو كان فيما يقدرون عليه كذلك ليس حقيقيا. قال: لا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا. يعني بذلك الآلهة والأصنام فسر شيئا بالآلهة والأصنام، يقول: لا تعبدها راجيا نفعها أو خائفا ضرها، فإنها لا تنفع ولا تضر، فإن فعلت ذلك فدعوتها من دون الله {فإنك إذا من الظالمين} يكون من المشركين بالله، ففسر الظلم هنا ابن جرير بالظلم الأكبر، {إن الشرك لظلم عظيم} [لقمان: ١٣]، وهذا كذلك في خاتمة الآية السابقة التي تسبقها {ولا تكونن من المشركين}، وقال في الآية التالية: {فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين} فالشرك والظلم بمعنى واحد.." (١)

"النوع الثاني: عبادة شرعية: وهي التي ذكرناها فيما سبق، وهي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي وهذه خاصة بالمطيعين لله تعالى، كقوله تعالى: {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا} [الفرقان: ٦٣] عباد، هل هو مثل عبدا هناك؟ لا، عباد هنا خاص، المراد به العبودية التي اتصف بها أصحابها لكونهم ممتثلين لأمر الرب جل وعلا، فالله تبارك وتعالى إنما شاء العبادة من عباده وأرادها منهم قضاها عليهم في الشرع لا في الكون. إذا {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}) ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون، فما بعد اللام (لام الحكمة) مطلوب شرعا لأنه أمر به، أمر به قضاء وكون أو أمر شرع؟ الثاني، وإذا كان كذلك قد يتخلف وقد لا يقع، وأما الأمر القضائي الكوني هل يتخلف؟ الجواب: لا، لا يتخلف، لو كانت اللام هنا للعلة العقلية كما قاله بعض المبتدعة لكان ماذا؟ كل أحد هو عبد لله، لا يوجد أحد على هذه البسيطة من الجن والإنس إلا وهو عابد لله بالمعنى الذي أراده الله عز وجل منه، وهذا حق؟ هل هذا حق؟ لا، باطل، هذا من قاله فهو كافر، لا شك في كفر من لم يكفره، كما يقول ابن تيمية في بعض المواضع، حينئذ {إلا ليعبدون}) المراد به العبادة الشرعية، فالله تبارك وتعالى إنما شاء العبادة من عباده وأرادها منهم وقضاها عليهم في الشرع لا في الكون فمن أطاع أمره وأتى بما أراده منه فله رضاه والجنة، ومن خالف في ذلك فله سخطه سخطه بضم وسكون، والنار فله سخطه والنار، ولو شاء الله من جميعهم العبادة وأرادها في الكون لم يكن لهم بد من ذلك، ولم يكن لأحد إلى معصية الله من سبيل، نعم، لو أراد الله عز وجل أن جميع الإنس والجن يطيعوه لأطاعوه لكنه ما أراد ذلك، ما الدليل على أنه ما أراده؟ إذ لو أراده

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٩/٤٥

لوقع، فعدم ترتب الفعل المترتب على الإرادة دل على أنه لم يرد، ولذلك في الآية الثانية {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة}) ولذلك ذكروا أن الجزء من هذه الآية مفسر للآية السابقة، إذا فمنهم من يعبد الله، ومنهم من لا يعبد الله، لو أراد منهم العبادة شرعا لما تخلف واحد البتة عن أن يكون مطيعا لله عز وجل، إذا هذه الإرادة المراد بها الإرادة الشرعية فدلت الآية ({وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}) على أمرين:

أولا: الحكمة من خلق الخلق. وهذا فيه كما قلنا في النفي والإثبات مأخوذ من ({وما}) و ({إلا})، ففيه قصر وهو إثبات الحكم في المذكور ونفيه عما عداه، كأنه قال: ({وما خلقت الجن والإنس}) لأي حكمة من الحكم إلا لحكمة واحدة وهي عبادته جل وعلا.." (١)

"ثانيا: يجب عليهم ({الجن والإنس}) أن يحققوا هذه الحكمة وهي عبادته وحده جل وعلا، ففيه وجوب التوحيد - وهو الشاهد لهذه الترجمة - (باب حكم التوحيد) يعني بيان حكم التوحيد كما أنه خلقهم جل وعلا للعبادة وعرفنا أن العبادة المراد بها التوحيد، إذا وجب على الإنس والجن أن يحققوا هذه الحكمة وهي عبادته وحده جل وعلا. إذا دل على الوجوب، فعلة الخلق هي عبادة الله تعالى مع الإخلاص، فالخلق سابق والأمر لاحق.

وفي الآية أيضا أن المستحق للعبادة دون ما سواه هو الخالق، وأما من لم يخلق فلا يستحق ({وما خلقت الجن والإنس}) إذا {وما خلقت الجن}) الجن وقع عليه الخلق فكل الجن مخلوقون ({والإنس}) وقع عليه الفعل، أليس كذلك؟ إذا كل إنسي فهو مخلوق، إذا ليس عندنا إلا خالق ومخلوق، من الذي يستحق العبادة؟ الخالق، إذا كل جني وإنسي لا يستحق العبادة لأنه مخلوق، واضح هذا؟ إذا في الآية أن المستحق للعبادة دون ما سواه هو الخالق يعني كأنه قال: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، فوجب أن يحققوا هذه العبادة، أخذنا الوجوب لماذا؟ لكونه خالقا وهم مخلوقون. والثاني التعليل لكونه خالقا وهو مخلوقون كقوله تعالى: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم} [البقرة:٢١] وفيه إشارة، كقوله تعالى: {الحمد لله رب العالمين} [الفاتحة: ٢]، فقد ينكر الوصف تعليلا لما سبق، وهنا الوصف من حيث إفادة التركيب له، يعني لم يأت نص في الآية ينص عليه أن الله تعالى هو الخالق وما عداه فهو المخلوق، نقول: لا هذا أخذ من ماذا؟ أخذ من إسناد الفعل {خلقت}) إلى المفعول {الجن والإنس}) فحينئذ دل على أنهم

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١١/٥

مخلوقون، ثم أمروا بالعبادة فدل ذلك على أنهم إنما أمروا بالعبادة لكون الرب جل وعلا هو الخالق المنفرد بهذه الصفة، ومن عداه فهو مخلوق.

إذا هذه فائدة تؤخذ من الآية أن المستحق للعبادة دون ما سواه وهو الخالق، نعم أن المستحق للعبادة دون ما سواه هو الخالق، وأما من لا يخلق فلا يستحق شيئا منها قال تعالى: {أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون} [النحل:١٧]، وفي الآية أيضا إثبات غنى الرب جل وعلا عن خلقه لأنه خالق فهو مستغن عنهم {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين} [الذاريات: ٥٦: ٥٨] إذا من الآية كذلك لو لم ننظر ما بعدها كونه الخالق حينئذ هو غني، كونهم مخلوقين إذا هم فقراء.

إثبات غنى الرب جل وعلا عن خلقه، وأنهم محتاجون إليه لأنه هو الخالق وهم مخلوقون، وفيها إثبات **الحكمة في** أفعال الرب جل وعلا.

وفيه رد على من أنكر ذلك من أهل السنة والجماعة. يعني بعضهم يحكي ابن تيمية وغيره خلافا بين أهل السنة والجماعة هل أفعال الرب جل وعلا تعلل أو لا؟

الصواب أنها تعلل، ولذلك قال: {خلقت})، {ليعبدون}) واضح هذا بين أنه للتعليل. إذا إثبات **الحكمة في** أفعال الرب سبحانه.." (١)

"أو نكرة مفردة نحو {وكل إنسان ألزمناه} [الإسراء: ١٣] إنسان هذا مفرد وهو نكرة ({في كل أمة}) الذي هو معنا الآن ({ولقد بعثنا في كل أمة}) إذا أضيف كل إلى لفظ أمة وهو نكرة، وربما عري عن الإضافة لفظا ويقدر ذلك فيه معنى {كل في فلك يسبحون} [الأنبياء: ٣٣]، {وكل أتوه داخرين} [النمل: ٨٧] إذا كل تفيد العموم وأنها ضمت كل ما يقصد عليه المضاف إليه وهو أمة، إذا عندنا أمم بدليل ماذا؟ هل عندنا أمم أو لا؟ نعم، قال: ({ولقد بعثنا في كل أمة}) لو لم يكن عندنا إلا أمة واحدة ما صح التعبير، وإنما إفادة كل هنا للدلالة على أن ثم أمة، وأمة، وأمة، وأمة دخلت تحت هذا اللفظ، لو كان عندنا آلاف الأمم دخلت في هذا اللفظ. إذا شمل هذا اللفظ كل ما يصدق عليه أنه أمة وطائفة وحزب من الناس، فحينئذ الحكم يكون عاما، ({ولقد بعثنا في كل أمة}) إذا ما من أمة من الأمم إلا وقد حصل فيهم البعث المراد، أليس كذلك؟ فصار نصا في إفادة أن كل مدخول (كل) قد وقع عليه الحكم،

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٢/٥

حينئذ نأتي إلى من أخرج طائفة أو أمة من هذا النص يحتاج إلى دليل واضح بين، ولذلك جاء تأكيدا لهذا المعنى {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} [فاطر: ٢٤] هذا نص يعني: لا يحتمل، لا يحتمل النسخ ولا التخصيص أصلا {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} هذا نص في العموم، حينئذ من أتى وقال: أن ثم قوما يسمون أهل فترة جماعة قرية لم يأتهم نذير لم يدركوا الرسول السابق ولم يدركهم اللاحق. نقول: هذا مخالف لدلالة هذه النصوص، فنحتاج إلى دليل واضح بين يصح به الإخراج وإلا رجعنا إلى الأصل، والذي يصح منه التخصيص هو النص الذي معنا، وأما {وإن من أمة} هذا فيه نظر، على كل ولذلك نقول: لا وجود لشيء اسمها الفترة أبدا، والنصوص هذه ترد هذا القول، وأما الحديث المستند إليه فهذا فيه ضعف أولا، ولا يصلح أن يكون مخصصا، ثم يمكن تأويله على أنه في الأفراد، أعمى وذاك أخرق، وهذا أحمق .. إلى آخره أفراد، وأما أمة جماعة قرية، نقول: هذا مناف لدلالة الآية السابقة، لأنه يرد السؤال هؤلاء خلقوا أو لا؟ خلقوا، وقد قال الله تعالى: ({وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}) وما من خلق من الجن والإنس إلا وخلقهم لهذه الحكمة وأرسل إليهم، إذا قلنا بوجود أمة لم يرسل إليهم حينئذ صار مضادا للنص الأول ({وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}) صار منافيا، إذا هؤلاء لم يخلقوا للعبادة بدليل أنهم لم يرسل إليهم رسول، إذا ما **الحكمة من** خلقهم؟ ما الفائدة؟ وقد حصر الرب جل وعلا **الحكمة في** خلق الجن والإنس في حكمة واحدة ({إلا ليعبدون})، وقلنا: هذا نص من حيث الإثبات ومن حيث النفي، إثبات أن الجن والإنس ما خلقوا إلا للعبادة، ونفي أي صفة أخرى من اللهو واللعب ونحو ذلك، أن يكونوا متصفين بهذه الصفات.." (١)

"- رحمة الله تعالى بالخلق إذ لم يتركهم هملا، بل أرسل إليهم الرسل، كما قال تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} [الأنبياء: ١٠٧]، فالله عز وجل خلق الخلق ومع ذلك رحمهم وأرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، أمرهم ونهاهم، أمرهم عن كل ما يفيدهم في الدنيا والآخرة، ونهاهم عن كل مفسدة ويضرهم في الدنيا والآخرة، وهذه رحمة بل هي غاية الرحمة.

ثانيا: فيه أثبات أفعال الله تعالى الاختيارية من قوله: ({بعثنا}) بعثنا فهو فعل ماض على بابه كما سبق في قوله: ({وما خلقت}).

الثالثة الفائدة الثالثة: **الحكمة من** إرسال الرسل وتتمثل في الرحمة كما هو النص السابق {وما أرسلناك إلا

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٨/٥

رحمة للعالمين}.

ثانيا: إقامة الحجة واعذار الخليقة. إذ ليس لهم بعد إرسال الرسل حجة البتة. وهنا الذي يحصل به إقامة الحجة السماع بالرسول فقط، ولا يشترط ما عدا ذلك، وهذا سيأتي بحثه في مسألة مستقلة. قال تعالى: {وما كنا مۦذبين حتى نبعث رسولا} [الإسراء: ١٥] وسبق أن الرسول له حقيقة شرعية. إذا {رسولا} إنسان أوحي إليه بشرع، فإذا سمع الناس بذلك الرسول الذي أوحي إليه بشرع ولم يبحثوا ولم يسألوا عن شرعه أقيمت الحجة عليهم، وهل تشمل العلماء؟ لا، نحن هنا في إقامة الحجة لا تشمل العلماء، وإنما هي خاصة كما قال: {رسولا} والرسول له حقيقة شرعية، لماذا نعتني بأن اللفظ له حقيقة شرعية أو لا؟ عند النزاع، فإذا جاء أو قال قائل: {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} ما عندهم عالم يعلمهم، نقول: ما اشترط الله عز وجل عالم، أما سمع بالرسول – صلى الله عليه وسلم –؟ نعم سمع. إذا وجب عليه البحث. لو قال: ما عندهم عالم (من يعلمهم)، قل: ما اشترط الله عز وجل عالم، إنما قال: {رسولا}، وفرق بين الرسول والعالم، العالم شيء والرسول شيء آخر، وأما «العلماء ورثة الأنبياء». هذا في شيء آخر فيما لم يرد فيه نص، فمسائل التوحيد وشرح التوحيد لا شك أنها عند العلماء وهم ورثة الأنبياء، فإذا سمع ذلك المشرك بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وأن دعوته قائمة في الجزيرة ولم يذهب ولم يستجب أقيمت عليه الحجة، فلو مات مات مشركا، الذي وقع فيه نزاع من لم يكن سمع البتة، شخص واحد ما هو أمة شخص واحد يعيش في أدغال أفريقيا ما سمع عاش مات إلى آخره ما سمع بأمة محمد – صلى الله عليه وسلم – ، هذا يرد فيه الخلاف، أما في الدنيا فهو مشرك إذا فعل الشرك، وقطعا فعل الشرك لأنه إذا لم يأت بالتوحيد وقع في الشرك هذا مشرك، وأما في الآخرة فأمره إلى الله عز وجل، أما من سمع ويأتي ويحج ويذهب ويطوف بالقبور .. إلى آخره، لا، هذا لا نزاع بين أهل العلم أنه مشرك شرك أكبر أنه ليس بملة التوحيد.

إذا إقامة الحجة والاعتذار قال تعالى: {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا}، وقال {رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} [النساء: ١٦٥]." (١)

"ثالثا: أن الطريق إلى الله تعالى موقوف على متابعة الرسل، ولا طريق سواه البتة. هذه **الحكمة من** إرسال الرسل لا تأتي بشرع من عندك أنت، قال الله تعالى: ({وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}) ثم هذه العبادة مجملة هنا، ما هي هذه العبادة؟ ما نعرف، العقل ليس طريقا للوصول إلى مفردات العبادة،

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٩/٥

وإنما نعلم جملة بأن الإنسان يدرك بأن الله تعالى هو الخالق ولو يخلق الخلق إلا لحكمة وهي العبادة، وهذا دل عليه الشرع كذلك، ما هي هذه العبادة؟ الله أعلم بها، العقل لا يصل، لو جلس مائة سنة هل يمكن أن يمكن أن يستنبط الصلاة بصفتها الخاصة؟ والصيام والزكاة والحج؟ لا، لا يمكن هذا. إذا لا وصول إلى مفردات العبادة إلا عن طريق الرسل، إذا من حكم إرسال الرسل إيضاح العبادة على جهة التفصيل، وأنه لا طريق للنجاة في هذه الدنيا إلا بإتباع الرسل، والعبادات ليس مصدرها العقل ولا الرأي ولا الهوى ولا غيرها.

رابعا: الآية تفسير للآية الأولى كما سبق {فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة} إذا ({إلا ليعبدون}) فمنهم من يعبد ومنهم لا يعبد، هذا تأكيدا على أن اللام هنا للتعليل الشرعي (لام الحكمة) فلا يلتبس يعني إذا قيل: في المسألة قولان: بعض الناس قد يقع في نفسه شيء، هذا عالم وهذا عالم. نقول: لا النص دل على أحد القولين فتعين القول به.

خامسا: أن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه، وهذا واضح بين، العبادة هي التوحيد، الخصومة بين الأنبياء والرسل وأقوامهم في ماذا؟ اختصموا في أي شيء؟ في التوحيد، هذا دليل بالأدلة الأخرى هذا سيأتي في المسائل هذا دليل يفسر به ويؤكد مذهب المصنف رحمه الله تعالى بأنه قوله: ({إلا ليعبدون}) يعني يوحدون، لأن العبادة هذه أرسل بها الرسل ووقعت فيه الخصومة، ولم تقع الخصومة إلا في شيء واحد وهو توحيد الألوهية.

سادسا: أن الرسالة عمت كل أمة، وهذا نص واضح بين، وهذا نص في العموم مع قوله تعالى: {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} إذا لا خرافة بأن يقال: ثم أمة لم يصلها رسول لاحق ولم تدرك الرسول السابق.

سابعا: فيه أنه لا توجد أمة لم يبعث فيها رسول كما ذكرنا في الآية السابقة.

ثامنا: أن دين الأنبياء واحد لأنه قال: ({ولقد بعثنا في كل أمة رسولا})

قال تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}، وقال: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا} ... [المائدة: ٤٨] فالأصول متفق عليها، وأما الشرائع فهي التي تختلف من رسول إلى رسول، ولذلك قال: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا} وقال - صلى الله عليه وسلم -: «الأنبياء أولاد علات». يعني إخوة لأب وأمهم شتى. أي الإخوة لأب من أمهات شتى.." (١)

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٣٠/٥

"ثم قال شيخ الإسلام: (وحقيقته) يعني أراد أن يفسر ماذا؟ حقيقة الشفاعة، (وحقيقته) أي حقيقة أمر الشفاعة (أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود) هذا فائدة الشفاعة، وإلا الأصل أن الباري هو الذي أراد أن يغفر لزيد من الناس، فالله أراد أن يغفر للمشفوع له، ولكن بواسطة هذه الشفاعة، **والحكمة من** هذه الشفاعة قال: (ليكرمه وينال المقام المحمود). أي الذي يحمده فيه الخلائق كلهم، بل وخالقهم وهو الشفاعة المقام هنا، ومن المقام المحمود أن الله تعالى يقبل شفاعته بعد أن يتراجع عنها الأنبياء أولوا العزم من الرسل، ومن يشفع من المؤمنين يوم القيامة فله مقام يحمد عليه على قدر شفاعته، ثم لو شاء الله تعالى لغفر له بلا شفاعة، أو لا؟ لغفر لهم بلا شفاعة، ولكنه أراد بيان فضل هذا الشافع وإكرامه أمام الناس، ومن المعلوم أن من قبل الله شفاعته فهو عنده بمنزلة عالية، وهو كذلك فيكون في هذا إكرام للشافع من وجهين:

أولا: إكرام الشافع بقبول شفاعته.

والثاني: ظهور جاهه وماذا؟ ظهور جاهه وشرفه عند الله تعالى، فهذا هو حقيقة الشافعة، لا كما يظن المشركون والجهال أن الشفاعة هي كون الشفيع يشفع ابتداء عند الله تعالى فيمن شاء فيدخله الجنة وينجيه من النار، ولهذا يسألونها من الأموات غيرهم إذا زاروهم.

ثم قال رحمه الله تعالى: (فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك). وهي الشفاعة المنفية، أي هي الشفاعة التي فيها شرك بالله من دعاء غير الله وعبادته ليشفع له عند الله، فإن الله تعالى نفى هذه الشفاعة كما سبق في الآيات.

ثم قال: (ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع). كقوله: {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه} [البقرة: ٢٥٥]. والآيتين بعدها في الباب الذي ذكره المصنف هنا فلما أثبتها في مواضع ونفاها في مواضع علمنا أنها قسمان، وهو دليل التقسيم لما أثبتها في مواضع ونفاها في مواضع علمنا قطعا أنها شفاعتان، شافعة مثبتة، وشفاعة منفية، ودليلها الاستقراء القطعي والتتبع هنا.

قال رحمه الله تعالى: (وقد بين النبي – صلى الله عليه وسلم – أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص). هؤلاء هم أهل الشفاعة سبق شرحه وبيانه في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (انتهى كلامه.) رحمه الله تعالى يعني شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. مقصود المؤلف من ذكره كلام شيخ الإسلام في هذا الباب أن فيه شرحا وتفسيرا وإيضاحا لما في هذا الباب من الآيات ففيه:

أولا: صفة الشفاعة المنفية، وصفة الشفاعة المثبتة.

ثانيا: ذكر الشفاعة الكبرى وهي المقام المحمود، وماذا يفعل النبي - صلى الله عليه وسلم -.

[ثالثا] يعني لا، ماذا يفعل النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى يؤذن له في الشفاعة.

ثالثا: أن أسعد الناس بالشفاعة هم أهل التوحيد والإخلاص. وبهذا انتهى الباب.

قال المصنف:

(فيه مسائل: الأولى: تفسير الآيات). خمسة، وتفسيرها كما سبق.." (١)

"عناصر الدرس

* قوله: عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما قولوا عبد الله ورسوله.

* شرح ما يتعلق بمفردات الحديث.

* بيان التعظيم المشروع في حقه عليه الصلاة والسلام.

* **الحكمة من** النهي في قوله (لا تطروني).

* مناسبة الحديث للباب، وما يستفاد من الحديث.

* قوله: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو.

* شرح ألفاظ الحديث.

* مناسبة الحديث للباب، وبيان ما يستفاد منه.

* قوله: ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هلك المتنطعون، قالها ثلاثا.

* ضابط التنطع وبيان حكمه.

* مناسبة الحديث للباب، وما يستفاد منه.

* قوله: فيه مسائل.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فلا زال الحديث في شرح ما يتعلق بالباب التاسع عشر وهو باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٧/٥١

وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين، وشرحنا ما يتعلق بالمفردات، ومقصود المصنف من هذه الترجمة كذلك مناسبة الباب لكتاب التوحيد، وذكرنا أن المصنف ذكر آية وهي قول الله عز وجل {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم} [المائدة: ٧٧] وذكر أربعة أحاديث حديث ابن عباس في الصحيح، ثم وقفنا عند قوله رحمه الله تعالى: (وعن عمر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» [أخرجاه]) يعني البخاري ومسلم. قول المصنف رحمه الله تعالى: عن عمر هو ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرطب بن رجاح بن عدي بن كعب القرشي العدوي أمير المؤمنين وأفضل الصحابة بعد الصديق رضي الله تعالى عنهما، ولي الخلافة بعده عشر سنين ونصفا، فامتلأت الدنيا عدلا وفتحت في أيامه ممالك كسرى وقيصر، استشهد رضي الله تعالى عنه في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين قتله أبو لؤلؤة المجوسي.

(أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا تطروني»)، (أن) هذه محمولة على الوصل،

ومن روى بـ"عن" و "أن" فاحكم ... بوصله إن اللقاء يعلم

ولم يكن مدلسا ....

(أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –) قال: أو (أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»)، («لا تطروني») هذا نهي («تطروني») هذا فعل مضارع مصدره الإطراء، والإطراء هو مجاوزة الحد بالمدح والكذب فيه، قاله أبو السعادات. مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه، وهو المبالغة في المدح لئلا يكون الأمر كذلك. وقال غيره («لا تطروني») بضم التاء وسكون الطاء المهملة من الإطراء أي لا تمدحوني بالباطل، ولا تجاوزوا الحد في مدحي فيشمل أمرين.

الأول: مدح بالباطل.

والثاني: مجاوزة بالمدح ومجاوزة الحد في مدحه – صلى الله عليه وسلم –. ولا ناهية وهي للتحريم كما مر معنا مرارا فحينئذ الإطراء المذكور، يكون ماذا؟ يكون محرما، قد يصل إلى الشرك وقد لا يكون شركا، وهذا النهي («لا تطروني») له احتمالان:

– يحتمل أنه منصب على التشبيه المذكور معه، وهو قوله: («كما أطرت النصارى ابن مريم»)، حينئذ يكون التشبيه مقيدا، وما عدا ذلك يكون الأصل فيه الإباحة، يحتمل أنه منصب على التشبيه المذكور معه وهو قوله: («كما أطرت النصارى ابن مريم»)، حيث أطروه حتى جعلوه إلها أو ابنا لله تعالى، وهذا كما

قال البوصيري:

دع ما أدعته النصارى في نبيهم ... وأحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم." (١)

"قال رحمه الله تعالى: (وهو التأله له، وعبادته وحده لا شريك له، والرغبة والإنابة إليه حبا وخوفا ورجاء). يعني ما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، هذا حق لله تعالى لا يشركه فيه من خلقه أحد البتة لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. الثاني قال: (وحق خاص للرسل). لأنهم وإن كانوا بشرا لكن ليسوا كسائر البشر، (وحق خاص للرسل وهو توقيرهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة)، حقوقهم الخاصة لو كانوا أحيانا أو كانوا أمواتا.

وحق مشترك هذا الثالث، حق لله، حق للرسل، حق مشترك، يعني بين الرسل وبين غيرهم، وحق مشترك وهو الإيمان بالله ورسله وطاعة الله ورسله، الإيمان بالله، ورسله، إذا الإيمان قدر مشترك بين الله تعالى وبين رسله وطاعة الله وطاعة رسله، إذا الطاعة قدر مشترك بين الله تعالى وبين رسله، ومحبة الله ورسله، يعني: محبة رسله، ولكن هذه لله أصلا وللرسل تبعا لحق الله، يعني محبتهم تابعة لمحبة الله تعالى، وطاعتهم تابعة لطاعة الله تعالى. إذا الحق المشترك الأصل فيه أنه لله تعالى، وما أمن برسول إلا لكونه مرسلا من عند الله تعالى، إذا من الذي أمرنا بالإيمان به؟ الله عز وجل، فيكون الإيمان تابعا للإيمان بالله تعالى، وكذلك الشأن في الطاعة.

قال رحمه الله تعالى: فأهل الحق يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة فيقومون بعبودية الله وإخلاص الدين له ويقومون بحق رسله وأوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم، والله أعلم. وهذه الحقوق الثلاثة دل عليها قوله تعالى: {لتؤمنوا بالله ورسوله}. هذا حق مشترك {وتعزروه وتوقروه} هذا خاص بالرسول – صلى الله عليه وسلم – والأنبياء مثله، {وتسبحوه بكرة وأصيلا} هذا خاص بالله تعالى. إذا هذه الآية جمعت الحقوق الثلاثة {لتؤمنوا بالله ورسوله} هذا حق مشترك وهو الإيمان، {وتعزروه وتوقروه} وهذا خاص برسله – صلى الله عليه وسلم –، {وتسبحوه بكرة وأصيلا} وهذا خاص بالله تعالى، والذين يغلون في الرسول – صلى الله عليه وسلم – يجعلون حق الله تعالى له، ولذلك فسروا هذه الآية {وتسبحوه} تسبحوا النبي – صلى الله عليه وسلم – فهو الذي يسبح، وهذا شرك أكبر.

والحكمة من النهي في قوله: («لا تطروني»). لأن الإطراء والغلو يؤدي إلى عبادته، وعنوان الباب ماذا؟

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١/٥٤

أن الغلو سبب للوقوع في ماذا؟ في كفر بني آدم، إذا الغلو عام قلنا: منه ما هو شرك، ومنه ما هو وسيلة إلى الشرك، وقد يكون بعضه أدنى من ذلك، المراتب تحتمل أنها ثلاثة، إذا ما كان شركا فهو واضح النهي عنه وبيان أنه سبب، يعني ما كان أصله والقول نفسه والفعل نفسه شركا واضح بين، وما لم يكن شركا يكون وسيلة إلى ماذا؟ إلى الوقوع في الشرك، فحينئذ نهى عنه النبي – صلى الله عليه وسلم – لأجل ذلك، إذا **الحكمة من** النهي في قوله: («لا تطروني»). لماذا نهى عليه الصلاة والسلام؟ لأن الإطراء والغلو يؤدي إلى عبادته كما هو الواقع في هذه الأمة.." (١)

"(الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح). أي عمل صالح ولو قراءة قرآن، هذه نعتبره ماذا؟ أولا هو من البدع، وكذلك يؤول إلى الوقوع في الشرك. قال ماذا؟ (مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح) لأنه صار سببا لعبادة هؤلاء من دون الله تعالى، فالمضرة الحاصلة أنها توصل إلى عبادتهم فلا يتقرب عند القبر ولو كان لله تعالى.

(الثانية عشرة: معرفة: النهي عن التماثيل، **والحكمة في** إزالتها). التماثيل هي الصور على مثال رجل أو حيوان أو حجر أو نحو ذلك، والغالب أنها تطلق على ما صنع ليعبد من دون الله، الغالب لكن لا يمنع إطلاقه على غير ذلك، (**والحكمة في** إزالتها) لأن بقاءها سبب لعبادتها من دون الله تعالى ولو بعد حين كما صنع إبليس هناك.

(الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها). أي قصة الصالحين (عظم شأن هذه القصة) يعني قصة الصالحين الذين عبد قوم نوح صورهم، ومعرفة (شدة الحاجة إليها) لماذا؟ لئلا يجهلها الإنسان فيفعل كما فعلوا، أليس كذلك؟ عرفت الشر لا للشر إذا معرفة ما كانوا عليه يقي الإنسان من الوقوع فيما وقعوا فيه، ولذلك حصل بعينه، عبد أصحاب القبور بتلك الحجة، ومع هذا غفل عنها أكثر الناس فوقعوا فيما وقع فيه أولئك القوم.." (٢)

"إذا لا تختص الزيارة بقبور المسلمين، بل الكافر كذلك يزار، لكن لا يستغفر لهم ولا يدعى لهم حينئذ ما الحكمة؟ نقول: ما جاء في النص السابق «فإنها تذكر الموت». فإذا **الحكمة في** الإذن هنا شيء واحد، وفيما إذا زار قبور المسلمين دعى كان محسنا لهم ومحسنا لنفسه، وهنا في زيارة قبور الكافرين كان

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٧/٥٤

(٢) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٩/٥٤

محسنا لنفسه فقط وليس محسنا لهم، ولذلك نقول: الحكمة كما قال – صلى الله عليه وسلم – «فإنها تذكر الموت».

هذه هي الزيارة الشرعية السنية المقصود منها نفع الأموات والاعتبار بحالهم، نفع الأموات وهو كذلك هم ينتفعون وليس الزائر هو الذي ينتفع بالأموات، وإنما ماذا؟ هم ينتفعون بزيارة الزائر فيدعو لهم، وهو كذلك يحسن لنفسه.

المقصود منها نفع الأموات والاعتبار بحالهم وتحصيل الثواب بإتباع السنة.

وأما الزيارة البدعية فضابطها أن يفعل عندها وبها، عندها وبها – انتبه – لأنه قد يتخذ المقبور وسيلة لكن لا يصل به إلى حد العبادة، فحينئذ يكون وسيلة إلى الشرك يكون بدعة، ضابطها أن يفعل عندها وبها ما هو وسيلة إلى الشرك ولم يبلغ رتبة العبادة، فيكون القصد منها الانتفاع بالأموات بما لا يصل إلى حد الشرك الأكبر كأن يقصد الدعاء لنفسه عندها، يعني إذا زار القبر لقصد أن يدعو لنفسه، إذا فرق بين أن يقصد القبر للاتعاظ والاعتبار وأن يدعو له، فإذا قصد أن يدعو لنفسه فالصحيح في هذه المسألة أنه يعتبر من البدع، لماذا؟ لأنه ما قصد ذلك إلا لاعتقاده في نفسه بتلك البقعة، حينئذ صار محظورا، وإنما القصد يكون لانتفاع الأموات، أما هو فلا ينتفع إلا بالإحسان إليهم، ولذلك يدعو لهم، فحينئذ يكون ماذا؟ نقول: كأن يقصد الدعاء لنفسه عندها، أو يفعل غير ذلك من العبادات كالصلاة أو الصدقة أو قراءة قرآن، ولو أراد به وجه الله تعالى لأنه لم يخصص هذه البقعة إلا لغرض في نفسه، ولو ادعى أنه ما يعتقد شيئا، لو ادعى أنه لا يعتقد شيئا نقول: لا تعتقد شيئا، التخصيص بغير مخصص يدل على اعتقاد علمت به أو لم تعلم به، سلمت به أو لم تسلم. نقول: هذا يعتبر ماذا؟ يعتبر تخصيصا يحتاج إلى دليل، كذلك التوسل إلى الله بهم وكذلك إسراجها ورفعها ونحو ذلك، وأما الزيارة الشركية فهي أن يدعو المقبور نفسه من دون الله تعالى، يعني: يصرف له عبادة أن يدعو المقبور نفسه من دون الله تعالى بأن يسأله ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل من جلب خير أو دفع ضر، ونحو ذلك، وهذا هو الشرك الأكبر بعينه، حينئذ نقول: الزيارة تنقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة.

(باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده) ذكر المصنف رحمه الله تعالى أربعة أحاديث تحت هذه الترجمة.." (١)

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٠/٥٥

"ثم يقال أيضا: أن المسجد، وهذا أهم من ما ذكره القرطبي وغيره. أن المسجد في الأصل لم يبن على قبر. قبر النبي – صلى الله عليه وسلم – قد يقال بأنه داخل المسجد، نقول: لم يبن المسجد، مسجد من؟ من الذي بناه؟ النبي – صلى الله عليه وسلم –، فابتداء وأصالة لم يبن على قبره، هو الذي بنى كيف يكون بنى على قبره؟ حينئذ نقول: لا يتأتى ذلك، فالمسجد لم يبن على القبر بل بني في حياة النبي – صلى الله عليه وسلم –، ثم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يدفن في المسجد، بل دفن في بيته وهذا محل وفاق بين الصحابة لأنه في أول الزمن، وإدخال الغرفة غرفة النبي – صلى الله عليه وسلم – التي دفن فيها هذا ليس متفقا عليه بين الصحابة، وإنما كان في آخر الزمن زمن الصحابة، ولذلك حصل فيه خلاف، وقد أنكر ذلك سعيد بن المسيب قد كان في سنة أربع وتسعين تقريبا فليس هذا الأمر من ما أجازه الصحابة أو أجمعوا عليه حتى يحتجوا به، قد يقال بأنه إدخال أو فيه مخالفة شرعية لكنه لا يأخذ حكم المسجد الذي بني على قبر، فرق بين .. نقطع بهذا، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يدفن في المسجد وهذا بإجماع الصحابة وهو حجة في ذلك، المسجد لم يبن على قبر بل هو مسجد النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا انتفى المحذوران هذا مقطوع به، ثم هل يجوز إدخاله أو لا؟ نقول: هذا لم يقع في زمن الصحابة، إفراده هو الأصل.

إذا نقول: إدخال الغرفة ليس متفقا عليه بين الصحابة بل حصل بعد أن انقرض أكثرهم ولم يبق منهم إلا القليل وذلك عام أربع وتسعين تقريبا فليس مما أجازه الصحابة أو أجمعوا عليه. ومما خالف في ذلك سعيد بن المسيب من التابعين رحمه الله تعالى. إذا لا يحتج بأن قبر النبي – صلى الله عليه وسلم – في داخل المسجد.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه منع من عبادة الله عند قبور الأنبياء واتخاذها مساجد، لأنه يفضي إلى الشرك، والأنبياء أفضل من الصالحين، فإذا منع من الأنبياء فالصالحون من باب أولى وأحرى. وجاء النص كذلك «اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد». فحينئذ شمله النص نصا لا قياسا.

يستفاد من الحديث:

أولا: المنع من اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى فيها لله لأن ذلك وسيلة إلى الشرك.

ثانيا: شدة اهتمام الرسول – صلى الله عليه وسلم – واعتنائه بالتوحيد وخوفه أن يعظم قبره لأن ذلك يفضي إلى الشرك.

ثالثا: جواز لعن اليهود والنصارى ومن فعل مثل فعلهم من البناء على القبور واتخاذها مساجد بنوا أو لم يبنوا.

رابعا: بيان الحكمة من دفن النبي – صلى الله عليه وسلم – في بيته، وأن ذلك لمنع الافتتان به. وقلنا هنا: الحكم له سببان.

خامسا: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – بشر يجري عليه ما يجري على البشر من الموت وشدة النزع.." (١)

"قال المصنف رحمه الله تعالى: (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج. [رواه أهل السنن]). قوله: (لعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –) عرفنا المراد باللعن فيما سابق أنه الطرد من رحمة الله تعالى. (لعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – زائرات القبور) يعني من النساء حينئذ يكون اللعن هنا خاص بالنساء، أي من النساء، والزائرات جمع زائرة اسم فاعل، والزيارة هنا ليس المراد عامة أي زيارة إنما المراد الخروج إلى المقابر، أي الزيارة خاصة تعلق بها اللعن، والزيارة هنا هي الخروج إلى المقابر، وهي أنواع كما سبق في الباب السابق. سنية، وبدعية، وشركية. وعرفنا الفرق بينها، والزائر اسم فاعل يصدق بالمرة الواحدة كضارب وصائم .. إلى آخره، اسم فاعل يصدق بالمرة الواحدة، متى ما حصل الحدث من الذات مرة واحدة صدق الاسـتقامة. قال الشراح قاطبة في هذا النص – شراح كتاب التوحيد دون استثناء – أن هذا النص وهو قوله – صلى الله عليه وسلم –: (لعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – زائرات القبور) يدل على تحريم زيارة القبور عليهن. يعني لا يحل للمرأة أن تزور القبور مطلقا كما هو مذهب أحمد وطائفة، يعني قول وليس مذهب أحمد، المذهب المشهور أنه مكروه كراهة ليست كراهة تحريم، ولكنه ينسب أحيانا يقال مذهب أحمد وهو رواية عن الإمام أحمد، رواية بالتحريم # .. بالكراهة، ورواية بالإباحة، وهو مذهب أحمد وطائفة وهو قول أكثر أهل العلم، كذلك قول أكثر أهل فيه شيء من النظر، وقيل في تعليل ذلك يعني: التحريم كونه يحرم على النساء زيارة القبور التعليل: إنه يخرجها إلى الجزع والندب والنياحة والافتتان بها – يعني بالمرأة وبصوتها – ففيه ماذا؟ ففيه محظور شرعي، ومعلوم أن النياحة محرمة والندب كذلك محرم، وإذا كان خروج المرأة إلى المقابر سيكون وسيلة إلى الوقوع إلى المحرم من حيث المعنى مع وجود النص صار محرما، ولذلك عللوا

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١١/٥٦

بهذا التعليل، أولا للنص لعن، واللعن مر معنا أنه يدل على ماذا؟ ليس على التحريم فحسب، وإنما على أنه كبيرة من الكبائر، من حيث المعنى كذلك أن هذا الخروج يوصل ويؤدي إلى ماذا؟ إلى الوقوع في المحذور، وإذا كان كذلك الوسائل لها أحكام المقاصد، وإذا كان زيارة النساء مظنة وسببا للأمور المحرمة في حقهن وحق الرجال وتقدير ذلك غير منضبط لأنه لا يمكن حد المقدار الذي لا يفضي إلى ذلك ولا التميز بين نوع ونوع، ومن أصول الشريعة أن الحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة علق الحكم بمظنتها فتحرم سدا للذريعة، يعني عرفنا أن ماذا؟ أن الحكمة من التحريم هو أن هذا الخروج يوقع في ماذا؟ في محظور شرعي، ثم هذا المحظور لا ينضبط، يعني: قد تسلم منه امرأة وقد لا تسلم أخرى، فإذا كان كذلك فمن الأصول الشرعية المطردة أن العلة إذا لم تكن منضبطة وكانت منتشرة بمعنى أنه لا يمكن ضبطها علق الحكم بمجرد الفعل والصورة، حينئذ مجرد الخروج يحرم، ولا يأتين آت فيقول: قد تسلم امرأة من الندب والنياحة وغيرها، فعمم الحكم لذلك. وهذا كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.." (١)

"إذا قوله هنا: وإذا كانت زيارة النساء مظنة وسببا للأمور مظنة لماذا؟ لأنه قد لا يقع قد يحصل عند عشرات من النساء الندب والنياحة، وقد تسلم امرأة وامرأتان كما سيأتي أن عائشة زارت أخاها إذا سلمت من ذلك، إذا مظنة ليس أمرا مقطوعا به، وإذا كان زيارة النساء مظنة وسببا للأمور المحرمة في حقهن وحق الرجال وتقدير ذلك غير منظبط، لا يمكن ضبطه، لأنه لا يمكن حد المقدار الذي لا يفضي إلى ذلك، ما هو الذي يفضي؟ وما هو الذي لا يفضي؟ لا يمكن التمييز، ولا التمييز بين نوع ونوع، ومن أصول الشريعة أن الحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة علق الحكم بمظنتها، ولذلك قلنا في باب السفر أن الرخص معلقة بماذا بالسفر لا بالمشقة، لأن المشقة لا تنضبط تختلف من زيد إلى عمرو .. إلى آخرة، تختلف من زمن إلى زمن، تختلف من فصل إلى فصل آخر، فالسفر في الصيف ليس كالسفر في الشتاء. إذا غير منضبطة، متى نقول: إذا شق عليك، ما الذي يضبط المشقة؟ حينئذ صارت منتشرة غير منضبطة فعلق بماذا؟ بالسفر لأنه ينضبط، فمتى ما تحقق السفر ووجدت الرخص وجاز له أن يترخص ولو لم يشق عليه السفر. هنا كذلك الحكمة في الخروج ما هو؟ كونه يوصل إلى محرم هذا لا ينضبط، إذا نعلقه بماذا؟ نعلقه بمجرد الزيارة، فتمنع المرأة من الزيارة مطلقا، لماذا؟ لهذه العلة، تقول: قد لا يوجد في بعض النساء الندب والنياحة؟ نقول: كذلك لا يوجد في بعض الأسفار المشقة، فعدم وجود المشقة في السفر لا يرفع أحكام الرخص،

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١١/٥٧

وعدم وجود النياحة والندب في بعض الزيارات لا يمنع تحريم الزيارة، هذا الذي عناه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. قال: فتحرم سدا للذريعة، كما حرم النظر إلى الزينة الباطنة لما في ذلك من الفتنة، وكما حرمت الخلوة بالأجنبية، وليس في زيارتها من المصلحة ما يعارض هذه المفسدة لأنه ليس في زيارتها إلا دعاؤها للميت، أو اعتبارها بـهـ. يعني: تتعظ كما سيأتي في العلة، يزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة، وذلك ممكن في بيتها، لأنه قد يقول قائل: نعتبر المصلحة المترتبة. ما هي المصلحة المترتبة؟ تزهد في الدنيا وترغب في الآخرة وتدعو للميت. نقول: منعها أولى سدا للذريعة، والمصلحة تلك يمكن أن تحصلها في بيتها بغير ذلك الوسيلة. إما أن تدعو له، وإما أن تتعظ بشيء غير الذهاب إلى المقابر.
وقد روى الإمام أحمد وابن ماجة والحاكم عن حسان بن ثابت مرفوعا: «لعن الله زورات القبور». «زورات» «زورات» سيأتي بحثه، والصواب «زورات» بضم الزاي، «لعن الله زورات القبور» يعني زائرات جمع جمع. وعن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «لعن الله زورات القبور». يعني من طريقين: طريق حسان بن ثابت، وطريق من؟ أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، رواه أحمد وابن ماجة والترمذي وصححه.." (١)

"والثانية: قوله: («وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها») أي وإن أعطيتك لأمتك أن لا أسلط عليهم عدوا من سواهم فيتولاهم جميعا ويهلكهم ويذلهم ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض. ولفظ أبي داود: «من بين أقطارها» أي جوانبها، أي لم يسلطهم الله تعالى عليهم كما فعل بالأمم الماضية المكذبة، وهذا أيضا من خصائص هذه الأمة ببركة نبينا – صلى الله عليه وسلم –، ولكن هذه الإجابة مقيدة، ولكن هذه الإجابة قيدت بقوله: («حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا»). فحتى لانتهاء الغاية كما علمنا، أي إذا وقع ذلك منهم فقد يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، فإن الله تعالى لا يسلط الكفار على معظم المسلمين وجماعتهم وإمامهم ما داموا بضد هذه الأوصاف المذكورة، فأما إذا وجدت هذه الأوصاف، يعني قتل بعضهم بعضا وسبى بعضهم بعضا فقد يسلط الكفار على جماعتهم ومعظمهم كما وقع، فقد سلط بعضهم على بعض، أو فقد سلط بعضهم على بعض لكثرت اختلافهم وتفرقهم، ولكن بحمد الله تعالى لا تزال طائفة منهم باقية على الحق كما سيأتي في حديث رواية البرقاني، فالجملة الأولى بدون استثناء، والجملة

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٢/٥٧

الثانية باستثناء («حتى يكون بعضهم») .. إلى آخره، وهذه هي الحكمة في تقديم قوله: («إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد»). فصارت إجابة الله تعالى لرسوله – صلى الله عليه وسلم – مقيدة.

إذا الجملة الأولى بدون استثناء والجملة الثانية مقيدة بقوله: «حتى يهلك بعضهم بعضا».

قال هنا: وفي الحديث دليل على تحريم القتال بين المسلمين، وإهلاك بعضهم بعضا، وسبي بعضهم بعضا، وأنهم يجب أن يكونوا أمة واحدة لتبقى هيبتهم، وتخشاهم الأمم، هذا الأصل فيه.

قوله: (ورواه البرقاني في صحيحه). البرقاني بفتح الباء برقاني، وقال بعضهم مثلث الباء، برقاني بفتح الباء وسكون الراء، هذا المشهور برقاني، وقيل: مثلث برقاني برقاني برقاني على كل ضبط الأسماء السماع، نسبة إلى قرية كانت بنواحي خوارزم وهو الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة، قال الخطيب البغدادي: كان ثبتا ورعا لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفا في الفقه كثير التصنيف، صنف مسندا ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة، وكان حريصا على العلم منصرف الهمة إليه.

قال في ((التيسير)): وهذا المسند الذي ذكره الخطيب هو صحيحه الذي عزى إليه المصنف. يحتمل هذا، إن لم يكن له مسند وله صحيح، لأن المسند غير الصحيح، والصحيح غير المسند، وروى هذا الحديث بتمامه أبي داوود وغيره عن ثوبان، قوله: (وزاد: «وإنما»). زاد يعني النبي – صلى الله عليه وسلم –، أو زاد البرقاني على ما قاله النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما سبق، على كل القول هنا للنبي – صلى الله عليه وسلم –، يعني الذي قال: («وإنما أخاف»).." (١)

"قوله: («السبع الموبقات»). أي المهلكات جمع موبقة، موبقة اسم فاعل، وسميت هذه الكبائر موبقات لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب، موبقة يعني مهلكة لصاحبها لمن وقع فيها، في الدنيا بأنه قد يترتب على بعضها ماذا؟ الحد، وفي الآخرة بالعذاب، وقوله: («السبع الموبقات»). هل يقتضي الحصر أو لا؟ نقول: لا يقتضي الحصر، («السبع الموبقات») لا يقتضي الحصر، وقد ثبت بعض الموبقات غير ما جاء في هذا الحديث كاليمين الغموس، هذه من الموبقات، وشهادة الزور، والأمن من مكر الله، والقنوت من رحمة الله، وسوء الظن بالله، والزنا، والسرقة، وغير ذلك كثيرة، حينئذ نقول: ... («السبع الموبقات») هنا العدد لا مفهوم له، يعني لا يفيد الحصر، قال

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٨/٦٠

الحافظ ابن حجر: ويحتاج عند هذا إلى الجواب عن الحكمة بالاقتصار على سبع. يعني ما دام أنه ثبت أن من الموبقات ما هو زائد على هذه السبع، إذا بماذا نجيب؟ ويحتاج عند هذا إلى الجواب عن **الحكمة في** الاقتصار على سبع ويجاب بأجوبة منها: بأن مفهوم العدد ليس بحجة، يعني سبع مفهومه أنها لا تزيد، قال: ومفهوم العدد ليس بحجة، وهو جواب ضعيف، لأن الصحيح أن العدد له مفهوم، لكن له مفهوم ما لم يثبت خلافه، فإن ثبت خلافه فلا مفهوم له، وهذا الجواب الذي ضعفه ابن حجر تضعيفه ضعيف، بل الصواب أنه يقال ماذا؟ أن العدد هنا لا مفهوم له، لماذا؟ لأنه دل الدليل على عدم اعتبار الحصر في السبع، وإذا كان كذلك فحينئذ قد يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - قد ذكر هذا العدد من باب الحفظ والتيسير، أو لأنها أعظم الكبائر، ولذلك جاء محلا بـ (أل) («السبع الموبقات») فيه حصر، حينئذ يتوجه إلى ماذا؟ إلى ليس المراد من الحصر هنا أنها لا تزيد على السبع، وإنما أراد ماذا؟ ذكر أعظم الكبائر، وهذا وجه وجيه، فتضعيف ابن حجر هنا فيه نظر، أو بأنه أعلم أولا بالمذكورات ثم أعلم بما زاد، فيجب الأخذ بالزائد، أو أن الاقتصار وقع بحسب المقام بالنسبة للسائل، أو من وقعت له واقعة ونحو ذلك، يعني أجاب أجوبة متعددة إما بأنه قال سبعا ثم زاد فوجب الأخذ بالزائد، أو باعتبار حال السائل، والصواب أن نقول: ما قدمه أولا هو الأولى، لأن مفهوم العدد هنا غير معتبر، الدليل على ذلك ماذا؟ الدليل على ذلك ثبوت ما هو من المهلكات الموبقات غير السبعة المذكورة في هذا النص، والله أعلم.

وقد أخرج الطبري وإسماعيل القاضي عن ابن عباس أنه قيل له الكبائر سبع، فقال: هن أكثر من سبع. وهذا ثبت عن ابن عباس، وفي رواية كذلك صحيحة هي إلى السبعين أقرب. وفي رواية إلى السبعمائة. وكلها صحيحة ثابتة عن ابن عباس، وإذا تقرر ذلك عرف فساد من عرف الكبيرة بأنها ما وجب فيها الحد، لأن أكثر المذكورات لا يجب فيها الحد. انتهى كلام الحافظ رحمه الله تعالى.." (١)

"وفيه الاعتراف بان الطير خلق مسخر مملوك لله («لا طير إلا طيرك») إن جعلنا الطير المراد به ماذا؟ خصوص الطير، الطائر الحي الكائن الحي هذا («لا طير إلا طيرك») ففيه اعتراف بأن الطير خلق مسخر مملوك لله، لا يأتي بخير ولا يدفع شرا، لأنه مخلوق، والذي يأتي بالخير ويدفع الشر هو الله عز وجل، وأنه لا خير في الدنيا والآخرة إلا خير الله، فكل خير فيهما فهو من الله تعالى تفضلا على عباده وإحسانا إليهم. («ولا إله غيرك») أي لا معبود بحق سواك، لا نافية للجنس (لا إله) وإله فعال بمعنى مفعول

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٥/٦١

وهو المعبود المطاع محبة وتعظيما وإجلالا، («غيرك») («لا إله غيرك»)، كذلك («غيرك») فيها معنى الاستثناء، ولذلك تعد من أدوات الاستثناء عند النحاة، وعند الأصوليين كذلك، وفيها أن الإلهية كلها لله ليس فيها لأحد من الملائكة الأنبياء عليهم السلام شركة فضلا عن أن يشرك فيها ما يراه ويسمعه مما يتشاءم به، ويحتمل أن قوله: («لا طير إلا طيرك») المراد به ما يتشاءم به الإنسان، يعني يحتمل أن قوله: («لا طير») المراد به الطائر، ويحتمل ماذا؟ أن المراد به المعنى العام الخاص الشرعي («لا طير إلا طيرك») يعني لا يتشاءم الإنسان من شيء إلا وأنت الذي أحدثته، أليس كذلك؟ {ألا إنما طائرهم عند الله} [الأعراف: ١٣١]. يعني من جهة الباري جل وعلا لأنه من قبيل الحكم الكوني وهو كذلك، فكل ما يحدث للعبد من التشاؤم والحوادث المكروهة فإنه من الله تعالى كما أن الخير من الله تعالى، كما قال سبحانه: {ألا إنما طائرهم عند الله} ولكن الشر في المفعول لا في فعل الله – كما هو معلوم – «والشر ليس إليك». ففعله تعالى كله خير، إما لذاته، وإما لما يترتب عليه من المصالح التي تجعله خيرا. إذا الخير كله من عند الله تعالى، والشر الله تعالى خالقه ولا شك لكنه لا يكون فعله شرا، وإنما يكون فعله خير، وإنما ينسب الشر إلى المفعول لا إلى الفعل، وإذا كان كذلك فما **الحكمة منه**؟ نقول: لما يترتب عليه من المصالح، فعاد خلقه جل وعلا كله إلى الخير، إما ابتداء وإما انتهاء، فيكون قوله: («لا طير إلا طيرك») مقابلا لقوله: («لا خير إلا خيرك»). فإذا قال ذلك الدعاء وأعرض عما وقع في قلبه ولم يلتفت إليه كفر الله عنه ما وقع في قلبه ابتداء لزواله من قلبه بهذا الدعاء المتضمن من الاعتماد على الله وحده والإعراض عما سواه.

ففيه أن الطيرة لا تضر من كرهها – هذا واضح – لا تضر من كرهها («وما منا إلا») ويقع في قلبه شيء من ذلك، لكن لا يستجيب إليه، لا يستجيب، هل تضره هل يأثم؟ الجواب: لا، وإنما تضر من التفت إليها.." (١)

"فمن ادعى أمرا رابعا، وعلى جهة الخصوص أن تكون سببا في ادعاء علم الغيب فعليه أن يأتي بالدليل من الكتاب والسنة، والأصل فيه المنع.

قال الداودي: قول قتادة في النجوم حسن، إلا قوله: أخطأ وأضاع نصيبه، فإنه قصر في ذلك، بل قائل ذلك كافر. يعني: كأنه يقول: لينت العبارة. يعني من تأول فيها غير ذلك مراده كما في الرواية الأخرى عند عبد

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٧/٦٦

الرزاق أنه ماذا؟ أراد به ادعاء علم الغيب. إذا فمن تأول ذلك وادعى علم الغيب فهو كافر، والكافر يقال فيه كافر لا نقول أخطأ لم يصب، أليس كذلك؟ اجتهد، إنما نقول للكافر: كافر، والمشرك مشرك. إذا قال: قصر في العبارة. قصر يعني لم يأت بلفظ خاص يحيط به، وإنما جاء بعبارة مطاطية كما يقال – إن صح التعبير –. وحينئذ نقول: لا بد من التخصيص، وهذا جيد نحتاجه في هذا الزمن. الكافر نقول: كافر. المبتدع مبتدع، الفاسق فاسق، ولو كان من أهل العلم، لا بد أن يميز، تميز الناس بعضهم عن بعض هذا واجب شرعي، تميز السني عن المبتدع، المبتدع عن السني هذا واجب شرعي، تميز الكافر الدخيل على المسلمين هذا كذلك، المنافق الزنديق قل ما شئت، وفي جميع العصور يوجد بين المسلمين زنادقة إلا في هذا الزمان، لا أقول يعني لا يوجد، لا يوجد موجود وكثر لكن من الذي يقول: هذا زنديق. الذي يظهر من أحواله أنه إنما يكون دسيسة على المسلمين، يعني يتظاهر بالإسلام وقد يتظاهر بالدعوة إلى الله عز وجل ثم يهدم أصول المسلمين أصول الإسلام، لا عقيدة أبقى، لا ولاء وبراء أبقى ... لا ... ما بقي شيء، كله جائز وكله فيه قولان، واختر ما شئت، حينئذ نقول: هذا لا بد من التخصيص، ولذلك قال: قصر في ذلك، بل قائل ذلك كافر. وهذا هو الحق.

والأحاديث في ذم التنديم والتحذير منها كثيرة منها ما سبق ذكره في باب بيان شيء من أنواع السحر. قوله – صلى الله عليه وسلم –: ((«من أقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر»)). والسحر كفر وهو حرام بالإجماع. إذا تعلم النجوم كذلك. وحديث («من ما أخاف على أمتي التصديق بالنجوم») رواه عبد بن حميد من طريقين مرسلين من وجهين مختلفين مما يدل على ثبوت الحديث لا سيما وقد احتج به من أرسله، وغير ذلك مما هو معلوم. فإذا علم أنه نوع من السحر فحينئذ كل ما يقال في السحر من حيث التحريم والكفر فالأصل أنه ينسحب على التنجيم، وأصله في الكتاب والسنة كثير، وأجمع عليه السلف والأئمة.

وقول قتادة يدل على أن علم التنجيم هذا قد حدث في عصره فأوجب له إنكاره على من اعتقده وتعلق به، وهذا العلم التنجيم مما ينافي التوحيد ويوقع في الشرك لأنه ينسب الحوادث إلى غير من أحدثها وهو الله تعالى بمشيئته وإرادته كما قال تعالى {هل من خالق غير الله} [فاطر: ٣] يعني لا خالق غير الله، فالنفي هنا واضح بين. {قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله} [النمل: ٦٥].

مناسبة الأثر للباب: أن فيه بيان **الحكمة في** خلق النجوم كما ذكرها الله تعالى في كتابه على جهة الحصر والاستقراء.." (١)

"وفيه الرد على من زعم في النجوم حكمة تخالف ما ذكره الله منها.

ويستفاد من الأثر: بيان **الحكمة في** خلق النجوم كما دل عليها القرآن.

الرد على من زعم أن النجوم خلقت لحكمة غير ما ذكر الله فيها أنه يجب الرجوع إلى الكتاب كتاب الله تعالى لبيان الحق من الباطل.

رابعا: أن من طلب الهدى من غير الكتاب والسنة فقد ضيع وقته وتكلف ما لا قدرة له في الوصول إليه كما قال قتادة هنا: (فمن تأول فيها غير ذلك). يعني غير ما وجد في الكتاب، حينئذ فقد الصواب، ولذلك قال: (أخطأ وأضاع نصيبه).

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما) يعني عن من؟ عن قتادة وابن عيينة، (ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق) أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه.

قوله: (وكره قتادة). قتادة من السلف، وإذا نسبت إليه الكراهة فحينئذ تكون على طريقة المتقدمين السلف في كونها للتحريم، فقوله: ... (وكره قتادة). لا يفهم منه أنه الكراهة ماذا؟ الكراهة التي هي دون التحريم، وإنما هي كراهة تحريم لأن الكراهة في كلام السلف يراد بها التحريم غالبا، (ولم يرخص ابن عيينة فيه) كذلك لم يرخص على جهة الجواز، فسلك قتادة وكذا ابن عيينة مسلك سد الذرائع، وسد الباب كذلك، وفيه حسم لمادة الشرك لئلا يتوصل به، يعني في الجائز لا إلى الممنوع، لأنه يحتمل ماذا؟

أولا: قد يكون في نفسه جائزا لكنه قد يتوصل به إلى أمر محرم، وكل ما كان الأصل فيه أنه مباح ثم بعد ذلك يمكن أن يتوصل به إلى محرم وخاصة إذا كان شركا فالأصل فيه المنع.

وكذلك قد يقال بأنه إذا قيل بأن الفصل الفلاني إذا ظهر نجم ما قال سيأتي الفصل كذا، حينئذ يكون فيه لبس على العامة، بأنه قد يكون ثم تأثير بين النجم وبين الفصل، وهذا ليس فيه تأثير، علم المنازل منازل القمر ليس فيه إلا أنه وجد كذا عند كذا، ولا علاقة بينهما، وإلا لقلنا أنه مؤثر فيه رجعنا إلى الأول من باب السببية، لكن ربط هذا الشيء بهذا الشيء مع اعتقاد عدم التأثير، فحينئذ إذا قيل وأورد الكلام قد يلتبس،

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٦٧/٩

والأصل في باب المعتقد أن الملتبس الأصل فيه المنع، يعني ما احتمل معنيين هو في أحدهما جائز وفي آخر أنه محرم، فحينئذ نقول: الأصل فيه المنع. هذه حجة من؟ قتادة ومن لم يرخص.

قال: (ورخص في تعلم المنازل أحمد) ابن جنبل (وإسحاق). هذا القسم من علم النجوم هو تعلم منازل القمر للاستدلال بذلك على القبلة، وأوقات الصلوات، والفصول وهو كما ترى من اختلاف السلف فيه، فكره بعض السلف علم التسيير، حينئذ يرد السؤال فكيف بعلم التأثير؟ إذا كان علم التسيير الذي لا يعتقد فيه من أجازه ماذا؟ لا يعتقد فيه أنه مؤثر فيه، فكيف بعلم التأثير فمن باب أولى وأحرى.

ومنازل القمر ثمانية وعشرون كل ليلة بمنزلة منها، فكره قتادة وسفيان بن عيينة تعلم المنازل ,أجازه أحمد وإسحاق وغيرهما.

قال الخطابي: أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال. يعني ليس ثم ادعاء وإنما يشاهد بالبصر، فحينئذ فيه ربط بين سبب ومسبب، لا على جهة التأثير.." (١)

"وقال الضحاك: معنى {إني سقيم} سأسقم. يعني سقم الموت لأن من كتب عليه الموت يسقم في الغالب ثم يموت، وهذا تورية وتعريض من معارض الأفعال ليتوصل به إلى غرضه من كسر الأصنام كما قال قوله. ... {بل فعله كبيرهم هذا} [الأنبياء: ٦٣] فمن ظن أن نظرته في النجوم ليستنبط منها علم الأحكام وعلم أن طالعه يقضي عليه بالنحس فقد ضل ضلالا بعيدا، ولهذا جاء في حديث الشفاعة الصحيح أنه عليه السلام يقول: " لست هناكم ". ويذكر ثلاثة كذبات كذبهن فلو كان قوله: {إني سقيم} أخذه من علم النجوم لم يعتذر من ذلك، وإنما هي من معارض الأفعال فلهذا أعتذر منها كما اعتذر من قوله: {بل فعله كبيرهم هذا}.

أحسن الأقوال أنه عرض ووری، يعني لم يعتقد، وإنما نظر الناضر فربط بين أمرين أراد أن يقول {إني سقيم} وهذا الذي سماه كذبا ونظر في النجوم من أجل تورية عليه لئلا يظن أنه أتى به من قبل نفسه، لكن لما كان يؤمنون بالنجوم حينئذ آمنوا وسلموا، وذلك روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله قوله: {إني سقيم}» – هذا يرجح القول بماذا؟ أنه ليس المراد أنه فكر ونحو ذلك – وقوله: {بل فعله كبيرهم هذا} وقوله: في سارة هي أختي.

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٠/٦٧

قال ابن كثير قول قتادة في الآية: العرب تقول لمن تفكر نظر في النجوم يقول يعني: قتادة أنه نظر إلى السماء متفكرا فيما يكذبهم به فقال: {فقال إني سقيم} أي: ضعيف يعني في المستقبل.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (فيه مسائل). يعني في الباب مسائل.

(الأولى: الحكمة في خلق النجوم).

يعني زينة للسماء ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها، هكذا جاء به الشرع أليس كذلك؟

والثانية ما هي ماذا؟ عندكم (الرد على من زعم غير ذلك) لقول قتادة: فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ وضل نصيبه في الدنيا أو في الآخرة.

(الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل).

بمعنى أنه كرهه بعض السلف وأجازه أو أباحه آخرون.

نستفيد منه ماذا؟ أن علم التسيير مختلف فيه، الذي لا يعتقد فيه التأثير، فكيف بعلم التأثير.

(الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل). لقوله: («لا يدخلون الجنة») قال: («ومصدق بالسحر»)، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى وآله وصحبه أجمعين.." (١)

"وقول المصنف رحمه الله تعالى: (من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله). خرج قوله: (الصبر على أقدار الله). (على أقدار الله) هذا قيد خرج به ماذا؟ الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية، فليسا داخلين معنا هنا، أليس كذلك؟ حينئذ خص نوعا فرتب الحكم عليه، خصه المصنف لماذا؟ قال في ((القول المفيد)): لأنه مما يتعلق بتوحيد الربوبية، لأن

تدبير الخلق والتقدير عليه من مقتضيات ربوبية الله تعالى. حينئذ خصه دون غيره.

وقال ابن السعدي رحمه الله تعالى: خص بالذكر لشدة الحاجة إلى معرفته والعمل به. وهذا أقرب والله أعلم، بمعنى أن المصنف هنا لم يرد أن الصبر على الطاعة ليس من الإيمان، أو الصبر عن المعصية ليس من الإيمان، وإن كان الصبر على الأقدار قد يورد شيئا مما يتعلق بالنوعين الآخرين لكن سيأتي في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، لكن قد تغفل النفس عن الصبر على المصيبة، فيفعل الطاعة ويترك المعصية، هو يستحضر ماذا؟ الصبر على كل منهما، لكن هذا النوع الثالث يحتاج إلى تنصيص،

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٦٧/٢٠

حينئذ يكون الباب المراد به الأنواع الثلاثة، لكن نص على نوع لشدة الحاجة إليه، وأما النوعان الآخران لم ينص عليه ولا يلزم من ذلك أن لا يكون مرادا من الباب، لكن للعلم به ولأنه مسلم عند الكل لم ينص عليه، وذكر الشيء للحاجة إليه نقول: هذا مما جاء به الشرع في الكتاب والسنة، فقد ينص على الشيء ويترك بقيته، ومر معنا («ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان») قلنا: هذا لا يلزم منه، لكن هذه الأشياء تعتبر أساسا، وإلا ثم أشياء أخر تزيد على العشر والعشرين مما تورث حلاوة الإيمان، لماذا خص هذه الثلاث؟ لمزيد عناية، لم خص هنا هذا النوع؟ لمزيد عناية، لأن النفس تغفل بالفعل لو نظر الإنسان في نفسه قد يستحضر الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية، لكن الصبر على المصيبة قد ينسى أصلا أن ثم صبرا يحتاجه في هذا المقام، حينئذ قال: خص بالذكر لشدة الحاجة إلى معرفته والعمل به. فإن العبد متى علم أن المصيبة بإذن الله، وأن الله أتم **الحكمة في** تقديرها وله النعمة السابغة في تقديرها على العبد رضي بقضاء الله وسلم لأمره، وصبر على المكاره تقربا إلى الله ورجاء لثوابه وخوفا من عقابه، واغتناما لأفضل الأخلاق فاطمأن قلبه وقوي إيمانه وتوحيده.

إذا النص هنا على هذا النوع ليس المراد به أن النوعين الآخرين ليسا من الإيمان، لا، وإنما لكونهما معلومين، ولذلك قال: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته فهو ظاهر لكل أحد. يستحضره المسلم في نفسه ويعلم أنه لا بد من الصبر، لكن إذا جاءت المصيبة قد ينسى أنها أصلا من عند الله يظنها من زيد هو الذي أساء إليه، ومر معنا ذلك، حينئذ قد يسند هذه المصيبة وهذا العيب أو هذا النقص إلى هذا المحسوس المخلوق فينسى أنها من عند الله تعالى فيحتاج إلى تذكير بشيئين:

- أن هذه المصيبة من عند الله تعالى، هو الذي قدرها وكتبها.
- ثم يحتاج إلى أمر ثان ألا وهو الصبر على أقدار الله تعالى، فلشدة الغفلة عن هذا النوع وعن المسبب الحقيقي للمصائب احتاج المصنف رحمه الله تعالى أن ينبه على ذلك، ولذلك قال:." (١)

"سابعا: فضل التوحيد لأنه مانع ألا يعذب من لا يشرك به شيئا. هذا فضل التوحيد

ثامنا: فيه تفسير التوحيد.

تاسعا: استحباب البشارة بشارة المسلم مما يسره، وبالمفهوم فيه كراهة أو تحريم ذكر ما يسيء المسلم، بالعكس تقول، (أفلا أبشر الناس؟)، أقره النبي ؟ وقال: («لا تبشرهم») لعلة («فيتكلوا»)، وأما عموم البشارة

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٠/٧٧

فهي مستحبة، العكس وهو نشر ما يسيء إلى المسلم نقول: هذا إما على الكراهة أو التحريم.
عاشرا: جواز كتمان العلم للمصلحة خاصة أو عامة، وهذا تختلف باختلاف الأزمان والأحوال والأشخاص.
الحادي عشر: الأدب مع المعلم. لأنه قال: الله ورسوله أعلم.
قال المصنف بعدما أورد هذه الآيات والأحاديث قال:
(فيه مسائل:
يعني في هذا الباب المذكور (باب وجوب التوحيد) (فيه مسائل)، مسائل جمع مسألة وهي مفعلة مشتقة من السؤال وهو الطلب والمراد به هنا ما يبرهن عنه في العلم يسمى مسألة، يعني إذا ذكر الشيء وطلب له دليل في العلم يسمى مسألة.
(الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس). وهذا أشبه ما يكون كالفهرس للباب يعني المسائل المستنبطة من هذا الباب، وكذلك يمكن أن يقال بأنه شرح كتابه، ولذلك لو عد أول شارح لـ ((كتاب التوحيد)) لقيل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، لأن قوله: (فيه مسائل) هذا استنباط مما ذكر كالشرح للكتاب.
(الأولى – المسألة الأولى -: الحكمة في خلق الجن والإنس). وهذا أخذها من قوله تعالى ({وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}) فهذه اللام لام التعليل فبين الله تعالى أنه ما خلق الجن والإنس إلا لحكمة واحدة وهي محصورة في عبادته جل وعلا، ولذلك بعض السلف كما مر معنا فسر ({إلا ليعبدون}) إلا يوحدون بناء على أن التوحيد شرط في صحة العبادة فلا تصح العبادة إلا بالتوحيد، إذا الحكمة في خلق الجن والإنس هي عبادة الله تعالى بالإخلاص.
(الثانية: أن العبادة هي التوحيد – لأن بعض السلف فسر ({إلا ليعبدون}) إلا ليوحدون، وجاء التنصيص كذلك في حديث معاذ قال: ... (لأن الخصومة فيه) أن العبادة هي التوحيد، والمراد بالتوحيد هنا توحيد الألوهية، يؤكد هذا أن المصنف قال: لأن – تعليل – لأن الخصومة والمعركة القائمة بين الرسل وأممهم هي في توحيد الألوهية، ليس في شيء آخر البتة، وأي دعوى غير ما ذكر نقول: هذه دعوى باطلة، وهي مردودة على صاحبها، إذا المشركون عندهم نوع عبادة، وهذه العبادات قلنا مردودة عليهم، لماذا؟ لانتفاء الشرك، ولذلك قال المصنف: (أن العبادة هي التوحيد). يعني أساسها الذي تبنى عليه هو التوحيد، فكل عبادة قد خلت عن التوحيد حينئذ قد خلت عن روح العبادة وفقدت أصلها وأساسها وهو الإخلاص لله عز وجل،

ومعلوم أن كل عبادة لا تصح إلا بشرطين:

- وهما الإخلاص لله عز وجل وهو التوحيد.
- وكذلك المتابعة.

فانتفاء الأول شرك بالله تعالى، وانتفاء الثاني يجعله بدعة، والنوعان مردودان على صاحبها سواء قيل بأنه شرك أو أنه بدعة.

وسبق أن بعض السلف فسر ({إلا ليعبدون}) إلا ليوحدون، وجاء في الحديث القدسي «أنا أغنى الشركاء عن الشرك» ووجه الدلالة ما ذكرناه سابقا.

إذا المسألة (الثانية) هذه مأخوذة من نفس الآية بانضمام حديث معاذ إليه. أن العبادة عي التوحيد لأن الخصومة فيه.

(الثالثة: أن من لم يأت به – يعني بالتوحيد – لم يعبد الله. وهذا واضح بين لأنه في عدة آيات يذكر انتفاء أو النهي أو انتفاء الشرك بعد العبادة، يأمر بالعبادة وينهى عن الشرك، وقلنا: هذا يدل بدلالة الاقتران على أن نفي الشرك وعدم الشرك واجتناب الشرك وعدم الطاغوت وانتفاء الطاغوت دليل على أنه لا تصح العبادة إلا بانتفائه، (أن من لم يأت بالتوحيد لم يعبد الله) العبادة الشرعية، وإن ظن هو ظنه الفاسد أنه قد عبد الله، وإن حكم بعضهم بأنه قد عبد الله وإنما يعتبر بالمجاز والتوسع، (ففيه معنى قوله {ولا أنتم عابدون ما أعبد} [الكافرون: ٣] يعني ما أعبده وهو الله عز وجل لأن عبادتهم مبنية على الشرك، وإذا كان كذلك فهي باطلة.." (١)

"(الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل). ({ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}) إذا الحكمة في إرسال الرسل محصورة في شيء واحد الدعوة إلى الدين لا إلى غيره، ثم هذا الدين أساسه التوحيد، ولذلك أجمع الرسل على الدعوة إلى (لا اله الا الله) الحكمة في إرسال الرسل وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده واجتناب عبادة الطاغوت ولذلك قال تعالى {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} [الأنبياء: ٢٥] والنص الذي ذكره المصنف واضح بين.

(الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة). وهذا استنباط واضح بين وعرفنا مأخذه من حيث المفهوم فيما سبق ({ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله})، إذا كل أمة، كل طائفة، كل حزب تحزب بنفسه قد بعث

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٨/١٥

إليهم الرسول فأنذرهم وبشرهم، ويبنى عليه المسألة التي ذكرناها مرارا وهي عدم وجود من يسمى بأهل الفترة، نحتاج إلى دليل واضح بين يخصص هذه العمومات المتواترة في القرآن {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} [فاطر: ٢٤] إذا لا توجد أمة إلا وقد أرسل إليها من ينذرها ويبشرها، حينئذ إذا دعي بأن ثم من هم طائفة تسمى أهل الفترة نحتاج إلى دليل ن وما ورد من حديث هذا لا يصلح أن يكون مخصصا، وإنما يستحسن إذا حسن أو صحح أن يجعل في أفراده، أعمى، أخرق .. إلى آخره، أما طائفة عامة مدينة .. إلى آخره، زمن لم يدرك الأول، ولم يدركه اللاحق هذا لا وجود له، لأن تفسيرهم فاسد، من هم أهل الفترة؟ هم طائفة لم يدركوا الرسول السابق، ولم يلحقهم اللاحق، لم خلقوا إذا؟ والله عز وجل يقول ({وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}) هذا حصر، ما من جني ولا إنسي إلا خلق لتحقيق العبادة، وهؤلاء خلقوا لأي شيء؟ هذا فيه انتفاء للحكمة الذي خلقوا من أجلها، يحتاج إلى دليل واضح بين للتخصيص، وأما الحديث المدعى فيه نظر. إذا أن الرسالة عمت كل أمة.

)السادسة: أن دين الأنبياء واحد). لأنه قال: ({ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله}) إذا دعوتهم هي إلى التوحيد، ولا ينافي ذلك قوله {كل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا} [المائدة: ٤٨] لأن هذا خاص بالأحكام العملية وكلامنا في التوحيد وأصل الدين.

المسألة (السابعة: المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت). وهذا مأخوذ من دلالة الاقتران {أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل: ٣٦]، {واجتنبوا الطاغوت} هو معنى قوله ({واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا}) [النساء: ٣٦]، والطاغوت سبق تفسيره، أن عبادة الله لا يحصل إلا بالكفر بالطاغوت لقوله: ... {واجتنبوا الطاغوت} ففيه معنى قوله: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى}). إذا من لا يكفر لم يستمسك بالعروة الوثقى، سقطت عنده كلمة التوحيد.." (١)

"ذكر في الترجمة السابقة كما علمنا باب واستنباطا من الآيات والأحاديث أو الحديث الذي ذكره وكذلك المسائل، عرفنا أن مراد المصنف رحمه الله تعالى في الباب السابق (باب حكم التوحيد) أو (باب وجوب التوحيد وبيان مكانته وأهميته في الشريعة) والآيات تدل على ذلك وكذلك الحديث الذي ذكره وهو نص في ذلك. («حق الله على العباد»)، («وحق العباد على الله»). وبين الحكمة من خلق الجن والإنس

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٨/١٦

وكذلك أن الرسل بعثت من أجل هذا التوحيد، فدل على أن المراد به توحيد العبادة.
قال الشراح: لما ذكر في الترجمة السابقة وجوب التوحيد وأنه الفرض الأعظم على جميع العبيد ذكر هنا فضله وآثاره الحميدة لأن النفس تتشوق وتتشوف لمعرفة الفضائل، إذا علم الشيء وعلم أنه واجب وأن الشريعة

به، أو أنه عظمته، وأنه أعظم الواجبات، وآكد الواجبات، وأنه لا تصح عبادة إلا به، حينئذ النفس تتشوف إلى معرفة، وتتشوق إلى معرفة الفضل المرتب على هذه العبادة العظيمة التي من أجلها خلق الله عز وجل الثقلين. وإذا: قيل: (باب فضل التوحيد) حينئذ قد علمنا أن التوحيد واجب، ولا شك أن الحكم الشرعي قسمان:

- أوامر.
- ونواهي.

والأوامر نوعان:

- أوامر هي على جهة الإيجاب.
- وأوامر هي على جهة الاستحباب.

وكل منهما حكم شرعي، وقد رتب الله عز وجل على من امتثل أمره سواء كان أمر إيجاب أو أمر استحبابه بثواب قد يكون دنيويا وأخرويا، وقد يكون أخرويا دون أن يكون دنيويا، حينئذ تكون القسمة ثنائية.." (١)

"هذه الآية كقوله تعالى: {بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء} [الفتح: ١٢]، {ظننتم ظن السوء} إذا هذه الآية مثلها، بمعنى أنه لم ينصر النبي - صلى الله عليه وسلم -، اعتقاد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لن ينصر ولم يتم له الأمر أمر الدين هذا هو سوء الظن الذي عني بهذه الآية، وقد ظن هؤلاء المنافقون أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفصيل، يعني لما هزم المسلمون في أحد ماذا ظن المنافقون؟ ظنوا أن محمد - صلى الله عليه وسلم - قد انتهى أمره، إذا لم تقم له قيامة، وهذه هي الفاصلة، هذا ظن السوء، لأنه سوء ظن بالله تعالى، والله تعالى ناصر رسوله - صلى الله عليه وسلم -، فالإدالة وإن كانت غير مستمرة فهي حاصلة للنبي - صلى الله عليه وسلم - ولغيره من المؤمنين، وإنما الذي لا يحصل هو الإدالة المستمرة للكفار،

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٩

إذا وقد ظن هؤلاء المنافقون أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفصيل، وأن الإسلام قد باد وأهله كذلك، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الأمور الشنيعة هذا باطل لا يجوز ظنه البتة في أي عصر وفي أي زمان، لأن الله تعالى تكفل بنصر الإسلام وأهله، ولا تزال طائفة منصورة قائمة حتى تقوم الساعة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ظن الجاهلية هو المنسوب إلى أهل الجهل، وظن غير الحق لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، وخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالربوبية والإلهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه، فإذا وعد بنصر النبي – صلى الله عليه وسلم – فسيكون كذلك، قد تحصل الهزيمة نوعا ما لكنها ليست إدالة مستمرة.

يستفاد من الآية أن من ظن أن الله يديل الباطل على الحق إدالة مستمرة يضمحل معها الحق اضمحلالا لا يقوم بعده ـفقد ظن بالله تعالى غير الحق ظن الجاهلية، وهذا باطل وهذا في كل زمان ومكان.

الثاني: إثبات الحكمة فيما يجريه الله من ظهور الباطل أحيانا، قد يظهر الباطل في زمان من الأزمنة هذا لا بد أن يكون له ماذا؟ يكون له حكمة علمها من علمها وجهلها من جهلها.

ثالثا: بيان خبث طوية المنافقين وأنهم عند الشدائد يظهر ما عندهم من النفاق، النفاق إنما يظهر عند البلاء والابتلاء، وإذا اشتدا الأزمة بين المسلمين، حينئذ يظهر شأن المنافقين.

رابعا: إثبات القضاء والقدر.

خامسا: وجوب تنزيه الله عما لا يليق به سبحانه، لأن إساءة الظن معناه ماذا؟ وصف الله تعالى بما لا يليق.

وجوب حسن الظن بالله تعالى.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقوله: {والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء} [الفتح: ٦])..." (١)

"قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: ويؤيد التعميم فيما له ظل، وفيما لا ظل له. عرفنا ما له ظل، وما ليس له ظل يعني المجسمات، هل التصوير الذي جاء في النصوص خاص بالمجسمات لأن النبي قاله في زمن كانت تجسم الأصنام، فحينئذ هذه هي التي عناها النبي – صلى الله عليه وسلم –، ولذلك بعضهم

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٥/٩١

يدعي أن هذه النصوص منزلة على ماذا؟ على تلك الأصنام التي تعبد، وأما ما عداها فلا، حينئذ نقول: لا، النبي – صلى الله عليه وسلم – عمم الحكم فيبقى على إطلاقه، ولذلك قال الحافظ ابن حجر: ويؤيد التعميم – يعني التحريم تحريم والتصوير مطلقا دون تفصيل – في ما له ظل وفيما لا ظل له ما أخرجه أحمد عن علي قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في جنازة فقال: «أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثنا إلا كسره، ولا قبرا إلا سواه، ولا صورة إلا لطخها». يعني أزالها ومحاها. وفيه ثم قال: «من عاد إلى صنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم –». قال المنذري: إسناده جيد، وأعم من ذلك أن يقال بأن النصوص مطلقة ولم يفصل بين ما له ظل وما ليس له ظل، فإذا كان هذا فيما صور صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان أنه أشد الناس عذابا، إذا صور مجرد صورة، فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين وشبهه بخلقه وصرف له شيئا من العبادة؟ لا شك أنه أشد الناس عذابا.

وفي قوله: («أشد الناس عذابا») قلنا: إشكال وهو أن المشركين والكفار أشد عذابا من المصورين، لأن المصور على مرتبتين، قد يكون كافرا وقد لا يكون، عرفنا أنه إذا فعل تصوير لأجل أن تعبد كفر، لأن من جوز الشرك قلنا: اعتقد ولو لم يفعل فهو مشرك. الثاني أنه اعتقد المشابهة أن يفعل مثل فعل الله تعالى قصدا كفر، إذا لم يقصد العبادة لا ذا ولا ذا فيكون ماذا؟ فاعلا كبيرة من الكبائر، فحينئذ كيف يقال بأنه أشد الناس؟

جوابه أن الحديث على تقدير من أي: من أشد الناس. يؤيده رواية: «إن من أشد الناس عذابا». يعني روي بهذا، وروي بذاك، وإذا كان كذلك فحينئذ لا إشكال، أشد الناس عذابا، من أشد الناس عذابا، إن من أشد الناس عذابا، وإذا كان من أشد بمعنى أنه بعض، ولا يلزم أن يكون هو الأشد، أو يقال إن الأشدية نسبية يعني الذين يصنعون الأشياء ويبدعونها أشدهم عذابا الذين يضاهؤون بخلق الله، يعني في هذا النوع كما سبق في الأظلمية، أو يقال: إنه من أحاديث الوعيد فتجرى على ظاهرها وهذا قاله أكثر السلف، أكثر السلف على القول بأن أحاديث الوعيد تجري على ظواهرها، ولا يلزم من ذلك أن ينص على كل حديث أنه يجري على ظاهره، لا، المراد به إذا مرت بك أحاديث الوعيد حينئذ أجرها على ظواهرها، ولا يلزم أنه ينقل في كل حديث أنه كذا وكذا حتى يقال قال به بعض السلف أو لم يقل به بعض السلف.

مناسبة الحديث للباب: أنه يدل على شدة عقوبة المصورين («أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهؤون

بخلق الله») هذا يدل على أن هذا الوعيد وعيد شديد، وهي عقوبة متعلقة بالمصورين.

وفيه أن التصوير محرم مطلقا، لماذا؟ لأن قوله: («الذين يضاهؤون») يعني المصورين، لماذا؟ لكونهم صوروا. إذا التصوير جاء مطلقا فيبقى على إطلاقه. وإن شئت قل: داء عاما فيبقى على إطلاقه. وكل تصوير اشتمل على هذه العلة قصد أو لم يقصد، ليس بينها فرق البتة، ففيه أن التصوير محرم مطلقا، وأنه مضاهاة لخلق الله تعالى، وهو محرم، بل كبيرة من الكبائر لثبوت الوعيد عليه، **والحكمة من** تحريمه المضاهاة بخلق الله تعالى، وفيه أن العذاب يوم القيامة يتفاوت بحسب الذنوب، دليله («أشد»)، إذا هناك من هو أخف من ذلك.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم»).

(ولهما) أي البخاري ومسلم («كل مصور في النار»)، («كل») هذه لفظ عام، يدل على العموم («كل مصور») هنا علق الحكم بماذا؟ بالمصور، والمصور مفعل، إذا مشتق أو لا؟ إذا كل مصور لأجل تصويره، العلة لكون ماذا؟ لكونه صور، وعلمنا مما سبق أن التصوير على نوعين:

- تصوير فيه روح.
- وتصوير ما ليس فيه روح.." (١)

"ثبوت ألم الأطفال

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [والإيمان بأن الأطفال إذا أصابهم شيء في دار الدنيا يألمون، وذلك أن بكر بن أخت عبد الواحد قال: لا يألمون، وكذب].

لا شك في أنهم يألمون والله تعالى له الحكمة البالغة في كون الأطفال يألمون، وكذلك الحيوانات تألم، وهي غير مكلفة، فلله **الحكمة في** ذلك.

ومن الحكم أن والد الطفل يبتلى بطفله الذي يمرض أو الذي يموت، فهل يصبر أو يتسخط.

يقول المؤلف: (وذلك أن بكر بن أخت عبد الواحد قال: لا يألمون، وكذب).

وبكر هذا يقولون: إنه من رءوس المبتدعة، ولم يذكر المؤلف ما شبهته، ويحتاج هذا إلى مراجعة كتب الفرق والنظر في شبهته، ولماذا قال لا يألمون، هل معنى ذلك لأنهم غير مكلفين فلا يألمون، والمقصود

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٠/٩٣

أن قول بكر بن أخت عبد الواحد لا أصل له؛ ولهذا قال المؤلف: (وكذب) أي: في قوله: إنهم لا يألمون، فالطفل يألم، فكما أن الكبير يألم فالصغير كذلك يألم.." (١)

"سبب اختيار عمر للعباس في التوسل

Q ما **الحكمة من** اختيار عمر رضي الله عنه للعباس؟

A يظهر لي والله أعلم أن ذلك لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو عم رسول الله، ولكبر سنه، ولما له من الفضل والقدر، ولا يمنع أن يكون لصلاحه ولقرابته، كل هذا وارد.." (٢)

"**الحكمة من** تخصيص أهل المدينة بالتنفل في البيوت

Q ما **الحكمة من** تخصيص أهل المدينة بأن تكون النافلة في البيوت؟

A لفضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم قادمون من بعيد، فهم بحاجة إلى أن يستزيدوا من فضل المسجد لمزيد الحسنات فيه، فالمقيمون في المدينة يصلون الفرائض في المسجد دائما فيشرع لهم أن يفعلوا كما يفعل النبي صلى الله عليه وسلم بأن تكون النافلة في البيوت أحيانا، أما القادم فهو مقيم لوقت مؤقت فالمشروع له أن يستزيد من الصلاة في المسجد، والغالب أن القادم ليس عنده بيت يتنفل فيه.

هذا الظاهر والله أعلم.

وأيضا هذا ينطبق على القادم إلى مكة، فإقامته في مكة محدودة، فيشرع له أن يستزيد من النوافل ويقضيها في المسجد الحرام.." (٣)

"إذا قوله: (بهذا التوحيد). (بهذا) جار ومجرور متعلق بقوله: (يبعث)، (لم يبعث) أن الله عز وجل نبيا كذلك ولا رسولا (بهذا التوحيد) الذي هو: توحيد الألوهية. (إلا) إلا للإثبات هنا لما بعدها، (إلا جعل له)، (له) أي: لذلك النبي. (أعداء) (جعل له) الجعل هنا قدري كوني كما في قوله تعالى: {وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا} [الحجرات: ١٣]. الجعل كالإرادة قد تكون كونية الإرادة وقد تكون شرعية، كذلك الجعل قد يكون قدريا كونيا وقد يكون شرعيا، وهذا الجعل هنا المراد به الجعل القدري الكوني لأن الله

---

(١) شرح كتاب السنة للبربهاري - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٢/٨

(٢) شرح كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ناصر العقل ١٢/١٣

(٣) شرح كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ناصر العقل ٨/٢٠

تعالى لا يحبه ولا يرضاه أن يعادى الرسل والأنبياء. إذا (إلا جعل) نقول: المراد بالجعل هنا الجعل القدري الكوني كما في قوله: {وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا}. قال سبحانه: {وهو الذي جعل لكم الليل لباسا} [الفرقان: ٤٧]. هذا الجعل قدري كوني، حينئذ لا يلزم محبته له جل وعلا لكنه مرتبط بالمشيئة، وقد يكون الجعل شرعيا حينئذ تلزم محبته له جل وعلا، فمما يحبه الله جل وعلا كما قال سبحانه: {جعل الله الكعبة البيت الحرام} [المائدة: ٩٧]. نقول: الجعل هنا شرعي وهو محبوب ومرضي له جل وعلا. {وجعلها كلمة باقية في عقبه} ... [الزخرف: ٢٨] نقول: الجعل هنا جعل شرعي وهو محبوب ومرضي لله عز وجل. إذا (إلا جعل) نقول: الجعل نوعان، والمراد بالجعل هنا الجعل الكوني القدري وهو مرادف للمشيئة، ولا يكون محبوبا له جل وعلا يعني: لا يلزم محبته. قد يكون كوني محبوبا وقد لا يكون، وأما الشرعي فلا يكون إلا محبوبا، (إلا جعل) يعني: لذلك النبي. (أعداء) جمع عدو، [وهو ما يسره ما يسره لا يسوؤه#٨,٣٨] يعني: الذي يسره ما يسوئه. ويسوئه ما يسرك، إن سرك شيء أساءه، وإن أساء إليك شيء سره، فهو على عكس مما تريده من نفسك {إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها} [آل عمران: ١٢٠] هذا شأن الأعداء. إذا (أعداء) المراد به هنا جمع عدو وهو ما ذكرناه سابقا (إلا جعل له أعداء) في كل زمان ومكان (كما قال تعالى: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن} [الأنعام: ١١٢]) قبل الاستدلال والنظر في الآية نقول: هذا الحكم عام في كل نبي ورسول لأنه قال: (لم يبعث نبيا). نبي هذا نكرة في سياق النفي حينئذ يعم، وكذلك من كان وارثا للأنبياء حينئذ لا يسلمون من الأعداء وهذا كما ذكرنا عام في كل زمان ومكان. **والحكمة في** جعل الأعداء للرسل والأنبياء والعلماء ليحصل الابتلاء والتمحيص، وليظهر نوره وترسخ قدمه. قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: " من أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين وبيان حقيقة أنباء المرسلين ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين ".." (١)

"يعني: لا يتمكن الدين ويظهر نوره وترسخ قدمه إلا إذا وجد الأعداء ووجد المعارضون، من أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين وبيان حقيقة أنباء المرسلين ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين، وذلك أن الحق إذا جحد وعورض بشبهات أقام الله تعالى له ما يحق به الحق ويبطل به الباطل، لأن الباطل لا بد ممن يقيمه، لا بد ممن يدعو إليه، وكذلك الحق لا بد ممن يقيمه وممن يدعو إليه، فإذا وقع الباطل

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٣/١٠

وحصل ووجد أدعياؤه وأولياؤه وكذلك الحق وجد وحصل ووجد أهله وأصحابه حينئذ لا بد من وقوع المعركة بين الحق والباطل، أقام الله تعالى له ما يحق به الحق ويبطل به الباطل من الآيات البينات لما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة. إذا **الحكمة من** وجود هؤلاء الأعداء – وهذا كما ذكرناه جعل قدري يكون في كل زمان ومكان، الجملة التي نعبر بها هي: حصول الابتلاء والتمحيص. لأنه لا بد من الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ولا بد من وجود حزبين حزب الله تعالى وحزب الشيطان، ولذلك ظهر أو ذكر ابن السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره في قوله تعالى: {بل نقذف بالحق على الباطل} [الأنبياء: ١٨]. قال رحمه الله: " يخبر تعالى أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل ". تكفل سبحانه وتعالى بإحقاق الحق وإبطال الباطل، هذه الجمل وهذه التعبيرات من أهل العلم والنصوص من الوحيين تجعل المؤمن في راحة واطمئنان ولا ينزعج إذا وجد صولة وجولة لأهل الباطل، وإنما النصر إنما يكون لأهل التوحيد وأهل الحق. يخبر تعالى أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وإن كان باطل يعني: وجد باطل. وإن كان باطل قبل وجودل به فإن الله ينزل من الحق والعلم والبيان ما يدفعه فيضمحل، يذهب يزول، ويتبين لكل أحد بطلانه، هذه سنة إلهية الله، عز وجل تكفل بحفظ الدين، فما من باطل إلا ويجعل الله عز وجل من الحق وأهل الحق ما يدحض ذلك الباطل، {فإذا هو زاهق} فإذا فجائية {فإذا هو زاهق} أي: مضمحل. فإن هذا عام يعني: إحقاق الحق وزهوق الباطل عام في جميع المسائل الدينية، لا يورد مبطل شبهة عقلية ولا نقلية في إحقاق باطل أو رد حق إلا وفي أدلة الله من القواطع العقلية والنقلية ما يذهب ذلك القول الباطل ويقمع، فإذا هو متبين بطلانه لكل أحد، وهذا يتبين باستقراء المسائل مسألة مسألة، فإنك تجدها كذلك. إذا الحكم عام سواء كان في البدع المتعلقة بالتوحيد أو بالبدع المتعلقة بالفروع فالله عز وجل ما من باطل يقيمه أصحابه إلا وجعل في الكتاب والسنة وأهل الحق المتمسكين بالكتاب والسنة من يقمع تلك البدعة في كل زمان ومكان.." (١)

"إذا الحاصل نقول: الله عز وجل (لم يبعث نبيا بهذا التوحيد إلا وجعل له أعداء) قلنا: هذا عام في كل زمان ومكان، **والحكمة من** ذلك هو حصول الابتلاء والتمحيص. (كما قال تعالى: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا} [الأنعام: ١١٢]). قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى وكما جعلنا لك يا محمد أعداء يخالفونك ويعادونك ويعاندونك – هذه

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٤/١٠

وظيفة الأعداء - لا يقبلون الحق وإنما العناد شأنهم والمخالفة والمعاداة ({جعلنا لكل نبي}) من قبلك أيضا أعداء حينئذ فيه تسلية للنبي - صلى الله عليه وسلم - لأن هذه المعاداة لا تحزنه، وإنما شأن الأنبياء من قبلك كذلك ({جعلنا لكل نبي}) من قبلك أيضا أعداء فلا يحزنك ذلك كما قال تعالى: {ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا} [الأنعام: ٣٤]. وقال تعالى: {ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم} [فصلت: ٤٣]. وقال تعالى: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين} [الفرقان: ٣١]. هذا أمر أو أصل من الأصول التي مهد بها المصنف رحمه الله تعالى أن تلك الشبه التي تورد على أهل التوحيد ليست دليلا على ضعف معتقدهم أو أن دينهم يمكن أن يدخل عليه الخلل، لا، وإنما هي سنة إلهية. وقال ورقة بن نوفل - قال ابن كثير والقول له -: وقال ورقة بن نوفل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ". وهذا كما ذكرناه موجود في كتاب الله بل هو أمر محكم متفق عليه ولا خلاف فيه بين أهل العلم. وقوله تعالى: ({شياطين الإنس والجن}). بدل من قوله: ({عدوا شياطين}). شياطين بالنصب بدل من عدو، أي: لهم أعداء من شياطين الإنس والجن، والشيطان كل من خرج عن نظيره بالشر، ولا يعادي الرسل إلا شياطين من هؤلاء وهؤلاء يعني: من شياطين الإنس والجن قبحهم الله ولعنهم.." (١)

"وعن قتادة رحمه الله تعالى في قوله: {شياطين الإنس والجن}. قال: " من الجن شياطين. كأنه لم يجعله مرادفا له من الجن شياطين ومن الإنس شياطين {يوحي بعضهم إلى بعض} وقوله: {يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا}. أي: يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف. وسيأتي المصنف هنا رحمه الله تعالى ينص على أن من صفة هؤلاء الأعداء أو منهم من هو أهل فصاحة وحجج وعلم - كما سيأتي - يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف وهو المذوق الذي يغتر سامعه من الجهلة بأمره، يعني: من سمعه «إن من البيان لسحرا». يعني: إذا سمعه وما قد يكون حلاه بكلمات وزخرفه بمنطقه ونحو ذلك الجاهل يظن أنه حق لذلك الأمر، {ولو شاء ربك ما فعلوه} أي: وذلك كله بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيئته أن يكون لكل نبي عدوا من هؤلاء الإنس والجن، {فذرهم} أي: فدعهم. {فذرهم وما يفترون} أي: يكذبون. أي دع أذاهم وتوكل على الله في عداوتهم فإن الله كافيك وناصرك عليهم.

إذا استدل المصنف هنا رحمه الله تعالى بآية واحدة من عشرات الآيات التي تدل على أن الأنبياء قد جعل

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٥/١٠

الله عز وجل لهم أعداء من البشر من الإنس وكذلك من الجن، **والحكمة من** ذلك كما ذكرناه هي الابتلاء والتمحيص، وليكون ثم حزبين: حزب الله جل وعلا وهم أهل توحيده، وحزب الشيطان وهم أولياء الشيطان وناصروه.

(وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وحجج) هذا بيان عرفنا كأنه قعد لك أو أصل لك أصلا عام وهو: وجود الأعداء. ثم هؤلاء الأعداء هل هم عوام مقلدون فقط أم بعضهم علماء لأن الذي يورد الشبه ويجادل ويدافع ويؤلف ويكتب ويحذر إنما الأصل فيه إنما يكون من أهل العلم، حينئذ كونه من أهل العلم لا يلزم منه أن يكون محقا، قد يكون من أهل العلم ويكون مشركا، قد يكون من أهل العلم ويكون مبتدعا، قد يكون من أهل العلم ويكون في ضلال مبين، إذا قد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وحجج، قد يكون، وقد لا يكون، حينئذ الأعداء قسمان:

رؤساء، وأتباع.

رؤساء وهم: العلماء الذين يؤصلون الشبه ويردونها على أهل الحق.

وأتباع: وهم المقلدون، أتباع كل زاعق وناعق الذين يأخذون هذه الشبه ويروجونها بين الناس. نقول: هؤلاء كذلك ويكونون أعداء، فالحكم عام فليست العداوة للتوحيد أو للرسل والأنبياء والتوحيد وأهل التوحيد ليست خاصة بأهل العلم وإنما هي عامة في كل من أتى بقول مخالف سواء كان مؤصلا لهذا القول أو ناشرا له يعتبر عدوا للأنبياء، إذا أعداء التوحيد ... نوعان:

نوع مقلد فليست عنده حجج ولا بينة، وهذا شأن العوام، وهم أعداء يسمون أعداء.

والنوع الثاني: نوع على علم وحجج.." (١)

"(فإن قال) هذه شبهة رابعة (فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله) كما قال ذلك: (لا نشرك بالله شيئا). نفى (لا أعبد إلا الله)، (وهذا الالتجاء إليهم، ودعاءهم ليس بعبادة).

إذا هذا نوع جديد عنده خلل في فهم العبادة، ما هي العبادة؟ يعني: نقول: لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله، إذا لا يتوجه بعبادة إلا إلى الله تعالى، وقال سبحانه: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا} [النساء: ٣٦] إذا نفي الشرك شرط في صحة العبادة، {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا} نفي الشرك وعدم الوقوع فيه شرط في صحة العبادة، إذا لا معبود {واعبدوا الله}، {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} ... [الذاريات:

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٦/١٠

٥٦] إذا العبادة شأنها عظيم هي: مفهوم لا إله إلا الله، وهي **الحكمة من** خلق الإنس والجن، وكذلك أمر الله تعالى بها وجعل نفي الشرك شرطا في صحتها، إذا لها حقيقة شرعية أو لا؟

لا بد أن لها حقيقة شرعية، لأنه لا يمكن أن يقال بأن الله تعالى خلق الإنس والجن من أجل تحقيق هذه العبادة، ثم لم يبين تلك العبادة، لما يجعلها عقلية أو أمر عرفي ولا عقلي لماذا؟ لأن هذه العبادة عبادة شرعية، وليست بشيء مرده إلى العقل فخلق الإنس والجن ثم أمرهم بالعبادة {إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦] إلا لآمرهم وأنهاهم، وبين لهم عن طريق الرسل حقيقة هذه العبادة، فإذا كان الأمر كذلك حينئذ لا بد من وضع حد لهذه العبادة ليعلم أن هذا النوع وهذا الفرض إذا صدق عليه بأنه عبادة لا يجوز صرفه لغير الله، فإذا صرفه لغير الله تعالى حينئذ يكون قد وقع في الشرك الأكبر، والعبادة مطلقا قليلها وكثيرها، صرفها لغير الله تعالى شرك أكبر، ولو في نوع واحد. هنا قال: (أنا لا أعبد إلا الله). وهذا منقوض لما بعده لأنه قال: (لا أعبد إلا الله). هذا نفي وحصر، نفى العبادة عن غير الله وأثبتها لله وحده، نفى العبادة يعني: كونها حاصلة منه لغير الله وأثبتها لله وحده جل وعلا، ثم قال: (وهذا الالتجاء إليهم) الالتجاء ولا اللوذ. ... (ودعاءهم) دعاء لأصنام (ليس بعبادة)، إذا استثنى نوعا من أنواع العبادة وحكم عليه بأنه ليس بعبادة، وهو من أجل العبادات وهو: الدعاء. فلم يجعل الدعاء الذي توجهوا به إلى هذه المعبودات عبادة، وإذا كان الأمر كذلك إذا نفي عنه العبادة هل انصرف شيئا لغير الله؟ لم يصرف شيئا لغير الله فلم يقع في الشرك، لو سلم بأن الدعاء ليس بعبادة يسلم له أو لا؟

لا، لو سلم بأن الدعاء ليس بعبادة - على كلامه - هل يكون في كلامه خلل؟

لا، لا يكون في كلامه خلل. إذا من أين جاءه الخلل؟

في فهم معنى العبادة شرعا؟ وهل الدعاء عبادة أم لا؟." (١)

"إذا لا فرق بين أن يدعى الله عز وجل وحده في كونه عبادة، وبين أن يتوجه بتلك العبادة لغير الله جل وعلا من الأضرحة والأموات. (فإذا قال: نعم) ولا بد وأن يقول: نعم. بأن الله تعالى فرض عليك إخلاص العبادة (فقل له: بين له هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك) يعني: تطلب منه أن يفسر لنا العبادة، لأن الشبهة قائمة على خلل في مفهوم العبادة، فسر لنا هذه العبادة، ستقول بأن الله تعالى أوجب عليك إخلاص العبادة، ما هي هذه العبادة؟ كما يقال بأن الله تعالى أوجب عليك

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٣/٥

الصلاة، ما هي هذه الصلاة؟

أوجب عليك الصيام ما هو هذا الصوم؟ الحج؟ الزكاة؟ .. إلى آخر تلك العبادات، لا بد من حقائق شرعية، لا بد أن يفسرها لأن من شرط التكليف في المكلف به أن يكون معلوما، لا بد أن يكون معلوما شرط، فإن لم يكن معلوما انتفى التكليف، لأنه من تكليف ما لا يطاق، وهو محال، كيف يأمر الله عز وجل بصلاة {وأقيموا الصلاة} ثم لا يبينها هذا محال أن يقع، لماذا؟ لكون الصلاة مأمورا بها لا بد من إحداث، لا بد من فعل، لا بد من أقوال، ما هي هذه الأقوال؟ ماذا يصنع؟ ماذا يفعل؟ لا شيء، حينئذ نقول: الأمر وجوده وعدمه سواء ولا تكليف بمحال، فإذا أمر بالعبادة قال: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله} [البينة: ٥]. إذا مأمورون بالعبادة، وقال: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦] إذا **الحكمة من** الخلق الإنس والجن هي تحقيق العبادة في آيات كثيرة، حينئذ نقول: ما هي هذه العبادة؟ فسرها فلا يخلو حاله من أحد أو من واحد من ثلاثة أحوال:

إما أن يقول: لا أدري.

وإما أن يقول: أدري، أعلم. حينئذ هذا صنفان الثاني، إما أن يفسرها تفسر صحيح وهذا بعيد ليس معنا هنا، لأنه لو فسرها تفسير صحيحا وافق الشرع ولا ما جعل الدعاء دعاء الأموات ليس بعبادة، وإما أن يفسرها تفسيرا خاطئا فيقع عنده خلل في مفهوم العبادة. وهذا الذي هو يكون معنا هنا.

إذا لا يخلو من ثلاثة أحوال: إما أن يفسر العبادة بمعناها الصحيح وهذا بعيد لأنه قد جعل الالتجاء إلى الأموات ودعاءهم ليس بعبادة.

وإما أن يقول: لا أدري. وينكر عليه كيف تنكر شيئا لا تدري، لأنه ينكر هو ما أورد الشبهة إلا من أجل الإنكار على من دعاه إلى التوحيد، بل ويدعي (أنا لا أعبد إلا الله) كيف تقول: (لا أعبد إلا الله). وأنت ما تعرف العبادة؟ نقول: هذا فيه بعد، دعوى شيء ليس لها وجه.

الثالث أن يخطئ في تفسيرها وهذا هو الذي أقام عليه صاحب هذه الشبهة.

بين له المصنف العبادة بمثالين، قلنا: ترك التعريف لأنه لا يحسن في هذا المقام، لأن غالب هؤلاء جهال لا يعرفون معنى العبادة، ولا يعرفون معنى لا إله إلا الله التوحيد، ولا يفرقون بين الإله والرب، ولا يعرفون حال العرب الذين بعث فيهم النبي – صلى الله عليه وسلم –، لا يعرفون شيء من هذه الأمور، وإنما لجأوا

إلى أقوال من سبقهم ومن أصل لهم هذه المسائل، وصاروا كالببغاوات يرددون ما أورد في الكتب تلك.." (١)

"نقول: هذان الأمران لا بد من معرفتهما الوصف أولا ثم الحكم، والحكم يؤخذ من الكتاب والسنة، وأما الوصف فيؤخذ من الشرع ومن الواقع نفسه، لأن أشياء تدرك بالحس مما نقله أرباب التاريخ عن وصف أحوال قريش ونحوه ثم ما جاء ذكره في الكتاب كما قال تعالى: {قل من يرزقكم من السماء والأرض} [يونس: ٣١]. بين أنهم أقروا بتوحيد الربوبية، ثم وجدنا بعض الصفات التي نقلها أرباب التاريخ تؤيد ذلك. قال: (أرسله الله إلى أناس). أخرج به ماذا؟ أخرج الجن والملائكة، لكن ليس هذا مقصودا من المصنف رحمه الله تعالى وإلا فالإجماع قائم على أن النبي عليه الصلاة والسلام أرسل إلى الجن كما أنه أرسل إلى الإنس، وهل أرسل أيضا إلى الملائكة؟ هذا محل نزاع بين أهل العلم، وأما إرساله إلى الجن فهذت قد نص عليه الكتاب {قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن} [الجن: ١]، وجاء {وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين} [الأحقاف: ٢٩] ... إلى آخر الآيات التي دلت على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد بلغ الجن فآمنوا به ثم ولوا إلى قومهم منذرين، (أرسله الله إلى أناس) إذا والجن كذلك لكن نص المصنف هنا رحمه الله تعالى على الأناس وهو [واحد أو] (١) اسم جمع لا واحد له من لفظه وإن قيل بأن الإنسان واحد لكن هذا ليس بصواب، فالأناس الذين بعث إليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت لهم أوصاف وكانت لهم أحوال، هل يعرفون الرب جل وعلا أو لا؟ هل لهم عبادات أو لا؟ ماذا كانوا يفعلون مع هذه التماثيل والأصنام؟ ما الذي صرفوه إلى هذه الأصنام؟

أسئلة لا بد من الإجابة عليها، بعضها نعرفه من الشرع، وبعضها نعرفه من الحس والنقل التاريخي، (أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله) وفي بعض النسخ (كثيرا) هذه الجملة تدل على أنهم ليسوا أهل فترة، من أرسل إليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - كانوا يعرفون إبراهيم عليه السلام، وينتمون إلى رسول من الرسل، وعندهم نوع عبادات، وهي كثيرة جدا، وهي كثيرة، نأخذ من هذا أنهم ليسوا أهل فترة، وأهل الفترة من هم؟

قالوا: هم الذين وقعوا بين رسولين لم يدركوا الأول ولم يدركهم الثاني. لم يدركوا الأول بمعنى أن الأول قد

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٤/١٤

أرسل بشرع ثم أندرس ذلك الشرع ولم تبق لهم معالم ولا أثر، فحينئذ إذا وجد أناس لم يسمعوا بذلك الرسول ولم يعرفوا شريعته حينئذ نقول: هؤلاء لم يرسل إليهم الأول، ما أدركوه حسا ولم يدركوا شرعه، ثم بعث - ماتوا - وبعث بعده رسول هل أدركهم الرسول؟ قالوا: لا، إذا وقعوا بين منزلتين بين رسولين وهذا وإن قال به كثير من أهل العلم إلى أن بعضهم - بعض المحققين من السلف وغيرهم - أنكر وجود ما يسمى بأهل الفترة، وإن وجد بعضهم كالأصم ونحوه مما دل الحديث على أنه يبتلى ويختبر لكن بهذه الصفة وجود قوم بين رسولين هذا ظاهر النصوص والله أعلم رده، لماذا؟

لأنه ينافي أصول قطعية:

أولا: ما الحكمة من خلق الخلق؟

(١) سبق.." (١)

"عبادة الرب جل وعلا، قال سبحانه: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦]. إذا لم أخلق الخلق من الجن والإنس إلا لحكمة واحدة وهي عبادتي وإفرادي بالتوحيد، وهؤلاء القوم إذا جوزنا أنهم وجدوا ثم لم يأتوا بالحكمة التي خلقوا من أجلها، هل يكون هذا منافيا للنص أو موافقا؟

إذا وجد قوم ولم يعبدوا الله لم يرسل إليهم رسول ولم يعرفوا الله تعالى، حينئذ قالوا: هؤلاء أهل فترة، يعني: انقطاع عن الرسل لم يصل إليهم أي رسول، نقول: هذا إذا أثبتناه هل يتعارض مع ظاهر قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}. الظاهر أنه منافي له، لأن الآية دلت على أنه ما من إنس يوجد في هذه الحياة إلا والحكمة منه من خلقه وإيجاده تحقيق العبادة لله عز وجل حينئذ سيرسل الرب جل وعلا من يبلغه هذه العبادة لأننا قررنا أمرين من الآية {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} هذه العبادة ليست عقلية وليست بأمور عرفية ولا بهوى وتقاليد ونحو ذلك وإنما مبناها على الوحي والذي يأتي بالوحي من؟ الرسل، حينئذ إذا أمروا بالعبادة تعين أن يرسل إليهم رسل، فإذا جوز وجود قوم بدون عبادة وبدون رسل، نقول: هذا منازع ومناف لظاهر هذه الآية، ثم النصوص القطعية {ولقد بعثنا في كل أمة} عام فيحتاج إلى مخصص لإخراج بعض القوم الذين لم يرسل إليهم رسل، {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} [فاطر: ٢٤] أعلى صيغ العموم بل هو صريح ونص في العموم وبعض الأصوليين يرى أن هذا النوع لا يمكن تخصيصه،

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٤/٥

لأنه مناقض لأصل الزيادة {وإن من أمة} إن شرطية، {من} زائدة، {أمة} هذه ليست شرطية إن هذه نافية بمنزلة ما {وإن من أمة إلا} لوجود إلا نحكم بأن إن هذه نافية وليست بشرطية، إذا نكرة في سياق النفي وزيدت عليها من فهو نص في العموم، وإذا كان كذلك حينئذ لا يمكن العدول عن ظاهره إلا بنص واضح بين، إذا جوزنا ماذا؟ التخصيص في مثل هذه المواضع، {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} فإثبات أمة لا نذير فيها الذي هو حقيقة أهل الفترة نقول: هذا معارض لهذا النص. {رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} [النساء: ١٦٥] وسبق معنا أن المواثيق ثلاثة:

الميثاق الذي أخذ من ظهر آدم عليه السلام.

ثم ميثاق الفترة. وهذان لا يعتبران حجة على الخلق.

ثم الميثاق الثالث: وهو الرسل والأنبياء. حينئذ كيف يحتج بأن لا يكون للناس حجة إذا هؤلاء لهم حجة أو لا؟

أهل الفترة لهم حجة أو لا؟." (١)

"وجوب التسليم لكلام الله وكلام رسوله

وقبل أن نشرع في شرح هذا الكتاب فإن بين يدي هذا الكتاب ضوابط قدمها لنا الشيخ رحمة الله عليه وقواعد هامة في الأسماء والصفات، قال رحمه الله: القاعدة الأولى: في الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة وأسماء الله وصفاته، وملخصها أنه يجب على كل إنسان أن يعلم أن الله أنزل الكتاب بلسان عربي مبين، ولو علم رجل أعجمي رجلا عربيا هذا القرآن ما خرج إلينا بهذه الفصاحة، وفائدة قولنا: بلسان عربي مبين: أن كل عربي يفقه عن الله مراده من ظاهر كلامه جل في علاه.

قال الله تعالى: {تنزيل العزيز الرحيم} [يس:٥]، وقال: {نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين} [الشعراء:١٩٣ - ١٩٥] وقال: {إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون} [يوسف:٢]، **فالحكمة من** كونه عربيا لعلكم تعقلون ما يقال لكم؛ لأنه نزل بلغتكم، فالواجب في كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم أن نأخذ ظاهر اللفظ ولا نحرفه ولا نؤوله.

فنسلم لكلام الله، ونسلم لكلام رسول الله، ونسلم لأحكام الله، ونسلم لأحكام رسول الله، فمثلا: يقول الله جل في علاه: {يد الله فوق أيديهم} [الفتح:١٠]، فيجب علي أن آخذ ظاهر كلمة (اليد) على ما

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٦/٤

هي عليه ولا أقول: هي النعمة، ولا أقول هي القدرة، ولا أأولها ولا أحرفها.

ولله أصابع؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ظاهر كلامه عندما قال اليهودي: (إن الله يحمل الأشجار على هذا ويشير إلى أصابعه، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم مقرا كلام اليهودي)، فظاهر هذا اللفظ أن لله أصابع، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قلب بني آدم بين إصبع من أصابع الرحمن)، أو (بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء) سبحانه جل في علاه، فهنا أثبت النبي صلى الله عليه وسلم في ظاهر قوله أن لله أصابع، فالواجب علي أن أسلم لكلام النبي وأقول: لله أصابع، ولا أقول: هي القدرة أو هي النعمة.

وأيضا قال الله تعالى عن سفينة نوح: {تجري بأعيننا} [القمر:١٤]، واللغة العربية معنى العين معلوم فيها، وقد قال الله لموسى: {ولتصنع على عيني} [طه:٣٩]، فالواجب علي أن أقول: كلمني ربي بلساني وهو لسان عربي مبين، فيجب علي أن أمرر هذه اللفظة على ظاهرها، يقول الله له يد فأثبت له يدا، ويقول له عين فأثبت له عينا، ويقول له ساق فأثبت له ساقا، قال الله تعالى: {يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون} [القلم:٤٢].

فأمرر قول الله على ما هو عليه بنفس المعنى العربي المبين، والذي يحرف أو يؤول فيقول: اليد القدرة، ويقول: العين الرعاية، فهذا محرف لكلام الله جل في علاه، ويقع تحت التحذير الشديد الذي حذرنا الله منه، وهو: {وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون} [البقرة:١٦٩]، وقد قال الله تعالى محذرا لعباده: {ولا تقف ما ليس لك به علم} [الإسراء:٣٦]، فإذا قال الله عن نفسه: إن الله يضحك، فلا تقل: يرحم بل قل: إن الله يضحك.

ولذلك جاء بعض الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أخبر أن الله يضحك فقال: (يا رسول الله! ما الذي يضحك الرب؟ قال: أن تخلع درعك)، يعني: تظهر الشجاعة والصدق، وتدخل على العدو تقاتل من أجل الله فتقتل مقبلا غير مدبر، قال: (يضحك ربنا من ذلك؟ قال: يضحك ربنا من ذلك، فخلع درعه ثم قال: لن نعدم خيرا من رب يضحك)، فقد علم أن الله يضحك، ولازم الضحك أنه سيثيب عباده الذين ضحك لهم.

يقول الله: {ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل} [الفيل:١ - ٣]، محمد عبده رحمه الله وغفر له زلاته من مدرسة العقلاء مدرسة الاعتزال الذين

يقدمون العقل على النقل، يقول –طبعا الكلام للغرب لأنهم لا يمكن أن يستوعبوا أن الله يرسل طيرا بحجر فيقتل الأمة بأسرها– فقال: طير أبابيل معناه الجدري، ومرة أخرى يقول: المد والجزر، فأول وحرف كلام الله، فبدل أن يكون بلسان عربي مبين جعله أعجميا فأوله وحرفه، وكأنه بلسان حاله يقول: ربنا ليس هذا الكلام الذي نعقله عنك، الكلام هذا ليس بصحيح، وكأن كلام الله جل في علاه في كتابه لا يعقله أحد من العرب، والله أنزله بلسان العرب.

إذا: الضابط الأول في كلام الله وكلام الرسول: التسليم التام لكلام الله وكلام الرسول كما أننا نسلم لأحكام الله وأحكام الرسول.." (١)

"القبر أول منازل الآخرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون} [آل عمران:١٠٢].

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا} [النساء:١].

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما} [الأحزاب:٧٠ - ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

القبر أول منازل الآخرة، ومن سعد في قبره فالسعادة أكمل وأتم في الآخرة، ومن كان عليه الأمر شاقا جدا فهو أشق وأشد وأنكى في الآخرة، كما وصلنا عن عثمان بسند صحيح أنه بين أن القبر أول منازل الآخرة، فإن كان يسيرا فما بعده أيسر، وإن كان شاقا كان ما بعده أشق على الإنسان، فعلى الإنسان أن يستعد لدخول هذا المكان الضيق، فإن القبر هو البيت الذي سيكون مبيته حتى يوم القيامة، والقبر له فتنة، والكلام عن القبر من وجهين: الوجه الأول: الفتنة التي تكون في القبر، وهي ثابتة بالكتاب وثابتة بالسنة، أما بالكتاب

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٣/١

فبالإشارة، وأما بالسنة فبالتصريح، والفتنة هي سؤال الملكين للرجل، يأتيان إليه فيقعدانه فيسألانه: من ربك؟ ما دينك؟ ماذا تقول في الرجل الذي بعث فيكم؟ وهي ثابتة في الكتاب، قال الله تعالى: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء} [إبراهيم:٢٧]، هذا التثبيت لا يكون إلا عند محل الفتنة، والفتنة معناها: الاختبار، والحكمة من الفتنة: هو اختبار صدق هذا المقبور الذي مات على مسمى الإسلام هل هو بحق وبصدق أسلم لله واستسلم لأوامر الله، وكان مصدقا بوعد الله ووعيد الله وبوعد النبي وبوعيد النبي صلى الله عليه وسلم أم لا؟ فيختبر اختبارا شديدا عندما يوضع في قبره، ويضم عليه، ويفتن فيه فتنة شديدة.

قال الله تعالى: ((يثبت الله))، وهذه بشارة من أهم البشارات لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما علموا بفتنة القبر وارتجفت قلوبهم، بشرهم الله بالتثبيت، اللهم اجعلنا من الذين تثبتهم في القبر يا رب العالمين، قال تعالى: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة} [إبراهيم:٢٧]، والقبر أول منازل الآخرة، فالتثبيت في أول منازل الآخرة هو أن يطلق لسانه، وأن يقول: ربي الله ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم وديني الإسلام، والدلالة من السنة الصريحة على فتنة القبر حديث أسماء رضي الله عنها وأرضاها (تفتنون في قبوركم قريبا من فتنة الدجال)، تفتنون أي: تسألون، وفسرها حديث النبي صلى الله عليه وسلم الطويل الذي رواه البراء عندما يدفن المرء يولي عنه أصحابه ومن معه ويسمع قرع نعالهم، فإن الملكين يأتيانه فيسألانه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فيقعدانه فيسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ وماذا تقول في النبي الذي بعث فيكم؟).." (١)

"الناجون من فتنة القبر

ففتنة القبر تعني السؤال في القبر، والحكمة من هذه الفتنة: اختبار صدق هذا الميت، والحكمة هذه تجعلنا نتكلم عن مسألة مهمة: هل هناك أحد يعفى من هذه الفتنة ومن هذا الاختبار الشديد؟ نقول: الاستثناءات لا تكون إلا بدليل؛ لأنها من الغيبيات، إذا: نقول: هل هناك أحد يعصمه الله من هذه الفتنة؟

A الذين عصموا من هذه الفتنة هم الشهداء، جعلنا الله جميعا وإياكم من الشهداء الذين تراق دماؤهم تحت راية شريفة عفيفة كريمة لا تقبل إلا دما شريفا عفيفا كريما.

والشهداء من الخصال التي ميزهم الله عن غيرهم بها أنهم لا يفتنون في قبورهم، فلا يأتي الملك فيسأل

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٢/١٧

الشهيد: من ربك؟ ما دينك؟ ماذا تقول في هذا الرجل؟ وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم **الحكمة من** ذلك فقال: (كفى ببارقة السيوف فتنة)، فهذه دلالة على أنهم ببارقة السيوف قد باعوا أنفسهم صدقا لله جل في علاه، فأظهروا صدقهم ببيع النفس رخيصة من أجل إعلاء كلمة الله جل في علاه، فكوفئوا جزاء وفاقا وأجرا طباقا أنهم لا يختبرون في قبورهم؛ لأنهم قد بينوا صدقهم في هذه الدنيا فأعقبهم خيرا عميما وهو عدم السؤال في القبر، اللهم اجعلنا من هؤلاء الأموات.

وكذلك لا يتعرض لفتنة القبر من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة، وهؤلاء أيضا من الذين يعدهم الله بالنجاة من عذاب القبر، وكذلك الصادقون.

وهناك مسألة مهمة جدا وهي: أن الشهيد لا يسأل لأنه قد أظهر صدقه، وكذلك الصديق لا يسأل في قبره؛ لأنه أعلى درجة من الشهيد؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم بين فضل الشهادة؛ لأنه قد أظهر صدقه لله وباع نفسه رخيصة، والصديق: هو الذي ما أتاه أمر من أوامر الله أو أمر من أوامر النبي صلى الله عليه وسلم إلا وصدق به، فهو المقدم في أن يؤمن الفتنة ولا يسأل في قبره، نظرا للحكمة.

فالحكمة في سؤال المرء الذي يختبر هو اختبار الصدق، والشهيد قد بين صدقه، فمن باب أولى ألا يسأل الصديق؛ لأنه قد أظهر صدقه في هذه الدنيا، فقياسها قياس أولى وجلي، والأسلم والأحوط أن نبقى مع الأدلة، وندور معها حيث دارت، فنقول: أبو بكر الصديق على العموم يمكن أن يسأل في القبر مع أنه صديق هذه الأمة؛ لعموم الأدلة عن النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم لما استثنى الشهيد لم يستثن الصديق، فالصحيح الراجح: أن نقف عند الأدلة، إذا: فتنة القبر يسلم منها ستة أعلاهم أو سيدهم هو الشهيد.." (١)

"ما يحاسب عليه الإنسان من الأفعال

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره). ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: (وقني شر ما قضيت).

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره وفعل نواهيه، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله الحجة علينا بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالى: {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل}

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٣/١٧

[النساء:١٦٥].
ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحدا على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة، قال الله تعالى: {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها} [البقرة:٢٨٦].
وقال الله تعالى: {فاتقوا الله ما استطعتم} [التغابن:١٦].
وقال تعالى: {اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم} [غافر:١٧]، فدل على أن للعبد فعلا وكسبا يجازى على حسنه بالثواب وعلى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره].
هذا المقطع هو ثمرة الكلام عن القدر، وفيه تفصيل المسألة التي أشرت إليها سابقا، وهي مسألة الدائرة التي يحاسب عليها الإنسان في أمور المقادير والأفعال، وذلك أن مقادير العباد وأفعالهم على درجتين:
الدرجة الأولى: غيبية لا دخل للإنسان فيها، لا من حيث العلم بها تفصيلا وبكيفياتها، ولا من حيث الجزاء والتكليف ونحو ذلك مما يتعلق بالمكلفين.
فهذه الدرجة ينبغي أن لا يعلق بها الإنسان أفعاله لا من حيث فعل الخير والشر، ولا من حيث المصير والجزاء.
والدائرة الثانية هي محط النظر والتكليف، وهي التي ينبغي أن يتأملها الإنسان، ويتأمل نصيبه فيها، وما يجب عليه وما لا يجب أن يفعله.
أما الدائرة الأولى فهي أن الله عز وجل علم كل شيء، وكذلك أن الله كتب كل شيء، هذا أمر يجب أن يعلم ولا نتطلع إلى أكثر من العلم به جملة، فلا نتطلع إلى الكيفيات، ولا ننشئ على ذلك الأسئلة ولا الإيرادات، وليس لذلك علاقة مباشرة بتكليف العباد.
كذلك كون الله عز وجل هدى من شاء من عباده وأضل من شاء، وكون الله عز وجل كتب على كل إنسان أموره المتعلقة به من حيث عمره وأجله ورزقه وعمله على جهة التفصيل، كل ذلك يجب الإيمان به ولا نتطلع إلى أكثر من ذلك، وليعلم أن هذه الأمور لا ينبني على الإيمان بها إلا مجرد التسليم لله عز وجل، ومعرفة حكمته وعظمته وجلاله سبحانه، والاستدلال على عظيم أسمائه وصفاته وأفعاله.
وأيضا لا يتطلب من الإنسان أكثر من أن يخضع لله عز وجل ويسلم التسليم المطلق؛ لأنها أمور قدرت وانتهت من ناحية، والناحية الثانية منها محجوبة، الإنسان لا يعرف تفاصيلها أو مصير الأفراد فيها.
أما الدائرة الثانية فهي التي فيها التكليف وقامت بها الحجة، وهي: أولا: كون الله عز وجل أعطى المكلفين

عقولا يميزون فيها بين الخير والشر جملة، وبين الهدى والضلال جملة، وبين الحسن والقبيح جملة.
ثانيا: أن الله عز وجل أقام الحجة على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب وتبيين الشرائع التي فيها الأوامر والنواهي والحلال والحرام، وفيها كيف يعبد الله الإنسان، وفيها الوعد والوعيد، ثم بعد ذلك الله عز وجل حينما بين ذلك كله أقدر الإنسان على فعل الخير وأمره به، ووعده عليه وعدا حسنا، وأقدره على فعل الشر ونهاه عنه وتوعده عليه.
والدائرة الأخيرة: أن كل عاقل يدرك هذه الأمور ويعرف أنه يستطيع أن يفعل الخير، ويستطيع أن يفعل الشر، فلذلك قال الله عز وجل: {إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا} [الإنسان:٣].
وكذلك بين الله عز وجل: {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} [الكهف:٢٩]، بمعنى المشيئة التي تتعلق بأفعال العباد، لا المشيئة التي تتعدى إلى أفعال الله عز وجل.
وبناء على هذا فإن الإنسان إذا فكر في هذه الدائرة تفكير المتأمل المتعظ الباحث عن الحق، فإنه لا بد أن يهتدي، لكن إذا فكر في الدائرة الأولى وهي دائرة الغيب بأكثر مما ورد في النصوص؛ فإنه في الغالب لا يصل إلى نتيجة إلا مزيدا من الشكوك والأوهام، والأمور التي قد لا يتخلص منها.
فعلى هذا فإن على المسلم أن يفرق بين الدرجتين أو بين المرحلتين، أعني بين المسألة الغيبية التي مبناها على التسليم ولا نزيد عما جاء فيها من النصوص، والدرجة الثانية وهي مناط التأمل والتفكير والتدبر، ومحاولة الوصول إلى طريق السلامة، فإنه لا محيد للإنسان، الذي يريد النجاة أن يفكر في أن الله عز وجل أرسل الرسل، فيبحث عن **الحكمة في** ذلك، وعن الفائدة في ذلك، وأن الله أنزل الكتب، وبين الشرائع، وأحل الحلال وحرم الحرام، وأعطى الإنسان القدرة وهداه النجدين، وأن مصيره مرتبط بإرادته في هذه الأمور وبفعله، فلذلك أي إنسان لا يستطيع أن يختار الطريق المستقيم، إما لزوال." (١)

"عناصر الدرس

يبدأ من:

* المسألة الثانية والخمسون: القدح في حكمة الله تعالى.

وينتهي إلى:

* المسألة السابعة والستون: رمي الكفار المؤمنين بانتقاص الملك.

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد - ناصر العقل، ناصر العقل ١٧/٤

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

قال المصنف رحمه الله تعالى:

(الثانية والخمسون) أي: المسألة الثانية والخمسون، جوزنا في الدرس الماضي إعرابه وقلنا: مبتدأ أو خبرا لمبتدأ محذوف، أو صفة لموصوف محذوف هذا الموصوف هو خبره، وهذه المسألة الثانية والخمسون، هذا يجوز، ويجوز أن يكون معطوفا على المسألة الأولى، يعني: المسألة الأولى هذه تعرب الإعراب هذا، ثم المسألة الثانية يجوز فيها وجهان إما القطع وإما العطف يجوز فيها الوجهان والعطف أولى من القطع.

(الثانية والخمسون: القدح في حكمة الله تعالى) من قدح في عرض أخيه عابه، القدح بمعنى العيب، التنقص نقول وصف الله تعالى نفسه بالحكمة، ثم قال تعالى: {وهو الحكيم العليم} [الزخرف: ٨٤] من أسمائه تعالى الحكيم، وأسماؤه جل وعلا أعلام وأوصاف، وسمى نفسه بالحكيم وهو متضمن لصفة الحكمة، حينئذ نقول: وصف نفسه بالحكمة وسمى باسمه وسمى نفسه بالحكيم، والحكمة هي وضع الشيء في موضعه، الحكيم هو الذي يضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها، وضع الشيء في مواضعها اللائقة بها. قال في المفردات: والحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل. العقل هذا وصف للمخلوق، أما الله عز وجل لا يوصف بذلك. الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل، **فالحكمة من** الله تعالى معرفة الأشياء علمه بالأشياء هذا واضح بين، وإيجادها على غاية الإحكام، وهو المراد بقولنا: وضع الشيء في موضعه اللائق به، ومن الإنسان حكمة معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهذا هو الذي وصف به لقمان في قوله عز وجل {ولقد آتينا لقمان الحكمة} [لقمان: ١٢] ونبه على جملتها على مما وصفه بها، يعني: الحكمة هي التي شرحها بعد ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

والله تعالى وصف نفسه بالحكمة وأنه الحكيم وأن له الحكمة البالغة، والقدح كما مر الطعن والعيب، ولذلك قال في ((المختار)): من قدح في عرض أخيه عابه. فأهل الجاهلية من خصالهم وأوصافهم القبيحة أنهم قدحوا في حكمة الله تعالى إما بالطعن والتنقص، يعني: لمن أثبت شيئا من الحكمة لكنه أثبتها لا

على وجه الكمال هذا يسمى ماذا؟ طعنا وتنقصا لا يلزم منه نفي الحكمة، وإما بالنفي لها مطلقا فهم على نوعين:." (١)

"أولا: من نفى الحكمة مطلقا بأنها وصف لله تعالى، وقد سار بعض الطائفة المنتسبة للإسلام على هذا نفي الحكمة، وإما بالطعن والتنقص فيها مع إثباتها، كمن يعتقد أن الله تعالى يخلق لا لحكمة، من أفعاله جل وعلا الخلق يخلق لحكمة أو لا؟ نقول: يخلق لحكمة، لكن من اعتقد بأنه يخلق لا لحكمة حينئذ نقول: هذا نفى الحكمة من أصلها. أو يأمر جل وعلا وينهى لا لحكمة يأمر جل وعلا بأمر لا لحكمة، أو ينهى لا لحكمة، أو أنه تعالى يساوي بين المختلفات ويفرق بين المتماثلات، ولذلك ابن تيمية كثيرا ما يكرر ويقرر كذلك ابن القيم أن الشريعة لا تأتي بالتفريق بين المتماثلات بل بالتسوية بينهما، ولا يمكن أن تجمع بين المختلفات، فمن ظن أن الشرع قد فرق بين المتماثلات فهذا من خطئه في الفهم، ومن ظن أن الشرع قد سوى بين المختلفات هذا من خطئه في الفهم، أما الشريعة فلا تأتي بالتسوية بين المختلفات ولا بالتفريق بين المتماثلات. إذا من يعتقد أن الله تعالى يخلق لا لحكمة هذا باطل، أو أن الله تعالى يأمر بأمر ما أو ينهى بنهي ما لا لحكمة هذا باطل أو أنه تعالى يساوي بين المختلفات ويفرق بين المتماثلات، كذلك هذا باطل، هذه صور لنفي الحكمة عن الله تعالى، أو الطعن فيها، أو أنه يدين أعداءه على أوليائه إدانة مستمرة، يعني: ينصر الأعداء على المسلمين على أوليائه إدانة مستمرة، أما الإدانة غير مستمرة هذه موجودة حتى في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أما الإدانة المستمرة فهذه لا تكون البتة لأنه طعن في حكمة الله تعالى ولا يكون الأمر كذلك، وكمن يعترض على شرائعه وما أنزله على رسله وغير ذلك، هؤلاء كلهم بهذه الصور المتعددة يعتبروا طعنوا في حكمة الله تعالى، وقد بين الله مذهبهم مع رده في كتابه العزيز في آيات كثيرة. قال تعالى: {وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا} [ص: ٢٧] يعني: لا لحكمة بل لحكمة، ذلك أي: كونه جل وعلا خلق السماء والأرض وما بينهما لا لحكمة {ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار * أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض} [ص: ٢٧، ٢٨]. تسوية بين مختلفين، المؤمنون والكفار لا يمكن أن يسوى بينهما البتة، وهذا في هذه الآية جمع أمرين:

الأول من طعن في حكمة الله عز وجل بأنه خلق: {السماء والأرض وما بينهما باطلا}، قال: {ذلك ظن

(١) شرح مسائل الجاهلية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١/١١

الذين كفروا}، {أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار}؟ لا، لا يكون ذلك البتة؛ لأنه تسوية بين مختلفين، وهذا مناف لحكمة الله تعالى.." (١)

"التسليم التام لظاهر كلام الله ورسوله

يجب على كل إنسان أن يعلم: أن الله أنزل الكتاب بلسان عربي مبين؛ لكي يفقه كل عربي عن الله مراده من ظاهر كلام الله جل في علاه، قال الله تعالى: {وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين} [الشعراء:١٩٢ - ١٩٥].

ويقول تعالى: {إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون} [يوسف:٢]، **والحكمة من** كونه عربيا أن تعقلون ما يقال لكم؛ لأنه نزل بلغتكم.

إذا: فالضابط الأول: أن نأخذ بظاهر اللفظ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن نسلم لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فمثلا قوله تعالى: {يد الله فوق أيديهم} [الفتح:١٠]، ظاهر اللفظ أن لله يدا، واليد عند العرب معناها اليد التي بها يكون البطش، فإذا كانت معلومة يجب علينا أن نأخذ بظاهرها، فتبقى كلمة اليد على ما هي عليه في اللغة، ولا يجوز تأويلها بالنعمة أو القدرة؛ لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين وقال: {يد الله فوق أيديهم} [الفتح:١٠].

ولله سبحانه وتعالى أصابع، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحمل الأشجار على ذه،، ويشير إلى أصابعه)، وأقر النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي على أن لله أصابع، وجاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه أنه قال: (قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء) سبحانه جل في علاه.

فهنا أثبت النبي صلى الله عليه وسلم أن لله أصابع، فالواجب علينا أن نسلم لكلامه صلى الله عليه وسلم، ولا نؤول الأصبع بالنعمة أو القدرة.

وقال الله تعالى عن سفينة نوح: ((تجري بأعيننا))، فالعين معلومة في اللغة العربية، ومعنى ذلك أن لله عينا، وقد قال الله لموسى: {ولتصنع على عيني} [طه:٣٩]، فالواجب أن يمر هذا اللفظ على ظاهره، وقال الله تعالى: {يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون} [القلم:٤٢] فله سبحانه وتعالى ساق.

---

(١) شرح مسائل الجاهلية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢/١١

إذا: فالضابط الأول أن نمرر قول الله على ما هو عليه بنفس المعنى العربي المبين، ومن أول (اليد) بالقدرة و (العين) بالرعاية فقد وقع في ما حذر الله منه بقوله: {وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون} [البقرة:١٦٩] وقوله: {ولا تقف ما ليس لك به علم} [الإسراء:٣٦]، ولا يجوز كذلك أن نؤول الضحك بالرحمة، ونقول: إن الله يضحك: أي يرحم، فقد جاء أحد الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أخبر أن الله يضحك، فقال: يا رسول الله! ما الذي يضحك الرب؟ (قال: أن تخلع درعك) يعني: تظهر الشجاعة والصدق، (أن تخلع درعك وتدخل على العدو تقاتل من أجل الله فتقتل مقبل غير مدبر) قال: يضحك ربنا من ذلك؟ قال: يضحك ربنا من ذلك، فخلع درعه ثم قال: لن نعدم خيرا من رب يضحك)، فقد علم ذلك الصحابي أن الله يضحك، ولازم الضحك أنه سيثيب عباده الذين ضحك لهم.

قال الله تعالى: {ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل} [الفيل:١ - ٣].

قال محمد عبده رحمه الله وغفر له زلاته -وهو من المدرسة العقلانية مدرسة الاعتزال، وهم يقدمون العقل على النقل- يقول: إن معنى طيرا أبابيل أي الجدري، ومرة أخرى يقول: المد والجزر، فأول وحرف كلام الله، وبدلا من أن يفسره بلسان عربي مبين جعله أعجميا فأوله وحرفه، وكأنه بلسان حاله يقول: ربنا! ليس هذا الكلام الذي نعقله عنك بصحيح، فكأن كلام الله جل في علاه لا يعقله أحد من العرب، والله أنزله بلسان العرب.

إذا فالضابط الأول: التسليم التام لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.." (١)

"كيفية التعبد لله بصفة الحكمة

وحكمة الله جل في علاه لا بد أن يستحضرها المرء في قلبه، يرى عطاء الله فيقول: إن الله لم يعط فلانا إلا لحكمة، ولم يمنع فلانا إلا لحكمة، ولم يرفع أقواما ولم يخفض آخرين إلا لحكمة، ولم ينزع الملك من أقوام إلا لحكمة، ولم يؤت الملك لأقوام آخرين إلا لحكمة جليلة عظيمة، ألم تر أن الله قد عاب على من رد حكمة الله فيقول مثلا: خلقت وما أدري لم خلقت؟! ومن أين جئت؟! أو أين أذهب؟! قال الله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦]، واللام هنا تسمى لام تعليل، ويعبدون من الأفعال الخمسة التي تنصب بحذف النون، وهذه النون ليست نون الرفع وإنما هي نون الوقاية.

---

(١) صفات الله وآثارها فى إيمان العبد، محمد حسن عبد الغفار ٣/١

إذا: الحكمة من الخلق العبادة، وكأن الله جل وعلا يقول: خلقت الجن والإنس لأمر جسيم، ولأمر مهم، وهو العبادة، ولذلك استنبط العلماء من هذه الآية أن الجن مكلفون: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦].

فحكمة الله لا بد أن ينظر لها العبد حتى يتعبد بها لله جل في علاه، ولا بد أن ينظر في أفعال الله ويقول: ما كانت إلا عن حكمة لله جل في علاه.

فهذا يصل بالمرء إلى ألا يتسخط على أقدار الله، كما فعل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأرضاه؛ فإنه كان يصبح وهمه في قدر الله، ولذا قال: ما فرحت بشيء إلا فرحت بقدر الله جل في علاه.

والعبد إذا استحضر حكمة الله فيما يتنزل عليه من بلايا ومن سراء وضراء ومن خير وشر فإنه ستكون عاقبته إلى خير، وقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)، فنصف الدين الشكر، والنصف الآخر هو الصبر، ويتقلب العبد بين الشكر والصبر بنظره إلى حكمة الله، وأن أفعال الله خاضعة لحكمته جل في علاه، فينظر إلى الواقع الذي عاشه الصحابة وهم يطبقون هذه الصفة تعبدا لله، فانظر هل خلق الله عز وجل إبليس عبثا أم لحكمة؟ إن الله ما خلق إبليس إلا لحكمة، وهذا يمنع المرء من أن يتسخط على أقدار الله، ويمنع المرء من الشطط ومن الغلو والجفاء، فلا يكون في باب القدر قدريا ولا جبريا، والفرق بين الجبرية والقدرية: أن القدرية قالوا: العبد يخلق فعل نفسه، والله لا يخلق فعل العبد، وأما الجبرية فقالوا: إن الله خلق أفعال العباد جميعا، وكلهم مطيع وعاص تحت أمر الله جل في علاه، فكلهم مجبورون لله جل في علاه، ولذلك قالوا: ألقاه في اليم مكتوفا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء فإذا تعبد العبد بصفة الحكمة لله جل في علاه لن يوافق القدرية، ولا الجبرية؛ لأنه سيرى أن الله جل وعلا حكيم عليم، هدى أناسا بحكمته وعلمه وفضله، وأضل أناسا بحكمته وعلمه وعدله، كما قال عز وجل: {فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة} [النحل:٣٦].." (١)

"نبذ الإسلام للحزبية والعصبية الجاهلية

قال سبحانه وتعالى: {لا تجد قوما يؤمنون بالله} [المجادلة:٢٢] يعني: لا يمكن أن تجد مؤمنا حقق الإيمان، {واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم}

---

(١) صفات الله وآثارها فى إيمان العبد، محمد حسن عبد الغفار ١٠/٧

[المجادلة:٢٢]، فلا رابطة نسبية أقرب من رابطة الآباء، والأبناء والإخوان والعشائر، ومع ذلك أخبر أنهم يعادونهم لو كانوا ممن يحاد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وقال عز وجل: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض} [التوبة:٧١]، وقال: {إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم} [الحجرات:١٠]، وقال: {فأصبحتم بنعمته إخوانا} [آل عمران:١٠٣]، هذه الآيات وأمثالها تدل على أن النداء بأي رابطة غير الرابطة الإسلامية -كالرابطة القومية مثلا- لا يجوز، وهو ممنوع بإجماع المسلمين، ومن أوضح الأدلة على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار -يعني: ضربه على مؤخرته- فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فسمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا؟ فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار! -يعني: يستنصر بالأنصار على أخيه- وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعوها فإنها منتنة).

فقول هذا الأنصاري: يا للأنصار! وقول هذا المهاجري: يا للمهاجرين! هو النداء بالقومية العصبية، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (دعوها فإنها منتنة) يقتضي وجوب ترك النداء بها، ويقتضي تحريم أن ينادي الإنسان بنداء الجاهلية، وبدعاوى الجاهلية؛ لأن قوله: (دعوها) أمر صريح بتركها، والأمر المطلق يقتضي الوجوب كما هو معلوم من الأصول كما قال عز وجل: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم} [النور:٦٣]، ودل هذا على أن مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم معصية محرمة، وأكد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر بقوله: (دعوها فإنها منتنة) حيث وصف هذا الأمر بالنتن، فالنداء بالقوميات أو العصبيات دعوة منتنة، فالدعاوى القومية أو العربية أو الفرعونية أو أي شيء من هذه الدعوات الجاهلية إنما هي دعاوى جاهلية منتنة، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بترك هذه الألقاب التي أشرف الألقاب: المهاجرين والأنصار، وهي ممدوحة في القرآن أعظم المدح، وأخبر الله عز وجل أنه رضي عن المهاجرين والأنصار، وامتدحهم الله سبحانه وتعالى، وامتدحهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سنته الشريفة في كثير من المواضع، فنهى عن هذه الألقاب التي هي من أشرف الألقاب إذا كان من باب الدعاوى الجاهلية أو في صورة عصبية.

وكذلك الأمر بالنسبة لمسميات الجماعات الإسلامية في أي بلاد، وفي أي مكان، فأي اسم -حتى ولو

كان اسما شريفا- إذا تحول من معناه البريء المشروع إلى الحزبية والعصبية، فإنه من دعوى الجاهلية التي أمرنا باجتنابها، فلو أن السلفيين مثلا تنادوا باسم السلفية، وانطبق عليهم هذا المعنى الجاهلي البغيض، فيقال لهم: دعوها فإنها منتنة.

وهكذا غيرهم من الجماعات الإسلامية إذا استخدموا هذه الألقاب في العصبية، أو خالفت الجماعة الشرع، أو قالت: من لم يكن معنا فهو علينا وينبغي أن نحاربه، فكل هذه دعاوى جاهلية ينبغي التنزه عنها، والبراءة منها ومن فعل أصحابها، لكن إذا استخدم اللفظ بمعنى صحيح، فلا حرج فيه، كما استخدم لقب المهاجرين والأنصار فيما بينهم، وهذا لا حرج فيه، لكن مهما شرف هذا اللفظ، حتى لو كان لقب المهاجرين والأنصار، لو صار سببا لتعزيز الدعاوى الجاهلية التي تفصل عرى الإسلام، وتثير النزعات الجاهلية بين المسلمين؛ فيقال لأصحابها: دعوها فإنها منتنة.

فدل هذا الحديث -وهو قول النبي عليه الصلاة والسلام: (دعوها فإنها منتنة) - على تحريم التنادي بالعصبيات القومية أو القبلية أو غيرها؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالترك.

وأيضا دل على تحريم التنادي بهذه العصبيات؛ لأنه وصفها بالشيء المنتن، والله سبحانه وتعالى يقول: {الخبيثات للخبيثين} [النور:٢٦] و (الخبيثات) من الصفات والأفعال (للخبيثين).

ويقول سبحانه وتعالى: {ويحرم عليهم الخبائث} [الأعراف:١٥٧]، وأيضا وصفها بأنها من دعوى الجاهلية، وقال في بعض الروايات: (أبدعوى الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم؟!)، فدعوى الجاهلية محرمة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية)، فتبرأ النبي صلى الله عليه وسلم ممن يدعو بدعوى الجاهلية، وفي رواية أخرى: (ليس منا من ضرب الخدود، أو شق الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية)، فهذا صريح في تحريم الدعاء بدعوى الجاهلية سواء الوثنية الفرعونية القومية وغير ذلك، وهذه الأدلة كلها تدل على التحريم الشديد لهذه النعرة العصبية.

ومما يدل على تحريم الحزبية قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا)، عزاء الجاهلية هو: التنادي بنداء الجاهلية، يعني يرفع دعوى الجاهلية: يا قبيلة فلان، يا أصحاب فلان تعصبوا وتحزبوا لمن كان من قبلكم -أي: من بلادكم- ضد الشخص الآخر، وهذا حتى ولو كان ظالما، فإنهم يظاهرونه، فهذا هو التعزي بدعوى الجاهلية، وهو التنادي بألقاب الجاهلية، وبتحزبات الجاهلية.

فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من تعزى بعزاء الجاهلية، فأعضوه بهن أبيه).
يعني: قولوا له: اعضض هن أبيك، والمقصود العورة، وهذا من السب الشديد، وإنما استحقه لأنه أتى فعلا شديدا، وهو التعزي بعزاء الجاهلية، وإحياء النعرات الجاهلية، قال: (ولا تكنوا) يعني: لا تستخدموا الكناية لهذا الترهيب، ولكن أعضوه بهن أبيه باللفظ الصريح عقوبة له على تجروئه على إحياء دعوى الجاهلية، وهذا يدل على شدة قبح هذا النداء، وشدة بغض النبي صلى الله عليه وسلم له.
ومن هم رؤساء وزعماء هذه الدعوى الجاهلية؟ هم: أبو جهل، وأبو لهب، والوليد بن المغيرة ونظرائهم من رؤساء الكفرة؛ وذلك لأنهم تنادوا بهذه الدعوى القومية حينما {قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا} [المائدة:١٠٤]، {قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا} [البقرة:١٧٠]، وأمثال ذلك من الأقوال التي تمسكوا فيها بما كان عليه الآباء وإن كانوا على ضلال مبين.
ورفع هذه الدعوات أيا كان اسمها هي عبارة عن نداء إلى التخلي عن دين الإسلام، ورفض الرابطة السماوية رفضا باتا، حتى لو نادى من ذلك بروابط عصبية قومية مدارها على أن هذا من العرب فناصره وهذا من العجم فنعاديه مثلا، والعروبة لا يمكن أن تكون خلفا من الإسلام، واستبدالها به صفقة خاسرة، كما قال الرازي: بدلت بالجمة رأسا أزعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا كما اشترى المسلم إذ تنصرا وقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه أن الحكمة في جعله بني آدم شعوبا وقبائل هو التعارف فيما بينهم، وليست لأن يتعصب كل شعب على غيره، وكل قبيلة على غيرها، قال جل وعلا: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا} [الحجرات:١٣] والمعنى: لتتعارفوا، حذفت إحدى التائين، فالتعارف هو العلة المشتملة على الحكمة.
ونحن لا ننكر أن المسلم قد ينتفع بهذه الرابطة العصبية، لكن هو لا ينادي بها، كما في قوله تعالى: {أو آوي إلى ركن شديد} [هود:٨٠]، وكما نصر النبي صلى الله عليه وسلم أبو طالب، وإنما كان دافعه إلى هذه المناصرة وجود الرابطة النسبية، وقال تعالى: {قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك} [هود:٩١].
إذا: قد ينتفع الإنسان بهذه الأمور وهذه الرابطة، ولكن لا ينادي بها في الدعوات الجاهلية.
{قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون} [النمل:٤٩].." [١]

---

(١) عقيدة الولاء والبراء - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٣/٣

"مسائل مستفادة من حديث معاذ في بيان حق الله على العبيد وحق العبيد على الله

يقول الشيخ بعد أن ذكر هذا الحديث: فيه مسائل يعني فوائد يذكرها في الباب: المسالة الأولى: **الحكمة في** خلق الجن والإنس.

أي: لماذا خلق الله الجن والإنس؟ قال: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦] فإذا: أنت مخلوق في الدنيا لعبادة الله بالمعنى الأعم، وليس المعنى أنك مخلوق من أجل أن تصلي فقط، فتظل الليل والنهار تصل أو لأجل أن تصوم فقط لا، ولكن تعبد الله سبحانه وتعالى بكل أنواع العبادة، سواء كانت معاملات، أو أحوالا شخصية، فتعبد الله سبحانه في كل شيء بتنفيذ ما أمر وبالبعد عما نهى الله سبحانه وتعالى عنه.

المسألة الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين وقعت فيه، فكان يقول لهم: (قولوا لا إله إلا الله) يا بني عبد مناف يا بني فلان، يا بني فلان، فلما اجتمعوا عليه قال: قولوا كلمة واحدة أضمن لكم بها الجنة، قالوا: نقول عشر كلمات، تريد ماذا؟ قال: قولوا: لا إله إلا الله، فقالوا: إلا هذه، ففهم المشركون منها ما لم يفهمه الكثير من الناس، فقد فهموا أن لا إله إلا الله معناها التزام بشيء بعد ذلك، وطالما أن هناك التزاما فلن نقول هذه الكلمة، يقول الحافظ ابن حجر: اقتصر على نفي الإشراك بالله لأنه يستدعي التوحيد، لا تشرك بالله يعني اعبده وحده لا شريك له سبحانه، ويستدعي إثبات الرسالة باللزوم، فلن نعرف التوحيد الخالص، ولن نعرف ما يريده الله لنعبده به إلا بأن نصدق النبي صلى الله عليه وسلم فنتبع ما يقوله صلوات الله وسلامه عليه.

إذا: كلمة التوحيد أصل الأصول، وعند وفاة أبي طالب كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: (يا عم قلها كلمة واحدة، أشهد لك بها عند الله، فقال: والله لوددت يا ابن أخي أن أقر بها عينك، لولا أن يقولوا: خاف الموت)، إن لم تخف من الموت فستخاف من ماذا؟ كل الخلق يخافون من الموت، فهو خاف أن يقولوا: خاف من الموت، وشاء الله عز وجل أن يختم له بالكفر، فمات على ذلك فصار من أهل النار كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم.

المسألة الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله.

من لم يأت بكلمة التوحيد لا إله إلا الله ومقتضى ذلك: توجيه كل العبادة إلى الله سبحانه وتعالى وفيه معنى قوله: {قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد} [الكافرون:١ - ٣]

أي: أنا أعبد الله سبحانه، وأنتم تعبدون مع الله غيره فأنا لا أعبد ما تعبدون ولستم أنتم على التوحيد الذي أنا عليه ولا أنا عابد في المستقبل ما أنتم عليه ولا أنتم ستعبدون ما أعبد وأنتم على هذا الحال لكم دينكم ولي دين.

المسألة الرابعة: **الحكمة في** إرسال الرسل عبادة الله، وتعريف العباد بحق الله سبحانه وبما يحبه الله سبحانه ,وتعالى وما يبغضه، وتعريف العباد بمنهج الله وشرائعه.

المسألة الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة، والنبي صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الخلق جميعهم صلوات الله وسلامه عليه، وكل نبي كان يبعث إلى قومه خاصة، فالله عز وجل لم يترك أمة من الأمم إلا وأرسل إليها من يعلمها رسولا كان أو نبيا وجاء النبي صلى الله عليه وسلم فكان للخلق جميعهم.

المسألة السابعة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت وهو قوله سبحانه: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى} [البقرة:٢٥٦] وشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي الكفر بالطاغوت والتخلي عن جميع ما يعبد من دون الله سبحانه وتعالى، فلا ينفع الإنسان أن يقول أنه يعبد الله ويعبد غير الله معه فقد كان المشركون يقولون: نعبد الذي ينفعنا ويضرنا في السماء ومعه غيره فلم تنفعهم هذه العبادة.

المسألة الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله سبحانه فذكرنا من أصنافه الشياطين، والذي يبدل شرع الله سبحانه، ومن يستحل الحكم بغير دين الله سبحانه، والكاهن والساحر والعراف كلهم من الطواغيت.

المسألة التاسعة: عظم شأن الآيات المحكمات الثلاث في سورة الأنعام التي بدأها الله عز وجل بالنهي عن الشرك.

المسألة العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها بقوله: {لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا} [الإسراء:٢٢]، إلى آخره.

المسألة الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق بدأها الله عز وجل بقوله: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا} [النساء:٣٦].

المسألة الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته بعبادة الله، وأن من عبد الله سبحانه تبارك وتعالى استحق أن يكون في الجنة.

المسألة الثالثة عشرة: معرفة حق الله علينا.

المسألة الرابعة عشرة: معرفة حق العباد على الله عز وجل إذا أدوا حقه بالتوحيد فإن الله عز وجل يدخلهم الجنة.

المسألة الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

يعني: النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بها معاذا، وأخبر بها أبا هريرة وعرفها عمر رضي الله عنه، وعرفها البعض ولكن الكثيرون لم يعرفوها، حتى لا يتكلوا على هذه الكلمة وهذه كلمة عظيمة وسبب لدخول الجنة ولكن مع معرفة مقتضى هذه الكلمة.

المسألة السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة، فيكتم العلم لعدم فهم الناس له مثلا وغيرها من المصالح، فكان أحيانا يكتم الشيء للمصلحة ولكن لا يكتمه عن الجميع، إنما يكتم عن البعض كهذه الكلمة التي أخبر بها النبي بعضا من أصحابه ولم يخبر الجميع خوفا من أن يتكلوا وإن جاءت أحاديث كثيرة عنه صلى الله عليه وسلم في قول من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، مثل قوله: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة أصابه قبل ذلك ما أصابه) لكن ينبغي أن توضح أنه ليس بمجرد كلمة لا تفهم معناها بل عليك أن تعرف معناها ومقتضياتها حتى تستحق ذلك.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره كما بشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أو معاذا بذلك.

المسألة الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة رب العالمين، والله رحمته واسعة، فلو أن إنسانا قال: أنا لن أصلي ولن أزكي ولن أعمل شيئا لأن الله رحيم فنقول له: الله هو الذي أخبر: {نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم} [الحجر:٤٩ - ٥٠] فلا تأخذ جزءا من الآية وتنسى الباقي، فالله غفور رحيم وهو شديد العقاب قال: {إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدئ ويعيد * وهو الغفور الودود} [البروج:١٢ - ١٤] فبطشه شديد وهو الغفور الودود، فتأخذ بالقرآن كله وليس ببعضه.

المسألة التاسعة عشرة: قول المسئول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم، أو يقول: لا أعلم، أو يقول: لا أدري.

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض، إذ ليس كل علم يعرفه كل الناس، ولكن قد يعلم البعض ما يفهمون ويعلم الآخرون الذي يفهمونه أيضا.

المسألة الحادية والعشرون: تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوبه الحمار، وأحيانا كان يركب البغل صلوات الله وسلامه عليه وأحيانا يركب الجمل.

المسألة الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة وهذا إذا كانت الدابة مطيقة، وإذا كانت لا تطيق فلا يجوز.." (١)

"مراتب القدر

القدر كثرت النزاعات والشبهات التي ترد على المسلم فيه، سواء كان شبهات ذاتية تنشأ من وساوس الشيطان، أو من التخييل أو من أحلام بعض الأمراض النفسية وغيرها؛ لأن الإنسان أكثر ما يتعرض في مسألة الغيبيات من وساوس القدر، سواء كانت شبهات ترد من الآخرين، أو مما يسمع أو مما يقرأ، أو شبهات تنشأ من نفسه أو من عبث الشيطان به.

فلذلك سأركز على الممارسات الخاطئة تجاه القدر؛ خاصة فيما يتعلق بالأوهام والوساوس، فأولا: ينبغي لكل مسلم أن يعتقد أن الله قدر كل شيء، فكل شيء هو بتقدير الله الخير أو الشر، وبعض المسلمين يتساءل وهذا السؤال ينشأ عنه ضلالات وقعت فيها أمم كبرى في التاريخ كالمجوسية وطوائف من أهل الكتاب وغيرها من الأمم الضالة الكثيرة التي أخطأت في تصور معين، حيث زعموا أنه لا ينسب تقدير الشر إلى الله عز وجل زعما منهم أن هذا لا يليق، وما علموا أن هذا استنقاص لله عز وجل؛ لأنه ما دام الشر موجودا فلا بد أن يكون له موجد، فإذا ما كان الله عز وجل أوجده ابتلاء وفتنة فيكون هناك خالق آخر مع الله، وهذا لا يقر به عاقل ولا صاحب فطرة سليمة ولا يمكن أن يرد في ذهن الإنسان.

فالإيمان بالقدر يعني أن الله عز وجل قدر كل شيء، وهو خالق كل شيء، لكن لماذا قدر الخير والشر؟ ولماذا لم يقدر الخير كله؟ هذا لحكمة بعضها ظاهر وبعضها غير ظاهر، أما الظاهر فيتبين بمثل قوله عز وجل: {ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون} [الأنبياء:٣٥] فهذا ابتلاء وامتحان؛ ليميز الله الخبيث من الطيب، ولذلك فإن الله عز وجل قرر هذا باستنهاض الفطرة واستنهاض العقل السليم في أسئلة ومقدمات عقلية مبسطة سهلة جدا تقرر عند الإنسان التمييز بين الحق والباطل، وتقرر عند الإنسان **الحكمة من** الله عز وجل في التمييز بين الشر والخير، وأن الله عز وجل أوجد هذا وهذا ليميز الخبيث من الطيب، مثل قوله عز وجل: {أفنجعل المسلمين كالمجرمين} [القلم:٣٥]، وكقوله عز وجل: {أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون} [السجدة:١٨]، ثم إن الله عز وجل أعطى الإنسان بفطرته الفوارق بين الخير من حيث منشأه ومن حيث الوقوع فيه، ومن حيث نتيجته، وبين الشر من حيث منشأه والوقوع فيه ونتيجته،

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - حطيبة، أحمد حطيبة ٦/٢

قد يجدها كل صاحب فطرة، وهذا عند كل إنسان حتى الذين لا يلتزمون الأديان نجد عندهم بقايا من ثوابت عقلية وفطرية يميزون فيها بين الخير والشر بين الرذيلة والفضيلة، ويدركون أن هناك حكمة من وجود هذا وذاك، فلو لم يوجد الشر لم يتميز الخير، ولو لم يوجد الباطل لم يتميز الحق والهدى وهكذا إذا: يرجع ذلك كله لحكمة القدر خيره وشره من الله عز وجل، وأن الله عز وجل مقدر كل شيء، وأنه ينبني على وجود الإيمان بجميع مراتب القدر الأربع، وبهذا تكتمل عند المسلم القناعة التامة واليقين التام إن شاء الله في أن الله بيده مقاليد كل شيء، وذلك راجع إلى المراتب الأربع التي هي: أن تؤمن وتجزم بأن الله عليم بكل شيء، فهو بكل شيء عليم سبحانه ما كان وما يكون وما سيكون لو كان كيف يكون، عليم بالدقيق والجليل لا تخفى عليه خافية سبحانه، عليم ليس بما في الصدور فقط، بل حتى بذات الصدور، وهي أعمق مما في الصدور، فهو لا يخفى عليه شيء {ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير} [الملك:١٤] وهذا أمر بدهي، ثم بعد ذلك أن الله كتب مقادير كل شيء: الخير والشر، ثم إن الله عز وجل شاء كل شيء وأراده، فكل شيء فهو بمشيئة الله وإرادته، ثم إن الله خالق كل شيء هذه المراتب الأربع إذا استشعرها المسلم وغرسها في قلبه يسلم من كثير من قرائن الشبهات في القدر، ووساوس الشيطان.

ثم إن من أساسيات القدر أن تعلم أنه عز وجل لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، أي: لا يتعقبه أحد، ولا أحد يقول: لماذا، وكيف؟." (١)

"**الحكمة من** خلق الجن والإنس." (٢)

"**الحكمة من** خلق الجن والإنس

نحن اليوم مع صفة من صفات الكمال والجلال لله جل في علاه، وقد قدح فيها أهل الجاهلية، ولا يزال الجاهليون الذين يعيشون في عصرنا يقدحون في هذه الصفة وهي: صفة الحكمة لله جل في علاه، وكما قلت: ما قدر الله قدرا إلا وفيه حكمة، وما أمر أمرا إلا وفيه حكمة، وما نهى عن شيء إلا وفيه حكمة، فالله جل في علاه ما خلق الخلق بأسرهم إلا لحكمة، قال الله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦]، فهذه حكمة بليغة جسيمة، وهي عبادة الله جل وعلا والتذلل والمسكنة والتضرع له جل في علاه.

---

(١) مجمل أصول أهل السنة، ناصر العقل ٩/١٤

(٢) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ٢/٤

وقال الله تعالى: {أيحسب الإنسان أن يترك سدى} [القيامة:٣٦] أي: لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب على ما يفعل، لا والله لابد أن يعلم أن المآل والمرجع إلى الله جل في علاه؛ ليجازي الله جل في علاه من عمل صالحا بإحسانه ومن أساء بما فعل، قال الله تعالى: {إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون} [يونس:٤].

فالله جل في علاه من حكمته البالغة: أن خلق الخلق ليعبدوه، ثم الثواب والعقاب على ذلك.." (١)

"**الحكمة من** خلق السماوات والأرض

قال الله تعالى: {وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين} [الدخان:٣٨] فحاشا لله، بل خلقها لحكمة بليغة.

ثم قال سبحانه: {ما خلقناهما إلا بالحق} [الدخان:٣٩].

وأيضا قال في الآية الأخرى: {لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين} [الأنبياء:١٧].

وأيضا يقول الله جل وعلا: {ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى} [الأحقاف:٣]، فإن الله جل وعلا ما خلق الخلق إلا لعلة ولحكمة جسيمة.." (٢)

"**الحكمة من** قطع يد السارق

أيضا هناك طوائف يردون شرع الله، فهذا أبو العلاء المعري يعترض على الشرع في الحكم بقطع يد السارق، فيقول: أليس إذا قطعت اليدان ففيهما الدية كاملة، وإذا قطعت اليد اليمنى أو اليسرى فقط ففيها نصف الدية، بينما هذه اليد التي قيمتها نصف الدية (خمسون من الإبل) لو سرقت ربع دينار، وربع الدينار لا يساوي شيئا مقابل الخمسين من الإبل تقطع في ربع دينار؟! أقول: هذا الأعمى الذي أعمى الله بصره وبصيرته يقدح في حكمة الله، وكأنه يقول: هذه الأحكام متناقضة، فكيف يجعلها مرة بخمسين من الإبل وتقطعها في ربع دينار فهذا تناقض؟! نقول: هذا كفر مبين، ولذلك رد عليه بعض العلماء وقال له: إنها لما

---

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ٢/٥

(٢) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ٢/٦

عفت شرفت فكان قيمتها خمسين من الإبل، لكن لما سرقت احتقرت وذلت، فقطعت في ربع دينار.
فهذا رد على هذا الذي يتغابى ويقدح في حكمة الله جل وعلا.." (١)

"**الحكمة في** قتل القاتل

بعض الطوائف ظهرت لنا في هذه العصور وهي تقولون: القصاص: إن القتل، أو قطع اليد، أو الرجم حتى الموت، هذه وحشية، وهذا ليس بدين، بل هذا دين قبائل البربر.

فنقول: هؤلاء يردون حكم الله وشرعه، وهذا قدح في حكمة الله جل في علاه، ويقولون: ما الفائدة عندما تقطع يد من سرق ربع دينار، وتعطل الرجل من يده فلا يكتسب، لكن لو أخذته وهددته ونصحته ثم جعلته يعمل بهذه اليد لأفدت المجتمع، واستفاد الرجل بعد ذلك بالمال وعف نفسه ولا يسرق؟ ويقولون: إن شرع الله جل في علاه لا يصح لهذه القرون التي نعيش فيها، نقول: هذا قدح في حكمة الله جل في علاه، ونحن نرد عليهم بأمر جلي، قال الله تعالى بالنسبة للقتل: {ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب} [البقرة:١٧٩]، فهناك حكمتان في القصاص: الحكمة الأولى: أن الإنسان إذا علم أنه إن قتل فسيقتل فإنه سيقول: وأنا لم أضيع حياتي بحياة غيري؟ فليكن له ما له ولي حياتي، فلا يقدمن على القتل.

الحكمة الثانية: أنه إن أقيم عليه الحد واقتص منه في الدنيا فلا يسأل عن ذلك يوم القيامة؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (فمن ارتكب من هذه الدناءات وهذه المحرمات شيئا فعوقب به -يعني: أقيم عليه الحد- في الدنيا فهو كفارة له) أي: لا يسأل عنها يوم القيامة.

إذا: فقتل النفس التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: (إن الله جل في علاه يقسم بعزته: لو تمالأ أهل السماوات وأهل الأرضين على قتل دم مسلم لأكبهم الله في النار ولا يبالي) هذا يدل على عظمة دم المرء المسلم عند الله جل في علاه، ومع ذلك فإن الله لا يحاسبه إذا قتل به قصاصا، فجعل الله له المخرج يوم القيامة.

وأيضا نفس الأمر في قطع اليد، فالشخص إذا سرق فقطعت يده ورأى الناس ذلك، فإنهم لا يقدمون على السرقة، وتجد الواحد يقول: تقطع يدي بربع دينار لا والله! بل أحفظها حتى لا تهون ولا أهون ولا أحتقر بين الناس، فيلتزم بشرع الله جل في علاه، وهذه حكمة بالغة.." (٢)

---

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ٢/١٠

(٢) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ٢/١١

"**الحكمة من** إعطاء الرجل مثل حظ الأنثيين في الإرث

أيضا من هذه الطوائف التي تأخذ بقول الجاهلية: الذين يتنطعون على دين الله جل في علاه ويقدحون في حكمة الله ويقولون: كيف نجعل للذكر مثل حظ الأنثيين في الإرث، وهناك من النساء من هن أفضل من الرجال؟ فليست من الحكمة أن تجعل للذكر مثل حظ الأنثيين.

فنقول: هذا قدح في حكمة الله جل في علاه، ونقول لهؤلاء البله السفهاء: لو نظرتم نظرة ممحصة في أحكام الله جل في علاه وعلمتم أنكم عبيد لله لما قلتم إلا سمعنا وأطعنا؛ لأن الكمال المطلق لله جل في علاه، وأفعال الله كلها كمال، فالرجل يتحمل أعباء كثيرة، يتحمل أعباء المهر والصداق للزوجة، ويتحمل بعد ذلك النفقات على الزوجة والأولاد، ويتحمل بعد ذلك النفقات على الوالد والوالدة، ويتحمل الدية، وأما المرأة فلا تشارك العاقلة في دفع الدية، وإنما المرأة تجلس في بيتها ملكة.

بهذا يتبين أن من الحكمة أن يأخذ الرجل ضعف المرأة.." (١)

"**الحكمة من** مشروعية تزوج الرجل بأكثر من امرأة بخلاف المرأة

أيضا هناك من يقدحون في حكمة الله في مسألة تزوج الرجل بأربع نسوة، بينما المرأة ليس لها إلا رجل واحد، فيقولون: جعلتم للرجل أربع من النساء، ولم تجعلوا للمرأة أربعة من الرجال، والنساء أكثر من يطالبن بهذا.

فنقول: إن لله حكما عظيمة من هذا التشريع علمها من علمها وجهلها من جهلها، الحكمة الأولى: حفظ الأنساب، ودليل الأمر بحفظ الأنساب قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره)، فلو جامع الرجل امرأة وخصب البويضة وجاء رجل يجامعها بعده فإن السمع والبصر والقلب والعظام واللحم تتأثر بماء الغير، ولذلك ف علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما حدثت قصة الرجل الذي تزوج امرأة وغاب عنها وجاء الرجل الثاني فجامعها، فولدت الولد فأقرع بينهما؛ لأن هناك مشاركة في الولد.

الحكمة الثانية: أن الله جل وعلا قدر أن النساء تكون أكثر من الرجال، ففي الحديث: (في آخر الزمان يكون للخمسين من النساء القيم الواحد).

الحكمة الثالثة: غيرة الرجل، فإن من حكمة الله جل في علاه أن جعل الغيرة من الدين، فالرجل له أن ينظر

---

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ٢/١٢

إلى أكثر من امرأة، لكن لا يستطيع أن يتحمل أن امرأته تكون فراشا لغيره، ولذلك قال سعد بن عبادة قال: (يا رسول الله أنتظر حتى آتي بأربعة شهداء؟! والله لأعلونهم بسيفي، فقال صلى الله عليه وسلم: أتعجبون من غيرة سعد، والله إني لأغير منه، وإن الله أغير مني) وهذه من حكمة الله جل في علاه أنه ركب الغيرة في الرجال أشد منها في النساء.

الحكمة الرابعة: أن الله من حكمته البالغة أن جعل عاطفة المرأة لا تتجزأ.." (١)

"**الحكمة من** وقوع آدم في المعصية

لو أن أهل السنة والجماعة نظروا إلى الوراء إلى الأمم السابقة وإلى الأنبياء، ولو نظروا أولا إلى آدم لعلموا حكمة الله البالغة في أنه ترك المجال لآدم عليه السلام ليعصيه، فإن الله هو الذي فتح له الباب؛ لأن الله هو الذي يتحكم في العباد، ولو أراد الله ألا يعصيه أحد لما عصاه أحد، والدليل على ذلك من الكتاب قوله تعالى: {ولو شاء ربك ما فعلوه} [الأنعام:١١٢]، لكن الله جل وعلا لم يحفظ آدم وإنما جعله يأكل من الشجرة، فهذه من الحكم البالغة التي إذا تدبرها المسلم علم أن ربه جل في علاه حتى لو تركه للمعصية ما تركه إلا ليرفعه، فإن الله جل في علاه ترك إبليس يوسوس ويزين لآدم حتى أكل من الشجرة، ثم أنزل سبحانه آدم عليه السلام من الجنة دار النعيم إلى الدنيا دار الشقاء لحكمة بالغة، وهذه الحكمة البالغة هي أولا: توبة آدم عليه السلام، فلما تاب وأناب ارتفع درجة فوق الدرجة التي كان عليها: {فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم} [البقرة:٣٧].

ثانيا: أن الله جل في علاه لما أهبط آدم إلى الأرض علمه كيف يتعايش في الأرض، وكيف يخرج طعامه وشرابه، ثم جاء من نسله الأنبياء والمرسلون، بل أفضل الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم.." (٢)

"**الحكمة من** ابتلاء إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام

كذلك انظر إلى إبراهيم عليه السلام كيف أن الله جل وعلا ابتلاه، وما ابتلاه إلا ليرفعه، وليبين للناس الإكرام لإبراهيم.

إن الله ابتلى إبراهيم بلاءين من أعظم البلاءات: البلاء الأول: أنه بعدما بلغ معه الولد السعي أمره الله أن يذبح هذا الولد، وهذا البلاء من الله جل في علاه لنبيه لحكمة بالغة؛ حتى يخرج قمة الإيمان وقمة اليقين

---

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ١٣/٢

(٢) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ١٦/٢

والاستسلام لله جل في علاه التام، حتى إنه لما رأى الرؤيا لم يتراجع: {قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك} [الصافات:١٠٢].

ثم يظهر الله جل في علاه الاستسلام التام من إسماعيل عليه السلام، واليقين التام في الله جل في علاه، ويطأطئ رأسه ليذبح، والآخر يذبح ولده الذي انتظره بعد أمد بعيد، فالله جل في علاه بعد ذلك يفديه بذبح عظيم، ويقول: {قد صدقت الرؤيا} [الصافات:١٠٥] فارتفع إبراهيم، فجعل الله جل في علاه إبراهيم أبا الأنبياء، وجعل من ولد إسماعيل أفضل الخلق أجمعين وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم شرع لنا هذه الشعيرة العظيمة وهي الأضحية في العيد.." (١)

"**الحكمة من** ابتلاء نوح عليه السلام بتكذيب قومه له

أيضا نوح عليه السلام صبر صبرا عظيما بعدما كذبه قومه وأهانوه وسخروا منه وكادوا أن يقتلوه، فإن الله جل وعلا أقر عينه بعد هذا البلاء العظيم بهذه السفينة تجري على الماء، والماء يغرق الأرض بأكملها بمن فيها، ولم يبق إلا نوح عليه السلام، والذرية كلها من نوح عليه السلام.." (٢)

"**الحكمة من** ابتلاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن الله جل في علاه ما ابتلى العباد إلا ليرفعهم، وإلا ليظهر كرامتهم أمام الناس، فإن الله جل في علاه ابتلى قوما قالوا: آمنا بالله وبرسوله وصدقنا برسوله، فابتلاهم الله جل في علاه، فقد تكالبت عليهم الدنيا بأسرها، ورمتهم العرب عن قوس واحدة؛ ليميز بين الصفين، فقال المنافقون: {ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا} [الأحزاب:١٢]، وقال المؤمنون: {وصدق الله ورسوله} [الأحزاب:٢٢].

فهؤلاء لما صدقوا الله جل في علاه وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل كشف الله عن حسن إيمانهم ويقينهم بالله جل في علاه، وما ابتلاهم إلا ليرفعهم.." (٣)

"**الحكمة من** ابتلاء الرسول صلى الله عليه وسلم

لقد ابتلى الله النبي صلى الله عليه وسلم بأن جعل المشركين يضعون سلى الجزور على ظهره، وأن يهان وأن يسب في مكة، وما ذلك إلا ليمكن له في المدينة، ثم بعد ذلك تنتشر دعوته، ويقول النبي صلى الله عليه

---

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ٢/١٧

(٢) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ٢/١٨

(٣) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ٢/١٩

وسلم: (الله أكبر أعطيت مفاتيح كنوز كسرى وقيصر)، ويقول: (لا يترك الإسلام بيت مدر ولا وبر إلا ويدخله).." (١)

"**الحكمة من** نصر المشركين على المسلمين في بعض الغزوات

لما قال المنافقون: لم يجعل الله جل في علاه النصرة لأهل الكفر دون أهل الإسلام، قالها بعض المنافقين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وقالها بعض المعاصرين وهو محمد إقبال وغيره، أقول: هؤلاء رد الله عليهم بقوله: {ليميز الله الخبيث من الطيب} [الأنفال:٣٧] وقوله: {فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين} [العنكبوت:٣] وقوله: {وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين * وليعلم الذين نافقوا} [آل عمران:١٦٦ - ١٦٧] يعني: ليظهر الله جل في علاه في الدنيا فضيحة أو كرامة، ثم بعد ذلك الثواب الجزيل أو العقاب الشديد في الآخرة، فهذه حكمة الله البالغة.

فالعبد إذا نظر إلى ربه جل في علاه وتدبر أسماءه الحسنى وصفاته العلى علم أن الله جل في علاه لا يقدر عليه شيئا إلا والخير كل الخير في هذا الشيء، ولقد فقه ذلك صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان عمر يقول: أنا لا يهمني أصبحت على نعمة أم على بلية، إن كنت على نعمة فلها عبادة وهي الشكر، وإن كنت على بلية فلها الصبر، وفي كل خير.

وذلك لأنه يعلم أن الله ما ابتلاه إلا لحكمة بالغة فيها الخير له إن رضي واستسلم لربه جل في علاه.

وهذا عمر بن عبد العزيز كان يقول: ما أرى راحتي إلا في قدر الله.

يعني: أن سعادته في قدر الله جل في علاه، سواء كان مسرورا أو كان حزينا، فهو يعلم أن ما اختاره الله له أفضل مما أختاره لنفسه.

فسبحان الذي فوق السماء يدبر أمر عباده، وله في ذلك الحكم البالغة، وقد ظهرت لمن أظهرها الله له، وخفيت عمن أراد الله أن يخفيها عنه؛ ليرتفع الذي ظهرت له، وليخفض الله الذي لم تظهر له.

نسأل الله جل في علاه أن يجعلنا من الذين يتعبدون له بالاستسلام التام واليقين التام، وأن نحسن الظن به ولا نموت إلا على ذلك، ففي مسند أحمد بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء)، وفي رواية قال: (أنا عند ظن عبدي بي، فإن ظن بي خيرا فله، وإن ظن بي غير ذلك فله)، فنعوذ بالله أن نسيء الظن بالله جل في علاه، فهذه من صفات

---

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ٢٠/٢

الجاهلية التي عاصرناها اليوم، نسأل الله جل في علاه أن ينحينا عنها، وألا يجعلنا نظن به ظنا سيئا، أو نقدح في حكمته جل في علاه، ونسأل الله أن يدخلنا جميعا الجنة.." (١)

"الأول: وجوده على صورته المعينة. يعني: حكمة في كون الشيء على كيفيته وحاله التي هو عليها، كما لو قيل: الصلاة خمس فروض في اليوم، لم كانت خمسة؟ لحكمة أو لا؟ نحن لا نعلمها الحكمة قد نعلمها وقد نجهلها، لم كانت خمس صلوات في اليوم والليلة، حكمة أو لا؟ لحكمة قطعا، لم كان الحج مرة [في العام] (١) في العمر لم؟ نقول: لحكمة. لم كان شهر رمضان شهرا واحدا في السنة؟ لم كان ثلاثين يوما؟ لم لا يزيد؟ لم لا ينقص؟ فكون الشيء على صورة معينة نقول: هذه حكمة، كحال الصلاة فهي عبادة عظيم تسبق بطهارة من الحدث والخبث وتؤدى على هيئة معينة من قيام وقعود وركوع وسجود وهكذا كونها على هذه الحال نقول: هذا حكمة علمناه أم جهلناها، فعدم علمنا بالحكمة لا يلزم منه نفي الحكمة عن العبادة.

الثاني: فيما يترتب على تلك العبادة، في غايته المحمودة التي يترتب عليها.

فالحكمة وضع الشيء في موضعه الموافق للغايات المحمودة منها. فما يترتب على العبادات ما يترتب على جميع الأحكام الشرعية نقول: هذه غايات، فلم يشرع الله عز وجل الأحكام الشرعية إلا لما يترتب عليها من غايات محمودة، إن فعلت حينئذ ترتب عليها ذلك، ولذلك نقول: الحكمة وضع الشيء في موضعه الموافق للغايات المحمودة منه، وأما وضع الشيء في موضعه دون نظر إلى الغايات المحمودة منه إما عجزا أو عدم رعاية فهذا لا يسمى حكمة، وضع الشيء في موضعه مع – لا بد من القيد – مراعاة ما يترتب على ذلك الشيء، وأما وضع الشيء في موضعه دون مراعاة حينئذ نقول: هذا لا يسمى حكمة، فوضع الشيء في موضعه عدل، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، والحكمة عدل وزيادة. العدل وضع الشيء في موضعه. الظلم وضع الشيء في غير موضعه. الحكمة عدل وزيادة، ما هي الزيادة مراعاة المصالح أو الغايات التي تترتب على فعل العبادات.

إذا: الثاني في غايته المحمودة التي يترتب عليها. يعني الحكمة في الغاية من الحكم، ما الغاية من هذا الحكم؟ نقول: ما يترتب عليه هو مراعى من جهة الباري جل وعلا حيث إن جميع أحكام الله تعالى لها غايات حميدة وثمرات جليلة، فانظر إلى حكمة الله تعالى في حكمه الكوني الشرعي هذا جاء معللا، إما

---

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ٢/٢١

طلب رضوان الله تعالى الجنة النجاة من النار، كل هذه حكم، حيث يصيب الناس المصائب العظيمة لغايات حميدة كقوله تعالى: {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس} [الروم: ٤١]. قال: {ليذيقهم} هذا حكم كوني أو لا؟ {ظهر الفساد في البر والبحر} هذا حكم كوني، قال: {ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون} ففيها رد لقول من يقول: إن أحكام الله تعالى ليست لحكمة بل هي لمجرد مشيئته.

وأما حكمه سبحانه وتعالى فينقسم إلى قسمين:

---

(١) سبق.." (١)

"الأول: حكم كوني قدري. وهو ما قضاه على عباده من الخلق والرزق والحياة والموت ونحو ذلك من معاني الربوبية ومقتضياتها. كقوله تعالى عن أحد إخوة يوسف: {فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله} [يوسف: ٨٠]. هذا حكم كوني، يعني لا يتعلق بالشرع وإنما يتعلق بالرزق والإحياء والإماتة وجميع معاني الربوبية ومقتضياتها.

الثاني: الحكم الشرعي حكم ديني شرعي وهو ما جاءت به رسله ونزلت به كتبه من شرائع الدين. كقوله تعالى: {أحلت لكم بهيمة الأنعام} [المائدة: ١]. إلى قوله: {إن الله يحكم ما يريد} يحكم ماذا؟ يعني الحكم الشرعي ليس المراد به الحكم الكوني. وقال تعالى في سورة الممتحنة: {ذلكم حكم الله يحكم بينكم} [الممتحنة: ١٠]. المراد به الحكم الشرعي فحكم يحكم قد يرد في الكتاب القرآن ويراد به الحكم الشرعي فحسب، وقد يراد به الحكم القدري فحسب، وقد يحمل على المعنيين. فقوله: {أليس الله بأحكم الحاكمين} هذا يشمل النوعين الحكم الشرعي والحكم القدري، فشامل للكوني والشرعي. والله عز وجل حكيم بالحكم الكوني وبالحكم الشرعي، وهو أيضا محكم لهما، فالحكم الشرعي حكم وله غاية، منه حكمة تترتب عليه، والحكم الكوني كذلك. إذا كل منهما لها غاية حميدة تترتب عليهما، فكل من الحكمين موافق للحكمة. قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وهو الحكيم وذاك من أوصافه ... نوعان أيضا ما هما عدمان

حكم وإحكام فكل منهما ... نوعان أيضا ثابتا البرهان

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٢/١٥

والحكم شرعي وكوني ولا ... يتلازمان وما هما سيان

سيان. – مختلفان –

قال ابن القيم: والحكمة وضع الأشياء في موضعها مع مراعاة الغايات.

قال ابن القيم في ((المدارج)): الحكمة حكمتان: علمية وعملية.

فالعلمية الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباته خلقا وأمرا قدرا وشرعا.

والعلمية وضع الشيء في موضعه. انتهى. وحكمته سبحانه صفة قائمة به يعني هي صفة من الصفات كما نقول: عليم دل على صفة العلم وهي صفة ذاتية قائمة به حكيم دل على ماذا؟ على الحكمة. إذا الحكمة كالعلم صفة قائمة بالباري جل وعلا كسائر صفاته من سمعه وبصره وعلمه وقدرته ونحو ذلك، وهي تنقسم إلى قسمين:

إحداها حكمة في خلقه وهي نوعان:

الأول: إحكام هذا الخلق وإيجاده في في غاية الإحكام والإتقان.

والثاني: صدوره لأجل غاية محمودة مطلوبة له سبحانه التي أمر لأجلها وخلق لأجلها.

الثانية: الحكمة في شرعه وتنقسم أيضا إلى قسمين:

الأول: كونها في غاية الإحسان والإتقان.

والثاني: كونها صدرت لغاية محمودة وحكمة عظيمة يستحق عليها الحمد.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

والحكمة العليا على نوعين أيـ ... ـضا حصلا بقواطع البرهان

الحكمة على نوعين

إحداهما في خلقه سبحانه ... نوعان أيضا ليس يفترقان

إحكام هذا الخلق إذ إيجاده ... في غاية الإحكام والإتقان

وصدوره من أجل غايات لـه ... وله عليها حمد كل لسان

والحكمة الأخرى فحكمة شرعه ... أيضا وفيها أيضا ذانك الوصفان

غاياتها اللاتي حمدن وكونها ... في غاية الإتقان والإحسان." (١)

"ففي هذه الآية أن الهداية والإضلال بيد الله تعالى، وفيها أن العبد مفتقر إلى ربه في كل شيء، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، وأن من تفرد بخلق العبد ورزقه هو المستحق أن يفرد بالألوهية والعبادة والسؤال، وأنه ليس عند أحد من هداية القلوب وتفريج الكروب شيء من ذلك لا الأنبياء ولا الملائكة ولا غيرهم، وفيه الرد على من زعم ذلك للنبي – صلى الله عليه وسلم – فضلا عن غيره، بل جاء النص فيه كما قال سبحانه: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} [القصص: ٥٦].

وفي هذه الآية كغيرها دليل على إثبات العلة والحكمة في أفعال الله تعالى لأنه قال ماذا؟ ({كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون})، إذا لعدم إيمانهم، فيفيد تعليل، إذا فيه ماذا؟ إثبات العلة والحكمة في أفعال الله، إذ لا يعقل مريد إلا إذا كان المريد قد فعل الحكمة يقصدها بالفعل، وإثبات الحكمة في أفعاله سبحانه هو قول السلف وجمهور المسلمين وجمهور العقلاء كما قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

وفي هذه الآية كسابقها إثبات الإرادة لله كما يليق بجلاله، وعلم مما تقدم أن الإرادة تنقسم إلى قسمين، وأن المشيئة لا تنقسم – انتبه لهذا الضابط – أن الإرادة تنقسم إلى قسمين: إرادة دينية شرعية، وإرادة كونية قدرية، وأما المشيئة فلا تنقسم، وأنها مرادفة للكونية يعني المشيئة مرادفة للإرادة الكونية كما علم أن المحبة والرضا أخص من مطلق الإرادة لأن الإرادة عامة، والمحبة والرضا هذه مرادفة للإرادة الدينية الشرعية، وأن الأدلة دلت على الفرق بين المشيئة والمحبة والرضا وأن من جمع بينهما فقد ضل ضلالا مبينا، لأنه يلزم منه ماذا؟ أن الله تعالى أحب الكفر والفسوق وهذا باطل، وأن من جمع بينهما فقد ضل ضلالا مبينا، وصادم أدلة الكتاب والسنة وجمع بين ما فرق الله تعالى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: فالإرادة الكونية هي المشيئة لما خلقه، وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وإرادته الكونية، والإرادة الدينية الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا، المتناولة لجميع ما أمر به وجعله شرعا ودينا، وهذه مختصة بالإيمان والعمل الصالح، وقد دل على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة، أما نصوص المشيئة والإرادة فكقوله سبحانه: {ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها} [السجدة: ١٣]، {ولو شاء ربك لآمن من في الأرض} [يونس: ٩٩]. وأما نصوص المحبة والرضا، فكقوله: {والله لا يحب الفساد}

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٣/١٥

[البقرة: ٢٠٥]. وقوله: {ولا يرضى لعباده الكفر} [الزمر: ٧]. مع كونه موجودا، إذا وجد بماذا؟ بالإرادة الكونية لا بالإرادة الشرعية.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في ((المدارج)): ومراده سبحانه نوعان:

- مراد يحبه ويرضاه ويمدح فاعله ويواليه، فموافقته في هذا المراد هي عين محبته، وإرادة خلافه رعونة ومعارضة واعتراض.." (١)

"العموم الأول في الجعل وإن قل لأنه نكرة في سياق النهي، لا هذه ناهية، تجعلوا فعل مضارع في سياق النهي فيعم على الصحيح فيه خلاف، والصواب أنه يعم، حينئذ نقول المصدر هنا نكرة، فلا جعل هذا المراد، لا جعل «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، «لا صلاة» نقول: نكرة في سياق النفي ({فلا تجعلوا}) لا جعل نكرة في سياق النهي، ... ({أندادا}) هذا نكرة، والنكرة سواء كانت مفردة أو جمعا في سياق النفي أو النهي تعم. إذا ({أندادا}) المراد به ماذا؟ جمع ند، فإذا كان كذلك فحينئذ نقول: هذا فيه عموم سواء كان ملكا مقربا نبيا مرسلا حجرا شجرا أيا كان، أيا كان أي الأنداد جاءت مطلقة في الشرع **والحكمة فيها** والله أعلم أن الأنداد تختلف من زمن إلى زمن، وتختلف من عصر إلى عصر، فليس كل ما كان مألوها معبودا في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - هو الذي يكون مطردا إلى قيام الساعة، لا، إنما المراد ماذا؟ جعل الشريك مع الباري جل وعلا في عبادته في صفاته في حكمه في التحاكم .. إلى آخره، حينئذ نقول: هذه تسوية بين الباري جل وعلا وبين غيره، فالأنداد تختلف ولذلك جاءت منكرة، والند في اللغة المثل والنظير والشبيه، يقال: فلان ند فلان. أي شبيهه ونظيره،

إذا والند في اللغة المثل والنظير والشبيه، يقال: فلان ند فلان. أي شبيهه ونظيره، واتخاذ الند ينقسم إلى قسمين ({فلا تجعلوا لله أندادا}) ينقسم إلى قسمين اتخاذ الند.

القسم الأول: قسم هو من الشرك الأكبر كاتخاذه ند يدعوه أو يرجوه أو يخافه أو يذبح له أو ينذر له .. ونحو ذلك، وهذا فيما صرف له شيئا من العبادة، حينئذ يكون قد وقع في الشرك الأكبر. ولذلك جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك». «أن تجعل لله ندا» أراد به ماذا؟ التنديد الكامل لأنه سئل عن أعظم ذنب ولا شك أن أعظم الذنب هو ماذا؟ الشرك الأكبر، وعلى ذلك نقول: الشرك له حقيقة شرعية، لأن اللفظ جاء من جهة

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢١/١٧

الشرع نهى عنه، أليس كذلك؟ هل ورد في الشرع تفسير معنى الشرك؟ نقول: نعم، وأحسن ما يفسر به معنى الشرك هو ما جاء في هذا النص، ما هو الشرك الأكبر؟ «أن تجعل لله ندا» جاء في النص السابق ({فلا تجعلوا لله أندادا}) نهى عن الشرك الأكبر، سئل عن أي الذنب أعظم فقال: «أن تجعل لله ندا».
إذا لا نحتاج إلى تعاريف من جهة العلماء وإنما نقول: ما عرف به النبي – صلى الله عليه وسلم – هو أولى ما يتمسك به، وجعل الند لله تعالى بأن يصرف له نوعا من أنواع العبادة مطلقا سواء كانت عبادة قلبية، أو عبادة لسانية، أو عبادة بالجوارح والأركان.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

والشرك فحذره فشرك ظاهر ... ذا القسم ليس بقابل الغفران

وهو اتخاذ الند للرحمن ... أيا كان من حجر ومن إنسان

يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ... ويحبه كمحبة الرحمن." (١)

"هنا قال ماذا؟ دل هذا النص على أن من بلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة. وهو واضح بين لقوله سبحانه وتعالى: {لأنذركم به ومن بلغ} [الأنعام: ١٩]، من بلغه يعني القرآن مفعول به محذوف.

وأفادت هذه الآية **الحكمة في** إرسال الرسل وإنزال الكتب.

{الذي له ملك السماوات والأرض} [الفرقان: ٢]. أي له التصرف فيهما والجميع خلقه وعبيده.

{ولم يتخذ ولدا} أي لكمال غناه وقيامه بنفسه وحاجة كل شيء إليه وافتقاره، وقيام كل شيء به سبحانه وتعالى {وخلق كل شيء} أي أوجد وأنشأ وأبدع، وتأتي خلق بمعنى قدر وتأتي بمعنى كذب كما قال سبحانه: {وتخلقون إفكا} [العنكبوت: ١٧] وقوله: {وخلق كل شيء} يعني كل شيء مخلوق، يعني يفهم هذا النص بسائر النصوص، لا يقال لأن الباري جل وعلا يصدق عليه أنه شيء {قل أي شيء أكبر شهادة قل الله} [الأنعام: ١٩]. إذا دخل الباري جل وعلا تحت قوله: {قل أي شيء} فصدق عليه أنه شيء. إذا {وخلق كل شيء}. هل الباري مخلوق أو لا؟ هذا فهم سقيم لا يتأتى هنا البتة، وإنما نقول: كن هذه كلية تفيد العموم، يفهم منها الكلية بحسب كل مقام يقتضيه المقام، يعني {وخلق كل شيء} من الخالق؟ الله عز وجل هو فاعل الخلق كيف {وخلق كل شيء} يرد أن شيء يدخل فيه تحته الباري جل وعلا هذا ليس بوارد، إذا {خلق كل شيء} مخلوق، فيدخل في ذلك أفعال العبد فهي خلق لله وفعل

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٨/٢١

للعبد، ولا يدخل في ذلك أسماء الله وصفاته، لأن الأسماء والصفات تابعة للذات يحتذى فيها حذوها، وعموم (كل) في كل مقام بحسبه. كقوله سبحانه: {تدمر كل شيء بأمر ربها} [الأحقاف: ٢٥]. والسماوات باقية والأراضون باقية ما دمرت، والجبال باقية فحينئذ نقول: {تدمر كل شيء بأمر ربها} أي كل شيء أمرت بتدميره، حينئذ يكون ماذا؟

يكون عاما أريد به الخاص، لأن العموم عند الأصوليين نوعان:

عام مخصوص، وعام أريد به الخصوص أو الخاص.

الأول حقيقي، والثاني مجازي. وبحثه عند الأصوليين.

قوله كذلك: {وأوتيت من كل شيء} [النمل: ٢٣]. أي من كل شيء يصلح للملوك فلا يدخل في ذلك القرآن، لأن القرآن كلامه، وهو صفة من صفاته يعني لا يدخل تحت قوله: {وخلق كل شيء} لا يستدل به على إثبات أن القرآن مخلوق، لماذا؟ لأن القرآن من صفة الباري جل وعلا، والباري وصفاته وأسماؤه ليست داخلة تحت قوله: {كل شيء}، والله سبحانه وتعالى بصفاته غير مخلوق كما في الصحيح من حديث خولة «من نزل منزلا وقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك». فاستعاذ بكلمات الله، والاستعاذة بالمخلوق شرك، فدل على أن كلامه سبحانه غير مخلوق كما استدل بذلك أحمد وغيره.." (١)

"وفيها دليل على إحاطة علمه سبحانه بكل معلوم {قالوا إنما أنت مفتر} قال: يعني كفار قريش الجاهلون للحكمة في النسخ لا يعلمون {إنما أنت} يعني يا محمد، الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - {إنما أنت مفتر} مفتري حذفت الياء هنا للتخلص من التقاء الساكنين مفتري، يعني [هذا مقصور] هذا منقوص يسمى منقوص كالقاضي، إذا كان نكرة ونون حينئذ حذفت الياء كما تقول هذا قاض أصلها قاضي بالياء حينئذ التقى ساكنان الياء والتنوين وحذفت الياء {مفتر} أصلها مفتري {مفتر} أي كاذب مختلق على الله متقول عليه بما لم يقل حيث تزعم أنه أمرك بشيء ثم تزعم أنه أمرك بخلافه، يعني رأوا ماذا؟ أن هذا تناقض، وأنه يدل على الكذب والافتراء، يعني ما علموا حقيقة النسخ استدلوا بها على إبطال الشرع وهذا باطل {إنما أنت مفتر} بالأمس تقول لنا كذا واليوم تقول لنا كذا وهذا كذب، والجملة جواب {وإذا}، {وإذا بدلنا آية مكان آية}، {قالوا إنما أنت مفتر} قال تعالى مبطلا قولهم: {بل} هذا للإبطال

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢١/٢٢

انتقالي {بل أكثرهم لا يعلمون}، وهذا إضراب إبطالي معناه بل لست مفتريا ولكن أكثرهم لا يعلمون شيئا من العلم أصلا، ولو أنهم كانوا من ذوي العلم لعلموا أنه إذا بدلت آية مكان آية فإنما ذلك دليل على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام، فلا يعلمون الحكمة في ذلك، والحكمة في النسخ مبنية على المصالح التي يعلمها الله عز وجل، وقد يكون في شرع هذا الشيء مصلحة مؤقتة لوقت ما ثم تكون المصلحة بعد ذلك الوقت في شرع غيره، وهذا واضح بين.." (١)

"وأما المعتزلة فهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال اعتزل عن مجلس الحسن البصري، وأخذ يقرر أن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، ويثبت له المنزلة بين المنزلتين، فقال الحسن البصري: قد اعتزل عنا واصل. حينئذ سموا بذلك معتزلة. ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، فقالوا: إن من يقول بالقدر خيره وشره من الله أولى باسم القدرية. يعني ردوا على أهل السنة والجماعة. ويرده قوله – صلى الله عليه وسلم –: «القدرية مجوس هذه الأمة». ولقبوا أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد، لقولهم بوجوب الأصلح على الله، وقولهم بنفي الصفات، وبأن كلامه مخلوق محدث، وبأنه غير مرئي في الآخرة، ويجب عليه رعاية الحكمة في أفعاله، وثواب المطيع والتائب، وعقاب صاحب الكبيرة، ثم افترقوا عشرين فرقة يكفر بعضهم بعضا، وهكذا شأن أهل البدع في كل زمان ومكان، وليس المراد هنا في سرد ما يتعلق بهذه الفرق إلا معرفة إجمالية لهذه الفرق، لأنه لا يعرف الوسط بين الفريقين إلا إذا عرف على جهة الإجمال، وأما النظر في أقوالهم وأدلتها والرد عليها فهذا ليس المقام مقام ذلك.

(الأصل الخامس) مما فارق فيه أهل السنة والجماعة غيرهم من الفرق المنتسبة للإسلام في صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، الكلام (في الصحابة)، فأهل السنة والجماعة لهم طريقة، ولهم منهج من خالفهم فهو مبتدع ضال مضل، بل قد يكفر ويخرج من الإسلام.." (٢)

"وثم نوع خامس وهو العقل ووجه ذلك أنه لو لم يكن هذا اليوم لكان إيجاد الخلائق عبثا، والله عز وجل منزه عن العبث، فما الحكمة من قوم يخلقون ويؤمرون وينهون ويلزمون بما يلزمون به ويندبون ثم يموتون ولا حساب ولا عقاب، ولهذا قال الله تعالى: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون} [المؤمنون: ١١٥]. إذا أنكم لا ترجعون هذا يدل على أن الخلق عبث، والله تعالى منزه عن العبث، إذا

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١١/٢٦

(٢) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٣/٣١

سيكون ثم يوم ترجعون فيه إلى الله {فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم} [المؤمنون: ١١٦]. وقال سبحانه: {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد} [القصص: ٨٥]، {فرض عليك القرآن} لم؟ ربط بين النوعين فرض القرآن يعني الإلزام {لرادك إلى معاد} يعني من يمتثل ومن لا يمتثل حينئذ يكون يوم الحساب وهو يوم المعاد، كيف يفرض القرآن ويفرض العمل به ثم لا يكون هناك معاد يحاسب على ما عمله الإنسان من هذا القرآن الذي فرض عليه فصارت أنواع الأدلة على ثبوت اليوم الآخر خمسة:

كتاب، وسنة، والإجماع، والكتب السماوية، ودلالة العقل.

قال رحمه الله تعالى: (فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا) كما جاء النص بذلك، فكما سبق في قوله: (فيقوم الناس من قبورهم) هذا بناء على الأغلب وإلا فقد يكون الإنسان غير مدفون، حينئذ كيف يقوم؟ الله أعلم بحاله، وذاك الذي احترق وصار رمادا ذاك الذي أكله السبع حينئذ كيف يعود؟ الله أعلم لكنه سيعود قطعا نؤمن بذلك قال سبحانه: {يوم يقوم الناس لرب العالمين} [المطففين: ٦]. لأن الله عز وجل يناديه قال الله تعالى: {واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب} [ق: ٤١]. {واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب * يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج} [ق: ٤١]. فيقومون لهذا النداء العظيم من قبورهم لربهم عز وجل.

وروى مسلم في ((صحيحه)) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعا {يوم يقوم الناس لرب العالمين} قال: «يقوم الناس حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى نصف أذنه». رشحه يعني عرقه.." (١)

"قال الشيخ مرعي رحمه الله: **والحكمة في** الوزن مع أن الله عالم بكل شيء إظهار العدل، إظهار عدله جل وعلا وبيان الفضل حيث يزن مثاقيل الذر من خير وشر. انتهى.

ومن المقرر أن أحوال البرزخ وأحوال الآخرة لا تقاس على ما في الدنيا وإن اجتمعت الألفاظ، وإنما هذه لها كيفية تخصها وتلك لها كيفية تخصها وإن اتفقت الأسماء، فنؤمن بها كما ورد من غير بحث عن كيفيتها وحقيقتها كما أخبر الصادق المصدوق من غير زيادة ولا نقصان.

قوله: ({فمن ثقلت موازينه}) أي رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: المراد بثقل الموازين رجحان الحسنات على السيئات ({فأولئك هم المفلحون}) أي الذين فازوا

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٩/٣٥

فنجو من النار وادخلوا الجنة، والفلاح هو الفوز والظفر والحصول على المطلوب ({فمن}) شرطية وجواب الشرط جملة ({فأولئك هم المفلحون})، وأتت الجملة جزائية هنا جملة اسمية للدلالة على الثبوت والاستمرار، وكذلك جاءت بصيغة الحصر لقوله: ({هم})، ({فأولئك هم المفلحون}) والجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستمرار وجاءت باسم الإشارة الدال على البعد ({فأولئك}) لعظم مرتبتهم ولم يقل فهم المفلحون إشارة إلى علو مرتبتهم، وجاءت بصيغة الحصر بقوله: ({هم}) وهو ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد والفصل بين الخبر والصفة. وقوله: ({فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون}) هذا فيه إشكال من جهة العربية لأنه قال ماذا؟ ({فمن ثقلت موازينه}) أفرد الضمير ثم قال: ({هم المفلحون}) جمع الضمير فباعتبار اللفظ أفرد وباعتبار المعنى جمع، لأن (من) الشرطية باعتبار اللفظ هي مفرد وباعتبار المعنى هي جمع فيجوز مراعاة اللفظ فيفرد الضمير ويجوز مراعاة المعنى فيجمع الضمير. قوله: ({ومن خفت موازينه}) أي ثقلت سيئاته على حسناته عكس الأول ({فأولئك الذين خسروا أنفسهم})، ({فأولئك}) الإشارة هنا للبعد لانحطاط مرتبتهم لا لعلو مرتبتهم ({الذين خسروا أنفسهم}) أي خابوا وفازوا بالصفقة الخاسرة. وقوله: ({في جهنم خالدون}) أي ماكثون فيها دائمون والخلود هو المكث الطويل والمراد بخفة الموازين رجحان السيئات على الحسنات ترجح السيئات على الحسنات أو فقدان الحسنات بالكلية إن قلنا: بأن الكفار توزن أعمالهم كما هو ظاهر هذه الآية الكريمة [وأمثالها أو] أمثالها وهو أحد القولين لأهل العلم.

والقول الثاني: أن الكفار لا توزن أعمالهم لقوله تعالى: {قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا} [الكهف: ١٠٣، ١٠٥]. دل ذلك على أن الكفار لا توزن أعمالهم والله أعلم.." (١)

"يقول رحمه الله تعالى: ولكن نحن ننزه الله عز وجل عن إطلاق هذه العبارة في حقه، بل نقول: كل كمال ثبت للمخلوقين غير مستلزم للنقص فخالقه ومعطيه إياه أحق بالاتصاف به. هذا من حيث الكمال، كل كمال ثبت للمخلوقين غير مستلزم للنقص، لأن الكمال في حق المخلوق قد يستلزم النقص كالولد، الولد هذا في حق المخلوق كمال لكنه مستلزم للنقص في ماذا؟ كونه محتاج لغيره، فهو مفتقر إلى امرأة

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٥/٣٥

ومفتقر .. إلى آخره، وثم إذا جاء الولد ويعطف عليه ويحكمه .. إلى آخره، نقول: هذا كمال لكنه مستلزم للنقص فلا يثبت لله عز وجل، فخالقة ومعطيه إياه أحق بالاتصاف به، وكل نقص - هذا في المقابل - كل نقص في المخلوق فالخالق أحق بالتنزه عنه كالكذب والظلم والسفه والعيب، بل يجب تنزيه الرب تعالى عن النقائص والعيوب مطلقا، وإن لم يتنزه عنها بعض المخلوقين للعموم والأدلة {ليس كمثله شيء} [الشورى: ١١] {ولله المثل الأعلى} ... [النحل: ٦٠] .. إلى آخرة، وكذلك إذا استدللنا على حكمته تعالى بهذه الطرائق نحو أن يقال: إذا كان الفاعل الحكيم الذي لا يفعل فعلا إلا لحكمة وغاية مطلوبة له من فعل أكمل ممن يفعل لا لغاية ولا لحكمة ولا لأجل عاقبة محمودة وهي مطلوبة من فعله في الشاهد ففي حقه تعالى أولى وأحرى، لا شك أن الفاعل هو يرد على ماذا؟ على نفاة **الحكمة في** ((مفتاح دار السعادة)) حينئذ الفاعل لحكمة لا شك أنه أكمل من الفاعل لا لحكمة، لأن الثاني أفعاله عبث والأول أفعاله معللة لها غايات، لها أهداف، فلا شك أن الأول يكون أكمل من الثاني، فالله عز وجل يكون أولى بالكمال في ذلك [نعم].

قال رحمه الله تعالى: فإذا كان الفعل للحكمة كمالا فينا فالرب تعالى أولى به وأحق، وكذلك إذا كان التنزه عن الظلم والكذب كمالا في حقنا فالرب تعالى أولى وأحق بالتنزه عنه. هذا ما يتعلق بالدليل العقلي.." [(١)]

"متعجبا حينئذ تأتي سبحان للتعجيب يعني خرجت عن أصلها، كما أن الاستفهام يستعمل في النفي مثلا حينئذ نقول: استعمال ... (هل) للنفي ليس هو الوضع الذي وضع له لفظ (هل) في لغة العرب: {هل تعلم له سميا} [مريم: ٦٥] أي لا أحد سمي له، من أين أخذنا ذلك؟ نقول: من الاستعمال اللغوي وليس من لفظة (هل)، يعني (هل) لم تدل على النفي، وإنما العرب من أساليبهم أنهم يستعملون (هل) مرادا بها النفي حينئذ ينظر في السياق والسباق هو الذي يعين، وأما الاستفهام فهو مدلول (هل) نفسها كما أن (في) تدل على الظرفية، و (من) تدل على التبعيض مثلا، حينئذ نقول: هل تدل على الاستفهام هذا أصل وضعها، لكن إذا سلب عنها هذا المعنى حينئذ ينظر في السياق والسباق كما قلنا في (من) قد تستعمل زائدة، متى؟ إذا نظر إلى السياق والسباق، ولذلك يشترط فيها أنها تكون بعد نفي مثلا وأن يكون مدخولها نكرة هذا مدخول من التركيب، وأم (من) وحدها ليس لها معنى اسمه الزيادة؟ لا، وإنما تستعمل زائدة مرادا بها معنى التوكيد، لكن متى نحكم عليه بأنها زائدة؟ من التركيب يعني من الأسلوب الذي اتبعه العرب.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٤/٨

({سبحان ربك}) موارد التسبيح في الشرع خمسة، يعني في الكتاب والسنة:

- التنزيه. ما الذي ينزه الباري جل وعلا ({سبحان ربك}) ينزه عن ماذا؟

أولا: تنزيه الله تعالى عن الشريك في الربوبية كما ادعاه الملحدون.

ثانيا: تنزيل الله تعالى عن الشريك في الألوهية كما ادعاه المشركون.

ثالثا: تنزيه الله تعالى في أسمائه وصفاته، يعني أن تنفى معانيها اللائقة بها وتنزيهه عن مماثلة المخلوقين لها كما ادعاه الجهمية ومن شاكلهم.

رابعا: تنزيه الله تعالى في أمره الكوني وقدره الكوني. يعني ما يتعلق بالأمر الكوني عن أن يكون بلا حكمة أو أن يكون عبثا كما نفى **الحكمة في** الخلق والإيجاد والقدر ونحو ذلك بعض مبتدعة الأشاعرة وغيرهم.

خامسا: تنزيه الله تعالى في شرعه وأمره الشرعي الديني عن النقص. يعني ليس بكامل مثلا، أو عن منافات الحكمة، أو ليس لحكمة فمتعلق التنزيه خمسة أشياء، يعني ما الذي ينزه عنه الباري جل وعلا نقول باستقراء الشرع خمسة أشياء، متعلق التنزيه:

الربوبية أولا.

وثانيا: الألوهية.

وثالثا: الأسماء والصفات.

رابعا: الأمر الكوني والقدر.

وخامسا: الشرع.

هذا الذي جاء به التنزيه والتسبيح في الشرع ({سبحان ربك})، ... ({سبحان}) مضاف و ({ربك}) مضاف إليه، ورب مضاف والكاف مضاف إليه، أضاف الربوبية المستفادة من رب إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - لأن الخطاب له إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - وهي ربوبية خاصة، والربوبية نوعان: ربوبية عامة، وربوبية خاصة.." (١)

"إثبات الميزان

يقول: (وأقر بالميزان والحوض الذي أرجو بأني منه ريا أنهل) ريا وريا بالكسر وبالفتح.

في هذا البيت مسألتان: المسألة الأولى: إثبات الميزان: والحديث في الميزان والصراط والحوض والحساب

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٣/٩

والجنة والنار، داخل في باب الإيمان باليوم الآخر، والإيمان باليوم الأخر يشمل الإيمان بالبعث والحشر وبما يحصل في عرصات يوم القيامة، وبالصراط والميزان والحساب، والجنة والنار ونحو ذلك.

قال: (وأقر بالميزان) يعني: أعتقد عقيدة جازمة بالميزان، والميزان هو ميزان حقيقي له كفتان، وقد ورد ذكر الموازين في القرآن في آيات كثيرة، منها: قول الله عز وجل: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين} [الأنبياء:٤٧] وقوله: {فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون} [المؤمنون:١٠٢ - ١٠٣].

وهناك أدلة كثيرة على وزن الأعمال، وعلى إثبات الميزان.

والميزان ميزان حقيقي له كفتان، والدليل على أن له كفتان: الحديث الصحيح في قصة صاحب البطاقة الذي يأتي به الله عز وجل يوم القيامة أمام الخلائق، وينشر له تسعة وتسعين سجلا ويقرره بها، فيقر بها، ثم يقول: هل عملت شيئا غيرها؟ فيقول: لا، فيقول الله عز وجل: إن لك عندنا بطاقة، فتوضع التسعة والتسعين في كفة والبطاقة في كفة، فترجح بها هذه البطاقة، وينجو صاحب هذه البطاقة من النار.

هذا حديث صحيح مروي في مسند الإمام أحمد والترمذي وعند بعض أصحاب السنن وإسناده صحيح.

وورد حديث في إسناده ضعف -وإن كان له شاهد قد يقويه- وهو: (أن موسى قال لله عز وجل: يا رب! علمني شيئا أذكرك وأدعوك به، قال: يا موسى! قل: لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون ذلك، قال: يا موسى، لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري، والأراضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة، لمالت بهن لا إله إلا الله)، لكن لا يشترط أن يكون هذا هو الميزان الذي نحن في صدد الحديث عنه، وإنما الميزان الذي نحن نتحدث عنه هو الميزان الذي توزن به أعمال الناس.

وهنا مسألة وهي: ماذا يوزن في هذا الميزان؟ هل الأعمال توزن فقط، أو سجلات الأعمال، أو أصحاب الأعمال، أو ذلك كله؟ قال بكل واحدة من هذه الآراء السابقة قوم، والصحيح: أنه يحصل ذلك كله، فأما وزن السجلات فقد سبق في حديث صاحب البطاقة، وأما وزن الأعمال فقد جاء في الحديث الصحيح: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن؛ سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) وفي الحديث: (والحمد لله تملأ الميزان)، هذا يدل على أن الأعمال توزن أيضا.

ومما يدل على أن الإنسان يوزن: الحديث المشهور: (إنه يؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن

عند الله جناح بعوضة)، وذلك هو معنى قول الله عز وجل: {فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا} [الكهف:١٠٥]، هذا الرجل مع أنه عظيم في الدنيا، وسمين في حجمه، إلا أنه لا يزن عند الله جناح بعوضة.

ومما يدل أيضا على أن الناس يوزنون: حديث ابن مسعود رضي الله عنه عندما كان متسلقا شجرة، فحركت الريح ثوبه فكشفت عن ساقيه، فضحك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده! لهي في الميزان أثقل من جبل أحد)، وهذا يدل على أنها توزن.

فالوزن يكون للسجلات التي تكتب فيها الأعمال، ويكون للأعمال وللأشخاص أيضا.

وبالنسبة لثقل هذه الأعمال وخفتها فهو بناء على ما فيها من الإخلاص وموافقة سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإن الأعمال تتفاوت تفاوتا عظيما، فقد يتفق أشخاص في صورة العمل لكن تختلف حقيقة الأعمال، فقد يجتمع رجلان في صف واحد في الصلاة، أحدهما صلاته مقبولة والثاني صلاته مردودة، وقد يجتمعان أحدهما لا يكتب له من صلاته إلا ربعها، والآخر كتب له ثلثها، والآخر كتب لها نصفها، وربما يكون آخر كتبت له كاملة بحسب إخلاصه، وحضور قلبه، وموافقته لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد أنكر المعتزلة والخوارج الميزان، وقالوا: كيف توزن الأعمال وهي أعراض، وإنما توزن الأجسام؟ وليس في هذا ما يدعو إلى نفي الميزان، فإن هذه الأعراض -التي هي أعمال- يصيرها الله عز وجل أجساما توزن، ولا مانع من وزن الأعمال، ولكن هؤلاء جعلوا لهم قاعدة وهي: أن كل ما لا يوافقه العقل فهو مردود، فظنوا أن هذا مما لا يوافقه العقل، فردوه بناء على ذلك.

وقال بعض الزنادقة: ما الفائدة في وزن الأعمال؟ وما هي الحكمة من وزن الأعمال؟ وهل ربنا سبحانه وتعالى بقالا أو فوالا حتى يحصل الوزن؟! ولا شك أن هذا من الزندقة." (١)

"[أن تعبد الله، وحده مخلصا له الدين] كما قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} كما قال تعالى هو أراد أن يستدل على ماذا؟ هاه ماذا أراد؟ قرر ملة إبراهيم، أليس كذلك؟ أن تعبد الله مخلصا له الدين كما مثل ما قال الله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} الحاصل اختصارا أن النظر في الدليل قد لا يدل على المدلول الذي أراده المصنف؛ لأن الآية بينت الحكمة من خلق الجن والإنس، وملة إبراهيم هي تفسير لهذه الحكمة، ملة إبراهيم أن تعبد اله مخلصا له الدين تفسير لقوله:

---

(١) شرح القصيدة اللامية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٤/٧

{ليعبدون} حينئذ كيف يستدل بهذه الآية على معنى ملة إبراهيم؟ لعل في الكلام محذوفا، لعل في الكلام محذوفا، مخلصا له الدين أي هذه العبادة وهذه العبادة التي هي ملة إبراهيم، أمر الله جميع الخلق بها، وخلقهم لها كما قال تعالى، وهذا نصه في الأصول الثلاثة، أو لعله قد يكون محذوف أو ساقط من النسخ أو قد يكون على تقدير هذا المحذوف، كما قال تعالى، إذا أراد أن يبين بهذه الآية **الحكمة من** خلق الجن والإنس، وأن هذه العبادة التي هي ملة إبراهيم هي حكمة الرب تعالى من خلقه للجن والإنس، حينئذ الترابط بين الدليل والمدلول لابد من محذوف، بمعنى أن تعبد الله مخلصا له الدين، وهذه العبادة خلق الله الخلق لها وأمرهم بها كما قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}، {وما خلقت} ما هذه نافية، وخلقت فعل وفاعل وفيه إثبات الصفة للرب جل وعلا وهي الخلق، والمراد بالخلق هنا (الإيجا) التقدير، الإيجاد المسبوق بتقدير، إيجاد من عدم إلى وجود، وهذا قد يكون مسبوقا بتقدير، وقد لا يكون، فالخلق هنا في صفة الرب جل وعلا يجمع بين الأمرين، أن يكون مقدر، وأن يكون موجودا، فلا موجود إلا وقد سبقه تقدير، فالتقدير سابق والإيجاد لاحق، الخلق بمعنى الإيجاد لاحق، وهذا اللحوق لابد من أمر يسبقه وهو التقدير،

ولأنت تفري م خلقت ... * * * ... هاه.." (١)

"يعني تنفذ ما قدرت؛ لأن الأصل في لسان العرب أن الخلق بمعنى التقدير ثم قد يفري بمعنى ينفذ، وبعض القوم يخلق ثم لا يفري، يعني لا يقدر، يقدر في نفسه سأفعل مثل الطلاب يحفظ يحفظ بعدين ما يحفظ، نقول هذا كله تقدير لكنه لا يوجد في الواقع شيء، فهو أشبه ما يكون بسوف ونحوها، {وما خلقت الجن والإنس} عالمان من عوالم الخلق خلقهم الله جل وعلا للحكمة (الذي) التي ذكرها {إلا} هذا استثناء مفرغ من أعم الأحوال، أي ما خلقت الجن والإنس لأي شيء من الأشياء ولأي حال من الأحوال ولأي صفة من الصفات إلا لصفة واحدة وهي تحقيق العبودية، {إلا ليعبدون} (اللام) هذه لام الحكمة، ويعبدون (النون) هذه نون الوقاية وليست (نون) الرفع؛ لأنها حذفت للناصب المقدر بعد (اللام)، إذن هذه الآية أفادت ماذا؟ أفادت أن **الحكمة من** خلق الجن والإنس هي عبادة الرب جل وعلا، فحينئذ ماذا ينبغي على العبد؟ إذا علم أنه ما خلق إلا من أجل هذه الحكمة لم يخلق عبثا ولا لعبا ولا لهوا، وإنما خلق ليحقق هذه العبودية لله جل وعلا، فحينئذ تقتضي هذه الآية أمرين: الأمر الأول:

---

(١) شرح القواعد الأربع للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٢٥

أفادت الحكمة من الخلق. الثانية: أمرهم بهذه الحكمة، فهذه الآية اقتضت ماذا؟ اقتضت أمر الجن والإنس بتحقيق الحكمة التي خلقوا من من أجلها، فإذا لم تدل الآية على هذا، حينئذ صار مجرد الإخبار فيه نوع عبث، فلابد من حمل الآية على أنها تضمنت أمرين بيان الحكمة. وثانيا: أمرهم بـ هاه؟ بالعمل بما يوافق هذه الحكمة، {وما خلقت الجن والإنس إلا} {إلا ليعبدون} الحكمة من الخلق يجب عليهم أن يحققوا هذه الحكمة، ويعبدون (معنا) معناه يفردوني بالعبادة، وهذا هو معنى التوحيد الذي أرسل الله الرسل من أجله وأنزل الكتب من أجل تحقيق هذا المعنى. {ليعبدون} يعني يفردوني بالعبادة، هذا هو المشهور، وإذا قيل يعبدون معناه يوحدون حينئذ فسرت العبادة ببعض أجزائها، فسرت العبادة ببعض أجزائها؛ لأننا نقول العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، منه أصل الأصول وهو التوحيد فحينئذ إذا بين أن الحكمة التي خلق من أجلها الخلق هي العبادة لا تختص بالتوحيد فحسب بل العبادة هي التوحيد وفروع التوحيد، أليس كذلك؟ لأن الأوامر والنواهي هي من فروع التوحيد وليست هي عين التوحيد، فحينئذ يعبدون أي يوحدون، نقول: هذا فسر اللفظ ببعض أجزائه وهو وارد عند العرب، ولذلك قال ابن عباس: كل أمر في القرآن اعبدوا الله معناه وحدوا الله.." (١)

"الحسن في أسماء الله باعتبار كل اسم على انفراده وجمعه إلى غيره

قال المصنف رحمه الله تعالى: [والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال].

أي: أنه يمكن أن يأخذ الإنسان الحسن من اسم الله العليم لوحده، ومن اسمه القدير لوحده، ومن اسمه العزيز لوحده، ومن اسمه الحكيم لوحده، ويتضاعف الحسن عندما تضم بعض الأسماء إلى بعض، مثل: العزيز الحكيم، الغفور الرحيم، الرحمن الرحيم، وهذه الإضافة التي تجدونها في القرآن كانت لحكمة، فهي تدل على معان عظيمة.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله هذه القاعدة في بدائع الفوائد، وقسم أسماء الله سبحانه وتعالى إلى أقسام، وذكر من أقسام أسماء الله عز وجل: أن بعض أسماء الله عز وجل تشتمل على صفات الكمال مركبة، يعني: ضم صفة معينة مثل اسمه المجيد، يقول: اسم المجيد من أسماء الله عز وجل لا يدل على كمال في جهة معينة فقط، وإنما يدل على الكمال في كل جهة، ولهذا يعتبر اسم الله عز وجل المجيد من أعظم

---

(١) شرح القواعد الأربع للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٦/٢

الأسماء الواسعة، وقال: ولهذا سمي به عرش الرحمن في قوله: {ذو العرش المجيد} [البروج:١٥] على قراءة الجر، فالمجيد اسم من أسماء العرش؛ وذلك لأن اسمه المجيد يدل على السعة والعرش يدل على السعة، فناسب أن يسمى العرش بالمجيد، وهذا الكلام من أروع الكلام وقد ذكره ابن القيم في بدائع الفوائد في المجلد الأول صفحة مائة وتسعين.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [مثال ذلك: العزيز الحكيم، فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيرا، فيكون كلا منها دالا على الكمال الخاصة الذي يقتضيه وهو العزة في العزيز، والحكم والحكمة في الحكيم، والجمع بينهما دال على كمال الآخر، وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته تقتضي ظلما وزورا وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف، وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل].

يدل هذا على أنه إذا اجتمع اسم العزيز واسم الحكيم فإن اجتماعها يدل على معنى عظيم وكبير وهو عز بحكمه، وحكمة بقوة؛ لأنه قد يكون العزيز في بعض الأحيان ليست لديه حكمه كما ذكر، وكذلك الحكيم وهكذا، ومثله أيضا السميع البصير، كما قال الله عز وجل: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} [الشورى:١١]، فإن السميع قد يسمع لكن قد لا يبصر في بعض الأحيان، فقال البصير؛ ولأن البصير قد لا يسمع فوجد السميع، وهكذا يكتمل المعنى بنفس الطريقة التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى.." (١)

"الحكمة من التقسيمات المذكورة في العقيدة

Q ما رأيكم فيمن يقول: ليس شرطا أن تعبد الله تعالى بهذه التقسيمات التي في العقيدة؛ لأن هذه التقسيمات أحدثها العلماء، وليست من تقسيمات القرآن أو السنة، يقصد بذلك: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، ويقول: إنني أتعبد بما أمرني الله في كتابه وبما أمرني به الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته دون البحث عن هذه الأقسام؟

A هذه التقسيمات الموجودة عند أهل العلم هي من باب التقريب لا غير، وهي عبارة عن ترتيب لبعض المعاني الذهنية، ولبعض المسائل العقلية، وهذا أمر متفق عليه بين أهل العلم، وليس فيه خلاف، والعبرة بصحة المعنى وليس العبرة بالألفاظ الموجودة، إلا إذا كانت ألفاظا مجملة تتضمن معان باطلة فترد، فأنت

---

(١) شرح القواعد المثلى - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ١٢/١

إذا اعتقدت معناه حتى ولو لم تحفظ التقسيم فاعتقادك سليم وصحيح، وإنما ذكرت هذه الأقسام لتقرب المعلومات للناس.." (١)

"علم الله أحاط بكل شيء

علم الله ما يكون وما وقع، وما لم يقع، وعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون، هو ليس موجودا، لكن لو قدر الله أن يوجد هذا الممكن في الكون أمامنا شاهدا حاضرا فكيف سيكون، وهذا من العلم الممكن، قال الله تعالى عن الكافرين أنهم لا يسمعون سمع إجابة: {إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون * ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون} [الأنفال:٢٢ - ٢٣]، إذا: الله جلا وعلا لم يسمعهم سمع إجابة، ولو أسمعهم الله لعاندوا وتعنتوا، وأعرضوا عن الله جل وعلا، ومن الممكن أيضا خروج المنافقين في الصف المسلم يعيثون فسادا في الصف المسلم، قال الله تعالى عن المنافقين: {لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم} [التوبة:٤٧]، فهذا أيضا علم ما لم يكن لو كان كيف سيكون يعني: لو خرج المنافق مع النبي صلى الله عليه وسلم لأفسد في الصفوف الإسلامية، وهذا من الممكن.

كذلك من الممكن في الآخرة عندما يقف أهل الكفر على النار، ويتمنون الرجعة، قال تعالى: {ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا} [الأنعام:٢٧ - ٢٨] يعني: لو قدر الله جل وعلا أن يخلق الدنيا مرة ثانية ويردهم إليها ويبعث إليهم محمدا فلن يؤمنوا له، قال تعالى: {ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون} [الأنعام:٢٨]، هذا كله في الممكنات الله يعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون، أما في المستحيلات لو كان للكون أكثر من خالق ماذا سيحدث؟! نحن لا نعلم، والله جل وعلا بين لنا أنه لو قدر أن للكون أكثر من خالق لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض ولذلك قال الله تعالى: {لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا} [الأنبياء:٢٢].

إذا: علم الله جل وعلا علم شمولي أحاط بكل شيء علما فعلم ما يكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون، أنتم اعتقدتم هذا الاعتقاد الجازم في قلوبكم بأن صفة العلم لله جل وعلا ثابتة أزلية أبدية يعلم بها كل شيء عظيم ودقيق، يعلم ما كان وما م يكن لو كان كيف سيكون، قال الله تعالى: {ولنبلونكم حتى

---

(١) شرح القواعد المثلى - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ١٨/١

نعلم المجاهدين منكم والصابرين} [محمد:٣١]، حتى هذه للغاية، ثم يقول لنا: (ولنبلونكم) ربما أنزل الله البلاء لكي يعلم المجاهدين والصابرين، والله يعلم كل شيء فكيف يقول (حتى نعلم) هنا في الآية؟ الصحيح أن سابق علم الله مكتوب في اللوح المحفوظ، لكن لو أتى الله جل وعلا بالعبد الكافر فقال: إني أعلم قبل أن أخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة أنك كافر، ورماه في النار، فقد تكون له الحجة على الله فيقول: يا رب! لو تركتني لكنت مؤمنا بك، ولذلك قال الله تعالى في **الحكمة من** إرسال الرسل: {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} [النساء:١٦٥]، حتى لا تكون عندهم حجة {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} [الإسراء:١٥]، فعلم الله جل وعلا يظهره، حتى يكون حجة على الناس، وهذا العلم يسمى علم المحاسبة، سيحاسبك الله عليه وإلا فهو يعلم كل شيء دقيقه وجليله.." (١)

"إخبار الكاهن ببعض المغيبات

هنا إشكال: الكهنة قد يخبرون بما سيحدث غدا ثم يحدث ما أخبروا به، فلو ذهب أحدكم إلى كاهن يسأله يقول لك: أنت في العام المقبل يوم الإثنين، في الساعة السادسة ستقابل امرأة اسمها كذا وستتزوجها، تأتي في العام المقبل يوم الإثنين في الساعة التي أخبر بها تنظر في المرأة فتجدها ثم تتزوجها، فهل يعلمون الغيب؟ لا، النبي صلى الله عليه وسلم أجاب عن ذلك وأخبر أن الجن يركب بعضهم فوق بعض ليخترقوا السمع، فيأخذ الجني الكلمة ثم يقرقرها للذي تحته وربما يأتيه شهاب قبل أن يقرقرها، ثم يقرقرها للذي تحته حتى تصل إلى الكاهن فيكذب معها مائة كذبة، لكن الإنسان ينظر في الكلمة التي صدق فيها، وهذا ليس بإشكال وليس بغيب؛ لأنه يخترق الجني هذه الكلمة من السماء ويقرقرها في أذن وليه.

لكن السؤال والإشكال: ما **الحكمة في** ذلك؟ أليس الغيب كله لله جل وعلا؟ ما **الحكمة في** أن يعلم الكاهن جزئية من الجزئيات فيخبر عنها فيشوش على الناس، فيعتقدون في غير الله ما يعتقد إلا في الله؟ نقول: هذا ابتلاء من الله جل وعلا، أما أعطى الله الدجال أن ينظر إلى السماء فيقول: أمطري فتمطر، ويأتي إلى الخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتخرج، ويقتل المرء ويناديه: فيأتي متهللا أمامهم؟! أعطاه الله شيئا من صفات الربوبية بلاء واختبارا لعباده، إذا الغيب كله لله جل وعلا، فالغيب المطلق لا يعلمه إلا الله سبحانه.." (٢)

---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٦/٦

(٢) شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٨/٦

"الشفاعة المثبتة وشروط صحتها

الشفاعة الثانية: الشفاعة المثبتة: وهي التي أثبتها الله جل في علاه، وهي الشفاعة للمؤمنين الموحدين فقط.

وحتى تقبل هذه الشفاعة لا بد لها من شرطين اثنين: الشرط الأول: إذن الله جل في علاه لهذا الشافع، قال تعالى: {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) [البقرة:٢٥٥].

وقال جل في علاه: {وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله} [النجم:٢٦]، هذا الشرط الأول.

الشرط الثاني: أن يرضى الله عن الشافع، وعن المشفوع، كما قال الله تعالى: {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى} [الأنبياء:٢٨] وقال تعالى: {من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى} [النجم:٢٦].

فلا بد من الرضا عن الشافع والمشفوع.

الحكمة من الشفاعة: أولا: إكرام الشافع وإظهار فضله ومكانته وكرامته على الله جل في علاه.

ثانيا: جلب النفع للمشفوع له، أو دفع الضر عنه.." (١)

"تعريف الحكمة في القرآن

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وقال غير واحد من السلف: الحكمة: هي السنة؛ لأن الذي كان يتلى في بيوت أزواجه رضي الله عنهن سوى القرآن هو سنته صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه) وقال حسان بن عطية: كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل بالقرآن فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن].

فيما ذكر رحمه الله بيان أن السنة هي الحكمة؛ فإذا جاء أن الله أعطى النبي الحكمة، وأنزل عليه الحكمة، فالمراد به السنة المطهرة، لأنه كما قال: الذي يتلى في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم سوى القرآن هو السنة، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (ألا إني أوتيت الكتاب) يعني: القرآن (ومثله معه) وهو الوحي الذي أوحاه الله إليه، ومثله معه: وهي السنة المطهرة.

وقال حسان بن عطية: كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل بالقرآن فيعلمه إياها، كما يعلمه القرآن.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وهذه الشرائع التي هدى الله بها هذا النبي وأمته مثل: الوجهة، والمنسك،

---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٦/٢٨

والمنهاج، وذلك مثل الصلوات الخمس في أوقاتها بهذا العدد، وهذه القراءة، والركوع والسجود، واستقبال الكعبة].

يعني: أن هذه الشرائع التي هدى الله بها هذا النبي وأمته فسرها لهم وأنزلها لهم مثل: الوجهة، ويقصد بها: التوجه إلى القبلة {قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام} [البقرة:١٤٤]، والمنسك: وهو العبادة، ويدخل في ذلك: الذبائح، كالعقيقة والهدي والأضحية، وقوله: المنهاج، أي: الطريق الذي سار عليه عليه الصلاة والسلام، ومثل بالصلوات الخمس في أوقاتها بهذا العدد، والكيفية، فهذا وما تقدم مما خص الله به هذه الأمة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [ومثل فرائض الزكاة ونصبها التي فرضها في أموال المسلمين من الماشية، والحبوب، والثمار، والتجارة، والذهب، والفضة، ومن جعلت له حيث يقول: {إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم} [التوبة:٦٠]].

كل هذه أمثلة للشرائع التي هدى الله بها هذا النبي وأمته، وذكر منها هنا فرائض الزكاة ونصبها، ومعلوم أن الزكاة تجب في نصاب الذهب والفضة، وعروض التجارة ومقدارها ربع العشر، ويجب نصف العشر من نصاب الحبوب والثمار إذا كانت تسقى بمؤنة، والعشر إن كانت تسقى بغير مؤنة، هذا كله مما هدى الله به هذه الأمة، ومما يذكر عن الزكاة أيضا الأنصبة، ومعلوم أن نصاب الذهب: عشرون مثقالا، ونصاب الفضة: مائتا درهم، ونصاب المواشي من الغنم: أربعون، ونصاب البقر: ثلاثون، ونصاب الإبل: خمس، هذه كلها أمثلة لفرائض الزكاة، وأما قوله: ومن جعلت له، فيعني به: من هم أهلها أي: الذين يعطون الزكاة، وهم ثمانية أصناف ذكرهم الله في كتابه، قال تعالى: {إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم} [التوبة:٦٠].

قال المصنف رحمه الله تعالى: [ومثل صيام شهر رمضان، ومثل حج البيت الحرام، ومثل الحدود التي حدها لهم في المناسك، والمواريث، والعقوبات، والمبايعات، ومثل السنن التي سنها لهم: من الأعياد والجمعات والجماعات في المكتوبات، والجماعات في الكسوف والاستسقاء، وصلاة الجنازة والتراويح].

وهنا ما زال المصنف رحمه الله يعدد أمثلة لما خص الله به نبيه وأمته، فذكر صيام شهر رمضان، وقد كان

الصيام مكتوبا على من قبلنا، كما قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} [البقرة:١٨٣]، لكن تحديد شهر رمضان بالصيام هو من خصائص هذه الأمة، ومثل حج بيت الله الحرام، ومثل الحدود التي حدها لهم، فلا يتجاوزون حدوده في المناسك، والمواريث حيث جعل الله للأولاد للذكر مثل حظ الأنثيين، كما فرض الله تعالى أيضا للآباء والأمهات، والإخوة والأخوات أنصبة في الأموال، وقوله: والحدود أي: التي حدها لهم في المناكح، والمواريث، والعقوبات، والمبايعات، كل هذه يجب أن يقف الإنسان عندها ولا يتجاوزها، وكذلك السنن التي سنها لهم: من الأعياد كالجمع والجماعات في المكتوبة من الصلوات المفروضة، وجماعات الكسوف، وجماعات الاستسقاء، وصلاة الجنازة، والتراويح، كل هذا مما هدى الله له هذه الأمة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وما سنه لهم في العادات مثل المطاعم والملابس والولادة والموت، ونحو ذلك من السنن والآداب والأحكام التي هي حكم الله ورسوله بينهم في الدماء والأموال والأبضاع والأعراض والمنافع والأبشار، وغير ذلك من الحدود والحقوق، إلى غير ذلك مما شرعه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم].

كل هذا داخل فيما خص الله به هذه الأمة من الشرائع، وذكر هنا ما سنه الله لهم في العادات مثل: (المطاعم) فبين كيف يطعم، وكيف يكسب المال من طرقه الحلال والوجوه المشروعة، ثم ينفقها في مصارفها الشرعية، ومثل: (الملابس) وما يشرع للإنسان عند لبس الثوب، (والولادة) كذلك وما يشرع في تسمية المولود، وحلق رأس الذكر، وإنفاق وزن شعره ذهبا، وتحنيكه، والعقيقة عنه، (والموت) كذلك، فبين ما يفعل في الميت من تغسيله ثم الصلاة عليه، ويدفن في مقابر المسلمين، ونحو ذلك من السنن والآداب والأحكام التي هي حكم الله ورسوله فكل ذلك من خصائص هذه الأمة في السنن والآداب، (وفي الأحكام التي حكم الله ورسوله بينهم كالأحكام في الدماء) وأن القاتل يقتل قصاصا، إلا إذا سمح أولياء القتيل في الدماء (وكذلك ما شرعه الله في الأموال) وهو أن يكسبها من الوجوه المشروعة، وينفقها في الوجوه المشروعة، (وكذلك ما شرعه الله في الأبضاع) فشرع للناس الزواج الشرعي، وحث على حفظ الأعراض، وأنه ينبغي للإنسان أن يذب عن عرض أخيه فضلا عن ألا يتكلم فيه لا بالغيبة ولا بالنميمة، وقوله: (والمنافع) يريد ما ينتفع فيه العباد من المآكل والمشارب وغيرها.

وقوله: (والأبشار) يعني: ما يصيب بشرة الإنسان، وأن ليس لإنسان أن يعتدي على بشر، وله أن يقتص

وغير ذلك من الحدود والحقوق، إلى غير ذلك مما شرعه الله لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.
قال المصنف رحمه الله تعالى: [وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، فجعلهم متبعين لرسوله صلى الله عليه وسلم، وعصمهم أن يجتمعوا على ضلالة كما ضلت الأمم قبلهم، إذ كانت كل أمة إذا ضلت أرسل الله تعالى رسولا إليهم كما قال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل:٣٦].

وقال تعالى: {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} [فاطر:٢٤]].

وذكر المصنف رحمه الله هنا: أن من خصائص هذه الأمة أن الله سبحانه وتعالى: حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، فجعلهم متبعين لرسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا من نعمة الله تعالى ومنته على عباده المؤمنين، كما حبب الإيمان إلى أتباع الأنبياء السابقين، كما قال سبحانه: {ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون * فضلا من الله ونعمة} [الحجرات:٧ - ٨].

وعصم هذه الأمة، فمن خصائصها: أن الله تعالى عصمها من أن تجتمع على ضلالة كما ضلت الأمم من قبلها، ولهذا كان إجماع هذه الأمة حجة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تجتمع أمتي على ضلالة).

ولقول الله عز وجل: {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا} [النساء:١١٥].

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى).

وقد كانت كل أمة إذا ضلت أرسل الله تعالى إليهم رسولا يأمرهم وينهاهم، ويخرجهم من الضلال، كما قال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل:٣٦].

وقال تعالى: {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} [فاطر:٢٤].

وأما هذه الأمة فإن نبينا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء فليس بعده نبي، ولهذا عصم الله أمته من اجتماعهم على الضلالة، وكان إجماعهم حجة.." (١)

---

(١) شرح الوصية الكبرى لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٣/٣

"العقيدة الواسطية [٥]
من صفات الله تعالى العظيمة صفة الحكم الثابتة في كثير من نصوص الكتاب والسنة بمعنييها الكوني والشرعي، المتضمنة توحيد الله تعالى في الأحكام وإبطال حاكمية غيره، ويتصل بهذه الصفة صفة أخرى عظيمة هي صفة **الحكمة في** الخلق والإيجاد والتشريع، ودلائلها لا تحصى كثرة في آيات الله تعالى الكونية ونصوص الوحي، كما أن من صفاته تعالى صفتي السمع والبصر، اللتين دلت عليهما نصوص متواترة متوافرة.." (١)

"أدلة وصيغ إثبات صفة **الحكمة في** نصوص القرآن الكريم
أفرد ابن القيم رحمه الله في كتابه (شفاء العليل) فصلا طويلا في الاستدلال على حكمة الله عز وجل، وهو الفصل الثاني والعشرون، وقد ظن بعض المحققين أن ابن القيم رحمه الله نسي هذا الفضل؛ لأنه في مقدمة شفاء العليل بين الأبواب التي سيتحدث عنها فذكر الباب الثاني والعشرين، وأنه تحدث فيه عن حكمة الرب سبحانه وتعالى وأدلة إثباتها، لكنه حصل خلط في بعض النسخ، وأضيف هذا الباب إلى الباب الذي قبله، فظنوا أنه نسيه رحمه الله تعالى وهو لم ينسه، وإنما حصل الخطأ في بعض النسخ الخطية.
يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: الباب الثاني والعشرون في إثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره، وذكر الغايات المطلوبة له بذلك، والعواقب الحميدة التي يفعل لأجلها ويأمر لأجلها.
ثم ذكر الأدلة التي تدل على حكمة الله عز وجل، وميزة هذا الفصل: أنه وزع هذه الأدلة التي حصرها وجعلها على شكل أنواع، في كل نوع من الأنواع مجموعة من الأدلة.
فمثلا يقول: النوع الأول: التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منها، كقوله تعالى: {حكمة بالغة} [القمر:٥]، وكقوله: {وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة} [النساء:١١٣]، وقوله: {ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا} [البقرة:٢٦٩].
النوع الثاني: إخباره أنه فعل كذا لكذا، يعني: الإتيان بلام التعليل، كقوله تعالى: {ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض} [المائدة:٩٧]، وموطن الشاهد قوله: {ذلك لتعلموا} [المائدة:٩٧].
وقوله أيضا: {الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما} [الطلاق:١٢].

(١) شرح العقيدة الواسطية – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٥/١

ومن ذلك أيضا: قول الله عز وجل: {لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله} [الحديد:٢٩] إلى آخر الآيات التي ذكرها.

وفرق أيضا في هذا النوع بين لام التعليل ولام العاقبة، فإن لام التعليل هو فعل الشيء لعلة معينة، لكن لام العاقبة، مثل قول الله عز وجل: {فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا} [القصص:٨] يعني: آل فرعون ما التقطوه من أجل أن يكون لهم عدوا وحزنا، لكن المقصود باللام هنا العاقبة، وبين ذلك، قال: فإن ما بعد اللام في هذا ليس هو الغاية المطلوبة، ولكن لما كان الفعل منتهيا إليه، وكانت عاقبة الفعل، دخلت عليه لام التعليل، وهي في الحقيقة لام العاقبة.

ثم ذكر أنواعا أخرى قال: النوع السادس: ذكر ما هو من صرائح التعليل وهو من (أجل)، كقوله تعالى: {من أجل ذلك} [المائدة:٣٢] وهذا صريح في أن الله عز وجل فعل هذا الفعل من أجل ذلك.

{من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا} [المائدة:٣٢].

قال: النوع الثاني: ذكر الحكم الكوني أو الشرعي عقيب الوصف المناسب له، فتارة يذكر (بأن)، وتارة يقرن (بالفاء)، وتارة يذكر مجردا، فالأول كقوله تعالى: {وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين * فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين} [الأنبياء:٨٩ - ٩٠]، وهكذا ذكر مجموعة كثيرة.

النوع العاشر: إخباره عن الحكم والغايات التي جعلها في خلقه وأمره؛ كقوله: {الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم} [البقرة:٢٢]، وذكر مجموعة كثيرة من الأنواع التي فيها إثبات حكمة الله عز وجل، وأن الله عز وجل يخلق الشيء لحكمة.." (١)

"بيان ما تتضمنه الحكمة المثبتة عند أهل السنة

ومعنى حكمة الله عز وجل وحقيقتها أنها تتضمن معنيين: المعنى الأول: حكمة تعود على الرب سبحانه وتعالى يحبها ويرضاها.

والثاني: حكمة تعود على العبد فيها منفعة له ونعمة يفرح بها، ويتلذذ بها، وينشرح صدره لها.

هذه هي الحكمة التي يثبتها أهل السنة، فالله عز وجل عندما خلق الخلق وشرع الشرائع والأوامر فإنه خلقهم

---

(١) شرح العقيدة الواسطية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٥/٧

لحكمة، وقبل أن يخلقهم علم هذه الحكمة، وخلق الخلق لها، وكذلك قبل أن يشرع الشرائع شرعها لحكمة سبحانه وتعالى، هذه الحكمة التي في المخلوقات والمأمورات تعود إلى الله عز وجل وعباده، فأما معنى عودها إلى الله عز وجل فمعناه: أنه خلقها سبحانه وتعالى، وهو يعلم المصلحة المترتبة عليه، وهو يحب ما أمر به سبحانه وتعالى، وله في خلقه أيضا حكمة عظيمة؛ حتى المخلوقات التي ظاهرها أنها ضرر وشر، ولهذا جاء في الدعاء المعروف: (والشر ليس إليك)، ومعنى الشر ليس إليك مع وجود بعض المخلوقات الشريرة في الحياة: أن الشر لا يعود إلى فعل الله عز وجل، وإنما يعود إلى مفعوله، يعني مخلوقه، وهو سبحانه وتعالى ما خلق شيئا من الخلق –حتى إبليس– إلا لحكمة عظيمة ومصلحة متعلقة بالخلق.

فمثلا: إبليس خلقه الله سبحانه وتعالى ابتلاء واختبارا للناس حتى يرى سبحانه وتعالى من يصدق المرسلين، ويتبع كلامه سبحانه وتعالى، ويعصي عدوه، ويجاهده، ويصبر على هذا الجهاد، بل قد يترتب عليه أنه يموت في هذا السبيل، وهذه لا شك أنها من أعظم الحكم وأجل الغايات، بل فيها من ظهور أسماء الله عز وجل وصفاته الشيء الكثير.

ففيها مثلا: ظهور صفة العفو والمغفرة للعباد المخطئين.

وفيها أيضا: ظهور صفة التجاوز والمسامحة.

وأيضا: ظهور صفة المعية الخاصة لعباده المؤمنين، فكل ما خلق الله عز وجل من خلق فإنه خلقه لحكمة تعود عليه من جهة، وتعود على الخلق من جهة أخرى.

ولهذا تحدث ابن القيم رحمه الله كثيرا في هذا الكتاب –شفاء العليل– عن هذه القضية، حتى المخلوقات الشريرة المعروفة فإنها لحكمة عظيمة وهدف كبير، وقد بينا طرفا من هذه **الحكمة من** أكبر الشر وهو إبليس عليه لعنة الله، وأما المأمورات فليس فيها شر؛ لأن مأمورات الله عز وجل كلها مصالح ومنافع للعباد علمها من علمها، وجهلها من جهلها.

إذا: حكمة الله عز وجل تكون في خلقه وأمره.." (١)

"منشأ ضلال الجبرية والقدرية في خلق الشرور

وهذه هي القضية التي جهلتها بعض الفرق، فالبعض عندما أزعجتهم وضاقت صدورهم بسبب وجود الكفر والمعاصي والآفات والأمور غير المرغوبة قالوا: كيف يخلقها الله عز وجل؟! وإذا خلقها وهو مقر لها فمعنى

---

(١) شرح العقيدة الواسطية – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٩/٥

هذا: أن فعلها ليس فيه شيء.

وقال آخرون: إن هذه الأمور ليست من خلق الله حتى يخرجوا من القضية؛ لأنهم لم يفهموا **الحكمة من** وجودها، قال غلاة الجبرية -وهم ابن عربي الطائي الصوفي المشهور ومن سار معه على عقيدته-: إن هذه المخلوقات هي من أفعال الله والله مقر لها.

فلو أن الإنسان فعل الكفر أو المعاصي فليس عليه شيء؛ لأنها من مخلوقات الله، فنسبوها لله واحتجوا بالقدر، وجاءت هذه الطائفة الأخرى تعظم الله عز وجل فنفت القدر وقالت: هذه ليست من مخلوقات الله أبدا، وإنما من مخلوقات العباد، فأشركت في الربوبية؛ لأنه ليس هناك خالق إلا الله عز وجل.

والحقيقة هي: أن هذه من مخلوقات الله سبحانه وتعالى، والله خلقها ونهى عنها.

فإن قيل: كيف يخلقها وينهى عنها؟ قلنا: خلقها للحكمة وهي الابتلاء؛ ليبتلي بها العباد.

فقد خلقها الله عز وجل ونهى العباد عنها، فمن ترك نهي الله عز وجل وفعل هذه المحرمات فإنه يعاقب؛ لمخالفته لنهي الله سبحانه وتعالى، وخلق الطاعات وأمر بها، فمن ترك ما أمر الله عز وجل به عوقب.

فالحكمة من وجود هذه الأشياء المتضادة في الكون هو الابتلاء.

وهذه قضية واضحة في القرآن الكريم، فإن الله عز وجل يعلل لخلق الإنسان بالابتلاء، كما قال تعالى: {ليبلوكم أيكم أحسن عملا} [الملك:٢].

وقال: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون} [المؤمنون:١١٥].

فكل هذه المخلوقات خلقها الله عز وجل للابتلاء والاختبار، فالعبد ليس مهملا في هذه الدنيا وإنما مختبر.

وقد جاءت أحاديث كثيرة جدا عن النبي صلى الله عليه وسلم تقرر أن هذه الدار دار ابتلاء، وأن الآخرة دار جزاء، ولأجل هذا لو أطاع الإنسان الله عز وجل في الآخرة فلا تنفعه الطاعة؛ لأن دار الابتلاء انتهت بالموت أو بالقيامة الكبرى التي تزيل معالم الدنيا بأكملها.." (١)

"**الحكمة من** كتابة الملائكة للحسنات والسيئات مع سبق كتابتها في اللوح المحفوظ

Q ما **الحكمة من** جعل الملائكة يكتبون الحسنات والسيئات وهي مكتوبة في اللوح المحفوظ؟

A الله أعلم بالحكمة.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٧/١٨

وليس كل خبر أخبر به الله عز وجل لا بد أن نعرف حكمته.
وهو له حكمة قطعا لكن قد لا نعلمها، وعدم العلم بالشيء لا يعني عدم وجوده.
وليس هناك نص معين في الحكمة من ذلك.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.." (١)

"دور ابن تيمية في التجديد وبيان أهمية كتاب العبودية

ومن حكمة الله عز وجل أنه جعل على رأس كل قرن مجددا يجدد لهذه الأمة أمر دينها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل يبعث على رأس كل مائة عام لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها)، ففي كل مائة سنة يوجد مجدد، هذا المجدد من أهل السنة ومن أتباع السلف الصالح، يقوم لله عز وجل بالحق فيتبعه على ذلك أقوام كثيرون ويصبرون على ما يحصل لهم، ولهذا قال في الحديث الآخر: (لا يضرهم من خذلهم)، وهو يدل على أن هناك أقواما يخذلونهم، وقال: (ولا من خالفهم)، وهذا يدل على أن هناك أقواما يخالفونهم، لكن لا يضرهم ذلك، مادام أنهم على الحق ملتزمون به، لا يضرهم ذلك من أي وجه من الوجوه.

ومن الأئمة الذين كان لهم تجديد ودور رائد وقوي شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية رحمه الله تعالى، فهذا الإمام كان له دور تجديدي كبير في حياة الأمة، حيث انتشرت في زمانه البدع والضلالات، حتى أصبحت هي السائدة، وأصبح الذي يدعو إلى عقيدة السلف رضوان الله عليهم شاذا وغريبا، فأحيا الله عز وجل به ما اندرس من العقيدة، وأظهر به السنة، وجاهد رحمه الله وصبر، وكان يقف مواقف لا تقفها أمة من البشر، وكان هذا الإمام له من العلم ما لا تستطيع أن تؤديه مراكز من مراكز الأبحاث العلمية، وكان له أيضا من الجهد والصبر ما لا يستطيعه أحد ممن كان في زمانه، وهذه إرادة الله عز وجل، وهذا قدر الله عز وجل لهذه الأمة؛ لأنها أمة منصورة ولله الحمد، فيخرج الله عز وجل من أبنائها من يحمي لها عقيدتها ومن يحمي لها دينها، ومن يقول كلمة الحق في أحلك الأوقات ظلمة غير عابئ بما يحصل له ولا يخشى إلا الله سبحانه وتعالى، هذا الإمام ألف كتبا كثيرة في العقيدة، فكان من الكتب التي ألفها رحمه الله تعالى كتاب (العبودية)، وهذا الكتاب من أهم الكتب في الحقيقة من ناحية الموضوع، وهو موضوع العبودية والعبادة، فإنها هي الأصل في الدعوة إلى الله عز وجل، وهي الأساس في

---

(١) شرح العقيدة الواسطية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٣٩/١٨

الحكمة من خلق الناس، وكذلك من ناحية طريقته رحمه الله في بحث هذه المسألة ودراستها ومحاولة الإلمام بجوانبها، ومناقشة المنحرفين فيها والرد عليهم، وإن كان ذلك بشكل إجمالي، لكن لا بأس بأن نبسطه بإذن الله تعالى.." (١)

"مرتبة المشيئة والإرادة

المرتبة الثالثة: إثبات مشيئة الله سبحانه وتعالى العامة.

وهي التي تدل على أن الله سبحانه وتعالى خالق لكل شيء، فهو سبحانه وتعالى يشاء ويريد سبحانه وتعالى، ولا يمكن أبدا أن يحصل في كون الله عز وجل وفي مخلوقات الله شيء لم يرده الله سبحانه وتعالى.

وهنا تحدثنا عن نوعين من الإرادة: الإرادة الأولى: هي الإرادة الكونية، وقلنا: إن معنى الإرادة الكونية: أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يخلق كل شيء، ولا يمكن أن يوجد في كون الله عز وجل وفي مخلوقات الله شيء لم يرده الله عز وجل، وبناء على هذا المعنى للإرادة فإن الكفر مما أراده الله، والمعاصي مما أراد الله سبحانه وتعالى، وكذلك الإيمان مما أراده الله، وكذلك الأعمال الصالحة مما أراد الله سبحانه وتعالى، وكذلك وجود الأنبياء والصالحين والطيبين من الناس والعباد والزهاد والمجاهدين ونحو ذلك، كل ذلك مما أراد اللہ سبحانه وتعالى أن يوجد في هذه الأرض، كما أن إبليس والكفار وأعداء الدين مما أراد الله عز وجل أن يخلق وأن يوجد في هذا الكون، وبناء على هذا فإن الإرادة الكونية -كما سبق أن أشرت- هي بمعنى الخلق؛ فالله عز وجل خالق لكل شيء، ولو كانت هذه المخلوقات ليست طيبة، ولو كانت هذه المخلوقات لا يحبها، فالله عز وجل يخلق أشياء وهو لا يحبها، فيخلقها وهو يكرهها ويبغضها، فقد خلق إبليس مع أنه يبغضه، وخلق الكفار مع أنه يبغضهم، وخلق كثيرا من الدواب المؤذية مع أنه يبغضها.

إذا: ما هي الحكمة عندما يخلق الله عز وجل أشياء وهو يبغضها؟ إن الحكمة من ذلك هي الابتلاء، كما قال الله عز وجل: {ليبلوكم أيكم أحسن عملا} [هود:٧] فخلق الله عز وجل هذه الأشياء التي هي في ظاهرها متعارضة، وهي في الحقيقة مخلوقة ليبتلي بها العباد وينظر إلى أي شيء ينقادون، وهل يتبعون الرسل أم لا يتبعون.

كما أنه سبحانه وتعالى أراد إرادة أخرى، وهذا يدعونا إلى الحديث عن الإرادة الثانية، وهي الإرادة الشرعية،

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٨/١٢

والإرادة الشرعية موافقة لمعنى محبة الله عز وجل ورضاه، فهذه الإرادة هي التي أمر بها بالأوامر الشرعية، وهي التي نهى بها عن المناهي والمحرمات، وحينئذ يعرف الإنسان أن الله عز وجل له إرادتان: إرادة بمعنى الخلق، وإرادة بمعنى الشرع والأمر.

وحينئذ عندما يقرأ الإنسان قول الله عز وجل: {ولا يرضى لعباده الكفر} [الزمر:٧] يعلم أن المعنى: لا يريده ولا يحبه، والرضا قدر زائد على الإرادة، فهو شبه مستقل عن صفة الإرادة، لكن قد يقول قائل: إذا كان لا يرضاه فلماذا يريده كونا؟

و A ليبتلي الله عز وجل العباد.." (١)

"بيان معنى شهود الحقيقة الكونية عند الصوفية

سبق أن قلنا: إن الشيخ في هذا الكتاب بعد أن قسم العبودية إلى قسمين: العبودية الاضطرارية، والعبودية الاختيارية؛ بين ضلالات فرقة من أشهر الفرق في هذا الموضوع، وهم الصوفية، فقال: وكثير ممن يتكلم في الحقيقة ويشهدها يشهد هذه الحقيقة، وهي الحقيقة الكونية.

وسبق أن عرفنا بالصوفية، وأهم العقائد التي عند الصوفية، ونقدنا أهم هذه العقائد.

ومعنى شهود الحقيقة الكونية في اصطلاح الصوفية: رؤية الحق بالحق وصورة الشهود عندهم هو أن الإنسان يتعمق في أمر من الأمور حتى ينكشف له ويصبح مثل رؤية العين، فهم يعظمون الحقيقة الكونية، ويعظمون توحيد الربوبية إلى درجة أن كان هاجسهم وأساس الدين عندهم، فهم يريدون أن يشهدوا كيفية خلق الله تعالى المخلوقات، وتقديره المقادير، وكيف أن الله سبحانه وتعالى رزق العباد، وأنه هو النافع وحده، وهو الضار وحده، وهو المدبر لشئون الخلق جميعا وحده، ويشتغلون بهذا الأمر ويقفون عنده.

وسبق أن قلنا: إن هذا الشهود لا يكفي في ثبوت الإسلام، فإن كفار قريش كانوا يعرفون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، وكل أمم الأرض يعرفون أن الله عز وجل خالق، وهذا لا يكفي في النجاة من النار، ولا يكفي في ثبوت الإسلام للإنسان حتى يضاف إلى ذلك أن يشهد أن لا إله إلا الله ويقر بتوحيد الله عز وجل في أفعاله التي يقوم بها، ولهذا علق الشيخ على فعل هؤلاء الصوفية فقال: [وكثير ممن يتكلم في الحقيقة ويشهدها يشهد هذه الحقيقة، وهي الحقيقة الكونية التي يشترك فيها وفي شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وإبليس معترف بهذه الحقيقة] وهي أن الله خالق وأنه رازق سبحانه وتعالى [وأهل

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٥/١٨

النار]، ثم أثبت ذلك بقوله: [قال إبليس: {رب فأنظرني إلى يوم يبعثون} [الحجر:٣٦]] إلى آخر كلامه عن هذا الموضوع، ثم قال: [فمن وقف عند هذه الحقيقة] وهذا هو حال الصوفية [وعند شهودها] يعني رؤيتها [ولم يقم بما أمر به من الحقيقة الدينية التي هي عبادته المتعلقة بإلهيته] يعني: لم يقم بتوحيد الإلهية [وطاعة أمره وأمر رسوله كان من جنس إبليس وأهل النار] فأهل النار جميعا يشهدون الحقيقة الكونية، ويعرفون أن الله هو الخالق الرازق، وكذلك إبليس يعرف ذلك، وحينئذ لا فائدة من شهود الصوفية لهذه الحقيقة.

ثم بين ما يترتب على شهود الحقيقة الكونية عند الصوفية، وهو سقوط التكاليف، فإن لشهود الصوفية الحقيقة الكونية عندهم مبدأ ومنتهى، فالمبدأ عن طريق الخلوة والأوراد، والمنتهى هو الكشف وسقوط التكاليف، ولهذا يقول الشيخ هنا: [ومن ظن أن الخضر وغيره سقط عنه الأمر لمشاهدة الإرادة ونحو ذلك كان قوله هذا من شر أقوال الكافرين بالله ورسوله] ثم بعد ذلك شرع في قضية أخرى مهمة، فبين أهمية إدراك الفرق بين العبودية الاضطرارية والعبودية الاختيارية، وهذا الفرق سبق أن أشار إليه، لكن جمعه في هذه الفقرة، وهي أن الإنسان إذا أفنى عمره ونفسه في إدراك العبودية الاضطرارية؛ فإن هذا لا ينفعه حتى يضاف إليه الإقرار والالتزام بالعبودية الاختيارية وهي مقتضى توحيد الإلهية، يقول: [وبالفرق بين هذين النوعين يعرف الفرق بين الحقائق الدينية الداخلة في عبادة الله ودينه وأمره الشرعي حتى يحبها ويرضاها ويوالي أهلها ويكرمهم بجنته، وبين الحقائق الكونية التي يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، التي من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية كان من أتباع إبليس اللعين والكافرين برب العالمين، ومن اكتفى بها في بعض الأمور دون بعض، أو في مقام أو حال نقص من إيمانه وولايته لله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية].

إذا: الحقائق الدينية هي الأساس، وهي -كما قلت- توحيد الإلهية؛ وسبق أن أشرنا إلى أن توحيد الإلهية هو الحكمة من خلق الجن والإنس، وهو دين الرسل الذي بعثوا به، وهو منهاج دعوتهم، وهو الذي لا يقبل الله عز وجل دينا سواه، وهو معنى الإسلام ومعنى الإيمان، فإن الإسلام معناه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك، والاستسلام هو توحيد الإلهية، وكذلك الإيمان فإنه قول وعمل، وهو توحيد الإلهية، كما سبق أن أشرنا إلى هذا الموضوع في تعريف توحيد العبادة.." (١)

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٤/١٩

"الاحتجاج بالقدر وإسقاط التكاليف

الأثر الثاني: الاحتجاج بالقدر، وقد سبق أن أشرت إلى أن هؤلاء عظموا الحقيقة الكونية وفنوا فيها، والفناء سيأتي له تفصيل إن شاء الله، لكن معناه بشكل عام هو: غياب الذهن في طلب شيء معين.

فهم طلبوا معرفة أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ففنوا في هذا الأمر، فاعتبروا أن كل مخلوقات الله عز وجل معظمة ومقدسة ولها منزلة ولها مكانة، ونحن نعلم أن الله عز وجل خلق أشياء وهو يكرهها ويبغضها، فخلق الكفر، وخلق الذنوب والمعاصي، وخلق إبليس، وخلق الكفار، وخلق أهل الإجرام، وخلق أشياء كثيرة جدا وهو يبغضها، **والحكمة من** ذلك: الابتلاء، لكن هؤلاء لما فنوا في مخلوقات الله عز وجل اعتبروا كل المخلوقات معظمة، وبناء على هذا أسقطوا التكاليف عن الناس جميعا، واعتبروا كل الناس ممدوحين وأنهم على حق، وهؤلاء الذين شهدوا الحقيقة الكونية ليسوا على درجة واحدة، وإنما هم على درجات متعددة أشار إليها شيخ الإسلام رحمه الله في هذه الرسالة، وسنعرض لكل طائفة من هذه الطوائف التي فنت في الحقيقة الكونية وما ترتب على فنائها في الحقيقة الكونية، وشهودها لهذه الحقيقة من آثار خطيرة في المعتقد.." (١)

"تسوية أصحاب الحقيقة الكونية بين الأجناس المختلفة

وقد سبق أن أشرت إلى أن الصوفية ليسوا طائفة واحدة، وإنما هم طوائف، وهذه الطائفة التي ذكرتها هي ممن يشهد الحقيقة الكونية، وقد أطال الكلام عليها رحمه الله، ويمكن أن نقرأ مقتطفات من كلامه فيها، يقول: [فمن شهد الحقيقة الكونية دون الحقيقة الدينية] يعني: من شهد الربوبية دون الإلهية، [سوى بين هذه الأجناس المختلفة] أي: والحال أن الله تعالى يقول: {أفنجعل المسلمين كالمجرمين} [القلم:٣٥]، ويقول: {وما يستوي الأعمى والبصير * ولا الظلمات ولا النور * ولا الظل ولا الحرور * وما يستوي الأحياء ولا الأموات} [فاطر:١٩ - ٢٢].

يقول: الذي يشهد الحقيقة الكونية يسوي بينها؛ لأنها كلها مخلوقة لله عز وجل ليس بينها فرق، فالجميع مخلوق لله، وقد سبق أن أشرنا إلى أنه لو كان الشيء مخلوقا لله فلا يعني ذلك أن الله لا يبغضه، ولا يعني

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٢٠/٥

أن الله لا ينهانا عنه، فقد يخلقه وينهانا عنه، وقد يخلقه وهو مبغض له، **والحكمة في** هذا الابتلاء، قال تعالى: {ليبلوكم أيكم أحسن عملا} [الملك:٢].." (١)

"حقيقة المحبة وموضعها من العبودية

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [والمقصود هنا: أن الخلة والمحبة لله تحقيق عبوديته، وإنما يغلط من يغلط في هذه من حيث يتوهمون أن العبودية مجرد ذل وخضوع فقط لا محبة معه، أو أن المحبة فيها انبساط في الأهواء، أو إذلال لا تحتمله الربوبية، ولهذا يذكر عن ذي النون أنهم تكلموا عنده في مسألة المحبة فقال: أمسكوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها.

وكره من كره من أهل المعرفة والعلم مجالسة أقوام يكثرون الكلام في المحبة بلا خشية، وقال من قال من السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد].

هذا يروى عن مكحول.

رواه أبو نعيم في الحلية بإسناد صحيح عنه.

وبالنسبة لمسألة وجود المحبة في العبودية، وأنها تعتبر من أسس العبودية فهذا أمر متفق عليه عند أهل السنة، لكن أهل البدع خالفوا في هذه القضية وقالوا: إن المحبة ليست داخلة في العبودية، وفهموا أن العبودية هي مجرد إذلال وخضوع، ولهذا قالوا: بأن العبد عابد لله عز وجل، أي: ذليل له، وأن المحبة قدر بعيد لا يستطيعها أي أحد، والحقيقة: أن المسلم أي مسلم لا بد أن يجتمع فيه الخضوع والذل مع المحبة كأصل من أصول الإسلام، ثم بعد ذلك يختلف الناس في ازديادهم في العبادة، فإذا زادت عبادته لله عز وجل زادت محبته له حتى يصل إلى مراتب عالية جدا، ولهذا كان أعلى أهل الإيمان هو النبي صلى الله عليه وسلم وإبراهيم الذي وصل إلى مرتبة الخلة التي هي أعلى المحبة، والسبب في نفي وجود المحبة في العبودية عند الصوفية وأهل الكلام: هو تعظيمهم لموضوع العبودية، وهو فرع عن مذهبهم في القدر الذي سبق أن أشرنا إليه، وقولهم بالجبر، وأن الإنسان خاضع لله عز وجل ذليل له اضطراريا، وأن العبودية لله هي تحقيق مقتضى الخضوع الاضطراري التام الذي ليس معه اختيار بالنسبة للعبد، ولهذا فالعبودية عندهم تختلف من حيث معيتها عن العبودية عند أهل السنة، فالعبودية عندهم تقتضي مجرد الخضوع للإرادة

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ١٠/٢٠

الكونية، فإذا خضع للإرادة الكونية وخضع للأمر الكوني وللعبودية الكونية فإنه حينئذ يكون عابدا، وهذا لا شك أنه خطأ كبير؛ لأن الإرادة الكونية العامة هي ما خلقه الله عز وجل في الكون ابتلاء للإنسان، وهو مطالب بمنازعة بعض ما خلقه الله، فالله عز وجل خلق الكفر ابتلاء، وخلق المعاصي والذنوب، وخلق الحر والبرد، وخلق أمورا كثيرة مما يكرهه هو ومما يكرهه الإنسان، **والحكمة في** هذا الموضوع هي: الابتلاء، فيجب على الإنسان أن يدفع ما خلقه الله عز وجل من المكروهات بما أمر به من المحبوبات، فالله عز وجل خلق الكفر وأمر بالإيمان، فيدفع الكفر بالإيمان، والله عز وجل في الأمور الطبيعية خلق البرد وينبغي على الإنسان أن يدفعه بالابتعاد عن مواطنه، أو البحث عما يبعده عن مواطنه، وهكذا في سائر الأمور سواء الشرعية أو الطبيعية.." (١)

"والمراد هنا أن دلالة لا إله إلا الله على معنى لا إله إلا الله الذي هو لا معبود بحق إلا الله دلالة مطابقة، حينئذ لا إله إلا الله تدل على توحيد الألوهية مطابقة، وتدل على توحيد الأسماء والصفات تضمنا، ولا نقول بأن لا إله إلا الله خالصة في توحيد الألوهية هذا غلط، وإنما تدل مطابقة على معنى التوحيد توحيد الألوهية، وكذلك تدل على توحيد الربوبية لكنه بدلالة التضمن، ولذلك قلنا فيما مر: أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، يستلزمه بمعنى ماذا؟ لأنه إن وجد لزم منه ألا يصرف العبادة لغير الله تعالى، إن وجد توحيد الربوبية بمعنى أنه أفرد الباري جل وعلا بصفة الخلق، قال: لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا محيي ولا مميت إلا الله، ولا نافع إلا ولا ضار إلا الله. إذا هذا الذي أفردته بهذه الصفات العظام هو الذي يستحق العبادة، فإن صرف العبادة لغير من اعترف له بالخلق والرزق والتدبير حينئذ يكون ماذا؟ قد وقع في الخلل، وهو أنه لم يلتزم بما اعتقده ابتداء في حق الباري جل وعلا، فحينئذ نقول: توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلوهية وكذلك الأسماء والصفات، وتوحيد الإلوهية يتضمن توحيد الربوبية يعني بعضه، وعرفنا معنى التضمن أن اللفظ يدل على ماذا؟ على بعض المعنى فهو جزء منه، إذا كان كذلك فحينئذ يرد السؤال الذي نورده دائما: هل الرسل دعت إلى توحيد الربوبية؟ الجواب: نعم، دعت إلى توحيد الربوبية، بعضهم يظن أن قوله جل وعلا {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل: ٣٦]. إذا ما دعا الرسل إلى توحيد الربوبية؟ نقول: لا، الآية وغيرها تدل على ماذا؟ على أن الغاية **والحكمة من** إرسال الرسل هو توحيد الإلوهية، لكن هذا لا يلزم منه ماذا؟ أن لا يكون الرسل قد دعوا إلى توحيد الربوبية والأسماء

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٥/٨

والصفات. إذا هذه متقاربة، هل دعت الرسل إلى توحيد الربوبية؟ الجواب: نعم.

هل أرسلت الرسل من أجل توحيد الربوبية؟

الجواب: لا، لم ترسل الرسل من أجل توحيد الربوبية من أجل إفراد الباري جل وعلا بصفاته أو بأفعاله، وإنما أرسلت وبعثت وأنزلت الكتب من أجل ماذا؟ من أجل تحقيق توحيد الإلوهية، حينئذ فرق بين المسألتين.

هل دعت الرسل إلى توحيد الربوبية؟

الجواب: نعم، قاطبة.

وهذا محل وفاق، دعت الرسل إلى توحيد الربوبية، ودعت الرسل إلى توحيد الأسماء والصفات، لكن هل أرسلت الرسل من أجل توحيد الربوبية؟

الجواب: لا، فرق بين المسألتين، فلا تلتبس.

قال هنا: (فإن معناها الذي عليه). أي على هذا المعنى الضمير يعود إلى المعنى، (دلت) أي هذه الكلمة، (وهدت) أي أرشدت، (إليه) أي إلى هذا المعنى (أن ليس بالحق إله يعبد)، (فإن معناها الذي عليه ** دلت) ما هو المعنى الذي دلت عليه لا إله إلا الله؟ (دلت يقينا) [هكذا (يقينا)] يعني جزما اعتقادا جازما، وسيأتي شرط اليقين، يعني العلم الذي لا يلحقه شك البتة يسمى يقينا في هذا الموضع، (وهدت) أي أرشدت ... (إليه) أي إلى هذا المعنى، ما هو؟." (١)

"يعني لا رجل موجود في الدار إلا زيد مثلا، هنا قال: فيكون ذلك كله توحيدا، فما عبد على هذا التقدير إلا الله إذ هي هو، وهذا والعياذ بالله أعظم الكفر وأقبحه على الإطلاق، وفيه إبطال لرسالات جميع الرسل، وكفر بجميع الكتب، وجحود لجميع الشرائع، وتكذيب بكل ذلك، وتزكية لكل كافر من أن يكون كافرا إذ كل ما عبده من المخلوقات هو الله فلم يكن عندهم مشركا بل موحدا، فإذا فهمنا هذا فلا يجوز تقدير الخبر موجود إلا أن ينعت اسم لا بحق فلا بأس، يعني (لا إله) حقا موجود إلا الله، حينئذ لا بد من كلمة حق، إما أن تجعل وصفا لإله، وإما أن تجعل هي الخبر، لا إله حقا موجود إلا الله حينئذ موجود هي الخبر لا إشكال فيه، لكن المعنى الفاسد المترتب على المعنى السابق لا إله موجود هذا منتف هنا، لماذا؟ لوجود كلمة حق في هذه الجملة، قال هنا: فلا يجوز تقدير الخبر موجود إلا أن ينعت اسم لا بحق

---

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ٨/١٧

فلا بأس، ويكون التقدير لا إله حقا موجود إلا الله، فبقيد الاستحقاق ينتفي المحذور الذي ذكرنا، لا إله هذا فيه إبطال لجميع الآلهة التي تعبد من دون الله، فجعل المصنف هنا أنه يجوز أن يكون لفظ حقا نعتا لإله، وعليه ماذا؟ ما الذي ينبني عليه؟ ينبني عليه أنه نفى استحقاق هذه المعبودات لأن توصف بأحقية الإلهية، ولذلك النفي هنا ليس نفي وجود -كما نبه بعض أئمة الدعوة، أن المراد هنا لا إله يعني لا موجود بمعنى أن الله عز وجل نفى وجود المعبودات لا - وإنما نفى استحقاق، فالنفي متعلق بماذا؟ أما هذه موجودة هبل موجود، وكل معبود من دون الله موجود الأشجار موجودة والأحجار موجودة لا تنفى، وإنما النفي هل هي مستحقة لأن تعبد أو لا؟ فقال: لا إله إلا الله. يعني لا تستحق هذه المعبودات من دون الله أن تعبد، فهذه الأحجار لا يتوجه إليها بعبادة البتة، فحينئذ ليس الغرض **والحكمة من** لا إله إلا الله نفي وجود هذه الآلهة، وإنما الغرض منها والحكمة هو نفي استحقاق هذه المعبودات التي صرفت إليها أنواع من العبادة. قال: فبقيد الاستحقاق ينتفي المحذور الذي ذكرنا.

.... إلا الإله الواحد المنفرد

بالخلق والرزق وبالتدبير ... .

وهذه ثلاثة أشياء ذكرها، منفرد بالخلق (إلا الإله الواحد)، قلنا (إلا الإله) الإله هذا من أسمائه جل وعلا على الصحيح وبعضهم نازع في ذلك، (الواحد) هذا تأكيد له لأن الإله لا يكون إلا واحدا، لأنه إذا قيل: الإله. معناه ماذا؟ الإله بحق، وإذا كان كذلك لا يكون إلا واحدا، إذا قوله: (الواحد). هذا يعتبر ماذا؟ يعتبر تأكيدا (المنفرد بالخلق)." (١)

"عناصر الدرس

* مقدمة: تعريف العبد لما خلق له ... ".

* **الحكمة من** خلق الخلق، وأدلة المسألة.

* الميثاق الأول، وأدلة المسألة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ١٣/١٧

أما بعد.

قال الناظم رحمه الله تعالى: (مقدمة تعرف العبد بما خلق له، وبأول ما فرض الله تعالى عليه، وبما أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم عليه السلام وبما هو صائر إليه).

(مقدمة) أي هذه مقدمة، مقدمة هذا خبر لمبتدأ محذوف، (مقدمة) أي هذه مقدمة، بكسر الدال على المشهور، وإن كان يصح أن يقال مقدمة لكن الكسر هو الأفصح والأشهر كمقدمة الجيش فإنها مكسورة الدال للجماعة المتقدمة منهم، قدم اللازم بمعنى تقدم، ومنه قوله تعالى: {لا تقدموا بين يدي الله ورسوله} [الحجرات: ١]. ومعناه لا تتقدموا، إذا (مقدمة) مأخوذ من قدم اللازم بمعنى تقدم، إذا هذه أمور متقدمة على غيرها في الذكر، يعني ما سيذكره هنا تحت هذه المقدمة هذه أمور تتقدم على ما سيأتي ذكره، فالمقدمة أمور متقدمة، التقدم وصف ذاتي لها.

هذه المقدمة وهي أحد عشر بيتا ضمنها المؤلف رحمه الله تعالى أربع مسائل:

المسألة الأولى: **الحكمة من** خلق الخلق الإنس والجن.

المسألة الثانية: الميثاق الأول.

المسألة الثالثة: قيام الحجة على خلق مما تكون.

المسألة الرابعة: انقسام الناس إلى قسمين بعد إرسال الرسل.

هذه المقدمة اشتملت على هذه الأمور الأربعة ولعلها مقدمة لما سيأتي من انقسام التوحيد إلى نوعين، إذ الأولى أن يعرف الناظر أو الطالب **الحكمة من** خلق الخلق، ثم الميثاق الأول، ثم قيام الحجة بماذا تحصل؟ وبماذا تكون؟ ثم انقسام الناس بعد إرسال الرسل إلى مؤمنين مصدقين وإلى كفار مكذبين.

أشار إلى المسألة الأولى وهي **الحكمة من** خلق الخلق الإنس والجن لقوله:

اعلم بأن الله جل وعلا ... لم يترك الخلق سدى وهملا

بل خلق الخلق ليعبدوه ... وبالإلهية يفردوه." (١)

"هذين البيتين ضمنها المسألة الأولى وهي **الحكمة من** خلق الخلق، قوله: (اعلم). أمر بتحصيل العلم، أي كن متهيئا لما يلقى إليك من العلوم، وكلمة يؤتى بها للاهتمام والحث على تدبر ما بعدها، يعني جرى عادة أهل العلم في الأشياء المهمات أن يصدروا كلامهم أو كتابهم أو ما يتعلق بتنبيه أو نحو ذلك

---

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ١/٢

بكلمة (اعلم)، وهي ليست مقصودة لذاتها، وإنما المراد بها كن متهيئا لما بعده لما سيذكر، والذي سيذكر حينئذ يكون شيئا مما يهتم به، إذا كلمة يؤتى بها للاهتمام مما بعدها، (اعلم) خطاب هنا في هذا الموضع لكل المكلفين فلا يختص الخطاب من مخاطب دون المخاطب، بل كل من تأتى منه العلم فله مدخل فيه، ولذلك لم يتعين هنا الفاعل (اعلم) فكل قارئ (اعلم) الأصل أنه واحد، (اعلم) أنت هذا الأصل فيه، هل هو معين أو غير معين؟ نقول: غير معين، لأنه كلما قرأ قارئ اعلم حينئذ ظن أنه هو المخاطب، فدخل تحته ما لا حصر من الأفراد، وهذا له أصل في لسان العرب، بل جاء القرآن كذلك في قوله تعالى: {ولو ترى إذ وقفوا على النار} [الأنعام: ٢٧]. {ولو ترى} كل مخاطب حينئذ إذا قرأ هذه الآية كأنه مخاطب بها، {ولو ترى} أنت وإن كان أصل الخطاب فيه لمحمد - صلى الله عليه وسلم -، {ولو ترى} أنت يا محمد، لكن ما جاء بصيغة الجمع وإنما جاء بصيغة الإفراد حينئذ كل من يتأتى منه الرؤية فهو داخل في الخطاب، خرج على صورة الخطاب ليعم، (اعلم بأن الله جل وعلا)، (بأن الله) الله هو المعبود المطاع كما مر معنا سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى، والباء هنا زائدة (اعلم بأن الله) لأن علم يتعدى بنفسه، علم في الأصل يتعدى بنفسه، ومنه قوله تعالى: {يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم}. ما هنا إعرابها في محل نصب مفعول به ليعلم يتعدى بنفسه، يعني: لا يحتاج إلى حرف، {يعلم ما بين أيديهم} الذي بين أيديهم فهو معلوم تعلق به يعلم فنصبه على أنه مفعول به، ولم يأت ذكر للباء حينئذ إذا جاءت الباء وكان الأصل في الفعل أنه متعد حكمنا بكونها زائدة، وأما الباء في قوله تعالى: {ألم يعلم بأن الله يرى} [العلق: ١٤]. هنا جاءت الباء، {ألم يعلم بأن} وجرى عليه المصنف هنا رحمه الله تعالى فيحتمل زيادتها، يحتمل الأمر زيادتها، حينئذ تكون زائدة ولا إشكال في القول بالزيادة، لأنه يكون من باب التأكيد، أو أن يكون قوله: {يعلم}. مضمنا معنى أحاط، أحاط يتعدى بالباء، {ألم يعلم بأن الله يرى}، إذا علم وأحاط فضمنه ماذا؟ معنى أحاط، وأحاط يتعدى بالباء كما في قوله تعالى: {ولا يحيطون بشيء من علمه} [البقرة: ٢٥٥].." (١)

"إذا خلقهم لهذا الأمر الوحيد الذي دل عليه الآية السابقة، وقوله تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء} [البينة: ٥] .. الآية وغيرها من الآيات، ويؤيد ذلك أن الله تبارك وتعالى إنما أراد العبادة من جميع عباده، وأرادها منهم وقضاها عليهم في الشرع لا في الكون، يعني {إلا ليعبدون} ثم

---

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٢

إرادة هنا، ما هي هذه الإرادة؟ إرادة شرعية، أرادها شرعا ودينا ولم يردها كونا إذ لو أرادها كونا لم يتخلف أحد البتة، فهمتم الفرق؟ لو أرادها كونا بمعنى أنه لا يوجد على هذه البسيطة مخلوق من الجن والإنس إلا وهو مؤمن لما تخلف أحد البتة، ولكن لما وجد غير المؤمنين ووجد من كذب المرسلين، حينئذ علمنا أن الإرادة هنا إرادة شرعية، وهذه هي الإرادة الشرعية الدينية، فبين الإرادة الشرعية الدينية والإرادة الكونية القدرية عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في حق المخلص المطيع وتنفرد الإرادة الكونية القدرية وتنفرد الإرادة الكونية القدرية في حق العاصي، إذا بينهم تلاق وبينهما انفراد وسيأتي في مبحث الإرادة زيادة بحث في هذه المسألة، وإنما المراد هنا التنصيص على أن قوله: {إلا ليعبدون}. المراد به الإرادة الشرعية يعني أمرهم شرعا وحكم شرعا أن يعبدوه، ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون، هذا المراد هنا.

وأما معنى العبادة قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. وسيأتي فصل خاص في المتن بإذن الله تعالى يتعلق بالعبادة.

إذا قوله: (بل خلق الخلق ليعبدوه). ثم بين أن هذه العبادة لا تكون عبادة إلا بإفراد جل وعلا فقال: (وبالإلهية يفردوه). يفردوه بالإلهية، هذا ما يتعلق المسألة الأولى وهي **الحكمة من** خلق الخلق.

وأشار إلى المسألة الثانية وهي: الميثاق الأول. بقوله:

أخرج فيما قد مضى من ظهر ... آدم ذريته كالذر

وأخذ العهد عليهم أنه ... لا رب معبود بحق غيره

(أخرج) من؟ الله تعالى، وإذا قلت: أخرج الله تعالى. بمعنى أنك وصفته بالإخراج، أليس كذلك؟ يوصف الله تعالى بصفاته، كيف نصل إلى الصفات؟ منها أن يذكر الفعل {الرحمن على العرش استوى} [طه: ٥]، {استوى} هذا ما نوعه؟ اسم أم فعل؟ فعل، إذا وصف الله تعالى بالفعل، فدل {استوى} على ماذا؟ على الاستواء، هنا قال: (أخرج) أي الله عز وجل، إذا يوصف الله تعالى بالإخراج، واضح هذا؟ (أخرج) الله تبارك وتعالى وأظهر حقيقة بمعنى أن الأمر قد وقع بالفعل وليس هو أمرا اعتباريا، أو أمرا عقليا، أو أمرا لا وجود له، وإنما هو أمر بالفعل أمر تحقق، لماذا؟ لأن الأصل حمل اللفظ على حقيقته، ودعوى أنه أمر معنوي أو أنه عقلي أو أنه اعتباري هذا معنى مجازي، وإذا كان المعنى مجازيا فنحتاج إلى دليل واضح بين

على أن المراد بهذا النص الآتي ذكره المراد به المجاز.

وحيث ما استحال الأصل ينتقل ... إلى المجاز ...." (١)

"عناصر الدرس

* تكملة مقدمة الناظم.

* المسألة الثالثة: الحجة على الخلق بم تكون.

* المسألة الرابعة: انقسام الناس بعد إرسال الرسل إلى طائفتين.

* الفصل الأول وفيه مسائل:

* المسألة الأولى: أول واجب على العبيد.

* المسألة الثانية: تعريف التوحيد لغة وشرعا وأقسامه.

* شرح قول الناظم " إثبات ذات الرب جل وعلا ".

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

فلا زال الحديث في بيان المقدمة التي قدم بها الناظم رحمه الله تعالى هذا النظم، وبينا أن هذه المقدمة اشتملت على أربع مسائل:

المسألة الأولى: في بيان **الحكمة من** خلق الجن والإنس، وأشار إليها بقوله:

اعلم بأن الله جل وعلا ... لم يترك الخلق سدى وهملا

بل خلق الخلق ليعبدوه ... وبالإلهية يفردوه

وهذا فيه إشارة إلى قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦]. فحصر الله تعالى علة الخلق لعبادته وحده دون ما سواه، وقوله جل وعلا: {أيحسب الإنسان أن يترك سدى} [القيامة:٣٦] أي هملا لا يؤمر ولا ينهى، كذلك لا يبعث كما قال بعضهم كما بينا ابن كثير رحمه الله تعالى يرى أن الآية تحمل على المعنيين {أيحسب الإنسان أن يترك سدى} ألا يؤمر ولا ، وكذلك لا

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ١٠/٢

يبعث، لأن مقتضاه إذا لم يكن ثم أمر ولا نهي حينئذ قد يقال بأنه لا بعث، ولكن إذا كان ثم أمر ونهي حينئذ لا بد فيه من البعث.

والمسألة الثانية: أشار إليه بمسألة مهمة، وهي: مسألة الميثاق الأول، وأشار إليها بقوله:

أخرج فيما قد مضى من ظهر ... آدم ذريته كالذر

وأخذ العهد عليهم أنه ... لا رب معبود بحق غيره." (١)

"والذي دل عليه النص هو الإنذار والتبشير، **والحكمة في** ذلك، أي من إرسال الرسل وإنزال الكتب، قال: (كي لا يكون حجة للناس). لكي لا يكون، (يكون) هذا منصوب بـ (كي)، و (حجة) اسم يكون، و (للناس) هذا متعلق بمحذوف خبر (يكون)، كي لا يكون حجة كائنة للناس، يعني ما أرسل الله عز وجل الرسل إلا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، أي لأجل عدم وقطع احتجاج الناس على خالقهم، إذ لو لم يرسل إليهم لكان ذلك فيه حجة، يعني الله عز وجل خلقهم لعبادته، ثم أخذ عليهم الميثاق بعد خلق آدم عليه السلام، ثم لما خلقهم وأوجدهم نسوا ذلك الميثاق حينئذ إذا لم يحصل تذكير فقد يكون ثم حجة للناس، فقطع الله عز وجل الحجة على الخلق ببعث الرسل (كي لا يكون حجة)، أي على الله عز وجل، وحذفها المصنف هنا للعلم بها، والحجة هي: الدلالة المبينة للمحجة، أي المقصد المستقيم، يعني الدليل، لئلا يحتج الناس بعدم إرسال الرسل على الله عز وجل بأنهم أشركوا، وإنما وقع الشرك لعدم علمهم بأن هذا من الشرك، وعدم علمهم بالتوحيد، والذي يقتضي صحة أحد النقيضين، قال تعالى: {قل فلله الحجة البالغة} [الأنعام: ١٤٩]. ويجوز أن يسمى ما يحتج به حجة، كل ما يحتج به فهو حجة، سواء كان حقا أو باطلا، يعني الحجة ليست خاصة خاص بالحق، وإنما تشمل كذلك الباطل، كقوله تعالى: {والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم} [الشورى: ١٦]. سماها ماذا؟ سماها حجة، فسمى الداحضة حجة، قال: (بل** لله أعلى حجة عز وجل). (كي لا يكون حجة للناس بل) هذا إضراب وانتقال، لله عز وجل على جميع خلقه وعباده من الثقلين (أعلى حجة)، (أعلى) هنا أفعل التفضيل، وليست على بابها، يعني ليس ثم حجة عالية، وحجة أعلى منها، إذ الخلق ليس لهم حجة البتة، حينئذ نقول: (أعلى) هنا أفعل التفضيل، وليست على بابها، يعني ليس للخلق حجة مطلقا، لأن الرسل هنا قد بعثوا (أعلى حجة)، أي: أبلغها وأدمغها عز سلطانه، وسيأتي معاني العزة، وجل شأنه عن

---

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ٣/١

أن يكون لأحد عليه حجة، كما قال تعالى مبينا هذه الحكم التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى: {رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل}. انقطعت الحجة ببعث وإرسال الرسل، {وكان الله عزيزا حكيما} [النساء: ١٥٨]، إذا بين في هذه المسألة أن الحجة إنما تقع ببعث الرسل، وليست بالميثاق الأول ولا بالفطرة، والنص واضح بين يدل على ذلك.

ثم بين المسألة الرابعة، وهي: انقسام الناس بعد بعث الرسل، فقال رحمه الله تعالى:

فمن يصدقهم بلا شقاق ... فقد وفى بذلك الميثاق." (١)

"{العزيز} هذا دال على صفة العزة، وهو كمال في نفسه، و {الحكيم} دال على الحكمة والحكم، وهو كمال في نفسه، لكن لما أضيف وقرن بين الاسمين ازداد كمالا على كمال، فإن الله تعالى يجمع بين هذين العلمين في القرآن كثيرا، فيكون كل منهما دالا على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزة في العزيز، والحكم **والحكمة في** الحكيم، والجمع بينهما دال على كمال آخر، وهو أن عزته جل وعلا مقرونة بالحكمة، عزة مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلما وجورا وسوء فعل، لأن الإنسان قد يوصف بالعزة لكنه يجور ويظلم، أو لا؟ يحصل هذا، يكون عزيزا متصفا بالعزة والأنفة، لكنه يظلم غيره، وقد يكون حكيما ولا يكون عزيزا، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم، فيظلم ويجور ويسيء التصرف، وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل، يعني: يكون حكيما لكنه ضعيف، ممكن؟ ممكن يكون إنسان عاقل متزن وحكيم ويضع الأمور في مواضعها لكنه ضعيف.

القاعدة الثالثة: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف. وهذا الذي أردنا بقولنا فيما سبق في الاختيار الاسمي أنه مشتق، يعني: صفة، فإذا كان كذلك حينئذ يدل على معنى، فأسماء الله تعالى ليست جامدة، يعني الجامد هو الذي لا يدل على معنى، كزيد لا يدل على معنى، رجل لا يدل على معنى، ولكن أعلام الله عز وجل هي أسماء تدل على معاني من حيث الاشتقاق، لأنها إما اسم فاعل وإما أمثلة مبالغة ونحو ذلك، فهي ليست جامدة لا تدل على معاني، وإنما هي أعلام وأوصاف، لماذا نقول: أعلام وأوصاف؟ يعني: علم يدل على الذات، هذا شأن العلم، العلم إذا أطلق المراد به أن يعرف الذات، والأوصاف هذا جمع صفة وهو ما دل على معنى قائم بالذات، أعلام وأوصاف، جمعت بين الأمرين، أعلام لماذا؟ لأنها تدل على

---

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ٨/٣

الذات، هذا شأن العلم.

اسم يعين المسمى مطلقا ** علمه." (١)

"حكم قراءة الأذكار لما يترتب عليها

Q من يقرأ بعض الأدعية المأثورة: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، قد يقرؤها يريد ما يترتب عليها مما ورد، بحفظ الله لصاحبها، هل هذا على الصواب أم لا؟

A نعم لا حرج، لكن ينبغي أن يكون بذلك ممتثلا لطاعة الله عز وجل وعابدا ومتوجها إليه، يتأله لله، ثم بعد ذلك لا يمنع أن يقصد بالتعوذ دفع الشر عنه، بل هذا هو **الحكمة من** تشريع هذه التعوذات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم مثل: أعوذ بكلمات الله التامات **فالحكمة منها** أن يدفع الإنسان بها الشرور والضر، فليس عليه حرج أن يقصد بها حفظ نفسه، فما شرعت إلا لذلك، مع التعبد والتوجه إلى الله عز وجل بذلك.." (٢)

"العمل بالأسباب لا ينافي القدر ولا يصادمه

[وأخرج البيهقي عن أنس أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، فجعل يسقط سيفي وآخذه ويسقط وآخذه.

قال: والطائفة الأخرى -المنافقون- ليس لها هم إلا أنفسهم، أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق: {يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية} [آل عمران:١٥٤]، إنما هم أهل ريب وشك بالله عز وجل.

قوله: {قد أهمتهم أنفسهم} [آل عمران:١٥٤] يعني: لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف: {يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية} [آل عمران:١٥٤].

قال شيخ الإسلام رحمه الله لما ذكر ما وقع من عبد الله بن أبي في غزوة أحد قال: فلما انخذل يوم أحد وقال: يدع رأيي ورأيه ويأخذ برأي الصبيان -أو كما قال- انخذل معه خلق كثير كان كثير منهم لم ينافق قبل ذلك، فأولئك كانوا مسلمين، وكان معهم إيمان هو الضوء الذي ضرب الله به المثل، فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق لماتوا على الإسلام ولم يكونوا من المؤمنين حقا الذين امتحنوا فثبتوا على المحنة، ولا من المنافقين حقا الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة، وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم إذا

---

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ١٤/٤

(٢) شرح عقيدة السلف للصابوني - ناصر العقل، ناصر العقل ٦/٣

ابتلوا بالمحنة التي يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيرا وينافق كثير منهم، ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالبا، وقد رأينا من هذا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة، وإذا كانت العافية أو كان المسلمين ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين وهم مؤمنون بالرسل باطنا وظاهرا، لكنه إيمان لا يثبت على المحنة، ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم، وهؤلاء من الذين قالوا: آمنا فقيل لهم: {لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم} [الحجرات:١٤] أي: الإيمان المطلق الذي أهله هم مؤمنون حقا؛ فإن هذا هو الإيمان إذا أطلق في كتاب الله تعالى كما دل عليه الكتاب والسنة، فلم يحصل لهم ريب عند المحن التي تقلقل الإيمان في القلوب.

انتهى.

قوله: وقد رأينا من هذا ورأى غيرنا ما فيه عبرة.

قلت: ونحن كذلك رأينا من ذلك ما فيه عبرة عند غلبة العدو من إعانتهم العدو على المسلمين، والطعن في الدين، وإظهار العداوة والشماتة، وبذل الجهد في إطفاء نور الإسلام وذهاب أهله، وغير ذلك مما يطول ذكره والله المستعان.

قوله: في الصحيح -أي صحيح مسلم - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (احرص) الحديث].

قوله: (باب ما جاء في اللو) المقصود الاعتراض على القدر أو الاعتراض على الشرع، أما الاعتراض على القدر فيكون بعد وقوع الشيء، ينظر إلى الأسباب وإلى الأمور التي يفكر أنه يمكن أن يفعلها، فينجو من ذلك فيقول: لو أني فعلت كذا ما صار كذا وكذا.

وفي نفسه عند هذا القول من الضيق والحرج والأسى والسخط لما وقع فيه، فهو غير راض بما وقع، ويرى أنه يمكن أن يغير، وهذا كله من الكفر بالله جل وعلا.

أما الاعتراض على الشرع فمثله ما ثبت عن أبي عن عبد الله بن أبي رئيس المنافقين حينما قام يخاطب أصحابه في أحد ويقول: رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع رأيي ورأيه ويأخذ برأي الصبيان فلهذا حصل ما حصل! فهو يعتمد على ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم وما أمر به، ويرى أنه غير حكيم وغير رأي حازم كما هو شأن المنافقين في كل وقت، والآية فيها أن الله جل وعلا قسم الناس إلى قسمين: قسم أنزل عليهم النعاس في مصافهم أمام العدو، ونزول النعاس في موطن الخوف والحرب دليل النصر ودليل الإيمان،

لهذا قال الله: {ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم} [آل عمران:١٥٤] يغشى طائفة وليس كلهم.

هذا قسم، وهؤلاء هم أهل الإيمان الخلص الذين تبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علم ويقين وبصيرة، وعلموا أنه لا يقع إلا ما قدره الله جل وعلا، وهم راضون بما قدر الله، وإنما إذا وقع ما يرون أنه مصيبة يقولون: (إنا لله وإنا إليه راجعون) فيزدادون بذلك إيمانا.

أما القسم الثاني فهو ما ذكر في قوله: {وطائفة قد أهمتهم أنفسهم} [آل عمران:١٥٤] يعني: ليس لهم هم إلا حياتهم، يخافون الموت ويخافون أن يقتلوا، أما أمر الدين ونصره فهذا لا يهمهم، وإنما همهم كله خوفهم على أنفسهم، ولهذا وصفوا بالجبن لأنهم يخافون أن يقتلوا، ووصفوا بالخذلان لأنهم خذلوا المسلمين في المواطن، كما فعل عبد الله بن أبي بن سلول في أحد، فإنه رجع بثلث الجيش، وهؤلاء الذين رجعوا ليسوا كلهم منافقين ولكن عندهم ضعف إيمان، وأما المنافق الخالص فهو الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان، ولا يخاطب بمثل هذا {قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق} [آل عمران:١٥٤]، وسيأتي الكلام على ظنهم هذا وهو ظن الجاهلية: {يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا} [آل عمران:١٥٤] أي: لو جعل لنا التصرف وأخذ برأينا وامتثل قولنا ما حصل ما حصل.

وهذا واضح في أنه اعتراض على ما قدره الله، أي: أنهم يقولون: يمكن أن يتغير ما وقع، ولو أخذ برأينا ما وقع القتل.

مع أن هذا شيء قد كتبه الله جل وعلا قبل خلق السموات والأرض ولا يمكن تغييره، فكل ما يقع من دقيق أو جليل فهو بإذن الله بإرادته وبتقديره السابق، والأمور التي يرى أنها أسباب لا تؤثر في ذلك، وإنما يعتقد هذا من لا يؤمن بقدر الله جل وعلا ولا يؤمن بأسماء الله وصفاته؛ لأن من أسمائه وصفاته جل وعلا (العليم الخبير) الذي خلق كل شيء وقدره تقديرا، فلا يقع شيء إلا عن خلقه وتقديره، وقد كتب ذلك في كتاب تأكيدا لهذا، وإلا فالله جل وعلا لا ينسى ولا يخفى عليه شيء، فقول هؤلاء: {لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا} [آل عمران:١٥٤] يعنون به: ما قتل من قتل من قومنا ومن إخواننا لأن المقتول لا يقول: ما قتلت.

ولكن عبروا عن قتل إخوانهم بأنه كقتل أنفسهم، وقد علم أن هؤلاء يقولون ذلك غير راضين به، بل ساخطين بما صار وآسفين عليه، ومتضايقين منه أشد الضيق، وهم مع ذلك يعتقدون أنه يمكن أن يتغير، ولو أخذ

برأيهم ما وقع ذلك.

فهذا المقصود من المنع من قول (لو) أنها إذا كانت بالاعتراض على قدر الله جل وعلا وعدم الرضا بما وقع، فإن هذا لا يجوز أن يقع من المسلم، أو كان المقصود الاعتراض على تدبير الرسول صلى الله عليه وسلم وأمره ونهيه وشرعه الذي شرعه الله له، وأنه غير حكيم، وأن غيره يمكن أن يكون أحسن منه، فهذا اعتراض على الله وهو من الكفر بالله جل وعلا، كما أن الأول أيضا عدم رضا بتقدير الله وكذلك عدم إيمان به وأنه لم يقدر ولم يقع عن كتابة وعلم سابق ويمكن أن يغير.

أما إذا جاءت (لو) في ذكر شيء يعتقد الإنسان في المستقبل أنه سيفعله، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة)، وكقوله صلى الله عليه وسلم (لو كنت راجما أحدا بلا بينة لرجمت هذه) لامرأة معينة حصلت الملاعنة بينها وبين زوجها، فلما جاءت بالولد فإذا هو على صفة الرجل الذي رمي بها على نعته شبيها به، فقال صلى الله عليه وسلم: (لو كنت راجما أحدا بلا بينة لرجمت هذه) أي أن في ذلك يظهر صدق زوجها، ولكن اللعان يمنع من إقامة الحد كما هو معلوم، وكذلك ما جاء من أقواله صلى الله عليه وسلم في هذا الباب كما ذكره البخاري في صحيحه، فإنه ذكر جملة من قول (لو) التي تدل على جواز ذلك وليست من هذا الباب، ولهذا نقول: إن الممنوع أن يقولها الإنسان على سبيل التسخط للواقع وأنه يمكن تغييره بأسباب، فإذا قالها على هذا الوجه فهذا ممنوع، وهو قدح في التوحيد؛ بل قد يكون منافيا له، يقولها أيضا على وجه الاعتراض على الحكمة التي أمر الله جل وعلا به من أجلها.

وقد بين الحكمة جل وعلا في هذه القضية أو شيئا من الحكمة؛ لأن الحكم كثيرة ولا يعلمها إلا الله جل وعلا، والله جل وعلا يبتلي عباده بأشياء قد لا تظهر لهم **الحكمة منها**، ويكون ذلك المقصود به تسليم عقولهم لله جل وعلا وانقيادهم بدون اعتراض، أما إذا حصل اعتراض فإنه يحصل الكفر، وهو اعتراض كامن في نفوس كثير من الناس على شرع الله وقدره، وكثير من الناس قد لا يجرؤ أن يقول ما هو في نفسه فيستتر به ويقول: آمنت بالله.

ولكن في قرارة نفسه غير ذلك، وقد -مثلا- يأمن من اللوم والعتاب أو يأمن من النكال والعقاب ولكنه لا يسلم بما في قلبه، وهذا كثير، حتى إنه يوجد في كلام الذين ينسبون إلى العلم، ولكن علمهم لم ينفعهم، كما يقول المعري معترضا على الله جل وعلا في أبيات له: إذا كان لا يحظا برزقك عاقل وترزق مجنونا

وترزق أحمقا فلا ضير -يا ربي- على امرئ رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا ومثلها أشياء كثيرة يذكرها هو وغيره، فهذا اعتراض على الله جل وعلا، وكأنه يقول: إنك لست حكيما، ولست بعادل، ولست بمنصف؛ لأن الذين ينبغي أن ترزقهم ما يحصل لهم الرزق، والذين ينبغي ألا ترزقهم يرزقون، مثل المجانين والحمقى، أما الأدباء والعقلاء فيتمنون الرزق.

وهذا أول من قاله إبليس -لعنه الله- حينما قال لربه: {لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون} [الحجر:٣٣]، وقال: {أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين} [الأعراف:١٢] يقول: ينبغي أن يسجد هو لي، وليس أنا الذي أسجد له فهذا اعتراض على الله جل وعلا، ومعلوم أن مثل هذا الذي يعترض على الله لا يرضى أن يكون شريكا لله، بل يجعل نفسه فوق الله، يجعل نفسه مستدركا على الله جل وعلا، وهل." (١)

"صور من ظن الجاهلية وظن السوء

وشيء آخر من ظن الجاهلية وظن السوء هو إنكار أن الله قدر هذا الذي وقع على المؤمنين يوم أحد، وإنما ذلك بمقتضى الأسباب، وهي قوة الكفار وكون المسلمين صاروا قلة فوقع ذلك، وليس هناك تقدير سابق وعلم أزلي لله جل وعلا، وهذا تنقص لله جل وعلا؛ لأنه -كما سيأتي- لا يقع شيء من قليل أو كثير أو صغير أو كبير في الكون إلا بمشيئة الله وتقديره جل وعلا؛ لأنه هو الرب المتصرف في كل شيء، وكل ما سواه مخلوق يتصرف فيه جل وعلا كيف يشاء بمشيئته.

وكذلك كونه يظن الإنسان أنه يفعل الشيء على مقتضى المشيئة فقط بغير حكمة، كما يظنه كثير من الجهال، وإن كانوا يزعمون أنهم علماء؛ لأن كل من جهل أمر الله فهو جاهل، يقولون مثلا: تجد الإنسان عاقلا، تجده أديبا، تجده لبيبا، ثم تجده فقيرا مدقعا تضيق عليه وجوه الحياة في معيشته، وتجد إنسانا أحمق جاهلا تجد عنده من الدنيا الشيء الذي لا يستطيع أن يصرفه، ثم يقولون: هذا ليس من الحكمة، فهذا اعتراض على الله جل وعلا وهو من أقبح الظن بالله جل وعلا وأسوئه، ومن لقي الله جل وعلا بمثل هذا فهو من الهالكين الذين يستحقون عذاب الله جل وعلا.

فالله جل وعلا خلق الخلق بعلمه وتقديره ومشيئته وقدرته، ووزع عليهم أرزاقهم حسب مشيئته وإرادته وتقديره وحكمته، ولا يلزم أن يكون الإنسان عارفا بالحكمة؛ لأن الإنسان قاصر، وقد ابتلى الله جل وعلا عقولهم

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٩/١٢٢

هل تخضع وتنقاد لله جل وعلا ولأوامره، أو تعترض وتقف حتى في الأمور التي أمر الإنسان أن يزاولها كثيرا، مثل أمور العبادات وغيرها مثل الوضوء والغسل من الجنابة وما أشبه ذلك.

فالعقل ليس له دخل في هذا، كون الوجه يغسل، وكون اليدين تغسلان إلى المرفقين والرجلين إلى الكعبين ويمسح على الرأس، فالصلاة لا تصح إلا بهذا، فهذا قد لا يدرك الحكمة منه كثير من الناس.

ولهذا كثير من هذه الأمور إذا ذكرها العلماء قالوا: هذا تعبدي ومعنى (تعبدي): أنا نفعله عبادة لله وخضوعا له سبحانه، ولو لم نعرف الحكمة، ومن ذلك كثير من أعمال الحج، مثل رمي الجمار، فقد يعترض بعض الناس على ذلك ويقول: ما الفائدة من رمي الجمار؟ وليس كما يعتقده الجهال أن الشيطان يرمى، لا، وإنما هذا منسك من المناسك نؤديه كما أمرنا، ونرمي بهذه الحصيات كما أمرنا، وليس الشيطان واقفا هناك يرمى، الشيطان لا يقف للناس يرمونه، ولا يجوز أن يسمى شيطانا، بل يقال: رمي الجمار منسك من المناسك، فقد يقول -مثلا- بعض الناس: ما الحكمة في هذا؟ وكون الناس يتزاحمون على هذا المكان يرمون بهذه الحجارة لا نرى له نفعا دنيويا، ولا نرى شيئا يمكن يقابل ما يقع من الزحام ومن الموت أحيانا!

نقول له: هذا أمر تعبدي، أمر الله جل وعلا عباده بذلك، فما عليهم إلا أن يخضعوا ويذلوا.

ومن ذلك المبيت بمنى، والمبيت بمزدلفة، والوقوف بعرفات، والطواف بالبيت، وسائر أعمال الحج على هذا المنوال، وقد فهم الصحابة هذا؛ لأنهم ذوو العقول، ولأنهم أعمق الناس عقولا وأكملهم إيمانا وأتمهم إدراكا، فأدركوا ذلك وصاروا يقولون في تلبيتهم: (لبيك حقا حقا تعبدا ورقا) تعبدا كوننا نجيب ما أمرتنا به تعبدا لك بدون أن نطلع على حكمة ذلك.

وكذلك في مخلوقات الله جل وعلا، يقول قائل مثلا: نجد بعض الحشرات ما الفائدة من وجودها؟ ما فيها إلا مضرة، مثل الذباب، ومثل البعوض، ومثل الحيات والعقارب والخنافس وما أشبه ذلك! هناك ناس يقولون هذا.

نقول: إن عقلك قاصر، ولا يجوز أن تعترض على الله جل وعلا في خلقه وإيجاده، ولا في أمره وشرعه، ولا في قضائه وقدره، يجب أن تكون عبدا منقادا لأوامر الله وتسلم وتذعن لذلك، وإلا فلن تعجز الله، والأمر يسير لدى الله جل وعلا إذا عصى الإنسان ربه.

فشرعه الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم كثير منه على هذا النحو.

ولهذا لا يجوز للإنسان أن يبحث عن الأسرار ويقول: ما السر في كذا؟ ما الحكمة في كذا؟ لأن هذا غالبا

يدعو إلى الاعتراض وإلى التعنت والتكبر على الله جل وعلا، وهذا هو الطريق إلى الهلاك، وكذلك حينما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالدين وعد أنه سيظهره على الدين كله وأنه سينصره، فيجب أن يؤمن بوعده، وإذا حصلت انتكاسة على المسلمين وانتصار للكافرين فهذا معناه أنه تمحيص لذنوب المؤمنين بسبب المعاصي التي يقعون فيها.

فالله قد ذكر الحكمة جل وعلا في ذلك، ثم قال جل وعلا: {أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا} [آل عمران:١٦٥]، قال جل وعلا: {قل هو من عند أنفسكم} [آل عمران:١٦٥]، يعني: بسبب ما فعلتموه أنتم.

وجاء ذلك أيضا في آيات آخر، مثل قوله جل وعلا: {وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير} [الشورى:٣٠]، يعني: لو يؤاخذكم بكل ما فعلتموه لما بقي على وجه الأرض أحد، ولكنه يعفو عن كثير جل وعلا، ثم الأمر مثلما قال صلى الله عليه وسلم: (إن أمر المؤمن كله خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) يعني: يؤجر على ذلك عندما يصبر ويحتسب، وتحصل بذلك على حسنات.

(وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له) بخلاف الكافر والمنافق، فإنه لا يشكر ولا يصبر، وإنما شأنه الاعتراض، ثم الظن بالله جل وعلا أنه ما يفعل شيئا إلا لحكمة، ولا يأمر العباد إلا بما فيه مصلحة لهم قد تكون ظاهرة لهم وقد لا تكون ظاهرة، ولا يقدر شيئا إلا لحكمة عظيمة قد يعرف شيء منها وقد لا يعرف.." (١)

"معنى ظن الجاهلية

قال رحمه الله تعالى: [قال المصنف رحمه الله تعالى: قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام على ما تضمنته وقعة أحد: وقد فسر هذا الظن الذي لا يليق بالله سبحانه بأنه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وأنه يسلمه للقتل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضاء الله وقدره، ولا حكمة له فيه، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، حيث يقول: {ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا} [الفتح:٦]، وإنما كان هذا هو ظن السوء وظن الجاهلية -وهو

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٧/١٢٤

المنسوب إلى أهل الجهل- وظن غير الحق؛ لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، وخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالربوبية والإلهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه، وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجنده بأنهم هم الغالبون.

فمن ظن به سبحانه أنه لا ينصر رسله ولا يتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويعليهم ويظفرهم بأعدائهم ويظهرهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا لا يقوم بعده أبدا فقد ظن بالله ظن السوء ونسبه إلى خلاف ما يليق بجلاله وكماله وصفاته ونعوته؛ فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به، فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله، وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره فما عرفه ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته].

ظن السوء وظن الجاهلية هو الظن بأن الله لا ينصر رسوله ولا ينصر حزبه، والمقصود بالنصر هو إظهار ما جاء به، ولا يلزم من ذلك أنه لا يحصل فيهم قتل ولا يحصل فيهم مصائب، هذا ليس لازما، بل أخبر جل وعلا أن من الفتن التي يديل الكفار بها على المؤمنين أنه ليتخذ من المؤمنين شهداء، أي: يوجد منهم شهداء يقتلون.

والشهادة هي أعلى المراتب التي يمكن أن يصل إليها المؤمن، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (وددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل).

وذكر أنه لا يوجد مؤمن يموت فيرى ما أعد الله له فيود أنه يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد، فإنه يود أن يحيا مرة أخرى فيقتل؛ لما يرى من الكرامة التي أكرمه الله جل وعلا بها، فكون الكفار -مثلا- قد يكون لهم نصر على المؤمنين وقد يقع قتل في المؤمنين فإن هذا من الحكم، وكذلك يكون تمحيصا عاما للمؤمنين، ولكن لا يمكن أن يدال الكفار إدالة كاملة بحيث يقضون على المؤمنين نهائيا ويقضون على الإسلام.

وظن السوء الذي ظنه المنافقون هو أما كونه يحصل في المؤمنين قتل، أو يحصل عليهم بسبب ذنوبهم ومخالفاتهم شيء من المصائب، أو شيء من تسلط العدو عليهم، وهذا ثابت في تاريخ الإسلام، بل في تاريخ الرسل كلهم، ولما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام كان لا يقرأ العربية، والرسول صلى الله عليه وسلم أرسل إليه الكتاب باللغة العربية، فلما ترجم له الكتاب اهتم به كثيرا،

ثم أمر أن يبحث في الشام عن أحد من قومه، فوجد جماعة من المشركين منهم أبو سفيان قبل أن يسلم، فجيء بهم إليه فسألهم: من رئيسكم؟ فأخبروه أنه أبو سفيان، فقدمه أمامهم وأجلسهم خلفه وقال: إني سائله فإذا صدق فصدقوه يعني: قولوا: صدق.

وإن كذب فقولوا: كذب.

فصار يسأله عن مسائل، منها أنه قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ فقال: الحرب بيننا وبينه سجال، مرة يدال علينا ومرة ندال عليه يعني: مرة يكون النصر له ومرة يكون النصر لنا ثم بعد نهاية الأسئلة قال هرقل لـ أبي سفيان: كذلك الرسل يبتلون، ولكن العاقبة لهم.

وهكذا يكون القتال بين الرسل وبين الكافرين، مرة ينصرون ومرة ينتصرون عليهم، ولكن العاقبة تكون للأنبياء، وهذه هي سنة الله جل وعلا.

فمعنى الظن السيء بالله جل وعلا هو ما ظنه هؤلاء المشركون والمنافقون أن الإسلام ينتهي ويكون الكفر هو المسيطر فيقتل الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه ويمحى دينهم، وهذا خلاف حكمة الله وخلاف أمره ووعده فهو من ظن السوء وظن الجاهلية.

أما القول بأنه إنكار الحكمة فمعنى ذلك أن كل فعل يفعله الله جل وعلا أو أمر يأمر به فله فيه حكمة عظيمة، والحكمة: هي وقوع الشيء على وفق ما يكون عدلا وحقا تقر به العقول السليمة وتستحسنه وترى أن هذا هو أحسن ما يكون، وليس خلافه أحسن بل هو الأحسن، وكل شيء يفعله الله جل وعلا فهو بهذه المثابة، فله الحكم في أمره وفي تقديره وفي شرعه، وحكمه عدل وحق، ولا تخالف الحكمة العقل النظر، ولكن قد تدرك العقول ذلك وقد تقصر عنه، فإذا قصرت عنه فيجب أن تسلم لله جل وعلا أنه حكيم يضع الأشياء في مواضعها التي يحسن وضعها فيه.

ومن ذلك إيمان المؤمن وكفر الكافر، فهو جل وعلا يعلم من يستحق الفضل والإحسان فيتفضل عليه ويهديه للإيمان، ويعلم من لا يستحق ذلك فيحجب عنه فضله.

وكذلك من الظن السوء إنكار أنه قدر هذه الأشياء التي تقع، فهذه ثلاثة أقوال: الأول: إنكار نصر الله جل وعلا لرسوله وإظهار دينه.

الثاني: إنكار الحكمة في الأوامر التي يأمر بها والمقادير التي يقدرها.

الثالث: إنكار القدر، وأن ذلك لم يقع بقدر وإنما هو على وفق الأسباب التي تجب، ومن كان أقوى فهو ينتصر، فكل ظن من هذه الظنون فهو خلاف الحكمة، ويكون من ظن السوء بالله جل وعلا.." (١)

"الاعتراض على الله في جعله الخلق متفاوتين من ظن السوء به سبحانه

وكذلك من أنكر شيئا يتعلق بالإنسان نفسه، فقد يقع أيضا في ظن السوء بالله جل وعلا، كأن يرى أنه لابد أن يكون غنيا ولكنه افتقر، واللائق به أن يكون صحيحا وألا يناله مرض لأنه لا يستوجب ذلك، فإذا ناله شيء من الفقر أو من المصائب أو من الهموم أو من الأمراض فإنه يقول: هذه أمور وقعت خلاف ما ينبغي أن تقع وهذا أيضا قد يؤول إلى الكفر بالله جل وعلا.

وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله أشياء عن بعض الناس تدل على أن كثيرا من النفوس عندها الاعتراض على الله، وإنما يكون هذا الاعتراض كامن فيها، فيعترض على الله في خلقه، ويقولون مثلا: لماذا وجود الخلاف؟ يكون بعض الناس مريضا وأجرب وما أشبه ذلك فيقولون: ما **الحكمة من** هذا؟ وهذا لا يفعله حكيم! تعالى الله وتقدس عما يقولون.

وينكرون أن يكون فلان فقيرا وفلان غنيا، حتى إن بعضهم قال: كان أحد الفقهاء الذين يعرفون بمعرفة الأحكام يتردد علي كثيرا.

يقول: فمرض فعدته، فسمعته يقول: ما هذا التعذيب؟ إن كان يريد أن يميتني فليس لهذا التعذيب معنى! ثم يقول: والله لو أنزلني الفردوس ما كان ذلك مشكورا بعد هذا الذي حصل.

أعوذ بالله من سوء الخاتمة، فهذا كان فقيها ثم يصدر منه مثل هذا الكلام الجريء على الله، ويقول: لو أنزله الله الفردوس ما كان مشكورا؛ لما حصل له من المرض.

وهذا خلاف المؤمن الذي إذا أصابه المرض فرح، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا الحمى؛ فإنها حظ المؤمن من النار)، أي: لأنها تمحص الذنوب.

وفي الصحيح عن ابن مسعود قال: (دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك وعكا شديدا، فقلت: يا رسول الله! إنك لتوعك وعكا شديدا.

قال: نعم.

كما يوعك رجلان منكم فقلت: ذلك لأن لك أجرين؟ قال: نعم)، فمن فضل الله على الإنسان أن يعترف

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٢/١٢٥

بأن كل ما وقع عليه هو بقدر الله جل وعلا، فيجب أن يحسن الظن بربه، وإن أدرك الإنسان الحكمة من ذلك فليطمئن، وإلا فعليه أن يسلم لربه جل وعلا حتى يكون عبدا لله، ولا يجوز أن يجعل مشاركا لله في ذلك، ولا أن ينزل نفسه منزلة فوق منزلة الله -تعالى الله وتقدس- حتى يصبح يعترض على الله، فالشيطان لما أمره الله جل وعلا بالسجود لآدم اعترض على ربه وقال: كيف أؤمر بالسجود وأنا خير منه؟ لأن أصلي النار وهو أصله الطين فينبغي للقضية أن تعكس، وأن يؤمر هو بأن يسجد لي.

فقال -كما حكى الله عنه-: {أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين} [ص:٧٦]، فهذا أصل الاعتراض على الله جل وعلا على أمره وتقديره، فالذي يسلك هذا المسلك فإنه يسير خلف الشيطان، نسأل الله العافية.." (١)

"من علامات الساعة

[(قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل)].

معنى قوله: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل) أن علم الساعة استوى الخلق فيه، حتى الملائكة والرسل لا يعلمون ذلك، وإنما هو مستأثر عند الله جل وعلا، لا يعلم وقتها إلا الله جل وعلا، كما أخبر جل وعلا أنه أخفى علم الساعة عن جميع الخلق: {إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى} [طه:١٥] فهي واقعة، ولكن وقت وقوعها غير معلوم.

يقول علماء التفسير في معنى قوله: (أكاد أخفيها) قالوا: قد أخفاها الله عن الخلق، لكن المعنى: لو أمكن أن أخفيها عن نفسي لأخفيتها؛ وهذا إخبار عن شدة إخفائها، فلا أحد يعلمها، ولله الحكمة في ذلك.

ولهذا عدل عن ذلك إلى السؤال عن أماراتها -أي: العلامات- التي تكون قبلها، وعلاماتها كثيرة، ومن أول تلك العلامات: بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو نبي الساعة وعلى أمته تقوم الساعة، والله جل وعلا يقول: {اقتربت الساعة وانشق القمر} [القمر:١] يعني أنها قريبة، وما ذكر الله جل وعلا أنه قريب فهو قريب بلا شك، وقد مضى على بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ألف وأربعمائة عاما، وكان بعض العلماء يتوقع من هذه الأمة ألا تبلغ الألف عام، وبعضهم يتوقع أنها تبلغ الألف، ولكن هذا كله لا دليل عليه ولا أمارات عليه، فأمر ذلك إلى الله جل وعلا لا يعرفه إلا الله، ومن علامات الساعة ما ذكرت في

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٣/١٢٥

هذا الحديث وهي ما سيأتي.

[(قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)].

العلامتان ذكر أنهما من علامات الساعة، إحداهما: أن تلد الأمة ربتها -وفي رواية: ربها- والمعنى أن تلد سيدها أو سيدتها، فكيف يكون ذلك؟ يقول العلماء: معنى ذلك: أن تسبى امرأة من الكفار فتكون أمة مملوكة لرجل من المسلمين، فيطؤها فتلد له بنتا، فتكون بنتها هي التي تعتقها، فهي سيدتها؛ لأنها إذا ولدت الأمة فلا يجوز بيعها، بل تصبح أم ولد معتقة، فيعتقها ابنها أو بنتها، وهذا قد حدث في زمن الصحابة.

أما العلامة الثانية فهي كون البدو رعاء الشاء -رعاة الغنم والإبل- أهل تمدن يتطاولون في البنيان، أي: يتنافسون في البناء وحسنه وارتفاعه.

وهناك علامات لم تذكر هنا، قد ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم وهي كثيرة، ولهذا قسم العلماء العلامات إلى ثلاثة أقسام: قسم متقدم، وقسم متوسط، وقسم متأخر قبل الساعة تماما، والمتأخر سموه (العلامات الكبرى) والذي قبله يسمونه: (الوسطى)، والتي قبلها -مثل هذه وغيرها- يسمونها: (العلامات الصغرى).." (١)

"قوله تعالى: (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه)

ذكر الله شيئا مما يجب أن يعظم به فقال: {والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه} [الزمر:٦٧] يعني: أنه يقبض الأرض بيده إذا كان يوم القيامة؛ وكذلك السماوات كلها يقبضها بيده، ومفهوم الآية أن لله جل وعلا يدين؛ واحدة يقبض بها الأرض، والأخرى يطوي بها السماوات، والتي ذكر أنه يطوي بها السماوات هي يمينه، وقد جاء في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله يقبض السماوات بيمينه، والأرضين بشماله)، وهذا أيضا ثبت عن ابن عباس في تفسيره لهذه الآية، فروى ابن جرير وغيره بأسانيد ثابتة عن ابن عباس قال: إن الله يقبض السماوات والأرض كلها بيمينه وشماله خلو، وسيذكر لنا المؤلف ما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود (أن حبرا من أحبار اليهود جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا مےمد! إنا نجد أن الله يضع السماوات على ذه -فأشار إلى أصبعه الخنصر-

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٧/١٢٦

والأرضين على ذه، والشجر على ذه، والجبال والثرى على ذه، وسائر خلقه على ذه، يشير في كل مرة إلى أصبع، ثم يهزهن ويقول: أنا الملك، أنا الملك، أين ملوك الدنيا؟ عند ذلك ضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لما قال، وتلا قول الله جل وعلا: {وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون}).

وجاءت أحاديث كثيرة بهذا المعنى، عن ابن عمر، وعن ابن عباس، وعن عبد الله بن مسعود، وعن أبي هريرة، وغيرهم، وهي أحاديث صحيحة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيها ذكر أن لله جل وعلا يدين، وأنه يقبض بهما، وأن لليدين أصابع يضع عليهما مخلوقاته إذا شاء، ويهزهن ويقول: أنا الملك! أين ملوك الدنيا؟ ويجب أن يعلم الإنسان أن الله ليس كمثله شيء: لا في يديه، ولا في أصابعه، ولا في ذاته جل وعلا، ولا في سمعه وبصره، والله جل وعلا ذكر أنه خلق المخلوقات، وأنه هو الإله الحق، وأنه هو الولي الذي يجب أن يتخذ وليا، وذكر جل وعلا أنه جعل من المخلوقات زوجين، وأنه جعل نسل بني آدم والبهائم وغيرها من زوجين من ذكر وأنثى.

قال الله: {يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء} [الشورى:١١] أي: أنكم تتعاقبون من هذا النسل، يذهب قوم ويأتي آخرون، إلى أن يأذن الله جل وعلا بنهاية هذه المخلوقات.

ثم قال: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} [الشورى:١١] ختم الله جل وعلا هذه الآية بذكر السمع والبصر، **والحكمة في** هذا: أن الناس وكثيرا من المخلوقات يتصفون بالسمع والبصر، فكأنه جل وعلا لما قال: {ليس كمثله شيء} يقول لعباده: لا يدعوكم هذا التنزيه بقوله: (ليس كمثله شيء) إلى أن تنفوا السمع والبصر عن الله؛ فإنه سميع وبصير، ولكن له سمع يليق به، وبصر يليق به، ليس كسمعكم وبصركم، وهذا هو مذهب أهل السنة، أن يوصف الله جل وعلا بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، ولا يتعدون ما وصف الله جل وعلا به نفسه ووصفه به رسوله، فلا يجعلون العقل حاكما على آيات الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يحرفون ويؤولون، ويقولون كما يقول أهل البدع: إن صفات الله من المتشابه الذي لا ينبغي أن نتكلم فيه، بل صفات الله من المحكم البين الواضح الذي بينه الله وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم، ويؤمن بها على ما يليق بعظمة الله وجلاله.." (١)

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٩/١٣٥

"الحكمة من شرعية زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم

Q هل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لتذكر الموت فقط؟ أزيلوا عنا هذا اللبس.

A الزيارة ينبغي أن يكون مقصدها هذا مطلقا، ولكن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم للسلام عليه، وليس للدعاء له؛ لأنه ليس في حاجة لتدعو له صلوات الله وسلامه عليه، بل أي عمل تعمله من الصالحات فله مثله من الأجر؛ لأنه صلوات الله وسلامه عليه سبب هداية الناس.

فكل إنسان من أمته يعمل خيرا منذ بعثه الله إلى أن تقوم الساعة فله من الأجر مثل أجر هذا الإنسان، فكذلك الله جل وعلا أخبرنا أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأنه أعطاه الوسيلة، ولكن شرع لنا الصلاة عليه لزيادة أجورنا، وإلا فقد صلى الله -جل وعلا- عليه وسلم.

ولهذا أخبرنا أنه إذا سمع أحدنا المؤذن فقال مثلما يقول، ثم سأل له الوسيلة -وهي منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله، قال: (وأرجو أن أكون أنا) - حلت له شفاعته صلى الله عليه وسلم، هذا جزاؤه، وقد قال الله جل وعلا: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} [الأحزاب:٥٦]، فنحن نفعل ذلك امتثالا لأمر ربنا جل وعلا، ويحصل لنا بذلك ما قاله كما في الصحيح: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا) أي: عشر صلوات.

والذي يصلي عليه ربه جل وعلا سعيد، فالصلاة خلاف اللعن، فهذا هو المشروع.." (١)

"توحيد المعرفة والإثبات

قال الشارح رحمه الله: [قال العلامة ابن القيم رحمة الله عليه: وأما التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب، فهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول هو: إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وصفاته وأفعاله وأسمائه، وتكلمه بكتبه، وتعليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمته، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح، كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر الحشر، وأول تنزيل السجدة، وأول آل عمران، وسورة الإخلاص بكاملها، وغير ذلك].

هذا كثير في القرآن جدا، وقل آية في القرآن إلا وفيها شيء من أسماء الله وصفاته، إما صفة فعل أو صفة ذات أو غير ذلك، والحكمة في هذا أن الناس كانوا يحتاجون إلى هذا؛ لأن من حكمة الله جل وعلا أن

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٤/١٤٠

الناس إذا احتاجوا إلى شيء يكون وجوده أكثر، مثل الماء، فالناس يحتاجون إلى الماء فصار وجوده كثيرا، ومثل وجود الهواء، ومثل وجود الملح، ومثل وجود النار وما أشبه ذلك، فكل شيء الحاجة إليه عامة شاملة كان وجوده وتيسيره أكثر للناس، وهذه حكمة من الله ورحمة منه.

ففي زمن الصحابة ما كانوا بحاجة إلى تكثيره إلا من ناحية أن الله يعرفهم بنفسه، هذا هو الأصل، والله تعرف إلى خلقه بذكر أسمائه وأوصافه، وكل اسم له معنى يدل عليه، فعرف المؤمنون ربهم بهذا؛ لأن الله غير مشاهد، وليس له مثيل يقاس عليه تعالى وتقدس، فليس هناك طريق لمعرفته إلا أن يخبر جل وعلا عن نفسه، هذا هو الأصل في الإكثار من ذكر أسماء الله، وبعدما ذهب عصر الصحابة وعصر التابعين وأتباعهم وجاءت الخلوف حدث في الأمة من يكفر بهذا النوع وينكره، وأصل مجيء هذا الإنكار وهذا الكفر من اليهود والنصارى والمجوس الذين يعادون هذا الدين، فأوجدوا المؤسسات والجمعيات الخبيثة التي تحارب العقيدة، وصاروا يبثون سمومهم في أوساط الناس، وربما في الكتب أيضا، وبدءوا بتشكيك الناس في معبودهم وإلههم، فصاروا ينكرون الأسماء والصفات، ولو جاءوا إلى الناس وقالوا: إن الله لا يتكلم، إن الله لا يسمع، إن الله لا ينزل إلى السماء الدنيا، إن الله لم يستو على عرشه، إن الله ليس فوقنا، وما أشبه ذلك، بدون أن يذكروا مبررات؛ ما قبل منهم ذلك، فأحكموا الخطة وقالوا: إنكم إذا قلتم هذا، قلتم بالكفر والتشبيه، فيجب أن تنزهوا الله عن هذه الأوصاف والأسماء، فجاءوا من هذا القبيل، فقبل قولهم الذين لا يعلمون، فانبرى العلماء للرد عليهم وإبطال كيدهم، فملأوا الدنيا كتبا، وكلها مأخوذة من كتاب الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم في الرد على مثل هؤلاء، وكتاب الله مملوء جدا بإبطال كيد هؤلاء، ولكن مع هذا كله انطلى هذا الخبث وهذه الدسائس على كثير من الناس، فأصبحوا إلى اليوم متأثرين بهذه الدعايات، فإلى الآن كثير من المسلمين متأثر بذلك. فأنكروا أن الله جل وعلا مستو على عرشه، وأنكروا أن الله جل وعلا فوق عباده، وأنكروا أن الله جل وعلا ينزل إلى السماء الدنيا، وأنكروا أن الله جل وعلا يأتي يوم القيامة لفصل القضاء، وأنكروا أن الله جل وعلا يتكلم ويكلم من يشاء كلاما حقيقيا، إلى غير ذلك، وهذا كله تأثر بدعاية هؤلاء المبطلين، ولكن الذي يتبع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يعصمه الله جل وعلا بذلك.." (١)

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٣/٣

"الحكمة من خلق الثقلين

قال المصنف رحمه الله: [وقول الله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦]].

في هذه الآية بيان العلة التي من أجلها خلق الجن والإنس، وهي أن الله جل وعلا خلقهم ليعبدوه، ولهذا قال بعدها: {ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين} [الذاريات:٥٧ - ٥٨]، والمعنى أن الله جل وعلا خلقهم للعبادة، وتكفل بما يلزم لحياتهم من الأرزاق والمعافاة في الأبدان وما يصون حياتهم إلى أن يأتي الأجل الذي قدره الله جل وعلا، وليس الرب جل وعلا في خلقه وإيجاده العباد يقاس على الذين يكتسبون العباد ليكونوا عزا لهم وقوة أو يتعززون ويتكثرون بهم عند الحاجة، فالله جل وعلا غني بنفسه عن كل ما سواه، وليس هو جل وعلا بحاجة إلى العباد وإلى عبادتهم، وإنما خلقهم ليبتليهم، كما قال جل وعلا في الآية الأخرى: {الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا} [الملك:٢]، ومن المعلوم أن الله جل وعلا يعلم كل شيء، وعلمه جل وعلا أزلي لا يمكن أن يستجد له علم بعد أن لم يكن، تعالى وتقدس، فعلمه كامل تام في الأزل، وكل الغيوب عنده مثل المشاهدة، وكل ما سيقع قد علمه أزلا.

يعني أنه علم من يعبد ممن لا يعبد قبل أن يخلقهم، وقد ضل في معنى هذه الآية كثير من المتكلمين الذين يقولون: هذا خبر من الله وقد خالف الواقع، فالله جل وعلا يقول: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦]، والواقع أن أكثر الناس لا يعبدون، فأين صدق هذا الخبر؟ فنقول: ليس هذا هو المقصود بالآية، بل الآية معناها أن الله جل وعلا أخبرنا أنه خلقنا، وأنه خلقنا لعبادته، ولكن وكل العبادة إلينا وطلبها منا، وذلك أن الله جل وعلا جعل في المخلوق عقلا وفكرا واختيارا وقدرة، وكلفه بالشيء الذي يستطيع فعله، وأمره بأوامر محددة، والناس كلهم بالنسبة للأوامر سواء، فلا تمييز بين كافر ومؤمن.

وقد أخبرنا ربنا جل وعلا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أن هذا في أمور خمسة فقط: عبادة الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، وهذه الأمور الخمسة الناس ليسوا فيها سواء أيضا؛ لأن بعضهم لا تجب عليه كلها.

أما العبادة فلا يخرج منها أحد من الخلق، فما دام الإنسان قد وصل إلى العقل ووجدت عنده المقدرة فإنه يجب أن يلتزم بعبادة الله دائما وأبدا، وكلما ازداد علم الإنسان بالله جل وعلا زادت العبادة والخشية عنده، كما قال الله جل وعلا: {إنما يخشى الله من عباده العلماء} [فاطر:٢٨] يعني: الخشية التي يستحقها.

وإلا فالخشية توجد من غير العلماء أيضا، ولكن الخشية الواجبة، فإذا ازداد علم الإنسان ازداد خشية، ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إني أتقاكم لله وأخشاكم له)، وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بالله جل وعلا، فالخشية الواجبة لا تنفك عن الإنسان، والعبادة هي كل عمل يفعله الإنسان يتقرب به إلى الله، فيجب أن يكون خالصا لله، كل عمل تفعله تطلب به الثواب وكل شيء تتركه وتخاف أنك لو فعلته لعوقبت فهذا يكون عبادة، فيجب أن تكون العبادة لله وحده، ولا يشرك في عبادته شيء لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهذا أمر يعم الخلق كلهم.

والذين يقولون: إن الإنسان إذا ترقى في العلم ووصل إلى درجة العلم اللدني يسقط عنه التكليف هؤلاء يكونون بهذا القول كفارا خارجين من الدين الإسلامي باتفاق العلماء، ويستدلون على هذا القول الكفري بقوله تعالى: {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} [الحجر:٩٩] وما أشبه ذلك من التحريفات، ويقولون: اليقين هو العلم اليقيني الذي تصل به إلى درجة أنك تشاهد الأشياء، فتشاهد ربك، وتشاهد الملائكة، وتشاهد الجنة، وتشاهد النار، والواقع أن الإنسان إذا وصل إلى هذه الحالة فمعنى ذلك أنه يشاهد ربه الذي هو الشيطان، يشاهده على كرسي يجلس بين السماء والأرض أو يجلس على البحر ويزين له أشياء، فيقول له: هذه الجنة وهذه النار، وهذا كذا وكذا، هذا هو الواقع، وأما الآية فمعناها: واعبد ربك حتى يأتيك الموت.

أما بقية الأمور الخمسة فإنه إذا عقل الإنسان وصار مميزا أمر بالصلاة، وإن كانت لا تجب عليه تدريبا له وتأنيسا، حتى لا ينفر منها ولا تأتيه الأمور بغتة فلا يستطيع القيام بها، وإنما تجب عليه إذا بلغ سن التكليف، ولا تسقط الصلاة بحال إذا وجبت، وما دام عقله موجودا، فالصلاة واجبة عليه، وهذا يشمل كل إنسان إلا المرأة الحائض والنفساء، والله جل وعلا رحيم، فإذا استطاع الإنسان أن يصلي الصلاة المطلوبة وهو قائم ويركع ويسجد فهذا فرض، وإن لم يستطع صلى وهو جالس، فإن لم يستطع صلى وهو على جنبه، يومئ برأسه إن استطاع أو بعينه بالنية، وإن استطاع أن يتوضأ وجب عليه، وإن لم يستطع تيمم، فما دام عقله موجودا فالصلاة واجبة عليه.

أما الزكاة فلا تجب إلا على صاحب المال، ولا تجب على المسلمين كلهم، فالذي عنده مال ويبلغ النصاب وحال عليه الحول يجب عليه الزكاة.

وأما الصوم فقد خفف الله جل وعلا عن عباده فجعل الصوم الواجب شهرا في السنة فقط، إلا أن يوجب

الإنسان على نفسه شيئا من نذر وما أشبه ذلك، ثم هو لا يجب إلا على المكلفين العقلاء، ثم إذا مرض الإنسان فإن الله جل وعلا قد رخص له أن يفطر ويأكل ويتقوى ويصوم أياما أخر، وكذلك المسافر.

وأما الحج فلا يجب إلا على من يستطيع ببدنه وبماله ويأمن طريقه ويجد النفقة لمن يعولهم حتى يرجع، وإذا تخلف شرط من هذه الشروط فالحج ليس واجبا، ولو مات ولم يحج فليس عليه شيء، ولا يجب أن يحج عنه، والمرأة تزيد على هذا أن تجد لها محرما ممن تحرم عليه على التأبيد من ابن أو أخ ونحوهما، وكذلك زوجها، ويشترط أن يذهب معها حتى ترجع، فإذا لم تجد محرما فلا يجب عليها الحج، ولو ماتت ولم تحج على هذه الحالة فليس عليها حج.

فهذه الأمور الخمسة هي التي رتب عليها دخول الجنة، فإذا جاء بها الإنسان فقد جاء بالحق الواجب عليه الذي أوجبه الله عليه، وهل هذا صعب؟

A لا.

بل هو سهل جدا، ولكن على من سهله الله عليه، وهذه الأمور جعلت للناس عامة لم يخص بها إنسان دون آخر، فلهذا نقول: إن قوله جل وعلا: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦] يبين، أن الله خلقهم وأخرجهم من العدم إلى الوجود بالطريقة التي أخبرنا جل وعلا بها، وطلب منهم العبادة، وأخبرهم أنه خلقهم لعبادته، ونهاهم أن يعبدوا غيره، وتوعدهم إذا عبدوا غيره، وأراهم ما حل بالكافرين الذي يعبدون غيره من العقاب والعذاب، وكذلك قدم إليهم بالوحي على ألسنة الرسل أن من عبد غير الله فإنه يخلد في جهنم ما دامت السماوات والأرض، فبعد هذا لا يكون للإنسان أي عذر في تركه العبادة وقد وكل الأمر إليه، فقيل له: هذه الأمور المطلوبة منك افعلها إن شئت أو لا تفعلها، فإن فعلتها أكرمت وأثبت ونعمت في الدنيا والآخرة، وإن لم تفعلها أهنت وعوقبت وعذبت العذاب الأليم الذي لا يطيقه أحد حتى الجبال، ثم بعد ذلك خلي الأمر وترك إليه؛ لأن عنده الاختيار وعنده المقدرة وعنده الاستطاعة، ولم يكلف الله نفسا إلا ما يسعها وما تطيقه وما تستطيعه.

فإذا يكون معنى الآية واضحا، وهو أن الله خلقنا وأوجدنا من العدم وطلب منا أن نعبده، كما قال: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦] يعني أن الغاية من خلقهم **والحكمة من** إيجادهم هي العبادة، ثم جعل العبادة إليهم فإن فعلوها فقد فعلوا ما طلب منهم وبه تكون سعادتهم، وإن لم يفعلوها فقد توعدوا وسوف يلقون جزاءهم، وهذا كقوله جل وعلا: {وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله}

[النساء:٦٤] فقوله: (ليطاع) هل كل أحد يطيع الرسول؟!

A لا.

بل أكثر الناس لا يطيعونه، ولكن هذا لا يمنع أن تكون الحكمة لأجل الطاعة، فعلى هذا يكون المعنى جليا وواضحا.." (١)

"واجب العباد تجاه الأوامر والنواهي الشرعية

قال الشارح رحمه الله: [ومعنى الآية: أن الله تعالى أخبر أنه ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته، فهذا هو **الحكمة في** خلقهم.

قلت: وهي الحكمة الشرعية الدينية، قال العماد بن كثير: وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور، وذلك هو حقيقة دين الإسلام؛ لأن معنى الإسلام: الاستسلام لله تعالى المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع.

انتهى.

].

هذا تعريف آخر للعبادة، عرفها ابن كثير رحمه الله بأنها طاعة الله بفعل المأمور وترك المحظور، طاعة الله بفعل ما أمر وترك ما حرم، والاستسلام له والانقياد في ذلك، ومعنى أن يستسلم الإنسان: ألا يكون عنده معارضة لشرع الله، وينقاد له، فلو دعي إلى شرع الله وقيل له: هذا حكم الله فعليه أن يقول: سمعت وأطعت، وكذلك لا يجوز له أن يعترض عليه ويقول: ليت هذا الحكم ما كان كذا، أو يقول -مثلا-: ليت الله لم يحرم الربا، أو ليت الله لم يحرم كذا وكذا أو ليت الله فعل كذا وكذا، فإن هذا لا يجوز، وقائل هذا ليس عابدا في الواقع؛ لأنه اعترض على الله جل وعلا، وكذلك الذي يدعى إلى أن يحكم بينه وبين من ينازعه بالشرع فيقول: لا، لن أذهب، أو يقال له -مثلا-: نذهب إلى الشرع ليحكم بيننا، فيقول: لا لن أذهب، فهذا على خطر عظيم، والمسلم إذا دعي وقيل له: هلم إلى حكم الله، يقول: سمعت وأطعت، ولا يتأذى، ولا يقول: حتى تأتيني بجندي، بل ينقاد لشرع الله؛ فإن الله جل وعلا يقول: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} [النساء:٦٥] يعني: لا يكون في نفس أحدهم ضيق من هذا الحكم، فإذا قيل له: هذا حكم الله، يقول: سمعا وطاعة

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٤/٢

وأهلا وسهلا، وإن كان عليه يفرح به، فهذا الاستسلام والانقياد هو من العبادة؛ لأنه يطيع الله بأمره ويجتنب نهيه ويسلم لشرعه وينقاد له، وهذا هو العبادة في الواقع، فإذا حصل شيء مما يؤثر على ذلك نقصت عبادته.

قال الشارح رحمه الله: [وقال أيضا في تفسير هذه الآية: ومعنى الآية أن الله خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء في جميع أحوالهم، وهو خالقهم ورازقهم.

وقال علي بن أبى طالب رضي الله عنه في الآية: (إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي)، وقال مجاهد: (إلا لآمرهم وأنهاهم)، اختاره الزجاج وشيخ الإسلام].

كل هذا الكلام معناه واحد، وقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: (إلا لآمرهم وأنهاهم) أي: آمرهم بطاعتي وأنهاهم عن معصيتي، فهذا هو معنى العبادة، يعني: أنه خلقهم ليكلفهم بالعبادة، فمن أطاع فله الجزاء والثواب، ومن عصى فعليه العقاب.

فهذه أقوال السلف في الآية واضحة، فقوله سبحانه: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦]، يعني: خلقتهم لآمرهم بالطاعة وأنهاهم عن المعصية، وقد فعل جل وعلا الخلق وفعل الأمر والنهي، فعلى العباد فعل الامتثال.

والأمور ثلاثة: الأول: خلقهم، والثاني: أمرهم ونهيهم والثالث: الامتثال، فالامتثال عليهم وإليهم، فإن فعلوه وامتثلوا استحقوا الجزاء من الله، وإن أبوا وامتنعوا استحقوا العقاب، فالله خلقهم وأمرهم ونهاهم فعليهم أن يفعلوا الثالث الذي هو الامتثال.." (١)

"دين الأنبياء واحد

قال الشارح: [قلت: وهذه الآية تفسير الآية التي قبلها، وذلك قوله تعالى: {فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة} [النحل:٣٦]، فتدبر! ودلت هذه الآية على أن **الحكمة في** إرسال الرسل؛ دعوتهم أممهم إلى عبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وأن هذا هو دين الأنبياء والمرسلين وإن اختلفت شريعتهم، كما قال تعالى: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا} [المائدة:٤٨]، وأنه لابد في الإيمان من عمل القلب والجوارح].

الشرائع هي التي تشرع للعمل، وتختلف شرائع الأنبياء، وهي التي يكون فيها النسخ، فشريعة تنسخ أخرى،

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٨/٤

وقد أنكر اليهود ذلك وقالوا: لا يجوز أن تنسخ شريعة موسى بشريعة عيسى.

فأبوا أن يتبعوه، كذلك أبوا أن يتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك، أما العبادة والتوحيد فكل الأنبياء دينهم الإسلام، وهو الاستسلام لله بالطاعة والانقياد له وإخلاص الوجه والقلب له، كلهم جاءوا بهذا، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله)، فأصل الدين ألا يعبد إلا الله، وأن تكون العبادة بشرعه الذي شرعه لرسله فقط، وهذا أمر تتفق عليه الأديان كلها، وكل نبي جاء به، كما أخبرنا ربنا جل وعلا أنه يرسل الرسل وكل رسول يقول لأمته: {اعبدوا الله ما لكم من إله غيره} [الأعراف:٥٩].

أما الشرائع من الحلال والحرام فإنها تختلف، فبعض الشرائع يكون فيها تضييق، وبعضها يكون فيها سعة، وأسمح الشرائع هي الشريعة الإسلامية، فهي سمحة سهلة، إلا أنها في العبادة هي أشد الشرائع لعبادة الله جل وعلا، لهذا سموه الدين الحنيف، والحنيف هو الذي يعدل ويعرض عن جميع الأديان والاتجاهات إلى الله وحده فقط، لهذا بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن كل ما كان فيه شائبة من الشرك فلا يجوز لأمته أن تفعله، حتى الألفاظ في ظاهرها فقط، وإن كان المتكلم لا يعتقد فيها إضافة الأفعال إلى أسبابها، كقول القائل مثلا: لولا فلان ما كان كذا وكذا، فهذا نهانا عنه صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث أنه: (قال له رجل: ما شاء الله وشئت.

فقال: أجعلتني لله ندا؟ قل: ما شاء الله وحده)، ولهذا يقال: إنه صلوات الله وسلامه عليه سد طرق الشرك كلها التي توصل إليه، وحمى التوحيد من شوائب الشرك.." (١)

"الحكمة في عدم إسلام أبي طالب

قال الشارح رحمه الله تعالى: [ومن حكمة الرب تعالى في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام ليبين لعباده أن ذلك إليه، وهو القادر عليه دون من سواه، فلو كان عند النبي صلى الله عليه وسلم -الذي هو أفضل خلقه- من هداية القلوب وتفريج الكروب ومغفرة الذنوب والنجاة من العذاب ونحو ذلك شيء؛ لكان أحق الناس بذلك وأولاهم به: عمه الذي كان يحوطه ويحميه وينصره ويؤويه، فسبحان من بهرت حكمته العقول، وأرشد العباد إلى ما يدلهم على معرفته وتوحيده وإخلاص العمل له وتجريده!].

يعني: أن من الحكم التي تظهر للناظر في كون أبي طالب لم يسلم، ما بينه بقوله: (يدل ذلك على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بيده شيء من أمر الله؛ من هداية القلوب وإيصال الهدى إليها) هذا ليس

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٥/٥

إليه، وإنما هذا لله جل وعلا، مع أنه أقرب الناس إلى الله، وهو رسوله الذي أكرمه الله جل وعلا بالرسالة، ويجيب دعوته إذا شاء كثيرا، ومع ذلك ما استطاع هداية عمه الذي كان يحوطه ويحميه، مما يدل دلالة واضحة أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له مع الله شيء، وإنما الأمر كله بيد الله، فالله هو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء.

وقد تقدم أن الهداية تنقسم إلى قسمين: هداية دلالة وإرشاد: وهذه هي التي أثبتت للرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم * صراط الله} [الشورى:٥٣] يعني: أنه يدل ويبين ويوضح؛ لأن عليه مجرد تبيين الأدلة، وإيضاح الحق من الباطل.

وهداية توفيق: فهداية التوفيق هي: أن تخلق الهداية في القلوب، وأن يحبب الإيمان إلى القلب ويكره إليه ضده، فهذا إلى الله، وليس لأحد منه شيء، لا الرسول صلى الله عليه وسلم ولا غيره، وهذا هو المقصود في قوله: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} [القصص:٥٦] يعني: لا تستطيع أن تجعل الإيمان في قلب من تشاء ومن تحب، وإنما هذا إلى الله جل وعلا.

ويجوز أن يكون هناك حكم غير هذه في كون أبي طالب لم يؤمن، ومن سنة الله جل وعلا أنه إذا بعث رسولا في أمة يبعثه في أشرافها، وتكون قبيلته قوية، ولابد أن يوجد فيهم متعصب له ليمنعه من أذى الآخرين، كما قال الله جل وعلا في قصة شعيب أن قومه قالوا: {ولولا رهطك لرجمناك} [هود:٩١] (رهطك) يعني: جماعتك، ورهطه لم يؤمنوا به ولو كانوا من قبيلته، {قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله} [هود:٩٢] ومع ذلك كل رسول يتحدى قومه بأن يقتلوا أو يفعلوا به ما يشاءون فلم يستطيعوا، حتى رسولنا صلى الله عليه وسلم أمره الله جل وعلا بذلك، قال له: {ثم كيدون فلا تنظرون * إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين} [الأعراف:١٩٥ - ١٩٦] هكذا قال الله جل وعلا له، وكان يقول لهم ذلك فما استطاعوا، ولهذا في آخر الأمر لما مات أبو طالب اتفقوا على أنهم يقتلونه واستعدوا لذلك، وأخذوا من كل قبيلة من قبائل قريش رجلا شابا جلدا وأعطوه سيفا، زاعمين أنهم يضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل؛ فترضى بنو هاشم بطلب الدية فقط؛ لأنها لن تستطيع أن تقتل من كل قبيلة من فعل ذلك منهم، فاتفقوا على أن يقتلوه، فأحاطوا بيته ومعهم سلاحهم وجلسوا عليه، فخرج من بينهم وهم ينظرون ولكن لا يبصرونه، خرج وصار يأخذ التراب من الأرض ويذره على رءوسهم ويقرأ قول الله جل وعلا: {وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون} [يس:٩] وذهب وتركهم، وقد

أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام على فراشه، وقال له: (لا تخف؛ لن يصل إليك أذى) وكانوا ينظرون إليه ويتصورون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما خرج إليهم قالوا: أين محمد؟ قال: خرج من بينكم وقد وضع على رءوسكم التراب، فانظروا إليه فوق رءوسكم، فلمسوه بأيديهم فرأوا ترابا موضوعا على رءوسهم.

فالخلق ليسوا شيئا بالنسبة لله جل وعلا، فأعمى أبصارهم كما أعمى قلوبهم، ومنعهم من الوصول إليه بأي طريق شاء، تعالى الله وتقدس.

وكذلك قال هود لما قال له قومه: {إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء} [هود:٥٤] يعني: يقولون: إن بعض أصنامنا أصابك بجنون، فصرت مجنونا؛ لأنك صرت تنهانا عن عبادتها، فقال لهم: {إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم} [هود:٥٤ - ٥٦]، فتحداهم وقال: أجمعوا أمركم أنتم ومعبوداتكم، واجتمعوا على كيدي بما تستطيعون، ولا تنظروني ساعة، أي: لا تمهلوني، فما استطاعوا، وهو وحده، وهم أمة قوية جبابرة كما هو معلوم، ومع ذلك لم يستطيعوا له.

وكذلك نوح عليه السلام، وكذلك الرسل كلها.

ولكن الله جل وعلا يجري غالب الأمور على الأمر المعتاد عند الناس؛ لأنها سنن وأسباب وضعها لخلقه. فبعث الرسول في قوة من قومه، ولذلك تعصب له أبو طالب، والعصبية تفيد في بعض الأحيان، وليست مذمومة مطلقا، بل هي تفيد في بعض الأمور، وكون الإنسان يتعصب للحق، ويتعصب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولدينه؛ أمر مطلوب، ولكن لا يجعله ذلك يتعدى الحق إلى الباطل.

والذي ذكر من الرسل أنه لم يكن له قبيلة قوية تدافع عنه هو: لوط عليه السلام؛ ولهذا قال لقومه: {لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد} [هود:٨٠] وقصده بالركن: القبيلة القوية التي تمنعه وتحميه؛ ولهذا جاء في الحديث: (أن الله جل وعلا ما أرسل بعد لوط نبيا إلا في منعة من قومه)، وجاء أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد) لأنه يأوي إلى الله جل وعلا؛ ولكن هو ما أراد هذا، إنما أراد أنه يدافعهم -لما أرادوا السوء بأضيافه- مدافعة على ما جرت به السنن، وما جرت به العادة؛ لقوته وقوة من يكون معه، أما كونه يعلم أن الله سينصره فهذا ثابت عنده لا مرية فيه، وهو ما علم أن أضيافه ملائكة؛ لأنهم جاءوا إليه بصورة شباب حسان الوجوه، وقد فتن قومه -نسأل الله العافية!

- بإتيان الذكران وترك النساء، وهم أول من فعل هذه الجريمة، فمن تمام البلية أن الملائكة جاءوا إلى لوط بصورة شباب حسان الوجوه، فجاءوا يهرعون إليه، فدافعهم بكل ما يستطيع، حتى عرض بناته أن يزوجهم إياهن؛ ولكن هم لا يريدون إلا الفساد فقالوا: {لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد} [هود:٧٩] فقال: {لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد} [هود:٨٠] عند ذلك قال له جبريل: لا تخف؛ نحن رسل الله {لن يصلوا إليك} [هود:٨١] ثم طمس أعينهم بجناحه، فعميت أبصارهم، ثم قال للوط: إن هؤلاء قد قرب أمر الله فيهم، والعذاب آت إليهم، فقال له لوط: الآن أرني فيهم عذاب الله وأنا أنظر؛ لأنهم أوصلوه واضطروه إلى أقصى غاية لا يستطيع أن يصبر فيها، فقال له: {إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب} [هود:٨١] أي: الصبح قريب؛ لأنهم كانوا في أول الليل.

فالمقصود: أن قيام أبي طالب بالذود عن النبي صلى الله عليه وسلم وحمايته هذه سنة من السنن التي جرت عادة الله عليها في الرسل السابقين، ومن تمام ذلك أن هؤلاء الذين يذودون عن الرسل يكونون على دين أقوامهم؛ لأنه لو كانوا على دينه لقال أعداؤه: قومه يحمونه لأجل أنهم على دينه، ولا يتأملون ما جاء به، ولا تقوم الحجة عليهم كاملة، فقد تمنعهم العصبية واتباع الهوى من النظر في الأدلة التي يأتي بها، ولله حكم في هذا، ومن تأملها وجد الشيء الذي يهديه الله جل وعلا إليه.." (١)

"معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها

[الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها] التماثيل: هي الصور، فكل صورة تسمى تمثالا سواء كان لها ظل أو كانت منحوتة باليد، أو مصورة باليد، أو لم يكن لها ظل، فهي تمثال، والتماثيل هي سبب عبادة الأصنام، ولهذا جاءت الأحاديث في تحريمها، والوعيد على فاعلها، وهذا شيء أظنه ما جاء في معصية من المعاصي، وقد بالغ الرسول صلى الله عليه وسلم وأكثر من الأحاديث فيها، فقال صلوات الله وسلامه عن ربه جل وعلا أنه قال: (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا شعيرة).

وقال صلوات الله وسلامه عليه: (كل مصور في النار يجعل له صورة بما صور، يعذب بها في النار) وقال: (من صور صورة كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة، وليس بنافخ) يقال له: أحي ما خلقت، انفخ فيها الروح وأحيها.

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ١٣/٥٦

أحاديث كثيرة وصحيحة، ومبالغة في التحذير.
فينبغي للمسلم أن يحذر من الوقوع في هذه المعصية، وكثير من الناس يتخذ هذا له رزقا، ويتخذه له مهنة، وربما يفعله الإنسان عبثا مثلما يقول بعضهم: يصور للتذكرة، وبعضهم قد يملأ بيته صورا نسأل الله العافية، وقد جاء أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة، وليست الملائكة التي تحفظ على الإنسان أعماله، فهؤلاء لا يفارقون الإنسان: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق:١٨].
ولكن هناك ملائكة للرحمة، يبحثون عن مجالس الذكر، وملائكة معقبات وغيرها، لكن الكتبة لا يفارقون العبد، فلا ينطق كلمة إلا سجلوها.
المقصود أن التصوير أمره ليس سهلا، والواقع أنه كله حكمه سواء، سواء كان (فوتغرافيا) أو نقشا باليد أو غير ذلك، بل التصوير بالآلة يكون أدق من التصوير باليد، والمحذور موجود في هذا وهذا؛ لأن المحذور فيه مشابهة الرب جل وعلا الخلق؛ لهذا يتحداهم الله جل وعلا ويقول: (فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا شعيرة)، ويكلفهم أن ينفخوا الروح.
أما إذا اضطر الإنسان إلى التصوير فالضرورة تبيح المحرم، وذلك كمن لا يستطيع أن يسافر إلا بصورة، ويلزم بأن يأتي بصورة حتى يكون مثبتا هويته وما أشبه ذلك، فهذه ضرورة، والإنسان يفعل الضرورة مضطرا وكارها، ولكن لا يفعل ذلك اختيارا؛ لأنه إذا فعل ذلك اختيارا دخل في الوعيد.." (١)

"**الحكمة من** الاقتصار على ذكر سبع من الكبائر

قال الشارح رحمه الله: [قال الحافظ: ويحتاج عند هذا إلى الجواب عن **الحكمة في** الاقتصار على سبع. فيجاب بأن مفهوم العدد ليس بحجة وهو ضعيف، أو بأنه أعلم أولا بالمذكورات ثم أعلم بما زاد، فيجب الأخذ بالزائد، أو أن الاقتصار وقع بحسب المقام بالنسبة إلى السائل.
].
A الثالث هو الظاهر والله أعلم، أنه وقع بحسب حاجة السامع إلى ذلك؛ ولهذا اختلفت الأحاديث في عدد الكبائر، فمرة يأتي بها بأنواع، وفي مقام آخر يأتي بغيرها؛ لأنه صلوات الله وسلامه عليه يلاحظ السامعين فيذكر ما يحتاجون إليه.
قال الشارح رحمه الله: [وقد أخرج الطبراني وإسماعيل القاضي عن ابن عباس أنه قيل له: الكبائر سبع،

---
(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٢٥/٥٩

قال: (هن أكثر من سبع وسبع).

وفي رواية: (هي إلى السبعين أقرب)، وفي رواية: (إلى السبعمائة)].

قد كتب العلماء في الكبائر الكتب، ومن أجمعها الزواجر لـ ابن حجر الهيتمي سماه: الزواجر عن اقتراف الكبائر، والإمام الذهبي له كتابان فيها، كتاب كبير وكتاب صغير، أحدهما كتبه لطلبة العلم والآخر المشهور المتداول كتبه لعامة المسلمين، وبناه على الوعظ والزجر؛ ولهذا ذكر فيه أحاديث ضعيفة وحكايات لا يعتمد عليها؛ وذلك لأن المواعظ يتساهل فيها أكثر من غيرها؛ لأنه قد يذكر حكاية يكون فيها من التأثير أكثر من تأثير آية لو تليت على بعض العوام، وكذلك ابن القيم له كتاب الكبائر وهو أصل كتاب ابن حجر الهيتمي.

وكذلك السخاوي صاحب الإقناع له كتاب في الكبائر، وغيرها من الكتب.

ومن أسهل الكتب في هذا: (تنبيه الغافلين) للنحاس؛ فإنه عد جملة كبيرة منها، وبين حكمها في كتابه (تنبيه الغافلين).

إذا: هي أكثر من سبع وسبع وأكثر من سبعمائة.

أي: أن العدد غير مقصود، وهذا مراد المصنف من إيراد هذا.." [1]

"مسائل باب ما جاء في التنجيم

قال المصنف رحمه الله تعالى: [فيه مسائل: الأولى: **الحكمة في** خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك].

الحكمة في خلق النجوم سبق أنها ثلاثة أشياء، كما ذكرها الله جل وعلا في القرآن: زينة للسماء، وعلامات يهتدى بها، ورجوم للشياطين، هذه هي الحكمة.

[الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل].

منازل القمر الصواب: أن تعلمها جائز، وهذه المنازل الثمان والعشرون سبق أنها في كل ثلاثة عشر ليلة تغرب منها واحدة وتطلع التي تقابلها، وفي نهاية السنة تنتهي، ثم تبدأ من جديد وهكذا، وهذا تدبير لله جل وعلا، يدل على تمام قدرته، وعلى إتقانه جل وعلا كل شيء، ومثل تعلمها تعلم البروج، وكذلك الكواكب السيارة السبعة وغيرها، فالكواكب مثلا تختلف باختلاف مسيرها؛ كما تختلف في أبعادها

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٢٥/٧٤

وأجرامها وأفلاكها، فمن نظر فيها للاهتداء والاستدلال على قدرة الله وعظمته جل وعلا فلا بأس بهذا، بل قد يكون ذلك مستحبا، أما إذا نظر فيها ليستدل بها أو بمسيرها أو بطلوعها وأفولها على حدوث شيء أو سعادة شيء أو شقاوته فهذا هو المحظور الذي لا يجوز.

[الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل].." (١)

"الانتقام من الكاهن

Q كاهن آذى شخصا، فهل يجوز لذلك الشخص أن ينتقم من هذا الكاهن؟ وما هي **الحكمة من** ذكر أربعين صلاة؟

A إذا آذى الإنسان فله ذلك: {وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به} [النحل:١٢٦]، فإذا استطاع أن يصنع به الشيء الذي يكون مكافئا: فله أن يفعل ذلك.

وأما كون الصلاة قيدت بأربعين فالله أعلم، وهذه ما لا نعرف **الحكمة فيه**.." (٢)

"باب: في طاعة العلماء والأمراء ومتى تكون شركا

قال الشارح رحمه الله تعالى: [باب: من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله، لقول الله تعالى: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون} [التوبة:٣١]، وتقدم تفسير هذا في أصل المصنف رحمه الله عند ذكر حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه].

لما كانت الطاعة الخاصة هي العبادة، والمقصود بالطاعة الخاصة: الطاعة في التحليل والتحريم؛ لأن هذه من خصائص الله جل وعلا، وهي في الواقع أن يأمر بالشيء فيطاع، وينهى عن الشيء فيمتنع منه، فكان الذي يشاركه في هذا ويتبع عليه بمنزلة الرب، ولذلك ذكر الرب هنا؛ لأن الرب جل وعلا هو المالك المتصرف الذي يملك كل شيء ويتصرف فيه، ومن تصرفه الأمر والنهي، فيشرع لعباده شرعا ويأمرهم أن يفعلوه، ويمنعهم من موانع ويعينها لئلا يقربوها.

ولا يجوز أن يشارك الرب جل وعلا في هذا أحد من الخلق فإن شاركه أحد من خلقه فقد نازعه في ربوبيته وملكه، ثم الذي يتبع هذا المخلوق في التحليل والتحريم والتشريع يكون متخذا لهذا المخلوق ربا من دون

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ١٥/٨١

(٢) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٨٣/٨٣

الله، ومعلوم أن **الحكمة من** خلق الخلق هي طاعة الله جل وعلا، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله جل وعلا: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦]، قال: (إلا لآمرهم وأنهاهم)، فيكون الأمر والنهي في التشريع من خصائص الله جل وعلا، ولهذا نص المؤلف على هذا الأمر لأن تركه مضاد للتوحيد، أي أن من أطاع غير الله في التحليل والتحريم فقد وقع في الشرك الأكبر، وقد ذكر الله جل وعلا في آيات كثيرة حال هذا النوع يوم القيامة فقال: {وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا} [الأحزاب:٦٧ - ٦٨]، ولكن هذا لا يفيد في شيء؛ لأن التابع والمتبوع يجتمعان في جهنم في عذاب النار، ويا ليت وما أشبه ذلك لا تفيد شيئا في ذلك اليوم.

والمقصود: أن المقلد في هذا لا ينفعه تقليده ولو اعتذر بالجهل أو اعتذر بالغرور، ولذلك فالواجب على العبد أن يخلص نفسه.

وقلنا: في الطاعة الخاصة؛ لأن طاعة المخلوق إذا لم تكن في معصية الخالق فإنها غير ممنوعة.

والمعصية إما أن تكون في تحليل الحرام أو تحريم الحلال وليس شرطا أن ينص على هذا بقوله: هذا حلال وهذا حرام، ولكن إذا كان أمره مخالفا لأمر الله ومصادما له فهذا هو المحذور والذي لا يجوز أن يقع من الإنسان، وهو الذي يكون فيه الشرك أكبر، ولهذا أمر الله جل وعلا بطاعة أولي الأمر تبعا لطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولذلك فإن الولاة والعلماء يطاعون إذا أمروا بطاعة الله، أما إذا أمروا بمعصية فلا طاعة، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إنما الطاعة في المعروف)، وقال: (لا طاعة لمخلوق في معصية الله)، وهذا عام يشمل الوالد ويشمل من هو أبعد منه، فكل مخلوق لا يطاع في معصية الله جل وعلا فإن أطاعه وهو يعلم فقد اتخذه ربا، أما إذا كان جاهلا ولا يعرف بل يتصور أن طاعته ليست مخالفة لأمر الله فإذا كان هذا الأمر من الأمور الواضحة الجلية فهو داخل فيمن يطيع وهو يعلم، أما إذا كان فيه خفاء فأمره إلى الله وله حكم أهل الجرائم، ولكنه لا يكون كافرا.

ثم استدل على هذه المسألة بأدلة كعادته التي سار عليها في هذا الكتاب، أنه يعتمد على آيات من كتاب الله ثم يأتي بأحاديث تكون موضحة لهذه الآيات، وربما تكون بعض هذه الأحاديث التي يأتي بها فيها

شيء من الضعف؛ لأنه ليس العمدة عليها، وإنما العمدة على الآيات التي يذكرها، وهذه تأتي من باب البيان والتفسير، وهذه طريقة العلماء.." (١)

"ضرورة التحلي بالعلم **والحكمة في** الدعوة إلى الله

وبعض الإخوة يقول: إذا كنا مأمورين بالدعوة إلى الله عز وجل؛ فكيف نوفق بين ما أمرنا به وبين قولك: أننا لا نجادل ولا نماري ولا نخاصم ولا ندعو إلى الله عز وجل؟

و A أنا ما قلت هذا القول، ولم يفهم أحد تقريبا من كلامي أني قلت هذا، لكن لا بد أن تعلم أنك مأمور بالدعوة إلى الله عز وجل إذا كنت على مستوى ذلك، فتدعو إلى الله عز وجل، فكم من الناس -وربما يكون عنده علم- إذا دعا إلى الله كاد أن يفسد أكثر مما يصلح؛ لأن شرط الدعوة أن تكون بالحكمة، وبعض الناس لا حكمة عنده ألبتة، فعندما يأمر كأنه يأمر بالعصا والسيف، فلا يقبل منه ذلك، بل ربما تأخذ المأمور العزة بالإثم فيرد الحق الذي معك؛ لغلظتك وفظاظتك، والله تعالى يقول لنبيه: {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك} [آل عمران:١٥٩]، فلما لم ينفضوا من حوله، بل التفوا حوله؛ تبين أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن فظا، ولا غليظ القلب عليه الصلاة والسلام، بل كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وكان يحرص عليهم أكثر من حرصه على نفسه وعلى أهله وولده عليه الصلاة والسلام، فمثل هذا هو الذي يدعو.

وكذلك لا يدعو أحد بغير علم، وأنتم تعلمون أننا نعيب على الإخوان الذين يدعون إلى الله بزعمهم بغير علم، فينشرون البدع، وينشرون الخرافات في العقيدة والعمل؛ فهذا أمر لم يكلفنا الله عز وجل به؛ ولذلك قال الله تعالى: ((قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله)) على ماذا؟ ((على بصيرة أنا)) أي: النبي ((ومن اتبعني)). فالذي يدعو إلى الله عز وجل لا بد أن يتحلى بالحلم ومكارم الأخلاق، ويكون عاملا كذلك بما يدعو الناس إليه ويأمرهم به، ويكون منتهيا عما ينهاهم عنه، وكذلك يكون عالما بالأمر الذي يأمر به، أو عالما بالنهي الذي ينهى عنه.

فربما ذهب ينهى الناس عن أمر ويغلب على ظنه أنه حرام؛ فإذا به واجب، وربما ذهب يأمر الناس بعمل معين، وإذا به منهي عنه في الشرع؛ ولذلك فالعلم شرط في الدعوة إلى الله عز وجل.

فبهذه القيود وغيرها من القيود والشروط التي اشترطها أهل العلم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكون

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٦/٩٨

الدعوة، أما أن يفهم من كلامي ترك الناس للدعوة إلى الله عز وجل بالكلية؛ فهذا لا أقصده ولا أقوله قط.." (١)

"**الحكمة من** خلق الله سبحانه للحيات والأفاعي والعقارب والهوام والسباع

قال: [ومما لا ينبغي كذلك لأحد أن يتفكر فيه أنه لا ينبغي أن يضمر في نفسه فيقول: لم خلق الله الحيات والعقارب والهوام والسباع التي تضر بني آدم ولا تنفعهم وسلطها عليهم؟]، الحية أو الثعبان قد ملئت سما، لكن الله خلقها، مع أن الله قبل أن يخلقها يعلم أن سمها يضر بني آدم، وأنها عدو من أعدائه، لكن العبد حين يذكر جهنم يقول: لو لم يكن في جهنم إلا الحيات والعقارب لكفى! ومعلوم أن نار الدنيا جزء من سبعين جزءا من نار الآخرة، فلو لم يكن في النار إلا ثعبان واحد يدور على أهل النار لكفى، فيقول هذا السائل: لم خلق الله الحيات والعقارب والهوام والسباع التي تضر بني آدم ولا تنفعهم، وسلطها على بني آدم، ولو شاء ألا يخلقها ما خلقها؟ ولا يجوز أن يوجه هذا السؤال لله عز وجل.

قال: [ولو كان هذا من فعل ملوك العباد لقال أهل مملكته: هذا غش لنا ومضرة علينا بغير حق؛ حيث جعل معنا ما يضر بنا، ولا ننتفع نحن ولا هو به، فمن تفكر في نفسه فظن أن الله لم يعدل حيث خلق الحيات والعقارب والسباع، وكل ما يؤذي بني آدم ولا ينفعه؛ فقد كفر، ومن قال: إن لهذه الأشياء خالقا غير الله فقد كفر.

وهذا قول الزنادقة والمجوس وطائفة من القدرية، فهذا مما يجب على المسلمين الإيمان به، وأن يعلم أن الله خلق هذه الأشياء كلها، وعلم أنها تضر بعباده وتؤذيهم هو عدل من فعله، وهو أعلم بما خلق: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء:٢٣]].." (٢)

"الشر المحض ليس في أفعال الله تعالى

قال: [فهذا وما أشبهه فرض على المؤمنين الإيمان به -أي: هذا الذي قلناه وذكرناه فرض على أهل الإيمان أن يؤمنوا به- وأن يردوا علم ذلك ومراد الله تعالى فيه إلى الله، ولا ينبغي للمخلوقين أن يتفكروا فيه ولا يقولوا: لم فعل الله ذلك؟ ولا كيف صنع ذلك؟ وفرض على المؤمن أن يعلم أن ذلك عدل من فعل الله].

لأنك لو لم تثبت العدل في أفعال الله تعالى فلا بد أن تثبت الجور والظلم، والله تعالى منزه عن كل صفات

(١) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ٧/١٦

(٢) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ١١/٤٢

النقص ومنها الظلم والجور.

قال: [لأن الخلق كله لله عز وجل، والملك ملكه والعبيد عبيده، يفعل بهم ما يشاء، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويشقي من يشاء، ويذمه على الشقاء]، أي: أن الله تعالى يشقي من يشاء، ومع هذا يذمه على الشقاء، فيريد الله تعالى به الشقاء إرادة كونية قدرية، الله تعالى يكره الكفر، ومع هذا خلقه، فالله تعالى يكره إبليس ويلعنه ومع هذا خلقه، فلا نقول: لم خلق الله إبليس؟ وكيف خلق الله إبليس؟ وما **الحكمة من** خلق الله لإبليس؟ الحكمة عظيمة جدا من خلق هذه الأشياء التي تضر ولا تنفع في نظر العبد، لكن نفعها كامن في حكمة الله عز وجل؛ ولذلك ليس من أفعاله تبارك وتعالى خلق الشر المحض، بل الشر الذي معه الخير.

كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (والخير في يديك، والشر ليس إليك)، أي: والشر المحض ليس من أفعال الله عز وجل، لكن الشر الذي معه الخير من أفعاله سبحانه، فلو أن قاتلا قتل، ثم أقمنا الحد على القاتل بالقصاص، فأزهقنا روح الرجل، فكان في ذلك العبرة العظمى لكل من سولت له نفسه أن يقتل، فإنه سيفكر مليون مرة أنه سيقتل في مقابل قتلته.

إذا: لو رفعت هذه الحدود من حياة الناس فإن الجرائم سترتكب بصورة فظيعة جدا؛ لأن القاتل يعلم أنه لا يقتل، والزاني يعلم أنه لا يرجم، والسارق يعلم أنه لا يقطع، ولو كان ذلك قائما في الأمة لفكر كل إنسان في جريمته قبل أن يرتكبها، وبالتالي تراجع عنها قبل الإقدام عليها.

فهذا في حد ذاته خير عام للأمة كلها، وإن كان شرا بالنسبة للفرد.

ولو قلنا: إن أولياء القتيل قد تنازلوا عن القصاص، فالذي يتنازل عن القصاص يرجع إلى الدية، والدية مائة ناقة، ولو قلنا الآن أن الناقة بثلاثة آلاف جنيه، إذا تكون دية هذا المقتول ثلاثمائة ألف جنيه.

فلو أن أهل القتيل فقراء، فإن ثلاثمائة ألف جنيه تغنيهم، وهذا في حد ذاته خير، وكان من العرب من يختار الدية في القتل العمد؛ لأن المسلم مخير بين ثلاث: القصاص أو الدية أو العفو، {وأن تعفوا أقرب للتقوى} [البقرة:٢٣٧]، يعني: العفو أفضل، والقصاص والدية كلام الله عز وجل، والدية هذه يسميها العامة: العوض، إذا هذا الشر الذي قدره الله تعالى في الكون فيه جانب من جوانب الخير، حتى بالنسبة للقاتل، فهو دفع ثلاثمائة ألف جنيه، وهذا يعتبر خراب بيوت، لكن فيه أنه سيرتدع ولا يفكر فيها ألبتة؛ لأنه ربما قتل في المرة القادمة.

المهم هناك فوائد كثيرة جدا، وأنه ليس في أفعال الله تبارك وتعالى الشر المحض، بل فيه الخير، ومن أعظم الخير للقاتل إذا دفع الدية أن يمشي آمنا على الأرض، مع أنه قد ارتكب كبيرة من الكبائر، فهذه فائدة عظيمة جدا، وخير عظيم جدا، ولذلك قال الله تعالى: {ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون} [البقرة:١٧٩]، والقصاص دم مقابل دم، ونفس مقابل نفس، ورقبة مقابل رقبة، بينما لو ترك القاتل دون قصاص فانظر ما يحدث، يقول لك: فلان قتل من بني فلان أو من أسرة فلان، ونحن والله لا نرضى أن نقتل منهم فلانا، بل لا بد أن نقتل منهم عشرة، والعشرة هؤلاء هم فلان وفلان وفلان، ويعدون أشراف العائلة التي منها القاتل، ويقولون: هذا الذي قتل ليس إنسانا معروفا، ولا قيمة له، وإنما نختار زينة العائلة، وأكثر من هذا من يقول لك: والله لن ندع رجلا ولا امرأة ولا طفلا في العائلة إلا قتلناه؛ لأن الله تعالى يقول: {النفس بالنفس} [المائدة:٤٥]! نعم النفس بالنفس لا النفس بالأنفس، أو الأنفس بالنفس، فهي نفس واحدة وهي القاتلة، فلو أن القاتل قتل لانتهت القضية، وطهرت ساحة أهل القتيل، فيمشون على الأرض مطمئنين آمنين، إذا فما قيمة الاعتداء بعد ذلك على الآخرين الأبرياء؟ هذا مما حرمه الله عز وجل، وحرمه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، فليس من أفعال الله تعالى الشر المحض، بل فيه خير وفيه شر. أما الشر فإن الله تعالى قدره تقديرا كونيا قدريا، ولم يرض عنه شرعا ولا دينا، وإن كان الله تعالى أذن في وجوده من جهة الخلق، أما من جهة الكسب فإن المكتسب لذلك هو العبد.." (١)

"ختم الله على قلوب الكفار

قال: [فختم على قلوبهم -أي: الأشقياء- فحال بينهم وبين الحق أن يقبلوه، وغشى أبصارهم عنه فلم يبصروه، وجعل في آذانهم الوقر فلم يسمعوه، وجعل قلوبهم ضيقة حرجة، وجعل عليها أكنة، ومنعهم الطهارة فصارت رجسة؛ لأنه خلقهم للنار، فحال بينهم وبين قبول ما ينجيهم منها، فإنه قال تعالى: {ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل} [الأعراف:١٧٩]]، أي: أضل من الأنعام، والأنعام أشرف منهم.

وقال تعالى: {وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين} [هود:١١٩].

وهذا وما أشبهه فرض على المؤمنين الإيمان به]، أن يؤمنوا أن الهداية بيد الله ومن عنده، وأن الشقاء بيد الله ومن عنده، فهو يهدي من يشاء ويضل من يشاء سبحانه وتعالى، وكل ذلك داخل في مشيئته عز وجل،

---

(١) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ٦/٤٣

فهدايته للخلق محض فضل الله تعالى على من هداه، وإضلاله وإتعاسه وإشقاؤه لبعض خلقه عدل من الله عز وجل.

قال: [فهذا وما أشبهه فرض على المؤمنين الإيمان به، ويرد علم ذلك ومراد ذلك إلى الله تعالى، ولا ينبغي للمخلوقين أن يتفكروا فيه].

يعني: أنت لا يحق لك أن تقول: لماذا أضل الله فلانا؟ والله قادر على أن يجعل شارون مسلما؛ لأن الله تعالى على كل شيء قدير، وهو قادر على ذلك، ولو أراد الله عز وجل لقذف الإيمان في قلب شارون، وسيكون هذا حدث من الأحداث التي يتكلم عنها القاصي والداني، والتي ستغير وجه الأرض ووجه العالم، وهذا فيما يتعلق بنظري ونظرك، ولكن علم الله عز وجل مقدم على ذلك، وقد علم أن **الحكمة في** بقاء شارون على الكفر، ومعلوم أن اليهود والنصارى كفار، وهذا معلوم بالضرورة، وقد نوقشت.

رسالة في جامعة القاهرة منذ عدة أيام، ولما قال الطالب: وقد قال فلان من الكفار، قالوا له: إنه ليس من الكفار، فقال: أليس هذا كاتب إنجليزي؟ قالوا: نعم كاتب إنجليزي، وهو نصراني، فكيف يكون كافرا؟ فقال: الله عز وجل يقول: {إنما المؤمنون إخوة} [الحجرات:١٠]، فقال له المناقش: هؤلاء إخواننا في الإنسانية، ولا داعي لأن نسميهم كفارا.

والأمر بيننا وبين اليهود والنصارى إيمان وكفر، وليس هناك وسط بيننا وبينهم، وهو إما أن يكون مؤمنا أو كافرا، فلما نفى الله عز وجل عنهم الإيمان وأثبت لهم الكفر بسبب إعراضهم عن دعوة محمد عليه الصلاة والسلام كفروا قولا واحدا، ومن قال غير ذلك فهو جاهل غبي أحمق، لا علم له بالكتاب ولا بالسنة كذلك.." (١)

"أفعال الله تعالى مبنية على الحكمة

لا ينبغي للمخلوقين أن يسألوا: لم فعل الله ذلك؟ ولا كيف فعل الله ذلك؟ فالله يفعل هذا بعلم وحكمة، ولست مطالبا بالكيفية أبدا، بل إنك منهي عن الخوض فيها، وقد فرض الله تعالى على المؤمن أن يعلم أن ذلك الفعل عدل من الله، يعني: إذا فعل الله تعالى فعلا ولم تعلم حكمته فعليك التسليم، سواء علمت **الحكمة من** ورائه أو لم تعلم، لأن عندك أصلا أصيلا، وهو أن أفعال الله تعالى كلها مبنية على الحكمة.

فإذا جاء شخص معتزلي عقلاني من المدرسة العقلية يقول: إن ربنا سبحانه وتعالى أمرنا بالتفكر والتدبر

---

(١) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ٦/٤٤

والتعقل، فقال: ((أفلا تعقلون))، ((أفلا يتدبرون))، ((أفلا تتفكرون))، فنقول له: نعم أمرك بهذا، ولكنه جعل لعقلك حدا لا تتعداه، فإذا شرع الله تبارك وتعالى شرعا وأعلمك وأطلعك على **الحكمة منه** فهذا خير وبركة، ولا يلزم من ذلك أن تعلم **الحكمة من** كل فعل من أفعال العباد، ولا من كل تشريع من تشريعات الله عز وجل.." (١)

"شرح حديث عمر: (إن موسى قال: يا رب! أرني آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة)

قال: [عن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: (إن موسى قال: يا رب! أرني آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة)]، أي: أرني آدم الذي أخرجنا نحن الذرية وأخرج نفسه من الجنة، فهذه مصيبة حلت بآدم قبل أن تحل بالذرية.

قال: [(فأراه الله عز وجل آدم)]، كلمة (فأراه) تصدق على رؤية المنام كما تصدق على رؤية العين، ولذلك تقول: رأيت فيما يرى النائم وتسميها رؤية، مع أنها في الحقيقة ليست رؤية بمعنى الكلمة، فلما احتملت هذه الكلمة وغيرها من الكلمات المنصوصة في هذا الحديث اختلف أهل العلم في لقاء موسى بآدم، فمنهم من قال: كان لقاء موسى بآدم لقاء أرواح، ومنهم من قال: أحيا الله لموسى آدم فلقيه وكلمه، ومنهم من قال: إن الله عز وجل إنما أرى موسى آدم في قبره، أو أرى آدم موسى في قبره عند الكثيب الأحمر في فلسطين، وغير ذلك من الأقوال، والذي يترجح لدي ما رجحه الحافظ ابن حجر عليه رحمة الله فقال: وهذا من أبواب الابتلاء في الإيمان.

فالنبي عليه الصلاة والسلام رأى الأنبياء في ليلة الإسراء وصلى بهم، ولا يجوز أن نتنازع كيف صلى بهم ولا كيف رآهم؟ لكننا نقول: إن هذا باب من أبواب الابتلاء في الإيمان، فإذا عجزنا عن البلوغ والوصول إلى **الحكمة من** النصوص فلا أقل من أن نسلم في ذلك، ولذلك قال الحافظ ابن حجر قولا ممتعا جدا في الفتح في شرح هذا الحديث: وهذا مما يجب الإيمان به لثبوته عن خبر الصادق وإن لم يطلع على كيفية الحال، فينبغي الإيمان بذلك، وليس هو بأول ما يجب علينا الإيمان به، وإن لم نقف على حقيقة معناه كعذاب القبر.

لكن ممكن أن يقول شخص: أنا مؤمن بعذاب القبر، لكني أريد أن أعرف كيف يقع عذاب القبر؟ وكيف يجلس الميت في قبره وهو ضيق جدا؟ لا تنظروا إلى هذه الغرف الكبيرة، وإنما أصل القبر لحد كما قال

---

(١) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ٤٤/٨

عليه الصلاة والسلام: (اللحد لنا والشق لغيرنا)، فاللحد ضيق جدا لا يكاد الإنسان يتقلب فيه حركة واحدة، فما بالك أن يأتي ملكان ويجلسانه ويسألانه وهو يجيبهم؟! ثم إذا تلعثم في الجواب ضرب بمرزبة فغاص في الأرض سبعين ذراعا، كيف يتم ذلك كله في هذا القبر الضيق الصغير؟ كل ذلك نؤمن به، وأنه على الحقيقة، وأن الله على كل شيء قدير، فإذا كنت أؤمن أن الله على كل شيء قدير، إذا: أنا أؤمن بأن الله قادر على أن يجمع هذا الكون في بيضة صغيرة، بل يجمع هذا الكون ويدخله سم الخياط، أي: خرم الإبرة؛ لأنه قادر على كل شيء سبحانه وتعالى، ولا أقيس قدرة الخالق بقدرتي، إذ إن قدرتي محدودة ضعيفة، ولها قوانين أرضية سفلية تحكمها، أما الله عز وجل ففوق كل القوانين، وأفعاله لا منتهى لها ولا مثيل لها.

ولذلك نحن نقول: توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلهية، وتوحيد الربوبية يعني أن الله هو الرب الخالق المدبر لشئون خلقه القيوم على شئون عباده، ومعنى توحيد الأفعال، أي: يفعله الله ولا يفعله أحد، كيف ذلك؟ الله تعالى يسمع، فهل يسمع العالم كله منذ أن خلق الله السماوات والأرض إلى قيام الساعة كسمع الله؟ لا يسمعون، وإن اجتمعت أسماعهم، فالله تبارك وتعالى هو الذي يخلق ولا خالق غيره ولا رب سواه، ولو اجتمع الإنس والجن على أن يخلقوا رجلا أو امرأة أو طفلا رضيعا؛ فهل يستطيعون أن يخلقوا طفلا رضيعا كما يخلق الله؟ لا، إذا: هو واحد في أفعاله، ولو قلت لي: هل بإمكانك أن تدخل هذا السلك في خرم الإبرة؟ أقول لك: أنا أعجز عن ذلك، لكن الله يجمع الدنيا كلها إذا أراد ويدخلها من سم الخياط؛ لأنه على كل شيء قدير.

قال: وليس هو -أي: لقاء آدم لموسى- أول ما يجب علينا الإيمان به، وإن لم نقف على حقيقة معناه كعذاب القبر ونعيمه.

واعلم أن هذا الكلام بمثابة الأصول القوية المتينة لأهل السنة والجماعة.

قال: ومتى ضاقت الحيل في كشف المشكلات، أي: في بيان **الحكمة من** الأمر أو النهي إذا ضاقت علينا، مثل: لماذا أمرنا الله بصلاة أربع ركعات في الظهر والعصر والعشاء؟ لماذا أمرنا الله بصلاة ركعتين في الصبح والمغرب ثلاثا؟ وما **الحكمة من** هذا العدد؟ ولم لم يجعل الظهر خمسا أو ثلاثا؟ خفيت علينا الحكمة ولم يبق لنا إلا وجوب التسليم لله عز وجل.

قال: ومتى ضاقت الحيل في كشف المشكلات لم يبق إلا التسليم، أي: التسليم والإذعان لله عز وجل.

وقال ابن عبد البر: مثل هذا عندي -أي: مثل لقاء آدم بموسى- يجب فيه التسليم ولا يوقف فيه على التحقيق؛ لأنا لم نؤت من جنس هذا العلم إلا قليلا، أي: لأنا لم نؤت في بيان المشكلات وحل الغامض من هذا إلا شيئا نادرا جدا، إذ إن معظم أمور الغيب يجب فيها التسليم ويمتنع السؤال عن الحكمة، وليس هذا في مسائل الغيب فقط، بل من المسائل العملية التي يعملها الناس بالليل والنهار لا يعلمون لها حكمة، ولذلك المني في مذهب جماهير العلماء طاهر ويوجب الغسل، والبول بالإجماع نجس ولا يوجب الغسل، لكن قد يقول قائل: لماذا؟ أنا لا أستطيع أن أقول لك السبب، لكن الذي أس." (١)

"**الحكمة من** تكليف الله عز وجل للملائكة بمراقبة أعمال العباد

Q إذا قدر أن العبد سعيد أو شقي حتى النكبة كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، فلم كلف الله عز وجل الملائكة بمراقبة أعمال العبد بعد ولادته؟

A حتى تقام عليه الحجة من صحيفته، فهو يأخذ صحيفته بيده يوم القيامة مكتوبا فيها أعماله جميعا وأقواله، فيقرؤها ولا يستطيع أن ينكر شيئا منها، فإن هم بالإنكار؛ ختم على فيه ونطقت جوارحه.

وقد قلنا سابقا: إن الأصل ألا يسأل أحد في القدر.." (٢)

"قول ابن مسعود (الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة)

[وقال عبد الله: الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة].

وهذا كلام لا يقوله إلا إنسان قد عايش الوحي، ولهذا الكلام عدة معان، يشهد لذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (خير العمل أدومه وإن قل)، والصحابة رضوان عليهم لا يتكلمون بكلام إلا ولكلامهم أصل في كتاب الله أو في سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، فقول ابن مسعود قد قاله غير واحد، ولكنه أول من قال هذا، قال: (الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة)، يعني: تداوم على العمل القليل الخيري المستقيم الصالح وإن كان قليلا، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يحقرن أحدكم من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق)، فهذا في مقدور كل إنسان أن يفعله، ومع هذا لا يفعله كثير من الناس، وأبناء الصحوة لا يفعلون هذا، بل كثير منهم يجيد العلو ووسائله، مع أن النبي عليه الصلاة والسلام أولى بذلك لو كان عملا صالحا، لكنه كان يتهلل فرحا لأصحابه ويستبشر لقدوم غائبهم، وغير ذلك من أخلاقه

(١) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ١٠/٥٠

(٢) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ٢٢/٥١

العالية عليه الصلاة والسلام.

يذكر أن أعرابيا كان يأتي من البادية ومعه طعام، فيهديه للنبي عليه الصلاة والسلام، وكان إذا دخل على النبي عليه الصلاة والسلام يستقبله بالبشر والترحاب، وذات يوم أتى هذا الأعرابي بغير ما كان يتزود به في كل مرة، فاستحيا أن ينزل على النبي عليه الصلاة والسلام؛ فنزل في سوق المدينة، وكان النبي عليه الصلاة والسلام في السوق، فعرف الرجل، فأتى من خلف ظهره ووضع يديه على عينيه، وقال: (من يشتري العبد؟) وهو ليس عبدا، بل هو حر، فعرف هذا الأعرابي صوت النبي عليه السلام، قال: (يا رسول الله! إذا: يجدني كاسدا) أي: لن يربح من ورائي شيئا قال: (لا والله بل رابحا) فبكى هذا الأعرابي فرحا بلقاء النبي عليه الصلاة والسلام، وبممازحته له عليه الصلاة والسلام، وأنتم تعلمون أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يضاحك النساء والرجال على السواء، وهو من هو في منزلته، وهذا في حقنا يجوز مع من تكون محرما له، أما من لم تكن كذلك فلا يحل لأحد مخافة الوقوع في الفتنة إلا للنبي عليه الصلاة والسلام.

قال: الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة، أي: أن تكون تابعا لغيرك في لزوم سنة، خير لك من أن تكون رأسا في البدعة.

هذا التفسير الثاني، الأول: ألا تحقر من المعروف شيئا، وأن تداوم على العمل الصحيح الصالح وإن قل، والتفسير الثاني: لأن تكون تابعا في الحق خير لك من تكون رأسا في الباطل، فحين نرى إنسانا مغمورا على التزام السنة خير من أن يتشبه بـ واصل بن عطاء وهو رأس الاعتزال، وأنتم تعلمون أن الخميني رأس في البدعة، فهل تريد أن تكون في منزلة الخميني رأسا في الشيعة، أم تريد أن تكون إنسانا مغلوبا مقهورا وقد رزقت الحفاظ على السنة والعمل بالسنة، وإن لم يسمع بك أحد؟ أتريد أن تكون رأسا في البدعة أو أن تكون تابعا في الحق؟ بلا شك أن تكون تابعا في الحق.

وهكذا كان السلف رضي الله عنهم، كانوا يلتزمون بالسنة في كل حياتهم، حتى قال ابن المبارك إن استطعت ألا تحك قفاك إلا بأثر فافعل، فتصور أن السنة أقيمت إلى هذا الحد، ألا يتحرك أحدنا بحركة ولا يقرأ القرآن، ولا يفعل شيئا إلا ومعه دليل من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، فالعلة من الاتباع هو العصمة، أن يعصم الإنسان نفسه من الزلل، ويعصم نفسه من الزيغ والانحراف؛ لأن كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة رضي الله عنهم ليس فيه زيغ ولا انحراف، بل قد أتى بالحكمة من جميع الجوانب، فمن تمسك به فهو

عن الزلل والانحراف أبعد، وإذا انحرف الإنسان عن كتاب الله وسنة رسوله وهدي السلف رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فإنه سريع إلى الوقوع في الانحراف والابتعاد عن الخير.." (١)

"ما جاء في سورة براءة من كشف المنافقين وذكر صفاتهم

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأما سورة براءة فأكثرها في وصف المنافقين وذمهم، ولهذا سميت الفاضحة والمبعثرة، وهي نزلت عام تبوك، وكانت تبوك سنة تسع من الهجرة، وكانت غزوة تبوك آخر مغازي النبي صلى الله عليه وسلم التي غزاها بنفسه، وتميز فيها من المنافقين من تميز، فذكر الله تعالى من صفاتهم ما ذكره في هذه السورة].

لقد أكثر الله في سورة براءة من صفات المنافقين، ولهذا سميت هذه السورة: الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين، وتسمى المبعثرة؛ لأنها بعثرتهم، فلم تزل تذكر: ومنهم ومنهم ومنهم ومنهم حتى خاف المنافقون أن يسموا بأعيانهم.

قال تعالى: {ومنهم من يلمزك في الصدقات} [التوبة:٥٨]، {ومنهم الذين يؤذون النبي} [التوبة:٦١]، قال ابن عباس: لم تزل الآيات تذكر أوصافهم ومنهم ومنهم حتى خافوا أن يسموا بأعيانهم؛ ولهذا سميت هذه السورة سورة الفاضحة؛ لأنها فضحتهم.

قال سبحانه فيها: {انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون} [التوبة:٤١]، ثم بين وصف المنافقين فقال: {لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة} [التوبة:٤٢]، أي: لو كان السفر قريبا لاتبعوك، لكن كان السفر بعيدا، أي: أن السفر إلى تبوك في ذلك الوقت كان سفرا بعيدا، وكان في شدة الحر في وقت نضوج الثمار، فلا يستطيع المنافقون الخروج؛ لأنهم ليس لديهم إيمان يدفعهم إلى الجهاد، ولهذا تخلف كثير من المنافقين.

وهذا بخلاف المؤمنين الذين يبعثهم إيمانهم بالله ورسوله على التضحية بالأموال والراحة وبكل شيء، وأما المنافقون فليس لديهم ما يبعثهم، فالسفر بعيد ومتعب وطويل المسافة، والمدة طويلة، فالسفر قديما يحتاج إلى امتطاء ظهور الإبل، وليس كالسفر في وقتنا الحاضر، فقد صار قصيرا، ولهذا قال سبحانه وتعالى: {لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك} [التوبة:٤٢] أي: لو كانت الغنيمة سهلة، والسفر قريبا لاتبعوك؛ لأنهم ليس لهم هم إلا الدنيا، لكن السفر بعيد، ولا يدرون هل سيحصلون على الغنيمة أو لا، ولم يكن

---

(١) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ٦/٩

عندهم إيمان يبعثهم.

{لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله} [التوبة:٤٢] أي: إذا رجع الرسول صلى الله عليه وسلم من الغزو، {لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون} [التوبة:٤٢].

ثم قال سبحانه وتعالى: {عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين} [التوبة:٤٣].

ثم قال في أوصافهم: {لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين * إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون * ولو أرادوا الخروج} [التوبة:٤٤ - ٤٦] أي: إلى غزوة تبوك {لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين} [التوبة:٤٦].

وقد بين الله سبحانه الحكمة في تثبيطهم وعدم خروجهم، فقال: {لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا} [التوبة:٤٧]، فلو خرج المنافقون فإنهم لا يألون المؤمنين خبالا وشرا وتشويشا وإدخالا للهلع والضعف في نفوسهم، {ولأوضعوا خلالكم} [التوبة:٤٧] أي: سعوا في الشر والفساد بينكم، {يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم} [التوبة:٤٧] أي: فيكم من يسمع لهم، {والله عليم بالظالمين * لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون * ومنهم من يقول ائذن لي} [التوبة:٤٧ - ٤٩] أي: ومن المنافقين {من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين} [التوبة:٤٩].

أي: أن أحد المنافقين قال: يا محمد! ائذن لي فأنا لا أستطيع وأخشى على نفسي، فإني إذا رأيت بنات بني الأصفر فسأفتن ولا أستطيع أن أمتنع، فأنزل الله فيه: {ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني} [التوبة:٤٩]، قال الله: {ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين} [التوبة:٤٩].

ومن أوصافهم: {إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون} [التوبة:٥٠]، وقال سبحانه: {لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون} [التوبة:٥٧]، فهذه من أوصافهم.

ثم قال سبحانه: {ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون}

[التوبة:٥٨].

ثم قال سبحانه: {ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم} [التوبة:٦١]، ثم قال سبحانه: {يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين * ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم * يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون * ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين} [التوبة:٦٢ - ٦٦].

ثم ذكر من أوصافهم: {المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون} [التوبة:٦٧]، فمن صفات المنافقين أن بعضهم ولي لبعض، فينصر بعضهم بعضا، وهذا فيه تحذير من الاتصاف بهذه الصفات، فالمؤمن ينصر أخاه المؤمن ويوالي أخاه المؤمن.

ومن أوصافهم: {يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم} [التوبة:٦٧]، إذا المنافق يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، والمؤمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، {ويقبضون أيديهم} [التوبة:٦٧] أي: عن النفقة في سبل الخير، فليس عندهم إيمان يدفعهم إلى ذلك، فلا ينفق إلا المؤمن، {نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون} [التوبة:٦٧].

ومن أوصافهم: {ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون * ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب} [التوبة:٧٥ - ٧٨].

ومن أوصافهم: {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم} [التوبة:٧٩]، فالمنافقون لا يتصدقون، ولما حث النبي على الصدقة تصدق بعض الصحابة بصدقة كبيرة فقالوا: هذا مراء، ثم جاء بعضهم بالقليل فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فأنزل الله: {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم} [التوبة:٧٩] أي: لا يجدون إلا القليل، {فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم} [التوبة:٧٩].

وقد ذكر الله تعالى من أوصافهم في هذه السورة ما لم يذكره في غيرها، قال: {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم." (١)

"عموم الإسلام

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وأيضا فقد قال تعالى: {إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات} [الأحزاب:٣٥] وفرق بين هذا وهذا، فهذه ثلاثة مواضع في القرآن].

فرق الله تعالى في كتابه العظيم بين الإيمان والإسلام في ثلاثة مواضع: فالموضع الأول: في سورة الحجرات، قال تعالى: {قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا} [الحجرات:١٤]، أثبت لهم الإسلام ونفع عنهم الإيمان.

الموضع الثاني: في سورة الذاريات، يقول تعالى: {فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين} [الذاريات:٣٥ - ٣٦].

الموضع الثالث: في سورة الأحزاب: {إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات} [الأحزاب:٣٥].

وكذلك جاء في السنة حديث سعد بن أبي وقاص الذي رواه الشيخان وغيرهما أنه لما وصف سعد رجلا بالإيمان قال: (أو مسلم) ففرق بين الإيمان والإسلام.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وأيضا فقد ثبت في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، (أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا ولم يعط رجلا، فقلت: يا رسول الله أعطيت فلانا وتركت فلانا وهو مؤمن قال: أو مسلم، قال: ثم غلبني ما أجد فقلت: يا رسول الله! أعطيت فلانا وفلانا وتركت فلانا وهو مؤمن، فقال أو مسلم؟ مرتين أو ثلاثا)، وذكر في تمام الحديث: (أنه يعطي رجالا ويدع من هو أحب إليه منهم؛ خشية أن يكبهم الله في النار على مناخرهم).

قال الزهري رحمه الله: فكانوا يرون أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل].

هذا الحديث وهو حديث سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى رجالا ولم يعط رجالا، أي: أعطاهم من الغنائم يتألفهم على الإسلام، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يعطي على الهوى، ولكن يعطي ضعفاء الإيمان حتى يتقوى إيمانهم وحتى لا يرتدوا، وأقوياء الإيمان لا يعطيهم، وإنما يكلهم إلى إيمانهم، فعطاؤه عليه الصلاة والسلام هو لله وليس عن الهوى.

---

(١) شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٦/٦

فلما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم رجالا وترك رجلا، قال: سعد: فترك رجلا هو أعجبهم إلي أرى أنه مؤمن، فكيف يتركه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يعطيه؟ ولا يدري ما **الحكمة في** ذلك، يظن أنه من كان قوي الإيمان يعطيه ومن كان ضعيف الإيمان لا يعطيه، فقال: (يا رسول الله! مالك عن فلان، فوالله إني لأراه مؤمنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أو مسلم؟ -يعني: ما بلغ درجة الإيمان- فسكت سعد رضي الله عنه، قال: ثم غلبني ما أجد فقلت: يا رسول الله! أعطيت فلانا وتركت فلانا وهو مؤمن، فقال: أو مسلم، للمرة الثانية، فسكت سعد، ثم غلبه ما يجد، فقال في المرة الثالثة، يا رسول الله! مالك عن فلان، فوالله إني لأراه مؤمنا، فقال: أو مسلم، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: إني أعطي رجالا وغيرهم أحب إلي خشية أن يكبهم الله في النار)، أي: أحس أنه سيرتد، فهو ضعيف الإيمان، كما قال الله تعالى: {ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة} [الحج:١١].

وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إني لأعطي رجالا لما في قلوبهم من الهلع والجزع، وأترك أقواما لما في قلوبهم من الخير، منهم فلان وفلان) فقال من استثناه: ما أحب أن لي بكلمة رسول الله الدنيا وما فيها.

فالنبي صلى الله عليه وسلم يعطي ليتألف على الإسلام.

والشاهد من الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أثبت له الإسلام ورفع منزلته.

أما قول الزهري: (فكانوا يرون الإسلام الكلمة والإيمان العمل)، فقد سبق في مسمى الإسلام، وقد قلنا إن فيه ثلاثة أقوال: القول الأول للزهري وجماعة: أن الإسلام هو كلمة النطق بالشهادتين، والإيمان هو العمل، لكن الزهري إمام وليس مقصوده رحمه الله أن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان بل المقصود أن الكافر إذا نطق بالشهادتين تميز عن اليهودي والنصراني وحكم له بالإسلام، وإلا فالعمل داخل في مسمى الإسلام.

القول الثاني: أن الإسلام والإيمان مترادفان، فالإسلام هو الإيمان والإيمان هو الإسلام.

والثالث: أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان الأعمال الباطنة.

والقول الرابع وهو الصحيح الراجح: أنها تختلف دلالة الإسلام والإيمان بالتفرد والاقتراب، فإذا قرن الإسلام بالإيمان صار لكل واحد معنى، وصار الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو الأعمال الباطنة كما في حديث جبريل، وإذا أفرد الإسلام دخل فيه الإعمال الظاهرة والباطنة، وإذا أفرد الإيمان دخل فيه الأعمال

الظاهرة والباطنة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [فأجاب سعدا بجوابين: أحدهما أن هذا الذي شهدت له بالإيمان قد يكون مسلما لا مؤمنا].

هذا هو الجواب الأول الذي أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم سعدا وهو: أن هذا الذي شهدت له بالإيمان قد يكون مسلما لم يصل إلى درجة الإيمان، ولهذا لما قال سعد رضي الله عنه: والله إني لأراه مؤمنا، قال: أو مسلم، أي: ما وصل إلى درجة الإيمان؛ لأن المسلم هو الذي عنده تقصير في بعض الواجبات، فهو مسلم موحد لكن عنده تقصير في بعض الواجبات، أو يفعل بعض المحرمات، فإذا أدى الواجب وترك المحرمات يسمى مؤمنا بإطلاق، وإن كان مسلما لابد له من إيمان يصحح إسلامه، لكن لا يطلق عليه اسم الإيمان إذا كان عاصيا، بل يسمى مسلما ولا يسمى مؤمنا، فإذا أدى الواجبات وترك المحرمات يسمى مؤمنا بإطلاق.

فهذا هو الجواب الأول ومعناه: أن هذا الذي تشهد له بالإيمان قد يكون مسلما، وما وصل إلى درجة الإيمان، وذلك لتقصيره في بعض الواجبات، أو لفعله بعض المحرمات.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [الثاني: إن كان مؤمنا وهو أفضل من أولئك، فأنا قد أعطي من هو أضعف إيمانا؛ لئلا يحمله الحرمان على الردة فيكبه الله في النار على وجهه، وهذا من إعطاء المؤلفة قلوبهم].

هذا هو الجواب الثاني، وهو أنه لو سلمنا أنه مؤمن كما تقول يا سعد فأنا أعطي المال لمن كان أضعف إيمانا حتى يتقوى إيمانه، أما هذا فقوي الإيمان فلا أعطيه بل أتركه لإيمانه، وضعيف الإيمان أعطيه لئلا يحمله الحرمان على الردة.." (١)

"**الحكمة في** ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتل المنافقين

Q الرسول عليه الصلاة والسلام عرف أن عبد الله بن أبي منافق، فلماذا لم يقتله، ولماذا لم يظهر أصحابه على أسماء المنافقين؟

A بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وقال: لئلا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه، لأن من لم يعرفهم من اليهود والنصارى وغيرهم يرى أن عبد الله بن أبي من الصحابة، فإذا قتله النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: محمد يقتل أصحابه، وهذا تنفير عن الدين، ولا يعلمون أن هناك منافقين؛ لأن عبد الله بن أبي

---

(١) شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٩/٩

وغيره يظهرون أنفسهم أنهم من المسلمين ويعتبرون أنفسهم من الصحابة فإذا قتلوا تحدث الناس بأن محمدا يقتل أصحابه، فكان في هذا تنفير عن الإسلام.

وأما كونه لم يعلم بأسمائهم فهناك أسماء أسرهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى حذيفة، وهناك منافقون لا يعلمهم، فليس كل المنافقين يعلمهم، ولهذا قال الله تعالى للصحابة: {وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم} [التوبة:١٠١].

إذا هناك بعض المنافقين لا يعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضهم أعلمه الله بهم، كما قال تعالى: {أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم * ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول} [محمد:٢٩ - ٣٠]، وفي الآية الأخرى قال تعالى: {لا تعلمهم نحن نعلمهم} [التوبة:١٠١]، فبعضهم يعلمهم وبعضهم لا يعلمهم.." (١)

"موقف أهل السنة من الخلاف بين الصحابة

وكما قال بعض السلف: هذه الحروب والقتال الذي حصلت نزه الله منها أيدينا فنسأل الله أن ينزه ألسنتنا منها، لكن أهل البدع تجدهم يطعنون في الصحابة، يطعنون في علي، ويطعنون في معاوية، وهذا خطأ، وهو خلاف معتقد أهل السنة والجماعة.

فالواجب الترضي على الجميع، وأن نعتقد أنهم مجتهدون ما بين مجتهد مصيب له أجران، وما بين مجتهد مخطئ له أجر، وما ينقل عن الصحابة كما قال شيخ الإسلام رحمه الله في الواسطية: منه ما هو كذب لا أساس له من الصحة، ومنه ما له أصل ولكن زيد فيه ونقص، ومنه ما هو صحيح، والصحيح هم فيه بين مصيب مجتهد له أجران، والمجتهد المخطئ له أجر، ولهم من الحسنات ما يغطي ما صدر عنهم من الهفوات، هذا هو الواجب على المسلمين، أما الكلام في الصحابة والطعن فيهم، وذكر مساوئهم، فهذا من طريقة أهل البدع.

أما أهل السنة والجماعة فإنهم يترضون عن الجميع، ويترحمون على الجميع، ويعتقدون أن قتالهم ليس للهوى ولا للعصبية وإنما هو عن اجتهاد، ويعتقدون أن لهم من الحسنات من السبق إلى الإيمان والجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم ونشر الإسلام والدعوة إلى الله، ما يغطي ما صدر عنهم ما الهفوات.

ونقول في الجميع كما قال تعالى: {ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا

---

(١) شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١١/٩

للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم} [الحشر:١٠].

فإياك أن تلوث لسانك في الطعن في الصحابة فإن هذا شعار أهل البدع من الخوارج والمعتزلة، والروافض هم الذين يطعنون في الصحابة ويسبونهم، نسأل الله السلامة والعافية.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وهؤلاء الخوارج لهم أسماء يقال لهم: الحرورية؛ لأنهم خرجوا بمكان يقال له: حروراء، ويقال لهم: أهل النهروان؛ لأن عليا رضي الله عنه قاتلهم هناك].

الخوارج لهم أسماء فيسمون: الحرورية؛ لأنهم خرجوا في مكان في العراق يسمى حروراء، فنسبوا إليه فيقال لهم: الحرورية، ومن ذلك أن عائشة رضي الله عنها سألتها امرأة، فقالت: يا أم المؤمنين، ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، ففهمت عائشة أنها معترضة، وأن السؤال سؤال اعتراض، فقالت: أحرورية أنت؟ أي: هل أنت من الخوارج من بلدة حروراء فتعترضين؟ لأن الخوارج يعتقدون أن الحائض تقضي الصلاة مثل الصوم، فهذه المرأة ليست من الخوارج، لكنها لم تحسن السؤال، فكأنها تقول: ما **الحكمة في** كون الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، لكن قالت: ما بالها؟ ففهمت منها أنها معترضة وأنها من الخوارج فقالت: أحرورية أنت؟ أأنت من الخوارج؟ قالت: لا، لست بحرورية ولكن لأفهم، فقالت عائشة رضي الله عنها: (هكذا كان يصيبنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة).

فهذه الفرقة تسمى الحرورية نسبة إلى حروراء، ويسمون أهل النهروان؛ لأن عليا قاتلهم بمكان يقال له: النهروان، ويسمون الخوارج؛ لأنهم خرجوا على الطائفتين، على علي رضي الله عنه وعلى معاوية، وكفروا الجميع، وقالوا: علي كافر، ومعاوية كافر وعثمان كافر، قالوا: لأنهم تقاتلوا؛ ولأنهم حكموا الرجال في كتاب الله فكفروا، فهذا هو مذهبهم يكفرون المسلمين بالمعاصي.

ومذهبهم باطل خبيث فهم يخلدون المؤمنين في النار، ويكفرونهم بالمعاصي.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [ومن أصنافهم الإباضية أتباع عبد الله بن أباض، والأزارقة أتباع نافع بن الأزرق، والنجدات أتباع نجدة الحروري].

الخوارج أصناف كثيرة ذكر الذين كتبوا في الفرق أنهم يبلغون ما يقرب من أربع وعشرين فرقة، منهم الإباضية نسبة إلى عبد الله بن أباض، ومنهم الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق، ومنهم النجدات، ومنهم الصفرية، فلهم فرق كثيرة متعددة، ولو راجعت كتب الفرق مثل الفرق بين الفرق للبغدادي، والملل والمحل للشهرستاني

وغيرها، ففي الفصل والملل لـ ابن حزم يذكر أن الخوارج أربع وعشرون فرقه أو اثنتان وعشرون فرقة، والشيعة أربع وعشرون فرقة.." (١)

"وقال العلامة السعدي: يمحوا الله ما يشاء ـ من الأقدار: ويثبت ـ ما يشاء منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه، فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير، لأن ذلك محال على الله أن يقع في علمه نقص أو خلل، ولهذا قال: وعنده أم الكتاب ـ أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها وهي فروع له وشعب، فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب، كأعمال اليوم والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسبابا ولمحوها أسبابا لا تتعدى تلك الأسباب ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سببا لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سببا للسلامة، وجعل التعرض لذلك سببا للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ. هـ.

وفي فتح الباري للحافظ ابن حجر: المحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة، ويقال له: القضاء المبرم، ويقال للأول: القضاء المعلق. اهـ.

– القضاء يعني قضاؤ الله عز وجل به عند وقوعه والقدر يعني تقدير الله الشيء في الأزل ، فالقدر سابق والقضاء لاحق.

– القدر هو نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده.

– التقدير الذي قدره الله تابع لحكمته ورحمته وما تقتضيه تلك **الحكمة من** غايات حميدة وعواقب نافعة للعباد في معاشهم ومعادهم.

– الله سبحانه وتعالى أحاط بكل شيء علما سواء مما يتعلق بأفعاله عز وجل أو بأفعال عباده فهو محيط بها جملة وتفصيلا بعلمه الذي هو موصوف به أزلا وأبدا.

– لا يلزم من علم الله الأزلي أن العبد مجبر:

قال الشنقيطي رحمه الله: ولا إشكال البتة في أن الله يخلق للعبد قدرة وإرادة يقدر بها على الفعل والترك، ثم يصرف الله بقدرته وإرادته قدرة العبد وإرادته إلى ما سبق به علمه، فيأتيه العبد طائعا مختارا غير مقهور

(١) شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية – الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٢/١١

ولا يجور، وغير مستقل به دون قدرة الله وإرادته كما قال تعالى: وما تشاءون إلا أن يشاء الله ... انتهى ثم ليعلم المسلم بأن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فالله على كل شيء قدير.." (١)

"قضائه وقدره، ولكنه {قد جعل الله لكل شيء قدرا} أي: وقتا ومقدارا، لا يتعداه ولا يقصر عنه اهـ. ووعود الله الكريمة للمؤمنين تتحقق بالطريقة التي تتفق مع **الحكمة من** الخلق، وهي الابتلاء والامتحان، والتمييز والتمحيص.

وأما الجمع بين قوله تعالى: والله يعصمك من الناس {المائدة:٦٧} وحديث: "احفظ الله يحفظك"، وبين ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم في بدنه من بلاء، فقال ابن عادل في (اللباب): الجواب أن قوله تعالى: (والله يعصمك من الناس) المراد به عصمة القلب والإيمان لا عصمة الجسد عما يرد عليه من الأمور الحادثة الدنيوية، فإنه عليه السلام قد سحر وكسرت رباعيته ورمي عليه الكرش والثرب وآذاه جماعة من قريش اهـ.

وقال أحد أهل العلم عن ذات الإشكال: نظرا لشدة عداوة الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم، وكثرتهم وقوتهم، وحرصهم على قتله صلى الله عليه وسلم والتخلص منه بكل وسيلة اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم الحرس في بداية الأمر كما تمليه السنن الكونية والطبيعة البشرية .. فلما نزل عليه قول الله تبارك وتعالى: والله يعصمك من الناس {المائدة: ٦٧}. ترك الحرس فلم يصل إليه عدو بقتل ولا أسر ولا قهر .. مع كثرة الأعداء وكثرة محاولاتهم، والأمثلة على ذلك كثيرة ثابتة فمنها محاولة عمير بن وهب وصفوان بن أمية، ومحاولة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس، ومحاولة بني قينقاع، ومحاولة اليهودية التي أهدت للنبي – صلى الله عليه وسلم – ذراع الشاة المسمومة، وهي ثابتة في كتب السنة، ولكن الله سبحانه وتعالى عصمه من تلك المحاولات ومن غيرها ، وقد استشكل بعضهم أن اليهود سحروه ووضعوا له السم وأن قريشا شجوه وكسروا رباعيته ... ولا إشكال في ذلك، فما أصابه صلى الله عليه وسلم من الآلام والأذى ... في سبيل الله إنما هو لرفع درجاته وتعظيم أجره عند الله تعالى، وليتأسى به الدعاة والعلماء المصلحون .. من بعده. فالله سبحانه وتعالى ضمن له العصمة والسلامة من القتل والأسر وزوال العقل وتلف الجملة .. حتى يبلغ رسالته ويكمل دينه ، وأما عوارض الأذى فلا تمنع عصمة الجملة، ولم تكن تهم النبي صلى الله عليه وسلم،

---

(١) شفاء الضرر بفهم التوكل والقضاء والقدر، أبو فيصل البدراني ص/٤

وإنما كان الذي يهمه هو الخوف من القضاء على شخصه قبل أن يبلغ رسالة ربه ، وعندما أكمل الله الدين لعباده وأتم عليهم نعمته بكمال تشريعه وأصبح رجال الإسلام الذين تعهدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالتربية قادة قادرين على حمل الدين وتبليغه أجرى الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم سنته الماضية في خلقه، كما قال تعالى: كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة {آل عمران: ١٨٥}. وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم يحس بأن مهمته في هذه الحياة قد انتهت، وأنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده ... فأشار إلى ذلك في حجة الوداع عندما خطب في تلك الجموع الحاشدة، فبين لهم شرائع الإسلام وأوصاهم وصية مودع .. وقال: لعلي لا ألقاكم في موضعي هذا بعد عامي هذا!. فلم يكن موته صلى الله عليه وسلم فجأة ولا بسبب قتل أو اغتيال وإنما كانت موتة طبيعية بسبب الحمى والصداع." (١)

"وأما التداوي بالمحرم فحرام، وأما التداوي بالمكروه فالأولى تركه، وللعلامة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب كلام جيد في هذا الموضوع في كتابه (شرح كتاب التوحيد) عند شرحه لحديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب الذين قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: "هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون". متفق عليه.

قال رحمه الله تعالى: واعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب - أصلا - كما يظنه الجهلة، فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري لا انفكاك لأحد عنه، حتى الحيوان البهيم، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب، كما قال الله تعالى: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) [الطلاق:٣. أي كافيه.

إنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها توكلا على الله، كالاسترقاء والاكتواء، فتركهم له ليس لكونه سببا، لكن لكونه سببا مكروها، لا سيما والمريض يتشبث بما يظنه سببا لشفائه بخيط العنكبوت.

أما نفس مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهية فيه فغير قادح في التوكل، فلا يكون تركه مشروعا، كما في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعا: "ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء".

وعن أسامة بن شريك قال: "كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت الأعراب، فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: نعم، يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داءا إلا وضع له شفاء غير داء واحد.

---

(١) شفاء الضرر بفهم التوكل والقضاء والقدر، أبو فيصل البدراني ص/٣٩

قالوا: ما هو؟ قال: الهرم" رواه أحمد. قال ابن القيم: فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات، وإبطال قول من أنكرها، والأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا، وأن تعطيلها يقدح بمباشرته في نفس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى من التوكل، فإن تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلا للأمر والحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلا، ولا توكله عجزا. ا. هـ.

وعلى ضوء ما سبق، فتناول الأدوية المباحة لدفع الأمراض لا ينافي العقيدة ولا التوكل، بل هو أمر مطلوب والله أعلم.

السؤال الخامس: الله عز وجل وعد عباده المؤمنين بكثير من الوعود في الحياة الدنيا ولا نراها تتحقق فما تأويل ذلك؟

وعود الله الكريمة للمؤمنين لا بد أن تحصل وتتحقق لمن أقام شرطها، ولكن بطريقة تتفق مع **الحكمة من** الخلق، التي هي ابتلاء بمعنى الامتحان والاختبار، فقد خلق الله تعالى الإنسان ليمتحنه ويختبره، كما قال تعالى: الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور {الملك:٢}، وقال تعالى:." (١)

"السؤال التاسع: عندي شبهات أرجو كشفها: كيف نجمع بين قوله عليه الصلاة والسلام: احفظ الله يحفظك، وقوله تعالى: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . وبين ما وقع لأصحاب الأخدود ولبعض أنبياء بني اسرائيل حيث قتلهم قومهم مع أنهم يحفظون الله بالاستقامة على طاعته وكذلك ماجرى للحسين رضي الله عنه من مظلمة؟ فما معنى هذه النصرة وما معنى الحفظ؟ وما وجه الجمع بين مقتل عمر . رضي الله عنه . وهو على المحراب يصلي الفجر والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يتبعنكم الله بشيء من ذمته؟ وما وجه الجمع بين قوله تعالى عن الشيطان: إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه

---

(١) شفاء الضرر بفهم التوكل والقضاء والقدر، أبو فيصل البدراني ص/٤٤

والذين هم به مشركون . وبين أن رسول الله سحر وأي سلطان أعظم من السحر؟ وما وجه الجمع بين قوله تعالى: وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا . ونحن ننظر إلى كثير من المرضى من يرقي نفسه صادقا مع ربه ولا يشفيه الله؟ علما بأني قرأت جميع الفتاوى عن تأويل وعود الله الكريمة وقالوا أن وعود الله تتفق مع **الحكمة من** الخلق وهي الابتلاء وأن ما يصيب الصالحين من ابتلاء إنما هو لرفع درجاتهم ، ولكن السؤال أين وعد الله عز وجل؟ أم أننا نحمل وعود الله من المعاني ما لا تحتمل وما لم يعد عباده به؟ وهل معنى الحسب والكفاية في قوله تعالى: "ومن يتوكل على الله فهو حسبه"، وقوله: "أليس الله بكاف عبده" أن يقضي الله الخير للعبد حيث كان ثم يرضيه به وإن كان في قالب ضراء كما قال تعالى: "والعاقبة للمتقين"؟.

الإجابة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن الأمور أيها الموفق بالخواتيم، والحسب والكفاية للصالحين إنما تكون كما ذكرت في نهاية حديثك بأن يقضي الله لهم الخير حيث كان ثم يرضيهم به ويثيبهم عليه، وإن كان ذلك في قالب ضراء، ومن ذلك على سبيل المثال ما جرى للحسين رضي الله عنه من ظلم له حيث إن الله جل وعلا لم يسلم الحسين ولم يتخل عنه عندما تركه يلقى حتفه شهيدا مظلوما، بل كان قد سبقت له من الله الحسنى، وسبق في علم الله جل وعلا أن يكون مغ أخيه الحسن سادة شباب أهل الجنة، ولم تكن له سابقة في زمن النبوة، فقد ترعرع في عز الإسلام وكان طفلا فلم يشهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصابه من البلاء ما يبلغ به الدرجة الرفيعة التي سبقت له من الله تعالى، فما قضاه الله للحسين كان خيرا له في العاقبة، وإن بدا في صورة كارثية مروعة في الحياة الدنيا، وعجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، فأما قوله صلى الله عليه وسلم: احفظ الله يحفظك . فلا يقتصر كما قد يفهم من كلام السائل على حفظ البدن ونحوه، بل الأعظم من هذا حفظ الإيمان والاستقامة على مرضاة الله تعالى، قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم: حفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:." (١)

---

(١) شفاء الضرر بفهم التوكل والقضاء والقدر، أبو فيصل البدراني ص/٥١

"أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، قال الله عز وجل: له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله {الرعد: ١١} قال ابن عباس: هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر خلوا عنه، وقال علي رضي الله عنه: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه.

النوع الثاني من الحفظ، وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان. اهـ.

وقال الشيخ عطية سالم في شرح الأربعين النووية: هناك حفظ أعظم منه، فإذا حفظت الله في حقه، وفي أسمائه وصفاته وفي أوامره ونواهيه حفظك أن تهدم ذلك، وحفظك من أن تقع في السوء، وحفظك من أن تحيد عن الطريق، وحفظك على الجادة السوية، وحفظك على الصراط المستقيم. اهـ.

وبهذا يتبين لك بأن المقصود بالحفظ حفظان الأول حفظ مقيد بالمصلحة والعاقبة للعبد **والحكمة من** الخلق وهو الحفظ الحسي الدنيوي وهذا الحفظ لا يحفظ العبد مما هو حق لا يمكن الفرار منه كالموت أو الأذى الذي لا بد منه لكل من يريد الله ابتلاؤه ليميز الخبيث من الطيب. أما الحفظ الثاني فهو الحفظ الديني من الشبهات المضلة والشهوات المحرمة وهذا الحفظ مطلق لكل من حفظ الله بالتزام شرعه وهذا في غاية الظهور في قصة أصحاب الأخدود، حيث حفظ الله إيمان الغلام وقومه رغم شدة ما وقع بهم من البلاء، وقد قال تعالى: وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين {آل عمران: ١٤٦}.

فمن حفظ الله لعبده الصالح أنه مع ما يصيبه في سبيل الله لا يهن ولا يضعف، بل يثبت على ما يرضي الله تعالى!!

وأما قوله عز وجل: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد {غافر: ٥١}.

فقال الماوردي في النكت والعيون: فيه قولان:

أحدهما: بإفلاج حجتهم، قاله أبو العالية. (قلت وهذا القول مجمع عليه وثابت لجميع الرسل والأنبياء وأتباعهم وكذلك من نصرتهم ثباتهم على دينهم وعزيمتهم على الرشد).

الثاني: بالانتقام من أعدائهم، قال السدي: ما قتل قوم قط نبيا أو قوما من دعاة الحق من المؤمنين إلا بعث الله من ينتقم لهم فصاروا منصورين فيها وإن قتلوا. اهـ. فنصرة الله تعالى لعباده لا تقتصر على صورة واحدة.

انتهى.

وقيل في توجيه الآية الكريمة أن الرسل قسمان: قسم أمر بالجهاد، فهؤلاء نصرهم الله بالظفر على الأعداء، وقسم لم يؤمر بالجهاد وأمر بالصبر، وهؤلاء نصروا بالحجة الظاهرة وهذه النصرة ثابته لجميع المرسلين والأنبياء والمؤمنين وهذا القول رجحه الشنقيطي رحمه الله صاحب أضواء البيان وقيل بأن المقصود بالحكم بنصر الرسل هو الأغلب.." (١)

"إلى رد الحق؛ لأن المتكلم بذلك قد يريد حقا، فكان التوقف والاستفصال فيه مخرج من التورط برد الحق، أو الموافقة على الباطل، هذه قاعدة مقررة معروفة، وهي منهج من مناهج الجدل والمناظرة.

ونأتي لهذه الكلمات: (تعالى عن الحدود) هذا لفظ مجمل، والحد يطلق ويراد به تحديد الماهية، مثل الحد عند المناطقة، أي: التعريف الذي يتضمن تحديد كنه الشيء وماهيته؛ فإن أريد هذا فهو ممتنع، إذ لا سبيل إلى تحديد الرب تعالى وذكر حقيقته، فتعالى عن أن يحده الحادون، وأن يصلوا إلى معرفة كنهه وحقيقته، قال شيخ الإسلام: «أهل العقول هم أعجز عن أن يحدوه أو يكيفوه منهم عن أن يحدوا الروح أو يكيفوها» (١)، فهذا المعنى حق، تعالى الله عن أن يدرك أحد حقيقة ذاته أو حقيقة صفاته.

ويأتي لفظ (الحد) ويراد به أنه سبحانه وتعالى ليس ساريا في العالم حالا في المخلوقات؛ بل هو فوق سماواته، وهذا المعنى جاء عن الإمام ابن المبارك، لما قيل له: بماذا نعرف ربنا؟ قال: «بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه. قيل: بحد؟ قال: بحد» (٢)

وقوله: (والغايات) الغاية تطلق ويراد بها النهاية، وتطلق ويراد بها المقصود من الفعل، أي: **الحكمة منه**، فإذا أريد أن الله تعالى منزه عن أن تكون له غايات في أفعاله؛ فهذا باطل؛ لأن الله له الحكمة البالغة في خلقه وفي شرعه، يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في التدمرية (٣): «والغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته ـ وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة ـ تدل على حكمته البالغة».

---

(١) التدمرية ص ١٧٩.

(٢) نقض عثمان بن سعيد ص ٥٧ والرد على الجهمية ص ٤٨، والسنة لعبد الله بن أحمد ١/ ١٧٤،

---

(١) شفاء الضرر بفهم التوكل والقضاء والقدر، أبو فيصل البدراني ص/٥٢

والإبانة ٣/ ١٥٨، وانظر: بيان تلبيس الجهمية٣/ ٤٢.
(٣) ص ١٢٣.." (١)
"لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف) (١).
وقوله: (يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدا).
يفعل سبحانه ما يشاء، فيعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعز ويذل، ويهدي ويضل، ويحيي ويميت، ((يدبر الأمر)) [يونس: ٣]، ((يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر)) [الرعد: ٢٦]، و ((يعذب من يشاء ويرحم من يشاء)) [العنكبوت: ٢١]، كل ذلك جار على وفق حكمته تعالى، فله الحكمة في كل تدبير، كما تقدم في قول الطحاوي: (يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا) (٢).
فهو يهدي من يشاء بفضله وحكمته، ويضل ويخذل ويبتلي من يشاء بعدله وحكمته، فالحكمة ثابتة في كل تدبير، فهو يضع فضله في مواضعه؛ لأن الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، والعدل: وضع الأشياء في مواضعها، فالله تعالى يضع فضله في مواضعه حيث شاء على وفق الحكمة، خلافا لقول الجهمية ومن تبعهم كالأشاعرة: إن كل ما يجري بمحض المشيئة دون أن تكون له تعالى حكمة في هذا التقدير والتدبير، وقد تقدم نحو هذا المعنى (٣).
المقصود: أنه يجب الإيمان بأن أفعاله سبحانه وتعالى جارية على وفق العدل والحكمة، فأفعاله دائرة بين الفضل والعدل، والظلم مما يجب تنزيهه تعالى عنه ((وما ربك بظلام للعبيد)) [فصلت: ٤٦]، ((وما أنا بظلام للعبيد)) [ق: ٢٩] (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) [النساء: ٤٠] والآيات في تنزيهه تعالى عن الظلم كثيرة.
فلا يعذب أحدا بغير ذنب، ولا يعذب أحدا بذنب غيره، وجاء في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: (لو أن الله تعالى عذب أهل سماواته وأهل أرضه

---

(١) تقدم في ص ١٨٢.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للبراك، عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/١٤٢

(٢) ص ٧٧.

(٣) ص ٧٧ – ٨١.." [1]

"نفسه، وتقدم (١) أن كل نفي يوصف الله به؛ فلا بد أن يتضمن إثبات كمال، فلا يوصف تعالى بالنفي المحض الذي لا يتضمن ثبوت كمال؛ لأن النفي المحض ليس فيه مدح ولا كمال، فمما وصف الله به نفسه من النفي: أنه لا يسأل عما يفعل، لا يتوجه إليه السؤال، وذلك لكمال حكمته، وليس هذا لقوته وقدرته وسلطانه، فمن كان معروفا بكمال الحكمة لا يقال: لم فعلت كذا؟ ولم كان منك كذا؟ لأنه حكيم، وأما العباد فإن أقوالهم وأفعالهم عرضة للنقص والخلل والعيب والانحراف فهم يسألون عن أفعالهم في الدنيا بحكم الشرع، ويسألون في الآخرة، قال تعالى: ((فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون)) [الحجر: ٩٢ – ٩٣]، وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه) (٢).

فالعباد يسألون، أما الله تعالى فلا يسأل، فلا يقال: لم فعلت؟ على وجه الاعتراض، أما السؤال لمزيد المعرفة فلا مانع منه كأن يقول الإنسان: ما **الحكمة في** كذا؟ لم شرع الله كذا؟ ليعرف الحكمة لا على وجه الاعتراض على التشريع والتدبير.

والملائكة لم يكن سؤالهم لربهم عندما قال سبحانه وتعالى: ((إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون)) [البقرة: ٣٠] على وجه الاعتراض على تدبير الله، إنما تحيروا في معرفة **الحكمة في** خلق هذا المخلوق الذي يكون منه ما ذكر من الإفساد وسفك الدماء.

---

(١) ص ٣٣.

(٢) رواه الدارمي (٥٤٣)، وعنه الترمذي (٢٤١٧). وقال: حسن صحيح. من حديث أبي برزة الأسلمي – رضي الله عنه –، وانظر: السلسلة الصحيحة (٩٤٦).." [2]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للبراك، عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/٣٣٥

(٢) شرح العقيدة الطحاوية للبراك، عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/٣٣٨

"بوصف أنواع من المعاصي بأنها كبائر، وأنواع بأنها صغائر، وأنواع لم توصف وهي مشتملة على صغائر وكبائر، **والحكمة في** عدم بيانها أن يكون العبد ممتنعا من جميعها مخافة أن يكون من الكبائر. قالوا: وهذا شبيه بإخفاء ليلة القدر، وساعة يوم الجمعة، وساعة إجابة الدعاء من الليل، واسم الله الأعظم، ونحو ذلك مما أخفي ... انتهى.

تعريف الصغيرة اصطلاحا:

تعريف الصغيرة المختار والراجح من أقوال أهل العلم: هي كل ذنب لم يوجب حدا في الدنيا، أو وعيدا في الآخرة، وكان قليل المفسدة.

تعداد جملة من صغائر الذنوب في ضوء التعريف المختار:

من كتاب الطهارة: استقبال القبلة أو استدبارها ببول أو غائط في الفضاء، إدخال النجاسة إلى المسجد، استعمال النجاسة في ثوب أو بدن.

من كتاب الصلاة: الصلاة وقت الكراهة ـ البيع عند نداء الجمعة ـ الاختصار في الصلوات، والعبث، والالتفات أيضا ـ البيع والشراء في المسجد ـ إمامة الرجل والقوم له كارهون ـ الكلام والإمام يخطب.

من كتاب الصوم: الصوم في يوم منهي عنه ـ مباشرة الصائم وتقبيله إذا لم يأمن.

من كتاب الزكاة: دفع الزكاة من أردأ المال.

من كتاب الأطعمة والأشربة: إمساك الخمر غير المحترمة ـ الأكل من طعام من غالب ماله حرام على مذهب من يحرم المال الحرام مطلقا ولا يفرق بين المحرم لعينه والمحرم لكسبه.

من كتاب النكاح: الخطبة على خطبة غيره ـ نكاح الشغار ـ مضارة الزوجة.

من كتاب الطلاق: التطليق في الحيض ـ وطء الزوجة المظاهر منها قبل التكفير والرجعة ـ تطليق الزوجة أكثر من واحدة ـ المضارة في الإنفاق.

من كتاب البيوع: النجش، البيع على بيع أخيه، والسوم على سومه وبيع الحاضر للباد، وتلقي الركبان، والتصرية، وبيع المعيب من غير بيانه.

من كتاب الجهاد: قتل الحربي قبل استتابته ـ بيع السلاح لأهل الفتنة.

من كتاب القضاء: ترك القاضي التسوية بين الخصمين.

صغائر من أبواب متفرقة: الخلوة بالأجنبية، والنظر المحرم، واتخاذ الكلب الذي لا يحل اقتناؤه، وهجو المسلم، وهجر المسلم فوق ثلاثة أيام ودون سنة بلا عذر، وكثرة الخصومة، والإشراف على بيوت الناس، الكذب الذي لا حد فيه ولا إضرار، استماع الغيبة، ابتداء الكافر بالسلام، سماع اللهو وآلات المعازف، إفشاء السر، خلف الموعد، التعصب، المداهنة، سفر المرأة من غير زوج أو محرم.." (١)

"عليهم سبيلا " فهذه الآيات وما شابهها مما لم يذكر تدل على الأمر بقبول السلم من الكفار إذا جنحوا إليه.

أما الأدلة من السنة النبوية الشريفة فكثيرة منها، قوله صلى الله عليه وسلم "لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا"

حيث نهى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث عن الرغبة في الحرب وتمني لقاء العدو.

وكذلك رسائله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء ودعوته لهم بالدخول إلى الإسلام، فهذا يدل على أن الأصل هو السلم فلو كان الأصل هو الحرب لما أرسل إليهم هذه الرسائل.

قال الزحيلي: وإن الأصل في علاقات المسلمين بغيرهم هو السلم، والحرب عارض لدفع الشر، وإخلاء طريق الدعوة ممن وقف أمامها وتكون الدعوة إلى الإسلام بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان.

أنواع القتال في الإسلام **والحكمة منه**:

بداية أخي المسلم اعلم أن ما يسميه البعض عنفا، قد يسميہ غيره قوة وحزما وردعا، والناس ليسوا على شاكلة واحدة، فمنهم من يقف عند حده ويلتزم العدل والإنصاف، ولا يحارب الحق ولا يعاديه، ومنهم من يبغي ويطغى، ويظلم ويتعدى، ويبغض الحق ويحاربه، ويصد عن سبيل الله. وليس من العقل ولا من الحكمة أن يعامل الجميع معاملة واحدة، ولذلك تجد في القرآن قوله تعالى: وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم {الأنفال: ٦١}.

كما تجد فيه قوله عز وجل: وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون * ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين {التوبة: ١٢. ١٣}.

---

(١) الولاء والبراء والعداء في الإسلام، أبو فيصل البدراني ص/٢٣

وتجد فيه كذلك قوله سبحانه: وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا {النساء: ٧٥}.

وما أحسن قول المتنبي:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف في موضع الندى.

فالعنف قد يحمد أحيانا، كما قد يذم اللين أحيانا، والحكمة أن يوضع الشيء في موضعه، والجهاد في الإسلام لم يشرع لتحصيل أغراض دنيوية، بل شرع ليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هي العليا، مما يدرأ الفتنة، ويحاصر أبوابها ومنافذها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن امتنع من هذا قوتل باتفاق المسلمين، وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والزمن ونحوهم، فلا يقتل عند جمهور العلماء، إلا أن يقاتل بقوله أو فعله، وإن كان بعضهم يرى إباحة قتل الجميع لمجرد الكفر إلا النساء والصبيان، لكونهم مالا للمسلمين، والأول هو الصواب، لأن القتال هو لمن يقاتلنا إذا أردنا إظهار دين الله، وذلك أن الله تعالى أباح من قتل النفوس ما يحتاج إليه في صلاح الخلق، كما قال تعالى: والفتنة أكبر من القتل. أي أن القتل وإن كان." (١)

"الله عليه، أودعها عند أوصيائه، كل وصي يعهد بها إلى الآخر لينشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة من عام مخصص أو مطلق مقيد، أو مجمل مبين، إلى أمثال ذلك، فقد يذكر النبي لفظا عاما ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته وربما لا يذكره أصلا، بل يودعه عند وصيه إلى وقته» (١).

ويستفاد من هذا الكلام ومن غيره أمور ثلاثة بالنسبة للتقنين والأحكام:

أول هذه الأمور:

أن الأئمة وهم الأوصياء استودعهم النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – أسرار الشريعة، وأن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ما بينها كلها بل بين بعضها، فبين ما اقتضاه زمانه وترك للأوصياء أن يبينوا للناس ما تقتضيه الأزمنة من بعده، وذلك بأمانة أودعها إياهم.

وثانيها:

---

(١) الولاء والبراء والعداء في الإسلام، أبو فيصل البدراني ص/٦٧

أن ما يقوله الأوصياء شرع إسلامي لأنه تتميم للرسالة فكلامهم في الدين شرع، وهو بمنزلة كلام النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – لأنه من الوديعة التي أودعهم إياها، فعنه صدروا، وبما خصهم به نطقوا.

---

(١) أصل الشيعة وأصولها (ص٢٩).." (١)

"ومن ذلك أن الحسن بن علي – رضي الله عنهما – دخل مرة على معاوية فقال له: «مرحبا وأهلا بابن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –، وأمر له بثلاثمائة ألف» (١).

وهذا مما يقطع بكذب ما ادعي في حق معاوية من حمله الناس على سب علي – رضي الله عنهما –، إذ كيف يحصل هذا مع ما بينه وبين أولاده من هذه الألفة والمودة والاحتفاء والتكريم.

الخامس: ماذا يمكن أن يقال في إجماع المسلمين على أنه لا يجوز لعن المسلم على التعيين؟

هل يكون هذا الحكم غائبا عن معاوية – رضي الله عنه –؟

وكيف نفسر ما نقله صاحب العقد الفريد من أن معاوية أخذ بيد الحسن بن علي في مجلس له، ثم قال لجلسائه: «من أكرم الناس أبا وأما وجدا وجدة؟».

فقالوا: «أمير المؤمنين أعلم».

فأخذ بيد الحسن وقال: «هذا أبوه علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة – رضي الله عنها – بنت محمد – صلى الله عليه وآله وسلم –، وجده رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –، وجدته خديجة – رضي الله عنها –».

وأخيرا:

لنستمع إلى ما رواه أبو نعيم عن أبي صالح قال:

«دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية فقال له معاوية: «صف لي عليا».

فقال ضرار: «أو تعفيني يا أمير المؤمنين؟».

قال معاوية: «لا أعفيك».

قال ضرار: «أما إذ لابد، فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا ويحكم عدلا، ويتفجر العلم من جوانبه، وتنطق **الحكمة من** نواحيه، يستوحش من

---

(١) جهود علماء الأزهر في بيان حقيقة دين الشيعة = الشيعة الوجه الآخر شقاق لا وفاق، شحاتة صقر ص/٣٧

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٤٠)..." (١)

"،ولكن عناية الله تداركتهما وثبتتهما، وأيدتهما بولايته. وعلى الله فليتوكل المؤمنون، فليس لهم سند غيره. (١)

هذه الآيات نزلت في وقعة "أحد" وقصتها مشهورة في السير والتواريخ، ولعل **الحكمة في** ذكرها في هذا الموضع، وأدخل في أثنائها وقعة "بدر" لما أن الله تعالى قد وعد المؤمنين أنهم إذا صبروا واتقوا نصرهم، ورد كيد الأعداء عنهم، وكان هذا حكما عاما ووعدا صادقا لا يتخلف مع الإتيان بشرطه، فذكر نموذجا من هذا في هاتين القصتين، وأن الله نصر المؤمنين في "بدر" لما صبروا واتقوا، وأدال عليهم العدو لما صدر من بعضهم من الإخلال بالتقوى ما صدر، ومن حكمة الجمع بين القصتين أن الله يحب من عباده إذا أصابهم ما يكرهون أن يتذكروا ما يحبون، فيخف عنهم البلاء ويشكروا الله على نعمه العظيمة التي إذا قوبلت بما ينالهم من المكروه الذي هو في الحقيقة خير لهم، كان المكروه بالنسبة إلى المحبوب نزرا يسيرا، وقد أشار تعالى إلى هذه **الحكمة في** قوله {أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها} وحاصل قضية "أحد" وإجمالها أن المشركين لما رجع فلهم من "بدر" إلى مكة، وذلك في سنة اثنتين من الهجرة، استعدوا بكل ما يقدرون عليه من العدد بالأموال والرجال والعدد، حتى اجتمع عندهم من ذلك ما جزموا بحصول غرضهم وشفاء غيظهم، ثم وجهوا من مكة للمدينة في ثلاثة آلاف مقاتل، حتى نزلوا قرب المدينة، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - إليهم هو وأصحابه بعد المراجعة والمشاورة حتى استقر رأيهم على الخروج، وخرج في ألف، فلما ساروا قليلا رجع عبد الله بن أبي المنافق بثلث الجيش ممن هو على مثل طريقته، وهمت طائفتان من المؤمنين أن يرجعوا وهم بنو سلمة وبنو حارثة فثبتهم الله، فلما وصلوا إلى أحد رتبهم النبي - صلى الله عليه وسلم - في مواضعهم وأسندوا ظهورهم إلى أحد، ورتب النبي - صلى الله عليه وسلم - خمسين رجلا من أصحابه في خلة في جبل "أحد" وأمرهم أن يلزموا مكانهم ولا يبرحوا منه ليأمنوا أن يأتيهم أحد من ظهورهم، فلما التقى المسلمون والمشركون انهزم المشركون هزيمة قبيحة وخلفوا معسكرهم خلف ظهورهم، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فلما رآهم الرماة الذين جعلهم النبي - صلى الله عليه

(١) معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين صلى الله عليه وسلم - كشف شبهات ورد مفتريات، شحاتة صقر ص/٢٣٥

وسلم – في الجبل، قال بعضهم لبعض: الغنيمة الغنيمة، ما يقعدنا

---

(١) – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤١٤،بترقيم الشاملة آليا)." (١)

"ويستلزم أيضا بغضهم وعداوتهم لأن النهي عن الشيء أمر بضده، وهذا الأمر موقت بهجرتهم فإذا هاجروا جرى عليهم ما جرى على المسلمين، كما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يجري أحكام الإسلام لكل من كان معه وهاجر إليه، وسواء كان مؤمنا حقيقة أو ظاهر الإيمان.

وأنهم إن لم يهاجروا وتولوا عنها {فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم} أي: في أي وقت وأي محل كان، وهذا من جملة الأدلة الدالة على نسخ القتال في الأشهر الحرم، كما هو قول جمهور العلماء، والمنازعون يقولون: هذه نصوص مطلقة، محمولة على تقييد التحريم في الأشهر الحرم.

ثم إن الله استثنى من قتال هؤلاء المنافقين ثلاث فرق:

فرقتين أمر بتركهم وحتم [على] ذلك، إحداهما: من يصل إلى قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق بترك القتال فينضم إليهم، فيكون له حكمهم في حقن الدم والمال.

والفرقة الثانية: قوم {حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم} أي: بقوا، لا تسمح أنفسهم بقتالكم، ولا بقتال قومهم، وأحبوا ترك قتال الفريقين، فهؤلاء أيضا أمر بتركهم، وذكر **الحكمة في** ذلك في قوله: {ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم} فإن الأمور الممكنة ثلاثة أقسام:

إما أن يكونوا معكم ويقاتلوا أعداءكم، وهذا متعذر من هؤلاء، فدار الأمر بين قتالكم مع قومهم وبين ترك قتال الفريقين، وهو أهون الأمرين عليكم، والله قادر على تسليطهم عليكم، فاقبلوا العافية، واحمدوا ربكم الذي كف أيديهم عنكم مع التمكن من ذلك.

{فـ} هؤلاء {إن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا}.

الفرقة الثالثة: قوم يريدون مصلحة أنفسهم بقطع النظر عن احترامكم، وهم الذين قال الله فيهم: {ستجدون آخرين} أي: من هؤلاء المنافقين. {يريدون أن يأمنوكم} أي: خوفا منكم {ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى

---

(١) مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود ص/٢٦

الفتنة أركسوا فيها} أي: لا يزالون مقيمين على كفرهم ونفاقهم، وكلما عرض لهم عارض من عوارض الفتن أعماهم ونكسهم على." (١)

"هذا الكتاب العظيم (أي القرآن) منزل من عند الله، المنيع الجانب (العزيز)،الحكيم في شرعه وقدره وأفعاله، فهو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية.

إن الله تعالى هو الذي أنزل إليك القرآن (الكتاب) آمرا بالحق والعدل الواجب اتباعهما، والعمل بهما، فاعبده يا محمد مخلصا له الدين والعبادة، وادع الخلق إلى ذلك.

ألا لله وحده العبادة والطاعة، ولا شركة لأحد معه فيهما، لأن كل ما دونه هو ملك له، وعلى المملوك طاعة مالكه، وعلى العبد أن يخلص العبادة لله، والذين يعبدون الأصنام من المشركين يقولون إن الذي يحملهم على عبادته هو أنهم مثلوا بهذه الأصنام الملائكة، فعبدوا تلك الصور تنزيلا لها منزلة الملائكة، ليشفعوا لهم عند الله في حاجاتهم.

وكان المشركون يبررون عبادتهم لمن هم دون الله بأن الإله الأعظم أجل من أن يعبده البشر مباشرة، فهم يعبدون هذه الآلهة، وهي تعبد الإله الأعظم. والله تعالى يحكم يوم القيامة بينهم وبين خصومهم، متبعي الحق وسبل الهدى، فيما اختلفوا فيه من التوحيد والشرك، ويجازي كل واحد بعمله.

والله تعالى لا يرشد إلى الحق من هو كاذب مفتر عليه، فيزعم أن له ولدا أو صاحبة. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

لو أراد الله أن يتخذ ولدا لكان الأمر على خلاف ما يزعمون، ولما رضي إلا بأكمل الأبناء، فكيف نسب هؤلاء الجهلة المشركون إليه البنات؟ ولكنه تعالى لم يتخذ ولدا، ولا ينبغي له ذلك، سبحانه وتعالى علوا كبيرا عما يقولون ويأفكون، وعما ينسبون إليه فهو الواحد الأحد، الذي قهر كل شيء، فدانت له الخلائق وذلت. (١)

يخبر تعالى عن عظمة القرآن، وجلالة من تكلم به ونزل منه، وأنه نزل من الله العزيز الحكيم، أي: الذي وصفه الألوهية للخلق، وذلك لعظمته وكماله، والعزة التي قهر بها كل مخلوق، وذل له كل شيء، **والحكمة في** خلقه وأمره.

---

(١) مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود ص/٢٦٨

(١) – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٩٣٨،بترقيم الشاملة آليا)." (١)

"تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئا. أي: فهؤلاء، قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص، وتجرأوا على أعظم المحرمات، وهو الشرك، وقاسوا الذي ليس كمثله شيء، الملك العظيم، بالملوك، وزعموا بعقولهم الفاسدة ورأيهم السقيم، أن الملوك كما أنه لا يوصل إليهم إلا بوجهاء، وشفعاء، ووزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم، ويستعطفونهم عليهم، ويمهدون لهم الأمر في ذلك، أن الله تعالى كذلك.

وهذا القياس من أفسد الأقيسة، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق، مع ثبوت الفرق العظيم، عقلا ونقلا وفطرة، فإن الملوك، إنما احتاجوا للوساطة بينهم وبين رعاياهم، لأنهم لا يعلمون أحوالهم. فيحتاج من يعلمهم بأحوالهم، وربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة، فيحتاج من يعطفهم عليه [ويسترحمه لهم] ويحتاجون إلى الشفعاء والوزراء، ويخافون منهم، فيقضون حوائج من توسطوا لهم، مراعاة لهم، ومداراة لخواطرهم، وهم أيضا فقراء، قد يمنعون لما يخشون من الفقر.

وأما الرب تعالى، فهو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها، الذي لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته وعباده، وهو تعالى أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحما لعباده، بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته، وهو يريد من مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم، وهو الغني، الذي له الغنى التام المطلق، الذي لو اجتمع الخلق من أولهم وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلا منهم ما سأل وتمنى، لم ينقصوا من غناه شيئا، ولم ينقصوا مما عنده، إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط.

وجميع الشفعاء يخافونه، فلا يشفع منهم أحد إلا بإذنه، وله الشفاعة كلها.

فبهذه الفروق يعلم جهل المشركين به، وسفههم العظيم، وشدة جراءتهم عليه.

ويعلم أيضا **الحكمة في** كون الشرك لا يغفره الله تعالى، لأنه يتضمن القدح في الله تعالى، ولهذا قال حاكما بين الفريقين، المخلصين والمشركين، وفي ضمنه التهديد للمشركين-: {إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه

(١) مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود ص/٣٢١

يختلفون} وقد علم أن حكمه أن المؤمنين المخلصين في جنات النعيم، ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه." (١)

"بما اجترحوا من الإثم والسيئات، ويكونون من أهل النار، فيقذفون فيها قذفا، ويجزي المحسنين بالجنة.

ولو شاء الله لجعل الناس جميعا أمة واحدة، لا اختلاف بينهم، ولجمعهم على الهدى أو على الضلالة، ولكنه تعالى فاوت بينهم فهدى من يشاء إلى الحق، وأضل من شاء عنه، وله **الحكمة في** ذلك. فقد شاء الله أن يكون الإيمان مبنيا على التكليف والاختيار، يدخل فيه المرء بطوعه واختياره، ونتيجة تأمله في الأدلة الموصلة إلى الهدى، وقد أعد الله تعالى للكافرين، الظالمين أنفسهم بكفرهم، عذابا أليما، ولا يجدون لهم من ينصرهم من الله، أو يجيرهم من عذابه، فلا تهلك نفسك يا محمد أسى وحزنا على أن لم يكونوا مؤمنين.

ينكر الله تعالى على المشركين اتخاذهم آلهة من دونه سبحانه، فيقول لرسوله الكريم: إن هؤلاء المشركين من قومك اتخذو لهم أصناما آلهة يستنصرون بها، ويستعزون ويتولونها من دون الله، ولكن هذه الأصنام لا تملك لنفسها، ولا لعابديها، نفعا ولا ضرا، فإذا كانوا يريدون وليا ينفعهم ويدفع عنهم عند الخطوب والشدائد، فالله تعالى هو الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، فإنه هو وحده القادر على إحياء الموتى، وهو القادر على كل شيء. (١)

يخبر تعالى أنه أوحى هذا القرآن العظيم إلى النبي الكريم، كما أوحى إلى من قبله من الأنبياء والمرسلين، ففيه بيان فضله، بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، سابقا ولاحقا، وأن محمدا – صلى الله عليه وسلم – ليس ببدع من الرسل، وأن طريقته طريقة من قبله، وأحواله تناسب أحوال من قبله من المرسلين. وما جاء به يشابه ما جاءوا به، لأن الجميع حق وصدق، وهو تنزيل من اتصف بالألوهية والعزة العظيمة والحكمة البالغة، وأن جميع العالم العلوي والسفلي ملكه وتحت تدبيره القدري والشرعي. وأنه {العلي} بذاته وقدره وقهره. {العظيم} الذي من عظمته {تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن} على عظمها وكونها جمادا، {والملائكة} الكرام المقربون خاضعون لعظمته، مستكينون لعزته، مذعنون بربوبيته. {يسبحون بحمد ربهم} ويعظمونه عن كل نقص، ويصفونه بكل كمال، {ويستغفرون لمن في الأرض} عما

(١) مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود ص/٣٢٣

(١) – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤١٥٤،بترقيم الشاملة آليا)." (١)

"٢٦ – قتل أسامة – رضي الله عنه – رجلا بعد أن قال لا إله إلا الله، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((يا أسامة، قتلته بعد أن قال لا إله إلا الله))؟ قال: يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح. قال: ((أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا))؟ وفي رواية: ((كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة)) قال: يا رسول الله استغفر لي، قال: ((وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة)) فجعل لا يزيده على أن يقول: ((كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة))؟ قال أسامة – رضي الله عنه –: فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ (١).

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة، وقد ذكرت منها ستة أحاديث غير هذا في شروط لا إله إلا الله في هذا الكتاب (٢).

وهذه الأحاديث دلت على أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، ولكن لابد من استكمال شروطها، وأركانها، ومقتضاها، والابتعاد عن نواقضها، فمن أتى بهذه الكلمة وقد سلم من أنواع الظلم الثلاثة: ظلم الشرك، وظلم العباد، وظلم العبد نفسه بالمعاصي فيما دون الشرك فله الأمن التام والهداية التامة، ويدخل الجنة برحمة الله وفضله بغير حساب، ومن جاء

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، برقم ٩٦، وانظر: **الحكمة في** الدعوة إلى الله، للمؤلف، ص٧٣.

(٢) حديث عثمان في الشرط الأول، وحديث أبي هريرة في الثاني، وحديث معاذ في الخامس، وحديث أبي هريرة في السادس، وحديث أبي مالك في الثامن.." (٢)

"من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولم يستحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا مجتهد يعتمد على قوله في الدين، ولا من يعتبر قوله في مسائل الإجماع، فالحمد لله رب العالمين (١).

---

(١) مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود ص/٣٢٨

(٢) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ١/٢٣

المبحث السادس: الإله الحق سخر جميع ما في الكون لعباده

من **الحكمة في** دعوة المشركين إلى الله تعالى لفت أنظارهم وقلوبهم إلى نعم الله العظيمة: الظاهرة، والباطنة، والدينية، والدنيوية. فقد أسبغ على عباده جميع النعم: {وما بكم من نعمة فمن الله} (٢)، وسخر هذا الكون وما فيه من مخلوقات لهذا الإنسان.

وقد بين سبحانه هذه النعم، وامتن بها على عباده، وأنه المستحق للعبادة وحده، ومما امتن به عليهم ما يأتي:

أولا: على وجه الإجمال:

قال تعالى: {هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ... } (٣)، {ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة} الآية)٤). {وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن

---

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية،١/ ١١٢، ١٥٨، ١٤/ ٣٩٩ - ٤١٤، ١/ ١٠٨ - ١٦٥، ١٤/ ٣٨٠، ٤٠٩، ١/ ١٦٠ - ١٦٦، ١٩٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤١، ودرء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ٥/ ١٤٧، وأضواء البيان، للشنقيطي، ١/ ١٣٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٠.." (١)

"مخلوقاته (١).

والخلاصة أن الله الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، وهو المغني جميع خلقه، غنى عاما، والمغني لخواص خلقه، بما أفاض على قلوبهم، من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية (٢).

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ١١٦/١

٢٣ - الحكيم

قال الله تعالى: {وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير} (٣).

وهو تعالى ((الحكيم)) الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال.

وحكمته نوعان:

النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملا على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللا، ولا نقصا، ولا فطورا، فلو

---

(١) الحق الواضح المبين، ص٤٧ - ٤٨، وشرح النونية للهراس، ٢/ ٧٨.

(٢) تفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ٥/ ٦٢٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٨.." (١)

"اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلى آخرهم ليقترحوا مثل خلق الرحمن أو ما يقارب ما أودعه في الكائنات من الحسن والانتظام والإتقان لم يقدروا، وأنى لهم القدرة على شيء من ذلك، وحسب العقلاء الحكماء منهم أن يعرفوا كثيرا من حكمه، ويطلعوا على بعض ما فيها من الحسن والإتقان. وهذا أمر معلوم قطعا بما يعلم من عظمته وكمال صفاته، وتتبع حكمه في الخلق والأمر، وقد تحدى عباده وأمرهم أن ينظروا ويكرروا النظر والتأمل هل يجدون في خلقه خللا أو نقصا، وأنه لابد أن ترجع الأبصار كليلة عاجزة عن الانتقاد على شيء من مخلوقاته.

النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجل من هذا، وأي فضل وكرم أعظم من هذا، فإن معرفته تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له وحمده، وشكره والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق، وأجل

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ١/٢٦١

الفضائل لمن يمن الله عليه بها. وأكمل سعادة وسرور للقلوب والأرواح، كما أنها هي السبب الوحيد للوصول إلى السعادة الأبدية والنعيم الدائم، فلو لم يكن في أمره وشرعه إلا هذه الحكمة العظيمة التي هي أصل الخيرات، وأكمل اللذات، ولأجلها خلقت الخليقة وحق الجزاء، وخلقت الجنة والنار، لكانت كافية شافية.

هذا وقد اشتمل شرعه ودينه على كل خير، فأخباره تملأ القلوب علما، ويقينا، وإيمانا، وعقائد صحيحة، وتستقيم بها القلوب ويزول." (١)

"يشعر به لانغماسه في الشهوات؛ فإن العز كل العز بطاعة الله، والذل بمعصيته: {ومن يهن الله فما له من مكرم} (١)، {من كان يريد العزة فلله العزة جميعا} (٢)، {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} (٣). وهو تعالى المانع المعطي فلا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى، وهذه الأمور كلها تبع لعدله وحكمته وحمده؛ فإن له **الحكمة في** خفض من يخفضه ويذله ويحرمه، ولا حجة لأحد على الله، كما له الفضل المحض على من رفعه وأعطاه وبسط له الخيرات، فعلى العبد أن يعترف بحكمة الله، كما عليه أن يعترف بفضله ويشكره بلسانه وجنانه وأركانه.

وكما أنه هو المنفرد بهذه الأمور وكلها جارية تحت أقداره، فإن الله جعل لرفعه وعطائه وإكرامه أسبابا، ولضد ذلك أسبابا من قام بها ترتبت عليه مسبباتها، وكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، وهذا يوجب للعبد القيام بتوحيد الله، والاعتماد على ربه في حصول ما يحب، ويجتهد في فعل الأسباب النافعة فإنها محل حكمة الله (٤).

٩٢ - المقدم، ٩٣ - المؤخر

كان من آخر ما يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - بين التشهد والتسليم: ((اللهم اغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت

---

(١) سورة الحج، الآية: ١٨.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٠.

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ١/٢٦٢

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٤) الحق الواضح المبين، ص٨٩ – ٩٠.." [١]

"قال الطيبي رحمه الله: ((أضاء له)) يجوز أن يكون لازما، وقوله: ((ما بين الجمعتين)) ظرف، فيكون إشراق ضوء النور فيما بين الجمعتين، بمنزلة إشراق النور نفسه مبالغة، ويجوز أن يكون متعديا، والظرف مفعول به)) (١).

١٧ – وذكر مالك رحمه الله: أنه بلغه أن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال: ((يا بني جالس العلماء وزاحمهم بالركب، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء)) (٢).

فقوله: ((جالس العلماء وزاحمهم بالركب)) عبارة عن مزيد القرب منهم، وقوله: ((فإن الله يحيي الأرض بنور الحكمة)) هي تحقيق العلم وإتقان العمل، والإصابة في القول والفعل، وهي العلم المشتمل على الفقه في الدين، والمعرفة بالله مع نفاذ البصيرة، وتحقيق الحق للعمل، والكف عن الباطل (٣).

فالله سبحانه يحيي القلوب بذلك كما يحيي الأرض بالمطر، وهذا يؤكد على فضل العلم النافع والعمل الصالح؛ ولهذا الفضل قال محمد بن سيرين رحمه الله: ((إن قوما تركوا طلب العلم، ومجالسة العلماء، وأخذوا في الصلاة، والصيام حتى يبس جلد أحدهم على عظمه، ثم خالفوا السنة فهلكوا، وسفكوا دماء المسلمين، فوالذي لا إله غيره ما عمل أحد عملا على جهل إلا كان يفسد أكثر مما يصلح)) (٤).

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٥/ ١٦٧٥.

(٢) موطأ الإمام مالك، ٢/ ١٠٠٢.

(٣) انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك،٤/ **٥٥٣،والحكمة في** الدعوة إلى الله – عز وجل – ،لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص٢٧.

(٤) أخرجه ابن عبد البر في الاستذكار بسنده، ٢٧/ ٤٣٤، برقم ٤١٧٧٩.." [٢]

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ٣٢١/١

(٢) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ٥١٦/١

"فلم يكن النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا الأنبياء من قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة، أو الأنبياء، أو الصالحين، ولا يطلبوا منهم الشفاعة، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولم يستحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا مجتهد يعتمد على قوله في الدين، ولا من يعتبر قوله في مسائل الإجماع، فالحمد لله رب العالمين (١).

المطلب الرابع: مسبغ النعم المستحق للعبادة

من الحكمة في دعوة المشركين إلى الله تعالى لفت أنظارهم وقلوبهم إلى نعم الله العظيمة: الظاهرة والباطنة، والدينية والدنيوية. فقد أسبغ على عباده جميع النعم: {وما بكم من نعمة فمن الله} (٢)، وسخر هذا الكون وما فيه من مخلوقات لهذا الإنسان.

وقد بين سبحانه هذه النعم، وامتن بها على عباده، وأنه المستحق للعبادة وحده، ومما امتن به عليهم ما يأتي:

أولا: على وجه الإجمال: قال الله – عز وجل –: {هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا} (٣)، {ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة} (٤)، {وسخر لكم ما في

---

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية،١/ ١١٢،١٥٨، ١٤/ ٣٩٩ – ٤١٤، ١/ ١٠٨ – ١٦٥، ١٤/ ٣٨٠، ٤٠٩، ١/ ١٦٠ – ١٦٦، ١٩٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤١، ودرء تعارض العقل والنقل، له، ٥/ ١٤٧، وأضواء البيان، ١/ ١٣٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٠.." (١)

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ٥٥٢/١

"والشراء، فإن لم يجد ذلك وجد ألما في نفسه، كأنه يتقاضى الاحترام على الطاعة التي أخفاها.

الحادي عشر: ومن دقائق الرياء أن يجعل الإخلاص وسيلة لما يريد من المطالب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((حكي أن أبا حامد الغزالي بلغه أن من أخلص لله أربعين يوما تفجرت **الحكمة من** قلبه على لسانه. قال: فأخلصت أربعين يوما، فلم يتفجر شيء، فذكرت ذلك لبعض العارفين، فقال لي: إنك أخلصت للحكمة، لم تخلص لله)) (١)، وذلك أن الإنسان قد يكون مقصوده نيل الحلم والحكمة، أو نيل تعظيم الناس له ومدحهم له، أو غير ذلك من المطالب. وهذا لم يحصل بالإخلاص لله وإرادة وجهه؛ وإنما حصل هذا العمل لنيل ذلك المطلوب.

المطلب الخامس: أقسام الرياء وأثره على العمل

الرياء أعاذنا الله منه أقسام ودركات، ينبغي لكل مسلم أن يعرف هذه الأقسام؛ ليهرب منها وهي على النحو الآتي:

أولا: أن يكون العمل رياء محضا، ولا يراد به إلا مراءاة المخلوقين، كحال المنافقين: {وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يرآؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا} (٢)، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ٦/ ٦٦، ومنهاج القاصدين، ص٢١٤ - ٢٢١، والإخلاص للعوايشة، ص٢٤، والإخلاص والشرك الأصغر للدكتور عبد العزيز بن عبداللطيف، ص٩، والرياء لسليم الهلالي، ص١٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٢.." (١)

"٣ - عام لكل مكلف من الجن والإنس في كل زمان ومكان، قال الله تعالى: {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا} (١).

٤ - والإسلام من حيث الثواب والعقاب ذو جزاء أخروي، بالإضافة إلى جزائه الدنيوي.

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ٢/٥٩٠

٥ – الإسلام يحرص على إبلاغ الناس أعلى مستوى ممكن من الكمال الإنساني، وهذه مثالية الإسلام، ولكنه لا يغفل عن طبيعة الإنسان وواقعه، وهذه هي واقعية الإسلام.

٦ – الإسلام وسط: في عقائده، وعباداته، وأخلاقه، وأنظمته، قال الله – عز وجل –: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا} (٢)، وهذه خصائص جميلة (٣).

المطلب الرابع: نواقض الإسلام

نواقض الإسلام كثيرة، وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى في باب حكم المرتد أن المسلم قد يرتد عن دينه بأمور وأنواع كثيرة من النواقض التي تحل دمه وماله، ويكون بها خارجا من الإسلام، ومن أخطرها وأكثرها وقوعا عشرة نواقض (٤):

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٣) انظر: **الحكمة في** الدعوة إلى الله، للمؤلف، ص ١١٧.

(٤) انظر: هذه النواقض في مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية، ص٣٨٥، ومجموعة التوحيد لشيخي الإسلام أحمد بن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، ص٢٧، ص٢٨.." (١)

"التوحيد، ثم تتابع الرسل عليهم الصلاة والسلام (١)، والغلو يكون: في الأشخاص، كتقديس الأئمة، والأولياء، ورفعهم فوق منازلهم، ويصل ذلك في النهاية إلى عبادتهم، ويكون الغلو في الدين، وذلك بالزيادة على ما شرعه الله، أو التشدد والتكفير بغير حق، والغلو في الحقيقة: هو مجاوزة الحد في الاعتقادات، والأعمال، وذلك بأن يزاد في حمد الشيء، أو يزاد في ذمه على ما يستحق (٢)، وقد حذر الله عن الغلو فقال – عز وجل – لأهل الكتاب: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم} (٣)، وحذر النبي – صلى الله عليه وسلم – من الغلو في الدين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ٢/٦١٥

قال: ((إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) (٤)، فظهر أن الغلو في الدين من أعظم أسباب الشرك، والبدع، والأهواء (٥)؛ ولخطر الغلو في الدين حذر النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الإطراء فقال: ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ١/ ١٠٦.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ١/ ٢٨٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٤) النسائي، كتاب المناسك، باب التقاط الحصى، ٥/ ٢٦٨، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، ٢/ ١٠٠٨، وأحمد ١/ ٣٤٧، وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم، ١/ ٢٨٩.

(٥) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ١/ ٢٨٩، والاعتصام للشاطبي، ١/ ٣٢٩ – ٣٣١، ورسائل ودراسات في الأهواء والبدع وموقف السلف منها، للدكتور ناصر العقل، ١/ ١٧١، ١٨٣، والغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، للدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص٧٧ – ٨١، **والحكمة في** الدعوة إلى الله – عز وجل –، لسعيد بن علي [المؤلف]، ص٣٧٩.." [١]

"٩٨ – جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي.

٩٩ – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت ٧٢٨ هـ، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر ود. عبد العزيز إبراهيم العسكر ود. حمدان بن محمد الحمدان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٠٠ – الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت٧٥١هـ، تحقيق أبي حذيفة عبيد الله بن عالية، الطبعة الأولى،١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٠١ – حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، للإمام ابن القيم، تحقيق الدكتور بسام علي سلامة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار ابن تيمية.

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ٢/٧٢٢

١٠٢ – حاشية الإمام السندي على سنن النسائي، للعلامة عبد الهادي السندي، ت ١١٣٨ هـ، المطبوع مع سنن النسائي بعناية عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

١٠٣ – حاشية ثلاثة الأصول لمحمد بن عبدالوهاب، بقلم عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ت١٣٩٢هـ، الطبعة الخامسة، ١٤٠٧هـ، بدون ناشر.

١٠٤ – الحسبة في الإسلام، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ت ٧٢٨ هـ، بدون تاريخ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

١٠٥ – الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت ١٣٧٦ هـ، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ، دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية.

١٠٦ – حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد بن ناصر الغامدي، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ، دار الرشد، المملكة العربية السعودية.

١٠٧ – الحكم وقضية تكفير المسلم.

١٠٨ – **الحكمة في** الدعوة إلى الله، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ، توزيع مؤسسة الجريسي، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٠٩ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، ت ٤٣٥ هـ، بدون تاريخ، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان.

١١٠ – الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي، تحقيق عبد المجيد التركي، الطبعة الأولى،١٤١٠هـ، دار الغرب الإسلامي.

١١١ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ١٩٩٣م، دار الفكر، بيروت.

١١٢ – درء تعارض العقل والنقل، لأبي العباس تقي الدين أحمدبن عبدالحليم ابن تيمية، ت ٧٢٨ هـ، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٥٠ هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١١٣ - دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل،."
(١)

"أحد مقام الإخلاص في الأعمال حتى يصير يعرف ما وراء الجدار وينظر ما يفعله الناس في قعور بيوتهم في بلاد أخرى). ويقول أيضا: (والله ما صدق مريد في محبة الطريق إلا نبعت الحكمة من قلبه وصار يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي بإذن الله). ويقول أيضا: (وكذلك بلغنا سيدي محمد الشوعي أحد أصحاب سيدي مدين والمدفون في زاويته تجاه قبته، إنه تزوج بكرا فمكثت معه يسيرا ومات عنها وهي بكر، وكان قال لها: لا تتزوجي بعدي أحدا أقتله، فلما مات خطبها شخص واستفتى العلماء بها فقالوا له: هذا خاص برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فدخل بها فلما جلس عندها قبل أن يمسها خرج الشيخ له من الحائط بحربة فطعنه فمات لوقته). وذكر بعدها عدة قصص مثل ذلك، وختم هذه الحكايات بقوله: (هذه وقائع فمن شك فليجرب، اللهم إلا أن يأمر الشيخ بذلك لما يرى لزوجته من الحظ والمصلحة مثلا فلا بأس بذلك، فينبغي للمفتي في ذلك أن يت,قف ويقول: أنا لا أفتي على أحد من أرباب الأحوال).

ونختتم الكلام عن هذا الكتاب بهذه القصة: قال الشعراني: (وحكى لي خادم سيدي أبي الخير الكليباني أن شخصا أتاه وأخبره أنه قال للشيخ: (إن زوجتي حامل وقد اشتهت مامونية حموية ولم أجدها، فقال له الشيخ: ائتني بوعاء، فأتاه به فتغوط له فيها مأمونية حموية سخنة، فقال الخادم: وأكلت منها لعدم اعتقادي أنها غائط.

لا شك أن القارئ تألم كثيرا من هذه الانحرافات والضلالات والسخافات التي جاءت في كتاب 'الأنوار القدسية'، ولكن ما قوله إذا." (٢)

"- وقال: قوله: {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} (١) هذه الآية مما تمسك بها المعتزلة لقولهم فقالوا: هذا يدل على أنه لا يريد المعصية، وتعقب بأن معنى إرادة اليسر التخيير بين الصوم في السفر ومع المرض، والإفطار بشرطه. وإرادة العسر المنفية الإلزام بالصوم في السفر في جميع الحالات، فالإلزام هو الذي لا يقع لأنه لا يريده وبهذا تظهر الحكمة في تأخيرها عن الحديث المذكور والفصل بين آيات المشيئة وآيات الإرادة، وقد تكرر ذكر الإرادة في القرآن في مواضع كثيرة أيضا، وقد اتفق أهل السنة على

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ١٠٣٣/٢

(٢) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٤٧٨/١٠

أنه لا يقع إلا ما يريده الله تعالى، وأنه مريد لجميع الكائنات وإن لم يكن آمرا بها. وقالت المعتزلة لا يريد الشر لأنه لو أراده لطلبه، وزعموا أن الأمر نفس الإرادة، وشنعوا على أهل السنة أنه يلزمهم أن يقولوا إن الفحشاء مرادة لله وينبغي أن ينزه عنها، وانفصل أهل السنة عن ذلك بأن الله تعالى قد يريد الشيء ليعاقب عليه، ولثبوت أنه خلق النار وخلق لها أهلا، وخلق الجنة وخلق لها أهلا؛ وألزموا المعتزلة بأنهم جعلوا أنه يقع في ملكه ما لا يريد. (٢)

- وقال: والمراد هنا الإشارة إلى أن من زعم أنه يخلق فعل نفسه يكون كمن جعل لله ندا، وقد ورد فيه الوعيد الشديد فيكون اعتقاده حراما. (٣)

الجزولي وضلاله (٨٧٠ هـ)

---

(١) البقرة الآية (١٨٥).

(٢) الفتح (١٣/ ٤٥١).

(٣) الفتح (١٣/ ٤٩٥).." (١)

"للاهتداء، وميزانا يعرف به الرشاد والفساد. فقد حيل الآن بينه وبين طالب ما فيه من غيوث الرحمة، وصيب النعمة، وكذا ما يتصل به من حوافل تفسيره. والكلام على نكت فرائده، وعجائب فوائده، وبيان إشارته ومقاصده. فكل ذلك عند المقلدين لغو محض، إذ ما لا تصل إليه -وإن زعمت ذلك- قضت عليك الحقيقة بأنك مكذبه بالكذب، فوجوده وعدمه عندك سيان.

وهكذا المؤلفات المشتملة على الأخبار النبوية، وعلومها ووسائلها، ككتب الجرح والتعديل، وطبقات الرواة، وشرح أحوالهم، وعلم غريب الكتاب والسنة وأحكامهما، وكذا المؤلفات في سائر الفنون. كالنحو والتصريف، وأصول الفقه والمعاني، التي يقول مؤلفوها: إن الحكمة من تأليفها هي التوصل إلى تصحيح المطالب بالذات، مع أن عقلاء الفضلاء لا زالوا على ممر الأزمان تتجدد لهم التصانيف، أعلى بصيرة ذلك، وللتبصير ما هنالك، أم دأب فيما لا سبيل إلى الغاية المقصودة به؟.

فنقول: أيها الملأ، وإن كان البشر قد علم ضعفه، ونقصه وجهله، فلقد ساءنا أن بلغتم إلى هذه الغاية، وما

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٥٢٨/٨

زدتم على المضادة لله ولرسوله، والتلعب بدينه وبشرائعه وإضاعة مساعي الباحثين والمؤلفين، وأهل التصانيف، وذوي العلم والنظر. فما شأن ما صنعوا؟ وهل للدأب في ذلك الجمع والتأليف، وبيان الصحيح من الفاسد والراجح من الخفيف فائدة وغاية؟ وما بقاء ذلك واستمراره على تعاقب الأحقاب، بل هل لبقاء كتاب الله كثير حاصل؟ إذ مبنى جميع ذلك على فتح باب الاجتهاد، وأن كثيرا من المطالب، أو كلها، أو." (١)

"إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين (٢٨٦)} (١).اهـ (٢)

موقفه من الصوفية:

قال في كتابه التنكيل: مآخذ العقائد الإسلامية أربعة: سلفيان وهما الفطرة والشرع. وخلفيان وهما النظر العقلي المتعمق فيه، والكشف التصوفي.

ثم شرع رحمه الله في تفصيل المقال في هذه المآخذ إلى أن قال: وأما المأخذ الخلفي الثاني وهو الكشف التصوفي، فقد مضى القرن الأول ولا يعرف المسلمون للتصوف اسما ولا رسما، خلا أنه كان منهم أفراد صادقوا الحب لله تعالى، والخشية له يحافظون على التقوى والورع على حسب ما ثبت في الكتاب والسنة، فقد يبلغ أحدهم أن تظهر مزيته في استجابة الله عز وجل بعض دعائه أو عنايته بل على ما يقل في العادة، ويلقى الحكمة في الوعظ والنصيحة والترغيب في الخير، وإذا كان من أهل العلم، ظهرت مزيته في فهم الكتاب والسنة، فقد يفهم من الآية أو الحديث معنى صحيحا إذا سمعه العلماء وتدبروا وجدوه حقا، ولكنهم كانوا غافلين عنه حتى نبههم ذلك العبد الصالح. ثم جاء القرن الثاني فتوغل أفراد في العبادة والعزلة وكثرة الصوم والسهر وقلة الأكل لعزة الحلال في نظرهم، فجاوزوا ما كان عليه

---

(١) البقرة الآية (٢٨٦).

(٢) التنكيل (٢/ ٤٠١ - ٤٠٧).." (٢)

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٥٩٤/٨

(٢) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٤٧٩/٩

"في كلامهم من الاختلال وما في نفيهم **الحكمة من** الداء العضال المحقق العلامة نزيل حرم الله صالح بن مهدي المقبلي في كتابه (العلم الشامخ) ولواحقه (١٤٤) وفي أبحاثه المسددة ونقلت كلامه ورددت عليه في (إيقاظ الفكرة) وطائفة أقدموا على أن الله ليس بقادر على هداية الكافر لأنه خلق على هيئة لا يقبل اللطف معهما وهم غلاة المعتزلة

وقد رد عليهم الأئمة من أهل التحقيق وأبانوا أنه قول بالقبول غير حقيق وأن فيه من الشناعة والبشاعة ما لا يليق وأما ابن تيمية ومن تابعه فأثبتوا الحكمة وعموم قدرة الله على كل شيء وقال: بما سمعت من فناء النار وأنه تعالى خلق الأشقياء ليتفضل عليهم بعفوه ورحمته ولقد أصاب بإثبات الأمرين الذين نفاهما غيره ولكنه غير وجه الحكم وحكم بفناء النار ولم ينهض له دليل على ذلك كما عرفته

وقد أشار السيد العلامة الكبير محمد بن إبراهيم الوزير إلى هذه الثلاثة الأقوال وإلى ما تفرع عليها من الدعاوى في إثبات الإجادة في الإرادة حيث قال:

---

(١٤٤) هو مطبوع طبعة المنار وهو كتاب عظيم فيه بحوث هامة في علم الكلام والعقيدة واسمه الكامل. (العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ) ومؤلفه عالم فضل محقق من زيودية اليمن المتحررين أمثال المؤلف الصنعاني والشوكاني وغيرهما رحمهم الله تعالى." (١)

"ثانيا: عصره العلمي:

عني الإسلام بالعلم ودعا إليه وحث على طلبه وفي ذلك أنزلت آيات صريحة، تدعو إلى التعلم والتفكر والتدبر في ملكوت الله وآياته، وفي العصر العباسي حدث ازدهار ملموس في حياة المجتمع الإسلامي في النواحي العلمية والفكرية، وبرزت العناية باللغة العربية وفروعها المختلفة واتجهت العناية بصفة خاصة إلى السنة النبوية دراسة وتدوينا، وبرز في علوم الحديث رجال أمثال: البخاري، ومسلم وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، كما ظهر أصحاب المذاهب الأربعة: أبو حنيفة ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وحظت السيرة النبوية بعناية المؤرخين المسلمين واشتهر في مجال التاريخ كثير من المسلمين من: ابن سعد وعبد الملك بن هشام والطبري وغيرهم.

ولم تقف عناية المسلمين على حد العلوم الدينية واللغوية بل امتدت إلى أفرع العلم من فلك وطب وهندسة

---

(١) رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار؟ عبد الرزاق الصنعاني ص/١٤١

ورياضيات وغيرها.

وانتشرت دور العلم وخزائن **الحكمة في** عواصم الأقاليم الإسلامية، ولعل أول بيت للحمكة عرفه المسلمون هو بيت الحكمه الذي أسسه العباسيون في بغداد وازدهر بصفة خاصة في زمن المأمون. وفي عهد المتوكل أنشئت خزانة الحكمة، وكان الذي انشأها الفتح بن خاقان وزير الخليفة المتوكل.

وانتشرت دور الكتب العامة منها والخاصة، وكانت عامرة بالكتب في فروع العلم المختلفة، وبلغ عدد الكتب في بعضها أكثر من "مليون" كتاب، وإلى جانب هذا انتشرت محال الوراقة وتجويد الخط كمراكز." (١)

"يقبلونها، وقوم يجلون ما فيها، وقوم يعرضون ما فيها على أصولهم وقواعدهم، فيقبلون ما وافق ذلك دون ما خالفه، وقوم يعرضونها على ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة.

وحصل بسبب تعريبها أنواع من الفساد والاضطراب، مضمونا إلى ما حصل من التقصير والتفريط في معرفة ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة، حتى صار ما مدح من الكتاب **والحكمة من** مسمى الحكمة، يظن كثير من الناس أنه حكمة هذه الأمة أو نحوها من الأمم كالهند وغيرهم"١.

---

١ بيان تلبيس الجهمية "١/ ٣٢٣".." (٢)

"ملك مقرب ولا نبي مرسل والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة (١) فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه كما قال الله تعالى في كتابه: (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) [الأنبياء: ٢٣] (٢) . فمن سأل لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين

---

(١) قلت: وهذا التعمق هو المراد - والله أعلم - بقوله صلى الله عليه وسلم : ... وإذا ذكر القدر فأمسكوا ". وهو حديث صحيح روي عن جمع من الصحابة وقد خرجته في " الصحيحة " (٣٤)

(٢) أي لكمال حكمته ورحمته وعدله لا لمجرد قهره وقدرته كما يقول جهم وأتباعه. كذا في " الشرح "

---

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد؟ الدارمي، أبو سعيد ٢٦/١

(٢) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد؟ الدارمي، أبو سعيد ٥٢/١

وراجع فيه تحقيق أن مبنى العبودية والإيمان على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع فإنه مهم جدا لولا ضيق المجال لنقلته برمته لنفاسته وعزته. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في " مجموع الفتاوى " (١ / ١٤٨ - ١٥٠) باختصار بعض الفقرات:

والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو الذي هو موصوف به أزلا وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال

ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق

فأول ما خلق الله القلم قال له (ا) : أكتب قال: ما أكتب؟ قال: أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف كما قال وتعالى: (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير) [الحج: ٧٠]

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات

أكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ونحو ذلك فهذا القدر ينكره غلاة القدرية قديما ومنكره اليوم قليل

وأما الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشية الله سبحانه لا يكون في ملكه إلا ما يريد وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد. والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلى والصائم وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى: (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) [التكوير: ٢٨، ٢٩] وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي مجوس هذه الأمة ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها

قلت: ويشير بكلامه الأخير إلى الأشاعرة فإنهم هم الذين غلوا وأنكروا الحكمة على ما فصله ابن القيم في " شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل ". فراجعه فإنه هام جدا

(ا) كذا وقع هنا وهو بمعنى رواية " فقال له ". لكن الراجح عندي الرواية الأخرى بلفظ: " ثم قال له " كما كنت حققته في " تخريج شرح الطحاوية " ص ٢٩٤ - ٢٩٥ [٤٦٤ - ٢٦٥ من الطبعة التاسعة طبع المكتب الإسلامي] . وله شاهد عن ابن عباس خرجته في الصحيحة (١٣٣) [وقول الشيخ ناصر: " حققته " وهم فإن لہ التخريج فقط كما ذكر في غير هذا الكتاب وتابع الإصرار على ادعاء تحقيقه لشرح الطحاوية الكبير]." (١)

"دون ما كان يجوز وقوعها عليه من الهيئة١ المخالفة لها، وجواز تقدمها في الزمان وتأخرها٢ بذلك إلى محدثها ومرتبها، لأن سلالة الطين والماء المهين يحتمل من الهيئات ضروبا كثيرة٣، لا يقتضي واحد منها سلالة الطين، ولا الماء المهين بنفسه، ولا يجوز أن يقع شيء٤ من ذلك فيها بالاتفاق لاحتمالها لغيره٥.

فإذا وجدنا ما صار إليه الإنسان في هيئته المخصوصة به دون غيره من الأجسام، وما فيه من الآلات المعدة لمصالحه كسمعه وبصره، وشمه وحسه، وآلات ذوقه٦، وما أعد

---

١ في (ت) "الهيئات".

٢ في (ت) "تأخرها وحاجتها تلك" ولعل الصواب: "وتأخرها وحاجتها بذلك" كما جاءت العبارة في نسخة ابن تيمية.

٣ في الأصل "ضروريا كثيرا" وما أثبته من (ت) .

٤ في الأصل، و (ت) : "شيئا" بالنصب، وما أثبته من نسخة ابن تيمية وهو الصواب قطعا؛ لأنها فاعل يقع.

٥ يبين الأشعري النظر إلى أن الصدفة لا يمكن لها أن تقيم هذا النظام البديع الدقيق المتمثل في هذه السنن الكونية من خلق وتكوين وتنشئة وتطور.

---

(١) متن الطحاوية بتعليق الألباني؟ الطحاوي ص/٥٠

فالإنسان مثلا يعلق نطفة في الرحم، ثم تمر به عدة مراحل لا دخل لأحد غير الله فيها، يخرج بعدها بشرا سويا، وأصله من طين ثم من ماء مهين ولا يوجد أدنى صلة بين الماء والطين وأعضاء الإنسان وأجزائه، فكيف إذا تكونت هذه الأعضاء بما فيها من دم ولحم وعصب وعظم؟.

ويقول الدكتور "محمود قاسم": "ولو كانت هذه الوظائف وليدة الصدفة، أو توجد من تلقاء ذاتها، لوجب أن توجد للأجسام جميعها دون تفرقة، فوجودها إذن في بعض الأجسام دون بعض دليل على وجود صانع اقتضت إرادته أن تكون مخلوقاته أسمى مرتبة من بعضها الآخر وينطبق هذا القول على الكون بأسره، لأنه مجموعة". (انظر: كتابه ابن رشد وفلسفته الدينية ص١٠٠ من الطبعة الثالثة) .

٦ هذه الحواس التي زود الله سبحانه وتعالى الإنسان بها، ليطالع الأشياء التي في متناوله على حقيقتها من أعظم نعم الله على الإنسان وفيها من الحكمة والقصد والإرادة، ما يعجز عن وصفه. قال تعالى منبها عباده إلى ذلك: {الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون} سورة السجدة: آية (٧- ٩) .

ويقول ابن القيم عن الحواس التي أنعم الله بها على الإنسان: "... ثم تأمل الحكمة في أن جعل الحواس خمسا في مقابلة المحسوسات الخمس، ليلقى خمسا بخمس، كي لا يبقى شيء من المحسوسات لا يناله بحاسة، فجعل البصر في مقابلة المبصرات، والسمع في مقابلة الأصوات، والشم في مقابلة أنواع الروائح المختلفات، والذوق في مقابلة الكيفيات المذوقات، واللمس في مقابلة الملموسات ..." (انظر: مفتاح دار السعادة ص٢٨٥ من الطبعة الثانية) .." (١)

"وإذا ثبت ذلك دل أن إنشاء العالم للبقاء لا للفناء

ثم كان العالم بأصله مبنيا على طبائع مختلفة ووجوه متضادة وبخاصة الذي هو مقصود من حيث العقل الذي يجمع بين المجتمع ويفرق بين الذي حقه التفريق وهو الذي سمته الحكماء العالم الصغير فهو على أهواء مختلفة وطبائع متشتتة وشهوات ركبت فيهم غالبة لو تركوا وما عليه جبلوا لتنازعوا في تجاذب المنافع وأنواع العز والشرف والملك والسلطان فيعقب ذلك التباغض ثم التقاتل وفي ذلك التفاني والفساد الذي لو أمر كون العالم له لبطلت الحكمة في كونه مع ما جعل البشر وجميع الحيوان غير محتمل للبقاء إلا

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب؟ أبو الحسن الأشعري ص/٨٤

بالأغذية وما به قوام أبدانهم إلى المدد التي جعلت لهم فلو لم يرد بتكوينهم سوى فنائهم لم يحتمل إنشاء ما به بقاؤهم وإذ ثبت ذا لا بد من أصل يؤلف بينهم ويكفهم عن التنازع والتباين الذي لديه الهلاك والفناء فلزم طلب أصل يجمعهم عليه لغاية ما احتمل وسعهم الوقوف عليه على أن الأحق في ذلك إذ علم بحاجة كل ممن يشاهد وضرورة كل من المعاين أن لهم مدبرا عالما بأحوالهم وبما عليه بقاؤهم وأنه جبلهم على الحاجات لا يدعهم وما هم عليه من الجهل وغلبة الأهواء مع ما لهم من الحاجة في معرفة ما به معاشهم وبقاؤهم دون أن يقيم لهم من يدلهم على ذلك ويعرفهم ذلك ولا بد من أن يجعل له دليلا وبرهانا يعلمون خصوصه بالذي خصه به من الإمامة." (١)

"يكونا متحركين بأنفسهما ساكنين حيين ميتين قاعدين قائمين مع ما يفسد أن يكون التباين لنفسه يقع ثم امتزاج بما كان به التباين ألا ترى أن الأحوال التي تتغير بالأعيان لم يجز وجودها إلا بغير فكذلك التباين والإمتزاج فثبت أنهما بغيرهما امتزجا وبغيرهما كانا متباينين وذلك يوجب حدثهما

وبعد فإنهم يقولون بحرمة الذبائح وأحق من يحل هم إذ بها التفريق بين الجسد المظلم وبين الروح المضيء وبين النور الجلي والظلمة الستارة وبذلك وصفوا النور بأنه رقيق دراك وبالروح ذلك لا بالظلمة فيجب به حل الذبح ولا قوة إلا بالله

وأصله أنهم ينكرون الشر من جوهر الخير والخير من جوهر الشر هذا الذي حملهم على القول باثنين ثم قد أثبتوا الإقرار بالقتل وبما هو عندهم معصية فلو كان من غير الذي منه القتل فقد كذب وهو شر ولو كان منه فقد صدق بالإقرار بالمعصية ثبت أن العجز عن إدراك **الحكمة في** خلق الشر لا يضطر إلى القول باثنين لما فيه تحقيقه أيضا ولا قوة إلا بالله

على أنهم أحق الخلق في الإمتناع عن النطق بالحكمة أو طلب العلم لأن قولهم إن جوهر النور لا يجئ منه شر قط والجهل شر فإن كان من ذلك الجوهر فهو عالم بجوهره حكيم به لا يحتمل الجهل ولا السفه والتعلم وطلب الحكمة حق الجهال بهما وإن كان من جوهر الشر فإنه لا ينجع فيه لأنه بجوهره لا يقبل ولا يحتمل الخير وإذا كان كذلك بطلت مناظرتهم ودعواهم الحكمة والعلم لأن مناظرتهم في ذلك لو كانت

---

(١) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/٥

مع جوهر النور كان هو عالما قبل المناظرة فلا معنى لها ولو كانت مع جوهر الظلمة كان غير قابل ولا." (١)

"وكذلك يقال الله خالق رحمن رحيم فإنما سمى به ذاته فمثله صفة الفعل أي الفعل وتوصف به ذاته وذلك كما يقال كلام حكمة وصدق وكذب على أنه كذلك وهو صفة لصاحبه فمثله يضاف إلى الله

وبعد فإنه يقال له قولك رحمة ومغفرة صفة للفعل ولعنة وشتم أيضا عندك صفة الفعل فما الفعل الذي سمى رحمة ولعنة حتى يوصف الله به

فإن قال جنة ونار وقبول ورد ونحو ذلك بطل قوله في المسائل التي ذكر في الأصلح والتعديل والتجوير إن الله رحيم لا يفعل بعباده ذلك وكل ذلك مما فعل بعباده وإن أثبت معنى سوى ذلك فصارا غير خلقه بهما يوصف على أن قوله يشتم كلام قبيح لا يوصف الله به

ثم يقال له لم اعتبرت بالذي ذكرت في صفة الذات والفعل وقد رأيت صفات الذات مختلفة في الإستعمال من وجه الإثبات نحو أن يقال بالعلم في أشياء لا يوصف بالقدرة فيها وبالقدرة على أشياء لا يوصف بالسمع فيها وبالرؤية في أشياء لا يوصف بالكرم فيها وبالجود **وبالحكمة في** أشياء لا يوصف بالسمع لها ونحو ذلك مما يكثر الإختلاف به لم يجب بها الفرق بل هو الموصوف بها في الأزل لم لا قلت كذلك في جميع ما يوصف به إذ هو يتعالى عن الإستحالة والفساد إنهما آيتان للحدث أمارتان للكون بعد أن لم يكن

وأيضا يقال له رأيت الخلق أقساما يسمى الله عندك ببعض الخلق ولا يسمى ببعض ثم لم يدل على اختلاف في حق الصفة ما منع كذلك في أمر الصفات وبالله التوفيق

قال الفقيه أبو منصور رحمه الله ثم قوله ما يوصف بالقدرة عليه فليس من صفات الذات فهو عند خصمه لا يوصف بالقدرة على شيء من صفاته إلا على مجاز اللغة من إرادة المفعول في ذلك كما يسمى ما يفعل بالأمر أمرا ونحو ذلك." (٢)

"يكون بخلقه واهبا مفيضا جوده عليه وهو قادر وقدرة لا تحقق الفعل البته ضائعة فلذلك خلق وبالله التوفيق

---

(١) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/٣٦

(٢) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/٥٢

وقال قوم السؤال محال لما يوجب تقدم علة لما يخلق والعلة إما أن يكون خلقا فالسؤال عنها هو السؤال عن جملة أو لا يكون فيكون غير إله في الأزل بل خلق بأن فعل الخلق بذاته على ما مر بيانه والله الموفق
وقال قوم السؤال لا يعدو معان إما أن نقول لم خلق هذا العالم دون أن يخلق غيره فيكون هذا السؤال فيه كهو في هذا وكذلك في قوله لم لا خلق الخلق ليكون قبل الوقت الذي كان على أن الخلق ليس هو غير الوقت بل هو إخبار عن كونه يصير كونه وقتا ولا قوة إلا بالله
أو يسأل عن حقيقة هذا العالم فيكون سؤاله منه فكأنه قال لم أسأل ولم عقلت أن أسأل ولم لا كنت غير عاقل وذلك فاسد لأنه في منع نفسه عن السؤال وبالله التوفيق
وقال قوم خلق العالم لعلل يكون منها وفيها وما بعدها وذلك هو المعقول من جميع الحكماء أنه لمقاصد يعقب الصنيع وكذا كل فاعل لا يعلم عواقب فعله أنه لماذا يفعله فهو غير حكيم ثم اختلف في المعنى الذي له خلق من يقول خلق جل العالم للممتحن فيه إذ ظهور **الحكمة فيهم** وكذلك فيهم يظهر العلو والسلطان والجلال والرفعة وبهم تظهر الحكمة والسفه فهم المقصودون من الخلق وغيرهم من الخلائق خلقوا لهم لمنافع لهم وللإمتحان بها وللدلالة وسخروا لهم والممتحنون خلقوا للعبادة أو لأنفسهم ليسعوا لعواقب يحمدون عليها ويذمون إليهم يقع ذلك وضرورة جل خالقهم عن الوجهين." (١)
"مجاهدة النفس وحملها على ما يكرهه الطبع والذي يكرهه تنفر عنه النفس فلا يجد الممتحن على قهره وصرفه إلى ما يريده ويؤمر به سبيلا إلا إحضار الوعد والوعيد حتى إذا رأى ذلك سهل عليه ترك الملاذ وهان عليه تحمل المؤن العظام
وبعد فإن البشر خلق خلقا قبح عليه فعل الذي لا يقصده به نفع العواقب أو لاتتقي به ضرر العواقب فلا بد أن يجعل لأعماله ذلك وذلك حق الوعد والوعيد ولولا ذلك لكان يستوى عواقب العدو والولي وعلى ما تفاوتا هما بحيث الإختيار والإيثار يجب تفاوت عواقبهما وبالله التوفيق
وقد أمكن أن نجعل الثواب كله فضلا إذ قد سبق من الله من النعم ما استحق الشكر عليه بعامة ما احتمل الوسع فيكون الثواب فضلا من الله ثم كذلك المضاعفة في ذلك كقوله تعالى {من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها} فذكر في السيئة ما توجبه **الحكمة من** الجزاء وضاعف في الثواب على ما تحتمله الأفضال إذ ذلك أصله ولا قوة إلا بالله

---

(١) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/٩٨

فهذا فيما احتمله عقولنا مما يلزم الأمر والنهى ومع ما كان فيما جاء بهما الرسل عن الله دليل كاف يلزم القول بعظم الحكمة لهما لو قصرت عقولنا عن الوقوف على ذلك مع ما في العقل إذا ترك استعماله كسائر الجوارح لم يحتمل تعطيلها عن المنافع التي هي سببها فمثله العقل مع ما كان الذي ذكرت في سائر الجوارح هو حق الفعل أيضا وإشارته ولا قوة إلا بالله." (١)

"ويوصف بالقرب من طريق العون والنصر ومن جهة التشريف والتخصيص ومن جهته الرحمة والإحسان ومن جهة التوفيق والإرشاد وهذا النوع لأن وصف هذا كله وصف ذاتي جائز أن يقال لم يزل رحيما بأوليائه محبا لهم لوقت كونهم له أولياء مبغضا لأعدائه على ذلك وأما الوجوه هي حقيقة تلك الصفات يحققها غيره لا أنه بذاته يوصف فإنه فاسد لأنه لا يخلو من أن يكون له مدح وتمجيد وتعظيم فيكون له ذلك بغيره فيصير بخلقه الخلق ممدوحا منتفعا وهو الغنى بنفسه يتعالى أن يكون له بأحد مدح أو نفع فلذلك لا يوصف بذلك جل جلاله

ثم القول بفعله أنه لا يجوز أن يكون مفعوله لما لا يعرف ذلك في الشاهد ولما يوصف به ولا يوصف بغيره ولما بينا أن الوصف بغيره يوجب الحاجة إليه ويوصف به في الأزل لما بينا من إحالة التغير والزوال ولما لو جاز الوصف بما هو حال في غيره لجاز الوصف بكل شيء من خلقه وذلك ممتنع وقد بينا هذا فيما تقدم ولا قوة إلا بالله

الحكمة في خلق الجواهر الضارة

قال الفقيه أبو منصور رحمه الله **الحكمة في** خلق الحيات والجواهر الضارة وإن كانت العقول تقصر عن بلوغ كنه حكمة الربوبية على ما سبق القول في لزوم الحكمة لكل شيء من الوجه الذي خلقه الله وإن لم يعرف مائيتها يكون من وجوه المحنة بالضار والنافع الحاضرين ليعلم بهما لذة الثواب على الطاعة وألم العقاب على المعصية إذ الخلق جبلوا على قصد العواقب في الأفعال فجعل لها مثالا من العيان لتتصور الموعود في الأوهام فيسهل به السبيل والله الموفق

---

(١) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/١٠١

والثاني أن المحنة هي تحمل المؤنة التي تسهل وتصعب على البدن بالنظر والفكر والناس في تكلف النظر والفكر يختلفون لأنه ليست لهما منفعة حاضرة." (١)

"يقدر اجتمع في النور الجهل والعجز وفي ذلك بطلان السبب الذي له قالوا بإثنين وإن علم وقدر ثم لم يعمل في المنع لحقه وصف الشر

ثم لا يخلو النور من أن يعادي الظلمة أو لا ويحب تشاغله أو لا فإن كان لا يعادي ويحب فذلك شر لأن ترك عداوة العدو والمحبة له شر وإن كان يعاديه ويبغضه فالعداوة والبغض شر في المعروف من الشاهد فإن قال ذلك في الشاهد لثبوت الآفات فمثله في جميع ما أنكر من **الحكمة في** خلق النوعين ولا قوة إلا بالله على أنه لا بد من الإقرار بعلم بعد الجهل في الشاهد وبالإحسان بعد الإساءة وبالندم بعد ذنب وبالإقرار بالإساءة بعد العقل وكذلك باعتقاد شيء حقا بعد أن اعتقده باطلا للوجود في الشاهد فأما أن نجعل الأمرين من النور فيكون منه الجهل والإساءة والذنب والسفه وكل شيء فبطل قوله بالإثنين لهذا الوجه أو نجعل الإساءة والسفه والجهل من الظلمة والإقرار والإحسان والندامة من النور فيكون ذلك كذبا وتحزبا وإهتماما وكل ذلك عنده من فعل الظلمة فقد أثبته للنور ثم الإقرار بما لم يكن كذب وسفه وإما أن يكونا من الظلمة فيكون منها خير وشر

وأيضا أن النور لا يخلو من أن يهتم للشر يحل بأوليائه ويحزن عليه أو لا فإن اهتم وحزن بطل قوله هو كله لذة وسرور وإن لم يحزن بطل قوله في فعل الشر والضرر إنه القسوة والشدة لا الرحمة وذلك في القول بإثنين بم يقال له التحرك بعد السكون أو لا ويريد شيئا ثم ينفر عنه ويحب أمرا ثم يبغضه ويكلم في هذا بمثل الذي ذكرت في الفصل الأول والله الموفق

فإن زعمت الثنوية في جميع ما عارضنا من اختلاف الأحوال وتضادها أن ذلك كذلك في الشاهد لشوائب الآفات من الظلمة في جوهر النور فيرى الشيء بغير صورته وبها يقع التواتر للعلم بالأشياء قيل فما يبعد أن يكون قولك كذا ليس." (٢)

"١٦٥ – كله لكل ذلك فصيروا النور خارجا عن أعظم الخير والآخر عن أعظم الشر ثم حققوا الأمرين لواحد وله قالوا بالإثنين ليعلم هلاك كل فريق بالذي به ظن النجاة وبالله التوفيق

---

(١) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/١٠٨

(٢) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/١١٥

مع ما لو كان لذينك الوجهين يجب القول بالإثنين ليجب القول بالأربع نحو الطبائع إذ هي متضادة كل يضر الكل ولو كان بهذا يقول بالأربع ليجب القول بالست بما لا يخلو شيء قائم عن جهات ست وذلك يوجب القول بالسابع لما كان حامل تلك الجهات لا يوصف بجهة سابقها أو بالخمس بما كان الذي فيه إجتماع تلك الطبائع هو الخامس لا يوصف بحر ولا برد ولو كان كما تقول الثنوية ليجب القول بالثالث لما كانا ولم يكن العالم ولا خير ولا شر ومحال كون متبائن بنفسه ممتزجا بنفسه لا يوجب الاجتماع والتناقض ثبت كون ذلك بغيرها وبه كان كل خير وشر فيبطل قولهم من حيث راموا إثباته

ثم القول بالواحد لا يضطر صاحبه إلى القول بآخر بوجه وأصل ذلك أن هؤلاء قوم لم تبلغ عقولهم المبلغ الذي يدرك به حكمة الربوبية في الأشياء وظنوا أن يكون الرب على صفتهم من الحاجات والشهوات واحتمال الآفات وشوائب العاهات فقدروا أفعاله بالذي علموا الحكمة بأفعال أنفسهم ولو تأملوا ما هم فيه من الضرورات السواتر المانعة عن الإحاطة بالأشياء ثم بمصالح أنفسهم التي في ذلك جل كدهم وجهدوا لعلموا أن الجهل هو الذي سدهم عن إدراك **الحكمة في** ذلك وأحق الناس بهذا هم إذ زعموا أن العالم إنما هو امتزاج النور والظلمة فما من جزء من أجزاء النور إلا وهو مشوب بجزء من أجزاء الظلمة والظلمة هي الساترة ثم هي القاهرة للنور فما من خير يرجى بدؤه منه إلا والظلمة تقهره وتستره عن التجلى لأهل المذهب فأنى لهم والعلم والوقوف على طريق الحكمة حتى يدعون في الآخر دعوى بشر." (١)

"أحد على إتقاء ما يضره إذا لم يعلمه فعلى ذلك خلق الأمرين في الحكمة أوجب وأتم من خلق أحدهما مع ما في ذلك من دلالة غنى الفاعل وتمام قوته وعلمه بما يليق بكل شيء أن يكون عليه ولا قوة إلا بالله

ولو لم يكن لما عليه أهل التوحيد سوى أدلة صدق الدعاة إليه والبراهين النيرة معهم وهم الرسل مما لا يوجد شيء من ذلك لأحد من منكرى الصانع الواحد لكان ذلك كافيا فكيف وما من شيء إلا وهو بجوهره يشهد بحدثه وأنه حدث لمحدث حكيم لولا تعنت الملحدين بما ادعوا من قدم الأعيان مما لا سبيل لهم في الرجوع إليه إلا إلى تقليد من ليس معه دليل أو جعله سفهه وهو عجزه عن الوقوف على كون شيء لا عن شيء دليلا له ولا ريب أن كلا منهم يعلم من نفسه جهلا بأشياء ثم العلم بها وعجزا عن أشياء ثم قدرته عليها وضرورة إلى أشياء ثم غنى عنها فحق من هذا وصفه أن لا يثق برأيه ولا ينفع ما يرى أنه من إشارة

---

(١) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/١٦٥

عقله

مع ما لا يخلو أن من رد ذلك إلى الطبائع التي لا تعقل ما يولد منها وبها وكذلك النجوم أو إلى عدد من الصانعين مما كان بدء أمرهم الجهل والعمى أو إلى تقليد أقاويل في قدم الأشياء على ماهي عليه مما يتناقض ويتضاد فأنى لهم العقل مع هذه الأصول المتجاهلة الذين هم فروعها أو الوقوف على حقائق الأشياء حتى يدعون في شيء من حكمة أو سفها ولا قوة إلا بالله

على أن الذي دعى الثنوية إلى إنكار شيء من لا شيء خروجه عن التصور في العقول أو تقديرهم في تعرف الحكمة في العقل ما عاينوا بينهم ولو علموا أن القول بمبادئ العالم على ما عندهم في الخروج من التصور في الوهم مثل الذي أنكروا أو خروج ما معهم من الروح والعقل والحواس أو خروج حكمهم عن التصور في الوهم لما أنكروا ثم لو علموا أنهم شهدوا فعل الضعفاء الجهال بأنفسهم على ما علموا بالخبر أنهم ثم كانوا لعلموا أن الأشياء من غير شيء." (١)

"أحق أن تنسب إليه من به جملة العالم ثم لو علموا غناه وقدرته وتعاليه عن صفة الخلق لم تضق قلوبهم عند قصورها عن درك الحكمة في خلقه على الله نتوكل وبه نستعين

وذكر جعفر بن حرب أنه سأل ثنويا عمن قتل آخر ظلما ثم اعتذر إليه وأقر بالإساءة فألزمه أن الثاني خير ولو كان من غيره جوهر الأول كان كذبا من النور وهو شر فكتب ذلك إلى رئيس لهم فكتب الرئيس مجيبا إن ذلك كمن ينفح دابته ويعتذر هو

فقال جعفر إنما ذلك توجع منه ولو اعتذر في الحقيقة كان جاهلا إلا أن يكون الإعتذار من تقريبه الدابة إليه

فأسلم الرجل وحق له أن يسلم وما ذكر ابن حرب لازم ولا قوة إلا بالله

ثم المسألة على قول المعتزلة خطأ إذ من مذهبهم أن ليس في خلق الله شر وإنما سمى شرا بالمجاز فإنما طريق مناظرتهم الثنوية في إزالة ما ظنوه شرا أن يكون شرا فأما أن يسلموا الثنوية ويلزمهم القول بالخالق الواحد من الوجه الذي يوجد من غير الله تعالى الوجهين جميعا ويجعلونه على الصانع فيجد القول بنفى ذلك فهو محال فاسد لما فيه تثبيت معرفته وتوحيده يخلق الشر والخير ثم ينفى أحدهما في الحقيقة رجعت إلى قول الثنوية بأن الذي منه خلق الشر في الحقيقة غير الذي منه خلق الخير فيلزمه التوحيد بالتثنية

---

(١) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/١٦٨

ووجه قولهم في هذا أنهم أنكروا خلق أفعال العباد بما فيها السيئات والمعاصي والشرور فعورضوا بخلق الشرور." (١)

"كان كل الأشياء أعوان ثم اختلط خلقه الذين هم أعوانه بالذين هم أعوان الله في منعهم عن المعونة عليه جل الله عما وصفه الملحدون

وإن قالوا الموادعة كانت لبعض المصالح فمثله الهوام الضارة والأشياء المؤذية

وبعد فإن تخوفه من يضاده يوجب الجهل بأنه رب كل شيء وكذلك إصابة العين فإذا ضر به العين ومن تقهره العين وتزيل قدرته وتدفع علمه فهو رب بغيره لا بنفسه خالق بغيره فيلزم القول في معبودهم إنه عبد لا معبود

ثم لا شيء من تلك الجواهر المؤذية إلا وهي تنفع خلقا فلا تضر ولا تؤذي لأنفسها ولكن بمدبر حكيم عليم جعلها بحيث تؤذى أحدا وتنفع آخر ثبت أن القول بإنفراد منشئ الشر بعيد

ثم إن لم يكن في خلق الشيء من غير شيء إلا خروجه من وسع الخلق وارتفاعه عن التصور فلا أحد امتنع عن القول بتحقيق مثله لأن إنشاء الجسم وكونه في الأرحام بالطبائع وحدوثه بحركات النجوم أو خروج العالم عن هذا الطبع وإمتزاج النور والظلمة ثم التباين خارج عن الوجه الذي ذكر على أن حقيقة كل شيء من تأمله كذلك نجده لأنه ليس في النطفة ولا في جميع الأغذية ولا في الأرحام شي من معاني البشر ثم مما له من العقل والسمع والنظر فإنما ذلك خارج عن ذلك بتقدير عليم حكيم وكذلك جميع الطبائع المختلفة أو جواهر الخير والشر لو خلى بينها وبين عملها ما ظهر بها جوهر ولا يمكن بها خلق فالقول بالكون بمثله أبعد عن التصور في العقل ولا قوة إلا بالله

وقد بينا وجه الحكمة في خلق الجواهر المختلفة وأن فعل الله لا يوصف بذلك وإن أنشأها على ما عليه من قبح القبيح وحسن الحسن هو معنى الحكمة." (٢)

"بما ينفع غيره أو يدفع عن غيره الضرر وجعلوا ذلك علة فعله ليخرج عندهم فعله عن معنى العبث وبهذا الوجه خالفوا الثنوية إذ هم أبوا الفعل بغير نفع للفاعل فيه أن يكون من الحكمة فأثبتوا الفعل بجوهر الحكمة عند المزاج ليكون في خلاصه من جنس جوهر السفه فيصير فعله حكمة على التقدير بالشاهد مع

---

(١) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/١٦٩

(٢) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/١٧٤

ما كون شيء لا من شيء ممتنعا في الشاهد فأوجبوا لكلية العالم أصلا منه جعل وأنشئ لأنه لا فصل بين خروج الفعل عن حق الوجود في الشاهد فيلزم دفعه أن يكون ذلك من حكيم فخالفهم أهل التوحيد في هذين ثم ألزم فريق منهم إياه ما في العقل علة لم يكن له العقل دونها لما وجدوا فعل مثله في الشاهد عبثا وألزموا في فعل المضار لو كان لغير نفع يعقب سفها على ما ذكرت الثنوية في فعل لا ينتفع به الفاعل ثم تفرقوا فزعم قوم أنه لا ضرر في الحقيقة على المفعول به وإن سمع منه التضرع والشكوى وزعم قوم أن عليه في الحقيقة ضررا لكن عليه أن يعوضه عن ذلك ليصير الفعل به حكمة كالموجود في الشاهد ممن يحمل المؤن العظام وشرب الأدوية الكريهة مع القصد وقصد الخراج لتقع العواقب وليس له فعل الضار بغير إلا بعوض

قال الشيخ من عرف الله حق المعرفة وعلم غناه وسلطانه ثم قدرته وملكه في أنه له الخلق والأمر عرف أن فعله لا يجوز أن يخرج عن الحكمة إذ هو حكيم بذاته غنى عليم والذي به الخروج عن **الحكمة في** الشاهد ويبعث صاحبه عليه جهله أو حاجته وهما منفيان عن الله فثبت أن فعله غير خارج عن الحكمة وعلى ما ذكرت يبطل أن يكون فعله في الحركة أو السكون إذ هما حاجتان يحلان في صاحبهما فيبلغه أحدهما إلى تأمل نفسه من الراحة والسلوى." (١)

"والآخر إلى ما يبلغه الهمة والرغبة إذ لا سبيل له إلى مقصوده إلا بالتحرك والزوال ولا إلى دفع الإعياء والتعب إلا بالقرار والسكون فأما الله سبحانه إذ ثبت غناه وقدرته بطل أن يعتريه حاجة أو يعتريه همة وعلى ذلك لما ثبتت قدرته وسلطانه وعلمه بطل وصفه بأن لا يقدر على فعل شيء ابتداء لا عن شيء إذ ذلك علم الحاجة وآية الضعف وحاجة جميع ما يحس ويبلغه علم البشر هي الدلالة على تقدير العالم وعالم به قدير غنى لم يجز إزالة ذلك بالذي عرف غناه وقدرته وحكمته وعلمه ولا قوة إلا بالله فلذلك لزم القول بضرورة العقل لجواز كون العالم لا عن شيء وخروج فعله على الحكمة وإن عجزت عقول حكماء العالم عن إدراكها لخروج وجه الحكمة عن نهاية قوة عقولهم على ما بينا من كون شيء لا عن شيء ومن جواز فعل ممن لا ينتفع به وبذلك تظهر حقيقة الأمر له وأن له الخلق والأمر ولكل ذي ملك أن يفعل في ملكه على قدر ما ملك منه ما شاء ولاقوة إلا بالله

ثم الأصل أن الجور والسفه قبيحان وأن العدل والحكمة حسنان في الجملة لكن شيئا واحدا قد يكون

---

(١) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/٢١٦

حكمة في حال سفها في حال جورا في حال عدلا في حال نحو ما ذكرت من شرب الأدوية ثم أكل الأشياء وشربها ثم إتلاف الأشياء وإبقاؤها من أنواع الجواهر ما للحاجات أو للمجازات أو لحقوق أو لنحو ذلك وإذ ثبت حسن **الحكمة في** الجملة والعدل وقبح السفه والجور ولزم وصف الله تعالى في كل فعل خلقه في أقل ما يوصف أنه حكمة وعدل أو فضل وإحسان من حيث ثبت أنه جواد كريم غنى عليم وبطل أن يلحقه وصف الجور والسفه لما كان سببهما الجهل والحاجة قد ثبت انقسام الشيء الواحد على الجور والعدل وعلى الحكمة والسفه سببهما الجهل وجائز خفى وجه ذلك على الناظر المتأمل أو هو بالحس يريد الإطلاع على العلم به وقد ثبت احتمال الوجهين لايقع على واحد منهما الحس وعلم المتأمل ذلك." (١)

"بطل قضاؤه في شريعته على الإشارة إليه بالحكمة والسفه والعدل والجور فلزم بهذا جهل كل البشر لمعرفة حقيقة الأمرين في الشيء بالتأمل فيه أن يعرف جميع الأسباب التي بها تتغير أحوال المحسوسات على الحواس وإذا ثبت ذا بطل قول الثنوية بالإثنين فجهلهم بوجوه **الحكمة في** خلق الضار والنافع إذ قد يجوز أن يصير كل ضار في حال نافعا في أخرى وبطل من يقول من المعتزلة أن كل فعل لا ينفع آخر فهو غير حكمة مع ما لا يوجد ضرر البتة إلا وأمكن أن ينتفع به أحد إما من طريق الدلالة أو من طريق الموعظة أو ما فيه من تذكير النعمة وتحذير النقمة ومن تعريف من له الخلق والأمر في الخلق وغير ذلك مما يكثر ذكره ولا قوة إلا بالله

ثم الأصل الذي يجعل الفعل في الشاهد سفها أحد أمرين إما تعدى الملك لا بإذن من له الملك لذلك الفعل أو لما فيه ركوب نهى ومخالفة الأمر ممن له الأمر والنهى وكل ذلك عن الله جل ثناؤه منفى ثبت أنه يتعالى عن احتمال لحوق هذا الوصف فعله ولا قوة إلا بالله

وليس ذلك كالكذب لأنه لا يصلح بحال كالفعل الذي ينقسم على الحكمة والسفه والعدل والجور وهذا من حيث الجملة لا انقلاب له ومن حيث الوقوع في شيء على الإشارة إليه ممكن فيه الأمران باختلاف الأحوال والأسباب لذلك لزم وصف الله تعالى في الجملة بالتعالي عن فعل السفه والجور وفي الإشارة أيضا لكن لا يجوز أن يوصف فما ظهر فعله بالسفه والجور بما لا يبلغه علم البشر ولا يدركه عقل ولا قوة إلا بالله

---

(١) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/٢١٧

ثم جملة ما يعلم به فساد الوصف بالجور والسفه والكذب وجهان أحدهما قبح ذلك في العقول بالبديهة والفكر جميعا حتى لا يزداد عند التأمل والبحث عنه إلا قبحا لا عند طول النظر فيه إلا فحشا وليس ذلك كالقبيح بالطبع إن ذلك يصير حسنا بالإعتياد وطول الصحة كالذبح وأنواع ذلك وكذلك نجد." (١)

"وقد ثبت تعاليه عن الأمرين إذ هما يسقطان الربوبية ويزيلان التدبير وفي وجود العالم على ما عليه من دلالة غنى صاحبه وعلمه بإعطاء كل شيء حقه دليل إحالة هذا الوصف لذلك بطل أن يوصف في شيء من فعله بذلك ولا قوة إلا بالله

ثم إذ كان الله جل ثناؤه موصوفا بالعلم والقدرة والجبروت والحياة لذاته لإحالة إحتمال الأغيار وإن لم يوجد في الحكماء كذلك لم يجب تقديره في أفعاله على أفعال الحكماء في الشاهد وجملة هذا الأصل أنه لا حكيم في الشاهد إلا وهو محتمل للسفه وكذلك الغنى والقدير يحتمل لأضداد تلك الصفات وكان بها موصوفا حتى أكرم بأضدادها فإنه له منها قدر ما أعطى منها فهو متى رأى السفه في شيء بين أن يكون قد أعطى علم حقيقة **الحكمة في** ذلك أو لا أو بلغ علمه ما يدرك حكمته أو لا أو مما كان من صفته القديمة باقية فيه يمنع ذلك إياه عن الإحاطة بذلك فلذلك تبطل وجه دعوى العبد في فعل الله أن ذا ليس بحكمة ولا كذا والذي يوضح ذلك علمه بجهله بأكثر الأشياء وعلمه بحاجته وعجزه في أكثر الأمور وإحاطته بسفهه في أغلب الأمر ومن هذا وصفه في نفسه فخوضه فيما لله أن يفعل عبث وجهل على الإشارة إليه وليس دون لزوم الجملة اشترك فيها العقلاء إذ ذلك حقيقة عمل العقل في الجملة وقد أعطى كل ذلك عبث لا معنى له وللذي بينا قال الله تعالى {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} إذ فعل كل أحد يحتمل السفه والحكمة وفعله يجل عن السفه وعلى كل أحد أمر ونهى إذ هو لغيره في." (٢)

"به يظهر ذله وعبوديته والقوة هي الغنى والعلو والرفعة فهو الوجه الذي به يبطل ربوبيته غيرا لله وليس في الأمر ذلك على أنه لو لم يكن أمر ولا نهى كان القول بيؤمن ويكفر ويقدر ولا يقدر لا معنى له ولا قوة إلا بالله

وبعد فإن القدرة ثمرتها الفعل وبه يكون الذي ذكر لا بالأمر لذلك لم يصر الأمر بالأمر أمرا بالذي ذكرت فبالإقدار يصير ملكا غنيا مستخلفا لما إذا تم كان ربا إلها ولا قوة إلا بالله

---

(١) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/٢١٨

(٢) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/٢٢٠

وبعد فإنا عارضنا بالذي طريق العلم به العقل من الوجه الذي ذكرت والأمر لا يناقض ما يوجبه العقل ولولا الأمر كان الأول بالعقل وحشيا فأما أن يعرف وجه **الحكمة في** الأمر أو لا يعرفه بالذي عرفناه لم يجب دفعه بما يتعذر عليه وجه الثاني ولا قوة إلا بالله

وأيد الذي ذكرت أمر الشاهد أن كل قوى يرتفع ويجل بقوته ولا يؤمر الجليل العظيم بشيء ثبت أن في الأمر ذلة واستعبادا فهو لا يوجب ذلك وفي الإقدار رفعه وعلوه فهو يوجب والله الموفق

وبعد فإذ لا توجد قدرة لا تضيع فوجودها يوجب الفعل الذي يقصد وحق الأمر اللزوم لا وجود الفعل وكم من أمر به لا ائتمار هنالك فلذلك لم يجب به وما ذكر في الله فهو بقدرته ونفاذ مشيئته وجرى سلطانه فتمت ربوبيته واستوجب الجلال والرفعة بذاته لم يجز أن يكون فيه ما ذكر من الخوف بل به تمام الحكمة وعلو الرتبة وفي إيجاب ذلك لغيره نقض ألا ترى أنه قد نقض قول الثنوية بالذي ذكرت ولا يقبل قولهم بمعارضته مثله في الله أنه يقدر على ما علم أنه لا يفعل فإذا يقدر على نقض ربوبيته وبمثله جعلوه في غيره معارضا موجبا ذلك فمثله الذي نحن فيه ووجه آخر أنه لا يوجب لله قدرة ولا علما بقوله له قدرة بكذا وعلم بكذا لا معنى له وذلك متحقق في غيره." (١)

"فيكون عامة آيات الله في الخطاب خارجة مخرج عبث إذ الحق من جملة المذاهب من لا يلزمه هذا القول بمذهبه قال أو لم يقل والله الموفق

فإن قال قائل فقد ذكر الله الثنيا في غير موضع الشك فيجوز الثنيا على ذلك ثم قوله {لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين} قيل هذا ليس لكم لأنا قد بينا تحقيق الشك على مذهبكم ثم لم يكن الإحتجاج بخروج عن موضع الشك ولو كنتم كذلك إذ قد ذكر الله أهل اليقين في غير موضع بإسم القطع فقولوا لا يتم بلا ثنيا ولا قوة إلا بالله

ثم يقال قد ذكر الله تعالى الظن ولعل وعسى والخوف في موضع اليقين فقولوا عند السؤال نظن ونخاف ولعل ومثل ذا فإذ لم يجب هذا بما العرف فيه عبر وإن اعترض في مواضع لهذه الأحرف مساغ في حق اليقين لعلك وكذلك أمر الثنيا ثم يعارض لجميع ما ذكر من الإيمان بالله ومحمد مع الثنيا فإيذا كان القول ممتنعا والواصف به في حق من لم يؤمن قلوبهم فكذلك الأول وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن أفضل الأعمال فقال إيمان لا شك فيه وجهاد لا غلول فيه وحج مبرور فقال الله تعالى {إنما

---

(١) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/٢٧٦

المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا} فإن قيل ما الحكمة في قوله {لتدخلن المسجد الحرام} قيل يخرج هذا عندنا على وجوه والله أعلم بحقيقة ذلك لكنه خبر أخبر عن قول غيره لم يقل لتدخلن إن شئت ولكن قال إن شاء الله ليعلم أنه قول غيره ثم احتمل أن يكون الله علم رسوله أن يقول ذلك ويستثنى لما هو وعد." (١)

"عمدا فعلت ذاك بيد أني ... أخال إن هلكت لم تزني

وكذلك ينشد أيضا:

فلبثت بعدهم بعيش ناصب ... وأخال أني لاحق مستتبع

ولا يكسرون الياء، لا تقول: «هو يعلم»، «ويخال» استثقالا للكسرة في الياء فلا يكسر هذه الياء من يؤخذ بلغته.

الحكيم

الحكيم: الذي أفعاله محكمة متقنة، لا تفاوت فيها ولا اضطراب، ومنه قيل: «بناء محكم» أي قد أتقن وأحكم، فالله عز وجل حكيم كما وصف نفسه بذلك، لإتقان أفعاله واتساقها وانتظامها وتعلق بعضها ببعض. فالحكيم على هذا التأويل فعيل بمعنى مفعل كما جاء عليم بمعنى عالم في قوله: {عليم بذات الصدور} وقد يكون حكيم بمعنى عليم لأن الفاعل للأشياء المتقنة المحكمة لا يجوز أن يكون جاهلا بها. فيكون «حكيم» على هذا بتأويل المبالغة في الوصف بالعلم والحكمة، وقد قال الله عز وجل: {يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا}، فقال ابن عباس وغيره: الحكمة: القرآن، سماه حكمة لأنه علم فكأنه قال: ومن يؤت القرآن فقد أوتي علما كثيرا. وقد قال الله عز وجل في موضع آخر: {وآتاه الله الملك والحكمة}. قالوا: يعني: الملك والعلم.

وقال بعض أهل اللغة: إنما سمي القرآن حكمة لامتناعه عن المعارضة كأنه ممتنع من أن يؤتي بمثله أو يعارض. كما قال عز وجل: {قل لئن اجتمعت الإنس." (٢)

---

(١) التوحيد للماتريدي؟ أبو منصور الماتريدي ص/٣٩١

(٢) اشتقاق أسماء الله؟ الزجاجي ص/٦٠

"ولا تكسب كل نفس إلا عليها {ولا تزر وازرة وزر أخرى}
فقد انتفى عن الله عز وجل هذا الظلم حقا ولقد كان على أصولهم الفاسدة تعذيبه الطغاة وإيلامه البغاة ليعظ بذلك غيرهم أدخل في العدل **والحكمة من** أن يؤلم طفلا أو حيوانا لا ذنب لهما ليعظ بذلك آخرين بل لعل هذا الوجه قد صار سبيلا إلى كفر كثير من الناس وأجاب بعضهم في ذلك بأن قال إنما فعل ذلك عز وجل بالأطفال ليؤجر آباءهم
قال أبو محمد وهذا كالذي قبله في الجور سواء بسواء إن يؤذى من لا ذنب له ليأجر بذلك مذنبا أو غير مذنب حاشا لله من هذا إلا أن في هذا مزية من التناقض لأن هذا التعليل ينقض عليهم في أولاد الكفار وأولاد الزنا ممن قد ماتت أمه وفي اليتامى من آبائهم وأمهاتهم ورب طفل قد قتل الكفار أو الفساق أباه وأمه وترك هو بدار مضيعة حتى مات هزلا أو أكلته السباع فليت شعري من وعظ بهذا أو من أوجز به مع أن هذا مما لم يجدوه يحسن بيننا البتة بوجه من الوجوه يعني أن نؤذي إنسان لا نب له لينتفع بذلك آخرون وهم يقولون أن الله تعالى فعل هذا فكان حسنا وحكمة ولجأ بعضهم إلى أن قال إن الله عز وجل في هذا سرا من الحكمة والعدل يوقن به وإن كنا لا نعلم لما هو ولا كيف هو
قال أبو محمد وإذ قد بلغوا ها هنا فقد قرب أمرهم بعون الله تعالى وهو أنه يلزمهم تصديق من يقول لهم ولله تعالى في تكليف من لا يستطيع ثم تعذيبه عليه سر من الحكمة يوقن به ولا نعلمه
قال أبو محمد وأما نحن فلا نقول بهذا بل نقول إنه لا سر هاهنا أصلا بل كل ذلك كما هو عدل من الله عز وجل لا من غيره ولله الحجة البالغة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
قال أبو محمد ولجأت طائفتان منهم إلى أمرين أحدهما قول بكر بن أخت عبد الواحد بن يزيد فإنه قال أن الأطفال لا يألمون ألبتة
قال أبو محمد ولا ندري لعله يقول مثل ذلك في الحيوان
قال أبو محمد وهذا انقطاع سمج ولجاج في الباطل قبيح ودفع للعيان والحس وكل أحد منا قد كان صغيرا ويوقن أننا كنا نألم الألم الشديد الذي لا طاقة لنا بالصبر عليه والثانية أحمد بن حابظ البصري والفضل الحربي وكلاهما من تلاميذ النظام فإنهما قالا أن أرواح الأطفال وأرواح الحيوان كانت في أجساد قوم عصاة فعوقبت بأن ركبت في أجساد الأطفال والحيوان لتؤلم عقوبة لها
قال أبو محمد ومن هرب عن الإذعان للحق أو عن الإقرار بالانقطاع إلى الكفر والخروج عن الإسلام فقد

بلغ إلى حالة ما كنا نريد ان يبلغها لكن إذا آثر الكفر فإلى لعنة الله وحر سعيره ونعوذ بالله من الخذلان وإنما كلامنا هذا مع من يتقي مخالفة الإسلام فأما أهل الكفر فقد تم والله الحمد إبطالنا لقولهم وقد أبطلنا قول أصحاب التناسخ في صدر كتابنا هذا والحمد لله فأغنى عن إعادته وإذا بلغ خصمنا إلى مكابرة الحس أو إلى مفارقة الإسلام فقد انقطع وظهر باطل قوله ولله تعالى الحمد

قال أبو محمد فإن لجؤا إلى قول معمر والجاحظ وقالوا أن آلام الأطفال هي فعل الطبيعة لا فعل الله تعالى لم يتخلصوا بذلك من الانقطاع بل نقول لهم هل الله عز وجل قادر على معارضة." (١)

"حتى يخلقها ثم يخلقنا منها أم خلقه لنا حيث خلقنا فإن عجزوا ربهم جعلوه ذا طبيعة متناهي القدرة ومشبها لخلقه وأبطلوا إلاهيته وجعلوه محيزا ضعيفا وهذا كفر مجرد ونفي السؤال أيضا مع ذلك يحسبه في أن يجعلنا كالملائكة وأن يجعلنا كلنا أنبياء كما فعل بعيسى ويحيى عليهما السلام وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقال بعضهم ليس جهلنا بوجه المصلحة في ذلك مما يخرج هذا الأمر عن الحكمة فقلنا لهم فاقنعوا بمثل هذا بعينه فمن قال لكم ليس جهلنا بوجه المصلحة **والحكمة في** خلق الله تعالى لأفعال عباده وفي تكليفه الكافر والفاسق مالا يطيق ثم يعذبهما على ذلك مما يخرجه عن الحكمة وهذا لا مخلص لهم منه (قال أبو محمد) وأما نحن فلا نرضى بهذا بل ما جهلنا ذلك لكن نقطع على أن كل ما فعله الله تعالى فهو عين الحكمة والعدل وإن من أراد إجراء أفعاله تعالى على الحكمة المعهودة بيننا والعدل المعهود بيننا فـقد ألحدوا حظارضل وشبه الله عز وجل بخلقه لأن الحكمة والعدل بيننا إنما هما طاعة الله عز وجل فقط لاحكمة ولا عدل غير ذلك إلا ما امرنا به أي شيء كان فقط وأما الله تعالى فلا طاعة لأحد عليه فبطل أن تكون أفعاله جارية على أحكام العبيد المأمورين المربوبين المسؤلين عما يفعلون لكن أفعاله تعالى جارية على العزة والقدرة والجبروت والكبرياء والتسليم له وأن لا يسأل عما يفعل ولا مزيد كما قال تعالى وقد خاب من خالف ما قال الله عز وجل ومع هذا كله فلم يتخلصوا من رجوع وجوب التجوير والعبث على أصولهم على ربهم تعالى عن ذلك وقال متكلموهم لو خلقنا في الجنة لم نعلم مقدار النعمة علينا في ذلك وكنا أيضا نكون غير مستحقين لذلك النعيم بعمل عملناه وإدخالنا الجنة بعد استحقاقنا لهم أتم في النعمة وأبلغ في اللذة وأيضا فلو خلقنا في الجنة لم يكن بد من التوعد على ما حظر علينا وليست الجنة دار توعد وأيضا فإن الله تعالى قد علم أن بعضهم كان يكفر فيجب عليه الخروج من الجنة (قال أبو

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل؟ ابن حزم ٦٨/٣

محمد) هذا كل ما قدروا عليه من السخف وهذا كله عائد عليهم بحول الله تعالى وقوته وعونه لنا فنقول وبالله تعالى التوفيق أما قولهم لو خلقنا في الجنة لم نعلم مقدار النعمة علينا في ذلك فإننا نقول وبالله تعالى نتأيد أكان الله تعالى قادر على أن يخلقنا فيها ويخلق فينا قوة وطبيعة نعلم بها قدر النعمة علينا في ذلك أكثر من علمنا بذلك بعد دخولنا فيها يوم القيامة أو كعلمنا ذلك أم كان غير قادر على ذلك فإن قالوا كان غير قادر على ذلك عجزوا ربهم تعالى وجعلوا قوته متناهية يقدر على أمرنا ولا يقدر على غيره وهذا لا يكون إلا لعرض داخل أو لبنية متناهية القوة وهذا كفر مجرد وإن قالوا كان الله قادرا على ذلك أقروا بأنه عز وجل لم يفعل بهم أصلح ما عنده وأن عنده أصلح مما فعل بهم وأيضا فإن كانوا أرادوا بذلك أن اللذة ـعقب البلاء والتعب أشد سرورا وأبلغ لزمهم أن يبطلوا نعم الجنة جملة لأنه ليس نعيمها البتة مشوبا بألم ولا تعب وكل ألم بعد العهد به فإنه ينسى كما قال القائل ... كان الفتى لم يعر يوما إذا اكتسى

ولم يفتقر يوما إذا ما تمولا ...

فلزم على هذا الأصل أن يحدد الله تعالى لأهل الجنة آلا ما فيها ليتجدد لهم بذلك وجود اللذة وهذا خروج عن الإسلام ويلزمهم أيضا أن يدخل النبيين والصالحين النار ثم يخرجهم منها إلى الجنة فتضاعف اللذة والسرور أضعافا بذلك ويقال لهم كنا نكون." (١)

"أضعاف ما خلق كيف شاء ومتى شاء وأين شاء وأنه سبحانه وتعالى قادر على بعث الرسل وإنزال الكتب وإظهار المعجزات الدالة على صدقهم فإنه قادر على الحشر والنشر وثواب أهل الطاعات وعقاب أهل المعاصي كما قال الله تعالى {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده} وقال سبحانه {وإذا القبور بعثرت} وقال جل جلاله {قال من يحيي العظام وهي رميم} وقال تعالى {وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا} وقال {ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون} وقال تعالى {وعرضوا على ربك صفا} وقال تعالى لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا

٣٢ - وأن تعلم أنه سبحانه وتعالى لا اعتراض عليه في جميع ما يأتيه أو يذره لا يقال فيما فعله لم فعله ولا فيما تركه لم تركه لأن الإعتراض إنما يتوجه إلى من صدر قوله عن أمر آمر ونهي ناه وزجر زاجر وإنما يتوجه الأمر على من إذا خالف كان للعقوبة إليه سبيل ولا سبيل للعقوبة إلى الله تعالى فلا يتوجه عليه الأمر وإذا لم يتوجه عليه الأمر استحال عليه الإعتراض ولهذه النكتة قلنا إنه لا يجوز عليه سبحانه حظر ولا وجوب

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل؟ ابن حزم ٩٨/٣

وقد نبه الله سبحانه وتعالى على هذا المعنى بقوله {وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة} وقال سبحانه وتعالى {هو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون} وقال سبحانه وتعالى {ألا له الخلق والأمر} وقال سبحانه وتعالى {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون}

٣٣ - وأن تعلم أنه سبحانه وتعالى حكيم في جميع أفعاله وحقيقة **الحكمة في**." (١)

"أفعاله سبحانه وتعالى وقوعها موافقة لعلمه وإرادته وهو **الحكمة في** أفعال الحكماء في الشاهد لأن من فعل فعلا لا يقع على موافقة إرادته يقال إنه لم يرتبه على حكمة منه فيه فإذا حصل مراده فيه يقال إنه حكيم في فعله ولا يمكن أن يقال في شيء من أفعاله أنه كان ينبغي أن يوقعه على خلاف ما أوقعه لأنه يتصرف في ملكه ومن تصرف في ملكه لم يتقرر عليه الإعتراض في فعله ولهذا قلنا إن شيئا من أفعاله لا يكون ظلما وأنه سبحانه يستحيل الظلم في وصفه لأنه لا يتصرف في غير ملكه ومن تصرف في ملكه لم يتقرر عليه الإعتراض في فعله ومن تصرف في ملكه فليس بظالم في أفعاله قال الله تعالى {تنزيل من حكيم حميد} وقال وكان الله بكل شيء عليما وقال سبحانه وتعالى {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون}

٣٤ - وأن تعلم أن الدليل على صدق المدعي للنبوة هو المعجزة والمعجزة فعل يظهر على يدي مدعي النبوة بخلاف العادة في زمان التكليف موافقا لدعواه وهو يدعو الخلق إلى معارضته ويتحداهم أن يأتوا بمثله فيعجزوا عنه فيبين به صدق من يظهر على يده وما من رسول من رسل الله تعالى إلا وقد كان مؤيدا بمعجزة أو معجزات كثيرة تدل على صدقه وقد أخبر الله تعالى عن كثير منها فذكر في قصة موسى عليه السلام فلق البحر وقلب العصا حية واليد البيضاء وفي قصة داود وسليمان تليين الحديد وتسخير الريح والشياطين والطيور وجميع دواب الأرض في البر والبحر وفي قصة عيسى عليه السلام إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وذكر في صفة المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه يدعو مخالفيه إلى معارضة ما اتى به من القرآن أو سورة منه فقال تعالى {فأتوا بسورة من مثله} فكان القرآن." (٢)

"من البشرة عن قوة اللمس ولا يوجد حيوان إلا وفيه قوة اللمس

والحكمة في القوة اللمسية هي أن الحكمة الإلهية لما اقتضت أن يكون حيوان يتحرك بالارادة مركبا من

---

(١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين؟ الأسفراييني، أبو المظفر ص/١٦٨

(٢) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين؟ الأسفراييني، أبو المظفر ص/١٦٩

العناصر وكان لا يؤمن عليه اضرار الأمكنة المتعاقبة عليه عند الحركة أيد بالقوة اللمسية حتى يهرب بها من المكان الغير الملائم ويقصد بها المكان الملائم

ثم يليها من الحواس حاسة الشم ولما كان مثله من الحيوانات لا تستغني جبلته عن التغذي وكان اكتسابه للغذاء بتصرف ارادي وكان من الأطعمة ما لا يوافقه ومنها ما يوافقه أيد بالقوة الشمية اذا كانت الروائح تدل الحيوان على الأغذية الملائمة دلالة قوية

وحاسة الشم قوة مبثوثة في زائدتي الدماغ كحلمتي الثدي ويدرك بها الروائح المختلفة الطيبة منها والكريهة والحامل لها أيضا جسم لطيف في الحلمتين والممد لها الهواء اللطيف لا على أنه ينقل الرائحة من المتروح إلى الحاسة فقط بل على أنه يستحيل إليه بالمجاورة كما يستحيل بمجاورة النار والمبرد والهواء بلطافته أسرع قبولا للروائح منه للحرارة والبرودة وهذه القوة في الحيوانات أشد وأكثر وأول ما يتصل بالجنين بعد قوة اللمس هو قوة الشم ولهذا تحفظ الأم عن الروائح الكريهة وأن لاتشم شيئا من المطعومات إلا أكلته حتى لا يظهر خلل في الجنين وقد يظن أن النملة تحس بحس الشم حبا من الحبوب فتخرج من البيت فتطلبه وتصل اليه وان كان من وراء جدار وليس ذلك شما مجردا بل هو حس وقوة في حس وكيف لا والمطلوب ربما لا تكون له رائحة وقد يعبر كثيرا عن الحس بالشم وفي الخبر الأرواح جنود مجندة تشام كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وإنما المراد بالتشام الاحساس

اما حاسة الذوق فهي أيضا طليعة تعرف الطعوم الموافقة والمنافية وهي قوة." (١)

"وأما حيلة التشكيك فمعناه ان الداعي ينبغي له بعد التأنيس ان يجتهد في تغيير اعتقاد المستجيب بان يزلزل عقيدته فيما هو مصمم عليه وسبيله ان يبتدئه بالسؤال عن **الحكمة في** مقررات الشرائع وغوامض المسائل وعن المتشابه من الايات وكل ما لا ينقدح فيه معنى معقول فيقول في معنى المتشابه ما معنى الر وكهيعص وحم عسق الى غير ذلك من اوائل السور ويقال أترى ان تعيين هذه الحروف جرى وفقا بسبق اللسان او قصد تعيينها لاسرار هي مودعة تحتها لم تصادف في غيرها وما عندي ان ذلك يكون هزلا وعبثا بلا فائدة ويشكك في الاحكام

ما بال الحائض تقضي الصوم دون الصلاة ما بال الاغتسال يجب من المني الطاهر ولا يجب من البول النجس ويشككه في أخبار القرآن فيقول ما بال ابواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة وما معنى قوله

---

(١) معارج القدس في مدارج معرفه النفس؟ أبو حامد الغزالي ص/٤٢

{ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية} وقوله تعالى {عليها تسعة عشر} أفترى ضاقت القافية فلم يكمل العشرين أو جرى ذلك وفاقا بحكم سبق اللسان أو قصدا لهذا التقييد ليخيل أن تحته سرا وأنه في نفسه لسر ليس يطلع عليه إلا الأنبياء والأئمة الراسخون في العلم ما عندي أن ذلك يخلو عن سر وينفك من فائدة كامنة والعجب من غفلة الخلق عنها لا يشمرون عن ساق الجد في طلبها ثم يشككه في خلقة العالم وجسد الآدمي ويقول لم كانت السموات سبعا دون ان تكون ستة او ثماني ولم كانت الكواكب." (١)

"والذي مات طفلا من غير اسلام ومقاساة عبادة بعد البلوغ في درجة دون درجة الذي بلغ واسلم فيقول الذي مات طفلا يا رب لم اخرتني عن اخي المسلم الذي بلغ ومات ولا يليق بكرمك الا العدل وقد منعتني من مزايا تلك الرتبة ولو انعمت علي بها لانتفعت بها ولم تضرك فكيف يليق بالعدل ذلك فيقول له بزعم من يدعي الحكمة انه بلغ واسلم وتعب وقاسى شدائد العبادات فكيف يقتضي العدل التسوية بينك وبينه فيقول الطفل يا رب انت الذي احييته وامتنى وكان ينبغي ان تمد حياتي وتبلغني الى رتبة الاستقلال وتوفقني للآسلام كما وفقته فكان التأخير عنه في الحياة هو الميل عن العدل فيقول له بزعم من يدعي الحكمة كانت مصلحتك في إماتتك في صباك فإنك لو بلغت لكفرت واستوجبت النار فعند ذلك ينادى الكافر الذي مات بعد بلوغه من دركات لظى فيقول يا رب قد عرفت مني أني إذا بلغت كفرت فهلا امتني في صباي فإني قانع بالدرجة النازلة التي انزلت فيها الصبي المتشوق الى درجات العلا وعند هذا لا يبقى لمن يدعي الحكمة في التسوية الا الانقطاع عن الجواب والاجتراء

وبهذا التفاوت يستبين أن الأمر أجل مما يظنون فان صفات الربوبيه لا توزن بموازين الظنون وان الله يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون." (٢)

"وجها إذ العرب تسمي الحذاء خالقا لتقديره بعض طاقات النعل على بعض ولذلك قال الشاعر

ولأنت تفري ما خلقت وبعض ... القوم يخلق ثم لا يفري

فأما اسم المصور فهو له من حيث رتب صور الأشياء أحسن ترتيب وصورها أحسن تصوير وهذا من أوصاف الفعل فلا يعلم حقيقته إلا من يعلم صورة العالم على الجملة ثم على التفصيل فإن العالم كله في حكم شخص واحد مركب من أعضاء متعاونة على الغرض المطلوب منه وإنما أعضاؤه وأجزاؤه السموات والكواكب

---

(١) فضائح الباطنية؟ أبو حامد الغزالي ص/٢٥

(٢) فضائح الباطنية؟ أبو حامد الغزالي ص/١٠٥

والأرضون وما بينهما من الماء والهواء وغيرهما وقد رتبت أجزاؤه ترتيبا محكما لو غير ذلك الترتيب لبطل النظام فخصص بجهة الفوق ما ينبغي أن يعلو وبجهة السفل ما ينبغي أن يسفل وكما أن البناء يضع الحجارة أسفل الحيطان والخشب فوقها لا بالاتفاق بل بالحكمة والقصد لإرادة الإحكام ولو قلب ذلك فوضع الحجارة فوق الحيطان والخشب أسفلها لانهدم البناء ولم تثبت صورته أصلا

فكذلك ينبغي أن يفهم السبب في علو الكواكب وتسفل الأرض والماء وسائر أنواع الترتيب في الأجزاء العظام من أجزاء العالم ولو ذهبنا نصف أجزاء العالم ونحصيها ثم نذكر **الحكمة في** تركيبها لطال الكلام وكل من كان أوفر علما بهذا التفصيل كان أكثر إحاطة بمعنى اسم المصور وهذا الترتيب والتصوير موجود في كل جزء من أجزاء العالم وإن صغر حتى في النملة والذرة بل في كل عضو من أعضاء النملة بل الكلام يطول في شرح صورة العين التي هي أصغر عضو في الحيوان ومن لم يعرف طبقات العين وعددها وهيئاتها وشكلها ومقاديرها وألوانها ووجه **الحكمة فيها** فلن يعرف صورتها ولم يعرف مصورها." (١)

"إلا بالاسم المجمل وهكذا القول في كل صورة لكل حيوان ونبات بل لكل جزء من كل حيوان ونبات تنبيه

حظ العبد من هذا الاسم أن يحصل في نفسه صورة الوجود كله على هيئته وترتيبه حتى يحيط بهيئة العالم وترتيبه كله كأنه ينظر إليها ثم ينزل من الكل إلى التفاصيل فيشرف على صورة الإنسان من حيث بدنه وأعضائه الجسمانية فيعلم أنواعها وعددها وتركيبها **والحكمة في** خلقها وترتيبها ثم يشرف على صفاتها المعنوية ومعانيها الشريفة التي بها إدراكاته وإرادته وكذلك يعرف صورة الحيوانات وصورة النبات ظاهرا وباطنا بقدر ما في وسعه حتى يحصل نقش الجميع وصورته في قلبه وكل ذلك يرجع إلى معرفة صورة الجسمانيات وهي معرفة مختصرة بالإضافة إلى معرفة ترتيب الروحانيات وفيه يدخل معرفة الملائكة ومعرفة مراتبهم وما وكل إلى كل واحد منهم من التصرف في السموات والكواكب ثم التصرف في القلوب البشرية بالهداية والإرشاد ثم التصرف في الحيوانات بالإلهامات الهادية لها إلى مظنة الحاجات

فهذا حظ العبد من هذا الاسم وهو اكتساب الصورة العلمية المطابقة للصورة الوجودية فإن العلم صورة في النفس مطابقة للمعلوم وعلم الله عز وجل بالصور سبب لوجود الصور في الأعيان والصورة الموجودة في الأعيان سبب لحصول الصور العلمية في قلب الإنسان وبذلك يستفيد العبد العلم بمعنى اسم المصور من

---

(١) المقصد الأسنى؟ أبو حامد الغزالي ص/٧٧

أسماء الله سبحانه وتعالى ويصير أيضا باكتساب الصورة في نفسه كأنه مصور وإن كان ذلك على سبيل المجاز فإن تلك الصور العلمية إنما تحدث فيه على التحقيق بخلق الله تعالى واختراعه لا بفعل العبد ولكن العبد." (١)

"النقصان والتعرض للآفات وكذلك علق اليدين من المنكبين ولو علقهما من الرأس أو من الحقو أو من الركبتين لم يخف ما يتولد منه من الخلل وكذلك وضع جميع الحواس في الرأس فإنها جواسيس لتكون مشرفة على جميع البدن فلو وضعها في الرجل اختل نظامها قطعا وشرح ذلك في كل عضو يطول

وبالجملة فينبغي أن تعلم أنه لم يخلق شيء في موضع إلا لأنه متعين له ولو تيامن عنه أو تياسر أو تسفل أو تعلى لكان ناقصا أو باطلا أو قبيحا أو خارجا عن المتناسب كريها في المنظر وكما أن الأنف خلق على وسط الوجه ولو خلق على الجبهة أو على الخد لتطرق نقصان إلى فوائده

وإذا قوي فهمك على إدراك حكمته فاعلم أن الشمس أيضا لم يخلقها في السماء الرابعة وهي واسطة السموات السبع هزلا بل ما خلقها إلا بالحق وما وضعها إلا موضعها المستحق لها لحصول مقاصده منها إلا أنك ربما تعجز عن درك **الحكمة فيه** لأنك قليل التفكر في ملكوت السموات ,الأرض وعجائبها ولو نظرت فيها لرأيت من عجائبها ما تستحقر فيه عجائب بدنك وكيف لا وخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وليتك وفيت بمعرفة عجائب نفسك وتفرغت للتأمل فيها وفيما يكتنفها من الأجسام فتكون ممن قال الله عز وجل فيهم سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ٤١ سورة فصلت الآية ٥٣ ومن أين لك أن تكون ممن قال فيهم وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض ٦ سورة الأنعام الآية ٧٥ وأنى تفتح أبواب السماء لمن استغرقه هم الدنيا واستعبده الحرص والهوى

فهذا هو الرمز إلى تفهيم مبدأ الطريق إلى معرفة هذا الاسم الواحد وشرحه يفتقر إلى مجلدات وكذا شرح معنى كل اسم من الأسامي فإن الأسامي المشتقة من الأفعال لا تفهم إلا بعد فهم الأفعال وكل ما في الوجود من أفعال الله تعالى." (٢)

"وهل خالق العالم واحد أو أكثر من واحد

وإقامة البراهين على أنه لا يصح أن يكون إلا واحدا لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء

---

(١) المقصد الأسنى؟ أبو حامد الغزالي ص/٧٨

(٢) المقصد الأسنى؟ أبو حامد الغزالي ص/٩٩

وما الحكمة في وجود الأشياء على ما هي عليه
وما المكون منها وما المبدع
وما الفرق بين الفاعل على الحقيقة والفاعل على المجاز والفاعل المطلق وما الحكمة في دوران الأفلاك حركة مستديرة غير مستقيمة
وما الواجب وما الممكن وما الممتنع
وكيف صار ما فوق الأربعة الأركان من حيز الواجب وما تحت الأركان من حيز الممكن
وما الموجودات التي أوتيت كمالها في جواهرها وأفعالها وما الموجودات التي لم تؤت كمالها لا في جواهرها ولا في أفعالها فهما طرفان." (١)

"وما الموجودات التي أوتيت كمالها في جواهرها ولم تؤت كمالها في أفعالها فصارت متوسطة بين الطرفين
ولم سكن الصنف الأول فلم تكن له حركة وتحرك الصنفان الآخران
وما الحكمة في وجود النواميس والنبوات في عالم الكون والفساد
وما الفرق بين النبوة والسحر والكهانة والفلسفة
وكيف تفيض قوة الوحي على الأنبياء
وما الفرق بين الإنسان الذي يوحى إليه والذي لا يوحى إليه
ولم صار الإنسان مأمورا منهيا دون غيره
ومل سمي عالما صغيرا وسمي العالم إنسانا كبيرا
وما السياسة وكم أنواعها
فهذه الأمور كلها من خاصة النفس الفلسفية أن تعرفها." (٢)

"الأربعة: إنجيل لوقا، ومارقوس، ويوحنا، ومتى، ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرات بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود، والامتناع منه.
قال كما نقل عنه؛ إني سلمت أن الباري تعالى إلهي وإله الخلق، عالم قادر، ولا يسأل عن قدرته ومشيئته،

---

(١) الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة؟ البطليوسي ص/٥١
(٢) الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة؟ البطليوسي ص/٥٢

وأنه مهما أراد شيئا قال له كن فيكون، وهو حكيم، إلا أنه يتوجه على مساق حكمته١ أسئلة، قالت الملائكة: ما هي؟ وكم هي؟ قال لعنه الله: سبعة.

الأول منها: أنه قد علم قبل خلقي أي شيء يصدر عني ويحصل مني، فلم خلقني أولا؟ وما **الحكمة في** خلقه إياي؟

والثاني: إذ خلقني على مقتضى إرادته ومشيئته؛ فلم كلفني بمعرفته وطاعته؟ وما **الحكمة في** هذا التكليف بعد أن لا ينتفع بطاعة، ولا يتضرر بمعصية؟

والثالث: إذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت وأطعت، فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له؟ وما **الحكمة في** هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي إياه؟

والرابع: إذ خلقني وكلفني على الإطلاق، وكلفني بهذا التكليف على الخصوص، فإذا لم أسجد لآدم، فلم لعنني وأخرجني من الجنة؟ وما **الحكمة في** ذلك بعد أن لم أرتكب قبيحا إلا قولي: لا أسجد إلا لك؟

والخامس: إذ خلقني وكلفني مطلقا، وخصوصا؛ فلم أطع فلعنني وطردني، فلم طرقني٢ إلى آدم حتى دخلت الجنة ثانيا وغررته بوسوستي٣، فأكل من الشجرة المنهي عنها، وأخرجه من الجنة معي؟ وما **الحكمة في** ذلك بعد أن لو منعني من دخول الجنة لاستراح مني آدم، وبقي خالدا فيها؟

---

١ مساق حكمته: يقال "ساقه مساق غيره" عامله معاملة غيره.

٢ طرقني: جعل لي طريقا. والمراد أنت الذي جعلت لي الطريق إليه.

٣ الوسوسة: مرض يحدث من غلبة السوداء. ويختلط معه الذهن، وسوس الشيطان له حدثه بشر.." (١)

"والسادس: إذ خلقني وكلفني عموما، وخصوصا، ولعنني، ثم طرقني إلى الجنة، وكانت الخصومة بيني وبين آدم؛ فلم سلطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يرونني، وتؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر في حولهم وقوتهم، وقدرتهم واستطاعتهم؟ وما **الحكمة في** ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم١ عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين، كان أحرى بهم، وأليق بالحكمة؟

والسابع: سلمت هذا كله: خلقني وكلفني مطلقا ومقيدا، وإذ لم أطع لعنني وطردني وإذ أردت دخول الجنة مكنني وطرقني، وإذ عملت عملي أخرجني ثم سلطني على بني آدم، فلم إذ استمهلته٢ أمهلني، فقلت:

---

(١) الملل والنحل؟ الشهرستاني ١/١٥

{أنظرني إلى يوم يبعثون} ٣، {قال فإنك من المنظرين، إلى يوم الوقت المعلوم} ٤. وما **الحكمة في** ذلك بعد أن لو أهلكني في الحال استراح آدم والخلق مني وما بقي شر ما في العالم؟ أليس بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر؟!

قال: فهذه حجتي على ما ادعيته في كل مسألة.

قال شارح الإنجيل: فأوحى الله تعالى إلى الملائكة عليهم السلام، قولوا له: إنك في تسليمك الأول أني إلهك وإله الخلق غير صادق ولا مخلص، إذ لو صدقت أني إله العالمين ما احتكمت علي بلم، فأنا الله الذي لا إله إلا أنا، لا أسأل عما أفعل، والخلق مسئولون. وهذا الذي ذكرته مذكور في التوراة، ومسطور في الإنجيل على الوجه الذي ذكرته.

وكنت برهة من الزمان أتفكر وأقول: من المعلوم الذي لا مرية فيه أن كل شبهة وقعت لبني آدم؛ فإنما وقعت من إضلال الشيطان الرجيم٥ ووساوسه، ونشأت من

---

١ يحتالهم عنها: يحولهم عنها ويصرفهم.

٢ استمهلته: سألته المهلة.

٣ الأعراف آية ١٤. وأنظرني: أخرني.

٤ الحجر: آية ٣٧، ٣٨.

٥ الرجيم: الملعون المطرود من رحمته تعالى.." (١)

"فاللعين الأول لما حكم العقل على من لا يحكم عليه العقل، لزمه أن يجري حكم الخالق في الخلق، أو حكم الخلق في الخالق. والأول غلو١، والثاني تقصير.

فثار من الشبهة الأولى مذاهب: الحلولية، والتناسخية٢، والمشبهة، والغلاة من الروافض، حيث غلوا في حق شخص من الأشخاص حتى وصفوه بأوصاف الإله.

وثار من الشبهة الثانية مذاهب: القدرية، والجبرية، والمجسمة، حيث قصروا في وصفه تعالى حتى وصفوه بصفات المخلوقين.

فالمعتزلة مشبهة الأفعال، والمشبهة حلولية الصفات، وكل واحد منهم أعور بأي عينيه شاء، فإن من قال:

---

(١) الملل والنحل؟ الشهرستاني ١/١٦

إنما يحسن منه ما يحسن منا، ويقبح منه ما يقبح منا، فقد شبه الخالق بالخلق؛ ومن قال: يوصف الباري تعالى بما يوصف به الخلق، أو يوصف الخلق بما يوصف به الباري تعالى، فقد اعتزل عن الحق. وسنخ[3] القدرية طلب العلة في كل شيء، وذاك من سنخ اللعين الأول؛ إذ طلب العلة في الخلق أولا، **والحكمة في** التكليف ثانيا، والفائدة في تكليف السجود لآدم عليه السلام ثالثا. وعنه نشأ مذهب الخوارج، إذ لا فرق بين قولهم: لا حكم إلا الله ولا نحكم الرجال، وبين قوله: لا أسجد إلا لك، {أأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون} [4] وبالجملة "كلا طرفي قصد الأمور ذميم" فالمعتزلة غلوا في التوحيد بزعمهم حتى وصلوا إلى التعطيل بنفي الصفات. والمشبهة قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الأجسام. والروافض غلوا في النبوة والإمامة حتى وصلوا إلى الحلول. والخوارج قصروا حتى نفوا تحكيم الرجال.

وأنت ترى -إذا نظرت- أن هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين الأول،

---

١ الغلو: التشدد والتصلب حتى مجاوزة الحد.

٢ التناسخية: هم الذين يعتقدون أن النفس الناطقة تنتقل من بدن إلى آخر.

٣ السنخ: بالكسر؛ الأصل.

٤ الآية -قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون- الحجر آية ٣٣. مسنون: متغير.."

(١)

"الباب الخامس: الفلاسفة

مدخل

...

الباب الخامس: الفلاسفة

الفلسفة باليونانية: محبة الحكمة، والفيلسوف هو: فيلا وسوفا، وفيلا هو المحب، وسوفا: الحكمة، أي هو محب الحكمة.

والحكمة قولية، وفعلية:

أما الحكمة القولية، وهي العقلية أيضا، فهي كل ما يعقله العاقل بالحد، وما يجري مجراه، مثل الرسم

---

(١) الملل والنحل؟ الشهرستاني ١/ ١٨

وبالبرهان، وما يجري مجراه، مثل الاستقراء فيعبر عنه بهما.

وأما الحكمة الفعلية فكل ما يفعله الحكيم لغاية كمالية.

فالأول الأزلي لما كان هو الغاية، والكمال، فلا يفعل فعلا لغاية دون ذاته وإلا فيكون الغاية والكمال هو الحامل، والأول محمول، وذلك محال.

فالحكمة في فعله وقعت تبعا لكمال ذاته، وذلك هو الكمال المطلق في الحكمة، وفي فعل غيره من المتوسطات وقعت مقصودا للكمال المطلوب، وكذلك في أفعالنا.

ثم إن الفلاسفة اختلفوا في الحكمة القولية العقلية اختلافا لا يحصى كثرة، والمتأخرون منهم خالفوا الأوائل في أكثر المسائل. وكانت مسائل الأولين محصورة في الطبيعيات، والإلهيات، وذلك هو الكلام في الباري تعالى والعالم، ثم زادوا فيها الرياضيات.

وقالوا: العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: علم ماهية، وعلم كيف، وعلم كم. فالعلم الذي يطلب فيه ماهيات الأشياء هو العلم الإلهي، والعلم الذي يطلب فيه كيفيات الأشياء هو العلم الطبيعي، والعلم الذي يطلب فيه كميات الأشياء هو العلم الرياضي، سواء كانت." (١)

"٥- رأي فيثاغورس ١:

ابن منسارخس من أهل ساميا٢. وكان في زمان سليمان النبي ابن داود عليهما السلام. قد أخذ الحكمة من معدن النبوة. وهو الحكيم الفاضل، ذو الرأي المتين، والعقل الرصين. يدعى أنه شاهد العوالم العلوية بحسه وحدسه، وبلغ في الرياضة إلى أن سمع حفيف الفلك، ووصل إلى مقام الملك، وقال: ما سمعت شيئا قط ألذ من حركاتها، ولا رأيت شيئا أبهى من صورها وهيئاتها.

قوله في الإلهيات:

قال: إن الباري تعالى واحد لا كالآحاد، ولا يدخل في العدد، ولا يدرك من جهة العقل ولا من جهة النفس، فلا الفكر العقلي يدركه، ولا المنطق النفسي يصفه، فهو فوق الصفات الروحانية، غير مدرك من نحو ذاته، وإنما يدرك بآثاره وصنائعه وأفعاله. وكل عالم من العوالم يدركه بقدر الآثار التي تظهر في صنعته، فينعته ويصفه بذلك القدر الذي يخصه من صنعته، فالموجودات في العالم الروحاني قد خصت بآثار خاصة روحانية فتنعته من حيث تلك الآثار، والموجودات في العالم الجسماني قد خصت بآثار خاصة جسمانية

---

(١) الملل والنحل؟ الشهرستاني ١١٦/٢

فتنعته من حيث تلك الآثار. ولا نشك أن هداية الحيوان مقدرة على الآثار التي جبل الحيوان عليها، وهداية الإنسان مقدرة على الآثار التي فطر الإنسان عليها. فكل يصفه من نحو ذاته، ويقدسه عن خصائص صفاته.

ثم قال: الوحدة تنقسم إلى وحدة غير مستفادة من الغير، وهي وحدة الباري تعالى: وحدة الإحاطة بكل شيء وحدة الحكم على كل شيء وحدة تصدر عنها الآحاد في الموجودات والكثرة فيها، وإلى وحدة مستفادة من الغير، وذلك وحدة المخلوقات.

---

١ ولد بين سنتي ٥٨٠، ٥٧٠ ق. م.

٢ هي جزيرة ساموس.." (١)

"٦- رأي سقراط:

سقراط١ بن سفر نيسقوس الحكيم، الفاضل، الزاهد من أهل أثينية. وكان قد اقتبس **الحكمة من** فيثاغورس وأرسالاوس، واقتصر من أصنافها على الإلهيات والأخلاقيات، واشتغل بالزهد ورياضة النفس، وتهذيب الأخلاق، وأعرض عن ملذات الدنيا، واعتزل إلى الجبل، وأقام في غاربه٢.

ونهى الرؤساء الذين كانوا في زمانه عن الشرك وعبادة الأوثان، فثوروا عليه الغاغة وألجأوا ملوكهم إلى قتله، فحبسه الملك، ثم سقاه السم. وقضيته معروفة.

قال سقراط: إن الباري تعالى لم يزل هوية فقط، وهو جوهر فقط. وإذا رجعنا

---

١ جاء في قصة الفلسفة اليونانية س١٠٥ "ولد سقراط في أثينا حوالي سنة ٤٧٠ ق. م من أب يحترف صناعة التماثيل، وأم قابلة. احترف حرفة أبيه ولبث يزاولها حينا قصيرا. ثم ترك هذه المهنة وتخصص للفلسفة التي اعتبرها رسالته في الحياة، وكان يعيش في أثينا مشتغلا بالفلسفة حتى إنهم في نحو سن السبعين بإنكار آلهة اليونان، والدعوة إلى آلهة جديدة، وأنه يفسد عقول الشبان، فحكم عليه بالإعدام وأعدم".

٢ غارب الجبل: أعلاه.." (٢)

---

(١) الملل والنحل؟ الشهرستاني ١٣٢/٢

(٢) الملل والنحل؟ الشهرستاني ١٤١/٢

"١٣- حكم بطلميوس:

وهو صاحب المجسطى الذي تكلم في هيئات الفلك، وأخرج علم الهندسة من القوة إلى الفعل.

فمن حكمه أنه قال: ما أحسن الإنسان أن يصبر عما يشتهي، وأحسن منه أن لا يشتهي إلا ما ينبغي.

وقال: الحليم الذي إذا صدق صبر، لا الذي إذا قذف كظم.

وقال: لمن يغني الناس ويسأل أشبه بالملوك ممن يستغني بغيره ويسأل.

وقال: لان يستغني الإنسان عن الملك أكرم له من أن يستغني به.

وقال: موضع الحكمة من قلوب الجهال، كموقع الذهب والجوهر من ظهر الحمار.

وسمع جماعة من أصحابه وهم حول سرادقه يقعون فيه ويثلبونه١، فهز رمحا كان بين يديه، ليعلموا أنهم بمسمع منهم، وأن يتباعدوا عن قيد رمح، ثم يقولوا ما أحبوا.

وقال: العلم في موطنه كالذهب في معدنه لا يستنبط إلا بالدءوب، والتعب، والكد، والنصب، ثم يجب تخليصه بالفكر، كما يخلص الذهب بالنار.

وقال بطلميوس: دلالة القمر في الأيام أقوى، ودلالة الشمس والزهرة في الشهور أقوى، ودلالة المشتري وزحل في السنين أقوى.

ومما نقل عنه أنه قال: نحن كائنون في الزمن الذي يأتي بعد، وهذا رمز إلى المعاد، إذ الكون والوجود الحقيقي: ذلك الكون، والوجود في ذلك العالم.

---

١ ثلبه: عابه وتنقصه.." (١)

"الفصل الخامس: حكماء الهند

كان لفيثاغورس الحكيم اليوناني تلميذ يدعي قلانوس، قد تلقى الحكمة منه، وتلمذ له، ثم صار إلى مدينة من مدائن الهند، وأشاع فيها مذهب فيثاغورس.

وكان برخمنين رجلا جيد الذهن، نافذ البصيرة، صائب الفكر، راغبا في معرفة العوالم العلوية. قد أخذ من قلانوس الحكيم حكمته، واستفاد منه علمه وصنعته. فلما توفي قلانوس ترأس برخمنين على الهند كلهم، فرغب الناس في تلطيف الأبدان، وتهذيب الأنفس. وكان يقول: أي امرئ هذب نفسه وأسرع الخروج عن

---

(١) الملل والنحل؟ الشهرستاني ١٧٥/٢

هذا العالم الدنس، وطهر بدنه من أوساخه؛ ظهر له كل شيء، وعاين كل غائب، وقدر على كل متعذر، وكان محبورا مسرورا، ملتذا عاشقا، لا يمل ولا يكل، ولا يمسه نصب ولا لغوب.." (١)

"٥- فصل: الأصل الرابع: هو القياس

وهو أدلة العقل١. وهو أصل من أصول الأدلة عندنا في العقليات والسمعيات، ولكنه غير موجب بنفسه بل الموجب والمحسن والمقبح هو الشرع٢.

والعقل آلة للتمييز بين الصحيح والباطل، ولم يكلف الله المعرفة به إلا من له عقل٣ ولكنه تابع للشرع، ولم يلتزم القدرية بشيء من الأصول الأربعة إلا بالعقل إلا أنهم غلوا فيه وجعلوه عمدة أمرهم وأساس بنيانهم وركبوا فيه طرقا وعرة، وجعلوا مات ورد في الكتاب والسنة تابعا لما في عقولهم فإن وافقهم وإلا رموا به٤.

---

١ يقصد بذلك أن القيارس هو الأمر الذي يتوصل إليه باستخدام العقل فيه من غير أن يون هناك نص من الشارع.

٢ سيأتي مزيد إيضاح للتحسين والتقبيح والتعليق على ذلك. انظر: ٢٠٩.

٣ يدل على ذلك قول النبي - صلى الله عليه وسلم-: "رفع القلم عن ثلاثلا عن المجنون المغلوب على عقله، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم". أخرجه د. كتاب الحدود (ب. في المجنون يسرق أو يصيب حدا ٢٢٧/٢، ت. كتاب الحدود (ب. ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد ٣٢/٤، جه. كتاب الطلاق (ب. طلاق المعتوه والصغير ٦٥٨/١، كلهم من حديث علي - رضي الله عنه -، وحسنه الترمذي، وأخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عائشة - رضي الله عنها- أيضا.

٤ قال القاضي عبد الجبار المعتزلي بعد أن ذكر أنواع الدلالة وهي: حجة العقل والكتاب والإجماع قال: "ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل فلأن ما عداها فرع على معرفة الله بتوحيده وعدله، فلو استدللنا بشيء منها على الله والحال هذه كنا مستدلين بفرع للشيء على أصله وذلك لا يجوز، ثم أخذ يفصل في بيان ذلك". انظر: الأصول الخمسة ص ٨٨ وما بعدها.

وهذا في واقع الأمر تعطيل منهم للشرع ورد له وتقديم ما يرتضونه مما زعموا أنه قواعد عقلية يستدلون بها على إثبات وجود الله عزوجل كحلول الحوادث ودلالة الإمكان ونحوها التي جعلوا ما يلزم منها نافيا لما

---

(١) الملل والنحل؟ الشهرستاني ١٠٧/٣

ثبت في الشرع كنفيهم أفعال الله لزعمهم أنها تدل على الحدوث، وكنفيهم للقدر لزعمهم أنه مخالف للعدل والحكمة. وهذه القواعد التي قعدوها يخالفهم فيها كثير من الناس من أصحابهم ومن غيرهم. وهذا يقدح في كونها دليلا عقليا متفقا عليه يمكن أن ينظر إلى الشرع بمنظاره، ثم إنه إذا ثبت صدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم- في قوله إنه مرسل من قبل الله عزوجل سواء بطريق المعجزة أو الفطرة أو دلالة حاله وأحواله أو بما يلقي الله عزوجل في قلوب عباده من الإيمان به – صلى الله عليه وسلم- إذا ثبت هذا لم يبق للعقل مجال لمعارضة الشرع بأي حال من الأحوال، وليس له إلا التسليم والانقياد والخضوع، لأننا لما علمنا صدق المخبر علمنا صدق الخبر، وعلمنا أن الخبر موفق للحق والعدل والحكمة، إذ هو من قبل من هو موصوف بهذه الصفات، كما علمنا أن كل ما يقع في النفس من الـتوهمات التي تخالفه إنما هي من الشيطان أو فساد في النظر وخلل في الاستدلال. هذه هي القضية التي يجب على المعتزلة ومن تابعهم في أصلهم الفاسد بتقديم العقل اتباعها والخضوع لها لا أن يعكسوها لزعمهم أن العقل هو الذي دل على صدق الرسول – صلى الله عليه وسلم- فيجب أن يحكم في كل الأمور الشرعية، فإن هذا باطل فلو وافقناهم على أن العقل وحده هو الذي دل على صدق الرسول – صلى الله عليه وسلم- لم يلزم من ذلك أن يعرض كل ما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم- على العقل، إذ معنى هذا أن العقل هو المشرع وليس الله جل وعلا، بل الذي يلزم من دلالة العقل على صدق الرسول هو تسليم القيادة للرسول – صلى الله عليه وسلم- في كل صغيرة وكبيرة لأن الحق هو ما ثبت أنه نطق به لأنه صادق هذا ما يلزم من ناحية العقل. ولكن المعتزلة ومن تابعهم تمادوا في تقديم العقل وجعلوه حاكما عى الشرع وجلوا الشرع تابعا لا مطبوعا فأتوا بالطامات المخالفة لصريح القرآن والنسة فأولوا القرآن وصرفوا معانيه على حسب أهوائهم وردوا السنة المخالفة لما ظنوا أنه حقا على حسب عقولهم. مع أن العقل الصحيح لا يخالف النقل الصحيح بحال من الأحوال، وكيف يخالفه والشرع إنما هو من عند من خلق العقل، والله جل وعلا طلب من الإنسان أن يستخدم عقله في النظر في الدلائل المواصلة إليه جل وعلا والمعتزلة بأنه الإله الحق، فإذا أيقن الإنسان بأن الله هو الإله الحق وأن هذا الرسول مرسل من قبله لم يكن له إلا التسليم واذعان فإن أدرك بعقله أن ما قال الرسول موافق للحق فهذا خير وإن لم يدرك وجه الحق **والحكمة في** الأمر الشرعي وجب أن يتهم نظره، وعقله لا أن يؤول النصوص أو يردها.

من أراد الاتسزادة في بيان فساد قول المعتزلة ومن تابعهم فليراجع (درء تعارض العقل والنقل) لشيخ الإسلام

١/٨٧/١٠٠.

وبأوسع منه عند ابن القيم في الصواعق المرسلة) حيث استغرق بيان هذا الأمر المجلدان الثالث والرابع.." (١)

"وقد روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: "مر هارون عليه السلام بالسامري وهو يصنع العجل فقال: ما هذا؟ فقال: ينفع ولا يضر، فقال: اللهم أعطه ما سألك على ما في نفسه فخلق الله فيه الخوار فكان إذا خار سجدوا – والخوار من دعوة هارون – فلما رجع موسى – صلى الله عليه وسلم– قال: يا رب من صنع لهم العجل فقال: صنعه السامري فقال: يا رب فمن خلق فيه الخوار، فقال له الله: أنا، فقال موسى: (يا رب إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشلء وتهدي من تشاء"١.

فأضاف موسى س إلى الله٢ الفتنة والإضلال والهداية، وهو أعلم بما يجوز على الله من القدرية.

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: {وفتناك فتونا} قال: "من الفتون إلقاؤه في البحر وهم فرعون بقتله وقتله النفس وخروجه خائفا يترقب"٣ وكل هذا لا مصلحة لموسى فيه، فدل على أن الله يفعل بالعباد ما فيه لهم المصلحة وما لا مصلحة لهم فيه٤، وكذلك قال الله تءالى: {إنا مرسلو الناقة

---

١ ذكر هذا الأثر القرطبي قال: "وروى حماد عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس – رضي الله عنهما – فذكره، ولم يعزه إلى كتاب" انظر: تفسير القرطبي ١١/٢٣٥.

٢ لفظ الجلالة (الله) ليس في – ح –.

٣ أخرج ذلك عنه ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير عنه في قصة طويلة، وروﻻ ابن جرير ذلك أيضا عن مجاهد. انظر: تفسير ابن جرير ١٦/١٦٦.

٤ قول المصنف: "وما لا مصلحة لهم فيه" إن عني أنها لا تظهر لهم في ذلك وجه المصلحة فهذا صحيح فقد تظهر للعباد الحكمة من الفعل والأمر وقد لاتظهر، أما في واقع الأمر فإن الله لا يفعل ولا يأمر ولا يبتلي إلا لحكمة بل غاية الحكمة في فعله وأمره، يدل على هذا وصفه جل وعلا (الحكيم) في آي كثيرة من القرآن الكريم، فإن هذا الوصف يلزم منه أن جميع أفعاله وأوامره ونواهيه لا تصدر إلا عن حكمة بالغة، كما أن وصفه بالعليم والخبير وسائر صفاته يلزم منها كمال العلم وأنه الخبير بكل شيء، وإن أنكرنا ذلك

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار؟ العمراني ١/١١٦

عطلنا هذه الفات وكذلك وصف (الحكيم) من أنكر أنه يفعل (لحكمة) فإنه معطل لهذه الصفة، وهي من صفات كماله جل وعلا، بل نص الله في القرآن في مواضع كثيرة بلام التعليل التي تتدل على الغاية من الأمر والفعل، مثل قوله جل وعلا {وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا} ؟ والأمر كما قال ابن القيم – رحمه الله – "وأما طريقة إنكار الحكم والتعليل ونفي الأوصاف النقتضية لحسن ما أمر به وقبح من نهى عنه وتأثيرها واقتضائها للحب والبغض الذي هو مصدر الأمر والنهي بطريقة جدلية كلامية، لا يتصور بناء الأحكام عليها، ولا يمكن فقيها أن يستعملها في باب واحد من أبواب الفقه، كيف والقرآن وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- مملوآن من تعليل الأحكام بالحكم والمصالح وتعليل الخلق بهما والتنبيه على وجوه الحكم التي لأجلها شرع تلك الأحكام ولأجلها خلق تلك الأعيان، ولو كان هذا في القرآن والسنة نحو مائة موضع أو مائتين لسقنااها ولكنه يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة، فتارة يذكر لام التعليل الصريحة، وتارة يذكر المفعول لأجله الذي هو المقصود بالفعل، وتارة يذكر (من أجل) الصريحة في التعليل وتارة يذكر أداة كي، وتارة يذكر الفاء وأن وتارة يذكر أداة لعل المتضمنة للتعليل المجردة عن معنى الرجاء المضاف إلى المخلوق، وتارة ينبه على السبب وذكره صريحا، وتارة يذكر الأوصاف المشتقة المناسبة لتلك الأحكام ثم يرتبها عليها ترتيب المسببات على أسبابها، وتارة ينكر على من زعم أنه خلق خلقه وشرع دينه عبثا وسدى، وتارة ينكر على من ظن أنه يسوى بين المختلفين الذين يقتضيان أمرين مختلفين، وتارة يخبر بكمال حكمته وعلمه المقتضي أنه لا فرق بين متماثلين ولا يسوى بين مختلفين وأنه ينزل الأشياء منازلها ويرتبها مراتبها، وتارة يستدعي من عباده التفكر والتأمل والتدبر والتعقل لحسن ما بعث به رسوله وشرعه لعباده، كما يستدعي منهم التفكر والنظر في مخلوقاته وحكمها وما فيها من المنافع والمصالح وتارة يذكر منافع مخلوقاته وحكمها وما فيها من المنافع والمصالح، وتارة يذكر منافع مخلوقاته منبها بها على ذلك وأنه لا إله إلا هو، وتارة يختم آيات خلقه وأمره بأسماء وصفات تناسبها وتقتضيها، والقرآن مملوء من أوله إلى آخره بذكر حكم الخلق والأمر ومصالحهما ومنافعهما وما تضمناه من الآيات الشاهدة الدالة عليه، ولا يمكن من له أدنى اطلاع على معاني القرآن إنكار ذلك) ، انتهى. انظر: مفتاح دار السعادة ٢/٢٢، ٢٣.

وقول المصنف: "وكل هذا لا مصلحة لموسى فيه" غير صحيح فإن لموسى عليه السلام مصالح في ذلك وأظهرها وأوضحها أنه بهذا الابتلاء يتبوأ المرتبة العليا عند الله جل وعلا، ولا يتميز أهل الصلاح من غيرهم

إلا بتجاوز الامتحانات والاختبارات التي يختبرهم الله بها وقد قال عليه السلام حين سئل: أي الناس أشد بلاءا قال: "الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل". أخرجه ت. في الزهد ٦٠١/٤، وقال حسن صحيح. حم ١٧٢/١، ١٧٤ من حديث سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – وذلك ليرفعهم الله عنده درجات، وأي مصلحة أعظم من هذه المصلحة، وإن عني المصنف بقوله: "وما لا مصلحة لهم فيه" الرد على المعتزلة القائلين بأن الله يجب عليه فعل الأصلح لعباده، فهذا حق لا مرية فيه؛ لأن الواقع يكذب قول المعتزلة، والله عزوجل لا يجب عليه إلا ما أوجبه على نفسه، ولا يوجد دليل في القرآن أو السنة أن الله أوجب على نفسه فعل الأصلح لعباده فيكون كلام المعتزلة تخرص وقول على الله بلا علم بعباده من كلام الله أو كلام رسوله – صلى الله عليه وسلم-؟ أما ما عدا ذلك فتخرصات وجرأة على الله وقول عليه بغير علم.." (١)

"وللمتفضل أن يترك التفضل بما تفضل به، فلو كلف الله العباد بما يثقل عليهم من العبادات وما لا طاقة لهم به كان ذلك جائزا منه١ ولا يكون ظالما لهم، وكذلك لو لم يثبهم على عمل الطاعة لم يكن ظالما لهم، ولو أثاب من عصاه وأدخله الجنة لم يخرج بذلك عن الحكمة٢، ولكنه سبحانه قد أخبر أنه ثيب المطيعين بفضل منه ويعذب الجاحدين بعدل منه، فاستحقاقه للحكمة، لذاته لا لفعله الحكمة٣، إذ هو موصوف بالحكة قبل أن يفعل الحكمة، وقبل أن يخلق الواصفين له بها، وثبت له أن يتصرف بالعباد كيف شاء لأنهم ملكه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وقالت المعتزلة والقدرية: لا يجوز من الله في الحكمة إلا ما يجوز من الحكيم منا، ولا يجوز أن يوصف الله بتكليف العبد ما لا يطيقه، وقد خلق الله المكلفين تعريضا للمنافع لهم ليصيروا إلى أسنى المنازل، ولا يفعل بهم إلا ما فيه لهم المصلحة، وإن فعل بهم غير ذلك فقد ظلمهم٤.

___

١ في – ح- (وما لا طاقة لهم به لم يكن ظالما لهم وكان جائزا منه) .

٢ تقدم الكلام على ذلك في التعليق على أول هذا الفصل.

(الحكمة) ليست في – ح-.

٤ ما ذكره المصنف هنا من قوله وقول المعتزلة يعود إلى مسألة اختلفت فيها أقوال الناس، وهي مسألة الحكمة والتعليل في أفعال الله ومأموراته والمشهور فيها ثلاثة أقوال:

___

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار؟ العمراني ٢٧٣/١

القول الأول: قول نفاة التعليل والحكمة الذين يقولون إن الله لم يخلق هذا العالم لغاية ولم يخلق شيئا لشيء، وأوامره لا لعلة ولا لداع ولا باعث، بل فعل ذلك لمحض المشيئة والإرادة، وهذا قول الأشعري وأصحابه، وبه قال طوائف من أتباع الأئمة الأربعة منهم القاضي أبي يعلى الحنبلي وابن الزاغوني وغيرهم، ولهذا زعم هؤلاء أن جميع ما يفعله الله بالعباد لا علة فيه ولا حكمة سواء في ذلك من ناحية أمره وشرعه أو من ناحية فعله، فأجازوا من ناحية أمره أن يكلف العبد ما لا يطيق، وزعموا أن الأفعال ليس فيها حسن وقبيح قبل ورود الشرع، لأن الشرع هو المحسن والمقبح للأفعال، كما أجازوا من ناحية فعله أن يعذب الطائع ويثيب العاصي وينصر أعداءه ويخزي أولياءه وليس في ذلك خروج عن الحكمة ولا ظلم لأنه لا توجد حكمة عندهم في الفعل، أما الظلم فإن الظالم عندهم من تصرف بما لا يملك وجه حق - السموات والأرض وما فيهما ملك لله عزوجل فكيفما تصرف فيها فلا ظلم ولا خروج عن الحكمة - وهذا قول باطل فاسد يدل على فساده الشرع والعقل والواقع، فقد نص الله جل وعلا على أنه الحكيم العليم الخبير في آيات كثيرة، فإذا لم تكن الحكمة في أفعاله وأوامره يصبح وصفه بـ الحكيم اسما على غير مسمى ووصفا من غير صفة وهذا باطل، وهو تعطيل لأسماء الله وصفاته جل وعلا.

وقول المصنف هنا: "فاستحقاقه الحكمة لذاته لا لفعله الحكمة" قول باطل لا دليل عليه، وهو تعطيل لهذه الصفة، لأن الحكمة لا تظهر إلا في الفعل والأمر كالكريم والخالق، وهي صفات ذاتية فعلية فهو موصوف بأنه الخالق وأنه الحكيم والكريم قبل وجود الخلق والأمر الدال على الحكمة والكرم، كما أن هذا الكون بكل ما فيه من سماء وأرض وكواكب وحيوان يدل على الحكمة ورحمة بالغة، وهذا ظاهر في التشريعات الإلهية من صلاة وزكاة وحج وصيام، كما هي أظهر في الأمور التي تتعلق بحياة الناس وتنظيمها من الناحية المالية والناحية الاجتماعية والجنايات والحدود، وغير ذلك وما خفي على الناس وجه الحكمة فيه فإن ذلك راجع إلى قصور الأذهان عن إدراك حكمته البالغة جل وعلا.

أما قول هؤلاء إن الله قادر على على أن يوجد العباد صالحين وأن يزيل أسباب الفساد وأن يدخلهم الجنة مباشرة بدون تكليف وما إلى ذلك من القول فإن هذا حق من ناحية قدرته عزوجل فكما قال عن نفسه: {وهو على كل شيء قدير} وهي قدرة مطلقة لايحده شيء ولا يخرج عنها شيء، لكن الخلق خلقوا لغاية وهي كما قال: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون} وقد تقدم ذكر الأقوال في (ليعبدون) والقول الراجح، فهذا يدل على أن الخلق خلقوا للعبادة وهي عبادة مطلوبة

بالاختيار لا بالإكراه، والحياة جعلت للابتلاء ليظهر الصالح من الطالح كما قال عزوجل: {الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا} فمن تصور هذه الغاية من الخلق وهي العبادة الواقعة بالاختيار وأن الطريق إليها ضمن الابتلاء بالأوامر والنواهي ليظهر الصالحون ويتميزوا ويعرف غيرهم ويعرف غيرهم ويتميزوا، من أدرك هذا تمام الإدراك أدرك كثيرا من نواحي حكمة الله البالغة في خلقه الإنسان على هذه الكيفية المناسبة لهذه الغاية، وأدرك **الحكمة من** خلق وإيجاد الأمور الموصلة للخير من بعث الأنبياء وإنزال الكتب وما إلى ذلك، كما يدرك **الحكمة من** إيجاد الأمور الموصلة إلى الشر من خلق إبليس والشهوات والأهواء وما إلى ذلك وبهذا يتبين بطلان هذا القول.

القول الثاني: قول المعتزلة ومن وافقهم الذين قالوا إن هذا العالم إنما خلق لحكمة وعلة وهي حكمة وعلة تعود إلى المخلوق، وهذه الحكمة هي نفع الخلق والإحسان إليهم، هكذا قال المعتزلة وأحسنوا بإثبات الحكمة وأخطأوا خطأ فاحشا بتحديد الحكمة وأنها تعود إلى المخلوق وأنها النفع والإحسان إليه، وبناءأ على هذا القول انحرفوا في نواح كثيرة من مسائل القدر حيث زعموا أن الله ما دام خلق الخلق لينفعهم فإنه يجب عليه أن يفعل بهم كل ما يوصلهم إلى هذه الغاية، فقالوا بوجوب الصلاح والأصلح على الله عزوجل وأتوا بالطامات في هذا الباب، وشرعوا لله طريقا زعموا أنه يجب عليه أن يسلكه مع عباه من ناحية الصلاح والأصلح، ولتقرر هذا الأمر عندهم أنكروا عموم قدرة الله عزوجل، فزعموا أنه لا يقدر أن يهدي ضالا ولا أن يضل مهتديا، كما أنكروا عموم المشيئة وأن العبد هو الذي شاء الكفر أو الإيمان، ومشيئة الله لا تتعلق بهذا الأمر، وأنكروا عموم خلق الله لكل شيء، فقالوا إن العبد يخلق فعله، كما قرروا لأجل قولهم بهذه الغاية من الخلق قاعدة التحسين والتقبيح العقلي، فجعلوا كل ما يحسن في نظر العبد يحسن من الله عزوجل فيجب أن يفعله لأنه خلقه لينفعه، وكل ما يقبح في نظر العبد فإنه يقبح من الله فيجب أن لا يفعله لأنه خلقه لينفعه، ووقعوا بسبب هذا الانحراف في تشبيه فعل الله بفعل خلقه، إذ مدار التحسين والتقبيح عندهم على حسب الحال المشاهد من الإنسان، وهذا غاية في القبح والتحكم في أفعال الله عزوجل وكفى به انحرافا وفسادا، كما أنه على القول بالتحسين والتقبيح العقليين عنهم أنكروا العفو عن المذنب في الآخرة أو إخراجه من النار بالشفاعة أو غيرها، لأن هذا في زعمهم إغراء بالمعصية قبيح لا يفعله الله عزوجل عندهم، وكل قول من هذه الأقوال يدل على انحرافهم في هذا الباب وفساد قولهم إذ الحق يجب أن ينسجم مع جميع لوازمه، وما يترتب عليه باطل فهو باطل.

وهذا القول من المعتزلة في الحكمة والتعليل وما أداهم إليه من الأقوال المخالفة لصريح الشرع هو الذي جعل الأشاعرة ومن تابعهم ينفون الحكمة عن اللهعزوجل، ويقابلون المعتزلة في كل نقطة من نقاط انحرافهم مقابلة الضد، فأنكروا التحسين والتقبيح العقليينن ولم ينزهوا الله عن فعل ولا أمر لعدم الحكمة والغاية في خلقه وأمره عندهم ولأن الجميع ملكه وفي تصرفه، ولو نظر كل فريق من هؤلاء إلى الشرع لدلهم إلى الحق الذي لا يلزم منه اللوازم الفاسدة المخالفة للعقل والشرع في كلا القولين.

القول الثالث: وهو قول أهل السنة الذين هم وسط في الأقوال فقالوا: بأن الله موصوف بانه حكيم فكل ما يصدر عنه جل وعلا إنما يصدر عن حكمة بالغة سواء في ذلك فعله أو أمره، وأن هذه الحكمة ترجع إليه جل وعلا، فهي صفة من صفات ذاته كما أقروا أن الخلق خلق لغاية ولم يخلق سدى ولا عبثا وهذه الغاية هي عبادته، وأقروا بعموم قدرة الله على كل شيء ومشيئته النافذة في كل شيء وأنه الخالق لكل شيء، فعليه نزهوا الله عن إيجاب شريعة عليه يلزمه الالتزام بها ولم يوجبوا عليه إلا ما أوجبه هو جل وعلا على نفسه، كما أقروا له **بالحكمة في** كل فعل وأنه لم يأمر جل وعلا إلا بكل ما هو حسن ولم ينه إلا عن كل ما هو قبيح، كما أقروا بأنه المحمود في كل فعل وأمر، والأدلة على هذا القول ظاهرة بحمد الله في كل صغير وكبير من أمره وفعله.

وقد استقصى الأدلة الدالة على **الحكمة في** الخلق والأمر وأنه المحمود في كل حال، الإمام ابن القيم – رحمه الله – في كتابه: شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل من ص ١٨٦- ٢٠٦، ورد على النافين للحكمة بعد إيراد شبههم من ص ٢٠٦-٢٦٨، وانظر: مفتاح دار السعادة ١/١٨٧- ٣٠٥، وانظر: الأقوال في الحكمة والتءليل في: مفتاح دار السعادة أيضا ٢/٥٩ – ٦٢، والفتاوى لشيخ الإسلام ٨/٨١- ١٥٨. وانظر قول المعتزلة في العدل **والحكمة من** الله وأنه يجب أن يترك القبيح ويفعل الحسن العقلي على وفق ما هو واقع من الإنسان: شرح الأصول الخمسة ص ٣٠١- ٣١٣. انظر قول الأشاعرة ومن وافقهم في: المواقف للإيجي ص ٣٣١، المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى ص ١٠٧، وانظر: لوامع الأنوار البهية ١/٢٨٠-٢٩٠.." (١)

"فالجواب أنا نقول له: إن أرادت أنا قلنا: إن الله خلق فيهم الكفر وألزمهم إياه إلزاما لا محيص لهم عنه، فقد أعنتهم بذلك، فإنا لا نقول ذلك لأنه لم يجبرهم على ذلك، بل نقول وقع الكفر منهم باكتساب

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار؟ العمراني ٢/٤٥٩

منهم وخلق الله ذلك فيهم ولم يعصمهم من الشيطان ولا خل فيهم اللطف الذي خلقه في المؤمنين. وإن أردت أنا قلنا: إن الله أراد عنتهم وهلاكهم في الآخرة بما خلق فيهم من الكفر بكسبهم له فكذا نقول: لأن التوفيق والثواب إفضال منه وإنعام وله ترك الإفضال والإنعام.

ثم قال المخالف: وأما استدلاله بأنه أمر الخلق بأن يسالوه ألا[1] يحملهم ما لا طاقة لهم به، فلا حجة لهم بذلك لأنه يجوز أن يأمر أن يسأله[2] ما يعلم انه لا يفعل خلافه، وهو قوله {رب[3] احكم بالحق}[4].

والجواب: أنا قد بينا أن المراد بهذه الآية أنه أمره أن يسأله تعجيل النصر له عليهم بالحق الذي وعده إياه في الدنيا، ولم يسأله وهو شاك في أنه يحكم بغير الحق وهو الباطل[6،5].

---

١ في – ح– (لئلا) .

٢ في – ح– (أن يأمرهم أن يسألوه) .

٣ في – ح– وهو كقوله (وقل رب) .

٤ الأنبياء آية (١١٢) .

٥ تقدم الكلام على هذه الآية ص ٤٤٠.

٦ كلام المصنف هنا يتعلق بمسألة التكليف بما لا يطاق هل يجوز وقوعه عقلا أم لا، على قولين:

القول الأول: إنه لا يجوز وقوعه عقلا فلا يجوز أن يكلف الله العباد إلا ما هو في طاقتهم، وبه قال المعتزلة وتعليلهم لهذا القول هو ما ذكره المصنف عنهم من أن الله خلق العباد لينفعهم وأنه يجب عليه مراعاة الأصلح لهم، وهو قول ظاهر البطلان إذ لو لم يجز وقوعه لم يتمدح الله بتركه في قوله: {ولو شاء الله لاعنتكم} ولم يأمرنا أن ندعوه بقوله: {ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به} .

القول الثاني: أنه يجوز وقوع التكليف بما لا يطاق، للأدلة التي ذكرها المصنف هنا، ولما تقدم بيانه من مخالفة أهل السنة لقول المعتزلة في مسالة الحكمة والتعليل واللوازم منا، والقائلون بهذا هم أهل السنة ويوافقهم في هذا الأشاعرة، إلا أن الأشاعرة يخالفون أهل السنة في نقاط تتعلق بتكليف ما لا يطاق فإن ما لا يطاق، أنواع:

النوع الأول: هو ما لا يطاق لاستحالته كالجمع بين الضدين، وكأمر الأعمى بنقط المصحف والأخرس بالتكلم ونحوه، فهذا لهم فيه قولان. بعضهم كالرازي قال بجوازه ووقوعه في الشرع، وضربوا لذلك مثلا: أمر

الله عزوجل أبا لهب بالإيمان وقد أخبر أنه لا يؤمن فهو أمره أن يؤمن بأنه لا يؤمن.

وهذا قول باطل، والمثال المضروب لذلك غير صحيح، لأن الخبر إنما كان موجها لمن كان يصدق بهذا وهو النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، ويكون أبو لهب بهذا الخبر وهو أنه {سيصلى نارا ذات لهب} فيمن حقت عليه كلمة العذاب وفرغ منه فلا يطلب منه إيمان، ومن المستحيل أن يدعوه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان وتصديق كلام الله وقد جاء فيه ما جاء، لأن هذا من إضاعة الجهد في غير محله وفيه ما يدل على الشك في الخبر ومخالفة لقوله عزوجل: {أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار} وحاشا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يظن به هذا، فعليه فإن هذا المثال مثال باطل، ويصح لو ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعاء إلى التصديق والإيمان بعد نزول هذه الآية، وهو لا يصح لما تقدم بيانه.

النوع الثاني: ما لا يطاق لا لاستحالته وإنما لتركه والاشتغال بضده. بيان ذلك أن الأشاعرة يقولون إن الاستطاعة مع الفعل ولا تكون قبله، فإذا كلف العاصي بالطاعة حال معصيته فيكون هذا تكليفا بما لا يطاق لاشتغاله بضد الطاعة وهي المعصية، ولا يمكن أن يجمع بين الضدين فصار هذا تكليفا بما لا يطاق لاشتغاله بضد الطاعة والمعصية، ولا تكون أن يجمع بين الضدين فصار هذا تكليفا بما لا يطاق، وهذا النوع أجازوا وقوعه في الشريعة وهو واقع بالنسبة لـكل من اشتغل عن الطاعة بمعصية، وجمهورهم على هذا القول.

وقد تقدم الكلام في الاستطاعة وترجيح أن الاستطاعة تكون مع الفعل وقبله ص ١٦٥ لا كما يزعم الأشاعرة ومن وافقهم أن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل، فعليه يكون هذا النوع لا يعد على الصحيح من تكليف ما لا يطاق، كما أن عده من التكليف بما لا يطاق واعتباره واقعا في الشريعة مخالف للآيات الدالة على رفع الحرج وعدم التكليف بما لا يطاق.

النوع الثالث: ما لا يطاق لعدم القدرة عليه عادة كحمل جبل والطيران في السماء، فهذا أجازوا وقوعه عقلا مع قولهم بأنه لم يقع في الشريعة، وعليه حملوا قوله عزوجل: {ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به} وهذا القول في الواقع راجع إلى قولهم بنفي **الحكمة في** الخلق والأمر.

انظر: هذه الأقوال في: التمهيد للباقلاني ص ٣٨٣- ٣٨٤، الاقتصاد للغزالي ص ١١٢- ١١٣، الإرشاد

للجويني ص ٢٠٤، المواقف للإيجي ص٣٣٠- ٣٣١، المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى ص ١٤٦- ١٤٧، الفتاوى لشيخ الإسلام ٣٠٢/٨.." (١)

"والله سبحانه لا حاجة به١ إلى ما ملك من العباد وأموالهم، فبطل أن يجريا في التصرف مجرى واحدا.

ويقال لهذا المخالف: أجريت الحكم من الله **والحكمة من** الحكيم منا مجرى واحدا، وجمعت بينهما في الحكم من غير علة تقتضي الجمع بينهما، وهذا لا يصح وهذا دأب القدرية في أصولهم الفاسدة، لأنهم شبهوا أفعال المخلوقين وأقوالهم بالله بكونهما غير مخلوقين، وقد قال الله تعالى: {ليس كمثله شيء} ، وهذا يقتضي أنه لا يشبهه شيء بذاته ولا بصفاته، ثم يقال له: حكمة الحكيم منا تقع٢ عن تجربة وعن مشاورة وعن تعلم، ولا يسمى حكيما إلا بعد أن وجدت منه الحكمة، والله سبحانه حكيم لذاته لا عن تجربة ولا عن مشاورة، بل هو موصوف بالحكمة قبل وجود **الحكمة منه**، وقبل وجود الواصف له بالحكمة.

وأما استدلال المخالف: بمن بنى دارا ثم أمر بإحراقها.

فنقول له: لو كان هذا الوصف جاريا على حكم الله لما حسن منه أن يخلق ابن آدم وصوره بأحسن من تصوير البناء في الدار، حتى إذا استكمل بنيانه خرب بناءه فيه وأماته، وقد يخلق الله ابن آدم في بطن أمه، فقبل أن يكمل خلقه يخرجه من بطن أمه، وقد يخرجه من بطن أمه كامل الخلق ميتا، وقد يحييه المدة القريبة ثم يميته٣، والحكيم منا لو ابتدأ بناء دار فعمر

---

١ في - ح- (له) .

٢ في الأصل (الحكمة الحكيم متى تقع) وما أثبت من - ح- وهو الصواب لاستقامة العبارة.

٣ هذا القول من المصنف راجع إلى نفي الحكمة عن الله عزوجل في فعله وأمره، وما ذكر هنا من المثال على إماتة الجنين وهو في بطن أمه وغيره لا ينفي أن يكون لله في ذلك الحكمة البالغة التي يظهر منها بعض الأوجه ويخفى على الإنسان فيها أوجه كثيرة، فمن هذه الأوجه في هذا الأمر بالنسبة لمن لم ينفخ فيه الروح هو إجراء السنة الكونية في الخلق بالتقاء ماء الرجل والمرأة وزوال الأسباب المانعة من الخلق فيتخلق الجنين ويكون ممن لم يقض الله عزوجل أن ينفخ فيه الروح فلا يحيا ويخرج ميتا، وفي ذلك حكمة

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار؟ العمراني ٤٦٣/٢

بالغة لمن عقلها، كما أن الأم تبتلى بالحمل ومتاعبه، فإن كانت مسلمة أجرت على هذا البلاء والمشقة التي تلحقها بسبب الحمل، وإن كانت غير ذلك لم تؤجر على ذلك في الآخرةن وقد تؤجر في الدنيا وقد يكون هناك حكم أخرى بهذا من ابتلاء الأبوين بالسراء والضراء وما يترتب على ذلك من الجزاء والعقاب، أما إن نفخ فيه الروح ثم مات في البطن أو مات بعد الخروج فإن ذلك لا شك لحكمة. ومن أوجه الحكمة ابتلاء الأبوين بالسراء أولا بفرحهما بهذا الجنين ثم ابتلاؤهما بالضراء بسبب موت ابنهما، وابتلاء أمه بالحمل وما تبعه من مشقة وابتلاؤها بالوضع وما يترتب عليه من آلام وأوجاع في أثنائه وبعده، ولله في ذلك أبلغ الحكمة كما أنه سيكون نافعا لوالديه إذا كانا مسلمين في الآخرة بشفاعته لهما، فالله جل وعلا له **الحكمة** **في** كل أمر وفعل وقد تظهر وقد لا تظهر، والغالب أنه يظهر منها للعباد أوجه تزيد المؤمن إيمانا أما الكافر فلا ينظر ولو نظر لم ينتفع وتكون عليه حجة.." (١)

"ويقال١ للقدرية: أليس الحكيم منا لو جمع بين عبيده وجواريه في دار وبيت، وعلم أن بعضهم يزني ببعض لا محالة، لخرج بذلك عن الحكمة ولحقه اللوم من العقلاء، فلا بد أن يقولوا نعم٢.

قيل لهم: فإن الله سبحانه قد جمع بين عبيده وإمائه في دار الدنيا وعلم لا محالة أن بعضهم يزني ببعض وكان قادرا على أن يفرق بينهم في المكان، فهل يعد بذلك سفيها٣ أو يخرج بذلك عن الحكمة.

فإن قالوا: إنما جمع بينهم ليعرضهم لفعل ما أمرهم به في اجتناب ما حرم عليهم من الزنا ويدخلهم بذلك جنته٤.

قلنا: فقد علم أن منهم من لا يمتثل ما أمرهم به من ذلك وكان قادرا على

---

١ في – ح– (وقد يقال) .

٢ يقال: نعم يخرج عن الحكمة إذا لم يكن له غاية بذلك، أما إذا كان له غاية بهذا كأن يبتليهم ويمتحنهم ليؤهلهم إلى مقام أشرف وأعظم فيعلم من يصلح له ممن لا يصلح على وجه يعذر به.

٣ في – ح– (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) .

٤ هذا جواب صحيح فإن الابتلاء بالأوامر والنواهي ليتميز الصالح من غيره وليحيا من حي عن بينة ويهلك

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار؟ العمراني ٢/٤٦٦

من هلك عن بينة، **فالحكمة فيه** ظاهرة إلا أنه يبين أيضا فساد قول المعتزلة في أن الله يجب عليه أن يفعل بعباده الأصلح كما سيأتي من كلام المصنف.." (١)

"٨٤- فصل

ومن الأدلة المذكورة لنا أن الله سبحانه يفعل ما يشاء في العبد وإن لم يكن للعبد فيه مصلحة١ قوله تعالى: {ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما} ٢.

فأخبر سبحانه أنه إنما أملى٣ لهم ليزدادوا إثما، ولم يمل لهم لما فيه خير وصلاح.

فأجاب المخالف القدري، وقال: لا حجة لهذا المستدل بهذه الآية، بل الحجة منها، لأنها وردت مورد الذم للكفار والوعيد، بدليل قوله في آخر الآية: {ولهم عذاب مهين} ٤ لا يذمهم ولا يعذبهم إلا على فعلهم، وحذرهم الاغترار بالإملاء. ولم يكن الإملاء لخير استحقوه عند الله، وإنما أملى لهم ليرجعوا أو يتوبوا في مدة الإملاء٥، فأما قوله: {ليزدادوا إثما} فإن هذه اللام للعاقبة.

والجواب: أنا لا ننكر أنها وردت مورد الذم والوعيد، ولكن لا يدل أنهم خلقوا وأفعالهم في الإثم، بل أفعالهم خلق لله وكسب لهم٦ على ما مضى، وأما قوله: {إنما نملي لهم ليزدادوا إثما} فلا ننكر أنه أمرهم بالتوبة، ولكن

---

١ يرد المصنف في هذا الفصل على المعتزلة في قولهم بوجوب الأصلح. وقد تقدمت الإشارة في التعليق ص ٤٥٧، كما أن في الاية المذكورة هنا والآيات التي يستدل بها المصنف هنا للرد على المعتزلة دليل على إثبات **الحكمة في** أفعال الله.

٢ آل عمران آية (١٧٨) .

٣ في - ح- (يملي) .

٤ في - ح- (أليم) وهو خطأ.

٥ هذا التصريح بالمخالفة من القدري يدل على انحرافه عن الأخذ من صريح القرآن فإن الآية ظاهرة في

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار؟ العمراني ٢/٤٦٨

التعليل بأن الإملاء إنها هو ليزدادوا إثما، ومع ذلك حرفها المخالف بأن الإملاء إنما هو ليرجعوا ويتوبوا.

٦ في الأصل (وكسبهم) وفي – ح– كما أثبت وهو الأولى.." (١)

"خالق الخلق ومالكهم فمن له الخلق والأمر والملك له أن يتصرف في ملكه ومماليكه كما يشاء فجاز أن يأمرهم وينهاهم لينتفعوا بذلك وينالوا خير الدنيا والآخرة وهذا ما لا استحالة به أصلا فجاز إرسالهم

٦٧ – فصل

إرسال الرسل في الحكمة من الواجبات لوجهين

أحدهما أن شكر نعمة المنعم واجب عقلا وشرعا والعقل لا يهتدي لمعرفة ذلك بطريق التفصيل إلا بالسمع والسمع بإرسال الرسل فكان واجبا قضية للحكم

الثاني أن في بعث الرسل إثبات الحجة وقطع الحجة للحكم وتحقيق ما وعد الله عز وجل بالجنة والنار لأنهم لو لم يبعثوا لثبت للكفار حجة في عدم إيمانهم كما قال تعالى {رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما} فإذا كان بعثهم." (٢)

"لهذه الحكمة فيكون واجبا ونعني بالوجوب أن من قضية الحكمة أن يوجد لا محالة لا انه يجب على الله تعالى بإيجابه أو بإيجاب غيره عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا

٦٨ – فصل

رسالة شخص بعينه ليست واجبة يجوز أن يكون ذلك غيره فلا بد من دليل يدل عليه." (٣)

"والإيمان بالميزان، قال الله عز وجل: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة} ١.

المائدة/ ٣٧. وقوله: {لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون} الزخرف/٧٥. وقوله {إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها} البينة/ ٦.

وقد أشار شارح الطحاوية في أبدية النار ودوامها ثمانية أقوال، ما ذكرته من القول بدوامها وبقاء الكفار فيها

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار؟ العمراني ٢/٤٧٦

(٢) أصول الدين؟ الغزنوي، جمال الدين ص/١٢٠

(٣) أصول الدين؟ الغزنوي، جمال الدين ص/١٢١

هو القول الحق الذي تسنده الأدلة، ومن أراد المزيد فليراجع المصدر المذكور ٢/٦٢٤-٦٢٥.

إلا أن أقبح الأقوال وأشدها شذوذا ونكرانا: قول الجهم بن صفوان إمام المعطلة، الذي ذهب إلى القول بفناء الجنة والنار جميعا، وليس له في هذا القول سلف، وأنكر عليه عامة أهل السنة وكفروه به.

انظر: شرح الطحاوية ٢/٦٢١.

١ سورة الأنبياء/ ٤٧. وقال تعالى أيضا {فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون} سورة المؤمنون/ ١٠٢-١٠٣، وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه: " إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضه. وقال: اقرأوا إن شئتم {فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا} الكهف/ ١٠٥". صحيح البخاري، كتاب التفسير، ح ((٤٧٢٩)) ٣/٢٥٧، وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة، ح ((٢٧٨٥)) ٤/٢١٤٧.

وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه: "كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمان ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم " البخاري، كتاب الدعوات، باب ((فضل التسبيح)) ، ح ((٦٤٠٦)) ٤/١٧٣، وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء ح ((٢٦٩٤)) ٤/٢٠٧٢.

فهذه الأدلة وغيرها مما لا يتسع المقام لذكره تدل على أن الميزان حق، وأن له كفتان حسيتان مشاهدتان، توزن فيه أعمال العباد حسنها وسيئها. انظر فتيا وجوابها للإمام أبي العلا الحسن بن أحمد الهمداني ص٩٢، وشرح الطحاوية ٢/٦٠٩.

وقد ذهب المعتزلة وبعض المتكلمين إلى إنكار الميزان زاعمين أن الأعمال أعراض والأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها. انظر التذكرة للقرطبي ص٣٧٧.

وفي الرد على أرباب هذا القول الفاسد الذي يتعارض مع ما ورد من الأدلة الصحيحة الدامغة التي لا تقبل المراء، يقول الإمام ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ: فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام، فإن الله يقلب الأعراض أجساما. . ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال، وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنا. ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فلا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك

أرسل الرسل مبشرين منذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا إطلاع لنا عليه. شرح الطحاوية ٢/٦١٢-٦١٣.." (١)

"فمن عذيري١ من قوم لبسوا عقولهم مقلوبة يتنكبون السبيل ويرتكبون خلاف ما في الإنجيل؟!.

نكتة: قال متى: "سمع يوحنا وهو السجن بأعمال المسيح فأرسل إليه اثنين من تلاميذه، وقال: قولوا له أأنت الآتي أو يرجى آخر؟ فقال يسوع: اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما العمي يبصرون والعرج يمشون، والبرص يطهرون،/ (١/٤٢/ب) والصم يسمعون، والموتى يقومون، فطوبى لمن لم يشك في، فلما ذهب التلميذان قال يسوع: هذا الذي كنت من أجله، هو ذا أنا مرسل ملاكي قدام وجهك ليستهل طريقك، الحق أقول لكم، إنه لم تلد النساء أفضل من يوحنا، والصغير في ملكوت الله أفضل منه، بماذا أشبه هذا الجيل الشرير؟ أشبهه بصبيان يصيحون بإخوانهم قائلين: زمنا لكم فلم ترقصوا، ونحنا لكم فلم تبكوا، جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب، فقالوا: به شيطان، جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب، فقالوا: إنسان أكول شريب خمر خليل العشارين والخطاة، فتبررت **الحكمة في** بينها"٢.

قلت: كيف يعتقد في المسيح الربوبية وهذا نبي الله يحيى بن زكريا يرسل إليه: "أأنت الآتي أو يرجى آخر؟ ". فإن كان هذا الشك من يوحنا لا يقدح في إيمانه ونبوته فالمسيح ليس بإله؛ لأن الشك في الإله كفر. وإن كان المسيح إلها كما يهذي به النصارى فقد كفروا يوحنا هذا. أفتدعي النصارى - ويلهم - أن يحيى بن زكريا كان جاهلا بربه مع قول المسيح: "إن النساء لم تلد أفضل منه؟ ". فشهادة المسيح / (١/٤٣/أ) ليوحنا بأنه أفضل أهل زمانه دليل

---

١ أي: من يلومه على فعله وينجي باللائمة عليه ي بيان فضائح النصارى وسخافاتهم وضعف عقولهم؟ (ر: المصباح المنير ص ٣٩٩) .

٢ متى ١١/٢-١٩، بألفاظ متقاربة وقد اختصر المؤلف بعض النصوص.." (٢)

"بأسره فصبر المسيح ولم ينازع، واستسلم ولم يدافع، فهذه هي **الحكمة في** قتل المسيح وصلبه١.

والجواب أن نقول: أليس قد وافقتم على أن آدم لما ورد عليه العتاب استرجع وتاب وأقلع وأناب؟ وإذا كان

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي؟ المقدسي، عبد الغني ص/١٨٠

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل؟ صالح الجعفري ١٨٢/١

الأمر كذلك فأي شيء / (١/١٤٣/أ) أنفت التوبة من ذنبه حتى يقتل المسيح فداء عنه؟!.
والتائب من الذنب كمن لا ذنب له فصار قتل المسيح عبثا، والرب يتعالى ويتقدس عن العبث، وليس قوله تعالى لآدم نصا، بل هو ظاهر يدخله النسخ والتخصيص والدليل عليه أنه لو وصله بالكلام وقال: إن عصيتني عذبتك إلا أن تتوب، لقبله الكلام ولم ينب عنه، ولعد كلاما حسنا، وإنما ترك الزيادة فلم يصلها بالكلام ليكون أدعى إلى الانكفاف، وهكذا كل ظاهر فإنه يرد مطلقا بلفظ يوهم التأبيد ثم يجيئ الناسخ والمخصص فيبين أن المطلوب وقتا

---

١ هذا هو الأساس الثاني من أسس العقيدة النصرانية المنحرفة، وهو بإيجاز: الاعتقاد بصلب المسيح تكفيرا عن خطيئة آدم التي انتقل إثمها إلى ذريته من بعده.
ومنشأ هذه العقيدة يبينه لنا أرنست ذي بولس الألماني في كتابه: (الإسلام والنصرانية الحقة ص ١٤٢) ، إذ يقول: "إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح، لا من أصول النصرانية الأصلية". اهـ.
ويضيف المؤرخ ول ديورانت بأن عوامل عديدة قد أوحت إلى بولس بتلك العقيدة، منها: انقباض نفس بولس وندمه بالصورة التي استحال إليها المسيح في خياله، وتأثره بالفلسفة الأفلاطونية والرواقية التي تنبذ المادة والجسم واعتبارهما شرا وخبثا. وتأثره كذلك بالطقوس الوثنية في التضحية الفدائية للتكفير عن خطايا الناس، وتلك عقيدة موجودة عند الوثنيين في مصر وآسيا الصغرى وبلاد اليونان التي تؤمن بالآلهة التي ماتت لتفتدي بموتها بني الإنسان. (ر: قصة الحضارة ١١/٢٦٣-٢٦٥، بتصرف) .
ولاستحالة هذه العقيدة ووضوح بطلانها في العقول والفطر السليمة فإنها كانت من أهم الأسباب التي أدت بالمهتدي عبد الأحد داود إلى اعتناقه الإسلام ونبذه النصرانية وتأليفه كتاب: (الإنجيل والصليب) .
(للتوسع، ر: الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢٧٨، وما بعدها، لعبد الرحمن البغدادي، الإنجيل والصليب ص ٦-١٠، ١٢٤-١٢٧، وكتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٤٨-٥٧، وما بعدها للأستاذ محمد طاهر التنير، وكتاب المسيح إنسان أم إله ص ١٣١-١٦٢، المهتدي محمد مجدي مرجان، وغير ذلك ...) .." (١)

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل؟ صالح الجعفري ١/٣٧٢

"وأما ما عابه أيضا من أن المطلقة ثلاثا لا تحل إلا بعد زوج فذلك أيضا له معنى معقول مناسب وذلك أن الطلاق وإن كان الله قد أباحه لنا فهو من قبيل المكروه من غير سبب من حيث التقاطع والتدابر المنهى عنهما ولأجل هذا قال نبينا عليه السلام أبغض الحلال إلى الله الطلاق فأطلق عليه لفظ البغض مشعرا بالكراهة وأطلق لفظ الحلال مشعرا بجوازه فحصل لنا من مفهومه أنه يجوز على كراهة

فإذا تقرر أنه مكروه من الوجه الذي ذكرناه فينبغي ألا يفعل ثم إن فعل ولا بد منه فلا يكثر منه ثم إن كثر منه فلا يزاد على المرتين فإن تعداهما عوقب بأنه لا تحل له إلا بعد زوج فكانت **الحكمة في** ذلك أن الزوج إذا علم أنه إذا أكثر من هذا المكروه الذي هو الطلاق عوقب بتفويت زوجته عليه وتملكها غيره امتنع من تكثير المكروه الذي هو الطلاق ثم لا يظن الجاهل بنا أننا نجبر الزوج الثاني على طلاقها حتى يرجع إليها الأول حاشى لله وإنما الزوج الثاني يملك منها ما يملكه الأول فإن شاء طلقها وإن شاء أمسكها ثم إن طلقها اعتدت منه وجاز للأول أن يتزوجها تزويجا مستأنفا إن شاء ولا يجوز عندنا أن يتزوجها الثاني ليحللها للزوج الأول فإن فعل كان نكاحه فاسدا وهو الذي نسميه المحلل وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له

فإن سماه مسم تيسا فعلى جهة الذم لفعله

فإذا تقرر هذا المعنى الذي لا يمنعه العقل ولا تنافيه مكارم الأخلاق بل هو على منهاجها وعلى سنتها فكيف ينبغي لعاقل منصف غير متواقح ولا متعسف أن يتقول علينا أنا نقول لا يحل لزوجها مراجعتها إلا أن تزنى ولو كنت يا هذا من أهل العقل الذين تبرأوا عن السفه والجهل لما كنت تشبه نكاحا على وفق شريعة صحيحة بحسب دلالة أدلتها القاطعة مع أن هذا النكاح وقع بولى ومهر وشهود وإعلان بنكاح الزنا الذي ليس فيه ولى ولا مهر ولا شهود ولا إعلان وإنما يقع الزنا مخالفا للشرائع عريا عن الشهود والولي مستورا فهذا تشبيه يدل على عناد وتمويه." (١)

". . . . .

= تكن، لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقبا في الآخرة إذا لم يرد شرع بذلك، وهذا ما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح، فإنهم قالوا: إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة، ولو لم

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام؟ شمس الدين القرطبي ص/٢٢٤

يبعث الله لهم رسولا، وهذا خلاف النص قال تعالى: {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} [الإسراء: ١٥].
النوع الثاني: أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسنا، واذا نهى عن شيء صار قبيحا، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع.
النوع الثالث: أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد، هل يطيعه أم يعصيه، ولا يكون المراد فعل المأمور به، كما أمر إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - بذبح ابنه: {فلما أسلما وتله للجبين} [الصافات: ١٠٣]، حصل المقصود، ففداه بالذبح .... **فالحكمة منشؤها** من نفس الأمر لا من نفس المأمور به. وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة، وزعمت أن الحسن والقبح لا يكون إلا لما هو متصف لذلك بدون أمر الشارع، والأشعرية ادعوا أن جميع الشريعة من قسم الامتحان، وأن الأفعال ليست صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع، وأما الحكماء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة، وهو الصواب)، انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٣٤ - ٤٣٦).." (١)

"فصل (٤٤)

واعلم أن حكم الله في الأصول والفروع (١) واحد، أما الأصول فلا يصح ولا يجوز وقوع الاختلاف فيه، والخلاف فيه كفر (٢)؛ لاستحالة التغيير (٣) فيها.
وأما الفروع فمن حيثية الحكم هو كذلك؛ لأن حكم الله تعالى هو صفته، والصفة لا يقع الاختلاف فيها، ولا يجوز تغيرها (٤)، [و] (٥) من حيثية تعلق المحكوم عليه بها قد يظهر تغيرها (٦) بتغيره، ويكون مقيدا بتغيره تارة في نفس الأمر، وتارة مطلقا، فإن قيل: الخلاف واقع لا محالة، وقد أخبر الله تعالى به، فلا يتصور عدمه، قلنا: لا يتصور عدمه في الوقوع، وأما في الحكم فلا؛ لأن الحق واحد لا (٧) يتصور تغيره (٨) ولا زواله، ولا المثنوية فيه، **والحكمة في** وقوعه ووجوده؛ تميز الحق من الباطل، وتعلق الثواب والعقاب به، وبيان الدرجات (٩) فيه من

---

(١) في (ن): (الفرع).
(٢) سبق بيان هذه المسألة.
(٣) في (ظ) و (ن): (التغير).

---

(١) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد؟ ابن العطار ص/٢١٦

(4) في (ظ) و (ن): (تغييرها).

(٥) في (ظ) و (ن) وليست في (ص).

(٦) في (ظ) و (ن): (بغيرها).

(٧) في (ظ) و (ن): (ولا).

(٨) في (ظ) و (ن): (تغييره).

(٩) في (ن): (للدرجات).." [١]

"خامسا نقول لهؤلاء قد ورد في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليله إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له رواه البخاري ومسلم وغيرهما فكيف نأخذ بظاهر هذا الخبر مع أن الليل مختلف باختلاف المشارق والمغارب فإذا كان ينزل لأهل كل أفق نزولا حقيقيا في ثلث ليلهم الأخير فمتى يستوي على عرشه حقيقة كما تقولون ومتى يكون في السماء حقيقة كما تقولون مع أن الأرض لا تخلو من الليل في وقت من الأوقات ولا في ساعة من الساعات كما هو ثابت مسطور لا يماري فيه إلا جهول مأفون

سادسا نقول لهؤلاء ما قاله حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى ونصه نقول للمتشبث بظواهر الألفاظ إذا كان نزوله إلى سماء الدنيا ليسمعنا نداء فما أسمعنا نداءه فأي فائدة في نزوله ولقد كان يمكنه أن ينادينا كذلك وهو على العرش أو على السماء العليا فلا بد أن يكون ظاهر النزول غير مراد وأن المراد شيء آخر غير ظاهر وهل هذا إلا مثل من اراد وهو بالمشرق إسماع شخص في المغرب فتقدم إلى المغرب بخطوات معدودة وأخذ يناديه وهو يعلم أنه لا يسمع نداءه فيكون نقله للأقدام عملا باطلا وسعيه نحو الغرب عبثا صرفا لا فائدة فيه وكيف يستقر هذا في قلب عاقل

الشبهة الثانية ودفعها

نقل السيوطي عن بعضهم أنه قال ما **الحكمة في** إنزال المتشابه ممن أراد لعباده البيان والهدى قلنا إن كان أي المتشابه مما يمكن علمه فله فوائد منها الحث للعلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه فإن استدعاء الهمم لمعرفة ذلك من أعظم القرب ومنها ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات إذ لو كان

---

(١) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد؟ ابن العطار ص/٣٨٧

كله محكما لا يحتاج إلى تأويل لاستوت منازل الخلق ولم يظهر فضل العالم على غيره
وإن كان أي المتشابه مما لا يمكن علمه أي استأثر الله تعالى بعلمه فله فوائد منها ابتلاء العباد بالوقوف عنده والتوقف فيه والتفويض والتسليم والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة كالمنسوخ وإن لم يجز العمل بما فيه وإقامة الحجة عليهم لأنه لما نزل بلسانهم ولغتهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم." (١)

"الفصل الأول في نقل المذاهب في هذه المسألة

قال المؤلف الرافضي ذهبت الإمامية إلى أن الله عدل حكيم لا يفعل قبيحا ولا يظلم وأنه رءوف بالعباد يفعل لهم ما هو الأصلح لهم إلى أن قال ثم أردف الرسالة بعد موت الرسول بالإمامة فنصب أولياء معصومين ليأمن الناس من غلطهم وسهوهم ولئلا يخلي الله العالم من لطفه ورحمته وأنه لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم قام بثقل الرسالة ونص على أن الخليفة من بعده علي ثم من بعد علي ولده الحسن ثم على ولده الحسين ثم على علي بن الحسين ثم على محمد ثم على جعفر ثم على موسى بن جعفر ثم على علي بن موسى ثم على محمد بن علي الجواد ثم على علي بن محمد الهادي ثم على الحسن بن علي العسكري ثم على الحجة محمد بن الحسن
وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت إلا عن وصية بالإمامة
وأهل السنة ذهبوا إلى خلاف ذلك كله فلم يثبتوا العدل **والحكمة في** أفعاله تعالى وجوزوا عليه فعل القبيح والإخلال بالواجب وأنه تعالى لا يفعل لغرض بل أفعاله كلها لا لغرض من الأغراض ولا لحكمة وأنه يفعل الظلم والعبث وأنه لا يفعل الأصلح لعباده بل ما هو الفساد في الحقيقة كفعل المعاصي وأنواع الكفر فجميع أنواع الفساد الواقعة في العالم مسندة إليه
وأن المطيع لا يستحق ثوابا والعاصي لا يستحق عقابا قد يعذب النبي ويثيب إبليس وفرعون
وأن الأنبياء غير معصومين بل قد يقع منهم الخطأ والفسق والكذب
وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينص على إمامة بل مات عن غير وصية وأن الإمام بعده أبو بكر بمبايعة عمر وبرضا أربعة أبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة وأسيد بن حضير وبشير بن سعد

---

(١) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل؟ ابن جماعة، بدر الدين ص/٦٨

ثم من بعده عمر بنص أبي بكر

ثم عثمان." (١)

"بالذات والبدن تبعا فيكون البدن في لحد أضيق من ذراع وقد فسح له مد بصره تبعا لروحه وأما عصرة القبر حتى تختلف بعض أجزاء الموتى فلا يرده حس ولا عقل ولا فطرة ولو قدر أن أحدا نبش عن ميت فوجد أضلاعه كما هى لم تختلف لم يمنع أن تكون قد عادت إلى حالها بعد العصرة فليس مع الزنادقة والملاحدة إلا مجرد تكذيب الرسول

ولقد أخبر بعض الصادقين أنه حفر ثلاثة أقبر فلما فرغ منها اضطجع ليستريح فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبر فقال أحدهما لصاحبه اكتب فرسخا في فرسخ ثم وقف على الثانى فقال اكتب ميلا في ميل ثم وقف على الثالث فقال اكتب فترا في فتر ثم انتبه فجيء برجل غريب لا يؤبه له فدفن في القبر الأول ثم جيء برجل آخر فدفن في القبر الثانى ثم جيء بامرأة مترفة من وجوه البلد حولها ناس كثير فدفنت في القبر الضيق الذى سمعه يقول فترا في فتر والفتر ما بين الإبهام والسبابة

فصل الأمر الخامس أن النار التي في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا

ولا من زروع الدنيا فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها وإنما هى من نار الآخرة وخضرها وهى أشد من نار الدنيا فلا يحس به أهل الدنيا فان الله سبحانه يحمى عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحته حتى يكون أعظم حرا من جمر الدنيا ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنت الآخر وهذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلى جاره وذلك في روضة من رياض الجنة لا يصل روحها ونعيمها إلى جاره

وقدرة الرب تعالى اوسع وأعجب من ذلك وقد أرانا الله من آيات قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما إلا من وفقه الله وعصمه

فيفرش للكافر لوحان من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور فاذا شاء الله سبحانه أن يطلع على ذلك بعض عبيده اطلعه وغيبه عن غيره إذ لو طلع العباد كلهم لزالت كلمة التكليف والإيمان بالغيب ولما تدافن الناس كما في الصحيحين عنه لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع ولما كانت هذه **الحكمة منفية** في حق البهائم سمعت ذلك وادركته كما حادت برسول الله بغلته وكادت

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال؟ الذهبي، شمس الدين ص/٣٢

تلقيه لما مر بمن يعذب في قبره

وحدثنى صاحبنا أبو عبد الله محمد بن الرزيز الحرانى أنه خرج من داره بعد العصر بآمد إلى بستان قال فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور فاذا بقبر منها وهو جمرة." (١)

"المسألة الثامنة وهي قول السائل ما **الحكمة فيكون** عذاب القبر لم يذكر

في القرآن مع شدة الحاجة إلى معرفته والإيمان به ليحذر ويتقى فالجواب من وجهين مجمل ومفصل أما المجمل فهو أن الله سبحانه وتعالى أنزل على رسوله وحيين وأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة وقال تعالى {وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة} وقال تعالى هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكم من آيات الله والحكمة

والكتاب هو القرآن والحكمة هى السنة باتفاق السلف وما أخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والإيمان به كما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم وقد قال النبي إنى أوتيت الكتاب ومثله معه

وأما الجواب المفصل فهو أن نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في غير موضع فمنها قوله تعالى ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون وهذا خطاب لهم عند الموت وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم اليوم تجزون

ومنها قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم القيامة تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب فذكر عذاب الدارين ذكرا صريحا لا يحتمل غيره ومنها قوله تعالى فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وإن للذين ظلموا عذابا دون ولكن أكثرهم لا يعلمون وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر لأن كثيرا منهم مات ولم يعذب في الدنيا وقد يقال وهو أظهر أن من مات منهم عذب في البرزخ ومن بقى منهم عذب في الدنيا بالقتل وغيره فهو وعيد بعذابهم في الدنيا

---

(١) الروح؟ ابن القيم ص/٦٦

وفي البرزخ

ومنها قوله تعالى {ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون}." (١)

"وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة وهو كفر.

فإن قيل: فما الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس أولا؟ فالجواب - والله أعلم -: أنه كان ذلك إظهارا لصدق دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم المعراج حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس فنعته لهم وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك، إذ لا يمكن اطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس، فأخبرهم بنعته.

وفي حديث المعراج دليل على ثبوت صفة العلو لله تعالى من وجوه، لمن تدبره، وبالله التوفيق.

[ذكر الحوض]

[ذكر الحوض وصفته]

قوله: (والحوض - الذي أكرمه الله تعالى به غياثا لأمته - حق) .

ش: الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيا، ولقد استقصى طرقها شيخنا الشيخ عماد الدين بن كثير، تغمده الله برحمته، في آخر تاريخه الكبير، المسمى ب " البداية والنهاية "..." (٢)

"بل الحكمة في هذا التفاوت العظيم الذي بين الأشياء، وليس في خلق كل نوع منها تفاوت، فكل نوع منها ليس في خلقه تفاوت، والتفاوت إنما وقع لأمور عدمية لم يتعلق بها الخلق، وإلا فليس في الخلق من تفاوت. فإن اعتاص عليك هذا، ولم تفهمه حق الفهم، فراجع قول القائل:

إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع،

فإن قيل: كيف يرضى لعبده شيئا ولا يعينه عليه؟ قيل: لأن إعانته عليه قد تستلزم فوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضيها له، وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي أكره إليه سبحانه من محبته لتلك الطاعة. وقد أشار تعالى إلى ذلك في قوله: {ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة

---

(١) الروح؟ ابن القيم ص/٧٥

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط؟ ابن أبي العز ١/٢٧٧

ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم} [التوبة: ٤٦] (التوبة: ٤٦ - ٤٧) . الآيتين. فأخبر سبحانه أنه كره انبعاثهم إلى الغزو مع رسوله، وهو طاعة، فلما كرهه منهم ثبطهم عنه، ثم ذكر سبحانه بعض المفاسد التي تترتب على خروجهم مع رسوله، فقال: {لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا} [التوبة: ٤٧] ، أي فسادا وشرا، {ولأوضعوا خلالكم} [التوبة: ٤٧] ، أي سعوا بينكم بالفساد والشر، {يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم} [التوبة: ٤٧] (التوبة: ٤٧) ، أي قابلون منهم مستجيبون لهم،." (١)

"فيتولد من سعي هؤلاء وقبول هؤلاء من الشر ما هو أعظم من مصلحة خروجهم، فاقتضت الحكمة والرحمة أن أقعدهم عنه. فاجعل هذا المثال أصلا، وقس عليه.

وأما الوجه الثاني، وهو الذي من جهة العبد: فهو أيضا ممكن، بل واقع. فإن العبد يسخط الفسوق والمعاصي ويكرهها، من حيث هي فعل العبد، واقعة بكسبه وإرادته واختياره، ويرضى بعلم الله وكتابه ومشيئته وإرادته وأمره الكوني، فيرضى بما من الله ويسخط ما هو منه. فهذا مسلك طائفة من أهل العرفان. وطائفة أخرى كرهتها مطلقا، وقولهم يرجع إلى هذا القول، لأن إطلاقهم الكراهة لا يريدون به شموله لعلم الرب وكتابته ومشيئته. وسر المسألة: أن الذي إلى الرب منها غير مكروه، والذي إلى العبد مكروه.

فإن قيل: ليس إلى العبد شيء منها. قيل: هذا هو الجبر الباطل الذي لا يمكن صاحبه التخلص من هذا المقام الضيق، والقدري المنكر أقرب إلى التخلص منه من الجبري. وأهل السنة المتوسطون بين القدرية والجبرية أسعد بالتخلص من الفريقين.

فإن قيل: كيف يتأتى الندم والتوبة مع شهود **الحكمة في** التقدير، ومع شهود القيومية والمشيئة النافذة؟ قيل: هذا هو الذي أوقع من عميت بصيرته في شهود الأمر على خلاف ما هو عليه، فرأى تلك الأفعال." (٢)

"وقوله: فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين.

[مبنى العبودية والإيمان على التسليم]

اعلم أن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله - على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل **الحكمة في** الأوامر والنواهي والشرائع. ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي صدقت بنبيها وآمنت بما جاء به، أنها

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط؟ ابن أبي العز ٣٣٣/١

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط؟ ابن أبي العز ٣٣٤/١

سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه وبلغها عن ربها، ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت وسلمت وأذعنت، وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته، ولا جعلت ذلك من شأنها، وكان رسولها أعظم عندها من أن تسأله عن ذلك، كما في الإنجيل: يا بني إسرائيل لا تقولوا: لم أمر ربنا؟ ولكن قولوا: بم أمر ربنا، ولهذا كان سلف هذه الأمة، التي هي أكمل الأمم عقولا ومعارف وعلوما - لا تسأل نبيها: لم أمر الله بكذا؟ ولم نهى عن كذا؟ ولم قدر كذا؟ ولم فعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام، وأن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم. فأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأمورا، بحيث لا يتوقف الإتيان به على معرفة حكمته - فإن ظهرت له فعله وإلا عطله، فإن هذا ينافي الانقياد، ويقدح في الامتثال.

قال القرطبي ناقلا عن ابن عبد البر: فمن سأل مستفهما راغبا في." (١)

"فجعل الحسنات من عند الله، كما جعل السيئات من عند الله، وهم لا يقولون بذلك في الأعمال، بل في الجزاء. وقوله بعد هذا: " {ما أصابك من حسنة} [النساء: ٧٩] " " ومن سيئة "، مثل قوله: " {وإن تصبهم حسنة} [النساء: ٧٨] " " {وإن تصبهم سيئة} [النساء: ٧٨] ".

وفرق سبحانه وتعالى بين الحسنات التي هي النعم، وبين السيئات التي هي المصائب، فجعل هذه من الله، وهذه من نفس الإنسان، لأن الحسنة مضافة إلى الله، إذ هو أحسن بها من كل وجه، فما من وجه من أوجهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه، وأما السيئة، فهو إنما يخلقها لحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وخير.

[لا يخلق الله شرا محضا]

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الاستفتاح: «والخير كله بيديك، والشر ليس إليك» . أي: فإنك لا تخلق شرا محضا، بل كل ما يخلقه ففيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، فهذا شر جزئي إضافي، فأما شر كلي، أو شر مطلق -: فالرب سبحانه وتعالى منزه عنه. وهذا هو

---

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط؟ ابن أبي العز ٣٤١/١

الشر الذي ليس إليه.

ولهذا لا يضاف الشر إليه مفردا قط، بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات، كقوله تعالى: {الله خالق كل شيء} [الزمر: ٦٢] {كل من عند الله} [النساء: ٧٨] وإما أن يضاف إلى السبب، كقوله: {من شر ما خلق} [الفلق: ٢] وإما أن يحذف فاعله، كقول الجن: وأنا." (١)

"التي فوقه وتحته حتى يكون أعظم حرا من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها. بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا في حفرة من النار، وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه. وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما. وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير. وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه وغيبه عن غيره، ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع» . ولما كانت هذه **الحكمة منتفية** في حق البهائم سمعت [ذلك] وأدركته.

[سؤال منكر ونكير]

وللناس في سؤال منكر ونكير: هل هو خاص بهذه الأمة أم لا ثلاثة أقوال: الثالث التوقف، وهو قول جماعة، منهم أبو عمر بن عبد البر، فقال: وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها» - منهم من يرويه تسأل، وعلى هذا." (٢)

"لا موت» . ورواه البخاري بمعناه. فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان. والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.

فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان.

ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال! ! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم

---

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط؟ ابن أبي العز ٥١٧/٢

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط؟ ابن أبي العز ٥٨١/٢

يوم القيامة وزنا. ولو لم يكن من **الحكمة في** وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فلا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين. فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه. فتأمل قول الملائكة، لما قال الله لهم: {إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون} [البقرة: ٣٠]." (١)

"الباب، فإن كثيرا من المجتهدين المتعبدين سمعوا بالسلف الصالحين المتقدمين، وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات، فنفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك، ويحبون أن يرزقوا شيئا منه، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب، متهما لنفسه في صحة عمله، حيث لم يحصل له خارق، ولو علموا بسر ذلك لهان عليهم الأمر، فيعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك بابا، **والحكمة فيه** أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة - يقينا، فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا، والخروج عن دواعي الهوى. فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة، فهي كل الكرامة.

ولا ريب أن للقلوب من التأثير أعظم مما للأبدان، لكن إن كانت صالحة كان تأثيرها صالحا، وإن كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدا. فالأحوال يكون تأثيرها محبوبا لله تعالى تارة، ومكروها لله أخرى.

وقد تكلم الفقهاء في وجوب القود على من يقتل غيره في الباطن. وهؤلاء يشهدون ببواطنهم وقلوبهم الأمر الكوني، ويعدون مجرد خرق العادة لأحدهم أنه كرامة من الله له، ولا يعلمون أنه في الحقيقة إنما الكرامة لزوم الاستقامة، وأن الله تعالى لم يكرم عبدا بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه، وهو طاعته وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه. وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون} [يونس: ٦٢] .." (٢)

"فإذا عرفت هذا فانظر كيف يمكن أن يتغير المني المستوي إلى تلك الأمور المختلفة المحكمة البديعة الاحكام العجيبة الصنعة وهل ذلك إلا بمنزلة تجويز أن يصير المداد مصحفا معربا لا غلط فيه ولا لحن بطبع المداد من غير كاتب عالم بل احكام الانسان أبلغ وأعجب وقد رأيت كم جمع في الأنملة الواحدة من الاصابع من الاشياء المختلفة فوضع فيها جلدا ولحما وعصبا وشحما وعروقا ودما ومخا وعظما

---

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط؟ ابن أبي العز ٦١٣/٢

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط؟ ابن أبي العز ٧٤٨/٢

وبلة وظفرا وشعرا وبضعة عشر شيئا غير ذلك كل واحد منها يخالف الآخر قدرة وحياة واستواء وارتفاعا وانحدارا وخشونة ولينا وحرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة وصلابة ورخاوة ثم خلق في بعضها الحياة دون بعض كالشعر والظفر والعظم وجعلها مدركة لأمور شتى كالحرارة والبرودة واللين والخشونة والقلة والكثرة والرطوبة واليبوسة ومن لطيف الحكمة فيها اختلافها في الطول والقصر حتى تستوي عند القبض على الأشياء فتقوى بالاستواء وهذا مما تخفى فيه الحكمة جدا أعني كون الاختلاف في ذلك سبب الاستواء عند القبض ولذلك خصت بالذكر في قوله تعالى {بلى قادرين على أن نسوي بنانه} {فتبارك الله أحسن الخالقين} وقد أشار الله تعالى إلى بطلان مذهب الطبائعيين بهذا المعنى ونبه عليه سبحانه وتعالى حيث قال في كلامه الكريم {وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون} وآخر الآية دليل على أن العقل يدرك بذلك بطلان قول أهل الطبائع

ومما يدل عليه عافية كثير من المرضى بعد غلبة العلة وقوتها وضعف أسباب العافية ويأس الطبيب من العلاج فقد ذكر الأطباء أن الطب لا ينفع في بعض تلك الأحوال فيتأمل ذلك كثيرا ففيه شفاء لما في الصدور وقد وقعت في ذلك فقلت فيه." (١)

"ما لم يكونوا يحتسبون) فإن نفرت النفس من الايمان ببعص المحارات وتوهمت أنه من المحالات كثبوت القدم الذي لا نعرفه إلا بالتصديق أو ثبوت الحكمة في العذاب وخلق أهله فسيأتي الجواب في ذلك في اثبات حكمة الله تعالى

ومن أنفع ما يدفع الحيرة به أنه لابد من لزوم المحارة في العقول على كل تقدير والاسلام أقل المحارات من جميع الملل الكفرية وبالاسلام تندفع كلها وتخرج العقول من الظلمات إلى النور وانظر إلى هذا العالم المحسوس بالضرورة تجد المحارة العقلية لازمة لوجوده لأنه لا يخلو بالضرورة من الحدوث أو القدم فالقدم من محارات العقول والحدوث من غير محدث من محاراتها بل من محالاتها فالمحارات أقرب من المحالات لأن الممكن البعيد أقرب من الممتنع ولا ثالث لهذين الأمرين إلا الاسلام وإلى هذا أشار من قال

(صورة الكون محال ... وهي حق في الحقيقة)

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/٤٩

لكنه أخطأ في تسمية المحارة محالا فإن كانت المحارة لازمة للإسلام فهي لما عداه ألزم فإن كان هذا اللزوم حقا فالمحارة حق والحق لا يستوحش منه وإن كان باطلا فالباطل حقيق لا يستوحش من خشيته لأنه لا شيء حقيقة فكيف الخوف من لا شيء فمن لم يثبت الرب قديما أثبت العالم قديما ومن لم يثبت له أسماءه الحسنى بلا سبب أثبت الاحكام العجيب للعالم بلا سبب ومن لم يثبت الرب بكماله بلا سبب أثبت العالم بأحكامه وعجائبه بلا سبب ومن لم يقبل الايمان بالبرهان والقرآن قبل الكفر بلا قرآن ولا برهان وإلى هذا آشار رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله) وأمرنا بالاستعاذة والانتهاء حينئذ لأنه يقال للكافر فإذا أمكن وجود العالم بغير خالق فأولى منه وجود الرب بغير خالق ودل على أنه لابد من انتهاء الموجودات الممكنة إلى واجب الوجود عز وجل." (١)

"أما الأمر الأول وهو اختلافهم في ماهيتهما فمنهم من قال المحكم ما لا يحتمل إلا معنى واحدا والمتشابه ما احتمل أكثر من معنى فهؤلاء رجعوا بالمحكم إلى النص الجلي وما عداه متشابه وعزاه الامام يحيى إلى أكثر المتكلمين وطوائف من الحشوية ومنهم من قال المحكم ما كان إلى معرفته سبيل والمتشابه ما لا سبيل إلى معرفته بحال نحو قيام الساعة **والحكمة في** العدد المخصوص في حملة العرش وخزنة النار ومنهم من قصر المتشابه على آيات مخصوصة ثم اختلفوا فمنهم من قال هي الحروف المقطعة في أوائل السور ومنهم من قال آيات الشقاوة والسعادة ومنهم من قال المنسوخ ومنهم من قال القصص والامثال ومنهم عكس فقال المحكم آيات مخصوصة وهي آيات الحلال والحرام وما عداها متشابه إلى غير ذلك حكى الجميع الامام يحيي في الحاوي واختار أن المحكم ما علم المراد بظاهره بدليل عقلي أو نقلي والمتشابه به ما لم يعلم المراد منه لا على قرب ولا على بعد مثل قيام الساعة والاعداد المبهمة

وقال شيخ الاسلام ابن تيمة في القاعدة الخامسة من جواب المسألة التدبيرية إنا نعلم ما أخبرنا الله تعالى به من وجه دون وجه لقوله تعالى {أفلا يتدبرون القرآن} وهذا يعم المحكم والمتشابه وجمهور الأمة على أن الوقف عند قوله تعالى {إلا الله} وهو المأثور عن أبي ابن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وغيرهم وعن مجاهد وطائفة أن الراسخين يعلمون تأويله ولا منافاة بين القولين عند التحقيق فالتأويل على ثلاثة وجوه الأول كلام الأصوليين وهو ترجيح المرجوح لدليل الثاني أن التأويل هو التفسير وهو اصطلاح

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/٦١

المفسرين كما أن الأول اصطلاح الاصوليين ومجاهد امام التفسير عند الثوري والشافعي والبخاري وغيرهم والثالث أن التأويل هو الحقيق التي يؤول اليها الكلام لقوله تعالى {هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله} فتأويل أخبار المعاد وقوعها يوم القيامة كما قال في قصة يوسف لما سجد أبواه وأخوته {هذا تأويل رؤياي من قبل} ومنه قول عائشة رضي الله." (١)

"وقد تقصيت الردود الواضحة عليهم والبراهين الفاضحة لهم في العواصم وجمعت في ذلك ما لم أسبق إليه ولا إلى قريب منه في علمي فتمت هذه المسألة في مجلد ضخم وبلغت أحاديث وجوب الايمان بالقدر اثنين وسبعين وأحاديث صحته مائة وخمسة وخمسين الجملة مائتان وسبعة وعشرون حديثا من غير الآيات القرآنية والأدلة البرهانية

وصنف ابن تيمية في بيان الحكمة في العذاب الأخروي وتبعه تلميذه ابن القيم الجوزية وبسط ذلك في كتابه حادي الارواح إلى ديار الافراح فافردت ذلك من جزء لطيف وزدت عليه ومضمون كلامهم أنه لا يجوز اعتقاد أن الله يريد الشر لكونه شرا بلا لابد من خير راجح يكون ذلك الشر وسيلة اليه وذلك الخير هو تأويل ذلك الشر السابق له على نحو تأويل الخضر لموسى وطردوا ذلك في شرور الدارين معا ونصر ذلك الغزالي في شرح الرحمن الرحيم ولنورد في ذلك حديثا واحدا مما يدل على المنع من الخوض في تعيين الحكمة في ذلك فنقول قال البيهقي في كتابه الاسماء والصفات عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس لما بعث الله موسى وكلمة قال اللهم أنت رب عظيم ولو شئت أن تطاع لأطعت ولو شئت أن لا تعصى لما عصيت وأنت تحب أن تطاع وأنت في ذلك تعصى فكيف هذا يارب فأوحى الله اليه لا أسأل عما أفعل وهم يسئلون فانتهى موسى ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه إلى الطبراني وزاد فيه فلما بعث الله عزيزا سأل الله مثل ما سأل موسى ثلاث مرات فقال الله تعالى له أتستطيع أن تصر صرة من الشمس قال لا قال أفتستطيع أن تجيء بمكيال من الريح قال لا قال أفتستطيع أن تجيء بمثقال أو بقيراط من نور قال لا قال فهكذا لا تقدر على الذي سألت عنه أما أني لا أجعل عقوبتك إلا أني أمحو اسمك من الأنبياء فلا تذكر فيهم." (٢)

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/٨٨

(٢) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/٩٦

"ولا اتخذ ابراهيم خليلا بغير قرينة ولا تأويل كما يجوز أن تقول في الجدار أنه ليس بمريد ولا يجوز ذلك الاثبات إلا بالتأويل والقرينة الدالة عليه

والمسلم بالفطرة ينكر هذه البدع وبالرسوخ في علم الحديث يعلم بالضرورة حدوثها وأن عصر النبوة والصحابة بريء منها مثل ما يعلم أن المعتزلة أبرياء من مذهب الأشعرية وأن الأشعرية أبرياء من مذهب المعتزلة وأن النحاة أبرياء من مذهب الشعوبية وأمثال ذلك فيجب تقرير ذلك وأمثاله مما وصف الله تعالى به ذاته الكريمة على جهة التمدح والحمد والثناء وسيأتي الجواب عن سبب تخلف الرحمة لكثير من أهل البلاء كما يتخلف العطاء عن كثير من الفقراء ولا يقدح ذلك في مدح الله بالجود والكرم حقيقة باجماع المسلمين لمعارضة الحكمة في الموضعين سواء وقد جود الغزالي القول في هذا المعنى في المقصد الامنى فلا حاجة إلى التطويل بنقل كلامه وموضعه معروف

والدليل على أنه لا يجوز القول بأن ظاهر هذه الاسماء كفر وضلال وأن الصحابة والسلف الصالح لم يفهموا ذلك أو فهموا ولم يقوموا بالواجب عليهم من نصح المسلمين وبيان التأويل الحق لهم أمران الأول قاطع ضروري وهو أن العادة توجب في كل ما كان كذلك أن يظهر التحذير منه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه يتواتر أعظم مما حذروا من الدجال الأعور الكذاب ولا يجوز عليهم مع كمال عقولهم وأديانهم أن يتركوا صبيانهم ونساءهم وعامتهم يسمعون ذلك منسوبا إلى الله وإلى كتابه ورسوله وظاهره الكفر وهم سكوت عليه مع بلادة الأكثرين ولو تركوا بيان ذلك ثقة بنظر العقول الدقيق لتركوا التحذير من فتنة الدجال فان بطلان ربوبيته أجلى في العقول من ذلك ألا ترى أن المتكلمين لما اعتقدوا قبح هذه الظواهر تواتر عنهم التحذير عنها والتأويل لها وصنفوا في ذلك وأيقظوا الغافلين وعلموا الجاهلين وكفروا المخالفين وأشاعوا ذلك بين المسلمين بل بين العالمين فكان أحق منهم بذلك سيد المرسلين وقدماء السابقين وأنصار الدين الثاني أنه قد ثبت في تحريم الزيادة في الدين أنه لا يصح سكوت الشرع عن النص على ما يحتاج اليه من مهمات الدين." (١)

"أحدهما لا ظاهر له ولا يفهم منه شيء فلا يضل به أحد وذلك مثل حروف التهجي في أوائل السور على الصحيح كما تقدم فحكمه الوقف في معناه وكذلك المشترك الذي تجرد عن القرائن في حق من لم يعرف قرينه مرجحة لاحد معانيه وما جري هذا المجرى وقد تقدم الوجه في جواز ورود السمع بمثل هذا

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/١٣٠

ولا يجوز القطع على خلوه عن الحكمة لجواز فهم البعض له ولو رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده أو لجواز أن تكون **الحكمة فيه** غير فهم معناه ولعدم الدليل القاطع على أنا مخاطبون بهذا الجنس

النوع الثاني من المتشابه ما كان له ظاهر يسبق إلى افهام أهل اللغة ولكن خفيت **الحكمة فيه** على العقول مثل عدم العفو عن المشركين في الآخرة وعمن شاء الله من المذنبين مع أن العفو أرجح وأحب إلى الله تعالى في جميع كتبه وشرائعه وأحكامه وأوامره فهذا نؤمن بظاهره ولا نقول أن ظاهره باطل بل نقول أن **الحكمة فيه** خفية ولو أنا علمناها لعرفنا حسنه بل نقطع أنا أجهل من أن نعلم جميع حكم الله في جميع أحكامه ولو علمنا الله تعالى نصف ما يعلمه لجاز أن تكون **الحكمة في** هذا النصف الذي لم يعلمناه كيف وقد صح أن جميع علم الخلائق في علم الله مثل ما يأخذه الطائر بمنقاره من البحر الأعظم

وأما المجاز المعلوم أنه مجاز مثل {واخفض لهما جناح الذل من الرحمة} {فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور} فليس من المتشابه فان هذا يعرف معناه جميع أجلاف العرب ولا يصح دخول اللبس والاختلاف في معناه ولذلك لم يقل بنفي عمى الابصار لأن معنى الآية نفي عمي القلوب عن الابصار وأن عمي القلوب هو الحقيقي العظيم المضرة والابصار لا تعمى عنه إنما تعمى القلوب وكذلك الأمر بخفض جناح الذل معلوم أن المراد به الخضوع للوالدين واللطف بهما ونحو ذلك وكذلك كلما وضحت فيه احدى القرائن المجازية الثلاث." (١)

"في نهايته وابن الجوزي في جامعه بعد روايته وذكر الحجاب قرآني صحيح كما يأتي في آيات الصفات قال الله تعالى {أو من وراء حجاب} وقال في الكافرين {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون} والحجاب حاجب للعباد لا لله سبحانه كما نبهت عليه بهذه الآية الكريمة فانه بين فيها انهم المحجوبون لا هو وهذه نكتة شريفة فتأملها وقد طال الكلام في هذا الاسم الشريف وهو موضعه لأن الخطر من أسماء الله سبحانه جليل والكثير من البحث والتحقيق فيها قليل

ومثال الثاني اسم الضار وذلك أن الله تعالى لما ثبت بالأدلة أنه لا يصح أن يريد الشر لكونه شرا بل إنما يريده لما علم من الخير كما بينه الغزالي في المقصد الأسنى وسوف نبين أدلته في اثبات حكمة الله تعالى في جميع أفعاله من هذا المختصر ثبت أن كل ضر من الله تعالى هو خير ونفع بالنظر إلى **الحكمة فيه** وبذلك فسر النووي الحديث الصحيح في التوجه الخير بيديك والشر ليس اليك أي ليس بشر بالنظر إلى

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/١٣٢

حكمتك فيه ومن هنا سمى الله تعالى القصاص حياة وهو قتل وقطع ونحو ذلك ومن هنا لم يستحق الطبيب الذي يكوي ويقطع اسم الضار فثبت أن كل ضر منه سبحانه وتعالى يستحق أن يسمي الله منه أسماء حسنة مثل الديان والمنتقم والمبتلى وهذه خير من اسم الضار لأنه يفهم منها المجازاة على أفعال متقدمة يستحق أهلها ذلك لأجلها بخلاف الضار وكذلك عذاب الله في الآخرة فانه مشتمل على ذلك وإلى ذلك الاشارة بقوله {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد} وقال تعالى {قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون} وقال تعالى {جزاء لمن كان كفر} بضم الكاف وكسر الفاء وأمثال ذلك كثير مما يدل على نفع المؤمنين بعذاب الكافرين والانتصاف لهم فيجب أن يكون في الاسم." (١)

"**الحكمة من** هذا المختصر إن شاء الله تعالى وسيأتي في مسألة الافعال بيان أن المعاصي من العباد وما ورد في ذلك من نصوص القرآن والسنة الجمة التي لا نزاع فيها ولا معارض لها ومجموع ذلك يقتضي نسبتها ونسبة جميع ما يترتب عليها ويتفرع عنها من شرور الدارين إلى العباد المستحقين للذم والعذاب عليها بالنصوص والاجماع

وأما تقدير الله تعالى لوقوعها باختيار العباد لحكمة فهو مثل سبق علمه بذلك لا يوجب لله تعالى إلا وصف القدرة والعزة كما يأتي أيضا مبسوطا في موضعه من هذا المختصر إن شاء الله تعالى

فان قيل فكيف جاز اطلاق الضار عليه سبحانه فالجواب من وجهين أحدهما أن اسم الضار لم يرد في القرآن ولا في حديث متفق على صحته فمن لم يتحقق الاذن فيه ولم يصح له كالبخاري ومسلم ومن شرط في الصحة شرطهما لم يجب عليه ادخاله في الاسماء الحسنى وقد بسطت القول فيه في العواصم في آخر مسألة العباد وذكرت فوائد تستحق الرحلة اليها إلى أبعد مكان فلتطلب من مكانها وثانيهما على تقدير صحة أن اسم الضار لا يجوز افراده عن النافع فحين لم يجز افراده لم يكن مفردا من أسماء الله تعالى وإذا وجب ضمه إلى النافع كانا معا كالاسم الواحد المركب من كلمتين مثل عبد الله وبعلبك فلو نطقت بالضار وحده لم يكن اسما لذلك المسمى به ومتى كان الاسم هو الضار النافع معا كان في معنى مالك الضر

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/١٧٢

والنفع وذلك في معنى مالك الأمر كله ومالك الملك وهذا المعنى من الأسماء الحسنى وهو في معنى قوله تعالى {قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير} الآية وهو في معنى القدير على كل شيء

وميزان الاسماء الحسنى يدور على المدح بالملك والاستقلال وما يعود إلى هذا المعنى وعلى المدح بالحمد والثناء وما يعود إلى ذلك وكل اسم دل هذين الأمرين فهو صالح دخوله فيها والضار النافع يرجع إلى ذلك مع على الجمع وعدم الفرق ومع القصد فيلزم من أطلقه قصد ذلك مع الجمع." (١)

"والثناء لم يصح منع أحدهما على أن تفسير الحكيم بالحاكم مطلقا مما لم أره في كتب اللغة ولعل ابن الأثير قلد فيه بعض المتكلمين وهذه كتب اللغة موجودة والله يحب الانصاف

وذكر ابن كثير في الأول من البداية والنهاية في قصة نوح عليه السلام في تفسير قوله تعالى {ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون} قال ابن كثير أي من يرد الله فتنته فلن يملك أحد هدايته هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد وهو الحكيم العليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة اه بحروفه هو إشارة إلى قوله تعالى {وما يضل به إلا الفاسقين} كما ذكره الذهبي

فالزنجاني والذهبي وابن كثير من أئمة الاثر وأئمة الشافعية وأهل السنة وقد تطابقوا على تعليل أفعال الله **بالحكمة من** غير حكاية خلاف في ذلك بل ذكر ذلك الغزالي مع توغله في علم الكلام ذكره في المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى في شرح الرحمن الرحيم وكذلك ذكر مثل ذلك في الاحياء في سر القدر كما تقدم

ومن كلامه في المقصد الاسنى ما لفظه ولذلك قال الله سبقت رحمتي غضبي فغضبه ارادته الشر والشر بارادته ورحمته ارادته الخير والخير بارادته ولكن أراد الخير للخير نفسه وأراد الشر لا لذاته بل لما تضمنه من الخير إلى قوله فلا تشكن أصلا في أن الله أرحم الراحمين وانه سبقت رحمته غضبه ولا تستريبن في أن مريد الشر للشر لا للخير غير مستحق اسم الرحمة إلى آخر ما ذكره وهو كلام طويل متداول بين أهل السنة وكذلك قال النووي في شرح مسلم في حديث والشر ليس اليك أي ليس بشر بالنظر إلى حكمتك فيه وإنك لا تفعل العبث وذكره في الاذكار أيضا

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/١٧٤

وذكر ذلك الفقيه ابن العربي المالكي في شرح الترمذي ومن كلامه فيه ما لفظه فان البارى لا يجوز عليه الاهمال بحال ولا بوجه قال." (١)

"ومن ذلك قوله تعالى حاكيا عن الأشقياء {لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير} وقوله في غير آية {أفلا تعقلون} {وأنتم تعلمون} فانها وأمثالها تدل على معرفتهم بعقولهم قبح ما هم عليه وبطلانه معا إذ لو عرفوا بطلانه بها دون قبحه لم تقم عليهم الحجة وإنما أرسلت الرسل لقطع عذرهم لكيلا يقولوا ما حكى الله تعالى عنهم وذلك لزيادة الاعذار لأنه لا أحد أحب اليه العذر من الله تعالى لا لأنه لا حجة عليهم قبل الرسل أصلا ولذلك صح عند أهل السنة أن تقوم حجة الله بالخلق الاول في عالم الذر على ما سيأتي بيانه وذلك قبل الرسل ولم يختلفوا في صحته وإنما اختلفوا في وقوعه

ومن ذلك سؤال الملائكة عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته ولولا اعتقادهم للقطع بالحكمة ما استغربوا ذلك ولا سألوا عنه ولذلك كان الجواب عليهم بقوله تعالى {إني أعلم ما لا تعلمون} ولم يقل اني يصدر مني ما يفعل المفسدون وأوضح من هذا كله ما جرى بين موسى والخضر عليهما السلام فانه مناد نداء صريحا على اشتمال أفعال الله تعالى على المصالح والغايات المحمودة ولولا اعتقادهما لذلك ما استنكر موسى ولا أجاب الخضر بوجوه الحكمة الراجعة إلى المصالح ولا قنع موسى بذلك الجواب والخصم يعتقد أن المفسدة البينة الفساد في البداية والنهاية الخالية عن الحكمة والمصلحة باطنا وظاهرا جائزة على اتعالى بل مساوية للمصلحة البينة الصلاح باطنا وظاهرا بل لا يجوز أن يعلل شيء من أفعاله بحكمة بل يجب القطع بخلوهاعن ذلك بل يجب القطع بأن ذلك هو الأولى في ممادح الرب تعالى حتى صرخوا بتأويل اسمه الحكيم بمعنى المحكم لخلق المخلوقات لا سواه لا أن له في ذلك الأحكام حكمة ألبتة ولو كان كذلك لم يقع منه الاحكام لأنه لا يكون أولى به من عدمه وإن لم يكن أولى به فلا ولا أكثر وقوعا في مخلوقاته بل لو كان كذلك لارتفع التحسين والتقبيح في الشرع ولم يكن الامر بالشيء أولى من النهي عنه ولا العكس لأن الممكن لا يترجح وجوده على عدمه إلا بمرجح ولا مرجح في ذلك كله إلا داعي الحكمة والعلم بفضل بعض الأمور على بعض." (٢)

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/١٨٨

(٢) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/١٩٣

"ثم إنا قد علمنا أن الشيطان محكم لأسباب فساده ووسواسه أشد الاحكام مع أنه في غاية القبح لخلوه عن الحكمة وكذلك المشركون أحكموا حربهم وسبهم للأنبياء وقالوا في ذلك القصائد المحكمة وإنما قبح ذلك كله وسخف قائله لخروجه عن الحكمة فكيف يرد اسم الحكيم إلى مثل ذلك

وقد نقل تفسير الحكيم بالمحكم من لم يفهم هذه الغائلة من شراح الاسماء الحسنى حتى نقله البغوي في تفسيره ومصنف سلاح المؤمن وأما ابن الأثير في النهاية فنقل التفسيرين معا وأما الغزالي في المقصد الأسنى فانه اتقى فيه من المخالفين بغير شك لأنه صرح بمخالفتهم في شرح الرحمن الرحيم لكنه تلطف في إخفاء المخالفة على الأكثرين بكونه جعلها في الموضع الذي لم يشتهر فيه الخلاف بينهم وبين خصومهم وهو تعظيم رحمة الله تعالى وسعتها وقد أشار إلى مخالفة الأكثرين للحق في خطبة هذا الكتاب بل صرح بذلك وأيضا فيلزم أن لا يكون الجود ونحوه أولى بالله من أضدادها وأيضا كل مقدور ممكن الوجود والبقاء على العدم ولا يترجح أحد الممكنين إلا بمرجح ولا مرجح إلا الدعي وأيضا فيلزم أن لا يحتاج المتشابه إلى تأويل

ومن ذلك أنه يتعذر على من نفى حكمة الله تعالى أن يقطع على صدقه سبحانه وصدق رسله الكرام عليهم السلام كما تقدمت الاشارة اليه وهذا مبسوط في كتب الكلام ولا يصح لهم عنه جواب إلا ما يلزمهم معه ثبوت **الحكمة في** الافعال والاقوال معا كما تقدم

ومن ذلك أنهم إنما أن يحسنوا نفي الحكمة بغير حجة أو لا يحسنوه إلا بحجة إن حسنوه بغير حجة أكذبهم قوله تعالى {قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين} وإن لم يحسنوه إلا بحجة اعترفوا بالتحسين العقلي ومن ذلك أنهم اعترفوا بأن العقل يعرف الحق من الباطل فيقال لهم فاذا تقرر ذلك فالمعلوم في الفطر ترجيح الحق على الباطل وقد اجتمعنا في الاقوال على ترجيح الصدق على الكذب بخصوصه والصواب ترجيح الحق على الباطل بعمومه في الافعال كالأقوال والله يحب الانصاف." (١)

"بالحكمة كما قال الله تعالى {ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر} وأمثالها وهي مانعة من تأويلهم الحكيم بأنه ذو الأحكام في المخلوقات لا ذو **الحكمة فيها** ولا شك أن إثبات الحكيم بأنه ذو الأحكام في المخلوقات لا ذو **الحكمة فيها** ولا شك أن إثبات الأحكام لها **والحكمة فيها** أكثر مدحا وأنه تعالى أولى بكل مدح

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/١٩٤

الوجه الثاني أنه لا بدعة في إثبات الحكمة لله تعالى وعدم تأويل الحكيم بالاجماع لأن البدعة احداث ما لم يعهد في عصر النبوة والصحابة وما كان منصوصا في كتاب الله تعالي فهو موجود في عصرهم ضرورة وإنما الذي لم يوجد في عصرهم نفي ذلك أو تأويله والقول بأنه صفة ذم أو يستلزم ذلك

الوجه الثالث أنه يخاف الكفر بجحد ذلك لما قررناه من أنه معلوم ضرورة وكذلك يخاف الكفر في تأويله وإن كنا لا نكفرهم احتياطا للاسلام وأهله لما سيأتي ولمعارضة الأدلة الموجبة لاسلامهم كما تقدم ولأن قصدهم إنما هو حسم مواد الاعتراض علي الله تعالي لكنهم أساؤا النظر بالتزام مثل ما فروا منه وأما القول بذلك فلا وجه لخوف الكفر فيه أبدا حتي عند نفاة الحكمة لأن الكفر هو جحد الضرورات من الدين أو تأويلها ولم تأت في نفيها آية قرآنية ولا حديث آحادي فضلا عن متواتر وأما مخالفة غلاة المتكلمين في دقائقهم فلم يقل أحد أنها كفر وإلا لوجب تكفير أكثر أهل الاسلام بل خيرهم

وإنما أوضحت هذا لأني بنيت هذا الكتاب علي لزوم الأحوط في الدين مهما وجدت اليه سبيلا وترك كل ما يخاف من القول به العذاب أجارنا الله تعالي منه وعلي تقديم عبارة القرآن ونصه ولفظه لقوله تعالي {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم} وقوله تعالي {اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء} ولأنه {لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد}." (١)

"كآية الحج بعد السجدة لا تقتضى خلاف ما قبلها قال البغوي ما يشاء من التوفيق والخذلان والتثبيت وعدمه

والوجه فيه عندي أن يفسر اجماله بالآيات البينات في القرآن مثل {ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء} ومثل {ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء} بعد ذكر الكافرين

ومنه الأحاديث الصحيحة الحسنة بعشر أمثالها أو أزيد والسيئة بمثلها أو أعفو والمعني انه لما قال ويضل الله الظالمين استثنى من ذلك من يشاء أن يتوب عليه وهذا من تفسير القرآن بالقرآن وهو الذي يناسب جلال عدله وجمال فضله وحسن أسمائه وليس لأحد أن يفسره بما لم يشهد له كتاب الله بل بما صرح بتنزيهه عنه من نفي الحكمة في أفعاله وما سمى لعبا وعبثا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وأمثال ذلك مما يطول ذكره وبذلك جاءت السنة كما احتج رسول الله صلى الله عليه وسلم على القدر بالآية في سورة الليل المقدمة وهي مصرحة بتأخير التيسير لليسرى عن العصيان حتى وقع التيسير بعد العصيان عقوبة عليه وكما

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/٢٢٣

قال في حديث الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه وكل ذلك في البخاري ومسلم وعند مسلم من حديث عياض المجاشعي يقول الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فجاءت الشياطين فاجتالتهم الحديث كما مضى وعنده أيضا حديث أبي ذر فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد شرا فلا يلومن إلا نفسه وعند مسلم أيضا من حديث علي عليه السلام الخير بيديك والشر ليس إليك وسنده على شرط الجماعة وله شاهد آخر أخرجه الحاكم أحسبه من حديث أبي بكر رضي الله عنه ومعنى ذلك ليس اليك الذم عليه واللوم فيه كقوله ومن وجد شرا فلا يلومن إلا نفسه فان الله مكن بالقدرة وبين بالعقل والرسل وأزاح العلل وقطع الاعذار

وفي الصحيحين لا أحد أحب اليه العذر من الله تعالى من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل وهذا كله متطابق تطابقا يفيد العلم على أن الله." (١)

"أنه لا يدخل فيه ما تمنع منه **الحكمة من** قلب صدق الاقوال الربانية إلى الكذب وبعثة الرسل كذا بين على ما مر محققا في إثبات الحكمة وان الامة أجمعت على امتناع النقص في كلام الله تعالى وامتناع ارادته وأن ذلك يستلزم امتناع النقص في أفعاله كامتناعه في أقواله

ويوضحه اجتماع الكلمة من الأشعرية والمعتزلة على أن الله تعالى لا يوصف إلا بما يستلزم المدح دون ما يستلزم الذم أو ما لا يستلزم لا مدحا ولا ذما أما الأشعرية فنصوا على ذلك وأما المعتزلة فنصوا على امتناع العبث واللعب على الله تعالى وعلى اعتبار التحسين العقلي وهما يستلزمان ذلك والله سبحانه أعلم

الوجه الثالث من وجوه الجمع توجيه الجمع إلى الوقوع والواقع وهو مثل الفرق بين الوقوع والواقع وهو مثل الفرق بين التلاوة والمتلو والحكاية والمحكي كما أوضحت بيانه في مسألة القرآن وهو قول الامام المنصور بالله عليه السلام وبين ذلك الفرق بين الوقوع والواقع أنه لما ورد الشرع بجواز ارادة اليمين الغموس الفاجرة من جاحد الحقوق الواجبة عليه في الأموال والدماء والقسامة واللعان ونحو ذلك فانه يجوز لصاحب الحق ارادة هذه اليمين من حيث أنها حق له واجب وان كان يعلم أنها يمين فاجرة معصية لله تعالى ومع ذلك فلا يجوز له أن يحبها ويرضاها من حيث أنها قبيحة معصية لله تعالى

فتبين أن هذه اليمين ذات وجهين وجه جازت منه ارادتها ووجه وجبت منه كراهتها فالوجه الذي جازت منه ارادتها وقوعها من خصمه الظالم من حيث هي حق له على من ظلمه على جهة العقوبة للظالم والوجه الذي

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/٢٣٧

وجبت منه كراهتها هو ذاتها الواقعة معصية لله تعالى فافترقت الجهتان اللتان يتوهم عدم افتراقهما بذلك فمتى وردت النصوص مختلفة في نحو ذلك أمكن حملها على مثل ذلك

مثال ذلك قوله تعالى في المستحقين للعقوبة دون غيرهم {ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا} وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم." (١)

"ذنوبه وتفريطه في عمل الخير إن يترك الاكل والشرب والبذر والوطئ والتوقي من الحر والبرد وسائر المضار وإلا فقد فضل الدنيا على الآخرة حيث توكل في الآخرة وما سعى لها سعيها وترك التوكل في الدنيا وسعى لها أكثر من سعيها ثم احتج على ضلاله بالباطل وهيهات

ثم أنه لابد مع التوكل من السعي كما قال الله تعالى {وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله} وذكر الزركشي في شرح جمع الجوامع عن الجنيد رحمه الله أنه قال كلمت يوما رجلا من القدرية فلما كان في الليل رأيت في النوم كأن قائلا يقول ما ينكر هؤلاء القوم أن يكون الله قبل خلقه للخلق علم أنه لو خلق الخلق ثم مكنهم أمورهم ثم رد الاختيار اليهم للزم كل امرئ منهم بعد أن خلقهم ما علم أنهم له مختارون قلت بل قد أوجب ذلك الرازي بنظر عقلي معناه أن العلم تابع للمعلوم في الرتبة لا في الوجود مثل تبع حركة الخاتم للاصبع فلا يتصور حصول العلم متعلقا بالمعلوم إلا وللمعلوم ثبوت في الذهن لا في الخارج والنكتة في هذا أن الله تعالى غير مختار في علمه إجماعا فان كونه قادرا عالما من صفات الكمال اللازمة الواجبة وإنما يختار سبحانه في كونه فاعلا فان شاء فعل وإن شاء ترك وليس يقال إن شاء علم وإن شاء جهل فكذلك لا يقال إن شاء علم الموجود معدوما والمعدوم موجودا ونحو ذلك إنما يقال لو شاء لجعل ذلك كذلك لكنه لا يشاء خلاف ما علم كما سبق تقريره لكنه يقال إن كان المعلوم أسبق في الرتبة فانه راجع إلى أفعال الله تعالى وهي اختيارية وكان الاختيار تابعا للحكمة فهي أسبق في الرتبة وهذا نفيس جدا فتأمله وسبق في مسألة الحكمة طرف صالح من الكلام في الحكمة في خلق الاشقياء فيراجع من هنالك ومن ذلك أن يقال انما يلزم في قضية العقل قطع أعذار الخلق في الربوبية وتقديسها عن كل عيب ونقص وظلم وعبث ولعب فمن أنكر شيئا من ذلك قامت عليه البراهين كما تقدم ومن اعترف بهذين الامرين فقد اعترف

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/٢٤١

بان الله حكيم نافذ المشيئة غني كريم فلا يصح منه بعد هذا ان ينازع ربه تعالى في حكمة خفية لوجهين." (١)

"الأول خلق الله تعالى الاشقياء لعبادته بالنظر إلى أوامره اجماعا ونصا وبالنظر الى محبته للخير من حيث هو خير على الصحيح كما مر في اثبات الحكمة وقد أوضحت هذا في العواصم في تفسير قوله تعالى {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} وهو مذهب جمهور أهل السنة في قوله تعالى {ولا يرضى لعباده الكفر} وقوله تعالى {والله لا يحب الفساد} فانهم أقروهما وفرقوا بين الرضى والمحبة ومعنى الارادة والمشيئة ولذلك قال السبكي في جمع الجوامع في آخره في الاعتقاد ما لفظه والمحبة غير المشيئة والارادة فلا يرضى لعباده الكفر ولو شاء ربك ما فعلوه ولم يحك خلافا لشذوذه عنده ومن لم يبحث حوافل أهل السنة يظن ان هذا يخالف قواعدهم

الثاني الابتلاء بالنظر الى عدله وحجته كما يظهر من قوله تعالى {ليبلوكم أيكم أحسن عملا} كما مر في الحكمة في العمل مع القدر

الثالث لما يوجب عليهم شكره من احسانه اليهم بعظيم نعمه وسوابغ مواهبه بالنظر الى تكليفهم شكر نعمته وقد ذكر غير واحد من الائمة الأذكياء ان فرار الحيوانات من الموت وحرصها على الحياة من أعظم الأدلة على عظم النعمة بها وعلى وجوب الشكر عليها ثم نعمة العافية والتمكين من الخير والمعارف باكمال العقول والاسماع والابصار والأيدي والبنية السوية الصحيحة والانفاس والارزاق الجارية

الرابع لما شاء بالنظر الى عزة ملكه وعظيم سلطانه وقاهر قدرته

الخامس لما لم يحط بجميعه الا هو سبحانه وتعالى بالنظر الى واسع علمه ورحمته

السادس للعذاب المستحق بكفر نعمته وجحد حجته بالنظر الى علمه واختياره وقدرته وقضائه وكتابته." (٢)

"وقد صرح الامام يحيى بن حمزة بابطال قولهم في كتابه التمهيد في أوائل الباب السابع من النبوات على ذلك وهو قول جماعة من قدماء محمد بن منصور الكوفي والسيد أبو عبد الله الحسيني في كتابه الجامع الكافي وهو قول غير واحد ممن عاصرت من أئمتهم عليه السلام

وهذه المسألة هفوة المعتزلة الكبرى في مقابلة هفوة الجبرية في نفسى الاختيار وبها تمكن خصومهم منهم

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/٢٥٩

(٢) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/٢٦١

ومن سلم منهم من هذه المسألة قارب أهل السنة في مسألة الأفعال بل كان منهم فان أمام الحرمين الجويني ما وافق أهل السنة في مسألة الأفعال الا فيها فعدوه من أئمتهم ولم يختلفوا في ذلك ولا شك في صحة قدرته على هداية الخلق أجمعين باللطف والاختيار عقلا وسمعا ولا شك انه أحوط وأولى من قول المعتزلة فانه يمكن في العقل أن يكون الله تعالى انما ترك ذلك لحكمة استأثر بعلمها مثل حكمته في خلق أهل النار والعقول تقصر عن الاحاطة بجميع حكمة الله تعالى ومعلوماته فيحسن في بعض ما لا تعرف العقول حسنه أن يكون حسنا عند الله لحكمة اختص بعلمها فيجب قصر استقباح العقول على من لم يعلم من الحكم في الغيوب المحجوبة الا ما يعلمه وليس يحسن أن يقال ان الله لا يقدر على شيء لوجه حسن استأثر الله بعلمه ولا نحو ذلك من الاعذار لان عدم القدرة نقص في الربوبية وان مثل الجهل ببعض الامور وأما التحسين والتقبيح فبابه واسع وتفاوت المعارف فيه غير واقف على حد ولا نهاية لانه موقوف على الوجوه والاعتبارات ومعرفة العواقب الحميدة والغاية الغيبية البعيدة

والمرجحات الخفية عند تعارض المصالح والمفاسد وهذا باب واسع يدخله التأويل القريب والبعيد بل قد اختلفوا في هذا أحوال المخلوقين كما أخبر الله تعالى عن موسى والخضر عليهما السلام ولا يزال العالم ينكر على الاعلم كيف الجاهل على العالم كيف المخلوق الظلوم الجهول على علام الغيوب كما تقدم في الحكمة في خلق الأشقياء فكما أن الحكمة في خلق الأشقياء لما خفيت لم يحسن من أحد أن يقول انه تعالى غير مختار في وجودهم ورد أهل الاسلام ذلك على الفلاسفة فكذلك في مسألتنا." (١)

"كان ذلك فعل الله فمن أين له الاستقلال ولله الخلق والأمر واليه يرجع الأمر كله ولكن الله قد استثنى من تعجيز العباد حيث قال {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله} وهذا الاستثناء هو الذي رددنا به قول الجبرية حيث احتجوا بقوله تعالى {وما تشاؤون إلا أن يشاء الله} فانهم تمسكوا بنفي المشيئة ونسوا الاستثناء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك وقال موسى عليه السلام {رب إني لا أملك إلا نفسي} وذلك مثل كوننا لا نعلم إلا ما علمنا يؤتي الحكمة من يشاء ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ولم يؤد إلى استقلال العبد في العلم فلا بدعة في القول بأن العبد يملك بعض الامور بتمليك الله له ذلك لاقامة حجته أو سعة رحمته أو خفي حكمته

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/٢٦٨

والقطع بأن ذلك محال غير ممكن يؤدي إلى تعجيز الله عنه ورجوع القهقري من مذهب السنة والمسلمين فانظر إلى الغلو في الأمور كيف ينتهي إلى الوقوع فيما كان الفرار منه فان السني إنما يحاول البقاء على تعظيم القدرة لله عز وجل فاذا غلا في مذهب رجع إلى تعجيز الله الذي كان يشنع به على المبتدعة فصار هذا التمليك من الله تعالى لمن يشاء من عباده من جملة أحكام ملكه وعطاياه التي لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع على معنى ما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لنا من أمرنا ما شئنا وإنما نأخذ ما أعطينا فجعل أخذهم ما أعطاهم الله تعالى من فعلهم ليكون فرق بين الحيوان المختار والجماد المسخر وهو فرق معلوم ضرورة وعقلا وشرعا مدرك بالفطرة التي فطر الله الخلق ولن تجد لسنة تبديلا فنسأل الله الاعتدال وترك بدع الجبر والاعتزال وهو حسبنا ونعم الوكيل

الوجه الثاني إن العبد لا يستقل في الخير لقول الله تعالى {ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا} ولحديث أبي ذر رضي الله عنه من وجد خيرا فليحمد الله وأمثال ذلك كثير وأما الشر فسيأتي تحقيقه في مسألة الأفعال والظاهر أن اللطف." (١)

"بل من كل وجه إلا ما اقتضته **الحكمة من** خلق المختارين له واقدارهم عليه وتقدير وقوعه منهم للحكمة البالغة والحجة الدامغة

وفي القرآن الكثير مما يقوم مقام هذا لكن بغير لفظ من كقوله تعالى {فإنه فسوق بكم} {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} وقد ذكرت في العواصم من ذلك خمسة وعشرين نوعا وذكرت هناك من الأحاديث الصحيحة الشهيرة قدر خمسة عشر حديثا ونسبتها إلى رواتها من الصحابة ومن خرجها من الأئمة مثل حديث التثاؤب من الشيطان وحديث إن تقليب الحصى وقت الخطبة في الجمعة من الشيطان وحديث إن تفرقكم في الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان وحديث الاناة من الله والعجلة من الشيطان وحديث كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وحديث الرؤيا الصالحة من الله تعالى والحلم من الشيطان رواه الجماعة عن أبي قتادة ولمسلم مثله بل أبين عن أبي هريرة وروى البخاري والنسائي مثل ذلك عن أبي سعيد الخدري وقال إنما هي من الشيطان بالحصر وخرج ابن ماجة وابن عبد البر في التمهيد مثل حديث أبي هريرة عن عوف بن مالك وكلها مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإنما تواترت النصوص في الرؤيا أكثر من غيرها لأن الأمر يشتبه فيها هل هي من الله تعالى أو من الشيطان

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/٢٧٥

ولا يتميز إلا بالنص وأما الفواحش والقبائح الصادرة من المنهيين عنها المذمومين عليها فلم يشتبه الامر في ذلك حتى يرتفع الاشتباه فيه بالنصوص ولو وقع في ذلك غلط في ذلك العصر لتواترت النصوص في الرد على صاحبه

وإنما أوضحت رواة أحاديث الرؤيا وحدها كيلا يتوهم أنه حديث واحد ومن ذلك حديث المستحاضة وقوله فيه إنما ذلك ركضة من الشيطان قال ابن الأثير في نهايته والمعنى أن الشيطان قد وجد سبيلا إلى التلبيس عليها في أمر دينها ذكره في خرف الراء مع الكاف وعندي فيما قاله نظر لأنه لو أراد ذلك لقال إنما ذلك من الشيطان ولم يذكر أنه ركضة من ولا مانع من تمكينه من ركضته بعض العروق حتى تنقطع ليلبس بذلك عليها أمر دينها." (١)

"أحدها باعتبار الشهوة والنفرة وثانيها باعتبار جلب النفع ودفع الضر وثالثها باعتبار صفة النقص كالكذب والجهل وصفة الكمال كالصدق والعلم وعنوا بالكذب الذي لم تدع اليه ضرورة وبالصدق الذي ليس بضار

ومن هنا لم يجوزوا وقوع الكذب في كلام الله تعالى لأنه صفة نقص قالوا وإنما الخلاف في معرفة العقل لوجوب استحقاق الذم في الدنيا والعقاب في الآخرة على فعل صفة النقص لا جوزها من غير وجوب وكذلك معرفة العقل لوجوب استحقاق الثناء في الدنيا والثواب والثناء في الآخرة على فعل صفة الكمال لا جواز ذلك من غير وجوب ولذلك حكى الزركشي في شرحه لكتاب السبكي المسمى جمع الجوامع أن قوما توسطوا فقالوا إن القبح واستحقاق الذم عليه ثابت بالعقل وأما العقاب فمتوقف على الشرع قال وهو الذي ذكره أسعد بن علي الزنجاني من أصحابنا الشافعية وأبو الخطاب من الحنابلة وذكرته الحنفية وحكوه عن أبي حنيفة قال وهو المنصور لقوته من حيث الفطرة وآيات القرآن المجيد وسلامته من الوهن والتناقض اه

وقد تقدم في المسألة الأولى أن تسليم هذا القدر من التحسين العقلي يوجب الموافقة على إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى وأنه لا فرق في التحسين بين الأقوال والأفعال وقد ثبت وقوف الأقوال على الحكمة حيث وجب القطع بأن الله تعالى يختار الصدق على الكذب في جميع كلامه وكتبه والموجب ذلك هو بعينه يوجب مراعاة الحكمة في الأفعال وهذه فائدة مهمة وحجة بينة ينبغي التعويل عليها في دعاء من

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/٣٠٣

ينكر الحكمة إلى الحق والله الهادي

وقول الزركشي أن ذلك هو المنصور لموافقته الفطرة وآيات القرآن المجيد قول صحيح وأراد بآيات القرآن المجيد ما ورد في ذلك مثل ما قدمنا من قوله تعالى {أو لم يتفكروا في أنفسهم} الآية ومثل قصة موسى والخضر عليهما السلام فانها صريحة في ذلك والحجة فيها من وجهين." (١)

") ومثال القبيح بالضرورة الذي لا يجوز على الله بعثة الكذابين لما فيه من الفساد المتفاحش وهو عدم الثقة بكلام الله تعالى وكلام جميع رسله عليهم السلام لا في دين ولا في دنيا ولا في حد ولا في مهم ولا ترغيب ولا ترهيب وهذا هدم للمصالح كلها والصلاح أجمع ولذلك كان الله أصدق القائلين وكان من أبغض الخلق اليه الملك الكذاب لأن الذي قد يهون قبح الكذب في بعض المواضع ويعارض ما فيه من الفساد هو الضرورة الملجئة اليه كخوف المضار ونحو ذلك والملوك أبعد الناس منها لقدرتهم على دفع المضار وإن كانت قدرتهم قاصرة فكيف بملك الملوك الذي هو على كل شيء قدير وعن كل شيء غني وإنما يجوز عليه ما تخفى فيه الحكمة على الخلق لقصور علومهم من الامور المحتملة مثل ما سألت عنه الملائكة عليهم السلام من **الحكمة في** خلق آدم وذريته لظنهم أنهم كلهم أشرار لا خير في أحد منهم والشر المحض الذي لا خير فيه ألبتة ل، عاجلا ولا آجلا قبيح في العقول وأما الشر المشتمل على الخير والغايات الحميدة أو المجوز فيه شيء من ذلك فلا مجال للعقول في القطع بقبحه ولذلك أجاب عليهم بقوله تعالى {إني أعلم ما لا تعلمون} ولم يقل إنه يحسن مني كل ما تستقبحون وكل ما تستقبحه العارفون ولو كانت أفعال الله معطلة من الحكم لم يكن لذكر علمه وزيادته على علمهم معنى في هذا الموضع لأن الحكمة على قول الخصم ممتنعة الامكان في حق الله تعالى فلم يتعلق بها علمه كما لا يتعلق برب ثان مشارك له في الربوبية ومن ثم أظهر الله تعالى بعد ذلك فضل آدم بعلم الاسماء ولو كان كما زعموا من تعطيل أفعاله من الحكم لفضله بغير سبب فدل على أنه أراد ببيان شيء من الخير الذي أحاط به علمه في خلق آدم عليه السلام وذريته ولم يحيطوا بشيء من الخير في ذلك فبين لهم أن فيه خيرا كثيرا وبان بذلك أن الشر المحض لا يكون من أفعاله تعالى بخلاف الشر المشتمل على الخير فيكون فيها ويكون ذلك الخير هو المقصود وهو المسمى تأويل المتشابة في لسان الشرع وغرض الغرض في لسان الحكماء ولذلك

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/٣٤٣

قال تعالى لهم بعد ذلك إنه يعلم غيب السموات والأرض ويعلم ما لا يعلمون وهذا يدل على ما قيل أن العالم كله كالشجرة وأهل الخير من الخلق هم ثمرة تلك الشجرة ويدل عليه." (١)

"وقال أيضا في الترجيح بين الأخبار في ذلك: ((أما حديث: ((كل مولود يولد على الفطرة)) فيعضده المشاهدة والأدلة العقلية. إلى قوله: ((وقد يكون في أولاد المشركين مؤمن، وفي أولاد المؤمنين كافر، ويحكم الباري فيهم بعلمه، وهذا بين من التأويل لا يتطرق إليه إشكال ويرفع جهل الجهال)) ، وكلامه في هذا يرد (١) علىالخصم، حيث (٢) زعم أنهم يعللون تعذيب الأطفال بكفر الآباء وينكرون (٣) الأدلة العقلية، وأما من أجاز ذلك، ولم يتأول الأخبار من أهل العلم منهم؛ فإنهم لم يجيزوا تعذيب الأطفال لأجل ذنوب آبائهم، بل افترقوا في تعليل ذلك فرقتين:

الفرقة الأولى: أهل الجمود منهم، وترك الخوض في الكلام، وهؤلاء يجوزون أن في حكمة الله وعلمه المكنون من أنواع الحكم ما لا تدركه العقول، فيجوز عندهم أن يكون ذلك على ظاهره، ويكون لله تعالى من الحكمة فيه ما يحسن معه، وإلى هذا أشار ابن الجوزي بقوله (٤) في وصف الله تعالى: ((بث الحكم فلم يعارض بلم)) ، وقوله في ذلك: ((خرست في حضرة القدس صولة لم، فأقدام الطلب واقفة على جمر التسليم)).

وربما ذكر الفطناء منهم وجوها من حكمة الله تعالى في ذلك

---

(١) في نسخة: ((لا يرد)) كذا في هامش (أ) و (ي).

(٢) في (س): ((حديث))!.

(٣) في (س): ((ويكثرون))!.

(٤) تقدمت العبارة بتمامها (ص/٣٠١).." (٢)

"الميت، والعذاب في نفسه مستحق بذنوب عملها الميت في حال التكليف، وقد جاء في ((الصحيح)) (١): ((من نوقش الحساب عذب)) ويكون الحكمة في ذلك، وفي الخبر به: الزجر العظيم عن معصية النياحة التي هي من عمل الجاهلية.

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/٣٤٥

(٢) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم - صلى الله عليه وسلم -؟ ابن الوزير ٢/٣٧١

الوهم السابع عشر: ذكر المعترض عن الفقهاء أنهم يجيزون إمامة الجائر، وحكى عن ابن بطال أنه قال: الفقهاء مجمعون أن المتغلب طاعته لازمة ما أقام الجمعات والأعياد والجهاد، وأنصف المظلوم غالبا، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من تسكين الدهماء وحقن الدماء، ولذلك قال – صلى الله عليه وسلم –: ((أطيعوا السلطان ولو كان عبدا حبشيا)) (٢) ولا يمنع من الصلاة خلفه، وكذلك المذموم ببدعة أو فسق. انتهى إلى قول المعترض: فإذا كان هذا مذهب القوم عرفت أنهم كانوا من أئمة الجور، الذين قتلوا الأئمة الأطهار، وأنهم شيعة الحجاج بن يوسف، بل شيعة يزيد قاتل الحسين – رضي الله عنه – ،وأنهم يعتقدون بغي من خرج على المتغلب الظالم، كما صرح به ابن بطال، ويصوبون قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس؛ لأنهم بغاة على قولهم)) انتهى كلامه.

والجواب عليه يتم بالكلام على فصول:

---

(١) البخاري ((الفتح)): (١/ ٢٣٧) ، ومسلم برقم (٢٨٧٦) من حديث عائشة ... –رضي الله عنها–.

(٢) أخرجه البخاري ((الفتح)): (٢/ ٢١٦) عن أنس بلفظ: ((اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل حبشي كأن رأسه زبيبة)) ، وعن أبي ذر نحوه في ((الصحيحين))..." (١)

"ذلك: أما العوض فلا إشكال، وأما الاعتبار فاعتبار من يعلم بذلك من المكلفين، وفي المعتزلة من يجيز الإيلام لأجل العوض فقط، ولكن في الحديث إشارة إلى تعليل استحقاق العذاب بالبكاء، فلذلك تأوله البخاري (١) والنووي (٢) لمن أوصى أن يبكى عليه، ويكن الجواب بشيء (٣) آخر، وهو: أن البكاء جعل سببا للعذاب لا مؤثرا في استحقاقه، كما تكون أسباب الآلام في الدنيا /أمورا غير مأثرة في الاستحقاق. والحكمة في جعل البكاء سببا للعذاب: ما في ذلك من الزجر العظيم عن البكاء. وتسمية الآلام عذابا كثير في اللغة شائع، على أنه قد تقدم أن السمع قد دل على استحقاق كل أحد لشيء من العذاب، فمن الجائز أن يكون عذابا مستحقا بذنب غير البكاء، وجعل البكاء سببا على سبيل الزجر عنه والله أعلم.

فهذه الوجوه كلها دالة على سعة وجوه الحكمة الربانية، وعلى أنه يجب على المسلم ألا يعجل برمي الرواة الثقات بالوهم في الحديث ما أمكنه، فإن قال بذلك قائل فلا حرج (٤) عليه، ففي عائشة –رضي الله عنها– أسوة حسنة.

---

(١) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم – صلى الله عليه وسلم –؟ ابن الوزير ٢/٣٧٩

ومن هذا القبيل حديث قيام الساعة لمقدار مئة سنة، وهو في

---

(١) ((الصحيح)) مع ((الفتح)): (٣/ ١٨٠).

(٢) ((شرح مسلم)): (٦/ ٢٢٩).

(٣) في نسخة ((بوجه)) كذا في هامش (أ) و (ي) وهو كذلك في (س).

(٤) في (ي): ((فلا يحرج)) ، وفي (س): ((لم يخرج)).." [1]

"وأما الرسائل والردود على المبتدعة من طائفتي المعتزلة والأشعرية؛ فلا يأتي عليها العد (١) ، ولا يستطاع على ما تضمنته الرد!!.

---

(١) قال الشوكاني في ((البدر)): (٢/ ٩١) -بعد أن ذكر جملة من كتبه-: ((وله مؤلفات غير هذه، ومسائل أفردها بالتصنيف، وهو إذا تكلم في مسألة لا يحتاج الناظر إلى النظر في غيره من أي علم كانت. وقد وقفت من مسائله التي أفردها بالتصنيف على عدد كثير تكون في مجلد، وما لم أقف عليه أكثر مما وقفت عليه)) اهـ.

أقول: وبقية كتبه التي لم يذكرها المؤلف هي كالتالي:

*آيات الأحكام الشرعية حصر آيات الأحكام.

مخطوط بالمكتبة الغربية (مجموع رقم ١١٩/ ق٨٥ - ٩١) ، وأخرى مكتوبة سنة (٩٥٧هـ) في مكتبة الأوقاف ((الفهرس)): (١/ ١٠٢). وعندي نسخة منه.

*الآيات المبينات لقوله تعالى:

{يضل من يشاء ويهدي من يشاء}. مخطوط بمكتبة الأوقاف ((الفهرس)): (٢/ ٥١٥) في (٧ق) وعندي نسخة منه.

*الإجادة في الإرادة

منظومة أكثر من ألف ومئتي بيت. قال ابن الوزير في ((الإيثار)): (ص/٢٠٤): ((قلتها أيام النشاط إلى

---

(١) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم - صلى الله عليه وسلم -؟ ابن الوزير ٢/٤٤٢

البحث، استعظاما لخوف الوقوع في الخطأ أو الخطر في هذه المسألة العظمى)) -يعني في مسألة القدر والحكمة التعليل - وقد ذكرها المؤلف في ((العواصم)): (٦/ ١٣٤، ٣٤٢) ، و ((الإيثار)): (ص/٢٠١ - ٢٠٤) وساق منها أكثر من خمسين بيتا.

*بحث حول قوله تعالى:

{عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا}. منه نسخة في مكتبة الأوقاف في (٥ق) كتبت سنة (٩٥٧هـ) ، انظر ((الفهرس)): (٢/ ٥٥١).

*تحرير الكلام في مسألة الرؤية وتجويده، وذكر ما دار بين المعتزلة والأشعرية.

مخطوط في الجامع الكبير بصنعاء في (٣ق) ، انظر ((الفهرس)): (ص/٧٧٠).

أقول: لعله منتزع من كتابه ((العواصم)).

*التحفة الصفية شرح الأبيات الصوفية.

الأبيات لأخيه الهادي بن إبراهيم الوزير (٨٢٢هـ) ، مطلعها

تقدم وعدكم فمتى الوفاء ... وطال بعادكم فمتى اللقاء

للكتاب عدة نسخ خطية في مكتبة الجامع، انظر المجاميع: (٢٨، ٩٦، ١١٩) وعندي نسخة منه.

*تخصيص آية الجمعة.

منه نسخة في المكتبة الغربية، انظر ((الفهرس)): (ص/٨٠٥) ، وأخرى في مكتبة الأوقاف، انظر ((الفهرس)): (١/ ١٠٤).

*التفسير النبوي.

ذكره في ((الإيثار)): (ص/١٥٢) فقال: ((وجمعت منه الذي في «جامع الأصول)) و ((مجمع الزوائد)) و ((مستدرك الحاكم أبي عبد الله)))) اهـ. وضم إلى ((التفسير النبوي)) ماله حكم الرفع من تفاسير الصحابة -رضي الله عنهم- انظر ((الإيثار)): (ص/١٥٤) ، وقال صلاح الوزير: لم يوجد هذا الكتاب. انظر مقدمة ((العواصم)): (١/ ٧٤).

*تكملة ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان.

ذكره في مواضع من ((الإيثار)): (ص/٥٣، ٩٧، ١٠٠).

*جواب محمد بن إبراهيم الوزير على فقهاء أبيات حسين في تقدير الدرهم والأوقية.

مخطوط في الجامع الكبير (٤ مجاميع) كذا ذكره الحبشي في ((مصادر الفكر)): (ص/٢٢١) ، ولم أجده في ((الفهرس))!.

*الحسام المشهور في الذب عن الإمام المنصور.

له نسختان في الجامع الكبير، انظر ((الفهرس)): (ص/٧٦٤، ٧٧١).

*ديوان ابن الوزير مجمع الحقائق والرقائق.

*رسالة جليلة في ثلاث مسائل؛ في أن الفطرة من البر، وفي حمى الأراك، وفي نكاح اليتيمة.

أشار الحبشي إلى أنها في المكتبة الغربية (٣٢ مجاميع) ، ولم أجدها في ((الفهرس))!!.

*رسالة في زكاة الفطر.

في المكتبة الغربية (مجاميع ١٨٤) في (٨ق) ((الفهرس)): (ص/٧٩٥).

*رسالة في مسائل الاجتهاد.

ذكرها في ((العواصم)): (١/ ٢٧٩).

*رسالة في القول بتجزؤ الاجتهاد.

ذكرها في ((العواصم)): (١/ ٢٩٨).

*رسالة في تفسير:

قوله تعالى: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات} [آل عمران:٧]. ذكرها في ((العواصم)): (٦/ ٣٥٩).

*رسالة في شرح وتفسير قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ..)).

مخطوط في المكتبة الغربية، انظر ((الفهرس)) (ص/٧٧١) في (٣ق).

*رسالة في بيان جواز إقامة الجمعة من غير إمام.

مخطوط في ((مكتبة الأوقاف)) في (١١ق) ((الفهرس)): (٣/ ١١٧٧).

*الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم - صلى الله عليه وسلم -.

وهو كتابنا هذا، وسيأتي الحديث عنه.

*شرح أبيات في التصوف.

مخطوط في ((مكتبة الأوقاف)) في (١٦ق) بتاريخ (٩٥٧هـ) انظر ((الفهرس)): (٣/ ١٣٥٢).
*العزلة = الأمر بالعزلة ....
*القواعد.
مخطوط بالجامع الكبير (مجاميع ٩٦) ، (ق٦٢ – ١٠٠) ، وأخرى بالتيمورية، وثالثة في مكتبة الحبشي. انظر ((مصادر الفكر)): (ص/١٧٦).
*كتاب المبتدأ.
ذكره المؤلف في ((العواصم)).
*كراس في لعن يزيد، وهل الأخبار بخلاف ذلك.
ذكره في ((الروض)): (ص/٤٠٠).
*مثير الأحزان في وداع رمضان.
مخطوط بمكتبة الأوقاف في (٤ق) مكتوبة في حياة المؤلف سنة ... (٨٠٧هـ) ، انظر ((الفهرس)): (٣/ ١٣٨٥ – ١٣٨٦).
*مجمع الحقائق والرقائق في ممادح رب الخلائق.
منه عدة نسخ في مكتبة الجامع، (مجموع ١١ ق/٨٥ – ٩١) ، و (مجموع ١٣٠ق/١ – ٦٣) ، وعندي نسخة منه. وطبع منه منتقى في المدائح الإلهية عام (١٣٨١هـ). وشرحه الأمير الصنعاني في ((فتح الخالق بشرح مجمع الحقائق والرقائق في ممادح رب الخلائق)).
اطلعت على خمس نسخ خطية منه، ويعمل الآن على تحقيقه الأخ العزيز أبو عبد الرحمن أحمد أبو فارع رسالة ماجستير في جامعة أم القرى بمكة المكرمة يسر الله له. وهو شرح كبير، فيه فوائد، مشحون بالنقول عن ثلاثة من الأئمة: ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وابن الوزير.
*مختصر في علم الحديث.
له عدة نسخ في ((الجامع الكبير)) (مجموع ٢٧١ ق/١٦٠ – ١٦٥) ، و (مجموع ١١٩ ق/١٣٣ – ١٣٦) ، و (مجموع ٧٣ق/٣٠٨ – ٣١٢). ولعله ما نقل عنه الصنعاني في ((توضيح الأفكار)):)١/ ١٢٧) ، فقال: ((وقال المصنف في مختصره ....)).
*مسائل شافيات وبالمطالب وافيات فيما يتعلق بآيات كريمة قرآنية تدل على الله المعبود، وصدق أنبيائه

المبلغين عنه.
له نسخة في مكتبة الجامع، (مجموع ١١٩ ق/٩٢ - ١١٤) ، وأخرى في مكتبة الأوقاف، ((الفهرس)): (٢/ ٥٧٧).
*مسألة الحكمة في العذاب الأخروي.
ذكره في ((الإيثار)): (ص/٩٦) ، فقال: ((وصنف ابن تيمية في بيان الحكمة في العذاب الأخروي، وتبعه تلميذه ابن قيم الجوزية، وبسط ذلك في كتابه «حادي الأرواح إلى ديار الأفراح))؛ فافردت ذلك في جزء لطيف، وزدت عليه)) اهـ.
*مسألة النهي عن الرهبانية، والحث على الحنيفية السمحة.
ذكره في ((العواصم))
هذا ما استطعت حصره من كتب المؤلف -رحمه الله- في هذه العجالة، ولعل مناسبة تتيح البسط فيها، وقد وقع لكل من ترجم لابن الوزير من الدارسين المعاصرين أخطاء وأوهام كثيرة في تعداد مؤلفاته، لا يتسع المقام لذكرها.." (١)

"وسأل وزراءه، كان المفهوم: وسألهم عن كوني واجهته، وهذا الذي ذكرت أنه المحذوف هو الذي اختاره العلامة الزمخشري (١) -رحمه الله- لم يذكر سواه، ولكن لم يذكر الوجه في ذلك لجلائه.
وأيضا فقوله: {إن كنتم لا تعلمون} يفهم منه: أن الحكمة في سؤالهم الخروج من الجهل إلى العلم، أو يحتمل ذلك، وهذا مانع من الاستدلال بها في التقليد. والذي يدل على ذلك أن من قال: اشرب إن كنت ظامئا، فهم منه أن المراد شرب ما يزيل الظمأ، فلو أن المأمور شرب سمنا أو عسلا، وزعم أنه أراد امتثال ما أمر به، لعد أعجمي اللسان، أو بهيمي الجنان، وكذلك قوله تعالى، {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} [النحل: ٤٣] فإنه يفيد سؤالا يخرج من الجهل إلى العلم، ولا شك أن التقليد لا يفيد العلم بالإجماع، ولهذا لم يحل التقليد في المسائل التي يجب العلم بها، ويمكن أن يقال: إنما فهم ذلك في قوله: اشرب إن كنت ظامئا بالقرينة، ولذا يفهم عكسه بالقرينة في قوله: سل الأغنياء إن كنت فقيرا، فلا يفهم سؤالا يغني ويخرج من الفقر. وقد يتجرد الشرط عن القرائن في الجنبتين، فلا يفيد شيئا، كقوله: صل إن شئت، ولكن في الآية مجرد احتمال، وهو مما يمنع القطع في الاستدلال.

---

(١) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم - صلى الله عليه وسلم -؟ ابن الوزير المقدمة/٣٥

فإن قيل: إنها مما ورد على سبب، ولا يقصر عليه.
قلنا: ليس كذلك، لأن شرط ذلك عموم لفظه ومعناه، ولفظ هذه الآية فيه حذف، فهو غير ظاهر، ومعناها خاص غير عام، والعجب أن الأصوليين استدلوا بهذه الآية على جواز التقليد، من غير بيان لوجه

---

(١) الكشاف ٢٠/ ٤١٠ و٤١١.." [١]

"فروى لهم حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في بناء الإسلام على الشهادتين (١) أو ما يشبهه، فكتبوا إلى هارون يذكرون ذلك، فأرسل إليهم بمتكلم فدسوا له من فهمه (٢) قبل وصوله إليهم، فوجدوه على ما يحذرون، فسموه قبل وصوله إليهم، ولهم أمثال هذه الحكاية.
والجواب: عليهم في مثل هذه الأشياء –وإن لم تصح– أن يقال لهم: ما أردتم بذلك؟ فإن أردتم الاستدلال على أنكم أجدل من المحدثين، وأحذق بصناعات الجدليين، فذلك مسلم لكم، بل مسلم لكم أنكم أجدل من الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وإن أردتم أنكم أعلم بالله، وأفضل عند الله، فغير مسلم، فإنه لا ملازمة بين الحذق بالجدل، والعلم بالله عز وجل، فكم من فيلسوف (٣) كافر قدير في علم الجدل، وصار فيه إماما للأذكياء، وكم من ولي لله تعالى قد ارتوى قلبه من اليقين الصرف، وهو غير بصير بقوانين الجدليين، وذلك يظهر (٤) بوجهين.
الوجه الأول: أن السائل جهل المقصود بالنبوة، وظن أن **الحكمة في** بعثة الرسل هي بيان الأدلة على الله وأسمائه (٥)، وجدال المخالفين في ذلك، وإنما بعثوا مبشرين، ومنذرين، ومعلمين للشرائع، بل قد نص

---

(١) أخرجه من حديث ابن عمر: البخاري (٨) و (٤٥١٤)، ومسلم (١٦)، والترمذي (٢٦٠٩)، والنسائي ٤/ ١٠٧ – ١٠٨، ولفظه في البخاري: " بني الإسلام على خمس: شهاده أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان ".
(٢) في (د): " يفهمه "، وكتب فوقها: فهمه صح.
(٣) تصحفت في (أ) إلى: فيلفوس.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٣٤٨/١

(٤) في (ش): ظاهر.

(٥) " وأسمائه " ساقطة من (ش).." [١]

"ونحن نتكلم على جميع مقاصدهم في ذلك، ونبدأ بما هو كالأساس للكلام في خلق الأفعال عندهم، وينحصر ذلك إن شاء الله تعالى في خمس مراتب:

الأولى: تكليف المكلفين من غير اختيارهم للتكليف.

الثانية: نفوذ (١) مشيئة الله تعالى في الكائنات.

الثالثة: الكلام على الدواعي (٢) والصوارف.

الرابعة: الكلام على القضاء والقدر **والحكمة في** ذلك.

الخامسة منها: الكلام في مسألة الأفعال نفسها.

المرتبة الأولى: المعنى الصحيح بالاتفاق، وإن اختلفت العبارة عنه، وذلك إقدار المكلفين وخلقهم ممتحنين عقلاء مختارين. وقد صرح الشهرستاني في " نهاية الإقدام " بالجبر، وفسره بهذا المعنى (٣) كما سيأتي عند ذكر مذهب الجويني، وإنه إنما حمله عليه الفرار من ركاكة الجبر، وذلك في الكلام على الفرقة الرابعة في المرتبة الخامسة، وهذا معنى صحيح لكن فيه إيهام (٤) الجبر في الأفعال الاختيارية، فتسمية (٥) ذلك جبرا قبيح. وإن كان قد اعترف الزمخشري (٦) وهو من رؤوس المعتزلة بصحة هذه العبارة، فقال في تفسير سورة (٧) الحشر في تفسير اسمه الجبار جل وعز أنه الذي جبر الخلق على ما أراد، ووافقه الخطابي على هذا التفسير، رواه البيهقي عن الخطابي في " الأسماء والصفات " (١) وأنه على وجه لا يوهم الجبر في التكاليف الاختيارية، والخلق بهذا المعنى مجبورون مقهورون مربوبون مقسورون.

---

(١) في (ش): تفرد.

(٢) في (ش): المرتبة الثالثة في الدواعي.

(٣) ساقطة من (ش).

(٤) في (أ): " لكن إبهام "، وهو خطأ.

(٥) في (أ): " بتسمية "، وهو خطأ.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٤/٩٥

(٦) ٤/ ٨٥.

(٧) ساقطة من (أ).

(١) ص ٣١.." (١)

"[الأنعام: ٣٩].

وقال تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} [القصص: ٥٦].

وقال تعالى: {ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير} [الشورى: ٨].

وقال تعالى: {يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما} [الإنسان: ٣١].

وقال تعالى حاكيا عن موسى: {إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء} [الأعراف: ١٥٥].

وقال تعالى: {تؤتي الملك من تشاء} [آل عمران: ٢٦].

وقال تعالى: {يؤتي الحكمة من يشاء} [البقرة: ٢٦٩].

وقال تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام: {إن ربي لطيف لما يشاء} [يوسف: ١٠٠].

وقال تعالى: {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء} (١) [الأنعام: ١٢٥].

وقال تعالى: {إن ربك فعال لما يريد} [هود: ١٠٧].

وقاله تعالى: {ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا} [المائدة: ٤١].

وقال تعالى: {يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة} [آل عمران: ١٧٦].

---

(١) من قوله: " وقال تعالى حاكيا عن يوسف " إلى هنا ساقط من (ش).." (٢)

"المحرمة، فقتل به مؤمنا، أما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل، بل إنحاؤهم باللوائم على الواهب أشد.

قلت: قد علمنا أن الله حكيم عالم بقبح القبيح، عالم بغناه عنه، فقد علمنا أن أفعاله كلها حسنة، وخلق

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٢٧١/٥

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٢٧٥/٥

فاعل القبيح فعله، فوجب أن يكون حسنا، وأن يكون له وجه حسن، وعدم علمنا لا يقدح في حسنه، كما لا يقدح في حسن أكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة إلى (١) خلقها. انتهى بحروفه (٢).

وفي قوله: ما دعا الحكيم (٣) إلى خلقهم مع علمه بما (٤) يكون منهم، إشارة إلى قول أهل السنة: إن الإرادة لا يصح توجهها إلى تحصيل ما منع منه علم الغيب من حصوله.

فإن ادعت المعتزلة أن وجه **الحكمة في** خلق من سبق العلم بأنهم من أهل

---

(١) في (أ): " وخلقها "، وهو خطأ.

(٢) قال الإمام ناصر الدين أحمد بن المنير في " الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال " ٤/ ١١٣ معقبا عليه: لقد ركب عمياء، وخبط خبط عشواء، واقتحم وعرا، السالك فيه هالك، والعابر فيه عاثر، وإنما ينصب إلى مهاوي الأراك، ويحوم حول مراتع الأشراك، ويبحث، ولكن على حتفه بظلفه، ويتحذق وما هو إلا يتشدق، ويتحقق وما هو إلا يتفسق، وهب أنه أعرض عن الأدلة العقلية والنصوص النقلية المتضافرة على أن الله تعالى خالق كل شيء، واطرد له في الشاهد ما ادعاه، ومن مذهبه قياس الغائب على الشاهد، قد التجأ إلى الاعتراف بأن الله خالق العبد الفاعل للقبيح، وأن خلق العبد الفاعل للقبيح بمثابة إعطاء السيف الباتر للرجل الفاجر، وأن هذا قبيح شاهدا، ولا يلزم أن يكون مثله قبيحا في خلق الله تعالى، أفلا يجوز أن يكون منطويا على حكمة استأثر الله تعالى بعلمها، فما يؤمنه من دعوى أن أفعال العبد وإن استقبحها العقلاء مخلوقة لله تعالى، وفي خلقها حكمة استأثر الله بعلمها، وهل الفرق إذا إلا عين التحكم ونفس اتباع الهوى هذا ودون تمكنه من اتباع هده القواعد أن يمكن من القتاد اختراط، ومن الجمل أن يلج في سم الخياط.

(٣) ساقطة من (ش).

(٤) في (ش): ما.." (١)

"يقفو ما ليس له به علم من التأويل، ويجعل إيمانه الجملي في مواقع (١) النصوص الشرعية، وموافقة الآيات القرآنية.

والسني (٢) آمن بكلام الله وإن أنكر العقل ظاهره لعلمه بثبوت حكمة الله تعالى في تأويله الباطن، ونعني

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٢٧٨/٥

بالتأويل ها هنا الحكمة في الشيء مع بقائه على ظاهره كتأويل استخلاف آدم وذريته في الأرض، وتأويل ما أنكره موسى من الخضر عليهما السلام، ولم يزل ذلك سنة المؤمنين، بل سنة المرسلين كما خرجه مسلم في " الصحيح "، وأحمد في " المسند "، والترمذي من حديث ابن عباس في تفسير قوله تعالى: {إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله} (٣) [البقرة: ٢٨٤].

وسبب نزول آخر السورة خرجه أحمد من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن حميد بن قيس الأعرج، عن مجاهد، عن ابن عباس (٤) وهذا إسناد على شرط الجماعة، وفي حميد الأعرج خلاف لا يضر (٥) خصوصا، وقد خرج مسلم وأحمد من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبيه، عن أبي هريرة (٦)

---

(١) في (ش): مواضع.

(٢) في (ش): فالسني.

(٣) أخرجه أحمد ١/ ٢٣٣، ومسلم (١٢٦)، والترمذي (٢٩٩٢)، والنسائي في التفسير كما في " التحفة " ٤/ ٣٩١، والطبري (٦٤٥٧) و (٦٥٣٧)، وابن حبان (٥٠٦٩)، والواحدي في " أسباب النزول " ص ٦٠، والحاكم ٢/ ٢٨٦، والبيهقي في " الأسماء والصفات " ص ٢١٠ - ٢١١ من طرق عن وكيع، عن سفيان، عن آدم بن سليمان مولى خالد بن خالد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وسيذكر المؤلف نصه.

(٤) أخرجه أحمد ١/ ٣٣٢. وأخرجه الطبري (٦٤٦١) من طريق عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان، عن حميد الأعرج، بهذا الإسناد.

(٥) في (ش): قريب.

(٦) أخرجه أحمد ٢/ ٤١٢، ومسلم (١٢٥)، وأبو عوانة ١/ ٧٦ و٧٧، والطبري (٦٤٥٦) و (٦٥٣٨)، وابن حبان (١٣٩) من طرق عن العلاء، بهذا الإسناد.

وذكره السيوطي في " الدر المنثور " ٢/ ١٢٧، وزاد نسبته إلى ابن أبي داود في " ناسخه "، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.." (١)

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٥/٢٨٠

"وكيف يجعل وجود الشر والأشرار مع ذلك خليا عن الحكمة الخفية، والغايات الحميدة؟!
أو كيف ينظم مثل ذلك في سلك (١) القبائح الضرورية، والمفاسد الجلية، وكم بين الحق والباطل، والظلمات والنور.
وإنما لو علم الخلق **بالحكمة في** خلق الأشقياء على التفصيل، لفسدوا، كما أنه لو بسط الرزق، لفسدوا، أو رفعه هلكوا، ولو قنطوا، أو قطعوا بالأمان لفسدوا {والله يعلم وأنتم لا تعلمون} [البقرة: ٢١٦].
وقد تشوف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى رؤية جبريل على خلقته، فرآه كذلك فخر مغشيا عليه (٢)، بل قال الله تعالى: {لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا} [الكهف: ١٨].
وصح في الحديث " أن الكافر لو يعلم بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار " (٣).
وقد اعترفت المعتزلة بأن التقبيح العقلي ينقسم إلى ضروري عقلي كتقبيح الكذب الضار، واستدلالي كتقبيح الكذب النافع، فهذا الاستدلالي يقع فيه

---

(١) في (ش): تلك.
(٢) أخرجه ابن المبارك في " الزهد " (٢٢١) عن الليث بن سعد، عن عقيل، عن ابن شهاب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سأل جبرئيل أن يتراءى له في صورته، فقال جبرئيل: إنك لن تطيق ذلك، فقال: " إني أحب أن تفعل "، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المصلى في ليلة مقمرة فأتاه جبرئيل في صورته، فغشي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين رآه ... وهذا مرسل عن ابن شهاب الزهري، ومرسلاته عند يحيى بن سعيد القطان شبه الريح.
(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٣٣٤ و٣٩٧ و٤٨٤، والبخاري (٦٤٦٩)، ومسلم (٢٧٥٥)، والترمذي (٣٥٤٢)، وابن حبان (٣٤٥) و (٦٥٦)، والبغوي في " شرح السنة " (٤١٨٠) من طريقين عن أبي هريرة.." [1]
"وخامسها: أنه يلزمهم استحالة أن يكون الرب أعلم بالحكم، والمصالح، والمرجحات الخفية، وقد علم تفاضل علماء النظر في ذلك إلى شأو بعيد، فكيف بالملك الحميد المجيد؟! بل العالم يعلم اختلاف أحوال نفسه في ذلك، ومن فوقه ومن دونه.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٥/٢٩٧

وسادسها: أن قصة الخضر وموسى مانعة ما (١) ذكروه منعا قاطعا، لأن موسى عليه السلام لم يعلم وجها محسنا لما فعله الخضر لا جملة ولا تفصيلا، ولذلك سماه أمرا نكرا، وقد علم الله من وجوه **الحكمة في** ذلك ما لم يعلمه موسى عليه السلام، بل علم الخضر فيه (٢) ما لم يعلم موسى عليهما السلام، بل قال الخضر لموسى: ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر (٣). بل قال الله تعالى: {فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون} [النحل: ٧٤] وهي من أنفع آية في هذا المعنى.

وسابعها: قصة الملائكة حيث قالوا: {أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك} [البقرة: ٣٠] فهذا قاطع بأنهم ما عرفوا وجه **الحكمة في** ذلك على التفصيل، بل ولا أعلمهم الله في جوابه عليهم بالكلية حيث قال: {إني أعلم ما لا تعلمون} [البقرة: ٣٠].

فيا عجبا للمعتزلي كيف لم يقنع بما قنعت به الأنبياء والملائكة، ومن لم يقنع بما قنعوا كيف يقنع بكلام أئمة السنة، ويناظر مناظرة السلف الصالح، وهو جدير بأن يلحق بالذين قالوا لجوارحهم يوم القيامة: {لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء} [فصلت: ٢١].

وثامنها: أنهم لم يجدوا وجها تفصيليا (٤) صحيحا مرضيا في هذه المسألة كما مر بيانه.

---

(١) في (ش): مما.

(٢) ساقطة من (ش).

(٣) قصة الخضر مع موسى أخرجها بطولها البخاري (٤٧٢٥).

(٤) في (أ): تفصيلا.." [1]

"ولذلك قرأ ابن عباس: {ويقول الراسخون في العلم آمنا به كل من عند ربنا} رواه الحاكم وصححه (١).

ورواه الزمخشري (٢) عن أبي بن كعب سيد (٣) القراء.

وروى الزمخشري (٤) عن ابن مسعود نحو ذلك بغير لفظه، ولم يضعفهما، بل رواهما معا بصيغة الجزم قراءتين لا من جهة التأويل.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٥/٣٠٠

وقد أوضحت الحجة في أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه في غير هذا الموضع، وكفي في ذلك حجة بأن موسى الكليم الوجيه المقرب عليه السلام ما علم تأويل المتشابه في علم الخضر، وكان سبب إنكاره لأفعال الخضر زيادة علم الخضر على علمه، فكيف بعلم الله وكلماته التي نص على أن البحار تقل أن تكون مدادا لها؟!

ويوضح ذلك ما علم بالضرورة من أن الكف عن الخوض في هذا هو حال خيار المؤمنين كما تقدم في تفسير {آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون} [البقرة: ٢٨٥] وما ورد في سبب نزولها.

بل هذا هو حال الأنبياء كما ذكرته في قصة موسى والخضر، وحال الملائكة كما حكى الله عنهم في سؤالهم عن الحكمة في خلق آدم وذريته.

---

(١) أخرجه الطبري في " جامع البيان " (٦٦٢٧)، والحاكم ١/ ١١٢ من طريقين عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس. وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وذكره السيوطي في " الدر المنثور " ٢/ ١٥٠ وزاد نسبته إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر، وابن الأنباري في كتاب " الأضداد ".

(٢) في " الكشاف " ١/ ٤١٣. وانظر " تفسير الطبري " ٦/ ٢٠٤.

(٣) تصحفت في (أ) إلى: بسند.

(٤) في " الكشاف " ١/ ٤١٣. وانظر " المصاحف " لابن أبي داود ص ٦٩ والطبرى ٦/ ٢٠٤ ولفظ قراءته: " وإن حقيقة تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ".." (١)

"وعظامه، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق الذي يسخط الله عليه" لفظ مسلم عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة (١).

وثانيهما: ما يختص الرب سبحانه بعلمه في ثلاثة أشياء:

أولها: داعي الحكمة الأول الداعي إلى تقدير خلق الأشقياء وإقامة الحجة عليهم، وقطع أعذارهم.

وثانيها: الداعي إلى تكليف السعداء، والمن عليهم بالهداية والمغفرة، وبيان المنة لهم باختصاصهم بذلك، وتقرير السنة عليهم بالعفو بعد الحساب على الصغيرة والكبير، وترجيح ذلك على الإحسان إليهم بذلك

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٥/٣٤٢

ابتداء، وتعريفهم بالمنة من غير هذه الوسائط. وسيأتي في مرتبة الدواعي الإشارة إلى ما تفهمه العقول، وما أشارت إليه الآيات والأخبار في هذين الأمرين، ويأتي طرف منه في ذكر **الحكمة في** تقدير الشرور في مرتبة (٢) الأقدار.

وثالثها: تأويل ما اشتبه على العقول من تفاصيل **الحكمة في** ترجيح العقوبة على العفو في بعض الذنوب، والأشخاص، والأزمان دون بعض، ومن تأويل الاستثناء من دوام العذاب، فربما كان إعلامهم بذلك مفسدة لهم أو لبعضهم، أو لم يكونوا يحتملونه أو بعضهم.

---

(١) أخرجه الحميدي (١١٧٨)، ومسلم (٢٩٦٨)، وأبو داود (٤٧٣٠)، وابن أبي عاصم في " السنة " (٤٤٥)، وابن خزيمة في " التوحيد " ص ١٥٢ - ١٥٣ و١٥٤ و١٥٥ و١٥٦، وعبد الله بن أحمد في " السنة " (٢٢٨) و (٢٢٩) و (٢٣١)، والآجري في " التصديق بالنظر " (٢٧)، وابن منده في " الإيمان " (٨٠٩)، واللالكائي في " شرح أصول الاعتقاد " (٨٢٣). وانظر " صحيح ابن حبان " (٧٤٤٥).

وقوله: " ليعذر " أي: ليزيل الله عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة أعضائه عليه، بحيث لم يبق له عذر يتمسك به.

(٢) ساقطة من (ش).." (١)

"الصالح، وهذا غرض مستدرك، فأخبرهم عز وجل بما معناه أنه لم يعجز عن هذا في الابتداء حتى يستدركه في الانتهاء، ولكنه حق منه القول في الابتداء بدخولهم النار لحكمة راجحة، ثم ضم إليها الحجة بالعمل زيادة في العذر والعدل، كما كتب الأعمال، وأشهد الملائكة، ونصب الموازين، وعلمه الحق ثم علمهم مغن عن جميع ذلك.

وقد كرر الله حجته الباطنة، وأكدها في الابتداء كثيرا، وفي الانتهاء بنحو {ولو ردوا لعادوا} [الأنعام: ٢٨]، وكذلك ما تقدم من الآيات التي في سورة الإسراء إذا تأملتها من أولها وجدتها جامعة للحجتين، حيث قال تعالى: {وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه} [الإسراء: ١٣] أي: ما عمل من خير أو شر، وقيل: حظه المقضي له من خير أو شر، وهذا هو القدر، وهو الحجة الأولى السابقة، ووجه الاحتجاج به أنه فعل حكمه (١)، ثم أتبعه بالحجة الظاهرة، فقال: {ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (١٣) اقرأ كتابك كفى

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٣٥٥/٥

بنفسك اليوم عليك حسيبا} إلى قوله: {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} [الإسراء: ١٣ - ١٥] ثم بين الحكمة في الرسل في حق من علم هلاكه، فعقب ذلك بقوله: {وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا} [الإسراء: ١٦].

ثم بين بعد هذا (٢) أن علمه بذنوب عباده أبلغ كاف لكنه زاد ذلك لقطع العذر وزيادة الحجة، فقال: {وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا} [الإسراء: ١٧].

والجمع بين الحجتين كثير في كتاب الله تعالى لمن تأمله فلله الحمد والمشيئة والحكمة والحجة.

وقد كنت أظن أنه لم يسبقني أحد إلى ذكر (٣) هاتين الحجتين، لأني لم أزل

---

(١) في (أ): فعل حكيم.

(٢) في (ش): بعدها.

(٣) ليست في (أ).." (١)

"الراحمين، ذكر معنى ذلك في شرح (الرحمن الرحيم) من كتاب " المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى " (١) وذكر بعد ذلك أن تحته سرا لم يأذن الشرع بإفشائه. قلت: وفي كلامه هذا البحث نظر لم أذكره لعدم الحاجة إلى ذكره (٢).

الوجه الرابع: وهو النافلة التفصيلية الخلافية بعد أنواع الأجوبة الثلاثة المعروفة عند أهل هذا الشأن، وذلك أن كثيرا من علماء الإسلام قد خاضوا هذه الغمرة، وذكروا في تفصيل الحكمة في العذاب ما هو داخل في الإمكان على قدر عقول البشر وقواهم، وتقريب ذلك لبيان (٣) بطلان ظن من حسب أن وجود الحكمة في عذاب الآخرة في العقول من قبيل المحالات لا من قبيل المحارات (٤).

وسيأتي ذكر ذلك مجملا مختصرا، ومفصلا ومطولا في مجلد مفرد موضعه من هذا الكتاب في الفائدة الخامسة في آخر المرتبة الرابعة التي في ذكر القضاء والقدر، وبيانه ما ورد في السمع من حكمة الله تعالى في تقدير الشرور، ولا ينبغي إيراد القليل (٥) من ذلك هنا لأجل الحاجة إليه، إنه لا يكفي، ولا يفي بالمقصود، ولا يشفي، فتأخيره إلى موضع البسط أولى، والله الموفق.

فتلخص أن المعتزلة فروا في نفوذ (٦) مشيئة الله تعالى مما ظاهره القبح العقلي، وليس كذلك، وباطنه الحق

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٣٦١/٥

الذي تأويله حسن عقلا على سبيل الإجمال على الصحيح، وشرعا على سبيل التفصيل عند الله عز وجل فوقعوا فيما ظاهره وباطنه القبح عقلا وشرعا وهو أمران:

أحدهما: تعجيز الرب عن هداية عاص واحد من جميع خلقه، والعجز صفة

---

(١) ص ٦٢ - ٦٣، نشر مكتبة القرآن بالقاهرة بتحقيق محمد عثمان الخشت.

(٢) في (ش): إليه.

(٣) في (ش): بيان.

(٤) قوله: " لا من قبيل المحارات " ساقط من (ش).

(٥) من قوله: " وبيانه " إلى هنا ساقط من (ش).

(٦) في (ش): تفرد.." (١)

"كالمستجير من الرمضاء بالنار (١).

لا بل كالمستبدل الظلمات بالنور، والمشتري الضلالة بالهدى.

وتلخص أيضا أنهم حافظوا على تعيين وجه **الحكمة في** المتشابه، ولم يرد الشرع بالأمر بذلك، بل لم يأذن فيه، بل ذم متبعيه كما يأتي في آخر الأقدار.

وأهل السنة حافظوا على أمر ورد الشرع بتعظيم المحافظة (٢) عليه، وهو

---

(١) عجز بيت صدره:

المستجير بعمرو عند كربته

قال البكري في " فصل المقال " ص ٣٧٧: أصل هذا المثل، وأول من نطق به التكلام الضبعي، وذلك أن جساس بن مرة لما طعن كليبا -وهو كليب بن وائل- استسقى عمرو بن الحارث ماء، فلم يسقه، وأجهز عليه، فقال التكلام في ذلك.

المستغيث بعمرو عند كربته ... كالمستغيث من الرمضاء بالنار

وربما أنشدوه:

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٣٦٦/٥

كالمستغيث من الدعصار بالنار

والدعصار: الأرض السهلة المستوية تصيبها الشمس فتحمى، فتكون رمضاؤها أشد حرا من غيرها.

قال الزمخشري في " المستقصى " ٢/ ١٩ في شرح المثل: " تجاوزت الأحص وشبيثا ": هما ماءان، وأصله أن جساس بن مرة لما ركب ليحق كليبا، أردف خلفه عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان، فلما طعنه وبه رمق، قال له:

أغثني يا جساس منك بشربة ... تعود بها فضلا علي وأنعم

فقال له جساس: " تجاوزت الأحص وشبيثا " أراد: إنك تباعدت عن موضع سقياك، ثم نزل عمرو، فحسب أنه يسقيه، فلما علم أن نزوله للإجهاز عليه، قال:

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

قلت: يضرب هذا المثل لمن فر من خلة مكروهة، فوقع في أشد منها، ومثله قولهم: فر من المطر، فوقع تحت الميزاب.

(٢) في (ش): بالمحافظة.." [١]

"قلت: لا يبعد أنه (١) في مرتبة اختيار الأحسن على الحسن لأن الله تعالى لا يفعل المرجوح وإن كان حسنا مع وجود الأحسن الراجح (٢)، وذلك أن الأمر يشبه الخبر بالوجوب، كما قد أتى بلفظ الخبر {ولله على الناس حج البيت} [آل عمران: ٩٧] ونحوها، فبعد بالتأويل عن شبه الخلف (٣) والبداء كما تنزه عن خلف الوعيد كذلك مع حسنه عقلا وسمعا.

وثانيهما: وهو الأكثر أمر من علم الله سبحانه أنه لا يطيع لإقامة الحجة، كما أذكره في **الحكمة في** الأمر مع القدر في آخر الكلام في الأقدار، وما فيه من الآيات الصريحة بأن العلة في أمره إقامة الحجة عليه، وإليه الإشارة بقوله: {والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} [يونس: ٢٥]، فعم بالدعوة حجة على من علم أنه لا يجيب، وخص بالهدى منه على من علم أنه ينيب.

ثم إن الحجة تارة تكون مع إرادة المغفرة كما يأتي في أحاديث " لو لم تذنبوا لذهب الله بكم "، ومنه قوله تعالى: {يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة} إلى قوله: {فأخرجهما مما كانا فيه} [البقرة: ٣٥ - ٣٦] ولم يكن الرب عز وجل مريدا لسكون آدم وزوجته في الجنة دائما بدليل قوله قبل عصيانهما: {إني جاعل في

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٣٦٨/٥

الأرض خليفة} [البقرة: ٣٠]، وبدليل أنه لو أراد ذلك غفر ذنبهما ولم يخرجهما به من الجنة، أو أخر عقوبتهما إلى (٤) الآخرة كما يقتضيه مذهب المعتزلة، فإنه لا يجوز عندهم تقديم (٥) العقوبة في دار التكليف، بل ذنوب الأنبياء صغائر عند المعتزلة والجمهور، والصغائر مغفورة لا يعاقب الله عز وجل

= الجهمية" ص ٣٤، وابن حبان (٧٤٠٦)، والآجري في " الشريعة " ص ٤٨١ - ٤٨٢، وابن منده في " الإيمان " (٧١٤)، والبغوي (٣٧٥٤).

(١) في (أ): أن.

(٢) ساقطة من (ش).

(٣) تصحفت في (ش) إلى: الخلق.

(٤) في (ش): في.

(٥) في (ش): تقدم.." [1]

"أو (١) تخصيصا.

وإما أن يقال: تعلقت الإرادة بها على الوجهين المذكورين بأنه أراد بنا أو أراد منا، أراد بنا ما أمرنا به دينا وشرعا واعتقادا ومذهبا، وأراد منا ما علم سابقة، وعاقبة وفاتحة وخاتمة. انتهى.

فصل: وأقول: إن السابق إلى الأفهام غير ما ذكره، وهو أن يكون قوله: " أراد منه " يطلق على ما وافق الأمر من الإرادة.

وقولنا: " أراد به " لما وافق العلم، ويدل عليه أن الإرادة قسمان: قسم بمعنى الطلب من الغير، وقسم ليس بمعنى الطلب.

والقسم الأول نوعان:

الأول: معنوية حقيقية، وهي التي يكون معها الرضا والطلب، وهي إرادة الطاعة ممن علم الله تعالى امتثاله للأمر (٢)، وهذه تسمى إرادة في الحقائق الثلاث: اللغوية والعرفية والشرعية. قال الزمخشري في أوائل " الكشاف " (٣) في الإرادة اللغوية: هي مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك، ومال إليه قلبك، وفي حدود المتكلمين معنى يوجب (٤) للحي حالا لأجلها وقع منه الفعل على وجه دون وجه.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٣٧٦/٥

والنوع الثاني: الإرادة اللفظية، وهي إرادة ما يطلبه الله بالأمر ويرضاه ويحبه ممن علم أنه لا يمتثل الأمر (٥) فهذه يطلق عليها اسم الإرادة لفظا، وليست إرادة في الحقيقية، لكن محبة المطلوب **والحكمة فيه** الحاملة على الطلب تسمى إرادة ومشيئة.

---

(١) في (أ): و.

(٢) ليست في (ش).

(٣) ١/ ٢٦٦.

(٤) في (ش): يورث.

(٥) ساقطة من (ش).." [١]

"فمفعول الإرادة الأول في الآية هو " ماذا " على أنها اسم واحد، ومفعولها الثاني المشار إليه بلفظ " هذا " في الآية، وتفسير " ماذا " هو العلة **والحكمة في** إنزاله، وذلك هو ما بينه الله تعالى جوابا عليهم بقوله: {يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين} [البقرة: ٢٦]، ومفعولها الأول في الحديث هو الخير المسبب عن التفقيه، ومفعولها الثاني هو الفقه في الدين.

وتلخيص ذلك أن الإرادة تعدى إلى مفعول واحد بنفسها من غير حرف، وهو المتجدد المتخصص الذي يجب أن يكون (١) فعلا للمريد، وقد يعدى إلى مفعول ثان، فلا يجب أن يكون فعلا للمريد، وإن جاز أن يكون فعلا له في بعض الصور. وهذا القسم ينقسم:

فحين يكون المفعول الأول مطلوبا بالأمر من الثاني تعدى الإرادة إلى الثاني بمن كما يتعدى الطلب بها كما مر مثاله.

وحين يكون المفعول الثاني هو العلة في إرادة المفعول الأول يكون الثاني كالمفعول لأجله، وتعدى الإرادة إليه (٢) تارة بالباء الموحدة، كقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ". ومرة باللام كقولك: أردت الخير لزيد، ولذلك قال أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: لا يقال شاء للعباد، فيكون شبه اختيار، ولكن يقال (٣) شاء أن يعصوه. وقد تقدم سنده عنه عليه السلام.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٥/٣٨٥

فعلى هذا لا تعلق إرادة الله بفعل العبد حسنا كان أو قبيحا حيث يقول: أراد به أو له (٤) ثوابا أو عقابا، لأن مفعولها الأول هو الثواب أو العقاب على جهة الجزاء، وهو فعل الله تعالى ومفعولها الثاني هو العبد المستحق لذلك، والعلة في ذلك هي الحكمة، إما الاستحقاق وحده أو مع غيره.

---

(١) هنا في (ش) زيادة: " فيه ".

(٢) ساقطة من (ش).

(٣) ساقطة من (أ).

(٤) ساقطة من (ش).." [1]

"فأشار بقوله: {والحمد لله رب العالمين} إلى استحقاقه الحمد على ذلك، لما يصحبه من الحجة الدامغة، والحكمة البالغة في نصر المؤمنين، والانتصاف للمظلومين، وغير ذلك، وإليه الإشارة بقوله: {وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين} [الزمر: ٧٥].

بيان ذلك أنه لما كان موجب كمال صفات الله تعالى وملكه الحق يقتضي أن يكون ملكا عزيزا مخوفا مهيبا يخاف ويهاب، ويخشى ويتقى مثلما يسترحم ويستعطف، ويسأل ويرتجى كما سيأتي في آخر مسألة الأفعال في ذكر اسمه الضار النافع، وبيان أن ضره عدل ونفع وحكمة، كان من موجب كماله في الملك والربوبية، وموجب صفاته التي يستحيل تعطيله عنها، ويستحيل تخلف آثارها عنها، وسلب أحكامها منه، أن عبد السوء متى أصر على عصيانه، وتعدى حدوده وتجبر على أوليائه، ولم يشكر النعمة في إمهاله، وإقاله عثرته، ولا قبل ما عرضه له من غفرانه، وعلم الله سبحانه إصراره على مثل ذلك لو عاد له بالإمهال، جاز أن يبدل تلك الرحمة بالسخط والرفق بالعنف، والنعمة بالعقوبة، والتيسير لليسرى بالتيسير للعسرى لما يأتي من وجوه **الحكمة في** تقدير الشرور والعقوبات، وله في ذلك الحكمة البالغة، والحجة النيرة.

قال الله سبحانه: {ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب} [البقرة: ٢١١].

وقال تعالى: {وأما من بخل واستغنى (٨) وكذب بالحسنى (٩) فسنيسره للعسرى} [الليل: ٨ - ١٠].

وقال تعالى: {ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة} [آل عمران: ١٧٦].

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٣٨٨/٥

وقال سبحانه: {ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين} [آل عمران: ١٧٨].." (١)

"ويشهد لذلك ما حكاه الله تعالى في كتابه الكريم عن الملائكة عليهم السلام حيث قالوا: {أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون} [البقرة: ٣٠].

ووجه المشابهة بينهما أن الكل سؤال عن وجه الحكمة، وفيما تحيرت فيه العقول من ذلك، وأن الله أجاب على من سأل عن تعيين **الحكمة فيه** (١) برده إلى علمه، وهذا شأن المتشابه كله الذي أخبر الله تعالى أنه لا يعلم تأويله إلا هو.

فالعجب ممن يدعي معرفة الراسخين له، وهم فيه أكثر الناس وقفا وحيرة كما روى الطبراني عن وهب، عن ابن عباس أنه سئل عن القدر؟ فقال: وجدت أصول الناس فيه حديثا أجهلهم (٢) به، وأضعفهم فيه حديثا أعلمهم به، ووجدت الناظر فيه كالناظر في شعاع، كلما ازداد فيه نظرا ازداد فيه تحيرا. انتهى.

فلو علمه الراسخون، لعلموه المسلمين، إذ لا يصح أن يستحيل على المسلمين تعلم ما عند الراسخين.

تم بعونه تعالى الجزء الخامس من

العواصم والقواصم

ويليه الجزء السادس وأوله

قالت المعتزلة: القول بأن أهل النار ....

---

(١) في (ش): في ذلك.

(٢) تحرفت في (ش) إلى: أجملهم.." (٢)

"ولذلك ورد في الحديث " أن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف " (١)، وما ورد في الشريعة المطهرة في بعض الصور من زيادة الأجر (٢) عند المشقة فسببه رحمة الرب الكريم سبحانه للعبد،

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٤٢١/٥

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٤٣٣/٥

وليست المشقة تقتضي بنفسها وجوب ذلك بدليل ما قدمنا من تواتر المضاعفة من غير مشقة.

وكذلك ما ورد من تضعيف العقاب عند ضعف الداعي إلى المعصية، وعدم المشقة في تركها، سببه أنه ضعف داعي الرحمة المقتضي لتخفيف كثير من العقاب المستحق فبقي موجب العقاب بلا معارض، لا أن عدم المشقة أو ضعفها انتهض سببا لتضعيف العقوبة، ويقويه مثل قوله تعالى: {ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج} الآية [النور: ٦١]، فإنه لم ينف الحرج عنهم، لأنهم أفضل من الأصحاء (٣)، بل لأنهم أضعف، وقد كان أفاضل الصحابة أصح وأقوى وأقل مشقة واتقى.

ويحتمل جوابا آخر في الوجهين، وهو أن يكون الأجر على المشقة من قبيل الأجر على الآلام، وهي ضرورية لا اختيار للعبد فيها، ويوضحه أن المشقة تزيد وتنقص بغير اختيار، بل توجد وتعدم بغير اختيار، فيكون ذلك الأجر زيادة في بعض الصور ومقللا للعقاب في بعضها، وذلك من العوارض التي لا يجب استمرارها، فقد تكون المصلحة **والحكمة في** تضعيف ثواب ما لم تصحبه تلك

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٦٦ و٣٧٠، ومسلم (٢٦٦٤)، والنسائي في " عمل اليوم والليلة " (٦٢٣)، و (٦٢٤)، وابن ماجه (٧٩) و (٤١٦٨)، وابن أبي عاصم في " السنة " (٣٥٦)، والطحاوي في " مشكل الآثار " (٢٥٩) و (٢٦٠) و (٢٦١) و (٢٦٢)، وابن حبان (٥٧٢١) و (٥٧٢٢)، وأبو نعيم في " الحلية " ١٠/ ٢٩٦، والخطيب في " تاريخه " ١٢/ ٢٢٣، والبيهقي في " السنن " ١٠/ ٨٩، وفي " الأسماء والصفات " ١/ ٢٦٣، والمزي في " تهذيب الكمال " ٩/ ١٣٥ من حديث أبي هريرة.

(٢) في (ش): من زيادات الأحسن.

(٣) في (أ) و (ش): الأصحاب، وهو خطأ.." (١)

"تبعك} [ص: ٨٥] فقوله: " منك " نص فيه، والخبر فيه خاصة أظهر من الوعيد بقرينة إجماع المسلمين على أنه لا ترجى له توبة.

فأما مذهب المعتزلة، فلا يصح شيء من ذلك فيه، ولا يلزم منه تكليف ما لا يطاق، لأنه إنما يلزم على تقدير أن يؤمن من أخبر الله أنه لا يؤمن، وذلك غير واقع قطعا، ولا فرق بين التزام ذلك للمحال، والتزام مخالفه علم الله تعالى لذلك، فكما أن علم الله لم يستلزم انقلاب الممكن لذاته محالا، فكذلك خبره.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٣٦/٦

وهذه المسألة هي المعروفة بالممتنع لغيره، ولا خلاف بين الأشعرية والمعتزلة في جواز ورود التكليف، وإنما اختلفوا في جواز التكليف بالممتنع لذاته، كما سيأتي بيانه ولا حجة بالممتنع لغيره على الممتنع لذاته (١)، لأنه لو خرج بذلك عن كونه مقدورا أوجب خروج الرب سبحانه عن صفة القدرة لسبق علمه تعالى بما هو خالق وبما ليس هو خالقا (٢)، وقد قال تعالى: {كان على ربك حتما مقضيا}]مريم: ٧١] ولم يخرج عن القدرة على خلاف ذلك. وهذا عارض، ولنرجع إلى المسألة المقصودة.

فعلى هذا يمتنع في مذهبهم إخبار الله للمكلفين بذلك لعدم الابتلاء، ولأنه عندهم مفسدة، والمفسدة قبيحة، ولأنه يؤدي إلى إفحام الرسل بالإيمان لاستلزامه (٣) حينئذ تكذيبهم، ويستلزم بطلان الترهيب والترغيب ومحو آثار **الحكمة فيهما**.

فإن قالوا: إنه عموم يجوز تخصيصه فيبقى الابتلاء.

---

(١) قوله: " على الممتنع لذاته " ساقط من (أ).

(٢) في (أ) و (ش): " خالق "، وهو خطأ.

(٣) تحرفت في (ش) إلى: لا يستلزمه.." [١]

"وكذلك قوله: {يؤتي **الحكمة من** يشاء} [البقرة: ٢٦٩] لأن المقهور غير حكيم.

و {من يرد الله فتنته} [المائدة: ٤١] لأن المقهور غير مفتون إلا إذا كانت بمعنى العذاب.

وكذا قوله: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} [القصص: ٥٦] لأنه لا يصح أن يكون المعنى: لا تكره على الهدى من أحببت، ويلزم أن تكون الثانية مثلها، وإلا لم يحسن الاستدراك، وكان بمنزلة أن تقول: ولكن الله يرزق من يشاء.

ومن أوضح الأدلة على ذلك قوله تعالى: {ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم (٨٧) ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده} [الأنعام: ٨٧ - ٨٨]، وبيانه: أن ذلك في قوله تعالى: {ذلك هدى} إشارة إلى ما تقدم من هداية أنبيائه وأوليائه والضمير في قوله: {يهدي}، راجع إلى ذلك الهدى الذي هدى به أنبياءه وأولياءه (١)، هو الهدى الذي يهدي به من يشاء من عباده، والمعلوم أن هدى من تقدم ذكره ما كان إلا اختيارا لا قسرا.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٦/٦٠

وإذا ثبت أن هدى من تقدم ما كان إلا اختيارا وجب أن يكون هدى من شاء من عباده مثله، لأنه هو.
وأما الدليل على أن الضمير في " يشاء " راجع إلى الله تعالى لا إلى " من " فوجوه (٢):
أحدها: أنه جاء كذلك في آيات كثيرة مصرحا به، ولم يأت على العكس، والقرآن يفسر بعضه بعضا، ولو سلمنا إجمال هذا كان في ذلك التصريح كفاية.

---

(١) من قوله: " والضمير في قوله يهدي " إلى هنا ساقط من (أ).
(٢) في (ش): بوجوه.." (١)

"الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة، ولم يتحقق من اختلافهم في سائر المراتب الثلاث الماضية ولا فيما يأتي الآن في المرتبة الخامسة ما يوجب التنافي الكثير، فإن المعتزلة تقر بأن الله خير (١) الخلق على التكليف الاختياري، وهي المرتبة الأولى.
وتقر بالقضاء والقدر بمعنى العلم والكتابة، وأن ما علمه الله لم يقع سواه قطعا، وهذه المرتبة الرابعة.
وتقر بأن ما دعا إليه الداعي الراجح، وقع قطعا، وهذه المرتبة الثالثة.
ويأتي في المرتبة الخامسة إقرار أهل السنة أجمعين أن العبد مختار في فعله حتى في قول غلاتهم في الجبر.
فوضح لك أن حقيقة اختلافهم إنما هو في مسألة الإرادة، وإنما بينت لك هذا لتخصها بفضل التأمل التام، والنظر الصحيح، وتضرع إلى الله أن يهديك إلى المنهج القويم والصراط المستقيم، فإنه سبحانه كما قال في كتابه: {لطيف لما يشاء} [يوسف: ١٠٠]، و {يؤتي الحكمة من يشاء} [المدثر: ٣١]، و {يضل من يشاء} [فاطر: ٨]، و {بيده الملك وهو على كل شيء قدير} [الملك: ١]، و {بكل شيء بصير} [الملك: ١٩].
وأما شبه المعتزلة السمعية في هذه المسألة، فهي ضعيفة جدا، وجوابها يظهر بأدنى تأمل بحمد الله تعالى، وهي أنواع.
النوع الأول منها وهو أهمها: ما حكاه الله تعالى عن المشركين من تعرضهم لإفحام الرسل كما تعرضت المعتزلة لإلزام أهل السنة ذلك بقولهم: إن مشيئة الله نافذة، وقد سبقهم المشركون إلى الاحتجاج بذلك على الله

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٦٦/٦

(١) تحرفت في (ش) إلى: أجبر.." (١)

"هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا} [الأنعام: ١٥٠].

وليس هذا الجواب من التأويل المخالف للظاهر، بل فيه بيان ما رجع إليه اسم الإشارة بالحجة كفعل الخصم بغير حجة.

وغاية الأمر أن هذه الآية الكريمة كآية المنافقين سواء، حيث احتجوا بالحق على الباطل، وسيأتي تمام الكلام على هذا مستوفى في جواب الآية الثالثة، فتأمله هنالك، فإنه مفيد جدا، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وليس مع المعتزلة شبهة إلا كون المشركين احتجوا بذلك، وليس يلزم في كل ما نطق به المشركون أنه باطل، وإن ظنوا أنه حجة لهم، فما زالوا يحتجون بالحق على الباطل، وذلك كثير في كتاب الله ولا فرق بين قولهم: {لو شاء الله ما أشركنا} [الأنعام: ١٤٨] وبين قولهم: {لو شاء ربنا لأنزل ملائكة} [فصلت: ١٤]، وقولهم: {أنطعم من لو يشاء الله أطعمه} [يس: ٤٧] من قبيل قول الخوارج (١): لا حكم إلا لله، والجواب عليهم من قبيل قول علي رضي الله عنه: كلمة حق يراد بها باطل.

وقد جمع الله سبحانه تمسكهم بهذه الشبهة وتمسكهم بنظيرها من مقدورات الله الممتنعة **بالحكمة في** آية واحدة يساوي فيها بين الشبهتين، ولله الحمد، وذلك قوله تعالى في الزمر: {أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين (٥٧) أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين} [الزمر: ٥٧ - ٥٨].

ألا تراه قد أجاب عن كل واحدة من هاتين الشبهتين في كتابه الكريم، فقال في جواب الأولى: {قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين}

---

(١) في (ش): في أن الجميع قول الخوارج.." (٢)

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٧٣/٦

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٨١/٦

"فبين الإذن وذكر **الحكمة فيه** بعلم تأويل الإذن بالعلم، لأن العلم لا يعلل، ولأن الإذن حين يكون بمعنى العلم يكون مفتوح الذال، ذكره في " الضياء " (١)، وهي عادتهم في التفريق بين المصادر دلالة على اختلاف المعاني.

وقال تعالى: {وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا (٤) فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا} [الإسراء: ٤ - ٥] فالآية ظاهرة في إرادة الله تعالى لتسليط الكفار على بني إسرائيل في تفاسير المسلمين، ويؤيد ذلك قوله عز وجل: {ولو شاء الله لسلطهم عليكم} [النساء: ٩٠] فكيف تموه المعتزلة بأن من آمن بهذا فقد نسب إلى الله محبة الظلم والرضا به. وقد يكون لله تعالى في ذلك حكم كثيرة غير ذلك.

من ذلك ما صح وتواتر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سأل الله تعالى أن يرفع الاختلاف والسيف عن أمته فمنعه ذلك (٢).

---

(١) ذكره نشوان بن سعيد الحميري في " شمس العلوم " ١/ ٧٤، و" الضياء المذكور " هو " ضياء الحلوم المختصر من شمس العلوم " لولده محمد.

(٢) أخرج ابن أبي شيبة ١٠/ ٣٢٠، وأحمد ١/ ١٧٥، و١٨١ - ١٨٢، ومسلم (٢٨٩٠)، والدورقي في " مسند سعد بن أبي وقاص " (٣٩)، وعمر بن شبة في " تاريخ المدينة " ١/ ٦٨، وأبو يعلى (٧٣٤)، وابن حبان (٧٢٣٧)، والبيهقي في " دلائل النبوة " ٦/ ٥٢٦، والبغوي (٤٠١٤) من طرق عن عثمان بن حكيم، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه. وفيه: " سألت ربي ثلاثا فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها ".

وأخرجه من حديث خباب بن الأرت: أحمد ٥/ ١٠٨ - ١٠٩ و١٠٩، والترمذي (٢١٧٥)، والنسائي ٣/ ٢١٦ - ٢١٧، وفي " الكبرى " كما في " التحفة " ٣/ ١١٥ - ١١٦، وابن حبان (٧٢٣٦)، والطبراني (٣٦٢١) و (٣٦٢٣) و (٣٦٢٤) و (٣٦٢٥) و (٣٦٢٦)، والمزي في =." (١)

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٦/٨٩

"وجاءت أحاديث قوية في بيان وجه **الحكمة في** ذلك، وهو أنها أمة مرحومة (١)، عذابها

= ترجمة عبد الله بن خباب من " تهذيب الكمال " ١٤/ ٤٤٧ - ٤٤٨، وفيه: " وسألته أن لا يلبسنا شيعا فمنعنيها ".

وأخرجه باللفظ السابق من حديث أنس: الحاكم ١/ ٣١٤ وأبو نعيم في " الحلية " ٨/ ٣٢٦.

وأخرجه من حديث ثوبان: أحمد ٥/ ٢٧٨ و٢٨٤، ومسلم (٢٨٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢١٧٦)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وابن حبان (٦٧١٤) و (٧٢٣٨)، والبيهقي في " الدلائل " ٦/ ٥٢٦ - ٥٢٧ وفي " السنن " ٩/ ١٨١، والبغوي (٤٠١٥). وفيه: " فإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيك لأمتك أن لا أهلكلهم بسنة عامة، ولا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا " قال: وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " إنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ... ".

وأخرجه من حديث شداد بن أوس: أحمد ٤/ ١٢٣، والبزار (٣٢٩١) مثل حديث ثوبان.

وأخرجه من حديث معاذ بن جبل: ابن ماجه (٣٩٥١)، وأحمد ٥/ ٢٤٠، وابن خزيمة (١٢١٨)، وفيه: " وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردها علي ".

وأخرجه من حديث جابر بن عتيك: أحمد ٥/ ٤٤٥.

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٤١٠ و٤١٨، وأبو داود (٤٢٧٨)، والحاكم ٤/ ٤٤٤ من طريق المسعودي عن سعيد بن أبي بردة، وأحمد ٤/ ٤٠٨ من طريق معاوية بن إسحاق، والطبراني في " المعجم الصغير " ص ١٠ من طريق سالم بن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي وعبد الله بن عثمان بن خثيم، وفي " المعجم الأوسط " (١) من طريق عبد الملك بن عمير وأبو حنيفة في " مسنده " ص ٢٨٠ ستتهم عن أبي بردة، عن أبيه أبي موسى الأشعرى، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

ولفظ سعيد بن أبي بردة: "أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها =." (١)

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٦/٩٠

"فيك يا أغلوطة الفكر ... تاه عقلي وانقضى عمري

سافرت فيك العقول فما ... ربحت إلا عنا السفر (١)

وقد أشار الله سبحانه إلى الجمع بين صحة الأوامر **والحكمة فيها** مع العلم بنفوذ القدر فيما حكاه من قول يعقوب عليه السلام لبنيه: {لا تدخلوا من باب واحد} [يوسف: ٦٧] إلى آخر الآية، وسيأتي شرح ذلك في الفائدة الرابعة في وجوب العمل مع القدر، والفائدة فيه في الحكمة.

وأما التفصيل، فلا سبيل إليه، ولا موجب لمعرفته، ولكن في كتاب الله إشارة إلى بعض حكم الله تعالى في ذلك، وهو فيما ذكر الله من محبته الابتلاء، وتمحيص المؤمنين، وتمييز الخبيث من الطيب حيث ورد على أعظم صيغ المبالغة، والإقناط من الطمع في خلافه، حيث قال سبحانه: {أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون} [العنكبوت: ٢].

وخرج الحاكم في كتاب الإيمان من " المستدرك " (٢) حديث كرز بن علقمة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل: هل للإسلام من منتهى؟ فقال: " نعم، أيما أهل بيت من العرب والعجم أراد الله بهم خيرا أدخل عليهم الإسلام، ثم تقع بهم الفتن كأنها الظلل ". وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم، وهو كما

---

(١) ذكرهما في " شرح النهج " ١٣/ ٥١ في أبيات خمسة صدرها بقوله: ولي في هذا المعنى، ثم أنشدها، وهي:

فيك يا أغلوطة الفكر ... تاه عقلي وانقضى عمري

سافرت فيك العقول فما ... ربحت إلا أذى السفر

رجعت حسرى وما وقفت ... لا على عين ولا أثر

فلحى الله الألى زعموا ... أنك المعلوم بالنظر

كذبوا إن الذي طلبوا ... خارج عن قوة البشر

(٢) ١/ ٣٤ وقد تقدم تخريجه في ٥/ ٣٠٦.." (١)

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ١٢٤/٦

"قديم سابق للدعاء.

وقد ذكرت في " الإجادة " وفي هذا الكتاب طرفا صالحا في الحكمة في خلق الشرور وتقديرها على قدر ما تحتمله عقول البشر من ذلك (١)، بل على قدر ما يحتمله عقلي وحدي، وأنا من أجهل البشر.

من ذلك: أن المحاسن لا تعرف إلا بأضدادها، فلا يعرف قدر العافية إلا بالألم، ولا قدر الراحة إلا بالنصب، ولا قدر الغنى إلا بالفقر، ولا قدر الآخرة إلا بما تقدمها من الدنيا والبرزخ والموقف، ولا قدر نعمة الهداية إلا بوجود أهل الضلالة، حتى قال بعض المعتزلة: إن حقيقة اللذة هي الخروج من مؤلم،

= والقضاعي في " مسند الشهاب " (٨٣١)، والبغوي (٣٤١٨)، وابن حبان (٨٧٢)، والحاكم ١/ ٤٩٣ من طرق عن سفيان الثوري، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الله بن أبي الجعد، عن ثوبان قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ".

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقال البوصيري في " مصباح الزجاجة " ١/ ٦١: سألت شيخنا أبا الفضل العراقي رحمه الله عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث حسن.

وأخرجه الترمذي (٣٥٤٨) والحاكم ١/ ٤٩٣ من طريق يزيد بن هارون عن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن وهو ضعيف في الحديث ضعفه بعض أهل العلم من قبل حفظه.

وقال الذهبي: وعبد الرحمن واه، وهو كما قال.

وأخرجه أحمد ٥/ ٢٣٤، والطبراني ٢٠/ (٢٠١) من طريق إسماعيل بن عياش عن عبيد الله بن عبيد الرحمن بن أبي حسين، عن شهر بن حوشب، عن معاذ. قال الهيثمي في " المجمع " ١٠/ ١٤٦: رواه أحمد والطبراني وشهر بن حوشب لم يسمع من معاذ، ورواية إسماعيل عن أهل الحجاز ضعيفة. وسيأتي

من حديث علي وسلمان الفارسي ص ٤٠٢.
(١) " من ذلك " ساقط من (أ).." (١)

"المائدة: {فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين} [المائدة: ١١٥].
وقد ذكرت في الأقدار في **الحكمة في** الشرور أن هذه الآية من أبين الدلالات على أن كثيرا مما نحسبه خيرا شر عظيم، ألا ترى أن كل أحد يجتهد في وضوح معرفة الآيات الدالة على الله، ويود أن يكاشف بالخوارق ليطمئن قلبه كما سأل ذلك الخليل الذي علم الله سبحانه أنه يستحقه وينتفع به ولا يتضرر كما قال فيه {وكنا به عالمين} [الأنبياء: ٥١]، وأحدنا لو أعطي ذلك مع ما علم الله من ركوبه الذنوب بعد ذلك كان وسيلة إلى التنكيل به لما علم الله في عقوبات عبيد السوء من المصالح والغايات الحميدة.
ومنه: حديث عبادة بن الصامت: خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهو يريد أن يخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان، فقال: " خرجت وأنا أريد أن أخبركم بليلة القدر فتلاحى رجلان، فرفعت، وعسى أن يكون خيرا لكم " رواه البخاري في " الصحيح "، ورواه أحمد من طريق محمد بن أبي عدي، عن حميد، عن أنس، عن عبادة، وهو سند صحيح على شرط الجماعة (١).
ومما يعضد ذلك مع ما تقدم حديث جابر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "لما عرج بإبراهيم - صلى الله عليه وسلم - رأى رجلا يفجر بامرأة، فدعا عليه، فأهلك، ثم رأى رجلا على معصية، فدعا عليه، فأوحى الله تعالى إليه: إنه عبدي، وإن قصره مني

---

(١) أخرجه الطيالسي (٥٧٦)، وأحمد ٥/ ٣١٣ و٣١٩ و٣٢٤، وأبن أبي شيبة ٣/ ٧٣، والدارمي ٢/ ٢٧ - ٢٨، والبخاري (٤٩) و (٢٠٢٣) و (٦٠٤٩)، وابن خزيمة (٢١٩٨)، وابن حبان (٣٦٧٩)، والبيهقي ٤/ ٣١١، والبغوي (١٨٢١).
وأخرجه مالك ١/ ٣٢٠ عن حميد، عن أنس. لم يذكر فيه عبادة.
قال الحافظ في " الفتح " ٤/ ٢٦٨: وقال ابن عبد البر: والصواب: إثبات عبادة وأن الحديث من مسنده.." (٢)

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ١٣٧/٦
(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ١٤٧/٦

"بذبح عظيم} [الصافات: ١٠٧] في الخروج بذلك من الخلف في الوعيد مع أن الخلف في الوعيد يسمى عفوا لا خلفا، ويحسن عقلا وسمعا كما ورد الأمر به في اليمين على ما غيره خير منه، وأجمعت الأمة على استحباب الحنث فيه، وإنما ينقص صاحبه متى عجز عن تنفيذ الوعيد. ومع حسنه عقلا لا سمعا (١)، فإن الله تعالى لا يفعله إلا بتأويل، كما ورد في الفداء بالكافر، لأنه تعالى يفعل من كل حسن أحسنه.

وهذا وجه منصوص في الحكمة في خلق الكفار ليكونوا فداء لعصاة المسلمين من النار، وهو حديث صحيح على شرط الجماعة، فإنه خرجه مسلم من طرق عن قتادة أنه قال: إن عونا -يعني: ابن أبي جحيفة- وسعيد بن أبي بردة كلاهما حدثاه: أنهما شهدا أبا بردة يحدث عمر بن عبد العزيز، عن أبيه أبي موسى، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك.

وكل رجاله مجمع عليهم في كتب الجماعة، وقتادة صرح بالسماع، فلا يخاف من تدليسه.

على أن أحمد بن حنبل رواه (٢) في " المسند " من غير هذه (٣) الطريق. قال أحمد: حدثنا أبو المغيرة النضر بن إسماعيل القاص، حدثنا بريد بن عبد الله بن أبي بردة، عن جده أبي بردة به.

وخرجه أحمد أيضا من طريق ثالثة عن محمد بن سابق، عن الربيع النصري، عن معاوية بن إسحاق، عن أبي بردة، عن أبيه.

وخرجه أيضا من طريق مسلم لكن: عن المسعودي، عن سعيد بن أبي بردة.

وخرجه الحاكم في كتاب الإيمان من " المستدرك " بلفظ مفسر أحسن من

---

(١) في (ش): وسمعا.

(٢) ساقطة من (أ).

(٣) في (أ): هذا.." (١)

"ومعناه في أحاديث الأقدار.

وقد ذكر ابن تيمية وأصحابه أن الانتصار للمؤمنين بعذاب الكافرين لا ينافي قوله تعالى: {ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما} [غافر: ٧] وستأتي الإشارة إلى كلامهم في ذكر الحكمة في تقدير الشرور.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ١٦١/٦

والذي نراه التسليم لقوله عز وجل: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء: ٢٣] مع الطمأنينة والجزم بحكمته عز وجل في جميع أفعاله، ورجحان جميع ما فعله، ووجوب الحمد والثناء على كل ما فعله، والجزم بأنه لا يصح منه تعالى وقوع العبث، ولا اللعب، ولا المباح، لأنه منه عز وجل بمنزلة العبث منا، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الوجه الثاني: من الجواب على أصل السؤال: أن الداعي إما أن يكون غير موجب، كما يقوله بعض المعتزلة فلم (١) يرد السؤال، وإن كان موجبا على معنى وجوب الاستمرار مع بقاء الاختيار، فإما أن يدل الدليل على أن ذلك مسقط للتحسين والتقبيح كان أولى من كان حجة له هو سبحانه الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، والذي لا تطرق إليه التهم بفعل القبيح لغناه عنه، وعلمه الذاتي بكل شيء، فإنه سبحانه هو الذي لا تهتدي العقول إلى التحسين في حقه لعلمه ما لا نعلم من وجوه (٢) الحكمة.

فإذا دل العقل على سقوط التقبيح والتحسين في حقنا لأجل أمر هو بعينه قائم في حقه تعالى، كان على سقوط ذلك في حقه عز وجل أدل، وذلك لأنه

= مرفوعا: " يقبض الصالحون أسلافا، ويفنى الصالحون الأول فالأول حتى لا يبقى إلا مثل حثالة التمر والشعير لا يبالي الله بهم ". لفظ ابن حبان.

وأخرجه عن مرداس موقوفا: أحمد ٤/ ١٩٣، والبخاري (٤١٥٦).

(١) في (أ): لم.

(٢) في (أ): وجود.." (١)

"غير آية: {لعلهم يذكرون} أي: لمحبته ذلك لهم، وطلبه منهم عند أهل السنة كما مضى.

وقال في الغافلين: {أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون} [الأعراف: ١٧٩]، وتأمل قوله تعالى: {بل هم أضل} فإنه يدل على أن الله تعالى مكنهم من اختيار الصواب بخلاف الأنعام.

وسيأتي ذكر إجماع أهل السنة على أن الله سبحانه ... (١) إلى العبد رحمة من الله وعدلا، وحكمة بالغة لا عجزا عن هداية من ضل كما يلزم أكثر المبتدعة، ومع ذلك، فإن اختيار العبد لا يقع إلا موافقا لعلم الله وقدره ومشيئته، كما أن اختيار الرب لا يقع إلا كذلك ولم يقتض ذلك نفي اختياره عز وجل.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٦/١٦٤

وكما أن سبق العلم عند المعتزلة وسائر العقلاء لا يستلزم نفي الاختيار، فكذلك سبق المشيئة والقضاء والقدر عند أهل السنة، وقد مضى في مسألة الإرادة بيان ما تحتمله العقول من معرفة وجوه **الحكمة في** ذلك، وما الصحيح فيه أنه من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله تعالى.

ويأتي في الكلام على الحكم في تقدير الشر، وطرف صالح من ذلك في مسألة الأقدار إن شاء الله تعالى.

المرتبة الرابعة: وجوب الأفعال مع بقاء الاختيار بالنظر إلى تقدم القضاء والقدر والعلم والكتابة والقول ونحو ذلك، والمقصود بهذه المرتبة يتم إن شاء الله تعالى بذكر خمس فوائد.

الفائدة الأولى: فيما ورد من النهي عن الخوض في القدر وبيان مرتبة ذلك من الصحة في بيان معناه. والوارد في ذلك عموم وخصوص، أما العموم، فكل

---

(١) بياض في الأصول قدر كلمة.." (١)

"التعليق، ثم جعل دلالة القدر على الإرادة، والقول دلالة تضمن دون العلم والقدرة والمقدور، وجعل دلالته على هذه الثلاثة مطابقة، وفيه نظر، لأن دلالة المطابقة هي الوضعية اللغوية كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق دلالة التضمن، كدلالة الإنسان على النطق وحده، ودلالة الالتزام (١) على ما يستلزمه، مثل حاجته إلى الأكل والشرب.

وأقول والله الموفق: إن القدر تعلق أمر متقدم من صفات الله تعالى كعلمه، أو من فعله ككتابته بأمر متأخر صادر عن فاعله بسبب اختياره وتمكينه، وصدور اختيار أسبابه عن الحكيم القادر المقدر.

وسواء كانت تلك الأسباب أسباب القدر المؤثرة فيه كالقدرة أو غير المؤثرة كالدواعي تعلقا يربط الممكن بالواجب ربطا يستلزم فرض بطلانه المحال مع بقاء إمكانه باعتبار الجهتين.

وهذا على جهة التقريب الرسمي دون التحديد الحقيقي كما يعرف ذلك أهل هذا الشأن، ولذلك لم ألتزم فيه شروطهم.

وقولنا: " من صفات الله كعلمه أو من فعله كالكتابة والتيسير "، وإنما قيل: " من فاعله " ليدخل الرب تعالى، وإنما قيل: " بسبب صدور أسبابه عن القادر الحكيم المقدر سبحانه " ليخرج على المخلوقين، فإنه واجب المطابقة، ولا يسمى قدرا في اللغة لعدم خلقهم لأسباب المقدر، وإلا لزم أن يكون علمهم بالفقه

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ١٧١/٦

قدرا.

وإنما قيل: " الحكيم " احترازا من قول من يقول: بنفي **الحكمة في** سبق الأقدار، فإنها لم تكن سدى، بل لا بد أن تكون مشتملة على الغايات الحميدة.

---

(١) في (أ) زيادة: " دلالته ".." (١)

"وبيان تعليل القدر **بالحكمة في** قوله: {وليعلم} يدل على أن الإذن هنا الإرادة بدليل هذا التعليل، فإن الإذن لا يعلل، فدل على أن الإذن ليس بمعنى العلم.

وقد بينه الله عز وجل في قوله: {ثم صرفكم عنهم ليبتليكم} [آل عمران: ١٥٢]، ومثلها: {هو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم} [الفتح: ٢٤].

وفي " الضياء " ما يدل على أن الإذن إذا كان من العلم كان بفتح الهمزة، وفتح الذال المعجمة (١)، ويقويه: أن عادتهم التفريق بين المصادر التي أفعالها متماثلة مشتبهة.

وقوله: {وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار} [القصص: ٤١] وقوله: {وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها} [الأنعام: ١٢٣]، وقوله: {ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون} [الأنبياء: ٦]، وقوله تعالى: {والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون} [البقرة: ٢٢١]، وقوله تعالى: {ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين} [الأنعام: ٣٤]، وقال: {وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى} [الأنعام: ٦٠]، وقال تعالى: {ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون} [النمل: ٨٥]، وقال: {كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم} [الشعراء: ٢٠٠ - ٢٠١]، وقال: {فإنكم وما تعبدون (١٦١) ما أنتم عليه بفاتنين (١٦٢) إلا من هو صال الجحيم} [الصافات: ١٦١ - ١٦٣]، وقال: {قل يا أيها الكافرون (١) لا أعبد ما تعبدون (٢) ولا أنتم عابدون ما أعبد} [الكافرون: ١ - ٣] إلى آخر

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٦/١٨٤

(١) ذكره نشوان بن سعيد الحميري في " شمس العلوم " ١/ ٧٤، و" الضياء " المذكور هو " ضياء الحلوم المختصر من شمس العلوم " لولده محمد.." (١)

"بذلك، وإيجاب الإيمان به، والحث على استحضاره في القلب، وقد نص الله على **الحكمة في** ذلك في أمور نذكرها ولا نحتم حكمة الله فيها ونقصرها، لجواز تعدد الحكم، وورود السمع بتعدده في غير آية، كقوله تعالى: {ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون} [الروم: ٤٦].

وكقوله تعالى: {يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا} [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

فأولها التسلي بذلك في المصائب، قال الله تعالى: {ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير (٢٢) لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم} [الحديد: ٢٢ - ٢٣].

ورد الله على المنافقين في قولهم في إخوانهم: {لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا} [آل عمران: ١٥٦] بقوله: {ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير} [آل عمران: ١٥٦].

وقال تعالى في ذم من لم يؤمن بذلك: {الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين} [آل عمران: ١٦٨].

وقال تعالى: {ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم} [آل عمران: ١٥٤].

فدلت الآيات على تعليل هذا التقدير بتسلي المؤمنين بتسليم الأمر لله.." (٢)

"ولذلك سوى الله تعالى بين الشر والخير في قوله سبحانه: {ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون} [الأنبياء: ٣٥] وقوله تعالى: {وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون} [الأعراف: ١٦٨].

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٢٠٢/٦

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٣٤٤/٦

واعتقاد هذا يكفي المسلم، وقد تعرض أهل الكلام لتبيين وجه **الحكمة في** كل ذلك، وتلخيص وجه التحسين على حسب اختلاف فطنهم وعقولهم، وضربوا فيه أمثالا مختلفة، ونقض بعضهم على بعض، ولا حاجة إلى ذكر ذلك لما فيه من مخالفة (١) ما كان عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه والسلف الصالح، وقال الله تعالى: {فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون} [النحل: ٧٤] وإنما نتكلم بجليات المعقول، وصحيحات المنقول دون المواقف والمحارات.

ومما ورد التعليل به في الأمراض ونحوها الابتلاء مثل ما تقدم من قوله تعالى: {ونبلوكم بالشر والخير فتنة} [الأنبياء: ٣٥]، وقوله تعالى: {الم (١) أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (٢) ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين} [العنكبوت: ١ - ٣].

والأحاديث متواترة وثبوت الأجر بالآلام، وفي تكفير الذنوب بها أيضا، والقرآن مصرح بتعليلها للاعتبار، وقد جاء في ذلك الحديث المشهور في خلق ذرية آدم إخراجهم من ظهره، وفيه أن آدم لما رأى فيهم الغني والفقير، والصحيح والأليم، قال: يا رب هلا (٢) سويت بين ذريتي، قال تعالى: " فعلت ذلك لتشكر نعمتي " أو كما قال (٣).

ذكره ابن كثير من طرق في خلق آدم، أول الجزء الأول من " البداية والنهاية " (٤).

---

(١) في (أ) و (ف): ذلك إلى مخالفة.

(٢) في (أ): ما.

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٢٢.

(٤) ١/ ٨١.." (١)

"الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين (١٤٠) وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين (١٤١) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين} [آل عمران: ١٤٠ - ١٤٢].

ومن ذلك: **الحكمة في** المتشابه، وقال الله سبحانه في جواب من سأل عنها: {يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين} [البقرة: ٢٦].

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٣٤٧/٦

ونحوها قوله تعالى: {وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة} الآية [المدثر: ٣١].
وقال تعالى: {وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه} [البقرة: ١٤٣].
وقال تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم (٥٢) ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد (٥٣) وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم} [الحج: ٥٢ - ٥٤].
وقال في بعض حكمته في التكليف: {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (٧٢) ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما} [الأحزاب: ٧٢ - ٧٣].
وقد دل السمع على أن إرادة الله وقوع بعض الاعتقادات غير المطابقة لحكمة ومصلحة، كقوله تعالى: {إذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا} [الأنفال: ٤٤].." (١)

"فليحمد الله، ومن وجد شرا فلا يلومن إلا نفسه" (١).
وفيه إشارة إلى ما تقدم من حكمة الله سبحانه في خلق الشرور الدنيوية والأخروية، وبعض أسباب الشرور الدينية، وأن فعل الله تعالى وخلقه في ذلك حسن لوقوعه في حسان (٢)، وإن لم يحط البشر بجميع وجوه حكمته في بعض أفعاله ولا شيء منها في بعضها، فالله سبحانه وتعالى له الحجة الدامغة، والحكمة البالغة، والإراده النافذة، والقدرة القاهرة، والكمال المطلق، وقصور العبد الظلوم الجهول عن معرفة أعيان الحكم على التفصيل لا ينتهض معارضا للبراهين القاطعة الدالة على ثبوت أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، ومن أشرب قلبه صفو الإيمان أغناه هذا الإجمال، ومن أصابه الشيطان بشيء من شؤم الكلام، والبدع، فليراجع ما تقدم في المرتبة الرابعة في حكم الله تعالى في تقدير الشرور، وما ذكرناه في المرتبة الثانية في **الحكمة في** عدم هداية الجميع.
خاتمة: ومما أوهم على أهل السنة أنهم يقولون بالجبر ونفي الاختيار أنهم فرق مختلفة كما تقدم في مسألة

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٣٥١/٦

الأفعال، ومنهم من يخوض في علم الكلام ويعبر بعبارات مبتدعة، ولا يتوقف على عبارات الكتاب والسنة والسلف الصالح السالمة من الشناعة، وإيهام ما لم يقصد.

ولنذكر من ذلك عبارة واحدة في كتب بعض المتكلمين من الأشعرية كالغزالي ومن تابعه من المتأخرين: وهي أن الكفر وأنواع القبائح والفواحش من الله تعالى، وأن هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة والسلف الصالح مع تصريحه قبل هذا في " الإحياء " بنفي الجبر المحض، وإثبات الكسب للعبد الذي يختص باسم الكفر والقبائح (٣).

---

(١) تقدم ص ١٩.

(٢) في (ش): في الحكم إحسان.

(٣) في (ش): وأنواع القبائح.." (١)

"قلت: ليس عذاب الآخرة منسوبا إلى الله تعالى من كل جهة، بل من جهة دون جهة، كالكسب عند الأشعرية سواء، فإنه منسوب إلى العبد لكونه جزاء ذنوبه، ومتفرعا عليها ومتولدا عنها، فهو من العبد ظلم لنفسه وضر لها، ومن الله عدل وحكمة لا ظلم ولا ضر، وذلك لقوله تعالى: {ذوقوا ما كنتم تعملون} [العنكبوت: ٥٥] وفي آية: {ذوقوا ما كنتم تكسبون} [الزمر: ٢٤] سماه كسبا لهم وعملا، وقوله: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة} [الأنبياء: ٤٧] وأمثالها، ولقوله: {وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} [البقرة: ٥٧]، [الأعراف: ١٦٠].

ولو كان العذاب من الله تعالى ضرا (١) محضا من كل وجه لم يوصف بأنه كسبهم، وأنه ظلم من العبد لنفسه، ولا قال الله: {فأخرجهما مما كانا فيه} [البقرة: ٣٦]، ولا قال: {ما أصابك من سيئة فمن نفسك} [النساء: ٧٩]، ولا قال أيوب عليه السلام في عقوبة الله: {أني مسني الشيطان بنصب وعذاب} [ص: ٤١].

فالعدل فيه بين، حيث كان جزاء وفاقا وقع بعد (٢) التمكين والتقدم بالإنذار والقطع للأعذار، وإشهاد العدول والوزن بموازين الحق، **والحكمة فيه** من حيث إن له تأويلا لا يعلمه إلا الله، ولولا ما فيه من الحكمة الخفية التي اختص بعلمها ربنا سبحانه وتعالى ما احتاج إلى التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، وتمام هذا

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ١٤٣/٧

مذكور في مسألة الحكمة في الشرور، والله الموفق.

وحيث لم يصح أن الضر في نفسه اسم حسن (٣)، كيف يدخل في الأسماء الحسنى، وإنما معنى الأسماء الحسنى ما يفيد أحسن المدح الحسن، والوصف الجميل الحميد اللائق بالملك المجيد، لأن الحسنى أحسن الأسماء لا حسنها، ولهذا قال العلماء: لا يقال: يا رب الكلاب والخنازير، وإنما يقال:

---

(١) " ضرا " سقطت من (أ).

(٢) " بعد " سقطت من (ش).

(٣) تحرفت في (ش) إلى: جنس.." (١)

"المعنى، وبلوغ الغاية القصوى في ذلك.

ومنه جاء ذكر يمينه في القرآن دون شماله، وفي الحديث: "كلتا يديه يمين " (١)، ولم نرد بتجنب هذا الاسم في الأسماء الحسنى ما أراد من نفي سبق المقادير، أو ضعف مشيئة من هو على كل شيء قدير، وإنما أردنا أنه لا يصح اشتقاق هذا الاسم له من تلك المقدورات (٢) المخلوقات الضارة لحكمته فيها البالغة، وإرادته فيها ما لا نعلمه من المنافع والعدل والدفع واللطف والاعتبار، كما أن الطبيب مع قطعه بعض الأعضاء، وكيه بالنار لبعضها، لا يسمى ضارا للأليم بالإجماع، فكذلك أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين. ألا تراه خلق الظلمات والنور جميعا، ويسمى النور لا الظلام، وخلق الشر ولا يسمى الشرير (٣)، ونحو ذلك.

وكذلك اسم الضار مع عدم الاتفاق على صحة ورود ذلك في السمع، فتأمل ذلك، واحذر كل الحذر من ظنك أنا قلنا (٤): إن الله ليس بخالق للضر ولا مريد ولا مقدر، وإنما قلنا: إنه خلقه ليسمى بسببه كاشف الضر، والنافع الدافع له. ألا ترى أن الحمى حظ المؤمن من النار، والحدود كفارات لأهلها مع تسمية الله لها نكالا وعقابا، والكافر يلقى في النار فداء للمسلم، ويقتل في الدنيا ليشفي الله صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم.

وقد بسط هذا في الحكمة في عذاب الكفار في الآخرة.

وأما قول الغزالي في شرح هذا الاسم في " المقصد الأسنى " (٥): فلا تظنن

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٧/2٠٠

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد ٢/ ١٦٠، ومسلم (١٨٢٧)، والنسائي ٨/ ٢٢١، والبيهقي في " الأسماء والصفات " ص ٣٢٤ من حديث عبد الله بن عمرو رفعه " إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا ".

(٢) في (أ): المقدرات.

(٣) في (ش): الشر.

(٤) في (ش): نريد.

(٥) ص ١٢٩.." (١)

"الحكم والغايات (١) الحميدة، وهذا هو مذهب أهل السنة.

وكذلك ذكر الذهبي أنهم بدعوا أبا طالب المكي حيث قال في وعظه: إنه ليس شيء أضر على المخلوقين من الخالق. ولو مشينا على ظاهر تفسير الغزالي اسم الضار، ولم يضم إليه تأويله المذكور في شرح الرحمن الرحيم، لكان (٢) كلام الغزالي في شرح الضار مثل هذا الكلام المنكر أو أقبح. ذكر ذلك في ترجمته من " الميزان " (٣) واسمه محمد بن علي بن عطية.

فإن قلت: هل ورد في القرآن اسم لله عز وجل يناسب ما وقع من المصائب والبلاوي؟

قلت: نعم، وهو المبتلي، قال الله تعالى: {وإن كنا لمبتلين} [المؤمنون: ٣٠]، وقال: {فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه} [الفجر: ١٥]، وقال: {ليبلوكم أيكم أحسن عملا} [الملك: ٢] وهو من أسمائه الحسنى، لأن الابتلاء من فعل الحكيم، ليميز الخبيث من الطيب، **فالحكمة فيه** ظهور طيب الطيب، وإبانته ورفع منزلته، لا ظهور خبث الخبيث، ولىكن المحاسن لا تعرف إلا بأضدادها.

والحجة الواضحة على أن ذلك المراد لا عكسه قوله تعالى: {ليبلوكم أيكم أحسن عملا} [الملك: ٢] وقال: {ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين} [محمد: ٣١] ولم يقل: أيكم أقبح عملا، ولذلك قال العارفون: إن الخلق كلهم مثل شجرة، ثمرتها المقصود بها أهل الخير منهم.

وفي الحديث: " لما دعا الخليل على من رآه يعصي، قال الله له: إن قصر عبدي مني إحدى ثلاث: إما أن يتوب فأتوب عليه، أو يستغفرني، فأغفر له،

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ١٣٢/٧

(١) في (أ): والعنايات، وكتب فوقها " والغايات "، وهي كذلك في (ش): والغايات.

(٢) في (أ): لكن، وهو خطأ.

(٣) ٣/ ٦٥٥.." [١]

"أو أخرج من صلبه من يعبدني" رواه الطبراني (١)، ومعنى قصره: منتهاه.

وربما عبر عن المبتلي بالعزيز المقتدر، كقوله: {فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر} [القمر: ٤٢]، كما أشار إليه في سورة الشعراء حيث قال بعد كل قصة فيها تعذيب أعدائه الكافرين، ورحمة أوليائه المؤمنين: {وإن ربك لهو العزيز الرحيم} [الشعراء: ٩] حتى تكرر ذلك ثمان مرار بعد ثمان قصص، فكان فيه تنبيه لنا على تسمية العزيز القدير بالنظر إلى انتقامه (٢) من الكافرين، وإنزاله بهم المضار والعقوبات، وتسميته بالرحيم بالنظر إلى المؤمنين كقوله: {وكان بالمؤمنين رحيما} [الأحزاب: ٤٣].

وكذلك قد يسمى بالديان أو الحكيم أو خفى **الحكمة في** هذه المواضع، ونحو ذلك مما ورد به السمع واستعمل في الثناء، والله أعلم.

فإن قلت: فهل يدخل اسمه المانع في معنى الضار فيستحب اجتنابه في الأسماء الحسنى؟

قلت: كلا، فإنه قد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: " لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت " (٣).

وقيل: إن معناه المانع (٤) من المخاوف، والمنجي من المهالك، والله تعالى مانع من الكفر وسائر المحرمات والقبائح والمذام بالتحريم لها، والنهي عنها، والوعيد عليها.

على أن الطبيب إذا منع المريض من شهواته الضارة لا يسمى ضارا في

---

(١) في " الأوسط " كما في " المجمع " ٨/ ٢٠١، قال الهيثمي: وفيه علي بن أبي علي اللهبي وهو متروك.

(٢) في (أ): انتفائه، وكتب فوقها " انتقامه " على الصواب، وهي كذلك في (ش).

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٧/ ٢٢٢

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) " المانع " سقطت من (أ).." [١]

"قلنا: هذا الاحتمال صحيح، ولسنا نستقوي هذه المسألة، ولكنا نرى الاحتمال الذي معهم، فوجب أن يجعلوا من أهل التأويل، فلا يكفروا، ولا نقطع بعنادهم. ومما يقوي مثل هذا -أعني عدم تكفيرهم والقطع بعنادهم (١) - وورود ما يشتبه في السمع من هذا القبيل، كقوله تعالى: {ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم} [الأنفال: ٢٣] فإنه ترك الإسماع لهم مؤاخذة بما (٢) علم من عدم استماعهم لو أسمعهم.

وكذا ما يظهر قبل التأمل من قوله تعالى: {وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا} (٣) [الإسراء: ١٦]، فإن الله تعالى أراد الهلاك قبل الأمر لما سبق في علمه من فسقهم بعد، فقدم الإرادة قبل استحقاقهم، والقوي (٤) خلاف هذا عندي، وليس هذا موضع بسطه، وإنما قصدت إيراد هذه الأشياء لبيان أنهم من أهل التأويل، وليس هذا كمن يقول: إن الله يعذب بمجرد سبق علمه بالتعذيب من غير علم بذنب مستقبل كما ذكرنا في مسألة الدواعي، فتأمل الفرق بينهما.

وأهل هذا القول الثالث يريدون أن خلق الفعل وإبلاغ التكليف من قبيل الزيادة في الإعذار من الله تعالى، وإلا فعلمه (٥) سبحانه الحق الذي يعلم الكل يوم القيامة أنه حق كاف في إقامة الحجة. بل قد تقدم أنه يجوز أن يكون الله علم أن في عذاب أهل النار حكمة غير الجزاء على الذنوب، **كالحكمة في** إيلام الأطفال والبهائم، بل مر تقرير الدليل على رجحان مثل ذلك، لأن حسن التعذيب من قبيل الإباحة التي لا رجحان فيها، والله يتنزه عن فعل ذلك، لأنه عبث.

---

(١) من قوله: " ومما يقوي " إلى هنا سقط من (أ).

(٢) في (أ): " فما ".

(٣) من قوله: " وكذا ما يظهر " إلى هنا سقط من (ش).

(٤) في (ش): " والقول ".

(٥) في (ش): " فعلمه السابق ".." [٢]

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٧/٢٢٣

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٧/٢٦٣

"وإنما أراد الله إزاحة إعذار المبطلين كما ورد به الحديث الصحيح " لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل "، وشهد بذلك القرآن كما تقدم، فأراد الله أن يدخلوا النار بسبب الذنوب، لما في ذلك من الحكم البالغة، والمصالح الراجحة، والغايات الحميدة، كما أخرج آدم من الجنة على وجه (١) العقوبة لأجل هذه الأشياء، مع أنه ما خلق إلا خليفة للأرض، كما نص عليه القرآن، وأحاديث الأطفال تشهد بذلك، وإقامة العدل والحجة (٢) عليهم، والله سبحانه أعلم، وقال ابن عبد البر: إن هذا قول الأكثرين. وعندي -والله أعلم- أنه راجع إلى القول الثاني، فإنه طرف منه، لكن في القول الثاني زيادة الابتلاء وإقامة الحجة يوم القيامة.

وأول أحاديثه أن من علم الله أنه يكون شقيا لو أدرك العمل، لكان من أهل النار، ولكن بزيادة الابتلاء وإقامة الحجة يوم القيامة، لكن لما كان في هذه الزيادة م قدمنا. من الإشكالات، اقتصر أهل هذا القول على أول الحديث تورعا من آخره، معتقدين أن الحجة البالغة والحكمة التامة لله تعالى على عباده كيف شاء.

إن هذا الاحتمال أقوى من القطع بتعين (٣) وجه الحكمة في الابتلاء يوم القيامة، فأما إن كانوا نفوا الابتلاء يوم القيامة والحكمة، فقولهم باطل، والقول الثاني أقوى منه.

القول الرابع: إن الله تعالى قد خلقهم فيما مضى، وكلفهم وعصوا، فبذلك استحقوا العذاب، ويحتجون على ذلك بالحديث المشهور في إخراج ذرية آدم من صلبه على صورة الذر، وخطابهم بقوله: {ألست بربكم قالوا بلى} [الأعراف: ١٧٢] كما سيأتي تفصيله. روى هذا الترمذي وحسنه، ورواه أحمد

---

(١) في (ش): جهة.

(٢) في (ش): " والحكمة "، وهو تحريف.

(٣) في (ش): بتعيين.." (١)

"[الأعراف: ١٧٢] ولم يقل: من آدم، فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه لا يلزم في هذه الأحاديث أن تكون تفسيرا للآية، ولا واردة في معنى الآية، لكنها لما كانت شبهة بمعنى الآية، ذكروها مع الآية، لتقاربهما في المعنى، لا لاتحادهما فيه، وهو اختيار ابن كثير، فثبت

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٧/٢٦٤

أن الأحاديث حجة في المقصود، وإن لم تكن تفسيرا للآية.
الوجه الثاني: الجمع بين الآية والأحاديث بالتأويل، وقد ذكر في ذلك وجهان، ولا حاجة إلى التطويل بذكر ذلك، لكراهة التعرض لتأويل المتشابه، وفي الوجه الأول كفاية.
ويحتمل وجها آخر ليس فيه مخالفة للظاهر، وهو أن يكون أخرجهم في المرة الأولى متناسلين بعضهم من بعض كما أخرجهم في المرة الآخرة، وهو قول الواحدي.
وقيل: أخرج الذرية قرنا بعد قرن، وعصرا بعد عصر.
فهذا جملة ما حضرني مما ذكره أهل السنة في كتب الحديث وشروحها من وجوه الحكمة في ذلك على تقدير وقوعها.
والقصد بهذا كله أن لا يقطع على ثقات الرواة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنهم كذبوا أحاديث الأطفال، كما يجري على ألسنة كثير من المبتدعة فيما لم يعرفوا تأويله، وذلك أن رواة أحاديث الأطفال وغيرها مما ينكره أهل البدع هم رواة كثير من أحكام الشريعة، وفي تكذيبهم أو تهمتهم خلل عظيم يرجع على جميع فرق الإسلام، وليس يعرف هذا إلا من عرف من روى هذه الأحاديث كلها، وليس المراد من روى الأحاديث المصرحة بأنهم جميعهم في النار.
وقد قدمنا أنه لم يصح منها حديث واحد، ولكن الأحاديث المفهوم ذلك منها من غير تصريح مثل الأحاديث التي فيها أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما سئل عنهم." (١)
"المستحق حتى يجازى به في الآخرة أو يعفى عنه. وإلى نحو هذا ذهبت عائشة، فإنها ذهبت إلى أن الكافر وغيره من أصحاب الذنوب يعذب في حال بكاء أهله عليه بذنبه، لا ببكائهم. حكاه النواوي عنها في شرح " مسلم " (١) وهو نحوه، إلا أن فيما لخصته زيادة حسنة تناسب كون البكاء سببا للعذاب المستحق، لا موجبا له، والله أعلم. وتكون الحكمة في تعجيل العقوبة المستحقة بسبب البكاء الزجر عنه.
ومع هذه الوجوه وما لا تحيط به العقول من حكمة الغني الحميد، الذي لا يتهم بظلم العبيد، كيف يسوغ تكذيب الثقات في رواية الأخبار النبوية، ونسبتهم إلى تجويز الظلم إلى بارىء البرية، وقد صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه نهى عن تكذيب اليهود فيما نقلوه من الإسرائيليات (٢)، فالعجب ممن يتجرأ مع ذلك على تكذيب الثقات الأثبات.

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٢٧٤/٧

فهذا ما وعدنا به من ذكر مذاهب أهل السنة على جهة الخصوص في إثباتهم حكمة الله عز وجل في هاتين المسألتين من المتشابه الذي لا تدرك العقول منه إلا ما جاء عن الله تعالى، وعن رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

فصل: وأما ما وعدت به من ذكر مذاهبهم في ذلك على جهة العموم، فذلك كله إجماع من أهل السنة، وقد ذكر ذلك الزنجاني في شرح قصيدته الرائية الشهيرة بالحث على السنة التي أولها:

---

(١) ٦/ ٢٢٨، وروى مالك في " الموطأ " ١/ ٢٣٤ ومن طريقه أحمد ٦/ ١٠٧، والبخاري (١٢٨٩)، ومسلم (٩٣٢) (٢٧)، والترمذي (١٦٠٠)، والنسائي ٤/ ١٧ - ١٨، وابن حبان (٣١٢٣) من طريق عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة، وذكر لها أن ابن عمر يقول: إن الميت ليعذب ببكاء الحي، قالت عائشة: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب، ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على يهودية يبكى عليها، فقال: " إنهم يبكون عليها، وإنها لتعذب في قبرها ".

(٢) انظر ص ١٤٥ (ت) رقم (١).." [1]

"وقال أيضا في كتابه " التبيان في آداب حملة القرآن " في الباب التاسع (١) منه: فصل: وينبغي لمن أراد السؤال عن تقديم آية على آية في المصحف أو مناسبة هذه الآية في هذا الموضع ونحو ذلك أن يقول: ما **الحكمة في** كذا.

انتهى بحروفه. ولم يعترضه في ذلك أحد، بل ما زال علماء الإسلام يذكرون **الحكمة في** ذلك خصوصا أئمة التفسير، وعلماء الأمة مجمعون على تقرير ذلك وتصويبه سلفهم وخلفهم.

قال الشيخ العلامة محمد بن موسى الدميري الشافعي (٢) في كتابه " حياة الحيوان " (٣) في ذكر الذباب من حرف الذال: إن الله تعالى خلق الذبابة، وجعل لها الهداية إلى أن تقدم الجناح الذي فيه الداء، وتؤخر الذي فيه الدواء، لما فيه من الابتلاء الذي هو مدرجة (٤) التعبد (٥)، ومن (٦) الامتحان الذي هو مضمار التكليف، وله في كل شيء حكمة وما يذكر إلا أولو الألباب.

بل حكى هذا الكلام عن الإمام الخطابي (٧) وقرره، فاتفقا معا عليه، وردا معا على من طعن في الحديث الوارد من طريق أبي هريرة وأبي سعيد (٨)، وتكلفا

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٧/٢٨٠

(١) بل في الباب السابع ص ١٤١ منه بتحقيق صاحبنا الأستاذ العلامة عبد القادر الأرنؤوط نفع الله به.

(٢) هو محمد بن موسى بن عيسى بن علي، أبو البقاء كمال الدين الدميري، مهر في الفقه والأدب والحديث، وشارك في الفنون، ووعظ وخطب فأجاد، وكان ذا حظ من العبادة توفي سنة ٨٠٨ هـ. وكتابه " حياة الحيوان " قال عنه السخاوي: إنه نفيس أجاده وأكثر فوائده، مع كثرة استطراده فيه من شيء إلى شيء. انظر " إنباء الغمر " ٥/ ٣٤٧، و" الضوء اللامع " ١٠/ ٥٩.

(٣) ١/ ٥٠٥.

(٤) تحرفت في الأصلين إلى " مدحه "، والمثبت من " حياة الحيوان " و" السنن ".

(٥) تحرفت في (ش) إلى: " العبد ".

(٦) " من " لم ترد عند الدميري والخطابي.

(٧) وهو عنده في " معالم السنن " ٤/ ٢٥٩.

(٨) رواه من حديث أبي هريرة: أحمد ٢/ ٢٢٩ و٢٤٦ و٣٥٥ و٣٨٨ و٣٩٨ و٤٤٦، =." [1]

"المكاشفة من كتاب العلم: إن من علم علوم المكاشفة: علم حكمة الله تعالى في خلق الدنيا والآخرة. انتهى بلفظه.

وصرح غير واحد من أهل السنة بذم أهل هذا القول من غلاة المتكلمين، على أن غلاة المتكلمين من الأشعرية الذين صرحوا به، وبالغوا في نصرته قد استشنعوا ذلك، وحاولوا الاعتذار عنه، فقال الرازي: إنهم لا يخالفون في إدراك العقول قبح صفات النقص، كالجهل والكذب، وحسن صفات الكمال، كالعلم والصدق، وأن الله متصف بصفات الكمال، ومنزه عن صفات النقص، وإنما خالفوا بأنا (١) لا نعرف بمجرد العقل استحقاق فاعلها ما ورد به الشرع من الجزاء في الدنيا والآخرة.

وهذا حسن جدا، لكنه يناقضه كما سيأتي، بل يلزمه ثبوت الحكمة في الأفعال كالأقوال سواء.

وكذلك ذكر الرازي أن فائدة العمل والتكليف مع سبق الأقدار، وهي تعجيل البشرى للمؤمن والإنذار للكافر، ويدل على قوله هذا قوله تعالى: {وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين} [الكهف: ٥٦]. وكلامه هذا يدل على ثبوت الحكمة، وكذلك صرح بثبوتها في كلامه المقدم في الجبر والقدر الذي ذكره في " مفاتح

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٧/٢٨٢

الغيب "، فإنه ذكر فيه أن هذه المسألة وقعت في حيز التعارض بحسب تعظيم الله تعالى، نظرا إلى قدرته، وبحسب تعظيمه سبحانه نظرا إلى حكمته. إلى آخر كلامه في ذلك.

واعلم أنه لا فرق بين معرفة العقول أن الكذب صفة نقص يجب تنزيه الله عنها، وبين معرفتها أن تعذيب الأنبياء والأولياء في يوم الجزاء بذنوب أعداء الله صفة نقص يجب تنزيه الله عنها، وأن مدرك قبح الأفعال والأقوال في العقول واحد، ومن حاول الفرق بينهما، فقد غالط وأبطل، وإنما ألجأهم إلى الفرق

---

(١) في (ش): " في أنا ".." (١)

"ثم ذكر أن عموم الخلق عندهم في توفيق الله الشامل لهم، وذلك بنصب الأدلة والإقدار على الاستدلال بإرسال الرسل، وتسهيل الطرق، {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} [النساء: ١٦٥]. إلى آخر كلامه.

قلت: واستشهاده بالآية يكفي في الرد عليه، وكذا قوله (١): إن عموم الخلق في توفيق الله إلى آخر كلامه، فإن ذلك دليل الحكمة، إذ لا يترجح أحد الممكنين بغير مرجح بالضرورة، ولهم في هذا المذهب مقصدان:

أحدهما: أن المنافع والمضار، وإن تفاوتت بالنظر إلى الخلق، فهي غير متفاوتة بالنظر إلى الخالق، فإذا الترجيح بالنظر إليه محال، وذلك غاية الغنى وأتمه وأبلغه.

وثانيهما: قطع مادة الاعتراض لأفعال الله التي لا يدرك بالعقول وجه **الحكمة فيها**.

وهذان مقصدان حسنان لولا ما أديا إليه من القبائح، وصادماه من قواطع النصوص الصريحة (٢) بل ما خالفاه من الضروره العقلية والضرورة الشرعية، وقد كان اللائق ترك الاحتجاج على ذلك لجلائه، ولكني رأيت الاغترار بكلامهم قد فشا في عوام أهل السنة، وكاد مقصدهم فيه بالعبارات المموهة يخفى على بعض الخاصة، فرأيت أن أقصد وجه الله تعالى، فأتلو من آيات كتاب الله تعالى أكثر من مئة آية مما تقشعر الجلود لمخالفته، وتخضع القلوب لجلالته من غير استقصاء لذلك لكثرته، والنصوص القرآنية في ذلك أنواع كثيرة ولله الحمد.

النوع الأول: ما جاء بأصرح صيغ التعليل مما يتعذر فيه التأويل مع مراعاة الحياء من التنزيل، مثل ما ورد في تعليل خلق السماوات والأرض، وفيه آيات كثيرة، مثل قوله تعالى: {وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٧/٢٨٤

(١) في (أ) و (ش): " قولهم "، وهو خطأ.

(٢) في (أ) و (ف): " الصريح "، وهو خطأ.." (١)

"فإذا ثبت بالنصوص والإجماع أن الشرك عمل، فكيف لا يكون التوحيد عملا؟! وكما أن من عذبه الله تعالى من المشركين، فقد عذبه بعمله، فكذلك من أثابه الله من الموحدين، فقد أثابه وأدخله الجنة بعمله.

فبطل ظن من قال: إن الرجاء يؤدي إلى أن الإيمان قول بلا عمل، أو إلى أن الجنة تدخل بغير عمل، وقد عظم الله القول الثابت بقوله: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة} [إبراهيم: ٢٧].

واعلم أن أهل السنة لا ينكرون أن الجنة تدخل بعمل كما ورد في القرآن، وإنما ينكرون ما ليس في القرآن من كونها تستحق على الله بالعمل استحقاق المبيعات بأثمانها، بحيث إنه لا فضل للبائع على المشتري.

فمرجع النزاع في أن الباء التي في قوله تعالى: {بما كنتم تعملون} [النحل: ٣٢] هل هي باء المعاوضة للشيء بمقدار ثمنه، مثل الثوب بالدرهم، أو هي باء السببية، كقولك: أكرمني الملك بسابق معرفة، أو بكلمة طيبة سمعها مني، أو نحو ذلك؟

والقرآن إنما نص على العمل، لا على أن الباء فيه للثمن المساوي، ولو قال أهل السنة بعدم العمل، لجوزوا الجنة للمشركين، فاعرف هذه النكتة.

وقد ظهر أن الخلاف إنما هو في كيفية الجمع بين الآيات والأخبار، وظهر عند كل منصف وعارف قصور العمل عن الوفاء بنعم الله وشكره، وما يحق له، كما قال: {وما قدروا الله حق قدره} [الأنعام: ٩١].

ويلحق بهذا النوع جميع ما احتج الله تعالى به من البراهين على التوحيد، وأنزله من الكتب، وأرسله من الرسل، فإنه معلوم أن **الحكمة فيها** والداعي إليها هو إقامة الحجة البالغة، كما ورد في الحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب " (١).

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٢٨٦/٧

(١) تقدم تخريجه.." (١)

"المحكم لتصوير مخلوقاته في مقاديرها، ومنعوا أن يكون له حكمة في أحكامها. ونقل هذا عنهم بعض أهل السنة من غير علم لهم يقابلهم في نفي الحكمة، وإنما نقلوا عنهم أن الحكيم هو المحكم لأفعاله، وحسبوا أنهم قالوا ذلك نقلا عن أهل اللغة كما يفعله أهل تفسير الغريب، فإنا لله وإنا إليه راجعون، " إن هذا الدين بدأ غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ " (١)، فهذا أوان غرابته.

ألا ترى إلى هذه الطائفة -مع جلالتهم في الإسلام- يبالغون في إنكار حكمة الله تعالى لما قصرت عن دركها أفهامهم، ويردونها إلى مجرد الإحكام الذي إذا تجرد عن الحكمة، كان من أقبح القبائح، فإن قصائد الكفار (٢) في سب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وسب أصحابه رضي الله عنهم أجمعين في غاية الإحكام بالنظر إلى أوضاع اللغة ولطائف المعاني والبيان. وكذلك كتب الزنادقة والفلاسفة في سب الباري سبحانه وتعطيله محكمة التصنيف والترصيف، فتكون حكمة الله تعالى في جميع مخلوقاته وكتبه ورسله وآياته راجعة إلى مثل ما رجع إليه أحكام السفهاء والجهلاء لقبائحهم وفواحشهم ومخازيهم.

وقد ثبت أن الشيطان الرجيم من العلماء بالله تعالى وصفاته ورسله وشرائعهم، ولذلك تمكن من الدعاء إلى الباطل، والصد عن الحق، لأن ذلك لا يتم إلا بعد العلم بهما، وقد أحكم وسوسته وشيطنته ومكايده. أفيصح أن يسمى (٣) حكيما لإحكامه لأفعاله القبيحة؟! أو يصح أن يرجع بحكمه من صح وصفه بأن له الحكمة البالغة والحجة الدامغة إلى مثل ذلك.

قال أبو نصر الجوهري في " صحاحه " (٤): الحكم -يعني: بضم الحاء-: الحكمة من العلم، والحكيم: العالم صاحب الحكمة، والحكيم: المتقن

---

(١) حديث صحيح، وتقدم تخريجه ١/ ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) في (ش): " المشركين ".

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٧/٢٩٩

(٣) في (أ): " يكون يسمى ".

(٤) ٥/ ١٩٠١ - ١٩٠٢.." [١]

"في أكثر مذاهبهم التي يعولون عليها ويلجؤون إليها.

وفي هذه المسألة خالفوا الأصول، وأضاعوا المعقول والمنقول.

وعلى كلامهم: لا فرق بين اتصاف الله بالحكمة والرحمة والعفو والجود وأضدادها.

وعلى كلامهم: لا فرق بين ما تمدح الله به من إقامة العدل يوم القيامة، ونصب موازين الحق، وإكرام أنبيائه وأوليائه، وإدخالهم الجنة، وتشفيعهم، وإخزاء أعدائه وتعذيبهم، وبين العكس من ذلك كله، وأن الله -تعالى عن ذلك- لو عكس جميع أحكامه العادلة يوم القيامة، وعذب الأنبياء والأولياء وأخزاهم ومقتهم ولعنهم وخلدهم في طبقات النيران، وأشمت بهم أعداءهم، وجعل كرامتهم وما أعد لهم لأعدائهم وأعدائه الكفرة الفجرة الخساس الأراذل، لكانا في محض حكمته وعقول العقلاء على سواء.

فإن اعترف منهم منصف أن هذا العكس صفة نقص يجب تنزيهه عنها، كالكذب سواء، فقد هدي إلى سواء السبيل، وإن رام بينهما فرقا، فقد طمع في غير مطمع.

وتلزمهم أيضا تسوية جميع أفعال الله تعالى في الدارين معا بالاتفاقيات، وبآثار العلل الموجبة، وبأفعال المجانين والصبيان، بل والمفسدين، فإن أفعال هؤلاء صاروا مثلا في النقص والخسة، لخلوها من الحكمة، وقد جعلوا أفعال الله تعالى أبعد منها عن الحكم لوجهين:

أحدهما: أنهم جعلوها كلها كذلك، وجعلوا تجويز **الحكمة فيها** من المحال، وليس تجويز الحكمة على ما ذكرنا من المحال.

وثانيهما: أنهم جعلوا **الحكمة في** حق الله تعالى تؤدي إلى أن يكون فقيرا محتاجا إليها، فجعلوها صفة ذم له، وهذا مخالف للمعقول والمنقول والإجماع، وكان يلزمهم تنزيه الله تعالى من الإرادة والعلم والقدرة، وأن يكون." [٢]

"بالحجج القاطعة، حيث يتميز الراجح من المرجوح، فأما حيث يترجح أحد الأمرين المستويين، فمحارة غامضة، والصواب فيها الوقف مع القطع بأن فاعل أحد الأمرين غير موصوف بالعبث مع وجود

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٣٠٩/٧

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٣١٣/٧

الحكمة في أحدهما، لا بعينه، كالواجبات المحيرة. وسواء قدرنا أن التخصيص بداع خاص لم يدرك، أو بالداعي الأول الجملي.

ويوضح ذلك إطباق العقلاء على ذم من ترك الواجب أو المرجح (١) لعدم هذا الداعي الخاص، كترك المشي في أحد الطريقين مع الحاجة إلى ذلك، وعدم الصارف، والله أعلم.

وهذه المسألة هي التي اضطرب فيها الرازي سامحه الله وإيانا، إنه عز وجل لا يضره خطأ الجاهلين، ولا ينفعه عرفان العارفين، وإن وصية الرازي المشهورة تقضي له أنه مات من التائبين من جميع مذاهب المبطلين، والحمد لله رب العالمين.

تم بعونه تعالى الجزء السابع من

العواصم والقواصم

ويليه الجزء الثامن وأوله:

الوهم الحادي والثلاثون: قال: إنهم يقولون بإثابة الفراعنة

---

(١) في (ش): " الراجح ".." (١)

"وإن كان في كلام العرب قد يجوز أن يسمى مؤمنا بالتصديق، فغير مستحق لذلك (١) في حكم الله تعالى، لقوله عز وجل: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون (٢) الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) أولئك هم المؤمنون حقا} [الأنفال: ٢ - ٤]. أخبر الله تعالى أن المؤمنين على الحقيقة من كانت هذه صفته دون من قال، ولم يعمل، وضيع ما أمر به وفرط. انتهى.

وفيه دلالة على ما ذكرته من أن أهل الكبائر لا يسمون عند أهل السنة مسلمين ومؤمنين علي الإطلاق، وإنما يقال: إنهم مسلمون أقل الإسلام، ومسلمون عصاة فساق ظلمة، بل قد أطلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على كثير منهم الكفر والمروق من الإسلام، كما جاء في حديث: " لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " (٢) وحديث: " سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر " (٣) وأحاديث مروق الخوارج من الإسلام، وكلها في الصحيح (٤)، وهذه ألفاظ قد (٥) أطلقها رسول الله - صلى الله عليه

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٧/٣٢٦

وسلم -، فينبغي أن نطلقها كما أطلقها، ونريد ما أراد على الإجمال من كفر مخصوص، أو مطلق أو مجاز أو حقيقة شرعية أو لغوية، لأنه عليه الصلاة والسلام إنما قصد بإطلاقها زجر أهل هذه المعاصي بإطلاق أقبح الصفات المذمومة عليهم، والحكمة في ذلك باقية، فكيف نخالف الحكمة (٦) النبوية في زجر الناس عن المعاصي بإطلاق الأسماء المذمومة عليهم، ونصف أفجرهم -وهو يزيد الذي تأوه منه رسول الله

---

(١) في (د) و (ف): " ذلك ".

(٢) أخرجه من حديث ابن عمر أحمد ٢/ ٨٥ و٨٧ و١٠٤، والبخاري (٤٤٠٣)، و (٦١٦٦) و (٦٧٨٥) و (٦٨٦٨) و (٧٠٧٧)، ومسلم (٦٦)، وأبو داود (٤٦٨٦)، والنسائي ٧/ ١٢٦، وابن ماجه (٣٩٤٣). وانظر ابن حبان (١٨٧).

(٣) تقدم مرارا.

(٤) انظر ١/ ٢٣٢ ت (٢).

(٥) " قد " ساقطة من (ش).

(٦) في (ش): " تخالف النصوص ".." [١]

"وذكر العلامة الحافظ الكبير إسماعيل بن كثير الشافعي في كتابه " البداية والنهاية " (١) في الجزء الأول في ذكر آدم هذا الحديث، وأنه متواتر عن أبي هريرة، ورواه عن عمر من طريقين (٢)، وعن أبي سعيد (٣)، وعن جندب بن عبد الله البجلي رواه أحمد (٤)، وحديث عمر خرجه أبو داود.

وذكر في تأويله وجوها كثيرة، ثم قال (٥): والتحقيق أن هذا الحديث روي بألفاظ كثيرة، بعضها مروي بالمعنى، وفيه نظر، ومدار معظمها في " الصحيحين " وغيرهما. على أنه لامه على إخراجه نفسه وذريته من الجنة، لا على المعصية نفسها، فقال آدم: أنا لم أخرجكم، وإنما أخرجكم الذي رتب الإخراج على أكلي من الشجرة (٦)، والذي رتب ذلك وقدره وكتبه قبل أن أخلق هو الله عز وجل، فأنت تلومني على ذلك، وليس من فعلي، وأنا لم أخرجكم من الجنة ولا نفسي، وإنما كان هذا من قدرة الله تعالى وصنعته، وله الحكمة في ذلك (٧)، فلهذا حج آدم موسى.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٨/٨٧

(١) ١/ ٧٥ - ٧٧.

(٢) حديث عمر أخرجه أبو داود (٤٧٠٢)، والبزار (٢١٤٦)، وأبو يعلى (٢٤٣)، وابن خزيمة في " التوحيد " ص ١٤٣ - ١٤٤، والآجري في " الشريعة " ص ١٨٠، وابن أبي عاصم في " السنة " (١٣٧)، وإسناده قوي.

(٣) أخرجه البزار (٢١٤٧)، وأبو يعلى (١٢٠٤)، وقال الهيثمي في " المجمع " ٧/ ١٩١: رواه أبو يعلى والبزار مرفوعا، ورجالهما رجال الصحيح. قلت: رواية أبي يعلى موقوفة.

(٤) ٢/ ٤٦٤، أخرجه الطبراني (١٦٦٣)، وأبو يعلى، وابن أبي عاصم (١٤٣). قال الهيثمي في " المجمع " ٧/ ١٩١: رواه أحمد وأبو يعلى (١٥٢١)، والبزار، ورجالهم رجال الصحيح.

(٥) ١/ ٧٨ - ٧٩.

(٦) في (ف): " الشجر ".

(٧) من قوله: " فأنت تلومني " إلى هنا ساقط من (ف).." [١]

"وبذلك كملت الأحاديث أربع مئة في عدتي، وأظنها أكثر، لأني قد زدت فيها (١) بعد فراغى من التسويد لحق بعد كمال الأربع مئة حديث في الرجاء أحاديث كثيرة في ذلك من " مجمع الزوائد " (٢) منها (١١) حديثا في المغفرة ليلة النصف من شعبان، وفى كل اثنين وخميس لجميع العباد إلا لمشرك، أو مشاحن لأخيه، ومنها ستة في خروج الموحدين من النار إلى (١١) حديثا، صارت (١٧)، ومنها في الشفاعة لأهل لا إله إلا الله في " مجمع الزوائد "، ومنها خمسة وعشرون حديثا في الحب في الله، فيها اثنا عشر رجالها ثقات وفي " جامع الأصول " خمسة أحاديث في ذلك، صارت ثلاثين، وبقيتهم رجال التواتر.

وأحاديث: إن أحدا لا يدخل الجنة بعمله، لكن برحمة الله. اتفق البخاري ومسلم منها على حديث عائشة (٣)، وحديث أبي هريرة (٤)، وتفرد مسلم (٥) بحديث جابر في ذلك، وزاد الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٦) عشرة أحاديث أو أحد عشر عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة حديثان، وأبي موسى وشريك بن طريف، وأسامة بن شريك، وأسد بن كرز، وأنس، وابن عمر بن الخطاب، وواثلة، وثق رجال أربعة أحاديث منها، تقدمت في إثبات **الحكمة في** آخر مسألة الأفعال.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٣٦٢/٨

وأحاديث الحسنة بعشر أو أزيد والسيئة بمثلها أو أعفو، خمسة (٧) صار الجميع أربعة وسبعين حديثا بعد الأربع مئة

---

(١) " فيها " ساقطة من (ف).

(٢) ٨/ ٦٥ - ٦٦.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٦٤) و (٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٤٦٣) و (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦)، وأحمد ٢/ ٥١٤، وابن ماجه (٤٢٠١)، وابن حبان (٣٤٨) و (٦٦٠)، وانظر تمام تخريجه فيه.

(٥) برقم (٢٨١٧)، وأخرجه أيضا ابن حبان (٣٥٠)، وأحمد ٣/ ٣٣٧، والدارمي ٢/ ٣٠٥.

(٦) ١٠/ ٣٥٦ - ٣٥٨.

(٧) في (ش) و (ف): " أربعة أو خمسة ".." [١]

"حتى يبعثه الله ويؤمن من فتان القبر

٨ - وأخرج البزار عن عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا في سبيل الله أجري عليه أجر عمل الصائم وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان ويبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع الأكبر

٩ - وأخرج الطبراني عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رابط في سبيل الله أمنه الله من فتنة القبر

١٠ - وأخرج في الأوسط عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توفي مرابطا وقي فتنة القبر وجرى عليه رزقه

١١ - وأخرج في الكبير عن سلمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم في سبيل الله كصيام شهر وقيامه ومن مات مرابطا جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأمن الفتان وبعث يوم القيامة شهيدا

١٢ - وأخرج إبن عساكر في تاريخه عن إبن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رابط يوما في سبيل الله كان كصيام شهر وقيامه وأجير من فتنة القبر وأجري عليه عمله إلى يوم القيامة

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٣٥٥/٩

١٣ - وأخرج إبن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا ووقي فتنة القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة

قال القرطبي هذا عام في جميع الأمراض ولكن يقيد بالحديث الآخر من قتله بطنه لم يعذب في قبره أخرجه النسائي وغيره والمراد به الإستسقاء وقيل الإسهال والحكمة في ذلك أن يموت حاضر العقل عارفا بالله تعالى فلم يحتج إلى إعادة السؤال عليه بخلاف من يموت بسائر الأمراض فإنهم تغيب عقولهم قلت لا حاجة إلى شيء من هذا التقييد فإن الحديث غلط فيه الراوي باتفاق الحفاظ وإنما هو من مات مرابطا لا من مات مريضا وقد أورده إبن الجوزي في الموضوعات لأجل ذلك وروي أن سورة تبارك من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان

١٤ - وأخرج جويبر في تفسيره عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن." (١)

"السعدي في الإيضاح أن أماثل الفلاسفة أيضا توقفوا عن الكلام فيها وقالوا هذا أمر غير محسوس لنا ولا سبيل للعقول إليه قال ووقوف علمنا عن إدراك حقيقة الروح كوقوفه عن إدراك سر القدر قال إبن بطال الحكمة في ذلك تعريف الخلق عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه وقال القرطبي حكمته إظهار عجز المرء لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق سبحانه وتعالى من باب أولى وقريب منه عجز البصر عن إدراك نفسه وفرقة تكلمت فيها وبحثت عن حقيقتها قال النووي وأصح ما قيل في ذلك قول إمام الحرمين إنها جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة إشتباك الماء بالعود الأخضر الثانية إختلف أهل الطريقة الأولى هل علمها النبي صلى الله عليه وسلم

٥ - فقال إبن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن صالح بن حيان حدثنا عبد الله بن بريدة قال لقد قبض النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح

٦ - وقالت طائفة بل علمها وأطلعه عليها ولم يأمره أن يطلع عليها أمته وهو نظير الخلاف في علم الساعة الثالثة أكثر المسلمين على أن الروح جسم وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة لوصفها في الآيات والأحاديث بالتوفي والقبض والإمساك والإرسال والتناول والإخراج والخروج والتنعيم والتعذيب والرجوع والدخول والرضا والإنتقال والتردد في البرزخ وأنها تأكل وتشرب وتسرح وتأوي وتعلق وتنطق وتعرف وتنكر

---

(١) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور؟ السيوطي ص/١٤٩

إلى غير ذلك مما هو من صفات الأجسام والعرض لا يتصف بهذه الصفات أيضا فلا شك أنها تعرف نفسها وخالقها وتدرك المعقولات وهذه علوم والعلوم أعراض فلو كانت عرضا والعلم قائم به لزم قيام العرض بالعرض وهو فاسد." (١)

"بينة من علي فأتى بقنبر والحسن فقال له شريح شهادة الابن لأبيه لا تجوز فقال اليهودي أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه وقاضيه قضى عليه أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأن الدرع درعك

وأخرج الواقدي عن ابن عباس قال كان مع علي أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فنزل فيه الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف بم ولا هم يحزنون البقرة ٢٧٤

وقال معاوية لضرار بن حمزة صف لي عليا فقال اعفني فقال أقسمت عليك بالله فقال كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من لسانه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته بالنهار وكان غزير الدمعة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له يعظم أهل الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد لقدر رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله." (٢)

") وقد قال تعالى {من يطع الرسول فقد أطاع الله} وقال {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} وقال {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}

فالدائر الحائر بين المنقول والمعقول يتذبذب بين الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار موسوسا تائها شاكا زائغا لا مؤمنا مصدقا ولا جاحدا مكذبا كما قال الطحاوي فإن قيل كيف يتأتى الندامة والتوبة والملامة مع شهود الحكمة في التقدير مع شهود القيومية والمشيئة النافذة قيل هذا هو الذي أوقع من عميت بصيرته في شهود الأمر على ما هو عليه فرأى تلك الأفعال طاعات لموافقته فيها القدر والمشيئة

---

(١) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور؟ السيوطي ص/٣١١

(٢) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة؟ ابن حجر الهيتمي ٢/٣٨٤

وقال إن عصيت أمره فقد أطعت إرادته كما قال قائلهم شعر

(أصبحت منفعلا لما يختاره ... مني ففعلي كله طاعات)

وهؤلاء أعمى الخلق بصائر وأجهلهم بالله وأحكامه الدنيوية والكونية." (١)

"الوجه المسطور فكلام المؤول إنه كان خطأ في اجتهاده كما جوز للنبي صلى الله عليه وسلم الاجتهاد وكذا خطؤه عند أصحاب الاعتقاد وأرباب الاعتماد خطأ فاحش لأن شرط خطأ النبي صلى الله عليه وسلم في اجتهاده أن لا يقر على خطئه بل ينبه على خطئه قبل تحقق فعله أو بعد صنيعه وهذا قد صدق الله فعل إبراهيم بقوله {قد صدقت الرؤيا} حيث نزل عزمه موضع فعله وأقام ذبح الكبش مقام ذبحه لأنه كان **الحكمة في** ذلك المنام حصول الاستسلام وقطع العلاقة والمحبة الطبيعية بين الوالدية والولدية كما هو بلية عامة في الأنام مع أن العلماء أجمعوا على أن منام الأنبياء عليهم السلام حق وعد من أنواع الوحي والإلهام فحمله على الوهم قلة الفهم وأغرب المؤول حيث أجاب عن هذا بقوله تعالى {قل إنما أنا بشر مثلكم} وكأنه لم يقرأ يوحى إلي أي في اليقظة أو المنام فاستدلاله ببعض الآيات كما قيل للقلندري أما تصلي فقال قال تعالى {لا تقربوا الصلاة} قيل اقرأ ما بعده من جملة الحال فقال نحن من عشاق أول." (٢)

"العقوبة المخلدة المؤبدة وبه بطل تعلق المؤول بقوله في الفتوحات إن الله تعالى قال خالدين فيها أي في النار ولم يقل خالدين فيه أي في العذاب انتهى ولا يخفى بطلان برهانه وما زعم أنه ينفعه في شأنه فإنه سبحانه إذا قال في مواضع متعددة في كتابه إن الكفار خالدون في النار ونص في مواضع أخر أنه لا يخفف العذاب عن الكفار فدعوى انقلاب العذاب لا يصدر إلا من أهل الحجاب الجاهل بأحكام الكتاب الغافل عن فصل الخطاب والمائل عن صوب الصواب مع أن هذا القول وهو تخفيف العذاب وانقطاعه مخالف لما عليه الصوفية السنية من أن **الحكمة في** دوام العقوبة وزيادة المثوبة أن لا تتعطل التجليات الأسمائية من الصفات الجلالية والنعوت الجمالية الأبدية التي غير متناهية في المراتب الكمالية فمخالفته هذه مصادمة للأدلة النقلية والعقلية اللتين عليهما مدار علماء الشريعة وعرفاء الحقيقة فيكون كفرا بالإجماع

---

(١) الرد على القائلين بوحدة الوجود؟ الملا على القاري ص/٥٠

(٢) الرد على القائلين بوحدة الوجود؟ الملا على القاري ص/٨١

من غير احتمال النزاع ومن جملة الأدلة في تحقيق هذه المسألة قوله تعالى {لا يموت فيها ولا يحيى} أي حياة طيبة وهو ينافي." (١)

"الشيء يعمي ويصم) وقد قيل كل إناء يترشح بما فيه وفيه تنبيه على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقد صارت ضلالتهم سببا لضلالة جماعة من السفهاء وإنما قلنا هذا بناء على نقل هذا المؤول ولعله حذفه من كلام شيخه من صريح الباطل كما أشار إليه بقوله وفي الواقع عبارة إن الله هو المسيح ابن مريم مفيد للحصر وأن قول الشيخ يشير إليه حيث بين أن مجموع الكلام هو الكفر انتهى ولا يخفى أن هذا المبنى المفسد للمعنى ليس في كلامه على ما نقله من بيان مرامه ثم مما يدل صريحا على بطلان هذا المبدأ الكاسد والمنشأ الفاسد أنه لو قال أحد إن محمدا هو الله فلا شك أنه يكفر بالإجماع خلافا لمذهب ابن عربي وشراح كلامه وسائر الأتباع حيث لم يعرفوا **الحكمة في** فصل ضمير الفصل المشار إليه إلى كمال العدل تنبيها على اختلاف طوائف النصارى حيث قال بعضهم إن الله ثالث ثلاثة وقال آخرون إن الله هو المسيح ابن مريم وحده أي." (٢)

"**الحكمة من** موت أبوي الرسول صلى الله عليه وسلم على الكفر

هذا وفيه بيان لكمال قدرته في خلقه وأمره وتبيان لسر قضائه وقدره ورد على الحكماء والفلاسفة والطبيعية في بناء أمر النبوة والمعرفة على الأمور النسبية والأحوال الكسبية لا على المواهب الإلهية السبحانية والجذبات الربانية الصمدانية كما أشار الله سبحانه إلى هذا المعنى في رد ذلك المبنى بقوله {يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي}

فأخرج الله سبحانه المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن كابن نوح عليه السلام فإنه كافر بإجماع ائمة الإسلام وكقابيل قاتل هابيل من بني آدم عليه السلام فإنه كافر باتفاق علماء الأعلام

ولما رأى عليه السلام عكرمة بن أبي جهل بعد الإسلام قرأ {يخرج الحي من الميت}." (٣)

---

(١) الرد على القائلين بوحدة الوجود؟ الملا على القاري ص/٨٤

(٢) الرد على القائلين بوحدة الوجود؟ الملا على القاري ص/١٢٢

(٣) أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام؟ الملا على القاري ص/١٤٦

"فيه الإحتمال ويجوز أن يعبر به عن الأسماء المشتركة كالقرء وكاللمس المتردد بين المس والوطء وقد يطلق على ماورود في صفات الله تعالى مما يوهم ظاهره الجهة والتشبيه ويحتاج إلى تأويله

قيل **والحكمة في** المتشابه الإبتلاء بإعتقاده فإن العقل مبتلى بإعتقاد حقيقة المتشابه كإبتلاء البدن بأداء العبادة

وقيل هو لإظهار عجز العباد كالحكيم إذا صنف كتاب أجمل فيه أحيانا ليكون موضع خضوع المتعلم لأستاذه وكالملك يتخذ علامة يمتاز بها من يطلعه على سره ولأنه لو لم يبتل العقل الذي هو أشرف ما في الإنسان لاستمر في أبهة العلم على التمرد فبذلك يستأنس إلى التذلل بعز العبودية والمتشابه هو موضع خضوع العقول لبارئها استسلاما واعترافا بقصورها

وقال الفخر من الملحدة من طعن في القرآن لأجل اشتماله على المتشابهات وقال إنكم تقولون إن تكاليف الخلق مرتبطة." (١)

"الواقعة لمن يفعل ذلك فإن مثل هذا مشكل يحتاج لجواب يدفع شبهة من قامت عنده مثل هذه الشبهة وأشكاله من خمسة أوجه

الأول حيث أن المقدر كائن لا محالة وأنه لا يكون إلا ما قدره الله وسبق علمه به فما فائدة العمل وهل له تأثير على دفع المقدور وما الدليل على ذلك

الثاني أن آدم قد احتج على موسى بالقدر وقال في الحديث (فحج آدم موسى) أي غلبه في الحجة مع أن العلماء قاطبة يقولون نؤمن بالقدر ولا نحتج به وإلا فلو ساغ الاحتجاج بالقدر لكان إبليس أيضا يحتج به فرعون أيضا يحتج به على موسى وكذلك سائر العصاة وذلك باطل وحيث كان كذلك فكيف آدم احتج به وسلم له احتجاجه وما وجه ذلك

الثالث ما الدليل على إبطال الاحتجاج بالقدر وذمه مع أن آدم أحتج به

الرابع إنه حيث لا يقبل الاحتجاج بالقدر وأنه لا يكون إلا ما يريده الله وقدره وسبق علمه به فيلزم أن الله تعالى يكلف العبد ما لا يطيق ثم يعاقبه على م لا طاقة له بفعله وهو ظلم مع أن الله تعالى أيضا هو الخالق لذلك وما **الحكمة في** تكليف المكلفين وعقاب العاصين

الخامس حيث إن القدر سابق وإن الله هو الخالق لكل شيء ربما لزم عليه إفحام الأنبياء عليهم السلام

---

(١) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات؟ مرعي الكرمي ص/٥٠

وانقطاع حجتهم لأن النبي إذا قال للكافر آمن بي وصدقني يقول له قل للذي بعثك يخلق في الإيمان والقدرة عليه فأؤمن وإلا فكيف أؤمن ولا قدرة لي عليه لأنه خلق في الكفر وأنا لا أقدر على دفع ما خلقه في هذا وفي الحقيقة أن مثل هذا بحسب الظاهر مشكل يحتاج لأجوبة قاطعة تدفع شبهات من قامت عنده وإلا فأي غرض في الرمي إلى غير غرض وهل المراد في مقام النزاع والاستدلال إلا." (١)

"يكرهون سماع الحق كراهة شديدة لا تستطيع أنفسهم معها سماعه لبغضهم ذلك ونفرتهم منه لا لعجزهم عنه كما أن الحاسد لا يستطيع الإحسان الى المحسود لبغضه له لا للعجز عنه وعدم هذه الاستطاعة لا تمنع الأمر والنهي فإن الله يأمر الإنسان بما يكرهه كالقتال وينهاه عما يحبه كهوى النفس وليس من شرط المأمور به أن يكون العبد مريدا له ولا من شرط المنهي عنه أن يكون العبد كارها له فإن الفعل يتوقف على القدرة والإرادة والمشروط في التكليف أن يكون العبد قادرا على الفعل لا أن يكون مريدا له لكنه لا يوجد إلا إذا كان مريدا له فالارادة شرط في وجوده لا في وجوبه إذا علمت هذا علمت أن الله تعالى لم يكلف العباد ما لا يطيقون لقوله تعالى {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها} وإنما كلفهم بما في وسعهم وطاقتهم فإن العبد له قدرة وإرادة وفعل حقيقة يقدر به على فعل ما كلف به وعلى تركه كما تقدم وإن كان الله تعالى هو الخالق ذلك كله كما هو خالق كل شئ فإن خلقه القدرة في العبد مع سلامة الآلات مع الإرشاد والبيان لما هو النافع والضار ببعث الرسل المزيحة للعامل محض فضل منه تعالى وقد اختلف العلماء في حكمة تكليف المكلفين وعقاب العاصين وأنقسموا في ذلك قسمين أهل الحكمة والتعليل وأهل المشيئة والتفويض فقال أهل المشيئة لا حكمة في تكليف المكلفين وعقاب العاصين إلا محض المشيئة الإلهية فهو سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون}

وقال أهل التعليل إن من أسمائه تعالى الحكيم فهو لا يفعل شيئا إلا لحكمة ولا يتركه إلا لانتفاء **الحكمة فيه** وإن كنا نحن لا نعلم وجه الحكمة وقالوا تكليف الله العباد ليس لاحتياجه الى ذلك فإنه سبحانه." (٢)

"كما قيل في الرؤيا (في معنى ذلك) فيما زعموا عن يوحنا أنه سمى (المسيح) – في الإصحاح الثالث عشر– خروفا، بقوله: الذي للخروف الذي ذبح منذ إنشاء العالم ١.

وقد يعلم من هذه أيضا أنها تفيد قصد الشئ لاوجوده، ولأن المسيح على زعمكم (الباطل) ذبح في عهد

---

(١) رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر؟ مرعي الكرمي ص/١٦

(٢) رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر؟ مرعي الكرمي ص/٥٠

بيلاطوس٢، وليس منذ إنشاء العالم كما [زعمتم من] قول يوحنا في رؤياه؟

(وأيضا أقول: نعم إن سليمان قد تكلم على أن **الحكمة في** الله أزلية، يقول عنها من الأزل أسست، والنصارى فسروا هذه الحكمة أنها عيسى، فنحن لا نعارضهم بهذا التفسير، وأن سليمان يذكرها مرارا على معان كثيرة بعيدة عن فرضهم، حتى وفي هذه الجملة يشير أنها أسست أي مفعولة، بل نجاوبهم بأن الحكمة ليست وحدها في الله أزلية، بل جميع

---

١ رؤيا يوحنا ١٣:٨.

٢ بيلاطس البنطي أحد ولاة الرومان على اليهود زمن المسيح عليه السلام، وهو الذي يزعم النصارى أنه أمر بصلب المسيح، قيل: إنه مات سنة ٣٩م. انظر: معجم الحضارات الرسامية ص ٢٦١.

؟ حاشية: اعلم أن نتيجة هذا البيان الذي هو البيان الثالث قد تشير على أنه إن سلمت النصارى على أن عيسى ذبح قبل إنشاء العالم، فعلينا أن نسلم نحن لهم بأن القول عن المسيح كان قبل إبراهيم هو بالفعل، وان أنكروا وقالوا إنه ماذبح عيسى أي قبل إنشاء العالم بالفعل فنجاوبهم نحن ونقول انه ماكان عيسى قبل إبراهيم بالفعل، مع أن هذه القبلية لاتفيد الأولية كيف ماكانت. وهذه الحاشية ليست في. د." (١)

"التدبير وبديع التقدير، بحيث يخضع العقل لرفعته، ويشهد بإتقان صنعته، كما قال – تعالى: {أحسن كل شيء خلقه} [السجدة: ٧] ، وقال: {وخلق كل شيء فقدره تقديرا} [الفرقان: ٢] ، والحكيم من أسمائه الحسنى، وهو ذو الحكمة، وهي إصابة الحق بالعلم.

فالحكمة منه – تعالى – علم الأشياء، وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهذا الذي وصف به لقمان في قوله – تعالى: {ولقد آتينا لقمان الحكمة} [لقمان: ١٢] . قال الإمام الحافظ ابن الجوزي في كتابه (صيد الخاطر) : العقل لا ينتهي إلى حكمة الخالق – سبحانه – وقد ثبت عنده وجوده وملكه وحكمته، فتعرضه بالتفاصيل على ما تجري به عادات الخلق جهل. ثم قال: ألا ترى إلى أول المعترضين، وهو إبليس اللعين، كيف ناظر فقال: أنا خير منه. وقول أبي العلاء المعري:

رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا

. ثم قال: ويحك أحضر عقلك وقلبك واسمع ما أقول، أليس قد ثبت أن الحق مالك، وللمالك أن يتصرف

---

(١) البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح؟ زيادة الراسي ص/٨٦

كيف يشاء؟ أليس قد ثبت أنه حكيم، والحكيم لا يعبث؟ . قال: وأنا أعلم أن في نفسك من هذه الكلمة شيئا، فإنك قد سمعت عن جالينوس أنه قال: ما أدري أحكيم هو أم لا؟ والسبب في قوله هذا أنه رأى نقضا بعد إحكام، فقاس الحال على أحوال الخلق، وهو أن من بنى ثم نقض لا لمعنى فليس بحكيم، قال: وجوابه لو كان حاضرا أن يقال: بماذا بان لك أن النقض ليس بحكمة؟ أليس بعقلك الذي وهبه الصانع لك؟ فكيف يهب لك الذهن الكامل ويفوته هو الكمال؟ وهذه المحنة التي جرت لإبليس، فإنه أخذ يعيب الحكمة بعقله، فلو فكر علم أن واهب العقل أعلى من العقل، وأن حكمته أوفى من كل حكيم ؛ لأنه بحكمته التامة أنشأ العقول، فهذا إذا تأمله المنصف، زال عنه الشك. انتهى.

ومراد الحافظ ابن الجوزي من كان ممن لا يرى طريقا إلى إدراك حكمته إلا بالعقل، كيف وقد جاء في صحيح المنقول ما يوافق صريح المعقول من الكتاب والسنة ما لا يبقي في لب اللبيب أقل اختلاج وأدنى ريب، والله أعلم بكل غيب. وهو (الوارث) أي الباقي بعد فناء الخلق، والمسترد لأملاكهم ومواريثهم بعد موتهم، قال – تعالى: {إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون} [مريم: ٤٠]." (١)

"محمودة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا قول أكثر الناس من المسلمين وغيرهم، وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة، والشافعي ومالك وأحمد – رضي الله عنهم، وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة، والكرامية، والمرجئة وغيرهم، وقول أكثر أهل الحديث، والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كأبي البركات وأمثاله لكن هؤلاء على أقوال، منهم من قال إن الحكمة المطلوبة مخلوقة ومنفصلة عنه تعالى، وهم المعتزلة، والشيعة ومن وافقهم، قالوا: **الحكمة في** ذلك إحسانه للخلق، **والحكمة في** الأمر تعريض المكلفين للثواب، قالوا: فعل الإحسان إلى الغير حسن محمود في العقل، فخلق الخلق لهذه **الحكمة من** غير أن يعود إليه من ذلك حكم ولا قام به نعت ولا فعل، فقال لهم الناس: أنتم تتناقضون في هذا القول ؛ لأن الإحسان إلى الغير محمود لكونه يعود منه إلى فاعله حكم يحمد لأجله، إما لتكميل نفسه بذلك، وإما لقصده الحمد والثواب بذلك، وإما لرقة وألم يجده في نفسه، يدفع بالإحسان ذلك الألم، وإما لالتذاذه وسروره وفرحه بالإحسان، فإن النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها إلى غيرها، فالإحسان إلى الغير محمود لكون المحسن يعود إليه من فعله هذه الأمور. أما إذا قدر أن وجود

---

(١) لوامع الأنوار البهية؟ السفاريني ١/٤٥

الإحسان وعدمه بالنسبة إلى الفاعل سواء؛ لم يقل: إن مثل هذا الفعل يحسن منه، بل مثل هذا يعد عبثا في عقول العقلاء، وكل من فعل فعلا ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لا عاجلة ولا آجلة، كان عبثا، ولم يكن محمودا على هذا، وأنتم عللتم أفعاله تعالى فرارا من العبث فوقعتم فيه، فإن العبث هو الفعل الذي لا مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ؛ ولهذا لم يأمر الله – تعالى – ولا رسوله ولا أحد من العقلاء أحدا بالإحسان إلى غيره ونفعه ونحو ذلك إلا لما له في ذلك من المنفعة، والمصلحة، فأمر الفاعل بفعل لا يعود عليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لا في العاجل ولا في الآجل – لا يستحسن من الآمر. ومن ثم قال ((لكنه)) تعالى وتقدس. هذا استدراك من مفهوم قوله إنه يخلق الخلق بالاختيار، أي لا بالذات خلافا للمعتزلة ومن وافقهم." (١)

"أفعاله – تعالى – لا تشبه أفعال خلقه، ولا صفاته صفاتهم، ولا ذاته ذواتهم، إذ {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} [الشورى: ١١] . وأيضا يلزمهم أن من علم الله – تعالى – إذا بلغ من الأطفال يختار الإيمان، والعمل الصالح – أن لا يميته طفلا، فإن الأصلح في حقه أن يحييه حتى يبلغ ويؤمن ويعمل صالحا، فينال بذلكم الدرجات العالية، وهذا ما لا جواب لهم عنه، وأيضا يلزمهم أن يقولوا ليس في مقدور الله – تعالى – لطف لو فعله – تعالى – بالكفار لآمنوا، وقد التزمه المعتزلة القدرية، وبنوه على أصلهم الفاسد، أنه يجب على الله – تعالى – أن يفعل في حق كل عبد ما هو الأصلح له، فلو كان في مقدوره ما يؤمن العبد عنده لوجب عليه أن يفعله به، والقرآن من أوله إلى آخره يرد هذا القول ويكذبه ويخبر – سبحانه وتعالى – أنه لو شاء لهدى الناس جميعا، ولو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعا.

وأيضا يلزمهم – وقد التزموه – أن لطفه – تعالى – ونعمته وتوفيقه بالمؤمن كلطفه بالكافر، وأن نعمته عليهما سواء، لم يخص المؤمن بفضل عن الكافر، وكفى بالوحي وصريح المعقول وفطرة الله والاعتبار الصحيح وإجماع الأمة ردا لهذا القول وتكذيبا له. وأيضا ما من أصلح إلا وفوقه ما هو أصلح منه، والاقتصار على رتبة واحدة كالاقتصار على الصلاح، فلا معنى لقولكم يجب مراعاة الأصلح إذ لا نهاية له، فلا يمكن في الفعل رعايته، إلى غير ذلك مما يلزم القائلين بالصلاح والأصلح، فإنه – تعالى – خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا بالأسقام، والآلام، والمحن، والآفات مع الكفر، والهفوات، وكيف ينهض لهم دليل وخلود الكفار في النار ليس بأصلح لهم من غير تفصيل.

---

(١) لوامع الأنوار البهية؟ السفاريني ٢٨٣/١

تنبيه:

مذهب القول بالصلاح والأصلح مبني فيما قاله متكلمو الأشاعرة وغيرهم على قاعدتين: إحداهما: تحسين العقل وتقبيحه في الأحكام الشرعية. الثانية: استلزام الأمر للإرادة، فإن قلت: قد أسلفت عن أسلافك مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه المحقق ابن القيم وغيرهما – الميل، والاستدلال لإثبات التعليل والحكمة في الخلق والأمر، وذلك من أصول القول بالصلاح." (١)

"والأصلح، ثم هنا أبطلت هذا القول وذكرت من لوازمه ما لا جواب عنه، فما تصنع في هذه اللوازم التي ألزمت بها المعتزلة، وما الجواب عنها إذا وجهت إليكم؟ قلت: لا ريب أننا نثبت لله ما أثبته لنفسه وشهدت به الفطرة والعقول من الحكمة في خلقه وأمره، فكل ما خلق وأمر به فله فيه حكمة بالغة وآية قاهرة، لأجلها خلقه وأمر به، ولكن نقول إن لله في خلقه وأمره كله حكمة ليست مماثلة للمخلوق، ولا مشابهة له، بل الفرق بين الحكمتين، كالفرق بين الفعلين، وكالفرق بين الوصفين، والذاتين، فليس كمثله شيء في وصفه، ولا في فعله، ولا في حكمة مطلوبة له من فعله، بل الفرق بين الخالق والمخلوق في ذلك كله أعظم فرق وأبينه وأوضحه عند العقول، والفطر، وعلى هذا فجميع ما ألزمت به الفرقة القائلة بالصلاح والأصلح، بل وأضعاف ما ذكر من الإلزامات لله فيه حكمة يختص بها، لا يشاركه فيها غيره، ولأجلها حسن منه ذلك، وقبح من المخلوقين لانتفاء تلك الحكمة في حقهم، وهذا كما يحسن منه – تعالى – مدح نفسه، والثناء عليها، وإن قبح من أكثر خلقه ذلك، ويليق بجلاله الكبرياء والعظمة، ويقبح من خلقه تعاطيهما كما روي عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه حكى عن الله – تعالى – أنه قال: " «الكبرياء إزاري، والعظمة ردائي، فمن نازعني واحدة منها عذبته» " وكما يحسن منه إماتة خلقه وابتلاؤهم وامتحانهم بأنواع المحن، ويقبح ذلك من خلقه، وهذا أكثر من أن تذكر أمثلته، فليس بين الله وبين خلقه جامع يوجب أن يحسن منه ما حسن منهم، ويقبح منه ما قبح منهم، وإنما تتوجه تلك الإلزامات على من قاس أفعال الله – تعالى – بأفعال عباده، دون من أثبت له حكمة يختص بها ولا تشبه ما للمخلوقين من الحكمة، فهو عن تلك الإلزامات بمعزل، ومنزله منها أبعد منزل، ونكتة الفرق أن بطلان الصلاح والأصلح لا يستلزم بطلان الحكمة، والتعليل، كما أن التعليل الذي نثبته غير الذي تثبته المعتزلة، كما مر، فإن المعتزلة أثبتوا لله شريعة

(١) لوامع الأنوار البهية؟ السفاريني ١/٣٣٢

عقلية، وأوجبوا عليه فيها وحرموا بمقتضى عقولهم، فالمعتزلة يوجبون على الله ويحرمون بالقياس على عباده، ولا ريب أن هذا من أفسد القياس وأبطله كما نبه عليه وبينه الإمام المحقق ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة. وأما زعم المعتزلة استلزام الأمر للإرادة الكونية فباطل لا يعول عليه، وبالله التوفيق.." (١)

"الخير، والشر ليس إليه، بل كل ما إليه فخير، والشر إنما حصل لعدم هذه الإضافة والنسبة إليه، لو كان إليه لم يكن شرا، فتأمله. فانقطاع نسبته إليه هو الذي صيره شرا.

فإن قلت: لم تنقطع نسبته إليه خلقا ومشيئة؟ قلت: هو من هذه الجهة ليس بشر، والشر الذي فيه من عدم إمداده بالخير وأسبابه، والعدم ليس بشيء حتى ينسب إلى من بيده الخير، فإن أردت مزيدا من إيضاح ذلك، فاعلم أن أسباب الخير ثلاثة: الإيجاد، والإعداد، والإمداد، فهذه هي الخيرات وأسبابها، فإيجاد هذا السبب خير، وهو إلى الله، وإعداده خير، وهو إليه أيضا، وإمداده خير، وهو إليه أيضا، فإذا لم يحدث فيه إعدادا ولا إمدادا؛ حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس إلى الفاعل، وإنما إليه ضده، فإن قلت: فهلا أمده إذا أوجده؟ قلت: ما اقتضت الحكمة إيجاده وإمداده، فإنه سبحانه يوجده ويمده، وما اقتضت الحكمة إيجاده وترك إمداده؛ أوجده بحكمته ولم يمده بحكمته، فإيجاده خير، والشر وقع من عدم إمداده.

فإن قلت: فهلا أمد الموجودات كلها؟ فالجواب: هذا سؤال فاسد، يظن مورده أن الموجودات أبلغ في الحكمة، وهذا عين الجهل، بل الحكمة كل الحكمة في هذا التفاوت العظيم الواقع بينها، وليس في خلق كل نوع منها تفاوت، فكل نوع منها ليس في خلقه من تفاوت، والتفاوت إنما وقع بأمور عدمية لم يتعلق بها الخلق، وإلا فليس في الخلق من تفاوت. قال – رحمه الله تعالى – فإن اعتاص ذلك عليك ولم تفهمه حق الفهم، فراجع قول القائل: إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وسر المسألة أن الرضا بالله يستلزم الرضا بصفاته وأفعاله وأسمائه وأحكامه، ولا يستلزم الرضا بمفعولاته كلها، بل حقيقة العبودية أن يوافقه عبده في رضاه وسخطه، فيرضى منها بما رضي ويسخط منها ما سخطه.

فإن قيل: هو سبحانه يرضى عقوبة من يستحق العقوبة، فكيف يمكن العبد أن يرضى بعقوبته له. فالجواب لو وافقه في رضاه بعقوبته لانقلبت لذة وسرورا، ولكن لا يقع منه ذلك، فإن لم يوافقه في محبة طاعته التي هي سرور النفس وقرة العين وحياة القلب، فكيف يوافقه في محبة العقوبة التي هي أكره شيء." (٢)

---

(١) لوامع الأنوار البهية؟ السفاريني ٣٣٣/١

(٢) لوامع الأنوار البهية؟ السفاريني ٣٤٢/١

"أصناف أنواعها.

والحكمة في الاقتصار على السبع المذكورة في الحديث مع ورود ما يزيد على السبعين في أحاديث متفرقة أن هذه موصوفة بصفة زائدة على مجرد الكبيرة، وهي الموبقة، أي المهلكة، فإن قيل: قد ورد في عدة أحاديث " «الكبائر سبع» " ففي حديث عمرو بن العاص - رضي الله عنه - عند الإمام أحمد في المسند وصحيح البخاري، والترمذي، والنسائي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والرجوع إلى الأعرابية بعد الهجرة» " فعد في هذا الحديث ثمانية في بادي الرأي، وكأنه عد الأكل للربا ولمال اليتيم واحدة. وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعا عند البزار بإسناد حسن " «الكبائر: الشرك بالله، والإياس من روح الله، والقنوط من رحمة الله» " وفي حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - عند البيهقي بإسناد صحيح مرفوع " «الكبائر: الإشراك بالله، وقذف المحصنة، وقتل النفس المؤمنة، والفرار يوم الزحف، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين المسلمين، وإلحاد بالبيت قبلتكم أحياء وأمواتا» " إلى غير ذلك من الأحاديث التي وصف فيها الذنوب بالكبر مما يزيد عن السبعين. الجواب أن هذا مما يؤيد أن العدد لا مفهوم له، أو أنه - صلى الله عليه وسلم - علم أولا بالسبع المذكورات، ثم علم بما زاد، فيجب الأخذ بالزائدة، أو الاقتصار على السبع، وقع بحسب المقام بالنسبة للسائل، أو من وقعت له واقعة، والأقوى أن التنصيص على السبع في كل حديث لزيادة عظمها.

ومن الكبائر الزنا، وبحليلة الجار أشد، وبالمحارم أشد وأشد، فإن الجريمة الصغيرة قد تنقلب كبيرة بقرينة تضم إليها، وتنقلب الكبيرة فاحشة، فإن قتل النفس بغير حق كبيرة، فإن قتل أصلا له، أو فرعا، أو ذا رحم، أو بالحرم، أو في الأشهر الحرم، أو في رمضان فهو فاحشة، وكذا الزنا، وتفاصيل ذلك كثيرة جدا، والمراد أن الإنسان لا يخرج من الإيمان بملابسته وإتيانه بموبقات الذنوب التي هي أكبر الكبائر، و " أل " في الذنب للجنس، أو الاستغراق فيشمل كل الذنوب ((والعصيان)) دون الشرك بالله - تعالى -، والكفر به بأي." (١)

"الحلية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " «من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي مات فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه الصراط إلى الجنة» "

---

(١) لوامع الأنوار البهية؟ السفاريني ٣٦٧/١

وممن لا يسأل الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وأما الجن فالأدلة تعمهم ويسألون لأنهم مكلفون في الجملة كما نص عليه علماؤنا وغيرهم وبالله التوفيق.

[عذاب القبر]

(ومنها) أي الأمور التي يجب الإيمان بها وأنها حق لا ترد عذاب القبر قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه " شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور " وقد ذكر الله عذاب القبر في القرآن في عدة أماكن كما بينته في الإكليل في أسرار التنزيل. انتهى.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور في «قوله تعالى: {فلولا إذا بلغت الحلقوم} [الواقعة: ٨٣]- إلى قوله - {إن هذا لهو حق اليقين} [الواقعة: ٩٥] عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات فقال: " إذا كان عند الموت قيل له هذا، فإن كان من أصحاب اليمين أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن كان من أصحاب الشمال كره لقاء الله وكره الله لقاءه» ".

وأخرج الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه " فأكب القوم يبكون قال " ما يبكيكم؟ " قالوا إنا نكره الموت قال ليس ذلك ولكنه إذا حضر فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم، فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله والله للقائه أحب، وأما إن كان من المكذبين فنزل من حميم وتصلية جحيم، فإذا بشر بذلك كره لقاء الله والله للقائه أكره» ". وقال الإمام المحقق ابن القيم في كتاب الروح قول السائل ما **الحكمة في** أن عذاب القبر لم يذكر في القرآن صريحا مع شدة الحاجة إلى معرفته والإيمان به ليحذره الناس ويتقى؟ فأجاب عن ذلك بوجهين مجمل ومفصل أما المجمل فإن الله تعالى أنزل على رسوله وحيين فأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة قال تعالى {وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة} [النساء: ١١٣] وقال الله تعالى {هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم} [الجمعة: ٢]- إلى قوله - {ويعلمهم الكتاب والحكمة} [الجمعة: ٢] وقال تعالى {واذكرن ما يتلى في بيوتكن} [الأحزاب: ٣٤] الآية والحكمة هي السنة باتفاق السلف، وما أخبر به." (١)

(١) لوامع الأنوار البهية؟ السفاريني ١٢/٢

"عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة، وأما خروج الدابة فإنه يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب.
قال الحاكم أبو عبد الله: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه **والحكمة في** ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة. قال العلامة الشيخ مرعي وهذا كلام في غاية التحقيق.
قال بعضهم **والحكمة في** طلوع الشمس من مغربها أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام – لما قال للنمرود {فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر} [البقرة: ٢٥٨] وأن السحرة والمنجمين عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون هو غير كائن – أطلعها الله تعالى يوما من المغرب ليري المنكرين عظيم قدرته وباهر حكمته وأن الشمس في ملكه إن شاء أطلعها من المشرق أو المغرب أو لا ولا.
وقال الحليمي من الشافعية: أول الآيات الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم طلوع الشمس من مغربها.
(قلت) والذي يظهر والله أعلم أن أول الآيات خروج المهدي، ثم الدجال، ثم نزول عيسى، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم هدم الكعبة، ثم الدخان، ثم ارتفاع القرآن، ثم طلوع الشمس من مغربها. ويحتمل أن طلوع الشمس متقدم على رفع القرآن وخروج الدابة عقب طلوع الشمس من مغربها في يومها أو قريبا منها. وهذا هو النسق الذي مشينا عليه واخترناه، والله أعلم.
وأما خروج السفياني فإنه وإن كان قبل خروج المهدي إلا أنه لم يعد خروجه آية وإنما هو علامة لخروج المهدي، والله أعلم.

(التنبيه الثالث)
قد ورد من حديث أنس رضي الله عنه عند ابن مردويه وغيره أن الدواوين تطوى والأقلام تجف ولا يزاد في حسنة ولا ينقص من سيئة.
وفي كلام بعضهم ولا يكتب عمل بعد ذلك وأنهم إذا عملوا عملا فأجسامهم تشهد عليهم كما ورد عن

عائشة رضي الله عنها: إذا خرجت أول الآيات تعني طلوع الشمس من المغرب طرحت الأقلام وطويت الصحف وخلصت." (١)

"بعوضة» "، فقد صرح بأن الموزون نفس بدن الإنسان، فالجواب أن هذا ضربه النبي - صلى الله عليه وسلم - مثلا للذي يغتر ببعض الأجسام، وهو كناية عن اكتراث الله بالأجساد، فإن الله لا ينظر إلى الصور، وإنما ينظر إلى الأعمال والقلوب، فكم من جسم وسيم وهو عند الله من أصحاب الجحيم، فهذا محمل الحديث الصحيح، والله أعلم.

(الثالث)

قال النسفي في بحر الكلام: إن الإيمان لا يوزن لأنه ليس له ضد يوضع في كفة الميزان الأخرى؛ لأن ضده الكفر، والإيمان والكفر لا يكونان في الإنسان الواحد.

قلت: هذا وزن كلمة الإخلاص، وهي أس الإيمان، وانتصر القرطبي للنسفي كالحكيم الترمذي، وأجاب عن كلمة الإخلاص بأنها تكون إيمانا أول مرة، وبعد ذلك تكون من حسناته.

قال: ويدل عليه قوله - صلى الله عليه وسلم: «بلى إن لك عندنا حسنة، ولم يقل: إن لك عندنا إيمانا، وقد سئل - صلى الله عليه وسلم - عن لا إله إلا الله من الحسنات هي؟ " من أعظم الحسنات» " رواه البيهقي، وغيره.

قلت:

وفيه نظر لا يخفى. (فإن قيل) ما **الحكمة في** الوزن مع أن الله عالم بكل شيء فيعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟ (أجاب) الثعلبي بأن **الحكمة في** ذلك تعريف الله عبيده ما لهم عنده من الجزاء من خير أو شر.

وقال العلامة الشيخ مرعي: بل **الحكمة فيه** إظهار العدل وبيان الفضل حيث أنه يزن مثقال الذرة من خير أو شر {وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما} [النساء: ٤٠] .

(الرابع)

---

(١) لوامع الأنوار البهية؟ السفاريني ١٤٢/٢

ظواهر الآثار وأقوال العلماء أن كيفية الوزن في الآخرة خفة وثقلا مثل كيفيته في الدنيا، ما ثقل نزل إلى أسفل ثم يرفع إلى عليين، وما خف طاش إلى أعلى ثم نزل إلى سجين، وبه صرح جموع منهم القرطبي.
وقال بعض المتأخرين: بل الصفة مختلفة، وإن عمل المؤمن إذا رجح صعد وسفلت سيئته، والكافر تسفل كفته لخلو الأخرى عن الحسنات، ثم تلا قوله تعالى: {والعمل الصالح يرفعه} [فاطر: ١٠] .
وذكر بعضهم في صفة الوزن أن تجعل جميع." (١)

"الإمام القرطبي، وغيره من أئمة الآثار، وقد أخرج مسلم تلك الزيادة في صحيحه عن أبي سعيد بلاغا، وليست مما للرأي والاجتهاد فيه مجال فهي مرفوعة، وقد مر من الأخبار ما يوجب الإيمان بذلك، ثم إن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن ويجريه ويمشيه، على أنه أخرج الإمام عبد الله بن المبارك، وابن أبي الدنيا عن سعيد بن أبي هلال قال:
بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر، وعلى بعض مثل الوادي الواسع، وأخرج أبو نعيم عن سهل بن عبد الله التستري قال:
من دق الصراط عليه في الدنيا عرض عليه في الآخرة، ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق له في الآخرة.

(الثاني)
تقدم أن الصراط مخلوق الآن، ونقل في كنز الأسرار عن بعض أهل العلم أنه يجوز أن يخلقه الله تعالى حين يضرب على متن جهنم، ويجوز أن يكون خلقه حين خلق جهنم، ونحوه في كلام القاضي عياض، قال الحليمي من الشافعية:
لم يثبت أنه يبقى إلى خروج عصاة الموحدين من النار فيجوزونها عليه إلى الجنة، ويحتمل أنه يزال ثم يعاد لهم أو لا يعاد، أو تصعد به الملائكة إلى السور الذي في الأعراف.
قال البدر الزركشي: ومن **الحكمة في** الصراط ورفعه أن يظهر للمؤمنين من عظيم فضل الله تعالى النجاة من النار، ولتصير الجنة أسر لقلوبهم بعد، وليتحسر الكافر بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في العبور.

(الثالث)

---
(١) لوامع الأنوار البهية؟ السفاريني ١٨٨/٢

من الخرافات الباردة زعم من زعم أن ماهية الصراط شعرة من شعر جفون مالك خازن النار، فهو كلام تنبو عنه المسامع، ويكذبه كل سامع، وإن نقله الحافظ برهان الدين الحلبي فلا ينبغي أن يلتفت إليه، ولا يعول عليه، والله تعالى أعلم.

[الحوض]

((ثم)) أجزم بعد البعث والنشور وأخذ الصحف والمرور بثبوت ((حوض)) النبي ((المصطفى)) نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – فإنه ثابت بإجماع أهل الحق، وقال تعالى {إنا أعطيناك الكوثر} [الكوثر: ١] قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه البدور السافرة: ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيا منهم الخلفاء الأربعة الراشدون، وحفاظ." (١)

"واعلم أن مناقب علي – رضوان الله تعالى عليه – كثيرة ومآثره شهيرة، ولقد قال فيه ابن عباس – رضي الله عنهم –: كان لعلي ضرس قاطع في العلم، وكان له القدم في الإسلام، والصهر برسول الله – صلى الله عليه وسلم –، والفقه في السنة، والنجدة في الحرب، والجود في المال. وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن – يعني عليا – رضي الله عنه –.

وأخرج الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في تبصرته بسنده عن أبي صالح قال: قال معاوية بن أبي سفيان لضرار بن ضمرة: صف لي عليا. قال: أوتعفيني يا أمير المؤمنين. قال: بل تصفه لي. قال: أوتعفيني. قال: لا أعفيك. قال: أما إذ لا بد فإنه والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق **الحكمة من** نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة ولا نبتدئه لعظمته، كان إذا تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لرأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه، وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فلكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا يا دنيا ألي تعرضت؟ أم لي تشوفت؟

---

(١) لوامع الأنوار البهية؟ السفاريني ١٩٤/٢

هيهات، غري غيري، قد بنتك ثلاثا لا رجعة لي فيك ولا مثنوية، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير، ويروى أنه قال: حلالك حساب وحرامك عذاب، ثم أنشد - رضي الله عنه -:

دنيا تخادعني كأن ... ي لست أعرف حالها

مدت إلي يمينها ... فرددتها وشمالها

حظر الإله حرامها ... وأنا اجتنبت حلالها

وعلمتها خداعة ... فتركت جملتها لها

آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.

قال: فذرفت دموع معاوية." (١)

"..

....

وهكذا روى عن أبي هريرة وابن عباس وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه أخبر بنزول عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا.

وليس المراد بنزول عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ إنه ينزل بشرية متجددة غير شريعة نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وإنما نزل مقررا لهذه الشريعة، ومجددا لها؛ إذ هي آخر الشرائع، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخر الرسل.

قال الله تعالى: {وخاتم النبيين} ، [الأحزاب، من الآية: ٤٠] .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "لا نبي بعدي".

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأكلمها وأحسنها إلا موضع لبنة، فكان من دخلها ونظر إليها قال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة! فأنا موضع هذه اللبنة ختم بي الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ. رواه أبو داود الطيالسي، ورواه الخباري ومسلم والترمذي إلى غير ذلك من الأحاديث.

---

(١) لوامع الأنوار البهية؟ السفاريني ٣٥٢/٢

وأجمع المسلمون على أنه لا نبي بعد نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة.

والحكمة في نزول عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ دون غيره من الأنبياء: الرد على اليهود في زعمه: أنهم قتلوه، فبين الله تعالى كذبهم، وأنه الذي يقتلهم.

أو نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض؛ إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيره.

وقيل: إنه دعا الله ـ لما رأى صفة محمد وأمته ـ أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجددا الأمر الإسلام، فيوافق خروج الدجال فيقتله، والأول أوجه.." (١)

"العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا. قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال لا تبشرهم فيتكلوا" أخرجاه في الصحيحين.

فيه مسائل، الأولى: **الحكمة في** خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد، لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله. ففيه معنى قوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} ١.

الرابعة:الحكمة في إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى قوله: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى} ٢.

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل. أولها: النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثمانية عشر ٣

---

(١) أحاديث في الفتن والحوادث (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء الحادي عشر)؟ محمد بن عبد الوهاب ص/٢١٥

١ سورة الكافرون آية: ٣.

٢ سورة البقرة آية: ٢٥٦.

٣ هكذا بالأصل؛ والصواب ثماني عشرة.." (١)

"السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل، **والحكمة في** إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، فاعتقدوا أن ما نهى الله ١ ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

---

١ هكذا في بعض النسخ المطبوعة وفي المخطوطة رقم ٢٦٩/ ٥٦ ما نصه "واعتقدوا أن نهي الله ورسوله هو الكفر المبيح للدم".." (٢)

"باب (٢٨) ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: "خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به" انتهى.

---

(١) التوحيد لابن عبد الوهاب؟ محمد بن عبد الوهاب ص/٩

(٢) التوحيد لابن عبد الوهاب؟ محمد بن عبد الوهاب ص/٥٨

"وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه". ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق، وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، ومصدق بالسحر، وقاطع الرحم" ١ رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

فيه مسائل:

الأولى: **الحكمة في** خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.

---

١ أحمد (٣٩٩/٤) .." (١)

"[كتابة العمل والأجل والرزق وشقي أو سعيد ونحن في بطون أمهاتنا]

٤٣ - وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق:

«إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات: فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها؛ وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»

متفق عليه.

---

٤٣ - رواه البخاري كتاب بدء الخلق (٦ / ٣٠٣) (رقم: ٣٢٠٨) ، والأنبياء (٦ / ٣٦٣) (رقم: ٣٣٣٢) ، والقدر (١١ / ٤٧٧) (رقم: ٦٥٩٤) ، والتوحيد (١٣ / ٤٤٠) (رقم: ٧٤٥٤) ، ومسلم كتاب القدر (٤ / ٢٠٣٦) (رقم: ٢٦٤٣) .

---

(١) التوحيد لابن عبد الوهاب؟ محمد بن عبد الوهاب ص/٨٤

قال الحافظ في " الفتح " (١١ / ٤٧٩) :

المراد بالنطفة المني وأصله الماء الصافي القليل، والأصل في ذلك إن ماء الرجل إذا لاقى ماء المرأة بالجماع وأراد الله أن يخلق من ذلك جنينا هيأ أسباب ذلك.

قال ابن الأثير في " النهاية ": يجوز أن يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم، أي: تمكث النطفة أربعين يوما تخمر فيه حتى تتهيأ للتصوير ثم تخلق بعد ذلك.

ثم يكون علقة: يكون هنا بمعنى يصير، ومعناه أنها تكون بتلك الصفة مدة الأربعين ثم تنقلب إلى الصفة التي تليها.

العلقة: الدم الجامد الغليظ سمي بذلك للرطوبة التي فيه وتعلقه بما مر به.

المضغة: قطعة اللحم سميت بذلك لأنها قدر ما يمضغ الماضغ.

والمراد من كتابة الرزق تقديره قليلا أو كثيرا وصفته حلالا أو حراما، وبالأجل: هل هو طويل أو قصير؟ وبالعمل صالح أو فاسد.

ومعنى شقي أم سعيد: أن الملك يكتب إحدى الكلمتين كأن يكتب مثلا أجل هذا الجنين كذا ورزقه كذا وعمله كذا وهو شقي باعتبار ما يختم له وسعيد باعتبار ما يختم له كما دل عليه الخبر.

وفي الحديث حث على القناعة والزجر الشديد عن الحرص لأن الرزق إذ كان قد سبق تقديره لم يغن التغني في طلبه وإنما شرع الاكتساب لأنه من جملة الأسباب التي اقتضتها الحكمة في دار الدنيا.

وفيه أن الأعمال سبب دخول الجنة أو النار ولا يعارض ذلك حديث «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله» (١) لأنه لولا رحمة الله لعبده لما أدخله الجنة، لأن العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب بمجرده دخول الجنة ولا أن يكون عوضا لها لأنه ولو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة، فتبقى سائر نعمه مقتضية لشكرها وهو لم يوفها حق شكرها، فلو عذبه على هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم، وإذا رحمه في هذه الحالة كانت رحمته خيرا من عمله، وفيه أن من كتب شقيا لا يعلم حاله في الدنيا، وكذا عكسه، ولكن ربما يعلم بطريق العلامة المثبتة للظن الغالب، فنعم، ويقوى ذلك في حق من اشتهر له لسان صدق بالخير والصلاح.

وفيه الحث على الاستعاذة بالله من سوء الخاتمة.

(١) رواه البخاري ومسلم.." (١)

"«يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون".»

---

٧١ - رواه مالك في "الموطأ" كتاب قصر الصلاة في السفر (١ / ١٧٠) ومن طريقه رواه البخاري كتاب مواقيت الصلاة (٢ / ٣٣) (رقم: ٥٥٥) ، وكتاب التوحيد (١٣ / ٤١٥) (رقم: ٧٤٢٩) ، (١٣ / ٤٦١) (رقم: ٧٤٦٨) ، ومسلم كتاب المساجد (١ / ٤٣٩) (رقم: ٦٣٢) ، ورواه البخاري في بدء الخلق (٦ / ٣٠٦) (رقم: ٣٢٢٣) ، ورواه مسلم (١ / ٤٢٩) (رقم: ٦٣٢) ، وأحمد (٢ / ٢ ٣١) . قال الحافظ في "الفتح":

يتعاقبون فيكم: أي: المصلين أو مطلق المؤمنين.

ملائكة: قيل: هم الحفظة، قال القرطبي: الأظهر عندي أنهم غيرهم، ويقويه أنه لم ينقل أن الحفظة يفارقون العبد ولا أن حفظة الليل غير حفظة النهار، وبأنهم لو كانوا الحفظة لم يقع الاكتفاء في السؤال منهم عن حالة الترك دون غيرها في قوله: «كيف تركتم عبادي؟ ".»

قال عياض: **والحكمة في** اجتماعهم في هاتين الصلاتين من لطف الله تعالى بعباده وإكرامه لهم بأن جعل اجتماع ملائكته في حال طاعة عباده لتكون شهادتهم لهم بأحسن الشهادة.

ويستفاد من الحديث: أن الصلاة أعلى العبادات، لأنه عنها وقع السؤال والجواب، وفيه الإشارة إلى عظم هاتين الصلاتين لكونهما تجتمع فيهما الطائفتان وفي غيرهما طائفة واحدة، والإشارة إلى شرف الوقتين المذكورين، وفيه إعلامنا بحب ملائكة الله لنا لنزداد فيهم حبا ونتقرب إلى الله بذلك، وفيه كلام الله تعالى مع ملائكته.." (٢)

---

(١) أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب - ت الجوابرة؟ محمد بن عبد الوهاب ص/٧٦

(٢) أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب - ت الجوابرة؟ محمد بن عبد الوهاب ص/١٠٦

"عين، بل لم يخالط قلبه من شبه الإشراك رين، فتبرأ من الآلهة الباطلة التي قومه لها عابدون، فقال: {قال يا قوم إني بريء مما تشركون} (الأنعام: من الآية ٧٨) فلهذا قال تعالى {ومن يرغب عن ملة إبراهيم} أي التي هي الصراط المستقيم، والدين الواضح القويم، وبترك طريقته السوية المنهاج، ويعدل بها ذات الاعوجاج، {إلا من سفه نفسه} أي ظلمها بسفهه وتقصيره، وسوء نظره وتدبيره، بتركه الحق وميله للضلال ومصيره، حيث خالف نهج من اصطفاه رب العباد في الدنيا للهداية والرشاد، من حداثة سنه إلى بلوغ المراد، وفي الآخرة من الصالحين الفائزين بالرضوان والإسعاد، فيا له من سفه ما أعظمه! وجور ما أكبره وأفخمه.

وقوله: {فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون} (البقرة: من الآية ١٣٢) وصية منه بإخلاص الدين لله، وإحسان العمل له في حال الحياة، وملازمة ذلك؛ ليرزقكم الله بفضله عليه الوفاء. فإن المرء غالبا يموت على ما عليه في الدنيا يكون، ثم يأتي على تلك الحال يوم يبعثون، والله الكريم من فضله العميم تفضل بأن من قصد الخير يسر إليه، ومن نوى صالحا ثبت عليه، وأكف عنان القلم عن تفسير باقي آيات القرآن، حتى يقف صافنا (١) عن اتساعه في هذا الميدان، ونكتفي بما حررناه وقدرناه من البيان في هذه الآيات الرفيعة الشأن؛ لأن جميع معناها الصحيح الواضح، ومقتضاها الصريح الصادع الصادح، يؤول إلى أن الدين المطلوب المراد، المقصود من جميع العباد، الذي هو السر **والحكمة في** الإيجاد، دين الإسلام العظيم، الذي هو الصراط المستقيم، الذي دعا الله عباده كافة بالاستقامة عليه، وحثهم على الدخول فيه والمبادرة إليه. إذ لا عمل يقبل

---

(١) الصافن: الذي يصف قدميه. قاله في (مختار الصحاح) .." (١)

"رسوله صلى الله عليه وسلم ، يعلم أن هذه الأمور كلها تضاد أمر الله ونهيه، وما جاء به رسوله من عنده، فإن الذي شرعه لنا الرسول، لا يجوز عنه العدول، وما زاد عليه باطل غير مقبول، فزيارة القبور التي أمر بها، وكان يعلم بها أصحابه إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية" (١) . **والحكمة فيها**: إنما هو تذكرة الآخرة، والإحسان إلى الميت بالدعاء له والترحم والاستغفار. ولذلك شرعت الصلاة للدعاء له

---

(١) العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين؟ ابن غنام، حسين ص/٣٦

والشفاعة فيه، فإذا كان هذا ما شرعه الله لنا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم قبل دفنه، فبعد الدفن أولى، ولكن هذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: "إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم٢".

فلهذا بدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم، فبدلوا الدعاء للميت بدعائه والشفاعة عند الله بطلب الشفاعة منه، وخصوا تلك القبور والمشاهد بالدعاء والعبادة.

وقد وردت السنة بإبطال ذلك والتغليظ في الوعيد لمن فعله؛ لأن ذلك يصيرها أوثانا تعبد من دون الله. وإنما حملهم على ذلك الغلو في الصالحين وفرط محبتهم، وهذا هو الذين تغيرت به الحنفية من قديم الدهر وحديثه، وهو السبب في كفر بني آدم كما حكى الله تعالى عن قوم نوح قال تعالى: {قالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩) بنحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه احمد (١٨٠/٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

٢ رواه أحمد (٢١٨/٥) والترمذي (٢١٨) وقال: حسن صحيح وصححه ابن حبان (٦٧٠٢) .." (١)

"بالتلويح عن التصريح. والألف واللام في التوحيد للعهد الذهني.

قوله: وقول الله تعالى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} ١.

يجوز في (قول الله) الرفع والجر، وهكذا حكم ما يمر بك من هذا الباب.

قال شيخ الإسلام: العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة الرسل.

وقال أيضا: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة.

قال ابن القيم: ومدارها على خمس عشر قاعدة، من كملها كمل

مراتب العبودية، وبيان ذلك أن العبادة منقسمة على القلب، واللسان، والجوارح.

والأحكام التي للعبودية خمسة: واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح. وهن لكل واحد من القلب واللسان والجوارح.

وقال القرطبي: أصل العبادة: التذلل والخضوع، وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات، لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى.

---

(١) العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين؟ ابن غنام، حسين ص/١٧٥

وقال ابن كثير [عند الفاتحة آية: ٥] : العبادة في اللغة من الذلة، يقال: طريق معبد وغير معبد، أي: مذلل. وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، وهكذا ذكر غيرهم من العلماء.

ومعنى الآية: أن الله تعالى أخبر أنه ما خلق الإنس والجن إلا لعبادته، فهذا هو **الحكمة في** خلقهم، ولم يرد منهم ما تريده السادة من عبيدها من الإعانة لهم بالرزق والإطعام، بل هو الرازق ذو القوة المتين، الذي يطعم ولا يطعم، كما قال تعالى: {قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من

---

١ سورة الذاريات آية: ٥٦.." (١)

"ويدخل في الكفر بالطاغوت بغضه وكراهته، وعدم الرضى بعبادته بوجه من الوجوه.

ودلت الآية على:

١- أن **الحكمة في** إرسال الرسل هو عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه.

٢- وأن أصل دين الأنبياء واحد وهو الإخلاص في العبادة لله، وإن اختلفت شرائعهم، كما قال تعالى: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا} ١، وأنه لا بد في الإيمان من العمل ردا على المرجئة.

[الأمر بعبادة الله والإحسان إلى الوالدين]

قال: قوله: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا} ٢.

هكذا ثبت في بعض الأصول، لم يذكر الآية بكمالها. قال مجاهد: {وقضى} يعني: وصى، وكذلك قرأ أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم.

وروى ابن جرير، عن " ابن عباس في قوله: {وقضى ربك} يعني: أمر".

وقوله: {ألا تعبدوا إلا إياه} ٣، (أن) ، هي المصدرية وهي في محل جر بالباء، والمعنى: أن تعبدوه ولا تعبدوا غيره ممن لا يملك ضرا ولا نفعا، بل هو:

١- إما فقير محتاج إلى رحمة ربه يرجوها كما ترجونها

٢- وإما جماد لا يستجيب لمن دعاه.

وقوله: {بالوالدين إحسانا} ٤، أي: وقضى أن تحسنوا {بالوالدين إحسانا} ، كما قضى بعبادته وحده لا

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد؟ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٢٩

شريك له. وعطف حقهما على حق الله تعالى دليل على تأكد حقهما وأنه أوجب الحقوق بعد حق الله، وهذا كثير في القرآن يقرن ببن حقه . عز وجل . وبين حق الوالدين، كقوله: {أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير} ٥. وقال {وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا} ٦. ولم يخص تعالى نوعا من أنواع الإحسان ليعم أنواع الإحسان.

---

١ سورة المائدة آية: ٤٨.

٢ سورة الإسراء آية: ٢٣.

٣ سورة يوسف آية: ٤٠.

٤ سورة البقرة آية: ٨٣.

٥ سورة لقمان آية: ١٤.

٦ سورة البقرة آية: ٨٣.." (١)

"ومنها: مضرة العكوف على قبر لأجل عمل صالح.

ومنها: معرفة النهي عن التماثيل، **والحكمة في** إزالتها.

ومنها: معرفه عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

ومنها: -وهي أعجب العجب- قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن نهي الله ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال.

ومنها: التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

ومنها: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك

ومنها: التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم، ففيها معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده.

ومنها: أن سبب فقد العلم موت العلماء. انتهى بمعناه.

ومنها: شدة حاجة الخلق بل ضرورتهم إلى الرسالة، وأن ضرورتهم إليها أشد وأعظم من ضرورتهم إلى الطعام والشراب.

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد؟ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٣٣

ومنها: الرد على من يقدم الشبهات التي يسميها عقليات على ما جاء من عند الله، لأن ذلك الذي أوقع المشركين في الشرك.

ومنها: مضرة التقليد وكيف آل بأهله إلى المروق من الإسلام.

[النهي عن الإطراء ومجاوزة الحد في المدح]

قال: وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله" ١ أخرجاه.

ش: قوله عن عمر. هو ابن الخطاب بن نفيل بنون وفاء مصغرا بن عبد العزى بن رياح بتحتانية بن عبد الله بن قرط بضم القاف بن رزاح براء ثم زاي خفيفة بن عدي بن كعب

---

١ البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥) ، وأحمد (١/٢٣) .." (١)

"الحكمة في الاقتصار على سبع، ويجاب بأن مفهوم العدد ليس بحجة وهو جواب ضعيف، أو بأنه أعلم أولا بالمذكورات، ثم أعلم بما زاد، فيجب الأخذ بالزائد، أو أن الاقتصار وقع بحسب المقام بالنسبة للسائل، أو من وقعت له واقعة ونحو ذلك".

وقد أخرج الطبري وإسماعيل القاضي عن ابن عباس أنه قيل له: الكبائر سبع؟ فقال: هن أكثر من سبع. وفي رواية عنه: هي إلى السبعين أقرب، وفي رواية: إلى السبعمئة. وإذا تقرر ذلك عرف فساد من عرف الكبيرة بأنها ما وجب فيها الحد، لأن أكثر المذكورات لا يجب فيها الحد انتهى. وسيأتي مزيد لذلك إن شاء الله.

قوله: قال: (الشرك بالله) . هو أن يجعل لله ندا يدعوه كما يدعو الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويخافه كما يخاف الله، وبدأ به لأنه أعظم ذنب عصي الله به كما في "الصحيحين" عن ابن مسعود سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي ذنب أعظ عن الله؟ قال: "أن تجعل لله ندا وهو خلقك" ١.

قوله: (والسحر) . تقدم معناه، وهذا وجه إيراد المصنف لهذا الحديث في الباب.

قوله: (وقتل النفس التي حرم الله) . أي: حرم قتلها إلا بالحق، أي: بفعل موجب للقتل، كقتل المشرك المحارب، والنفس بالنفس، والزاني بعد الإحصان، كما قال تعالى: {ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد؟ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٢٦١

خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما} ٢ وسواء في ذلك القتل عمدا أو شبه عمد، كما صرح به طائفة من الشافعية بخلاف قتل الخطإ، فإنه لا كبيرة ولا صغيرة، لأنه غير معصية.

قلت: ويلتحق بذلك قتل المعاهد كما صح الحديث: "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة."الحديث.

---

١ البخاري: تفسير القرآن (٤٤٧٧) ، ومسلم: الإيمان (٨٦) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣١٨٢، ٣١٨٣) ، والنسائي: تحريم الدم (٤٠١٣، ٤٠١٤) ، وأبو داود: الطلاق (٢٣١٠) ، وأحمد (٣٨٠/١، ٤٣١/١، ٤٣٤/١، ٤٦٢/١، ٤٦٤/١) .

٢ سورة النساء آية: ٩٣.." (١)

"يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وهو موجب حكمته وحمده، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله تعالى ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر، وملامة له، يقول: إنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا إخالك ناجيا.

ش: قوله:"فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله". إلى آخره. هذا تفسير غير واحد من المفسرين وهو مأخوذ من تفسير قتادة والسدي، وذكر ذلك عنهما ابن جرير وغيره بالمعنى.

وقوله:"وإن أمره سيضمحل". أي: سيذهب جملة حتى لا يبقى له أثر. والاضمحلال: ذهاب الشيء جملة.

قوله:"وفسر أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته". قال القرطبي: وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: {يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية} ١ يعني التكذيب بالقدر وذلك أنهم تكلموا فيه، فقال الله: قل إن الأمر كله لله، يعني: القدر خيره وشره من الله.

وأما تفسيره بإنكار الحكمة، فلم أقف عليه عن السلف، فهو تفسير صحيح فمن أنكر أن ذلك لم يكن لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد والشكر، فقد ظن بالله ظن السوء، وقد أشار تعالى إلى بعض الحكم والغايات المحمودة في ذلك، في سورة"آل عمران"فذكر شيئا كثيرا منها في الآية المفسرة: {وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور} ٢. فهذا بعض **الحكمة في** ذلك. فمن

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد؟ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٣٣٠

أنكره، فقد ظن ظن السوء بالله وحكمته وعلمه ورحمته لكمال علمه وقدرته ورحمته، ولأن من أسمائه الحق، وذلك هو موجب لهيبته وربوبيته.

قوله:"لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه". أي: لأن الذي يليق به

---

١ سورة آل عمران آية: ١٥٤.

٢ سورة آل عمران آية: ١٥٤.." (١)

"وارحمتي١ لك، واقلة حيلتي في إقامة التأويل لمعذبك. فقال له ابن عقيل: إن لم تقلد على حمل هذا الأمر لأجل رقبتك الحيوانية ومناسبتك الجنسية، فعندك عقل تعرف به حكم الصانع وحكمته يوجب عليك التأويل، فإن لم تجد استطرحت الفاطر العقل، حيث خانك العقل عن معرفة الحكمة في ذلك. انتهى.

قوله:"وفتش نفسك هل أنت سالم؟ ". قال ابن القيم: أكثر الخلق إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق، وظن السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ولسان حاله يقول: ظلمني ربي، ومنعني ما أستحقه، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره، ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فتش نفسه، وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها، رأى ذلك فيها كامنا كمون النار في الزناد، فاقرع زناد من شئت ينبئك شرارها عما في زناده، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله ويستغفره كل وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظن السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء وصنيع كل شر، المركبة على الجهل والظلم، فهو أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين، الغني الحميد الذي له الغنى التام، والحكمة التامة، المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذلك وأفعاله كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حسنى.

فلا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل.

ولا تظنن بنفسك قط خيرا ... فكيف بظالم جان جهول

وظن بنفسك السوأى تجدها ... كذاك وخيرها كالمستحيل

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد؟ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٥٨٧

وما بك من تقى فيها وخير ... فتلك مواهب الرب الجليل

---

١ في الطبعة السابقة: وراحمتي.." (١)

"الدلائل القائمة على ألوهية الخالق

(ومن الدلائل) على ألوهية خالقها الطعام للبشر، وسائر الحيوانات، وما تترى به الأجسام والعورات من النبات، كالقطن والكتان، وما أبرزه الإله المعبود بالحق من الحيوانات كالإبريسم والصوف والشعر والجلود، وما لا تحيط به الأذهان ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إمتن بها الإله الواحد المنان، وكذا اختلاف الأخشاب بأنواعها واختلاف مصالحها، وهذه الآيات لا تحصيها العبارات، إنما نشير إلى اليسير منها لاعتبارات وفي اختلافها يقول موجد الكائنات: {والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات} وكذلك الحال في الطيب والخبيث يكون في بني آدم كما يكون في الأرض وما يخرج فيها من النبات كما قيل:

الناس كالأرض ومنهاهم ... من حجر قاس ومن لين

فجلمد تدمي به أرجل ... وأثمد يحمل في الأعين

وهذا من نزع البركة عن بعضها ووضءها في بعضها الآخر وجود الحكمة في كل منهما وفي الحديث: "أحد يحبنا ونحبه وهو على باب من أبواب الجنة، وهذا عير يبغضنا ونبغضه وهو على باب من أبوب النار" أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي عبس بن جبر رضي الله عنه وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أحد جبل يحبنا ونحبه" أخرجه البخاري فأحد طيب يرى الناظر إليه عليه آثار الأنوار، وعير خبيث تنبو عن مشاهدته الأبصار، وقد قال تعالى لنبيه المختار: {وربك يخلق ما يشاء ويختار} .

(ومن الدلائل) على ألوهية خالقها وموجدها الكعبة الشريفة في البلد الآمن طهره الله وصانه وجعل عباده

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد؟ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٥٩٤

المتقين أولياءه وسكانه: {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين} وفيه من البراهين والآيات ما يسع الكائنات، ولو." (١)

"أبو بكر خرج إلى الجهاد مع أخيه يزيد بن أبي سفيان. ثم لما توفي يزيد استعمله عمر رضي الله عنه على الشام، فأقام أميرا عشرين سنة، وخليفة عشرين سنة، وكانت رعيته تحبه لحسن سيرته.

اعتراف معاوية بفضل علي

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم" ١. ومما يدل على اعتراف معاوية بفضل علي ما أخرجه غير واحد من أهل السنة في كتبهم، وذكره أبو عمر بن عبد البر في كتاب "الاستيعاب" في ترجمة علي حيث قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن يوسف، قال: حدثنا يحيى بن مالك، قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن مقلد البغدادي بمصر، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن درية، قال: حدثنا الكلبي عن الحرماوي عن رجل من همدان، قال: قال معاوية لضرار الصدائي: يا ضرار، صف لي عليا، قال: اعفني يا أمير المؤمنين، قال: فلتصفه لي، قال: "أما إذ لا بد من وصفه؛ فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين ويقربهم، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييئس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غري غيرى، إلي تقربت؟ أم إلي تشوفت؟ هيهات هيهات، بتتك ثلاثا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك حقير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق!.

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٢٧٧

١ مسلم: الإمارة (١٨٥٥) ، وأحمد (٢٤/٦، ٢٨/٦) ، والدارمي: الرقاق (٢٧٩٧) .." (١)

"النوع الثاني:

قوله: " وقبلوا الشريعة الموافقة لأخلاقهم بغير امتناع ".

فتحت هذا الكلام تمويه باطل، وهو خطأ ظاهر، ثم هو مناقض لما يأتي من كلامه: " أن الشريعة الإسلامية متعلقة بالكلية بالسيف والقتال ".

ولكنه لما سمع بدخول من دخل في الإسلام من التتار بغير إكراه ولا قتال، حاول أن يجعل ذلك ليس من باب الاختيار الذي دعاهم إليه ما عرفوه بعقولهم من صحة دين الإسلام وشرفه، حتى اختاروه على دينهم، وعلى اليهودية والنصرانية، فأحال ذلك على موافقة أخلاقهم.

ومن المعلوم أن من نشأ على دين وجد عليه آباءه وأسلافه والمعظمين عنده، فإنه لا يدعه ويؤثر غيره عليه إلا أن يحمله على ذلك رغبة أو رهبة، أو يدله العقل على فضيلة ما اختاره، فأما خلقه الموافق لهواه فإنه لا يدعوه إلى اختيار دين غير آبائه لا سيما والدين الذي اختاره يتضمن من التكاليف الشاقة على الأنفس ما هو مضاد لهوى النفس.

ولا ريب أن الذين دخلوا في الإسلام من أولئك التتار - وقد كانوا أهل شوكة ودولة - لم يكن لهم داع إلى ذلك من رغبة ولا رهبة، وإنما دخلوا في الإسلام لما رأوا من شرفه وفضله بعد مخالطة المسلمين.

وهذا يدل على معنى ما أشرنا إليه فيما تقدم، ويأتي إيضاحه فيما بعد - إن شاء الله - من أن من الحكمة في شرع الجهاد ليس." (٢)

"نقصان حاله، وينفر الناس عن مقاله، فلما قال لهم -عليه السلام- هذا دل على أن ذلك النعت كان مذكورا في التوراة والإنجيل، وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته.

ولكن أهل الكتاب كما قال الله -تعالى-: {ليكتمون الحق وهم يعلمون} و {يحرفون الكلم عن مواضعه} وإلا فهم - قاتلهم الله - قد عرفوا محمدا -صلى الله عليه وسلم- كما يعرفون أبناءهم، ووجدوه مكتوبا

(١) جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول)؟ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص/٦٠

(٢) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب؟ عبد العزيز بن حمد آل معمر ٢١٣/١

عندهم في التوراة والإنجيل، لكنهم حرفوها وبدلوها، ليطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

قال شيخ الإسلام أبو العباس: وقد ناظرنا غير واحد من أهل الكتاب، وبينا لهم تلك الدلائل، فأسلم من علمائهم وخيارهم طوائف، وصاروا يناظرون أهل دينهم، ويبينون لهم ما عندهم من الدلائل على نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- وهذا من **الحكمة في** إبقاء أهل الكتاب بالجزية؛ إذ هم من الشواهد والدلائل على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وعندهم من الشواهد على ما أخبر به من الإيمان بالله واليوم الآخر ما يبين أن محمدا -صلى الله عليه وسلم- جاء بالدين الذي بعث الله به الرسل قبله.." (١)

"في الأسواق، أبعثه مبشرا ونذيرا، لا يقول الخنا، أفتح به أعينا كمها، وآذانا صما، وقلوبا غلفا، أسدده لكل أمر جميل، وأهب له كل خلق كريم، وأجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، **والحكمة منطقه**، والصدق طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والحق شريعته، والعدل سيرته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأعرف به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلة، وأغني به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين أمم متفرقة، وقلوب مختلفة، وأهواء متشتتة، أستنقذ به فئاما من الناس عظيمة من المهلكة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ."

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:

«قدم الجارود فأسلم، وقال: والذي بعثك بالحق، لقد وجدت وصفك في الإنجيل، ولقد بشر بك ابن البتول» . أخرجه البيهقي.." (٢)

"{وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين} .

وإذا كان قتالك من ظلمك واعتدى عليك، حتى يكف عن ظلمه واعتدائه لا يكون ظلما ولا قبيحا، فكيف يكون قتال الكافر بالله، المكذب لرسوله وكتابه، الآتي بأعظم الظلم وأكبر الذنب، يقال فيه: إنه بغير عدل؟ ! ما هذا إلا جهل عظيم، كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون.

وقوله: " إذ لا تكون عبادة الله إلا ما يصدر عن إرادة النفس " إلى قوله: " فهو لا يصدقها، بل يظهر فقط

---

(١) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب؟ عبد العزيز بن حمد آل معمر ٢٥٣/١

(٢) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب؟ عبد العزيز بن حمد آل معمر ٢٥٧/١

أنه يصدقها، هربا من الشدائد ".

جوابه:

أن هذا وإن وجد في آحاد من الناس فليس على العموم، فلا تنتقض به الحكمة في مشروعية الجهاد، فإنه قد دخل في الإسلام فئام من الناس بالقتال، وافتتحت ديارهم بالسيف، فدخلوا وكثير منهم كارهون، فلما خالطوا المسلمين، وسمعوا القرآن، وبلغتهم معجزات النبوة وآيات الرسالة صلحت عقائدهم، وانفتحت بصائرهم، وعلموا أنه الحق، ودانوا به باطنا وظاهرا، وعلموا أبناءهم ونساءهم، وبذلوا يه نفوسهم وأموالهم. هذا ما لا يرتاب فيه ذو عقل صحيح.." (١)

"وليس المراد بسط هذه المسألة، وإنما المقصود أن أخذ الجزية ممن بذلها للمسلمين ليس على العموم في حق كل كافر.

وإذا عرف هذا فليس في إقرار من يقر بالجزية من الكفار ما يكون قدحا في حكمة الشريعة وكمالها، فإن أحكام الشريعة جاءت في كل باب على وفق الحكمة والمصلحة، والذي شرعها هو الرب - سبحانه وتعالى - وهو أحكم الحاكمين.

وقد قامت الأدلة القاطعة على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وأن القرآن كلام الله - تعالى - ورسالته إلى خلقه، وشرعه هو ما تضمنه كتابه وحكمة رسوله، والحكم والغايات في أحكامه لا يحيط بها إلا هو، فما علمناه منها قلنا به، وما جهلناه وكلناه إلى عالمه.

وقد ذكر العلماء من الحكمة في إقرارهم بالجزية وجوها:

فمنها: أنهم أقروا بذلك، ولم يعاملوا معاملة غيرهم من الكفار لحرمة الكتاب الذي ينتمون إليه.

ومنها: أن ذلك لحرمة آبائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والإنجيل.

ومنها: أن إقرارهم بذلك لأنهم أهل الكتاب وبأيديهم التوراة والإنجيل، وفيها صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - فربما يتفكرون ويعلمون صدق محمد - صلى الله عليه وسلم - فيتبعون الحق، فأمهلوا لهذا المعنى.." (٢)

---

(١) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب؟ عبد العزيز بن حمد آل معمر ٦٢٢/٢

(٢) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب؟ عبد العزيز بن حمد آل معمر ٦٢٩/٢

"ومنها: أن إبقاءهم كذلك من الشواهد والدلائل على نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – لأن في الكتب التي بأيديهم ما يدل على أنهم بدلوا، وفيها ما يدل على أن شريعتهم ستنسخ بغيرها، كما قدمنا الإشاره إلى بعض ذلك.

وفيها من صفة محمد – صلى الله عليه وسلم – وأدلة نبوته ما قدمنا بعضه. وفيها من التناقض والاختلاف ما يبين – أيضا – وقوع التبديل.

قال شيخ الإسلام أبو العباس:

" وعند أهل الكتاب ما يدل على هذه المطالب، وقد ناظرنا غير واحد منهم، وبينا لهم ذلك، وأسلم من علمائهم وخيارهم طوائف، وصاروا يناظرون أهل دينهم، ويتبينون ما عندهم من الشواهد والدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

قال: وهذا من **الحكمة في** إبقاء أهل الكتاب بالجزية، إذ عندهم من الشواهد والدلائل على نبوته، وعندهم من الشواهد على ما أخبر به من الإيمان بالله واليوم الآخر ما يبين أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – جاء بالدين الذي بعث الله به الرسل قبله، وأخبر من توحيد الله ومن صفاته بمثل ما أخبرت به الأنبياء قبله.

قال الله – تعالى –: {قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين} .." (١)

"أي: إلا لآمرهم أن يعبدون، وأدعوهم إلى عبادتي١ وقيل: إلا ليعرفون٢ كلما كان في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد، وأصل العبودية التذلل٣ والعبادة غاية التذلل، ولا يستحقها إلا لمن٤ له غاية٥ الإفضال والإعظام وهو الله تعالى وتقدس، وفي الآية الكريمة دليل على أن الجن مكلفون ومخاطبون بالعبودية، ومجزيون ومحاسبون ثوابا وعقابا، وهذا وجه **الحكمة في** خلق الجن والإنس٦ قال الله تعالى: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون} ٧ وقال عز وجل {وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا} ٨ وقال تعالى: {وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون} ٩ أي: بالعدل، وهو الثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية.

---

(١) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب؟ عبد العزيز بن حمد آل معمر ٢/٦٣٠

(١) ((تفسير البغوي ((: (٤/ ٢٣٥) .

(٢) ((تفسير البغوي ((: (٤/ ٢٣٥) . ولا بد أن يعلم هنا بأن المعرفة هنا ليس على الإطلاق، وإنما المعرفة لله مع الطاعة له وإلا فإن معرفة إبليس لربه لم تنفعه، وإقرار قريش بأن الله خلقهم وخلق السموات والأرض، كل ذلك لم ينفعهم حينما لم يتخذوه سبحانه إلها يعبد وحده، ومن هنا ضل من فسر الإيمان بالمعرفة وحدها.

(٣) قوله: (فمعناه التوحيد، وأصل العبودية التذلل) سقط من نسخة ((ر)) .

(٤) هكذا في جميع النسخ، والأولى أن يقال: (إلا من له) .

(٥) كلمة: (غ، الآية) سقطت من ((ر)) .

(٦) وبهذا يتضح أن الحكمة التي خلق الله من أجلها هذا الخلق، وأرسل الرسل وأنزل الكتب هي عبادته تعالى: ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ، فمتى خلت الأرض من عبادته قامت القيامة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله.

(٧) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

(٨) سورة ص، الآية: ٢٧.

(٩) سورة الدخان، الآية: ٣٩-٣٨.." [١]

"فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم.....

واعلم أنه إذا أمر الإمام بنقلها وجب نقلها إليه وفرقها حيث شاء.

{فإن هم أطاعوك لذلك} أي: انقادوا لك بذلك {فإياك وكرائم أموالهم} أي: باعد نفسك واترك كرائم أموالهم فلا تلزمهم بها، والكريمة: العزيزة عند مالكها لكونها أكولة، أي: مسمنة للأكل، أو قريبة العهد بالولادة، أو حاملا، أو فحلا معدا للضراب، **والحكمة في** المنع من ذلك أن الزكاة وجبت مواساة للفقراء في مال الأغنياء فلا يناسب ذلك الإجحاف بأرباب الأموال {واتق دعوة المظلوم} أي: اجتنب الظلم لئلا يدعو عليك المظلوم، وهذا الخطاب وإن كان المخاطب به معاذا فهو عام للخاص والعام، وفي حديث آخر عن علي رضي الله عنه " اتق دعوة المظلوم فإنما يسأل الله حقه وإن الله لن١ يمنع ذا حق حقه "٢

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد؟ عبد الهادي البكري ٢٢/١

والله تعالى يقول: {ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار} ٣
ويقول تعالى لمن ظلم: " لأنصرنك ولو بعد

---

(١) في ((ر)) : (لم يمنع) .
(٢) ((شعب الإيمان)) للبيهقي: (٦/٤٩، ح ٧٤٦٤) ، ((تاريخ بغداد)) : (٩/٣٠١-٣٠٢) . ((الجامع الصغير للسيوطي مع الفيض)) : (١/٢٥) . الحديث رمز له السيوطي بالضعف. وقال الشيخ الألباني: ضعيف. انظر: ((سلسلة الأحاديث الضعيفة)) : (٤/١٩١، ح ١٦٩٧) ، و ((ضعيف الجامع)) : (ص ١٨، ح ١١٠) .
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.." (١)

"وتحت حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم العن فلانا وفلانا" ١ بعد أن قال: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، فأنزل الله {ليس لك من الأمر شيء} ٢ ذكر الشارح من (ص ٨٥ - ١٨٩) أن من فوائد هذا الحديث استحباب القنوت في الصلاة للنوازل.
ثم ذكر بعد ذلك الخلاف في جواز لعن المعين ممن اتصف بشيء من المعاصي كيهودي أو نصراني أو ظالم أو زان أو مصور أو سارق أو آكل ربا، ورجح جواز اللعن واستدل عليه ببعض الأحاديث الصحيحة.
وبين رحمه الله في (ص ١٩٠) معنى قوله تعالى: {ليس لك من الأمر شيء} **٣والحكمة في** منع الله تعالى لنبيه من الدعاء على من كان يدعو عليهم. وتحت حديث أبي هريرة لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه قوله
تعالى: {أنذر عشيرتك الأقربين} ٤ الآية ... الحديث.
يذكر الشارح في (ص ١٩١) أن ذلك يفيد أن الإنسان إذا بدأ بنفسه أولا ثم الأقرب فالأقرب من أهله لم يكن لأحد عليه طعن، وكان قوله أنفع وكلامه أنجع. وأن ذلك يفيد جده صلى الله عليه وسلم تشميره إلى ما أمره الله به.
وفي باب قول الله تعالى: {إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير} ٥ الآية.
تحت حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عنه وسلم " اذا قضى الله الأمر في السماء ضربت

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد؟ عبد الهادي البكري ١٠٣/١

الملائكة بأجنحتها ... " ٦ الحديث.

ذكر الشارح في (ص ١٩٧) في معنى هذا الحديث أثرا عن وهب بن

---

(١) البخاري: المغازي (٤٠٧٠) ، والنسائي: التطبيق (١٠٧٨) ، وأحمد (١٤٧/٢) .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٥) سورة سبأ، الآية: ٢٣.

(٦) البخاري: تفسير القرآن (٤٧٠١) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣٢٢٣) ، وابن ماجه: المقدمة (١٩٤)

.." (١)

"وبين في نفس الصفحة متى يكره استعمال "لو" ومتى لا يكون مكروها.

وفي باب لا تسبوا الريح: وتحت حديث: " لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها "١ استدل الشارح في (ص ٥٠٠ - ٥٠١) ببعض الأحاديث التي تبين **الحكمة من** عدم جواز سب الريح. فذكر حديث أبي هريرة: " الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب "٢.

وبين معنى قوله: "من روح الله" بفتح الراء، أي: من رحمة الله بعباده، ومعنى قوله: "تأتي بالرحمة"، أي: الغيث، ومعنى قوله: "تأتي بالعذاب"، أي: بإتلاف النبات والشجر، وهلاك الماشية وهدم الأبنية.

وزاد في الاستدلال بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا هاجت الريح قال: " اللهم لقحا لا عقيما " وبما روت عائشة - رضي الله عنها - أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى ناشئا ترك العمل وإن كان في صلاة ثم يقول: " اللهم إني أعوذ بك من شرها "٣ وبما روى ابن عباس " أنه صلى الله عليه وسلم ما هبت ريح إلا جثا على ركبتيه وقال: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ".

ثم ختم رحمه الله الباب في (ص ٥٠٣) بكلام عن كراهية سب الحمى واستدل عليه وذلك لمناسبته.

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد؟ عبد الهادي البكري ١٠٥/١

(١) الترمذي: الفتن (٢٢٥٢) ، وأحمد (١٢٣/٥) .

(٢) أبو داود: الأدب (٥٠٩٧) ، وابن ماجه: الأدب (٣٧٢٧) ، وأحمد (٢٦٧/٢) .

(٣) أبو داود: الأدب (٥٠٩٩) .." [1]

"اللعن لما أنزل الله {ليس لك من الأمر شيء} ١ معنى الآية: ليس لك من أمر مصالح٢ عبادي شيء إلا ما أوحي إليك، وأن الله تعالى هو مالك أمرهم،٣ فإما أن يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا أو يهلكهم ويعذبهم إن أصروا على الكفر، وقيل: ليس لك مسألة هداهم والدعاء عليهم؛ لأنه تعالى أعلم بمصالحهم، فربما تاب على من يشاء منهم، وقيل: معناه ليس لك من أمر خلقي شيء إلا ما وافق أمري إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم٤.

قال بعض العلماء: والحكمة في منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم أن الله تعالى علم من حال بعض الكفار أنه سيسلم٥ فيتوب عليهم، أو سيولد منهم ولد يكون مسلما برا تقيا، فلأجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعاء عليهم؛ لأن دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة، فلو دعا عليهم بالهلاك هلكوا٦.

ولكن اقتضت حكمة الله وما سبق في علمه إبقاءهم ليتوب على بعضهم ويستخرج من بعضهم ذرية مؤمنة صالحة، ويهلك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله تعالى: {أو يعذبهم فإنهم ظالمون} ٧.

[وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم " اللهم إني لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٢) في ((ر ((: (ليس لك من الأمر من مصالح عبادي ...) ، وكذا في النسختين الأخريين مع إسقاط كلمة: (من) الثانية، والأحسن من أثبت من ((الأصل ((.

(٣) قوله: (هو مالك أمرهم) سقط من ((ش ((.

(٤) انظر: ((تفسير الزمخشري ((: (٤٦٢/١) ، و ((تفسير الرازي ((: (٢١٩/٨) .

(٥) في بقية النسخ: (أنه يسلم) .

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد؟ عبد الهادي البكري ١٣٧/١

(٦) انظر: ((تفسير الفخر الرازي ((: (٨/٢١٩) .

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.." (١)

"فهذا كلام باطل؛ لأن الوجود يتناول كل موجود من ذلك الجنة والنار والسماء والأرض والعرش والكرسي والحجب وغير ذلك من العالم العلوي والسفلي مما لا يعلمه إلا الله، ولم يملكه لأحد من عباده، بل لم يملك من الوجود إلا النزر القليل.

قوله: وقد ورد أن الدنيا والآخرة خلقتا لأجله ١ صلى الله عليه وسلم.

فهذا حديث لا يصح، والله سبحانه قد أعلمنا **بالحكمة في** خلق هذه المخلوقات كما في قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدوني} [الذاريات: ٥٦] . وقال تعالى {وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا} [هود: ٧] . وقال تعالى {الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا} [الملك:٢] . وقال تعالى {الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما} [الطلاق: ١٢] .وقال تعالى {جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم} [المائدة:٩٧] . فأخبر الله سبحانه **بالحكمة في** خلق هذه الأشياء، وأنه إنما خلقها لحكم التي ذكرها لا لأجل أحد من عباده، مع أن هذا الحديث لو صح لم يكن فيه حجة ولا شبهة يستأنس بها لما ادعاه، مع أنه أكرم الخلق على ربه وأقربهم إليه وسيلة صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين، لكنه نهى عن الغلو فيه فقال: " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله" ٢.

---

١ يشير إلى ما أخرجه الديلمي وابن عساكر بلفظ "لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار". وفي رواية ابن عساكر: "لولاك ما خلقت الدنيا". وهو حديث موضوع كما قال السيوطي في اللآلىء "١ / ٢٧٢} والعلامة الألباني في السلسلة الضعيفة"١ / ٤٥١ ".

2 تقدم تخريجه ص ٢٠.." (٢)

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد؟ عبد الهادي البكري ١/١٩٠

(٢) تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس؟ عبد الله أبا بطين ص/٢٤

"{ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله} لأنهم لم يكونوا يعتقدون أن آلهتهم تدير شيئا من دون الله وإنما يستجلبون النفع ويستدفعون الضر بجعلها وسائط بينهم وبين الله الذي بيده الضر والنفع ولهذا يخلصون لله الدعاء في الشدائد باعتقادهم أن آلهتهم لا تغني عنهم شيئا من دون الله، وأنها لا تضر ولا تنفع وقد لبس الشيطان على كثير من الناس خاصة ممن ينتسب إلى طلب العلم بأن السكوت عن الكلام في هذا الباب هو الدين والورع فتولد من ذلك الإعراض عن الاعتناء بهذا الأمر الذي هو أصل الدين حتى صار جاهلا به ثم آل الأمر ببعض هؤلاء إلى استحسان الشرك والنفرة من ذكر التوحيد ولم يدر هذا المتورع الورع الشيطاني أن أفرض العلوم معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته ومعرفة حقه على عباده الذي خلق الجن والإنس لأجله وهو توحيد الألوهية الذي أرسل به جميع الرسل وأنزل به جميع الكتب قال سبحانه: {فاعلم أنه لا إله إل الله} [محمد: ١٩] ، وقال: {فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو} [هود: ١٤] أي واعلموا أن لا إله إلا هو وقال: {هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد} [إبراهيم: ٥٢] فبين سبحانه أن من **الحكمة في** إنزال القرآن ليعلم الناس بما فيه من الحجج والبراهين أنه هو المستحق للألوهية وحده ففرض على عباده العلم لأنه الإله وحده وأخبر أنه ضمن كتابه من الأدلة والبراهين ما يدل على ذلك فتعين على كل مكلف معرفة لا إله إلا الله الذي هو أصل الأصول وأوجب العلوم.

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: " من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله." (١)

"هذا المعنى كثيرة.

وقول المعترض: ورد في الحديث:"لولا حبيبي محمد ما خلقت سمائي ولا أرضي ولا جنتي ولا ناري"١ فيقال: أولا هذا حديث باطل. هؤلاء الذين صنفوا في معجزاته وفضائله وخصائصه، كصاحب الشفا أين ذهب عنهم هذا الحديث فلم يذكروه مع أنه لا حجة فيه للمبطل ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو خليل الله وحبيبه وأقرب الناس إليه وسيلة وأعظمهم عنده منزلة صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين وقد قال الله له: {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨] ، والله سبحانه قد بين **الحكمة في** خلق السموات والأرض وما بينهما فقال: {الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما} [الطلاق:١٢]

---

(١) الرد على البردة؟ عبد الله أبا بطين ص/٢٠

"١" لم أقف عليه بهذا اللفظ، لمن ذكر الديلمي في الفردوس "٨٠٣١" نحوه من حديث ابن عباس بلفظ "يقول الله عز وجل: وعِزتي وجلالي لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت الدنيا".

قلت هذان الحديثان وما على شاكلتهما من الأحاديث علامات البطلان والكذب ظاهرة عليها، فإنها تناقض صراحة قوله تعالى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} وكذا قوله تعالى: {تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا} . فإن الله تبارك وتعالى خلق الدنيا وما فيها من جن وإنس وسماء وأرض وموت وحياة من أجل أن يعبد وحده سبحانه، ويدعى وحده، ويذبح له وحده، ويتقرب إليه وحده بكل ما يحب ويرضى، وهذا هو معنى كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله"، أي لا معبود بحق إلا الله.." (١)

"فأخبر سبحانه أنه إنما خلق السموات والأرض وما احتوتا عليه من آياته وعجائب مصنوعاته ليستدل بذلك على كمال قدرته، وسعة علمه، وقال: {وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا} [هود: ٧] . فنبه على الحكمة في ذلك وهو أنه ليبلو عباده أيهم أحسن عملا، وقال: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} [الذريات:٥٦] .فأخبر سبحانه بالحكمة في خلقه الجن والإنس، وهو إنما خلقهم ليعبدوه وحده وقال: {ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى} [النجم:٣١] . فأعلمنا سبحانه أنه إنما خلق هذه المخلوقات للحكم التي ذكرها لا لأجل أحد من خلقه، وقد ذكرت في الجواب على الأبيات بعض كلام النسفي الحنفي في تفسيره على قوله سبحانه: {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله} [لأعراف: ١٨٨] .

قال: " هو الظاهر للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك إلا ما شاء الله مالكي من النفع لي ودفع الضر عني {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء} أي لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى في الحروب".انتهى.." (٢)

---

(١) الرد على البردة؟ عبد الله أبا بطين ص/٣٥

(٢) الرد على البردة؟ عبد الله أبا بطين ص/٣٦

"بما آتاهم الله من فضله} [آل عمران: ١٧٠,١٦٩] وقد يحصل للمهاجر ما يحبه من حسن العاقبة في الدنيا مع ما يرجوا١ في الآخرة كما قال تعالى: {ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة} الآية [النساء: ١٠٠] .

ونظير تبك الهجرة خوفا من الفقر أو القتل مداهنة أهل المعاصي خوفا من أذاهم وقد قال تعالى: في حقهم {ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين} [العنكبوت:١٠] .

وهذا الذي جعل فتنة الناس كعذاب الله قد يدعى أن الضرورة دعته إلى ذلك لو كانت عذرا وقد علمت أن ترك الهجرة عرضة لذهاب الدين وذهاب الدين هو هلاك النفس السرمدي {قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين} [الزمر: ١٥] هذا في تركهم الهجرة.

وأما الهجرة فن الغالب على أهلها السلامة والعز والتمكين كما جرى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه سلفا وخلفا وبها يحصل الجهاد وتعلو كلمة الله ويعمل في الأرض بطاعة الله.

ومصالح الهجرة في الدنيا أكثر من أن تحصر كما قال تعالى: {والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر} [النحل: ٤١] فبطل هذا القياس من وجهين:

الأول: أنه في٢ مصادمة النصوص الثابتة والقياس في مصادمة النص فاسد الاعتبار عند العلماء قديما وحديثا فإن القياس إنما يصار إليه عند الضرورة إليه إذا عدم النص ولم يوجد للحكم دليل في الكتاب والسنة لا نصا ولا ظاهرا فحينئذ يجوز عند بعض العلماء لدعاء الضرورة إليه وله شروط ومفسدات وله أنواع أربعة لا يعرفها هذا المعترض وأنى له بمعرفة الصحيح منها والسقيم والجائز والممتنع مع قصر الباع وعدم المحصول والاطلاع.

الوجه الثاني: عدم الجامع ووجود الفارق فإن **الحكمة في** إباحة تناول

---

١ "ط": يرجوه.

٢ "ط": في. ساقطة.." (١)

---

(١) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد؟ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٢٧

"وأمره بأن يدعو الناس إلى عبادة الله وحده وينذرهم من الإشراك به.

قال تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} (١) .

وقال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} (٢) .

قال الحافظ ابن كثير (٣) :

(وكلهم –أي الرسل– يدعون إلى عبادة الله وينهون عن عبادة ما سواه..

فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي طبقت دعوته الأنس والجن في المشارق والمغارب، وكلهم كما قال الله تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} ، وقوله تعالى: {واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون} ،وقال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} ا. هـ.

قال الإمام العلامة الإمام عبد الرحمن بن حسن (٤) :

(ودلت هذه الآية –أي قوله تعالى: {ولقد بعثنا ... } –على أن الحكمة في إرسال الرسل دعوتهم أممهم إلى عبادة الله وحده والنهي عن عبادة ما سواه.

وأن هذا هو دين الأنبياء والمرسلين، وإن اختلفت شريعتهم ...) ا. هـ.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٢/٥٦٨) .

(٤) انظر "فتح المجيد": ص ١٧.." [1]

"لعن الحيوان كذلك؛ وسبب ذلك: أن اللعن عبارة عن الطرد والإبعاد عن الله، وذلك غير جائز إلا من اتصف بصفة يبعده عن الله –تعالى– وهو الكفر والبدعة والفسوق، فيجوز لعن المتصف بواحدة من هذا باعتبار الوصف الأعم، نحو: لعنة الله على الكافرين والمبتدعة والفسقة، والوصف الأخص نحو: لعن

---

(١) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس؟ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٦

الله اليهود والخوارج والقدرية والروافض والزناة والظلمة وآكلي الربا، وأما المعين فإن كان حيا لم يجز مطلقا إلا إن علم أنه يموت على الكفر كإبليس، وإن لم يعلم موته على الكفر لم يجز لعنه، وإن كان كافرا في الحال؛ لأنه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله –تعالى– فكيف يحكم بكونه ملعونا مطرودا.

نعم يجوز أن يقال: لعنه الله إن مات كافرا، وكذا قال في فاسق ومبتدع معين، إن مات ولم يتب، ومن ثم لم يجز لعن يزيد بن معاوية. وتشبيه لعن المؤمن بقتله إنما هو في أصل التحريم، أو لكون كل منهما كبيرة، وليس بلازم في المشبه أن يعطى حكم المشبه به من كل وجه. والله أعلم.

(مسألة) : في قوله في حديث ابن عباس الذي رواه البخاري في حديث القبرين: "إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير" ١، ثم قال: "بلى إنه كبير"، وفيه: "ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة. فقيل: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ فقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا" ٢، ما الحكمة في ذلك؟ وهل لكل أحد أن يفعل ذلك في أي قبر؟ وهل المعذبان مسلمان أو كافران؟

(الجواب) : قوله: وما يعذبان في كبير) ثم قال: بلى أي: يعذبان في كبير، والجمع بينهما: أي ليس بكبير عندكم، ولكنه كبير عند الله كما في قوله تعالى: {وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم} ٣. والمراد بقوله: وما يعذبان في كبير) ، أي: في أمر كان يكبر ويشق عليهما الاحتراز منه؛ إذ لا مشقة في

---

١ البخاري: الوضوء (٢١٦) والجنائز (١٣٦١,١٣٧٨) والأدب (٦٠٥٢,٦٠٥٥) ، ومسلم: الطهارة (292) ، والترمذي: الطهارة (٧٠) ، والنسائي: الطهارة (٣١) والجنائز (٢٠٦٨) ، وأبو داود: الطهارة (٢٠) ، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٣٤٧) ، وأحمد (١/٢٢٥) ، والدارمي: الطهارة (٧٣٩) .

٢ البخاري: الوضوء (٢١٦) ، ومسلم: الطهارة (٢٩٢) ، والترمذي: الطهارة (٧٠) ، والنسائي: الطهارة (٣١) والجنائز (٢٠٦٨) ، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٣٤٧) ، وأحمد (١/٢٢٥) ، والدارمي: الطهارة (٧٣٩) .

٣ سورة النور آية: ١٥.." (١)

---

(١) الإيمان والرد على أهل البدع (مطبوع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام، الجزء الثاني)؟ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٩٠

"فيه مسائل:

الأولى: **الحكمة في** خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد، لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} ١.

الرابعة: **الحكمة في** إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت؛ ففيه معنى قوله: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله} ٢ الآية.

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام "١٥١-١٥٣" عند السلف، وفيها عشر مسائل، أولها النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله: {لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا} ٣ وختمها بقوله: {ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا} ٤. ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: {ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة} ٥.

بالعقل كما تزعم المعتزلة، لكن هو سبحانه أحق ذلك على نفسه تفضلا وإحسانا على الموحدين المخلصين الذين لم يلتفتوا في إرادتهم ومهماتهم ورغباتهم ورهباتهم إلى أحد سواه، ولم يتقربوا بما يقولونه ويعملونه من الطاعات إلا إليه وحده، والله أعلم.

---

١ سورة الكافرون آية: ٣ و ٥.

٢ سورة البقرة آية: ٢٥٦.

٣ سورة الإسراء آية: ٢٢.

٤ سورة الإسراء آية: ٣٩.

٥ سورة الإسراء آية: ٣٩.." (١)

"الثانية: معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: أول شيء غير به دين الأنبياء، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل، فالأول محبة الصالحين، والثاني فعل أناس من أهل العلم والدين شيئا أرادوا به خيرا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية في سورة نوح.

السابعة: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

الثامنة: أن فيه شاهدا لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل، **والحكمة في** إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه، فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح أنهم لا يريدون إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.." (٢)

"فيه مسائل:

الأولى: **الحكمة في** خلق النجوم.

---

(١) كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين؟ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٠

(٢) كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين؟ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٠٩

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل.." (١)

"من كتابه وأجمعت عليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، كما قال تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} ١ بل القرآن كله في بيان معناها، كما قال تعالى: {وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون} ٢ أي: إليها من البراءة من عبادة كل معبود سوى الله، وإخلاص العبادة له تعالى كقول أمام الحنفاء -عليه الصلاة والسلام- في هذه الآية {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها} ٣ وهي لا إله إلا الله، وقال تعالى: {والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله} ٤.

والطاغوت: الشيطان وما زينه للمشركين من عبادة معبوداتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى، كأصنام قوم نوح وأصنام قوم إبراهيم، واللات والعزى ومناة، وما لا يحصى كثرة في العرب والعجم وغيرهم، وهي موجودة في الخارج معينة معلومة الوجود كأصنام قوم نوح وغيرها مما لا يحصى كثرة.

فمن قال: لا إله إلا الله بصدق وإخلاص وتعيين، فقد برئ من كل معبود يعبد من دون الله ممن كان يعبده أهل الأرض. وهذه الكلمة دلت على البراءة من الشرك والكفر به تضمنا، ودلت عليه وعلى إخلاص العبادة لله تعالى مطابقة، قال تعالى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} ٥ بين تعالى أن الحكمة في خلق الجن والإنس أن يعبدوه وحده لا شريك له ومن المعلوم أنه خلق الجن قبل الإنس، فيلزم على هذا القول الفاسد الذي أبداه هذا الجاهل أن العبادة التي خلق تعالى لها الثقلين لا توصف بحق ولا باطل حين خلقهم لها. واللازم باطل فبطل الملزوم.

وهذا الموضع الذي بينا بطلانه بالمعقول والمنقول هو ثاني موضع زلت فيه قدم هذا الذي يدعي أنه على شيء وليس معه شيء يلتفت إليه بما يوجب إنكاره عليه، وقد قال تعالى: {أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون} ٦. وقال تعالى: {ثم جعلناك على شريعة من الأمر

---

(١) كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين؟ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٥٧

١ سورة الأنبياء آية: ٢٥.

٢ سورة الزخرف آية: ٢٦: ٢٨.

٣ سورة البقرة آية: ٢٥٦.

٤ سورة الزمر آية: ١٧.

٥ سورة الذاريات آية: ٥٦.

٦ سورة العنكبوت آية: ٥١.." (١)

"للشمس والقمر والكواكب ويدعوها، ويصوم وينسك لها ويتقرأ إليها١. ثم يقول: إن هذا ليس بشرك، إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي، فإذا جعلتها سببا وواسطة لم أكن مشركا، ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك"". انتهى كلامه.

وقول الله تعالى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} ٢

قوله: " وقول الله تعالى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} " بالجر عطف على التوحيد؛ ويجوز الرفع على الابتداء.

قال شيخ الإسلام: " العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل".

وقال أيضا: " العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة".

قال ابن القيم: " ومدارها على خمس عشرة قاعدة، من كملها كمل مراتب العبودية".

وبيان ذلك: أن العبادة منقسمة على القلب واللسان والجوارح. والأحكام التي للعبودية خمسة: واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح. وهن لكل واحد من القلب واللسان والجوارح.

وقال القرطبي: " أصل العبادة التذلل والخضوع، وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات؛ لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى"".

ومعنى الآية: أن الله تعالى أخبر أنه ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته، فهذا هو الحكمة في خلقهم.

قلت: وهي الحكمة الشرعية الدينية.

(١) بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبد المحمود (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول)؟ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣٢٧

قال العماد ابن كثير: " وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور. وذلك هو حقيقة دين الإسلام؛ لأن معنى الإسلام: الاستسلام لله تعالى، المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع". انتهى.

وقال أيضا في تفسير هذه الآية: ومعنى الآية أن الله خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له. فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير

---

١ أي يذبح لها الذبائح، ويصنع الأطعمة، كما يفعل الحاج لبيت الله من المناسك.

٢ سورة الذاريات آية: ٥٦.." (١)

"اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} ١ فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول: {لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء} ٢ فمشيئة الله تعالى الشرعية عنهم منفية؛ لأنه نهاهم عن ذلك على ألسن رسله، وأما مشيئته الكونية - وهي تمكينهم من ذلك قدرا - فلا حجة لهم فيها؛ لأنه تعالى خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة، وهو لا يرضى لعباده الكفر، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة، ثم إنه تعالى قد أخبر أنه أنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل، فلهذا قال: {فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة} انتهى.

قلت: وهذه الآية تفسير الآية التي قبلها. وذلك قوله: {فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة} فتدبر.

ودلت هذه الآية على أن **الحكمة في** إرسال الرسل، دعوتهم أممهم إلى عبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وأن هذا هو دين الأنبياء والمرسلين وإن اختلفت شريعتهم. كما قال تعالى: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا} ٣، وأنه لا بد في الإيمان من عمل القلب والجوارح.

قال: قوله تعالى: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا} ٤ قال مجاهد: "قضى" يعني وصى. وكذا قرأ أبي بن كعب وابن مسعود وغيرهم. ولابن جرير عن ابن عباس: "وقضى ربك، يعني أمر".

وقوله تعالى: {ألا تعبدوا إلا إياه} المعنى، أن تعبدوه وحده دون ما سواه، وهذا معنى "لا إله إلا الله".

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: والنفي المحض ليس توحيدا، وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمنا للنفي والإثبات. وهذا هو حقيقة التوحيد.

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد؟ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٤

وقوله: " {وبالوالدين إحسانا} " أي وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحسانا، كما قضى، بعبادته وحده لا شريك له. كما قال تعالى في الآية الأخرى {إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما اخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا} ٥.

{أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير} ٦.

---

١ سورة النحل آية: ٣٦.

٢ سورة النحل آية: ٣٥.

٣ سورة المائدة آية: ٤٨.

٤ سورة الإسراء آية: ٢٣.

٥ سورة الإسراء آية: ٢٣-٢٤.

٦ سورة لقمان آية: ١٤.." (١)

"الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم".

ومن التنطع: الامتناع من المباح مطلقا، كالذي يمتنع من أكل اللحم والخبز،

السابعة: جبلة الآدمي ١ في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد.

الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تئول إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما تئول إليه.

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل **والحكمة في** إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب، وأعجب قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، فاعتقدوا أن ما نهى الله

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد؟ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٧

ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.
الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.
ومن لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلا الصوف، ويمتنع من نكاح النساء، ويظن أن هذا من الزهد المستحب. قال الشيخ تقي الدين: " فهذا جاهل ضال". انتهى.
وقال ابن القيم -رحمه الله-: قال الغزالي: " والمتنطعون في البحث والاستقصاء".
وقال أبو السعادات: " هم المتعمقون الغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم. مأخوذ من النطع، وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل متعمق قولا وفعلا".

---

١ الجبلة بكسرتين فلام مشددة وكخشبة أيضا الخلقة والطبيعة؛ والمعنى أن الإنسان مجبول على نقصان الحق في قلبه وزيادة الباطل إلا من رحم الله، وأنزل في قلوبهم السكينة؛ فإن إيمانهم لا يزال يزيد ولا ينقص.." (١)

"قوله: "وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق؛ وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ".
كذا أورده المصنف غير معزو. وقد رواه البخاري ومسلم.
قوله: "اجتنبوا" أي أبعدوا، وهو أبلغ من قوله: دعوا واتركوا؛ لأن النهي عن القربان أبلغ، كقوله: {ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن} ١.
قوله: "الموبقات" بموحدة وقاف. أي المهلكات. وسميت هذه موبقات؛ لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب.
وفي حديث ابن عمر عند البخاري في الأدب المفرد والطبري في التفسير، وعبد الرزاق مرفوعا وموقوفا قال: الكبائر تسع- وذكر السبعة المذكورة- وزاد: والإلحاد في الحرم، وعقوق الوالدين" ٢. ولابن أبي حاتم عن علي قال: " الكبائر- فذكر السبع- إلا مال اليتيم، وزاد: العقوق، والتعرب بعد الهجرة، وفراق الجماعة، ونكث الصفقة ".

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد؟ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٢٢٨

قال الحافظ: ويحتاج عندي هذا الجواب عن الحكمة في الاقتصار على سبع.

ويجاب: بأن مفهوم العدد ليس بحجة وهو ضعيف، أو بأنه أعلم أولا بالمذكورات، ثم أعلم بما زاد. فيجب الأخذ بالزائد، أو أن الاقتصار وقع بحسب المقام بالنسبة إلى السائل.

وقد أخرج الطبراني وإسماعيل القاضي عن ابن عباس أنه قيل له: " الكبائر سبع ". قال: "هن أكثر من سبع وسبع". وفي رواية: "هي إلى سبعين أقرب". وفي رواية: "إلى السبعمائة"٣.

قوله: "قال الشرك بالله" هو أن يجعل لله ندا يدعوه ويرجوه، ويخافه كما يخاف الله، بدأ به؛ لأنه أعظم ذنب عصى الله به، كما في الصحيحين عن ابن مسعود: " سألت النبي صلي الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك " ٤. الحديث.

---

١ سورة الأنعام آية: ١٥١.

٢ حسن. البخاري في الأدب المفرد (٨) . وابن جرير في تفسيره (٢٦/٥) . عن ابن عمر موقوفا بسند صحيح. وأخرجه البيهقي. عن ابن عمر مرفوعا (٤٠٩) . وحسنه الألباني في الإرواء (١٥٦/٣) لشواهده.

٣ قد ألف الحافظ عبد الرحمن بن رجب -رحمه الله- كتابا في عد الكبائر. طبع. ولشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: كتاب مسائل الجاهلية، هو كذلك في عد الكبائر.

٤ البخاري: تفسير القرآن (٤٤٧٧) ، ومسلم: الإيمان (٨٦) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣١٨٢، ٣١٨٣) ، والنسائي: تحريم الدم (٤٠١٣، ٤٠١٤، ٤٠١٥) ، وأبو داود: الطلاق (٢٣١٠) ، وأحمد (٣٨٠/١، ٤٣١/١، ٤٣٤/١، ٤٦٢/١، ٤٦٤/١) .." (١)

"وأما إسحاق فهو ابن إبراهيم بن مخلد أبو أيوب الحنظلي النيسابوري، الإمام المعروف بابن راهويه. روى عن ابن المبارك وأبي أسامة وابن عيينة وطبقتهم. قال أحمد: إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين. روى عنه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم، وروى هو أيضا عن أحمد. مات سنة تسع وثلاثين ومائتين.

قال: "وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر ". رواه أحمد وابن حبان في صحيحه".

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد؟ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٢٨٣

هذا الحديث رواه أيضا الطبراني والحاكم وقال: صحيح. وأقره الذهبي. وتمامه: " ومن مات وهو يدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة: نهر يجري من فروج المومسات؛ يؤذي أهل النار ريح فروجهن ".

قوله: "وعن أبي موسى" هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار - بفتح المهملة وتشديد الضاد- أبي موسى الأشعري. صحابي جليل. مات سنة خمسين.

قوله: " ثلاثة لا يدخلون الجنة ". هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف

الخمر، ومصدق بالسحر، وقاطع الرحم " ١. رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

فيه مسائل:

الأولى: **الحكمة في** خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل.

تأويلها. وقالوا: أمروها كما جاءت، ومن تأولها فهو على خطر من القول على الله بلا علم. وأحسن ما يقال: إن كل عمل دون الشرك والكفر المخرج عن ملة الإسلام، فإنه يرجع إلى مشيئة الله، فإن عذبه فقد استوجب العذاب، وإن غفر له فبفضله وعفوه ورحمته.

قوله: "مدمن الخمر" أي المداوم على شربها.

قوله: "وقاطع الرحم" يعني القرابة كما قال تعالى: {فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم} ٢ الآية.

قوله: "ومصدق بالسحر" أي مطلقا. ومنه التنجيم؛ لما تقدم من الحديث. وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة.

---

١ ضعيف: أبو داود: الجهاد (٢٧٠٥) ، وأحمد (٣٩٩/٤) ، وابن حبان (١٣٨٠,١٣٨١-موارد) ، والحاكم (١٤٦/٤) ، وإسناده ضعيف، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٥٩٧) .

٢ سورة محمد آية: ٢٢.." (١)

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد؟ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣٢٠

"يبلغ كلام ربه ويقول: لا تطيعون هذا الصابئ، ومعنى الصابئ قريب من معنى المعتزلي.

(قال الشيخ عبد اللطيف رحمه الله) :

قال المعترض: فصل ونحمدك يا واجب الوجود، (وقال الراد رحمه الله) : هذا القول الذي صدر به رسالته وهذه العبارة لا تعرف في كلام الله الذي لا يضل من اتبعه ولا يشقى ولا في كلام رسوله الكريم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ولا في كلام أحد من أئمة الإسلام والهدى وإنما أخذها بعض المصنفين عن أهل الكلام. والمناطقة الذين أعرضوا في باب معرفة الله وإثبات وجوده وربوبيته عن الكتاب والسنة وما درج عليه أهل العلم والإيمان من سلف الأمة واعتمدوا في هذا الباب على مجرد الأقيسة الكلامية والمقدمات المنطقية، وأول من عرفت عنه هذه العبارة هو ابن سينا الطبيب المتكلم وخالف سلفه (١) في التعبير بهذا فإنه قسم الوجود إلى واجب

=لهم: هذا ممتنع في ضرورة العقل، كما إذا قيل: ليس بقديم ولا محدث ولا واجب ولا ممكن ولا قائم بنفسه ولا قائم بغيره قالوا: هذا إنما يكون إذا كان قابلا لذلك والقبول إنما

يكون من المتحيز انتفى قبول هذين المتناقضين فيقال لهم: علم الغيب بامتناع الخلو من هذين النقيضين هو علم مطلق لا يستثنى منه موجود والتحيز المذكور إذا أريد به كون الأحياز الموجودة تحيط به فهذا هو الداخل في العالم وإن أريد به أنه منحاز عن المخلوقات إلى مباين لها متميز عنها فهذا هو الخروج ومن هنا تعين بطلان مذهبهم. اهـ الرسالة التدمرية ص ٤٣-٤٤.

(١) والمراد بسلفه الذي أشار إليه الشيخ رحمه الله هو أرسطو حيث أنه أول حامل هذه الراية الإلحادية كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم وقرر ذلك الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في كتابه (الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين) الذي أوضح فيه جرائم الفلاسفة التي أدت بهم إلى الكفر بالله ورسله وملائكته وانسلاخهم عن الدين السماوي حيث قرر أنهم شر من اليهود والنصارى ومشركي العرب: قال في بيان ذلك: أما بعد فإن الله تعالى بعث رسله مبشرين ومنذرين وجعلهم الهداة والأئمة إلى كل علم صحيح نافع ودين صحيح وإلى كل صلاح وخير، وخص محمد صلى الله عليه وسلم بأن جعله

خاتمهم وإمامهم وأنزل عليه الكتاب **والحكمة فيهما** الهدى والنور، وفيهما العلوم النافعة والحقائق الصادقة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة والآداب العالية إليهما ينتهي كل علم وحق وكمال.=." (١)

"ومثل هذا يجاب عليه (١) بما ذكره شيخنا رحمه الله: من أن هذا بعينه هو قصد المشركين ومرادهم، وهو الذي دعاهم إلى عبادة الأنبياء والصالحين والتعلق عليهم لأجل الجاه والشفاعة.

قال تعالى: {ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون} [يونس: ١٨] [يونس: ١٨] .

وأخبر تعالى عن قصدهم ومقالتهم، وأنكرها عليهم، وأخبر أنه لا يعلم وجود شفيع يشفع (٢) عنده لا في السماوات ولا في الأرض، وما لا يعلمه فهو (٣) مستحيل الوجود، فنزه نفسه عن هذا الشرك المنافي للعبودية التي هي **الحكمة في** إيجاد البرية.

وقال تعالى: {والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} [الزمر: ٣] [الزمر: ١٨]

وقال تعالى: {فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون} [الأحقاف: ٢٨] [الأحقاف: ٢٨] .

إذا ظهر هذا وعرفت أن كلام الشيخ متجه، لا غبار عليه.

فاعلم أن قول هذا الملحد: (فجعل بكلامه هذا -كما ترى- التوسل بذات الصالحين، والرسل عليهم الصلاة والسلام، وطلبه جل وعلا

---

(١) ساقطة من (ح) و (م) .

(٢) ساقطة من (ق) .

(٣) ساقطة من (ق) و (م) .." (٢)

"ولهول الساعة وكربها؟ كما في أبيات البوصيري، وإذا اقترن بذلك نفي التعلق والرجاء والتوكل في ذلك عن غير الرسول صلى الله عليه وسلم، وأضاف المتكلم إلى هذا إثبات عموم العلم وإحاطته بالكليات والجزئيات، وأن الدنيا والآخرة حصلتا وكانتا عن جوده وإحسانه، و (١) معلوم أن هذا يدخل فيه كل تدبير

---

(١) البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية؟ عبد اللطيف آل الشيخ ص/٤٦

(٢) مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام؟ عبد اللطيف آل الشيخ ٢/٢٨٣

وتأثير وتقدير وتيسير، فأي فرد يبقى لله؟ وأي شيء اختص به؟ فافهم ما في هذه الأبيات من منافاة مقتضى الرسالة، وصريح الآيات.

وإذا عرفت ذلك: عرفت أن المعترض قصرت رتبته عن درجة العلم بأصل الإيمان، وعن معرفة **الحكمة في** خلق الجن والإنس والسماوات والأرض وما فيهما؛ فلذلك اعترض، ورأى أن كلام الشيخ على هذه الأبيات شنع بشع، فإنه ارتاع من (٢) عد ذلك من قسم (٣) الشرك الأكبر.

وأبلغ من هذا: أنه يفهم من التوحيد وإخلاص الدعاء لله، والنهي عن دعاء نبينا صلى الله عليه وسلم تنقيصا (٤) له وحطا من رتبته وإبطالا لشفاعته بالكلية: {ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود} [هود: ٩٥] [هود ٩٥] . وهذا بعينه قول من غلا في المسيح وأمه، أو غلا في أحد من الأنبياء والملائكة، وقد قال عمرو بن العاص وأصحابه للنجاشي لما قدموا عليه يريدون جعفر بن أبي طالب وأصحابه: "إنهم يقولون في المسيح قولا ٣١٨ عظيما- يعني أنه (٥) عبد، رسول، ليس بإله " (٦) وكذلك قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم لما دعاهم إلى توحيد (٧) الله: "قد (٨) عبت ديننا وسببت آلهتنا". وكذا قال قوم نوح كما يدل عليه قوله جل ذكره: {وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا} [نوح: ٢٣] الآية (٩) [نوح ٢٣] .

وقال تعالى: {ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون} [الزخرف: ٥٧] * {وقالوا أآلهتنا خير أم هو} [الزخرف: ٥٨] (١٠) إلى قوله ({إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل} [الزخرف: ٥٩] [الزخرف ٥٧- ٥٩] .

فالأمر بـتوحيد الله وإخلاص الدعاء له والنهي عن دعاء الأنبياء والصالحين ليس بتنقص (١١) بل هو الكمال والعز والسيادة، وهل نال الأنبياء وغيرهم من الملائكة المقربين، ما نالوه من المقامات التي يتقاصر عنها المتطاولون إلا بتجريد التوحيد، وتحقيقه ومعرفة الله والعلم به، والدعوة إلى سبيله، والبراءة مما نسبه إليه أعداؤه المشركون؟ وأما صرف حق الله وما يجب له من الدعاء والعبادة إلى غيره: فهذا

---

(١) في المطبوعة زيادة: " بل بعض وجوده كما تدل عليه (من) الموضوعة في اللغة العربية للتبعيض ".

(٢) في (المطبوعة) : " تعاظم ".

(٣) ساقطة من (المطبوعة) .

(٤) في المطبوعة " تنقصا ".

(٥) سقطت من (المطبوعة) ، وفي (ق) : " إنهم ".

(٦) أخرجه أحمد (١ / ٢٠٣، ٥ / ٢٩٢) وتقدم تخريجه، انظر: ص (٩٦) ، هامش ٣.

(٧) في (ق) : " التوحيد ".

(٨) في (ح) و (المطبوعة) : " قالوا " مكان: " قد ".

(٩) في (ق) و (المطبوعة) زيادة: (ولا يغوث ويعوق ونسرا) .

(١٠) في (المطبوعة) زيادة " ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ".

(١١) في (المطبوعة) زيادة: " لهم ".." [١]

"البلاغة الخارجة عن العادة، ومن كان أعرف بلغة العرب وفنون بلاغتها كان أعرف بإعجاز القرآن.

الأمر الثاني: تأليف القرآن العجيب، وأسلوبه الغريب في المطالع والمقاطع والفواصل، مع اشتماله على دقائق البيان وحقائق العرفان، وحسن العبارة ولطف الإشارة، وسلاسة التركيب وسلامة الترتيب، فتحيرت فيه عقول العرب العرباء (أي الخلص الصرحاء) ، **والحكمة في** هذه المخالفة أن لا يبقى لمتعسف عنيد مظنة السرقة، وأن يمتاز هذا الكلام عن كلامهم ويظهر تفوقه؛ لأن البليغ - ناظما كان أو ناثرا - يجتهد في هذه المواضع اجتهادا كاملا، ويمدح ويعاب عليه غالبا في هذه المواضع، وقد عيب على جميع فحول الشعراء مواضع لم يحسنوا فيها العبارة أو كانت مسروقة عن غيرهم.

وأشراف العرب مع كمال حذاقتهم في أسرار الكلام وشدة عداوتهم للإسلام، لم يجدوا في بلاغة القرآن وحسن نظمه مجالا، ولم يوردوا في القدح مقالا، بل اعترفوا أنه ليس من جنس خطب الخطباء ولا شعر الشعراء، فنسبوه تارة إلى السحر تعجبا من فصاحته وحسن نظمه، وقالوا تارة إنه إفك افتراه وأساطير الأولين، وقالوا ما حكاه الله تعالى عنهم في سورة فصلت آية ٢٦: {لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون} [فصلت: ٢٦]

وهذه كلها دأب المحجوج المبهوت، فثبت أن القرآن الكريم معجز ببلاغته وفصاحته وحسن نظمه.

ولقد كان فصحاء العرب وبلغاؤهم كثيرين ومشهورين بغاية العصبية والحمية الجاهلية، وبتهالكهم على المباراة والمباهاة والدفاع عن الأحساب،." [٢]

---

(١) مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام؟ عبد اللطيف آل الشيخ ٣١٧/٢

(٢) مختصر إظهار الحق؟ رحمت الله الهندي ص/١٥٤

"كتاب التوحيد:

وقول الله تعالى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} . [الذاريات: ٥٦] . وقوله: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} . [النحل: ٣٦] . وقوله: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا} . [الإسراء: ٢٣] . وقوله: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا} . [النساء: ٣٥] . وقوله: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا} . [الأنعام: ١٥١-١٥٤] .

قال ابن مسعود –رضي الله عنه-: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم} –إلى قوله-: {وأن هذا صراطي مستقيما} . [الأنعام: ١٥٤] .

وعن معاذ بن جبل –رضي الله عنه- قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم، على حمار فقال لي: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله"؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا" فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا" أخرجاه في الصحيحين.

فيه مسائل:

الأولى: **الحكمة في** خلق الجن والإنس.." (١)

"الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} . [الكافرون: ٣،٥] .

الرابعة: **الحكمة في** إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر والطاغوت؛ ففيه معنى قوله: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله} . [البقرة: ٢٥٦] .

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف. وفيها عشر مسائل، أولها

---

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد؟ حامد بن محسن ص/٢٥

النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله: {لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا} . [الإسراء: ٢٢] . وختمها بقوله: {ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا} . [الإسراء: ٣٩] . ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: {ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة} . [(الإسراء: ٣٩] .

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية." (١)

"بصيغة الإفراد وهو كذلك، قال تعالى: {الله خالق كل شيء} . [الزمر: ٦٢] .وقال تعالى: {ألا له الخلق والأمر} . [لأعراف: ٥٤] . ففيه رد شاف على المجوس، حيث ذهبت إلى تقديس الباري عن تخليق الشر على زعمهم، كالجبابرة، والظلمة، والأشياء المفسدة، والسباع، والحيات، وأشباهها، مما هو مضرة على الإطلاق، وصاروا كالمستعيذ من الرمضاء إلى النار، أرادوا تقديس الباري عن تخليق الشر، ووقعوا في شرك الربوبية، فجعلوا منها للباري تعالى، وجعلوا منها لإبليس عدو لله فأمضى ذلك إلى الشرك والتعجيز، والقول بأن من شاء منهم فتنفذ مشيئته، والباري لم تنفذ مشيئته. ومعلوم عند كل عاقل بالضرورة أن أخص صفات الربوبية القدرة، وتبعهم على ذلك جماعة ممن ينتسب إلى الإسلام، وهم المعتزلة، فقالوا: تقدس الله عن تخليق المعاصي، وتكوين الزنا، واللواط، وإثبات الكفر والشرك، وإرادة قتل الأنبياء. فلزمهم ما لزم المجوس من الشرك، وأهل الحق يقولون: هو الله وحده في الربوبية، وعبادته، وأفعاله، لا شريك له في تخليقه، ولا نظير له في تكوينه، ولا راد لإرادته، ولا مضاد لمشيئته، ولا يعجز عن شيء، ولا ينفذ عليه أمر حي.

وأما تخليق هذه الأشياء، فالنظر فيه من وجوه:

أحدها: إن قصرت عقولنا عن إدراك الحكمة فيها لا تعجز عن إدراك أن الإله لا يوصف بالعجز، فعلينا أن نعمل بالقضية المدلول علما، ولا نتركها لمأخذ لا نقف عليه.

الثاني: أن فيها ضررا وفسادا إضافيا لا ذاتيا، فالحية لا ضرر في ذاتها بل في ريقها، كما يضرها ١ ريقنا وريق الصائم يميت الله

---

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد؟ حامد بن محسن ص/٢٦

١ أي بالاستعاذة والرقية.." (١)

"فإن عدمه؟ قال: فخمول سيرة، قال: فإن عدمه؟ قال: فصاعقة تحرقه وتريح العباد منه والبلاد.

قال علي –رضي الله عنه–:

إن الكمال بالأخلاق مطهرة ... فالعقل أولها والدين ثانيها

والعلم ثالثها واحلم رابعها ... والجود خامسها والعرف ساديها

والعين تعلم من عين محدثها ... إن كان من حزبها أو من أعاديها

والنفس تعلم أني لا أصدقها ... ولست أرشد إلا حين أعصيها

قال لقمان لابنه: لا تتم الحكمة في أحد حتى يكون في ثلاثة مقدما ومؤخرا ومبرءا عن ثلاثة ومؤهلا لثلاثة، أما اللواتي مقدما فيها فالعقل والعلم والنطق، وأما اللواتي مؤخر عنها فالحدة والعجلة والحجاجة، وأما اللواتي يكون مبرءا منها فالهوى والحسد والكذب، وأما اللواتي يكون مؤهلا لها فالرفق والصبر والصمت، وقال: يا بني الحكمة والمروة مردهما إلى خشية الله تعالى وخشية الله هي الحكمة ولن تجد حكيما يأتي بسوء أو ينطق بفحش وإنما يقول خيرا أو يصمت، وقال آخر:

يكفيك من عقل الفتى صمته ... وتركه ما ليس يعنيه

وقال لقمان: يا بني من حاسب نفسه فليس أحد يحاسبه، ومن عاقبها فليس أحد يعاقبه ومن لامها فليس أحد يلومه، وقال: من أصلح فاسده أرغم حاسده، ومن سعادة جدك وقوتك على حدك، حد العفاف الرضا بالكفاف، أجهل الناس من كان على السلطان مدلا، وللإخوان مذلا١.

ولو أردنا أن نذكر ما في الأدب لما وسعه المقام، واعلم أن

---

١ هذا من كرم أبي الفتح البستي ما في: "طبقات الشافعية" للسبكي.." (٢)

"حسن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه.

---

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد؟ حامد بن محسن ص/٤٧

(٢) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد؟ حامد بن محسن ص/١٣٧

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة: النهي عن التماثيل، **والحكمة في** إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه، فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم" فصلوات الله." (١)

"متن الباب ٢٨

باب: ما جاء في التنجيم

قال البخاري في "صحيحه": قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك اخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. أ. هـ.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر" رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

فيه مسائل:

الأولى: **الحكمة في** خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

---

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد؟ حامد بن محسن ص/٢٨١

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل.." (١)

"أما وجوب تلك الصفات المتقدمة للأنبياء فلأنهم لو انحطت فطرهم عن فطر أهل زمانهم أو تضاءلت أرواحهم لسلطان نفوس أخر أو مس عقولهم شيء من الضعف لما كانوا أهلا لهذا الاختصاص الإلهى الذى يفوق كل اختصاص اختصاصهم بوحيه والكشف لهم عن أسرار علمه ولو لم تسلم أبدانهم عن المنفرات لكان انزعاج النفس لمرآهم حجة للمنكر فى إنكار دعواهم ولو كذبوا أو خانوا أو قبحت سيرتهم لضعفت الثقة بهم ولكانوا مضلين لا مرشدين فتذهب **الحكمة من** بعثتهم والأمر كذلك لو أدركهم السهو أو النسيان فيما عهد إليهم تبليغه من العقائد والأحكام أما وقوع الخطأ منهم فيما ليس من الحديث عن الله ولاله مدخل فى التشريع فجوزه بعضهم والجمهور على خلافه وما ورد من مثل أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن تأبير النخل ثم أباحه لظهور أثره فى الإثمار فإنما فعله عليه الصلاة والسلام ليعلم الناس أن ما يتخذونه من وسائل الكسب وطرق الصناعات فهو موكول لمعارفهم وتجاربهم ولا حظر عليهم فيه ما دامت الشرائع مرعية والفضائل محمية وما حكاه الله من قصة آدم وعصيانه بالأكل من الشجرة فمهما خفى فيه سر النهى عن الأكل والمؤاخذة عليه وغاية ما علمناه من حكمته أنه كان سببا لعمارة الأرض ببنى آدم كأن النهى والأكل رمزان إلى طورين من أطوار آدم عليه السلام أو مظهران من مظاهر النوع الإنسانى فى الوجود والله أعلم ومن العسر إقامة الدليل العقلى أو إصابة دليل شرعى يقطع بما ذهب إليه الجمهور

حاجة البشر إلى الرسالة

سبق لك فى الفصل السابق ما يهم الكلام عليه من الوجه الأول وهو وجه ما يجب على المؤمن اعتقاده فى الرسل والكلام فى هذا الفصل موجه إن شاء الله إلى بيان الحاجة إليهم وهو معترك الأفهام ومزلة الإقدام ومزدحم الكثير من الأفكار والأوهام لسنا بصدد الاتيان بما قال الأولون ولا عرض ما ذهب إليه الآخرون ولكنا نلزم ما التزمنا فى هذه الوريقات من بيان المعتقد والذهاب." (٢)

---

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد؟ حامد بن محسن ص/٣٤٠

(٢) التوحيد لمحمد عبده؟ محمد عبده ص/٤٦

"وأخرجه في الأوسط من حديث معاوية، وفي حديث أبي ذر عند أحمد وأبي داود يقول به بدل قوله وقلبه، وصححه الحاكم، وكذا أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عمر نفسه اهـ.

وأيضا قال في الفتح: وقوله "وإن يك في أمتي"، قيل لم يورد هذا القول مورد الترديد، فإن أمته أفضل الأمم، وإذا ثبت أن ذلك وجد في غيرهم فإمكان وجوده فيهم أولى، وإنما أورد مورد التأكيد كما يقول الرجل إن يكن لي صديق فإنه فلان يريد اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي الأصدقاء، ونحوه قول الأجير: إن كنت عملت لك توفني حقي، وكلاهما عالم، لكن مراد القائل إن تأخيرك حقي عمل من عنده شك في كوني عملت. وقيل الحكمة فيه أن وجودهم في بني إسرائيل قد تحقق وقوعه، وسبب ذلك احتياجهم حيث لا يكون حينئذ فيهم نبي، واحتمل عنده صلى الله عليه وسلم أن لا تحتاج هذه الأمة إلى ذلك لاستغنائها بالقرآن عن حدوث نبي، وقد وقع الأمر كذلك حتى أن المحدث منهم إذا تحقق وجوده لا يحكم بما وقع له، بل لا بد له من عرضه على القرآن، فإن وافقه أو وافق السنة عمل به وإلا تركه، وهذا وإن جاز أن يقع لكنه نادر ممن يكون أمره مبنيا على اتباع الكتاب والسنة، وتمحضت الحكمة في وجودهم وكثرتهم بعد العصر الأول في زيادة شرف هذه الأمة لوجود أمثالهم فيها، وقد تكون الحكمة في تكثيرهم مضاهاة بني إسرائيل في كثرة الأنبياء فيهم، فلما فات هذه الأمة كثرة الأنبياء فيها -لكون نبيها خاتم الأنبياء- عوضوا بكثرة الملهمين اهـ.

وأيضا قال فيه: والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من الموافقات التي نزل القرآن مطابقا لها، ووقع له بعد النبي صلى الله عليه وسلم عدة إصابات. انتهى.

إذا عرفت هذا فقد علمت أن معنى ما ورد في الصحيح عند الأكثر أنه ملهم، وعند البعض أنه ممن يجري الصواب على لسانه من غير قصد، وعند البعض أنه مكلم تكلمه الملائكة بغير نبوة. وقد رده الحافظ إلى المعنى الأول، وعند البعض أنه." (١)

"ظهر، فأخبرته الخبر، وكلا الإسنادين ضعيف، اهـ. ما في المجمع.

قلت: قد ثبت منه أن كلا الإسنادين ضعيف، وفي المتن اضطراب، فتنبه.

و (الثاني) أن قوله: "وإنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله" ليس نصا على أن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه وسيلة، بل يحتمل أن يكون المراد أن قربته صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى أكثر من قربة سائر

---

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان؟ محمد بشير السهسواني ص/١٣٩

المرسلين إليه، كما أن المراد في قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة} . هي القربة بلا خلاف، وكذلك المراد بها في قوله تعالى: {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب} . أو يكون المراد بها الدرجة والمنزلة، فإذا حاصله أن درجته صلى الله عليه وسلم ومنزلته أقرب إلى الله تعالى من درجة سائر المرسلين، ولو سلم أن المراد أن نفسه صلى الله عليه وسلم وسيلة لنا فلا دليل فيه للتوسل المنهي عنه، فإن كونه صلى الله عليه وسلم وسيلة بمعنى أنه صلى الله عليه وسلم واسطة تبلغنا أمر الله حق لا ينكره أحد، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به ونهى عنه، ولا يعرفون ما يستحقه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى إلا بالرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده، وكذلك كونه صلى الله عليه وسلم وسيلة في حياته بأن الصحابة رضي الله عنهم متى صدر من أحدهم معصية وذنب جاء إليه صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله فعلت كذا وكذا، فاستغفر لي، وإليه الإشارة في قوله تعالى: {ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما} . وكذلك إذا وقع القحط في زمانه صلى الله عليه وسلم يأتي أحدهم فيقول: يا رسول الله هلكت المواشي وتقطعت السبل، فادع ... وهكذا يطلبون الدعاء مه صلى الله عليه وسلم في سائر حاجاتهم كشفاء المريض ورد البصر. وكذلك كونه صلى الله عليه وسلم وسيلة يوم القيامة حيث يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولن: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فنوحا فإبراهيم فموسى فعيسى فيقول: ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم كما في حديث الشفاعة الطويل "فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه١ ". الحديث، ولكن

---

١ قوله: "في داره فيؤذن لي عليه" ذكر الحافظ في شرح حديث أنس من كتاب الرقاق في البخاري: أن هذه العبارة من زيادة همام في روايته للحديث. أقول وفسروا داره هنا بحضرة قدسه، وبعضهم بالجنة من قوله تعالى: {والله يدعو إلى دار السلام} . بناء على القول بأن السلام هنا اسم الله عز وجل، وذكر الحافظ ما قيل في الحكمة في انتقال النبي صلى الله عليه وسلم من مكانه إلى دار السلام، وهي أن أرض الموقف مكان مخافة وإشفاق ومقام الشافع يناسب أن يكون في مكان إكرام. وكتبه محمد رشيد رضا.." (١)

---

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان؟ محمد بشير السهسواني ص/٢٨٠

"أقول: العمدة في الباب ما جاء عن العتبي وهو مما لا تقوم به الحجة كما تقدم، واستحباب أهل المذاهب الأربعة سلفهم وخلفهم ذلك بعد التسليم ليس من الحجة في شيء١.

قوله: وقد جاءت صورة النداء أيضا في التشهد الذي يقرؤه الإنسان في كل صلاة حيث يقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

أقول: كون النداء حقيقيا هناك ممنوع، وليس فيه طلب شيء فلم يكن مما نحن فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم) : وقوله يا محمد يا نبي الله، هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، والإنسان يفعل مثل هذا كثيرا، يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب. اهـ.

قال الحافظ في الفتح: فإن قيل ما **الحكمة في** العدول عن الغيبة إلى الخطاب في قول "عليك أيها النبي" مع أن لفظ الغيبة هو الذي يقتضيه السياق كأن يقول: "السلام على النبي" فينتقل من تحية الله إلى تحية النبي ثم إلى تحية النفس ثم إلى الصالحين؟ أجاب الطيبي بما محصله نحن نتبع لفظ الرسول بعينه الذي كان علمه الصحابة، ويحتمل أن يقال على طريق أهل العرفان: إن المصلين لما استفتحوا باب الملكوت بالتحيات أذن لهم بالدخول في حريم الحي الذي لا يموت، فقرت أعينهم بالمناجاة، فنبهوا على أن ذلك بواسطة نبي الرحمة، وبركة متابعته، فالتفتوا فإذا الحبيب في حرم الحبيب حاضر، فأقبلوا عليه قائلين: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته". اهـ.

---

١ يعني أن صح النقل عنهم فليس بحجة لأنهم مقلدون ومذاهبهم متفقة على أن الحجة إجماع المجتهدين وأن المقلدين لا حجة ولا عبرة بأقوالهم ولا بأفعالهم، على أن مثل هذا القول لا يصح ثبوته إلا بنص من الكتاب أو السنة لأنه ليس من المسائل الاجتهادية، وكتبه محمد رشيد رضا.." (١)

".. ما ثم غير مشيئة قد رجحت

مثلا على مثل بلا رجحان ... هذا وما تلك المشيئة وصفه

بل ذاته أو فعله قولان ... وكلامه مذكان غيرا كان مخ

---

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان؟ محمد بشير السهسواني ص/٣٧١

لوقا له من جملة الاكوان ... قالوا وإقرار العباد بأنه

خلاقهم هو منتهى الايمان ... والناس في الايمان شيء واحد

كالمشط عند تماثل الاسنان ... فاسأل أبا جهل وشيعته ومن

ولاهم من عابدي الاوثان ... وسل اليهود وكل أقلف مشرك

عبد المسيح مقبل الصلبان ... واسأل ثمود وعاد بل سل قبلهم

أعداء نوح أمة الطوفان ... واسأل أبا الجن اللعين اتعرف ال

خلاق أم أصبحت ذا نكران ... واسأل شرار الخلق أعني أمة

لوطية هم ناكحو الذكران ... واسأل كذاك إمام كل معطل

فرعون مع قارون مع هارون ... هل كان فيهم منكر للخالق الرب

العظيم مكون الا كوان ... فليبشروا ما فيهم من كافر

هم عند جهم كاملو الايمان ...

أي ان الجهمية نفت **الحكمة في** خلقه تعالى فعندهم أنه لا حكمة في الامر والنهي بل ما ثم الا الترجيح بمجرد المشيئة بل خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الارادة وهذا قول جمهور من." (١)

"لام التعليل داخلة في أفعال الله واحكامه والقاضي ابو يعلى وابو الحسن ابن الزعفراني ونحوهما من اصحاب احمد وإن كانوا قد يقولون بالأول فهم يقولون بالثاني أيضا في غير موضع وكذلك امثالهم من الفقهاء أصحاب مالك والشافعي وغيرهما واما ابن عقيل في بعض المواضع والقاضي ابو حازم ابن القاضي ابي يعلي وابو الخطاب فيصرحون بالتعليل **والحكمة في** أفعال الله موافقة لمن قال ذلك من اهل النظر والحنفية هم من أهل السنة القائلين بالقدر وجمهورهم يقولون بالتعليل والمصالح والكرامية وامثالهم هم أيضا من القائلين بالقدر والمثبتين لخلافة الخلفاء المفضلين لأبي بكر وعمر وعثمان وهم ايضا يقولون بالتعليل والحكمة وكثير من أصحاب مالك والشافعي وأحمد يقولون بالتعليل والحكمة بل وبالتحسين والتقبيح العقليين كأبي بكر القفال وأبي علي ابن أبي هريرة وغيرهم من أصحاب الشافعي وأبي الحسن التميمي وأبي

---

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم؟ أحمد بن عيسى ٦٥/١

الخطاب من اصحاب أحمد انتهى كلامه قوله وكلامه مذ كان الخ أي إن كلام الله غيره عندهم وما كان غير الله فهو مخلوق بائن عنه خلقه الله في بعض الاجسام نحو ذلك الجسم ابتداء ولا يقوم عندهم بالله كلام بل ولا ارادة قول وقد حقق الناظم رحمه الله تعالى ذلك بما يزيل اللبس والايهام فقال في كتابه (بدائع الفوائد اللفظ (المؤلف من الزاء والياء والدال مثلا له حقيقة متميزة متحصلى فاستحق ان يوضع له لفظ يدل عليه لانه شيء موجود في اللسان مسموع الآذان فاللفظ المؤلف من همزة الوصل والسين والميم عبارة عن اللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال مثلا واللفظ المؤلف من الزاء والياء والدال عبارة عن الشخص الموجود في الاعيان والاذهان وهو المسمى والمعنى واللفظ الدال عليه هو الاسم وهذا اللفظ ايضا قد صار مسمى من حيث كان لفظ الهمزة والسين والميم عبارة عنه فقد بان لك أن الاسم في أصل الوضع ليس." (١)

"عنه هذا إن كان قبل التوبة لم يقبل قوله وإن كان بعد التوبة لم يكن قد تاب من باب الرفض بل من الالحاد وحده وعلى التقديرين فلا يقبل قوله والأظهر أنه كان يجتمع به وبأمثاله لما كان منجما للمغول المشركين والالحاد معروف من حاله إذ ذاك انتهى كلام شيخ الاسلام

وقول الناظم آل سنان هو سنان البصري الذي كان بحصون الاسماعيلية بالشام وكان يقول قد رفعت عنهم الصلاة والصوم والحج والزكاة وأما (الشفاء (فهو من مصنفات ابن سينا وكذا (الإشارات (من تصانيفه أيضا وقوله و (رسائل الاخوان (هي (رسائل إخوان الصفا (وهي على مافي (كشف الظنون (و (شرح عقيدة السفاريني (إحدى وخمسون رسالة وهي أصل مذهب القرامطة وربما نسبوها إلى جعفر الصادق رضي الله عنه ترويجا وقد صنفت بعد المائة الثالثة في دولة بني بويه أملاها أبو سليمان محمد بن نصر البستي المعروف بالمقدسي وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبو أحمد النهرجوري والعرفي يزيد بن رفاعة كلهم حكماء اجتمعوا وصنفوا هذه الرسائل على طريق الفلسفة الخارجة عن مسلك الشريعة المطهرة وفي (فتاوى ابن حجر الحديثية (ما نصه نسبها كثير إلى جعفر الصادق وهو باطل وإنما الصواب أن مؤلفها مسلمة بن قاسم الأندلسي كان جامعا لعلوم الحكمة من الالهيات والطبيعيات والهندسة والتنجيم وعلوم الكيمياء وغيرها وإليه انتهى علم الحكمة بالأندلس وعنه أخذ حكماؤها وتوفي سنة ٣٥٣ وممن ذكره ابن بشكوال وكتابه فيه أشياء حكمية وفلسفية وشرعية انتهى." (٢)

---

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم؟ أحمد بن عيسى ٦٨/١

(٢) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم؟ أحمد بن عيسى ٢٤٨/١

"بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، كالمبتدعة والمشركين، والزنادقة المكذبين، الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا أولئك في ضلال مبين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وقيوم السموات والأرضين.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين، الذي أكمل الله به الدين، وبلغ البلاغ المبين، فنصح الأمة، وكشف الغمة، وأدى الأمانة، وعبد الله حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإني لما قدمت إلى البحرين في سنة ١٣٣٢ "اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف" من الهجرة النبوية، رأيت سؤالا أورده بعض زنادقة أهل البحرين، يسألون فيه عن الحكمة في أشياء مما شرعه الله ورسوله من مناسك الحج، وأرسلوا به إلى صاحب مجلة المنار: السيد محمد رشيد رضا، وكانوا فيما يزعم زعيمهم، وهو رجل يقال له: ناصر بن خيري – انتسب السائل إلى غير أبيه، إذ هو: ناصر بن مبارك، ولا يخفى ما فيه." (١)

"وبفضل المنار المنير، وباقي كتب العلماء المصلحين الأفاضل قد فهمنا المقاصد والحكم من الصلاة والزكاة والشهادتين والصيام، كما قد فهمنا المقصد من الحج على الوجه العام، ولكن اسمح لنا يا حضرة المفضال الحكيم أن نقول: .

إن في الحج بعض أعمال لم نعرف الحكمة منها، فلذلك جئنا بهذا الكتاب نلتمس منك هدايتنا إلى ما جهلنا، وهي: .

ما هي الحكمة في الاجتماع على تقبيل الحجر الأسود، إذا عرفنا أنه حجر عادي لا يضر ولا ينفع، ولا يخفى ما في ذلك من الظاهرة ١ الوثنية.

هذا لفظه بحروفه إلى آخره ما ذكره.

ونحن نجيب على ما ينبغي الجواب عنه مما فيه اعتراض على ما شرعه الله ورسوله من مناسك الحج، ونترك ما عدا ذلك مما لا فائدة في الجواب عنه.

أما قول السائل: . "ما هي الحكمة في الاجتماع على تقبيل الحجر الأسود، إذا عرفنا أنه حجر عادي لا

---

(١) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل؟ سليمان بن سحمان ص/٧

يضر ولا ينفع، ولا يخفى ما في ذلك من الظاهرة١ الوثنية".

فنقول: . لا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم إيمانا عاما مجملا، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم عن التفصيل فرض على الكفاية، فإن ذلك داخل في

تبليغ ما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه.

---

١ في الأصل: المظاهرة.." (١)

"وعلم الكتاب والحكمة، وحفظ الذكر والدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين فهو واجب على الكفاية منهم.

وأما ما وجب على أعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قدرتهم وحاجتهم ومعرفتهم، وما أمر به أعيانهم، ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيقة ما يجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص وفهمها على التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدث والمجادل ما لا يجب على من ليس كذلك.

إذا فهمت هذا فاعلم أنه ليس على عوام المسلمين ممن لا قدرة لهم على معرفة تفاصيل ما شرعه الله ورسوله أن يعرفوا على التفصيل ما يعرفه من أقدره الله على ذلك من علماء المسلمين وأعيانهم، من **الحكمة فيما** شرعه الله ورسوله، بل عليهم أن يؤمنوا بما جاء به الرسول إيمانا عاما مجملا، وأن يكلوا علم ما لم يعلموه إلى عالمه.

ولم يقل أحد من عوام المسلمين فضلا عن العلماء الأعلام منهم: إنه لا ينبغي للإنسان أن يعمل بشيء مما شرعه الله ورسوله إلا أن يعلم الحكمة في ذلك، بل لا يقول ذلك إلا من أعمى الله بصيرة قلبه، أو زنديق منافق لا يؤمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل؟ سليمان بن سحمان ص/١٤

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في "مفتاح دار السعادة" بعد كلام سبق فيمن اعترض على ما شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بعد العلم **بالحكمة في** ذلك، قال رحمه الله تعالى: .." (١)

"وقالوا: . أي حكمة فيها، وأي فائدة؟، وهذا من فرط جهلهم، وسخافة عقولهم، فإن الحكمة لا يجب أن تكون بأسرها معلومة للبشر، ولا أكثرها، بل لا نسبة لما علموه إلى ما جهلوه فيها، لو قيست علوم الخلائق كلهم بوجوه حكمة الله تعالى في خلقه وأمره إلى ما خفي عنهم منها كانت كنقرة عصفور في البحر، وحسب الفطن اللبيب أن يستدل بما عرف منها على ما لم يعرف، ويعلم **الحكمة فيما** جهله منها، مثلها فيما علمه، بل أعظم وأدق.

وما مثل هؤلاء الحمقى النوكى إلا كمثل رجل لا علم له بدقائق الصنائع والعلوم بالبناء والهندسة والطب، بل والحياكة والخياطة والتجارة، إذا رام الاعتراض بعقله الفاسد على أربابها في شيء من آلاتهم وصنائعهم وترتيب صناعتهم، فخفيت عليه، فجعل كل ما خفي عليه منها شيء قال: . هذا لا فائدة فيه، وأي حكمة تقتضيه، هذا مع أن أرباب الصنائع بشر مثله، يمكنه أن يشاركهم في صنائعهم، ويفوقهم فيها، فما الظن بمن بهرت حكمته العقول، الذي لا يشاركه مشارك في حكمته، كما لا يشاركه في خلقه، فلا شريك له بوجه، فمن ظن أن يكتال حكمته بمكيال عقله، أو يجعل عقله عيارا عليها، فما أدركه أقر به، وما لم يدركه نفاه، فهو من أجهل الجاهلين، ولله في كل ما خفي على الناس وجه **الحكمة فيه** حكم عديدة لا تدفع ولا تنكر.." (٢)

"وقال رحمه الله في موضع آخر من هذا الكتاب: .

فصل

قد شهدت الفطرة والعقول بأن للعالم ربا قادرا حليما عليما رحيما، كاملا في ذاته وصفاته لا يكون إلا مريدا للخير لعباده، مجريا لهم على الشريعة والسنة الفاضلة العائدة باستصلاحهم، الموافقة لما ركب في عقولهم من استحسان الحسن واستقباح القبيح، وما جبل طباعهم عليه من إيثار النافع لهم، المصلح لشأنهم، وترك الضار المفسد لهم، وشهدت هذه الشريعة له بأنه أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأنه المحيط بكل شيء عليما.

---

(١) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل؟ سليمان بن سحمان ص/١٥

(٢) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل؟ سليمان بن سحمان ص/١٦

وإذا عرف ذلك فليس من الحكمة الإلهية، بل ولا الحكمة في ملوك العالم أنهم يسوون بين من هو تحت تدبيرهم في تعريفهم كلما يعرفه الملوك، وإعلامهم جميع ما يعلمونه، وإطلاعهم على كل ما يجرون عليه سياساتهم في أنفسهم وفي منازلهم، حتى لا يقيموا في بلد فيها إلا أخبروا من تحت أيديهم بالسبب في ذلك، والمعنى الذي قصدوه منه، ولا يأمرون رعيتهم بأمر، ولا يضربون عليهم بعثا ١، ولا يسوسونهم سياسة إلا أخبروهم بوجه ذلك وسببه، وغايته ومدته، بل لا تتصرف بهم

---

١ في الأصل "بعضا" وما أثبته من "مفتاح السعادة" ٢٠٧/٢ ط الإمام بمصر. وط مكتبة الرياض ٣٠٤/١ – ٣٠٥.." (١)

"وإذا كان لا سبيل إلى معرفة هذا في الخلق، بل يكفي فيه العلة العامة، والحكمة الشاملة، فهكذا في الأمر يعلم أن جميع ما أمر به متضمن لحكمة بالغة، وأما تفاصيل أسرار المأمورات والمنهيات فلا سبيل إلى علم البشر به، ولكن يطلع الله من شاء من خلقه على ما شاء منه، فاعتصم بهذا الأصل، انتهى.

فتبين من كلام شمس الدين ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى أنه لا يجب على الإنسان أن يعلم الحكمة في جميع ما شرع الله ورسوله، فإن ذلك ليس في قوى البشر، ولا في وسعهم وطاقتهم، وإنما يجب هذا على الأعيان الذين أهلهم الله لمعرفة ما أنزله الله، وأطلعهم عليه.

وأما من كان عاجزا عن ذلك، وليس في طاقته ووسعه معرفة ذلك والاطلاع عليه، فالواجب عليه أن يؤمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم إيمانا عاما مجملا، وأن يعمل بما أمر الله به ورسوله، سواء عرف الحكمة في ذلك أو لم يعرفها.

إذا تبين هذا، فاعلم أن الحكمة ـ والله أعلم ـ في اجتماع الناس على تقبيل الحجر الأسود هو ما ثبت عن حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث قال: ـ "الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه أو استلمه فكأنما صافح الله".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه في الجواب على هذا الحديث: ـ

---

(١) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل؟ سليمان بن سحمان ص/١٧

أما الحديث الأول فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد لا يثبت، والمشهور إنما هو عن ابن عباس قال: "الحجر الأسود يمين الله في." (١)

"فبين رحمه الله تعالى أن **الحكمة في** تقبيل الحجر واستلامه: أن الله كما جعل للناس بيتا يطوفون به، جعل لهم ما يستلمونه، ليكون ذلك بمنزلة تقبيل يد العظماء، فإن ذلك تقريب للمقبل، وتكريم له، كما جرت العادة. والله ورسوله لا يتكلمون بما فيه ضلال الناس، بل لا بد من أن يبين لهم ما يتقون، فقد بين في الحديث ما يتقى من التمثيل.

ولو كان في استلام الحجر وتقبيله مظاهرة الوثنيين لم يشرع الله ورسوله ما يوهم الناس ويوقعهم في مظاهرة الوثنية، بل قد بين لهم ما يتقون، وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: . "إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك"١.

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبله واستلمه، وعمل بذلك الصحابة رضي الله عنهم، ومن بعدهم إلى يومنا هذا، كان الواجب على المسلم أن يؤمن بما شرعه الله ورسوله، ويعمل به سواء عرف **الحكمة في** ذلك أو لم يعرفها.

ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحرص الناس على هداية الخلق، وتحذيرهم وإبعادهم عما يوقعهم في الشرك ومظاهرة الوثنيين حتى في الألفاظ، وكذلك الصحابة بعده رضي الله عنهم، فلو كان في استلام الحجر وتقبيله ما يوقع أو يقارب مظاهرة الوثنيين لنهى عن ذلك، ولبين للناس ما يتقون، فكان هذا

---

١ أخرجاه في الصحيحين.." (٢)

"أسلم الناس" فمن الذي أوجب أن يبيض بإسلام ١ الناس، ولو شاء الله تعالى لفعل ذلك من غير أن يجب.

وبعد ٢: . فإنهم أصحاب قياس وفلسفة، فكيف ذهب عليهم أن السواد يصبغ ولا ينصبغ، والبياض ينصبغ ولا يصبغ انتهى.

---

(١) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل؟ سليمان بن سحمان ص/٢٠

(٢) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل؟ سليمان بن سحمان ص/٢٢

فتبين من كلام ابن قتيبة أن **الحكمة في** تقبيل الحجر الأسود أنه يأتي يوم القيامة وله لسان وشفتان يشهد لمن استلمه بحق، وأنه يمين الله عز وجل في الأرض يصافح بها من شاء من خلقه.

وقد بسط الجواب على هذه المسألة صاحب المنار فأجاد وأفاد، فمن أراد الوقوف على ذلك فليراجعه هناك والله المستعان.

---

١ في الأصل: . "باستلام" والمثبت من كتاب ابن قتيبة.

٢ سقطت "و" من الأصل وأثبتها من كتاب ابن قتيبة ص ٢٩٠.." [1]

"في الإجابة عن قول السائل: (**ماالحكمة في** رمي الحجارة في القليب في مزدلفة؟)

...

فصل

ثم قال السائل:

"ما **الحكمة في** رمي الجمار في القليب في مزدلفة؟ "

فالجواب أن نقول: قد بينا فيما تقدم أنه ليس على الإنسان أن يعلم **الحكمة في** جميع ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم، لأن ذلك ليس في طاقة البشر ولا في وسعهم، وإنما على الإنسان العاجز عن ذلك أن يؤمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم إيمانا عاما مجملا، سواء عرف **الحكمة في** ذلك أم لم يعرفها.

والعمدة في مناسك الحج ما شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فالواجب علينا أن نمتثل أمر الله ورسوله صلى اله عليه وسلم في جميع ما أمر به رسوله صلى الله عليه وسلم وفعله، فكان من هديه صلى الله عليه وسلم في رمي الجمار ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في الهدي النبوي، قال رحمه الله تعالى:

.

فصل: ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى منى من يومه ذلك، فبات بها، فلما أصبح انتظر زوال الشمس، فلما زالت الشمس مشى من رحله إلى الجمار ولم يركب، فبدأ بالجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف

---

(١) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل؟ سليمان بن سحمان ص/٢٦

فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة، يقول مع كل حصاة: الله أكبر، ثم يقدم على الجمرة أمامها حتى أسهل وقام مستقبل القبلة، ثم." (١)

"رفع يديه ودعا دعاء طويلا بقدر سورة البقرة، ثم أتى إلى الجمرة الوسطى فرماها كذلك، ثم انحدر ذات اليسار مما يلي الوادي، فوقف مستقبل القبلة رافعا يديه يدعو قريبا من وقوفه الأول، ثم أتى الجمرة الثالثة وهي جمرة العقبة فاستبطن الوادي، واستعرض الجمرة، فجعل البيت عن يساره، ومنى عن يمينه فرماها بسبع حصيات كذلك، ولم يرمها من أعلاها كما يفعل الجهال، ولا جعلها عن يمينه، واستقبل البيت وقت الرمي كما ذكره غير واحد من الفقهاء. انتهى.

فإذا تبين لك هذا من أمره صلى الله عليه وسلم وفعله، وكان عليه عمل المسلمين من عهده صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، **فالحكمة في** ذلك - والله أعلم – هي ما ذكره أئمة المفسرين وأهل الحديث على قوله تعالى عن خليله إبراهيم {ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم} [البقرة:١٢٨] قال الحافظ العماد بن كثير: قال ابن جريج عن عطاء: "وأرنا مناسكنا" أخرجها لنا، علمناها. وقال مجاهد: "أرنا مناسكنا": مذابحنا. وروي عن عطاء أيضا وقتادة نحو ذلك.

وقال سعيد بن منصور: . أخبرنا عتاب بن بشير عن خصيف عن مجاهد قال: قال إبراهيم "أرنا مناسكنا" فأتاه جبرئيل فأتي به البيت فقال: ارفع القواعد ١، وأتم البنيان، ثم أخذ بيده فأخرجه فانطلق به إلى الصفا، قال: هذا من شعائر الله، ثم انطلق به إلى

---

١ في ابن كثير "فرفع القواعد" ١/١٨٣ ط الحلبي.." (٢)

"في الإجابة عن قول السائل: **مالحكمة في** الهرولة بين المروتين

...

فصل

وأما قوله: "ما **الحكمة في** الهرولة بين المروتين"؟

---

(١) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل؟ سليمان بن سحمان ص/٢٧

(٢) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل؟ سليمان بن سحمان ص/٢٨

والجواب أن يقال لهؤلاء الزنادقة الضلال: قد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة أن السعي والرمل بين الصفا والمروة من شعائر الله، فالواجب على المسلم أن يمتثل ما أمر الله ورسوله مما شرعه من السعي بينهما والرمل، وأن لا يدع ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم لعدم علمه **بالحكمة في** ذلك، لأن ترك العمل بذلك – إلا بعد العلم **بالحكمة فيه** – من شأن أهل البدع المارقين المتعنتين بالأسئلة والتشكيكات، والمعارضة الباطلة لما شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم –كما نبه على ذلك أهل العلم.

قال ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى في الكلام على ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما أن معاذة قالت: "سألت عائشة رضي الله عنها فقلت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحرورية أنت؟ فقلت: لست بحرورية، ولكني أسأل. فقالت: كان يصيبنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة":.

معاذة بنت عبد الله العدوية امرأة صلة بن أشيم، بصرية، أخرج لها الشيخان في صحيحهما.." (١)

"الصفا والمروة ما فعلت هاجر أم إسماعيل عليهما السلام من السعي بينهما لما خافت على ولدها من الضيعة، ونفد ما عندهما، قامت تطلب الغوث من الله عز وجل، فلم تزل تردد في هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة متذللة خائفة وجلة مضطرة فقيرة إلى الله عز وجل حتى كشف الله كربتها، وآنس غربتها، وفرج شدتها، وأنبع لها زمزم التي طعمها طعام طعم.

فسن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته السعي بينهما، وأمر به، وأخبر أن الله قد كتب السعي على هذه الأمة.

والساعي بينهما ينبغي أن يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله في هداية قلبه، وصلاح حاله، وغفران ذنبه، وأنه يلتجئ إلى الله عز وجل لتفريج ما هو به من النقائص والعيوب، وأن يهديه إلى الصراط المستقيم، وأن يثبته عليه إلى مماته، وأن يحوله من حاله إلى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة، كما فعل بهاجر عليها السلام، وهذا هو **الحكمة في** مشروعية السعي بين الصفا والمروة، كما نبه عليه أهل العلم، والله أعلم.." (٢)

---

(١) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل؟ سليمان بن سحمان ص/٣١

(٢) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل؟ سليمان بن سحمان ص/٣٨

"الامتثال، فبقي الذبح مفسدة، لحصول المصلحة بدونه، فنسخه في حقه، لما صار مفسدة، وأمر به لما كان عزمه عليه، وتوطين نفسه مصلحة لهما، فأي حكمة فوق هذا، وأي لطف وبر وإحسان يزيد على هذا، وأي مصلحة فوق هذه المصلحة بالنسبة إلى هذا الأمر ونسخه.

وإذا تأملت الشرائع الناسخة والمنسوخة وجدتها كلها بهذه المنزلة،

فمنها ما يكون وجه المصلحة فيه ظاهرا مكشوفا، ومنها ما يكون ذلك فيه خفيا لا يدرك إلا بفضل فطنة وجودة إدراك.

وأما دفن لحومها فليس من الدين في شيء، ولا ينسب ذلك إلى ما شرعه الله ورسوله، بل هذا من الأوضاع المبتدعة المحدثة الباطلة، التي وضعها الخلوف الذين ليس لهم معرفة بأصول الدين وقواعده التي تبتنى عليها الأحكام الشرعية، فإدخال مثل هذا في مناسك الحج الذي ١ شرعه الله ورسوله إدخال الدين شرع لم يأذن الله به.

وهذا لم يقله أحد من عوام المسلمين، فضلا عن علمائهم، فضلا عن أن يںقل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يسأل عن **الحكمة في** دفن اللحوم في منى إلا من أعمى الله بصيرته، وكان من أجهل الناس وأضلهم عن سواء السبيل، لأن ذلك ليس من الدين في شيء، وإنما هو من وضع بعض الملوك بإشارة بعض حكماء أهل الطب، وذلك بآرائهم الفاسدة، وأوهامهم الكاسدة، ونتائج أفكارهم الباردة، ولو تركوا الناس على ما كانوا عليه أولا من التوسعة على فقراء المسلمين، وجعل بعضه قديدا وينقلون ذلك في رحالهم، وأوطانهم، لكان ذلك أصلح للعباد، وأقرب إلى السداد.

---

١ في الأصل: "التي".." (١)

"من يؤمن بالله واليوم الآخر، أو يدري ما يقول.

فإذا تحققت ما قدمته لك من **الحكمة في** مناسك الحج، فاعلم أن شأن الحج وما في طيه من الأسرار والحكم، والمصالح، لا يدركه إلا الحنفاء، الذين ضربوا في المحبة بسهم، وشأنه أجل من أن تحيط به العبارة، وهو خاصة هذا الدين الحنيف، حتى قيل في قوله تعالى: {حنفاء لله غير مشركين به} [الحج:٣١] . أي حجاجا.

---

(١) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل؟ سليمان بن سحمان ص/٤١

وجعل الله بيته الحرام قياما للناس، فهو عمود العالم الذي عليه بناؤه، فلو ترك الناس كلهم الحج سنة لخرت السماء على الأرض، هكذا قال ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما.

فالبيت الحرام قيام العالم، فلا يزال قياما ما زال هذا البيت محجوجا، فالحج هو خاصة الحنيفية، ومعونة الصلاة، وسر قول العبد: ـ لا إله إلا الله، فإنه مؤسس على التوحيد المحض، والمحبة الخالصة، وهو استزارة المحبوب لأحبابه، ودعوتهم إلى بيته، ومحل كرامته، ولهذا إذا دخلوا في هذه العبادة فشعارهم "لبيك اللهم لبيك" إجابة محب لدعوة حبيبه، ولهذا كان للتلبية موقع عند الله، وكلما أكثر العبد منها كان أحب إلى ربه، وأحضى، فهو لا يملك نفسه أن يقول: "لبيك لبيك" حتى ينقطع نفسه.

وأما أسرار ما في هذه العبادة من الإحرام، واجتناب العوائد، وكشف الرأس، ونزع الثياب المعتادة، والطواف، والوقوف بعرفة، ورفع الجمار، وسائر شعائر الحج: فمما شهدت بحسنه العقول السليمة، والفطرة المستقيمة، وعلمت بأن الذي شرع هذه لا حكمة فوق حكمته، كما." (١)

"قلت يا رسول الله: إنا لسنا نعبدهم. قال: أليسوا يحرمون ما أحل الله فتتبعونهم؟ ويحلون ما حرم الله فتتبعونهم؟ قلت: ـ بلى. قال: فتلك عبادتهم"

لكن لم يصدر هذا منهم، وقد كتبوا في ذلك بيان عذرهم، فلا نظن بهم إلا الخير إن شاء الله تعالى.

والذي يظهر لي من كلام هذا السائل أنه أراد بهذا السؤال أحد أمرين: -

إما تعجيز صاحب "المنار" عن إدراك الجواب عن وجه الحكمة عما سئل عنه، مما استشكله فيه من مناسك الحج، لظنه أن هذا لا سبيل إلى معرفة وجه **الحكمة فيه**.

والأمر الثاني: - أنه لما رآه قد ترك الحج، وهو قد سافر إلى الهند، وإلى غيره من الأماكن البعيدة، تخيل في وهمه وظنه الفاسد أنه يرى ما يراه الزنادقة، من أنه لا مصلحة للعباد في ذلك، ولا حكمة للشارع الحكيم في شرع تلك المناسك، إلا محض المشيئة، وترجيح مثل على مثل بلا مرجح، كما يقول ذلك نفاة الحكم والمصالح، فلأجل هذا أراد السائل من صاحب المنار أن يوافقه على أحد الأمرين، ليتم له مقصوده من ترك الحج، لسوء اعتقاده، وخبث مرامه.

---

(١) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل؟ سليمان بن سحمان ص/٤٧

يوضح ما قلناه أنه قال في أول سؤاله: . إلى سيدي العلامة المصلح العليم مرشد الأمة ورشيدها الفيلسوف فأثنى عليه بأنه فيلسوف.." (١)

"ورواه البيهقي أيضا عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي أمامه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: - "من لم يحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس، أو سلطان جائر، ولم يحج، فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا" ١.

إذا تحققت ما ذكرته لك مما تقدم بيانه، وعلمت أن هؤلاء الملوك، وأمراء السلاطين، ووزراءهم، والأغنياء المترفين، والعلماء المصلحين وغيرهم ممن تركوا الحج وهم قادرون عليه، أنهم ليسوا حجة يقتدى بهم.

وتحققت أيضا أن الله سبحانه وتعالى هو الذي فرض مناسك الحج وأمر بها، وكتبها على عباده، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنها لأمته، وقال: "خذوا عني مناسككم" فأخذ بها المسلمون، وعملوا بها، ولم يستشكل أحد منهم عن وجه **الحكمة في** شيء منها، بل امتثلوا ما أمر الله به، طاعة لله ورسوله: تبين لك أن هذا السؤال من هؤلاء الزنادقة نشأ عن سوء اعتقاد، وخبث طوية، وشك في الدين الذي بعث الله به رسوله، وأنزل به كتابه

= قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وفي إسناده مقال. وهلال بن عبد الله مجهول. والحارث يضعف في الحديث ا؟.

١ أخرجه البيهقي في سننه –كتاب الحج – باب إمكان الحج٤/٣٣٤ من طريق شريك عن ليث عن ابن سابط عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم ... به.

قال البيهقي عقبه: وهذا وإن كان إسناده غير قوي، فله شاهد من قول عمر بن الخطاب. ا؟.

قلت: لأن في الإسناد ليث بن أبي سليم، وشريك بن عبد الله النخعي، وقد خالف الثوري شريكا فيه، فرواه مرسلا، أخرجه أحمد في كتاب الإيمان له –كما في التلخيص لابن حجر ٢/٢٣٦ – عن وكيع عن سفيان عن ليث عن أسباط قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث.." (٢)

---

(١) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل؟ سليمان بن سحمان ص/٥١

(٢) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل؟ سليمان بن سحمان ص/٥٩

"من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون} ونزداد هداية كما قال تعالى {ويزيد الله الذين اهتدوا هدى} وبهذا نرقى ونفوق الأمم ونسودهم، كما سادهم واستعبدهم بالعدل والعلم والحكمة في مشارق الأرض ومغاربها آباؤنا الأولون.

فانهوا أيها الشيوخ أتباعكم عن التعبد بالأحزاب، والأوراد، والأذكار، والتوسلات، والاستغاثات المبتدعة، وعرفوهم أن فضل حرف واحد من القرآن العظيم والسنة المطهرة خير وأعظم وأفضل عند الله من جميع ما هم عليه، ولا سيما مع التدبر والتفهم. فليستعيضوا عن هذا بقراءة القرآن وتحزيبه وتجزيئه على الأيام والليالي، وبقراءة كلام الرسول [صلى الله عليه وسلم] ، وحفظه وفهمه وتلقينه للإخوان، واستعيضوا لهم الإجازات بالشهادات العلمية، فإذا ما ورد عليكم رجل قد قرأ وفهم وعقل عن الله ورسوله، واختبرتم تدينه وحبه لله ولدينه ولرسوله ولسنته. وبغضه للمنكرات والمحرمات والمبتدعات والمخالفات. . فرأيتموه فطنا ذكيا فصيحا فيه أهلية للخير والإصلاح والإرشاد فحينئذ لا مانع من أن تخرجوا له شهادة وتجيزوه فيها أن يعلم المسلمين بما فتح الله به عليه، وتحذروه من التدخل فيما لا يعنيه، ومن الفتوى بغير علم، ومن الخروج عن نصوص الكتاب والسنة.

أما أنتم يا مشايخ السجادة؛ فالله مولاكم هو يرزقكم وهو خير الرازقين وهو القائل: {ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب} {} (ومن يتق الله يجعل من أمره يسرا} {ولو أن أهل الأرض آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض} {الآية} (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم} هذه هي نصيحتي، وهذا هو اقتراحي، فإن قبلتموه وعملتم به فقد أديتم ما وجب عليكم من قبول نصح الناصحين، وأذكركم قول الله تعالى: (سيذكر من يخشى." (١)

"قلت: وتمامه: " فرددتها على النبي ([صلى الله عليه وسلم]) فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: لا، ونبيك الذي أرسلت " وفي هذا الحديث أعظم دليل على إبطال ورد كل زيادة على نص الرسول [صلى الله عليه وسلم] سواء أكانت صغيرة أو كبيرة، وفيه أيضا رد على كل من يقول بجواز الاستحسان في الدين. ولذا قال الحافظ في الفتح: الحكمة في رده ([صلى الله عليه وسلم]) على من قال: الرسول بدل النبي - أن ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به السنة أه. ثم قراءة البسملة عند النوم إحدى وعشرين

---

(١) السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات؟ الشقيري ص/١٩٥

مرة لم نعلم لها أصلا قط، وكذا قراءة الفاتحة للشيخ الملقن عند النوم، كذلك من البدع.
فصل في أذكار الانتباه من النوم

روى البخاري عن عبادة بن الصامت عن النبي ([صلى الله عليه وسلم]) قال: " من تعار من الليل فقال: لا إله إل الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته، وفي الترمذي عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ([صلى الله عليه وسلم]) يقول: " من أوى إلى فراشه طاهرا وذكر الله تعالى حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله تعالى فيها خيرا إلا عطاه إياه " حديث حسن. وفي سنن أبي داود عن عائشة أن رسول الله ([صلى الله عليه وسلم]) كان إذا استيقظ من الليل قال " لا إله إلا أنت سبحانك، اللهم أستغفرك." (١)

"الإسلام في كتابه العرش وغيره فبين أن العلو الحقيقي المطلق لا يثبت إلا لله العلي الكبير القاهر فوق عباده، وما عداه فعلو نسبي، ولا سيما على القول بكروية العالم.
وقد اشتهر في كتب العقائد وعلم الكلام القديمة والحديثة للأشاعرة أن أهل السنة انقسموا فيما عدا صفات المعاني الذاتية إلى:

سلف يفوضون حقيقة تلك الصفات (١) إلى الله تعالى ويرونها كما جاءت في الكتاب والسنة مع تنزيه الرب تعالى عن الشبيه والمثل. (٢)
وخلف يؤولونها تأويلا يوافق قواعد اللغة التي وردت بها، وقال بعضهم: (إن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم) . (٣)

ولكن المحققين المنصفين منهم قالوا: إن مذهب السلف هو الأسلم والأعلم والأحكم، بل قال أبو حامد الغزالي: إن علم الكلام ليس من علوم الدين الأصلية، وإنما هو ضرورة ألجأ العلماء إليها الرد على المبتدعة والفلاسفة فيما خالفوا فيه ما جاء في نصوص الدين القطعية (٤) فهو كحرس الحجيج الذي يحرسهم من

---

(١) السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات؟ الشقيري ص/٢٩٩

قطاع الطريق إنما يجب ما وجد المعتدون على الحجيج، فإذا لم يوجد من يعتدي

---

(١) هذه العبارة من الشيخ رحمه الله: (سلف يفوضون حقيقة تلك الصفات) – تبدو لي – عبارة مجملة؛ فتفويض حقيقة الصفات: إما أن يكون تفويضا لحقيقة ما عليه الصفة وكيفيتها فيكون صحيحا، وإما أن يكون تفويضا لمعانيها أي أن المعاني المرادة من هذه النصوصة مجهولة عند السلف وهذا باطل، لأن السلف أثبتوا المعاني لتلك الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ((وكذلك قال ابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف يقولون: إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وإن علمنا تفسيره ومعناه)) .
انظر: درء تعارض العقل والنقل ١ / ٢٠٧.
ويكفي في هذا مطالعة الكتب التي تعتني بنقل أقوال السلف والتي يضيق المقام عن مجرد استقصاء أسمائها فضلا عن الإشارة إلى متونها في هذا الباب، وانظر حول تـأصيل الموضوع: الأشاعرة في ميزان أهل السنة للشيخ فيصل قزار الجاسم ص ١٦١ وما يليها، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات للشيخ د. أحمد القاضي ص ٩٦ وما يليها.
(٢) بل إنهم ينسبون إلى السلف أنهم يفوضون معناها لكون حقيقة معنى الصفة غير مرادة، ونسبة هذا القول إلى السلف باطلة؛ فإن صراع السلف مع الجهمية والمعتزلة لم يكن إلا على إثبات حقائق الصفات، إذ لو كان السلف متفقين على كون الحقيقة غير مرادة فعلى ماذا يكون الصراع والنزاع إذن بينهم وبين الجهمية والمعتزلة إذن؟!
(٣) وهذا القول متناقض مردود من عدة أوجه من أهمها:
أولا: سبب تعليلهم لكون طريقة السلف أنها أسلم والخلف أعلم وأحكم تعليل خاطئ؛ فإن هؤلاء إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريق السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير تدبر معانيها وفقهها وعقلها، أو أنهم تأولوها تأويلا إجماليا باعتقاد أن ظاهر النص غير مراد إلا أنهم أمسكوا عن تحديده بالكف عن التأويل! أو أن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات! وهذا تعليل خاطئ؛ كما أشير إليه فيما سبق وفيما سيأتي أيضا.
ثانيا: أن وصفهم طريقة الخلف بأنها (أعلم وأحكم) يناقض قولهم: (إن طريقة السلف أسلم) فإن كون طريقة السلف أسلم من لوازم كونها أعلم وأحكم، إذ لا سلامة إلا بالعلم والحكمة، العلم بأسباب السلامة،

والحكمة في سلوك تلك الأسباب وبهذا يتبين أن طريقة السلف أسلم، وأعلم، وأحكم. انظر: تلخيص الفتوى الحموية (ضمن مجموع وفتاوى رسائل الشيخ محمد العثيمين رحمه الله ٤ / ١١) .

ثالثا: أنهم – أعني المتكلمين – ومع كونهم متفقين فيما بينهم على أن طريق السلف أسلم، ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم، فلم يعهد في طريقتهم إلا الشك والاضطراب والتعارض، فتعارضت أنظارهم العقلية وعارض بعضهم بعضا في الأدلة النقلية، وكان غاية ما ظفروا به من هذه (الأعلمية) بطريق الخلف أن تمنى محققوهم وأذكياؤهم كالرازي وغيره في آخر أمرهم دين العجائز، قال الشوكاني: ((فإن هذا ينادي بأعلى صوت يدل بأوضح دلالة، على أن هذه الأعلمية التي طلبوها الجهل خير منها بكثير. فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه أن الجهل خير منه، ويتمنى عند البلوغ إلى غايته والوصول إلى نهايته، أن يكون جاهلا به عاطلا عنه؟)) . اهـ

(٤) يقول المؤلف رحمه الله في مجلة المنار: ((وأما علم الكلام فقد حدث في الملة على عهد الأئمة، فحرموه وذموه)) ، وقد نقل أقوالهم في ذلك في المسألة (٥٢) من الدرس السابع عشر من الأمالي الدينية المنشور في الجزء الأخير من مجلد المنار الثالث ص ٨٤٠ – ٨٤٥، وقال في آخره عن علم الكلام: إنه ((يطلب لضرورة إقناع الخصوم ورد شبه المنكرين ، والضرورة تقدر بقدرها وتختلف باختلاف الزمان وأنواع الشبهات)) .

أقول: إن التعبير بـ (علم الكلام) قد صار فيه إجمال أيضا، قال ابن حمدان في المفتي والمستفتي: ((وعلم الكلام المذموم هو أصول الدين إذا تكلم فيه بالمعقول المحض، أو المخالف للمنقول الصريح الصحيح، فإن تكلم فيه بالنقل فقط، أو بالنقل والعقل الموافق له فهو أصول الدين، وطريقة أهل السنة)) .

فلم يذم السلف والأئمة الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة كلفظ الجوهر والعرض والجسم وغير ذلك، بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه لاشتمال هذه الألفاظ على معان مجملة في النفي والإثبات.. فإذا عرفت المعاني التي يقصدونها بأمثال هذه العبارات وزنت بالكتاب والسنة، بحيث يثبت الحق الذي أثبته الكتاب والسنة، وينفى الباطل الذي نفاه الكتاب. انظر: مجموع الفتاوى ٣ / ٣٠٧.." (١)

---

(١) رسائل السنة والشيعة لرشيد رضا؟ محمد رشيد رضا ٨١/١

"والله أعلم ـ: لا تعمله حاجة من حوائج الدنيا ـ كالتجارة ونحوها ـ مما هو ليس عبادة؛ فلا يتناول قصد الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم. وهذا الذي اخترناه هو الأحوط في هذه المسألة؛ جمعا بين الأدلة وخروجا من الخلاف الوارد فيها، ولا تقيس قبور غيره من الأنبياء والصالحين على قبره صلى الله عليه وسلم؛ لأن الفرق ظاهر؛ فإن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم متضمنة للصلاة في مسجده، وأما قبور غيره فلا تقصد بشد رحل ولا سفر، ولا هناك شيء آخر قد شرع له ذلك، سيما وقد آل الأمر بالناس إلى أمور منكرة مبتدعة في زيارة القبور، وقد تركوا ما هو **الحكمة في** زيارة القبور، وعمدوا إلى طلب حوائج الدنيا والآخرة من أهلها، حتى عبدت من دون الله ـ عز وجل ـ! فما لهذا شرعة زيارة القبور؛ بل من أجله نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيارتها في أول الأمر، ثم أذن فيه بعد أن وقر الإيمان والتوحيد في قلوب أصحابه.

والعجب من السبكي كيف جزم بتخطئة الإمام النووي في نقله الخلاف في هذه المسألة ـ عند شرحه حديث: «لا تشد الرحال ... » ، الوارد في صحيح مسلم ـ، وحكم بتغليطه! وقد غفل ـ رحمه الله تعالى ـ عما ذكره غيره من نقل الخلاف فيها قديما وحديثا؛ فممن ذكر الخلاف فيها، واختار القول بتحريم شد الرحل إلى غير المساجد الثلاثة: القاضي عياض ـ في شرحه لصحيح مسلم ـ، ومنهم: الإمام ابن عقيل الحنبلي، ومنهم: ابن الجويني، والقاضي حسين ـ من الشافعية ـ، واختار المنع وإليه أشار: الإمام الغزالي ـ في كتابه «الإحياء» ـ. فقد تبين بما ذكرناه عن هؤلاء الأئمة من المالكية والشافعية والحنابلة أن الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ لم ينفرد بذكر الخلاف في هذه المسألة؛ بل هو مسبوق به، كما أن شيخ الإسلام ابن تيمية لم ينفرد." (١)

"الدينية والدنيوية، الضار لمن فعل الأسباب التي توجب ذلك١.

وهذه الأمور كلها تبع لعدله، وحكمته، وحمده، فإن له **الحكمة في** خفض من يخفضه، ويذله، ويحرمه، ولا حجة لأحد على الله، كما له الفضل الخفي على من رفعه وأعطاه ويبسط له الخيرات.

فعلى العبد أن يعترف بحكمة الله، كما عليه أن يعترف بفضله ويشكره بلسانه وجنانه وأركانه.

وكما أنه هو المنفرد بهذه الأمور كلها جارية تحت أقداره، فإن الله جعل لرفعه وعطائه وإكرامه أسبابا، ولضد ذلك أسبابا من قام بها ترتبت عليه مسبباتها، وكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل

---

(١) الكشف المبدي؟ محمد بن حسين الفقيه ١٧٨/١

السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، وهذا يوجب للعبد القيام بتوحيد الله، والاعتماد على ربه في حصول ما يحب، ويجتهد في فعل الأسباب النافعة فإنها محل حكمة الله"٢.." (١)

"٢٣ - الحكيم١:

قال رحمه الله تعالى: "الحكيم هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره الذي أحسن كل شيء خلقه {ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون} ٢.

فلا يخلق شيئا عبثا، ولا يشرع شيئا سدى، الذي له الحكم في الأولى، والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قدره، وجزائه.

والحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها٣.

والحكيم: الموصوف بكمال الحكمة، وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم، والإطلاع على مبادئ الأمور، وعواقبها، واسع الحمد تام القدرة غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه، وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال.

وحكمته نوعان:

أحدهما: **الحكمة في** خلقه فإنه خلق الخلق بالحق، ومشتملا على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات، وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته، وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللا، ولا نقصا، ولا فطورا، فلو اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلى آخرهم ليقترحوا مثل خلق الرحمن أو ما يقارب ما أودعه في الكائنات من الحسن، والانتظام، والإتقان لم يقدروا، وأنى لهم القدرة على شيء من ذلك

---

١ ودليل هذا الاسم قال تعالى: {إن الله عليم حكيم} (التوبة: ٢٨).

٢ المائدة (٥٠).

٣ التفسير (٥/ ٦٢١).." (٢)

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي؟ عبد الرحمن السعدي ص/١٧٢

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي؟ عبد الرحمن السعدي ص/١٨٦

"وحسب العقلاء الحكماء منهم أن يعرفوا كثيرا من حكمه، ويطلعوا على بعض ما فيها من الحسن، والإتقان.

وهذا أمر معلوم قطعا بما يعلم من عظمته، وكمال صفاته، وتتبع حكمه في الخلق، والأمر.

وقد تحدى عباده، وأمرهم أن ينظروا، ويكرروا النظر، والتأمل هل يجدون في خلقه خللا أو نقصا، وأنه لابد أن ترجع الأبصار كليلة عاجزة عن الانتقاد على شيء من مخلوقاته.

النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب وأرسل الرسل ليعرفه العباد، ويعبدوه، فأي حكمة أجل من هذا، وأي فضل، وكرم أعظم من هذا، فإن معرفته تعالى، وعبادته وحده لا شريك له، واخلاص العمل له وحده، وشكره، والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق.

وأجل الفضائل لمن من الله عليه بها، وأكمل سعادة، وسرورا للقلوب، والأرواح، كما أنها هي السبب الوحيد للوصول إلى السعادة الأبدية، والنعيم الدائم.

فلو لم يكن في أمره، وشرعه إلا هذه الحكمة العظيمة التي هي أصل الخيرات، وأكمل اللذات، ولأجلها خلقت الخليقة، وحق الجزاء، وخلقت الجنة، والنار، لكانت كافية شافية.

هذا وقد اشتمل شرعه، ودينه على كل خير، فأخباره تملأ القلوب علما، ويقينا، وإيمانا، وعقائد صحيحة، وتستقيم بها القلوب، ويزول انحرافها، وتثمر كل خلق جميل، وعمل صالح، وهدى، ورشد، وأوامره، ونواهيه محتوية على عناية الحكمة والصلاح والإصلاح للدين والدنيا فإنه لا يأمر إلا بما مصلحته." (١)

". . . . .

متناقل بين الناس بالتواتر الذي لا يقبل الشك.

ولا يزال الله يري عباده من آياته في الآفاق وفي أنفسهم ما يتبين به الحق لأولي العقول والألباب. وأما تفاصيل الجزاء ومقاديره فلا يدرك إلا بالسمع والنقول الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ومن الحكمة في محاسبة الخلق على أعمالهم ووزنها وظهورها مكتوبة في الصحف مع إحاطة علم الله بذلك ليري عباده كمال حمده وكمال عدله وسعة رحمته وعظمة ملكه؛ ولهذا قال: {مالك يوم الدين} [الفاتحة: ٤] مع أن ملكه عام مطلق لهذا اليوم ولغيره.

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي؟ عبد الرحمن السعدي ص/١٨٧

قال المصنف رحمه الله:)

(اعلم أن الإيمان بالقدر أمره عظيم وشأنه مهم جدا، وهو أحد أركان الإيمان الستة، وقد انحرف فيه طوائف من أهل البدع والضلال، فضلا عن المنكرين من الملحدين وغيرهم، وقد فصله الشيخ في هذا الفصل بهذا الكلام الجامع النفيس الذي لا يوجد له نظير في تحقيقه وتفصيله وجمعه وتوضيحه، وهو مجموع من نصوص الكتاب والسنة، ومن العقيدة السلفية الخالصة. فذكر أنه لا يتم الإيمان بالقدر إلا بتحقيق هذه الأمور الأربعة التي يفتقر كل منها إلى البقية، وقد ارتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا لا ينفصم إلا بالانحراف إلى الأقوال المنحرفة. وذلك أنه ثبت في نصوص الكتاب والسنة إحاطة علم الله بجميع الموجودات السابقة والحاضرة والمستقبلة من أعيان وأوصاف وأفعال للمكلفين وغيرهم.

وتثبت النصوص أيضا أن الله أثبت علمه بالكائنات والموجودات دقيقها وجليلها باللوح المحفوظ في نصوص." (١)

"شيئا " قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: " لا تبشرهم فيتكلوا» . أخرجاه في الصحيحين.

فيه مسائل: الأولى: **الحكمة في** خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد: لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد}

الرابعة: **الحكمة في** إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله- تعالى-: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى} الآية [البقرة: ٢٥٦] .

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل.." (٢)

---

(١) التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة؟ عبد الرحمن السعدي ص/٩٢

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط الوزارة؟ عبد الرحمن السعدي ص/١٥

"الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: – وهي أعجب العجب– قراءتهم [أي أهل البدع] إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم» . فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.." (١)

"وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما.

ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر» . رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

فيه مسائل: الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.

باب ما جاء في التنجيم التنجيم نوعان: نوع يسمى علم التأثير: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية، فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفرد به، أو تصديق لمن ادعى ذلك، وهذا ينافي التوحيد لما فيه من هذه الدعوى الباطلة، ولما فيه من تعلق القلب بغير الله، ولما فيه من فساد العقل، لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان.

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط الوزارة؟ عبد الرحمن السعدي ص/٨٨

النوع الثاني: علم التسيير: وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات، فهذا النوع لا بأس به، بل كثير منه نافع قد حث عليه الشارع، إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات، أو إلى الاهتداء به في الجهات.

فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني.." (١)

"الثانية: أن هذا من الإيمان بالله.

الثالثة: الطعن في النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: إرادة الله به الشر.

السابعة: علامة حب الله للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضا بالبلاء.

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله أما الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، فهو ظاهر لكل أحد أنهما من الإيمان بل هما أساسه وفرعه، فإن الإيمان كله صبر على ما يحبه الله ويرضاه ويقرب إليه، وصبر عن محارم الله.

فإن الدين يدور على ثلاثة أصول:

تصديق خبر الله ورسوله، وامتثال أمر الله ورسوله، واجتناب نهيهما.

فالصبر على أقدار الله المؤلمة داخل في هذا العموم، ولكن خص بالذكر لشدة الحاجة إلى معرفته والعمل به.

فإن العبد متى علم أن المصيبة بإذن الله، وأن الله أتم **الحكمة في** تقديرها، وله النعمة السابغة في تقديرها

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط الوزارة؟ عبد الرحمن السعدي ص/١٢١

على العبد رضي بقضاء الله وسلم لأمره وصبر على المكاره، تقربا إلى الله، ورجاء لثوابه، وخوفا من عقابه، واغتناما لأفضل الأخلاق، فاطمأن قلبه وقوي إيمانه وتوحيده.." (١)

"قال ابن مسعود: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى:

{قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا} إلى قوله: {وأن هذا صراطي مستقيما} ١ الآية ٢.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار، فقال لي: "يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله"؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا، قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا" أخرجاه في الصحيحين ٣.

فيه مسائل:

الأولى: **الحكمة في** خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} ٤.

الرابعة: **الحكمة في** إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه

---

١ سورة الأنعام آية: ١٥١- ١٥٣.

٢ رواه الترمذي (السنن) ٥ / ٢٦٤ (كتاب تفسير القرآن) (باب ومن سورة الأنعام) حديث رقم ٣٠٧٠ وقال: (هذا حديث حسن غريب) . وفي إسناده (داود الأودي) وهو داود بن يزيد الأودي قال فيه ابن حجر في (التقريب) ١ / ٢٣٥: ضعيف. اهـ.

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط الوزارة؟ عبد الرحمن السعدي ص/١٤١

٣ رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد باب اسم الفرس والحمار (٣ / ١٠٤٩) حديث رقم (٢٧٠١) . ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (١ / ٥٨) حديث رقم (٣٠) .

٤ سورة الكافرون آية: ٣.." [1]

"التاسعة: معرفة الشيطان بما تئول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يئول إليه.

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل **والحكمة في** إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: - وهي أعجب وأعجب- قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم "فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

[التعليق:]

باب:

ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط النفائس؟ عبد الرحمن السعدي ص/١٦

والغلو: هو مجاوزة الحد بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء، فإن حق الله الذي لا يشاركه فيه مشارك هو الكمال المطلق والغنى المطلق." (١)

"باب ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه١: قال قتادة: "خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به" انتهى. وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق. وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر" رواه أحمد وابن حبان في صحيحه٢.

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.

---

١ رواه البخاري معلقا. كتاب بدء الخلق، باب في النجوم (١١٦٨/٣ – ١١٦٩) .

(المسند) ٤ / ٣٩٩ و (موارد الظمآن) ص ٣٣٥ حديث رقم (١٣٨٠) و (١٣٨١(. قال الهيثمي (مجمع الزوائد) ٥ / ٧٤: (رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات) . اهـ ورواه- أيضا- الحاكم (المستدرك) ٤ / ١٤٦ وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) . وقال الذهبي: (صحيح) . اهـ. وفي تصحيح إسناده نظر؛ لأن فيه (أبا حريز) وهو عبد الله بن الحسين ألأزدي. قال الذهبي (ميزان الاعتدال) ٢ / ٤٠٦: (فيه شيء) . وقال المزي (تهذيب الكمال) ٢ / ٦٧٥: (استشهد به البخاري في الصحيح وروى له في الأدب) . وقال ابن حجر (هدي الساري) ص ٤٥٧: (وثقه أبو زرعة واختلف فيه قول يحيى بن معين، وضعفه النسائي) . اهـ." (٢)

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط النفائس؟ عبد الرحمن السعدي ص/٧٧

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط النفائس؟ عبد الرحمن السعدي ص/١٠٧

"فإن العبد متى علم أن المصيبة بإذن الله، وأن لله أتم **الحكمة في** تقديرها، وله النعمة السابغة في تقديرها على العبد رضي بقضاء الله، وسلم لأمره وصبر على المكاره، تقربا إلى الله، ورجاء لثوابه، وخوفا من عقابه، واغتناما لأفضل الأخلاق، فاطمأن قلبه وقوي إيمانه وتوحيده.." (١)

"سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن ذراري المشركين فقال صلى الله عليه وسلم: "الله أعلم بما كانوا عاملين" ١.

وبعد هذا رسله قد أرسلا ... لهم وبالحق الكتاب أنزلا

لكي بذا العهد يذكروهم ... وينذروهم ويبشروهم

كي لا يكون حجة للناس بل ... لله أعلى حجة عز وجل

فمن يصدقهم بلا شقاق ... فقد وفى بذلك الميثاق

وذاك ناج من عذاب النار ... وذلك الوارث عقبى الدار

ومن بهم وبالكتاب كذبا ... ولازم الإعراض عنه والإبا

فذاك ناقض كلا العهدين ... مستوجب للخزي في الدارين

"وبعد هذا" أي: الميثاق الذي أخذه عليهم في ظهر أبيهم ثم فطرهم وجبلهم على الإقرار به وخلقهم شاهدين به "رسله" بإسكان السين للوزن مفعول أرسل مقدم "قد أرسلا" بألف الإطلاق "لهم" أي: إليهم "وبالحق" متعلق بأنزل أي: بدين الحق "الكتاب" جنس يشمل جميع الكتب المنزلة على جميع الرسل "أنزلا" بألف الإطلاق والأمر الذي أرسل الله تعالى به الرسل إلى عباده وأنزل عليهم به الكتب هو "لكي بذا العهد" الميثاق الأول "يذكروهم" تجديدا له وإقامة لحجة الله البالغة عليهم "وينذروهم" عقاب الله إن هم عصوه ونقضوا عهده "ويبشروهم" بمغفرته ورضوانه إن هم وفوا بعهده ولم ينقضوا ميثاقه وأطاعوه وصدقوا رسله، **والحكمة في** ذلك لـ"كي لا يكون حجة" على الله عز وجل "للناس بل لله" على جميع عباده

---

١ البخاري "١١/ ٤٩٣" في القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين.

و"٣/ ٢٤٥" في الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين.

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط النفائس؟ عبد الرحمن السعدي ص/١٢٦

ومسلم "٤/ ٢٠٤٩/ ح٢٦٥٩" في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.
والنسائي "٤/ ٥٨" في الجنائز، باب أولاد المشركين.." (١)

"الله لمهتدون} [البقرة: ٧٠] وقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم: {ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا، إلا أن يشاء الله} [الكهف: ٢٤] {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله} [يونس: ٤٩] وقال: {خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك} [هود: ١٠٧] وعن أهل النار مثل ذلك وقال: {ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم} [الإسراء: ٥٤] وقال: {يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء} [المائدة: ٤٠] وقال: {ولكن ينزل بقدر ما يشاء} [الشورى: ٢٧] وقال: {إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر} [الإسراء: ٣٠] وقال: {يمحوا الله ما يشاء ويثبت} [الرعد: ٣٩] وقال: {قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به} [يونس: ١٦] وقال: {نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا} [الإنسان: ٢٨] وقال: {وما يذكرون إلا أن يشاء الله} [المدثر: ٥٦] وقال: {وما تشاءون إلا أن يشاء الله} [الإنسان: ٣٠] فأخبر أن مشيئتهم وفعلهم موقوفان على مشيئته لهم هذا وهذا. وقال: {قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير} [آل عمران: ٢٦] وقال: {ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم} [الأحزاب: ٢٤] وقال: {يختص برحمته من يشاء} [آل عمران: ٧٤] وقال: {ولكن الله يزكي من يشاء} [النور: ٢١] وقال: {والله يضاعف لمن يشاء} [البقرة: ٢٦١] وقال: {نصيب برحمتنا من نشاء} [يوسف: ٥٦] وقال: {نرفع درجات من نشاء} [يوسف: ٧٦] وقال: {ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء} [يوسف: ٥٦] وقال: {ولكن الله يمن على من يشاء من عباده} [إبراهيم: ١١] وقال: {فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين} [يوسف: ١١٠] وقال: {الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء} [الروم: ٤٨] وقال: {إن ربي لطيف لما يشاء} [يوسف: ١٠٠] وقال: {يؤتي **الحكمة من** يشاء} [البقرة: ٢٩٩] وقال: {ولو نشاء لطمسنا على أعينهم} [يس: ٦٦] ، {ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم}." (٢)

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول؟ حافظ بن أحمد حكمي ٩٤/١

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول؟ حافظ بن أحمد حكمي ٢١٦/١

"المستلزم لمحبة الله تعالى ورضاه، فلا يأمر إلا بما يحبه ويرضاه ولا ينهى إلا عما يكرهه ويأباه. ولا ملازمة بين هذا القسم وما قبله إلا في حق المؤمن المطيع، وأما الكافر فينفرد في حقه الإرادة والقضاء والأمر الكوني القدري، فالله سبحانه وتعالى يدعو عباده إلى طاعته ومرضاته وجنته ويهدي لذلك من يشاء في الكون والقدر هدايته ولهذا قال تعالى: {والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} فعمم الدعوة إلى جنته وهي دار السلام وأنه يدعو إلى ذلك جميع عباده وهو أعلم بمن يستجيب ممن لا يستجيب، وخص الهداية بمن يشاء هدايته كما قال تعالى: {يهدي الله لنوره من يشاء} .

"مسألة": فإن قيل أليس بممكن في قدرته تعالى أن يجعلهم كلهم طائعين مؤمنين مهتدين؟ قلنا: بلى وقد قدمنا لك جملة وافية من الآيات والآحاديث في ذلك، ولكن قدمنا لك أيضا أن هذا الذي فعله بهم هو مقتضى حكمته وأسمائه وصفاته وموجب ربوبيته وإلهيته وهو أعلم بمواقع فضله وعدله، فحينئذ قول القائل لم كان من عباده الطائع والعاصي؟ كقول من قال: لم كان من أسمائه الضار النافع والمعطي المانع والخافض الرافع والمنعم المنتقم ونحو ذلك إذ أفعاله تعالى هي مقتضى أسمائه وآثار صفاته، فالاعتراض عليه في أفعاله اعتراض على أسمائه وصفاته بل وعلى إلهيته وربوبيته، فسبحان رب العرش عما يصفون، لا يسئل عما يفعل وهم يسألون.

"مسألة": واعلم أنه قد يوسوس الشيطان لبعض الناس فيقول: ما الحكمة في تقدير السيئات مع كراهة الله تعالى إياها، وهل يأتي المكروه بمحبوب؟ فنقول: الحمد لله إيمانا بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته واستسلاما لأقداره وإرادته، وتسليما لعدله وحكمته، اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك أن الواجب على العبد أمر أهم من ذلك البحث وهو الإيمان بالله وأسمائه وصفاته والتسليم لأقداره واليقين بعدله وحكمته والفرح بفضله ورحمته، ونحن لا نعلم من حكمة الله وسائر أسمائه وصفاته إلا ما علمناه ولا يحيط بكنه شيء منها ونهايته إلا الذي اتصف بها وهو الله الذي لا إله إلا هو، ومما علمناه من ذلك بما علمنا الله تبارك." (١)

"قوم لا يؤمنون» ، وأما من خاض فغير وبدل فهؤلاء هم المبتدعة وأتباعهم، فهب أن منهم من يعذر في خوضه، فما عذره في تغييره وتبديله؟ ! ولا سيما من بلغ به التغيير والتبديل إلى القول بأن النصوص الشرعية لا تصلح حجة في العقائد! حتى صرح بعضهم بزعم أن الله تبارك وتعالى أقر الأمم التي بعث

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول؟ حافظ بن أحمد حكمي ٢٣١/١

فيها أنبياءه على العقائد الباطلة وقررها في كتبه وعلى السنة رسله وثبتها وأكدها وزادهم عليها أضعافها مما هو - في زعم هؤلاء - باطل! !

فهل هذا هو الذب عن الإسلام وعقائده الذي يمتن به عليه أولئك الخائضون؟ !

فصل

وأما المأخذ الخلفي الثاني وهو الكشف التصوفي، فقد مضى القرن الأول ولا يعرف المسلمون للتصوف إسما ولا رسما، خلا أنه كان منهم أفراد صادقون الحب لله تعالى، والخشية له يحافظون على التقوى والورع على حسب ما ثبت في الكتاب والسنة، فقد يبلغ أحدهم أن تظهر مزيته في استجابة الله عز وجل بعض دعائه أو عنايته به على ما يقل في العادة، ويلقى الحكمة في الوعظ والنصيحة والترغيب في الخير، وإذا كان من أهل العلم، ظهرت مزيته في فهم الكتاب والسنة فقد يفهم من الآية أو الحديث معنى صحيحا إذا سمعه العلماء وتدبروا، وجدوه حقا ولكنهم كانوا غافلين عنه حتى نبههم ذلك العبد الصالح. ثم جاء القرن الثاني فتوغل أفراد في العبادة والعزلة وكثرة الصوم والسهر وقلة الأكل لعزة الحلال في نظرهم، فجاوزوا ما كان عليه الحال في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فوقعوا في طرف من الرياضة، فظهرت على بعضهم بعض آثارها الطبيعية كالإخبار بأن فلانا الغائب قد مات أوسيقدم وقت كذا، وأن فلانا يضمر في نفسه كذا وما أشبه ذلك من الجزئيات." (١)

"واحد، وإنما تدل على الإعادة في الجملة، وإذا تدبرنا الحكمة في الإعادة أمكننا أن نفهم التفصيل تقريبا.

فمن الحكمة إظهار قدرة الله عز وجل على الحشر، وتصديق خبره بأنه واقع. وهذه الحكمة إنما تستدعي الإعادة في الجملة، وذلك يحصل بما يأتي قريبا.

ومنها أن ينال الجزاء هذه الأجزاء، وهذا غير متحتم لأن الكاسب المختار للطاعة أو المعصية، والمدرك لأثرها في الدنيا والمدرك للذة الجزاء أو ألمه في الآخرة هو الروح، وإنما البدن آلة لها، غاية الأمر أنه إذا كانت آلة الكسب هي آلة الجزاء كان ذلك أبلغ في كمال العدل فليكن من ذلك ما يمكن. وقد جاءت عدة نصوص تدل أن أبدان أهل الجنة والنار يكون بعض البدن منها أو كله من غير الأجزاء التي كانت منها في الدنيا، ففي (الصحيحين) في قصة الذين يخرجون من النار «فيخرجون قد أمتحشوا وعادوا حمما فيلقون

---

(١) القائد إلى تصحيح العقائد؟ عبد الرحمن المعلمي اليماني ص/٧٦

في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ... » وجاءت عدة أحاديث أن أهل الجنة يكونون كلهم على صورة آدم طوله ستون ذراعا، راجعها في «الباب التاسع والثلاثين» من (حادي الأرواح) . وقال تبارك وتعالى في أهل النار «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب» . النساء: ٥٦. وفي (صحيح مسلم) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع» وقال تعالى: «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون» آل عمران:١٦٩.

وفي (صحيح مسلم) من حديث أبن مسعود أنه سئل عن هذه الآية؟ فقال: أما إنا

قد سألناه عن ذلك فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأو ي إلى تلك القناديل فأطلع إليهم ربهم أطلاعة ... » أخرجه عن جماعة عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن ابن مسعود، وقد أخرجه ابن جرير في (تفسير) ج ٤ ص ١٠٦ – ١٠٧ من." (١)

"كما شاء الله تعالى إما في بدن واحد، وإما متفرقة في تلك الأبدان، (١) ثم إذا حوسب أول إنسان من أصحاب تلك الأبدان جمعت تلك الأجزاء في بدنه ثم إذا أدت الشهادة فارقته إلى بدن أول من يحاسب بعده من أصحاب تلك الأبدان وهكذا حتى تستوفي تلك الأبدان كلها التي دخلت فيها وقضت الحكمة باستشهادها على أصحابها. وقد يشير إلى هذا قوله تبارك وتعالى: «يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين» الانبياء: ١٠٤ وقوله سبحانه: «كما بدأكم تعودون» الأعراف: ٢٩.

وأما الجزء الجسماني فمن **الحكمة فيه** تنعيم الأرواح وتعذيبها بما هو من جنس ما ألفته في الدنيا بواسطة الأبدان، فإن الأرواح لطول صحبتها للأبدان واعتيادها اللذات والآلام التي تصل إليها بواسطتها تبقى بعد مفارقة الأبدان متصورة تلك اللذات والآلام، متشوقة إلى جنس تلك اللذات، نافرة عن جنس تلك الآلام، فإذا أعيدت إلى أبدان ثم نعمت بما هو من جنس اللذات التي ألفتها، كان ذلك أكمل للذتها وأتم لنعيمها من أن تنعم بلذات روحية محضة فكيف إذا جمع لها الأمران معا (٢) وإن أعيد إلى أعيدت إلى أبدان ثم عذبت بما هو من جنس الآلام التي كانت تنفر عنها كان ذلك أبلغ في إيلامها من أن تعذب بآلام روحية

---

(١) القائد إلى تصحيح العقائد؟ عبد الرحمن المعلمي اليماني ص/١٥٧

محضة فكيف إذا جمع لها الأمران (٢) .

---

(١) تكلف المؤلف القول بحشر أجزاء كل بدن في بدن واحد أو في أبدان متعددة وما يلي ذلك من أدائها شهادتها في بدن واحد أو أبدان متعددة هو النظر المتعمق فيه الذي ذمه المؤلف كثيرا وذكر ما نشأ عنه من مفاسد وشبهات أبعدت المتكلمين عن تصديق الكتاب والسنة فما كان أحراه أن يبتعد عما ذم غيره عليه وخير ما قاله سابقا أن البدن آلة الروح يحي هذا الإشكال ولا حاجة إلى التعمق، قلت أنا أن البدن مطية الشخصية الإنسانية وثيابها وما أبلغ أن يشهد على الإنسان مطيته وثيابه قديمة أو جديدة لبسها غيره قبله أو اختص هو بلبسها، الحجة قائمة في شاهد عليك منك. والله أعلم. م ع

(٢) أي فإن ذلك أكمل وأكمل، وذلك هو الواقع. المؤلف." (١)

"الخيط الأبيض من الخيط الأسود» ، مع أن خطأهم إنما كان لغفلتهم عن السياق والقرائن كما أوضحته في رسالة (أحكام الكذب) ، ومع ذلك كان خطأ أولئك الأفراد سببا لإنزال الله عز وجل بقية الآية زيادة في البيان والإيضاح، فكيف يعقل أن يكون النص في العقائد ثم تخفى القرينة على جميع الصحابة ثم لا يبين الله لهم، أو يعرفها جماعة منهم ثم لا يبالون بنقلها، ولا يبعثهم الله تعالى على نقلهم نقلا متواترا يصل إليه علماء الرواية فيشيعونه ويذيعونه؟ ! ولا ريب أنه كما كان الصحابة مخاطبين بالنصوص فكذلك من بعدهم وكما تترتب المفسدة الشديدة على جهل الأولين بالقرينة فكذلك من بعدهم، غاية الأمر أن القرينة وإن كانت في حق المخاطبين الأولين لا بد أن تقترن بالنص فقد يجوز أن يستغني بعض النقلة باشتهارها فلا ينقلها مع النص، لكن لا يلزم من هذا ألان لا تنقل، بل لا بد من النقل لما تقدم، فإذا طلبها العلماء في مظانها فلم يجدوها، وحقها أن تنقل نقلا متواترا تواترا يناله العلماء، قطعوا بأنها لم تنقل كذلك، فقطعوا بعدمها، فقطعوا بأن النص على ظاهره.

وليس الحال فيما يتعلق بالعقائد كالحال فيما يتعلق بالأحكام، فإن الأحكام يجوز فيها أن تنقل القرينة آحادا فقط لأن الخطأ في ذلك أمر هين، وقد يكون الخطأ بالنظر إلى النصوص في الأحكام صوابا بالنظر إلى الحكمة، فإن القوانين الشرعية تبنى على الأغلب في الحكمة، ولكن الله تبارك وتعالى يتولى تطبيق الحكمة بقضائه وقدره، فكما فرض الله تعالى الحكم بشهادة العدلين، وقد يتفق أن يخطئ عدلان، لكن

---

(١) القائد إلى تصحيح العقائد؟ عبد الرحمن المعلمي اليماني ص/١٦٢

الله تبارك وتعالى يتولى في مثل هذا تطبيق الحكمة بقضائه وبقدره، فكذلك قد يعرف القاضي دليلا عاما فيقضي به، وهناك مخصص له لم يقف عليه، فهذا القضاء وإن كان خطأ بالنظر إلى نفس الأمر بحسب الدلائل، فلعله صواب عند الله عز وجل بمقتضى **الحكمة في** تلك القضية، فأما العقائد فعلى خلاف هذا إذا لا يعقل تغيير **الحكمة فيها**، وكما يضر فيها القطع بالباطل فقريب منه الظن، فهب أن العالم." (١)

"وقوله: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا} ١ (١) الآية (٢)

= فإن اتركوا لعدم الفعل، واجتنبوا تقتضي ذلك وتقتضي المباعدة والمجانبة، وهذه الآية هي معنى لا إله إلا الله فإنها تضمنت النفي والإثبات، كما تضمنته لا إله إلا الله، ففي قوله: (اعبدوا الله) الإثبات، وقوله: (اجتنبوا الطاغوت) النفي. وهذه طريقة القرآن يقرن النفي بالإثبات، فينفي ما سوى الله، ويثبت عبادة الله وحده، والنفي المحض ليس بتوحيد وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمنا للنفي والإثبات، وهذا هو حقيقة التوحيد، ففيها بيان عظم شأن التوحيد، وإقامة الحجة على العباد، ومعنى لا إله إلا الله. قال المصنف: ((وفيه **الحكمة في** إرسال الرسل، وأن الرسالة عمت كل أمة، وأن دين الأنبياء واحد)) .

(١) أي أمر ووصى وأوجب على ألسن رسله أن يعبد وحده دون ما سواه، والمراد بالقضاء هنا القضاء الشرعي الديني، فإن القضاء ينقسم إلى قسمين كوني قدري، وشرعي ديني، واشتملت هذه الآيات على جملة الشرائع، وابتدئت بالتوحيد فدل على أنه أوجب الواجبات؛ إذ لا يبتدأ إلا بالأهم فالأهم، وختمت بالنهي عن الشرك، فدل على أنه أعظم المحرمات، وفيها معنى لا إله إلا الله، فإن قوله: (ألا تعبدوا) هو معنى لا إله، وقوله: (إلا إياه) هو معنى إلا الله.

(٢) أي وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحسانا، كما قضى بعبادته وحده لا شريك له كقوله: {أن اشكر لي ولوالديك} ٢، وعطف حقهما على حقه دليل على تأكد حقهما، وأنه أؤكد الحقوق بعد الله، وأكده أيضا بالمصدر المؤكد لما فرضه من حقهما؛ لأن الله جعلهما سببا لخروجك من العدم، ولم يخص نوعا من أنواع الإحسان ليعم جميع أنواعه، وتواترت السنة ببر الوالدين وتحريم عقوقهما.: {إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف} ٣ أي لا تسمعهما قولا سيئا حتى =

---

(١) القائد إلى تصحيح العقائد؟ عبد الرحمن المعلمي اليماني ص/١٨٠

١ سورة الإسراء آية: ٢٣.

٢ سورة لقمان آية: ١٤.

٣ سورة الإسراء آية: ٢٣.." (١)

"قال ابن مسعود رضي الله عنه (١) : " من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمة (٢) فليقرأ قوله تعالى: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم} ١ إلى قوله: {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه} ٢ " الآية (٣) .

= قال: "وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه "، ثم قرأ: {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون} "٣، وذكر أولا (تعقلون) ثم (تذكرون) ثم (تتقون) ؛ لأنهم إذا عقلوا تذكروا، فإذا تذكروا خافوا، وكأن المصنف قال: كتاب التوحيد الذي هو **الحكمة في** إيجاد الثقلين كما في الآية الأولى، والذي هو **الحكمة في** إرسال الرسل كما في الآية الثانية، والذي هو أوجب الواجبات كما في الآية الثالثة والرابعة والخامسة، والذي ضده هو الشرك أعظم المحرمات كما في الآية الخامسة، والذي هو حق الرب على العباد الذي افترضه عليهم، ولا يقبل منهم سواه كما يأتي في حديث معاذ بن جبل، والذي حقيقته وتفسيره عبادة الله وحده لا شريك له كما في الآية الرابعة وحديث معاذ.

(١) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن صحابي جليل، من السابقين الأولين، ومن كبار علماء الصحابة، شهد بدرا وما بعدها، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وكان صاحب نعليه، وحدث عنه كثيرا، وأمره عمر على الكوفة ومات سنة ٣٢ هـ. وأثره هذا رواه الترمذي وغيره وحسنه.

(٢) بفتح التاء وكسرها، والخاتم حلقة ذات فص من غيرها. وحقيقة الختم الاستيثاق.

(٣) أي من أراد أن ينظر إلى الوصية التي كأنها كتبت وختم عليها فلم تغير ولم تبدل، فليقرأ: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم} ٤ الآيات الثلاث؛ لأن كل آية =

---

(١) حاشية كتاب التوحيد؟ عبد الرحمن بن قاسم ص/١٤

١ سورة الأنعام آية: ١٥١.
٢ سورة الأنعام آية: ١٥٣.
٣ ابن ماجه: المقدمة (١١) ، وأحمد (٣٩٧/٣) .
٤ سورة الأنعام آية: ١٥١.." (١)
"...............................

= ومحبة- عبادة لها، وقد تقدم أن العكوف هو البقاء والإقامة على الشيء في المكان عبادة وتعظيما وتبركا، كما كان المشركون يفعلون ذلك عند أصنامهم، لما يعتقدون فيها من البركة. والأمد: الزمان، أي طال عليهم الزمان، ونسوا ما قصده الأولون، فتبين أن مبدأ الشرك هو الغلو فيهم، وأن سبب تلك العبادة ما جرى من الأولين من التعظيم بالعكوف على قبورهم، ونصب صورهم في مجالسهم، فصارت بذلك أوثانا تعبد من دون الله، وهذا أول شرك حدث في الأرض.
قال القرطبي: ((وإنما صور أوائلهم الصور ليتأسوا بها، ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم، فوسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها)) اهـ.
أي فعبدوهم وما زال الشيطان يوحي إلى عباد القبور، إلى أن دعوا الناس إلى عبادتها، واتخاذها أعيادا ومناسك، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم، ثم نقلهم إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية، وعادوا أهل التوحيد، ووالوا أهل الشرك والتنديد، وزعموا أنهم أولياء الله: {وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون} ١.
قال المصنف: وفيه أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب، وفيه معرفة أن أول شرك حدث على وجه الأرض بشبهة محبة الصالحين، ومعرفة أول شيء غير به دين الأنبياء، وقبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها، وأن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل بأمرين: الأول: محبة الصالحين. والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئا أرادوا به خيرا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا غيره. ومنها معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو ومعرفة م يؤول إليه، ومنها مضرة

---

(١) حاشية كتاب التوحيد؟ عبد الرحمن بن قاسم ص/١٨

العكوف على القبر لأجل عمل صالح، ومعرفة النهي عن التماثيل، **والحكمة في** إزالتها ومعرفة شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

قال حفيده: ((ومنها مضرة التقليد، وكيف آل بأهله إلى المروق من الإسلام)) .

---

١ سورة الأنفال آية: ٣٤.." (١)

"فلم يجب عليه فعل الأصلح ... ولا الصلاح ويح من لم يفلح (١)

---

(١) أي: فلم يجب على الله فعل الأصلح، أي: الأنفع، ولا فعل الصلاح لعباده وهذا قول المرجئة الجهمية، والذي عليه أهل السنة والجماعة: أنه سبحانه إنما يأمر عباده بما فيه صلاحهم، وينهاهم عما فيه فسادهم، وأن فعل المأمور مصلحة عامة لمن فعله، وترك المنهي عنه مصلحة لمن تركه، ونفس الأمر وإرسال الرسل مصلحة عامة، وإن تضمن شرا للبعض.

ويثبتون **الحكمة في** أفعال الله، وأنه يفعل لنفع عباده ومصالحهم،

فقد أمر الخلق على ألسن رسله بما ينفعهم، ونهاهم عما يضرهم،

ولكن منهم من أراد أن يخلق فعله، فأراد هو سبحانه أن

يخلق ذلك الفعل، ويجعله فاعلا له: ومنهم من لم يرد أن

يخلق فعله، فجهة خلقه سبحانه لأفعال العباد وغيرها غير أمره للعبد على وجه بيان ظاهر مصلحة للعبد أو مفسدة، فإذا أمر العبد بالإيمان، كان قد بين له ما ينفعه ويصلحه إذا فعله، ولا يلزمه تعالى إذا أمره أن يعينه، بل قد يكون في خلقه ذلك الفعل وإعانته عليه نوع مفسدة من حيث هو فعل له، فإنه يخلق سبحانه ما يخلق لحكمة. ولا يلزم إذا كان الفعل المأمور به مصلحة للمأمور إذا فعل أن يكون مصلحة للآمر إذا فعله هو، أو جعل المأمور فاعلا له، بل قد تكون الحكمة تقتضي أن لا يعينه على ذلك فإن الحكمة تتضمن ما في خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة وما من ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا معنى من المعاني، إلا وهو شاهد لله بتمام العدل والرحمة، وكمال الحكمة.

وما خلق سبحانه الخلق باطلا، ولا فعل شيئا عبثا، بل هو الحكيم في أقواله وأفعاله، يفعل ويخلق ما يشاء

---

(١) حاشية كتاب التوحيد؟ عبد الرحمن بن قاسم ص/١٥٠

لحكمة باهرة، وقد وقع الإجماع عند أهل السنة والجماعة على اشتمال أفعال الله على الحكم والمصالح، كما تقدم.." (١)

"سميعا بصيرا عليما حكيما موصوفا بكل كمال منزها عن كل نقص غنيا عما سواه، مفتقرا إليه كل ما عداه، فاعلا مختارا لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، ولا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، ولا تخفى عليه خافية. والثاني: أنه لابد من الإيمان بأنه سبحانه شرع الشرائع وأمر العباد ونهاهم، ليطيعوا أمره ويجتنبوا نهيه فقد خلقهم ليعبدوه ولا يشركوا به شيئا، قال تعالى: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه} فحيث كان متفردا بالخلق والبدء والإعادة ولا يشركه في ذلك أحد، فهو الذي يستحق أن يفرد بالعبادة دون سواه كما قال تعالى: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون} وهذه هي **الحكمة من** خلق الجن والإنس كما قال تعالى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} وبذلك أنزل كتبه المقدسة وأرسل رسله عليهم الصلاة والسلام كما قال جل وعلا: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} والشاهد من آية الحج كونه سبحانه يعلم كل شيء في السماء والأرض وأن ذلك مكتوب عنده في كتاب. والشاهد من الحديث كونه تعالى قدر مقادير الخلق قبل خلقه لسمواته وأرضه، بهذه المدة المذكورة، وهذا الحديث رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء" ومثله رواه البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا بني تميم اقبلوا البشرى، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، فأقبل على أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم فقالوا قد قبلنا يا رسول الله، قالوا جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر فقال: "كان الله ولم يكن شيء قبله وفى لفظ معه وفي لفظ غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض " قال ثم جاءني رجل فقال: أدرك ناقتك فذهبت فإذا السراب ينقطع دونها فوالله لوددت أني تركتها ولم أقم"، وقوله: "اسمه كتب في الذكر" يعني اللوح." (٢)

"ذكر في كتابه (الملل والنحل) أنه جاء في التوراة وفي شرح الأناجيل: "أن إبليس لعنه الله اعترض على ربه باعتراضات منها قوله: إني سلمت أن الباري تعالى إلهي وإله الخلق عالم قادر ولا يسأل عن قدرته

---

(١) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية؟ عبد الرحمن بن قاسم ص/٥٦

(٢) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية؟ فالح بن مهدي آل مهدي ٢/٤٨

ومشيئته فإنه مهما أراد شيئا قال له كن فيكون وهو حكيم ولكن لقد علم قبل خلقي أي شيء يصدر عني ويحصل مني فلم خلقني أولا وما **الحكمة في** خلقه إياي، وقال: إذ خلقني على مقتضى إرادته ومشيئة فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما **الحكمة في** التكليف بعد أن لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية"، قال شارح الإنجيل: "فأوحى الله تعالى إلى الملائكة عليهم السلام أن قولوا له إنك في تسليمك الأول أني إلهك وإله الخلق غير صادق ولا مخلص إذ لو صدقت أني إله العالمين ما احتكمت علي ب (لم) ، فأنا الله الذي لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل والخلق مسؤولون"، قال الشيخ: "وهوسبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه وله فيما خلقه حكمة بالغة ونعمة سابغة ورحمة عامة وخاصة وهو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون لا لمجرد قدرته وقهره بل لكمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته فإنه سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين" والخوض: هو اعتقاد الباطل والتكلم به في آيات الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.." (١)

"عليك عظيما ووصف بعض خلقه بصفة الفعل التي هي التعليم أيضا قال هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة [الجمعة ٢] وجمع المثالين في قوله تعلمونهن مما علمكم الله [المائدة ٤] ووصف نفسه جل وعلا بأنه ينبيء ووصف المخلوق بأنه ينبيء وجمع بين الفعل في الأمرين في قوله جل وعلا وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير [التحريم ٣] ولا شك أن ما وصف الله به من هذا الفعل مخالف لما وصف به منه العبد كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق ووصف نفسه بصفة الفعل الذي هو الإيتاء قال جل وعلا يؤتي **الحكمة من** يشاء [البقرة ٢٦٩] ويؤت كل ذي فضل فضله [هود ٣] ووصف المخلوقين بالفعل الذي هو الإيتاء قال وآتيتم إحداهن قنطارا [النساء ٢٠] وآتوا النساء صدقاتهن نحلة [النساء ٤] ولا شك أن ما وصف الله به من هذا الفعل مخالف لما وصف له العبد من هذا الفعل كمخالفة ذاته لذاته." (٢)

"المتين} {وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين} . ووصف بعض المخلوقين بصفة الرزق قال: {وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه} ، {ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها} ، {وعلى المولود له رزقهن} . ولا شك أن ما وصف الله به من

---

(١) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية؟ فالح بن مهدي آل مهدي ١٠١/٢

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات؟ الشنقيطي، محمد الأمين ص/٢٢

هذا الفعل مخالف لما وصف به منه المخلوق كمخالفة ذات الله لذات المخلوق. ووصف نفسه جل وعلا بصفة الفعل الذي هو العمل قال: {أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون} . وصف المخلوقين بصفة الفعل التي هي العمل قال: {إنما تجزون ما كنتم تعملون} . ولا شك أن ما وصف الله به المخلوق مخالف له كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق.

وصف نفسه بأنه يعلم خلقه: {الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان} ، {اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم} ، {وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما} . ووصف بعض خلقه بصفة الفعل التي هي التعليم أيضا قال: {هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب} وجمع المثالين في قوله: {تعلمونهن مما علمكم الله} .

ووصف نفسه جل وعلا بأنه ينبيء ووصف المخلوق بأنه ينبيء. وجمع بين الفعل في الأمرين في قوله جل وعلا: {وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير} .

ولا شك أن ما وصف الله به نفسه من هذا الفعل مخالف لما وصف به منه العبد كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق ووصف نفسه بصفة الفعل الذي هو الإيتاء قال: {يؤتي الحكمة من يشاء} {ويؤت كل ذي فضل فضله} . ووصف المخلوقين بالفعل الذي هو الإيتاء قال: {وآتيتم إحداهن قنطارا} ، {وآتوا النساء صدقاتهن نحلة} .

ولا شك أن ما وصف الله به من هذا الفعل مخالف لما وصف به العبد." (١)

"والقدم لله عز وجل، وهذه الصفة تجرى مجرى بقية الصفات، فتثبت لله على الوجه اللائق بعظمته سبحانه.

والحكمة من وضع رجله سبحانه في النار أنه قد وعد أن يملأها؛ كما في قوله تعالى: {لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين} .

ولما كان مقتضى رحمته وعدله أن لا يعذب أحدا بغير ذنب، وكانت النار في غاية العمق والسعة؛ حقق وعده تعالى، فوضع فيها قدمه، فحينئذ يتلاقى طرفاها، ولا يبقى فيها فضل عن أهلها.

وأما الجنة؛ فإنه يبقى فيها فضل عن أهلها مع كثرة ما أعطاهم وأوسع لهم، فينشئ الله لها خلقا آخرين؛

---

(١) الأسماء والصفات نقلا وعقلا؟ الشنقيطي، محمد الأمين ص/١٥

كما ثبت بذلك الحديث (١) .

.[(وقوله: "يقول تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار)) . متفق عليه (٢) . وقوله: ((ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه وليس بينه وبينه].

---

(١) يشير إلى ما رواه الشيخان:
((لا تزال جهنم يلقى فيها ...)) ، وقد تقدم تخريجه.
وتتمة الحديث:
((... ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشئ الله لها خلقا، فيسكنهم فضل الجنة)) .
(٢) تتمة الحديث:
((... قال: يا رب! وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعون، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، {وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد})) .
فشق ذلك عى الناس حتى تغيرت وجوههم، قالوا: يا رسول الله! أينا ذلك الرجل؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((من يأجوج ومأجوج تسع مئة وتسعة وتسعون، ومنكم واحد)) .
وللحديث روايات أخرى.
رواه البخاري في ((الأنبياء)) ، (باب: قصة يأجوج ومأجوج)) (٣٨٢/٦-فتح) ، وفي الرقاق والتوحيد، ومسلم في الإيمان، (باب: قوله: ((يقول الله لآدم: أخرج بعث النار))) (٩٧/٣-نووي) .." [١]

"وإنكار القدر، وزعموا أنه لا يمكن الجمع بين ما هو ثابت بالضرورة من اختيار العبد في فعله ومسؤوليته عنه، وبين ما دلت عليه النصوص من عموم خلقه تعالى ومشيئته؛ لأن ذلك العموم في زعمهم إبطال لمسؤولية العبد عن فعله، وهدم للتكاليف، فرجحوا جانب الأمر والنهي، وخصصوا النصوص الدالة على عموم الخلق والمشيئة بما عدا أفعال العباد، وأثبتوا أن العبد خالق لفعله بقدرته وإرادته، فأثبتوا خالقين غير الله، ولهذا سموا مجوس هذه الأمة؛ لأن المجوس يزعمون أن الشيطان يخلق الشر والأشياء المؤذية، فجعلوه خالقا مع الله، فكذلك هؤلاء جعلوا العباد خالقين مع الله.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للهراس؟ محمد خليل هراس ص/١٧٢

والطائفة الثانية: يقال لها: الجبرية، وهؤلاء غلوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له، ولا اختيار، ولا فعل؛ كالريشة في مهب الرياح، وإنما تسند الأفعال إليه مجازا، فيقال: صلى، وصام، وقتل، وسرق؛ كما يقال: طلعت الشمس، وجرت الريح، ونزل المطر، فاتهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتهموه بالعبث في تكليف العباد، وأبطلوا **الحكمة من** الأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون.." (١)

"الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى} (١) ، والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح؛ كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح، فيكون الإسراء بهذا المجموع، ولا يمتنع ذلك عقلا، ولو جاز استبعاد صعود البشر؛ لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة، وهو كفر.

فإن قيل: فما **الحكمة في** الإسراء إلى بيت المقدس أولا؟

فالجواب ـ والله أعلم ـ: أن ذلك كان إظهارا لصدق دعوى الرسول – صلى الله عليه وسلم – المعراج حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس، فنعته لهم، وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة؛ لما حصل ذلك؛ إذ لا يمكن إطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس، فأخبرهم بنعته.

وفي حديث المعراج دليل على ثبوت صفة العلو لله تعالى من وجوه لمن تدبره، وبالله التوفيق. اهـ

– – – – – –

---

(١) الإسراء: (١) .." (٢)

"الطريق إلى الله هو العلم

يجب على المؤمن أن يسعى في طلب العلم لأنه الطريق الوحيد إلى معرفة الله قال تعالى: {إنما يخشى الله من عباده العلماء} كلما تعمق الإنسان في الجانب العلمي تكن خشيه الله سبحانه وتعالى لأنه يرى من نواميس الكون. ومن الإتقان في الصنع، وعن **الحكمة في** التدبير ما يجعله يخر ساجدا لله، فالذين

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للهراس؟ محمد خليل هراس ص/٢٣٠

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس؟ محمد خليل هراس ص/٢٩١

يتخصصون في علم التشريح يرون فيه من أحكام المحكم، ومن الدقة الدقيقة في مختلف الأجهزة الجسدية وفي مفردات هذه الأجهزة ما يضطرهم إضطرارا إلى السجود لرب هذا التنسيق والترتيب والإبداع.

وليس علم التشريح وحده هو الذي يبهر العالم المتبحر فيه، وإنما يبهر علم الفلك العالم الفلكي، ويبهر علم الأحياء عالم الأحياء، وهكذا نجد إنبهار النفس في كل ميدان من ميادين المعرفة الكونية أرضها وسمائها وما بين الأرض والسماء ...

إن العلم النافع هو أهم مطلب في الحياة، وأجل مقصد في هذا الوجود، فالعلماء هم الذين يضيئون مسالك الحياة، ويسيرون بالناس قدما إلى السمو والكمال.

طلب العلم في الإسلام ليس نافلة، ولا أمرا كماليا وإنما هو فرض وضروري.

العلم الصحيح هو دليل اليقين الثابت، ووسيلة الخلق الفاضل، وكلما ازداد الإنسان علما إزداد اعتقادا بالله واستقامة في الأقوال والأفعال، ومعرفة في الحلال والحرام، ويصبح قادرا على قيادة نفسه وضبطها وتهذيبها، وبعيدا عن التأثر بمن يدور حوله من الشهوات والمغريات ...

إلاما ينتهي العلماء الصادقون؟ يقول الله تعالى: {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم} إنهم يصلون عن طريق العلم الذي يثير الخشية إلى." (١)

"وهنا يبدو وجه الحكمة في إطلاق وقائع الدعوة من ظروف الزمان والمكان في هذا الصراع بين الحق والباطل حيث تظل هذه الوقائع ملء الأزمنة، وملء الأمكنة وبهذا لن تكون غريبة في أي زمان ومكان، إنها للناس جميعا، ولأجيال الناس جميعا، فحيث كان صراع بين حق وباطل كانت وقائع القصص القرآني دستورا محكما يحتكم ويتأسى به.

ونلاحظ أيضا مع إطلاق وقائع الدعوات السماوية من قيود الزمن والمكان، فإن الترتيب الزمني بين هذه الدعوات قد نال شيئا من اهتمام القرآن به، فهناك أكثر من وجه يمكن أن يستدل منه على مكان كل دعوة من سابقتها أو لاحقتها في الزمن. ومن هذا دعوة هود عليه السلام يجيء على لسانه، وهو يخاطب قومه: {واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح} (سورة الأعراف). كما يجيء على لسان صالح عليه السلام مخاطبا قومه: {واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد} (سورة هود). وكذلك يذكر القرآن مدين في قوله تعالى: {ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود} فيفهم من هذا أن دعوة شعيب كانت بعد دعوة صالح لأن

---

(١) كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد؟ عمر العرباوي ص/١٤٦

صالحا كان رسولا إلى ثمود، وأن شعيبا كان رسول مدين وإني اتبع هذا الترتيب في المنهج الذي وضعته السماء لدعوة الحق، وفتح عقول الناس وقلوبهم لها ...

كانت دعوة الأنبياء تدعو إلى الله مباشرة دون أن تلفت العقول إلى الاستدلال عليه من النظر في ملكوت السماوات والأرض، وتكاد الدعوة تكون دائرة بين كلمتين: (أعبدوا الله) من غير أن يدعي العقل إلى البحث عن الله، والإستدلال بالنظر في ظاهر الوجود.

ولهذا كانت دعوة الرسل تحتاج إلى قوة قاهرة، قوة لا تخاطب العقل: وإنما تجابه الحس، فتبهر الأبصار وتصم الأذان، وترعد الفرائص، إنها المهلكات التي يخوف بها الرسل أقوامهم إن هم أبوا الاستجابة لدعوة الرسل والايمان بالله ..

ونذكر بعض الدعوات السماوية التي كانت قبل الإسلام.." (١)

"قال صاحب فتح البيان في تفسير سورة الفتح: ((وفي الصحيح عن ابن عمر أن الشجرة أخفيت، **والحكمة في** ذلك أن لا يحصل الافتتان بها لما وقع تحتها من الخير فلو بقيت لما أمن تعظيم الجهال لها حتى ربما اعتقدوا أن لها قوة نفع أو ضر كما نشهده الآن فيم دونها، ولذلك أشار ابن عمر بقوله كان خفاؤها رحمة من الله، كذا في فتح الباري)) ، ثم ذكر صاحب فتح البيان الحديث المتقدم عن نافع في قطع الشجرة وقال: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه.

أحاديث النهي عن البناء على القبور والعبادة عدها سدا للذريعة الموصلة إلى الشرك

١- في الصحيحين عن عائشة عن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتاها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال: ((أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله)) .

قال شيخ الإسلام: ((فهؤلاء جمعوا بين فتنتين، فتنة القبور وفتنة التماثيل، وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ المساجد على القبور، وهي التي أوقعت كثيرا من الأمم إما في الشرك الأكبر أو في ما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت." (٢)

---

(١) كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد؟ عمر العرباوي ص/١٦٤

(٢) الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق؟ محمد تقي الدين الهلالي ص/٢٦

"مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون} "٥" الآيات.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمة فليقرأ قوله تعالى: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا} – إلى قوله – {وأن هذا صراطي مستقيما..} "٦" الآية.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ " فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا" فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا" أخرجاه في الصحيحين.

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس.." (١)

"الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قول: {ولا أنتم عابدون ما أعبد}

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت؛ ففيه معنى قوله: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى} "٨" الآية.

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف. وفيها عشر مسائل، أولها النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله: {لا تجعل مع

---

(١) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد؟ عبد الله الدويش ص/٢٦

الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا} وختمها بقوله: {ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا} ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: {ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة} الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا} الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حق الله تعالى علينا.." (١)

"الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسؤول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم.

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية والعشرون: تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل.

الرابعة والعشرون: عظم شأن هذه المسألة.

فيه مسائل:

الأولى "**الحكمة في** خلق الجن والإنس" أي أن الله خلقهم لعبادته.

الثانية "أن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه" أي أن العبادة التي خلقوا لها هي توحيد الألوهية لأن كل رسول يقول لقومه اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فيردون عليه وأما توحيد الربوبية فغالب الأمم مقرة به.

الثالثة "أن من لم يأت به لم يعبد الله. ففيه معنى قوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} " أي أن من لم يفرد الله بالعبادة لم يعبده حقيقة وإن عبده في بعض الأحيان." (٢)

---

(١) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد؟ عبد الله الدويش ص/٢٧

(٢) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد؟ عبد الله الدويش ص/٢٨

"لكنه لما لم يثبت على ذلك نفى الله عنه لأنه لا يوصف بعبادة الله وحده ولا أنه عابد له حقيقة إلا من استمر على عبادته وحده وتبتل إليه تبتيلا كما أشار إلى ذلك العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد لما تكلم على أسرار سورة قل يا أيها الكافرون.

الرابعة "الحكمة في إرسال الرسل" أي ليأمروا أممهم بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت.

الخامسة "أن الرسالة عمت كل أمة" أي لما أخبر الله أنه بعث في كل أمة رسولا أفاد ذلك أن الرسالة عمت جميع الأمم وقامت الحجة على الخلق كما قال تعالى: {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} .

السادسة "أن دين الأنبياء واحد" أي لما أخبر الله أن كل رسول يقول لقومه {اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} أفاد ذلك أن دينهم واحد أما الشرائع فمختلفة كما قال تعالى: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا} .

السابعة "المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى} " أي لما أخبر الله أنه أرسل الرسل يدعون أممهم قائلين: {اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} دل

ذلك على أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت فمن لم يكفر بالطاغوت فليس عابدا لله حقيقة ولذلك جعله شرطا للاستمساك بالعروة الوثقى.

الثامنة "أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله" أي لما أمر الله بإفراده بالعبادة وحده واجتناب الطاغوت أفاد هذا أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله بمعنى أن العبادة لا تصلح له لا بمعنى الذم لكل من عبد من دون الله فإن منهم من لم يرض بذلك وأما الذم فمتوجه إلى من رضي، ومن لم يرض فالذم في حقه متوجه إلى الشيطان لكونه الآمر بذلك الداعي كما قال تعالى: {ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان} الآية.." (١)

"فيه مسائل:

الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده، تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين.

---

(١) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد؟ عبد الله الدويش ص/٢٩

الثالثة: أول شيء غير به دين الأنبياء، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل، فالأول: محبة الصالحين، والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئا أرادوا به خيرا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة: النهي عن التماثيل، **والحكمة في** إزالتها.." (١)

"والباطل سببا لعبادة من أتى بعدهم لهم من دون الله لكونهم ظنوا أنهم ما صوروا صورهم إلا ليعبدوهم ولو أن الأولين فهموا أن المحبة تحصل بدون تصوير صورهم والغلو فيهم لما حصل ذلك ولكنهم التبس عليهم الأمر وهذا من مكائد الشيطان التي كاد بها بني آدم قديما وحديثا ولم يسلم منها إلا القليل.

السادسة "تفسير الآية التي في سورة نوح" أي قوله تعالى: {وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا} الآية.

السابعة "جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد" أي أن هؤلاء نقص في قلوبهم الحق فلم يكتفوا بمحبة الصالحين والاقتداء بهم بل زادوا عليه الباطل وهو أن نصبوا إلى مجالسهم أنصابا وعكفوا على قبورهم وهذا من جبلة الآدمي إنه كان ظلوما جهولا.

الثامنة "فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر" أي أن الكفر الذي حصل في الأرض بسبب ما ابتدعه هؤلاء من تصوير صورهم والغلو فيهم.

التاسعة "معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل" أي لما عرف الشيطان أن ما تؤول إليه البدعة هو الكفر حسنها لهم ولم ينظر إلى حسن مقصدهم فيفسده عليهم بل زادهم رغبة فيه حتى

---

(١) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد؟ عبد الله الدويش ص/١١٢

يحصل ما يريد من الكفر.
العاشرة "معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه" أي القاعدة الجامعة تقتضي النهي عن الغلو مطلقا لأنه يؤول إلى الكفر.
الحادية عشرة "مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح" أي لأنه صار سببا لعبادة هؤلاء من دون الله.
الثانية عشرة "معرفة النهي عن التماثيل **والحكمة في** إزالتها" أي معرفة النهي عن الصور **والحكمة في** إزالتها لأن بقاءها سبب لعبادتها من دون الله ولو بعد حين.." (١)

"باب ما جاء في التنجيم واقوال السلف في ذلك

...

باب ما جاء في التنجيم
قال البخاري في "صحيحه": قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك اخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. أ. هـ.
وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.
وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر" رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.
فيه مسائل:
الأولى: **الحكمة في** خلق النجوم.
الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.
الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.
الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل.." (٢)

"فيه مسائل:
الأولى "**الحكمة في** خلق النجوم" أي زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها.

---

(١) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد؟ عبد الله الدويش ص/١١٥

(٢) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد؟ عبد الله الدويش ص/١٥٤

الثانية "الرد على من زعم غير ذلك" أي أنه أخطأ وأضاع نصيبه وكلف ما لا علم له به لأنه ادعى شيئا لم يدل عليه الدليل بل قد نفاه.

الثالثة "ذكر الخلاف في تعلم المنازل" أي بعضهم منع منه وبعضهم رخص فيه. قال ابن رجب: "الممنوع منه علم التأثير والمأذون فيه علم التفسير" كما بسطه في الشرح.

الرابعة "الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل" أي لقوله: "ومصدق بالسحر" وهذا هو الشاهد من الحديث لأن علم النجوم نوع من السحر كما تقدم.." (١)

"«طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى» ؛ قال: "أي: أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، فكل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر يشاهدهم الناس، وأمثالهم مألوفة، فأما خروج الدابة على شكل غير مألوف، ومخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان والكفر؛ فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية؛ كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية".

وقال ابن كثير أيضا في موضع آخر من "النهاية": "وقد ذكرنا أن المراد بالآيات هاهنا التي ليست مألوفة، وهي مخالفة للعادة المستقرة؛ فالدابة التي تكلم الناس وتعين المؤمن من الكافر وطلوع الشمس من مغربها أمر باهر جدا؛ فهذه أول الآيات الأرضية، وهذه أول الآيات السماوية، وقد ظن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن طلوع الشمس من مغربها متقدم على الدابة، وذلك محتمل ومناسب".

قلت: وقد جاء ذلك صريحا في حديث أبي أمامة رضي الله عنه الذي تقدم ذكره في هذا الباب، ولكنه حديث ضعيف؛ فلا يعتمد عليه.

قال ابن كثير: "وقد حكى البيهقي عن الحاكم: أنه قال: أول الآيات ظهورا خروج الدجال، ثم نزول عيسى ابن مريم، ثم فتح يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها".

ونقل الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" عن الحاكم: أنه قال: "الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة، ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه".

قال الحافظ: "**والحكمة في** ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق." (٢)

---

(١) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد؟ عبد الله الدويش ص/١٥٥

(٢) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة؟ التويجري، حمود بن عبد الله ٣٢٠/٢

"المبحث الخامس

٥ - تنوع المعجزة مع بيان الحكمة في ذلك

آيات الأنبياء التي أيد الله بها رسله قد اختلفت أنواعها، وتباينت مظاهرها وأشكالها إلا أنها تجتمع في أن كلا منها قد عجز البشر عن أن يأتوا بمثله منفردين أو مجتمعين، فكانت بذلك شاهد صدق على الرسالة وحجة قاطعة تخرس الألسنة وينقطع عندها الخصوم، ويجب لها التسليم والقبول.

ويغلب أن تكون معجزة كل رسول مناسبة لما انتشر في عصره وبرز فيه قومه، وعرفوا بالمهارة فيه؛ ليكون ذلك أدعى إلى فهمها، وأعظم في دلالتها على المطلوب، وأمكن في الإلزام بمقتضاها.

ففي عهد موسى انتشر السحر، ومهر فيه قومه حتى أثروا به على النفوس، وسحروا أعين الناظرين، وأوجس في نفسه خيفة منه من شهده وإن كان عالي الهمة قوي العزيمة، فكان ما آتاه الله نبيه موسى فوق ما تبلغه القوى والقدرة، وما يدرك بالأسباب والوسائل، وقد أوضح الله ذلك في كثير من الآيات، قال تعالى: {وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها ياموسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى} ، ولهذا بهت السحرة وبطل ما جاءوا به من التمويه والتخييل وامتاز الحق من الباطل، قال تعالى في بيان ذلك في المباراة التي كانت بين موسى عليه السلام والسحرة {فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون} .." (١)

"الراشد، ويصلح فاسدهم ويأخذ بيده لانتشاله من وهدة الرذيلة ويهديه إلى التي هي أقوم.

ويوم الجمعة هو أفضل أيام الأسبوع كما جاء في الحديث عن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «سيد الأيام يوم الجمعة وأعظمها عند الله تعالى من يوم الفطر ويوم الأضحى وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا آتاه إياه، ما لم يسأل حراما» - أي أن الله يستجيب للعبد في هذه الساعة كل ما يدعو به شريطة أن لا يدعو الله بشيء محرم يأثم به، مثل أن يسأل الله أن يمكنه من عمل المعاصي، وقيل: إن هذه الساعة التي يستجيب الله فيها الدعاء هي آخر ساعة من يوم الجمعة، وقيل غير ذلك.

والحكمة في إخفائها ليعنى المسلمون بكل أوقاتها، بحيث لا يضيعون فرصة في يوم الجمعة عن الاشتغال بالعبادة والدعاء والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ففي الصلاة على النبي - صلى الله عليه

---

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - قسم العقيدة؟ عبد الرزاق عفيفي ص/١٨٥

وسلم – في هذا اليوم مزية خاصة، لقوله - صلى الله عليه وسلم –: «أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة» . وهو – صلى الله عليه وسلم – سيد الأنام، ويوم الجمعة سيد الأيام، فللصلاة." [١]

"ففطركم من صومكم، وأما يوم الأضحى فكلوا من نسككم» . رواه الإمام أحمد.

الأيام المنهي عن صيامها: نهى الشارع عن صيام أيام عينها، وأوضح السبب والحكمة في النهي عن صيامها وهي:

١ – أيام التشريق، وهي الأيام الثلاثة التي تلي يوم عيد النحر لما روى أبو هريرة «أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعث عبد الله بن حذافة يطوف في منى: ألا تصوموا هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب وذكر الله» .

٢ – إفراد يوم الجمعة بالصوم لأنه عيد الأسبوع، والنهي عن صيامه للكراهة لا للتحريم. ففي الصحيحين من حديث جابر – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا تصوموا يوم الجمعة إلا وقبله يوم أو بعده يوم» .

٣ – النهي عن صوم يوم السبت لأن اليهود يعظمونه.

٤ – النهي عن صوم يوم الشك لقول عمار بن ياسر – رضي الله عنه –: «من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم – صلى الله عليه وسلم» –) . ويوم الشك هو اليوم الذي." [٢]

"الأنبياء ما يدل على ذلك مع بيان وجه الدلالة، وبين الدواعي التي حملتهم على رد دعوة الرسل مع الحكمة في أن الله اختار رسله إلى الناس من البشر، اذكر ما يرشدك إلى ذلك من القرآن؟

س٣ – ذكر في مطلع سورة يوسف، وفي أثنائها، وختامها ما يدل على أن قصة يوسف سيقت لتكون معجزة لمحمد، صلى الله عليه وسلم، فأشر إلى الآيات التي أرشدت إلى ذلك الغرض. وبين كيف كانت قصة يوسف بجملتها آيات لمحمد، صلى الله عليه وسلم، وكيف كانت دليلا– أيضا– على أن الله يعد أنبياءه قبل النبوة بالعلم، والأخلاق الفاضلة لتحمل أعباء الرسالة؟

س١ – (أ) – أذكر الفرق أولا: بين الواجب لذاته، والواجب لغيره.

وثانيا: بين المستحيل لذاته والمستحيل لغيره مع توضيح كل منها بالمثال؟

---

(١) ما يجب أن يعرفه المسلم عن دينه؟ عبد الله الخياط ص/٤٦

(٢) ما يجب أن يعرفه المسلم عن دينه؟ عبد الله الخياط ص/٨٢

(ب) – اذكر الدليل العقلي على إثبات توحيد الربوبية، واذكر الآيات التي استخلص منها علماء المسلمين هذا الدليل العقلي مع بيان وجه دلالتها على المطلوب؟ ولماذا أنبه." (١)

"بالمعنى الذي يعلمه ويريده، لا بالمعنى المتبادر من هذه الألفاظ.

٢- وبدليل أنهم لم يصل عنهم أنهم عينوا معاني هذه الألفاظ، ولو عينوها لنقل إلينا.

٣- وأخيرا لأنهم أوجبوا الوقوف على قوله تعالى: {إلا الله} ١اهـ.

هذا كلام غير محرر وصاحبه بحاجة ليعيد النظر في مذهب السلف ليفهمه جيدا.

فبناء على هذا التصور الخاطئ يردد بعض السذج العبارة التقليدية الموروثة: "طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم"٢، ولست أدري من أول من قال هذه العبارة؟ وما الدافع إليها وما القصد منها؟! وهي عبارة غير محررة علميا، لأنه ليس بمعقول علميا ولا بمستساغ عقلا أن تتوافر السلامة بكثرة في الجانب الذي يكون فيه العلم ناقصا، ومقدار الجهل مرتفعا، أخذا من مفهوم العبارة بينما يتوافر العلم **والحكمة في** الجانب الذي ليست السلامة فيه بالمستوى المطلوب، بل دون ذلك فليعد النظر في العبارة أصحابها لعل الله يفتح عليهم ويلهمهم الرشد من جديد.

وإنما الوضع السليم أن تتوافر السلامة حيث يوجد العلم والحكمة، لأن السلامة أثر من آثار العلم والحكمة، فحيث لا يوجد العلم لا توجد

---

١ لا نعلم أحدا من أهل العلم أوجب الوقوف على قوله تعالى: {وما يعلم تأويله إلا الله} كما يفهم من كلام الدكتور عوض الله حجازي، بل المعروف عند أهل العلم أن الوقفين جائزان.

٢ وذكرت هذه العبارة في الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، فيرى بعض المعاصرين السلفيين أنها مدسوسة في بعض نسخ الكتاب بدليل عدم وجودها في بعض النسخ منه، كالنسخة التي نقلها ابن عبد الهادي في ترجمة ابن تيمية (العقود الدرية) فلتبحث، وإن كان شيخ الإسلام إنما ذكرها ليناقشها فيردها لا ليثبتها.." (٢)

---

(١) مذكرة التوحيد؟ عبد الرزاق عفيفي ص/١٤٧

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه؟ محمد أمان الجامي ص/٣٦٩

"الحكمة في تعدد الحروف والقراءات:

وراء اختلاف الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، ووعتها قراءاته المتنوعة فوائد كثيرة، وحكم بالغة.

أولها: تيسير القراءة على الفراء.

يقول مكي بن أبي طالب في شرح هذا الجانب: وكانت لغات من أنز عليهم القرآن مختلفة ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده إلى لغة أخرى إلا بعد تكلف ومئونة شديدة، فيسر الله عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات١ في القرآن بمعان متفقة ومختلفة ليقرأ كل قوة على لغتهم على ما يسهل عليهم من لغة غيرهم، وعلى ما جرت به عادتهم، فقوم جرت عادتهم بالهمز وقوم بالتخفيف، وقوم بالفتح، وقوة بالإمالة، وكذلك الإعراب واختلافه في لغتهم٢.

فاختلاف الأحرف -إذن- بهذه الصورة يسر على القارئين أسباب القراءة برغم اختلاف لغاتهم.

ثانيها: فيها برهان عظيم على سمو بلاغة القرآن، ومنزلته في الإيجاز؛ إذا يترتب على ذلك سعة الوعاء المعنوي للآية، فتحمل معاني عدة متآخية، كما تدعم أحكاما متعددة تفهم من الآية.

ثالثها: سهولة الحفظ، وتيسير النقل؛ لأن حفظ كلمة ذات وجوه في الأداء أيسر من حفظ جمل من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات.

رابعها: في تعدد القراءات آية بالغة وبرهان قاطع على صدق

---

١ هذا هو تفسير مكي للحروف السبعة، وإن كان كلامه في تيسير القراءات يوحي بما أشرنا إليه من صلاحية كل الآراء في تفسير الحديث ما عدا الرأي القائل بأنها القراءات السبع.." (١)

"والتحريف لأبي أحمد العسكري" فهل يتصور أن يحدث هذا في القرآن ويسكت عنه هؤلاء الغير من العلماء؟.

وهنا ملاحظة جديرة بالاعتبار هي أن المصاحف التي نسخت في عهد عثمان على يد هذه المجموعة الطيبة من الصحابة القراء عندما وزعت على الأمصار الإسلامية كان يرسل مع كل مصحف عالما من علماء القراءة يعلم المسلمين القرآن وفق هذا المصحف، وعلى مقتضاه، فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدينة، وبعث عبد الله بن السائب إلى مكة، والمغيرة بن شهاب إلى الشام، وعامر بن عبد قيس إلى البصرة، وأبا

---

(١) مدخل في علوم القراءات؟ السيد رزق الطويل ص/١٤٦

عبد الرحمن السلمي إلى الكوفة، ولا شك أن الحكمة من إرسال القارئ مع المصحف تقييد ما يحتمله الرسم من القراءات بالمنقول منها تواترا، فلو كانت القراءات مأخوذة من رسم المصحف، وأن أي قراءة توافق الرسم مقبولة ما كان هناك ما يدعو لإرسال عالم مع المصحف، فهذا دليل على أن القراءة تعتمد على التلقي والنقل والرواية، لا على الخط والرسم والكتابة١.

١ القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، الشيخ عبد الفتاح القاضي ص٤٨، ٤٩ وراجع تفسير القرطبي، الجامع لأحكم القرآن ج١ ص٦٠.." (١)

"قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله» وفي لفظ: «فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» وفي رواية للبخاري: «فادعهم إلى أن يوحدوا الله» وفي صحيح مسلم عن طارق بن أشيم الأشجعي رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل» والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

[التوحيد هو أصل دين الإسلام وهو أساس الملة]

وهذا التوحيد هو أصل دين الإسلام وهو أساس الملة وهو رأس الأمر وهو أهم الفرائض وهو الحكمة في خلق الثقلين والحكمة في إرسال الرسل جميعا عليهم الصلاة والسلام كما تقدمت الآيات الدالة على ذلك، ومنها قوله سبحانه: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦] (١) ومن الأدلة على ذلك أيضا قوله عز وجل: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل: ٣٦]

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.." (٢)

"وقال عز وجل: {من يطع الرسول فقد أطاع الله} [النساء: ٨٠] الآية.

وقال سبحانه: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل: ٣٦] الآية، وقال سبحانه: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} [الأنبياء: ٢٥] وقال

(١) مدخل في علوم القراءات؟ السيد رزق الطويل ص/٢٧١

(٢) إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين؟ ابن باز ص/٤٧

تعالى: {الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير – ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير} [هود: ١ – ٢]

فهذه الآيات المحكمات وما جاء في معناها من كتاب الله كلها تدل على وجوب إخلاص العبادة لله وحده وأن ذلك هو أصل الدين وأساس الملة، كما تدل على أن ذلك هو **الحكمة في** خلق الجن والإنس وإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ فالواجب على جميع المكلفين العناية بهذا الأمر والتفقه فيه والحذر مما وقع فيه الكثيرون من المنتسبين إلى الإسلام من الغلو في الأنبياء والصالحين والبناء على قبورهم واتخاذ المساجد والقباب عليها وسؤالهم." (١)

"((وهذه الآية علم منها معنى قوله تعالى:

{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦] ؛ أي: إلا لأمرهم بالعبادة، فيعلم المطيع من العاصي)) .

وهو – كما قال الشهاب – ((كلام حسن دقيق)) ..) .

الوجه الثالث: أن توحيد العبادة غاية خلق الجن والإنس:

لقد استدل كثير من علماء الحنفية بقوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦] على أن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له هي غاية خلق الجن والإنس وسر خلقهم، **والحكمة منه** وغاية العباد التي خلقوا لها، ولهم في ذلك نصوص مهمة متنوعة طويلة وهذا الذي ذكرته هو لب ما قالوه في تفسير هذه الآية.

الوجه الرابع: أن توحيد العبادة غاية إرسال الرسل عليهم السلام.

لقد صرح علماء الحنفية أن المشركين كانوا معترفين بتوحيد الربوبية." (٢)

"وقد صرح علماء الحنفية في شرح هذا الحديث بأن ما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صدقة لا تورث، وأن **الحكمة في** سبب عدم ميراث الأنبياء عليهم السلام: أنه لا يظن بهم أنهم جمعوا المال لورثتهم.

أو لئلا يخشى على وارثهم أن يتمنى لهم الموت فيقع في محذور عظيم.

---

(١) العقيدة الصحيحة وما يضادها ونواقض الإسلام؟ ابن باز ص/٣٠

(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية؟ شمس الدين الأفغاني ١٢٨/١

أو لأن الأنبياء كالآباء لأممهم، فمالهم حق لأممهم جميعا، لا لفرد واحد منهم.

وهذا معنى الصدقة، فمالهم صدقة على أممهم جميعا.

قلت: لقد تبين بهذا التحقيق بطلان هذه الشبهة القبورية، وقضي عليها بحمد الله تعالى.

الشبهة الثالثة: تشبث القبورية بحديث قليب بدر، وهو «أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر وقد ألقى فيها القتلى من صناديد قريش، فقال لهم: " أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا ... "؟ قال عمر: يا رسول الله! كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها؟ قال: " ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» ... " الحديث.

وقد استدل بهذا الحديث عامة القبورية على سماع الأموات * ليتوسلوا بذلك إلى جواز الاستغاثة بهم عند الكربات *." (١)

"فإذا ثبت أن الكرامة ليست في اختيار الأولياء، ولا لهم قدرة عليها فالاستغاثة بهم بحجة الكرامات سفه محض، وإن لم يكن هذا سفه، فما هو السفه؟) .

الجواب الثالث: أن علماء الحنفية قد صرحوا: بأن الكرامة بمعنى صدور أمر خارق للعادة تسلب بعد موت الولي.

قلت:

وذكر علماء الحنفية أن **الحكمة في** صدور الكرامة من الولي بمعنى أمر خارق للعادة هو التثبت على الحق واليقين والاجتهاد في العبادة والاحتراز عن السيئات.

قلت: هذا لا يحتاج إليه بعد موت الولي، لأن عين اليقين يحصل بعد الموت، وما بعد الموت ليس وقت التكليف، ولأجل هذا صرح علماء الحنفية بأن الكرامة ليست مقصودة، بل المقصود هو الاستقامة، وقالوا: إن الكرامة الحقيقية هي الاستقامة، وقالوا: إن الاستقامة جزء من ألف كرامة؛." (٢)

"بل قالوا: " وأما الكرامة فعندهم حيض الرجال"، وقالوا: "كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة؛ فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب شكر الاستقامة "، وقالوا في فضل الاستقامة على الكرامة وبيان **الحكمة في** صدور الكرامة:

---

(١) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية؟ شمس الدين الأفغاني ٨٧٨/٢

(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية؟ شمس الدين الأفغاني ٩٨٧/٢

(**والحكمة فيه** أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقينا، فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا، والخروج من دواعي الهوى، فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة فهي كالكرامة) .

قلت: هذه حقيقة قد اعترف بها بعض أئمة القبورية أيضا؛ فقد قال محمد بن سليمان البغدادي الحنفي النقشبندي (١٢٣٤هـ) :

(والكرامة أمر خارق للعادة على يد ولي غير مقارن لدعوى النبوة منه، وفيها تثبيت له، ولهذا ربما وجدها أهل البدايات في بداياتهم، وفقدها أهل النهايات." (١)

"في نهاياتهم، لأن ما هم عليه من الرسوخ والتمكن لا يحتاجون معه إلى تثبت، ولذلك قل ظهورها على يد السلف من الصحابة والتابعين، وصاحب الكرامة لا يستأنس بها بل يشتد خوفه، مخافة أن يكون ذلك استدراجا) .

وقد ذكر العلامة اللكنوي المعظم لدى الحنفية عامة، والكوثري والكوثرية خاصة الفائدة **والحكمة من** الكرامة، ثم قال: (وإذا كانت هذه هي **الحكمة من** الكرامة بمعنى خرق العادة- علم أن الكرامة لا تكون بعد الممات؛ لأنه لا معنى لازدياد اليقين بعد الموت) .

الجواب الرابع: أن علماء الحنفية قد صرحوا بأنه لو ثبتت الكرامة بمعنى خرق العادة لشخص من الأولياء- فإنه يجتهد في إخفائها ولا يركن إليها، ويخاف أن تكون من قبيل الاستدراج، ويسعى في أن لا يطلع عليه أحد، ويحاول كتمانه، خوفا من الاغترار والاشتهار.

قلت: فعلى هذا لا يمكن للولي أن يجعل كرامته سلاحا يحارب به، ولا آلة للتصرف في الكون، ولا سببا لإغاثة المستغيثين به.." (٢)

"المبحث الأول

في عرض عقيدة القبورية في زيارتهم الشركية والبدعية للقبور

لقد سبق محققا مفصلا مبرهنا على لسان علماء الحنفية، أن سبب وقوع بني آدم في الوثنية إنما هو الغلو في الصالحين، والافتتان بقبورهم، ولذلك نهى الشارع الحكيم أولا عن زيارة القبور حسما لمادة الشرك، ثم لما استقر التوحيد في قلوب المسلمين، وزال الخوف أذن لهم في زيارة القبور مع بيان صفة الزيارة **والحكمة**

---

(١) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية؟ شمس الدين الأفغاني ٩٨٨/٢

(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية؟ شمس الدين الأفغاني ٩٨٩/٢

فيها والمقصود منها، وهو التزهيد في الدنيا وتذكير الآخرة والدعاء والاستغفار لأهل القبور بدون ارتكاب أي نوع من الشرك والبدعة وغير ذلك من المعاصي.

ولكن الشيطان قد احتال على قبورية هذه الأمة، واستدرجهم لأجل جهلهم بحقيقة توحيد الأنبياء والمرسلين، وزين لهم كثيرا من أنواع الشرك ووسائله، وصاغ لهم الشرك والبدع في قالب الدين ومحبة الأولياء وتعظيمهم، فأعاد هذا الخسيس إبليس * – بأنواع من التدليس والتلبيس * – الوثنية الأولى في كثير من المنتسبين إلى الإسلام، ومن مظاهرها زيارتهم للقبور زيارة شركية وبدعية.." (١)

"{إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين} (١).

فهذه الآيات أدلة بينة على مدى الكمال الإنسانى الذى أفاضه الله على أنبيائه ورسله، ولو لم يكونوا كذلك لسقطت هيبتهم فى القلوب، ولصغر شأنهم فى أعين الناس، وبذلك تضيع الثقة فيهم، فلا ينقاد لهم أحد، وتذهب الحكمة من إرسالهم ليكونوا قادة الخلق إلى الحق، بل لو فعلوا شيئا مما يتنافى مع الكمال الإنسانى بأن يتركوا واجبا، أو يفعلوا محرما، أو يرتكبوا ما يتنافى مع الخلق الكريم، لكانوا قدوة سيئة، ولم يكونوا مثلا عليا، ومنارات هدى.

إن رسل الله يدركون بحسهم الذى تميزوا به على غيرهم من البشر، أنهم دائما فى حضرة القدس، وأنهم يبصرون الله فى كل شيء، فيرون مظاهر جماله وجلاله، ودلائل قدرته وعظمته، وآثار حكمته ورحمته، يرون ذلك فى أنفسهم وفيمن حولهم: فى الأرض والسماء، وفى الليل والنهار، وفى الحياة والموت، فتمتلئ قلوبهم إجلالا لله ووقارا له، فلا يبقى فيها مكان لشيطان، ولا موضع لهوى، ولا جنوح لشهوة، ولا إرادة لشيء سوى إرادة الحق والتفانى فيه والاستشهاد من أجله.

وما ورد فى القرآن الكريم مما يوهم ظاهره بأنهم ارتكبوا ما يتنافى مع عصمتهم، فهو ليس على ظاهره، ويتجلى ذلك فيما نذكره بالنسبة لما نسب لكل نبى فيما يلى:

* آدم عليه السلام:

يقول الله عز وجل:

{وعصى آدم ربه فغوى} (٢).

---

(١) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية؟ شمس الدين الأفغاني ١٥٨٥/٣

(١) سورة الأنبياء - الآية ٩٠.

(٢) سورة طه - الآية ١٢١.." (١)

"{وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا} ، فذكر سبحانه، في هذه الآية أن من الحكمة في إيوائهم إلى الكهف أن ينشر لهم من رحمته ويهيئ لهم من أمرهم مرفقا، لما اعتزلوا قومهم وهجروهم لله بسبب شركهم وكفرهم، ثم قال - عز وجل - بعد آيات: {وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها} الآية، فأبان - سبحانه في هذه الآية - أن في قصة أهل الكهف وإعثار الناس عليهم، إقامة الحجة على صدق وعد الله بالبعث، والنشور وقيام الساعة، وأن الذي يحيي النائم، بعد نومه الطويل ووفاته بالنوم، وهو الذي يحيي العباد بعد موتهم وتفرق أوصالهم، ومعلوم أن البعث والنشور قد أخبر به جميع الأنبياء، ودل عليه كتاب الله في مواضع كثيرة، وأجمع عليه المسلمون وغيرهم، ممن آمن بالرسل الماضين، فالذي يقدر على إحياء الموتى ومجازاتهم بأعمالهم هو القادر، سبحانه، على إنامة الأحياء ثم بعثهم، من باب أولى، فكل واحدة من الوفاتين - وفاة النوم، ووفاة الموت - دليل على الأخرى، وقد بين الله، سبحانه، في سورة البقرة إحياءه الموتى، في الدنيا قبل الآخرة، في خمسة مواضع ليقيم الحجة على المنكرين للبعث والنشور، وليوضح لهم - سبحانه - أنه القادر على إحياء الموتى في الدنيا والآخرة.

الموضع الأول: قوله سبحانه: {وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون} .

الموضع الثاني: قوله سبحانه: {وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون} ، والمعنى: أن الله سبحانه، أمرهم بضرب القتيل الذي اختلفوا في قاتله، ببعض البقرة التي أمر بنو إسرائيل بذبحها، فضربوه بجزء منها، فرد الله عليه روحه فتكلم وأخبرهم بقاتله، وبين - سبحانه - أن في هذه القصة دليلا على إحيائه الموتى لذوي العقول.." (٢)

"والأحكام الشرعية إذا لم يعلم العلماء حكمتها سموها بالأحكام التعبدية، ولهذا لو قال قائل: ما **الحكمة في** أن تكون صلاة الظهر أربعا دون ثمان؟ ، قلنا: الحكمة تعبدية ليس للعقل فيها مجال.

---

(١) العقائد الإسلامية؟ سيد سابق ص/١٨٣

(٢) حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض؟ ابن باز ص/٣٠

فهم يقولون: إن علمت حكمة الحكم فهو حكم معقول المعنى، مع ما فيه من التعبد لله، وإن لم تعلم فهو حكم تعبدي ليس لنا أمامه ألا التعبد. وأيهما أقوى في التعبد: الامتثال لحكم التعبدي أو للحكم المعقول المعنى؟ الأول ابلغ في التذلل، فكونك تقبل الحكم وإن لم تعرف حكمته هذا أبلغ؛ لان كون الإنسان لا يقبل الحكم ألا إذا علم حكمته فيه نوع من الشرك، وهو عبادة الهوى، وأنه إذا وافق الشيء هواه وأدرك حكمته قبله واطمأن إليه ورضي به، وإن لم يكن صار عنده فيه تردد.

والناظر إلى الناس اليوم يجد أن أكثرهم يطلبون العلة العقلية، حتى إن بعضهم إذا قلت له: قال الله ورسوله. يقول: وما الحكمة؟ فهلا علم هؤلاء أنهم مأمورون إن كانوا مؤمنين أن تكون الحكمة عندهم قول الله ورسوله، ولهذا لما سئلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: ((ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟)) فأجابت: ((كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة)) (١) ، إذا هذه هي الحكمة التي نجيب بها على هذا السؤال، وبهذه الحكمة لا يمكن لأحد أن يتكلم بعد ذلك إن كان مؤمنا.

لكن إذا ذهبنا نأتي بعلل معقولة، قد تكون مقصودة للشرع وقد لا تكون، أوردوا علينا وناقضونا؛ لان هؤلاء إنما يريدون الجدل، فكلما أتيت

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب وجود قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة، رقم (٣٣٥) .." (١)

"بعلة نقضوها، ولهذا نقول لكل من سال: ما الحكمة في هذا؟ نقول: الحكمة قول الله ورسوله إن كنت مؤمنا لان الله عز وجل يقول: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) (الأحزاب: الآية ٣٦) وبهذا نسد عليه الباب، فإن أراد أو حاول أن يجادل فإيمانه ضعيف لا شك؛ لان فرض المؤمن أن يقول: سمعنا وأطعنا.

وخلاصة القول أن باب الحكمة باب عظيم، ينبغي للإنسان أن يعقله وأن يؤمن به إيمانا تاما، وأن يعلم أن أفعال الله مقرونة بالحكمة، خلافا لمن قال: إن أمره وفعله لغير حكمة بل لمجرد المشيئة، فإن في هذا من تنقص الله عز وجل ما هو معلوم.

وقوله: (الوارث) هذا الاسم جاء في القرآن الكريم بصيغة الجمع وبالفعل؛ قال تعالى: (إنا نحن نرث الأرض

---

(١) شرح العقيدة السفارينية؟ ابن عثيمين ص/٤٩

ومن عليها) (مريم: الآية ٤٠) وقال تعالى: (وكنا نحن الوارثين) (القصص: ٤٠) ، فالوارث معناه: الذي يرث من قبله، ولا شك أن اللہ هو الآخر الذي ليس بعده شيء، فإذا كان الآخر الذي ليس بعده شيء لزم أن يكون الوارث لكل شيء، فالله سبحانه وتعالى هو الوارث لكل شيء. كل من سواه فإن الله سبحانه وتعالى بعده، فهو الآخر الذي ليس بعده شيء.

فالحاصل أن هذه الأبيات الثلاثة الأولى كلها ثناء على الله عز وجل، وقد اعتاد المصنفون رحمهم الله أن يبدأوا مصنفاتهم بالثناء على الله عز وجل، ثم بالصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم لان القصد الأول هو الله عز وجل، والنبي صلى الله عليه وسلم دال على الطريق الموصل إلى الله، فكان حقه بعد حق الله سبحانه وتعالى.." (١)

"فالحكم والحكيم من أسماء الله، فإذا سمينا شخصا بالحكم أو بحكيم ولم نقصد معنى **الحكمة فيه** ولا معنى الحكم فهنا لا باس به، وفي الصحابة رضي الله عنهم من اسمه حكيم، وفيهم من اسمه الحكم.

وإن قصدنا بذلك المعنى الذي اشتققنا منه هذا الاسم فهذا لا يجوز، لأن هذا من خصائص أسماء الله، فهي التي يراد بها الاسم والوصف، ولهذا إذا سمينا رجلا بصالح فإنه جائز ولا يغير الاسم، لأننا ما قصدنا بذلك التزكية، أي وصفه بالصلاح وأننا ما سميناه صالحا إلا لأنه صالح؛ سمينا صالحا مجرد علم.

كذلك إذا سمينا شخصا بسلمان فليس لأنه سالم، بل قد يكون من أتعس الناس، يوما تكسر رجله، ويوما تكسر يده؛ ويوما يفلق رأسه، ويوما يخدش ظهره، وليس فيه السلامة، ومع ذلك نسميه سلمان، وكذلك سليمان. فالمهم انه إذا لم يقصد المعنى في الاسم فإنه جائز لمجرد العلم فقط.

البحث الخامس: أن أسماء الله تعالى توقيفية وليس لنا أن نسمي الله بما لم يسم به نفسه.

قال المؤلف رحمه الله: (لكنها في الحق توقيفية) : (لكنها) : أي أسماء الله عز وجل، (في الحق) أي في القول الحق الصحيح، (توقيفية) أي موقوفة على ورود الشرع بها، والتوقيفي هو الذي يتوقف إثباته أو نفيه على قول الشارع، فهي توقيفية لا يجوز لنا أن نسمي الله بما لم يسم به نفسه.." (٢)

---

(١) شرح العقيدة السفارينية؟ ابن عثيمين ص/٥٠

(٢) شرح العقيدة السفارينية؟ ابن عثيمين ص/١٦٧

"هذا التعليل.

أما التعليل الثاني في قوله: (لأنه عن فعله لا يسأل) فهذا صحيح، فالله تعالى لا يسأل عما يفعل، فلا يسأل لماذا هدي هذا الرجل حتى استقام ولماذا أضل الآخر حتى انحرف، فلا يسأل عن هذا؛ لأن الله له **الحكمة فيما** قدر، لكن بعد أن يوجد السبب المقتضي للثواب أو العقاب، فلو أن الله عاقبه لكان هناك سؤال عن سبب معاقبة الله لهذا الرجل، ولهذا أيضا يسقط هذا التعليل، ويحمل – إذا أردنا أن نجعله صحيحا – على أنه لا يسأل عن فعله في إيجاد الأسباب المقتضية للعذاب أو للثواب.

فإذا قال قائل: أليس الخلق كله ملكا لله؟ وإذا كان ملكا له أفلا يمكن أن يقال: إن له أن يفعل في ملكه ما شاء؟

فالجواب: بلى، ولكن نقول: هو نفسه عز وجل أخبر بأنه لا يمكن أن يظلم أحدا، ولا يمكن أن يعذب طائعا، فيكون هذا الشيء – أي تعذيب المطيع – ممتنعا بمقتضى خبر الله عز وجل، وبمقتضى أسمائه وصفاته، وأنه عز وجل احكم الحاكمين واعدل العادلين.

فحينئذ يكون ممتنعا لأخبار الله بأنه لا يظلم أحدا، وأن (من عمل صالحا فلنفسه) (فصلت: الآية ٤٦) : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) (الزلزلة: ٧) إلى غير ذلك من الآيات، فهو ممتنع لهذا الوعيد، وإلا فمن المعلوم أن الله يفعل في خلقه ما يشاء، لكن هو نفسه سبحانه وتعالى حرم على نفسه الظلم وأوجب على نفسه أن يثيب المطيع، قال الله عز وجل: (كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور." (١)

"لهم، والله تعالى قد خلقه؟

فالجواب على هذا الإشكال أن نقول: إن خلق إبليس لا شك أنه شر، لكن وجود شر يصارع بخير هذا أصلح، لأن الناس لو كانوا على طريقة واحدة وليس هناك ما يضلهم لم يتبين الصادق من غير الصادق؛ لأنه ليس هناك سبيل إلى أن يكون الإنسان فاجرا.

فلو لم يوجد إبليس ولا نفس أمارة بالسوء ما كان هناك طريق يمكن أن يسلكه الإنسان فيكون فاجرا حتى يعرف حسن نيته من سوء نيته، فالحكمة إذا أن يخلق إبليس، بل والأصلح أن يخلق إبليس؛ لأنه لا يمكن امتحان العبد ومعرفة كونه عبدا خالصا لله أو عابدا لهواه إلا بوجود إبليس والشر والنفس الإمارة بالسوء، إذا

---

(١) شرح العقيدة السفارينية؟ ابن عثيمين ص/٣٤١

هذا ليس صلاحا في نفسه ولا أصلح في نفسه ولكن لغيره.

وكذلك الجدب – وهو متعلق بالكون – فإنه ولا شك فساد للناس، وتعطل مصالح، وهلاك مواش، وربما هلاك أنفس أيضا، والله عز وجل يقدر الجدب. فإذا قال قائل: كيف يستقيم هذا مع قولنا: إن اللہ لا يفعل إلا الأصلح أو الصلاح؟

ويجاب على ذلك بأن هذا سيئ من وجه وصالح من وجه، فالجدب مثلا سيئ، لكن الله يقدره لأمر أعظم وأنفع للعباد من الخصب، فالله تعالى يقول: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) ((الروم: ٤١)) فهذا صلاح لغيره، والله بين الحكمة منه فقال (لعلهم يرجعون) .." (١)

"وجل أن جعله هكذا غير حساس

. ولو تأملت راحة اليد لوجدت أن من عظيم حكمة الله أنها ليس فيها شعر، ولو كان فيها شعر لتلوث باطن اليد بالطعام وتلوثت الأشياء، ولقل الإحساس بها، ولفقدت الإتقان في فعل الأشياء، ويدل لهذا أنك لو لبست قفازين لفقدت الإتقان في العمل بيدك.

وعلى كل حال فنحن معرفتنا بهذه الأشياء سطحية، لكن لو أنك أتيت واحدا من الأطباء، وشرح لك ما في الإنسان من آيات لبهرك، ولهذا قال الله تعالى: (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) (الذاريات: ٢١) ولهذا نقول إن التفكر في آيات الله الكونية يزيد في الإيمان، وهذا ظاهر محسوس.

وكذلك التفكر في الآيات الشرعية يزيد في الإيمان بلا شك، لكن يحتاج إلى أن يكون الإنسان بصيرا في أحكام الشرع، حتى يعرف الحكمة في الأشياء التي شرعها الله، وهذا يخفى على بعض الناس ولا سيما من أعرض عن ذكر الله، فإنه لا يفتح له باب المعرفة، يقول المعري:

يد بخمس مئين عسجدا وديت ما بالها قطعت في ربع دينار

تناقض ما لنا إلا السكوت له ونستعيذ بمولانا من النار

كأن الناس هم المشرعون حتى ينتقدهم هذا الانتقاد، خمس مئين عسجد، والعسجد هو الذهب، يعني

---

(١) شرح العقيدة السفارينية؟ ابن عثيمين ص/٣٤٧

خمسمائة دينار دية اليد، فإذا سرق ربع دينار قطعت، فكانت اليد بقيمة ربع دينار؛ لأنه إذا قطعها الإنسان يلزم." (١)

"يتناولون أحجارها ويلقونها في البحر، ولا يسلط عليه أحد (١) ؛ لأن الله عز وجل قد قضى بنهاية هذه الكعبة

أما أصحاب الفيل فحماها الله منهم؛ لأنه لم يقض أجلها بعد، ولأن هناك رسولا يبعث من أم القرى يدعو الناس إلى حج هذا البيت، فكان من حكمة الله عز وجل أن دافع الله عنه حتى بقي ولله الحمد.

ولا شك أن الله تعالى يسلط هذا الرجل الحبشي على بيت الله فينتقضه حجرا حجرا، وإنما يكون ذلك – والله اعلم – إذا عتى أهل مكة فيها، وأهانوا حرمة البيت، وذلك بالمعاصي؛ من شرك وزنى ولواط وشرب خمر وغير ذلك، فحينئذ لا يبقى مكان لهذا البيت المعظم بين هؤلاء الذين أهانوه، أما ما دام معظما فإن لله سيحميه، لكن إذا أسقطت حرمته من أهل مكة؛ حينئذ لا يبقى له مكان بين هؤلاء القوم.

ونظيره ما ذكره المؤلف رحمه الله: (وأنه يذهب بالقرآن) وهذا أيضا من أشراط الساعة، أنه يذهب بالقرآن؛ فينزع من صدور الرجال ويمحى من المصاحف، في ليلة واحدة يقوم الناس والحفاظ وقد نسوا، والمصاحف بيضاء ليس فيها كتابة. وهذا هو أحد المعنيين في قول السلف: منه بدأ واليه يعود، أي يرجع في آخر الزمان، فلا يبقى مصاحف، ولا قرآن في الصدور.

فإذا قال قائل: كيف يكون ذلك وما هي **الحكمة من** ذلك؟

فالجواب عن هذا ما ذكرناه في الكعبة؛ حين يعرض الناس عن كتاب الله فلا يتلونه حق تلاوته، ولا يصدقون أخباره، ولا يعلمون بأحكامه، فيبقى

---

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب هدم الكعبة، رقم (١٥٩٥) .." (٢)

"المشفوع له؛ إلا في هذه المسألة فقط، وهي ليست شفاعة كاملة أيضا، فلم تكن شفاعة في أن يخرج أبو طالب من النار بل كانت شفاعة في أن يخفف عنه، ولا شك أن الخروج هذه عن سائر الشفاعات حكمة – فكما قررنا أن الأحكام الشرعية والأحكام الجزائية لا يمكن أن تخصص لشخص بعينه إنما

---

(١) شرح العقيدة السفارينية؟ ابن عثيمين ص/٤٠٨

(٢) شرح العقيدة السفارينية؟ ابن عثيمين ص/٤٦١

تخصص للشخص بوصفه – وكانت الحكمة من تلك الشفاعة شكرا له على ما قدم من حماية الرسول صلى الله عليه وسلم، والذب عنه، فهو مصدق للرسول، لكن فاته شيء واحد وهو القبول والإذعان، وإلا فهو مصدق يعلن على الملأ أن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق لكنه – نسأل الله العافية – لم يقبل ولم يذعن.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (فإنها ثابتة للمصطفى كغيره) قال: (فإنها) أي الشفاعة، (ثابتة للمصطفى) والمراد بالمصطفى هنا مصطفى معينا، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا فهناك أناس مصطفون غير الرسول صلى الله عليه وسلم لكن المراد بالمصطفى هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو عام أريد به الخاص.

وقوله: (كغيره) يعني كغير الرسول صلى الله عليه وسلم . (من كل أرباب الوفا) أرباب: جمع رب بمعنى صاحب، (من عالم كالرسل) والرسل اعلم العلماء من البشر، (والأبرار) الأبرار: جمع بر، وهو القائم بحق الله وحق العباد على الوجه الأكمل بقدر المستطاع.

قوله: (سوى التي خصت بذي الأنوار) أي بصاحب الأنوار، يعني سوى الشفاعة التي خصت بصاحب الأنوار، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، والشفاعة التي خصت بصاحب الأنوار صلى الله عليه وسلم هي غير الشفاعة التي سبق ذكرها؛ وهي: الشفاعة العظمى، والشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، والشفاعة لأبي طالب، بل الشفاعة المقصودة هنا هي الشفاعة العامة وهي فيمن دخل النار أن يخرج منها، وفيمن استحق النار أن لا يدخلها، فهاتان شفاعتان:." (١)

"بل نجد أن الأحكام واحدة، وعلى هذا فيكون ما أمر به الإنس هو ما أمر به الجن ولا فرق.

وقال بعض العلماء رحمهم الله: بل إنهما يفترقان، فليس ما أمر به الجن مساويا لما أمر به الإنس في الحد والحقيقة؛ لأن جنس الجن ليس كجنس الإنس، وإذا كان الإنس تختلف أحكامهم باختلاف أحوالهم؛ فالمريض يصلي قاعدا مثلا؛ والفقير لا زكاة عليه؛ ومن لا يستطيع الحج فلا حج عليه، فكذلك الجن لا يمكن أن يكلف إلا بما يناسب حالهم، وتكون العمومات الدالة على ذلك مثل (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) (البقرة: الآية ٢٨٦)) وما أشبهها – تقيد عموم تكليفهم بشرائع الإنس.

وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: إن اختلافهم عن الإنس في الحد والحقيقة

---

(١) شرح العقيدة السفارينية؟ ابن عثيمين ص/٤٨٩

يقتضي ألا يتساووا في التكليف؛ لأن حكمة الله تعطي كل مكلف ما يناسبه حتى في البشر (١)
وعلى كل حال فنحن نؤمن بأن الجن مكلفون بالجملة، وأن كافرهم يدخل النار، وأن مؤمنهم يدخل الجنة أيضا، أما مسألة الرسالة وعدم الرسالة فقد تكون الأدلة متكافئة وإن كان الراجح أن الرسل من البشر، وأما مساواتهم للإنس في الأحكام الشرعية فهذا محل توقف؛ فإن نظرنا إلى عموم الأدلة قلنا: هم مساوون للإنس، وإن نظرنا إلى **الحكمة في** التشريع، وأن الشرع يختلف باختلاف المكلف قلنا: لابد أن يكون لهم شرع خاص بهم، وهذا الشرع الخاص بهم وإن كنا لا نجده لا في الكتاب ولا في السنة، لكن يؤخذ من العمومات مثل قوله تعالى (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٤/٢٣٣.." [1]

"الباب الخامس في ذكر النبوة ومتعلقاتها

١٣٠- ومن عظيم منة السلام ... ولطفه بسائر الأنام

١٣١- أن ارشد الخلق إلى الوصول ... مبينا للحق بالرسول

الشرح

الدين الإسلامي نبي على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فبشهادة أن لا إله إلا الله يكون الإخلاص، وبشهادة أن محمدا رسول الله يكون الإتباع. وقد انتهينا مما يتعلق بالرب عز وجل فيما قال المؤلف رحمه الله، في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. وبقيت شهادة أن محمدا رسول الله، وحينئذ لابد أن نعرف النبوة والرسالة، **والحكمة من** الرسالة والنبوة وما يتعلق بهذا، ولذلك قال المؤلف رحمه الله:

ومن عظيم منة السلام ... ولطفه بسائر الأنام

أن أرشد الخلق إلى الوصول ... مبينا للحق بالرسول

---

(١) شرح العقيدة السفارينية؟ ابن عثيمين ص/٤٩٧

وصدق رحمه الله، فمن عظيم المنة، بل أعظم منة من الله بها أن أرسل الرسل إلى الخلق مبشرين ومنذرين، والمنة: العطاء، فالعطاء بلا طلب مكافأة يسمى منة، وأمن المعطين عليك الله جل وعلا ثم رسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذا في غزوة حنين غنم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه أموالا كثيرة جدا، فصار يعطي المؤلفة قلوبهم تأليفا لهم على الإسلام؛ لأن الإنسان مهما كان يحب المال، قال تعالى: (وإنه لحب الخير لشديد) (العاديات: ٨)) ، حتى إنه مرة من المرات." (١)

"١٣٧- وخصه بذاك كالمقام ... وبعثه لسائر الأنام

الشرح

وقوله (وخصه بذاك) خصه: أي النبي صلى الله عليه وسلم، (بذاك) أي بختمه للرسالة، فإنه خاتم الأنبياء ولا نبي بعده صلى الله عليه وسلم، وهذا من خصائص صلى الله عليه وسلم. وكان عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم خاتم أنبياء بني إسرائيل، ولكن هذا الختم مقيد بأنبياء بني إسرائيل، أما محمد صلى الله عليه وسلم فختمه ختم مطلق فلا نبي بعده، وهذا يدعو إلى تأمل **الحكمة من** أن عيسى ينزل في آخر الزمان ويتبع محمدا صلى الله عليه وسلم، ليتبين أن الختم الذي ختمت به رسالة بني إسرائيل ليس ختما مطلقا بل هو ختم مقيد، والرسول الذي بعده هو محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك في آخر الزمان إذا نزل عيسى فإنما يحكم بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم.

فإن قال قائل: أليس قد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يقبل الإسلام فلا يقبل الجزية، وهذا ليس هو الحكم الشرعي الموجود الآن؛ فإن الحكم الشرعي الموجود الآن أن يقر النصارى على ما هم عليه، إذا كان بيننا وبينهم عهد فإننا لا نتعرض لديانتهم؟

فالجواب: أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا بذلك مقررا له راضيا به، فيكون ما يقضي به عيسى في آخر الزمان من شريعة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) شرح العقيدة السفارينية؟ ابن عثيمين ص/٥١٧

وقوله (كالمقام) يشير بذلك إلى قوله تعالى: (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) (الإسراء: الآية٧٩) ، وقد سبق أن من المقام المحمود الشفاعة العظمى،." (١)

"كتاب التوحيد

...

[شرح قوله تعالى {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون}]

وقول الله تعالى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} [الذريات:٥٦] الآية.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله في هذه الترجمة عدة آيات:

الآية الأولى: قوله تعالى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} [الذريات:٥٦] .

قوله: {إلا ليعبدون} استثناء مفرغ من أعم الأحوال، أي: ما خلقت الجن والإنس لأي شيء إلا للعبادة.

واللام في قوله: {إلا ليعبدون} للتعليل، وهذا التعليل لبيان **الحكمة من** الخلق، وليس التعليل الملازم للمعلول؛ إذ لو كان كذلك؛ للزم أن يكون الخلق كلهم عبادا لله يتعبدون له، وليس الأمر كذلك.

فهذه العلة غائية، وليست موجبة.

فالعلة الغائية لبيان الغاية والمقصود من هذا الفعل، لكنها قد تقع، وقد لا تقع مثل: بريت القلم لأكتب به، فقد تكتب، وقد لا تكتب.

والعلة الموجبة معناها: أن المعلول مبني عليها، فلا بد ان تقع، وتكون سابقة للمعلول، وملازمة له. مثل: انكسر الزجاج لشدة الحر.

قوله: {خلقت} أي: أوجدت، وهذا الإيجاد مسبوق بتقدير، وأصل الخلق التقدير.

قال الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت ... وبعض الناس يخلق ثم لا يفري." (٢)

"...

قوله: {الجن} هم عالم غيبي مخفي عنا، ولهذا جاءت المادة من الجيم والنون، وهما يدلان على الخفاء

---

(١) شرح العقيدة السفارينية؟ ابن عثيمين ص/٥٣٣

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ١/٢٥

والاستتار ومنه: الجنة، والجنة، والجنة.

قوله: {الإنس} سموا بذلك، لأنهم لا يعيشون بدون إيناس، فهم يأنس بعضهم ببعض، ويتحرك بعضهم إلى بعض.

قوله: {إلا ليعبدون} فسر: إلا ليوحدون، وهذا حق، وفسر: بمعنى يتذللون لي بالطاعة فعلا للمأمور، وتركا للمحظور، ومن طاعته أن يوحد سبحانه وتعالى، فهذه هي **الحكمة من** خلق الجن والإنس.

ولهذا أعطى الله البشر عقولا، وأرسل إليهم رسلا، وأنزل عليهم كتبا، ولو كان الغرض من خلقهم كالغرض من خلق البهائم، لضاعت **الحكمة من** إرسال الرسل، وإنزال الكتب، لأنه في النهاية يكون كشجرة نبتت، ونمت، وتحطمت.

ولهذا قال تعالى: {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد} [القصص: من الآية٨٥] فلا بد أن يردك إلى معاد تجازى على عملك إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. وليست **الحكمة من** خلقهم نفع الله، ولهذا قال تعالى: {ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون} [الذريات:٥٧] .

وأما قوله تعالى: {من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له} [البقرة: من الآية٢٤٥] فهذا ليس إقراضا لله سبحانه، بل هو غني عنه، لكنه سبحانه شبه معاملة عبده له بالقرض؛ لأنه لا بد من وفائه، فكأنه التزام من الله سبحانه أن يوفي العامل أجر عمله، كما يوفي المقترض من أقرضه.." (١)

"[شرح قوله تعالى {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا}]

وقوله تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل: من الآية٣٦] .

·الآية الثانية: قوله تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل: من الآية٣٦] .

قوله: {ولقد} اللام موطئة لقسم مقدر، وقد: للتحقيق. وعليه، فالجملة مؤكدة بالقسم المقدر، واللام، وقد.

قوله: {بعثنا} أي: أخرجنا، وأرسلنا في كل أمة. والأمة هنا: الطائفة من الناس. وتطلق الأمة في القرآن على أربعة معان:

أ- الطائفة: كما في هذه الآية.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ٢٦/١

ب- الإمام، ومنه قوله تعالى: {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله} [النحل: من الآية١٢٠] .

ج- الملة: ومنه قوله تعالى: {إنا وجدنا آباءنا على أمة} [الزخرف: من الآية٢٢] .

د- الزمن: ومنه قوله تعالى: {وادكر بعد أمة} [يوسف: من الآية٤٥] .

فكل أمة بعث فيها رسول من عهد نوح إلى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

والحكمة من إرسال الرسل:

أ- إقامة الحجة: قال تعالى: {رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} [النساء: من الآية١٦٥] .

ب- الرحمة: لقوله تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} [الأنبياء:١٠٧] .." [(١)]

"..

وقوله: {ألا تشركوا} "أن": تفسيرية، تفسر {أتل ما حرم} أي: أتلو عليكم ألا تشركوا به شيئا، وليست مصدرية، وقد قيل به، وعلى هذا القول تكون "لا" زائدة، ولكن القول الأول أصح، أي: أتل عليكم عدم الإشراك، لأن الله لم يحرم علينا أن لا نشرك به، بل حرم علينا أن نشرك به، ومما يؤيد أن "أن" تفسيرية أن "لا" هنا ناهية لتتناسب الجمل، فتكون كلها طلبية.

وقوله: {وبالوالدين إحسانا} أي: وأتلو عليكم الأمر بالإحسان إلى الوالدين.

وقوله: {ولا تقتلوا أولادكم} بعد أن ذكر حق الأصول ذكر حق الفروع.

والأولاد في اللغة العربية: يشمل الذكر والأنثى، قال تعالى: {يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين} [النساء: من الآية١١] .

وقوله: {من إملاق} الإملاق: الفقر، و (من) للسببية والتعليل؛ أي: بسبب الإملاق.

وقوله: {نحن نرزقكم وإياهم} أي: إذا أبقيتموهم، فإن الرزق لن يضيق عليكم بإبقائهم؛ لأن الذي يقوم بالرزق هو الله.

وبدأ هنا برزق الوالدين، وفي سورة الإسراء بدأ برزق الأولاد، **والحكمة في** ذلك أنه قال هنا: {من إملاق} فالإملاق حاصل، فبدأ بذكر الوالدين اللذين أملقا، وهناك قال: {خشية إملاق} [الإسراء: من الآية٣١] فهما غنيان، لكن يخشيان الفقر، فبدأ برزق الأولاد قبل رزق الوالدين.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ١/٢٧

وتقييد النهي عن قتل الأولاد بخشية الإملاق بناء على واقع المشركين غالبا؛ فلا مفهوم له.

---

١ سورة الإسراء آية: ٣١.." (١)

"· فيه مسائل:

الأولى: **الحكمة في** خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد، لأن الخصومة فيه.

المسائل:

· الأولى: **الحكمة من** خلق الجن والإنس: أخذها رحمه الله من قوله تعالى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} ١ فالحكمة هي عبادة الله، لا أن يتمتعوا بالمآكل والمشارب والمناكح.

· الثانية: أن العبادة هي التوحيد: أي: أن العبادة مبنية على التوحيد، فكل عبادة لا توحيد فيها ليست بعبادة، لا سيما أن بعض السلف فسروا قوله تعالى: {إلا ليعبدون} إلا ليوحدون.

وهذا مطابق تماما لما استنبطه المؤلف رحمه الله من أن العبادة هي التوحيد، فكل عبادة لا تبنى على التوحيد فهي باطلة، قال صلى الله عليه وسلم " قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه "٢.

وقوله: "لأن الخصومة فيه": أي في التوحيد بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش، فقريش يعبدون الله؛ يطوفون له، ويصلون، ولكن على غير الإخلاص والوجه الشرعي، فهي كالعدم لعدم الإتيان بالتوحيد، قال تعالى: {وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله} ٣.

---

١ سورة الذاريات آية: ٥٦.

٢ من حديث أبي هريرة، رواه: مسلم (كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله، ٤/ ٢٢٨٩) .

٣ سورة التوبة آية: ٥٤.." (٢)

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ٣٧/١

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ٤٩/١

"الثالثة: أن من لم يأت به، لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} ١.

الرابعة: **الحكمة في** إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

·وقوله في الثالثة: ففيه معنى قوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} ٢ لستم عابدين عبادتي، لأن عبادتكم مبنية على الشرك، فليست بعبادة لله تعالى.

·الرابعة: **الحكمة في** إرسال الرسل: أخذها رحمه الله تعالى من قوله تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} ٣ فالحكمة هي: الدعوة إلى عبادة الله وحده، واجتناب عبادة الطاغوت.

·الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة: أخذها من قوله تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا} ٤.

·السادسة: أن دين الأنبياء واحد: أخذها من قوله تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} ٥ ومثله قوله تعالى: {ما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} ٦ وهذا لا ينافي قوله تعالى: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا} ٧ لأن الشرعة العملية تختلف باختلاف الأمم، أو الأماكن، والأزمنة، وأما أصل الدين فواحد، قال تعالى: {شرع

---

١ سورة الكافرون آية: ٣.

٢ سورة الكافرون آية: ٣.

٣ سورة النحل آية: ٣٦.

٤ سورة النحل آية: ٣٦.

٥ سورة النحل آية: ٣٦.

٦ سورة الأنبياء آية: ٢٥.

٧ سورة المائدة آية: ٤٨. أن من لم يأت به، لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} ١.." (١)

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ١/٥٠

"" ولا فيما لا يملك ابن آدم "١ رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما٢.

وقوله: (ولا فيما لا يملك ابن آدم) الذي لا يملكه ابن آدم يحتمل معنيين الأول: ما لا يملك فعله شرعا، كما لو قال: لله علي أن أعتق عبد فلان، فلا يصح لأنه لا يملك إعتاقه. الثاني: ما لا يملك فعله قدرا، كما لو قال: لله علي نذر أن أطير بيدي، فهذا لا يصح لأنه لا يملكه. والفقهاء رحمهم الله يمثلون بمثل هذا للمستحيل.

ويستفاد من الحديث: أنه لا يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله، وهو ما ساقه المؤلف من أجله، **والحكمة من** ذلك ما يلي:

الأول: أنه يؤدي إلى التشبه بالكفار.

الثاني: أنه يؤدي إلى الاغترار بهذا الفعل، لأن من رآك تذبح بمكان يذبح فيه المشركون ظن أن فعل المشركين جائز.

الثالث: أن هؤلاء المشركين سوف يقوون على فعلهم إذا رأوا من يفعل مثلهم، ولا شك أن تقوية المشركين من الأمور المحظورة، وإغاظتهم من الأعمال الصالحة، قال الله تعالى: {ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح} ٣.

---

١ مسلم: النذر (١٦٤١) ، والنسائي: الأيمان والنذور (٣٨١٢) ، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٣١٦) ، وابن ماجه: الكفارات (٢١٢٤) ، وأحمد (٤/٤٣٠، ٤/٤٣٢) ، والدارمي: النذور والأيمان (٢٣٣٧) والسير (٢٥٠٥) .

٢ رواه: أبو داود (كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمن به من الوفاء بالنذر، ٣/٦٠٧) - وسكت عنه-، والبيهقي في "السنن" (١٠/٨٣) ، والطبراني في "الكبير" برقم (١٣٤١) . وصححه ابن حجر في "التلخيص" (٤/١٨٠) .

٣ سورة التوبة آية: ١٢٠.." (١)

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ١/٢٤٠

"وقول الله تعالى: {ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين}
١.

الآية الأولى: قوله: {ولا تدع من دون الله} ٢ ظاهر سياق الآية أن الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وسواء كان خاصا به أو عاما له ولغيره، فإن بعض العلماء قال: لا يصح أن يكون للرسول صلى الله عليه وسلم لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يستحيل أن يقع منه ذلك، والآية على تقدير قل، وهذا ضعيف جدا، وإخراج للآيات عن سياقها.

والصواب: أنه إما خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم والحكم له ولغيره، وإما عام لكل من يصح خطابه ويدخل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم

وكونه يوجه إليه مثل هذا الخطاب، لا يقتضي أن يكون ممكنا منه، قال تعالى: {ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين} ٣ فالخطاب له ولجميع الرسل، ولا يمكن أن يقع منه باعتبار حاله لا باعتبار كونه إنسانا وبشرا.

إذا، **فالحكمة من** النهي أن يكون غيره متأسيا به، فإذا كان النهي موجها إلى من لا يمكن منه باعتبار حاله، فهو إلى من يمكن منه من باب أولى.

وقوله: {ولا تدع من دون الله} الدعاء: طلب ما ينفع، أو طلب دفع ما يضر، وهو نوعان كما قال أهل العلم:

الأول. دعاء عبادة، وهو أن يكون قائما بأمر الله، لأن القائم بأمر الله- كالمصلي، والصائم، والمزكي- يريد بذلك الثواب والنجاة من العقاب، ففعله متضمن للدعاء بلسان الحال، وقد يصحب فعله هذا دعاء بلسان المقال.

---

١ سورة يونس آية: ١٠٦.

٢ سورة يونس آية: ١٠٦.

٣ سورة الزمر آية: ٦٥.." (١)

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ١/٢٦٢

"فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله. وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛.......................................

الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله "١. وبهذا يبطل قول من قال: إن العقل في الدماغ، ولا ينكر أن للدماغ تأثيرا في الفهم والعقل، لكن العقل في القلب، ولهذا قال الإمام أحمد: "العقل في القلب، وله اتصال في الدماغ" ومن قال كلمة الإخلاص خالصا من قلبه؛ فلا بد أن يطلب هذا المعبود بسلوك الطرق الموصلة إليه؛ فيقوم بأمر الله ويدع نهيه.

قوله: "فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص": لأن من أشرك بالله قال الله فيه: {فما تنفعهم شفاعة الشافعين} ٢.

قوله: "وحقيقته أن الله – سبحانه – هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع": وحقيقته؛ أي: حقيقة أمر الشفاعة، أي الفائدة منها: أن الله عزوجل أراد أن يغفر للمشفوع له، ولكن بواسطة هذه الشفاعة.

والحكمة من هذه الواسطة بينها بقوله: "ليكرمه وينال المقام المحمود"، ولو شاء الله لغفر لهم بلا شفاعة، ولكنه أراد بيان فضل هذا الشافع وإكرامه أمام الناس، ومن المعلوم أن من قبل الله شفاعته؛ فهو عنده بمنزلة عالية؛ فيكون في هذا إكرام للشافع من وجهين:

الأول: إكرام الشافع بقبول شفاعته.

الثاني: ظهور جاهه وشرفه عند الله تعالى.

---

١ من حديث النعمان بن بشير، رواه: البخاري (كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ٣٤/١) ، ومسلم (كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ١٢١٩/٣) .

٢ سورة المدثر آية: ٤٨.." (١)

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ٣٤٤/١

"العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يئول إليه.

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل **والحكمة في** إزالتها.

وأما العامة الذين لا يعلمون، وقد لبس عليهم هذه البدعة، وغيرها؛ نقول: ما داموا قاصدين للحق ولا علموا به؛ فإثمهم على من أفتاهم ومن أضلهم. ولهذا يوجد في مجاهل أفريقيا وغيرها من لا يعرفون عن الإسلام شيئا، فلو ماتوا لا نقول: إنهم مسلمون ونصلي عليهم ونترحم عليهم مع أنهم لم تقم عليهم الحجة، لكننا نعاملهم في الدنيا بالظاهر، أما في الآخرة؛ فأمرهم إلى الله.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يئول إليه: هذا ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم لأن الغلو مجاوزة الحد، وهو كما يكون في العبادات يكون في غيرها، قال تعالى: {وكلوا واشربوا ولا تسرفوا} ١، وقال: {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا} ٢، وقد سبق بيان ذلك.

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح: المضرة الحاصلة: هي أنها توصل إلى عبادتهم. ومثل ذلك: ما لو قرئ القرآن عند قبر رجل صالح، أو تصدق عند هذا القبر يعتقد أن لذلك مزية على غيره؛ فإن هذا من البدع، وهذه البدعة قد تؤدي بصاحبها إلى عبادة هذا القبر.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل **والحكمة في** إزالتها.

---

١ سورة الأعراف آية: ٣١.

٢ سورة الفرقان آية: ٦٧.." (١)

"الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب العجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ٣٨٧/١

التماثيل: هي الصور على مثال رجل، أو حيوان، أو حجر، والغالب أنها تطلق على ما صنع ليعبد من دون الله. **والحكمة في** إزالتها سد ذرائع الشرك.

الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة: أي: قصة هؤلاء الذين غلوا في الصالحين وغير الصالحين، لكن اعتقدوا فيهم الصلاح، حتى تدرج بهم الأمر إلى عبادتهم من دون الله؛ فتجب معرفة هذه القصة، وأن أمر الغلو عظيم، ونتائجه وخيمة؛ فالحاجة شديدة إلى ذلك، والغفلة عنها كثيرة، والناس لو تدبرت أحوالهم وسبرت قلوبهم وجدت أنهم في غفلة عن هذا الأمر، وهذا موجود في البلاد الإسلامية.

الرابعة عشرة: وهي أعجب العجب -: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث.

قوله: "وأعجب": أي: أكثر عجبا وأشد، والعجب نوعان: الأول: بمعنى الاستحسان، وهو ما إذا تعلق بمحمود؛ كقول عائشة في الحديث: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره، وفي شأنه كله "١.

---

١ رواه: البخاري (كتاب الوضوء، باب التيمن، ١/٧٥) ، ومسلم (كتاب الطهارة، باب التيمن في الطهور وغيره، ١/٢٢٦) .." (١)

"الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة.

الرجلان١ من الناس، وهذا من حكمة الله عزوجل فهو صلى الله عليه وسلم شدد عليه البلاء في مقابلة دعوته وأوذي إيذاء عظيما، وكذلك أيضا فيما يصيبه من الأمراض يضاعف عليه، **والحكمة من** ذلك لأجل أن ينال أعلى درجات الصبر، لأن الإنسان إذا ابتلي بالشر وصبر كان ذلك أرفع لدرجته.

والصبر درجة عالية لا تنال إلا بوجود أسبابها، ومنها الابتلاء؛ فيصبر ويحتسب حتى ينال درجة الصابرين.

الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلة: ويدل عليها قوله صلى الله عليه وسلم " إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا " ولا شك أن هذه الكرامة عظيمة؛ لأننا لا نعلم أحدا نال هذه المرتبة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإبراهيم صلى الله عليه وسلم

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ١/٣٨٨

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة: ودليل ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب أبا بكر، وكان أحب الناس إليه؛ فأثبت له المحبة، ونفى عنه الخلة؛ فدل هذا على أنها أعلى من المحبة، والتصريح ليس من هذا الحديث فقط، بل بضمه إلى غيره؛ فقد ورد من حديث آخر أنه صرح: " بأن أبا بكر أحب الرجال إليه ٢ "، ثم قال هنا: " لو كنت متخذا من أمتي خليلا؛ لاتخذت أبا بكر خليلا " فدل على أن الخلة أعلى من المحبة.

---

١ أخرجه: البخاري في (المرضى، باب أشد الناس بلاء الأنبياء، ٥٦٤٨) ، ومسلم في (البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، ٢٥٧١) ؛ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
٢ من حديث عمرو بن العاص، رواه: البخاري (كتاب الفضائل، باب فضائل أبي بكر، رقم (٣٦٦٢) ومسلم (كتاب الفضائل، باب فضائل أبي بكر، ٤/١٨٥٦) .." (١)

"...

الجواب: جنس الرجال خير، قال تعالى: {وللرجال عليهن درجة} ١ لكن يوجد في النساء من هي خير من كثير من الرجال؛ فيجب أن نعرف الفرق بين الجملة والأفراد.
فإذا نظرنا إلى مجموع القرن كله نجد أن ما بعد القرن شر منه، لا باعتبار الأفراد ولا باعتبار مكان دون مكان؛ فقد تكون أمة في بعض الجهات يرتفع الناس فيها من حسن إلى أحسن، كما لو نشأ فيها علماء نفع الله بهم؛ فإنهم يكونون أحسن ممن سبقهم.
أما الصحابة؛ فلا أحد يساويهم في فضل الصحبة، حتى أفرادهم لا يمكن لأحد من التابعين أن يساويهم فيها مهما بلغ من الفضل؛ لأنه لم يدرك الصحبة.
مسألة: ما هي **الحكمة من** ابتلاء الأمة بهذا الأمر: "لتتبعن سنن ... " إلخ، وأن يكون فيها من كل مسيء من سبقها؟
الجواب: الحكمة ليتبين بذلك كمال الدين؛ فإن الدين يعارض كل هذه الأخلاق، فإذا كان يعارضها دل هذا على أن كل نقص في الأمم السابقة، فإن هذه الشريعة جاءت بتكميله؛ لأن الأشياء لا تتبين إلا بضدها؛

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ٤١٧/١

كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء.

(تنبيه) :

قوله: " حذو القذة بالقذة "٢ لم أجده في مظانه في "الصحيحين"؛ فليحرر.

---

١ سورة البقرة آية: ٢٢٨.

٢ جملة: "حذو القذة بالقذة" ليست في "الصحيحين"، وهي في "المسند" (١٢٥/٤) من حديث شداد بن أوس بلفظ: "ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلكم أهل الكتاب حذو القذة بالقذة". الناشر.." (١)

"وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا "١.

يصرف عنه من السوء ما هو أعظم، والدعاء إذا تمت فيه شروط القبول ولم يجب؛ فإننا نجزم بأنه ادخر له.

قوله: " وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة "٢ هذه واحدة.

والثانية: قوله: " أن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا "٣ وهذه الإجابة قيدت بقوله: " حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا " إذا وقع ذلك منهم؛ فقد يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم؛ فكأن إجابة الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في الجملة الأولى بدون استثناء، وفي الجملة الثانية باستثناء "حتى يكون بعضهم ... ". وهذه هي **الحكمة من** تقديم قوله: "إذا قضيت قضاء؛ فإنه لا يرد "، فصارت إجابة الله لرسوله صلى الله عليه وسلم مقيدة.

ومن نعمة الله أن هذه الأمة لن تهلك بسنة بعامة أبدا؛ فكل من يدين بدين الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه لن يهلك، وإن هلك قوم في جهة بسنة؛ فإنه لا يهلك الآخرون. فإذا صار بعضهم يقتل بعضا ويسبي بعضهم بعضا؛ فإنه يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، وهذا هو الواقع؛ فالأمة الإسلامية حين كانت أمة

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ٤٧٠/١

واحدة عونا في الحق ضد الباطل كانت أمة مهيبة، ولما تفرقت وصار بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا؛ سلط الله عليهم

---

١ مسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٩) ، والترمذي: الفتن (٢١٧٦) ، وأبو داود: الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، وابن ماجه: الفتن (٣٩٥٢) .

٢ مسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٩) ، والترمذي: الفتن (٢١٧٦) ، وأبو داود: الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، وأحمد (٥/٢٨٤) .

٣ مسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٩) ، والترمذي: الفتن (٢١٧٦) ، وأبو داود: الفتن والملاحم (٤٢٥٢) .." (١)

"قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ ....

بدلالة حديث أبي هريرة في الباب على الحصر لكونه وقع ب "أل" المعرفة؛ فإنه حصرها لأن هذه أعظم الكبائر.

قوله: "قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ ": كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على العلم، والنبي صلى الله عليه وسلم إذا ألقى إليهم الشيء مبهما طلبوا تفسيره وتبيينه، فلما حذرهم النبي صلى الله عليه وسلم من السبع الموبقات قالوا ذلك لأجل أن يجتنبوهن، فأخبرهم، وعلى هذه القاعدة أن الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على العلم، لكن ما كانت **الحكمة في** إخفائه؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخبرهم؛ كقوله صلى الله عليه وسلم " إن لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة "١٢ ولم يرد تبيينها عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح.

وقد حاول بعض الناس أن يصحح حديث سرد الأسماء التسعة والتسعين٣ ولم يصب، بل نقل شيخ الإسلام اتفاق أهل المعرفة في

---

١ البخاري: الشروط (٢٧٣٦) ، ومسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٧) ، والترمذي: الدعوات

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ١/٤٧٦

(٣٥٠٨) ، وابن ماجه: الدعاء (٣٨٦٠) ، وأحمد (٢/٤٢٧، ٢/٤٩٩، ٢/٥٠٣، ٢/٥١٦) .
٢ أخرجه: البخاري (٢٧٣٦) ، ومسلم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
٣أخرجه: الترمذي في (الدعوات، باب أسماء الله، ٩/١٧٣) - وقال: "غريب"-، وابن حبان (٢٣٨٤) ، والحاكم (١/١٦) ، والبيهقي في "السنن" (١٠/٢٧) ، وفي "الأسماء والصفات" (ص ٥) ، والبغوي في "شرح السنة" (٥/٣٢، ٣٣) . قال البيهقي في "الأسماء والصفات" (ص ٨) : "ويحتمل أن يكون التفسير - أي: تفسير الأسماء - وقع من بعض الرواة، وكذلك في الحديث الوليد بن مسلم، ولهذا الاحتمال ترك البخاري ومسلم إخراج حديث الوليد في الصحيح". وقال شيخ الإسلام (٢٢/٣٨٢) : "وحفاظ أهل الحديث يقولون: هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث، وفيها حديث أضعف من هذا رواه ابن ماجه". وقال ابن حزم في "المحلي" (٨/٣١) : "وقد جاءت أحاديث في إحصاء التسعة والتسعين اسما مضطربة لا يصح منها شيء أصلا؛ فإنما تؤخذ من نص القرآن، ومما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم". وانظر: "تفسير ابن كثير" (٢/ ٢٦٩) ، و "فتح الباري" (١١/٢١٥) . وأخرجه أيضا: ابن ماجه بزيادة ونقصان في "الأسماء والصفات" في (الدعاء، باب أسماء الله -عز وجل-، ٢/١٢٦٩) . وقال البوصيري في "الزوائد": "إسناد طريق ابن ماجه ضعيف؛ لضعف عبد الملك الصنعاني". وأخرجه أيضا: الحاكم (١/١٧) ، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (ص ٧) . وضعفه الذهبي، وكذا البيهقي بعبد العزيز بن الحصين بن الترجمان، وكذا ابن حجر في "التلخيص الحبير" (٤/١٧٢) .." (١)
"...

وإما أن يراد به أن هذه السيئة التي فعلها تقابل تلك الحسنة في الميزان، فتسقطها، ويكون وزرها موازيا لأجر تلك الحسنة، وإذا لم يكن له أجر صارت كأنها غير مقبولة، وإن كانت مجزئة ومبرئة للذمة، لكن الثواب الذي حصل بها قوبل بالسيئة فأسقطته.
ومثله قوله صلى الله عليه وسلم " من شرب الخمر، لم تقبل له صلاة أربعين يوما "١.
وقوله: "أربعين يوما": تخصيص هذا العدد لا يمكننا أن نعلله؛ لأن الشيء المقدر بعدد لا يستطيع الإنسان غالبا أن يعرف حكمته، فكون الصلاة خمس صلوات أو خمسين لا نعلم لماذا خصصت بذلك؛ فهذا من

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ١/٤٩٥

الأمور التي يقصد بها التعبد لله، والتعبد لله بما لا تعرف حكمته أبلغ من التعبد له بما تعرف حكمته؛ لأنه أبلغ في التذلل، صحيح أن الإنسان إذا عرف الحكمة اطمأنت نفسه أكثر، لكن كون الإنسان ينقاد لما لا يعرف، حكمته دليل على كمال الانقياد والتعبد لله عزوجل فهو من حيث العبودية أبلغ وأكمل، أما ذاك؛ فهو من حيث الطمأنينة إلى الحكم يكون أبلغ؛ لأن النفس إذا علمت **بالحكمة في** شيء اطمأنت إليه بلا شك، وازدادت أخذا له وقبولا؛ فهناك أشياء مما عينه الشرع بعدد أو كيفية لا نعلم ما **الحكمة فيه**، ولكن سبيلنا أن نكون كما قال الله تعالى عن المؤمنين: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم

---

١ أخرجه: أحمد (٢/٣٥) ، والترمذي في (كتاب الأشربة، باب ما جاء في شارب الخمر، ٦/١٣٩) - وقال: "حديث حسن"-؛ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وأخرج الإمام أحمد في "مسنده" (١٧٦/٣، ١٨٩، ١٩٧) ، وابن ماجه في (كتاب الأشربة، بأب من شرب الخمر لم تقبل له صلاة، (٢/١١٢٠) نحوه من حديث عبد الله بن عمرو وكذا أخرج أبو داود في (الأشربة، باب النهي عن المسكر، ٤/٧٦) نحوه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.." (١)

"فيه مسائل:

الأولى: **الحكمة في** خلق النجوم

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

بعضا، وهذا أقرب إلى القواعد وأبين حتى لا تبقى دلالة النصوص غير معلومة؛ فتقيد النصوص بعضها ببعض.

وهناك احتمال: أن من كانت هذه حاله حري أن يختم له بسوء الخاتمة، فيموت كافرا، فيكون هذا الوعيد باعتبار ما يؤول حاله إليه، وحينئذ لا يبقى في المسألة إشكال؛ لأن من مات على الكفر؛ فلن يدخل الجنة، وهو مخلد في النار، وربما يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم " لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما "١ فيكون هذا قولا خامسا.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ٥٣٦/١

فيه مسائل:

الأولى: **الحكمة في** خلق النجوم: وهي ثلاث:

- أنها زينة للسماء.
- ورجوم للشياطين.
- وعلامات يهتدى بها.

وربما يكون هناك حكم أخرى لا نعلمها.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك؛ لقول قتادة: "من تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به".

---

١ أخرجه البخاري في (الديات/٦٨٦٢) .." [1]

"..

كفا فقط؛ أي: إلزاما للنفس بالترك، أما الصبر على الأقدار؛ فلأن سببه ليس باختيار العبد، فليس فعلا ولا تركا، وإنما هو من قدر الله المحض.

وخص المؤلف رحمه الله في هذا الباب الصبر على أقدار الله؛ لأنه مما يتعلق بتوحيد الربوبية؛ لأن تدبير الخلق والتقدير عليهم من مقتضيات ربوبية الله تعالى.

قوله: "على أقدار الله": جمع قدر، وتطلق على المقدور وعلى فعل المقدر وهو الله تعالى، أما بالنسبة لفعل المقدر؛ فيجب على الإنسان الرضا به والصبر، وبالنسبة للمقدور؛ فيجب عليه الصبر ويستحب له الرضا. مثال ذلك: قدر الله على سيارة شخص أن تحترق، فكون الله قدر أن تحترق هذا قدر يجب على الإنسان أن يرضى به؛ لأنه من تمام الرضا بالله ربا.

وأما بالنسبة للمقدور الذي هو احتراق السيارة؛ فالصبر عليه واجب، والرضا به مستحب وليس بواجب على القول الراجح.

والمقدور قد يكون طاعات، وقد يكون معاصي، وقد يكون من أفعال الله المحضة؛ فالطاعات يجب الرضا

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ١٦/٢

بها، والمعاصي لا يجوز الرضا بها من حيث هي مقدور، أما من حيث كونها قدر الله؛ فيجب الرضا بتقدير الله بكل حال، ولهذا قال ابن القيم:

فلذاك نرضى بالقضاء ونسخط الـ ... مقضي حين يكون بالعصيان

فمن نظر بعين القضاء والقدر إلى رجل يعمل معصية؛ فعليه الرضا لأن الله هو الذي قدر هذا، وله **الحكمة في** تقديره، وإذا نظر إلى فعله؛ فلا يجوز له أن يرضى به لأنه معصية، وهذا هو الفرق بين القدر والمقدور.." (١)

"وفي " صحيح البخاري": قال علي: "حدثوا الناس بما يعرفون،......

٤- الإقلاع عن الذنب، وعلى هذا، فإذا كانت التوبة من مظالم الخلق؛ فلا بد من رد المظالم إلى أهلها أو استحلالهم منها.

٥- العزم على عدم العودة.

والتوبة التي لا تكون إلا لله هي توبة العبادة؛ كما في الآية السابقة، وأما التوبة التي بمعنى الرجوع؛ فإنها تكون له ولغيره، ومنه قول عائشة حين جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوجد نمرقة فيها صور، فوقف بالباب ولم يدخل، وقالت: "أتوب إلى الله ورسوله، ماذا أذنبت؟ "١، فليس المراد بالتوبة هنا توبة العبادة؛ لأن توبة العبادة لا تكون للرسول صلى الله عليه وسلم ولا لغيره من الخلق بل لله وحده، ولكن هذه توبة رجوع، ومن ذلك أيضا حين يضرب الإنسان ابنه لسوء أدبه؛ يقول الابن: أتوب.

قوله في أثر علي رضي الله عنه "حدثوا الناس": أي: كلموهم بالمواعظ وغير المواعظ.

قوله: "بما يعرفون": أي: بما يمكن أن يعرفوه وتبلغه عقولهم؛ حتى لا يفتنوا، ولهذا جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إنك لن تحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"٢، ولهذا كان من **الحكمة في** الدعوة ألا تباغت الناس بما لا يمكنهم إدراكه، بل تدعوهم رويدا رويدا، حتى تستقر عقولهم، وليس معنى "بما يعرفون" أي: بما يعرفونه من قبل؛ لأن الذي يعرفونه من قبل يكون التحديث به من تحصيل الحاصل.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ٢/١١١

١أخرجه البخاري في (النكاح، باب هل يرجع إذا رأى منكرا في الدعوة رقم٥١٨١) .
٢أخرجه مسلم في مقدمة "صحيحه" (١/١١) .." [(١)]
"أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟! "١.

قوله: "أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟! "٢، الاستفهام للإنكار؛ أي: أتريدون إذا حدثتم الناس بما لا يعرفون أن يكذب الله ورسوله، لأنك إذا قلت: قال الله وقال رسوله كذا وكذا، قالوا: هذا كذب؛ إذا كانت عقولهم لا تبلغه، وهم لا يكذبون الله ورسوله، ولكن يكذبونك بحديث تنسبه إلى الله ورسوله؛ فيكونون مكذبين لله ورسوله، لا مباشرة ولكن بواسطة الناقل.

فإن قيل: هل ندع الحديث بما لا تبلغه عقول الناس، وإن كانوا محتاجين لذلك؟

أجيب: لا ندعه، ولكن نحدثهم بطريق تبلغه عقولهم، وذلك بأن ننقلهم رويدا رويدا؛ حتى يتقبلوا هذا الحديث ويطمئنوا إليه، ولا ندع ما لا تبلغه عقولهم ونقول: هذا شيء مستنكر لا نتكلم به.

ومثل ذلك: العمل بالسنة التي لا يعتادها الناس، ويستنكرونها؛ فإننا نعمل بها، ولكن بعد أن نخبرهم بها؛ حتى تقبلها نفوسهم، ويطمئنوا إليها.

ويستفاد من هذا الأثر أهمية **الحكمة في** الدعوة إلى الله عز وجل وأنه يجب على الداعية أن ينظر في عقول المدعوين وينزل كل إنسان منزلته.

مناسبة هذا الأثر لباب الصفات:

مناسبته ظاهرة؛ لأن بعض الصفات لا تحتملها أفهام العامة، فيمكن إذا حدثتهم بها كان لذلك أثر سيئ عليهم، كحديث النزول إلى السماء الدنيا٣،

١أخرجه البخاري في (العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم/١/٦٢) .
٢ البخاري: العلم (١٢٧) .
٣أخرجه البخاري في (التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل/١/٣٥٦) ، ومسلم في (صلاة

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ١٩٢/٢

المسافرين، باب الترغيب في الدعاء/١/٥٢١) ؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو عند مسلم أيضا من حديث أبي سعيد الخدري في الموضع السابق (٥٢٢/١) .." (١)

".. ...

وقوله: {جعلا له شركاء فيما آتاهما} [الأعراف: من الآية١٩٠] هذا جواب "لما". والجواب متعقب للشرط وهذا يدل على أن الشرك منهما حصل حين إتيانه وهو صغير، ومثل هذا لا يعرف أيصلح في دينه في المستقبل أم لا يصلح؟ ولهذا كان أكثر المفسرين على أن المراد بالصلاح، الصلاح البدني.

فمعاهدة الإنسان ربه أن يفعل العبادة مقابل تفضل الله عليه بالنعمة الغالب أنه لا يفي بها؛ ففي سورة التوبة قال تعالى: {ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون} [التوبة:٧٥، ٧٦] ، وفي هذه الآية قال تعالى: {لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء} [الأعراف: من الآية١٨٩، ١٩٠] فكانا من المشركين لا من الشاكرين، وبهذا نعرف الحكمة من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن النذر؛ لأن النذر معاهدة مع الله عز وجل، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النذر، وقال: " إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل "١، وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى تحريم النذر، وظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أنه يميل إلى تحريم النذر٢؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه، ونفى أنه يأتي بخير.

إذن ما الذي نستفيد من أمر نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال: إنه لا يأتي بخير؟

الجواب؛ لا نستفيد إلا المشقة على أنفسنا، وإلزام أنفسنا بما نحن

---

١ أخرجه مسلم في (النذر، باب النهي عن النذر) ، (١٢٦١/٣) . وأخرج البخاري نحوه في (الإيمان، باب الوفاء بالنذر، ٢٢٧/٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢ انظر: "الاختيارات" (ص ٣٢٨) .." (٢)

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ١٩٣/٢

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ٣٠٢/٢

"..

يضاهئون بخلق الله هم المصورون؛ فهم يضاهئون بخلق الله سواء كانت هذه المضاهاة جسمية أو وصفية؛ فالجسمية أن يصنع صورة بجسمها، والوصفية أن يصنع صورة ملونة؛ لأن التلوين والتخطيط باليد وصف للخلق، وإن كان الإنسان ما خلق الورقة ولا صنعها لكن وضع فيها هذا التلوين الذي يكون وصفا لخلق الله عز وجل.

هذا الحديث يدل على أن المصورين يعذبون، وأنهم أشد الناس عذابا، وأن **الحكمة من** ذلك مضاهاتهم خلق الله عز وجل وليست الحكمة كما يدعيه كثير من الناس أنهم يصنعونها لتعبد من دون الله؛ فذلك شيء آخر، فمن صنع شيئا ليعبد من دون الله؛ فإنه حتى ولو لم يصور كما لو أتى بخشبة وقال: اعبدوها؛ فقد دخل في التحريم؛ لقوله تعالى: {ولا تعاونوا على الأثم والعدوان} ١ لأنه أعان على الإثم والعدوان.

وقوله: "يضاهئون": هل الفعل يشعر بالنية بمعنى أنه لا بد أن يقصد المضاهاة، أو نقول: المضاهاة حاصلة سواء كانت بنية أو بغير نيه؟

الجواب: الثاني؛ لأن المضاهاة حصلت سواء نوى أم لم ينو؛ لأن العلة هي المشابهة، وليست العلة قصد المشابهة، فلو جاء رجل وقال: أنا لا أريد أن أضاهي خلق الله، أنا أصور هذا للذكرى مثلا وما أشبه ذلك؛ نقول: هذا حرام؛ لأنه متى حصلت المشابهة ثبت الحكم؛ لأن الحكم يدور مع علته كما قلنا فيمن لبس لباسا خاصا بالكفار: إنه يحرم عليه هذا اللباس، ولو قال: إنه لم يقصد المشابهة؛ نقول: لكن حصل التشبه؛ فالحكم المقرون بعلة لا يشترط فيه القصد، فمتى وجدت العلة ثبت الحكم.

---

١ سورة المائدة آية: ٢.." (١)

"..

فيستفاد من الحديث:

١- تحريم التصوير، وأنه من الكبائر لثبوت الوعيد عليه، وأن **الحكمة من** تحريمه المضاهاة بخلق الله عز

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ٢/٤٤٣

وجل.

٢- وجوب احترام جانب الربوبية وأن لا يطمع أحد في أن يخلق كخلق الله عز وجل لقوله: " يضاهئون بخلق الله "، ومن أجل هذا حرم الكبر؛ لأن فيه منازعة للرب عز وجل وحرم التعاظم على الخلق؛ لأن فيه منازعة للرب -سبحانه وتعالى-، وكذلك هذا الذي يصنع ما يصنع فيضاهي خلق الله فيه منازعة لله عز وجل في ربوبيته في أفعاله ومخلوقاته ومصنوعاته؛ فيستفاد من هذا الحديث وجوب احترام جانب الربوبية.

قوله: " أشد الناس عذابا ": فيه إشكال؛ لأن فيهم من هو أشد من المصورين ذنبا؛ كالمشركين والكفار، فيلزم أن يكونوا أشد عذابا، وقد أجيب عن ذلك بوجوه:

الأول: أن الحديث على تقدير "من"؛ أي: من أشد الناس عذابا بدليل أنه قد جاء ما يؤيده بلفظ: "إن من أشد الناس عذابا".

الثاني: أن الأشدية لا تعني أن غيرهم لا يشاركهم، بل يشاركهم غيرهم، قال تعالى: {أدخلوا آل فرعون أشد العذاب} ١ ولكن يشكل على هذا أن المصور فاعل كبيرة فقط؛ فكيف يسوى مع من هو خارج عن الإسلام ومستكبر؟!

الثالث: أن الأشدية نسبية، يعني أن الذين يصنعون الأشياء ويبدعونها أشدهم عذابا الذين يضاهئون بخلق الله، وهذا أقرب.

---

١ سورة غافر آية: ٤٦.." (١)

"...

السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، وهذا القول على ما فيه من التناقض قد يوصل إلى الكفر، فهو:

أولا: فيه تناقض، لأنهم قالوا: طريقة السلف أسلم، ولا يعقل أن تكون الطريقة أسلم وغيرها أعلم وأحكم، لأن الأسلم يستلزم أن يكون أعلم وأحكم، فلا سلامة إلا بعلم بأسباب السلامة وحكمة في سلوك هذه الأسباب.

ثانيا: أين العلم والحكمة من التحريف والتعطيل؟

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ٢/٤٤٤

ثالثا: يلزم منه أن يكون هؤلاء الخالفون أعلم بالله من رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ لأن طريقة السلف هي طريقة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

رابعا: أنها قد تصل إلى الكفر؛ لأنها تستلزم تجهيل النبي صلى الله عليه وسلم وتسفيهه؛ فتجهيله ضد العلم، وتسفيهه ضد الحكمة، وهذا خطر عظيم. فهذه العبارة باطلة حتى وإن أرادوا بها معنى صحيحا؛ لأن هؤلاء بحثوا وتعمقوا وخاضوا في أشياء كان السلف لم يتكلموا فيها؛ فإن خوضهم في هذه الأشياء هو الذي ضرهم وأوصلهم إلى الحيرة والشك، وصدق النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: " هلك المتنطعون ١ "، فلو أنهم بقوا على ما كان عليه السلف الصالح ولم يتنطعوا، لما وصلوا إلى هذا الشك والحيرة والتحريف، حتى إن بعض أئمة أهل الكلام كان يتمنى أن يموت على عقيدة أمه العجوز التي لا تعرف هذا الضلال، ويقول بعضهم: ها أنا أموت على عقيدة عجائز نيسابور. وهذا من شدة ما وجدوا من الشك

---

١ أخرجه: مسلم في (العلم، باب هلك المتنطعون، ٤/ ٢٠٥٥) ؛ عن ابن مسعود رضي الله عنه.." (١)
". . . . .

العامة والخاصة، حتى لو كنت في مجلس قهوة، فإن من الخير والإحسان أن تعلم الناس، ولو كنت في مجلس عام فمن الخير أن تعلم الناس، ولكن أستعمل **الحكمة في** هذا الباب، فلا تثقل على الناس حيث كلما جلست في مجلسا جعلت تعظهم وتتحدث إليهم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتخولهم بالموعظة، ولا يكثر، لأن النفوس تسأم وتمل فإذا ملت كلت وضعفت، وربما تركه الخير لكثرة من يقوم ويتكلم.

وأما الإحسان إلى الناس بالبدن فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: "وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع عليها متاعه صدقة" (١) . فهذا رجل تعينه تحمل متاعه معه، أو تدله على طريق أو ما أشبه ذلك فكل ذلك من الإحسان، هذا بالنسبة للإحسان إلى عباد الله.

وأما بالنسبة للإحسان في عبادة الله: فأن تعبد الله كأنك تراه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وهذه العبادة أي عبادة الإنسان ربه كأنه يراه عبادة طلب وشوق، وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد؟ ابن عثيمين ٢/٥٢٩

حاثا عليها، لأنه يطلب هذا الذي يحبه، فهو يعبده كأنه يراه، فيقصده وينيب إليه ويتقرب إليه سبحانه وتعالى، " فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، وهذه عبادة الهرب والخوف، ولهذا كانت هذه المرتبة ثانية في الإحسان، إذا لم تكن تعبد الله – عز وجل – كأنك تراه وتطلبه، وتحث النفس للوصول إليه فاعبده كأنه هو الذي يراك، فتعبده عبادة خائف منه، هارب من عذابه وعقابه، وهذه

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب: فضل من حمل متاع صاحبه. ومسلم، كتاب الزكاة، باب: بيان أن أسم الصدق يقع في كل نوع من المعروف.." (١)

"**الحكمة من** إرسال الرسل

...

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين والدليل قوله تعالى {رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} (١) {سورة النساء، الآية: ١٦٥}، . . . .

---

(١) بين المؤلف رحمه الله تعالى ان الله أرسل جميع الرسل مبشرين ومنذرين كما قال تعالى: {رسلا مبشرين ومنذرين} يبشرون من أطاعهم بالجنة وينذرون من خالفهم بالنار.

وإرسال الرسل له حكم عظيمة من أهمها بل هو أهمها أن تقوم الحجة على الناس حتى لا يكون لهم على الله حجة بعد إرسال الرسل كما قال تعالى: {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} .

ومنها أنه من تمام نعمة الله على عباده فإن العقل البشري مهما كان لا يمكنه أن يدرك تفاصيل ما يجب لله تعالى من الحقوق الخاصة به، ولا يمكنه أن يطلع على ما لله تعالى من الصفات الكاملة، ولا يمكن أن يطلع على ماله من الأسماء الحسنى ولهذا ارسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام." (٢)

". . . . .

---

(١) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين؟ ابن عثيمين ص/١١٩

(٢) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين؟ ابن عثيمين ص/١٤٨

من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} [سورة النساء، الآيات: ٦٠-٦٥] . فوصف الله تعالى هؤلاء المدعين للإيمان وهم منافقون بصفات:

الأولى: أنهم يريدون أن يكون التحاكم إلى الطاغوت، وهو كل ما خالف حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، لأن ما خالف حكم الله ورسوله فهو طغيان واعتداء على حكم من له الحكم وإليه يرجع الأمر كله وهو الله، قال الله تعالى: {ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين} [سورة الأعراف، الآية: ٢٥]
.

الثانية: أنهم إذا دعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول صدوا وأعرضوا.

الثالثة: أنهم إذا أصيبوا بمصيبة بما قدمت أيديهم-ومنها أن يعثر على صنيعهم-جاءوا يحلفون أنهم ما أرادوا إلا الإحسان والتوفيق كحال من يرفض اليوم أحكام الإسلام ويحكم بالقوانين المخالفة لها زعما منه أن ذلك هو الإحسان الموافق لأحوال العصر.

ثم حذر – سبحانه – هؤلاء المدعين للإيمان المتصفين بتلك الصفات بأنه – سبحانه – يعلم ما في قلوبهم وما يكنونه من أمور تخالف ما يقولون، وأمر نبيه أن يعظهم ويقول لهم في أنفسهم قولا بليغا، ثم بين أن **الحكمة من** إرسال الرسول أن يكون هو المطاع المتبوع لا غيره من الناس مهما قويت أفكارهم واتسعت مداركهم، ثم اقسم تعالى بربوبيته لرسوله التي." (١)

"لكنهم يستعملون **الحكمة في** هذا الجهاد ويرومون الوصول إلى الغاية، فإذا رأوا أن الدعوة تستوجب التأخر في بعض الأمور، تأخروا، وإذا رأوا أن الدعوة تقتضي اللين في بعض الأحوال، استعملوه، لأنهم يريدون الوصول إلى غاية معينة، والوسيلة حسب ما تقتضيه الحال.

ثم قال الله تعالى: {ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم} [المائدة: ٥٤].

وفي الآية من الأسماء والصفات ما سبق في التي قبلها، وزيادة أن الله تعالى يكون محبوبا.

الآية السابعة: قوله: {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص} [الصف: ٤].

---

(١) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين؟ ابن عثيمين ص/١٥٦

هذه الآية في سورة الصف، وسورة الصف في الحقيقة هي سورة الجهاد، لأن الله تعالى بدأها بالثناء على المقاتلين في سبيله، ثم دعا إلى الجهاد في آخرها، ثم ذكر بين ذلك أن الله سيظهر دينه على كل الأديان ولو كره المشركون.

{إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا}: لا يتقدم أحد عىل أحد ولا يتأخر، حتى في الجهاد.

والصلاة جهاد مصغر، فيها قائد يجب اتباعه، فإن لم تتبعه، بطلت صلاتك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار، أو يجعل صورته صورة." (١)

"وأجزاء، لكن لا نقول بالنسبة لله: إنها أبعاض وأجزاء؛ لأن هذا ممتنع على الله عز وجل.

وخالف الأشاعرة وأهل التحريف في ذلك، فقالوا: "يضع عليها رجله"؛ يعني: طائفة من عباده مستحقين للدخول، والرجل تأتي بمعنى الطائفة؛ كما في حديث أيوب عليه الصلاة والسلام (١)؛ أرسل الله إليه رجل جراد من ذهب؛ يعني: طائفة من جراد.

وهذا تحريف باطل؛ لأن قوله: "عليها": يمنع ذلك.

وأيضا؛ لا يمكن أن يضيف الله عز وجل أهل النار إلى نفسه؛ لأن إضافة الشيء إلى الله تكريم وتشريف.

وقالوا في القدم: قدم؛ بمعنى: مقدم؛ أي: يضع الله تعالى عليها مقدمه؛ أي: من يقدمهم إلى النار.

وهذا باطل أيضا؛ فإن أهل النار لا يقدمهم الباري عز وجل، ولكنهم {يدعون إلى نار جهنم دعا} [الطور: ١٣]، ويلقون فيها إلقاء؛ فهؤلاء المحرفون فروا من شيء ووقعوا في شر منه؛ فروا من تنزيه الله عن القدم والرجل، لكنهم وقعوا في السفه ومجانبة الحكمة في أفعال الله عز وجل.

والحاصل أنه يجب علينا أن نؤمن بأن لله تعالى قدما، وإن شئنا؛ قلنا: رجلا؛ على سبيل الحقيقة؛ مع عدم المماثلة، ولا نكيف الرجل؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبرنا بأن لله تعالى رجلا أو قدما،

---

(١) رواه البخاري (٣٣٩١، ٧٤٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.." (٢)

"- وثم نوع خامس، وهو العقل، ووجه ذلك أنه لو لم يكن هذا اليوم، لكان إيجاد الخلائق عبثا، والله عز وجل منزه عن العبث، فما الحكمة من قوم يخلقون ويؤمرون وينهون ويلزمون بما يلزمون به ويندبون

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين؟ ابن عثيمين ٢٣٦/١

(٢) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين؟ ابن عثيمين ٣٣/٢

إلى ما يندبون إليه، ثم يموتون، ولا حساب، ولا عقاب؟!

ولهذا قال الله تعالى: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون (١١٥) فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم} [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

وقال تعالى: {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد} [القصص: ٨٥].

كيف يفرض القرآن ويفرض العمل به، ثم لا يكون هناك معاد؛ نحاسب على ما نفذنا من هذا القرآن الذي فرض علينا؟!

فصارت أنواع الأدلة على ثبوت اليوم الآخر خمسة.

* * *

• الأمر الثاني مما يكون في القيامة:

ما أشار إليه بقوله: "فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا".

* قوله: "من قبورهم": هذا بناء على الأغلب، وإلا، فقد يكون الإنسان غير مدفون.

* قوله: "لرب العالمين"؛ يعني: لأن الله عز وجل يناديهم.." (١)

"يرد هذا الإنسان إلى مكانه؛ ابتلاه، حتى يرجع إلى الله، وشاهد هذا قوله تعالى: {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون} [الروم: ٤١].

وأنت أيها الإنسان إذا فكرت هذا التفكير الصحيح في تقديرات الله عز وجل؛ عرفت ما له سبحانه وتعالى من **الحكمة فيما** يقدره من خير أو شر، وأن الله سبحانه وتعالى يخلق ما يكرهه ويقدر ما يكرهه لمصالح عظيمة، قد تحيط بها، وقد لا تحيط بها ويحيط بها غيرك، وقد لا يحيط بها لا أنت ولا غيرك.

* فإن قيل: كيف يكون الشيء مكروها لله ومرادا له؟

فالجواب: أنه لا غرابة في ذلك، فها هو الدواء المر طعما الخبيث رائحة يتناوله المريض وهو مرتاح، لما يترتب عليه من مصلحة الشفاء، وها هو الأب يمسك بابنه المريض ليكويه الطبيب، وربما كواه هو بنفسه، مع أنه يكره أشد الكره أن يحرق ابنه بالنار.

* * *

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين؟ ابن عثيمين ١٣٢/٢

* قوله: "والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم".

* هذا صحيح؛ فالعبد هو المباشر لفعله حقيقة، والله خالق فعله حقيقة، وهذه عقيدة أهل السنة، وقد سبق تقريرها بالأدلة.

* وخالفهم في هذا الأصل طائفتان:." (١)

"الله قد أحاط بكل شيء علما} [الطلاق: ١٢] . وقال: {ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب} [ق: ٣٨] .

- وحكمته تعالى: حكمة بالغة، منزهة عن العبث، شاملة لخلقه وشرعه، قال الله تعالى: {وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين، ما خلقناهما إلا بالحق} [الدخان: ٣٨-٣٩] . وقال تعالى: {الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا} [الملك: ٢] . وقال: {ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم} [الممتحنة: ١٠] .

وحكمته كسائر صفاته لا يحيط بها الخلق، فقد نعجز عن إدراك **الحكمة فيما** خلقه أو شرعه، وقد ندرك منها ما يفتح الله به علينا.

وعلى هذا تجري سائر الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه، فكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

فصل

* ومن الصفات التي نفاها الله تعالى عن نفسه: الموت والجهل والنسيان والعجز والسنة والنوم واللغوب والإعياء والظلم.

- قال الله تعالى: {وتوكل على الحي الذي لا يموت} [الفرقان: ٥٨] .

- وقال عن موسى: {في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى} [طه:٨٢] .

- وقال: {وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض} [فاطر: ٤٤] .

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين؟ ابن عثيمين ٢/٢١٨

- وقال: {لا تأخذه سنة ولا نوم} [البقرة: ٢٥٥] .

- وقال: {وما مسنا من لغوب} [ق:٣٨] . وقال: {ولم يعي بخلقهن}." [١]

"فحث الله تعالى على تدبر القرآن كله ولم يستثن شيئا منه، ووبخ من لم يتدبره، وبين أن الحكمة من إنزاله أن يتدبره الذين أنزل إليهم ويتعظ به أصحاب العقول، ولولا أن له معنى يعلم بالتدبر لكان الحث على تدبره من لغو القول، ولكان الاشتغال بتدبره من إضاعة الوقت، ولفاتت الحكمة من إنزاله، ولما حسن التوبيخ على تركه.

والحث على تدبر القرآن شامل لتدبر جميع آياته الخبرية العلمية والحكمية العملية، فكما أننا مأمورون بتدبر آيات الأحكام لفهم معناها والعمل بمقتضاها، إذ لا يمكن العمل بها بدون فهم معناها - فكذلك نحن مأمورون بتدبر آيات الأخبار لفهم معناها، واعتقاد مقتضاها، والثناء على الله تعالى بها، إذ لا يمكن اعتقاد ما لم نفهمه، أو الثناء على الله تعالى به-.

- وأما دلالة العقل على فهم معاني ما أخبر الله تعالى به عن نفسه فمن وجهين:

أحدهما: أن ما أخبر الله به عن نفسه أعلى مراتب الإخبار وأغلى مطالب الأخيار، فمن المحال أن يكون ما أخبر الله به عن نفسه مجهول المعنى، وما أخبر به عن فرعون، وهامان، وقارون، وعن قوم نوح، وعاد، وثمود، والذين من بعدهم، معلوم المعنى من أن ضرورة الخلق لفهم معنى ما أخبر الله به عن نفسه أعظم وأشد.

الوجه الثاني: أنه من المحال أن ينزل الله تعالى على عباده كتابا يعرفهم به بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، ويصفه بأنه علي حكيم١ كريم٢ عظيم٣

---

١ {وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم} .

٢ {إنه لقرآن كريم} .

٣ {ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم} .." [٢]

---

(١) تقريب التدمرية؟ ابن عثيمين ص/٤٧

(٢) تقريب التدمرية؟ ابن عثيمين ص/٧٠

"الامتناع كما قال تعالى: {وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا} [مريم: ٩١] . فكذلك الشك والامتراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أنزل إليه ممتنع غاية الامتناع، ولكن جاءت العبارة بهذه الصيغة الشرطية لتأكيد امتناع الشك والامتراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أنزل إليه من الله عز وجل.

* فإن قلت: ما **الحكمة من** كون بعض القرآن متشابها؟

فالجواب: أن **الحكمة من** ذلك ابتلاء العباد واختبارهم ليتبين الصادق في إيمانه من الشاك الجاهل الزائغ، فالصادق في إيمانه الراسخ في عمله الذي يؤمن بالله وكلماته، ويعلم أن كلام الله عز وجل ليس فيه تناقض، ولا اختلاف فيرد ما تشابه منه إلى ما كان محكما، ليصير كله محكما. وأما من الشاك الجاهل الزائغ الذي يتبع ما تشابه منه، ليضرب كتاب الله تعالى بعضه ببعض، فيضل ويضل، ويكون إماما في الضلال والشقاء فيفتن الناس في دينهم، ويوقعهم في الشك والحيرة، ويفتن بعضهم ببعض {فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب} [آل عمران: ٧-٨] .

تتمة

* التشابه الواقع في القرآن نوعان: حقيقي ونسبي:

- فالحقيقي: ما لا يعلمه إلا الله عز وجل مثل: حقيقة ما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر فإنا — وإن كنا نعلم معاني تلك الأخبار — لا نعلم

= الولد، وذلك لأن المعبود لم يذكر فيها، فنصرف المعنى إلى من لا تصح العبادة إلا له وهو الله تعالى.." (١)

"مثال ذلك: "العزيز الحكيم" فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيرا. فيكون كل منهما دالا على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزة في العزيز، والحكم **والحكمة في** الحكيم. والجمع بينهما دال على كمال آخر، وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلما وجورا وسوء فعل، كما قد

---

(١) تقريب التدمرية؟ ابن عثيمين ص/٨٢

يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف. وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل.." (١)

"السلف، أو فيما قاله الخلف. والثاني باطل، لأنه يلزم عليه أن يكون الله ورسوله، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، قد تكلموا بالباطل تصريحا، أو ظاهرا، ولم يتكلموا مرة واحدة بالحق الذي يجب اعتقاده لا تصريحا ولا ظاهرا. فيكون وجود الكتاب والسنة ضررا محضا في أصل الدين، وترك الناس بلا كتاب ولا سنة خيرا لهم وأقوم! وهذا ظاهر البطلان.

هذا وقد قال بعض الأغبياء: طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم. ومنشأ هذا القول أمران: الأول – اعتقاد قائله – بسبب ما عنده من الشبهات الفاسدة – أن الله تعالى ليس له في نفس الأمر صفة حقيقية دلت عليها هذه النصوص.

الثاني – اعتقاده أن طريقة السلف هي الإيمان بمجرد ألفاظ نصوص الصفات من غير إثبات معنى لها، فيبقى الأمر دائرا بين أن نؤمن بألفاظ جوفاء لا معنى لها – وهذه طريقة السلف على زعمه – وبين أن نثبت للنصوص معاني تخالف ظاهرها الدال على إثبات الصفات لله، وهذه هي طريقة الخلف؛ ولا ريب أن إثبات معاني النصوص أبلغ في العلم **والحكمة من** إثبات ألفاظ جوفاء ليس لها معنى، ومن ثم فضل هذا الغبي طريقة الخلف في العلم." (٢)

"والحكمة على طريقة السلف.

وقول هذا الغبي يتضمن حقا وباطلا: فأما الحق فقوله: "إن مذهب السلف أسلم" وأما الباطل فقوله: "إن مذهب الخلف أعلم وأحكم" وبيان بطلانه من وجوه:

الوجه الأول – أنه يناقض قوله: "إن طريقة السلف أسلم"؛ فإن كون طريقة السلف أسلم من لوازم كونها أعلم وأحكم، إذ لا سلامة إلا بالعلم والحكمة، العلم بأسباب السلامة، **والحكمة في** سلوك تلك الأسباب،

---

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى؟ ابن عثيمين ص/٨

(٢) فتح رب البرية بتلخيص الحموية؟ ابن عثيمين ص/٢٤

وبهذا يتبين أن طريقة السلف أسلم، وأعلم، وأحكم، وهو لازم لهذا الغبي لزوما لا محيد عنه.

الوجه الثاني – أن اعتقاده أن الله ليس له صفة حقيقية – دلت عليها هذه النصوص – اعتقاد باطل؛ لأنه مبني على شبهات فاسدة (١) ؛ ولأن الله تعالى قد ثبت له صفات الكمال عقلا، وحسا وفطرة، وشرعا:

فأما دلالة العقل على ثبوت صفات الكمال لله فوجهه أن يقال:
إن كل موجود في الخارج فلا بد أن يكون له صفة: إما صفة كمال، وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب

(١) –راجع الفصل الثاني من الباب العشرين (ص٧٢) .." [١]
"والعمل بمقتضاها؟
ج- لا تعتبر إلا لمن تكلم بها عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا فلا بد من الشهادتين من العلم والعمل بمدلولهما قال تعالى (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) وقال تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) الآية إلى غير ذلك من الأدلة.

س١١- ما معنى شهادة أن محمدا رسول الله؟
ج- طاعته فيما أمر به وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهى وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع وأن يعظم أمره ونهيه فلا يقدم عليه قول أحد كائنا ما كان.

س١٢- ما الحكمة في قرن شهادة أن محمدا رسول الله بشهادة أن لا إله إلا الله؟
ج- الحكمة في جعل الشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة مقرونة بالشهادة لله بالتوحيد إشارة إلى أنه لا بد من كل منهما فلا تغني إحداهما عن الأخرى ولهذا قرن بينهما في الأذان وفي التشهد وقال بعضهم في تفسير قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) ذلك أن الله لا يذكر في موضع إلا ذكر معه صلى الله عليه وسلم قاله الحسن وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب

---

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية؟ ابن عثيمين ص/٢٥

صلاة إلا ينادي فيقول أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله قال مجاهد (ورفعنا لك ذكرك) يعني بالتأذين.." (١)

"قال حسان:

أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهور يلوح ويشهد

وضم الإله اسم النبي مع اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

س١٣- ما الحكمة في الجمع له صلى الله عليه وسلم بين وصفي العبودية والرسالة؟

ج- الحكمة في ذلك لأنها أعلى ما يوصف به العبد والرسول صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق فيهما وفيه تنبيه للرد على الذين رفعوه فوق منزلته والذين نبذوا ما جاء به وراء ظهورهم واعتمدوا على الآراء التي تخالف ما جاء به صلى الله عليه وسلم.

س١٤- ما حد التوحيد اذكره بوضوح؟

ج- هو علم العبد واعترافه واعتقاده وإيمانه بتفرد الرب بكل صفة كمال وتوحيده في ذلك واعتقاده أنه لا شريك له ولا مثيل له في كماله وأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

س١٥- ما هي أقسام التوحيد عند من يجعلها ثلاثة أقسام؟

ج- توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية.

س١٦- ما هو توحيد الربوبية؟

ج- هو اعتقاد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق." (٢)

"أيوب، شعيب، موسى، هرون، اليسع، ذو الكفل، داود، زكريا، سليمان، الياس، يحيى، عيسى، محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

(١) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية؟ عبد العزيز السلمان ص/١٠

(٢) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية؟ عبد العزيز السلمان ص/١١

س٣٨- ما موضوع رسالة الرسل وما **الحكمة فيها**؟ وما الدليل عليها؟

ج- موضوعها التبشير والتنذير قال تعالى: (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) **والحكمة في** إرسال الرسل دعوة أممهم إلى عبادة الله وحده والنهي عن عبادة ما سواه قال تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) .

س٣٩- من هم أولوا العزم من الرسل وأين ذكروا؟

ج- هم محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى المذكورون في آية سورة الشورى قوله تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وفي آية الأحزاب: (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم)

س٠4- ما الواجب علينا نحو الرسل عليهم الصلاة والسلام؟

ج- يجب علينا تصديقهم وبأنهم بلغوا جميع أرسلوا به على ما أمرهم الله به وبينوه بيانا واضحا لا يسع أحدا ممن أرسلوا إليه جهله." (١)

"فصفات كل موصوف تناسب ذاته وتليق به ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق.

س٦٥- ما مثال أسماء الله المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد منها بمفرده على الله إلا مقرونا بالاسم الآخر وما المحذور من إفرادها؟ وضح ذلك.

ج- مثالها المانع المعطي الضار النافع المذل المعز القابض الباسط الخافض الرافع **والحكمة في** أنها لا تفرد لأن في إفرادها ما يوهم نوع نقص تعالى الله عن ذلك ولأن الكمال الحقيقي تمامه وكماله من اجتماعهما.

أقسام الصفات

س٦٦- إلى كم تنقسم صفات الله ووضح كل قسم منها بما يميزه عن الآخر؟

---

(١) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية؟ عبد العزيز السلمان ص/١٩

ج- إلى قسمين صفات ذات وهي التي لا تنفك عن الله وصفات فعل وهي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة.

س٦٧- ما مثال الصفات الذاتية والصفات الفعلية؟

ج- مثال صفات الذات العلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والوجه واليد والرجل والملك والعظمة والكبرياء والعزة والعلو والإصبع والقدم والغنى والرحمة والكلام.." (١)

"إليه كثيرا من الروحانيات والطلسمات بل قالوا إنه انتقل إلى مصر وحكمها وكان له أولاد منهم طاط وأشمن وقفط وغيرهم.

الثالث: هرميس المثلث الحكمة: قالوا سمي كذلك؛ لأنه ثالث الهرامسة الحكماء، ومثلث العظمة.

وليس من شك في أن هرميس الأول من نسج الخيال اليهودى، وأن هرميس الثاني اسم اخترعه العرب لمؤلف المقالات الهرميسية التي تدور حول علوم الأسرار من السحر والطلسمة والكيمياء وما إليها.

أما هرمس الثالث: المثلث الحكمة فلم يعرفه العرب بالاسم فقط بل عرفوا الرسائل المنسوبة إليه، يقول القفطي في تاريخه: ونقلت من صحف هرمس المثلث الحكمة نبذا من مقالته إلى تلميذه طاطي على سبيل سؤال وجواب بينهما وهى على غير نظام وولاء؛ لأن الأصل كان باليا مفرقا، وهناك كتاب كثيرون غير القفطي يشيرون إلى رسائل هرميس ووجودها في أصل عربي، أو ترجمة سريانية وإلى اقتباسهم منها مما لا يدع مجالا للشك في أن العرب عرفوا هذه الرسائل في صورتها الأصلية. ويرد على ذلك أن كتبا عربية وضعت برمتها ملخصة الفلسفة الهرميسية مما يساعد كثيرا على ذيوع هذه الفلسفة وشيوعها بين المسلمين، من هذه الكتب: كتابان أشار إليهما العلامة الأستاذ "سانتلانا" في محاضراته في الفسلفة الإسلامية بالجامعة المصرية القديمة وهما:

- "كتاب "سر الخليقة" المنسوب لبليتوس "وهو ابن لونيوسالطيانى من أهل طيانة" الفيثاغوري من حكماء القرن الأول المسيحي.

وهذا الكتاب مخطوط بمكتبة باريس وهو يحمل طابعا هرميسيا لا يشك فيه الأستاذ سانتلانا.

- الثاني: رسالة "هرميس المثلث الحكمة في معاتبة النفس أو معازلة أو زجر النفس".." (٢)

---

(١) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية؟ عبد العزيز السلمان ص/٣٠

(٢) تاريخ الفكر الديني الجاهلي؟ محمد إبراهيم الفيومي ص/٣٠٠

"الثاني: زينب بنت أبي سلمة، كان اسمها برة وغيره – صلى الله عليه وسلم –، إلى: زينب. وقال – صلى الله عليه وسلم –: ((لا تزكوا أنفسكم فإن الله هو أعلم بالبرة منكن، والفاجرة. سميها: زينب)) . الخ.

الثالث: جويرية بنت الحارث الخزاعية، كان اسمها برة. والحديث في مسلم.

الرابع: برة بنت الحارث الهلالية. سماها النبي – صلى الله عليه وسلم –: جويرية.

الخامس: في ترجمة: جويرة بنت الحارث الهاشمية.

بالرفاء والبنين: (١)

الرفاء: الالتحام والاتفاق، أي: تزوجت زواجا يحصل به الاتفاق والالتحام بينكما.

والبنين: يهنئون بالبنين سلفا وتعجيلا. ولا ينبغي التهنئة بالابن دون البنت، وهذه سنة الجاهلية، وهذا سر النهي. والله أعلم.

بركتي عليكم: (٢)

في الأسئلة التي ساقها ابن القيم – رحمه الله تعالى– على تحية الإسلام قال: (وأما السؤال الثاني والعشرون: وهو: ما الحكمة في إضافة الرحمة والبركة إلى اللـه تعالى، وتجريد السلام عن الإضافة؟ فجوابه: أن السلام لما كان اسما من أسماء الله تعالى استغني بذكره مطلقا عن الإضافة إلى المسمى.

وأما الرحمة والبركة فلو لم يضافا إلى الله تعالى لم يعلم رحمة من، ولا بركة من: تطلب. فلو قيل: عليكم ورحمة وبركة، لم يكن في هذا اللفظ إشعار بالراحم المبارك الذي تطلب الرحمة والبركة منه، فقيل: رحمة الله وبركاته.

وجواب ثان: أن السلام يراد به قول المسلم: سلام عليكم. وهذا في

---

(١) (بالرفاء والبنين: الآداب الشرعية ١/٤٣١. بغية الرائد للقاضي عياض ص / ١٧٥ – ١٧٨ مهم. تحفة المودود ص /٢٩. شرح ابن علان للأذكار ٧ / ١٠٩، ٦ / ٨٠ – ٨١. تهذيب السنن ٣/ ٥٩ – ٦٠. آداب الزفاف للألباني ص / ١٧٥ – ١٧٦، الفتاوى الحديثية ص / ١٣٩. فتح الباري ٩ / ٢٢١ – ٢٢٢

مهم.

(٢) (بركتي عليكم: بدائع الفوائد ٢/ ١٨١.." [١]

"٢ – قول الإمام الشافعي في هذا الباب

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه: آمنت بالله، وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله.

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم كلهم متفقون على الإقرار والإمرار، والإثبات لما ورد من الصفات، في كتاب الله، وسنة رسوله، من غير تعرض لتأويله.

(أ) ما مفاد كلام الشافعي رحمه الله؟

(ب) ومن المراد بالسلف والخلف؟

(ج) وما الفرق بين الإقرار والإمرار والإثبات؟

(أ) يفيد أن الواجب على المسلم قبول ما جاء عن الله ورسوله، سواء فهم معناه **والحكمة فيه** أو خفي عليه.

كما أن عليه التصديق بربوبية الله وإلاهيته، وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وكذا يلزمه قبول ما ورد عن الله في كتابه، أو على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام، فإن فهم معنى ذلك قال به، وإلا فوض، أي: فوض العلم بالكنه والكيفية إلى الله وحده. وهذا معني قوله: (على مراد الله) أي: على ما أراد منه، مع أنه ما خاطب الناس إلا بما يفهمونه.." [٢]

"ومن دعاء القنوت الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: «وقني شر ما قضيت» .

(أ) ما المراد بكونه مريدا لأفعال العباد؟

(ب) وما معنى تقديره للأرزاق والآجال؟

(ج) وما **الحكمة في** إضلاله من أضل؟

---

(١) معجم المناهي اللفظية؟ بكر أبو زيد ص/١٧٧

(٢) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد لابن جبرين؟ ابن جبرين ص/٤٩

(د) وتكلم على أدلة تقدير الأشياء؟

(أ) قوله: (أراد ما العباد فاعلوه) أي: إرادة كونية قدرية، وهو معنى قوله: خلق الخلائق وأفعالهم، قال تعالى: {والله خلقكم وما تعملون} فهو سبحانه لا يكون في ملكه ما لا يريد.

وقد أنكرت ذلك القدرية النفاة، وأنكروا النصوص الكثيرة في هذا الباب كقوله: {ولو شاء ربك ما فعلوه} ، وقوله: {ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا} فالله تعالى هو الفعال لما يريد، فلا يقع في الكون فعل ولا ترك إلا بإرادته واختياره.

(ب) أما قوله: (وقدر أرزاقهم وآجالهم) فالمعنى أنه تعالى حدد ووقت لكل مخلوق عمره وزمن وجوده، ومدة حياته، وفقره أو." (١)

"المثال الخامس: البعث بعد الموت:

والبعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور، {فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون} ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما، فيقفون في موقف القيامة، حتى يشفع فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

(أ) ما تقول في البعث بعد الموت؟

(ب) ولماذا يكون؟

(ج) وما الصور؟

(د) وما صفة النفخ فيه؟

(هـ) وما اسم الذي ينفخ فيه؟

(و) وما صفة البعث؟

(ز) وما الأجداث؟

(ح) وكيف يحشرون؟

(ط) وما معنى غرلا بهما؟

---

(١) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد لابن جبرين؟ ابن جبرين ص/١٢١

(ي) وما الحكمة في ذلك؟

(ك) وما مدة وقوفهم؟." (١)

"«يا رسول الله ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: الأمر أعظم من أن يهمهم ذلك {لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه} » ، وقد قال تعالى: {خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر} .

(ط) (الغرل) : غير المختونين، فالغرلة القلفة، وتقدم معنى (البهم) .

(ي) والحكمة في كونهم غرلا ليكمل خلقهم، قال تعالى: {كما بدأكم تعودون} .

(ك) وأما وقوفهم، فقال تعالى: {يوم يقوم الناس لرب العالمين} وذكر في القرآن طول ذلك اليوم، وأن مقداره كألف سنة، وفي آية أخرى خمسين ألف سنة، وورد في بعض الآثار أن المؤمنين لا يحسون بطوله، وكثرت الأدلة على شدة الهول، وفظاعة ذلك اليوم، نسأل الله العافية.." (٢)

"المثال السابع: الميزان:

والميزان له كفتان ولسان، توزن به الأعمال: {فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون} .

(أ) ما تقول في الميزان؟

(ب) وماذا يوزن به؟

(ج) وما سبب خفته وثقله؟

(أ) نعتقد أن الميزان حق كما أخبر الله، وأنه حقيقي له كفتان ولسان ويخف ويثقل، ولكن لا يعلم كيفيته إلا الله، والحكمة فيه إظهار العدل ونفي الظلم، ولا التفات إلى من أنكره من المبتدعة، أو من تأوله بالعدل بمعنى أنه يعدل بين الخلق، ونحو ذلك مما هو تحريف للكلم عن مواضعه.

(ب) وأما الموزون فقيل:

أولا: توزن الأعمال وإن كانت أعراضا، فالله قادر على جعلها أجساما كما ذكر أن الصلاة تصعد ولها نور

---

(١) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد لابن جبرين؟ ابن جبرين ص/١٤٤

(٢) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد لابن جبرين؟ ابن جبرين ص/١٤٧

أو ظلمة، وأن القرآن يجادل يوم القيامة عن حامله، ونحو ذلك.

ثانيا: توزن الصحف التي كتبت فيها الأعمال، كما في حديث صاحب البطاقة والسجلات.." (١)

"المثال العاشر: الجنة والنار والموت:

والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان، فالجنة مأوى أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون، والمجرمون {في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون} ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال: «يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت» .

(أ) ما تقول في الجنة والنار؟

(ب) وهل هما موجودتان الآن؟

(ج) وهل العذاب والنعيم مستمر أم لا؟

(د) وما كيفية ذبح الموت؟

(هـ) وما **الحكمة في** ذلك؟

(أ) نعتقد أن الجنة حق، وأن النار حق فالجنة دار كرامته تعالى ينعم بها أولياءه، والنار دار إهانته، يعذب بها أعداءه، ولكل منهما ملؤها، والقرآن مملوء من ذكر الجنة والنار وما فيهما من النعيم والجحيم.

(ب) وهما موجودتان الآن، كما قال تعالى عن الجنة: {أعدت للمتقين} وعن النار: {أعدت للكافرين} أي: هيئت وأوجدت،." (٢)

"وقال في حق آل فرعون: {النار يعرضون عليها غدوا وعشيا} وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآهما وهو في صلاة الكسوف وغيرها، ورأى من فيهما، ووصفهما بما يوجب القطع بوجودهما الآن.

(ج) وتكاثرت الأدلة على أبدية الجنة والنار، وأنهما لا تفنيان، ولا ينقطع ما فيهما أبدا وسرمدا، قال تعالى: {لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا} وقال: {وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم} .

(د) وأما ذبح الموت، فليس المراد به الملك الموكل به وهو عزرائيل وإنما المراد حقيقة الموت الذي هو الفناء، ولا يستبعد على قدرة الله قلبه في صورة كبش، وهو الذكر من الضأن، وإيضاحه لهم حتى يعرفوه.

---

(١) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد لابن جبرين؟ ابن جبرين ص/١٥١

(٢) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد لابن جبرين؟ ابن جبرين ص/١٥٦

(هـ) **والحكمة في** ذبحه كي يتحققوا دوام ما هم فيه، وعدم الزوال والانقطاع، وهو معنى قوله: " خلود ولا موت ". أي: لا يتصور بعد هذا موتكم وفناؤكم، لزوال سببه، فيفرح أهل الجنة، ويحزن أهل النار.." (١)

"ابتلاء الله لأصحاب الإيمان

إن الله تعالى يبتلي العباد حتى يظهر منهم من هو راسخ العقيدة حقيقة ومن هو غير صحيح المعتقد.

فمثلا: بعض الناس يدخل في الإسلام من غير المسلمين، ويجعل ذلك كتجربة، ويقول: ننظر في هذا الإسلام الذي يدعو إليه هؤلاء، فإن جاء بما يوافقنا وإلا رجعنا إلى بلادنا وعشنا فيها على الدين الذي كان عليه أسلافنا.

فهؤلاء قد يسلط الله عليهم ابتلاء وامتحانا من الفقر والمرض والأذى، فإذا جاءتهم هذه المصائب سبوا الدين وسبوا هذا المعتقد، وقالوا: ليس في هذا الدين خير، بل منذ أسلمنا ونحن في هذه المصائب، فإذا شفينا من مرض أتى بدله، وإذا سلط علينا إنسان وتخلصنا منه تسلط علينا آخر.

نقول لهم: اصبروا وصابروا، وتحملوا ما تلقونه من الأذى، فإذا كنتم على العقيدة الصحيحة فتحملوا ذلك ولا تتزعزعوا، ولا ترجعوا عما كنتم عليه فتخسروا دينكم وحياتكم؛ فإن البلاء يسلط على الأنبياء وأتباع الأنبياء، كما جاء في الحديث: (لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الدنيا وليس عليه خطيئة) ، وقال: (إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة شدد عليه وإلا خفف عنه) ، فالله تعالى ابتلى صحابة نبيه صلى الله عليه وسلم عندما أسلموا وأخبرهم بهذا الابتلاء، ولكن أمرهم بالصبر، واقرأ قول الله تعالى: {لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور} [آل عمران:١٨٦] ، فالذين صبروا واتقوا وتحملوا ما حملهم على ذلك إلا بشاشة الإيمان التي باشرت قلوبهم، والعقيدة الصحيحة ملأت أفئدتهم، والإيمان بالله وبدينه وبشريعته باشر أفئدتهم وأشربته لحومهم ودماؤهم، فعند ذلك صبروا وقالوا: {هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما} [الأحزاب:٢٢] ، ونقول: إن هذه آثار العقيدة.

فإذا أنت تعرف صادق العقيدة وقوي العقيدة، وتعرف الكاذب وضعيف العقيدة، ولكن لا يعرف ذلك ولا يظهر جليا إلا عند الامتحان، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان، والامتحان هنا معروف أنه من الله تعالى،

---

(١) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد لابن جبرين؟ ابن جبرين ص/١٥٧

وذلك بأن يسلط الله الأذى المؤمن كامل الإيمان وعلى راسخ الإيمان، ويكون هذا التسليط وهذه المصائب التي تصيبه رفعا لدرجاته وتكريما له وزيادة في حسناته، كما حصل للأنبياء، وقد تكون في حق المؤمن أيضا رفعا لدرجاته ولكنها في الحقيقة اختبار وامتحان لكثير من الناس في أمر إيمانهم هل هم صادقون أم لا؟ ولذلك قال الله تعالى: {وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين} [العنكبوت:١١] ، وقال تعالى: {أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين} [العنكبوت:٢-٣] أي: أتحسبون أن تقولوا: آمنا وتسلمون من الفتنة؟! لابد من الفتنة، ولابد من الابتلاء، فالله تعالى يبتلي من يبتليه لما ذكر من **الحكمة في** قوله تعالى: {وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين} [العنكبوت:١١] ، والعلم هنا هو علم الظهور، أن يظهر معلوم الله تعالى في حينه، فيظهر علم الله في هذا الرجل أنه منافق وأنه يعبد الله على حرف، فلما جاءه هذه الابتلاء رجع القهقرى، وأن هذا قوي الإيمان، فما زادته الفتنة إلا ثباتا ورسوخا وتقدما فيما هو عليه وصبرا واحتسابا.." (١)

"عقيدة أهل السنة في المخلوقات

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وأنه مالك خلقه، وأنشأهم لا عن حاجة إلى ما خلق، ولا لمعنى دعاه إلى أن خلقهم؛ لكنه فعال لما يشاء ولا يسأل عما يفعل، والخلق مسئولون عما يفعلون] .

نعتقد أن الله تعالى هو الذي خلق الخلق، وما في الوجود مخلوق إلا والله خالقه؛ إذ ليس لأحد قدرة على أن يخلق أي حيوان، ولو اجتمع الخلق كلهم على أن يخلقوا بعوضة يركبوا فيها أجنحتها وأيديها ومفاصلها وما أشبه ذلك، وينفخوا فيها الروح حتى تطير لن يقدروا، إلا ما ذكر الله تعالى عن عيسى عليه السلام في قوله: {وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني} [المائدة:١١٠] ، فهذا إذن من الله تعالى أن أقدر عيسى على أن يصور صورة طير من الطين ثم ينفخ فيها فتطير، وذكروا أنه كان يطير حتى إذا اختفى عن الأعين سقط ميتا، ليعرف بذلك الفرق بين ما خلقه الله وما خلقه عيسى بإذن الله تعالى.

أما بقية الخلق فلن يستطيعوا أن يخلقوا أصغر مخلوق، قال الله تعالى: {يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له} [الحج:٧٣] ، والذباب من أحقر

---

(١) اعتقاد أهل السنة؟ ابن جبرين ١/٥

المخلوقات ولو اجتمعوا على أن يخلقوا مثل هذا الذباب وأن يركبوا فيه مفاصله وأوصاله وسمعه وبصره وشمه وأسنانه وأمعاءه وأجنحته، لن يستطيعوا، بل الخلق خلق الله.

وإذا قيل: أليس الإنسان يتسبب في خلق الولد؟ نقول: إن الله تعالى هو الذي يخلق الأولاد، فهو الذي قدر أن هذا الاتصال بين الذكر والأنثى يسبب خلق المولود وتولده بين اثنين، فهو الذي قدره وهو الذي يخلقه، فليس الإنسان هو الذي يخلق أولاده، ولو كان كذلك لاختار -مثلا- أن يكون أولاده ذكورا، وأن يكون خلقهم حسنا تاما، فلا يكون هناك معاق، ولا ناقص في الخلق، ولا سيئ الخلقة، وما أشبه ذلك.

فدل على أن الله تعالى هو الذي يخلقهم وهو الذي فاوت بينهم.

فمالكهم هو الذي يملكهم، {قل اللهم مالك الملك} [آل عمران:٢٦] ، فالخلق كلهم ملكه وتحت تصرفه وتقديره.

خلقهم وأنشأهم، وليس لحاجة أوجدهم وأنشأهم، بل هو الغني عنهم وهم الفقراء إليه، ففي الحديث القدسي الذي في صحيح مسلم يقول الله تعالى: (يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته) ، ثم قال: (يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته) (كلكم عار إلا من كسوته) (يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم) ، إلى آخر الحديث، فيخبر بأنه غني عنهم، وأنهم لو اجتمعوا كلهم على أتقى قلب رجل ما زاد ذلك في ملكه شيئا، وإن اجتمعوا على أشقى قلب رجل وأفجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئا، وأنهم لن يبلغوا نفعه ولن يبلغوا ضره.

قوله: [لا عن حاجة إلى ما خلق] أي: لم يكن بحاجة إليهم، ولكن خلق الخلق وأوجدهم للابتلاء والامتحان، أوجد هذا المخلوق حتى يبلوه، قال الله تعالى: {إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا} [الكهف:٧] ، وقال تعالى: {الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا} [الملك:٢] .

خلق الموت والحياة وخلق هؤلاء المخلوقين وأوجدهم وقدر أنهم يحيون الحياة التي يعيشونها، وقدر أرزاقهم، وكذلك أمرهم ونهاهم، فكل ذلك بقضاء الله تعالى وقدره.

قوله: [ولا لمعنى دعاه إلى أن خلقهم] أي: ليس هناك دافع دفعه إلى خلقهم كما في قوله: (يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) .

فليس هو بحاجة إليهم، ولا تنفعه طاعة المطيع، ولا تضره معصية العاصي، بل هو النافع الضار.

قال رحمه الله تعالى: [فعال لما يشاء ويحكم ما يريد] فما شاءه كان، وما لم يشأ لم يكن، أراد إيجاد هذه المخلوقات، وكذلك أوجد جميع الحيوانات صغيرها وكبيرها، أوجد الدواب والحشرات والطيور والوحوش والسباع والهوام وغيرها، فهو الذي أوجدها وجعلها آية على قدرته؛ حيث خلق هذه المتضادات وأنشأها مع اختلافها، أليس ذلك دليلا على كمال قدرته حيث خلق هذه المخلوقات وجعلها تتوالد كما يشاء؟!

فمن مشاهد آيات الله تعالى: أن كل مخلوق إنما يلد من جنسه، فمثلا السبع يلد سبعا مهما كانت أحواله، ولو ربي ثم ربي، وقد ذكر بعض أهل القصص أن امرأة أخذت جرو ذئب فربته في بيتها وأرضعته من شاتها ولما كبر بدأ فعقر شاتها، مع أنه أليف لهم، فأنشأت تقول: عقرت شويهتي وفجعت قلبي وأنت لشاتنا ولد ربيب فديت بدرنا ونشأت فينا فمن أدراك أن أباك ذيب إذا كان الطباع طباع سوء فليس بنافع فيها الأديب فلو غير في طباعه لا تتغير، فهو هكذا طبع، فولد السبع يكون سبعا، وولد بهيمة الأنعام يكون تابعا لها، وأولاد الطيور لو جمعت منها -مثلا- بيضة حمامة ودجاجة وعصفور وحبارى ونعامة وجعلتها في مكان لفقست وصارت كل واحدة مثل أمها التي باضتها، ولا يمكن أن تتغير، هكذا خلق الله، فكل شيء يكون ولده مثله، لا شك أن هذا دليل على قدرة الله، {هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه} [لقمان:١١] .

ثم يقول: [لا يسأل عما يفعل] أخذ ذلك من الآية في سورة الأنبياء: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء:٢٣] أي أنه يفعل ما يشاء، ولا يجوز أن يقال: لماذا فعل الله كذا؟ بل أفعال الله تعالى لا تعلل؛ لأن الله تعالى حكيم في أفعاله.

فلا يجوز أن تسأل وتقول: لماذا خلق الله هذه الحشرة؟! وما فائدة خلق هذه السباع؟! وما فائدة خلق هذه الدواب؟! وهذه ضارة ومؤذية! وما فائدة خلق هذا الذباب؟! وما أشبه ذلك؛ فإن الله حكيم في أمره، لا يجوز أن يسأل عن الحكمة في خلقه؛ لأنه حكيم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد [والخلق مسئولون عما يفعلون] .

يقول: [وأنه مدعو بأسمائه الحسنى] .

تقدم قريبا أنه أمرنا بأن ندعوه بأسمائه، كما قال: {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها} [الأعراف:١٨٠] .

قال المصنف رحمه الله: [وموصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه] .

تقدم قريبا أيضا أنه موصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، وسماه ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم.

قال المصنف رحمه الله: [لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يوصف بما فيه نقص أو عيب أو آفة، فإنه عز وجل تعالى عن ذلك] قوله: [لا يعجزه شيء] هذه من الصفات السلبية، نقول: إنه تعالى أخبر بأنه لا يعجزه شيء، وذلك في عدة آيات، وذلك دليل على كمال قدرته، وإذا وصفناه وقلنا: لا يعجزه شيء فهذا سلب؛ لأن الصفات السلبية إنما يوصف بها إذا كانت تدل على إثبات، فهو لا يوصف بما فيه نقص أو عيب، فالصفات التي فيها نقص أو عيب لا يوصف بها، بل نزه الله تعالى نفسه عنها في قوله: {لا تأخذه سنة ولا نوم} [البقرة:٢٥٥] ، وقوله: {وتوكل على الحي الذي لا يموت} [الفرقان:٥٨] ، وقوله تعالى: {وما مسنا من لغوب} [ق:٣٨] وأشباه ذلك.." (١)

"الحكمة من خلق الخلق

Q كيف نجمع بين قول المؤلف: [ولا معنى دعاه إلى خلقهم] وقول الله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦] ؟

A الحكمة في خلق الجن والإنس هي الأمر بالعبادة، ولكن ليس فيها دليل على أنه محتاج إلى عبادتهم، ولا أن عبادتهم تنفعه أو تزيد في ملكه أو نحو ذلك، بل هو الغني وهم الفقراء، كما قال تعالى: {يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد} [فاطر:١٥] .

فالله تعالى أخبر بأنه خلق الخلق ليعبدوه، والمعنى: خلقهم ليأمرهم وينهاهم وليمتحنهم وليكلفهم، فمنهم من عبد ومنهم من لم يعبد، فـ (اللام) هنا يقال لها: لام التعليل.

فالعلة في خلقهم هو الأمر بعبادتهم، فليس فيها دليل على أنه ينتفع بعبادتهم، وأن ترك العبادة تضره، كما ذكر في الآيات.." (٢)

"القضاء والقدر في عقيدة أهل السنة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [ويقولون: إن الخير والشر والحلو والمر بقضاء من الله عز وجل أمضاه

---

(١) اعتقاد أهل السنة؟ ابن جبرين ٥/٤

(٢) اعتقاد أهل السنة؟ ابن جبرين ١٢/٤

وقدره] .
ورد ذلك أيضا في الحديث: (أن تؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره) أي: تؤمن بأن ما يحدث في الكون كله من الله مقدر، خيره وشره، حلوه ومره، ما يلائمك وما لا يلائمك، وتؤمن بأنه مكتوب عند الله تعالى، فإذا حصل لك رزق، ونعمة وصحة ورفاهية وراحة طيبة وسعة بال فاعلم أنه بقدر من الله وأن الله الذي قدره، وإذا أصبت بهم أو غم أو حزن أو فقر أو مرض أو مصيبة في مال أو بدن أو ولد أو أمر من الأمور التي تجلب لك السوء وتحزنك، فاعلم أنها مكتوبة وأنها مقدرة، وكذلك كل ما يحلو لك أو لا يحلو اعلم أنه من الله وأنه بقضاء من الله تعالى قدره وأمضاه.
قال رحمه الله تعالى: [لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله تعالى] أي: الخلق.
فالله تعالى هو الذي يعطي هؤلاء النفع وهؤلاء الضر، ويقدر عليهم ما قدره.
قال رحمه الله تعالى: [وإنهم فقراء إلى الله عز وجل، لا غنى لهم عنه في كل وقت] .
قال الله تعالى: {والله الغني وأنتم الفقراء} [محمد:٣٨] ، وقال تعالى: {يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد} [فاطر:١٥] ، وفقر الإنسان فقر لازم ذاتي لا يمكن أن يتغير ولا أن يتحول، يقول شيخ الإسلام: فالفقر لي وصف ذات لازم أبدا كما الغنى أبدا وصف له ذاتي فالفقر للإنسان وصف ذاتي، والغنى للرب تعالى وصف ذاتي.
وهذا الكلام الذي ذكره المؤلف في هذه الفقرة يتعلق بالقضاء والقدر، وقد ذكر العلماء أن للقدر درجتين:
الدرجة الأولى: أن الله تعالى علم الأشياء قبل وجودها، ثم كتبها في اللوح المحفوظ.
والدرجة الثانية: أن الله تعالى أراد الأشياء الموجودة ثم خلقها.
فالدرجة الأولى تتضمن العلم والكتابة، والدرجة الثانية تتضمن الإرادة والخلق، ولهذا يقولون: لا يكون في الوجود إلا ما يريد، ولا يمكن أن يحدث شيء في الوجود إلا بعد إرادة الله تعالى.
ثم إن هذه الدرجة انقسم الناس فيها إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: قوم أنكروها وقالوا: ليس لله قدرة على أفعال العباد.
وهؤلاء هم المعتزلة، ولهذا يسمون مجوس هذه الأمة، حيث جعلوا مع الله خالقا، فقالوا: كل أحد يخلق أفعاله، وليس لله قدرة على أفعال العباد.
فجعلوا قدرة العباد أقوى من قدرة الله.

القسم الثاني: طائفة غلت في هذه الدرجة وبالغت فيها، وهم الجبرية الذين جعلوا العبد كالأداة ليس له أي اختيار وليس له أي عمل، ولا تنسب إليه أية حركة، وجعلوا حركة العباد كحركة من ترتعش يده ولا يقدر على إمساكها، وجعلوا حركاته كحركات الشجر الذي تحركه الرياح بغير اختياره، ويسمون الجبرية؛ لأنهم يدعون أن العبد مجبور على أفعاله، وقد رد عليهم أهل السنة وقالوا: إن في هذا القول إبطالا للشريعة وسلبا للحكمة، وذلك لأن الله تعالى يوجه الأوامر إلى الناس، ويأمر وينهى، ولولا أن للعباد قدرة على أفعالهم لما أمرهم بها، فكيف يقول لهم: {يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا} [الحج:٧٧] ، وهم مع ذلك لا يقدرون على شيء؟! وكيف يقول لهم: {يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا} [البقرة:١٠٤] وهم لا يقدرون على شيء؟! وكيف يقول لهم: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا} [البقرة:٢٧٨] وهم لا يقدرون على شيء؟! وأيضا فإن في الغلو في هذه الدرجة مخالفة للعقل، فالذين يدعون أنهم مجبورون على هذه الأفعال مضطربون في ذلك ومخالفون لعقولهم، ثم هم أيضا مخالفون لواقعهم.

والحاصل أن مثل هؤلاء يحتجون بالقدر على المعاصي، ولكن عندما يعاقبون لا يحتجون به، وفي أبيات لـ ابن القيم في الميمية يقول فيها: وعند مراد الله تفنى كميت وعند مراد النفس تسدي وتلحم وعند خلاف الأمر تحتج بالقضا ظهيرا على الرحمن للجبر تزعم فجعلهم إذا جاء للناس حظ اهتموا بالأمر وعملوا لأجل حظ النفس، وإذا جاء أمر الله يفنى أحدهم كأنه ميت، وإذا وقع في معصية احتج بالقضاء وبالقدر، ومشهور أن بعض أولئك الزنادقة دخل على شيخ الإسلام ابن تيمية فأنشده أبياتا يحتج فيها بالقدر أولها: أيا علماء الدين ذمي دينكم تحير دلوه بأوضح حجة وفيها قوله: دعاني وسد الباب دوني فهل إلى دخولي سبيل.

بينوا لي قضيتي قضى بضلالي ثم قال أرض بالقضا فهل أنا راض بالذي فيه شقوتي ولما قرأها شيخ الإسلام وهو جالس عنده بعض تلاميذه أخذ يكتب ردا عليه، فكانوا يحسبون أنه يرد عليه نثرا وإذا هو يرد عليه نظما، فرد عليه بأبيات زادت على المائة، وأولها: سؤالك يا هذا سؤال معاند مخاصم رب العرش باري البرية إلى أن قال: وتدعى خصوم الله يوم معادهم إلى النار طرا معشر القدرية سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به الله أو م، رأوا به في الشريعة.

ونحن نقول لهؤلاء الذين يحتجون بالقدر: نعاملكم بما تحتجون به.

ولكنهم لا يقنعون.

ذكر أن رجلا سرق فجيء به إلى عمر، فقال: أتعاقبني على أمر مقدر ومكتوب علي؟ فقال عمر: أنت

سرقت بقدر الله وأنا أقطع يدك بقدر الله.

ولما سافر إلى الشام وذكر له أن الوباء قد وقع في الشام فرجع بأصحابه إلى المدينة قال أبو عبيدة: أفرارا من قدر الله؟! فقال: نفر من قدر الله إلى قدر الله.

فالله تعالى قدر لنا أننا نذهب ونرجع، فهذا قدر الله.

وفي مثل هذا يقال لهم: نعاقبكم بذلك.

وقد ذكروا أن بعض الخدم كان يقود رجلا أعمى، فكان يتعثر به في الحفر، فلامه فقال: هذا قدر الله.

فعند ذلك ضربه بعصاه حتى سقط، فقال: كيف تضربني؟ قال: هذا قدر الله.

قدر الله تحتج به فنحن نحتج بالقدر.

مع أنهم لا يحتجون به أيضا في مصالح أهوائهم، كما ذكر ذلك ابن القيم: وعند مراد الناس تسدي وتلحم.

والحاصل: أن هاتين الفرقتين متضادتان، فرقة المعتزلة الذين أنكروا قدرة الله وفرقة الجبرية الذين أنكروا قدرة العبد.

القسم الثالث: وهم أهل السنة الذين أثبتوا لله تعالى قدرة عامة، وأثبتوا للعبد قدرة تناسبه وهي القدرة الخاصة، وجعلوها مرتبطة بقدرة الله تعالى، ولا تحصل إلا بعد قدرة الله ومشيئته، واستدلوا عليها بالآيات، مثل قوله تعالى: {لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاءون إلا أن يشاء الله} [التكوير:٢٨-٢٩] ، وقوله: {فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة} [المدثر:٥٥-٥٦] ، وقوله: {فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا} [المزمل:١٩] ، {وما تشاءون إلا أن يشاء الله} [الإنسان:٣٠] وأشباه ذلك، حيث جعل لهم مشيئة، وجعلوا مشيئتهم مرتبطة بمشيئة الله تعالى، فلذلك نقول: إن مشيئة العباد يتمكنون بها من مزاولة أعمالهم الدينية والدنيوية، فالله تعالى أعطى الإنسان هذه القوة فيحمل الأثقال، ويحرث ويحفر ويغرس، ويتمكن من الأشياء التي تناسبه، فهذه القوة التي أعطاه الله هي التي كلفه لأجلها، ولو كانت قدرة الله محيطة به، فهو أعطاه وأمره أن يمتثل ما أمره به، ولم يأمره إلا وعنده استطاعة، ولهذا يذكر أنه مكلف بقدر الاستطاعة، كقوله تعالى: {فاتقوا الله ما استطعتم} [التغابن:١٦] ، وكقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) ، فأوامر الله تعالى ونواهيه لابد أن تكون مقدورة للعبد، وأن العبد يستطيع أن يفعلها وتنسب إليه لأنه الذي باشرها.

فنقول: هذا مصل، وهذا صائم، وهذا تقي، وهذا نقي، وهذا قارئ، وهذا بر بأبويه، وهذا محسن إلى إخوته،

وهذا صدوق اللسان، وهذا طاهر القلب، وهذا طاهر الجنان.

وبضد ذلك نقول: هذا فاجر، وشقي، وبعيد عن الخير، ومعاند، وخارج عن طاعة الله تعالى، وكذاب، وفاجر.

فننسب إليه أفعاله التي فعلها ولو كانت بمشيئة الله، فالله تعالى لو شاء لرده عن هواه، ولكن لما كان مزاجه وهواه وطبعه سيئا خلى بينه وبين هواه وخلى بينه وبين شيطانه، ولو هداه لاهتدى، ولكن لله الحكمة في أن هدى قوما وأضل آخرين، فالخلق الذين في المنزل الواحد نشاهد أنهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: قسم مهتدون متمسكون غاية التمسك صالحون في كل أعمالهم، وقسم منحرفون فسقة فجرة ليس معهم من الخير شيء، وقسم متوسطون معهم خير ومعهم شر، فالله تعالى أعطى هذا وأعطى هذا، ومن على هذا، وخذل هذا.

إذا فنؤمن بهذا كله، ونعلم أن هذا كله قضاء الله تعالى وقدره، لا راد لما قضى ولا مغير لما أمر به.." (١)

"إثبات رؤية المؤمنين لله في الآخرة والرد على من أنكرها

قال المصنف رحمه الله تعالى: [ويعتقدون جواز الرؤية من العباد المتقين لله عز وجل في القيامة دون الدنيا، ووجوبها لمن جعل الله ذلك ثوابا له في الآخرة] .

فرق في أول الأمر بقوله (جواز الرؤية) ثم بعد ذلك قال: (ووجوبها) ، فيعتقدون الجواز ويعتقدون الوجوب، فالوجوب هو أن الله تعالى وعد المتقين بأنهم يلقون ربهم، وبأنهم يرونه ويكون ذلك من ثوابهم، ولا بد أن يحصل ذلك كما أخبر الله به وكما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

ومسألة الرؤية هي أيضا من المسائل التي عظم فيها الخلاف فأنكرها المعتزلة إنكارا بليغا وشددوا في إنكارها، وقالوا: لأنها -أولا- تستلزم المقابلة، وثانيا تستلزم الجهة، وثالثا تستلزم التجسيم -على حد تعبيرهم-.

وغير ذلك من التقديرات، فلذلك أنكروها.

وهذا مبني على معتقدهم الضال الذي يدينون به أن الله تعالى ليس في جهة، لا فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا يسار، ولا أمام، ولا خلف، ومعتقدهم أيضا أن الله ليس بعرض ولا بجوهر.

وإذا نظرنا في معتقدهم في ذات الله تعالى رأينا أن حقيقة قولهم أنهم لا يثبتون ذاته، فلا جرم كان قولهم

---

(١) اعتقاد أهل السنة؟ ابن جبرين ٥/٧

في هذا الباب مبنيا على عقيدتهم، وهي اعتقاد أن الله ليس في جهة، فإذا لم يكن في جهة فكيف يتمثل أمام الرائين، الرؤية لا بد أن تكون أمام الرائي، وأن تكون عن مقابلة ونظر، فأنكروها إنكارا بليغا.

ثم جاء الأشاعرة وهم أكثر وجودا وأشد تكاثرا في البلاد، ومذهبهم هو المذهب المنتشر والمتمكن في كثير من البلاد الإسلامية، ولما كان أكثرهم على مذهب الشافعي في الفقه والأحكام، وكان الشافعي رحمه الله يصرح بإثبات رؤية الله تعالى ويستدل بقوله للكفار: {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون} [المطففين:١٥] ، ويقول: إن هذا من عقيدة المسلمين.

حينها لم يتجرؤوا على إنكار الرؤية إنكارا واضحا، بل أقروا بها إقرارا ظاهرا، ولكن في الحقيقة لا يثبتونها، فيقولون: نثبت رؤية الله، ولكن الرؤية التي نثبتها هي مكاشفات للقلوب وتخيلات ليست حقيقة.

فينكرون أن تكون الأحداق تقابل ذات الرب تعالى، ويقولون: ليس المراد من تلك الرؤية تقليب الأحداق نحو ذات الرب تعالى؛ فإن هذا محال -في زعمهم- لأنه يستلزم إثبات الجهة.

هذا هو معتقدهم.

فنقول: نحن نثبت الرؤية الحقيقية، ونثبت أن الله تعالى في جهة العلو فوق عباده، ونثبت أنه يتجلى لعباده كما يشاء، كما أننا وأنتم نثبت لله تعالى ذاتا حقيقية، وإذا كان كذلك فلا بد أن تكون الذات ترى، يراها عباده كما يشاء ويتجلى لعباده، وكما أنه تعالى يسمع كلامه فلا بد أيضا أن يكون يرى كما يشاء ويتجلى لعباده، وهذا هو القول الذي تؤيده الأدلة.

وقد استدل على ذلك بأن موسى عليه السلام سأل الرؤية بقوله: {رب أرني أنظر إليك} [الأعراف:١٤٣] ، ولا بد أن موسى عالم بأنه يمكن أن يرى ربه، ولكن الله تعالى أخبر موسى بأنه لا يستطيع أن يتماثل وأن يثبت أمام عظمة الرب تعالى، ولهذا قال: {ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا} [الأعراف:١٤٣] .

يقول أهل السنة: إن الله تعالى علق رؤيته على ثبات الجبل واستقراره، ولا شك أنه ممكن، والتعليق على الممكن ممكن، وأيضا فإن الله تجلى للجبل والجبل جماد، فإذا جاز أن يتجلى للجبل فكيف لا يتجلى لعباده؟! ولكن عباده في الدنيا خلقتهم ضعيفة لا يمثلون ولا يثبتون أمام رؤية الله تعالى الذي هذه عظمته؛ لأنه ورد في الحديث: (حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) ، فقد أخبر في هذا الحديث بأنه احتجب بالنور، وأن هذا النور لو كشفه لاحترق ما انتهى إليه من الخلق

من جماد أو من حيوان أو نحو ذلك، فإذا كان في يوم القيامة أمد عباده المؤمنين في الجنة بقوة في أجسادهم وأنظارهم يثبتون بها لرؤية الله إذا تجلى لهم، ويكون ذلك من أعظم ثوابهم وأجرهم عند ربهم.

فنعتقد أن رؤية الله تعالى في الآخرة ممكنة، وأنها واقعة في الجنة، وقد ورد في حديث الشفاعة أن الله تعالى ينزل لفصل القضاء بين عباده كما يشاء، وأنه يقول: (لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الرب تعالى في صورة غير التي يعرفونها، فيقول: ماذا تنتظرون؟ فيقولون: فارقنا الناس أحوج ما كنا إليهم، فلا نزال هاهنا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه.

فعند ذلك يكشف عن ساق فيسجد من كان يسجد لله تعالى في الدنيا اختيارا، ويتعذر السجود على من كان لا يسجد في الدنيا، وذلك معنى قوله: {ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون} [القلم:٤٢]) ، فالحاصل أن في هذا دليلا على أنه يتجلى لعباده في يوم القيامة ويرونه ويعرفونه، هذا في يوم القيامة، وأما في الجنة فالأحاديث صريحة في إثبات أن الله تعالى يتجلى لعباده، وأنهم يزورون ربهم إما في كل أسبوع وإما في كل يوم مرة أو مرتين.

وفسر قول الله تعالى: {ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا} [مريم:٦٢] قالوا: ليس في الجنة شمس ولا ليل ولا نهار، بل كل وقتهم ضياء، ولذلك فلا بد أن يكون قوله (بكرة وعشيا) له معنى.

ففسر بأن ثوابهم الذي منه رؤية الله تعالى يكون بمقدار الغدو في الدنيا والعشي فيها.

ويدل أيضا على ذلك حديث جرير في الصحيحين عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) ، ويريد بهاتين الصلاتين العصر والفجر.

فقيل: الحكمة في ذلك أن الذين يواظبون على هذه الصلوات يكون من ثوابهم أن الله تعالى يتجلى لهم ويرونه بكرة وعشيا، أي: في وقت صلاة العصر والفجر.

فهؤلاء هم أعظم أهل الجنة ثوابا، وأما البقية من أهل الجنة فإنهم يرون ربهم بمقدار يوم الجمعة، ويسمى يوم المزيد، وبذلك فسر قوله تعالى: {ولدينا مزيد} [ق:٣٥] أن المزيد هو النظر إلى رؤية الله تعالى، وأن ذلك يكون بمقدار يوم الجمعة، أي: بعدما يمضي عليهم قدر سبعة الأيام، ففي يوم الجمعة يزورون ربهم،

فقد ورد في الأحاديث أنهم ينصب لهم منابر من نور -أي: كراسي- ومنابر من لؤلؤ وذهب وفضة، ويجلس أدناهم -وما فيهم دني- على كثب من اللؤلؤ لا يرون أن أهل المنابر أفضل منهم، لا يحصيهم إلا الله تعالى، يجلسون كما يشاء، ثم يتجلى لهم، فإذا تجلى لهم الرب تعالى لم يلتفتوا إلى غيره ماداموا مقابلين له، ويخاطبهم ويخاطبونه كما يشاء كذلك حتى يحتجب عنهم، فإذا رجعوا إلى أهليهم وزوجاتهم من الحور العين قالوا: لقد ازددتم بعدنا نعيما.

فيقولون: وكيف لا وقد لقينا ربنا أو رأينا ربنا.

وفسر بذلك قول الله تعالى: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة} [يونس:٢٦] ، فالزيادة فسرت بأنها النظر إلى الله تعالى، (للذين أحسنوا الحسنى) يعني الجنة، (وزيادة) يعني النظر إلى وجه الله تعالى، فسرها بذلك كثير من السلف، وروي ذلك مرفوعا، وفسرها بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه وغيرهم.

ثم قال: (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) ، يعني: ومتى نظروا إلى ربهم فلا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة.

والقتر: هو الغبرة التي تكون على الوجوه، لقوله تعالى: {ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة} [عبس:٤٠-٤١] ، فالحاصل أن هذا أكمل وأشرف نعيم أهل الجنة.

والذين أنكروا ذلك كأنهم حرموا أنفسهم أعظم لذة وأعظم نعيم يتنعم به أهل الجنة، وادعوا أن ذلك يكون تنقصا لله تعالى، وأنه وصف له بوصف الحوادث أو المركبات أو ما أشبه ذلك، فالحاصل أنا نؤمن بجواز الرؤية من العباد لله تعالى في يوم القيامة، يرونه إذا نزل لفصل القضاء، ووجوبها لمن جعل الله ذلك لهم ثوابا في الآخرة، على أن ذلك من نعيم أهل الجنة، واستدل بهاتين الآيتين، الأولى: قول الله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة} [القيامة:٢٢-٢٣] ، فاللفظة الأولى كتبت بالضاد (ناضرة) من النضارة التي هي البهاء والسرور، كما في قوله تعالى: {ولقاهم نضرة وسرورا} [الإنسان:١١] أي: بهاء وزينة وجمالا، لماذا؟ لأن تلك الوجوه نظرت إلى ربها فازدادت نضارة وحسنا، ولهذا قال: {إلى ربها ناظرة} {إلى ربها ناظرة} وهذه الأخيرة كتبت بالظاء أخت الطاء من النظر الذي هو المعاينة، أي: تنظر إلى ربها.

فهي دليل واضح، فالله تعالى ذكر الوجوه لأن أثر النضارة يظهر على الوجه من إشراق الوجه وسروره، فإذا لقي ما يسره أشرق الوجه وأسفر، والأعين لا شك أنها في الوجه، أي: بالوجه حقا، لهذا وصف الله تعالى وجوههم بأنها ناضرة إلى ربها ناظرة.

ثم استدل أيضا بالآية الأخرى {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون} [المطففين:١٥] ، وعيد للكفار أنهم يوم القيامة وفي النار محجوبون عن ربهم، والحجاب عذاب لهم، ولا شك أن هذا دليل على أن المؤمنين ليسوا بمحجوبين، فلو كانوا لا يرون الله تعالى لكان كل الخلق محجوبين عن ربهم، فلما حجب الكفار لكونه غضب عليهم دل على أن المؤمنين لا يحجبون عنه لكونه رضي عنهم.

قال المصنف رحمه الله: [فلو كان المؤمنون كلهم والكاف." (١)

"سبب تسمية المرجئة

قيل: إنهم سموا (مرجئة) لأنهم أرجأوا الأعمال عن مسمى الإيمان.

أي: أخروها.

قال تعالى: {ترجي من تشاء منهن} [الأحزاب:٥١] يعني: تؤخر.

فسموا (مرجئة) ؛ لأنهم أرجأوا -أي: أخروا الأعمال- عن مسمى الإيمان، ولا شك أن هذا تهاون بالأسماء الشرعية.

وقيل: إنهم سموا (مرجئة) ؛ لأنهم غلبوا باب الرجاء.

أي: أنهم اعتمدوا على أحاديث الرجاء، حيث جاء في القرآن آيات في تغليب الرجاء، وجاء فيه آيات في تغليب الخوف أو في الأمر بالخوف، وقد تكلم العلماء على آيات الرجاء وآيات الخوف وقالوا: ينبغي للإنسان في حالة النشاط والقوة أن يغلب جانب الخوف وأن يكثر من الأعمال الصالحة، ويهرب من السيئات، ويخاف من التفريط والإهمال، ويكون دائما خائفا فزعا يحذر عذاب الله ويخشى نقمته وعقوبته، أما إذا نزل به الأمر وحضره الأجل فيفضل أن يغلب جانب الرجاء حتى يقدم على ربه تعالى وهو يحسن الظن به، كما ورد في الحديث: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه) .

وذهب بعضهم إلى أنك في حالة الدنيا تعمل بهما جميعا، أي: تعمل بالخوف وبالرجاء، فلا تغلب الرجاء فتكون من المرجئة، ولا تغلب الخوف فتكون من الوعيدية كالخوارج والمعتزلة، بل تتوسط، والتوسط بينهما أن يكون دائما خائفا راجيا، واستدل على ذلك بالآيات التي فيها الجمع بينهما، كقوله تعالى: {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه} [الإسراء:٥٧] فجمع بينهما (ويرجون رحمته) ، هذا في جانب الرجاء، فقال: (ويخافون عذابه) ، هذا في جانب الخوف.

---

(١) اعتقاد أهل السنة؟ ابن جبرين ٦/٨

وهكذا أيضا يذكر الله آية الرجاء ثم آية الخوف، قال تعالى: {وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب} [الرعد:٦] انظر كيف جمع بينهما، وقال تعالى: {غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب} [غافر:٣] أتبع العقاب بالمغفرة، وقال تعالى: {نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم} [الحجر:٤٩-٥٠] ، فجمع بينهما في آيتين متتابعتين.

والحكمة في ذلك أن يكون المؤمن في حياته جامعا بينهما، فإذا تذكر عذاب الله تعالى خاف خوفا شديدا وأكثر من الأعمال الصالحة، وإذا تذكر سعة رحمة الله تعالى رجاها وعمل الأعمال الصالحة التي تدفعه إلى رضى الله تعالى وتؤهله لأن يكون من أوليائه.

وقد ورد في الأثر أن من كبائر الذنوب الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله، وكلها مأخوذة من القرآن، فالقنوط في قوله تعالى: {ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون} [الحجر:٥٦] ، وفي قوله تعالى: {إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون} [يوسف:٨٧] ، فاليأس هو قطع الرجاء، وكذلك القنوط هو قطع الرجاء بالكلية من رحمة الله تعالى، فلو قدر -مثلا- أن إنسانا شب على الذنوب وأكثر منها وحمل نفسه ما لا تطيق من السيئات فإنه مع ذلك لا يقنط ولا يقل: أنا قد عملت سيئة كبيرة فلا يمكن أن تنالني الرحمة، وأنا مقدم على النار، وأنا سأصبر على النار حيث إني عملت كذا وكذا من السيئات وعملت من الكفر والتكذيب كذا وكذا.

فيقطع الرجاء ولا يجوز له ذلك، بل عليه أن يستحضر رحمة الله تعالى ويرجوه حتى يرحمه ربه.

وكذلك أيضا قسم آخر ذكروه في قول الله تعالى: {أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون} [الأعراف:٩٩] ، فالأمن من مكر الله أيضا من كبائر الذنوب، وذلك لأن هؤلاء الذين ينهمكون في المعاصي ويكثرون منها ولا يخافون نقمة الله ولا بطشه ولا عذابه يعتبرون كأنهم آمنين، كأن عندهم صك أمان أنهم لا يدخلون النار، أو صك أمان أنهم لا يعذبون وأنهم آمنون من غضب الله تعالى ونقمته.." (١)

"معاملة أهل السنة لأئمة الجور

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله تعالى في بيان اعتقاد أهل السنة: [ويرون الصلاة - الجمعة وغيرها- خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا، فإن الله عز وجل فرض الجمعة وأمر بإتيانها فرضا مطلقا، مع علمه تعالى بأن القائمين يكون منهم الفاجر والفاسق، فلم يستثن وقتا دون وقت، ولا أمرا بالنداء

---

(١) اعتقاد أهل السنة؟ ابن جبرين ٧/٩

للجمعة دون أمر.

ويرون جهاد الكافر معهم وإن كانوا جورة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والعطف إلى العدل.

ولا يرون الخروج بالسيف عليهم ولا القتال في الفتنة.

ويرون قتال الفئة الباغية مع الإمام العدل إذا كان ووجد على شرطهم في ذلك.

ويرون الدار دار إسلام لا دار كفر كما رأتها المعتزلة، مادام النداء بالصلاة والإقامة ظاهرين وأهلها ممكنين منها آمنين.

ويرون أن أحدا لا تخلص له الجنة وإن عمل أي عمل إلا بفضل الله ورحمته التي يخص بهما من يشاء؛ فإن عمله للخير وتناوله الطاعات إنما كان عن فضل الله الذي لو لم يتفضل به عليه لم يكن لأحد عليه حجة ولا عتب، كما قال الله: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء} [النور:٢١] ، وقوله: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا} [النساء:٨٣] ، وقال تعالى: {يختص برحمته من يشاء} [البقرة:١٠٥]] .

يقول: [ويرون الصلاة -الجمعة وغيرها- خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا] .

ورد حديث: (صلوا على من قال: لا إله إلا الله، وصلوا خلف من قال: لا إله إلا الله) ، وذلك لأن هذه الكلمة عنوان الإسلام، فمن قال هذه الشهادة اعتبر داخلا في الإسلام، ومن أهل الإسلام، ولكنه بعد ذلك يطالب بتكملة الشهادتين.

وكان في أول الأمر الذين يتقدمون في الإمامة في صلاة الجمعة أو العيد أو الصلوات المكتوبة قد يكونون هم ولاة الأمر، كأمير البلدة أو نائبه أو نحوه، وهو أيضا الذي يتولى الخطابة والإمامة، فيتحرج بعض المسلمين عن الصلاة خلفه إذا كان عاصيا.

والمعاصي التي كانت في ذلك الزمان معاص عادية أشهرها شرب الخمر، وكان كثير من الأمراء يشربون الخمر، كما أثر ذلك عن بعض خلفاء بني أمية، وكذلك نوابهم، وكذلك كثير من خلفاء بني العباس ونوابهم وأمراؤهم كانوا يتعاطون الخمر ويبيتون عليه، فهذه معصية.

وكذلك أيضا من المعاصي المشتهرة الغناء، حيث كانوا يتخذون الإماء لأجل الغناء، ويشترون التي هي مغنية ويزيدون في ثمنها لأجل الغناء، ويحضرون لها الطبول والأعواد حتى يستمعوا إلى ضربها غنائها ويطربون لذلك، فهذا مشتهر أيضا في أولئك الأمراء ونحوهم.

ومن المعاصي أيضا تأخير الصلاة عن وقتها، وبالأخص صلاة الظهر والعصر، فيؤخرونها عن وقتها ومع ذلك فإنهم يؤدونها، ولم يكونوا يتكاسلون عنها ويتركونها، وإنما ينشغلون إما بشهواتهم وإما بنوم وراحة إلى أن يتأخر وقت الظهر فلا يصلونه إلى قرب العصر، ووقت العصر فلا يصلونه إلا نصف ما بعد العصر.

هذه هي أشهر المعاصي التي اشتهرت عن كثير من أولئك.

ومن المعاصي أيضا الظلم، أنهم كانوا يظلمون كثيرا من الناس بالتهم الباطلة، وأكثر ذلك عن طريق أخذهم للأموال التي يجبونها إلى بيت المال وغالبها ضرائب، فيجعلون على الموالي -ولو كانوا مسلمين- ضرائب سنوية، ومن أسلم من أهل الكتاب لم يسقطوا عنه الجزية بل يأخذوا الجزية منه ولو بعد إسلامه، حتى أسقطها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكذلك كثير منهم يأخذون ضرائب على الأموال بغير حق، وربما يستولون على الأموال كالبساتين والمصانع والأراضي ونحوها ويستبدون بها ويأخذونها بغير رضا من أصحابها ويضيفونها إلى أموالهم، فهذا مما يعابون به.

فلأجل ذلك يقولون: كيف نصلي خلفهم وهم ظلمة يأخذون الأموال لأنفسهم، أو يؤخرون الصلاة، أو يفعلون هذه المعاصي؟ كيف نؤدي الصلاة خلفهم مع أن الصلاة مكتوبة علينا وفريضة الله تعالى؟ فجاء النص بالصلاة خلفهم، فكان الصحابة يصلون خلفهم، فذكروا أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط كان واليا على الكوفة، وكان متهما بشرب الخمر، فتقدم مرة ليصلي بهم صلاة الفجر وهو سكران فصلى بهم أربعا، فلما سلم قال: أزيدكم؟ فقال ابن مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة.

صلى خلفه ابن مسعود وهو عالم الصحابة الذي أرسله عمر إلى الكوفة ليفتي الناس ويعلمهم رضي الله عنهم، ثم لما ثبت ذلك عنه أمر عثمان رضي الله عنه بجلده، فجلده عبد الله بن جعفر بأمر علي رضي الله عنه أربعين جلدة.

وكذلك الحجاج بن يوسف والي العراق من قبل بني أمية اشتهر عنه نوع من المعاصي، وأكثرها الصلف والشدة والسجن للأبرياء، وكان سريع القتل فيقتل بالتهمة ويحبس، والسجن في مكان ضيق.

فالحاصل أنه اشتهر عنه هذا النوع من الظلم، ويمكن أنه كان يحبس أيضا بغير ذلك، ولكن هذا الذي اشتهر عنه هو الظلم والحبس والضرب والشدة، ومع ذلك فإن الصحابة الذين في العراق كانوا يصلون خلفه، ولما حج بالناس في حياة ابن عمر كان ابن عمر يصلي خلفه حتى في عرفة، وكان هو الذي يتولى الخطبة والصلاة، فكان الصحابة ومنهم ابن عمر يصلون خلفه.

وذلك دليل على أنهم فهموا أن الصلاة خلفهم فيها جمع الكلمة، وأنها لا تعتبر باطلة، وقد ورد أيضا أحاديث، منها أنه صلى الله عليه وسلم قال: (يصلون لكم، فإن أحسنوا فلكم ولهم، وإن أساءوا فلكم وعليهم) ، وأخبر بأنه: (يأتي قوم يؤخرون الصلاة عن أوقاتها.

قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا، ما صلوا -أو ما أقاموا فيكم الصلاة-) ، والأحاديث كثيرة في الأمر بالصلاة خلف الأمراء ولو كانوا عصاة أو نحوهم.

فيرى أهل السنة وأهل الحديث الصلاة -جمعة كانت أو غيرها- خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا إذا كان الفجور لا يوصل إلى الكفر، فإن الله تعالى أمر بالجمعة وفرضها ,وأمر بإتيانها: {إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع} [الجمعة:٩] ، والله تعالى عالم بأن القائمين عليها قد يكون منهم فاجر وفاسق، وعالم بأنه قد يتولاها غير تقي كما وقع ذلك، فلذلك فرض الإتيان إليها في قوله: {فاسعوا إلى ذكر الله} [الجمعة:٩] [ولم يستثن وقتا دون وقت] ، ولم يقل: إلا إذا كان المقيمون لها عصاة أو فجارا.

بل أطلق ذلك.

[ولا أمرا بالنداء للجمعة دون أمر] ، فالنداء للجمعة عام: {فاسعوا إلى ذكر الله} [الجمعة:٩] ، ولو كان الذين يقيمونها عصاة أو فجارا.

والحكمة في ذلك جمع الكلمة، وذلك لأننا إذا عصيناهم فلابد أن يحصل ظلم وعسف وجبروت، ونحو ذلك.." (١)

"أثر العمل الصالح في دخول صاحبه الجنة

مما يتعلق بالأعمال كون العمل لا يستقل بإدخال صاحبه الجنة، ودليل ذلك قول الله تعالى: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا} [النور:٢١] ، فقد أخبر الله تعالى بأنه المتفضل على عباده، وأنه لولا تفضله عليهم ما زكوا ولا تزكوا ولا عملوا، ولكنه تعالى تفضل على هؤلاء فهداهم، وله النعمة والفضل عليهم، ومن الذكر الذي ورد بعد دبر كل صلاة أن يقول العبد: (لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن) ، فله المن على عباده والفضل عليهم.

ولما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يعدد على الأنصار خصالهم التي تميزوا بها كان يذكرهم ويقول: (ألا

---

(١) اعتقاد أهل السنة؟ ابن جبرين ٢/١٣

تقولون: جئتنا وحيدا فنصرناك، وجئتنا طريدا فآويناك؟) فأخذوا يقولون: الله ورسله أمن، المنة لله ولرسوله.

فحقا لله المنة على عباده، وله الفضل عليهم، فإذا أنعم على بعض العباد فهداهم وأقبل بقلوبهم على طاعته فإنه المتفضل وله الفضل في ذلك، وإذا خذل بعض العباد وحال بينهم وبين رشدهم، وأضلهم على علم فله الحكمة في ذلك، يقول الله تعالى: {أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله} [الجاثية:٢٣] ، فالله تعالى هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فمن هداه الله فقد تفضل عليه، ومن خذله وأضله فقد عامله بعدله.

ولا ينسب إلى الله تعالى ظلم ولا جور، بل هو العادل في عباده، فأعمالهم التي عملوها فضل من الله تعالى، وقد ورد في حديث أنه: (يجاء برجل قد عمل من الحسنات أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: أدخلوه الجنة برحمتي، فيقول: يا رب! ألست أدخلها بأعمالي؟ فعند ذلك يقول الله: حاسبوا عبدي -أي: على نعمي عليه-.

فإذا بدأوا في الحساب يقول الله لنعمة البصر: خذي حقك من أعماله.

فتأخذ من أعماله، ثم يقول لنعمة السمع: خذي حقك.

فلا تكاد أن تترك من أعماله شيئا، فعند ذلك يقول الله: ادخلوه النار.

فيقول: يا ربي! بل برحمتك أدخلني الجنة) ، فعند ذلك يدخله الله الجنة ويعترف بأن أعماله التي عمل لا تستقل بإدخاله الجنة مهما كثرت ومهما عظمت.

والأكثر تصريحا من ذلك الحديث الذي هو قوله صلى الله عليه وسلم: (لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله -أو: فلن يدخل أحد منكم الجنة بعمله- قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) ، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مع جده في العمل واجتهاده ونشاطه وجهاده وصلاته وذكره وأعماله وأدعيته، ومع ما حباه الله تعالى به وعصمه من الخطايا والزلات مع ذلك يقول: (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) ، فكيف بمن دونه؟ لا شك أن الأعمال سبب، ولذلك يعلق الله تعالى بها الجزاء على الأعمال سيئها وحسنها، وكثيرا ما يقول: {جزاء بما كانوا يعملون} [السجدة:١٧] ، {بما قدمت أيديكم} [آل عمران:١٨٢] ، ويقول: {كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية} [الحاقة:٢٤] ، فيجعل العمل هو السبب الذي حصلوا به على ذلك الجزاء.

فالأعمال الصالحة هي أسباب للجزاء بالجنة وبالثواب وبرضا الله تعالى، ولكن تلك الأعمال الصالحة

أليست فضلا من الله تعالى؟ هو الذي تفضل على عباده فهداهم، وأقبل بقلوبهم على طاعته، وبصرهم بالحق وهداهم، وأرشدهم وسددهم، وربط على قلبوهم وثبتهم، ولو شاء لأضلهم سيما مع كثرة المضلات، فإنه قد سلط عليهم أنواعا من المضلات، فإذا أعانهم على تلك الأعداء فثبتوا كان ذلك فضلا منه ورحمة، فإنه سلط عليهم الأبالسة والشياطين، وحمى أولياءه من الشياطين فضلا منه، قال تعالى: {إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون} [النحل:٩٩-١٠٠] ، أخبر بأنه ليس له سلطان إلا على من خذلهم الله تعالى وسلطه عليهم.

فأخبر بأنه حمى أولياءه المؤمنين وحال بينه وبينهم، فأعطاهم من الأسلحة ما يقهرونه ويذلونه ويتغلبون به على وساوسه وخطراته، فأمرهم بالاستعاذة منه، وإذا استعاذوا بالله تعالى أعاذهم، وكذلك أمرهم بذكر الله وذكر الله يطرد الشياطين، وأمرهم أن يدعوه حتى يحول بينهم وبين أعدائهم ويحميهم ويعصمهم، وأمرهم بقراءة كلامه أو ما تيسر منه، وقراءته أيضا سلاح يحول بينهم وبين أعدائهم، فإذا وفقهم وأعانهم على هذه القراءة والأذكار والأدعية والاستعاذة ونحوها صارت معهم أسلحة يفتكون بها في أعدائهم من الشياطين، وتعينهم على قهرهم وقمعهم وإذلالهم.

وسلط عليهم أيضا أعداء آخرين، كما يقول بعض الشعراء: إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي فهؤلاء الأعداء إنما يتغلب عليهم بتوفيق من الله تعالى ونصر منه وتأييد، فإذا أيده الله تعالى وقواه تقوى على هؤلاء الأعداء وانتصر عليهم، وقوي على أن يمسك نفسه ويقهرها ويقودها إلى طاعة ربه تعالى، وإذا تسلطت عليه نفسه ولم يكن معه ما يقهرها انقاد لشهواته ولهوه وأصبح غير مستقل بأمر الله تعالى ولا قادر على أمر الله تعالى.." (١)

"معجزات كل نبي تناسب أهل زمانه

قطع الله المعذرة ببينات الرسل، قال تعالى: {ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك} [النساء:١٦٤] إلى قوله: {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} [النساء:١٦٥] أي: أرسلنا أولئك الرسل لتنقطع الحجة وينقطع العذر، لئلا يقولوا: {ما جاءنا من بشير ولا نذير} [المائدة:١٩] ، كما حكى الله ذلك عنهم وقال تعالى: {فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل} [القصص:٤٨] فالله سبحانه أرسل الرسل، وجعل معهم بينات ترجح

---

(١) اعتقاد أهل السنة؟ ابن جبرين ٨/١٣

جانبهم، وجعل لهم معجزات يظهر بها صدقهم.

كل نبي فمعجزاته تناسبه وتعجز أهل زمنه، ومنهم من أخبرنا الله بمعجزاته، كما أخبر عن صالح أن من معجزاته تلك الناقة التي قال لهم عنها: {لها شرب ولكم شرب يوم معلوم} [الشعراء:١٥٥] .

وعن معجزات موسى أنها تسع آيات، منها: اليد، والعصا، وفلق البحر، والطوفان، والقمل، والضفادع، والدم، وما أشبهها من الآيات المعجزة لأهل زمانه.

وعن معجزات عيسى: أنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ويخبرهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

وعن معجزات داود، منها قوله: {إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق * والطير محشورة كل له أواب} [ص:١٨-١٩] .

ومعجزات سليمان: في قوله: {فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب * والشياطين كل بناء وغواص * وآخرين مقرنين في الأصفاد} [ص:٣٦-٣٨] .

وكذلك معجزات نبينا ودلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، ومنها هذا القرآن الذي تحدى به فصحاء العرب في زمانه فعجزوا عن معارضته، ومنها ما أجرى الله على يديه من الآيات التي منها إخباره بالأمور المغيبة، ومنها نصره وتأييده على أعدائه، ونحو ذلك من المعجزات.

ولا شك أن هذه المعجزات يراد منها ظهور صدق أولئك الرسل، وذلك أن الله تعالى يحب أن يقطع العذر عن العاصي والمفرط، ويحب العذر إلى العباد، ولذلك ورد في حديث: (لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل) ، وقال في **الحكمة من** إرسالهم: {عذرا أو نذرا} [المرسلات:٦] يعني إعذارا وإنذارا، فهذا دليل على أنه سبحانه قطع الحجة على الناس بقوله: {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} [النساء:١٦٥] .

ومن تأمل آيات الرسل عرف صدقهم، ولكن إنما صد عنهم من أعمى الله بصيرته، ولأجل ذلك عاقب الله من كذبهم بأنواع من العقوبات، فأهلك قوم نوح بالغرق، ثم عادا وهم قوم هود، فأرسل الله عليهم الريح، وقوم صالح وهم ثمود عاقبهم الله بالصيحة، وأشباه ذلك.." (١)

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٥/٦

"حكمة الله تعالى في إعانة العبد على ما أمره أو عدم إعانته

قال المؤلف رحمه الله: [والمقصود أنه يمكن في حق المخلوق الحكيم أن يأمر غيره بأمر ولا يعينه عليه، فالخالق أولى بإمكان ذلك في حقه مع حكمته، فمن أمره وأعانه على فعل المأمور كان ذلك المأمور به قد تعلق به خلقه وأمره نشأة وخلقا ومحبة، فكان مرادا بجهة الخلق ومرادا بجهة الأمر، ومن لم يعنه على فعل المأمور كان ذلك المأمور قد تعلق به أمره ولم يتعلق به خلقه؛ لعدم الحكمة المقتضية لتعلق الخلق به، ولحصول الحكمة المقتضية لخلق ضده.

وخلق أحد الضدين ينافي خلق الضد الآخر، فإن خلق المرض الذي يحصل به ذل العبد لربه، ودعاؤه، وتوبته، وتكفير خطاياه، ويرق به قلبه، ويذهب عنه الكبرياء والعظمة والعدوان، يضاد خلق الصحة التي لا تحصل معها هذه المصالح، ولذلك كان خلق ظلم الظالم الذي يحصل به للمظلوم من جنس ما يحصل بالمرض، يضاد خلق عدله الذي لا يحصل به هذه المصالح وإن كانت مصلحته هو في أن يعدل.

وتفصيل حكمة الله عز وجل في خلقه وأمره يعجز عن معرفتها عقول البشر، والقدرية دخلوا في التعليل على طريقة فاسدة، مثلوا الله فيها بخلقه ولم يثبتوا حكمة تعود إليه] .

يمثلون بهذا في أن حكمة الله تعالى قد تقتضي إعانة المأمور وقد تقتضي عدم إعانته، فالله تعالى أمر الجميع مؤمنهم وكافرهم بالتقوى في قوله: {يا أيها الناس اتقوا ربكم} [النساء:١] ، ولكن من الناس من اتقى ومنهم من لم يتق الله، فالذين اتقوا الله هؤلاء قد أراد الله بهم الخير وهداهم وأعانهم، فله عليهم نعمة الإعانة ونعمة الفضل، والذين لم يتقوه هؤلاء قد خذلهم وخلى بينهم وبين أهوائهم ولم يعنهم، حكمة منه وعدلا، فهذا خلق فيه الإيمان وهذا خلق فيه الكفر، بمعنى: مكنه منه وأقدره عليه.

وله الحكمة في هذا وهذا؛ وذلك لأنه خلق ضدين مؤمنا وكافرا، وخلق دارين جنة ونارا، ولا بد لكل من الدارين من أهل يؤهلون لها، ولهذا يخبر تعالى بأنه لو شاء لهدى الناس جميعا، ويخبر بأنه لو شاء لضلوا كلهم، فيقول تعالى: {ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة} [الزخرف:٣٣] ، يعني: لولا أن يكونوا كلهم على الكفر لجعلنا للكفار هذه الأشياء؛ فينخدع الناس بهم ويعتقدون أنهم خصوا بذلك لشرفهم ولأهليتهم فيكفرون مثلهم، وهو واقع كثيرا.

وخلق تعالى المرض والصحة وله الحكمة في ذلك، ففي خلقه للمرض مصلحة، هذه المصلحة تكمن في أن المريض يشعر بالذل وبالضعف ويشعر بالحاجة، إذا مرض تذكر ضعفه وتذكر فاقته وحاجته، وتذكر

مسكنته وتعلق قلبه بربه ودعاه واستكان إليه.

وإذا كان دائما في صحة ونعمة ورفاهية ونشاط وثروة وشهوات متتابعة؛ فإنه لا يأمن أن يأخذه الأشر والبطر والكبرياء والإعجاب بالنفس، ويكون منطلقا إلى الكفر وإلى المعاصي كما هو الواقع، ولهذا يخبر تعالى بأنه لو وسع على الناس لتجبروا، قال تعالى: {ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض} [الشورى:٢٧] ، يعني: لتكبروا ولتجبروا، فبذلك نعرف أنه عندما خلق هؤلاء واختار أن يكونوا مؤمنين، وهؤلاء وجعلهم كافرين، فذلك كما أنه خلق المرض وخلق الصحة وله **الحكمة في** خلق الضدين.." (١)

"**الحكمة من** تسمية الله نفسه بالقيوم

الله سبحانه وتعالى قائم على هذه المخلوقات، ولأجل ذلك سمى نفسه بالقيوم، يعني: القائم على خلقه، ومعلوم أن القائم على خلقه هو الذي يراقبهم وهو الذي يرعاهم ويكلؤهم وهم نائمون، قال تعالى: {قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن} [الأنبياء:٤٢] أي: الرحمن هو الذي يكلؤكم، يعني: يحفظكم ويراقبكم، فإذا كان كذلك فإنه الذي يرعى عباده، ولا يعتريه نوم ولا نقص ولا سنة ولا غير ذلك؛ لأنه الذي يمسك هذه المخلوقات، قال تعالى: {ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض} [الحج:٦٥] ، إلى قوله: {ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه} [الحج:٦٥] أي: هو الذي يمسكها بقوته وبخلقه وبتمكينه، وقال تعالى: {يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده} [فاطر:٤١] أي: هو الذي يمسكهما حتى لا يضطربا ولا يزولا، فإذا كان كذلك فإنه الحي الذي لا يموت. والجن والإنس يموتون، وقد حكم الله بالفناء على كل من سواه، فقال تعالى: {كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام} [الرحمن:٢٦-٢٧] ، هذا دليل الحياة التي لا يعتريها نقص ولا تغيير، وبلا شك أن النوم نقص، ولذلك يسمى: أخا الموت، النوم موتة صغرى، ولذلك قال تعالى: {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها} [الزمر:٤٢] ، فذكر أنه يتوفاها في منامها، فالنوم شبه الموت، ولأجل ذلك نفاه عن نفسه ونفى أيضا مقدماته؛ لقوله تعالى: {لا تأخذه سنة} [البقرة:٢٥٥] والسنة: هي النعاس أو النوم الخفيف.

يعتقد المسلمون أن الله موصوف بصفات الكمال كالحياة الكاملة والقيومية الكاملة، وقد وافقت الأشاعرة على وصف الله تعالى بالحياة، ولكنهم رجعوا في إثباتها إلى العقل، يقولون: إنما أثبتناها لدلالة العقل

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ١٠/١٦

عليها، وكأنهم لم يعتبروا دلالة الشرع الواضحة، دلالة النصوص من الآيات والأحاديث ونحوها.
الحديث الذي مر بنا حديث مشهور وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور -أو النار- لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) ، فابتدأ الحديث بنفي هذا النقص وهو النوم عن الله سبحانه وأنه لا ينبغي له أن ينام، هذه عقيدة المسلمين، وبلا شك أن الذي يعتقد أن ربه حي لا يموت وأنه قيوم لا ينام وأنه لا يعتريه تغير، هو الذي يكون قد قدر ربه في قلبه وعظمه على كل شيء؛ فيعبده حق العبادة.." (١)

"الحكمة من خلق الله للجن والإنس

وقد أخبر الله بالحكمة من خلقه لهذا الخلق، وهو أنه خلقهم لعبادته وأمرهم بطاعته، خلقهم ليعرفوه ويعبدوه وأمرهم بأن يوحدوه ويطيعوه، وهو الغني عنهم، ولهذا قال: {ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون} [الذاريات:٥٧] ، وقال تعالى في آية أخرى: {وهو يطعم ولا يطعم} [الأنعام:١٤] ، فهو الغني وهم الفقراء. إذا عرف العباد بأنهم مخلوقون وأن لهم خالقا، عرفوا بأن ذلك الخالق غني عنهم وأنهم فقراء إليه، عرفوا بأنهم مملوكون وأن لهم مالكا، عرفوا بأنهم مدبرون وأن هناك من يدبرهم ويسخرهم ويتصرف فيهم كما يشاء، ذلك الخالق والمالك والرب والمتصرف هو الذي يستحق أن يعبدوه، ولأجل هذا خاطبهم بذلك وذكرهم، فقال تعالى: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم} [البقرة:٢١] ، ابتدأ بنعمة الخلق بعدما أمرنا بأن نعبده، ومن أسباب أمره سبحانه بعبادته: أولا: أنه خلقكم.

ثانيا: أنه خلق من قبلكم.

ثالثا: أنه أنزل من السماء ماء.

رابعا: أنه جعل لكم الأرض فراشا.

خامسا: أنه جعل السماء بناء.

سادسا: أنه أنبت النبات.

كل ذلك من الأسباب التي هي منة ونعمة منه سبحانه.." (٢)

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٥/١١

(٢) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ١٠/١١

"الدليل على أن الإسراء كان بجسده صلى الله عليه وسلم

وقال المؤلف: [ومما يدل على أن الإسراء بجسده في اليقظة قوله تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى} [الإسراء:١] ، والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق وهو الصحيح، فيكون الإسراء بهذا المجموع، ولا يمتنع ذلك عقلا، ولو جاز استبعاد صعود البشر لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة وهو كفر.

فإن قيل: فما الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس أولا؟ فالجواب -والله أعلم- أنه كان ذلك إظهارا لصدق دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم المعراج حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس، فنعته لهم وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك؛ إذ لا يمكن إطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس فأخبرهم بنعته.

وفي حديث المعراج دليل على ثبوت صفة العلو لله تعالى من وجوه لمن تدبره.

وبالله التوفيق] .." (١)

"لا يسأل عما يفعل

هذا يتعلق بالقضاء والقدر، ويذكر المؤلف أن القدر سر الله تعالى في كونه وفي أمره، ووجه كونه سرا لا يعلمه البشر أن الرب سبحانه له الحكمة في كونه هدى هذا وأضل هذا، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ولا يجوز للعباد أن يسألوا عن الأسباب في أفعال الله تعالى، فلا يقال: لماذا حبس الله الخير؟ لماذا أنزل الله العذاب؟ لماذا خلق الله الأمراض؟ لماذا خلق الله الحشرات والأضرار؟ لماذا خلق الله السباع؟ لماذا سلط الله على المؤمنين الأمراض والعاهات والفقر؟ لماذا سلط عليهم الكفار؟ لماذا أفقر هذا وأغنى هذا؟! قال تعالى: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء:٢٣] ، لكن مع ذلك نعرف أنه سبحانه حكيم يضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها، فلا يفعل شيئا عبثا: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا} [المؤمنون:١١٥] وليس شيء من خلقه موجودا إلا لحكمة، ولم يسلط عقوبة ولم يخلق مرضا إلا لمصلحة ولحكمة، سواء علمنا تلك الحكمة أو حجبت عنا؛ لأن هذا مقتضى اسمه الحكيم، أي: ذي الحكمة التي هي غاية المصلحة، ولكن ليس لنا الاعتراض على تصرفه، فهو سبحانه يتصرف في خلقه كيف يشاء فيهدي هذا

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ١٢/٢٢

فضلا منه، ويضل هذا عدلا منه، ويغني ويفقر، ويميت ويحيي، ويسعد ويشقي، ويمنع ويعطي، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

وليس لنا أن نعترض على الله تعالى، بل نؤمن بذلك كله ونقول: لا نعلم **الحكمة في** ذلك ولا نعلم السر في ذلك، فالقدر سر الله في خلقه، هذا من ناحية خلقه الأشياء النافعة والضارة معا.." (١)

"مذهب أهل الحق في خلق أفعال العباد

وتوسط أهل الحق وقالوا: إن الكائنات حاصلة بقدرة الله كلها طاعات ومعاصي، ولكن تنسب إلى العبد من حيث إن الله أعطى العبد قدرة يزاول بها الأعمال ويصح نسبتها إليه؛ ولأجل ذلك يقولون: إن العباد فاعلون حقيقة والله خالقهم وخالق أفعالهم، فالعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم؛ تنسب أعماله إليه وإن كانت بقضاء الله تعالى وبقدره، وبإرداته الكونية، وبمشيئته التي حصلت بإرادة الله، ولكنها تنسب إلى العبد.

ولو سلبنا العبد هذه القدرة لبطلت الشريعة، وفي بطلان الشريعة بطلان **الحكمة من** إرسال الرسل ومن إنزال الكتب، ومن الأوامر والنواهي، ومن خلق الثواب والعقاب، والله تعالى منزه عن ذلك.

فلو لم يكن للعباد قدرة على مزاولة أعمالهم لما أمروا؛ ولأجل ذلك تتوجه إليهم الإرشادات فيقول الله تعالى: {اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة} [التوبة:١٠٥] ، فأخبر بأنهم لهم أعمال، ولو لم يكن لهم قدرة لما أمروا، ولكن الله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم، وقدرتهم مسبوقة بقدرة الله.

أما أدلة الرضا فقد مر بنا الآيات والأحاديث في إثبات أن الله تعالى يرضى ويسخط، وللرضا والسخط أسباب ذكر في هذه الآيات بعضها، فتارة يثبته وتارة ينفيه، يقول الله تعالى: {إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم} [الزمر:٧] ، فأخبر بأنه لا يرضى الكفر، ومعناه أنه يكرهه، وأخبر بأنه يرضى بالشكر {وإن تشكروا يرضه لكم} [الزمر:٧] ، وأضاف هنا الكفر إليهم؛ لأنه الذي صدر بأفعالهم وإن كانت مقدرة، والشكر إليه تشكره، وهكذا الحديث: (إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط ثلاثا) ، فأثبت الرضا وأثبت السخط، وأثبت الكراهية: (وكره لكم ثلاثا) ، أثبت أن هذه المعاصي يكرهها الله.

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٣/٢٨

ومعلوم أنه نهى العباد، وما نهاهم إلا ولهم قدرة على الانتهاء، وعلى أن ينزجروا ويتركوا الأعمال السيئة التي منها الكفر.

والحاصل: أن من عقيدة أهل السنة إثبات أن الله يرضى ويسخط ويحب ويكره، وأن الأعمال التي يحبها قد أمر بها عباده، وما أمرهم إلا وهم قادرون، وأن الأعمال التي نهى عنها يسخطها ويكرهها، ولا ينهاهم إلا عن شيء يقدرون على فعله، فإن العاجز لا ينهى عما يعجز عن فعله، فلا يقال مثلا للإنسان: لا تحي الموتى؛ لأنه عاجز عن إحيائهم فلا ينهى عنه، ولا يقال له: لا تصعد إلى السماء؛ لأنه عاجز عن أن يصل إلى السماء، ولا يقال له مثلا: لا تخرق الأرض؛ لأنه عاجز عن أن يخرقها، بخلاف ما إذا قيل له: لا تقتل النفس التي حرم الله، فإنه في إمكانه أن يقتل، وكذلك: لا تزن أو لا تأكل الحرام فلا ينهى إلا عن شيء هو قادر على أن يفعله.

وهكذا أيضا الأفعال: لا يؤمر بشيء مستحيل، فلا يقال له مثلا: رد أمس، ولا يقال له: اقلب الحجر ذهبا، فلا يؤمر بشيء لا يستطيعه، بخلاف ما يستطيعه، فيقال له مثلا: احمل هذا الكرسي أو: انقل هذا المصحف من مكان إلى مكان، أو يقال له: قم واركع ركعتين، لأن هذه في استطاعته، فيؤمر بما يستطيع وينهى عما هو ممكن أن يفعل، ولا يؤمر بالمستحيل أن يفعله ولا ينهى عن الشيء الذي يستحيل فعله.." (١)

"إظهار كمال قدرة الله تعالى

ثم أيضا من حكمة الله في إيجاد هذا الكفر إظهار قدرة الله، فالله تعالى قد أظهر قدرته العامة ووجدت آثارها، فمن آثارها عقوبات العصاة وما أنزل بهم من المثلات، ولو كان الناس كلهم مؤمنين ما أغرق هؤلاء، ولا أهلك هؤلاء بصيحة، ولا أرسل على هؤلاء الريح العقيم، ولا أهلك هؤلاء بعذاب يوم الظلة، ولا كذا ولا كذا.

فمن حكمة الله في إيجاد ذلك أن تعرف قدرة الله، حيث إنه ينتقم ممن عصاه ويعاقبه ويعجل له العذاب في الدنيا، ليكون ذلك دليلا على العذاب في الآخرة، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لما كان في الآخرة إلا دار واحدة وهي الجنة، ولكنه تعالى قدر في الدنيا معاصي حتى يكون للدار الآخرة نصيب، فإنه خلق الجنة والنار، وهما صنوان، كما خلق في الدنيا الخير والشر، والإيمان والكفر، وكذلك سائر المتضادات، فجعل

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٨/٢٩

في الدنيا أضدادا وأزواجا، وكل واحد مضاد للآخر، فمثلا الليل يقابله النهار، والنور تقابله الظلمة، والخير يقابله الشر، والذكر يقابله الأنثى، والبياض يقابله السواد مثلا.

كذلك الطاعة مع المعصية، والكفر مع الإيمان، والعقوبة مع الثواب، والوعد مع الوعيد، فخلق الضدين دليل على كمال القدرة، فإذا رأى العبد خلق المتضادات آمن بكمال قدرة القادر حيث خلق هذه الأشياء. ثم مع ذلك نحن نؤمن بأنه ما خلق شيئا إلا وله فيه حكمة، ولا يجوز أن نعترض على الله بخلقه لشيء من مخلوقاته.

سمعت أو قرأت حكاية أن إنسانا رأى دابة الخنفساء فقال: لماذا خلق الله هذه الخنفسة التي لا فائدة فيها، وليس لها خلق جميل أو نحو ذلك؟ فاعترض على الله في خلقها، فابتلي بقرحة خرجت فيه، ولم يوجد لها علاج إلا خنفساء أحرقت وذر عليها رمادها فبرأ، فعرف بذلك أن الله ما خلق شيئا إلا وله حكمة في ذلك، فلا يجوز أن تقول: ليس الله من خلق السباع، ليس الله من خلق هذه الحيات، ولا هذه الهوام التي ليس فيها إلا مضرة على العباد.

نقول: إنه خلقها لتعلم بذلك قدرته، ويعلم أنه قادر على خلق الأضداد، وليكون ذلك أيضا آية من آياته: وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد فهذه المخلوقات كبيرها وصغيرها دالة على كمال قدرته، إذا تأملها الإنسان عرف بذلك كمال قدرة القادر، مع أن مخلوقاته لا تحصى دواب البر من طيور ومن دواب تدب على الأرض لا يحصيها إلا الله تعالى، وفي خلقها عجائب من عجائب الله.

دواب البحر مع كثرتها وتفاوتها وما أشبه ذلك؛ فيها عجائب من قدرة الله تعالى، فخلقها ليس عبثا، حتى البعوضة والنملة والذرة ونحو ذلك من الدواب الصغيرة خلقها وله في ذلك حكمة ، ولو كان على الناس مضرة من هذه السباع التي تأكل دوابهم، أو من هذه الحيات والهوام ونحوها، أو من هذا الذباب الذي يقع على طعامهم أو عليهم، أو من هذا البعوض الذي يقرصهم أو نحو ذلك، فإن الله تعالى حكيم.

وأيضا فإنه له الحكمة حتى فيما يجلبه من الأمراض ونحوها، فهذه الأمراض التي يسلطها على من يشاء لا يجوز أيضا أن يعترض على الله بها، ولا يقال: ليس الله من خلق الحمى ولا من خلق المرض، بل الله له **الحكمة في** خلقه وفي أمره.

وبكل حال: فإن هذه الأشياء مرادة، ولكن لأجل الحكمة ولأجل إظهار القدرة وكمالها.

فيقال أيضا: كذلك في **الحكمة في** خلق إبليس، **والحكمة في** خلق أعوان إبليس الذي هو مادة الشر

ونحوه، والحكمة من خلق الكفار وانتشارهم، وكذلك في تقويتهم وإمدادهم بالقوات وبالذخائر ونحو ذلك، والحكمة مثلا في تمكينهم من الأعمال التي عملوها، ومن تسليطهم أحيانا على المؤمنين؛ لا شك أن الله تعالى له الحكمة في ذلك، فلا يعترض على الله، بل يؤمن العبد بأنه هو القادر على كل شيء، وأن ذلك دليل على كمال قدرته وتمام تصرفه.." (١)

"ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة

قال المؤلف: [ومنها: ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإنه الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، ولا ينزله في غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكره على انتهائها إليه، وأعلم بمن لا يصلح لذلك.

فلو قدر عدم الأسباب المكروهة لتعطلت حكم كثيرة ولفاتت مصالح عديدة، ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب، وهذا كالشمس والمطر والرياح التي فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر.

ومنها: حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت؛ فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة لله سبحانه وتعالى والمعاداة فيه، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى وإيثار محاب الله تعالى، وعبودية التوبة والاستغفار، وعبودية الاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه ويعصمه من كيده وأذاه، إلى غير ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن إدراكها] .

يعني: من الحكمة في أنه أوجد المعاصي والطاعات، وأوجد في الدنيا عصاة ومطيعين، وأوجد أسبابا يتمكن بها البعض من مزاولة المعاصي أو تكون سببا لانتشار بعضها، وبعضها تكون سببا في الطاعات ونحوها، ويطول البحث فيها.

فمثلا: العصاة أسباب معاصيهم كثيرة، فمنها الشهوات التي تتزين لهم، ومنها الدنيا التي تبسط على كثير منهم فيتمادون في المعصية، ومنها الهوى الذي يميل بكثير منهم، ومنها دعاة الضلال الذين يدعون إلى الباطل ويزينونه، ومنها وساوس الشيطان التي هي سبب للضلال والكفران ونحو ذلك.

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ١١/٢٩

كذلك أيضا أسباب الطاعة التي منها إرسال الرسل ودعاتهم، ومنها قراءة كتب الله، وما يكون بها من الاهتداء، ومنها دعوة المؤمنين إخوانهم إلى الله وترغيبهم في الخير وتعليمهم إياه، وذكر الطرق التي يتوصلون بها إلى الطاعات ونحو ذلك، فوجد في الحياة الدنيا طاعات ومعاص، ووجد فيها كفر وإيمان، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لما ظهرت آثار أسماء الله.

فمن أسماء الله العزيز، الجبار، المنتقم، شديد العقاب، هذه الأسماء لو لم يكن هناك من يعاقب لم يظهر أثر اسم الله شديد العقاب، فلو كان الناس كلهم مطيعين ما حصل أنه ينتقم من العاصي ولا حصل أنه يعاقب الباغي، فهذه من أسماء الله الحسنى، والتي تدل على كماله، فمن حكمة الله في إيجاد المعاصي ظهور آثار هذه الأسماء.

من أسماء الله: الرءوف، الرحيم، المعطي، المتفضل، ولو كان الناس كلهم على الإيمان الكامل ما حصل أنه رحم هؤلاء وعفا عن هؤلاء، وغفر لهؤلاء وتاب على هؤلاء؛ فإنه ليس هناك معاص ليتوب هذا منها، ولا يستغفر هذا منها فيغفر له، ونحو ذلك كما في الحديث: (من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له) ، ولو كان الناس كلهم مطيعين ما حصلت آثار ذلك.

كذلك أيضا من أسمائه الحكيم، والحكيم هو الذي يضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها، فلو كان الناس كلهم مطيعين ما حصلت آثار الحكمة، فمن حكمته أنه يعاقب هذا عقوبة في موضعها، ومن حكمته أنه يثيب هذا، من حكمته أن يعطي هذا ويمنع هذا، ويرفع هذا ويخفض هذا، ويعز هذا ويذل هذا، ونحو ذلك، فلا بد أن تظهر آثار هذه الأسماء، فقدر الله وجود هذه المعاصي حتى تظهر آثار هذه الأسماء التي هي من أسماء الله تعالى الحسنى.

هذا الكلام ونحوه استنبطه العلماء من وجود الطاعات والمعاصي، وكون الناس كلهم ليسوا على إيمان ولا على كفر، بل فيهم مؤمن وكافر، ومطيع وعاص، فقالوا: إن آثار هذه إنما ظهرت بوجود من يتوب الله عليهم بعد أن كانوا عصاة فالله هو التواب، ويقبل توبة عبده ويفرح بها.

كذلك هؤلاء يستغفرون فيغفر لهم، والله تعالى غفور رحيم، وهؤلاء يرحمهم ويتجاوز عنهم، والله غفور رحيم، وغير ذلك من الحكم في أسماء الله تعالى.." (١)

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ١٢/٢٩

"كل ما أوجده الله فهو خير بالنسبة إليه تعالى

هذا الاعتراض الذي يعترض به بعض غلاة القدرية على خلق الله تعالى للشرور وللأشرار، قد يعترض بذلك فيقال: لماذا خلق الله إبليس مع أنه كله شر؟! ولماذا خلق الله الكفرة والمشركين الذين ليس فيهم خير، بل هم شر وجودهم ضرر على المسلمين؟! ولماذا خلق الله أو أوجد هذه المعاصي والأسباب التي يستعان بها عليها؟ لماذا وجدت المسكرات مثلا وما يتصل بها؟! ولماذا وجدت العاهرات والفاسقات؟! ولماذا وجد المفسدون الذي يعيثون في الأرض فسادا؟! ولماذا وجدت المعاصي؟! قد يعترضون ويقولون: هذا شر، فكيف أوجده الله وكيف أراده وكيف خلقه، مع أنه لا يحصل به إلا شر وضرر على الأمم الدينية، فيتضررون بوجود هؤلاء الكفار حيث إنهم يصدونهم عن الهدى، ويحاولون ردهم إلى الكفر وإخراجهم من ملة الإسلام، ويلقون عليهم الشبهات والشكوك، ويظهرون الفساد والمعاصي ونحو ذلك، فلماذا أوجدوا ولماذا خلقهم الله، ولماذا مكنهم الله؟! أليس في هذا إعانة على المعاصي؟ أليس في هذا تمكين للعصاة وتقوية لشأنهم؟ هذا خلاصة هذا الاعتراض على حكم الله سبحانه وتعالى.

وقد تقدم أنه سبحانه خلق الجنة والنار، فمن حكمته أن جعل دارا للثواب ودارا للعقاب، فلا بد أن لهذه من يسكنها ولهذه من يدخلها، حكمة الله لا بد أن تتم لذلك، فلما كان كذلك لم يكن بد من أن يكون الخلق فريقين: {فريق في الجنة وفريق في السعير} [الشورى:٧] .

وتقدم أن من أسماء الله تعالى الذي سمى بها نفسه وامتدح بها، أسماء تدل على مثل هذه الأفعال، كاسمه المنتقم، واسمه الجبار، واسمه العزيز، وذي القوة المتين، وكذلك أسماؤه المزدوجة مثل: الخافض الرافع، المعز المذل، المعطي المانع، فلا بد أن تظهر مدلولات هذه الأسماء، ولا تظهر إلا إذا وجد من يذلهم الله ومن يمنعهم ومن يخفضهم.

ولا بد أن يوجد من يقهرهم باسمه القهار، ومن يقدر على عقوبتهم بموجب اسمه القادر، ومن يرحمهم ويغفر لهم بموجب اسمه الغفور الرحيم، ولو كان الناس كلهم أتقياء بررة لم تظهر آثار أسمائه: الغفور الرحيم، وهكذا بقية أسماء الله سبحانه وتعالى.

بعد ذلك الجواب عن هذا الاعتراض، والجواب أن نقول: كل ما أوجده الله وأراده فإنه خير بالنسبة إلى الله تعالى وإن كان شرا بالنسبة إلى العبد الذي صدر منه ذلك الشر، وذلك لأن الله تعالى ما أوجده إلا لمصلحة، وهي الاختبار والابتلاء للعباد، ولكي يظهر من يصبر ومن يجزع، ومن يطيع ومن يعصي، ويظهر

من يمتثل ومن يأبى، ولكي يظهر من يكون صالحا أو يكون فاسدا.

هذا من اختبار الله لعباده، فهو سلط عليهم هؤلاء الأعداء، فسلط عليهم إبليس الرجيم حتى يكون منهم مقاومة وشدة تمسك رغم ما يلقيه من الدعوات إلى الفساد وإلى المعاصي، فيثابون ويزداد ثوابهم إذا تمسكوا، كذلك سلط عليهم الشهوات التي تدفعهم إلى المحرمات، وأظهرها أمامهم فتنة، فيثبت الله أولياءه ويخذل أعداءه، فالذي يستمسك بالدين ويصبر عليه هو الذي يعظم ثوابه، وهذا أيضا يصدق على المصائب التي تحصل للعباد، وقد يكون حصولها للأتقياء أكثر من حصولها للفسقة ونحوهم، فالمصائب التي ذكرها الله تعالى بقوله: {ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات} [البقرة:١٥٥] ، هذه قد يكون الابتلاء بها للمؤمنين أشد.

الكفار قد يمتعون بالقوة ويمتعون بالأموال ونحو ذلك، كما حكى الله عنهم أنهم قالوا: {نحن أكثر أموالا وأولادا} [سبأ:٣٥] ، فهذا الابتلاء الذي يبتلي الله تعالى به المؤمنين ليكون أعظم لأجرهم إذا صبروا واحتسبوا، فهكذا خلقه لهذه الشرور ليكون أعظم للأجر، فإذا عرف العبد أنه قد سلط عليه الأعداء فصبر عد مجاهدا غاية الجهاد، فهو يجاهد الشيطان الرجيم الذي يسول له ويوسوس له، وهو يجاهد النفس الأمارة بالسوء التي تتخيل له دائما وتدفعه، وهو يجاهد الهوى الذي يعمي ويصم، وهو يجاهد الشهوات التي تتجلى له وتندفع نفسه إليها وتتزين له، ولكنه يمسك نفسه ويقمعها، فيعتبر بذلك مجاهدا غاية الجهاد.

وهو يجاهد قرناء السوء وجلساء السوء الذين يدفعونه إلى الشرور ويدعونه إليه، هذا يدعوه إلى زنا، وهذا يدعوه إلى ربا، وهذا يدعوه إلى شرك، وهذا يدعوه إلى غش، وهذا يدعوه إلى تكاسل عن عبادة، وهذا يدعوه إلى شرب مسكر، وهذا يدعوه إلى كذا وإلى كذا، ولكنه يمسك زمام نفسه ويجاهد هؤلاء الدعاة، ويرد عليهم دعايتهم، فلو كان الناس كلهم مفطورين على الإسلام ما ظهر هذا الجهاد، زيادة على الجهاد الحسي الذي هو جهاد الكفار الذي أمر الله به وأكده وكرر ذكره بعدد من الآيات.

لا شك أن الإنسان متى قاوم هذه المقاومة وصبر هذه المصابرة، فإنه يعد ناجحا في هذا الابتلاء والاختبار، ويعد مثابا غاية الثواب، فيجزل الله له الأجر على ذلك فهذا من حكمة الله! إذا: فلا يعترض على الله ولا يقال: لماذا سلط الأشرار؟ ولماذا قواهم؟ ولماذا أعطاهم الدنيا، وأعطاهم النعم، وأعطاهم العدد والعدة ونحو ذلك؟ لا يعترض على الله بشيء من ذلك، كما لا يقال: لماذا خلق الله إبليس؟ ولماذا خلق الله هذه

الشهوات المحرمة؟ ولماذا أوجد الله هذه المسكرات وهذه المخدرات وما أشبهها؟ لا يعترض على الله تعالى، لأنه أوجد ذلك ليظهر من يصبر ممن يجزع، وليظهر من يقوى على نفسه ومن لا يقوى، فيثاب هذا على مقاومته، ويعرف بذلك عدم صبر هؤلاء الذين لم يصبروا على قمع نفوسهم الأمارة بالسوء، فلله تعالى الحكمة في ذلك.

فهو خير بالنسبة إلى خلق الله تعالى وإيجاده، وشر بالنسبة إلى فعل العبد، فالعبد مثلا إذا زنا قيل: هذا الزنا شر، حيث إنه صدر منه، ولكن الله تعالى هو الذي قدر ذلك وأحدثه، فهو خير بالنسبة إلى إيجاد الله تعالى، حيث إنه اختبر العبد بذلك وجعل أسبابه ظاهرة.

كذلك العبد إذا سكر مثلا، والمرأة إذا تبرجت وتجملت وفعلت ما لا يحل لها فعله عند الأجانب، والرجل إذا تعاطى غشا في معاملة أو غصبا أو سرقة أو اختلاسا أو ما أشبه ذلك.

كذلك إذا سولت له نفسه ترك الصلوات أو تخلفا عن جماعات أو ما أشبه ذلك من ترك الطاعات؛ فالله تعالى هو الذي قدر أسباب ذلك، ولكنه جعل ذلك اختبارا للعباد وابتلاء لهم، ليظهر بذلك أهل طاعته الذين أراد الله بهم الخير فقويت نفوسهم وأعطاهم قوة، والذين خذلهم وخلى بينهم وبين نفوسهم، وقوى عليهم أعداءهم فلم يتمكنوا من مقاومة أولئك الأعداء، فأصبحوا من الخاسرين.." (١)

"إيضاح أن خلق الشرور ليس شرا بالنسبة إلى الله

قال المؤلف: [فإن أردت مزيد إيضاح لذلك، فاعلم أن أسباب الخير ثلاثة: الإيجاد والإعداد والإمداد، فإيجاد هذا خير وهو إلى الله، وكذلك إعداده وإمداده، فإذا لم يحدث فيه إعداد ولا إمداد حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس إلى الفاعل وإنما إليه ضده.

فإن قيل: هلا أمده إذ أوجده؟ قيل: ما اقتضت الحكمة إيجاده وإمداده وإنما اقتضت إيجاده وترك إمداده، فإيجاده خير والشر وقع من عدم إمداده.

فإن قيل: فهلا أمد الموجودات كلها؟ فهذا سؤال فاسد يظن مورده أن التسوية بين الموجودات أبلغ في الحكمة! وهذا عين الجهل! بل الحكمة في هذا التفاوت العظيم الذي بين الأشياء، وليس في خلق كل نوع منها تفاوت، فكل نوع منها ليس في خلقه تفاوت، والتفاوت إنما وقع لأمور عدمية لم يتعلق بها الخلق

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ١٥/٢٩

وإلا فليس في الخلق من تفاوت، فإن اعتاص عليك هذا ولم تفهمه حق الفهم فراجع قول القائل: إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع] .." (١)

"**الحكمة من** تقدير الشر بخذلان المنافقين عن الخروج للجهاد

قال رحمه الله تعالى: [فإن قيل: كيف يرضى لعبده شيئا ولا يعينه عليه؟ قيل: لأن إعانته عليه قد تستلزم فوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضيها له، وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي أكره إليه سبحانه من محبته لتلك الطاعة، وقد أشار تعالى إلى ذلك في قوله: {ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم} [التوبة:٤٦] .

فأخبر سبحانه أنه كره انبعاثهم إلى الغزو مع رسوله وهو طاعة، فلما كرهه منهم ثبطهم عنه، ثم ذكر سبحانه بعض المفاسد التي كانت تترتب على خروجهم مع رسوله، فقال: {لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا} [التوبة:٤٧] أي: فسادا وشرا، {ولأوضعوا خلالكم} [التوبة:٤٧] أي: سعوا بينكم بالفساد والشر، {يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم} [التوبة:٤٧] أي: قابلون منهم مستجيبون لهم، فيتولد من سعي هؤلاء وقبول هؤلاء من الشر ما هو أعظم من مصلحة خروجهم، فاقتضت الحكمة والرحمة أن أقعدهم عنه. فاجعل هذا المثال أصلا وقس عليه] .

يكثر إيرادات هؤلاء المجبرة، وهم الذين يعذرون العبد على فعل المعاصي ويزعمون أن له عذرا في ذلك، حيث لم يكن له اختيار ولا قدرة على أية مزاولة، فيكثرون من إيراد مثل هذه الشبهات، فيقولون مثلا: كيف يريد الله هذه المعاصي وهو يكرهها؟ فيقال: الله تعالى أرادها كونا وكرهها شرعا، ويقولون: كيف لا يسوي بين عباده ما دام أنه قد خلقهم كلهم لعبادته، فكيف لا يسوي بينهم فيهديهم جميعا ويرشدهم؟

وA أنه سبحانه خلقهم ومكنهم، ولكنه علم أن فيهم نفوسا شريرة تختار الشر فخذلها، ونفوسا خيرة تختار الخير فوثقها، فله **الحكمة في** توفيق هذا وفي خذلان هذا، وإن كان الجميع كلهم عبيده وتحت تصرفه، وهم الذين كلفوا جميعا بعبادته وبالإنابة إليه.

وضرب المؤلف مثلا لما حكى الله تعالى عن المنافقين في سورة التوبة في قوله تعالى: {ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين * لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم} [التوبة:٤٦-٤٧] ، هؤلاء ممن كانوا أسلموا

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ١٦/٢٩

ولكن لم يدخل الإيمان في قلوبهم، لا شك أن الله تعالى خذلهم وخلى بينهم وبين أهوائهم وشهواتهم، ولم يوفقهم لما وفق إليه صفوته وخيرته من خلقه من المهاجرين والأنصار الذين اصطفاهم والذين مكن لهم في دينهم.

فهؤلاء المنافقون لما كان في غزوة تبوك تخلفوا عن القتال وتخلفوا عن الخروج، وأتوا بأعذار لا فائدة فيها وليست صادقة، بل حلفوا وهم كاذبون، كما في قوله تعالى: {يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين} [التوبة:٩٦] ، {سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون * يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين} [التوبة:٩٥-٩٦] .

فأخبر تعالى بأنهم لم يريدوا الخروج أصلا ولم يستعدوا له، ولو كانوا يريدون الخروج ويرغبون في الغزو لأعدوا العدة ولهيئوا أنفسهم، فهم قادرون على أن يخرجوا وعندهم استطاعه وتمكن ولكنهم لم يفعلوا، فلما لم يفعلوا دل على أنهم ما أرادوه ولا أعدوا له عدة، مع أن الله تعالى هو الذي خذلهم؛ لأنه علم أن في خروجهم مفسدة كبيرة حيث إنه لا يكون منهم إلا ضرر، فلذلك كره الله خروجهم وانبعاثهم فثبطهم، أي: سكنهم وصرف أنفسهم عن الخروج لمصلحة عظيمة؛ فإنهم لو خرجوا ما زادوا المسلمين إلا خبالا، أي: ضعفا وتخذيلا وتثبيطا عن القتال وعن العدو، (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة) يعني: أوقعوا فيما بين المسلمين الفتن والتشكيكات ونحو ذلك، فكان هذا من حكمة الله في أن خذلهم ولم يبعث عزائمهم إلى القتال، وبذلك يعرف أنه تعالى حكيم يضع الأشياء في موضعها اللائقة بها.

فعلى المسلم أن يرضى ويسلم بما جاءه من شرع الله تعالى وأمره ودينه، وأن يعترف بأنه ما خلق إلا ما فيه مصلحة، سواء كانت مخلوقات جوهرية أو عرضية، وسواء كانت أشخاصا أو أعراضا وأعمالا، كل ذلك له فيه الحكمة، فهو الحكيم العليم.

وعلى الإنسان أن يلح في سؤاله لربه، وأن يكثر من الدعاء، والله تعالى قد قدر له ما هو مقدر وجعل سبب ذلك هو كثرة الإلحاح في الدعاء، فيكون سببا من أسباب تيسير اليسرى وتجنيب العسرى، وليس مغيرا لما في قدر الله تعالى.." (١)

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ١٧/٢٩

"هل يحب العبد الشر ويرضى به من جهة أنه مراد لله واقع بمشيئته

قال المؤلف: [وأما الوجه الثاني وهو الذي من جهة العبد: فهو أيضا ممكن بل واقع، فإن العبد يسخط الفسوق والمعاصي ويكرهها من حيث هي فعل العبد، واقعة بكسبه وإرادته واختياره، ويرضى بعلم الله وكتابته ومشيئته وإرادته وأمره الكوني، فيرضى بما من الله ويسخط ما هو منه؛ فهذا مسلك طائفة من أهل العرفان. وطائفة أخرى كرهتها مطلقا، وقولهم يرجع إلى هذا القول؛ لأن إطلاقهم للكراهة لا يريدون به شموله لعلم الرب وكتابته ومشيئته.

وسر المسألة: أن الذي إلى الرب منها غير مكروه والذي إلى العبد مكروه.

فإن قيل: ليس إلى العبد شيء منها، قيل: هذا هو الجبر الباطل الذي لا يمكن صاحبه التخلص من هذا المقام الضيق، والقدري المنكر أقرب إلى التخلص منه من الجبري، وأهل السنة المتوسطون بين القدرية والجبرية أسعد بالتخلص من الفريقين.

فإن قيل: كيف يتأتى الندم والتوبة مع شهود الحكمة في التقدير، ومع شهود القيومية والمشيئة النافذة؟ قيل: هذا هو الذي أوقع من عميت بصيرته في شهود الأمر على خلاف ما هو عليه، فرأى تلك الأفعال طاعات لموافقته فيها المشيئة والقدر، وقال: إن عصيت أمره فقد أطعت إرادته! وفي ذلك قيل: أصبحت منفعلا لما تختاره مني ففعلي كله طاعات! وهؤلاء أعمى الخلق بصائر، وأجهلهم بالله وأحكامه الدينية والكونية، فإن الطاعة هي موافقة الأمر الديني الشرعي لا موافقة القدر والمشيئة، ولو كان موافقة القدر طاعة لكان إبليس من أعظم المطيعين له، ولكان قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وقوم فرعون كلهم مطيعين! وهذا غاية الجهل.

لكن إذا شهد العبد عجز نفسه ونفوذ الأقدار فيه، وكمال فقره إلى ربه، وعدم استغنائه عن عصمته وحفظه طرفة عين؛ كان بالله في هذه الحال لا بنفسه، فوقوع الذنب منه لا يتأتى في هذه الحال البتة، فإن عليه حصنا حصينا من: (فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي) ، فلا يتصور منه الذنب في هذه الحال.

فإذا حجب عن هذا المشهد وبقي بنفسه استولى عليه حكم النفس، فهنالك نصبت عليه الشباك والأشراك، وأرسلت عليه الصيادون، فإذا انقشع عنه ضباب ذلك الوجود الطبعي، فهنالك يحضره الندم والتوبة والإنابة،

فإنه كان في المعصية محجوبا بنفسه عن ربه، فلما فارق ذلك الوجود صار في وجود آخر، فبقي بربه لا بنفسه] .." (١)

"تفاضل الناس عند الله إنما هو بالتقوى

عرفنا أن تفاضل الناس بالتقوى: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم} [الحجرات:١٣] ، لا بالحسب ولا بالنسب ولا بأصل الآباء والأجداد، ولا بالرتب ولا بالأموال ولا بالمناصب، إنما تفاضلهم عند الله تعالى بالأعمال الصالحة، فالله تعالى يقول في هذه الآية: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم} [الحجرات:١٣] بعدما ذكر القبائل والشعوب في قوله تعالى: {إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل} [الحجرات:١٣] ، يعني: كل بني آدم تفرعوا من ذكر وأنثى؛ لكن جعلهم الله شعوبا وقبائل لمصلحة وهي: لا لتفاخروا، بل ليعرف أن هذا فلان من القبيلة الفلانية، وبعدما ذكر أن **الحكمة في** ذلك هي التعارف، ذكر أن هذا الفخر لا يجوز، وإنما الفخر بالتقوى فقال: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم} [الحجرات:١٣] .

وقد وردت أدلة في النهي عن الافتخار بالأسلاف، ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم، وآدم من تراب) .

وفي حديث آخر: (إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء) ، فجعل الفخر بالتقوى، وجعل الإنسان إنما يكرم وإنما يرتفع منصبه ومنزلته عند الله تعالى إذا حقق التقوى، ولذلك يقول بعضهم: ألا إنما التقوى هي العز والكرم وحبك للدنيا هو الذل والسقم وليس على عبد تقي نقيصة إذا حقق التقوى وإن حاك أو حجم فإذا: الفخر إنما هو بطاعة الله وبالتقرب إليه، وتمايز الناس وتفاوتهم إنما يكون بحسب الإيمان، وبحسب آثار الإيمان، فأفضلهم أكملهم إيمانا وأكملهم أعمالا وأكملهم وأحسنهم أقوالا وأحوالا، وأبعدهم عن الآثام، وأبعدهم عن أنواع الإجرام، هذا هو أكملهم عند الله وأكرمهم، وأرقاهم منزلة، فأما منصب وجاه ومال وحسب ونسب ومسكن وولد؛ فكل ذلك لا يغني عن صاحبه، كما ذكر الله عن الكافر في قوله: {ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه} [الحاقة:٢٨-٢٩] ، أي: هلكت عني سلاطيني وحسبي ونسبي وقبيلتي وأسرتي وأنصاري وأعواني، وتخلوا عني.

فإذا: ما على الإنسان إلا أن يحقق الإيمان ويحقق التقوى؛ ليصبح بذلك أفخر الناس وأشرفهم، والفخر

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ١٨/٢٩

والشرف إنما يكون بما عند الله، ولا يضره لو كان ضعيفا مهينا لا يؤبه له، ولا ينظر إليه، ويدفع عن الأبواب، ولا يقدم في المجالس، ولا يحترم ولا يكرم؛ فإنه إذا كان عند الله عزيزا، كريما، شريفا، فلا يضره كونه عند الناس وضيعا.

تكلم الشارح كما تقدم على ما اشتهر في كتب الأدب، وهي مسألة التفضيل بين الصابر والشاكر، حين يكون الصبر مع الفقر، والشكر مع الغنى، وقد تكلم فيهما العلماء، فتكلم فيهما ابن القيم رحمه الله وأطال في ذلك في كتابه (هبة الصابرين وذخيرة الشاكرين) ، وهو كتاب عظيم ومفيد نوصي باقتنائه وبقراءته، تكلم فيه على الصبر، وعلى أنواع الصبر، وعلى الشكر، وعلى فوائده، وأطال في ذلك، وأطال أيضا على هذه المسألة، وهي: مسألة التفاضل بين الغني الشاكر والفقير الصابر.

الفقير هو: الذي زويت عنه الدنيا، ولا يؤتى منها إلا قدر ما يسد رمقه، وأما الغني: فهو الذي فتحت عليه الدنيا، وأوتي من أنواع زهرتها.

فالفقير صبر واحتسب وزهد وقنع بما آتاه ربه.

والغني شكر، فأعطى حقوق هذا المال وصرفه في وجوه البر، وأنفقه في الخيرات وفي المسرات، وأعطى المستضعفين، وصرفه في الجهاد في سبيل الله، ونفع به المحتاجين ونحوهم.

فأيهما أفضل: ذلك الفقير الذي اقتصر على نفسه وصبر واحتسب، أو هذا الغني الذي أنفق في وجوه الخير؟ اختلف العلماء في ذلك.." (١)

"معنى قول الشارح: والمراد بالحسنة هنا النعمة إلى آخر كلامه

Q نرجو من فضيلتكم التوضيح لقول الشارح رحمه الله تعالى: (والمراد بالحسنة هنا النعمة، وبالسيئة البلية في أصح الأقوال.

إلى أن قال الشارح: ولكن لا منافاة بين أن تكون سيئة العمل وسيئة الجزاء من نفسه، مع أن الجميع مقدر، فإن المعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى، فتكون من سيئات الجزاء، مع أنها من سيئات العمل، والحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى) ؟

A قد ذكرنا أن الحسنة هي النعم، والسيئة هي البلايا، وأن الجميع من الله خلقا وتكوينا، ولكن قد تكون

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ١٣/٤٩

أيضا ابتلاء وامتحانا، فتكون النعم ابتلاء، وتكون السيئات ابتلاء، وقد تكون الحسنة بسبب من العبد وهو الأعمال الصالحة، والسيئة بسبب من العبد وهي الأعمال السيئة، وقد تكون الحسنة ثوابا لحسنة قبلها، والسيئة عقوبة لسيئة قبلها، ورد في بعض الآثار أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وإن من عقوبة السيئة السيئة بعدها.

وبكل حال فقد فصلنا في الحسنات والسيئات، وذكرنا أن الله تعالى يبتلي بالخير ويبتلي بالشر، وله الحكمة فيما يبتلي به، وكلام الشارح ظاهر لا خفاء فيه.." (١)

"الخوف من يوم القيامة والحكمة من تكرار ذكره في القرآن

هذه الآيات تخوف بما اشتملت عليه، وذلك أن يوم القيامة الذي ذكر في قوله: {واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله} [البقرة:٢٨١] ، {واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا} [البقرة:٤٨] ؛ لا شك أن هذا اليوم هو يوم الجزاء، هو يوم الحساب، {يوم يقوم الناس لرب العالمين} [المطففين:٦] .

والآيات التي ذكرت فيها ووضحت متقاربة المعنى، وإن اختلفت الألفاظ؛ وذلك لأن الله تعالى يذكره في كل موطن بما يناسبه، والقصد من تكرار ذكر يوم القيامة تحققه، حتى لا يقال: إنه خيال، أو إنه تقريبي أو ما أشبه ذلك.

وحتى لا تتسلط عليه التأويلات التي يسلكها النفاة من الفلاسفة ونحوهم، فإذا جمعت الآيات بصراحتها يعجزون عن أن يصرفوها.

فلذلك آمن أهل السنة وآمن المسلمون بالبعث بعد الموت، وقالوا: ليس في العقول ما ينكره، والقدرة الإلهية عامة له ولغيره، والعقل يقتضيه لأجل الجزاء على الأعمال، ولأجل الانتقام من الظالم، وأخذ الحق للمظلوم، ولأجل إثابة المطيع، وعقوبة العاصي، وذلك لأننا نشاهد في الدنيا ظلمة يموتون وهم مصرون على الظلم، منهم من قتل، ومنهم من قطع طرفا ظلما، ومنهم من انتهب مالا: سرقة، أو اختلاسا، أو غصبا أو غير ذلك، ومنهم من انتهك عرضا؛ ومع ذلك يموتون والحق عندهم، ولاشك أن الله تعالى أعدل من أن يذهب صاحب المظلمة دون أن ينتقم منه؛ فلابد أن يكون هناك يوم آخر ينصف الله فيه المظلوم، وينتقم من الظالم، ويجازيه بما يستحقه، فيكون ذلك هو اليوم الآخر الذي هو يوم القيامة.

كذلك أيضا: نشاهد أن هناك من يجد في العمل، ويجتهد في الأعمال الصالحة، ويتقرب بالحسنات، ولا

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٣٣/٦٢

يأتيه جزاء في الدنيا إلا ما يجده من لذة الطاعة ونحوها؛ فلابد أن الله لا يضيع عمله، كما في قول الله تعالى: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا} [الكهف:٣٠] ، فإذا: لا يضيع أجره ما دام أنه لم يتمتع من أجره بشيء في الدنيا، فأجره يوفى إليه في الدار الآخرة، {إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب} [الزمر:١٠] .

كما أننا نشاهد الكفرة والفجرة الذين تمتعوا في الدنيا بشهوات وملذات، وهم يظهرون الكفر والفسوق والسخرية بالرسل، ويكذبونهم ويسخرون من الحق، ويفعلون المعاصي ويتركون الطاعات، ومع ذلك يموت أحدهم وهو على إصراره، لم تنله عقوبة في الدنيا.

إذا: لابد أن تكون هناك دار أخرى يعاملهم الله فيها بما يستحقونه، أو يعاملهم فيها بعدله إذا لم يعف عن المحسن منهم، فهذه الأمور العقلية تضطر المؤمن إلى أن يؤمن بالبعث بعد الموت، وأن يتحقق وقوعه.." (١)

"تجسد الأعمال ووزنها يوم القيامة

قال رحمه الله: [وقد وردت الأحاديث أيضا: بوزن الأعمال أنفسها، كما في صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان) ، الحديث، وفي الصحيحين -وهو خاتمة البخاري - قوله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) .

وروى الحافظ أبو بكر البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يؤتى بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين كفتي الميزان، ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا، وإن خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا) .

فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام، فإن الله يقلب الأعراض أجساما كما تقدم، وكما روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يؤتى بالموت كبشا أغبر، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة! فيشرئبون وينظرون، ويقال: يا أهل النار! فيشرئبون وينظرون، ويرون أن قد جاء الفرج، فيذبح، ويقال: خلود لا موت) ، ورواه

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٩/٦٤

البخاري بمعناه.

فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات، فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان، ويا خيبة! من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال، وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنا.

ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فلا أحد أحب إليه العذر من الله؛ من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه؟ فتأمل قول الملائكة لما قال الله لهم: {إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون} [البقرة:٣٠] ، وقال تعالى: {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} [الإسراء:٨٥] .

وقد تقدم عند ذكر الحوض كلام القرطبي رحمه الله: أن الحوض قبل الميزان والصراط بعد الميزان، ففي الصحيحين: (أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة) ، وجعل القرطبي في التذكرة هذه القنطرة صراطا ثانيا للمؤمنين خاصة، وليس يسقط منه أحد في النار، والله تعالى أعلم] .

تقدم أن من الأقوال: أن الأعمال تجسد، وأنها توزن ولو كانت أعراضا، فالله تعالى قادر على أن يقلب الأعراض أجسادا كما يشاء، فيقلب التسبيح والتكبير والقراءة أجسادا وأجراما يكون لها ثقل ويكون لها وزن، وقد دلت على ذلك السنة، فالأحاديث التي تقدمت دالة على أن الأعمال تجسد، وأنها توزن، وأن الله لا يستعصي عليه أن يقلب هذه الأعراض ويجعل لها جرما يخف ويثقل.

وتقدم أن المعتزلة أنكروا الميزان الذي ينصب يوم القيامة مع وروده في الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة، ومع ذلك يقولون: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال -تعالى الله عن قولهم-، وأنكروا أن يكون الميزان حقيقيا، فلذلك رد عليهم الشارح، وأنكر قولهم وقال: إنهم حريون أن تخف موازينهم، ولا شك أن في جعل هذه الموازين حكما عظيمة، ولو لم يكن فيها إلا العدل؛ ولذلك وصفها الله تعالى بالقسط: {ونضع الموازين القسط} [الأنبياء:٤٧] ، (أي) : العدل، يعني: الموازين العادلة إذا نصب الميزان

وحضر الموزون، يقال: احضر وزن أعمالك، فإذا رجح ميزانه نادى ذلك الملك: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا، وإذا خف ميزانه نادى ذلك الملك: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا، وإذا تساوت الحسنات والسيئات عومل بعد ذلك بما يستحقه، بأن يعذب بقدر سيئاته، ثم يخرج إذا كان من أهل التوحيد أو نحو ذلك مما يشاؤه الله.." (١)

"**الحكمة في** عدم إيمان جميع الخلق

ولذا أجاب الشارح على الذين قالوا: لماذا خلق الله فيهم عدم الإيمان؟ بأنه ليس العدم شيئا.

وكذلك قولهم: لماذا لم يساو بينهم فيهديهم كلهم، ويعطيهم العقول التي تهديهم إلى الخير؟ فأجاب: بأنه سبحانه له الحكمة؛ حيث إنه خلق دارين: دارا للنعيم، ودارا للجحيم، دار ثواب، ودار عقاب.

ولو سوى بينهم في الاختيار والهداية لتعطلت إحدى الدارين، فمن حكمته أن جعل أهواءهم تختلف، فمنهم من اختار الهدى، ومنهم من اختار الضلالة، فمنهم من حقت عليه كلمة العذاب، ومنهم من اختار أسباب الثواب.

ولا يقال إنه ظلم هؤلاء حيث لم يوفقهم، بل يقال: إنه خلى بينهم وبين أنفسهم، وإنه لم ير هؤلاء أهلا لنعمته، ولا أهلا لرحمته، ولا أهلا لحكمته، بل رأى أن فيهم من الطبع ومن الميل إلى الهوى ما لا يكونون معه أهلا للفضل.

وأنت تشاهد -مثلا- أبناء رجل واحد أو أهل بيت واحد، أي: أن تربيتهم تربية واحدة، ويتعلمون في مدرسة واحدة، ويربيهم أب واحد وأم واحدة، وكذلك يقرءون مناهج واحدة، ومع ذلك إذا كبروا فإنهم يتفاوتون، فمنهم من يميل إلى الخير ويؤثره ويحبه؛ بحيث إنه يعمل الصالحات ويتقبلها، ومنهم من هو ضد ذلك، بحيث يميل إلى الشر، ويميل إلى البطالة وإلى المعصية والضلالة.

فتقول: لماذا حصل هذا التفاوت؟ أليست تربيتهم واحدة وتعليمهم وتثقيفهم سواء؟ يقال: بلى، ولكن هؤلاء كتب الله لهم السعادة، وهؤلاء كتب عليهم الشقاوة هؤلاء خذلهم، وهؤلاء هداهم ووفقهم، والجميع لم يظلمهم، كما قال تعالى: {ولا يظلم ربك أحدا} [الكهف:٤٩] فكونه لم يوفق هؤلاء إنما هو بسبب أنه لم يرهم أهلا لذلك، بل علم أن طبعهم وميلهم وعقولهم منتكسة ليست أهلا لأن تستحق الهدى، فخلى بينهم وبين أنفسهم، فانخذلوا، وخرجوا عن الطواعية والاستقامة، بخلاف أولئك.

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٨/٦٥

مع أننا نؤمن بأن هناك أسبابا جعلها الله مؤثرة في هذه الدنيا، والسبب الوحيد في هداية الإنسان هو توفيق الله له، وإعطاؤه قابلية للحق، وميلا إليه، وأن يقذف الله في قلبه محبة للدين ولأهله، هذا هو السبب الأصل، ثم هناك أيضا أسباب أخرى.

ولا شك أن تنشئة الوالدين جعلها الله سببا: إما سببا للخير أو سببا للشر، فإذا كان الوالد محبا للخير فربى أولاده على العلم، وعلى الدين، وعلى الصلاة، وعلى التقوى، وعلمهم كل شيء ينفعهم، كان ذلك سببا في الهداية والاستقامة، وإن كان قد يتخلف في بعضهم.

وكذلك إذا أراد الله بعبده الخير ووفقه بجليس صالح، وأصدقاء صالحين يهدونه ويدلونه، ويأخذون بيده إلى سبيل النجاة، ويبينون له الخير، ويحثونه على فعله، كان ذلك أيضا من الأسباب للهداية والاستقامة.

فبكل حال نحن لا ننكر أن يكون هناك أسباب لها تأثير، لكن ذلك كله تقدير العزيز العليم؛ حيث جعل قلب العبد يميل إلى هذا، أو يميل إلى هذا.

مع أن تلك الأسباب قد تفعل مع الشخص الآخر، ولكن لا تزيده إلا عتوا ونفورا، فأنت -مثلا- قد تدعو إنسانا وتبذل له الأسباب فتعطيه نصائح، وترشده، وتخوفه، وتهدي إليه كتبا ونشرات وأشرطة مفيدة، فيسمعها ويهتدي ويتقبل بعد أن كان جاهلا، أو بعد أن كان تائها ضالا، أو بعد أن كان عاصيا عاتيا.

وتأتي إلى أخيه أو زميله وتعمل معه ذلك العمل فتأتي وتنصحه وتحذره وتخوفه، ولكن لا يتقبل، بل لا يزيده ذلك إلا عتوا ونفورا، بل يزيده ذلك احتقارا لمن يدعوه إلى الخير، وتنقصا لأهل الخير، وازدراء وتصغيرا لشأن الدعاة إلى الله، ويرى نفسه أفضل منهم.

فأنت أديت ما عليك إلا أن هذا من الله عليه وأقبل بقلبه، وهذا خذله وخلى بينه وبين نفسه وسلط عليه أعداءه، فاحتوشوه وتمكنوا من قيادته حيث يشاءون، فلم تنفع فيه الحيل، ولو شاء ربك لهدى الناس جميعا.

قال المؤلف رحمه الله: [وهذا سؤال عن الحكمة التي أوجبت تقديم العدل على الفضل في بعض المحال؟ وهلا سوى بين العباد في الفضل؟ وهذا السؤال حاصله: لم تفضل على هذا ولم يتفضل على الآخر؟ وقد تولى الله سبحانه الجواب عنه بقوله: {ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم} [الحديد:٢١] ، وقوله: {لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم} [الحديد:٢٩] .

ولما سأله اليهود والنصارى عن تخصيص هذه الأمة بأجرين وإعطائهم هم أجرا أجرا، قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟ قالوا: لا، قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء.

وليس في الحكمة إطلاع كل فرد من أفراد الناس على كمال حكمته في عطائه ومنعه، بل إذا كشف الله عن بصيرة العبد حتى أبصر طرفا يسيرا من حكمته في خلقه وأمره وثوابه وعقابه وتخصيصه وحرمانه، وتأمل أحوال محال ذلك، استدل بما علمه على ما لم يعلمه.

ولما استشكل أعداؤه المشركون هذا التخصيص قالوا: {أهؤلاء من الله عليهم من بيننا} [الأنعام:٥٣] قال تعالى مجيبا لهم: {أليس الله بأعلم بالشاكرين} [الأنعام:٥٣] ، فتأمل هذا الجواب! تر في ضمنه أنه سبحانه أعلم بالمحل الذي يصلح لغرس شجرة النعمة، فتثمر بالشكر، من المحل الذي لا يصلح لغرسها، فلو غرست فيه لم تثمر، فكان غرسها هناك ضائعا لا يليق بالحكمة، كما قال تعالى: {الله أعلم حيث يجعل رسالته} [الأنعام:١٢٤]] .

فهذا المعنى قد ذكرنا ما يدل عليه، وقد عرفنا أن الرب سبحانه وتعالى هو الحكيم، الذي يضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها، وأنه من حكمته قسم خلقه إلى سعيد وشقي، وعلم من هو أهل للتقوى فوفقه، ومن هو أهل للشقاء فخذله: {ولا يظلم ربك أحدا} [الكهف:٤٩] .

فله الحكمة في أمره ونهيه، وله الحكمة في خلقه وتدبيره، وكذلك له الحكمة في هدايته وإضلاله، وفي توفيقه وخذلانه، يهدي من يشاء فضلا، ويضل من يشاء عدلا.

وفضله سبحانه على عباده كلهم، ففضله على الناس كلهم حيث خلقهم في أحسن تقويم، وحيث رزقهم وحيث أنعم عليهم، وأعطاهم ما يعيشون به: {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها} [هود:٦] فهذا هو الفضل العام الذي عممه على جميع الخلق.." (١)

"ارتباط وتعلق فعل العبد وتركه بقدرة الله سبحانه

فالعباد مأمورون، ولكن القوة التي يزاولون بها فعل الأوامر هي من الله، كذلك منهيون والقوة التي يمتنعون بها عن النهي هي أيضا من الله، هو الذي يمدهم بالقوة التي يمارسون بها الأفعال، ويمدهم بالقوة التي تحميهم من المنهيات، كذلك أيضا إذا خذل من شاء من عباده، فعل ما فعل من المعاصي والمحرمات، فذلك أيضا بقضاء الله وبقدره، ولو شاء لمنعهم من ذلك، ولحال بينهم وبينه، ولكن له الحكمة في ذلك،

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٤/٧١

يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء:٢٣] له التصرف في العباد، ولا يكون في الكون إلا ما يريد، لو شاء لهدى الناس أجمعين، ولو شاء لأضلهم، فإذا هداهم فبنعمته وفضله، وإذا أضلهم فبحكمته وعدله.

لكن إذا هداك الله وألهمك رشدك وسددك، فعليك أن تشكره على هذه الهداية، وأن تستعين بما أعطاك من القوة على الطاعة، وإذا رأيت من أضلهم الله ورأيت ومن حرمهم الخير، فإنك تحمد ربك على أنه لم يجعلك مثلهم، وتقول: الحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا، فله سبحانه الأمر والنهي وله القدرة التامة، وله التصرف في العباد، هو الذي كلفهم وأمرهم ونهاهم، وهو الذي أعطاهم، ومنع من شاء منهم، وهو الذي يهدي ويضل، ويسعد ويشقي، ويمنع ويعطي، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

وإذا من الله على بعض العباد، فإن ذلك فضل منه، فعليهم أن يشكروه على هذا الفضل، وإذا خذل بعضا من العباد وخلى بينهم وبين أهوائهم، وسلط عليهم أعداءهم وساموهم سوء العذاب، فذلك حكمة منه وعدل، فما حصل لهؤلاء محض فضل منه وحكمة، ويجب أن يشكروه عليها، وما حصل لهؤلاء من خذلان فهذا من حكمته سبحانه، ويجب عليهم أن يعرفوا السبب، فالسبب من قبل أنفسهم، كما يقول الله تعالى: {قل هو من عند أنفسكم} [آل عمران:١٦٥] ويقول تعالى: {وما أصابك من سيئة فمن نفسك} [النساء:٧٩] أي: أنه يستحق ذلك بسبب ما جبل عليه، وبسبب الخلق السيئ الذي علم الله أنه لا يناسبه إلا أن يحرمه من الخير وغيره، ويحول بينه وبين الهداية، فهو الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها.." (١)

"معنى حديث: (لا يصومن أحد عن أحد)

أما الأعمال البدنية فقد اختلف فيها، وقد تقدم الحديث الذي قال فيه: (لا يصومن أحد عن أحد، ولا يصلي أحد عن أحد) ، ولكن ذلك محمول على الأحياء، فالأحياء القادرون لا يجوز لأحدهم أن ينوب عن أحد، فلا تقل لولدك: صل عني الظهر أو العصر، أو نحو ذلك؛ لأن هذه العبادة تتعلق ببدنك، فلا ينوب فيها عنك أحد، وكذلك لو أحرمت بنفسك فلا تقل لولدك أو لعبدك: طف عني طواف الإفاضة، أو قف عني بعرفة أو نحو ذلك، فإن هذا عمل بدني لا يقوم فيه أحد عن أحد، وكذلك إذا كنت قادرا فلا

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٥/٧٣

تقل -مثلا-: صم عني هذا اليوم من رمضان، أو صم عني هذا الشهر لأنه لا يجوز التوكيل في مثل هذه الأعمال؛ لأنها متعلقة بالبدن؛ ولأن **الحكمة فيها** أن يخضع ذلك العامل ببدنه، وأن يشعر بذله واستضعافه بين يدي ربه، فإذا كان المتذلل غيره لم يتأثر بذلك.

فإذا: **الحكمة في** شرعية الصلاة أن يخضع المصلي ويخشع ويتواضع، ولا يحصل له أجر إذا تواضع غيره، بل ذلك التواضع يحصل للمتواضع، ولا يحصل له.

ولو قال: أهديت صلاتي لك، لم يجز؛ وذلك لأنه لابد أن يكون عمله من نفسه، وكذلك **الحكمة من** الصيام حصول ألم الجوع والجهد والظمأ، والصبر على ذلك، أما إذا كان يأكل ويشرب ويتمتع، والذي صام غيره، لم تحصل المصلحة التي هي تأثره بهذا الصيام، فيكون أجر الصيام لمن صامه لا له، وإن كان في ذلك استثناء كما سيأتي.." (١)

"الجواب عن استدلالهم بحديث: (لا يصلي أحد عن أحد)

واستدل بحديث: (لا يصلي أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد) ؛ ولكن وردت الأدلة في انتفاعه بالصوم في قوله عليه الصلاة والسلام: (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) ، ولما جاءته امرأة وقالت: (إن أمي ماتت، وعليها صيام نذر أو صيام شهر.

قال: أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء -أو: فدين الله أحق بالقضاء-) فأمرها بأن تصوم عن أمها، وسواء كان هذا الصوم فرضا أو نذرا فإنه أقرها على أن تصوم، بل أمرها بذلك، وشبهه بقضاء الدين.

وعلى هذا فمعنى قوله: (لا يصلي أحد عن أحد) ، أي: لا يصلي عنه وهو قادر، يعني: لا يوكل أحد أخاه يصلي عنه، يقول: صل عني صلاة الظهر، أو: صل عني صلاة العشاء، أو: وكلتك أن تصلي عني صلاة المغرب أو العصر أو نحو ذلك، أو: وكلتك أن تصوم عني هذا اليوم من رمضان أو ما أشبه ذلك وهو قادر، فإن هذا لا يجوز؛ وذلك لأن العبادة وجهت إلى الإنسان القادر، فلا يجوز له أن ينيب غيره ولا يجوز له أن يوكل من يعمل عنه ذلك العمل وهو قادر؛ وذلك لأن **الحكمة في** هذه العبادة ظهور العبودية على الفاعل، فالصلاة فرضت على المسلمين، ولا يجوز لأحد أن يوكل من يصلي عنه، فإن تذلل المصلي يفوت بالتوكيل، فالمصلي يتذلل ويخشع ويخضع ويتواضع، ويظهر منه الخشوع والذل بين يدي ربه، وهذا لا

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٥/٧٥

يحصل له إذا وكل من يصلي عنه، فلا ينتفع بهذه الصلاة، ولا يحصل له بها تذلل ولا خشوع ولا تضرع وتمسكن بين يدي ربه.

وكذلك الصيام شرع لإظهار الامتثال بترك طعامه وشرابه وزوجه لأجل امتثال أمر الله، فإذا وكل من يصوم عنه وأخذ يأكل ويشرب، اعتبر غير متقبل لأمر الله، ولم يجز عنه توكيله، فلأجل ذلك قالوا: لا يوكل في العبادات البدنية التي **الحكمة منها** إظهار الاستكانة والذل بين يدي الرب.

ويلحق بذلك: حج الفريضة للقادر، فمن كان قادرا على الحج بالبدن وبالمال فإنه يكلف بأن يفعله ولا يوكل فيه، وذلك لأن الحكمة تقتضي الأمرين: تقتضي إنفاقه من ماله في هذا السبيل، وتقتضي عمله ببدنه هذه الأعمال، والأفضل هي الأعمال التي أمر بها، والأصل في شرعية الحج أن يظهر أثره على العامل، فالحاج إذا أحرم وخضع وخشع وتمسكن بلباسه الذي فيه تجرده عن لباسه المعتاد، أليس ذلك من أجل العبادات؟ هل تحصل له تلك المسكنة إذا وكل غيره؟! أليس إذا أخذ يطوف على البيت العتيق يحصل الثواب والتذلل، ويحصل له إخبات بين يدي ربه؟ هل يحصل هذا الإخبات إذا وكل عنه من يحج عنه؟! وهكذا إذا وقف بعرفات وهو خائف راج ذليل متواضع، هل تحصل هذه الحالة إذا وكل من يقف عنه؟!.

إذا: فالحج في الأصل هو العبادة البدنية.

وقد عرفنا أنه غالبا ما يتكون من المال والبدن، ولكن قد يكون بدنيا محضا، كالمكي الذي لا يقدر على أن يستأجر سيارة أو دابة يركبها، ولكنه قادر على أن يمشي ببدنه من مكة إلى منى، وإلى مزدلفة، وإلى عرفات، أليس ذلك مكلفا بأن يحج ولا يسقط عنه الحج؟ أليس حجه بدنيا ليس فيه شيء من المال؟ وهذا يدل على أن الأصل في العبادة هو تحريك هذا البدن، فلأجل ذلك لم يصح أن يوكل فيه، ولكن إذا حج فرضه مع القدرة، ثم تبرع له ولده، أو تبرع له أخوه بأن أدى عنه حجة أخرى، أو طاف تطوعا وأهدى طوافه له، فلا شك أنه ينتفع بذلك، حتى ولو كان قادرا.

أما إذا عجز عن الحج إما لعيب في بدنه، وإما لقلة في ماله، وإما للصعوبة والمشقة بينه وبين الحرم، فإنه في هذه الحالة معذور، وإذا وكل غيره، أو قام غيره مقامه في هذا العمل وتبرع له متبرع؛ فإن ذلك ينفعه.

فعرف بذلك الفرق بين العبادات البدنية المحضة كالصوم، والصلاة، والحج لمن هو في مكة، فإنها لا تدخلها النيابة إذا كانت فرضا، وأما إذا كانت تطوعا وأهدي له ثوابها فلا مانع من أن ينتفع به.

أما بالنسبة للأعمال الأخرى فإنها تدخلها النيابة، فالأذكار يصح أن يذكر الله تعالى وأن يهدي ثوابها لأخيه

أو قريبه، وكذلك المرء مأمور أن يدعو لأقاربه، أو للمسلمين عموما، والصدقات يصح أن يوقعها عن قريبه حيا أو ميتا بجزء من ماله، وهكذا بقية الأعمال.

وقد مر بنا بعض الأشياء التي فيها خلاف، وعرفنا كيف الجواب عنها.." (١)

"الفرق بين الكرامة والمعجزة

قال الشارح رحمنا الله تعالى وإياه: [ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم.

فالمعجزة في اللغة: تعم كل خارق للعادة، وكذلك الكرامة في عرف أئمة أهل العلم المتقنين، ولكن كثيرا من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعها: الأمر الخارق للعادة.

فصفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى، وهذه الثلاثة لا تصلح على الكمال إلا لله وحده، فإنه الذي أحاط بكل شيء علما، وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: {قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي} [الأنعام:٥٠] ، وكذلك قال نوح عليه الصلاة والسلام، فهذا أول أولي العزم، وأول رسول بعثه الله إلى الأرض، وهذا خاتم الرسل وخاتم أولي العزم، وكلاهما تبرءا من ذلك؛ وهذا لأنهم يطالبونهم تارة بعلم الغيب كقوله تعالى: {يسألونك عن الساعة أيان مرساها} [الأعراف:١٨٨] ، وتارة بالتأثير كقوله تعالى: {وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا} [الإسراء:٩٠] ، وتارة يعيبون عليهم الحاجة البشرية كقوله تعالى: {وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق} [الفرقان:٧] ، فأمر الرسول أن يخبرهم بأنه لا يملك ذلك، وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله، فيعلم ما علمه الله إياه، ويستغني عما أغناه عنه، ويقدر على ما أقدره عليه من الأمور المخالفة للعادة المطردة أو لعادة أغلب الناس، فجميع المعجزات والكرامات ما تخرج عن هذه الأنواع.

ثم الخارق إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين كان من الأعمال الصالحة المأمور بها دينا وشرعا، إما واجب أو مستحب، وإن حصل به أمر مباح كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكرا، وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه كان سببا للعذاب أو البغض، كالذي أوتي الآيات فانسلخ منها بلعام بن باعورا لاجتهاد أو تقليد، أو نقص عقل أو علم، أو غلبة حال، أو عجز أو ضرورة،

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٥/٧٧

فالخارق ثلاثة أنواع: محمود في الدين، ومذموم، ومباح؛ فإن كان المباح الذي فيه منفعة كان نعمة، وإلا فهو كسائر المباحات التي لا منفعة فيها.

قال أبو علي الجوزجاني: كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة.

قال الشيخ السهروردي في عوارفه: وهذا أصل كبير في الباب، فإن كثيرا من المجتهدين المتعبدين سمعوا بالسلف الصالحين المتقدمين، وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات، فنفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك، ويحبون أن يرزقوا شيئا منه، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متهما لنفسه في صحة عمله، حيث لم يحصل له خارق، ولو علموا بسر ذلك لهان عليهم الأمر، فيعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك بابا، **والحكمة فيه** أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقينا؛ فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا، والخروج عن دواعي الهوى، فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة، فهي كل الكرامة، ولا ريب أن للقلوب من التأثير أعظم مما للأبدان، لكن إن كانت صالحة كان تأثيرها صالحا، وإن كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدا، فالأحوال يكون تأثيرها محبوبا لله تعالى تارة، ومكروها لله أخرى، وقد تكلم الفقهاء في وجوب القود على من يقتل غيره في الباطن، وهؤلاء يشهدون بواطنهم وقلوبهم الأمر الكوني، ويعدون مجرد خرق العادة لأحدهم أنه كرامة من الله له، ولا يعلمون أنه في الحقيقة إنما الكرامة لزوم الاستقامة، وأن الله تعالى لم يكرم عبدا بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه، وهو طاعته وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه ,معاداة أعدائه، وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون} [يونس:٦٢] ، وأما ما يبتلي الله به عبده من السراء بخرق العادة أو بغيرها أو بالضراء، فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه، بل قد سعد بها قوم إذا أطاعوه، وشقي بها قوم إذا عصوه، كما قال تعالى: {فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن *كلا} [الفجر:١٥-١٧]] .

سمعنا أن الكرامة هي أمر خارق للعادة، مستغرب عجيب صدوره، وأنه إذا جرى على أيدي الأنبياء سمي معجزة، وقد ذكر العلماء معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم: منها: أن الجذع حن له لما ترك الخطبة عليه، وهو جماد.

ومنها: أنه الحصيات سبحن بيده وهن جماد.

ومنها: أن حجرا كان يسلم عليه إذا مر به، وهو حجر يعرفه.
ومنها: أن الماء القليل يزيد إذا غمس فيه يده حتى يشرب منه الخلق الكثير، ويملئوا منه قربهم، ويتوضئوا منه.
ومنها: تكثير الطعام خبزا أو لحما، كما ورد ذلك في أدلة كثيرة.
فهذه معجزات، لا يقدر البشر على مثلها، ويعلمون أن الله أجراها على يديه، ليعلم أنه رسول من الله صادق.." (١)

"حكم التنجيم وتعلمه

قال المصنف رحمنا الله وإياه: [وصناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير -وهو: الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية أو التمزيج بين القوى الفلكية الأرضية- صناعة محرمة بالكتاب والسنة، بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين قال تعالى: {ولا يفلح الساحر حيث أتى} [طه:٦٩] ، وقال تعالى: {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت} [النساء:٥١] .
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره: الجبت السحر.
وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان لـ أبي بكر غلام يأكل من خراجه، فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري مم هذا؟ قال: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته، فلقيني، فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه) .
والواجب على ولي الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين، وأصحاب الضرب بالرمل والحصى، والقرع والفالات، ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات، أو يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك، ويكفي من يعلم تحريم ذلك ولا يسعى في إزالته -مع قدرته على ذلك- قوله تعالى: {كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون} [المائدة:٧٩] ، وهؤلاء الملاعين يقولون الإثم، ويأكلون السحت بإجماع المسلمين.
وثبت في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم برواية الصديق رضي الله عنه أنه قال: (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه)] .

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٤/٩٢

التنجيم من الأعمال الشيطانية، وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، بمعنى أنه يقول: طلوع النجم الفلاني سبب لحدوث رياح، وسبب لحدوث غرق، أو لجدب أو لخصب، أو لوباء أو مرض، أو إذا غاب النجم الفلاني حدث في البلدة الفلانية فيضان أو غرق أو زلزال أو ما أشبه ذلك، وهذا فعل كثير من المنجمين، ويغلب عليهم أنهم شبه السحرة؛ وذلك لأن النجوم مسخرة مسيرة بأمر الله، ليست دليلا على شيء مما يقولون، روى البخاري رحمه الله عن قتادة قال: (خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن ادعى فيها غير ذلك فقد أخطأ، وأضاع نصيبه من الدنيا، وتكلف ما لا علم له به) ، يرد قتادة على المنجمين الذين يستدلون بطلوع النجوم على الحوادث التي تحدث في الأرض من العاهات والمصائب، ومن الأمطار والخيرات، ومن العقوبات ونحوها، وما ذاك ألا أن النجوم لا تحدث شيئا بنفسها، بل الله تعالى جعلها مسخرة كما قال الله تعالى: {وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره} [النحل:١٢] ، وقال تعالى: {وبالنجم هم يهتدون} [النحل:١٦] أي: يقتدون في طرقهم، وقال تعالى: {وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر} [الأنعام:٩٧] (لتهتدوا) يعني: أنكم تستدلون بها على الجهة التي تريدونها، وتعرفون أي جهة تقصدونها، فجعلها الله علامات ليهتدى بها، كما جعلها زينة في قوله تعالى: {ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح} [الملك:٥] أي: بهذه النجوم، وقال تعالى: {إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب} [الصافات:٦] والكواكب التي في هذه السماء هي زينة لها، فإذا كنت في ليلة مظلمة ونظرت إلى السماء ترى نجومها تزهر في كل جانب، كالسرج تضيء، فهي زينة للسماء.

كذلك أيضا أخبر الله تعالى بأنها رجوم ترجم بها الشياطين عن استراق السمع، كما قال تعالى: {إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين} [الحجر:١٨] والشهاب: هو هذا الذي يرمى به في الليلة الظلماء، فإذا أبصرته منقضا فقد رمي به شيطان أو مسترق للسمع، وقال تعالى عن الجن: {فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا} [الجن:٩] ، وقال تعالى: {وجعلناها رجوما للشياطين} [الملك:٥] أي: يرجمون بها، فهذه هي الحكمة في وجود هذه النجوم، فأما الذين يدعون فيها أنها تدل على وجود خير أو زواله، أو تدل على حدث أو أمر مستقبل أو نحو ذلك، فإن هذا من التكلف.

والنجوم يعرف بها مواقيت الشتاء والصيف، والغراس والزروع ونحو ذلك؛ وذلك لأن الله تعالى قدر لها مواقيت، فهناك نجوم تطلع في الشتاء، فإذا رآها الناس عرفوا أن هذا وقت زراعة البر ونحوه، ونجوم تطلع

في الصيف، فإذا رأوها عرفوا أن هذا وقت يبذر فيه كذا وكذا، ويغرس فيه كذا وكذا، أو يعرفون بها دخول الشتاء أو انسلاخه، أو دخول البرد وإقباله أو انتهاءه، أو دخول الحر أو إقباله أو نحو ذلك، فتعلم هذا لا بأس به؛ لأنها مواقيت، كما أن الليل والنهار مواقيت، وكما أن الأشهر والأهلة مواقيت، فكذلك طلوع النجوم والبروج التي جعلها الله في السماء، قال تعالى: {والسماء ذات البروج} [البروج:١] ، وقال: {ولقد جعلنا في السماء بروجا} [الحجر:١٦] ، وقال: {تبارك الذي جعل في السماء بروجا} [الفرقان:٦١] ، فهذه البروج التي هي منازل الشمس، وهذه الأنواء أو النجوم التي هي منازل القمر كما في قول الله تعالى: {والقمر قدرناه منازل} [يس:٣٩] أي: ينزل في كل ليلة منزلة؛ لا شك أنها خلق الله تعالى، فتعلم منازل القمر وتعلم منازل الشمس ومعرفة أحوال كل منهما لا يدخل في التنجيم المحرم، إنما التنجيم المحرم هو أن يستدل بطلوع النجم الفلاني على أنه سوف يحدث كذا وكذا من الآفات، أو ما أشبه ذلك، فهذا من التدخل في علم الغيب، والله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول} [الجن:٢٦-٢٧] فلا يدخل في ذلك الكهنة ونحوهم.." (١)

"من مقاصد الشريعة المحبة والاجتماع

من تأمل شرائع الأنبياء وشريعتنا خاصة، وجد أن كل المعاملات والأحكام تهدف إلى هدف واحد وهو تحصيل الأخوة بين المسلمين، الذي يكون من آثاره جمع الكلمة، إخوة في ذات الله تعالى، فعلى المسلمين أن يتركوا التقاطع والتباغض جانبا؛ ليكونوا متحابين في ذات الله.

ومن تأمل المنهيات التي تتعلق بالمعاملات وجد أن **الحكمة من** تحريمها ومن النهي عنها أنها تسبب البغضاء، وتوقع العداوة والوحشة بين المسلمين.

لأجل ذلك نهى الله عن أشياء تسبب هذا، فمثلا قال الله تعالى: {لا يسخر قوم من قوم} [الحجرات:١١] ، لماذا نهينا عن السخرية؟ لأنها تسبب الفرقة.

{ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم} [الحجرات:١١] .

اللمز هو العيب، قال الله: {ويل لكل همزة لمزة} [الهمزة:١] ، وقال: {هماز مشاء بنميم} [القلم:١١] وهو الذي يتتبع العثرات، ويلصق بالإنسان ما ليس فيه، لماذا نهينا عن الهمز واللمز والعيب والثلب وتتبع العثرات وإظهار السوءات؟! لأنه يسبب الفرقة.

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٣/٩٥

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تهاجروا، ولا تحاسدوا، ولا تنافسوا) لماذا نهانا عن التقاطع والتهاجر؟ لا شك أن هذه الأشياء التي نهانا عنها تسبب الفرقة، فإذا تركناها أصبحنا مجتمعين، ولا شك أن الإسلام يهدف إلى الاجتماع، ويحث عليه، وينهى عن الاختلاف.." (١)

"الفصل الثالث الملائكة والإنسان

المبحث الأول

الملائكة وآدم

سؤالهم عن **الحكمة من** خلق الإنسان:

عندما أراد الله سبحانه أن يخلق آدم أعلم ملائكته بمراده، فسألوه عن **الحكمة من** وراء ذلك؛ لأنهم علموا أنه سيقع من بني آدم إفساد، وسفك دماء، وعصيان، وكفر، فأخبرهم سبحانه، أن من وراء خلقه لآدم حكما لا يعلمونها: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) [البقرة: ٣٠] .

سجودهم له عند خلقه:

أمر الله ملائكته بالسجود لآدم حين يتم خلقه، وتنفخ فيه الروح: (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين - فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) [ص: ٧١-٧٢] .

وقد استجابوا لأمر الله إلا إبليس: (فسجد الملائكة كلهم أجمعون - إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين) [ص: ٧٣-٧٤] (١) .

(١(هذه الآية ظاهرة الدلالة في أن الملائكة جميعا سجدوا لآدم، وفي هذا رد على الذين قالوا إن الذين سجدوا هم جزء من الملائكة، أو أنهم ملائكة الأرض فحسب، والأثر الوارد في أنهم ملائكة الأرض المنسوب إلى ابن عباس فيه نكارة وانقطاع. ويرى ابن تيمية أن الآية نص لا يحتمل التأويل، ولا يجوز مخالفتها.." (٢)

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٩٨/٤

(٢) عالم الملائكة الأبرار؟ سليمان الأشقر، عمر ص/٣٧

"والله على ما نقول وكيل) [القصص: ٢٧-٢٨] قال ابن حجر: والذي قاله الأئمة أن **الحكمة في** رعاية الأنبياء للغنم ليأخذوا أنفسهم بالتواضع، وتعتاد قلوبهم بالخلوة، ويترقوا من سياستها إلى سياسة الأمم (١) .

ومن الأنبياء الذي عملوا بأعمال البشر داود عليه السلام، فقد كان حدادا يصنع الدروع، قال تعالى: (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) [الأنبياء: ٨٠] ، كان حدادا، وفي نفس الوقت كان ملكا، وكان يأكل مما تصنعه يداه.

ونبي الله زكريا كان يعمل نجارا، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كان زكريا يعمل نجارا " (٢) .

رابعا: ليس فيهم شيء من خصائص الألوهية والملائكية:

ومقتضى كونهم بشرا أنهم ليسوا بآلهة، وليس فيهم من صفات الألوهية شيء، ولذلك فإن الرسل يتبرؤون من الحول والطول ويعتصمون بالله الواحد الأحد، ولا يدعون شيئا من صفات الله تعالى، قال تعالى مبينا براءة عيسى مما نسب إليه: (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب - ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) [المائدة: ١١٦-١١٧] .

هذه مقالة عيسى في الموقف الجامع في يوم الحشر الأكبر، وهي مقولة صدق تنفي تلك الأكاذيب والترهات التي وصف بها النصارى عبد الله ورسوله عيسى فطائفة قالت: الله هو المسيح ابن مريم حل في بطن مريم (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) [المائدة: ٧٢] ، وأخرى قالت: هو ثالث

---

(١) فتح الباري: (٦/٤٣٩) .

(٢) صحيح مسلم: ٢٣٧٩.." (١)

---

(١) الرسل والرسالات؟ سليمان الأشقر، عمر ص/77

"تحقيق هذه العبودية، وهذا خاتم الرسل وسيد المرسلين يثني عليه ربه في أشرف المقامات بالعبودية، فيصفه بها في مقام الوحي (فأوحى إلى عبده ما أوحى) [النجم: ١٠] ، وفي مقام إنزال الكتاب (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) [الفرقان: ١] ، وفي مقام الدعوة (وأنه لما قام عبد الله يدعوه) [الجن: ١٩] ، وفي مقام الإسراء (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله..) [الإسراء: ١] وبهذه العبودية التامة استحق صلوات الله وسلامه عليه التقديم على الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك فإن المسيح عليه السلام يقول للناس إذا طلبوا منه الشفاعة بعد طلبها من الرسل من قبله: " ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم، فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر " (١) .

وإليك صورة من صور هذه العبودية ترويها لنا أمنا عائشة - رضي الله عنها - قالت رضي الله عنها وعن أبيها: " قلت: يا رسول الله، كل - جعلني الله فداك - متكئا، فإنه أهون عليك، فأحنى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض، وقال: بل آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد " رواه البغوي في شرح السنة، وابن سعد، والإمام أحمد في الزهد (٢) .

٧- الذكورة:

ومن الكمال الذي حباهم به أنه اختار جميع الرسل الذين أرسلهم من الرجال، ولم يبعث الله رسولا من النساء يدل على ذلك صيغة الحصر التي وردت في قوله تعالى: (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم) [الأنبياء: ٧] .

الحكمة من كون الرسل رجالا:

كان الرسل من الرجال دون النساء لحكم يقتضيها المقام فمن ذلك:

---

(١) صحيح البخاري: ٦٥٦٥.

(٢) انظر صحيح جامع الصغير: (١/١٢٢) .." (١)

"وهذا الذي ذكره وهب يحتاج إلى دليل، ولا دليل.

وقد حاول بعض العلماء الخوض في الكيفية التي يأكلون بها، هل هو مضغ وبلع، أو تشمم واسترواح، والبحث في ذلك خطأ لا يجوز؛ لأنه لا علم لنا بالكيفية، ولم يخبرنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بها.

---

(١) الرسل والرسالات؟ سليمان الأشقر، عمر ص/٨٤

المطلب الرابع

زواج الإنس من الجن (١)

لا زلنا نسمع أن فلانا من الناس تزوج جنية، أو أن امرأة من الإنس خطبها جني، وقد ذكر السيوطي آثارا وأخبارا عن السلف والعلماء تدل على وقوع التناكح بين الإنس والجن (٢) . يقول ابن تيمية (٣) : " وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد، وهذا كثير معروف ".

وعلى فرض إمكان وقوعه فقد كرهه جمع من العلماء كالحسن وقتادة والحكم وإسحاق. والإمام مالك - رحمه الله - لا يجد دليلا ينهى عن مناكحة الجن، غير أنه لم يستحبه، وعلل ذلك بقوله: " ولكني أكره إذا وجدت امرأة حاملا فقيل من زوجك؟ قالت: من الجن، فيكثر الفساد " (٤) .

وذهب قوم إلى المنع من ذلك، واستدلوا على مذهبهم بأن الله امتن على عباده من الإنس بأنه جعل لهم أزواجا من جنسهم: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) [الروم: ٢١] .

فلو وقع فلا يمكن أن يحدث التآلف والانسجام بين الزوجين لاختلاف الجنس، فتصبح الحكمة من الزواج لاغية؛ إذ لا يتحقق السكن والمودة المشار إليهما في الآية الكريمة.

وعلى كل فهذه مسألة يزعم بعض الناس وقوعها في الحاضر والماضي، فإذا حدثت فهي شذوذ، قلما يسأل فاعلها عن حكم الشرع فيها، وقد يكون فاعلها مغلوبا على أمره لا يمكنه أن يتخلص من ذلك.

---

(١) إن شئت التوسع في هذه المسألة فارجع إلى آكام المرجان: ص٦٦.

(٢) لقط المرجان: ص٥٣.

(٣) مجموع الفتاوى: ٣٩/١٩.

(٤) آكام المرجان: ص٦٧.." (١)

"وقد بين ابن القيم الحكمة في الاستعاذة بالله من الشيطان حين قراءة القرآن، فقال:

١- " إن القرآن شفاء لما في الصدور يذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشهوات والإرادات الفاسدة، فهو دواء لما أمره الشيطان فيها، فأمر أن يطرد مادة الداء، ويخلي منه القلب، ليصادف الداء

---

(١) عالم الجن والشياطين؟ سليمان الأشقر، عمر ص/٢١

محلا خاليا، فيتمكن منه، ويؤثر فيه، كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ××× فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فيجيء هذا الدواء الشافي إلى القلب، وقد خلا من مزاحم ومضاد له، فينجع فيه.

٢- ومنها: أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب، كما أن الماء مادة النبات، والشيطان نار يحرق النبات أولا فأولا، فكلما أحس بنبات الخير من القلب، سعى في إفساده وإحراقه، فأمر أن يستعيذ بالله – عز وجل – منه، لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن.

والفرق بين هذا الوجه والوجه الذي قبله أن الاستعاذة في الوجه الأول لأجل حصول فائدة القرآن، وفي الوجه الثاني لأجل بقائها وحفظها.

٣- ومنها: أن الملائكة تدنو من قارئ القرآن، وتستمع لقراءته، كما في حديث أسيد بن حضير لما كان يقرأ ورأى مثل الظلة فيها المصابيح، فقال عليه الصلاة والسلام: (تلك الملائكة) ، والشيطان ضد الملك وعدوه، فأمر القارئ أن يطلب من الله تعالى مباعدة عدوه عنه، حتى يحضره خاص ملائكته، فهذه منزلة لا يجتمع فيها الملائكة والشياطين.

٤- ومنها: أن الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورجله، حتى يشغله عن المقصود بالقرآن، وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به سبحانه، فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن، فلا يكمل." (١)

"الفصل السادس **الحكمة من** خلق الشيطان

الشيطان منبع الشرور والآثام، فهو القائد إلى الهلاك الدنيوي والأخروي، ورافع الراية في كل وقت ومكان، يدعو الناس إلى الكفران، ومعصية الرحمن، فهل في خلقه من حكمة؟ وما هذه الحكمة؟

أجاب عن هذا السؤال ابن القيم رحمه الله تعالى فقال (١) : " في خلق إبليس وجنوده من الحكم ما لا يحيط بتفصيله إلا الله ".

فمن ذلك:

١- ما يترتب على مجاهدة الشيطان وأعوانه من إكمال مراتب العبودية:

فمنها أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه، ومخالفته ومراغمته في الله،

---

(١) عالم الجن والشياطين؟ سليمان الأشقر، عمر ص/١٣٢

وإغاظته وإغاظة أوليائه، والاستعاذة به منه، واللجوء إليه أن يعيذهم من شره وكيده، فيترتب على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لم يحصل بدونه ... والموقوف على الشيء لا يحصل بدونه.

٢- خوف العباد من الذنوب:

ومنها خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعدما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه، وسقوطه من المرتبة الملكية إلى المنزلة الإبليسية يكون أقوى وأتم، ولا ريب أن الملائكة لما شاهدوا ذلك، حصلت لهم عبودية أخرى للرب تعالى، وخضوع آخر، وخوف آخر، كما هو المشاهد من حال عبيد الملك إذا رأوه قد أهان أحدهم الإهانة التي بلغت منه كل مبلغ، وهم يشاهدونه، فلا ريب

---

(١) شفاء العليل: ص٣٢٢.." [1]

"١٣- وجود إبليس من تمام حكمته تعالى:

ومن هذه الحكم أن من أسمائه الحكيم، **والحكمة من** صفاته - سبحانه - وحكمته تستلزم وضع كل شيء في موضعه الذي لا يليق به سواه، فاقتضت خلق المتضادات، وتخصيص كل واحد منها بما لا يليق به غيره من الأحكام والصفات والخصائص، وهل تتم الحكمة إلا بذلك؟ فوجود هذا النوع من تمام الحكمة، كما أنه من كمال القدرة.

١٤- حمده تعالى على منعه وخفضه:

ومنها أن حمده - سبحانه - تام كامل من جميع الوجوه، فهو محمود على عدله ومنعه، وخفضه ورفعه، وانتقامه وإهانته، كما هو محمود على فضله وعطائه، ورفعه وإكرامه، فله الحمد التام الكامل على هذا وهذا، وهو يحمد نفسه على ذلك كله، ويحمده عليه ملائكته، ورسله وأولياؤه، ويحمده عليه أهل الموقف جميعهم، وما كان من لوازم كمال حمده وتمامه، فله في خلقه وإيجاده الحكمة التامة، كما له عليه الحمد التام، فلا يجوز تعطيل حمده، كما لا يجوز تعطيل حكمته.

١٥- وبخلقه يظهر الله لعباده حلمه وصبره:

ومنها أنه - سبحانه - يحب أن يظهر لعباده حلمه وصبره، وأناته، وسعة رحمته، وجوده، فاقتضى ذلك خلق من يشرك به، ويضاده في حكمه، ويجتهد في مخالفته، ويسعى في مساخطه، بل يشبهه سبحانه

---

(١) عالم الجن والشياطين؟ سليمان الأشقر، عمر ص/١٦٩

وتعالى، وهو مع ذلك يسوق إليه أنواع الطيبات، ويرزقه، ويعافيه، ويمكن له من أسباب ما يلتذ به من أصناف النعم، ويجيب دعاءه، ويكشف عنه السوء، ويعامله من بره وإحسانه بضد ما يعامله هو به من كفره وشركه وإساءته، فلله كم في ذلك من حكمة وحمد.

ويتحبب إلى أوليائه ويتعرف بأنواع كمالاته، كما في الصحيح عن." (١)

"وإجارته منه بأدنى النعمتين، والله تعالى يحب أن يكمل نعمته على عباده المؤمنين، ويريهم نصره لهم على عدوهم، وحمايتهم منه، وظفرهم به، فيا لها من نعمة كمل بها سرورهم ونعيمهم، وعدل أظهره في أعدائه وخصمائه.

وما منهما إلا له فيه حكمة ××× يقصر عن إدراكها كل باحث

الحكمة في بقاء إبليس إلى آخر الدهر:

تحدث ابن القيم، رحمه الله، عن ذلك في (شفاء العليل) (١) ووضحه، فمن ذلك:

١- امتحان العباد:

فمما ذكره رحمه الله تعالى: أن الله جعله محكا ومحنة يخرج به الطيب من الخبيث، ووليه من عدوه، ولذا اقتضت حكمته إبقاءه ليحصل الغرض المطلوب بخلقه، ولو أماته لفات ذلك الغرض، كما أن الحكمة اقتضت بقاء أعدائه الكفار في الأرض إلى آخر الدهر، ولو أهلكهم ألبتة لتعطلت الحكم الكثيرة في إبقائهم، فكما اقتضت حكمته امتحان أبي البشر، اقتضت امتحان أولاده من بعده به، فتحصل السعادة لمن خالفه وعاداه، وينحاز إليه من وافقه وولاه.

٢- وأبقاه مجازاة له على صالح عمله السابق:

ومنها أنه لما سبق حكمه وحكمته أنه لا نصيب له في الآخرة، وقد سبق له طاعة وعبادة، جزاه بها في الدنيا بأن أعطاه البقاء فيها إلى آخر الدهر، فإنه سبحانه لا يظلم أحدا حسنة عملها، فأما المؤمن، فيجزيه بحسناته في الدنيا والآخرة، وأما الكافر، فيجزيه بحسناته ما عمل في الدنيا، فإذا أفضى إلى الآخرة، لم يكن له شيء، كما ثبت هذا المعنى في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- أملى له ليزداد إثما:

وبقاؤه إلى يوم القيامة لم يكن كرامة في حقه، فإنه لو مات كان خيرا له،

---

(١) عالم الجن والشياطين؟ سليمان الأشقر، عمر ص/١٧٣

(١) شفاء العليل: ٣٢٧.." (١)

"والله هو الحي الذي لا يموت، فكم في إماتتهم من حكمة ومصلحة لهم وللأمة. هذا وهم بشر، ولم يخلق الله البشر في الدنيا على خلقة قابلة للدوام، بل جعلهم خلائف في الأرض، يخلف بعضهم بعضا، فلو أبقاهم لفاتت المصلحة **والحكمة في** جعلهم خلائف، ولضاقت بهم الأرض، فالموت كمال لكل مؤمن، ولولا الموت لما طاب العيش في الدنيا، ولا هناء لأهلها بها، **فالحكمة في** الموت **كالحكمة في** الحياة.

إلى أي مدى نجح الشيطان في إهلاك بني آدم؟

عندما رفض الشيطان السجود لآدم، وطرده الله من رحمته وجنته، وغضب عليه ولعنه، أخذ على نفسه العهد أمام رب العزة بأن يضلنا ويغوينا، ويعبدنا لنفسه: (لعنة الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا - ولأضلنهم ...) [النساء: ١١٨-١١٩] ، (قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا) [الإسراء: ٦٢] .

فإلى أي مدى حقق الشيطان مراده من بني الإنسان؟

إن المسرح نظره في تاريخ البشرية يهوله ما يرى من ضلال الناس، وكيف كذبوا الرسل والكتب، وكفروا بالله ربهم، وأشركوا به مخلوقاته، قال تعالى: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) [يوسف: ١٠٣] ، ولذا حق عليهم غضب الله وانتقامه: (ثم أرسلنا رسلنا تترا كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون) [المؤمنون: ٤٤] .

وفي الحاضر حيثما نظرنا أبصرنا أولياء الشيطان تعج بهم الحياة يرفعون رايته، وينادون بمبادئه، ويعذبون أولياء الله، ويدلنا على مدى تحقيق الشيطان لمراده، أن الله يأمر آدم يوم القيامة أن يخرج من ذريته بعث النار، فلما يستفسر." (٢)

"دلالة الآيات الكونية على خالقها ومبدعها

المطلب الأول

---

(١) عالم الجن والشياطين؟ سليمان الأشقر، عمر ص/١٧٨

(٢) عالم الجن والشياطين؟ سليمان الأشقر، عمر ص/١٨٠

منهج القرآن في الاستدلال بالآيات الكونية

١- ارتياد الكون عبر آيات القرآن

يأخذنا القرآن في جولات وجولات نرتاد آفاق السماء، ونجول في جنبات الأرض، ويقف بنا عند زهرات الحقول، ويصعد بنا إلى النجوم في مداراتها، وهو في كل ذلك يفتح أبصارنا وبصائرنا، فيرينا كيف تعمل قدرة الله وتقديره في المخلوقات، ويكشف لنا أسرار الخلق والتكوين، ويهدينا إلى **الحكمة من** الخلق والإيجاد والإنشاء، ويبين عظيم النعم التي حبانا بها في ذوات أنفسنا وفي الكون من حولنا.

إنه حديث طويل في كتاب الله يطالعك في طوال سوره وقصارها، وهو حديث مشوق تنصت إليه النفس، ويلذه السمع، ويستثير المشاعر والأحاسيس.

ولقد طالعت الكثير مما توصل إليه العلم والعلماء في شتى جوانب الحياة يبينون أسرار الخلق، ودلالة الخلق على الخالق، فما وجدت في شيء من ذلك كله ما وجدته في القرآن من جمال وصف، ووفرة علم، واستثارة مشاعر، وحسن توجيه، ودقة استنتاج، وكيف لا يكون كذلك وهو تنزيل الحكيم الحميد!!." (١)

"هؤلاء هم الذين ينتفعون بآيات الكون، لأنهم لم يقفوا عند حدود المنظر المشهود البادي للعيان؛ بل نظروا إلى اليد التي تسيره والقدرة التي تصنعه، إنهم يستخدمون أبصارهم وأسماعهم وعقولهم وأفكارهم على خير وجه في هذا المجال، مسترشدين بآيات الكتاب التي تعين السمع والبصر والفكر والعقل على التوصل إلى خير ما يمكن للإنسان أن يصل إليه (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون - ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون - ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) [الروم: ٢١-٢٤] .

فالآيات تتكشف للذين يتفكرون ويسمعون ويعقلون؛ أي على وجه الحقيقة المؤدية إلى المطلوب.

أما الكفار فإنهم يشاهدون الحدث ولا يتجاوزونه بعقولهم وأفكارهم إلى صانعه وخالقه، ولا يدركون **الحكمة من** وراء الخلق (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) [الروم: ٧] .

ولذلك لم ينتفعوا بالآيات الكونية؛ لأنهم لم ينظروا إليها من خلال المنظار القرآني: (قل انظروا ماذا في

---

(١) العقيدة في الله؟ سليمان الأشقر، عمر ص/٩٨

السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) [يونس: ١٠] .
ولذلك فإن القرآن ينكر على الكافرين والجاحدين تركهم النظر والاعتبار (أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون) [الأعراف: ١٨٥] .." (١)

"رؤية النحل ما لا نراه من الألوان

ويذكر لنا الدكتور يوسف أن من عجائب النحل رؤيته " لونا لا نراه نحن البشر، ولا يمكن أن نتصوره، وهو اللون فوق البنفسجي الذي نراه نحن أسود، فالنحل يرى الأشعة فوق البنفسجية "، ثم يبين لنا **الحكمة من** وراء رؤية النحل لذلك اللون فيقول: " **والحكمة في** ذلك هي أن تلك الأشعة هي الوحيدة القادرة على اختراق السحاب.

والنحل قد يعيش في مناطق يكسوها السحاب معظم شهور السنة، ورؤية الشمس ضرورية لمعرفة مكان الحقول التي بها الغذاء، وهنا تكمن **الحكمة في** رؤية النحل لذلك اللون فوق البنفسجي، فإنها بذلك يصبح في إمكانها رؤية الشمس من خلال السحب، فلا يموت النحل جوعا في حالة اختفاء الشمس خلف الغمام، حقيقة مذهلة تدل على وجود خالق مدبر ومقدر يعلم ما يصنع، إذ إن القدرة على رؤية ذلك اللون لا يمكن أن تكون قد اكتسبها النحل مع مرور الزمن، بل لا بد أن تكون قد وجدت منذ أول لحظة خلق الله فيها النحل، إذ لو لم توجد من أول الأمر، لانقرض النحل في تلك المناطق منذ أمد بعيد ".

٤- هداية النمل وعجائب صنع الله فيه

ويحدثنا ابن القيم عن نوع آخر من مخلوقات الله، ويبين لنا هداية الله لها في معاشها فيقول:

" وهذا النمل من أهدى الحيوانات، وهدايتها من أعجب شيء، فإن النملة الصغيرة تخرج من بيتها وتطلب قوتها، وإن بعدت عليها الطريق، فإذا ظفرت به حملته وساقته في طرق معوجة بعيدة ذات صعود وهبوط في غاية من التوعر حتى تصل إلى بيوتها، فتخزن فيها أقواتها في وقت الإمكان.

فإذا خزنتها عمدت إلى ما ينبت منها ففلقته فلقتين؛ لئلا ينبت فإن كان ينبت مع فلقه باثنتين فلقته بأربعة،

---

(١) العقيدة في الله؟ سليمان الأشقر، عمر ص/١٠٦

فإذا أصابه بلل وخافت عليه العفن والفساد انتظرت به يوما ذا شمس فخرجت به، فنشرته على أبواب بيوتها." (١)

"مذهل، إن الشرايين تتفرع إلى أنابيب أصغر فأصغر، حتى تصبح شعيرات دموية رقيقة الجدران، **والحكمة من** رقة جدران الشعيرات الدموية هي إمكان تبادل غازي (الأوكسجين) من (هيموجلوبين) الكرات الدموية الحمراء، وينفذ إلى أنسجة الجسم، وفي الوقت نفسه ينفذ (ثاني أوكسيد الكربون) من الأنسجة إلى الشعيرات الدموية، فتلتقطه الكرات الحمراء، ثم تتجمع الشعيرات الدموية لتكوين أوردة تحمل الدم إلى الرئتين، حيث تتخلص الكرات الدموية من (ثاني أوكسيد الكربون) ، وتلتقط (أوكسجينا) جديدا وهكذا.

والقلب ينبض نبضات إيقاعية مدى الحياة، حيث تتمدد بعض حجراته وتنقبض حجرات أخرى دافعا الدم النقي الحامل (للأوكسجين) في الأوعية الدموية، ومستقبلا له بعد دورانه في الجسم محملا (بثاني أوكسيد الكربون) ، ليرسله إلى الرئتين حيث يتحمل (الأوكسجين) ، ويتخلص من (ثاني أوكسيد الكربون) .

ويتجول داخل جسم الإنسان، وعديد من الحيوانات الأخرى سوائل ذات وظائف محددة مثل الدم (واللمف) . و (اللمف) وسيط بين الدم والأنسجة. وللدم وظائف عديدة، منها توصيل المواد الغذائية إلى جميع أجزاء الجسم.

وإذا لم يوجد الدم في أجسام بعض الحيوانات كالدودة الكبدية مثلا، فإن تركيب الجسم في مثل هذه الحيوانات نجده مصمما بحيث تتم عملية نقل الأغذية وغيرها بوسائل أخرى.

ويتكون الدم في أجسامنا وأجسام عديد من الحيوانات الأخرى، من سائل يسبح فيه عدد هائل من الخلايا المختلفة الأشكال والوظائف نطلق عليها أحيانا اسم الكرات الدموية الحمراء، والكرات الدموية البيضاء.

والكرات الحمراء - كما ذكرت - ذات وظيفة تنفسية، أما الكرات البيضاء فمتعددة الأشكال والوظائف، بعضها ملتهم، وظيفته التهام أي جرثومة تتسرب إلى جسم الإنسان أو الحيوان، فتلتهمها بطريقة تشبه التهام الأميبا لغذائها، ونحن نستنشق من الهواء ملايين الجراثيم طول النهار والليل." (٢)

"ولكننا لا نمرض كل يوم، لأن هذه الخلايا العجيبة السابحة في الدم، والتي من الممكن أن تخترق تيار الدم وتنفذ إلى الأنسجة في حالة الطوارئ تلتهم هذه الجراثيم وتقضي عليها، ولا يعترينا المرض إلا إذا

---

(١) العقيدة في الله؟ سليمان الأشقر، عمر ص/١٢٧

(٢) العقيدة في الله؟ سليمان الأشقر، عمر ص/١٥٧

ضعفت مقاومة الجسم لأي سبب من الأسباب، أي إذا ازداد عدد الجراثيم عن الحد المألوف ".

٢١- تركيب الحواس في الأحياء

ويبين لنا الدكتور يوسف أن " لمعظم الحيوانات أعضاء للحس كحاسة الإبصار والشم واللمس والسمع، والتركيب الأساسي للعين يتشابه في جميع الثدييات وغيرها، وهو تركيب مذهل وشديد التعقيد، فللعين عدسة تستقبل الضوء، وفتحة ينفذ الضوء من خلالها؛ ليخترق العدسة، وتلك الفتحة التي ينفذ منها الضوء في العين تتسع تلقائيا في الضوء الخافت، وتضيق تلقائيا إذا كان الضوء شديدا، **والحكمة من** ذلك واضحة، ففي حالة الضوء الخافت تحتاج عملية الإبصار إلى كمية كبيرة من الضوء، أما في حالة الضوء الشديد فتكفي كمية قليلة منه لكي تتضح الأشياء المرئية.

والعين ترى الأشياء في ضوء خافت، ولم يتمكن عقل الإنسان من اختراع آلة تصوير يمكنها التقاط صور المرئيات في مثل هذا الضوء.

وكما أن النحل قادر على رؤية الأشعة فوق البنفسجية، فإن البومة في إمكانها رؤية الأشعة تحت الحمراء التي لا نراها، وهي أشعة حرارية، ولذا فالبومة تستطيع أن تبصر الفأر في الظلام الدامس عن طريق الأشعة الحرارية تحت الحمراء التي تشع من جسده الدافئ.

وينفذ شعاع الضوء من العدسة ليقع على الشبكية عند قاع العين، وتتكون الشبكية من تسع طبقات مختلفة، ولا تزيد في مجموعها عن سمك ورقة رقيقة، والطبقة التي في أقصي قاع العين تتكون من ملايين من الأعواد والمخروطات منتظمة في تناسب محكم يمكنها أن تميز الألوان. ويتولى العصب البصري نقل هذا الإحساس إلى مركز معين في المخ يترجم الإحساس إلى." (١)

"من هذه الوحدات ترى نقطة من الشيء المرئي، وتتجمع هذه النقط فترى الذبابة الشيء كاملا، كما زودها خالقها بنوع آخر إضافي من العيون نسميه العيون البسيطة، إذ توجد ثلاثة من هذه العيون البسيطة عند قمة رأسها، وظيفتها إدراك أية حركة، وهذه العيون هي التي تجعل الإمساك بالذبابة يكاد يكون في حكم المستحيل ".

٢٢- كيفية تصميم العظام والمفاصل

والعظام في أجسامنا وأجسام عديد من الحيوانات نحركها عند المفاصل، فتنقبض عضلات معينة وتنبسط

---

(١) العقيدة في الله؟ سليمان الأشقر، عمر ص/١٥٨

عضلات أخرى في الوقت نفسه في توافق عجيب، فتتحرك اليد أو الساق أو الإصبع وغيرها في الاتجاه الذي يرغب فيه الإنسان أو الحيوان، وتركيب المفاصل مصمم بشكل يسمح بالانزلاق، فلا يشعر الحيوان بأي احتكاك.

كما أن تصميم الفقرات في العمود الفقري من شأنه تحمل الضغط، وتجنب الاحتكاك، وترابط الفقرات مع بعضها، فهو مصمم تصميما مذهلا، ويحيط العمود الفقري بالحبل العصبي لحمايته، كما تحمي الجمجمة المخ الذي بداخلها، وتنفذ الأعصاب من الحبل العصبي من خلال ثقوب بالفقرات، وجميع هذه التصميمات لا بد أن تكون قد تكونت في وقت واحد، إذ لو اختل جانب منها لأصبحت حركة الحيوان غير ممكنة، فهل من المعقول أن تحدث كل هذه الترتيبات في وقت واحد نتيجة مصادفة؟

٢٣- **الحكمة في** تجلط الدم

ومن المعروف أنه إذا حدث جرح في أجسامنا فإن الدم الذي يخرج من الأوعية الدموية المجروحة لا يلبث أن يتجلط عند مكان الجرح، وهذا تصميم مقصود له حكمته إذ إن الدم المتجمد يقفل الوعاء الدموي المجروح، فيوقف بذلك استمرار تدفق الدم من الجرح، ولو لم يحدث هذا التجلط لظل الدم ينزف حتى الموت.

ومما يدل على أن هذا التدبير مقصود من الخالق لحفظ الكائن الحي أننا نجده يحدث بطرق متباينة في الحيوانات المختلفة، ولكن النتيجة في جميع." (١)

"وتنتج ديدانا صغيرة تنتقل من الأوعية اللمفاوية إلى الأوعية الدموية، وإذا بقيت هذه الديدان في الأوعية الدموية للإنسان فإنها تعجز أن إتمام دورة حياتها إذ لا بد لها من أن تنتقل إلى جسم بعض أنواع البعوض لكي تتم تلك الدورة، وتصبح قادرة على عدوى الإنسان، فإذا امتصت البعوضة دم إنسان مصاب فإنها تمتص مع الدم عددا من هذه الديدان الصغيرة التي تنمو داخل جسم البعوض حتى يكتمل نموها، وتصبح قادرة على عدوى الإنسان إذا حقنتها البعوضة في دمه في أثناء عملية امتصاصها لدم الإنسان الذي تتغذى عليه.

ولقد حاول العلماء الحصول على هذه الديدان من دم المصابين بهذا المرض ولكن جميع محاولاتهم كانت تبوء بالفشل إلى أن حدث شيء عجيب.

---

(١) العقيدة في الله؟ سليمان الأشقر، عمر ص/١٦٠

في إحدى الليالي كان أحد العلماء ساهرا في معمله حتى ساعة متأخرة من الليل، فأخذ عينة من دم إنسان مصاب وفحصها تحت الميكروسكوب، وفوجئ بعدد هائل من هذه الديدان في العينة التي أخذها، وفي أثناء النهار في اليوم التالي أخذ عينة من المصاب نفسه فلم يجد للديدان أثرا، احتار في تفسير هذه الظاهرة العجيبة، لماذا توجد هذه الديدان في عينة الدم إذا أخذها من المصاب ليلا، ولا تظهر إذا أخذها نهارا؟ واتضح أن تلك الديدان الصغيرة تهرب إلى الأوعية الدموية الداخلية في أثناء النهار، ثم تعود إلى الأوعية الدموية القريبة من سطح الجلد في أثناء الليل، والحكمة من ذلك هي أن البعوض الذي يتغذى على دم الإنسان في هذه الأماكن لا ينشط إلا في أثناء الليل؛ ولذا فإن الديدان تنتقل إلى الأوعية الدموية القريبة من سطح الجلد؛ لكي يتمكن البعوض من امتصاصها مع الدم لتتم دورة حياتها داخل جسم البعوضة، ومن الطبيعي أن هذه الديدان لا تدرك شيئا ولا تعلم شيئا عن البعوض التي ستتم دورة حياتها داخل جسمه؛ بل تفعل هذا عن غريزة، أي أن هناك قوة عليا تملي عليها هذا التصرف لكي تستمر حياتها.

ومن العجيب أنه في الأماكن التي تنشط أنواع البعوض التي تمتص الدم." (١)

"٣- التعليم: وصف نفسه بأنه يعلم خلقه: (الرحمن - علم القرآن - خلق الإنسان - علمه البيان) [الرحمن: ١-٤] ، (اقرأ وربك الأكرم - الذي علم بالقلم - علم الإنسان ما لم يعلم) [العلق: ٣-٥] ، (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) [النساء: ١١٣] .

ووصف بعض خلقه بهذه الصفة أيضا، قال: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) [الجمعة: ٢] ، وجمع المثالين في قوله: (تعلمونهن مما علمكم الله) [المائدة: ٤] .

٤- الإنباء: ووصف نفسه - جل وعلا - بأنه ينبئ، ووصف المخلوق بأنه ينبئ، وجمع بين الفعل في الأمرين في قوله جل وعلا: (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير) [التحريم: ٣] . ولا شك أن ما وصف الله به من هذا الفعل مخالف لما وصف به منه العبد، كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق.

٥- الإيتاء: ووصف نفسه بصفة الفعل الذي هو الإيتاء. قال جل وعلا: (يؤتي الحكمة من يشاء) [البقرة: ٢٦٩] ، (ويؤت كل ذي فضل فضله) [هود: ٣] .

---

(١) العقيدة في الله؟ سليمان الأشقر، عمر ص/١٦٥

ووصف المخلوقين بالفعل الذي هو الإيتاء، قال: (وآتيتم إحداهن قنطارا) [النساء: ٢٠] ، (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) [النساء: ٤] .

ولا شك أن ما وصف الله به من هذا الفعل مخالف لما وصف به العبد من هذا الفعل كمخالفة ذاته لذاته.." (١)

"الحكمة من وراء إخفاء وقت وقوعها

قد يتساءل البشر قائلين: ما الحكمة من وراء إخفاء الوقت الذي تحل فيه الساعة، وتقوم فيه القيامة؟ والجواب أن إخفاءها له تعلق بصلاح النفس الإنسانية، فوقوعها غيب، والأمر العظيم الذي يستيقن المرء وقوعه، ولكنه لا يدري متى يفجؤه، ويحل فيه بساحه - يجعل المرء مترقبا له باستمرار.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى: " والمجهول عنصر أساسي في حياة البشر، وفي تكوينهم النفسي، فلا بد من مجهول في حياتهم يتطلعون إليه، ولو كان كل شيء مكشوفا لهم، وهم بهذه الفطرة - لوقف نشاطهم - وأسنت حياتهم، فوراء المجهول يجرون، فيحذرون، ويأملون، ويجربون، ويتعلمون. ويكشفون المخبوء من طاقاتهم وطاقات الكون من حولهم وتعليق قلوبهم ومشاعرهم بالساعة المجهولة الموعد يحفظهم من الشرود، فهم لا يدرون متى تأتي الساعة، فهم من موعدها على حذر دائم، وعلى استعداد دائم، ذلك لمن صحت فطرته واستقام، فأما من فسدت فطرته واتبع هواه ويجهل، فيسقط ومصيره إلى الردى " (١) .

---

(١) اليوم الآخر في ظلال القرآن، جمع وإعداد أحمد فائز: ص ٩٨.." (٢)

"كأغزر ما كانت، لونها الزعفران، وريحها المسك " (١) .

قال ابن حجر: " قال العلماء: الحكمة في بعثه كذلك أن يكون معه شاهد بفضيلته ببذله نفسه في طاعة الله تعالى (٢) .

المطلب السابع

الكاظمون الغيظ

---

(١) العقيدة في الله؟ سليمان الأشقر، عمر ص/٢٣٢

(٢) القيامة الصغرى؟ سليمان الأشقر، عمر ص/١٢٠

كثيرة هي المواقف العصيبة التي يصيب العبد فيها الأذى، وقد يكون مصدره قريب أو صديق أو محسن إليه، ولا شك أن الأذى مسموع أو المرئي أو المحسوس الذي يصيبنا يسبب لنا ألما في أعماقنا، فتجيش نفوسنا بأنواع الانفعالات التي تدعونا إلى المواجهة الحادة، وضبط النفس في مثل هذه الأحوال لا يملكه إلا أفذاذ الرجال.

إن الإسلام يعد كظم الغيظ خلقا إسلاميا راقيا يستحق صاحبه التكريم، فالجنة التي عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، وكظم الغيظ في مقدمة صفات المتقين (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين - الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

وفي يوم القيامة يدعو رب العزة من كظم غيظه على رؤوس الخلائق، ثم يخيره في أي الحور العين شاء، روى الترمذي وأبو داود عن سهل بن معاذ بن جبل

---

(١) مشكاة المصابيح: (٢/٣٥٥) ، ورقم الحديث: ٣٨٢٥.

(٢) فتح الباري: (٦/٢٠) .." [1]

"وفي الصحيحين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "ما أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين" والنصوص الدالة على أن الله لا يعذب إلا بعد الرسالة كثيرة، ترد على من قال من أهل التحسين والتقبيح: إن الخلق يعذبون في الأرض بدون رسول أرسل إليهم.

(النوع الثاني): أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسنا، وإذا نهى عن شيء صار قبيحا، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع.

و (النوع الثالث): أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد، هل يطيعه أم يعصيه! ولا يكون المراد فعل المأمور به، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه، فلما أسلما وتله للجبين حصل المقصود ففداه بالذبح، وكذلك حديث الأبرص والأقرع والأعمى، لما بعث الله إليهم من سألهم الصدقة. فلما أجاب الأعمى قال الملك: أمسك عليك مالك، فإنما ابتليتم فرضي عنك، وسخط على صاحبيك.

فالحكمة منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به، وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة؛ وزعمت

---

(١) القيامة الكبرى؟ سليمان الأشقر، عمر ص/١٦٥

أن الحسن القبح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك، بدون أمر الشارع، والأشعرية ادعوا، أن جميع الشريعة من قسم الامتحان، وأن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع؛ وأما الحكماء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة، وهو الصواب (١) أ. هـ.

وأورد ابن تيمية سؤالا مهما في هذا المقام يظهر به أدق الفروق بين مذهب جماهير أهل السنة، وبين مذهب النفاة في تلك المسألة.

قال رحمه الله: "فإن قيل: إذا لم يكن معاقبا عليها - أي: على فعل الشرك والفواحش قبل الرسالة - فلا معنى لقبحها. قيل: بل فيه معنيان:

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٣١ - ٤٣٦).." (١)

"..

العامة «الإسلام»، وعلل بالعلة الخاصة «شهود بدر» دل ذلك على إلغاء تأثير وصف العلة العامة، وإبطال كونها **الحكمة من** عدم قتله، واستباحة دمه (١).

...

٦ - «إن الرجل إذا نسب المسلم إلى النفاق والكفر، متأولا وغضبا لله ورسوله ودينه، لا لهواه وحظه فأنه لا يكفر بذلك، بل لا يأثم به، بل يثاب على نيته وقصده، وهذا بخلاف أهل الأهواء والبدع فإنهم يكفرون ويبدعون لمخالفة أهوائهم ونحلهم، وهم أولى بذلك ممن كفروه وبدعوه» (٢).

ولا شك أن هذا يكون في رجل عدل ضابط لأصول وقواعد الإيمان والكفر، ويكون عارفا بشروط وضوابط وموانع التكفير. ومتى يقع دون إقامة حجة، ومتى لا يقع إلا بعد إقامتها.

وبعد عرضنا وتحليلنا لقصة حاطب، مع إيراد رواياتها وكلام أهل العلم عليها، بعد ذلك هل تبقى أدنى شبهة لهؤلاء؟ ... الذين لا يرون كفر من قاتل في صفوف الكفار ضد المسلمين بدعوى الاستناد لفقه قصة حاطب «زعموا»

فالله هو الموعد ... عنده تلتقي الخصوم

---

(١) آثار حجج التوحيد في مؤاخذة العبيد؟ مدحت آل فراج ص/١٥١

(١) انظر زاد المعاد (٣/ ١٠٤).

(٢) قاله ابن القيم تعليقا على رمي عمر لحاطب بالنفاق، انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٧١).." [١]

"باب حق الله على العبيد

كتاب التوحيد وقول الله تعالى {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} (الذاريات:٥٦).

وقوله تعالى {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} (النحل:٣٦) الآية.

وقوله تعالى {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا} (الإسراء:٢٣) الآية.

وقوله تعالى {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا} (النساء:٣٦) الآيات.

وقوله تعالى {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا} (الأنعام:١٥١) الآيات.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه؛ فليقرأ قوله تعالى {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا} إلى قوله {وأن هذا صراطي مستقيما} (الأنعام:١٥٣) الآية. (١)

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار؛ فقال لي: (يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا). قلت: يا رسول الله؛ أفلا أبشر الناس؟ قال: (لا تبشرهم فيتكلوا). أخرجاه. (٢)

فيه مسائل:

الأولى: **الحكمة في** خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد، لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله {ولا أنتم عابدون ما أعبد} (الكافرون:٣).

الرابعة: **الحكمة في** إرسال الرسل.

(١) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد؟ مدحت آل فراج ص/٤٧٤

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة؛ أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله تعالى {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله} (البقرة:٢٥٦).

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن الثلاث آيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل أولها النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله {لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا} (الإسراء:٢٢) وختمها بقوله {ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا} (الإسراء:٣٩)، ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله {ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة} (الإسراء:٣٩).

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا} (النساء:٣٦).

الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حق الله علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابءة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسئول عما لا يعلم (الله ورسوله أعلم).

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية والعشرون: تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون: عظم شأن هذه المسألة.

الرابعة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل.

---

(١) ضعيف. الترمذي (٣٠٧٠). ضعيف الترمذي (٣٠٧٠).

(٢) البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).." [(١)]

"الشرح

- سياق الآية السابقة هو {والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون، لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين} (التوبة:١٠٨). (١)

- قوله (لا يذبح لله): هذا من النفي المشتمل على النهي؛ وهو أبلغ من مجرد النهي، ومعناه أنه لا يصح أن يقع أصلا.

- **الحكمة في** النهي عن الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله هي:

١) أنها وسيلة مفضية إلى الشرك، فهي من باب سد ذرائع الشرك. (٢)

٢) تشبه بالكفار الذين يذبحون فيه لغير الله.

٣) يؤدي للاغترار بالفعل، فمن رآه يظن أن فعل المشركين جائز.

٤) تكثير لسوادهم، فالمشركون يقوون على فعلهم إذا رأوا من يفعل مثلهم.

---

(١) قال الشيخ السعدي رحمه الله في التفسير (ص٥١3):)كان أناس من المنافقين من أهل قباء اتخذوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء، يريدون به المضارة والمشاقة بين المؤمنين، ويعدونه لمن يرجونه من المحاربين لله ورسوله - يكون لهم حصنا عند الاحتياج إليه - فبين تعالى خزيهم؛ وأظهر سرهم فقال: {والذين اتخذوا مسجدا ضرارا} أي: مضارة للمؤمنين ولمسجدهم الذي يجتمعون فيه {وكفرا} أي: قصدهم فيه الكفر؛ إذ قصد غيرهم الإيمان.

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد؟ خلدون نغوي ١/٧

{وتفريقا بين المؤمنين} أي: ليتشعبوا ويتفرقوا ويختلفوا، {وإرصادا} أي: إعدادا {لمن حارب الله ورسوله من قبل} أي: إعانة للمحاربين لله ورسوله الذين تقدم حرابهم واشتدت عداوتهم، وذلك كأبي عامر الراهب الذي كان من أهل المدينة، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم وهاجر إلى المدينة؛ كفر به، وكان متعبدا في الجاهلية، فذهب إلى المشركين يستعين بهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلما لم يدرك مطلوبه عندهم ذهب إلى قيصر - بزعمه أنه ينصره -؛ فهلك اللعين في الطريق، وكان على وعد وممالأة هو والمنافقون، فكان مما أعدوا له مسجد الضرار، فنزل الوحي بذلك، فبعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم من يهدمه ويحرقه، فهدم وحرق، وصار بعد ذلك مزبلة.

قال تعالى - بعدما بين من مقاصدهم الفاسدة في ذلك المسجد -: {وليحلفن إن أردنا} في بنائنا إياه {إلا الحسنى} أي: الإحسان إلى الضعيف والعاجز والضرير {والله يشهد إنهم لكاذبون} فشهادة الله عليهم أصدق من حلفهم. {لا تقم فيه أبدا} أي: لا تصل في ذلك المسجد الذي بني ضرارا أبدا، فالله يغنيك عنه، ولست بمضطر إليه. {لمسجد أسس على التقوى من أول يوم} ظهر فيه الإسلام فيه - وهو مسجد قباء - أسس على إخلاص الدين لله، وإقامة ذكره وشعائر دينه، وكان قديما في هذا عريقا فيه، فهذا المسجد الفاضل {أحق أن تقوم فيه} وتتعبد وتذكر الله تعالى، فهو فاضل، وأهله فضلاء، ولهذا مدحهم الله بقوله {فيه رجال يحبون أن يتطهروا} من الذنوب ويتطهروا من الأوساخ والنجاسات والأحداث.

(٢) وكما أن النهي عن الصلاة في أوقات معينة هي لعلة منع التشبه بالمشركين - وهي مشابهة زمنية -؛ فموضوع الباب في المشابهة المكانية.." (١)

"- قوله (لا أغني عنك من الله شيئا) (١): فيه بيان أن المرء لا ينفعه إلا عمله الصالح، وفيه بطلان الاعتماد على النسب في دفع العذاب دون العمل الصالح، كما أن نوحا عليه السلام لم ينفع ولده، ولا إبراهيم عليه السلام أباه، ولا نوحا ولوطا عليهما السلام زوجتيهما (٢) (٣)، وفيه جواز سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم ما يقدر عليه في حياته.

- في قوله (سليني ما شئت من مالي؛ لا أغني عنك من الله شيئا): بيان القاعدة الكلية في التوحيد، وهي أن ما كان لله لا يطلب من غير الله، فلا يخفى الفرق - إن شاء الله تعالى - بين قوله (من مالي) وبين (من الله شيئا). (٤)

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد؟ خلدون نغوي ٧٥/١

- في قوله تعالى {وأنذر عشيرتك الأقربين}: إرشاد إلى أن الداعية والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يبدأ بأهل بيته وخاصته أولا، ثم بجيرانه وأهل بلده، ثم يتوسع بالخير إلى من حوله من البلاد، أما العكس فهذا خلاف منهج الرسول صلى الله عليه وسلم. (٥)

- فائدة ١) في الحديث التصريح بأن الإمام - في الصلاة - يجمع بين التسميع والتحميد.

- فائدة ٢) الفرق بين الحمد والمدح: أن الحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، أما المدح فإنه خبر مجرد.

---

(١) وفي لفظ مسلم (٢٠٤) (أنقذوا أنفسكم من النار).

(٢) وتأمل قوله تعالى {ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين} (التحريم:١٠)، فقد جعله الله مثلا للاعتبار، فلا بد من أخذ **الحكمة منه**.

(٣) وإذا كان القرب من النبي صلى الله عليه وسلم لا يغني عن القريب شيئا، دل ذلك على منع التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن جاه النبي صلى الله عليه وسلم لا ينتفع به إلا النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان أصح قولي أهل العلم تحريم التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) وعند الترمذي (٣١٨٥) بلفظ (أنقذوا أنفسكم من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله ضرا أو نفعا). صحيح. صحيح الجامع (٧٩٨٣).

(٥) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه (فتح الباري) (٨ /٥٠٣): (والسر في الأمر بإنذار الأقربين أولا أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم؛ وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع).

قلت: وأيضا من جهة حق الرحم؛ فإن الأقرب هو الأولى بالنفع.." (١)

"باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق} (النساء:١٧١).

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى {وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا، وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا} (نوح:٢٤). قال: (هذه أسماء

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد؟ خلدون نغوي ١١٣/١

رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونسي العلم عبدت). (١)
قال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: (لما ماتوا، عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم). (٢)
وعن عمر؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله) أخرجاه. (٣)
وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو). (٤)
ولمسلم عن ابن مسعود؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (هلك المتنطعون - قالها ثلاثا-). (٥)

فيه مسائل:
الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده، تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.
الثانية: معرفة أول شرك حدث في الأرض كان بشبهة الصالحين.
الثالثة: معرفة أول شيء غير به دين الأنبياء، وما سبب ذلك؟ مع معرفة أن الله أرسلهم!
الرابعة: قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها!
الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل.
فالأول: محبة الصالحين.
والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئا أرادوا به خيرا؛ فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.
السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.
السابعة: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه؛ والباطل يزيد.
الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر.
التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة؛ ولو حسن قصد الفاعل.
العاشرة: معرفة القاعدة الكلية؛ وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه.
الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.
الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل **والحكمة في** إزالتها.

الثالثة عشرة: عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب العجب؛ قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم) فصلوات الله وسلامه عليه، بلغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

---

(١) صحيح. رواه البخاري في صحيحه (٤٩٢٠)، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه (فتح الباري) (٦٦٧/ ٨): (قيل: هذا منقطع؛ لأن عطاء المذكور؛ هو الخراساني ولم يلق ابن عباس، وهذا مما استعظم على البخاري أن يخفى عليه، لكن الذي قوي عندي أن هذا الحديث بخصوصه عند ابن جريج عن عطاء الخراساني وعن عطاء بن أبي رباح جميعا).

(٢) (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) (١٨٤/ ١).

(٣) البخاري (٣٤٤٥) فقط دون مسلم.

(٤) صحيح. أحمد (١٨٥١) عن ابن عباس مرفوعا. صحيح النسائي (٣٠٥٧). وهو عند البيهقي في الصغرى (١٦٨١) عنه عن الفضل بن عباس رضي الله عنهم مرفوعا. وقد ذكره المصنف رحمه الله بدون ذكر راويه هكذا.

(٥) مسلم (٢٦٧٠).." [1]

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد؟ خلدون نغوي ١٤٢/١

"باب ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: (خلق الله هذه النجوم لثلاث؛ زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك؛ أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به) انتهى. (١)

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر). رواه أحمد وابن حبان في صحيحه. (٢)

فيه مسائل:

الأولى: **الحكمة في** خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر؛ ولو عرف أنه باطل.

---

(١) ذكره البخاري (٤ /١٠٧) تعليقا مجزوما به، ورواه ابن أبي حاتم في التفسير (١٦٥٣٦)، والطبري في التفسير (٢٣ /٥٠٨)، وغيرهم.

وتمامه – كما رواه ابن أبي حاتم –: (وإن ناسا جهلة بأمر الله؛ قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا؛ كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا؛ كان كذا وكذا، ومن ولد بنجم كذا وكذا؛ كان كذا وكذا.

ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود، والقصير والطويل، والحسن والدميم، وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب! وقضى الله أنه {لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون} (النمل:٦٥)). قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في التفسير (٦ /٢٠٧): (وهو كلام جليل متين صحيح).

(٢) صحيح لغيره. أحمد (١٩٥٦٩)، وابن حبان في صحيحه (٥٣٤٦). صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣٩)، وقد ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله بزيادة (ومن مات وهو مدمن للخمر سقاه الله من نهر

الغوطة؛ نهر يجري من فروج المومسات، يؤذي أهل النار ريح فروجهن). ضعيف الترغيب والترهيب (١٤١٠).." [1]

"- قوله (والاستسقاء بالنجوم): هو نسبة السقيا إلى النجوم، ويشمل أيضا ما هو أعظم من ذلك وهو أن تطلب السقيا من النجوم، كحال الذين يعتقدون أن الحوادث الأرضية تحصل بالنجوم نفسها، وهذا هو من شرك الربوبية.

- قوله (والنياحة): النياحة من الكبائر، وهي رفع الصوت عند المصيبة (١)، وشق الجيب ونحو ذلك، وهي منافية للصبر الواجب. (٢)

وإنما كانت جاهلية لأمور؛ منها:

١) أنها لا تزيد النائح إلا شدة وحزنا وعذابا.

٢) أنها تهيج أحزان غيره.

٣) أنها تسخط على قدره تعالى واعتراض عليه.

٤) أنها لا ترد القضاء، ولا ترفع ما نزل.

- قوله (تقام يوم القيامة): أي: تقام من قبرها.

- قوله (وعليها سربال من قطران): السربال: الثوب السابغ كالدرع، والقطران معروف، ويسمى (الزفت)، وقيل: إنه النحاس المذاب.

- قوله (ودرع من جرب): الجرب: مرض معروف يكون في الجلد، يؤرق الإنسان، وربما يقتل الحيوان، والمعنى أن كل جلدها يكون جربا بمنزلة الدرع، وإذا اجتمع قطران وجرب زاد البلاء.

والحكمة من ذلك أنها لما لم تتلبس بلباس الصبر عند المصيبة؛ فإنها تعاقب بلباس العذاب - وهو سربال من قطران ودرع من جرب - فكانت العقوبة من جنس العمل.

- (الحديبية) فيها لغتان: التخفيف - وهو أكثر -، والتشديد؛ وهي اسم بئر سمي بها المكان، وهذا المكان قريب من مكة - بعضه في الحل وبعضه في الحرم - نزل به الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة السادسة من الهجرة لما قدم معتمرا، فصده المشركون عن البيت، ويسمى الآن (الشميسي).

- قوله (سماء): أي: مطر، وأطلق عليه (سما) لكونه ينزل من جهة السماء، وكل جهة علو تسمى سماء.

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد؟ خلدون نغوي ٢٦٧/١

(٣)

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في كتابه (القول المفيد) (٢٤/ ٢): (والنياحة: رفع الصوت بالبكاء على الميت قصدا على سبيل النوح كنوح الحمام).

(٢) وسيأتي الكلام عليه في باب (من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله) إن شاء الله تعالى.

(٣) قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه (فتح الباري) (٥٢٣/ ٢).." [(١)]

"- قول علي رضي الله عنه (حدثوا الناس بما يعرفون): أي: بما يمكن أن يعرفوه وتبلغه عقولهم حتى لا يفتنوا به، كما في الأثر الآخر (ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) (١)، وقد بوب البخاري رحمه الله في الصحيح على أثر علي رضي الله عنه في كتاب العلم بقوله (باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا). (٢)

ولهذا كان من الحكمة في الدعوة ألا تباغت الناس بما لا يمكنهم إدراكه، بل تدعوهم رويدا رويدا حتى تستقر عقولهم. (٣)

وفي الأثر دليل على منع تحديث الناس بما لا تدركه عقولهم، ومن ذلك التفاصيل والتوسع في أسماء الله وصفاته؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى إنكارها - وهو كفر بها - وذلك ينافي توحيد الأسماء والصفات.

ودل الأثر أيضا على أن بعض العلم لا يصلح لكل أحد.

- قوله (بما يعرفون): ليس معناه بما يعرفونه من قبل - لأن الذي يعرفونه من قبل يكون التحديث به من تحصيل الحاصل - وإنما المقصود بما يدركون بعقولهم، لأن السامع لما لم يفهمه يعتقد استحالته - جهلا - فلا يعرف وجوده، فيلزم التكذيب.

- وجه التكذيب في أثر علي هو أنك إذا قلت: قال الله وقال رسوله: كذا وكذا، قالوا هذا كذب - إذا كانت عقولهم لا تبلغه - فهم لا يكذبون الله ورسوله، لكن يكذبونك بحديث تنسبه إلى الله ورسوله، فيكونون مكذبين لله ولرسوله - لا مباشرة لكن بواسطة الناقل -.

---

(١) مسلم (١١/ ١) عن ابن مسعود موقوفا، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد؟ خلدون نغوي ٢٧٦/١

(٢) والحديث صحيح موقوفا، ولا يصح مرفوعا، وفي كشف الخفاء للعجلوني رحمه الله (٤٠٥/ ١): (خرجه الديلمي في مسند الفردوس، وهو موضوع) أي المرفوع.

(٣) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في كتابه (القول المفيد) (١٩٣/ ٢): (ومثل ذلك؛ العمل بالسنة التي لا يعتادها الناس ويستنكرونها، فإننا نعمل بها لكن بعد أن نخبرهم بها؛ حتى تقبلها نفوسهم ويطمئنوا إليها. ويستفاد من هذا الأثر أهمية **الحكمة في** الدعوة إلى الله عز وجل، وأنه يجب على الداعية أن ينظر في عقول المدعوين وينزل كل إنسان منزلته).

قلت: ومن نفس الباب أورد النووي رحمه الله حديث البخاري (٦٥٠٢) في أربعينيته وهو (إن الله تعالى قال: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه)) ولكنه ليس بتمامه! وتمامه (وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن؛ يكره الموت وأنا أكره مساءته)، فلعل اختصاره له هو من هذا الباب - أي مراعاة لحال السامعين - وذلك لكون هذه الأربعين هي من المتون المعدة للمبتدئين في طلب العلم. والله تعالى أعلم.." [١]

"الملحق السابع على كتاب التوحيد) مختصر القواعد المثلى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فهذا مختصر مفيد لكتاب (القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى) للشيخ ابن عثيمين رحمه الله. (١)

- قواعد في أسماء الله تعالى:

١) أسماء الله تعالى كلها حسنى:

أي: بالغة في الحسن غايته، قال الله تعالى: {ولله الأسماء الحسنى} (الأعراف:١٨٠).

مثال ذلك: (الحي) اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها.

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد؟ خلدون نغوي ٣٣٤/١

والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال.

مثال ذلك: (العزيز الحكيم)، فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيرا، فيكون كل منهما دالا على الكمال الخاص الذي يقتضيه – وهو العزة في العزيز، **والحكمة في** الحكيم – والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلما وجورا كسوء فعل؛ كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم، فيظلم ويجور ويسيء التصرف، وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكمة المخلوق فإنها قد يعتريها الذل.

٢) أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف:

فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد – وهو الله عز وجل – وبالاعتبار الثاني متباينة لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص فـ (الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم) كلها أسماء لمسمى واحد؛ وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا.

٣) أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعد؛ لزم إثباته: أي: ثبوت حكمه ومقتضاه.

مثال ذلك: (السميع) يتضمن إثبات السميع اسما لله تعالى، وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه وهو أنه يسمع السر والنجوى كما قال تعالى: {والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير} (المجادلة: ١).

---

(١) وفيه تصرف وزيادة يسيرة، أما الحاشية فهي من خارج الكتاب الأصل، أضفتها تتميما للفائدة.." [١]

"- ذكروا في التفاسير: أنهم كانوا ثلاثة أشخاص، اثنان منهم يستهزؤن والثالث كان يضحك ولا يخوض، وكان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع – وهو الذي عفي عنه – فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه.

فهذا الذي حضر هو مثل الذي استهزأ، كما قال تعالى: {وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد؟ خلدون نغوي ٣٤٣/١

الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا} (النساء:١٤٠).

- إن تلك الصفات التي ذكرها المنافقون؛ هم أولى بها من النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين؛ وهي (الكذب والجبن والشراهة في الأكل).

- قول المصنف رحمه الله في المسائل (الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله): النميمة: هي نقل الكلام على وجه الوشاية والإفساد، كما في الحديث ((أتدرون ما العضه؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (نقل الحديث من بعض الناس إلى بعض؛ ليفسدوا بينهم)) (١)، وأما النصيحة لله ولرسوله؛ فلا يقصد بها ذلك، وإنما يقصد بها احترام شعائر الله عز وجل، وإقامة حدوده، وحفظ شريعته.

- قول المصنف رحمه الله في المسائل (الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله): الفرق هو أن العفو الذي يحبه الله هو الذي فيه إصلاح، لأن الله اشترط ذلك في العفو؛ فقال تعالى: {وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين} (الشورى:٤٠) أي: كان عفوه مشتملا على الإصلاح، أما من كان عفوه إفسادا لا إصلاحا؛ فإنه آثم بهذا العفو، فإن هذا يحض الظالم على التمادي، وإن أعداء الله الذين يحاربون دينه ويظهرون العداوة؛ الأصل في معاملتهم الشدة والغلظة، كما في قوله تعالى {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار} (الفتح:٢٩)، فلا يكون الرفق معهم إلا في جانب الدعوة وتأليف القلوب.

فالغلظ والرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر راجع إلى مناسبة **الحكمة في** ذلك - وإن كان الأصل هو الرفق بلا ريب -.

- في الحديث استعمال الغلظة في محلها، وإلا فالأصل أن من جاء يعتذر فإنه يرحم، لكن هنا هذا الهازل ليس أهلا للرحمة.

- الاستهزاء بواحد من هذه الثلاثة المذكورة في الآية هو كفر أكبر مخرج عن الملة، أما الاستهزاء بالدين ففيه تفصيل، وهو أنه قد يكون المقصود بالدين هو الإسلام نفسه؛ وهذا يكون كفرا أكبرا، أما لو كان المقصود هو تدين الرجل المسبوب - وليس شريعته - التي ينتمي إليها أصلا؛ فهذا لا يكفر؛ وإنما يزجر عن هذا اللفظ الموهم. (٢)

- قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله في كتابه (الزواجر عن اقتراف الكبائر) (٣):

(الكبيرة الأولى: الشرك بالله: - في سياق الكلام على ما يكفر به صاحبه، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم -: .... أو يلعنه أو يسبه أو يستخف أو يستهزئ به أو بشيء من أفعاله؛ كلحس الأصابع، أو يلحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو فعله، أو يعرض بذلك أو يشبهه بشيء على طريق الإزراء أو التصغير لشأنه أو الغض منه.

أو تشبه بالعلماء أو الوعاظ أو المعلمين - على هيئة مزرية بحضرة جماعة - حتى يضحكوا، أو يلعبوا استخفافا، أو قال: قصعة ثريد خير من العلم - استخفافا أيضا -). (٤)

---

(١) صحيح. الأدب المفرد (٢٤٥) عن أنس مرفوعا. الصحيحة (٨٤٥).

(٢) وفي مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله (٣٨٩٩): (سئل الشيخ - مفتي الديار السعودية رحمه الله - عن حكم سب دين رجل: من محمد بن إبراهيم إلى فضيلة الأخ المكرم الشيخ عبد الملك بن إبراهيم - رئيس عام هيئات الأمر بالمعروف في الحجاز - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد اطلعنا على المعاملة الواردة منكم برقم .... الخاصة باعتراف سعد بن ... بسب الدين، والمثبت اعترافه لدى فضيلة رئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة، وأنه لم يثبت لدى فضيلته ما يوجب إقامة حد الردة بقتل سعد المذكور، ... إذ أنه لم يصرح بسب الإسلام، وإنما سب دين ذلك الرجل، وهذا يحتمل أنه أراد أن تدين الرجل ردي، والحدود تدرأ بالشبهات، وبهذا تكون إحالة المذكور إلى القاضي المستعجلة لتقرير التعزيز اللازم عليه وجيها. أما سجنه فإنه يكتفى بما مضى له في السجن، والله يحفظكم).

قلت: وحديث (ادرؤوا الحدود بالشبهات) ضعيف. رواه ابن عساكر في التاريخ (٣٤٧/ ٢٣)، وهو في الإرواء (٢٣١٦).

ولكن - في الجملة - معناه صحيح، ويشهد له ما في سنن البيهقي الكبرى (١٧٠٦٤) موقوفا عن ابن مسعود رضي الله عنه (ادرءوا الجلد والقتل عن المسلمين ما استطعتم). حسن. انظر التعليق على حديث الضعيفة (٢١٩٨)، ولفظه هناك (الحد) بدل (الجلد) بخلاف الأصل عند البيهقي والإرواء (٢٣٥٥).

وفي فتوى أخرى أيضا (رقم ٣٩٠٠) قال رحمه الله: (من محمد بن إبراهيم إلى فضيلة مساعد قاضي محكمة صامطة - سلمه الله - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد جرى اطلاعنا على خطابكم رقم ... بخصوص مسألة معوض بن .... وما صدر منه من لعنه دين محمد بن المهدي، وما قررتموه في حقه من جلده عشرة أسواط تعزيرا، واستتابته، ثم توبته واستغفاره، وطلبكم منا الإحاطة بذلك، ونفيدكم أن سبه دين محمد بن المهدي - والحال أن محمد المهدي مسلم - هو سب للدين الإسلامي، وسب الدين -كما لا يخفى - عليكم ارتداد - والعياذ بالله -.

وعليه فيلزمكم - علاوة على ما أجريتم - إحضار المذكور، وأمره بالاغتسال، ثم النطق بالشهادتين، وتجديده التوبة بعد إخباره بشروطها الثلاثة من الإقلاع عن موجب الإثم، والندم على صدوره منه، والعزم على عدم العودة إليه. ونظرا لما ذكرته عنه من أنه جاهل بمدلول ما صدر منه؛ فيكتفى بما قررتموه عليه تعزيرا. وفقكم الله، والسلام عليكم. مفتي الديار السعودية).

(٣) (الزواجر) (٤٨/ ١).

(٤) وفي روضة الطالبين (٢٨٧/ ٧) للنووي رحمه الله: (ولو حضر جماعة، وجلس أحدهم على مكان رفيع - تشبها بالمذكرين - فسألوه المسائل - وهم يضحكون - ثم يضربونه بالمخراق، أو تشبه بالمعلمين، فأخذ خشبة، وجلس القوم حوله كالصبيان، وضحكوا واستهزؤوا، وقال: قصعة ثريد خير من العلم؛ كفر. قلت (النووي): الصواب أنه لا يكفر في مسألتي التشبه. والله أعلم).

قلت: وذلك لاحتمال أن يكون المقصود الاستهزاء بشخص المدرس نفسه لا بمعلم الشريعة إجمالا، ولكن هذا لا يعني أن فعله مباح، كما هو مفهوم من قوله (لا يكفر)، وقد أقر رحمه الله كون ذلك من الكبائر. والله أعلم.." (١)

"مسائل على الباب

- مسألة) زعمت المعطلة أن الله تعالى لا يوصف بالحكمة؛ وذلك لأنه منزه عن الأغراض! وقالوا: إن فعله لغرض ما يدل على حاجته وافتقاره إليه! فما الجواب؟

الجواب هو من أوجه:

١) أن الحكمة لا يلزم منها الحاجة والافتقار، فالحكمة هي وضع الشيء في موضعه المناسب للغاية المحمودة، فهي صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

٢) أن الله تعالى قد أثبت لنفسه الحكمة في غير موضع، وأثبت كمال غناه وعزته، فنثبت الحكمة وننفي

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد؟ خلدون نغوي ٣٩٢/١

عنه النقص والحاجة والافتقار.

٣) أن الله تعالى لا يريد بأفعاله منفعة نفسه؛ وإنما منفعة عباده، فظهرت بذلك حكمته مع رحمته - سبحانه وتعالى الله عن تعطيل الملحدين -.

وتأمل في ذلك قوله تعالى {يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا} (النساء:٢٨)، وقوله أيضا {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} (البقرة:١٨٥). والحمد لله.." (١)

"١٢) (فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم)

التعليق: هذا البيت فيه غلو شديد - لا سيما مع (من) التبعيضية هذه!! -، بل كفر بالربوبية، وذلك من أوجه:

أ) أن الله تعالى لم يجعل رزق العباد في أيدي الناس استقلالا، ولم يجعل طلب الرزق إلا منه تعالى حصرا، قال تعالى: {إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون} (العنكبوت:١٧).

ب) أن الله تعالى أخبر أن الدنيا والآخرة ملك له وحده سبحانه كما في قوله تعالى {وإن لنا للآخرة والأولى} (الليل:١٣)،

وكقوله تعالى أيضا {قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك} (الأنعام:٥٠) (١)، فظهر بذلك كذب قوله (فإن من جودك الدنيا وضرتها).

ج) أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه قد بين أنه لا يعطي ولا يمنع من عند نفسه، كما في الحديث (ما أعطيكم ولا أمنعكم؛ إنما أنا قاسم؛ أضع حيث أمرت) (٢)، فبطل بذلك التعلق به صلوات الله تعالى وسلامه عليه من جهة الأسباب أيضا.

د) من زعم أن الدنيا والآخرة خلقتا لأجله صلى الله عليه وسلم! وهو يجود بها على من أراد! فهذا باطل أيضا، وفيه حديث موضوع (٣)، فالله سبحانه وتعالى قد أعلمنا بالحكمة من خلقهما كما في قوله تعالى {هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم} (البقرة:٢٩)،

وقال تعالى أيضا: {وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد؟ خلدون نغوي ٤٥٧/١

أحسن عملا} (هود:٧).

هـ) وأما دعوى أن من علمه – عليه الصلاة والسلام – علم اللوح المحفوظ فهو كذب على الشريعة، فالله تعالى يقول عن نبيه: {ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير} (الأعراف:١٨٨).

تم إلى هنا التعليق على نبذة من أبيات البوصيري؛ بما يحقق المطلوب، والحمد لله على توفيقه.

---

(١) قال البغوي رحمه الله في التفسير (١٤٥/ ٣): ({لا أقول لكم عندي خزائن الله} أي: خزائن رزقه فأعطيكم ما تريدون، {ولا أعلم الغيب} فأخبركم بما غاب مما مضى ومما سيكون، {ولا أقول لكم إني ملك} قال ذلك لأن الملك يقدر على ما لا يقدر عليه الآدمي ويشاهد ما لا يشاهده الآدمي).

(٢) رواه البخاري (٣١١٧) عن أبي هريرة مرفوعا.

(٣) والحديث المشهور لفظا (يا محمد، لولاك ما خلقت الدنيا) فهو موضوع. كما في تلخيص كتاب الموضوعات (ص٨٦) للحافظ الذهبي؛ وفيه أيضا (وقال ابن الجوزي: (موضوع بلا شك، ويحيى البصري تالف كذاب، والسند فيه ظلمة)).." (١)

"غدا فانطلق إلى الشمس معي فإنها ستكلمك بإذن الله تعالى ... إلى أن قال: فقال علي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته أيها الخلق السامع المطيع، فقالت الشمس: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا خير الأوصياء، لقد أعطيت في الدنيا والآخرة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، فقال علي – عليه السلام –: ماذا أعطيت؟ فقالت: ولم يؤذن لي أن أخبرك فيفتتن الناس، ولكن هنيئا لك العلم **والحكمة في** الدنيا والآخرة» (١).

وحسبي وحسبك هاتان الروايتان، وإلا صار هذا الكتاب من كتب القصص الهندية القديمة.

المهدي:

لقد أسست الشيعة مذهبها كما سبق على مبدأ الوصاية، وأن النبي لم يمت، حتى أوصى إلى وصيه، وأن

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد؟ خلدون نغوي ٥٦١/١

عليا لم يمت حتى أوصى إلى الذي يليه، وهكذا سائر الأئمة، فلا يعقل على حد قولهم، أن يموت الرسول دون أن يترك وصيا على أمته.

لكن المذهب أوشك على الانهيار، بعدما توفي الحسن العسكري إمامهم الحادي عشر، ولم يوص، ولم يكن له أن يوصي، إذ لم يترك خلفا له، ولم يعرف له ولد، حتى أن ماله قسم على أمه وأخيه جعفر، ولم يكن له وارث غيرهما. (٢)

---

(١) مدينة المعاجز - السيد هاشم البحراني - ج ١ - ص ٢٢٠ ورواه في فرائد السمطين ج١ص١٨٥.

(٢) المقالات والفرق ص١٠٢ وقد ذكرت كتب التاريخ هذه الحقيقة، وأكدت على أنه لم يعرف للحسن العسكري ولد، وإنما اقتصرت في النقل على هذا الكتاب لألتزم بالنقل من كتبهم فقط.." [1]

"إلى الله في كل حال.

اللغة: - (خذل) : أي حرم التوفيق والعون.

- (طبع على قلوبهم) : ختم عليها فلا تعرف الحق.

- (يلجئون) : أي يفوضون أمورهم لله وينزلون حاجاتهم به.

الشرح: أغفل المؤلف رحمه الله تعالى أمرا مهما وهو **الحكمة في** تقدير الخير والشر، فالله يهدي من يشاء فضلا ويضل من يشاء عدلا، قال الطحاوي في بيان اعتقاد أهل الفقه والجماعة [ص (١٠٨)] : (يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله) .

فمن هداه إلى الإيمان فبفضله وله الحمد، ومن أضله فبعدله وله الحمد، فالله سبحانه حكيم لا يفعل شيئا عبثا ولا لغير معنى ومصلحة، وحكمته هي الغاية المقصودة بالفعل بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل.

---

(١) الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية؟ حامد الإدريسي ١/٣٤

الخلاصة:

يرى أهل السنة أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ومقدرة له.." (١)

"الشرعية١ أن يكون مزيلا للخلاف بينهم- تؤول حالهم معه إلى التفرق

---

١ الإرادة المنسوبة إلى الله نوعان:

الإرادة الشرعية: وهي إرادة الله المتعلقة بالشرع والتكليف، وأمره سبحانه المتوجه إلى المكلفين بما يجب أن يفعلوه وما يرضاه لهم من الشرائع والعبادات والأخلاق، كما في قوله تعالى: {إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه} (يوسف:٤٠) وهي إرادة متعلقة بالحكمة الشرعية، أي أنه يشرع لعباده ما تقتضيه حكمة التكليف من حصول المصالح لهم كما في المعاملات والأخلاق، ودفع المفاسد كما في الحدود، وحصول محبوبات لله كما في العبادات. وقد وردت الإشارة إلى الإرادة الشرعية في بعض النصوص نحو: {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} (البقرة:١٨٥) أي أن الله شرع لعباده الفطر في رمضان لمن كان مريضا أو مسافرا، لأنه يحب لهم اليسر، ولكن اليسر لا يحصل إلا لمن امتثل هذه الشرائع فأفطر.

والإرادة الكونية: وهي متعلقة بالخلق والإيجاد، وأمر الله المتوجه إلى سائر المخلوقات بما يريد خلقه وإيجاده، كما قال تعالى: {إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون} (يس:٨٢) وهي نافذة لا يتخلف عنها المراد {فعال لم يريد} (البروج:١٦) وهذه الإرادة متعلقة بحكمة الله الكونية أي أنه سبحانه يخلق ويوجد ويصرف خلقه كما تقتضيه حكمته من تهيئة الكون بما يصلحه والأرض للعيش عليها وما يحقق حصول الابتلاء والامتحان للعباد، وغير ذلك من الحكم التي يعلم بعضها ويقصر العقل عن معرفة الكثير منها.

ويمكن حصر الفروق بين الإرادة الكونية وما يتعلق بها من الأمر والحكمة، وبين الإرادة الشرعية وما يتعلق بها من الأمر **والحكمة فيما** يلي:

١- الإرادة الكونية متعلقة بالخلق والإيجاد والشرعية بالشرع والتكليف.

٢- الكونية لا يلزم منها محبة المراد فيخلق سبحانه ما يحبه وما لا يحبه، فخلق الأنبياء مثلا وهو يحبهم، وخلق إبليس والكفار وهو لا يحبهم، أما الشرعية فهي متعلقة بالمحبة فلا يشرع لعباده إلا ما يحبه ويرضاه.

---

(١) اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث؟ محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٦٢

٣- الكونية نافذة لا محالة لا يتخلف عنها المراد، أما الشرعية فإنها لا تنفذ إلا فيمن جاء بالسبب وامتثل الشرع وانقاد للأمر، وتتخلف عمن أعرض عن الأمر.

٤- الكونية متوجهة إلى جميع المخلوقات، أما الشرعية فهي متوجهة إلى المكلفين.

انظر: مجموع الفتاى ٢/١٥٩-١٦٠، ١٨٨-١٨٩، وشفاء العليل لابن القيم ٥٥٩-٥٦٧، وشرح العقيدة الطحاوية ٢٤٩-٢٥٤ ط الثامنة.." (١)

"التعقل، فوجب جعل القلب محلا للتعقل"١.

وقال أيضا في بيان **الحكمة من** ذكر الصدور في الآية مع أن القلوب لا تكون إلا في الصدور: "وعندي فيه وجه آخر، وهو أن القلب قد يجعل كناية عن الخاطر والتدبر ... وعند قوم أن محل التفكر هو الدماغ، فالله تعالى بين أن محل ذلك هو الصدر" ٢.

وقال تعالى: {أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها} [محمد:٢٤] .

وقال: {فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون} [المنافقون:٣] .

فبين سبحانه أن المانع من التدبر هو أقفال القلوب، وأن الطبع عليها ينتج عنه عدم التفقه، مما يدل أنها هي آلة التدبر والتفقه.

أما بقية الوظائف الأخرى التي توصف بأنها عقلية -كالوظائف الغريزية المتعلقة بتحصيل المعرفة، والمذكورة في المعنى الأول للعقل، وكذلك حصيلة العلوم والتجارب والمعارف المخزونة في نفس العاقل، المؤثرة في سلوكه، والمذكورة في المعنى الثالث للعقل -فلا يوجد لدينا ما ينص على مركزها في البدن، فليس هناك - في نظري- ما يمنع من القول أن مستقرها في الدماغ.

---

١ التفسير الكبير ٢٣/٤٥.

٢ نفس المصدر ٢٣/٤٥.." (٢)

"المبحث الأول: أثر الإيمان في تطهير القلوب من العقائد الباطلة والظنون السيئة

كل إنسان يحمل في قلبه عقائد ومفاهيم تخصه عن مختلف القضايا التي يتوجه إليها اهتمام الناس، استقى

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة؟ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ١/٧٩

(٢) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة؟ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ١/٢٩٥

هذه المعلومات من مصادر مختلفة أهمها: كتب ورجال ملته، وعن طريق والديه ومجتمعه، كما أن للقصص والأساطير التي غالبا ما تنتشر بين الناس أثرا في تكوين ذلك، وفي وقتنا الحاضر تحتل وسائل الإعلام مكانة عظيمة كموجه ومؤثر على الفكر، وتكوين العقائد والمفاهيم.

وعلى هذا فالخطوة الأولى التي يعتني بها الإسلام هي تنقية وتطهير قلوب معتنقيه، من العقائد والظنون السيئة الموروثة لديهم.

ويتم ذلك بتعليمهم الحق، وبيان الباطل ودحضه في جميع المطالب الأساسية التي تشتاق قلوب العباد لمعرفتها، والتي لا بد منها لحصول الهداية للبشر، كمعرفة الخالق تبارك وتعالى، وأصل الإنسان، ودوره في الحياة، **والحكمة من** خلقه، ومصيره وما يكون بعد الموت، وحق خالقه عليه، وغير ذلك من الأمور الغيبية: كالملائكة، والكتب المنزلة، ورسل." (١)

"فالله سبحانه في هذا السياق قابل بين سلامة قلب إمام الموحدين-الذي كان به موحدا- وبين ظن قومه المشركين برب العالمين الذي أوقعهم في الشرك، مما يدل على أهمية تطهير القلب وسلامته من العقائد الباطلة والظنون الفاسدة، ليتزكى بعد ذلك بالتوحيد.

وعلى هذا فالضلال في معرفة توحيد الأسماء والصفات، هو السبب في تولد الظنون السيئة الباعثة على الوقوع في الشرك والسلوك المنحرف.

وإذا تبين أهمية التطهير ووجوب البدء به، وأن ذلك مطلوب في كل زمان ومن كل إنسان لشدة الضلال وتنوعه وانتشاره في كافة أجناس البشر، وقت البعثة النبوية وبعدها، تبين بوضوح **الحكمة من** العناية العظيمة بمسائل الإيمان، وتكرارها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، فمعرفة الله هي أساس الهداية، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله١.

والهداية بمعناها الأشمل الذي يعني الرشد والسداد في كل نشاط إنساني، فمرجع ذلك كله إلى معرفة الله معرفة صحيحة، والعمل بموجب تلك المعرفة، وكلما كان في معرفة الله خلل عند الفرد أو الجماعة، كان في سلوكها وهدايتها خلل بقدره، فهناك تلازم وثيق بين الاعتقاد وبين السلوك البشري، فصلاح وهداية النشاط البشري عائد إلى صلاح

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة؟ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٣٥١/١

١ انظر: الفتوى الحموية الكبرى ص٥.." (١)

"والحكمة من ذلك -والله أعلم- أن يستثير عواطفهم لمحبته والتعلق به سبحانه، وتوحيده والانقياد لطاعته.

فإذا آمن العبد بالله واستشعر قلبه معاني أسماء الله وصفاته وتفرده بالربوبية، وعلم أن ما به من نعمة فمن الله وحده وما يرجو من خير أو دفع شر فبيده وحده، وفقه قلبه تلك العلوم التي تغرسها الآيات البينات في قلوب العباد، عندها يذعن القلب لله بالحب والخوف، فيتوجه لطاعته يدفعه الحب والأمل والرجاء، ويحجم عن معصيته يردعه الخوف.

وبما أن محبة الله هي أساس التوحيد والعبودية، فكذلك محبة غير الله حب العبادة، هي أساس الضلال والكفر، وعلى ذلك فالتزام الإيمان قولا وعملا واعتقادا كفيل بتطهير القلب من محبة غير الله، أو ما يمت إليه بصلة في أي ناحية من النواحي.

قال الله تعالى: {ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من اللہ ونعمة والله عليم حكيم} [الحجرات:٧، ٨] .

ومحبة معبود غير الله تابعة للاعتقادات الفاسدة، وزوالها يكون بزوالها، وقد تقدم أن زوال العقائد الباطلة إنما يكون بالعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الذي كشف الباطل وأهله على مختلف أحوالهم، واستبان." (٢)

"وبهجتها، إلا بذكر الله {ألا بذكر الله تطمئن القلوب} لا بغيره، فالسبب الوحيد لطمأنينة القلوب وشفائها من أمراضها، وزال قلقها ووحشتها هو ذكر الله، ذكر الله بمدلوله الواسع الشامل لكل ما يذكر بالله، أو يذكر الله به، ما يذكر بالله من العلوم النافعة والأدلة القاطعة في الآيات البينات الناطقات أو المشاهدات، وما يذكر به الله من سائر الأذكار والعبادات، وإقامة الأحكام والمعاملات على شرع الله.

ويجمع ذلك العلم بما نزل من الوحي والعمل به. فذلك هو الطريق إلى طمأنينة القلوب وسعادتها في الدنيا والآخرة، قال تعالى مشيرا إلى هذه الحقيقة: {قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة؟ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٣٦١/١

(٢) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة؟ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٣٨٣/١

هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى} [طه:١٢٣-١٢٦]

قال سيد قطب -رحمه الله-: في تعليقه على قول الله تعالى: {الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله} "تطمئن بإحساسها بالصلة بالله، والأنس بجواره والأمن في جانبه وفي حماه تطمئن من قلق الوحدة، وحيرة الطريق، وبإدراك **الحكمة في** الخلق والمبدأ والمصير، وتطمئن بالشعور بالحماية من." (١)

"إلى كل خير، فالعالم مملكة الله، وكل ما فيه من آثار رحمة الله، والإنسان خليفة الله، خلق لعبادة الله، وتحمل أمانة الله، والحياة هبة من الله، والموت قدر من الله، والدنيا مزرعة لطاعة الله، والآخرة موعد الحصاد، والجزاء من الله، والسعيد من اهتدى بهدى الله، والشقي من أعرض عن ذكر الله.

والإنسان مبتلى ومسئول في هذه الدار الفانية، ليصقل ويعد للخلود في تلك الدار الباقية، والموت هو القنطرة التي تصل بين الدارين"١.

وحيث إن خلق الإنسان ليس للإنسان أثر فيه، وبما أن المصير والمنتهى ثمرة ونتيجة لسعي الإنسان في الدنيا متوقف على مدى تحقيقه للغاية التي من أجلها خلق، فلذلك كانت معرفة الغاية **والحكمة من** خلق الإنسان مطلبا أساسيا في سلوك المسلم واستقراره النفسي.

والإسلام يجعل غاية الإنسان وهدفه الأساسي هو حسن الصلة بالله تبارك وتعالى، والحصول على مرضاته بالقيام بالعبودية الخالصة، فهذه غايته ومنتهى سعيه وأمله، {يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه} [الانشقاق:٦] .

والكدح المجدي الذي ينتهي بصاحبه نهاية سعيدة هو القيام بحق الله، وهو عبادته وحده لا شريك له.

---

١ الإيمان والحياة ص١٠٣-١٠٥.." (٢)

"وسائر شروره من خلاله بين المسلمين.

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين مبينا بعض علامات النفاق: "ومنها محبة أعداء الإسلام وأئمة

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة؟ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٤٦٩/٢

(٢) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة؟ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٤٨٨/٢

الكفر ومدحهم ونشر آرائهم المخالفة للإسلام، قال الله تعالى: {ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون} [المجادلة:١٤] "١.

وخلاصة القول: أن التوكل على الله باعث في طمأنينة القلب وثقته بربه، وتعلقه به وحده، مما يمثل حصنا يحميه من الركون إلى أعداء الله والثقة بهم، والتأثر بأفكارهم وشبهاتهم، كما أن عدم التوكل على الله أو ضعفه الناتج عن النفاق أو ضعف الإيمان، ثغرة في القلب تميل به إلى الركون إلى أعداء الله وموالاتهم ومحبتهم، والإعجاب وحسن الظن بهم، والتأثر بجاهليتهم وباطلهم وفكرهم الخبيث وسلوكهم المنحرف، ثم التعاون على نشره والترويج له في المجتمعات الإسلامية.

أثر زكاة القلب بالعلم والإيمان بالقدر في طمأنينته:

إذا عرف العبد ربه وخالقه ومدبره، وعرف الحكمة من خلقه، وأنها تنحصر في تحقيق العبودية لله، والخلافة في أرضه بشرعه، وعرف مصيره ومنتهاه، فإن ذلك سيحقق له قدرا عظيما من الطمأنينة والسكون،

---

١ مجالس شهر رمضان، الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ص١٣٠ الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط الثانية ١٤٠٦هـ.." (١)

"السعادة في الدنيا والآخرة.

وقد بين الله تعالى أثر الإيمان بالقدر في تخليص القلب من القلق الناتج عن الحزن على فوات محبوب، أو الخوف من حصول مكروه، فقال: {ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور} [الحديد:٢٢، ٢٣] .

ففي هذه الآية بين سبحانه عموم قدره، وأنه شامل لعموم المصائب التي تصيب الخلق من خير وشر، فكلها قد كتب في اللوح المحفوظ.

وحيث إن الناس ليس في مقدورهم دفع المقادير ولا تغييرها، فما هي الحكمة إذا من إخبارهم بالقدر السابق؟

إن الحكمة من ذلك بينها ربنا بقوله: {لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم} .

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة؟ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٢/٥٠٣

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "وأخبر الله عباده بذلك، لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم، ويبنوا عليها ما أصابهم من الخير والشر، فلا ييأسوا ويحزنوا، على ما فاتهم، مما طمحت له أنفسهم، وتشوفوا إليه لعلمهم أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، لا بد من نفوذه." (١)

"وضوابطه، وكوابحه حصن متين يتحصن به المسلمون من خصائص الجاهلية، وأفكارها الضالة وشرائع الطاغوت، وهذا الحصن مكون من دعامات وسدود يقوم كل منها بسد ثغرة يحتمل تسلل الفساد من خلالها إلى قلب المجتمع المسلم.

وبقدر صلابة وتماسك هذه الدعامات، تكون قوة وتماسك الحصن الاجتماعي، وإذا ضعفت فتحت فيه ثغرات يتسلل منها الضلال الفكري والسلوكي إلى جسد الأمة، فيضعف المجتمع وتنخر فيه عوامل الفساد.

وهذا الأثر العظيم للمجتمع المؤمن –وهو كونه حصنا لأفراده– يفسر بعض جوانب الحكمة في عناية الشارع بإقامة المجتمع المسلم، وتنظيمه، والتأكيد على وجوب لزوم جماعة المسلمين، وإيجاب الهجرة إلى بلاد الإسلام، والنهي عن مساكنة المشركين والإقامة بينهم، والسفر إلى بلادهم بغير حاجة شرعية.

فالإسلام يحتم على أتباعه الانضمام إلى المجتمع المسلم ليصطبغوا بصبغته ويسايروا تعاليمه، ويوالوا أهله، ويحكموا بنظامه، ويحتموا بحماه من شرور الجاهليات والأفكار المضللات.

قال سيد قطب –رحمه الله– مبينا أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع المسلم: "والحضارة الإسلامية يمكن أن تتخذ أشكالا متنوعة في تركيبها العادي والتشكيلي، ولكن الأصول والقيم التي تقوم عليها ثابتة، لأنها هي مقومات هذه الحضارة: العبودية لله وحده، والتجمع على." (٢)

"ثانيا: مرابطة الجند في ثغور البلاد وحدودها، والحكمة من ذلك أن يكون للأمة جند مستعد دائم للدفاع عنها، إذا فاجأها العدو.

وهذا الأمر الهام –الذي أرشد إليه القرآن– نجد أن الأمم الكافرة التي تعمل على بسط هيبتها ونفوذها في العالم، تعمل به وتوليه عناية فائقة، من خلال تدريب جيش للتدخل أو الانتشار السريع، وأنظمة للطوارئ والإنذار المبكر، وقواعد متطورة قريبة من أماكن الخطر المتوقعة، وكان الأجدر بالمؤمنين أن يعملوا بموجبه، ويستنيروا بهدى القرآن، ويأخذوا بتوجيهاته، فيعدوا العدة، ويأخذوا بزمام المبادرة، ويحصنوا ثغورهم ويوحدوا

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة؟ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٢/٥١٥

(٢) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة؟ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٢/٥٤٢

كلمتهم، بعد أن يقيموا توحيد ربهم وشريعته، ليدخلوا الميدان حائزين على ولايته، مؤهلين لتأييده ونصره.
الثالث: الترغيب في النفقة في سبيل الله، وفي ذلك إشارة إلى أن أعداد العدة وتهيئة الجيوش المرابطة تحتاج إلى بذل المال الكثير، وقد رغبهم الله في النفقة في هذا المجال، ووعدهم عليه بالأجر الجزيل في الآخرة، مع ما يتحصلون عليه في الدنيا، من عزتهم وخوف عدوهم منهم، وسلامة دينهم ودنياهم من شره وكيده.
فإذا تحققت هذه الأسباب حصل ما رتب عليها من عزة الإسلام وأهله، ورهبة الكفار منهم، وبذلك يصبح المجتمع المسلم آمنا من شرهم مطمئنا، وتصبح حصونه الداخلية قوية منيعة تحت ظل حكومة قوية، كما ينقمع المنافقون والحاقدون الذين يكيدون له من داخله، لأنهم يستندون." (١)

"عباده، وتحقيق التوحيد.
٢٢- أن العقائد الباطلة والظنون السيئة ثغرة في القلب، تميل به إلى ما يشاكلها من الفكر الجاهلي.
٢٣- أن هذه الأهمية لمباحث التوحيد في تخليص القلب من المعتقدات والظنون الباطلة، تبين **الحكمة** **من** العناية العظيمة بتقرير مباحث التوحيد في الكتاب والسنة، وأهمية دراستها ووجوب البدء بها علما عملا.
٢٤- أن كثيرا من المسلمين اليوم بحاجة إلى تطهير القلوب والمناهج، مما شابها من المعتقدات الباطلة والظنون السيئة النابعة منها.
٢٥- أن ران الذنوب يغطي القلب وينتج عنه قطع الصلة بالله، وظلمة القلب ويغذي مادة الشر فيه، وبذلك تضعف ولاية الله له، ويسير بلا نور وهدى، ويقوى ميله إلى الباطل ويسهل تقبله للفكر الهادم، وتصبح أسوار القلب مهدمة أمام شياطين الإنس والجن الذين يزينون ويقذفون به الباطل والشبهات.
٢٦- أن تطهير القلب من الران ودرن المعاصي، أثر هام من آثار الإيمان، وأن ذلك يتم بفعل المكفرات، وهي الأعمال الصالحة، التي جعلها الله من رحمته تكفر الذنوب وتمحا بها الخطايا، وبذلك يحافظ القلب على سلامته ونوره، وتقوى فيه مادة الخير، وتقل نوازع الشر، وتقوى صلته بالله، حيث يزال ما يجثم على القلب من الران ونكد المعاصي أولا بأول بفعل المكفرات، فيبقى القلب على درجة عالية من حب الإيمان، وكره." (٢)

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة؟ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٦٧١/٢
(٢) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة؟ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٦٨٢/٢

"[مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله] . وهذا الحديث يقرر قوله تعالى: {إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيب ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير} [لقمان: ٣٤] .

وفي صحيح البخاري أيضا عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: من حدثك أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى ربه فقد كذب وهو يقول: {لا تدركه الأبصار} [الأنعام: ١٠٣] . ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب وهو يقول {قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله} [النمل: ٦٥] .

فهذه الآيات والأحاديث ومثلها كثير جدا قاطع بأنه لا يعلم أحد في السماوات والأرض الغيب إلا الله لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وأنه لا يعلم أحد من هؤلاء الغيب إلا ما أطلعه الله سبحانه عليه، فهاهم الملائكة يخلق الله آدم ولا يعلمون الحكمة من خلقه، ويعرض الله عليهم مسميات معينة ويقول لهم أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، فيقولون سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، ويعلم الله آدم النبي الأسماء فيعلمها لهم، وآدم نبي مكلم كما جاء في الحديث الشريف، وهؤلاء الأنبياء لا يعلمون الغيب بنص القرآن وبمئات بل بآلاف الوقائع، فنوح لم يعلم أن ابنه ليس من أهله وأن زوجته على غير دينه، وإبراهيم لم يعلم بأنه يولد له ولد من زوجته سارة إلا بعد أن جاءته الملائكة ولقد جاءته الملائكة في صورة بشر فذبح لهم عجلا وقربه إليهم وهو لا يعلم حقيقتهم حتى أعلموه، ولم يكن يعرف مقصدهم حتى أعلموه أنهم ذاهبون لتدمير قرى لوط، وأما لوط فإنه ساءته رؤية الملائكة علما أنهم قد أتوا لإنجائه وإنجاء أهله، ولم يعلم حقيقة أمرهم إلا بعد أن علموه ولم يكن له كشف خاص، ولا علم خاص يستطيع أن يعرف من القوم، وأما محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد حدث له مئات بل آلاف الوقائع التي تدل يقينا أنه لم يكن يعلم في الغيب إلا ما أعلمه الله إياه. . فقد ظن أن جبريل الذي أتاه في الغار." (١)

"سره وجهره وممثلون له في جميع نهيه وأمره لا يفعل منهم أحد شيئا إلا بإذنه ولا يتقدم إلا بأمره لتنفيذ ما وكل به من شأنه، فسألته عن عدة علوم فأجابني برمز مكتوم ففهمته منه بوساطة مظهر اسم الله القيوم، بفهم لا من حيث مطلق المفهوم فوثبت قائما وسرت منه بفضل الله تعالى عالما، فاجتمعت من

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة؟ عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/١٤٤

بعده بنبي الله موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فوجدته فانيا في الشهود والمكالمات غالبا في أنوار المشاهدات جالسا على كرسي من أنوار الوقار ولونه أصفر مخلوط عليه خطوط مرموزة جامعة لما حواه من الفخار من حضرة الأسرار متأدبا مع استهلاكه مع شهود مولاه، مناجيا له ومستغرقا في فناه، تجلي الآنية فيحضره إظهار مظاهر الحق في حقيقة سره، إنني أنا الله، فقد عرفته بعدما عرفني فسلمت عليه ورد علي السلام وقربني وانتصب لي قائما وأهل بي حيث جئته حافظا ملازمة أدبي، فسألته سؤال من دخل حضرة الأدب وعرف سر البسط والغضب.

فقلت له: يا سيدي بحق من نبأك وزكاك وأورثك هذا المقام وتولاك بأن تجود علي بإجابة مقالي وإفادتي في سؤالي، فإن رسولنا الصادق الكريم بلغنا ما قصه له ربه في الكتاب الحكيم بأنك طلبت رؤية مولاك حيث قلت له: أرني أنظر إليك. فأتاك منه الخطاب حيث قال: لن تراني، فما معنى طلبك له ومجيء هذا الخطاب إليك فاستفدنا عدم حصول الرؤية لك في حالة مجيء الخطاب فشتان ما بين حالتك هذه وحالة أهل الحجاب، فكيف هذا السر، وباطن هذا الأمر؟

فقال لي: يا عبد الله إن السر غريب والأمر عجيب، فافهم أرشدك مولاك وأورثك أسرار علومه وتولاك، فإن ربي حين أمرني بعبادته بمطلق العبودية وعرفني سر ظهور أسراره مظاهره في عموم الآنية حين أبصرت نار سر دلالتي ورجوت إتياني لأهلي بشعلة مناكي يصدقوني بها في مقالتي أو أجد عليها هدى من ضلالتي، فنوديت بعد إتياني بها من جانب طور قلبي بما اقتضت الحكمة من ربي، يا موسى إني أنا ربك الصادر أمري لك، فاخلع نعليك الكائنتين في عضويك بأن لا تشرك بعبادتي أحدا ولا يدخلك ريب فيما آمرك به أبدا." (١)

"[المقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، وجعل أمتنا -أمة الإسلام- خير أمة، وبعث فينا رسولا منا يتلو علينا آياته ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، والصلاة والسلام على من أرسله الله للعالمين رحمة، نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فإن الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده، كما قال تعالى: {وما خلقت الجن

---

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة؟ عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/٢٠٩

والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦] (الذاريات: ٥٦) . ولذا كان التوحيد والعقيدة الصحيحة المأخوذة من منبعها الأصلي وموردها المبارك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هي الغاية لتحقيق تلك العبادة، فهي الأساس لعمارة هذا الكون، وبفقدها يكون فساده وخرابه واختلاله، كما قال الله تعالى: {لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون} [الأنبياء: ٢٢] (الأنبياء: ٢٢) ، وقال سبحانه: {الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما} [الطلاق: ١٢] (الطلاق: ١٢) ، إلى غير ذلك من الآيات.

ولما كان غير ممكن للعقول أن تستقل بمعرفة تفاصيل ذلك بعث الله." (١)

"العزيز والحكم والحكمة في الحكيم. والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن العزة لله تعالى مقرونة بالحكمة فعزته لا تقتضي ظلما وجورا كما يكون من بعض أعزاء المخلوقين فإن بعضهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور، وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل. هذا والله أعلم.

وفي ختام هذا الباب نشير إلى جملة من الفوائد والثمرات التي يجنيها المسلم بتحقيقه لهذا الأصل العظيم وهو الإيمان بالله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. فمن ذلك:

١ - أن العبد ينال بذلك سعادة الدنيا والآخرة، بل إن السعادة في الدارين متوقف الحصول عليها على الإيمان بالله، فحظ العبد منها بحسب حظه من إيمانه بربه وأسمائه وصفاته وألوهيته.

٢ - أن إيمان العبد بربه وأسمائه وصفاته هو أعظم أسباب خوفه سبحانه وخشيته وتحقيق طاعته، فكلما كان العبد بربه أعرف كان إليه أقرب، ومنه أخشى، ولعبادته أطلب، وعن معصته ومخالفته أبعد.

٣ - أن العبد ينال بذلك طمأنينة قلبه، وراحة نفسه، وأنس خاطره، والأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة. والله تعالى يقول {الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب} [الرعد: ٢٨] (الرعد: ٢٨) .

٤ - أن نيل ثواب الآخرة متوقف على الإيمان بالله وصحته، فبتحقيقه وتحقيق لوازمه ينال العبد ثواب الآخرة فيدخل جنة عرضها السماء والأرض فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة؟ مجموعة من المؤلفين ص/٣

قلب بشر، وينجو من النار وعذابها الشديد، وأعظم من ذلك كله أن يفوز برضى الرب سبحانه فلا يسخط عليه أبدا، ويتلذذ يوم القيامة بالنظر إلى." (١)

"يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) .

وجمع المثالين في قوله تعالى: (تعلمونهن مما علمكم الله) ، ووصف نفسه بأنه ينبىء، ووصف المخلوق بذلك، وجمع المثالين في قوله تعالى: (وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هاذا قال نبأنى العليم الخبير) . ووصف نفسه بالإيتاء، فقال: (ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك) ، وقال: (يؤتى **الحكمة من** يشاء) ، وقال: (ويؤت كل ذي فضل فضله) ، وقال: (ذالك فضل الله يؤتيه من يشآء) .

وقال في وصف الحادث بذلك: (وآتيتم إحداهن قنطارا) ، (وآتوا اليتامى أموالهم) ، (وآتوا النسآء صدقاتهن نحلة) . وأمثال هذا كثيرة جدا في القرآن العظيم.

ومعلوم أن ما وصف به الله من هذه الأفعال فهو ثابت له حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله،

وما وصف به المخلوق منها فهو ثابت له أيضا، على الوجه المناسب لحاله، وبين وصف الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

وأما الصفات الجامعة، كالعظم والكبر والعلو، والملك والتكبر والجبروت، ونحو ذلك، فإنها أيضا يكثر جدا وصف الخالق والمخلوق بها في القرآن الكريم.

ومعلوم أن ما وصف به الخالق منها مناف لما وصف به المخلوق، كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق. قال في وصف نفسه جلا وعلا بالعلو والعظم والكبر: (ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم) ، (إن الله كان عليا كبيرا) ، (عالم." (٢)

"أبيك» أي فرجه، وأن يصرح له بذلك ولا يعبر عنه بالكتابة. فهذا يدل على شدة قبح هذا النداء، وشدة بغض النبي صلى الله عليه وسلم له.

واعلم أن رؤساء الدعاة إلى نحو هذه القومية العربية: أبو جهل، وأبو لهب، والوليد بن المغيرة، ونظراؤهم من رؤساء الكفرة.

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة؟ مجموعة من المؤلفين ص/٩٤

(٢) الجموع البهية للعقيدة السلفية؟ أبو المنذر المنياوي ١/١١١

وقد بين تعالى تعصبهم لقوميتهم في آيات كثيرة. كقوله: {قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنآ} ، وقوله: {قالوا بل نتبع مآ ألفينا عليه آبآءنآ} ، وأمثال ذلك من الآيات.

واعلم أنه لا خلاف بين العلماء كما ذكرنا آنفا في منع النداء برابطة غير الإسلام، كالقوميات والعصبيات النسبية، ولا سيما إذا كان النداء بالقومية يقصد من ورائه القضاء على رابطة الإسلام وإزالتها بالكلية. فإن النداء بها حينئذ معناه الحقيقي: أنه نداء إلى التخلي عن دين الإسلام، ورفض الرابطة السماوية رفضا باتا، على أن يعتاض من ذلك روابط عصبية قومية، مدارها على أن هذا من العرب، وهذا منهم

أيضا مثلا؛ فالعروبة لا يمكن أن تكون خلفا من الإسلام. واستبدالها به صفقة خاسرة. فهي كما قال الراجز:

بدلت بالجمة رأسا أزعرا ... وبالثنايا الواضحات الدردرا

كما اشترى المسلم إذ تنصرا

وقد علم في التاريخ حال العرب قبل الإسلام وحالهم بعده كما لا يخفى.

وقد بين الله جل وعلا في محكم كتابه: أن **الحكمة في** جعله بني آدم شعوبا وقبائل هي التعارف فيما بينهم. وليست هي أن يتعصب كل شعب على غيره، وكل قبيلة على غيرها. قال جل وعلا: {يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبآئل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم}." (١)

"القوة المتين} ١.

شرح الكلمات:

الجن: عالم مستتر عن الأنظار.

الإنس: هم بنو آدم.

يعبدون: أي يوحدون. والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة٢.

ما أريد منهم من رزق: لم يرد الله منهم أن يرزقوا أنفسهم ولا يرزقوا غيرهم.

وما أريد أن يطعمون: ولم يرد منهم أن يطعموا أنفسهم ولا يطعموا غيرهم، وإنما أسند الرزق والإطعام إلى نفسه؛ لأن الخلق عيال الله فمن أطعمهم فكأنما أطعم الرب عزوجل.

الرزاق: كثير الرزق لخلقه.

ذو القوة: صاحب القوة.

---

(١) الجموع البهية للعقيدة السلفية؟ أبو المنذر المنياوي ٣٣٨/١

المتين: الشديد القوة.

الشرح الإجمالي:

يخبرنا الله –سبحانه وتعالى– أنه هو الذي أوجد الجن والإنس، وأن الحكمة من إيجادهم هي إفراده بالعبادة والكفر بما سواه، وأنه لم يخلقهم

---

١ سورة الذاريات آية: ٥٦-٥٨.

٢ وقيل: العبادة: اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته، وكمال الذل لله ونهايته، فالحب الخلي عن الذل، والذل الخلي عن الحب لا يكون عبادة، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين.." (١)

"لمصلحة نفوذ لذاته، وإنما أوجدهم للعبادة، وتكفل بأرزاقهم، وهو صادق بوعده قادر على تحقيقه لأنه قوي متين.

الفوائد:

١. أن الحكمة من خلق الجن والإنس هي إفراد الله بالعبادة.

٢. إثبات وجود الجن.

٣. كمال غنى الله عن خلقه.

٤. أن مصدر الرزق من الله، ولكن العبد مأمور بفعل الأسباب.

٥. إثبات اسمين من أسماء الله وهما: الرزاق، والمتين.

مناسبة الآية للتوحيد:

حيث دلت الآية الكريمة على أن الحكمة من خلق الجن والإنس هي إفراد الله بالعبادة والكفر بما سواه.

المناقشة:

أ. اشرح الكلمات الآتية: الجن، الإنس، ليعبدون، ما أريد منهم من رزق، وما أريد أن يطعمون، الرزاق، ذو القوة المتين.

ب. اشرح الآية شرحا إجماليا.

---

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد؟ محمد بن عبد العزيز القرعاوي ص/١٨

ج. استخرج أربع فوائد من الآية مع ذكر المأخذ.

د. وضح مناسبة الآية للتوحيد.." (١)

"الشرح الإجمالي:

يخبر الله تعالى في هذه الآية أنه أطلع الناس في ذلك الوقت على أصحاب الكهف، وأن **الحكمة في** ذلك ليبرهن على صحة البعث بعد الموت، ثم أخبر عما جرى من النزاع بين الناس حين ذاك، وأن بعضهم رأى البناء عليهم وتفويض أمرهم إلى الله، وأن البعض الآخر رأى بناء المساجد عليهم.

الفوائد:

١. إثبات قصة أهل الكهف.

٢. إثبات البعث بعد الموت.

٣. اتخاذ المساجد على القبور من سنن الأمم السابقة.

مناسبة الآية للباب وللتوحيد:

حيث دلت الآية على أن أهل الكتاب قد بنوا المساجد على القبور، وقد لعنهم النبي –عليه الصلاة والسلام– من أجل ذلك، لما أفضى بهم عملهم هذا إلى عبادة أصحابها، وقد ثبت أن هذه الأمة ستعمل ما عمله أهل الكتاب فستبني المساجد على القبور، وستعبد أصحابها في النهاية.

المناقشة:

أ. اشرح الكلمات الآتية: أعثرنا عليهم، ليعلموا، وعد الله، لا ريب فيها، أمرهم، قال الذين غلبوا على أمرهم، لنتخذن عليهم مسجدا.

ب. اشرح الآية شرحا إجماليا.

ج. استخرج ثلاث فوائد من الآية مع ذكر المأخذ.

د. وضح مناسبة الآية لباب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.." (٢)

"١٥ – إعلام الناس بأن الدعوة ليست دينا جديدا.

١٦ – تبادل الزيارات وبناء المدارس وكفالة الدعاة، وقبول طلاب المنح في الجامعات السعودية.

---

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد؟ محمد بن عبد العزيز القرعاوي ص/١٩

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد؟ محمد بن عبد العزيز القرعاوي ص/٢١٢

١٧ - ترجمة كتب العقيدة وكتب الشيخ ونشرها.

١٨ - حضور المشايخ (من المملكة) لتلك البلدان.

١٩ - توزيع كتاب عن الأخطاء التاريخية في الوهابية.

٢٠ - الإخلاص، الرفق، التدرج، الصبر (في الدعوة) .

٢١ - عدم استعجال النتائج.

٢٢ - الحذر من التسرع والعجلة والبروز بوجه سمح (وقد أكد عليها كثيرون) .

٢٣ - ترك التسمية بالوهابية.

٢٤ - الاستعانة بالحكام كما فعل الشيخ. ١ - كثرة التوصية بالرفق والحلم والحكمة في الدعوة والبعد عن أسلوب الشدة مع المخالفين.

٢ - كثيرون ممن أجابوا خلطوا بين الملاحظات على الدعوة وبين الاقتراحات والوصايا.." (١)

"وأهمية معرفة هذه الأشراط والأمارات، تظهر من أهمية الإيمان باليوم الآخر، ولذلك فإن الإيمان بأشراط الساعة وعلاماتها الصحيحة الثابتة، جزء لا يتجزأ من الإيمان باليوم الآخر، والذي هو الآخر جزء لا يتجزأ من الإيمان بالغيب.

والحديث عن أشراط الساعة مهم، ولا سيما إذا ابتعد الناس عن تذكر الآخرة واشتغلوا بالدنيا وملذاتها، فإن في أشراط الساعة المحسوسة التي تظهر ويراها الناس بأعينهم كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، ما يعيد الناس إلى ربهم ويوقظهم من غفلتهم.

يقول القرطبي (١) - رحمه الله -: قال العلماء رحمهم الله تعالى: الحكمة في تقديم الأشراط، ودلالة الناس عليها، تنبيه الناس من رقدتهم وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة، كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة، قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا واستعدوا للساعة الموعود بها - والله أعلم (٢) .

وقد وفقني الله عز وجل للكتابة في هذا الموضوع المهم، وكان الفضل في ذلك لله سبحانه وتعالى أولا ثم لوزارة الشؤون الإسلامية ممثلة في إدارة التأليف والترجمة، التي قامت مشكورة بالموافقة على الكتابة في هذا الموضوع، الذي تظهر أهمية الكتابة فيه في الأمور التالية:

---

(١) إسلامية لا وهابية؟ ناصر العقل ص/٤٥٨

١ - حاجة الناس - خاصة في هذا العصر - لمعرفة أشراط الساعة، لعل ذلك يسهم في توجيه سلوكهم إلى سبيل الخير، والاستعداد ليوم المعاد.

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، أبو عبد الله القرطبي، الإمام المفسر، كان زاهدا، عابدا، حسن التصنيف، رحل إلى المشرق، واستقر بمصر، من كتبه: الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، توفي سنة ٦٧١ هـ.

الديباج المذهب (٣١٧ - ٣١٨) . شذرات الذهب (٥ / ٣٣٥) .

(٢) التذكرة للقرطبي (٢ / ٧٣٢) .." [1]

"وقد أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين إلى ما يعصمهم من فتنة المسيح الدجال كما جاء في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» .

قال مسلم: قال شعبة: من آخر الكهف، وقال همام: من أول الكهف (١) .

قال المناوي مبينا سبب العصمة: " وذلك لما في قصة أهل الكهف من العجائب، فمن علمها لم يستغرب أمر الدجال فلا يفتن، أو لأن من تدبر هذه الآيات وتأمل معناها حذره فأمن منه أو هذه خصوصية أودعت في السورة " (٢) .

فسورة الكهف لها شأن عظيم وفيها من العجائب والآيات الباهرات التي من تدبرها عصم من فتنة الدجال، وقد ورد الحث على قراءتها وخاصة في يوم الجمعة، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» (٣) .

فينبغي على المسلم أن يحرص على قراءة هذه السورة وحفظها وخاصة في يوم الجمعة.

وقبل الانتهاء من الكلام على الدجال أحب أن أشير إلى مسألتين لهما علاقة بالكلام على موضوع الدجال وهما:

١ - هل ابن صياد (٤) هو الدجال؟ .

---

(١) أشراط الساعة؟ عبد الله بن سليمان الغفيلي ص/٨

٢ - الحكمة من عدم ذكر الدجال في القرآن.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١ / ٥٥٥) .
(٢) فيض القدير: (٦ / ١١٨) .
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٣٦٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٤) ابن صياد: هو رجل من يهود المدينة، وقيل: إنه من الأنصار، واسمه " صاف " بمهملة وفاء وزن باع، وقيل: اسمه " عبد الله "، ذكره الذهبي في كتابه تجريد أسماء الصحابة (١ / ٣١٩) فقال: عبد الله بن صياد أورده ابن شاهين، وقال هو ابن صائد كان أبوه يهوديا فولد عبد الله أعور مختونا، وهو الذي قيل إنه الدجال ثم أسلم، فهو تابعي له رؤية، وقال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر كلام الذهبي السابق في الإصابة (٣ / ١٣٣) : ومن ولده عمارة بن عبد الله بن صياد، وكان من خيار المسلمين من أصحاب سعيد بن مالك، روى عنه مالك وغيره، وقال الحافظ بن كثير في النهاية في الفتن والملاحم (١ / ١٧٣) : وقد كان ابن صياد من يهود المدينة، ولقبه " عبد الله " ويقال " صاف "، وقد جاء هذا وهذا، وقد يكون أصل اسمه " صاف " ثم تسمى لما أسلم بعبد الله، وقد كان ابنه عمارة بن عبد الله من سادات التابعين، وروى عنه مالك وغيره، وللمزيد انظر: مشكل الآثار للطحاوي (٤ / ٩٦ - ١٠٣) ، وتهذيب التهذيب (٧ / ٤١٨، ٤١٩) .." [1]

"وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعد أن ساق الأحاديث الواردة في ابن صياد وهل هو الدجال الأكبر أم لا، قال: وقد قدمنا أن الصحيح أن الدجال غير ابن صياد وأن ابن صياد كان دجالا من الدجاجلة ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام، والله أعلم بضميره وسيرته (١) .

ولعل ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - والحافظ ابن كثير - رحمه الله - هو الراجح في ابن صياد، وأنه دجال من الدجاجلة وليس هو الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان - والله أعلم.

وأما المسألة الثانية: وهي الحكمة من عدم ذكر الدجال في القرآن صراحة، فقد أجاب على ذلك الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بقوله: اشتهر السؤال عن الحكمة في عدم التصريح بذكر الدجال في القرآن مع ما ذكر عنه من الشر، وعظم الفتنة به، وتحذير الأنبياء منه، والأمر بالاستعاذة منه حتى في الصلاة، وأجيب

---

(١) أشراط الساعة؟ عبد الله بن سليمان الغفيلي ص/١٠١

بأجوبة:

أحدها: أنه ذكر في قوله تعالى: {يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها} [الأنعام: ١٥٨] (٢) فقد أخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة رفعه: «ثلاثة إذا خرجن لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها» .

الثاني: قد وقعت الإشارة في القرآن إلى نزول عيسى ابن مريم في قوله تعالى: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته} [النساء: ١٥٩] (٣) وفي قوله تعالى: {وإنه لعلم للساعة} [الزخرف: ٦١] (٤) وصح أنه الذي يقتل الدجال فاكتفي بذكر أحد الضدين عن الآخر، ولكونه يلقب المسيح كعيسى، لكن الدجال مسيح الضلالة وعيسى مسيح الهدى.

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم: (١ / ١٧٣) .

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٩.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٦١.." (١)

"الثالث: أنه ترك ذكره احتقارا، وتعقب بذكر يأجوج ومأجوج وليست الفتنة بهم بدون الفتنة بالدجال والذي قبله، وتعقب بأن السؤال باق وهو ما **الحكمة في** ترك التنصيص عليه؟ وأجاب شيخنا الإمام البلقيني بأنه اعتبر كل من ذكر في القرآن من المفسدين فوجد كل من ذكر إنما هم ممن مضى وانقضى أمره، وأما من لم يجئ بعد فلم يذكر منهم أحدا، انتهى. وهذا ينتقض بيأجوج ومأجوج.

وقد وقع في تفسير البغوي (١) أن الدجال مذكور في القرآن في قوله تعالى: {لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس} [غافر: ٥٧] (٢) وأن المراد بالناس هنا الدجال، من إطلاق الكل على البعض، وهذا إن ثبت أحسن الأجوبة فيكون من جملة ما تكفل النبي صلى الله عليه وسلم ببيانه والعلم عند الله تعالى (٣) .

ومما سبق يتضح لنا أن خروج الدجال من أشراط الساعة الكبرى الثابتة، ومن الأخبار المتواترة التي يجب الإيمان بها، وفي ما مضى من الأدلة رد على من أنكر خروج الدجال بالكلية من الخوارج والجهمية والمعتزلة

---

(١) أشراط الساعة؟ عبد الله بن سليمان الغفيلي ص/١٠٦

وغيرهم ممن سار على نهجهم قديما وحديثا، أو قال إن ما يأتي به الدجال خيالات لا حقيقة لها، فكل هؤلاء قد ردوا ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في معرض رده على هؤلاء: " وقد تقدم حديث حذيفة وغيره أن ماءه نار وناره ماء بارد، وإنما ذلك في رأي العين، وقد تمسك بهذا الحديث طائفة من العلماء كابن حزم، والطحاوي وغيرهما في أن الدجال ممخرق (٤) مموه لا حقيقة لما يبدي للناس من الأمور التي تشاهد في زمانه بل كلها خيالات عند هؤلاء ".

---

(١) تفسير البغوي: (٤ / ١٠١) .

(٢) سورة غافر، الآية: ٥٧.

(٣) فتح الباري (١٣ / ٩١، ٩٢) .

(٤) الممخرق: المشعوذ.." [١]

"في نزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم من السماء بجسده العنصري إلى الأرض عند قرب الساعة، وهذا هو مذهب أهل السنة " (١) .

وقال الشيخ أحمد شاكر: " نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان مما لم يختلف فيه المسلمون لورود الأخبار الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. . . وهذا معلوم من الدين بالضرورة لا يؤمن من أنكره " (٢) .

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: " اعلم أن أحاديث الدجال، ونزول عيسى عليه السلام متواترة، يجب الإيمان بها، ولا تغتر بمن يدعي فيها أنها أحاديث آحاد، فإنهم جهال بهذا العلم، وليس فيهم من تتبع طرقها ولو فعل لوجدها متواترة كما شهد بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيره، ومن المؤسف حقا أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم لا سيما والأمر دين وعقيدة " (٣) .

[المسألة الخامسة **الحكمة من** نزول عيسى عليه السلام دون غيره]

---

(١) أشراط الساعة؟ عبد الله بن سليمان الغفيلي ص/١٠٧

المسألة الخامسة: **الحكمة من** نزول عيسى عليه السلام دون غيره ذكر بعض العلماء - رحمهم الله تعالى - **الحكمة من** نزول عيسى عليه السلام دون غيره، ومن أقوالهم في ذلك:

١ - الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام، فبين الله تعالى كذبهم، وأنه الذي يقتلهم ويقتل رئيسهم الدجال، ورجح الحافظ ابن حجر هذا القول على غيره (٤) .

٢ - أن عيسى عليه السلام وجد في الإنجيل فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى: {ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه} [الفتح: ٢٩] (٥) فدعا الله أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل

---

(١) عون المعبود ١١ / ٤٥٧.

(٢) من حاشية تفسير الطبري ٦ / ٤٦٠ تخريج الشيخ أحمد محمد شاكر، وتحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة دار المعارف مصر.

(٣) انظر: حاشية العقيدة الطحاوية تخريج الألباني ص ٥٦٥.

(٤) فتح الباري ٦ / ٤٩٣.

(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٩.." (١)

"القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين" (١) . فهذا اعتراف منهم بأنه ليس لأئمتهم ذكر في كتاب الله، ولم يرد لهم تسمية فيه.. فكأنهم يخربون بيوتهم بأيديهم. ولعل السر في ذلك أن واضع هذا النص قد اهتم بتأييد مسألة التحريف - وسيأتي بحثها - ونسي ما وضع من قبل، والاختلاف والتناقض قد يكون عقوبة إلهية لمن يضع في الدين ما ليس منه، كما يؤخذ ذلك من قوله سبحانه: {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} (٢) . فهو برهان أكيد على أنه ليس من عند الله سبحانه.. وقد مضى من قبل الإشارة إلى نص آخر لهم يجعل من كتاب الله سبحانه أربعة أقسام وليس في قسم منها ذكر للأئمة (٣) .

وجاء في رجال الكشي نص هام ينسف كل ما بنوه من هذا التفسير الباطني، فقد نقل لأبي عبد الله جعفر ما يقوله أولئك الزنادقة من تأويل آيات الله سبحانه بتلك التأويلات الباطنية "حيث قيل له: روي عنكم أن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجال؟ فقال: ما كان الله عز وجل ليخاطب خلقه بما لا يعملون" (٤)

---

(١) أشراط الساعة؟ عبد الله بن سليمان الغفيلي ص/١٢١

. أي يستحيل أن يخاطب الله سبحانه عباده بما لا سبيل لهم إلى معرفته والاهتداء إلى معناه؛ لأن هذا يتنافى مع **الحكمة في** إنزال القرآن لهداية الناس والدعوة إلى عبادة الله، ويتنزه الله سبحانه أن يأمر عباده بتدبر القرآن وهو غير قابل للتدبر والفهم، ويتقدس سبحانه أن يخاطب عباده بألغاز وطلاسم. وهذا القول من أبي عبد الله الذي ورد في أوثق كتب الرجال عند الشيعة يهدم كل ما بنوه من تلك التحريفات وذلك الإلحاد في كتاب الله وآياته.

هذا نقض للمسالة من نصوصهم نفسها، أو ما يسمى بالنقد الداخلي للنصوص، وإلا فإن المتأمل لآيات القرآن بمقتضى اللغة العربية التي نزل بها: {إنا أنزلناه

---

(١) تفسير العياشي: ١/١٣، بحار الأنوار: ٩٢/٥٥، تفسير الصافي: ١/٤١، اللوامع النورانية: ص ٥٤٧

(٢) النساء، آية: ٨٢

(٣) انظر: ص (١٥٦-١٥٧)

(٤) رجال الكشي: ص ٢٩١." (١)

"جريان أكثر أحكام المسلمين عليهم في الظاهر، لا أنهم مسلمون في نفس الأمر، ولذا نقلوا الإجماع على دخولهم النار" (١) .

ويقول: "كأن **الحكمة في** ذلك (٢) . هو التخفيف عن المؤمن (٣) . لمسيس الحاجة إلى مخالطتهم في أكثر الأزمنة والأمكنة" (٤) .

ويقول شيخهم المجلسي: "ويظهر من بعض الأخبار بل كثير منها أنهم في الدنيا أيضا في حكم الكفار، لكن لما علم الله أن أئمة الجور وأتباعهم يستولون على الشيعة وهم يبتلون بمعاشرتهم.. أجرى الله عليهم حكم الإسلام توسعة، فإذا ظهر القائم يجري عليهم حكم سائر الكفار في جميع الأمور، وفي الآخرة يدخلون النار ماكثين فيها أبدا مع الكفار، وبه يجمع بين الأخبار كما أشار إليه المفيد والشهيد الثاني" (٥) .

أما أقوال المعاصرين فيقول آيتهم العظمى شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي: "أصول دين الإسلام على قسمين:

---

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية - عرض ونقد -؟ ناصر القفاري ١/١٩١

قسم يترتب عليه جريان حكم المسلم وهو الشهادة بالوحدانية والشهادة بالرسالة.

وقسم: يتوقف عليه النجاة في الآخرة، والتخلص من عذاب الله، والفوز برضوانه، والدخول في الجنة، فيحرم دخولها على من لم يعترف به ويساق إلى النار في زمرة الكافرين ويسمى هذا القسم بأصول الإيمان".

ثم ذكر أن من هذا القسم "الاعتقاد بالإمامة، والاعتراف بالإمام"، وقال: "إن الدليل على ذلك هو ارتداد جماعة من الصحابة بعد ارتحال النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر: بحار الأنوار: ٣٦٨/٨

(٢) يعني الحكم بإسلامهم ظاهرا

(٣) يعني طائفته، لأنهم يرون أن وصف الإيمان خاص بهم

(٤) انظر: بحار الأنوار: ٣٦٨/٨

(٥) بحار الأنوار: ٣٦٩/٨-٣٧٠." (١)

"لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام:

ولا يشبه الأنام:

حي لا يموت:

الأعمال الصالحة، والجزاء على الأعمال السيئة، له الحكمة في ذلك سبحانه وتعالى، لم يخلق ذلك عبثا.

فالله سبحانه وتعالى لا يحاط به، فالله أعظم من كل شيء سبحانه وتعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) [طه: ١١٠] ، فالله سبحانه يعلم ولكن لا يحاط به، فالله أعظم من كل شيء، فلا يتخيله الفكر، ولا يجوز لإنسان أن يقول في الله إلا ما قاله سبحانه عن نفسه، أو قاله عنه رسوله عليه الصلاة والسلام.

هذه مثل العبارة التي مضت، ولا شيء مثله، والأنام معناه: الخلق، فالله سبحانه وتعالى منزه عن مشابهة الخلق: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى: ١١] ، (ولم يكن له كفوا أحدا) [الإخلاص: ٤] فهو سبحانه منزه عن مشابهة خلقه، وإن كان له أسماء وصفات تشترك مع أسماء وصفات الخلق في

---

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية - عرض ونقد -؟ ناصر القفاري ١٠٨٥/٣

اللفظ والمعنى، لكن في الحقيقة والكيفية لا تشابه بينهما.

حياته كاملة لا يعتريها نقص ولا نوم (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) [البقرة: ٢٥٥] ، (وتوكل على الحي الذي لا يموت) [الفرقان: ٥٨] فنفي عن نفسه السنة، وهي النوم الخفيف والنوم." (١)

". . . . .

والغايات فيها إجمال أيضا، فهي تحتمل حقا وتحتمل باطلا، فإن كان المراد بالغاية: **الحكمة من** خلق المخلوقات، وأنه خلقها لحكمة، فهذا حق، ولكن يقال: حكمة، لا يقال: غاية، قال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات: ٥٦] .

وإن أريد بالغاية: الحاجة إلى المخلوقات، فنعم، هذا نفي صحيح، فالله عز وجل لم يخلق الخلق لحاجته وفقره إليهم، فإنه غني عن العالمين.

(والأركان، والأعضاء، والأدوات) فيها إجمال أيضا، إن أريد بالأركان والأعضاء والأدوات: الصفات الذاتية مثل الوجه، واليدين، فهذا حق، ونفيه باطل. وإن أريد نفي الأعضاء التي تشابه أعضاء المخلوقين وأدوات المخلوقين فالله سبحانه منزه عن ذلك، فالأبعاض والأعضاء فالحاصل أن هذا فيه تفصيل:

أولا: إذا أريد بذلك نفي الصفات الذاتية عن الله تعالى من الوجه واليدين، وما ثبت له سبحانه وتعالى من صفاته الذاتية، فهذا باطل.

ثانيا: أما إن أريد بذلك أن الله منزه عن مشابهة أبعاض." (٢)

"(والعرب تقول: رأيت بعيني رؤية ورؤيا) (١).

وقال أبو جعفر ابن جرير الطبري (٢) رحمه الله في تفسير هذه الآية: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني به رؤيا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى البيت المقدس ليلة أسري به.

قال: وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في

---

(١) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية؟ صالح الفوزان ص/٣٧

(٢) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية؟ صالح الفوزان ص/٨٧

ذلك، وإياه عنى الله – عز وجل – بها (٣).

وزعم بعضهم أن الآية حجة لمن قال إن الإسراء كان مناما لأن الله عز وجل سماها رؤيا والرؤيا إنما تختص بالمنام (٤).

وتعقب من قال ذلك، ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره بالرد والإنكار بأن ذلك خلاف سياق القرآن وذكر من الأدلة على رده بعض ما تقدم والله أعلم (٥).

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ١٢) دار المعرفة، بيروت.

(٢) محمد بن جرير (٢٢٤ – ٣١٠) الإمام العالم المجتهد، صاحب كتاب التفسير والتاريخ وغيرها، روى عن أمد بن منيع وعنه أبو القاسم الطبراني، انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧) والبداية والنهاية (١١/ ١٤٥ – ١٤٧) وتاريخ بغداد (٢/ ١٦٢).

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن (١٥/ ٧٧ – ٧٨) وفي (١٥/ ١٤) ذكر الأدلة على أن الإسراء كان يقظة ولم يكن مناما.

(٤) ومن هؤلاء محمد بن إسحاق، انظر: المرجع السابق (١٥/ ١٣) والسيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٥٠) وقد قيل: إن الإسراء كان مرتين مرة مناما ومرة يقظة، وقيل: كان بروحه ولم يفقد جسده، والصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم أسري بجسده في اليقظة، انظر: شرح الطحاوية (١٧٤، ١٧٥) تحقيق: أحمد شاكر.

(٥) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (١٥/ ١٤) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٢٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (١٢/ ٣٥٢) ويحتمل أن تكون الحكمة في تسمية ذلك رؤيا لكون أمور الغيب مخالفة لرؤيا الشهادة فأشبهت في المنام.." (١)

"وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ «في آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب ...» ورواه من طريق عبد الرزاق الإمام أحمد، والترمذي، والحاكم وساق مسلم إسناده (١).

فما معنى اقتراب الزمان الذي لا تكاد تكذب فيه رؤيا المؤمن؟ وأي زمان هو؟ وما معنى لا تكاد تكذب؟

---

(١) الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين؟ سهل العتيبي ص/٧١

وما الحكمة في تخصيص آخر الزمان بذلك؟

أولا: معنى اقتراب الزمان:

لأهل العلم: رحمهم الله في معنى الزمان ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن معنى اقتراب الزمان، أي اعتداله واستواء الليل والنهار، وذلك في فصلي الربيع والخريف.

قال أبو داود رحمه الله: (إذا اقترب الزمان يعني إذا اقترب الليل والنهار يعني يستويان) (٢).

ويقول الخطابي (٣) رحمه الله: (والمعبرون يزعمون أن أصدق الرؤيا ما كان وقت الربيع ووقت اعتدال الليل والنهار) (٤).

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢١١) ومسند الإمام أحمد (٢/ 750) وصحيح البخاري كتاب التعبير ٢٦ - باب القيد في المنام، رقم الحديث (٧٠١٧) ، (٤/ ٣٠٣) وسبق تخريج اللفظ الأخير (ص٩١).

(٢) سنن أبي داود (٢/ ٧٢٣) تحقيق الحوت.

(٣) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (٣١٩ - ٣٨٨ هـ) فقيه محدث من أهل بست في أفغانستان أشهر مصنفاته أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود.

انظر: ترجمته في "سير أعلام النبلاء" (١٧/ ٢٣ - ٢٨)، والبداية والنهاية (١١/ ٣٤٦).

(٤) معالم السنن (٤/ ١٣٨) الطبعة الثانية (١٤٠١ هـ) المكتبة العلمية بيروت لبنان.." [١]

"والحاصل في ذلك أن كثرة صدق رؤيا المؤمن من علامات الساعة.

ثانيا: قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث: «لم تكد تكذب» وفي لفظ «لا تكاد تكذب» كاد أي: قرب.

وفيه إشارة إلى غلبة الصدق على الرؤيا، وإن أمكن أن شيئا منها لا يصدق، والراجح أن المراد نفي الكذب عنها أصلا؛ لأن حرف النفي الداخل على كاد ينفي قرب حصوله والنافي لقرب حصول الشيء أدل على نفيه نفسه (١).

ويدل على ذلك قوله تعالى: {إذا أخرج يده لم يكد يراها} [النور: ٤٠].

---

(١) الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين؟ سهل العتيبي ص/١٥٨

ويوضح ذلك ابن أبي جمرة رحمه الله بأن عدم كذبها أنها تقع بينة واضحة لا تحتاج إلى تعبير فلا إشكال لأحد فيها ولا كذب، فيصدق عليها أنها لا كذب بخلاف ما قبلها فقد تحتاج إلى تعبير، وقد يخطئ المعبر في فهمها فيصدق لغة أن يقال كذبت رؤيا فلان وإن كانت في نفسها حقا (٢).

ثالثا: ما **الحكمة في** اختصاص ذلك بآخر الزمان؟

يقول ابن أبي جمرة رحمه الله، (**والحكمة في** تخصيص ذلك بآخر الزمان أن المؤمن في ذلك الوقت يكون غريبا كما في الحديث «بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا» فيقل أنيس المؤمن ومعينه في ذلك الوقت فيكرم بالرؤيا الصادقة) (٣).

وقال القرطبي رحمه الله: (فكان أهل هذا الزمان أحسن هذه الأمة حالا بعد الصدر الأول وأصدقهم أقوالا فكانت رؤياهم لا تكذب) (٤).

---

(١) انظر: فتح الباري (١٢/ ٤٠٦).

(٢) بهجة النفوس (٤/ ٢٤٧، ٢٤٨).

(٣) بهجة النفوس (٤/ ٢٤٩) والحديث أخرجه مسلم في صحيحه "كتاب الإيمان" (٦٥) باب "بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسعود غريبا" (١/ ١٣١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) فتح الباري (١٢/ ٤٠٦).." [(١)]

"قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: **والحكمة في** التشديد في الكذب على النبي - صلى الله عليه وسلم - واضحة، فإنه يخبر عن الله فمن كذب عليه كذب على الله عز وجل، وقد اشتد النكير على من كذب على الله تعالى في قوله: {فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته} [الأعراف: ٣٧] فسوى بين من كذب عليه وبين الكافر.

ثم قال رحمه الله: وأما المنام فإنه لما كان جزءا من الوحي كان المخبر عنه بما لم يقع كالمخبر عن الله بما لم يلقه إليه، أو لأن الله يرسل ملك الرؤيا فيري النائم ما شاء، فإذا أخبر عن ذلك بالكذب يكون كاذبا على الله وعلى الملك، كما أن الذي يكذب على النبي - صلى الله عليه وسلم - ينسب إليه شرعا ما لم يقله، والشرع غالبا تلقاه النبي - صلى الله عليه وسلم - على لسان الملك، فيكون الكاذب في ذلك كاذبا

---

(١) الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين؟ سهل العتيبي ص/١٦٥

على الله، وعلى الملك (١).

وأخرج البخاري من حديث علي رضي الله عنه قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لا تكذبوا علي، فإنه من كذب علي فليلج النار» (٢).

فقوله: «لا تكذبوا علي» عام في كل كاذب، مطلق في كل نوع من الكذب (٣).

وقوله: «فليتبوأ» أي فليتخذ لنفسه منزلا يقال تبوأ الرجل المكان إذا اتخذه سكنا وهو أمر بمعنى الخبر أيضا، أو بمعنى التهديد أو بمعنى التهكم، أو دعاء

---

(١) فتح الباري (٦/ ٥٤١).

(٢) صحيح البخاري كتاب العلم ٣٨ - باب إثم من كذب على النبي - صلى الله عليه وسلم - رقم الحديث (١٠٦) (١/ ٥٥).

(٣) انظر: فتح الباري (١/ ١٩٩).." (١)

"وعند البخاري قال: «... فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره» (١).

فهذه جملة الآداب التي ينبغي أن يتأدب بها المسلم إذا رأى ما يكره، وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «مما يكره» أي يهوله، ويفزعه على ما تقدم في تفسير الحلم وأنه من تخيل الشيطان وتحزينه.

وحاصل هذه الآداب التي أمر بها النبي - صلى الله عليه وسلم - هي ستة آداب كما يلي:

(١) أن يستعيذ بالله من الشيطان ثلاثا.

(٢) أن يستعيذ بالله من شر ما رأى.

(٣) أن يبصق عن يساره ثلاثا.

(٤) أن يقوم فيصلي.

(٥) أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه إلى الجنب الآخر.

(٦) ألا يحدث بها أحدا.

وإليك تفصيل هذه الآداب، وبيان **الحكمة منها**.

أولا: أن يستعيذ بالله من الشيطان ثلاثا:

---

(١) الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين؟ سهل العتيبي ص/٣٨٠

وذلك لأن الرؤى المكروهة من تخييل الشيطان وتحزينه وتهويله ليحزن بها الرائي، كما سبق في الأحاديث «والحلم من الشيطان» وفي بعضها «ورؤيا تحزين من الشيطان» وفي بعضها «تخويف من الشيطان»، وفي بعضها «أهاويل من الشيطان»

---

(١) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق ١١ - باب صفة إبليس وجنوده الحديث رقم (٣٢٩٢) (٢/ ٤٤١)..". [١]

"(٢٥) أن اختلاف الروايات في عدد أجزاء النبوة التي نسبت إليها الرؤيا الصالحة أمر لا نعلم **الحكمة منه**، وقد ذكر العلماء عدة توجيهات أحسنها قول الطبري- عالم الكتاب والسنة- أن ذلك يرجع إلى حال الرائي من الصدق والصلاح.

(٢٦) أن الذي تنسب رؤياه إلى أجزاء النبوة هو المؤمن الصالح، أما الكافر والفاسق فلا تنسب رؤياهم إلى النبوة وإن صدقت.

(٢٧) أن الرؤيا الصالحة تدخل في معنى الوحي العالم كما قال تعالى: {وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا} [الشورى: ٥١].

فذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن هذا الوحي عام في اليقظة والمنام للأنبياء وغيرهم.

وتسمية الرؤيا وحيا وإلهاما لا يعني أنها معصومة من الخطأ، أو أنها مصدر تلقي وليس لأحد أن يطلق القول بأن ما يقع له أنه وحي لا في اليقظة، ولا في المنام، لأن الوسواس غالب على الناس.

(٢٨) أن هناك نظريات خاطئة قدمها علم النفس في تفسير الرؤى، وكلها تغفل جوانب من الرؤيا دلت الأدلة الشرعية على صحتها، كالرؤيا الصادقة، والرؤيا من الشيطان، وانحصرت دراساتهم في نوع واحد فقط، مع تخبط في هذا.

٢٩ - أن الصوفية تغالي في الرؤى حتى تجعلها مصدرا يقينيا يبنون عليها كثيرا من عقائدهم الباطلة، ويستندون إليها في ترويج ضلالاتهم، ومعرفة الحلال والحرام، وتفسير آيات القرآن، وتصحيح وتضعيف الأحاديث، ونسج الفضائل والمناقب لشيوخهم وغير ذلك.." [٢]

---

(١) الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين؟ سهل العتيبي ص/٤٣٩

(٢) الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين؟ سهل العتيبي ص/٤٦٥

"حـ- إن العبادة هي التي خلق الله الخلق من أجلها: قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون - إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين} [الذاريات: ٥٦ - ٥٨] (١) .

فأخبر سبحانه أن **الحكمة من** خلق الجن والإنس هي قيامهم بعبادة الله، والله تعالى غني عن عبادتهم، وإنما هم المحتاجون إلى عبادته، لفقرهم إلى الله تعالى.

إن فقر العبد إلى الله بأن يعبد الله لا يشرك به شيئا، أعظم من فقره وحاجته إلى الماء والطعام.

إن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله تعالى والإخلاص له، لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أطيب، ولا يخلص أحد من آلام الدنيا ومشاكلها إلا بتحقيق العبودية لله تعالى.

[أركان العبادة]

ط- أركان العبادة: إن العبادة التي أمر الله بها قائمة على ركنين مهمين:

الأول: كمال الذل والخوف، والثاني: كمال الحب.

---

(١) سورة الذاريات الآيات: ٥٦ - ٥٨.." (١)

"قال تعالى: {وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم} [الأنبياء: ٧] (١) .

كما أن الرسل يصيبهم ما يصيب البشر من الأمراض، ويأتيهم الموت كسائر الخلق.

فليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، ولكنهم بشر بلغوا الكمال في الخلقة الظاهرة، كما بلغوا الذروة في كمال الأخلاق، كما أنهم خير الناس نسبا ولهم من العقول الراجحة، واللسان المبين ما يجعلهم أهلا لتحمل تبعات الرسالة والقيام بأعباء النبوة.

وتظهر لنا **الحكمة من** إرسال الرسل بشرا، وذلك حتى تتمثل القدوة للبشر في واحد من جنسهم، ومن ثم فإن اتباع الرسول والاقتداء به هو في مقدورهم وفي حدود طاقتهم.

ومن صفات الرسل أن الله خصهم بالوحي دون بقية الناس، كما قال سبحانه: {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد} [الكهف: ١١٠] (٢) .

---

(١) التوحيد للناشئة والمبتدئين؟ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف ص/٤٦

فقد اختارهم الله واصطفاهم من بين سائر الناس، وكما قال

---

(١) سورة الأنبياء آية: ٧.

(٢(سورة الكهف آية: ١١٠.." (١)

"المعجزات الخارقة التي ليست في مقدور البشر من أجل تقرير صدقهم وإثبات نبوتهم.

وتعريف آيات الرسل ومعجزاتهم: هي أمور خارقة للعادة يظهرها الله تعالى على أيدي أنبيائه ورسله على وجه يعجز البشر عن الإتيان بمثله.

ومن أمثلة تلك المعجزات والآيات: إخبار عيسى عليه السلام قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، ومثل تحويل عصا موسى عليه السلام حية، ومثل انشقاق القمر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

[الحكمة من إرسال الرسل]

هـ- **الحكمة من** إرسال الرسل: - أرسل الله الرسل لتعريف الناس بمعبودهم الحق، ولدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

وأرسل الله الرسل لإقامة الدين، والنهي عن التفرق فيه، يقول تعالى: {شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه} [الشورى: ١٣] (١).

---

(١) سورة الشورى آية: ١٣.." (٢)

"فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة"، قال: "فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره» رواه أحمد وأبو داود من حديث البراء بن عازب الطويل.

ولقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف

---

(١) التوحيد للناشئة والمبتدئين؟ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف ص/٧٠

(٢) التوحيد للناشئة والمبتدئين؟ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف ص/٧٢

على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار.
كما أن أحوال القبر من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، وزالت حكمة التكليف، ولما تدافن الناس، كما قال صلى الله عليه وسلم: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع» (١) ولما كانت هذه **الحكمة منتفية** في حق البهائم سمعته وأدركته.

[أشراط الساعة]
د- أشراط الساعة: مما يجب الإيمان به، أن نؤمن بأن الساعة آتيِة لا ريب فيها، وأن موعدها لا يعلمه إلا الله، أخفاه عن الناس كلهم، يقول

---

(١) رواه مسلم.." (١)

"أن لا إله إلا الله لمثل هذه الاعتراضات دون فهم ووعي لحكم ذلك أمر خطير، واعتقاد انتقاء **الحكمة من** هذه الشرائع والأحكام والحدود كفر بالله تبارك وتعالى.
وهذا الأمر أعني كفر المعترض على التشريع أشد وضوحا فيمن ينكر الشريعة جملة. ويرى أنها لا تساير نظام حياة الناس ولا تناسب رقيهم وتطورهم المادي، فهؤلاء خارجون عن الإسلام سواء كانوا مسلمين قبلا أو لم يسبق لهم إيمان وشهادة.
ولكن أرجو أن يعلم أن الاعتراض قد يصدر أحيانا من مسلم يفاجئه الحكم ولا يرى **الحكمة منه** مباشرة، ولا يخرج بهذا عن الإسلام إلا بعد أن يبين له فلا يرجع إلى الله، ولا يفيء إلى أمره عز وجل.
ومن ذلك ما صدر عن سعد بن عبادة رضي الله عنه عندما سمع {والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا} (النور: ٤) .

---

(١) التوحيد للناشئة والمبتدئين؟ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف ص/٨٥

أهكذا أنزلت يا رسول الله؟.. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟..] فقالوا يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور، والله ما." (١)

"اعتراض على حكمة التشريع، فدأب المسلم دائما أن يتلمس حكمة الله في تشريعه للعباد، وقد نص سبحانه وتعالى عن الحكمة في معظم تشريعاته. ودأب الكافر الاعتراض والاستهزاء بتشريع الله تبارك وتعالى، قال تعالى: {ويل لكل أفاك أثيم. يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم. وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين} (الجاثية: ٧-٩) .

ثانيا: الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل

ما دام أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل تشريعه لعباده ليلتزموا به، وأنه لم يخيرهم سبحانه وتعالى في الأخذ به أو تركه وإنما فرض هذا وألزمه، وأخبر سبحانه أن هذا هو المقصود من خلقهم حتى لا يكون خلقهم عبثا ولا هملا، فإن مقتضى الإيمان به هو تنفيذ أمره ونهيه، فإذا كان معنى لا إله إلا الله لا مطاع طاعة مطلقة إلا الله ولا مشرع للناس في شئون حياتهم إلا الله، أقول ما دام أن أمر الإيمان كذلك فإن هذا الأمر ينتقض بالتعالي عن أمره، والخروج عن حكمه، وإبطال شريعته والحكم بغيرها، وقد نص الله على هذا الأمر." (٢)

"عليه بمثل ما اعترض عليهم.

والوجه الثاني:

إن العباد لا غنى لهم عن إرسال الرسل، وإنزال الكتب، لأن أحوال الدنيا والآخرة لا تستقيم لهم إلا بذلك، بل إن الحكمة من خلقهم تنتفي بدون ذلك، ويعيش الناس في الدنيا عيش البهائم بغير تكليف، فلا أمر ولا نهي.

فلما كانوا لا غنى لهم عن ذلك أرسل الله تعالى الرسل وأنزل عليهم الكتب، إذ لو تركهم لعقولهم لضلوا، وليس للرسول معنى إلا تبليغ الرسالة، والرسالة إنما هي وحي الله الذي يوحيه إلى رسله، ووحيه إنما هو

---

(١) الحد الفاصل بين الإيمان والكفر؟ عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/٥٥

(٢) الحد الفاصل بين الإيمان والكفر؟ عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/٥٨

كلامه تعالى، ومنه كتبه المنزلة الهادية.

فبان بما شرحناه ثبوت صفة الكلام لله تعالى، على رغم أنوف الجهمية الكفار، ولله الحمد والمنة.." (١)

"وفي هذا الحديث أن الجزاء من جنس العمل، وفيه إثبات الرضى من الله – سبحانه – على ما يليق به كسائر صفاته، وفيه بيان **الحكمة في** إجراء المصائب على العباد، وفيه إثبات القضاء والقدر، وأن المصائب تجري بقضاء الله وقدره، وفيه مشروعية الصبر على المصائب، والرجوع إلى الله، والاعتماد عليه وحده في كل ملمة، ودفع كل مكروه.

وقد أمر الله بالاستعانة بالصبر والصلاة على ما يواجه الإنسان في هذه الحياة من متاعب ومشاق؛ لأن من وراء ذلك الخير والعاقبة الحميدة، وأخبر أنه مع الصابرين بنصره وتأييده؛ قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين} ١؛ مما يدل على أهمية الصبر وحاجة المؤمن إليه، وهو من مقومات العقيدة.

نسأل الله – عز وجل – أن يرزقنا الصبر والاحتساب، وأن يمن علينا بالتوفيق والهداية.." (٢)

"**الحكمة في** ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وكانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة للنبوات؛ لأنه بعث إلى الناس كافة إلى أن تقوم الساعة؛ كما قال تعالى: {وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا} ١، {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} ٢، {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا} ٣، {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا} ٤.

وإذا كانت رسالته عامة للناس؛ فلا بد أن تكون شريعته كاملة شاملة لمصالح البشر، لا يحتاج معها إلى شريعة أخرى وبعثة نبي آخر؛ كما قال تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا} ٥، وقال تعالى: {ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين} ٦، وقال تعالى: {وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه} ٧.

قال الشيخ أبو الأعلى المودودي في (رده على القاديانية) : "ونحن إذا تتبعناه [أي: القرآن] بغية أن نعرف

---

(١) العقيدة السلفية فى كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية؟ عبد الله الجديع ص/٩٥

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد؟ صالح الفوزان ص/١٣٨

الأسباب التي لأجلها ظهرت الحاجة إلى إرسال نبي في أمة من أمم الأرض؛ علمنا أن هذه الأسباب أربعة:

١- كانت هذه الأمة ما جاءها من الله نبي من قبل، ولا كان لتعاليم نبي مبعوث في أمة غيرها أن تصل إليها.

٢- كان قد أرسل إليها نبي من قبل، ولكن كان تعليمه قد انمحى أو لعبث به يد النسيان أو التحريف حتى لم يعد بإمكان الناس أن يتبعوه اتباعا كاملا صحيحا.

٣- كان قد أرسل إليها نبي من قبل، ولكن تعاليمه ما كانت شاملة لمن يأتي بعده وافية لمتطلبات عصرهم؛ فألحت الحاجة إلى المزيد من الأنبياء

---

١ سورة سبأ، الآية: ٢٨.

٢ سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

٣ سورة الفرقات، الآية: ١.

٤ سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

٥ سورة المائدة، الآية: ٣.

٦ سورة النحل، الآية: ٨٩.

٧ سورة المائدة، الآية: ٤٨.." (١)

"فلا نجد فيه ملائكة يضربون الموتى، ولا حيات، ولا تعابين، ولا نيران تأجج! وكيف يفسح مد بصره أو يضيق عليه نجده بحاله ونجد مساحته على حد ما حفرناه له يزد ينقص؟! وكيف يصير القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار؟!.

وجوابنا عن ذلك من وجوه:

أولا: أن حال البرزخ من الغيوب التي أخبرت بها الأنبياء، ولا يكون خبرهم محالا في العقول أصلا؛ فلا بد من تصديق خبرهم.

ثانيا: أن النار في القبر والخضرة ليست من النار الدنيا ولا من زروع الدنيا فيشاهد ذلك من شاهد نار الدنيا وخضرها، وإنما هي من نار الآخرة وخضرها، وهي أشد من نار الدنيا؛ فلا يحس بها أهل الدنيا؛ فإن الله

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد؟ صالح الفوزان ص/٢١٤

سبحانه يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحته، حتى يكون أعظم حرا من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا؛ لم يحسوا بذلك يحسوا بذلك، وقدرة الرب أوسع من ذلك وأعجب.

وإذا شاء الله أن يطلع بعض العباد على عذاب القبر؛ أطلعه، وغيبه عن غيره؛ إذ لو اطلع العباد كلهم؛ لزالت حكمه التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس؛ كما في "الصحيحين" في الحديث الذي مر من قوله صلى الله عليه وسلم: "لولا أن تدافنوا؛ لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع"، ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم؛ سمعت ذلك وأدركته؛ كما حادت برسول الله صلى الله عليه وسلم بغلته، وكادت تلقيه، لما مر بمن يعذاب في قبر؛ فرؤية هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن، تقع أحيانا لمن شاء الله أن يريه ذلك.

وكيف يستنكر من يعرف الله سبحانه ويقر بقدرته أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار بعض خلقه حكمة منه ورجمة بهم؛ لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها، والعبد أضعف بصرا وسمعا أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر، وسر." (١)

"ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر

إن من أعظم ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر صحة إيمان الشخص بتكامل أركانه؛ لأن الإيمان بذلك من أركان الإيمان الستة التي لا يتحقق إلا بها؛ كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: طمأنينة القلب وارتياحه، وعدم القلق في هذه الحياة عندما يتعرض الإنسان لمشاق هذه الحياة؛ لأن العبد علم أن ما يصيبه فهو مقدر لا بد منه ولا راد له، واستشعر قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك"؛ فإنه عند ذلك تسكن نفسه ويطمئن باله؛ بخلاف من لا يؤمن بالقضاء والقدر؛ فإنه تأخذه الهموم والأحزان، ويزعجه القلق، حتى يتبرم بالحياة، ويحاول الخلاص منها، ولو بالانتحال؛ كما هو مشاهد من كثرة الذين ينتحرون فرارا من واقعهم وتشاؤما من مستقبلهم؛ لأنهم لا يؤمنون بالقضاء والقدر؛ فكان تصرفهم ذلك نتيجة حتمية لسوء اعتقادهم.

وقد قال الله تعالى: {ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور} ١؛

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد؟ صالح الفوزان ص/٢٧٩

فأخبر سبحانه أنه قدر ما يجري من المصائب وفي الأنفس؛ فهو مقدر ومكتوب، لا بد من وقوعه، مهما حاولنا دفعه، ثم بين أن **الحكمة من** إخباره لنا بذلك لأجل أن نطمئن؛ فلا نجزع ونأسف عند المصائب، ولا نفرح عند حصول النعم فرحا ينسينا العواقب، بل الواجب علينا الصبر عند المصائب، وعدم اليأس من روح الله، والشكر عند الرخاء، وعدم الأمن من مكر الله،

---

١ سورة الحديد، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣.." (١)

"وجود ذلك الدولاب والحديقة، وكل ذلك اتفاقا من غير فاعل ولا مدبر، أفترى ما يقول لك عقلك في ذلك لو كان؟ وما الذي يفتيك به؟ وما الذي يرشدك إليه؟ (١) .

الحكمة من ذلك: بعد هذا التطواف والتأمل في خلق هذا الكون يحسن بنا أن نذكر بعض الحكم التي من أجلها خلق الله هذه الكائنات العظيمة والآيات الباهرة فمن ذلك:

١ - التسخير للإنسان: لما قضى الله أن يجعل في هذه الأرض خليفة يعبده فيها، ويعمر هذه الأرض خلق لأجله كل ذلك، لتستقيم حياته، ويصلح له أمر معاشه ومعاده، قال تعالى: {وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه} [الجاثية: ١٣] (٢) وقال جل ثناؤه: {الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار - وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار - وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار} [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤] (٣) .

---

(١) هذه الفترة تم استخلاصها من مواطن متفرقة من مفتاح دار السعادة، جـ ١، ص: ٢٥١ - ٢٦٩.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٣.

(٣) سورة إبراهيم، الآيات: ٣٢ - ٣٤.." (٢)

"لا يشرك به شيئا ". قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم، فيتكلوا» أخرجاه في الصحيحين (١) .

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد؟ صالح الفوزان ص/٣٠١

(٢) الإسلام أصوله ومبادئه؟ محمد بن عبد الله بن صالح السحيم ٣٠/٢

فيه مسائل: الأولى: **الحكمة في** خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله. ففيه معنى قوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} [الكافرون: ٣]

الرابعة: **الحكمة في** إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى} [البقرة: ٢٥٦]

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف وفيها عشر مسائل. أولها: النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء. وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها الله بقوله: {لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا} [الإسراء: ٢٢]

ـــــQ. . . . .

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨) و (١٢٩) و (٢٨٥٦) و (٥٩٦٧) و (٦٢٦٧) و (٦٥٠٠) و (٧٣٧٣) ومسلم (٣٠) .." (١)

". . . . .

ـــــQوقوله: {إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦] و (إلا) هذه أداة استثناء، والاستثناء هنا مفرغ - أي مفرغ من أعم الأحوال كما يقول النحاة - يعني: وما خلقت الجن والإنس لشيء، أو لغاية من الغايات أبدا إلا لغاية واحدة، هي: أن يعبدوني.

وقوله: {ليعبدون} [الذاريات: ٥٦] هذه اللام تسمى لام التعليل، ولام التعليل هذه قد يكون معناها: إما تعليل غاية، أو تعليل علة.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد؟ صالح آل الشيخ ص/٢

فتعليل الغاية: يكون ما بعدها مطلوبا ولكن قد يكون، وقد لا يكون، يعني: هذه الغاية. ويسميها بعض العلماء. لام الحكمة. وفرق بين العلة والحكمة، يوضحه: إذا قيل: ما **الحكمة من** خلق الجن والإنس؟ فالجواب: أن يعبدوا الله وحده دون ما سواه فهذا التعليل لقوله: {إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦] هو تعليل غاية؛ ولو سألت شخصا -مثلا-: لم أحضرت الكتاب؟ قال لك: أحضرته لأقرأ، كانت علة الإحضار أو **الحكمة من** الإحضار القراءة فقد يقرأ وقد لا يقرأ بخلاف اللام التي يكون معناها العلة؛ وهي التي يترتب عليها معلولها، والتي يقول العلماء في نحوها: الحكم دائر مع علته وجودا وعدما، فتلك هي علة القياس التي لا يتخلف فيها المعلول عن العلة. فتكون اللام هنا: علة الغاية؛؟ لأن من الخلق من أوجد، وخلقه الله- جل وعلا- لكن عبد غيره.

ولام الحكمة شرعية، ويكون ما بعدها مطلوبا شرعا؛ وقد قال - جل وعلا - هنا: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦] فنفهم من هذا:." (١)

"الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل، **والحكمة في** إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات؛ فاعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه، فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور، أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم» فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم؛ ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد؟ صالح آل الشيخ ص/١٢

العشرون: أن سبب فقد العلم: موت العلماء.

ـــــQ. . . . ." (١)

"[باب ما جاء في التنجيم]

" باب ما جاء في التنجيم " قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به (١) . انتهى. وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن خمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر» . رواه أحمد وابن حبان في صحيحه (٢) .

فيه مسائل: الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل.

ـــــQ. . . . .

((1 أخرجه البخاري ٦ / ٢٩٥ معلقا، ووصله ابن جرير في " التفسير ١ / ٩١.

(٢) أخرجه أحمد ٤ / ٣٩٩ وابن حبان ٧ / ٣٦٦.." (٢)

". . . . .

ـــــQقال: " هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله " وهذا هو الإيمان بالله " فيرضى ويسلم "

والمصائب من القدر، والقدر راجع إلى حكمة الله - جل وعلا -، وحكمة الله - جل وعلا - هي وضع الأمور في مواضعها الموافقة للغايات المحمودة منها، فالحكمة بعامة مرتبطة بالغايات المحمودة من وضع

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد؟ صالح آل الشيخ ص/٢٣٦

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد؟ صالح آل الشيخ ص/٣٤٣

الأمر في موضعه، فمن وضع الأمر في غير موضعه فقد ظلم، ومن وضع الأمر في موضعه عدل، وقد يكون غير حكيم، أي قد يكون عادلا ولكن غير حكيم، فإذا وضع الأمر في موضعه الموافق للغاية المحمودة منه فذاك هو الحكيم، والله – جل وعلا – منفي عنه الظلم ومثبت له كمال العدل سبحانه حيث يضع الأمور في مواضعها، ومثبت له – جل وعلا – كمال الحكمة حيث إن وضعه الأمور في مواضعها موافق للغايات المحمودة منها، فنعلم بذلك أن المصيبة إذا أصابت العبد فإن الخير له فيها، إما أن يصبر فيؤجر، وإما أن يتسخط فيؤزر على ذلك، وهذا في حق الخاسرين، فالله – جل وعلا – له الحكمة من الابتلاء بالمصائب؛ لهذا يجب على العبد أن يعلم أن ما جاء من عند الله هو قدر الله – جل وعلا – وقضاؤه الموافق لحكمته فيجب الصبر على ذلك.

قوله: " يعلم أنها من عند الله ": يعني: أن الله هو الذي أتى بها، وهو الذي أذن بها قدرا وكونا.

" فيرضى ويسلم ": الرضا بالمصيبة مستحب وليس بواجب؛ ولهذا يختلط على كثيرين الفرق بين الرضا والصبر، وتحرير المقام في ذلك: أن الصبر على المصائب واجب من الواجبات؛ لأن فيه ترك السخط على قضاء الله وقدره، والرضا له جهتان:." (١)

". . . . .

ــــــQإنها لتنفي الذنوب عن العبد كما ينفي الكير خبث الحديد» (١) ففي المصائب نعم على العبد، والله – جل وعلا – له الحكمة البالغة فيما يصلح عبده المؤمن.

" وقال صلى الله عليه وسلم: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» (٢) دل قوله: " من رضي فله الرضا " على أن الرضا عبادة؛ لأن رضا الله عن العبد إذا رضي عنه دال على أن ذلك الفعل محبوب له، وذلك دليل أنه من العبادات، وكذلك الجملة الثانية دليل على أن السخط محرم، قال: " ومن سخط فله السخط " يعني: من الله – جل وعلا –.

وحقيقة السخط على الله – جل وعلا –: أن يقوم في قلبه عدم محبة ذلك الشيء، وكراهته، وعدم الرضا به، واتهام الحكمة فيه، فمن قامت به هذه الأشياء مجتمعة فقد سخط، ويظهر أثر السخط على اللسان أو على الجوارح، أو في القلب من جهة عدم الرضا بالأوامر، وعدم الرضا بالنواهي، وعدم الرضا بالشرع،

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد؟ صالح آل الشيخ ص/٣٩٢

فيتسخط الأمر، ويتسخط النهي، ويتسخط الشرع، فهذا كبيرة من الكبائر، ولو امتثل ذلك فإن تسخطه وعدم الرضا بذلك قلبا دليل على انتفاء كمال التوحيد في قلبه، وقد يصل بالبعض إلى انتفاء التوحيد من أصله إذا لم يرض بأصل الشرع وسخطه بقلبه واتهم الشرع أو اتهم الله - جل وعلا - في حكمه الشرعي

الشرح: هذا " باب ما جاء في الرياء " يعني: من الوعيد، وأنه شرك بالله - جل وعلا -.
والرياء حقيقته من الرؤية البصرية، وذلك بأن يعمل عمل العبادة لكي يرى أنه يعمل العمل الذي هو من العبادة، إما صلاة، أو تلاوة، أو ذكر، أو صدقة، أو حج، أو جهاد، أو امتثال أمر، أو اجتناب نهي، ونحو ذلك، لا لطلب ما عند الله، ولكن لأجل أن يراه الناس على ذلك، فيثنوا عليه به. هذا هو الرياء، وقد يكون الرياء في أصل الإسلام كرياء المنافقين، فالرياء على درجتين:
الدرجة الأولى: رياء المنافقين، بأن يظهر الإسلام ويبطن الكفر لأجل رؤية الخلق، وهذا مناف للتوحيد من أصله وكفر أكبر بالله - جل جلاله -؛ ولهذا وصف الله المنافقين بقوله: {يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا} [النساء: ١٤٢] [النساء: ١٤٢] . فقوله: {يراءون الناس} [النساء: ١٤٢] يعني: الرياء الأكبر الذي هو إظهار أصل الإسلام وشعب الإسلام، وإبطان الكفر وشعب الكفر.
والنوع الثاني من الرياء: أن يكون الرجل مسلما أو المرأة مسلمة، ولكن يرائي بعمله أو ببعض عمله، فهذا شرك خفي وذلك الشرك مناف لكمال

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٤٦٩) .
(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) .." [١]
". . . . .
ــــــQ {قل إن الأمر كله لله} [آل عمران: ١٥٤] ؛ فلهذا كان كل ما يحصل من الرب - جل وعلا - في بريته موافقا لقدره السابق الذي هو دليل كمال حكمته، وعلمه، وخلقه، وعموم مشيئته.
أما التفسير الثاني: فهو إنكار الحكمة، وحكمة الله - جل وعلا - ثابتة بالكتاب والسنة وبإجماع السلف، واسم الله (الحكيم) مشتمل على صفة الحكمة، فإنه - جل وعلا - حكيم، بمعنى: حاكم، وحكيم،

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد؟ صالح آل الشيخ ص/٣٩٦

بمعنى: محكم للأمور، وحكيم، بمعنى: أنه ذو الحكمة البالغة، فهذه ثلاثة تفسيرات لاسم الله (الحكيم) . وكلها صحيحة، وكلها يستحقها الله - جل وعلا -، فإنه - جل وعلا - حكيم بمعنى حاكم، وحكيم بمعنى محكم، كما قال: {كتاب أحكمت آياته} [هود: ١] [هود: ١] ، وقال: {ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت} [الملك: ٣] [الملك: ٣] ؛ لأجل إحكامه، وقال سبحانه وتعالى - أيضا: {قل انظروا ماذا في السماوات والأرض} [يونس: ١٠١] [يونس: ١٠١] ، ونحو ذلك من دليل إحكامه - جل وعلا - لما خلق، والثالث: أنه ذو الحكمة، والحكمة في صفة الله - جل وعلا - تفسر كما تقدم - بأنها وضع الأمور في مواضعها، الموافقة للغايات المحمودة منها؛ ولهذا قال أهل السنة والجماعة، أهل الأثر الفقهاء بالكتاب والسنة: إن أفعال الله - جل وعلا - معللة، وكل فعل يفعله الله - جل وعلا - فله علة من أجلها فعل، وهذه العلة هي حكمته سبحانه وتعالى، فإن أفعال الله - جل وعلا - منوطة بالعلل، وهذا أنكره المعتزلة؛ لأنهم قدرية، وأنكره الأشاعرة؛ لأنهم جبرية، فقالوا: إن أفعال الله - جل وعلا - ليست مرتبطة بالحكم، وهو يفعل لا عن حكمة، وهذا سوء ظن بالله - جل وعلا -؛." (١)

". . . . .

ــــــQولهذا أورد الشيخ - رحمه الله - هذا الباب ليبين أن تحقيق التوحيد، وتحقيق كمال التوحيد أن توقن بالحكمة البالغة لله - جل وعلا -، ومن نفى الحكمة في أفعال الله فهو مبتدع، توحيده قد انتفى عنه كماله؛ لأن بدعته شنيعة، وكل البدع تنفي كمال التوحيد، ومنها ما ينفي أصل التوحيد.

والتفسير الثالث - في ظن أهل الجاهلية وأهل النفاق ظن السوء بالله - جل وعلا -: أن الله - جل وعلا - لا ينصر رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأن الله - جل وعلا - لا ينصر كتابه، أو أنه يجعل رسوله أو دينه في اضمحلال حتى يذهب ذلك الدين، هذا ظن سوء بالله - جل وعلا -. ولهذا كان من براهين النبوات عند أهل السنة: أنه لم يدع أحد النبوة وهو كاذب في دعواه، إلا ويخذل ويضمحل أمره، ومن براهينها: أن كل نبي قال إنه مرسل من عند الله - جل وعلا - أيد بالآيات والبينات، ونصر على عدوه، وجعل دينه وأهل دينه في عزة على من سواهم، كما قال - جل وعلا -: {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد} [غافر: ٥١] [غافر: ٥١] ، وقال - جل وعلا -: {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين - إنهم لهم المنصورون - وإن جندنا لهم الغالبون} [الصافات: ١٧١ - ١٧٣] [الصافات:

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد؟ صالح آل الشيخ ص/٥٤٣

١٧١ - ١٧٣] ، فظن أهل الجاهلية أن الخير أو الدين سيضمحل، وأنهم إذا بذلوا إطفاء ذلك الأمر وحاربوه بكل ما أوتوا من وسيلة وقاوموهم فإنه سينتهي، وهذا مع كونه عملا محرما لما يشتمل عليه من الظلم، فإنه أيضا سوء ظن بالله - جل وعلا - وغرور بالقوة وبالنفس، والله - جل وعلا - ناصر رسله، والله - جل وعلا - ناصر عباده المؤمنين، ولكن." (١)

"٦/١٤٢- ابن أبي الدنيا قال: وحدثني محمد قال: حدثني خالد بن عمرو الأموي قال: حدثنا عبد الأعلى بن أبي عبد الله العنزي، قال: رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة ووراءه حبشي يمشي فلما انتهى إلى الناس رجع الحبشي، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال: هكذا رحمكما الله حتى صعد المنبر فخطب فقرأ: {إذا الشمس كورت} ١، فقال: وما شأن الشمس؟ {وإذا النجوم انكدرت} ٢، حتى انتهى إلى {وإذا الجنة أزلفت} ٣، فبكى ... "٤.

التعليق:

إن الإيمان بالمعاد والبعث والنشور وأن الله تبارك وتعالى يجمع كل الخلائق وبيان **الحكمة من** ذلك وبيان شدة هذا اليوم على الكفار هو

---

١ الآية ١ من سورة التكوير.

٢ الآية ٢ من سورة التكوير.

٣ الآية ١٢- ١٣ من سورة التكوير.

٤ ابن أبي الدنيا الرقة والبكاء ص٣٩، وابن الجوزي سيرة عمر ص١٥٧، وابن عساكر ج ٣٣ ص ٤١٦ وابن كثير البداية والنهاية٥ /٢٤٣ والأثر في إسناده خالد بن عمرو الأموي أبو سعيد الكوفي رماه ابن معين بالكذب ونسبه صالح جزره وغيره إلى الوضع. انظر تقريب التهذيب ص١٨٩.." (٢)

"أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى} ١.

كما ثبت السنة في المطهرة الإيمان بالبعث فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "ما بين النفختين أربعون،

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد؟ صالح آل الشيخ ص/٥٤٤

(٢) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة؟ حياة بن محمد بن جبريل ٤٥٠/١

قالوا: أربعون يوما؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة قال: أبيت، ثم ينزل الله من السماء ماءا فينبتون كما ينبت البقل، قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة"٢.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة ولا ولدا"٣.

ومضمون هذه النصوص هو المأثور عن عمر كما سبق بيانه حيث قال: وإن لكم معادا" كما بين في تلك الآثار **الحكمة من** المعاد فقال: أما

---

١ الآيات من ٣٦- ٤٠ من سورة القيامة.

٢ صحيح مسلم بشرح النووي ٣٩٤/٦، برقم (٢٩٥٥) وعجب الذنب: العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب المصدر السابق.

٣ البخاري مع الفتح ٢٨٧/٦، برقم (٣١٩٣) .." (١)

"بعد: فكأن العباد قد عادوا إلى الله فينبئهم بما عملوا ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. وهذا ما بينه القرآن الكريم، قال تعالى: {إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى} ١، وقال عز وجل: {ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى} ٢. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وأنه الغني عما سواه، الحاكم في خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق {ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى} أي يجازي كلا بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر"٣.

وقال عز وجل في بيان **الحكمة من** البعث: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون} ٤. قال شارح الطحاوية معلقا على هذه الآية الكريمة: ... كيف تقتضي حكمة الخالق المبدع من العدم والمصور في الأرحام من نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم شق السمع والبصر وركب فيه الحواس والقوى والعظام والمنافع، ... كيف تقتضي حكمته وعنايته به أن

---

(١) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة؟ حياة بن محمد بن جبريل ٤٥٢/١

١ الآية ١٥ من سورة طه.

٢ الآية ٣١ من سورة النجم.

٣ تفسير ابن كثير ٤/٢٥٥.

٤ الآية ١١٥ من سورة المؤمنون.." (١)

"يشعر بتهاون مرتكبها في دينه، إشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها.

٦. وقال الإمام أبو الحسن الواحدي المفسر، وغيره: الصحيح أن حد الكبيرة غير معروف، بل ورد الشرع بوصف أنواع من المعاصي بأنها كبائر، وأنواع بأنها صغائر، وأنواع لم توصف، وهي مشتملة على صغائر وكبائر، والحكمة في عدم بيانها أن يكون العبد ممتنعا من جميعها مخافة أن تكون من الكبائر. قالوا: وهذا شبيه بإخفاء ليلة القدر، وساعة يوم الجمعة، وساعة إجابة الدعاء من الليل، واسم الله الأعظم، ونحو ذلك مما أخفى١، والله أعلم.

وهذه الآراء التي عرضها الإمام النووي ذكر بعضا منها شارح العقيدة الطحاوية، ومال إلى القول برجحان الأول منها٢. كما ذكرها. وعليها مزيد. ابن القيم في مدارج السالكين ٣. ومهما يكن من تعدد الآراء حول التفريق بين الصغائر والكبائر فإن جميعها متقاربة، ومتداخلة، ولكنني أرى أن المبدأ الذي يجب أن يقرر ويتخذ مقياسا ما ورد عن عمر وابن عباس رضي الله عنهم من أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار. ومعناه أن الكبيرة تمحى بالاستغفار والصغيرة تكون كبيرة بالإصرار. قال الشيخ أبو محمد بن عبد السلام في حد الإصرار: هو أن تتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بدينه، إشعار ارتكاب الكبيرة بذلك، قال: وكذلك إذا اجتمعت صغائر مختلفة الأنواع بحيث يشعر مجموعها بما يشعر به أصغر الكبائر٤.

فالصغيرة قد يقترن بها من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف،

---

١ النووي، شرح صحيح مسلم، ج٢ص٨٥-٨٦، ط المطبعة المصرية بدون تاريخ.

٢ شرح العقيدة الطحاوية ص٣٥٥-٣٥٦.

٣ النظر: مدارج السالكين لابن القيم، ج١ ص٣٢٠-٣٢٧، ط المطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٥هـ.

---

(١) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة؟ حياة بن محمد بن جبريل ٤٥٣/١

١٩٥٦م.

٤ النووي، شرح صحيح مسلم، ج٢ص٨٦-٨٧.." (١)

"وقد بين الله **الحكمة من** بعثة الرسل الكرام، فقال تعالى:

{رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما} (١) .

ولقد أرسل الله تعالى رسلا وأنبياء كثيرين منهم من ذكره لنا في كتابه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ومنهم من لم يخبرنا عنهم.

قال تعالى: {ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك} (٢) .

وقال: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} (٣) .

والمذكور من أسمائهم في القرآن خمسة وعشرون رسولا ونبيا، وهم: أبو البشر آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، شعيب، أيوب، ذو الكفل، موسى، هارون، داود، سليمان، إلياس، اليسع، يونس، زكريا، يحيى، عيسى، ومحمد خاتم الأنبياء والرسل؛ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة غافر، الآية: ٧٨.

(٣) سورة النحل، الآيات: ٣٦.." (٢)

"جميع الوجوه، لأنه غير منقسم، لا في الأجزاء بالفرض والوهم، كالمتصل، ولا في العقل بأن تكون ذاته مركبة من معان عقلية متغايرة يتحد بها جملته وأنه واحد من حيث هو غير مشارك ألبته في وجوده الذي له، فهو بهذه الوجوه فرد، وهو واحد لأنه تام الوجود، ما بقي له شيء ينتظر حتى يتم وقد كان هذا أحد وجوه الواحد، وليس الواحد فيه إلا على الوجه السلبي"١.

ويقول عن وحدانية الله: "فهو واحد من جهة تمامية وجوده، وواحد من جهة أن حده له، وواحد من جهة أنه لا ينقسم لا بالكم، ولا بالمباديء المقومة له، وواحد من جهة أن لكل شيء وحدة تخصه، وبها كمال

---

(١) الإيمان بين السلف والمتكلمين؟ أحمد بن عطية بن علي الغامدي ص/٥٤

(٢) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة؟ عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/١٤٢

حقيقته الذاتية"٢.

ويقول ابن رشد٣ عن الواحد: "هو الذي لا يتجزأ إما في الكمية، وإما في الصورة٤ والكيفية"٥.

---

١ - النجاة لابن سينا ١٠٨/٢، وانظر: الفارابي في حدوده ورسومه للدكتور جعفر آل ياسين ص ٦٣٩.

٢ - النجاة لابن سينا ٨٤/٢.

٣ - هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، ولد سنة ٥٢٠هجرية، واشتغل بالفلسفة، وكانت له عناية بكتب أرسطو فشرح الكثير منها، من ذلك "شرح مابعد الطبيعة" أو "تفسير ما بعد الطبيعة" لأرسطو، ومن كتبه "تهافت التهافت"، "فصل المقال في مابين الشريعة **والحكمة من** الاتصال" وهو الكتاب الذي حاول فيه أن يقرب بين الدين والفلسفة، توفي سنة ٥٩٤هـ، وقيل ٥٩٥هـ. انظر: الديباج المذهب لابن فرحون ٢٥٧/٢، السير ٣٠٧/٢١، شذرات الذهب ٣٢٠/٤.

٤ - الصورة: عبارة عن أحد جزئي الجسم وهو حال في الجزء الآخر منه. انظر: المبين ص ١٠٩، وعند ابن سينا الصورة اسم مشترك يقال على معان: الأول: النوع وهو المقول على كثيرين في جواب ماهو. والثاني: أنها كل موجود في شيء لا كجزء منه ولا يصح قوامه دونه كيف كان. الثالث: أنه الموجود في الشيء لا كجزء منه ولا يصح قوامه دونه ولأجله وجد الشيء مثل العلوم والفضائل للإنسان. الرابع: أنه الموجود في شيء آخر لا كجزء منه ولا يصح وجوده مفارقا له ولكن وجود ما هو فيه بالفعل خاصا به، مثل صورة النار في هيولى النار. الخامس: أنه الموجود في شيء لا كجزء منه ولا يصح قوامه مفارقا له ويصح قوام ما فيه دونه إلا أن النوع الطبيعي يحصل به كصورة الإنسانية والحيوانية في الجسم الطبيعي الموضوع له. وربما قيل إنه صورة للكمال المفارق مثل النفس فحده أنه جزء غير جسماني مفارق يتم به وبجزء جسماني نوع طبيعي. انظر: الحدود لابن سينا ص ٢٤٣ - ٢٤٤، معيار العلم ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

٥ - تفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد ص ٥٤٧.." (١)

"الإحكام والإتقان

١ - معنى الإحكام والإتقان في اللغة:

قال الخليل: "الحكمة مرجعها إلى العدل والعلم والحلم، ويقال أحكمته التجارب، إذا كان حكيما، وأحكم

---

(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية؟ آمال بنت عبد العزيز العمرو ص/٢٩

فلان عني كذا، أي منعه.. وكل شيء منعته من الفساد فقد حكمته، وحكمته وأحكمته"١.

وقال ابن فارس: "الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم. وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها، يقال حكمت الدابة وأحكمتها. ويقال حكمت السفيه، وأحكمته، إذا أخذت على يديه"٢.

وقال الجوهري: "والحكم أيضا الحكمة من العلم. والحكيم العالم، وصاحب الحكمة، والحكيم المتقن للأمور..وأحكمت الشيء فاستحكم، أي صار محكما"٣، والإتقان في اللغة – كما قال الخليل – الإحكام٤، وفي اللسان: "وأتقن الشيء أحكمه، وإتقانه إحكامه، والإتقان الإحكام للأشياء" ٥.

٢ – معنى الإحكام والإتقان في الشرع:

فالإحكام والإتقان معناهما واحد، وهو ضبط الشيء ومنع وقوع الفساد والخلل فيه. وقد ورد الفعل من لفظ الإحكام، والإتقان، في كتاب الله – تعالى – ومن ذلك قوله – تعالى –: {الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير} [هود – ١] وقوله – سبحانه –: {صنع الله الذي أتقن كل شيء} [النمل – ٨٨] . وهو بمعناها في اللغة.

---

١ – العين ٦٧/٣.

٢ – معجم مقاييس اللغة ٩١/٢.

٣ – الصحاح ١٩٠١/٥.

٤ – انظر: العين ١٢٩/٥.

٥ – لسان العرب ٧٣/١٣.." (١)

"٣ – معنى هذا الدليل في الاصطلاح:

من الآيات الواضحة التي جعلها الله – عز وجل – دليلا لعباده على معرفة وحدانيته، انتظام صنعته، وبدائع حكمته في خلق السماوات والأرض، وما أحكم فيها، وخلق الإنسان، والأرواح، وما ركب فيها، قال – تعالى –: {ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور} [الملك – ٣] ١.

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: "أفعاله المحكمة المتقنة دلت على علمه، وهذا مما وقع الاتفاق عليه

---

(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية؟ آمال بنت عبد العزيز العمرو ص/٣١٧

من هؤلاء، فإنهم يسلمون أن الإحكام والإتقان يدل على علم الفاعل، وهذا أمر ضروري عندهم وعند غيرهم، وهو من أعظم الأدلة العقلية التي يجب ثبوت مدلولها، والإحكام والإتقان إنما هو أن يضع كل شيء في محله المناسب، لتحصل به الحكمة المقصودة منه..وحكمة الرب في جميع المخلوقات باهرة، قد بهرت العقلاء، واعترف بها جميع الطوائف، والفلاسفة من أعظم الناس إثباتا لها، وهم يثبتون العناية والحكمة الغائية، وإن كان فيهم من قصر في أمر الإرادة والعلم، وكذلك المتكلمون كلهم متفقون على إثبات **الحكمة في** مخلوقاته، وإن كانوا في الإرادة وفعله لغاية متنازعين"٢.

ويقول الرازي في شرح هذا الدليل: "وهي الاستدلال بما في العالم من الإحكام والإتقان على علم الفاعل، والذي يدل على علم الفاعل هو بالدلالة على ذاته أولى"٣.

فإتقان الخلق وإحكامه من أعظم الأدلة على وجود الله، يتفق في هذا الدليل أهل السنة والفلاسفة والمتكلمون، وهو يدل على علم الفاعل وحكمته، والفلاسفة والمتكلمون يلزمهم الإقرار بثبوت ذلك لله من غير تقصير في مدلول العلم والحكمة، لأنه من لوازم هذا الدليل.

---

١ – انظر: كتاب التوحيد لابن منده ٩٧/١.

٢ – النبوات ص٣٧٦ – ٣٧٧، وانظر: الصواعق المرسلة ١٥٦٧/٤ – ١٥٧٤، شفاء العليل ص٢٣٣.

٣ – نقله ابن تيمية في درء التعارض ٨٧/٣، وانظر: المطالب العالية ٢٣٣/١.." (١)

"– غريب الحديث، لابن الجوزي، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥ م، الطبعة الأولى.

"ف"

– الفارابي في حدوده ورسومه، للدكتور جعفر آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

– فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، تحقيق الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ.

– فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى١٤٠٧هـ.

---

(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية؟ آمال بنت عبد العزيز العمرو ص/٣١٨

- فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني، طبعة دار الفكر.
- الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث.
- الفروع، لمحمد بن مفلح المقدسي أبو عبد الله، تحقيق أبو الزهراء حازم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، الطبعة الأولى.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، تحقيق أحمد شمس الدين، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، لابن رشد، تحقيق الدكتور البير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، الطبعة السادسة.
- فقه النوازل، للدكتور بكر أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- الفهرست، لابن النديم، دار المعرفة، بيروت، سنة النشر ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ، الطبعة الأولى.

"ق"." (١)

"أسماء الله ليست محددة، ما يقول الإنسان أسماء الله مائة أو مائتين أو ثلاثمائة أو ألف ما فيه دليل على الحصر، وأما قوله - صلى الله عليه وسلم - " إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة " ليس المراد الحصر بل المراد تسعة وتسعين اسما موصوفة بأن من أحصاها دخل الجنة، موصوفة بهذا الوصف "من أحصاها" يعني: حفظها وعمل بمقتضاها بما يمكن العمل بها، وهي غير محددة الآن، والحكمة في ذلك -والله أعلم- حتى يجتهد العلماء في البحث عنها في نصوص الكتاب والسنة ويعدوها ويحفظوها ويعملوا بها فهي موصوفة بهذا الوصف: " إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة " ولله أسماء أخرى غير موصوفة بهذا الوصف كما في الحديث الذي ذكره المؤلف: " أو استأثرت به في علم الغيب عندك " فيه أسماء استأثر بها الله بها لم يطلع عليها أحدا.

وما استأثر الله به فلا يمكن حصره ولا الإحاطة به، والجميع بين هذا وبين قوله في الحديث الصحيح: " إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة " إن معنى هذا الحديث إن من أسماء الله تسعة

---

(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية؟ آمال بنت عبد العزيز العمرو ص/٥١١

وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة، وليس المراد حصر أسماء الله تعالى بهذا العدد.
المراد وصفها بهذا الوصف من أحصاها دخل الجنة.
الفرع الثالث أسماء الله لا تثبت بالعقل بل بالشرع
ونظير هذا أن تقول عندي مائة درهم أعدتها للصدقة فلا ينافي أن يكون عندك دراهم أخرى أعدتها لغير الصدقة.
الفرع الثالث: أسماء الله لا تثبت بالعقل، وإنما تثبت بالشرع فهي توقيفية.
هذه قاعدة معروفة أن أسماء الله توقيفية، ومعنى توقيفية يعني: يوقف على ما جاء به الشرع يعني: مأخوذة من الشرع من النصوص من الكتاب والسنة، العقل ليس له مجال ما نخترع لله أسماء من عند أنفسنا، بل الأسماء توقيفية ما جاء في الكتاب والسنة من أسماء الله نثبتها لله، وما جاء نفيه ننفيها عن الله، وما لم يرد في الكتاب والسنة نتوقف فيه، فالأسماء والصفات توقيفية.." (١)

"يقول شارح الطحاوية ×: =ولكن لا يقال لهذه الصفات إنها أعضاء، أو جوارح، أو أدوات، أو أركان؛ لأن الركن جزء الماهية، والله تعالى هو الأحد، الصمد، لا يتجزأ سبحانه وتعالى والأعضاء فيها معنى التفريق والتعضية (١) . تعالى الله عن ذلك، ومن هذا المعنى قوله تعالى: [الذين جعلوا القرآن عضين] (الحجر: ٩١) .
والجوارح فيها معنى الاكتساب والانتفاع؛ وكذلك الأدوات هي الآلات التي ينتفع بها في جلب المنفعة ودفع المضرة.
وكل هذه المعاني منتفية عن الله تعالى؛ ولهذا لم يرد ذكرها في صفات الله تعالى فالألفاظ الشرعية صحيحة المعاني، سالمة من الاحتمالات الفاسدة، فكذلك يجب أن لا يعدل عن الألفاظ الشرعية نفيا ولا إثباتا لئلا يثبت معنى فاسد، وأن ينفى معنى صحيح.
وكل هذه الألفاظ المجملة عرضة للمحق والمبطل+ (٢) .
خامسا_الأغراض: وهذا أيضا من إطلاقات المتكلمين، وإليك بعض التفصيل في هذا اللفظ.
أ_ الأغراض في اللغة: جمع غرض، والغرض هو الهدف الذي يرمي فيه، أو هو الهدف الذي ينصب فيرى فيه.

---

(١) تعليقات على شرح لمعة الاعتقاد للراجحي؟ عبد العزيز الراجحي ص/٦

والغرض يطلق في اللغة أيضا على الحاجة، والبغية، والقصد (٣) .

ب ــ الغرض في اصطلاح علماء الكلام: قيل هو ما لأجله يصدر الفعل من الفاعل (٤) .

وقال الجلا الدوائي: =الغرض هو الأمر الباعث للفاعل على الفعل، وهو المحرك الأول، وبه يصير الفاعل فاعلا+ (٥) .

وبذلك نرى توافق المعنى اللغوي والاصطلاحي للغرض، وأنه غاية الفاعل من فعله، وهو الباعث له على فعله (٦) .

ج ــ ماذا يريد أهل الكلام بهذه اللفظة؟: يريدون إبطال **الحكمة في** أفعال الله عز وجل وشرعه.

(١) التعضية: التقطيع، وجعل الشيء أعضاء.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٢٠ و ٢٢١.

(٣) انظر لسان العرب ٧/١٩٦.

(٤) انظر شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار لشمس الدين بن محمود الأصفهاني ص٩١٧.

(٥) شرح العقائد العفوية للجلال الدوائي ٢/٢٠٤.

(٦) انظر الحكمة والتعليل في أفعال الله ص٢٦ــ٤٧.." (١)

"دــ حجتهم في ذلك: يقول المتكلمون وعلى وجه الخصوص الأشاعرة إننا ننزه الله عن الأغراض فلا يكون له غرض فيما شرعه أو خلقه؛ فأبطلوا **الحكمة من** ذلك، وقرروا أن الله لم يشرع إلا لمجرد مشيئته فحسب؛ فإذا شاء تحريم شيء حرمه، أو شاء إيجابه أوجبه.

وقالوا: لو قررنا أن له حكمة فيما شرعه لوقعنا في محذورين:

الأول: أنه إذا كان لله غرض فإنه محتاج إلى ذلك الغرض؛ ليعود عليه من ذلك منفعة، والله منزه عن ذلك.

والثاني: أننا إذا عللنا الأحكام أي أثبتنا الحكمة والعلة لزم أن نوجب على الله ما تقتضيه الحكمة؛ لأن الحكم يدور مع علته، فنقع فيما وقع فيه المعتزلة من إيجاب الصلاح والأصلح على الله؛ لأن الغرض عند المعتزلة بمعنى الغاية التي فعل لها وهم يوجبون أن يكون فعله معللا بالأغراض.

هــ الرد عليهم:

(١) رسائل الشيخ الحمد في العقيدة؟ محمد بن إبراهيم الحمد ٤/٣٣

١_أن هذا اللفظ الأغراض أو الغرض لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة، ولا أطلقه أحد من علماء الإسلام؛ لأن هذه الكلمة قد توهم النقض، ونفيها قد يفهم منه نفي الحكمة؛ فلابد إذا من التفصيل والأولى أن يعبر بلفظ: الحكمة، والرحمة، والإرادة، ونحو ذلك مما ورد به النص.
٢_أن الغرض الذي ينزه الله عنه ما كان لدفع ضرر، أو جلب مصلحة له، فالله سبحانه لم يخلق، ولم يشرع لأن مصلحة الخلق والأمر تعود إليه، وإنما ذلك لمصلحة الخلق.
ولا ريب أن ذلك كمال محض، قال تعالى: [إنهم لن يضروا الله شيئا] (آل عمران:١٧٦) [إن تكفروا فإن الله غني عنكم] (الزمر:٧) ، وفي الحديث القدسي: =يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني+.
وهذا أمر مستقر في الفطر.." (١)

"٢٤_ تعترف بالعواطف الإنسانية، وتوجهها الوجهة الصحيحة: فالعواطف أمر غريزي، ولا يتجرد منه أي إنسان سوي، والعقيدة الإسلامية ليست عقيدة هامدة جامدة، بل هي عقيدة حية، تعترف بالعواطف الإنسانية، وتقدرها حق قدرها، وفي الوقت نفسه لا تطلق العنان لها، بل تقومها، وتسمو بها، وتوجهها الوجهة الصحيحة، التي تجعل منها أداة خير وتعمير، بدلا من أن تكون معول هدم وتدمير.
٢٥_ العقيدة الإسلامية كفيلة بحل جميع المشكلات: سواء مشكلات الفرقة والشتات، أو مشكلات السياسة والاقتصاد، أو مشكلات الجهل والمرض والفقر، أو غير ذلك.
فلقد جمع الله بها القلوب المشتتة، والأهواء المتفرقة، وأغنى بها المسلمين بعد العيلة، وعلمهم بها بعد الجهل، وبصرهم بعد العمى، وأطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف.

خصائص أهل السنة والجماعة

كما أن لعقيدة أهل السنة والجماعة ميزات تمتاز بها عن غيرها من العقائد_فكذلك لأهل السنة خصائص وميزات يمتازون بها عن غيرهم من أهل الملل والنحل، ويجدر بكل من انتسب إليهم أن يأخذ بها، ويأطر نفسه عليها، حتى ينال ما نالوه من خير وفضل.

---

(١) رسائل الشيخ الحمد في العقيدة؟ محمد بن إبراهيم الحمد ٣٤/٤

فمن تلك الخصائص التي تميز بها أهل السنة والجماعة ما يلي:

١ــ الاقتصار في التلقي على الكتاب والسنة: فهم ينهلون من هذا المنهل العذب عقائدهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكهم، وأخلاقهم، فكل ما وافق الكتاب والسنة قبلوه وأثبتوه، وكل ما خالفهما ردوه على قائله كائنا من كان.

٢ــ التسليم لنصوص الشرع، وفهمها على مقتضى منهج السلف: فهم يسلمون لنصوص الشرع، سواء فهموا **الحكمة منها** أم لا، ولا يعرضون النصوص على عقولهم، بل يعرضون عقولهم على النصوص، ويفهمونها كما فهمها السلف الصالح.

٣ــ الاتباع وترك الابتداع: فهم لا يقدمون بين يدي الله ورسوله، ولا يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي"ولا يرضون لأحد كائنا من كان أن يرفع صوته فوق صوت النبي"..." (١)

"أقسام السنة من حيث كونها وحيا

وتنقسم السنة إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: أقوال نزلت بلفظها ومعناها من عند الله تعالى، لكنها غير معجزة، وهذه هي الأحاديث القدسية، وهي قطعا وحي بلفظه ومعناه.

القسم الثاني: أقوال أنزل معناها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فعبر عنها بلغته، وهذه هي السنة النبوية غير القدسية.

القسم الثالث: ما تكلم الرسول صلى الله عليه وسلم به بطبيعته البشرية، فهو بشر من الناس يستفهم ويسأل ويجيب، فهذه لا تعتبر وحيا.

إذا فالسنة ثلاثة أقسام: قسمان من الوحي وقسم ليس وحيا، وإذا نظرنا إلى الآية التي جاء فيها الإطلاق وهي قوله تعالى: {وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى} [النجم:٣-٤] فإن (وما ينطق عن الهوى) نفي نطقه عن هواه، ولكن ذلك لا يقتضي إثبات أنه ما ينطق إلا عن وحي، فلم يقل: وما ينطق إلا عن وحي، بل ذكر أنه لا ينطق عن الهوى، والهوى هو ميل النفس إلى الشهوات، فكل كلامه صلى الله عليه وسلم لا ينطق به عن هوى، لكن منه ما هو طبيعة بشرية فيه، وهي على أكمل أخلاق البشر وأكمل أوصافهم، فلا تكون مائلة إلى الهوى، ومنه ما هو وحي منزل إليه من عند الله، ولهذا قال: {إن هو إلا وحي يوحى} [النجم:٤] والمقصود بذلك ما كان تشريعا ونحوه مما أنزل إليه من عند الله سبحانه وتعالى.

---

(١) رسائل الشيخ الحمد في العقيدة؟ محمد بن إبراهيم الحمد ٧/٧

وقد أثبت الله تنزيل السنة بالإطلاق وسماها **الحكمة في** قوله تعالى: {وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما} [النساء:١١٣] والمقصود بالحكمة المنزلة إليه السنة.." (١)

"**الحكمة في** توفيق من لم تقبل توبته إلى التوبة

Q ما هي **الحكمة من** توفيق الله تعالى العبد للتوبة إذا كان لن يتقبل منه هذه التوبة؟
A **الحكمة من** توفيق الله للعبد لأي عمل صالح وهو لا يريد أن يتقبله منه هي الرحمة بغيره، فقد يوفق الله العبد لأن يتوب من ذنب ليطهر الله الأرض من ذلك الذنب؛ لأن الأرض تشكو إلى الله من ذلك الذنب، فيترك الإنسان ذلك الذنب، والله تعالى يعلم أنه سيعود إليه، أو أنه يختم له بالشقاوة فلا يتقبل الله توبته، كما قال سبحانه: {إنما يتقبل الله من المتقين} [المائدة:٢٧] .
ومثل هذه الأعمال كلها، فمثلا قد يوفق الله العبد للصدقة، فيجعل تلك الصدقة رحمة للمتصدق عليه، ولكنه لا يقبلها من المتصدق؛ لأنه علم أن في قلبه مرضا فيبطلها بالمن والأذى ونحو ذلك، نعوذ بالله من سوء الخاتمة! فلله تعالى في ذلك حكم عجيبة جدا.
ولهذا فإن أعمال الكافرين قد تحقق رحمة للمؤمنين، فمثلا: الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأكل من مائدة ابن جدعان هو وكثير من المؤمنين الضعفاء ومع ذلك لا يتقبل الله تلك المائدة من ابن جدعان، وقد سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يقدمه؛ لأنه كان قد اشتهرت مائدته؛ لأنه كان ينادي عليها المنادي بفجاج مكة وشعابها، حتى قال فيه الشاعر: له داع بمكة مشمئل وآخر فوق دارته ينادي فالرسول صلى الله عليه وسلم حين سألته عائشة قال: (إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) ، والله تعالى يقول: {وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا} [الفرقان:٢٣] ، ويقول تعالى: {والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب} [النور:٣٩] .
وأهل الفترة هم في النهاية إما أن يكونوا من أهل الجنة أو من أهل النار، فإن كانوا من أهل الجنة فما تقربوا به إلى الله سبحانه وتعالى يحسب لهم إذا امتحنوا يوم القيامة ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا به؛

(١) سلسلة الأسماء والصفات؟ محمد الحسن الددو الشنقيطي ٢/١٠

فإنه يتقبل منهم ما مضى من أعمالهم؛ لأنه لم تكن قد قامت عليهم الحجة في الماضي.
وإن كانوا من أهل النار فلم ينجحوا في الامتحان الأخروي، فإنه لا يتقبل منهم، إنما يتقبل الله من المتقين.
ونفس الشيء يكون للذين لم تبلغهم الدعوة من أهل الفترة، فتقام عليهم الحجة يوم القيامة بالامتحان، حيث يمتحنهم الله ببعثة النبي إليهم، ومن علم الله فيه الخير وفقه لتصديقه ومن علم فيه غير ذلك –نسأل الله السلامة والعافية– حجبه عن ذلك.." (١)

"تدبر السلف لكتاب الله سبحانه كاملا

[وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم العمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا.
وقال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس رضي الله عنهما من فاتحته إلى خاتمته أقف عن كل آية وأسأله عنها].
مثل هذه الآثار كثير، وقد ذكر المصنف طرفا يسيرا منها، وهي كثيرة في كلام السلف في المصنفات وكتب التفسير المسندة، يتحصل منها أنه كان شائعا عند السلف أن كل القرآن يتدبر، وأن معناه في سائر موارده –سواء موارد الصفات أو غيرها– معلوم؛ مما يدل على أن طريقة التفويض طريقة باطلة، فضلا عن بطلان كونها مضافة إلى السلف رحمهم الله.
[وقال الشعبي: ما ابتدع أحد بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها.
وقال مسروق: ما سأل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن علمنا قصر عنه.
وهذا باب واسع قد بسط في موضعه.
والمقصود هنا: التنبيه على أصول المقالات الفاسدة التي أوجبت الضلالة في باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأن من جعل الرسول غير عالم بمعاني القرآن الذي أنزل إليه، ولا جبريل جعله غير عالم بالسمعيات ولم يجعل القرآن هدى ولا بيانا للناس].
وهذا لازم لطريقة التفويض الذي نسبه كثير من المتأخرين للسلف، فإنه إذا كان الله أعلم بالمعنى فما فائدة الخطاب بها، ولا سيما أن الذين يقرون بطريقة التفويض يلتزمون قولا واحدا، وهو أن الظاهر ليس مرادا، بل

---

(١) سلسلة الأسماء والصفات؟ محمد الحسن الددو الشنقيطي ٥/١٤

هو على طريقتهم تشبيه لا يليق بالله، وتشبيه الباري كفر، فإذا كان كذلك فما الحكمة من مجيء هذا الظاهر الذي هو كفر ليخاطب به العقلاء ليدخلوا في دين الإسلام؟!

فإن من أخص الموجبات لدخول المشركين في الإسلام آيات الصفات؛ ولهذا تأخر نزول كثير من الشرائع، لكن لم يتأخر نزول آيات الصفات والتوحيد؛ لأن الاقتضاء العقلي والفطري يناسبها ابتداء، بخلاف كثير من الشرائع فهي وإن كانت على مقتضى العقل والفطرة إلا أن ما يتعلق بالنفس من الشهوات ونحوها قد يكون مانعا من قبولها.." (١)

"الأصل السادس: إثبات الحكمة في أفعال الله

الأصل السادس: الإيمان بأن سائر أفعاله وخلقه وأمره سبحانه وتعالى لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى، وقال سبحانه: {ألا له الخلق والأمر} [الأعراف:٥٤]، والحكمة التي أجمع عليها السلف رحمهم الله، ليست هي الحكمة التي يثبتها المتكلمون من المعتزلة وغيرهم، فإن إثباتهم فيها قاصر، فإن السلف كما قرر شيخ الإسلام، يؤمنون بحكمة الباري سبحانه وتعالى، المتعلقة بذاته صفة له، والمتعلقة بمفعولاته على ما تقتضيه هذه الحكمة، نعمة، أو ابتلاء، أو عقوبة، أو غير ذلك، ولهذا قد يكون الشيء الواحد لبعض العباد نعمة ولبعضهم عقوبة، ولبعضهم ابتلاء ومحنة.

مثال ذلك المال؛ فإن الله سبحانه وتعالى آتى داود مالا عظيما، فقال: {ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد} [سبأ:١٠].

ولاشك أن هذا الملك والمال الواسع الذي أوتيه داود عليه الصلاة والسلام هو نعمة، ولذلك سماه الله سبحانه وتعالى فضلا، وأضافه إليه فقال: (ولقد آتينا داود منا).

وقد يكون المال عقوبة، كقوله تعالى: {فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء} [الأنعام:٤٤] قال طائفة من السلف: فتح الله عليهم الدنيا، وكما في قوله تعالى: {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه} [الكهف:٢٨]، والإغفال قد يكون بالدنيا، وقد يكون بغيرها، ولهذا قال الله تعالى لنبيه: {ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه} [طه:١٣١].

---

(١) شرح الحموية - يوسف الغفيص؟ يوسف الغفيص ١٢/١١

وقد يكون المال ابتلاء ومحنة كالولد، كما قال تعالى: {أنما أموالكم وأولادكم فتنة} [الأنفال:٢٨]، وكل هذا يرجع إلى حكمته سبحانه وتعالى وقضائه وعدله، أو فضله وإحسانه.." (١)

"النهي عن المماراة والجدال

وقوله: (ولا نماري في دين الله) اتفق أهل الإسلام على أن المماراة في الدين مما أنكر في حكم الله سبحانه وتعالى وشرعه، ولكن مع هذا فإنه يقع بين أهل الإسلام إما في المقولات: سواء في الاعتقاد، أو في بعض مسائل الفقه والفروع، أو في بعض أحوالهم المتعلقة بأحوال الدعوة وغيرها، فتقع أنواع كثيرة من المراء في دين الله.

وينبغي لكل طالب علم أو يتفقه في الدين، ومن معاني الفقه في الدين أن يكون على علم بالحكمة الشرعية التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا سمى الله ما آتى نبيه حكمة، فقال: {يؤتي **الحكمة من** يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا} [البقرة:٢٦٩] قال بعض السلف: هي النبوة، وقال بعضهم: إنها السنة، وقيل: المعنيان صحيحان، فإن سنته مبنية على الحكمة، ومن أخص أوجه **الحكمة فيها** أنه لا يصح أن تكون هذه السنة سببا للتفريق بين من صحت أصولهم واستقامت عقائدهم، فيفترقون لموجب من المقالات اليسيرة، وقد كان شيخ الإسلام رحمه الله مع أنه من أفقه الناس في هذا الباب من الأصول، يقول: (وإنه لما اختلفت الأشعرية والحنبلية كنت من أعظم الناس تأليفا، قصدا لجمع قلوب المسلمين، وأن تفريقهم إنما يحصل به قوة لعدوهم)، هذا مع أنه كان يتكلم عن قوم يراهم من أهل البدع، ولا يرى أنهم من أصحاب السنة القائمين بها المحققين لها، ولما تكلم عن الأشعرية في بعض كتبه -مع أنه ذكر ردا واسعا عليهم وألحق كثيرا من مقالاتهم بأصول الجهمية- قال: (ومع هذا كله فإذا كان الأشعرية في بلد ليس فيه إلا معتزلة، فهم القائمون بالسنة في هذا البلد).

ولما تكلم عن المعتزلة ذكر أن أقوالهم كفر بإجماع السلف، ثم قال: (ومع هذا فإنهم يحمدون بما يدعون إلى الإسلام على مذهبهم، فإن من أسلم على طريقة المعتزلة خير ممن بقي على الكفر والشرك بالله سبحانه وتعالى).

فهذه أمور من الفقه لا بد لطالب العلم أن يفقهها، وإذا كانت هذه المسألة التي بين يديك وعنها حصل النزاع والافتراق، واجبة في شرع الله سبحانه وتعالى، فإنه لا شك أن الاعتصام بحبل الله سبحانه وتعالى

(١) شرح الطحاوية – يوسف الغفيص؟ يوسف الغفيص ٤/١٠

والاجتماع عليه أوجب منها في شرع الله سبحانه وتعالى، وهو المذكور في قوله تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا} [آل عمران:١٠٣].

ولهذا كان من فقه شيخ الإسلام أن قال: وهذه المسألة -وذكر مسألة من المسائل- إنما تركت القول فيها مع إحكامه، لما استلزم القول فيها طرفا من التفريق بين المسلمين، قال: وأوجب منها الاعتصام بحبل الله والاجتماع عليه، فتركنا ما كان دونه في الوجوب لما هو أوجب.." (١)

"[المسألة الثانية] :

أن قوله (ولا يكون إلا ما يريد) فيه تداخل ما بين إرادة الله - عز وجل - وإرادة العبد.

وإرادة العبد هي مشيئته، وهي خارجة عن رؤية الحكمة.

وأما إرادة الله - عز وجل - الكونية فهي منظور فيها بالحكمة.

فالله سبحانه يريد بما يوافق الحكمة، والعبد يريد ما لا يوافق الحكمة وقد يريد ما يوافق الحكمة.

وإذا كان كذلك فإرادة الله - عز وجل - بالعبد موافقة للحكمة سواء تعلقت بالمعين أو تعلقت بالمجموع.

وهذا يعني أن إرادة العبد فيما يريده خارجة عن مقتضى حكمة الله - عز وجل -؛ إذا أراد شيئا في نفسه له - يعني له بخصوصه -.

والله - عز وجل - يريد من العبد ما يوافق حكمته، فقد تجتمع الإرادتان فيما فيه حكمة لله - عز وجل -، وقد تختلف الإرادتان فيما كان يريده العبد ولا يوافق حكمة الله - عز وجل -.

وهذا يعني أن العبد قد يتجه بإرادته إلى شيء فيصرف عنه لعدم موافقته لحكمة الله - عز وجل - في نفسه؛ يعني فيما يتعلق بالعبد أو فيما يتعلق بالمجموع.

والله - عز وجل - قد يريد الشيء كونا، ولا يكون إلا ما يريد لموافقته للحكمة في خصوص العبد في نفسه، أو ظهور **الحكمة في** نفسه أو لظهور **الحكمة في** المجموع- يعني في غيره -.

ولهذا نقول ما من شيء يريده الله سبحانه وتعالى في ملكوته إلا وهو موافق للحكمة، والشر ليس إلى الله - عز وجل -؛ بل الله سبحانه لا يوصف أو لا يضاف إليه إلا الخير.

وأما العبد فقد يريد الشيء ويكون بالنسبة له شرا فيخرج من هذه الجهة عن كونه موافقا للحكمة -يعني حكمة العبد ومصلحته-، ولكنه بالنسبة لفعل الله - عز وجل - وإرادته يوافق الحكمة التي هي منظور فيها

---

(١) شرح الطحاوية - يوسف الغفيص؟ يوسف الغفيص ٧/١٧

إلى المجموع.

وهذا يعني أن إرادة الله – عز وجل – في ملكه إنما تكون على وفق الحكمة، وحكمة الله هي القاضية لهذه الأشياء جميعا في الإرادات.

وهذا فيه رد على طوائف كثيرة من المبتدعة في مسائل القدر يأتي بيانها مفصلا إن شاء الله في موضعها في تعريف الظلم والعدل، وفي التحسين والتقبيح، وفي أيضا الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، وفي وقوع المعصية ووقوع الكفر، وفي فعل العبد بنفسه.

وهذه مسائل كبيرة تحتاج إلى بيان وتفصيل في موضعها.

المقصود من ذلك أن قوله (لا يكون إلا ما يريد) هذا موافق لما –أو تضيف عليها عبارة– أن ما يريده موافق لمقتضى الحكمة المطلقة سواء وافقت العبد المعين أو وافقت المجموع.

فالله سبحانه الشر ليس إليه كما وصفه به النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله في الدعاء (والشر ليس إليك) (١) ففعله سبحانه خير محض، وقد يأذن بالشر المضاف إلى العبد، ولا يكون شرا بالنسبة لإرادته سبحانه، فالله لا يريد ظلما للعباد، ولا يريد شرا بالعباد، وإنما العباد أرادوا ذلك بأنفسهم، وإذا وقع ذلك فإنما يقع بالإضافة إلى فعل العباد، وليس مضافا إلى الله سبحانه لأن فعله سبحانه خير محض.

---

(١) مسلم (١٨٤٨) / أبو ادود (٧٦٠) / الترمذي (٣٤٢٢) / النسائي (٨٩٧)." (١)

"[المسألة الخامسة] :

أن علم الله عز وجل شامل لكل شيء، هذا يفيد المؤمن في إيمانه بالقدر، وهو أنه سبحانه علم الأشياء، وعلم حال العبد، وعلم ما ستكون عليه هذه الأمور جميعا من دقائقها وتفاصيلها وإجمالها.

وهذا يعني أنه ليس ثم شيء يقع على وجه الصدفة بلا ترتيب سابق ولا تقدير سابق.

فإذا كان الله علم فإن معنى ذلك أنه سبحانه جعل هذا الذي علم أنه سيقع على وفق ما يشاؤه، على وفق الحكمة البالغة؛ لأن الرب المتصرف ذا الملكوت لا يقع في ملكه إلا ما يشاء أن يقع، فإذا كان علم وأيقن العبد هذا العلم الشامل الكامل فإنه يوقن بعده بالحكمة العظيمة.

ولهذا مسألة **الحكمة من** وجود الأشياء مرتبطة بالقدر علما ونفيا:

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل؟ صالح آل الشيخ ص/٣٩

- فحكمتة . مرتبطة بالقدر علما؛ لأن الله . عليم؛ ولأنه سبحانه ما شاء كان.
- ومرتبطة بالقدر نفيا في أن الخوض في الحكمة خوض في القدر.
ولهذا قال الطحاوي في آخر كلامه (وأصل القدر سر اﷲ تعالى في خلقه)
وقال في آخرها أيضا (فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه) إلى أن قال (١)

: [[الشريط السابع عشر]] :

(فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب) ، وهذه هي التي يشكل على البعض كيف دخلت في القدر، وهي مسألة الحكمة.
إذا قال المرء لم حصل كذا؟ ولم قدر كذا؟ أو لم صار الأمر على هذا النحو؟ لم صار هذا غنيا وهذا فقيرا؟ ولم صار هذا مريضا وصار ذاك صحيحا؟
كيف انتقل هذا السؤال في القدر وصار المتشكك من القدرية؟
لأن المتشكك ينفي الحكمة، ولو أيقن بعموم العلم وعموم المشيئة لأيقن بحكمة الله - عز وجل - الماضية، وأنه لا شيء يقع إلا والله سبحانه وتعالى علمه قبل أن يقع وأراده كونا وشاءه، وهذا يعني أنه لن يقع إلا على وفق حكمة الله - جل جلاله -، فلهذا صار السائل في مسائل القدر بـ: لم؟ معارضا للقدر.
ولهذا قال لك ابن تيمية في البيت الذي ذكرته لك آنفا (أو ماروا في الشريعة) يعني أن القدرية منهم من يماري في الشريعة، يماري يعني يشكك ويجادل ويسأل وكذلك قال بعدها:
وأصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض في فعل الإله بعلة
فإنهمو لم يفهموا حكمة له فصاروا على نوع من الجاهلية
فأهل الجاهلية عارضوا الشريعة بـ: لم؟ والمتشككون عارضوا أفعال الله - عز وجل - بـ: لم؟
إذا فمن أعظم مراتب الإيمان بالقدر، الإيمان بعلم الله - عز وجل - الشامل للأشياء، الشامل لكل شيء.
فإذا أيقن العبد بهذا، بعموم العلم، وعلم معنى ذلك، أيقن أيضا بحكمة الله - عز وجل - واستسلم لقدر الله ولم يخض فيه بالسؤال؛ لأن القدر سر وهو مرتبط بعلم الله - عز وجل -.
يوضح لك ذلك أن الله جل جلاله قص علينا في القرآن قصة الخضر مع موسى عليه السلام أو عليهما

السلام.

فالخضر مع موسى اختلفا واعترض موسى على الخضر، وسبب الاعتراض عدم العلم، لما كان موسى في تلك المسائل أنقص علما من الخضر واعترض حجب عن علم زائد.

ولذلك صار السؤال -سؤال الاعتراض- مرتبطا بالعلم، فإذا كان الخضر أعلم من موسى، وموسى حجب بالسؤال فدل على أن السؤال في أفعال الله أو السؤال في قدر الله أو السؤال في تصرفات خلق الله – عز وجل – أن هذا اعتراض على العلم.

وإذا كان الله – عز وجل – هو العليم بكل شيء فإنه لا يجوز للعبد أن يعترض على علمه وعلى حكمته بـ: لم؟

لهذا قال في آخر الكلام هنا (فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين) يعني قوله {لا يسأل عما يفعل} [الأنبياء:٢٣] .

هذه بعض المسائل في كلامه على مرتبة العلم.

---

(١) انتهى الشريط السادس عشر.." (١)

"[المسألة الثالثة] :

جماعة الدين حصل فيها الافتراق أو حصل فيها الخلل ووقعت الفرقة قبل الافتراق في الأبدان أو قبل اختلال جماعة الأبدان، وذلك حين نشأت الخوارج في عهد عثمان رضي الله عنه، وحدث منهم ما حدث حتى آل الأمر إلى قتل عثمان ثم بعد ذلك وقعت الفرقة واختلت الجماعة.

وهذا يؤخذ منه أن من دعا إلى الدين والاجتماع عليه وتحقيق التوحيد ونبذ البدع ووسائل الشرك والبدع وإحلال الحلال وتحريم الحرام والأمر بما أوجب الله – عز وجل – والنهي عن ضد ذلك أن هذا في الحقيقة يدعو إلى الاجتماع في الأبدان، لأنه إذا اجتمع الناس في دينهم آل الأمر إلى اجتماعهم في أبدانهم، والمسائل مرتبط بعضها ببعض.

لهذا كان من اللوازم على كل من يطلب معرفة منهج السلف والأئمة وأهل الحديث أن ينظر إلى التلازم العظيم ما بين الجماعة الأولى والجماعة الثانية أو الاجتماع الأول والاجتماع الثاني.

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل؟ صالح آل الشيخ ص/٢٢٨

والتوازن فيما بينهما هو سبيل أهل العلم، فإن الناس في هذين الأمرين على ثلاثة أنحاء:

@ الفئة الأولى: منهم من قدم تحقيق المطالب الدينية ورعاه حتى ولو حصل خلل في الاجتماع في الأبدان– يعني بحسب اعتقادهم –.

وهذا هو طريقة من ضل في هذا الباب وغلا من الخوارج والمعتزلة، ومن رأى رأيا يشابه ما قاله الخوارج والمعتزلة ونحوهما.

@ الفئة الثانية: من تساهلت فرأت المحافظة على الجماعة في الأبدان والدنيا سبيلا لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة الواجبة وإعلان الحق بضوابطه الشرعية في أمر الجماعة، فتركوا إنكار المنكر من الشرك والبدع تساهلا وضعفا.

@ الفئة الثالثة: هم الراسخون في العلم ومن تولاه الله – عز وجل – بتوفيقه، فإنهم أخذوا بهذا وهذا، فدعوا إلى الاجتماع في الدين وتحقيق ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبنشر العلم النافع والدعوة إلى ذلك وبالنصيحة بطرقها الشرعية، ولم يروا ذلك مخالفا لما أوجب الله – عز وجل – من الاجتماع في الأبدان والدنيا، فوازنوا بين هذا وهذا وأجروا **الحكمة في** هذا وهذا.

ولا شك أن أحوال الناس تختلف في مثل هذه المقامات ما بين مقام الأمن ومقام الخوف ومقام الفتنة ومقام الاستقرار.

والراسخون في العلم ومن تبعهم يضعون لكل شيء موضعه، فلا يتركون الأمر والنهي والدعوة والنصيحة لأجل توهم أن هذا يفرق، ولا يأمرون مع مظنة وجود الفرقة.

ولهذا يقول ابن تيمية رحمه الله في رسالته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أن الآمر والناهي إذا ظن أنه ستحدث مفسدة لأمره ونهيه أكبر مما أمر به ونهى، فإنه لا ينكر، وقال: يأثم إذا أنكر) .

لأن الشريعة جاءت لتحقيق المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها.

وهذا بخلاف التوهم، لأن التوهم غير الظن الراجح، غير ما يعلمه أهل العلم مما ستحدثه الأمور.

التوهم هذا راجع للخوف، فمن الناس من يخاف أن يقول لفلان: اتق الله في كذا وكذا أو صل الصلاة، يتوهم أن كل شيء سيؤثر على النفوس وأن كل شيء سيغير، الخ.

وهذه حيلة وطريقة من ترك ما أوجب الله – عز وجل –، وهي طريقة بني إسرائيل التي ذم الله – عز وجل – الناس عليها.

لهذا يجب في هذه المسائل أن يؤخذ بطريقة أئمة الإسلام الراسخين في العلم ممن رعوا هذا وهذا، وأن الاجتماع في الدين هو الأصل الذي يجب أن يدعى إليه، وأن الاجتماع في الأبدان والدنيا أن هذا أصل عظيم يجب المحافظة عليه، والموازنة بين هذا وهذا إنما يدركه أهل العلم الراسخون.
وما ضلت الخوارج - يعني في أصلها- إلا لأجل أنهم رأوا أن تحقيق ما يظنون من الشريعة يحصل بقتل عثمان وبجمع الناس على ما يرون، ثم حصل من المعتزلة ما حصل، الخ، فحصل الفساد والشر بسبب التفريط في الموازنة والوسط في هاتين المسألتين العظيمتين.." (١)
"وحبيب رب العالمين

يعني نبينا صلى الله عليه وسلم حبيب رب العالمين، بل خليل رب العالمين، لو قال الشيخ الطحاوي: "وخليل رب العالمين" لكان أولى؛ لأن الخلة أكمل من المحبة، ثبت له -عليه الصلاة والسلام- الخلة كما ثبتت لإبراهيم.
قال -عليه الصلاة والسلام-: (إني أبرأ من الله أن يكون لي منكم خليل، إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا) وبالحديث الآخر: (لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكرا خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن) يعني نفسه.
فإذن الخلة ثابتة لنبينا صلى الله عليه وسلم والخلة أعلى مقامات المحبة، أعلى مقامات المحبة، والمحبة ثابتة لغير الخليل قال الله تعالى: {إن الله يحب المتقين (٤) } {إن الله يحب المحسنين (١٩٥) } {إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين (٢٢٢) } .
هذه المحبة ثابتة لهم، لكن الخلة فوق ذلك، والخلة لم تكن إلا لاثنين: لإبراهيم ومحمد -عليهم السلام- ، فهما الخليلان.
وأما ما يقوله بعض الناس ويزعمه من أن الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، ويقول: إبراهيم خليل الله، ومحمد حبيب الله. هذا باطل، بل محمد أيضا خليل الله.
ويروى في ذلك حديث رواه الترمذي: (إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر) هذا حديث ضعيف، لا يصح، رواه الترمذي: (إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر) هذا حديث ضعيف،

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل؟ صالح آل الشيخ ص/٧١٨

في سنده ضعيفان: زمعة بن صالح، وسلمة بن وهران، وهما ضعيفان؛ فلا يصح الحديث.

والصواب أن محمدا خليل الله كما أن إبراهيم خليل الله، فقول الشيخ: "هو حبيب الرحمن" يوهم أنه لا يثبت الخلة لمحمد، لو قال: "وخليل الرحمن"، "وخليل رب العالمين" كان أحسن، لو قال الطحاوي بدل "وحبيب رب العالمين": "وخليل رب العالمين" لكان أحسن؛ حتى يثبت الخلة، فالخلة ثابتة لاثنين: لإبراهيم ومحمد -عليهما الصلاة والسلام-.

والخلة هي نهاية المحبة -نهايتها-؛ وذلك لأن المحبة مراتب، المحبة لها مراتب، ولها درجات ومراتب: أول مراتب المحبة العلاقة، وهي تعلق القلب بالمحب، ثمة علاقة تعلق القلب بالمحب.

المرتبة الثانية: إرادة، وهي إدارة المحبوب وطلبه له، إرادة المحب للمحبوب وطلبه له.

المرتبة الثالثة: الصبابة، وهي انصباب القلب إلى المحب، بحيث لا يملكه كانصباب الماء إلى الحجور.

الرابع: الغرام، وهو الحب الملازم للقلب، سمي غراما لملازته له، ومنه الغريم، سمي غريما لملازمته لغريمة صاحب الدين إذا لقي المدين لزمه، ومنه قوله تعالى في جهنم: {إن عذابها كان غراما (٦٥) } يعني ملازما.

المرتبة الخامسة: المودة والود، وهو صفو المحبة وخالصها ولبها، ومنه قوله تعالى: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا (٩٦) } .

المرتبة السادسة: الشغف، وهو الحب الذي وصل إلى شغاف القلب، وهو غلافه، وهي الجلدة التي دون الحجاب.

المرتبة السابعة: العشق، وهو الحب المفرط الذي يخشى على صاحبه، وهذا لا يوصف به الرب، هذه المرتبة لا يوصف بها الرب، ولا يوصف العبد بها في محبته لربه؛ لأنه لم يرد، ولعل **الحكمة في** ذلك أنها محبة مع شهوة.

الثامن: التتيم، وهو التعبد، ومنه تيم الله أي عبد الله، يقال: تيمة الحب. أي عبده وذلله.

التاسع: التعبد، وهو غاية الذل مع غاية المحبة، يقال: طريق معبد إذا وطئته الأقدام، غاية الذل مع غاية المحبة، ومحبة العبودية خاصة بالله، ولا تكون إلا لله، وهي غاية الذل مع غاية الحب، فإذا صرفت لغير الله كانت شركا.

العاشر: الخلة، وهي سميت خلة لأنها لتخللها القلب والروح، تتخلل القلب والروح حتى تصل إلى

سويدائك، كما قال الشاعر:

قد تخللت مسلك الروح مني *** ولذا سمي الخليل خليلا

والخلة هي نهاية المحبة وكمالها، ولا يتسع القلب لأكثر من خليل واحد، القلب يمتلئ ما يتسع لأكثر من خليل واحد؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله) يعني نفسه -عليه الصلاة والسلام-.

يعني لو كان في قلبي متسع لكان لأبي بكر، ولكن قلبي امتلأ بخلة الله، فليس فيه متسع، لو كان فيه متسع لكان لأبي بكر، لكن القلب لا يتسع لأكثر من خليل، امتلأ قلبه -عليه الصلاة والسلام- بخلة الله، فلا يتسع لأكثر من واحد.." (١)

"الدليل الثاني: ما ثبت في صحيح البخاري ومسلم -رحمهما الله- بروايات متعددة أنه أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وعرج بشخصه إلى السماء وأنه اجتمع بالأنبياء وصلى بهم إماما وأنه التقى بعدد من الأنبياء في كل سماء وأن الله فرض عليه الصلاة خمسين ثم خففها إلى خمس بواسطة تردده بين ربه وبين موسى وأنه رأى جبريل عند سدرة المنتهى على صورته التي خلق عليها، وكل هذه الروايات ظاهرها أنه أسري بروحه وجسده -عليه الصلاة والسلام-.

وبهذا يتبين أن الصواب أنه أسري بروحه وجسده عليه الصلاة والسلام وأنه لا بد للمسلم أن يؤمن بالإسراء والمعراج، ومن أنكر الإسراء كفر؛ لأنه مكذب لله ومن أنكر المعراج فلا بد من إقامة الحجة عليه، الفوائد الأصولية المستنبطة من حديث الإسراء والمعراج، هناك فوائد أصولية وهناك فوائد عامة، من الفوائد الأصولية المستنبطة من حديث الإسراء والمعراج

أولا: جواز النسخ قبل التمكن من الفعل جواز النسخ قبل التمكن من الفعل حيث فرضت الصلاة خمسين أولا ثم نسخت بأن خففت إلى خمس وهذا في السماء قبل تمكن العباد من الفعل.

ثانيا: الفائدة الثانية الأصولية: جواز تأخير البيان إلى وقت الحاجة حيث أعلم النبي صلى الله عليه وسلم الأمة بفرضية الصلاة إجمالا بدون تفصيل لأركانها وشروطها وهيئاتها وأوقاتها، ثم لما جاء وقت الصلاة نزل جبريل فأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وجاء وحدد له الأوقات أما الفوائد الأخرى العامة المستنبطة من حديث الإسراء والمعراج ففيه أولا إثبات العلو لله عز وجل من وجوه: حيث إن الرسول -

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي؟ عبد العزيز الراجحي ص/٧١

عليه الصلاة والسلام- عرج به إلى ربه عز وجل ثم جاوز السبع الطباق ثم لما كان يتردد بين ربه وبين موسى في كل مرة يعلو به جبرائيل إلى الجبار -تبارك وتعالى- فيه الرد على من أنكر العلو من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم.

ثالثا: إثبات الكلام لله عز وجل حيث فرض الله -سبحانه- عليه الصلاة بدون واسطة وفيه الرد على من أنكر الكلام.

رابعا: فضيلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعظم منزلته عند الله عز وجل حيث جاوز الأنبياء كلهم وجاوز السبع الطباق وصلى بالأنبياء إماما بعضهم استنبط أن رسول الله رآه بعين رأسه لكن هذا ضعيف كما سبق بالأمس.

خامسا: مشاركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لموسى -عليه الصلاة والسلام- في التكليم وأن التكليم ليس خاصا بموسى كما أن الخلة ليست خاصة بإبراهيم بل يشاركه فيها نبينا أيضا، فكما أن إبراهيم خليل الله فمحمد خليل الله وكما أن موسى كليم الله فمحمد كليم الله كلمه الله بدون واسطة ليلة المعراج.

سادسا: شفقة موسى ورحمته بهذه الأمة حيث أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه التخفيف لأمته في الصلاة.

سابعا: عظم مخلوقات الله -تعالى- وسعتها هذا يدل على عظمة الخالق.

ثامنا: معجزة الرسول -عليه الصلاة والسلام- في الإسراء والمعراج في ليلة واحدة تاسعا استشارة أهل الفضل والصلاح حيث التفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كأنه يستشيره.

مسألة: والحكمة من تقديم الإسراء إلى بيت المقدس قبل المعراج ما الحكمة من تقديم الإسراء إلى بيت المقدس قبل المعراج الحكمة والله أعلم لإظهار صدق دعوى النبي صلى الله عليه وسلم المعراج حيث سألته قريش عن نعت بيت المقدس فنعته لهم وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك إذ لا يمكن اطلاعه ولا يمكن اطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس فأخبرهم بنعته، وقيل: الحكمة أن يجمع صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة بين رؤية القبلتين أو؛ لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله، وحصل له الرحيل إليه في الجملة ليجمع بين أشراف الفضائل أو؛ لأنه محل الحشد وغالب ما اتفق له في تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية فكان المعراج منه أليق بذلك أو للتفاعل ليحصل وللتفاعل بحصوله أنواع التقديس له حسا ومعنى،

أو ليجتمع بالأنبياء جملة وذهب بعض العلماء إلى أن الحكمة هي لتحصيل العروج مستويا بغير تعويج؛ لأن كعب الأحبار روى أن باب السماء الذي يقال له: مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس لكن هذا فيه نظر لورود أن في كل سماء بيتا معمورا وأن الذي في السماء الدنيا حيال الكعبة فكان المناسب أن يصعد من الكعبة من مكة ليصعد إلى البيت المعمور بغير تعويج وهذا ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري.

والبراق دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض طويل يضع خطوه عند أقصى طرفه وبهذا ننتهي من هذا البحث تعيد كلام المؤلف -رحمه الله-

قال -رحمه الله- -تعالى-: والمعراج حق وقد أسري بالنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وعرج به.

قوله: المعراج حق يعني: ثابت وكذلك أسري بشخصه حق ثابت لا بد من الإيمان به نعم.

وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء.

عرج بشخصه يعني: الشخص اسم للروح والجسد هذا إلى السماء عرج بروحه وجسده نعم.." (١)

"والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روي في الأخبار

الشفاعة التي ادخرها لهم حق كما جاء في الأخبار الشفاعة في اللغة قيل: الوسيلة والطلب، والحق أنها مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر، فهي إذا الشفاعة في اللغة ضم الشيء إلى الشيء به يصير الشيء زوجا بعد إذ كان منفردا فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له هذه الشفاعة في اللغة مشتقة من الشفع وهي ضم الشيء إلى الشيء به يصير الشيء زوجا بعد إذ كان منفردا، وقيل: الوسيلة والطلب، وأما الشفاعة شرعا واصطلاحا فقيل: سؤال الخير للغير، وقيل: هي التجاوز هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم، وقيل: هي مساعدة ذي الحاجة صاحب الحاجة عند من يملك الحاجة، والمشفع والمشفع المشفع اسم فاعل من شفع يشفع فهو شافع وشفيع وهو الذي يقبل الشفاعة والمشفع اسم مفعول من شفع يشفع وهو الذي تقبل شفاعته.

أقسام الشفاعة: الشفاعة قسمان: مثبتة وهي لأهل التوحيد، ومنفية وهي لأهل الشرك إذا الشفاعة نوعان: شفاعة مثبتة وهي لأهل التوحيد الشفاعة لا تكون إلا للموحدين من مات على التوحيد فله الشفاعة، والثانية: شفاعة منفية، وهي لأهل الشرك الشرك الأصلي كما قال الله: {فما تنفعهم شفاعة الشافعين (٤٨) }

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي؟ عبد العزيز الراجحي ص/١٥٢

الشفاعة المثبتة والشفاعة المثبتة هي التي لا تكون إلا للموحدين لأهل التوحيد لأهل الإيمان، أما الكفرة لا نصيب لهم في الشفاعة منفية عنهم إذا الشفاعة المنفية للكفرة والشفاعة المثبتة للموحدين أقسام الشفاعة المثبتة ثمانية:

القسم الأول: الشفاعة العظمى وهي التي تكون في موقف القيامة لإراحة الناس من الموقف وهي خاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ودليلها حديث الصور الطويل وفيه (أن الناس يأتون آدم ثم نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم يأتون نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فيذهب فيسجد تحت العرش في مكان يقال له: الفحص فيقول الله: ما شأنك وهو أعلم؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقول: يا ربي وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك، فاقض بينهم فيقول الرب -سبحانه وتعالى- شفعتك أنا آتيكم فأقضي بينهم قال: فأرجع فأقف مع الناس) .

ولكن الأئمة حينما يوردون أحاديث الشفاعة حديث الشفاعة من طرق متعددة لا يذكرون فيه الشفاعة العظمى في أن يأتي الرب لفصل القضاء كما ورد في حديث الصور مع أن فصل القضاء هو المقصود في هذا المقام ومقتضى سياق أول الحديث بل يعتدون إلى الشفاعة في عصاة الأمة وإخراجهم من النار فما الحكمة من ذلك؟ يعني: العلماء إذا ذكروا حديث الشفاعة وصلوا إلى موقف القيامة عدلوا وذكروا الشفاعة في إخراج العصاة من النار ولم يتكلموا في الشفاعة لإراحة الموقف، فما السر وما الحكمة؟.

جواب ذلك أن مقصود السلف في الاقتصار على هذا المقدار من الحديث مقصودهم هو الرد على الخوارج والمعتزلة والزيدية الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي في النص الصريح في الرد عليهم في بدعتهم هذه المخالفة للأحاديث.

النوع الثاني من الشفاعة الشفاعة لأهل الجنة في الإذن لهم في دخولها، ودليلهم ما في صحيح مسلم عن أنس – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أنا أول شفيع في الجنة) .

النوع الثالث: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ودليله حديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب وهو في الصحيحين ومن الأدلة أيضا قول الله -تعالى- في جواب قول النبي صلى الله عليه وسلم لما قال: أمتي أمتي قال: (أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن) أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه الذين يدخلون الجنة بغير حساب وهم شركاء الناس في بقية الأبواب.

النوع الرابع: الشفاعة في رفع درجات قوم من أهل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثوابهم ومن دليل ذلك حديث أنس (أنا أول شفيع في الجنة) .

هذه أربعة أنواع ما خالف فيها أحد وافق فيها حتى الخوارج والمعتزلة هذه الأنواع بأن الشفاعة خاصة بالمؤمنين الشفاعة العظمى ما أنكرها أحد وهي الشفاعة لفصل القضاء بين الناس، والشفاعة لأهل الجنة في الإذن لهم في دخولها هذه للمؤمنين، والشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب هذه للمؤمنين، والشفاعة في رفع درجات قوم من أهل الجنة هذه للمؤمنين ما أنكرها الخوارج أو المعتزلة بقي أربعة أنواع هي التي أنكرها أهل البدع.." (١)

"النوع الخامس: الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة ودليلها ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال (السابق يدخل الجنة بغير حساب) والمتصل برحمة الله والظالم نفسه وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم. السادس: الشفاعة في قوم قد أمر بهم إلى النار لا يدخلونها ودليلها حديث حذيفة عند مسلم وفيه: (ونبيكم على الصراط يقول: رب سلم) السابع: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه وهي خاصة بأبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ودليلها ما ورد في طرق متعددة أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له: (إن أبا طالب يحميك ويذود عنك ويؤويك فهل نفعته؟ قال نعم وجدته في غمرات من نار فأخرجته منها إلى ضحضاح من نار يغلي منها دماغه) أسأل الله السلامة والعافية.

الثامنة: الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ممن دخلوا النار ليخرجوا منها وهذا أدلته متواترة تواتر بهذا النوع الأحاديث من ذلك حديث أنس - رضي الله عنه - (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) وهذه شفاعة تتكرر من النبي صلى الله عليه وسلم أربع مرات كما ثبت في حديث أنس وأنه في المرة الأولى يقال: (أخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، وفي الثانية يقال له: أخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، وفي الثالثة يقال له: أخرج من كان في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان، وفي الرابعة يقال له: يقول لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله أو أخرج منها من قال: لا إله إلا الله)

فالمتفق عليه من الأمة الأربعة الأولى، وهذه الأربعة الأخيرة مختلف فيها خالف فيها الخوارج والمعتزلة

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي؟ عبد العزيز الراجحي ص/١٥٨

وأنكروها جهلا منهم بصحة الأحاديث وعنادا ممن علم ذلك واستمر على بدعته الوعيدية، يعني: الخوارج والمعتزلة زعموا أن الشفاعة إنما هي للمؤمنين خاصة في رفع بعض الدرجات، والفائدة **والحكمة من** الشفاعة هي إكرام الشفيع في قبول شفاعته كما في الحديث: (اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء) وحكمة إلهام الناس التردد إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم في موقف القيامة يسألون الأنبياء أن يشفعوا لهم، ولم يلهموا لمجيء النبي صلى الله عليه وسلم من أول وهلة لإظهار فضله وشرفه صلى الله عليه وسلم.

أقسام الناس في الشفاعة ثلاثة:

قسم غلوا في إثباتها فأثبتوها مطلقة وهم المشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وبعض الصوفية فأثبتوا شفاعة الأصنام والأوثان ويجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا.

وقسم غلوا في نفيها فنفوا شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره في أهل الكبائر، وهم الخوارج والمعتزلة.

وقسم توسطوا وهم أهل السنة والجماعة فيقرون بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر وشفاعة غيره ويشترطون لها شرطين أخذوهما من النصوص:

أحدهما: إذن الله للشافع أن يشفع ودليله قول الله –تعالى –: {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}

والثاني: والثاني رضى الله عن المشفوع له، ودليله قول الله –تعالى–: {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى} وينفون الشفاعة التي تكون للمشرك عملا بقول الله –تعالى–: {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى} ويوفون الشفاعة التي تكون للمشرك عملا بقول الله ––تعالى–: {فما تنفعهم شفاعة الشافعين (٤٨) }

مسألة: الأعمال الموعود عليها الشفاعة قال السفاريني –رحمه الله– إن الأعمال الموعود عليها الشفاعة خمسة:

الأول: إخلاص التوحيد من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه ودليله حديث أبي هريرة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله. قال: من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه)

الثاني: الدعاء بما ورد بعد سماع النداء يعني: إجابة المؤذن والدعاء بما ورد ودليله حديث جابر: (من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة)

الثالث: الصبر على لأواء المدينة وجدبها، ودليله حديث سعد بن أبي وقاص: (لا يصبر أحد على لأواء المدينة وجدبها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة)

الرابع: الموت في أحد الحرمين، ودليله حديث سلمان (من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين)

الخامس: الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم عشرا في الصباح وعشرا في المساء، ودليله حديث أبي الدرداء: (من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة) هذا الذي ذكره السفاريني -رحمه الله- لكن هذه الأنواع فيها نظر.." (١)

"ولهذا الأصل لوازم وفروع كثيرة فاسدة ذكرها ابن القيم -رحمه الله- من تسعين وجها والذي عليه أهل السنة والجماعة هو إثبات العلة والحكمة في أفعال الله وشرعه وقدره فما خلق شيئا ولا قضاه ولا شرعه إلا لحكمة بالغة وإن قصرت عنها عقول البشر، والأدلة الدالة على إثبات هذا الأصل كثيرة وأنه سبحانه حكيم شرع الأحكام لحكمة ومصلحة فما خلق شيئا عبثا ولا خلق شيئا سدى من ذلك قول الله -تعالى-: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا} وقوله: {أيحسب الإنسان أن يترك سدى (٣٦) } وقوله: {وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين (٣٨) ما خلقناهما إلا بالحق} وقال {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (١٠٧) } وقال: {ليكون للعالمين نذيرا (١) } وأهل السنة توسطوا فأثبتوا أن العباد فاعلون ولهم قدرة على أعمالهم ولهم إرادة ومشيئة وأن الله خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم فأفعال العبد تضاف إليه على جهة الحقيقة والله ۓلقه وخلق فعله {والله خلقكم وما تعملون (٩٦) } فأخبر أن العباد يعملون ويصنعون ويؤمنون ويكفرون ويفسقون ويكذبون فللعبد مشيئة ولا تكون إلا بمشيئة الله {وما تشاءون إلا أن يشاء الله} والله أعلم نعم اقرأ.

قال -رحمه الله تعالى- وقد علم الله -تعالى- فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة.

نعم، وهذه الإرادة هذه المرتبة الأولى من مراتب القدر أن الله علم ما يعمله العباد يعلم كل شيء سبحانه كما ثبت يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهو يعلم أفعال عباده وحركاتهم وسكناتهم وأفعالهم وما يشاءن خلق ذلك وكتب ذلك علم ذلك وكتبه في اللوح المحفوظ قبل خلقه كما ثبت في

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي؟ عبد العزيز الراجحي ص/١٥٩

الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو (إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء) فالله علم أفعال العباد وحركاتهم وسكناتهم وأعمالهم وخلق ذلك قبل أن تخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء نعم.

فلا يزداد في ذلك العدد ولا ينقص منه.

نعم، لا يزداد ولا ينقص منه مكتوب في اللوح المحفوظ قال –سبحانه-: {وكل شيء أحصيناه في إمام مبين (١٢) } والإمام المبين هو اللوح المحفوظ قال –سبحانه-: {ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب} وهو اللوح المحفوظ، وقال –سبحانه-: {ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير (٢٢) } وهو اللوح المحفوظ نعم.

أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه

وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه.

نعم كذلك أفعالهم وغير أفعالهم حركاتهم وسكناتهم كلها مكتوبة نعم.

كل ميسر لما خلق له

وكل ميسر لما خلق له.

نعم كل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم الله –تعالى- يسر أهل السعادة للسعادة يسر أهل الجنة للسعادة يعملون بعمل أهل الجنة يموتون على التوحيد والإيمان ويعملون بعملهم ويسر الكفرة للكفر يعملون بعمل أهل النار فيموتون على الكفر فيدخلون النار المؤمنون يسرهم للإيمان والتوحيد والعمل الصالح ويموتون على التوحيد فيدخلون الجنة والكفار يسرهم للكفر وللمعاصي فيموتون على الكفر فيدخلون النار –نسأل الله السلامة والعافية- نعم.

الأعمال بالخواتيم

والأعمال بالخواتيم.

نعم، الأعمال بالخواتيم من ختم له بالتوحيد والإيمان صار من أهل الجنة، ومن ختم له بالكفر صار من أهل النار كما في الأحاديث الصحيحة من أحاديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وهو من أحاديث الأربعين النووية (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمة أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله

وعمله وشقي أو سعيد فوالله الذي لا إله إلا هو إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) .." (١)

"فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة

نعم، هكذا التحذير ينبغي للإنسان أن يحذر كل الحذر بالتفكير والنظر والوسوسة، والاعتراض على الله لماذا خلق هذا؟ لماذا أوجد هذا؟ لماذا هذا هدى هذا؟ لماذا أضل هذا؟ ما تعترض على الله لماذا جعل هذا غنيا وهذا فقيرا تعترض على الله وتقول: هذا ما يستحق فلان ما يستحق قد يقول بعض العامة: فلان ليس كفئا لذلك هذا نوع اعتراض الله حكيم عليم الله -تعالى- قدر أن يكون هذا غنيا فلا تعترض على الله له **الحكمة في** ذلك قدر أن يكون هذا فقيرا قدر أن يكون هذا مؤمنا، قدر أن يكون هذا كافرا قدر أن يكون هذا مطيعا قدر أن يكون هذا عاصيا لا تعترض، هذا سر الله في خلقه له الحكمة البالغة فلا تقول: لم؟ ولا تقول: كيف؟ نعم، فإن فعلت فهذا ذريعة ووسيلة إلى حرمانك من التوحيد الخالص وسبب في طغيانك ومجاوزتك الحد نعم.." (٢)

"فإن الله -تعالى- طوى علم القدر عن أنامه

عن أنامه طوى علمه عن أنامه الأنام هم الناس الخلق يعني: طوى الله علم القدر عنهم يعني: أخفاه -سبحانه وتعالى- طوى بمعنى أخفى الإعلام عن الناس أخفاه عنهم، فهذا مما اختص به -سبحانه- فلا يعلم ذلك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ما يعلموا لماذا؟ **الحكمة في** خلق هذا وإيجاد هذا وإغناء هذا وإفقار هذا وإضلال هذا وإماتة هذا، هذا يعيش لمدة طويلة، هذا يعيش عمره ستين وهذا سبعين، وهذا مائة يعيش للمائة، وهذا يعيش للمائة وعشرين وهذا يموت وهو ابن أربعين، وهذا يموت وهو ابن ثلاثين وهذا يموت ابن عشرين وهذا يموت ابن عشر سنوات وهذا يموت طفلا وهذا يموت في بطن أمه ما تقول: لماذا؟ ما تقول لم ولا تقول كيف؟ هذا سر الله في خلقه له الحكمة البالغة -سبحانه وتعالى- هذا غني

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي؟ عبد العزيز الراجحي ص/١٧٠

(٢) شرح الطحاوية للراجحي؟ عبد العزيز الراجحي ص/١٧٤

عنده ملايين وهذا فقير لا يجد غداء ولا عشاء، له الحكمة البالغة، هذا عالم كبير وهذا جاهل، له الحكمة البالغة، فلا تسأل فلا تعترض فلا تقل: لم؟ ولا كيف؟ هذا سر الله طواه يعني: أخفاه عن أنامه عن الناس نعم.." (١)

"هذا قيد لكل دليل عام يأمر بطاعة ولي الأمر، إذا أمر بمعصية ولي الأمر، بأن تشرب الخمر، ما تطيعه لكن لا تخرج عليه، ولا تؤلب الناس عليه، ولا تنزع يدا من طاعته لكن لا تطيعه في هذه المعصية، أمرك بالتعامل بالربا لا تطيعه أمرك بأن تقتل نفسا معصية لا تطيعه، الأمير أمرك بالمعصية لا تطيعه، والدك إذا أمرك بمعصية لا تطيعه، الزوجة إذا أمرها زوجها بمعصية لا تطيعه، العبد إذا أمره سيده بالمعصية لا يطيعه لا أحد يطاع في معصية، يقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) لكن كونك لا تطيع ولي الأمر في معصية، ليس معنى ذلك أنك تتمرد عليه، وأنك تخرج عليه، وأنك تؤلب الناس عليه لا المعنى أنك لا تطيعه في هذه المعصية، لكن ما عداها تسمع له، وتطيع كذلك الولد لا يتمرد على أبيه لكن إذا أمره بالمعصية لا يطيعه في المعصية، وما عداها يطيعه، الزوجة لا تتمرد على زوجها لكن إذ أمرها بالمعصية لا تطيعه، لكن تطيعه فيما عدا ذلك، العبد لا يتمرد على سيده، لكن إذا أمره بالمعصية لا يطيعه، لكن يطيعه فيما عدا ذلك. واضح.

هذا ما أحد يطاع في المعاصي، المعاصي لا أحد يطاع فيها لقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) وقال -عليه الصلاة والسلام- (إنما الطاعة في المعروف) وثبت في صحيح البخاري (أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية، وأمر عليها رجلا من الأنصار، فلما كان في بعض الطريق أغضبوه، أغضبوا أميرهم، فقال لهم: اجمعوا حطبا، فجمعوا حطبا، ثم قال: أججوها نارا، فأججوها نارا، ثم قال ادخلوا فيها، فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: أسلمنا، وجئنا إلى رسول الله خوفا من النار، فكيف ندخل في النار، فلم يدخلوا في النار، وتركوه حتى سكن غضبه، فلما وصلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه قال: لو دخلوا فيها، ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف(.

هذا أمر بمعصية، قال: ادخلوا النار، هذه معصية لا يجوز لإنسان أن يحرق نفسه، (لو دخلوا فيها ما خرجوا منها) هذا وعيد (إنما الطاعة في المعروف) .

ومن الأدلة حديث حذيفة الطويل، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تلزم جماعة المسلمين،

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي؟ عبد العزيز الراجحي ص/١٧٥

وإمامهم، قلت: يا رسول الله، فإن لم يكن لهم جماعة، ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يأتيك الموت، وأنت على ذلك) .

ومن الأدلة حديث ابن عباس -رضي الله عنهما (من رأى من أميره شيئا يكرهه، فليصبر؛ فإنه من فارق الجماعة شبرا، فمات فميتته جاهلية) وفي رواية، (فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه) هذا الحديث دليل على أن الخروج على ولاة الأمور من كبائر الذنوب، حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما) ومن أقوى الأدلة على أنه لا يجوز الخروج على ولاة الأمور، حديث عوف بن مالك الأشجعي في صحيح مسلم، انتبهوا للحديث حديث عوف بن مالك الأشجعي في صحيح مسلم، يقول النبي صلى الله عليه وسلم (خيار أئمتكم الذين تحبونهم، ويحبونكم، وتصلون عليهم، ويصلون عليكم) .

يعني: تدعون لهم، ويدعون لكم (وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم، ويبغضونكم، وتلعنونهم، ويلعنونكم، قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابزهم بالسيف؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة) ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم (ألا من ولي عليه وال، فرآه يأتي شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدا من طاعة) هذا صريح، والحديث دليل على أن ترك الصلاة كفر؛ لأنه قال: (لا، ما أقاموا فيكم الصلاة) فمفهومه أنهم إذا لم يقيموا الصلاة، فهم كفار، يجوز الخروج عليهم، ثم قال (ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدا من طاعة) صريح بأنك إذا رأيت من ولاة الأمور شيئا تكرهه تكره المعصية، ولكن لا تخرج على ولاة الأمور.

الحكمة من المنع من الخروج على ولاة الأمور، ولو فعلوا المعاصي، ولو فعلوا الكبائر، العلماء ذكروا هذه الحكمة، واستنبطوها من النصوص، وهذه الحكمة داخلة تحت قاعدة اجتماع المفاسد والمصالح، وأنه إذا القاعدة الشرعية، إذا وجد مفسدتان لا يمكن تركهما؛ فإننا نرتكب المفسدة الصغرى لدفع الكبرى، وإذا وجد مصلحتان لا يمكن فعلهما نفعل المصلحة الكبرى، وندفع المصلحة الصغرى.." (١)

"والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء، ولا ينقضهما

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي؟ عبد العزيز الراجحي ص/٢٧٨

وهذا من أصول أهل السنة أيضا، ومعتقدهم، وهو مضي الحج والجهاد مع أولي الأمر مسلما براكان، أو فاجرا، هذا من أصول أهل السنة خلافا لأهل البدع من الروافض والخوارج والمعتزلة؛ فإنهم لا يرون الحج، ولا الجهاد مع ولي الأمر البر والفاجر؛ لأن الخوارج يرون الإمام إذا كان فاجرا يجب قتله وخلعه، وإخراجه من الإمامة؛ لأنه كافر، والمعتزلة كذلك يرون أنه خرج من الإيمان، ودخل في الكفر، والرافضة لا يرون الإمامة إلا إمامة المعصوم، وأهل السنة يخالفونهم، ويرون الحج والجهاد مع ولي الأمر براكان أو فاجرا.

والأدلة في هذا كثيرة، وهي الأدلة التي سبقت، ومن الأدلة الأحاديث التي فيها حديث أبي هريرة (الصلاة واجبة مع كل أمير براكان أو فاجرا وإن عمل بالكبائر والجهاد، واجب عليكم مع كل أمير براكان، أو فاجرا، وإن عمل بالكبائر) والأدلة التي سبقت، في أنه لا يجوز الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي، **والحكمة في** هذا، في منع الإسلام، الخروج على ولي الأمر، وغض النظر عن فجوره، وإيجاب الحج والجهاد معه.

الحكمة في هذا أن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس فيهما، ويقام فيهما العدل، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر، أما الرافضة، فمذهبهم أنه لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضي من آل محمد الذي دخل السرداب، يخرج، وينادي مناد من السماء اتبعوه، وهو المهدي المنتظر الثاني عشر من نسل الحسين، وهو محمد بن الحسن العسكري، وقد دخل سرداب سامراء سنة ستين، ومائتين في العراق، وذلك أنهم يقولون: إن الله أردف الرسالة بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم بالإمامة، فنصب أولياء معصومين منصوصين ليأمن الناس من غلطهم وسهوهم وخطئهم؛ فينقادون إلى أوامرهم؛ لأن لا يخلي الله العالم من لطفه ورحمته.

وقالوا: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم قام بثقل الرسالة وأعبائها، ونص على أن الخليفة بعده علي بن أبي طالب، ثم من بعده الحسن بن علي، ثم الحسين بن علي، ثم علي بن محمد، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم الخلف الحجة المهدي المنتظر محمد بن الحسن، الذي دخل سرداب سامراء سنة ستين، ومائتين، ولم يخرج منه إلى الآن.

شيخ الإسلام يقول: مضى عليه أربعمائة سنة في عهده، ونحن نقول الآن مضى عليه ألف، ومائتان سنة ولم يخرج، وهو شخص موهوم لا حقيقة له؛ لأن أباه الحسن مات عقيما، ولم يولد له، الحسن مات

عقيما، ولم يولد له فاختلقوا له ولدا وأدخلوه السرداب، ومضى عليه ألف، ومائتان، ولم يخرج، وهم في كل سنة يقول العلماء: من القديم إلى الآن يأتون عند باب السرداب، ويأتون بدابة بغلة، أو غيرها، وينادون بأصوات مرتفعة يا مولانا، اخرج يا مولانا، اخرج يا مولانا، اخرج يا مولانا اخرج، ويجعلون أناسا يقفون طرفي النهار في أمكنة بعيدة من المشهد في أوقات النهار، وإذا جاءت الصلاة لا يصلون، فإذا قيل لهم لماذا لا تصلون؟ قالوا نخشى أن يخرج المهدي، فننشغل بالصلاة عن خدمته.

فإذن شرط الرافضة في الإمام أن يكون معصوما، وهذا، نقول الرد: أن هذا الدليل لا دليل عليه، أين الدليل على العصمة، بل إن في حديث عوف بن مالك الأشجعي ما يدل على أن الإمام، لا يكون معصوما يقول: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم، ويحبونكم، وتصلون عليهم، ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم، ويبغضونكم، وتلعنونهم، ويلعنونكم، قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابزهم بالسيف؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال، فرآه يأتي شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية، ولا ينزعن يدا من طاعة) أين الوجوب، أين الإمام المعصوم في هذا، فلم يقل النبي صلى الله عليه وسلم إن الإمام يجب أن يكون معصوما، ويرد عليهم بالأدلة السابقة، ثم أيضا إذا كان يشترط في الإمام أن يكون معصوما، فأخسر الناس صفقة في الإمام المعصوم هم الرافضة؛ لأنهم جعلوا الإمام المعصوم، هو الإمام المعدوم الذي لم ينفعهم لا في دين، ولا في دنيا؛ فإنهم يدعون أن الإمام المنتظر الذي دخل السرداب هناك، ومن المعلوم أنه لو كان موجودا في السرداب، وقد أمره الله بالخروج؛ فإنه يخرج سواء نادوه، أو لم ينادوه، وإن لم يؤذن له، فهو لا يقبل منهم، وإذا خرج؛ فإن الله يأتيه يؤيده، ويأتيه بمن يعينه وينصره.

لا يحتاج أن يقف له دائم من الآدميين، من ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.." (١)

"والجواب: أن هذه الشبه مبنية على قياس الفارق، وهو قياس الغائب على الشاهد، وقياس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا، وهذا ليس بصحيح، وهو خوض في أمر الغيب، فأحوال الآخرة مجهولة لنا، وأحوال الدنيا معلومة لنا، فكيف يقاس مجهول على معلوم؟ وكيف يقاس الغائب على الشاهد؟ فإن الله لا يقاس بخلقه، وسر المسألة أن هذه السعة والضيق والإضاءة والخضرة والنار، التي في القبر ليست من جنس المعهود في هذا العالم، وعود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي؟ عبد العزيز الراجحي ص/٢٩٠

غير المألوفة في الدنيا، والله –سبحانه وتعالى– إنما أشهد بني آدم ما كان فيها، ومنها فأما ما كان من أمر الآخرة، فقد أسبل عليه الغطاء؛ ليكون الإقرار به والإيمان سببا لسعادتهم، فإذا كشف عنهم الغطاء، صار عيانا مشاهدة.

ويجاب عن طعن المعتزلة في حديث البراء، بأنه يقال بأنه، وإن كان آحادا، فله شواهد يرتقي بها. ويقال: إن الأخبار تواترت معنى لا لفظا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر، ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وتفيد اليقين، فتصلح للاحتجاج بها في العقائد، بل إنه إذا صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يحتج به في العقائد وغيرها، ولو كان خبر آحاد، وتقسيم الأخبار إلى قسمين: خبر آحاد، لا يحتج به في العقائد، وخبر متواتر يحتج به في العقائد هذا إنما ابتدعه أهل البدع من المعتزلة وغيرهم.

والحكمة في عدم اطلاع الثقلين على ما يحصل للمقبور في قبره:

قال العلماء: **الحكمة في** ذلك هي أن الله – تعالى– لو أطلع عباده على ما يحدث للمقبور في قبره، لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله، أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع) ولما كانت **الحكمة منتفية** في حق البهائم سمعته وأدركته؛ ولأن الناس لا يطيقون رؤيتها وسماعها، والعبد أضعف بصرا وسمعا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر، وكثير ممن أشهده الله ذلك صعق وأغشي عليه، ولم ينتفع بالعيش زمنا، وبعضهم كشف قناع قلبه، فمات.

الأسباب التي.. في عذاب القبر التي يعذب بها أصحاب القبور:

الأسباب نوعان: نوع مجمل، ونوع مفصل:

أما المجمل: فإن الميت، فإن أهل القبور المعذبين، إنما يعذبون على جهلهم بالله –تعالى– وإضاعتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه، فلا يعذب الله روحا عرفته، وأحبته، وامتثلت أمره، واجتنبت نهيه، ولا بد إن كانت فيه أبدا، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة، أثر سخط الله على عبده،، ومن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار، ثم لم يتب، فمات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه، ومستقل، ومستكثر، ومصدق، ومكذب.

وأما السبب المفصل: فهي كما ورد في النصوص، أن النميمة وعدم الاستبراء من البول، وأكل لحوم الناس،

ومن صلى صلاة بغير طهور، ومن مر على مظلوم فلم ينصره، ومن كذب الكذبة، فتبلغ الآفاق، ومن يقرأ القرآن، وينام عنه بالليل، ولا يعمل به بالنهار، ومن تتثاقل رءوسهم عن الصلاة، ومن لا يؤدي زكاة ماله والزاني، ومن يقوم في الفتن بالكلام والخطب، والغلول من الغنيمة، وأكل الربا، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان في قبورهما، يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس، ويترك الآخر الاستبراء من البول، فهذا ترك الطهارة الواجبة، وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه، وإن كان صادقا، وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان، أعظم عذابا، كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيها على أن من ترك الصلاة، التي الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها، هو أشد عذابا وفي حديث شعبة (أما أحدهما، فكان يأكل لحوم الناس) فهذا مغتاب، وذلك نمام.

وفي حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - الذي ضرب سوطا امتلأ القبر عليه نارا؛ لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور، ومر على مظلوم فلم ينصره. وفي حديث سمرة في صحيح البخاري في تعذيب من يكذب الكذبة، فتبلغ الآفاق، وتعذيب من يقرأ القرآن، ثم ينام عنه بالليل، ولا يعمل به بالنهار، وتعذيب الزناة والزواني، وتعذيب آكل الربا كما شاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم في البرزخ. وفي حديث أبي هريرة، الذي فيه رضخ رءوس أقوام بالصخر؛ لتثاقل رءوسهم عن الصلاة، والذين يسرحون بين الضريع والزقوم؛ لتركهم زكاة أموالهم، والذين يأكلون اللحم المنتن الخبيث لزناهم، والذين تقرض شفاههم بمقاريض من حديد؛ لقيامهم في الفتن بالكلام والخطب.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الشملة، التي غلها من المغنم، أنها تشتعل عليه نارا في قبره، هذا وله فيها حق، فكيف بمن ظلم غيره ما لا حق له فيه، وبالجملة، فعذاب له فيه، فعذاب القبر عن معاصي القلب والعين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله.

الأسباب المنجية من عذاب القبر:

سببان: سبب مجمل، وسبب مفصل:." (١)

"والجواب: أنه نوعان: نوع دائم، وهو عذاب الكفار، ويدل عليه قول الله تعالى: {النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب (٤٦) } .

ثانيا: حديث البراء بن عازب -رضي الله عنهما- في قصة الكافر، (ثم يفتح له باب إلى النار، فينظر إلى

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي؟ عبد العزيز الراجحي ص/٣٠٤

مقعده فيها حتى تقوم الساعة) رواه الإمام أحمد، وفي بعض طرقه (ثم يخرق له خرقا إلى النار، فيأتيه من عذابها ودخانها إلى يوم القيامة) النوع الثاني: عذاب إلى مدة مؤقتة، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة، ثم يزول عنه العذاب،، ومنه.. وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء، أو صدقة، أو استغفار، أو سبب حج تصل إليه من أقاربه أو غيرهم، وهذا كما يشفع الشافع في المعذب في الدنيا، فيخلص من العذاب بشفاعته، لكن هذه شفاعة قد لا تكون بإذن المشفوع عنده، والله –سبحانه– لا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه، فهو الذي يأمن للشافع أن يشفع، إذا أراد أن يرحم المشفوع له.

ومن المباحث: في ضغطة القبر وضمته: وهل ينجو منها، ومن السؤال وفتنة القبر أحد؟

ورد في ضغطة وضمته لكل أحد، ورد أن ضغطة القبر وضمته لكل أحد، وكذلك السؤال والفتنة في القبر، جاءت النصوص بأن ضغطة القبر وضمته لكل أحد، وكذلك السؤال والفتنة في القبر، وعن عائشة –رضي الله عنها– أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن للقبر ضغطة لو كان أحد منها ناجيا نجى سعد بن معاذ) .

قال بعضهم: الفرق بين المسلم والكافر في ضمة القبر دوامها للكافر، وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله، إى قبره، ثم يعود الانفساح له فيه، والمراد بضغطة القبر ارتفاع جانبيه على جسد الميت، قال بعضهم: سبب هذه الضغطة أنه ما من أحد إلا، وقد ألم بخطيئة ما، وإن كان صالحا، فجعلت هذه الضغطة جزاء لها، ثم تدركه الرحمة؛ ولذلك ضغط سعد بن معاذ – رضي الله عنه – وأما الأنبياء فلا نعلم أن لهم في قبورهم ضمة، ولا سؤالا لعصمتهم؛ لأن السؤال عن الأنبياء، وما جاءوا به فكيف يسألون عن أنفسهم؟.

وأما الحياة التي اختص بها الشهداء، وامتازوا بها عن غيرهم في قوله تعالى {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون (١٦٩) } وقوله تعالى: {ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون (١٥٤) } هي أن الله تعالى جعل أرواحهم في أجواف طير خضر، كما في حديث عبد الله بن عباس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما أصيب إخوانكم – يعني يوم أحد – جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، تلج أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، مظللة في ظل العرش) الحديث رواه الإمام أحمد، وأبو داود وابن عوانة في حديث ابن مسعود، رواه مسلم، فإنه لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلفها أعداء الدين، أعالهم عنها في البرزخ

أبدانا خيرا منها، تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها؛ ولهذا كان نسمة المؤمن في صورة طير، أو كطير، ونسمة الشهيد في جوف طير، وتأمل لفظ الحديثين.

ففي الموطأ أن كعب بن مالك يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه) فقوله: (نسمة المؤمن) يعم الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: (هو في جوف طير خضر) ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير، صدق عليها أنها طير، فتدخل في عموم الحديث الآخر، وهو أنها طائر بهذا الاعتبار، فنصيبهم من النعيم في البرزخ أكبر من نصيب غيرهم في الأموات على فرشهم، وإن كان الميت أعلى درجة من كثير منهم، فللشهيد نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه، وحرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما روي في السنن.

وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مدد من دفنهم كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم حشره، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة، والله أعلم، وكأنه -والله أعلم- كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول.

وأما القول الفرق بين الميت على فراشه والشهيد: فالشهيد له خصوصية، وإن كان الميت أعلى درجة من كثير منهم كمحمد صلى الله عليه وسلم أعلى من الشهيد من ناحية النبوة، وحمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم شهيد، فله امتياز غير ما يكون للنبي في ناحية، وإن كان أقل من نبيه، وإن كان أقل نبي أفضل من أي شهيد.

ومن المباحث التي تتعلق بعذاب القبر:

سؤال يردده بعض الناس، وهو ما **الحكمة في** كون عذاب القبر لم يذكر في القرآن، مع شدة الحاجة إلى معرفته والإيمان به؟

والجواب من وجهين: مجمل، ومفصل:." (١)

"الدليل الخامس: إخباره -سبحانه- بأن ملكوت كل شيء بيده، فيتصرف فيه بفعله وقوله؛ ولهذا قال -سبحانه-: {فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون (٨٣) } ختم -سبحانه- هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده، فيتصرف فيه بفعله وقوله. ومن الأدلة استنكار على من ينكر

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي؟ عبد العزيز الراجحي ص/٣٠٧

البعث ببيان كمال الحكمة في قوله: {أيحسب الإنسان أن يترك سدى (٣٦) } ومثل ذلك الاحتجاج في قوله تعالى: {يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث} وقوله: {ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين (١٢) } إلى أن قال: {ثم إنكم يوم القيامة تبعثون (١٦) } ومثله ذكر قصة أصحاب الكهف وكيف أبقاهم ثلاثمائة سنة شمسية، وثلاثمائة وتسع سنين قمرية وقال فيها: {وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا (١٢) } .

القائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة، لهم في المعاد خبط واضطراب، وهم فيه على أقوال، هم فيه على قولين:

القول الأول: من يقول تعدم الجواهر، ثم تعاد.

والقول الثاني: من يقول تفرق الأجزاء، ثم تجتمع، فعرض عليهم الإنسان الذي يأكله حيوان، وذلك الحيوان أكله إنسان، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا لم تعد من هذا، وأورد عليهم أن الإنسان يتحلل دائما، فما الذي يعاد أهو الذي كان قبل الموت، فإن قيل بذلك لزم أن يعاد على صورة ضعيفة، وهو خلاف ما جاءت به النصوص، وإن كان غير ذلك، فليس بعض الأبدان بأولى من بعض.

فأجاب بعضهم: أجيب عن هذا بجوابين:

الجواب الأول: أجاب بعضهم بأن الإنسان، فيه أجزاء أصلية لا تتحلل، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني، وهذا القول لعامة المسلمين، ويدخل فيه المعتزلة والأشعرية، وجميع فرق الإسلام يقولون: إن في الإنسان أجزاء أصلية لا تتحلل، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان، الذي أكله الثاني والعقلاء يعلمون أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلل، وليس فيه شيء باق، فصار ما ذكروه في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في إنكار المعاد.

القول الثاني: الذي عليه السلف وجمهور العقلاء أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل ترابا، ثم ينشؤها الله نشأة أخرى، كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم صار عظاما، ولحما، ثم أنشأه الله خلقا سويا، كذلك الإعادة يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ابن آدم، وفيه يركب) وفي حديث آخر: (إن الأرض تمطر مطرا كمني الرجال، ينبتون في القبور،

كما ينبت النبات) .
فالنشأتان نوعان تحت جنس يتفقان، ويتماثلان من وجه، ويفترقان، ويتنوعان من وجه، والمعاد هو الأول بعينه، وإن كان بين لوازم الإعادة، ولوازم البدء فرق، فعجب الذنب هو الذي يبقى، وأما سائره، فيستحيل فيعاد من المادة التي استحال إليها، ومعلوم أن من رأى شخصا، وهو صغير، ثم رآه وقد صار شيخا، علم أن هذا هو ذاك مع أنه دائما فيه تحلل واستحالة، وكذلك سائر الحيوان والنبات، ومن رأى شجرة، وهي صغيرة، ثم رآها كبيرة قال هذه تلك، وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة، حتى يقال: إن الصفات هي المغيرة، لا سيما أهل الجنة إذا دخلوها، فانهم يدخلونها على صورة آدم، طوله ستون ذراعا، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما.." (١)

"شبهتهم: أن الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، ومثلها يوزن بميزان معنوي، هو العدل وإنما يقبل الوزن الأجسام، والله لا يحتاج إلى الميزان، ولا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال.

الرد عليهم بأن الله يقلب الأعراض أجساما، كما في حديث البراء بن عازب أن العمل يمثل في القبر لصاحبه إنسانا حسنا، أو قبيحا مع أن العمل معنوي وكما في حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يؤتى بالموت كبشا أغر، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة فيشرئبون، وينظرون، ويقال: يا أهل النار، فيشرئبون، وينظرون، ويرون أن قد جاء الفرج، فيذبح، ويقال خلود، فلا موت) فهذا الموت معنوي قلب جسما، وامتناع قلب الحقائق في مقام خرق العادات غير ملتفت إليه، ومنشأ ضلال المؤولين للميزان، هي قياس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا، والذي دلت عليه السنة أن ميزان الأعمال حسي له كفتان حسيتان مشاهدتان، ومن أدلة ذلك حديث البطاقة وفيه (توضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة) .

ثانيا: وفي الترمذي في سياق آخر (توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل، فيوضع في كفة) الحديث، وفي هذا السياق فائدة جليلة، وهي أن العامل يوزن مع عمله، وهو دليل على أن الميزان له كفتان حسيتان.

ثالثا: روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، قال اقرءوا إن شئتم {فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (١٠٥) }) وقال -عليه الصلاة والسلام- في ساقي ابن مسعود (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي؟ عبد العزيز الراجحي ص/٣١٣

من أحد) .
وقد وردت الأحاديث -أيضا- بوزن الأعمال أنفسها، منها حديث أبي مالك الأشعري في صحيح مسلم (الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان) ومنها في الصحيح، وهو خاتمة كتاب البخاري: (كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)
.
فهذه الأدلة السابقة تدل على وزن الأشخاص والأعمال وصحائف الأعمال بميزان حسي، له كفتان حسيتان، فثبت وزن الأعمال والعامل وصحف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.
الحكمة في وزن الأعمال بالميزان الحسي:
قال الثعلبي: الحكمة في ذلك تعريف الله عباده ما لهم عنده من الجزاء، من خير، أو شر، وقيل: بل الحكمة في وزن الأعمال ظهور عدل الله -سبحانه- في جميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين، ومنذرين، ومن الحكمة -أيضا- بيان فضل الله، وأنه يزن مثاقيل الذر من خير، أو شر قال تعالى: {وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما (٤٠) } وفيه إدخال البشر والسرور على المؤمنين، وراء ذلك أيضا من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه.
الترتيب في الحساب والميزان أيهما يكون قبل الآخر مع التوجيه؟
قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ وذلك لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها.
والترتيب في الميزان والحوض والصراط:
اعلم أن مراتب المعاد والبعث والصراط والحساب والحوض والميزان ما يلي معاد وبعث، ونشور، ثم القيام لرب العالمين، ثم الحوض، ثم العرض، ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين والشمال، ثم الميزان، ثم المرور على الصراط، ثم الوقوف على القنطرة بين الجنة والنار، وجعل القرطبي في التذكرة هذه القنطرة صراطا.
ثانيا: للمؤمنين خاصة، وليس يسقط فيه أحد في النار، فيكون الترتيب هكذا:
بعث، فقيام، فحوض، فحساب، فصحف، فميزان، فصراط، فقنطرة، فالجنة.." (١)

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي؟ عبد العزيز الراجحي ص/٣١٩

"الخارق للعادة كشفا كان أو تأثيرا ثلاثة أنواع: - محمود في الدين، ومذموم ومباح، فالمحمود في الدين: ضابطه أن يحصل به الفائدة المطلوبة في الدين من إظهار حق، أو إبطال الباطل، فهذا من الأعمال الصالحة المأمور بها دينا وشرعا، إما واجب وإما مستحب كما يحصل للصحابة. والمذموم في الدين: ضابطه ما كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهي تحريم، أو نهي تنزيه فيكون سببا للعذاب، أو لجرم كالذي أوتي الآيات فانسلخ منها، بلعام بن باعوراء.

والمباح: ضابطه ما حصل به أمر مباح، فإن كان فيه منفعة كان نعمة من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكرا كتظليل الغمة " لأسيد بن حضير " - رضي الله عنه - وإلا فهو كسائر المباحات التي لا متعة فيها.

الحكمة في إجراء الكرامة، **الحكمة في** إجراء الكرامة هي أن يزداد الإنسان بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقينا، فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا والخروج عن دواعي الهوى.

وثانيا إكرام الله لوليه بإغاثته ورفع شدته وكربه أو نصره على عدوه أو إظهار حق أو إبطال باطل.

أقسام الناس تجاه الكرامة: الناس تجاه الكرامة قسمان: الأول:

- القسم الأول: من نفوسهم تتطلع إلى شيء من الكرامات، ويحبون أن يرزقوا شيئا منها، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متهما لنفسه في صحة عمله حيث لم يحصل له خارق، وهؤلاء كثير من المجتهدين المعتدين الذين سمعوا ما منح به سلف الأمة من الكرامات وخوارق العادات، ولو علموا بسر ذلك، وهو أن الميزان ليس هو الكرامة لهان عليهم الأمر.

القسم الثاني: الصادقون: سبيلهم يطالبون نفوسهم بالاستقامة، فهي كل الكرامة، ولا تتطلع نفوسهم إلى شيء من الكرامات، قال أبو علي الجوزجاني شيخ البخاري وشارح سنن النسائي: "كن طالبا للاستقامة لا، طالبا للكرامة، فإن نفسك متحدثة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة ".

هل يضر المسلم عدم حصول الخارق على يديه؟ اعلم أن عدم الخوارق علما وقدرة كشفا وتأثيرا لا يضر المسلم في دينه، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات، ولم يسخر له شيء من الكائنات، لا ينقصه ذلك في مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له في دينه، فإن الخارق إذا اقترن به الدين كان نافعا، وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة، فإن الخارق قد يكون مع الدين كالمعجزات وكرامات الصالحين، وقد يكون مع عدمه أو فساده أو نقصه كالذي يظهر على يد المسيح الدجال وعلى يد الفساق والفجار.

الخوارق النافعة والرياسات النافعة والأموال النافعة، هي ما كانت تابعة للدين، وخادمة له والرياسة النافعة، هي النافعة للدين، والمال النافع هو النافع للدين، دليل ذلك كما كان السلطان والمال النافع في يد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فمن جعل هذه الأمور الخوارق والسلطان والمال هي المقصودة، وجعل الدين تابعا لها ووسيلة إليها لا لأجل الدين في الأصل، فهو شبيه بمن يأكل الدنيا بالدين، وليس حاله كحال من تدين خوف العذاب أو رجاء الجنة، فإن ذلك مأمور به، وهو على سبيل النجاة، وهو على سبيل النجاة وشريعة صحيحة، وكثير من الصوفية ممن يزعم أن همه قد ارتفع عن أي يكون خوفا من النار أو طلبا للجنة، يجعل همه بدينه أقل من همه بأدنى خارق من خوارق الدنيا.

متى يجب خرق العادة؟ وشرط ذلك أو شروط استلزام خرق العادة، ودليل ذلك، يجب خرق العادة بأمرين:

أولا: التدين يستلزم خرق العادة بأمرين: أحدهما التدين الصحيح.

الثاني: وجود شدة وضيق وضرورة، إذا كان الإنسان مستقيما، ثم حصل عليه الشدة وضيقة، لا بد أن يفرج الله كربه، فالدين إذا صح علما وعملا، فلا بد أن يوجد خرق العادة إذا احتاج إلى ذلك صاحبه، ولو لم يدع الله، بل الحالة النفسية كافية، ولا يكله الله حينئذ إلى نفسه، دليل ذلك من الكتاب العزيز قول الله تعالى: {ومن يتق الله يجعل له مخرجا (٢) ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله} هذا التدين الصحيح، يجعل له مخرجا هذا الخارق هذا الخارق من باب التأكيد، وقال تعالى: {إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا} إن تتقوا الله: هذا التدين الصحيح، يجعل لكم فرقانا، هذا الكشف خارق.

وقال تعالى: {أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا (٦٦) وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما (٦٧) ولهديناهم صراطا مستقيما (٦٨) } وقال تعالى: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣) لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة}." (١)

"ومن السنة قوله –عليه الصلاة والسلام–: (إن هذا الدين يسر) وقوله –عليه الصلاة والسلام–: (بعثت بالحنفية السمحة) وقال –عليه الصلاة والسلام–: (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها) وكان الوفد الوافد إلى رسول صلى الله عليه وسلم يتعلم الدين، ثم يولي في وقته، فالدين يتعلمه الإنسان في أقصر وقت يتشهد شهادة الحق ويشهد لله بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة فيدخل في الإسلام ويلتزم، ويدخل الإنسان في هذا الدين في أقصر وقت في لحظة كما أنه يخرج من الدين بأقصر زمان ولذلك أمثلة كثيرة منها:

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي؟ عبد العزيز الراجحي ص/٣٨٤

إنكار كلمة من القرآن ككلمة التوحيد يخرج من الإسلام، أو تكذيب لله، أو لرسوله، أو لما جاء به الله ورسوله يخرج عن الإسلام، أو معارضة لله، أو لرسوله، أو لما جاء به الله، أو رسوله، أو ارتياب في قول الله، أو قول رسوله، أو كذب على رسوله، أو رد لما أنزل الله، أو لما جاء به رسوله، أو شك فيما نفى الله عنه الشك فيخرج من الإسلام في أقصر زمان.. يدخل فيه في أقصر زمان ويخرج منه في أقصر زمان.

والحكمة في اختلاف تعليم النبي صلى الله عليه وسلم للناس في بعض الألفاظ مراعاة الأحوال، مراعاة حال من يتعلم، فإن كان الشخص الذي يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعيد الوطن كضمام بن ثعلبة النجدي ووفد عبد القيس علمهم ما لا يسعهم جهله، ويرسل إليهم من يفقهم فيما يحتاجون إليه مع علمه بأن دينه سينتشر في الآفاق.

ومن كان قريب الوطن يمكنه الإتيان كل وقت بحيث يتعلم على التدريج، أو كان قد علم منه أنه عرف ما لا بد منه أجابه بحسب حاله وحاجته على ما تدل قرينة حال السائل كقوله: (قل آمنت بالله ثم استقم) . ويخاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم بحسب حالهم من كان عاقا لوالديه أوصاه ببر الوالدين؛ لأنه يحتاج إليه من كان يكذب في الحديث أجابه بصدق الحديث، الدين الذي شرع ولم يأذن الله به لا يجوز أن تكون أصوله مستلزمة له منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من المرسلين؛ لأنه باطل وملزوم الباطل باطل كما أن لازم الحق حق، ودين الإسلام وسط بين الغلو والتقصير.." (١)

"ومن معاني حكمة الله عز وجل: أن يلهم بعض العباد الحكمة كما قال تعالى: " يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب " (البقرة، آية: ٢٦٩)، فالله تعالى يؤتي الحكمة بعض عباده، فيعرفون كيف يحلون المشكلات، وكيف يخرجون من الملمات والازمات وكيف يتعاملون مع المواقف الصعبة، وكيف يصنعون الأمور في مواضعها والعالم الإسلامي في أشد الحاجة لمجلس حكماء من الذين حنكتهم التجارب، لكي تستفيد الأمة من خبرتهم ومعرفتهم وتوقعاتهم، حتى لا يخبط المسلمون خبط عشواء ولا يقعوا ضحية المفاجآت والازمات وهم لا يشعرون (١).

وأما " الحكم " فهو من له الحكم والسلطان والقدر، فلا يقع شيء إلا بإذنه وهو المدبر المتصرف " كل يوم هو في شأن " (الرحمن، آية: ٢٩).

" والحكم " أيضا من له التشريع والتحليل والتحريم، فالحكم ما شرع، والدين ما أمر ونهى، لا معقب لحكمه

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي؟ عبد العزيز الراجحي ص/٤٠٢

ولا راد لقضائه. فاجتمع (القدر) و (الشرع) " ألا له الخلق والأمر " (الأعراف، آية: ٥٤).
وحين يقول " أحكم الحاكمين " و " خير الحاكمين " فإن ذلك تأكيد على عدله ورحمته ووضعه الأشياء في مواضعها فليس في قدره ظلم ولا تعسف وليس في شرعه محاباة ولا تحيز بل هو حفظ للحقوق، الحاكم والمحكوم، والرجل والمرأة والبر والفاجر، والمسلم والكافر، والقوي والضعيف، وفي كل الأحوال حربا وسلما وعلى كل أحد دون استثناء، ولذا وجب على كل مسلم تحكيم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم في دقيق أموره جلها على الصعيد الفردي والجماعي والأسري والخاص والعام، والسياسة والاقتصاد، والاجتماع والإعلام، وكل شيء (٢).

---

(١) مع الله صـ ١٨٧.
(٢) المصدر نفسه صـ ١٨٨.." (١)

"عاشرا: حماية الرسول صلى الله عليه وسلم لتوحيد الألوهية:
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا التوحيد أتم بيان ودعا إليه أعظم دعوة، وجل القرآن الكريم نزل ليقرر هذا النوع من التوحيد ويدعو إليه وجاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أعظم جهاد، وقام في حمايته وصيانة حماه حتى أتاه اليقين، بل إنه وهو في الرمق الأخير، وهو يعالج نزع الروح يبين لأمته أهمية هذا التوحيد، كما ربى أصحابه رضي الله عنهم على ذلك ليكونوا جنودا وحماة لهذا التوحيد ويسلموا هذه الأمانة إلى من بعدهم صافية نقية، وقد كانوا كذلك رضي الله عنهم وأرضاهم وفيما يلي بعض الأمثلة في حماية رسول الله لهذا النوع من التوحيد وبيانه والنهي عن كل ما يضاده من شرك، أو بدعة أو يكون وسيلة وذريعة إلى ذلك وإن لم يكن في نفسه شرسا (١).
١. النهي عن الغلو والإطراء: حذر الرسول صلى الله عليه وسلم امته من الغلو ونهاهم عن ذلك وحذرهم منه ومن إطرائه أو تجاوز الحد في مدحه والثناء عليه حماية لجانب التوحيد قال صلى الله عليه وسلم: إياكم والغلو فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو (٢)، وسد الذرائع الموصلة إليه، فنهى عن الإطراء وقال: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله (٣).
٢. زيارة القبور والنهي عن اتخاذها مساجد:

---

(١) الإيمان بالله جل جلاله؟ علي محمد الصلابي ص/١٣٤

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم الغاية من زيارة القبور والحكمة التي من أجلها شرعت زيارتها فقد قال صلى الله عليه وسلم: فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت (٤)، ووضح أيضا أن من **الحكمة في** زيارة القبور الدعاء للميت والاستغفار له والترحم عليه (٥).

---

(١) حماية الرسول حمى التوحيد صـ٢٨٧.

(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٢١٥) حديث صحيح.

(٣) البخاري رقم ٣٤٤٥.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٧/ ٤٦).

(٥) حماية الرسول حمى التوحيد صـ ٢٩٥.." (١)

"وهذا البيان من رسول الله صلى الله حماية منه لجناب التوحيد وحرصا على أمته من الشرك وقد نزل القرآن الكريم على رسول الله وبين أن الله سبحانه هو ينزل الأمطار في آيات محكمات قال تعالى: " الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون * وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين * فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير " (الروم، آية:٤٨-٥٠).

قال تعالى: " خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم * هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين " (لقمان، آية: ١٠، ١١).

وقد نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين **الحكمة من** خلق النجوم قال تعالى: " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير " (الملك، آية:٥).

فهذه ثلاث حكم جعلها الله سبحانه وتعالى في خلق النجوم فهي زينة للسماء ورجوم. ترجم بها الشياطين عند استراقهم السمع ووسيلة للإهتداء في ظلمات البر والبحر (١).

---

(١) الإيمان بالله جل جلاله؟ علي محمد الصلابي ص/١٦٠

(١) حماية الرسول حمى التوحيد صـ٣٢٦.." [١]

"٧. تكريم الإنسان بالأخلاق والفضائل:

تظهر كرامة الإنسان والدعوة إلى تكريمه بدعوة الإسلام إلى الأخلاق الفاضلة، وترغيب الفرد والمجتمع بمعالي الأمور والتسامي عن المادة، والحض على الخير والفضيلة بين الناس (١)، لذلك وصف القرآن الكريم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأعلى أوسمة الفخار والثناء، فقال تعالى:" وإنك لعلى خلق عظيم" (القلم، آية: ٤).

وبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق (٢).

فدعا الإسلام الناس جميعا إلى البر والرحمة، والإخاء، والمودة، والتعاون، والوفاق، والصدق، والإحسان ووفاء الوعد، وأداء الأمانة وتطهير القلب، وتخليصه من الشوائب، كما دعا إلى العدل والمسامحة والعفو، والمغفرة والصبر والثبات، ودعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحث على النصيحة وغير ذلك من مكارم الأخلاق والفضائل (٣)، والأخلاق الفاضلة تزين الإنسانية وتعلي شأنها، وتنسق بين أفرادها وتصون العلاقات الجماعية، وتوجيهها إلى الخير والكمال، لتصور الحياة البشرية في أجمل صورها، وأحسن أحوالها، وتتجنب الرذيلة، والفساد الخلقي والإجتماعي (٤).

٨. تكريم الإنسان في تشريع الأحكام:

وهذا باب واسع يغطي جميع الأحكام الشرعية، ويدفع لمعرفة العلة فيها **والحكمة من** تشريعها، ولذلك نضرب بعض الأمثلة فقط كنماذج:

أ . وجود الإنسان:

قال تعالى:" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" (الروم، آية: ٢١).

---

(١) الإيمان بالله جل جلاله؟ علي محمد الصلابي ص/١٦٥

(١) المصدر نفسه صـ ٦٤.

(٢) سنن البيهقي (١٠/ ١٩٢)، البخاري، ك الأدب الموطأ صـ ٥٦٤.

(٣) حقوق الإنسان للزحيلي صـ ٦٤.

(٤) المصدر نفسه صـ ٦٦.." [1]

"وقوله تعالى:" حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون*لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون" (المؤمنون، آية: ٩٩ ـ ١٠٠).

وفي المبحث الثاني: كان الحديث عن الموت وحقيقته وأهمية تذكره في حياة الإنسان، للابتعاد عن المعاصي، وتليين القلب القاسي وتهوين المصائب، فمن أكثر من ذكر الموت قل فرحه، وقل حسده واستعد للرحيل.

قال الشاعر:

مشيناها خطا كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطا مشاها

وأرزاق لنا متفرقات ... فمن لم تأته منا أتاها

ومن كتبت منيته بأرض ... فليس يموت في أرض سواها

وقال آخر:

هب الدنيا تساق إليك عفوا ... أليس مصير ذاك إلى انتقال

وما دنياك إلا مثل فيء ... أظلك ثم آذن بالزوال

ويجد القاريء الكريم بيان الحكمة من الموت وأن ساعة الموت أخطر لحظة في عمر الإنسان، فتزداد حسرة الميت ومصيبته وفجيعته حين يكون منكرا للحياة الآخرة، أو مغرور بمسلكه المضاد لدين الله، أو القائم على البدع والخرافات التي أبعدته عن الإيمان الصحيح والطريق السوي الموافق للكتاب والسنة.

وأشرت إلى أسباب حسن الخاتمة، كأقامة التوحيد لله عز وجل، والاستقامة، والتقوى، والصدق، والتوبة والدعاء، وقصر الأمل والتفكر في حقارة الدنيا والإكثار من ذكر الموت، وغلبة الرجاء وحسن الظن بالله، والبعد عن أسباب سوء الخاتمة، كما بينت أسباب سوء الخاتمة كالشك والجحود، والتعبد بالبدع وتسويف

---

(١) الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية؟ علي محمد الصلابي ص/٩٠

التوبة وعدم الاستقامة، وتعلق القلب بغير الله وسوء الظن بالله، والإصرار على الذنوب والمعاصي ونسيان الآخرة وعدم ذكر الموت والظلم.." (١)

"كما شرحت الآيات التي تحدثت عن قبض أرواح العباد كقوله تعالى:" وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون*ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين" (الانعام، آية: ٦١ ـ ٦٢).

وفي المبحث الثالث كان الحديث عن حياة البرزخ والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على عذاب القبر، وما ينتفع به الميت من عمل الأحياء وما يتبع الميت إلى قبره، وأن القبر أول منازل الآخرة والحكمة من عذاب القبر ونعيمه، وهل عذاب القبر دائم أم منقطع؟ وعن أسباب عذاب القبر والنجاة منه؟ وأين مستقر الأرواح في البرزخ، كأرواح الأنبياء، وأرواح الشهداء، وأرواح المؤمنين الصالحين وأرواح العصاة وأرواح الكفار.

وفي الفصل الثاني، كان الحديث عن علامات الساعة الصغرى والكبرى والنفخ في الصور وفي المبحث الأول لخصت مجمل أشراط الساعة الصغرى وفي الثاني كان الحديث عن أشراط الساعة الكبرى في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، كنزول عيسى عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والمهدي، المسيح الدجال، والخسوفات الثلاثة، والنار التي تحشر الناس وفي المبحث الثالث: النفخ في الصور وماهو الصور؟ وما هي عدد النفخات؟ وكان الحديث عن البعث في الفصل الثالث والآدلة على ذلك وأسماء يوم القيامة وفي المبحث الثاني: خصص للحشر وأهوال يوم القيامة، وشرح الآيات التي تحدثت عن الحشر كقوله تعالى:"وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون" (الأنعام، آية: ٥١).." (٢)

"قال الشاعر:

مشيناها خطا كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطا مشاها

وأرزاق لنا متفرقات ... فمن لم تأته منا أتاها

ومن كتبت منيته بأرض ... فليس يموت في أرض سواها

---

(١) الإيمان باليوم الآخر؟ علي محمد الصلابي ص/٦

(٢) الإيمان باليوم الآخر؟ علي محمد الصلابي ص/٧

وقال الشاعر:

وإذا وليت قوما ليلة ... فاعلم بأنك بعدها مسئول

وإذا حملت إلى القبور جنازة ... فاعلم بأنك بعدها محمول

وقال آخر:

هب الدنيا تساق إليك عفوا ... أليس مصير ذاك إلى انتقال

وما دنياك إلا مثل فيء ... أظلك ثم آذن بالزوال (١).

أولا: **الحكمة من** الموت:

إن الموت مرحلة يمر بها الإنسان ومنزلة يردها وحقيقة لا يتخطاها، وكأسا يتجرعها، ومنهلا يستقي منه، فمن حكم الموت:

١ ـ في الموت تتجلى كمال قدرة الله الخالصة سبحانه وعظيم حكمته في تصريف أطوار الخلق، فهو الذي أنشأ هذا الإنسان من عدم ثم أوجده طورا بعد طور، وخلقا بعد خلق، حتى صار بشرا سويا يسمع ويبصر ويعقل، ويتكلم ويتحرك ويسالم ويخاصم ويتزاوج ويتناسل، يعيش على أرض الله وينال من رزق الله، ثم بعد ذلك كله يميته الله تعالى فلا يأكل ولا يشرب ولا يسمع ولا يبصر ولا يعقل ولا يتحرك، فيزول بعد بقاء، وينفي بعد وجود، وكل ذلك بتصريف الله وقدرته وبالغ حكمته في خلق الأمور المختلفة والأحوال المتضادة (٢).

قال تعالى: " فلولا إن كنتم غير مدينين {٨٦} ترجعونها إن كنتم صادقين" (الواقعة، آية: ٨٦ ـ ٨٧)، تضمنت الآيتان تقريرا وتوبيخا واستدلالا على أصول الإيمان من وجود الخالق سبحانه، وكمال قدرته، ونفوذ مشيئته وربو بيته، وتصرفه في أرواح عباده حيث لا يقدرون على التصرف فيه بشيء وأن أرواحهم بيده يذهب بها إذا شاء ويردها إليهم إذا شاء ويخلي أبدانهم منها تارة، ويجمع بينها وبينهم تارة (٣).

---

(١) القيامة الصغرى صـ٧٩، ٨٠.

(٢) الثبات على دين الله د. الأمين الصادق (٢/ ٩٧٦).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٩٧٧) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم صـ914 ..." [١]

"٢ . إن الله تعالى خلق الموت والحياة ابتلاء لعباده واختبارا لهم ليعلم من يطيعه ممن يعصيه قال سبحانه: " الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور" (الملك، آية: ٢).

٣ . لم يخلق الله البشر في الدنيا على خلقة قابلة للدوام بل جعلهم خلائف في الأرض يخلف بعضهم بعضا، فلو أبقاهم لفاتت المصلحة **والحكمة في** جعلهم خلائف (١).

٤ . في الموت نعم عظيمة لا تتأتى للناس إلا به، فلولا الموت لما هنأ لهم العيش، ولا طاب في هذه الأرض، ولا وسعتهم الأرزاق، ولضاقت عليهم المساكن والمدن، والأسواق والطرقات.

٥ . الموت يخلص المؤمن من نكد هذه الحياة التي حشيت بالغصص، وحفت بالمكاره والآلام الباطنة والظاهرة إلى نعيم لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وسعادة لا تنتهي، في ظلال وارفة، وبساتين مؤنقة، وجنات دائمة مع خيرة الرفقاء وأطيب الأصفياء (٢)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه كان يقول: ما من مؤمن إلا والموت خير له، وما من كافر إلا والموت خير له، ومن لم يصدقني فإن الله يقول:" وما عند الله خير للأبرار" (آل عمران، آية: ١٩٨)، ويقول:" ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين" (آل عمران، آية: ١٧٨) (٣).

٦. بالموت تصل النفس إلى اليقين، وتتعرف على حقيقتها من حيث أنها مخلوقة لخالق سبحانه، وأنها مخلوقة لغاية (٤).

---

(١) شفاء العليل لابن القيم صـ٢٤١.

(٢) الثبات على دين الله (٢/ ٩٧٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٦٥).

(٤) الثبات على دين الله (٢/ ٩٨٠).." [٢]

---

(١) الإيمان باليوم الآخر؟ علي محمد الصلابي ص/٣٦

(٢) الإيمان باليوم الآخر؟ علي محمد الصلابي ص/٣٧

"٦ـ القبر أول منازل الآخرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه، وقال رسول الله: ما رأيت منظرا قط إلا القبر أفظع منه (١).

٧ـ نعيم القبر وعذابه ينال من دفن ومن لم يدفن: عذاب القبر ونعيمه ينال من دفن ومن لم يدفن، وأن من أكلته السباع أو مزق جسده أو أحرق وذر رماد جسمه في البر أو البحر، أو من كان في ثلاجات الموتى فترات طويلة، أو من أغرق أو صلب، أو كل من لم يدفن بحال من الأحوال، فإنه يناله عذاب القبر أو نعيمه، وأنه يحيا حياة برزخية حتى يوم القيامة (٢).

٨ـ **الحكمة من** عذاب القبر ونعيمه: هناك مجموعة من الحكم في عذاب القبر ونعيمه منها:

ـ إظهار فضل الله تعالى على عباده المؤمنين الصالحين في تنعيمهم في الحياة البرزخية، وإذلال وتعذيب المكذبين العاصين والعياذ بالله.

ـ إظهار قدرة الله تعالى في تعذيب العصاة والكافرين، وتنعيم المؤمنين الصادقين في القبر دون أن يشعر بذلك سائر البشر.

ـ إن المكلفين عندما يعلمون أن هناك عذابا في القبر أو في الحياة البرزخية، فإن ذلك يكون رادعا ومانعا لهم عما يسوء ويشين فعله في الآخرة.

ـ التحذير من بعض الذنوب والمعاصي، والتي يكون لها عقوبات خاصة تناسبها، كعدم التنزه من البول والنميمة وغير ذلك.

ـ إنه قد يكون العذاب في القبر أو في الحياة البرزخية مكفرا لبعض الذنوب والمعاصي التي ألم بها العبد في الحياة الدنيا، فيأتي يوم القيامة ولا ذنب له.

ـ إنه قد يكون العذاب في القبر تحفيفا لعقوبة ذلك العبد في النار يوم القيامةح (٣).

---

(١) سنن الترمذي رقم ٢٣٠٨، صحيح الجامع الصغير رقم ٥٦٢٣.

(٢) دراسات عقدية في الحياة البرزخية صـ٣٤٨.

(٣) دراسات عقدية في الحياة البرزخية صـ٣٥٨، ٣٥٩.." (١)

---

(١) الإيمان باليوم الآخر؟ علي محمد الصلابي ص/٦٢

"وفي آخر الحديث: وأما الرجال والنساء والعراة الذين هم في مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزواني (١).

ومناسبة العرى لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا، لأن عادتهم أن يستتروا في الخلوة فعوقبوا بالهتك، **والحكمة في** إتيان العذاب من تحتهم كون جنايتهم من أعضائهم السفلى (٢).

١٠. عقوبة آكل الربا: وفي الحديث السابق أيضا: ... فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فيفغر (٣) ـ أي يفتح ـ له فاه فيلقمه حجرا فينطلق يسبح ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر فاه فألقمه حجرا ... الحديث، وفي حديث آخر: وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا (٤).

١١. الإفطار في رمضان من غير عذر: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بينما أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي فاتياني جبلا وعرا فقالا: اصعد، فقلت: إني لا أطيقه فقالا: إنا سنسهله لك، فصعدت حتى غذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دما، قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم (٥).

---

(١) البخاري رقم ٧٠٤٧.

(٢) فتح الباري (١٢/ ٤٦٥).

(٣) فيفغر: أي يفتح.

(٤) البخاري رقم ٧٠٤٧.

(٥) رواه ابن خريمة وصححه الألباني في صحيح الترقيب صـ٩٩٥.." (١)

"إننا نشاهد في حياتنا ظالمين ظلوا ظالمين حتى لحظة الموت، ولم يأخذ على أيديهم أحد، ومظلومين ظلوا مظلومين إلى آخر حياتهم، لم ينصفهم أحد، أفإن كانت الحياة هي نهاية المطاف، يكون هذا عدلا وحكمة؟ وأين هي **الحكمة في** خلق حياة تجري أحداثها على غير مقتضى العدل، ثم تنتهي

---

(١) الإيمان باليوم الآخر؟ علي محمد الصلابي ص/٦٩

دون حساب؟

لذا يأتي التأكيد في القرآن على أن البعث ضرورة يقتضيها عدل الله وحكمته في مواضع عديدة من القرآن منها: (١)

٣. قوله تعالى:" أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون" (الجاثية، آية: ٢١).

٤. وقوله تعالى:" أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار" (ص، آية ٢٨).

٥. قال تعالى:" أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون" (القلم، آية: ٣٥، ٣٦).

٦. قال تعالى:" وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا

فويل للذين كفروا من النار" (ص، آية ٢٧).

سابعا: إخبار العليم الخبير بوقوع القيامة:

أعظم الأدلة على وقوع المعاد إخبار الحق تبارك وتعالى بذلك، فمن آمن بالله وصدق برسوله الذي أرسل، وكتابه الذي أنزل، فلا مناص له من الإيمان بما أخبرنا به من البعث والنشور، والجزاء والحساب، والجنة والنار، وقد نوع تبارك وتعالى أساليب الإخبار ليكون أوقع في النفوس، وآكد في القلوب.

١. ففي بعض المواضع يخبرنا بوقوع ذلك اليوم إخبارا مؤكدا (بأن) أو (بإن) واللام كقوله تعالى:"إن الساعة آتية أكاد أخفيها" (طه، آية: ١٥).

---

(١) الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة صـ٤٤٨.." [1]

"((. . . وهذا القائل الذي حصر أسماء الله في تسعة وتسعين لم يمكنه استخراجها من القرآن، وإذا لم يقم على تعيينها دليل يجب القول به لم يمكن أن يقال: هي التي يجوز الدعاء بها دون غيرها؛ لأنه لا سبيل إلى تمييز المأمور من المحظور، فكل اسم يجهل حاله يمكن أن يكون من المأمور ويمكن أن يكون من المحظور، وإن قيل: لا تدعو إلا باسم له ذكر في الكتاب والسنة، قيل: هذا أكثر من تسعة وتسعين))

---

(١) الإيمان باليوم الآخر؟ علي محمد الصلابي ص/١١١

اهـ.

قلت: فكلام شيخ الإسلام رحمه الله صريح في أن الأسماء المذكورة في الكتاب والسنة أكثر من تسعة وتسعين اسما.

وقال العلامة الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد في ((معجم المناهي اللفظية)) (ص: ١١) :

((باب الأسماء لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللقرآن العظيم توقيفية لا تكون إلا بنص، وقد جاء في القرآن نحو مائة اسم لله تعالى)) اهـ.

قلت: وفي السنة أسماء أخر فيكون العدد أكثر من تسعة وتسعين كما هو ظاهر.

- ومما يدل على أن الأسماء الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة أكثر من تسعة وتسعين أن العلماء ذكروا أن الحكمة في عدم تعيين النبي صلى الله عليه وسلم للأسماء التسعة والتسعين أن يجتهد الإنسان ويدعوا بجميع الأسماء الحسنى التي استطاع أن يقف عليها من الكتاب والسنة، فيصيب العدد الموعود به فيها، وهذا ذهاب منهم إلى أن الأسماء الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة أكثر من تسعة وتسعين.
- كذلك فإن بعض العلماء قد ذهبوا إلى أن التسعة والتسعين اسما إنما تستخرج من القرآن فقط دون السنة، وهذا يدل على أنهم يذهبون إلى أن في السنة أسماء أخرى، وأن الأسماء الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة أكثر من تسعة وتسعين كما هو ظاهر. ومن هؤلاء العلماء: سفيان بن عيينة، وأحمد بن حنبل، والحافظ ابن حجر وغيرهم.." (١)

"وقد ذكر العلماء أن الحكمة في عدم تعيين الأسماء التسعة والتسعين هي أن يجتهد الإنسان ويدعو بجميع الأسماء الحسنى التي استطاع معرفتها؛ بخلاف ما لو عينت لاقتصر عليها، كما قيل نحو ذلك في ليلة القدر وساعة الجمعة وغيرها.

---

(١) الانتصار للسلف الأخيار؟ محمد محب الدين أبو زيد ص/٢٢

قال الإمام ابن العربي المالكي في ((أحكام القرآن)) (٢ / ٧٩٤) :

((والذي أدلكم عليه أن تطلبوها في القرآن والسنة؛ فإنها مخبوءة فيهما، كما خبئت ساعة الجمعة في اليوم، وليلة القدر في الشهر رغبة، والكبائر في الذنوب رهبة؛ لتعم العبادات اليوم بجميعه والشهر بكليته، وليقع الاجتناب لجميع الذنوب.

وكذلك أخفيت هذه الأسماء المتعددة في جملة الأسماء الكلية لندعو بجميعها، فنصيب العدد الموعود به فيها)) اهـ بتصرف يسير.

وقال الفخر الرازي –كما في ((الفتح (١١ / ٢٢١) :

((يجوز أن يكون المراد من عدم تفسيرها أن يستمروا على المواظبة بالدعاء بجميع ما ورد من الأسماء رجاء أن يقعوا على تلك الأسماء المخصوصة، كما أبهمت ساعة الجمعة وليلة القدر والصلاة الوسطى)) اهـ.

قلت: وهذا يدل على أنه لا سبيل إلى الجزم بتعيين الأسماء التسعة والتسعين، ولكن على المسلم أن يجتهد في إحصاء ما يقدر عليه من الأسماء الحسنى في الكتاب والسنة فلعله يصيبها. والله أعلم.

- أقول هذا على فرض الجزم بصحة الأسماء التي استخرجها الدكتور، وإلا فإننا لا نجزم بصحتها أيضا، بل هي اجتهاد منه يشكر عليه، ويحتمل الخطأ والصواب، وذلك لأنه اعتمد في إثبات الأسماء التي وردت في السنة على الأحاديث التي صححها العلامة الألباني رحمه الله، وهو إمام في الحديث بلا مدافع، ولكنه بشر يصيب ويخطئ، فقد يكون أخطأ فصحح حديثا وهو ضعيف في حقيقة الأمر، فيأتي الدكتور فيقلده في تصحيح الحديث ويثبت بمقتضاه اسما لله تعالى، ويكون هذا الاسم غير ثابت لضعف الحديث. وهذا الاحتمال وارد لا يستطيع الدكتور دفعه إن شاء الله تعالى.." [١]

"((قال جماعة من العلماء: الحكمة في قوله: ((مائة إلا واحد)) . بعد قوله: ((تسعة وتسعون)) . أن يتقرر في نفس السامع، جمعا بين جهتي الإجمال والتفصيل، أو دفعا للتصحيف الخطي والسمعي)) اهـ.

وقال الإمام العيني رحمه الله في ((عمدة القارئ)) (١١ / ٢٥٢) :

((قوله: ((مائة إلا واحدا)) أي: إلا اسما واحدا. ويروى: ((واحدة)) ، أنثها ذهابا إلى معنى التسمية أو

---

(١) الانتصار للسلف الأخيار؟ محمد محب الدين أبو زيد ص/٢٦

الصفة أو الكلمة.

فإن قلت: ما فائدة هذا التأكيد. قلت: قيل: إن معرفة أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية تعلم عن طريق الوحي والسنة، ولم يكن لنا أن نتصرف فيها بما لم يهتد إليه مبلغ علمنا ومنتهى عقولنا، وقد منعنا عن إطلاق ما لم يرد به التوقيف في ذلك، وإن جوزه العقل وحكم به القياس —كان الخطأ في ذلك غير هين، والمخطيء فيه غير معذور، والنقصان عنه كالزيادة فيه غير مرضي، وكان الاحتمال في رسم الخط واقعا باشتباه تسعة وتسعين في زلة الكاتب وهفوة القلم بسبعة وتسعين، أو سبعة وسبعين، أو تسعة وسبعين، فينشأ الاختلاف في المسموع من المسطور، فأكده به حسما لمادة الخلاف، وإرشادا إلى الاحتياط في هذا الباب)) اهـ.

وقال بمثل قول الإمامين ابن حجر والعيني كثير من العلماء، مثل: القرطبي في ((المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم)) (٧ / ١٦) ، والأبي في ((إكمال إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم)) (٩ / ٧٥) ، والسنوسي في ((مكمل إكمال الإكمال)) (٩ / ٧٥) ، وزكريا الأنصاري في ((منحة الباري)) (٥ / ٥٤٢) ، والقسطلاني في ((إرشاد الساري)) (٩ / ٢٣٣) ، والمناوي في ((فيض القدير)) (٢ / ٤٧٩) ، والمباركفوري في ((تحفة الأحوذي)) (٩ / ٣٣٧) ، والسندي في ((حاشية ابن ماجه)) (٢ / ٤٣٧) ، وملا على القاري في ((مرقاة المفاتيح)) (٥ / ٧٢ — ٧٣) وغيرهم.." (١)

"، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل. والتعمق والنظر في ذلك ذريعة للخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان. فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة (١) . فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} (٢)

---

(١) ...قلت: وهذا التعمق هو المراد-والله أعلم-بقوله - صلى الله عليه وسلم -:.. وإذا ذكر القدرفأمسكوا)) . وهو حديث صحيح، روي عن جمع من الصحابة، وقد خرجته في ((الصحيحة)) (٣٤) . (ن) .

(٢) ...أي لكمال حكمته ورحمته وعدله، لا لمجرد قهره وقدرته كما يقول جهم وأتباعه. كذا في ((الشرح)) وراجع فيه تحقيق أن مبنى العبودية والإيمان على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر

---

(١) الانتصار للسلف الأخيار؟ محمد محب الدين أبو زيد ص/٥٥

والنواهي والشرائع، فإنه مهم جدا لولا ضيق المجال لنقلته برمته لنفاسته وعزته. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في ((مجموع الفتاوى)) (١/١٤٨-١٥٠) باختصار بعض الفقرات:

((والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي، والأرزاق والآجال.

ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، ((فأول ما خلق الله القلم، قال له (*) :

=

(*) كذا وقع هنا، وهو بمعنى رواية ((فقال له)) لكن الراجح عندي الرواية الأخرى بلفظ: ((ثم قال له)) كما كنت حققته في ((تخريج شرح الطحاوية)) . وله شاهد عن ابن عباس خرجته في الصحيحة (١٣٣) . (ن)

... أكتب، قال: ما أكتب؟ قال: أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه، لم يكن ليصيبه. جفت الأقلام وطويت الصحف، كما قال تعالى: {ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير} [الحج: ٧٠] .

...وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكا، فيؤمر بأربع كلمات.

اكتب رزقه، وأجله، وعمله وشقي أو سعيد ونحو ذلك. فهذا القدر ينكره غلاة القدرية قديما، ومنكره اليوم قليل.

وأما الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات.

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته. وهو سبحانه يحب المتقين، والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد. والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله

خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، كما قال تعالى: {لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين} [التكوير: ٢٨، ٢٩] وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية، الذين سماهم النبي – صلى الله عليه وسلم – مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها.

قلت: ويشير بكلامه الأخير إلى الأشاعرة، فإنهم هم الذين غلوا وأنكروا الحكمة على مافصله ابن القيم في ((شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل)) . فراجعه فإنه هام جدا. (ن)." (١)

"[رابعا قانون العلية]

رابعا: قانون العلية: إن التخصيص والنظام يدلان على العلة **والحكمة من** وراء ذلك التخصيص والنظام. ولا يعقل أن توجد علة أو حكمة بدون مؤثر مدبر لها فلو قلنا: إن هذه الشمس إنما وجدت اتفاقا وليس من وراء وجودها حكمة وكل ما تقوم به من وظائف حياتية في الكون إنما جاءت بطريق الاتفاق ومحض الصدفة لو قلنا ذلك لما شك أحد – في عصرنا الحاضر – في جنون القائلين به. كما أننا لو قلنا لعالم في وظائف الأعضاء: إن الأجهزة العضوية في الإنسان مثل المخ والكبد والبنكرياس وغير ذلك إنما جاءت اتفاقا وتهيأت لوظائفها صدفة لما شك ذلك العالم لحظة في جنوننا. فإذا كنا نستنكر أن تكون هذه الجزئيات قد وجدت اتفاقا فكيف نصدق من يقول: إن الكون بكل موجوداته قد وجد اتفاقا؟

وأن النظام الذي فيه ليس له مدبر عاقل من ورائه، وأن الأحداث المعللة والحكم النافذة في أجزائه قد جاءت اتفاقا بدون قصد لغايتها؟

هل يعقل أن يكون مثل هذا الكون المعجز في نظامه وترتيبه وضبط مقاديره قد وجد عبثا وأن كل تلك الدقة قد جاءت اتفاقا، إن المصدق لهذا يكون كالمصدق لمن يقول له: إننا لو أتينا بستة من القرود وأجلسناها إلى ست آلات طابعة لملايين السنين فإنه لا يستبعد أن يخرج لنا أحدها بقصيدة رائعة من روائع شكسبير. هل تصدق هذا القائل؟ إنه بلا شك أعقل من القرود الستة ولكن للأسف ليس حظ القرود في إخراج قصيدة شكسبير بأوفر من حظه هو في أن يكون مثل شكسبير. أليس كذلك؟." (٢)

---

(١) التعليقات الأثرية على العقيدة الطحاوية؟ مجموعة من المؤلفين ص/٢١

(٢) العقيدة؟ – ص/١٤

"{وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا} [(١١٥) سورة الأنعام] {وتمت كلمة ربك} [(١١٩) سورة هود] كلمة واحدة وإلا كلمات وإلا كلام؟ كلام كثير، يقول: {لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي} [(١٠٩) سورة الكهف] والكلمة هنا مفردة لكنها أضيفت إلى معرفة، فتفيد العموم، تفيد العموم، {وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا} {وكلم الله موسى تكليما} [(١٦٤) سورة النساء] فاعل: كلم هو الله -جل وعلا- وموسى مفعول؛ لأنه مكلم، وتكليما تأكيد، نعم، تأكيد، وأهل العلم يقولون: التأكيد ينفي المجاز، {وكلم الله موسى تكليما} جاء من يحرف ويقول: {كلم الله موسى تكليما} فجعل المتكلم هو موسى، والمكلم هو الله -جل وعلا-.

تكليما: وقلنا: إن التكليم مصدر كلم، وهو مصدر مؤكد لفعله، والتأكيد ينفي إرادة المجاز، حتى عند من يقول بالمجاز؛ لأنهم حينما يقولون: كلم يعني جرحه كما يقولون بأظافير **الحكمة من** الكلم والجرح، لكن هل هذا هو المعنى الحقيقي للتكليم والكلام، فقوله: {تكليما} رد لقولهم.

وتحريف اللفظ من الناحية الإعرابية {كلم الله موسى} يجعلون الرب -جل وعلا- هو المكلم وموسى هو المكلم والمتكلم هذا يرد عليه بقوله -جل وعلا-: {وكلمه ربه} [(١٤٣) سورة الأعراف] هذه تحتمل وإلا ما تحتمل؟ ما تحتمل، يعني لو قال: {ربه} يستقيم الكلام وإلا ما يستقيم؟ ما يستقيم؛ لأن الهاء تمنع، الهاء مفعول لا محالة، الهاء مفعول لا محالة، والرب هو الفاعل، ولا يمكن تحريفها كما أمكن تحريف الآية السابقة على حد زعم من حرفها.

{منهم من كلم الله} [(٢٥٣) سورة البقرة] {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله} [(٢٥٣) سورة البقرة] لفظ الجلالة إعرابها: فاعل؛ لأن الكلام المباشر دون واسطة لم يحصل للجميع، وإنما حصل لبعضهم، فمن هذه تبعيضية، من هؤلاء الأنبياء من كلمه الله -جل وعلا- والمفعول ضمير يعود على "من" والفاعل هو الله -جل وعلا-.." (١)

"وفي المبحث السابع: كان الحديث عن العدل الإلهي وسنة الله في الجزاء بجنس العمل، وأن الأصل في العقاب المماثلة، وصور من الجزاء بجنس العمل في الدنيا، كالاستهزاء بالمنافقين والسخرية منهم في الحياة الدنيا، وتسليط الظالم على مثله، واستئصال الله لمن أراد أيذاء رسله وأوليائه، ونصر الله منوط بنصرته للدين والحق، وسلب النعمة عمن منعها مستحقيها، وتيسير الله لمن يسر على عباده، وكان

---

(١) شرح العقيدة الواسطية - عبد الكريم الخضير؟ عبد الكريم الخضير ١٥/٥

الحديث عن الجزاء بجنس العمل في الآخرة، كمعاملة أهل الفضل بالفضل، وترك الإنسان وإهماله في العذاب، كما أهمل الحق ولم يتبعه، والتهكم بالكفار والمنافقين كما كانوا يتهكمون بالمؤمنين في الدنيا، كما كان الحديث عن الجزاء بجنس العمل بين العباد.

وفي المبحث الثامن: تحدثت عن الحكمة والتحسين والتقبيح وتكليف ما لا يطاق، فكان الحديث عن الحكمة في أفعال الله وشرعه، وفعل الأصلح، ومعنى الاستطاعة وتكليف بما لا يطاق.

وفي المبحث التاسع تكلمت عن سنة الله في الآجال، وقدرة الله وثمار الإيمان بالقدر والتي كان من أهمها؛ الإقدام على عظائم الأمور، والقضاء على الكسل والتواكل والثبات في مواجهة الطغيان، والصبر عند نزول المصائب والعز في طلب الحوائج والسكينة وراحة النفس وسكون القلب، والخوف والحذر من الله، والخلاص من الشرك والقضاء على الأمراض التي تعصف بالمجتمعات، والاستعانة بالله، والاعتماد على الله وحده، والاعتراف بفضله، والاستغناء بالخالق عن الخلق، والاعتراف بالذنب والمسارعة للمغفرة والتوبة ثم كانت الخاتمة.." (١)

"ما يصيب الإنسان إن كان يسره فهو نعمة بينه، وإن يسوؤه فهو نعمة، لأنه يكفر خطاياه، ويثاب عليه بالصبر ومن جهة إن فيه حكمة ورحمة لا يعلمها العبد، قال تعالى:"وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم" (البقرة، آية: ٢١٦). وكلتا النعمتين تحتاج مع الشكر إلى صبر (١). والمقصود أن الله تعالى منعم بهذا كله، وإن كان لا يظهر في الابتداء لأكثر الناس، فإن الله يعلم وأنتم لا تعلمون (٢).

(٣) بيان قوله تعالى:" ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك" (النساء، آية: ٧٩). نلاحظ: فرق سبحانه وتعالى بين الحسنات التي هي النعم، وبين السيئات التي هي المصائب، فجعل هذه من الله وهذه من نفس الإنسان، لأن الحسنة مضافة إلى الله، إذ هو أحسن بها من كل وجه .. أما السيئة فهو إنما يخلقها لحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه فإن الرب لا يفعل سيئة قط بل فعله كله حسن وخير (٤).

المبحث الثاني: مراتب القدر: على أربع مراتب:

---

(١) الإيمان بالقدر؟ علي محمد الصلابي ص/٩

أولا: مرتبة العلم:

الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فعلم ما كان وما يكون ومالم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عالمون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم دق ذلك وجليله وكثيره وقليله وظاهره وباطنه وسره وعلانيته ومبدأه ومنتاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب (٥).

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٠٩ ـ ٢١٠).

(٢) منهج الإسلام في تزكية النفس (١/ ١٥٣).

(٤) المصدر نفسه (١/ ١٥٤).

(٥) معارج القبول للحافظ الحكمي (١/ ٩٢٠).." (١)

"قال تعالى "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون" (الروم، آية: ٤١).

وهذا دليل على إثبات الحكمة في جميع أفعال الله تعالى وأحكامه (١)، والحق أن جميع أفعاله وشرعه لها حكم وغايات، لأجلها شرع وفعل، وإن لم يعملها الخلق على التفعيل، فلا يلزم من عدم علمهم بها إنتفاؤها في نفسها (٢)

وحاصل الإرادة الكونية إثبات مشيئة الله تعالى المطلقة في إيجاد المخلوقات كلها واختلاف أنواعها وأشكالها، وتفاوت فضائلها وشرورها وجمالها ودمامتها وكيسها وعجزها، وكفرها وإيمانها، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فالله على كل شئ قدير، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد، ولا يقع فيه شئ كرها عنه، قال تعالى: "ومن يضلل الله فما له من هاد * ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام" (الزمر، آية: ٣٦ ـ ٣٧).

---

(١) الإيمان بالقدر؟ علي محمد الصلابي ص/٣٨

(١) القضاء والقدر عند السلف صـ٦٣.

(٢) القضاء والقدر عند السلف صـ٦٤.." (١)

"وفي الإرادة الكونية قد يبغض الله تعالى طاعة العاصي ولا يعينه عليها بعد الإراشاد والنصح والبيان، وذلك لحكمه عظيمة جليلة، كما قال تعالى في المنافقين الذين تخلفوا مع الخوالف في بيوتهم، وتركوا الخروج للجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم كما في غزوة تبوك: " ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين" (التوبة، آية: ٤٦)، وقد بين الله تعالى الحكمة في بغضه لطاعته فقال: "لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين" (التوبة، آية: ٤٧).

وهو سبحانه: "لايسأل عما يفعل وهم يسألون" (الأنبياء، آية: ٢٣)، وذلك لأنه يتصرف في ملكه، وهذا ليس فيه ظلم، إنما الظلم في الحقيقة يكون من تصرف المتصرف فيما لا يملك، ومنع المستحق ما يستحقه، والله تعالى لا يجب عليه شئ لأحد حتى يحاسب على ما ضيق ومنع، وعلى ما أهان وخذل، وإنما هو حكمة بالغة ورحمة واسعة وعدل قويم (١).

أ. كيف يريد الله أمرا ولا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف تجتمع إرادته له وبغضه وكراهته؟

فالمراد نوعان: مراد لنفسه، ومراد لغيره.

فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته، وما فيه من الخير، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد.

(١) القضاء القدر عند السلف صـ٦٥.." (٢)

"وقال تعالى: " يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا" (البقرة، آية: ٢٦٩). فهذا يتناول النوعين، فإنه يؤتيها من يشاء أمرا ودينا وتوفيقا وإلهاما (١).

وأنبياؤه ورسله وأتباعهم حظهم من هذه الأمور الديني منها وأعداؤه واقفون مع القدر الكوني، فحيث ما مال القدر مالوا معه، فدينهم دين القدر ودين الرسل، واتباعهم دين الأمر فهم يدينون بأمره، ويؤمنون بقدره،

(١) الإيمان بالقدر؟ علي محمد الصلابي ص/٦٧

(٢) الإيمان بالقدر؟ علي محمد الصلابي ص/٦٩

وخصماء الله يعصون أمره، ويحتجون بقدره، ويقولون: نحن واقفون مع مراد الله، نعم مع مراده الكوني لا الديني، ولا ينفعكم وقوفكم مع المراد الكوني، ولا يكون ذلكم عذرا لكم عنده إذ لو عذر بذلك لم يذم أحدا من خلقه ولم يعاقبه، ولم يكن في خلقه عاص ولا كافر (٢).

المبحث الرابع: لا حول ولا قوة إلا بالله

إن كلمة الحوقلة "لا حول ولا قوة إلا بالله" هي من الأذكار العظيمة القدر، الرفيعة المنزلة، العالية المرتبة، ولها من الفضائل والفوائد والمنافع ما لا يعلمه إلا الله سبحانه، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه ويحثهم عليها، وتأتي هذه الكلمة في الأذكار المطلقة والمقيدة في مواضع كثيرة (٣).

أولا: فضلها: فمما يدل على فضلها وعلو منزلتها، ومما يرغب في الإكثار من قولها باللسان وإمرارها على الجنان أمور:

١ . إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عنها بأنها كنز من كنوز الجنة:

فعن أبي موسى الأشعري . رضي الله عنه . قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أيها الناس أربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم، قال: وأنا خلفه وأنا أقول: قل، لا حول ولا قوة إلا بالله (٤).

---

(١) الجامع الصحيح في القدر صـ ١٣٧.

(٢) الجامع الصحيح في القدر صـ١٣٧.

(٣) المباحث العقدية (٢/ ٨٨٧).

(4) البخاري، ك المغازي (٤/ ١٥٤١) رقم ٣٩٦٦٨.." [١]

"٢. أن موسى عليه السلام أعرف بالله سبحانه وبأمره ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره الله أنه تاب على صاحبه، واجتباه بعده وهداه " ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى" (طه، آية: ١٢٢)، وموسى عليه

---

(١) الإيمان بالقدر؟ علي محمد الصلابي ص/٨٠

السلام ومن هو دون موسى منزلة يعلم أنه بعد التوبة والمغفرة، لا يبقى وجه الملامة على الذنب، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له (١)، وآدم أعلم بالله جل شأنه من أن يحتج بالقدر على الذنب، كيف وقد اعترف به واستغفر منه بقوله: " ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين" (الأعراف، آية: ٢٣) (٢).

٣ـ إن الاحتجاج بالقدر على المصائب جائز، وكذلك الاحتجاج بالقدر على المعصية بعد التوبة منها جائز، وأما الاحتجاج بالقدر على المعصية تبريرا لموقف الإنسان واستمرارا فيها فغير جائز (٣).

٤ـ من مسائل القدر في هذا الحديث، سبق الكتاب، أي كتابة كل شئ قبل وجوده، وفيه مقارنة بين حجة آدم وحجة موسى عليهما السلام، ثم تعقيب الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "فحج آدم موسى، ويكررها ثلاثا"، ولا يقول الرسول الكريم أن كلام موسى خطأ، بل يلفت النظر إلى شمول و حجة آدم عليه السلام (٤).

ـ **الحكمة من** وجود المعاصي والكفر:

لوقوع المعاصي والكفر حكم كثيرة منها:

١ـ إتمام كلمة الله تعالى حيث وعد النار أن يملأها قال الله تعالى: " ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين" (هود، آية: ١١٨ ـ ١١٩).

---

(١) الإيمان بالقدر للقرضاوي صـ ٦٧.

(٢) المصدر نفسه صـ٦٧.

(٣) المجموع الثمين لابن عثيمين (٢/ ١٥٩).

(٤) القدر في ضوء الكتاب والسنة، محمد فتح الله كولن صـ٤٨.." (١)

"المبحث الثامن: الحكمة والتحسين والتقبيح وتكليف ما لا يطاق وقدرة الله عز وجل:

أولا: **الحكمة في** أفعال الله وشرعه:

---

(١) الإيمان بالقدر؟ علي محمد الصلابي ص/٩٤

١ ـ الله الحكيم الحكم الحاكم:

من أسماء ربنا جل وتعالى التي عرف بها نفسه إلى عباده، وذكرها في كتابه، وعلى ألسنة رسله وأنبيائه "الحكيم"، وقد ورد هذا الاسم "الحكيم" أربعا وتسعين مرة في القرآن الكريم، كما في قوله عز وجل: "العليم الحكيم" (البقرة، آية: ٣٢)، "العزيز الحكيم" (البقرة، آية: ١٢٩)، "الحكيم الخبير" (الأنعام، آية: ١٨)، "واسعا حكيما" (النساء، آية: ١٣٠).

وقال تعالى: "أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا" (الأنعام، آية: ١١٤).

فهذا دليل على أن اسمه أيضا "الحكم"، وقد جاء في خمسة مواضع بصيغة الجميع منها: "وهو خير الحاكمين" (الأعراف، آية: ٨٧)، و"أنت أحكم الحاكمين" (هود، آية: ٤٥)، و"أليس الله بأحكم الحاكمين" (التين، آية: ٨).

و"الحكيم": هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها ويضعها في موضعها، كما قال سبحانه "صنع الله الذي أتقن كل شيء" (النمل، آية: ٨٨)، و"الحكيم" هو الذي يضع الشئ في موضعه بقدره، فلا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص، مع ما له في ذلك من الحكم البالغة العظيمة التي لا يأتي عليها الوصف، ولا يدركها الوهم (١).

فالحكيم الذي لا يدخل تدبيره ولا شرعه خلل ولا زلل، وأفعاله وأقواله تقع في مواضعها بحكمة وعدل وسداد، فلا يفعل إلا الصواب ولا يقول إلا الحق (٢).

وأما "الحكم" فهو من له الحكم والسلطان والقدر، فلا يقع شئ إلا بإذنه وهو المدبر والمتصرف "كل يوم هو في شأن" (الرحمن، آية: ٢٩).

و"الحكم" أيضا من له التشريع والتحليل والتحريم، فالحكم ما شرع الله، والدين ما أمر ونهى، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، فاجتمع في الاسم "القدر" و"الشرع" "ألا له الخلق والأمر" (الأعراف، آية: ٥٤).

---

(١) مع الله د. سلمان العودة صـ١٨٣.

(٢) المصدر نفسه صـ١٨٥ ـ ١٨٦.." [1]

---

(١) الإيمان بالقدر؟ علي محمد الصلابي ص/٢٧٨

"وحين يقول: "أحكم الحاكمين" و"خير الحاكمين"، فإن ذلك تأكيد على عدله ورحمته ووضعه الأشياء في موضعها، فليس في قدره ظلم ولا تعسف، وليس في شرعه محاباة ولا تحيز، بل هو حفظ للحقوق، حقوق الحاكم والمحكوم، والرجل والمرأة، والبر والفاجر، والمسلم والكافر، والقوي والضعيف، وفي كل الأحوال حربا وسلما، وعلى كل أحد دون استثناء، ولذا وجب على كل مسلم تحكيم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم في دقيق أموره وجلها على الصعيد الفردي والجماعي، والأسري، الخاص والعام، والسياسة والاقتصاد والاجتماع والإعلام، وكل شئ من حكمه وحكمته: أنه عدل لا يظلم أحدا، ولا يحمل هذا وزر ذاك، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ولا يدع محسنا إلا أثابه على إحسانه "إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا" (الكهف، آية: ٣٠) (١).

٢ ـ المراد بالحكمة: الغايات المحمودة المقصودة بفعل الله وشرعه، وهي مقدمة في العلم والإدارة، متأخرة في الوجود والحصول، أي أنها تترتب على الأحوال والأفعال وتحصل بعدها (٢).

والحكمة تتضمن شيئين:

أحدهما: حكمة تعود إلى الله يحبها ويرضاها، فهي صفة له تقوم به، لأن الله لا يوصف إلا بما قام به، وهي ليست مطلق الإرادة، وإلا لكان كل مريد حكيما ولا قائل به.

ثانيهما: حكمة تعود إلى عباده، هي نعمة يفرحون ويلتذون بها في المأمورات والمخلوقات والحكمة لا يحيط بها علما إلا الله تعالى، وبعضها معلوم للخلق وبعضها مما يخفى عليهم.

والحكمة في أفعال الله تعالى نوعان (٣):

ـ حكمة مطلوبة لذاتها، كما في قوله تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (الذاريات، آية: ٥٦).

---

(١) مع الله د. سلمان العودة صـ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٢) منهاج السنة (١/ ١٤١) أعلام الموقعين (١/ ١٩٧ ـ ٢٠١).

(٣) شفاء العليل لابن القيم صـ٣٢٢، مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه د. خالد محمد نور عبد الله (١/ ٤٥٣).." (١)

---

(١) الإيمان بالقدر؟ علي محمد الصلابي ص/٢٧٩

"ـ وقال: "الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما" (الطلاق، آية: ١٢).

فبين الله أن **الحكمة من** خلقه الجن والإنس ليعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئا، وهذا أمر محبوب لله تعالى ومطلوب له، وكذلك بين أن من حكمة خلقه السماوات والأرض وتدبيره لهما علم العباد بقدرة الله وعلمه سبحانه.

ـ حكمة مطلوبة لغيرها وتكون وسيلة إلى مطلوب لنفسه ويوضحها قول الله تعالى: "وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين" (الأنعام، آية: ٥٣)، فاللام في قوله: "ليقولوا" دالة على **الحكمة من** قوله المذكور وهو امتحان بعض خلقه ببعض فكبراؤا القوم يأنفوم ويستكبرون عن قبول الحق عند الله رؤيتهم ضعفاء قد أسلموا فيقولون عند ذلك: "أهؤلاء من الله عليهم من بيننا"، فهذا القول بعض الحكمة المطلوبة بهذا الامتحان، وهي وسيلة إلى مطلوب لنفسه، فامتحان الله لهؤلاء يترتب عليه شكر هؤلاء وكفر هؤلاء، وذلك يوجب آثار مطلوبة للفاعل من إظهار عدله، وحكمته وعزته، وقهره وسلطانه، وعطائه من يستحق عطاءه ويحسن وضعه عنده ومنعه من يستحق المنع، ولا يليق به غيره، ولهذا قال الله تعالى: "أليس الله بأعلم بالشاكرين" (الأنعام، آية: ٥٣) (١).

---

(١) مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (١/ ٤٥٢).." (١)

"والأنواع كثيرة والأصل أن يأتي التعليل بالحروف، وقد تدل عليه الأسماء والأفعال، والحق يقال أن السياق له أثر في الدلالة على العلية إن لم تكن الأدلة نصا في العلية، فينظر فيما يحتمل التعليل وعدمه يحسب السياق (١).

٥ . **الحكمة من** خلق إبليس ووجود هذه الآثام والشرور في الكون:

في ذلك من الحكم ما لا يحيط بتفصيله إلا الله، فمنها أن يكمل الله عز وجل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة الشيطان وحزبه ومخالفته ومراغمته وإغاظته وإغاظة أوليائه، والاستعاذة به سبحانه من الشيطان، والإلجاء إليه سبحانه أن يعيذهم من شره وكيده فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية

---

(١) الإيمان بالقدر؟ علي محمد الصلابي ص/٢٨٠

والأخروية ما لا يمكن أن يحصل لهم بدون خلق الله.

ـ ومنها ـ أي من الحكم ـ خوف المقربين من المؤمنين من ذنوبهم بعد ما شاهدوا من حال إبليس، وكيف طرد من رحمة الله تعالى لذنبه؟ فكيف يأمن المقربون بعد ذلك؟ وكيف يأمن المؤمنون الصادقون بعد ذلك؟ إن كان قد طرد إبليس بذنب كيف يعجب بعد ذلك عالم بعلمه؟

فستظل هذه العبودية ملازمة للملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والمؤمنين الصادقين لخوفهم من رب العالمين، لأنه طرد إبليس من رحمته بذنب وقع فيه، فالملائكة المقربون إذا ما أمر الله إسرافيل بالنفخ في الصور قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك مع أنهم لم يخالفوا الله في أمر، كما قال الله عز وجل في شأنهم: "لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" (التحريم، آية: ٦).

---

(١) مسائل أصول الدين المبحوثة في علم." (١)

"ـ ومنها: أن المحبة، والإنابة، والتوكل، والصبر، والرضا إلى غير ذلك من هذه المعاني هي أحب العبودية إلى الله سبحانه وتعالى، وهذه العبودية لا تتحقق إلا بالجهاد بكل ما تحمله الكلمة من معنى هو ذروة سنام العبودية، وأحبها إلى الرب سبحانه، فكان في خلق إبليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية وتوابعها التي لا يحصى حكمها وفوائدها وما فيها من المصالح إلا الله، لو لم يخلق الله عز وجل إبليس، فكيف تحقق مرتبة العبودية بجهادك لنفسك ولهواك وللشيطان؟

ومنها أن من أسماء الله: الحكيم، والحكمة من صفاته سبحانه وحكمته تستلزم وضع كل شيء موضعه الذي يليق به، فاقتضت حكمته خلق المتضادات، وتخصيص كل واحد منها بما لا يليق به غيره من الاحكام والصفات والخصائص (١).

---

(١) الإيمان بالقضاء والقدر محمد حسان صـ ١٦١.." (٢)

"وعن عمران بن ميمون عن ابن عباس قال: لما بعث الله موسى وكلمه قال: اللهم أنت رب عظيم ولو شئت أن تطاع لأطعت، ولو شئت ألا تعصى لما عصيت وأنت تحب أن تطاع، وأنت في ذلك تعصى،

---

(١) الإيمان بالقدر؟ علي محمد الصلابي ص/٢٨٥

(٢) الإيمان بالقدر؟ علي محمد الصلابي ص/٢٨٩

فكيف هذا يا رب؟ فأوحى الله إليه: إني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون، فانتهى موسى (١).

أ ـ ما **الحكمة من** إيجاد الكرام الكاتبين مع أن الله يعلم كل شيء:

---

(١) الإيمان بالقدر للقرضاوي صـ ٨٢.." (١)

"نقول في مثل هذه الإمور إننا قد تدرك حكمتها وقد لا تدرك فإن كثيرا من الأشياء لا نعلم حكمتها كما قال تعالى:"ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" (الإسراء، آية: ٨٥)، فإن هذه المخلوقات لو سألنا سائل ما الحكمة أن الله جعل الإبل على هذا الوجه، وجعل الخيل على هذا الوجه، وجعل الحمير على هذا الوجه، وجعل الآدمي على هذا الوجه، وما أشبه ذلك، ولو سألنا عن **الحكمة في** هذه الأمور ما علمناها ولو سئلنا ما **الحكمة في** أن الله عز وجل جعل الظهر أربعا وصلاة العصر أربعا والمغرب ثلاثا وصلاة العشاء أربعا وما أشبه ذلك ما استطعنا أن نعلم **الحكمة في** ذلك وبهذا علمنا أن كثيرا من الأمور الكونية وكثيرا من الأمور الشرعية تخفي علينا حكمتها وإذا كان كذلك فإنا نقول إن التماسنا للحكمة في بعض الأشياء المخلوقة أو المشروعة إن من الله علينا بالوصول إليها فذاك زيادة فضل وخير وعلم، وإن لم تصل إليها فإن ذلك لا ينقصنا شيئا، ثم نعود إلى جواب السؤال وهو ما **الحكمة في** أن الله عز وجل وكل بنا كراما كاتبين يعلمون ما نفعل؟ **فالحكمة من** ذلك بيان أن الله سبحانه وتعالى نظم الاشياء وقدرها وأحكمها إحكاما متقنا حتى إنه سبحانه وتعالى جعل على أفعال بني آدم وأقوالهم كراما كاتبين موكلين بهم يكتبون ما يفعلون مع أن سبحانه وتعالى عالم بما يفعلون قبل أن يفعلوه ولكن كل هذا من أجل بيان كمال عناية الله عز وجل بالإنسان، وكمال حفظه تبارك وتعالى وأن هذا الكون منظم أحسن نظام ومحكم أحسن إحكام والله عليم حكيم (١).

---

(١) المجموع الثمين لابن عثيمين (١/ ١٦٨).." (٢)

"٣. أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن به العبد، هل يطيعه أم يعصيه، ولا يكون المراد فعل المأمور به، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه "فلما أسلما وتله للجبين" (الصافات، آية: ١٠٣) حصل المقصود ففداه بالذبح

---

(١) الإيمان بالقدر؟ علي محمد الصلابي ص/٢٩١

(٢) الإيمان بالقدر؟ علي محمد الصلابي ص/٢٩٢

وكذلك حديث الابرص والأقرع والأعمى لما بعث الله إليهم من سألهم الصدقة، فلما أجاب الأعمى قال الملك: أمسك عليك مالك فإنما ابتليتم، فرضي الله عنك وسخط على صاحبيك (١)، **فالحكمة منشؤها** من نفس الأمر لا من نفس المأمور به، فهذه الاقسام الثلاثة هي الصواب (٢).

وهناك نقطة مهمة وهي: إن ادراك العقل لحسن الفعل أو قبحه أكثره مجمل، فالعقل لا يحيط بالوجوه والاعتبارات للأفعال كلها ولذلك كان الشرع وإرسال الرسل لابد منه خاصة مع غلبة الهوى، ولكن هذا لا يمنع وجود قدر مشترك بين العقلاء في إدراك حسن بعض الأفعال أو قبحها (٣)، وإذا تتبعنا نصوص الشرع لوجدنا الدلالة على أن هذا مركوز في الفطرة ومن الأدلة على ذلك:

١ـ قال تعالى:"وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون * قل أمر ربي بالقسط" (الأعراف، آية: ٢٨ ـ ٢٩).

فالفاحشة هنا هي طواف المشركين عراة بالبيت رجالا ونساء، فبين الله أنه لا يأمر به لقبحه، ثم بين الله أنه لا يأمر إلا بما هو حسن (٤).

---

(١) البخاري رقم ٣٤٦٤، فتح الباري (٦/ ٥٠٠).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٨/ ٤٣٤ ـ ٤٣٦).

(٣) مفتاح دار السعادة نقلا عن مسائل أصول الدين (١/ ٣٨٢).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٢٤٩) لابن القيم.." [١]

"زجر من وقع في الشرك الأصغر

ثم ذكر رحمه الله: ثالثة الفوائد التي تؤخذ من هذه القصة، وتفيد أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم غلظ الأمر فقال: (سبحان الله! قلتم كما قال قوم موسى: (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) والذي نفسي بيده! لتركبن سنن من كان قبلكم) ، وهذا فيه أعظم تغليظ على هؤلاء السائلين، والتغليظ -أيها الإخوة- هو هدي المتقدمين في مسائل التوحيد، فإن حذيفة رضي الله عنه عندما رأى على رجل خيطا من الحمى نزعه ثم قال: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون} [يوسف:١٠٦] ، وفي الحديث: (أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه عشرة

---

(١) الإيمان بالقدر؟ علي محمد الصلابي ص/٢٩٧

رجال يريدون أن يبايعوه صلى الله عليه وسلم، فبايع تسعة وترك واحدا كان على يده حلقة من صفر فقال: ما هذا؟ قال: من الواهنة، قال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا، وإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا) ، وهذا فيه تعظيم الشرك، وذلك أن الشرك أعظم الظلم كما تقدم، فإن الله سبحانه وتعالى قال: {إن الشرك لظلم عظيم} [لقمان:١٣] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل: (أي الظلم أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك) .

فالواجب علينا -أيها الإخوة- التغليظ في هذا الأمر، ولكن لا يعني هذا أن يغلظ على من كان معتادا على هذا الأمر، وليس في باله أن هذا الأمر محرم أو منكر، بل ينبغي سلوك **الحكمة في** ذلك، فمن الناس من يغلظ عليه خاصة في بلاد التوحيد، وفي البلاد التي يكون دعاة التوحيد فيها ظاهرين، فيتكلمون ويعلمون الناس التوحيد، فهؤلاء يغلظ عليهم، كما غلظ الرسول على الصحابة، وكما غلظ موسى على قومه، أما في البلاد التي ليس فيها أهل توحيد، والشرك فيها هو المنتشر، وعلماء السوء هم الظاهرون في الدعوة إلى الشرك وتسويغ الشرك ودعوة الناس إليه، فيكون من المناسب في هذه الحال أن يسلك الإنسان سبيلا قاصدا، ومن الحكمة أن يدعوهم بأسلوب هادئ، يشرح لهم ويبين لهم خطورة الأمر، ويسرد لهم الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على أن هذا من المحرمات وأن هذا من الشرك.

فالواجب علينا أن نفعل ما هو مناسب، فبالنسبة لمن كان بين ظهراني أهل التوحيد وأهل الدعوة السلفية الصحيحة المبنية على الكتاب والسنة؛ فهذا ينبغي أن يشدد عليه ويغلظ؛ لأن هذا من تقصيره وتفريطه، أما من كان بين ظهراني المبتدعة، وكان بين علماء السوء الذين يسوغون الشرك ويدعون إليه، فسلوك السبيل المناسب هو الأولى وهو الأحسن.." (١)

"ماهية الميزان

مسألة: الميزان هل هو حسي أم معنوي؟ الصحيح أن الميزان حسي وليس ميزانا معنويا، وقد وردت أحاديث تبين أن هذا الميزان له لسان وكفتان، فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، ثم يوزن الإنسان أو عمله أو الصحف التي وردت، فأصبح هذا الميزان حسيا وليس معنويا، وبعض الذين لا يقبلون هذه النصوص ولا يؤمنون بها كما سيأتي أن المعتزلة أنكرت قضية الوزن أصلا، وقالوا: الله عالم بهذا الأمر فلا يحتاج إلى قضية الميزان، ولكن هذا الكلام باطل؛ نظرا لمخالفته لما دلت عليه النصوص، والله سبحانه وتعالى يقول:

---

(١) شرح كشف الشبهات لخالد المصلح؟ خالد المصلح ٤/٩

{ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا} [الأنبياء:٤٧] {فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية} [القارعة:٦-٧] ويأتي في المقابل: {وأما من خفت موازينه * فأمه هاوية} [القارعة:٨-٩] دل على أن الوزن للحسنات وللسيئات.

الميزان للإنس والجن سواء، وليس خاصا بالإنس وحدهم، والسبب في ذلك إذا ذكرنا **الحكمة من** الوزن يتبين أن من الحكمة إظهار عدل الله تعالى، وأنه لا يظلم عنده أحد أبدا، والله قد قال: {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره} [الزلزلة:٧] مثاقيل الذر تعملها تجدها أمام عينيك، وعلى العكس أن مثاقيل الذر من الشر ستجدها أمام عينيك لن تظلم إطلاقا، مما يدل على أن هذا الخطاب للإنس وللجن سواء، والله سبحانه وتعالى هو العدل الحكم سبحانه، وإن لم يحدث لكن بإقامة الحجة على الناس.." (١)

"**الحكمة من** نصب الميزان يوم القيامة

عندنا من المسائل المتعلقة بالميزان: **الحكمة من** قضية الوزن، مع أن الله سبحانه وتعالى مطلع على أعمال العباد وعارف بها، فلماذا إذا توزن هذه الأعمال مع أن الله سبحانه وتعالى عالم بهذه، ذكر العلماء رحمهم الله تعالى **الحكمة فيها**، منهم من قال: تعريف العباد بما لهم من الجزاء والأعمال، ولو سئل كل واحد منا الآن: اذكر السيئات التي عملت فقط؟ قد لا نذكر إلا الجرائم العظام فقط، وما عداها من السيئات ننساها، فجيء بالميزان لأجل أن يرى الإنسان ما عمله من بداية تكليفه إلى أن توفي، يراه أمام عينيه، ولهذا جاء في قوله تعالى: {مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا} [الكهف:٤٩] سبحانه وتعالى، فيعرف الله تعالى عباده بما عملوه من خير أو شر.

ومنهم من قال: لإظهار عدل الله سبحانه وتعالى، وأنه الحكم العدل، وأن الناس لن يظلموا عنده أبدا: {وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين} [الأنبياء:٤٧] أي: أن الله سبحانه وتعالى لن يضيع الإنسان.

ومن العلماء من قال: إن الناس لو دخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار، لقال صاحب الجنة: إني دخلت هذه بما قدمت من الأعمال والدرجات وغيرها، وأنا أستحق بعملي، ولقال العاصي عند ذلك: إني دخلت هذه النار بسبب أني قد أكون ظلمت، وقد أدخلت هذه النار بسبب أعمال لا تستحق، لكن إذا جعلت الموازين، والناس يشاهدون هذا الوزن، ويرون الصغير والكبير يعرض، يطمئن الإنسان بعدها، فمن دخل

---

(١) شرح لامية ابن تيمية؟ عمر العيد ١٥/٥

الجنة -ونسأل الله أن نكون من أهلها- فرح وسعد، ومن دخل النار -نعوذ بالله منها- يكون قد علم أنه إنما دخل ذلك بسبب ما قدمت يداه في هذه الحياة الدنيا.." (١)

"**الحكمة في** دخول الأشقياء النار

بين المؤلف رحمه الله تعالى أن النار يصلاها الشقي، وكون الشقي يصلى هذه النار لم يصلها عبثا، ولم يصل هذه النار ظلما له، وإنما بحكمة قد تبدو للناس وقد لا تبدو لهم، وإن كان الشقي يدخل النار فحكمته واضحة لإظهار عدل الله سبحانه وتعالى، فالله يقول: {أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون} [القلم:٣٥-٣٦] أي: أنكم تأتون بشيء من عند أنفسكم، ولذلك ميز الله أهل الحق من أهل الكفر، وأن أهل الحق في الدنيا على إيمان وصلاح واستقامة وفي الآخرة مثلها، وإن كان بعض الناس قد لا ينظر إليه إلا نظرة ازدراء، والله قد قال: {إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون} [المطففين:٢٩] ولكن أهل الإيمان يوم القيامة هم الذين يضحكون من الكفار، والسبب: هو ما يحدث من بيان حكمة الله تعالى فيما يجريه الله على عباده في الدنيا، وما يثيبهم الله في الآخرة.." (٢)

"**الحكمة من** عدم ذكر القبر في القرآن كثيرا

مسألة: ذكر الإمام ابن القيم: ما **الحكمة من** عدم ذكر القبر في القرآن كثيرا؟ الجواب: ليس لنا الحق أن نعترض، بل الواجب علينا أن نسلم، وأن نصوص السنة كافية في إثبات هذا الأمر، والله قد بين أن رسوله لا ينطق عن الهوى: {إن هو إلا وحي يوحى} [النجم:٤] .

قضية عذاب القبر وإثباته لا شك أنه قد تواتر في الكتاب والسنة، وذكر بعض أهل العلم أنه ورد فيه أحاديث عديدة جدا في إثبات هذا الأمر، وممن نقل التواتر فيه: الحافظ ابن رجب، والإمام السيوطي، والإمام ابن القيم، وأجمعت الأمة على إثباته، وبينوا في ذلك أحاديث كثيرة.." (٣)

"ضمة القبر **والحكمة في** ذلك

من أحداث القبر: قضية الضمة، أو ضغطة القبر، ولقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن للقبر لضغطة، ولو كان أحد منها نجا لكان سعد بن معاذ) رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) شرح لامية ابن تيمية؟ عمر العيد ٩/١٥

(٢) شرح لامية ابن تيمية؟ عمر العيد ٦/١٦

(٣) شرح لامية ابن تيمية؟ عمر العيد ٣٠/١٧

وإثبات ضغطة القبر قد دلت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم على إثباتها، وهذه الضغطة نقول: إنها ضغطة حقيقية، وليست كما يقول بعض الناس: إنها ضغطة معنوية، لكنها تختلف باختلافها، المؤمن له ضغطة والكافر له ضغطة، فالكافر يحصل له ضغطة تختلف فيها أضلاعه، وأما المؤمن فيحدث له غم شديد.

ولذلك قال بعض أهل العلم كـ ابن أبي مليكة: [ما أجير من ضغطة القبر أحد ولا سعد بن معاذ رضي الله عنه، مع أن مناديله في الجنة خير من الدنيا وما فيها] .

مسألة: اختلف العلماء لماذا تحدث ضغطة القبر؟ الجواب: من العلماء من عللها وقال: لأنه ما من إنسان إلا ويحدث له شيء من المعاصي في الدنيا، ويحدث له في هذه الضغطة نوع تكفير، فتعتبر هذه نوع تكفير، ولعل هذه من نعمة الله تعالى أن يكفر الله عن العبد بها في أول دخوله إلى القبر.

من المعلوم أن الناس في القبر على قسمين: ١- إما روضة من رياض الجنة.

٢- وإما حفرة من حفر النار.

٣- وإذا كان روضة من رياض الجنة فتح له باب إلى الجنة بعد أن يجيب، وقيل: يبين له هذا منزلك من النار لو كنت كفرت وعصيت، وهذا منزلك بسبب طاعتك، فيقول: رب أقم الساعة فرحا بما رأى، وأما الكافر فعلى الضد! يرى مقعده من النار، وتكون نتيجتها نعوذ بالله من النار يقول: رب لا تقم الساعة، مخافة أن يدخل، مع أن ما هو فيه من العقوبة أمر عظيم جدا.

القول الثاني لتعليل ضغطة القبر، وإن كان هذا معنى الله أعلم بصحته، قالوا: إن الأرض أم، والأم تفرح بمجيء ولدها إليها، كما تأتي من سفر فتضمك أمك فهذا ضم له، ولكن هذا لا شك أنه قول يحتاج إلى دليل، ولا نجد دليلا ثابتا فيه يدل عليه.." (١)

"مراتب القضاء والقدر

مراتب القضاء والقدر أربعة، وقد دل عليها الكتاب والسنة: أولها: مرتبة العلم، ومرتبة العلم، سبق أن ذكرنا أن الإنسان يجب أن يعلم بأن الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء.

وعلم الله تعالى يتعلق بثلاثة أمور: الأول: علم بالشيء الماضي، وأن الله سبحانه وتعالى لم تخف عليه خافية فيما مضى، ولذلك قال فرعون لموسى: {فما بال القرون الأولى * قال علمها عند ربي في كتاب لا

---

(١) شرح لامية ابن تيمية؟ عمر العيد ٣٢/١٧

يضل ربي ولا ينسى} [طه:٥١-٥٢] دل على أن الله سبحانه عالم بما في الأزل.
الثاني: علم الله سبحانه وتعالى بكل ما هو واقع وحادث الآن، وهذا الأمر يجب أن نؤمن به، فلا تخفى على الله سبحانه وتعالى خافية مما يحدث في الكون.
الثالث: علم الله بما سيكون في المستقبل، وهو سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية، يعلم بكل شيء سبحانه وتعالى، وقد بين: {وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب} [الأنعام:٥٩] دل على أنك حين تنظر إلى الشجرة حين تتساقط أوراقها، أي: منها الذي يسقط اليوم، وتلك غدا، فالله يعلم متى تسقط وفي أي موضع تسقط، مما يدل على علم الله تعالى بالجزئيات، ويخالف في هذا الفلاسفة، فيقولون: إن الله لا يعلم بالجزئيات، وإنما يعلم بالكليات فقط، وهذا الكلام باطل لا شك في بطلانه، بل الله يعلم بكل شيء، بالكليات وبالجزئيات.
المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة، وأن الله سبحانه وتعالى قد كتب كل شيء عنده في اللوح المحفوظ، وقد دل عليه: (إن أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة) فكتب كل شيء.
وكذلك جاء النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة يسألون: أعمالنا؟ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (جفت الأقلام، وطويت الصحف) أي: هذا أمر قد كتب، كل أعمالنا مكتوبة في اللوح المحفوظ، ما سنعمله غدا وبعد غد، ومكتوب في اللوح المحفوظ كيف سنموت بحادث سيارة بمصيبة بعلة بمرض إلى غيره، مكتوب في اللوح المحفوظ كم سيحصل لنا من الأموال إلى غيره، كل شيء قد قدره الله وكتبه.
ويجب أن نعلم قاعدة وهي: أن اللوح المحفوظ لا يغير ما كتب فيه أبدا، ولن يخرج الإنسان عما كتب في اللوح المحفوظ أبدا، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (جفت الأقلام، وطويت الصحف) ونجد النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة) رواه الإمام مسلم.
ونجد الله تعالى يقول: {ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها} [الحديد:٢٢] أي: من قبل أن نخلقها، دل على أنها كلها مكتوبة في اللوح المحفوظ.
المرتبة الثالثة: مرتبة الإرادة والمشيئة، ويجب أن نعتقد أنه لا يكون في الكون، لا في السماوات ولا في الأرض إلا ما شاءه الله وأراده، ومشيئة الله وإرادته دائرة بين الرحمة وبين الحكمة، فربنا سبحانه وتعالى

يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء:٢٣] .

نجد من اللطائف قاعدة لـ أهل السنة وهي: أن أفعال الله لا يسأل عنها بـ (لم) ، وصفات الله لا يسأل عنها بـ (كيف) ، هذه قاعدة يجب دائما أن نعرفها.

أفعال الله لا يسأل عنها بـ (لم) ؛ للرد على طوائف المبتدعة المنحرفة في مسألة القضاء والقدر، وصفات الله لا يسأل عنها بـ (كيف) ؛ للرد كذلك على طائفة المبتدعة في الأسماء والصفات، الذين يقولون: كيف تكون صفات الله أو غيره؟ والسبب ولله المثل الأعلى: أنت في ذات نفسك لو كثر عليك السؤال لغضبت، فلو دخل -مثلا- شخص منزلك أو بيتك، ثم قال: لماذا جعلتم المجلس هنا؟ لماذا جعلتم كذا؟ لماذا وضعت هذا مكان كذا؟ لماذا؟ ستجد آخر الأمر، تقول: هذا مسكين أنا حر أتصرف فيه بما أريد، ليس لك دخل في هذا، ويغضب الإنسان أن يسأل عن مثل هذه الأمور، وقد يكون توجيه واحد، لكن لم لم؟ الآن يأتي إنسان ويقول: لماذا خلق الله الذباب؟ لماذا خلق الله البعوض؟ لماذا خلق الله الأسد؟ لماذا كتب؟ تلك لحكمة يعلمها الرب سبحانه وتعالى، وقد تكون عقول الناس لا تدركها.

ومن اللطائف ما ذكره صاحب كتاب: (غريزة أم تقدير إلهي) ، أظنه لـ شوقي خليل، كتاب يصلح إذا زرت مريضا أن تهديه إليه، فيه بعض الحكم في الطيور، وفيه بعض المخلوقات العجيبة، سبحان الله! ترى فيه عجائب، لا يكثر الكلام لكنه يعطيك صفة، لماذا هذا الطائر منقاره عريض، وهذا دقيق، وهذا منثني؟ ولماذا هذه البهيمة كذا؟ ولماذا النمل بصفة كذا؟ لله حكم عظيمة في هذا الأمر.

من اللطائف: كانت الهند تشتهر بالثعابين الكبيرة، طول الواحد منها ثلاثة أو أربعة أمتار وليست سامة، وكانت مستعمرة بريطانية، وجاء شخص وأخذ اثنين أو ثلاثة منها، ولم يكن الناس يتعرضون لها؛ لأنها لا تضرهم، وتعيش في مزارعهم، شخص أعجبه جلد ثعبانين أو ثلاثة، فسلخها، ثم اشتراها منه رجل بريطاني، وعندما أخذها هذا الرجل البريطاني سافر بها إلى بريطانيا معه، فوجدها شخص معه فقال له: ألا أصنع لك حذاء منها؟ أو أصنع لأهلك حذاء منها؟ فصنع فبيع بثمن غال جدا، فسئل: من أين جئت به؟ قال: من الهند، فقالوا: لو أرسلت لنصنع ونبيع تجارة، فأخذوا يذبحونها وترسل، وسبحان الله! في السنة التي ذبح فيه عدد كبير أكلت الجرذان أهم محاصيلهم وهو الأرز، وتجد سكان بعض الدول أكلهم في الصباح والظهر والعصر والمغرب والعشاء كله أرز، ليس عندهم شيء، فجاءوا فتساءلوا: ما الذي حدث؟ وإذا بالسبب هو قتل هذه الثعابين، كانت تلتقم هذه الجرذان، فلا تصيب محاصيلهم، مما يدل على أن الله إذ

يخلق بعضا من هذه المخلوقات إنما هو لحكمة عظيمة يعلمها سبحانه وتعالى، عقولنا قاصرة، ولكن إيماننا بأن الله لا يفعل شيئا إلا لحكمة يعلمها، ولهذا ذكر المؤلف:

والنار يصلاها الشقي بحكمة

أي: أن الله له حكمة في هذا الأمر، فيه شيء يظهر، وفيه ما لا يظهر لنا، ولذلك نحن نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى يفعل كل شيء: {إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون} [يس:٨٢] {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء} [الأنعام:١٢٥] .

ولذلك نحن لا نسأل: ما الحكمة من كذا؟ إن تبينت فالحمد لله، وإن لم تتبين فالواجب علينا أن ننصت لهذا الأمر.

المرتبة الرابعة من مراتب القدر: مرتبة الخلق: ويجب أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى خالق لكل شيء، وأنه ما من ذرة في السماوات ولا في الأرض إلا قد خلقها الله سبحانه وتعالى، وخلق حركتها، وخلق سكونها، ولا خالق لها إلا هو، ولا رب سبحانه وتعالى لها إلا هو، نستدل على ذلك بعدد من الأدلة: {الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل} [الزمر:٦٢] {والله خلقكم وما تعملون} [الصافات:٩٦] وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله صانع كل شيء وصنعته) دل على أنه سبحانه وتعالى هو المدبر والخالق لهذا الكون كله.

وكل مرتبة من هذه المراتب ترد على طائفة من المبتدعة، يقول العلماء رحمهم الله تعالى: في إثباتنا لمرتبة العلم رد على طائفة القدرية، نفاة هذه الصفة، ولذلك قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا خصموا، وإن أنكروا كفروا) .

من يقول: الله لا يعلم، يكون بذلك واصفا لله بالنقص؛ لأنه جاهل ولا شك في كفره؛ ولأنه نفى عن الله صفة الكمال.

وبمرتبة الإرادة والمشيئة يرد على طائفة القدرية، وكذلك المعتزلة الذين يقولون: إن الإنسان هو الذي يفعل ما يشاء، والله ليس له إرادة ولا مشيئة في فعل الإنسان إطلاقا.

ومرتبة الكتابة ترد على المعتزلة الذين يقولون: إن الأمر أنف، أي: الآن حدث، أي: أن الله لا يكتب شيئا ولا يقدر شيئا إلا بعد عمل العبد، وقبل فعل العبد لا كتابة على العبد أصلا، وهذا الكلام ترده الأحاديث

والآيات الواضحة في بيان كتابة الله تعالى.

ومرتبة الخلق ترد على المعتزلة الذين يقولون: الله خالق الإنسان، والإنسان هو الخالق لفعله.." [١]

"قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "من أراد أن ينظر إلى وصية محمد -صلى الله عليه وسلم- التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا} [(١٥١) سورة الأنعام]، إلى قوله: {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل} [(١٥٣) سورة الأنعام].

عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال: "كنت رديف النبي -صلى الله عليه وسلم- على حمار، فقال لي: ((يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟)) قلت: الله ورسوله أعلم؟ قال: ((حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا)) قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: ((لا تبشرهم فيتكلوا)) [أخرجاه في الصحيحين] ".

اقرأ المسائل؟

"فيه مسائل:

الحكمة في خلق الجن والإنس.

الأولى، الأولى.

"الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} [(٣) سورة الكافرون].

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله؛ ففيه معنى قوله تعالى: {فمن يكفر بالطاغوت ... } الآية [(٢٥٦) سورة البقرة].

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف.

---

(١) شرح لامية ابن تيمية؟ عمر العيد ١٠/١٨

وفيها عشر مسائل: أولاها: النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة.

ثماني عشرة.." (١)

"يقول: إذا أردت أن أكون -امرأة هذه- إذا أردت أن أكون طالبة علم على يد فضيلتكم، هل يتحقق ذلك بالمتابعة على شبكة الإنترنت؛ حيث لا أستطيع الحضور للمسجد، وهل ثمة اختبارات، وكيف تتم إجازة طالب العلم؟

على كل حال من تابع الدروس سواء كان من خلال الشبكة، أو من خلال الأشرطة وتفريغها على الكتب، والحرص والجد والمتابعة في هذا، هذا لا شك أنه طالب، وسالك سبيل العلم، سلك الطريق الذي يلتمس به العلم فيسهل له به طريق إلى الجنة، والحضور هو الأصل، لكن إذا تعذر يقوم مقامه المتابعة بواسطة الآلات.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين: في نهاية الباب الأول المترجم بكتاب التوحيد وقول الله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [(٥٦) سورة الذاريات]، وقفنا على المسائل المستنبطة من النصوص السابقة.

يقول -رحمه الله تعالى-:

"فيه مسائل: الأولى: **الحكمة في** خلق الجن والإنس": وهي تحقيق العبودية، تحقيق العبودية، وعلى رأسها تحقيق التوحيد، وتخليصه وتنقيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

"الثانية: أن العبادة هي التوحيد": لا سيما على تفسير من فسر {إلا ليعبدون}: ليوحدون.

"لأن الخصومة فيه": الخصومة بين الرسل وأممهم هي في توحيد العبادة.

"الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} [(٣) سورة الكافرون]

": أن من لم يأت به: يعني بالتوحيد -توحيد الألوهية- فإنه لم يعبد الله.

"أن من لم يأت به": توحيد الإلهية، أو الألوهية، "لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد}

": قاله للمشركين الذين يقرون بوجود الله، وأنه هو الخالق، يقرون بتوحيد الربوبية، فالمراد بالتوحيد الذي فيه الخصومة وهو المنفي هنا هو توحيد الألوهية.

---

(١) شرح كتاب التوحيد - عبد الكريم الخضير؟ عبد الكريم الخضير ٨/١

"الرابعة: **الحكمة في** إرسال الرسل، {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله} [(٣٦) سورة النحل]
": **الحكمة من** إرسال الرسل هداية الخلق إلى عبادة الله وحده.." [(١)]

"قوله: "ثم قام إليه رجل آخر": وقع فيه من الاختلاف هل قال "ادع لي" أو قال "أمنهم أنا" كما وقع في الذي قبله، ووقع في حديث أبي هريرة الذي بعده "رجل من الأنصار"، وجاء من طريق واهية أنه سعد بن عبادة، أخرجه الخطيب في المبهمات من طريق أبي حذيفة إسحاق بن بشر أحد الضعفاء من طريقين له عن مجاهد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما انصرف من غزاة بني المصطلق، فساق قصة طويلة وفيها أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: ((أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون صفا منها أمتي وأربعون صفا سائر الأمم، ولي مع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب))، قيل من هم " فذكر الحديث، فقال: ((اللهم اجعل عكاشة منهم))، قال: فاستشهد بعد ذلك.

ثم قام سعد بن عبادة الأنصاري فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم .. ، الحديث، وهذا مع ضعفه وإرساله يستبعد من جهة جلالة سعد بن عبادة، فإن كان محفوظا فلعله آخر باسم سيد الخزرج واسم أبيه ونسبته، فإن في الصحابة كذلك آخر له في مسند بقي بن مخلد حديث، وفي الصحابة سعد بن عمارة الأنصاري فلعل اسم أبيه تحرف.

"قال: ((سبقك بها عكاشة)) ": اتفق جمهور الرواة على ذلك إلا ما وقع عند ابن أبي شيبة والبزار وأبي يعلى من حديث أبي سعيد فزاد: فقام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم وقال في آخره: ((سبقك بها عكاشة وصاحبه)) ((سبقك عكاشة وصاحبه، أما لو قلتم لقلت ولو قلت لوجبت)) وفي سنده عطية وهو ضعيف.

وقد اختلفت أجوبة العلماء في **الحكمة في** قوله: ((سبقك بها عكاشة)) فأخرج ابن الجوزي في (كشف المشكل) من طريق أبي عمر الزاهد أنه سأل أبا العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب عن ذلك فقال: كان منافقا، وكذا نقله الدارقطني عن القاضي أبي العباس البرتي -بكسر الموحدة وسكون الراء بعدها مثناة- فقال: كان الثاني منافقا، وكان -صلى الله عليه وسلم- لا يسأل في شيء إلا أعطاه، فأجابه بذلك.." [(٢)]

---

(١) شرح كتاب التوحيد - عبد الكريم الخضير؟ عبد الكريم الخضير ٨/٢

(٢) شرح كتاب التوحيد - عبد الكريم الخضير؟ عبد الكريم الخضير ١٧/٤

"**الحكمة في** تشبيه رؤية الله برؤية الشمس والقمر

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته) حديث صحيح متفق عليه، وهذا الحديث رواه الإمام البخاري والإمام مسلم وغيرهما من حديث جرير بن عبد الله، وقد جاء من حديث غيره، لكن هذا اللفظ في حديث جرير بن عبد الله يقول شيخ الإسلام رحمه الله: وهو من أصح الأحاديث.

وقد أجمعت الأمة على قبوله وتلقيه بالقبول.

وفيه إثبات رؤية المؤمنين لله عز وجل: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر) والمشار إليه هو القمر المعروف الذي في السماء، وفي بعض الروايات: (كما ترون الشمس ليس دونها سحاب، والقمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته) أي: لا يلحقكم ضيم في رؤيته، بل ترونه في سعة، وفي رواية أخرى: (لا تضامون في رؤيته) أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض لتروه بل هو جلي واضح؛ فالناس إذا أرادوا أن يتراءوا الشمس، هل يحتاج أحدهم أن يقترب إلى الآخر حتى يرى الشمس أم أن كل واحد يراها وهو منفرد عن الآخر بدون تضام واجتماع؟ وهل يلحقهم ضيم في رؤيتها؟ لا، فمن أوسع ما يكون رؤية القمر والشمس، أما رؤية الهلال في أول إهلاله فيحتاج الناس فيه إلى تضام حتى يروه في الغالب، لذلك تجد أحدهم يقترب من الآخر ليريه مكان الهلال، وكذلك يحصل عليهم ضيم؛ لأن إدراكه ليس بالأمر السهل، أما رؤية الشمس والقمر فإنه لا تضام فيها ولا ضيق على أهلها؛ ولذلك ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤيا القمر والشمس لأمرين:

الأمر الأول: أنهما أعظم ما يرى في الدنيا، فأعظم ما يراه أهل الدنيا وأوضحه الشمس والقمر.

الثاني: أن كيفية رؤية الشمس والقمر من أسهل ما يكون، فيراها الحاضر والبادي، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، فليس هناك إشكال في رؤيته، فلا عسر في الرؤية، فهي من أسهل ما يكون، فاجتمعت سهولة الرؤية ووضوحها، فالوضوح من أوضح ما يكون، والسهولة واليسر من أسهل وأيسر ما يكون، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته) .

يقول رحمه الله: (وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي) ، أي: فلو قال قائل: إن هذا تمثيل، فقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل بالقمر.

نقول: لا، ليس التشبيه للمرئي بالمرئي، إنما التشبيه للرؤية، فالكاف في قوله صلى الله عليه وسلم: (إنكم سترون ربكم كما ترون) لتشبيه الرؤية، ولذلك قال: (كما ترون) ؛ (ما) : هنا مصدرية، و (ترون) فعل، ما

المصدرية والفعل الذي بعدها تؤول بمصدر تقديره: كرؤيتكم، هذا معنى قوله رحمه الله: (هذا تشبيه للرؤية) ، فالمعنى: إنكم سترون ربكم كرؤيتكم القمر، أي: في الوضوح وعدم التضام والضيق في الرؤية، فالتشبيه للرؤية لا للمرئي، أما الله جل وعلا فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

قال رحمه الله: (فإن الله لا شبيه له ولا نظير) .

أي: لا مثيل له ولا مساو؛ لأن الله تعالى نفى عن نفسه الند والنظير والمثيل والكفء، {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} [الشورى:١١] {ولم يكن له كفوا أحد} [الإخلاص:٤] {هل تعلم له سميا} [مريم:٦٥] {فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون} [البقرة:٢٢] ، فليس له ند، ولا يمكن أن يمثل بغيره، كما قال تعالى: {فلا تضربوا لله الأمثال} [النحل:٧٤] .

فلا يجوز أن يقال: المرئي كالمرئي فالله تعالى كالقمر، بل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} [الشورى:١١] .." (١)

"شرح لمعة الاعتقاد [٩]

القدر سر الله في خلقه، فمن رام البحث عنه وقع في الهاوية، ولهذا زاغ من زاغ وضل من ضل في هذا الباب بسب التعمق والبحث.

فعلى كل مسلم أن يؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، سواء ظهرت له **الحكمة في** هذا الأمر أم لم تظهر.." (٢)

"كل أفعال الله عز وجل فيها حكمة ولكن قد تخفى على البعض

قال المؤلف رحمه الله في الاستدلال لما تقدم: (قال الله تعالى: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء:٢٣]) : (لا يسأل) أي: الله جل وعلا لا يسأل عما يفعل، يعني: عما يكون منه من خلق وتقدير، (وهم يسألون) أي: الخلق يسألون، وفي هذه الآية نفي السؤال عن الله عز وجل، فلماذا: هل لكونه يفعل لغير حكمة؟

A لا، وإنما (لا يسأل عما يفعل) هذا لكمال حكمته وعلمه جل وعلا، وأنه يضع الأشياء في مواضعها، وأنه ليس في فعله خلل ولا عبث ولا فساد حتى يسأل عنه، بل فعله في غاية الحكمة، فله فيما يقضي

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد لخالد المصلح؟ خالد المصلح ١٢/٧

(٢) شرح لمعة الاعتقاد لخالد المصلح؟ خالد المصلح ١/٩

ويقدر الحكمة البالغة، هذه الحكمة قد يدركها الإنسان بنظره وفكره وتدبره، وقد يحال بينه وبين إدراكها، لكن امتناع **الحكمة من** أن تدرك ومن أن يعقلها الإنسان لا يدل على أنه ليس لهذا الفعل حكمة أو ليس لهذا القضاء أو هذا القدر حكمة، بل لابد له من حكمة، لكن هذه الحكمة قد تخفى ولا تدرك.

فقوله تعالى: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء:٢٣] هذا لكمال حكمته جل وعلا وعلمه وأن ما يفعله ليس فيه خلل ولا عبث، وأنه جل وعلا يضع الأشياء في مواضعها، خلافا لمن استدل بهذه الآية على نفي التعليل، فقال: إن الله يفعل لا لحكمة.

وهذا لجهلهم بكلام الله عز وجل وصفاته وما يجب له، لأن المؤمن يدرك أن الله جل وعلا حكيم كما وصف نفسه بذلك، وحكمته لا تقتصر على شيء من فعله جل وعلا أو من قضائه وقدره، بل هي منتظمة جميع أفعاله، وجميع أقضيته، وجميع ما يقدره الله جل وعلا.

وهذه الآية بدأ بها المؤلف في بداية الأدلة الدالة على ما تقدم من الكلام لبيان أنه يجب على الإنسان إذا عجز عن إدراك **الحكمة في** قضاء الله ألا يعارض القدر، بل يجب أن يسلم للقدر، فالقدر سر الله في خلقه، لم يطلع عليه ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلا، فإذا عجز الإنسان عن إدراك شيء مما يقضيه الله ويقدره، فالواجب عليه أن يسلم وألا يتهم الله جل وعلا بظلم أو بشيء من ذلك، بل يجب عليه أن يعتقد كمال الرب وأن يتهم نفسه، وأنه جل وعلا لعلمه وحكمته لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ولذلك لما جاء ابن الديلمي إلى أبي بن كعب وقال له: (إن في نفسي شيئا من القدر) قال له مبتدئا الجواب: (لو أن الله عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته أوسع لهم وأفضل لهم) .

فالواجب على المؤمن فيما يتعلق بالقدر إذا وقع في قلبه شيء أن يطلب حله من كلام الله وكلام رسوله ومن سؤال أهل العلم، كما قال الله جل وعلا: {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} [النحل:٤٣] فإن لم يجد جوابا فالواجب عليه أن يرد هذا الاشتباه إلى ما يعلمه من عظيم صفات ربه، وأنه الحكيم العليم الخبير الذي لا يظلم الناس شيئا، وأن يعلم أن قدر الله من جملة ما يدخل في قوله تعالى: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} [الشورى:١١] ، فإنه ليس كمثله شيء في شأن من شئونه، فإذا اعتقد العبد أنه ليس كمثل ربه شيء، فإنه ينحل ما قد يورثه الشيطان أو ما يوسوسه الشيطان من انتفاء الحكمة أو

وجود الظلم أو ما أشبه ذلك في شيء من أقضية الله وقدره، وليكن على باله قول الله تعالى: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء:٢٣] .." (١)

"**الحكمة في** تكرار الرقم (سبعة) في كثير من الأشياء

Q ما هو السبب في تكرار رقم (سبعة) : فأيام الأسبوع سبعة، والأرضون سبع، والسماوات سبع، وكذلك أيضا الجنة لها سبعة أبواب، والنار لها سبعة أبواب إلخ؟

A مثل هذا تعلق به الإسماعيلية الباطنية الذين يقولون: إن الأمور كلها تدور على سبعة، فجعلوا الإمامة تنتهي بالسابع بعد جعفر الصادق، وقالوا: إن الإمام بعده إسماعيل بن جعفر، ومن ثم يفترقون عن الجعفرية الإثني عشرية الذين يقولون: إن الإمام بعد جعفر هو موسى بن جعفر، وهؤلاء الباطنيون يقولون: إن الدورات كلها هي دورات سبع، وإن هذا الإمام السابع هو الذي تنتهي به الإمامة، لكن دليل في ذلك؛ لأن من تأمل الأعداد في القرآن الكريم وجد أعدادا غير سبعة؛ ففي القرآن الكريم عشرة، كما في قوله تعالى: {تلك عشرة كاملة} [البقرة:١٩٦] ، وقوله: {وأتممناها بعشر} [الأعراف:١٤٢] وفيه ثلاثة، وسبعة، وتسعة عشر، وأربعون، وثلاثون، فلا دلالة في هذا، وإنما هي حكمة لله سبحانه وتعالى قد لا نعلمها.." (٢)

"الرد على منكري الرؤية في استدلالهم بآية (لن تراني)

ومثله الآية الأخرى لما قال موسى لربه: {رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني} [الأعراف:١٤٣] ، فهذه الآية أيضا احتج بها المعتزلة، وقالوا: إن قوله: (لن تراني) ، يدل أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، وهذه الآية حجة عليهم من عشرة أوجه ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية، وذكرها شارح الطحاوية ابن أبي العز رحمه الله تعالى.

وأشير إلى وجهين فقط، وارجعوا إلى بقية الأوجه هناك: الوجه الأول: أن الله تجلى للجبل، كما قال: {قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا} [الأعراف:١٤٣] ، فالله تعالى تجلى للجبل فاندك، فهذا دليل على أن الله تعالى يرى.

الوجه الثاني: أنه لا يليق بكليم الله سبحانه وتعالى موسى أن يطلب من الله سبحانه وتعالى ما لا يليق،

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد لخالد المصلح؟ خالد المصلح ٧/٩

(٢) شرح لمعة الاعتقاد للمحمود؟ عبد الرحمن بن صالح المحمود ١٨/٥

فموسى لا يمكن أن يطلب أمرا غير ممكن، وإنما طلب أمرا ممكنا، ولكن الله أخبره أنه في الدنيا لا يستطيع أن يقوى عليه.

وفعلا فإن الله سبحانه وتعالى لا يرى في الدنيا، وعلى هذا يكاد يكون إجماع العلماء، أي: أن الله تعالى لا يرى حقيقة في الدنيا، وقد ثبت في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) ، والراجح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا لم ير ربه بأم عينيه، وإنما رآه بفؤاده.

ولعل **الحكمة في** ذلك أن الناس في الدنيا لا يستطيعون أن يقووا على رؤية الله سبحانه وتعالى، لكن إذا كانوا عند الله سبحانه وتعالى في الآخرة وفي الجنة، فإن الله سبحانه وتعالى يعطيهم من القوة ما يثبتون ويقوون به على رؤية الله سبحانه وتعالى، وهذا هو الصحيح الذي دلت عليه الأدلة الكثيرة.." (١)

"تنزيه الله عز وجل عن الظلم، وإثبات أن كل فعله لحكمة

قال المصنف رحمه الله: [يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، قال الله تعالى: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء:٢٣]] .

وهذا لبيان قضية مهمة جدا متعلقة بالقدر ألا وهي: أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم العباد؛ لأن الوهم قد يخطر أحيانا عند الإنسان، فيقول: إذا أثبتنا هذه المراتب الأربع لله، وكان ما يفعله العباد مكتوبا، فلماذا يعذب هؤلاء وينعم هؤلاء؟ ولماذا فرق بينهم؟ فنقول هنا: إن الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء برحمته، فهو الذي يمن على عباده ويتفضل عليهم، فمن هداه الله ووفقه للهداية فهذه منة من الله، وقد يمن الله سبحانه وتعالى بما هو أخص من ذلك، مثلما من الله سبحانه وتعالى على الرسل بإرسالهم، قال عز وجل: {أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما} [النساء:٥٤] ، فهو الذي اختار هؤلاء الرسل، فإذا من الله على رسول فلا يجوز لإنسان أن يعترض، ويقول: لماذا اخترت محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أن يكون رسولا، ولم تختر فلانا أو فلانا، كما قال بعض المشركين! إذا: اصطفاء الله لرسله منة، وهداية الله لعباده منة، ومن ثم فإن الذي هداه الله سبحانه وتعالى يجب عليه أن يعترف بهذه المنة، وأن يشكر ربه سبحانه وتعالى عليها شكرا عظيما، ولهذا فنحن نحمد الله سبحانه وتعالى أن جعلنا مسلمين، فليس بيننا وبين الله نسب، فهاهي أمم الأرض

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد للمحمود؟ عبد الرحمن بن صالح المحمود ١٢/٨

تموج؛ فيها الملاحدة، وفيها اليهود، وفيها النصارى، وفيها عباد الأوثان وغيرهم، ويبلغون الملايين، وتفوق أعدادهم أعداد المسلمين.

إذا: من من الله عليه بالهداية فذلك برحمته.

قوله: (ويضل من يشاء بحكمته) ، هذا هو الشاهد، وهو أنه سبحانه وتعالى يضل من يشاء، لكن له حكمة في ذلك، فهو سبحانه وتعالى لا يظلم العبد. فقد أقام عليه الحجة، وأعطاه الإرادة والقدرة، وأنزل إليه الكتب، وأرسل إليه الرسل، حتى وضحت لديه المحجة، ووضح لديه الطريق.

ولهذا فإن مما يجب أن يقطع به أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحدا؛ لأنه ليس بحاجة إلى الخلق، وهذه قضية ربما نشير إليها بعد قليل، لكن أشير هنا إلى أنه سبحانه وتعالى يضل من يشاء بحكمته؛ فله الحكمة البالغة؛ لأنه هو الذي اختار أن يوجد أهل الضلال وأهل الإيمان، ولو شاء لجمعهم على الهدى، لكنه اختار أن يكونوا منقسمين هكذا لحكمة يريدها سبحانه وتعالى، فما هي هذه الحكمة؟ هذه الحكمة قد تكون سرا من أسراره؛ فإن الله سبحانه له الإرادة المطلقة، كما قال عن نفسه {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء:٢٣] ، ونحن قد نتلمس شيئا من حكم الله سبحانه وتعالى في ذلك، والله سبحانه وتعالى خلق الخلق وأوجدهم على هذه الحالة لتظهر آثار العبودية، وآثار الطاعة، ولهذا تجد أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يخلق شرا محضا لا خير فيه، وإنما يخلق الله سبحانه وتعالى الشر النسبي؛ حيث يكون شرا لبعضهم، لكنه خير لبعضهم الآخر.

فمثلا: إبليس شر، فقد يقال: لماذا خلق الله إبليس؟ فنقول: خلقه لحكمة أرادها، ونقول أيضا: خلقه ليبتلي به عباده، فكيف يميز المطيع من العاصي، وكيف يكون الإنسان لربه مطيعا، وكيف يكون أنين المذنبين، واستغفار المستغفرين، وعبادة العابدين، وتوبة التائبين لو لم يكن هناك ابتلاء وامتحان بإغواء إبليس؟! ولو نظرنا أيضا إلى بعض مخلوقات الله لوجدنا أن لله فيها حكمة، فمثلا: لو جاء واحد وقال: لماذا خلق الله الأفعى أو العقرب، وليس فيها خير أبدا؛ بل إن ضررها كبير؟ فنقول: بل خلقها لحكم لا نعلمها، وإن كنا قد نلمس فيها شيئا من الحكم، فقد يكون فيها أدوية وشفاء، وقد تكون سببا للدغ إنسان فيكون شهيدا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (واللديغ شهيد) .

إذا: لا يوجد شيء خلقه الله سبحانه وتعالى إلا وله فيه حكمة، وأذكر أن أحد الوعاظ دخل على أحد خلفاء بني العباس، فلما دخل عنده وجلس أمامه تسلط ذباب على الخليفة، وصار هذا الذباب يقع على

أنف الخليفة، ثم يخرج فيرجع مرة ثانية، ويخرج ويرجع، ويخرج ويرجع، حتى ضاق منه.

فقال هذا الخليفة لهذا الواعظ: لماذا خلق الله الذباب؟ فاستحضر الواعظ إجابة لطيفة قال له فيها: خلقه الله ليذل به أنوف الجبابرة! فأعطاه حكمة حاضرة لديه الآن أنه إن تكبر فهذا من أصغر المخلوقات يذله، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: {يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف} [الحج:٧٣] .

إذا: بنص القرآن أن **الحكمة في** خلق الذباب أن الله سبحانه وتعالى جعله بلاء، يبتلي به عباده المؤمنين، وهكذا في بقية ما خلقه الله سبحانه وتعالى.

إذا: هو سبحانه وتعالى يضل من يشاء بحكمة، لكنه لا يجبر العباد، ولذا فإن العبد هو الذي يختار ويفعل.." (١)

"إن تعلم العقيدة الصحيحة والتي مصدرها الكتاب والسنة الصحيحة ثم إجماع سلف الامة (١) ، والعمل بمقتضاها والدعوة إليها هي أشرف الأعمال وأعظمها ، والتي يحاول العبد في هذه الحياة أن يقيمها على ما يحب ربنا ، وإن عبادة الله وحده وتنزيهه عن صفات النقص واثبات صفات الكمال وطاعة رسوله والعمل بشرعه وتطبيقه في شئون الحياة كلها والدعوة إلى دينه هي **الحكمة من** خلق الجن والإنس ، ولا يستقيم ذلك إلا بتصحيح العقيدة؛ إذ العمل فرع عن التصور والإعتقاد.

فلا تكون هناك عقيدة صحيحة إلا بان يكون مصدرها الكتاب والسنة وإجماع سلف الامة؛ إذ تعتبر العقيدة هي قاعدة الإيمان والأصل الذي يقوم عليه أركان الإيمان.

وموضوع هذا البحث هو الإخبار عن الله بما لم يأت في القرآن والسنة والذي نتناوله كما يلي:

الفصل الأول: توطئة بين يدي البحث وفيه:

أولا: سبب كتابة هذا البحث.

ثانيا: أهمية هذا البحث.

ثالثا: تعريفات ومقدمات بين يدي البحث.

الفصل الثاني وفيه:

الدليل من القرآن والسنة على جواز الإخبار عن الله.

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد للمحمود؟ عبد الرحمن بن صالح المحمود ٩/٩

ما جاء عن سلف الأمة بشأن عدم التقيد بما جاء في القرآن والسنة في الإخبار عن الله.
الفصل الثالث: الرد على بعض الاعتراضات على هذا البحث.

وقبل الشروع في البحث لعله من المناسب أن أنقل كلاما للشيخ القاسمي في تفسيره للآية رقم ٨٢ من سورة النساء حيث قال: " وفي بقية الآية العذر للمصنفين فيما يقع لهم من الاختلاف والتناقض لأن السلامة عن ذلك من خصائص القرآن ".
وأسأل الله بأسمائه وصفاته أن يجعل هذا العمل لوجهه خالصا ، وأن يكون بحثا نافعا لي وللمسلمين ، وأن يتقبله مني بفضله وكرمه.

---

(١) – إجماع السلف في باب الاعتقاد فيه تفصيل سيأتي في الفصل الثالث.." [١]
"فوجهها إلى التفكر والتدبر.
في كتابه.
(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) .
ثم يستثير العقل الإنساني ويتحداه أن يأتي بمثل هذا القرآن حتى إذا ما أدرك عجزه عرف أنه من عند الله (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) (فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) .
وفي مخلوقاته:
(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) (أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون) (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت) .
ثم يتحدى العقل بحواسه أن يجد خللا في شيء منها ليزداد بعد عجزه إيمانا وتسليما (الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين

---

(١) شرعية الإخبار عن الله بما لم يأت به قرآن ولا سنة؟ أبو عبد الله المصري ص/٦

ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير)

وفي تشريعاته:

(ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون) (وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون) (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون)
.

فأمر بالتفكر في تلك التشريعات لتحري **الحكمة فيها** لأن الحياة لا تسير آلية بحيث تنطبق عليها القاعدة التشريعية انطباقا آليا، وإنما هناك مئات من الحالات للقاعدة الواحدة، وما لم يكن الإنسان مدركا للحكمة الكامنة وراء التشريع وفاهما لترابط التشريعات في مجموعها فلن يتمكن من تطبيقها في تلك الحالات المختلفة التي تعرض للبشر في حياتهم الواقعية وقد عني الإسلام بإيقاظ العقل لتدبر هذه التشريعات ليستطيع تطبيقها على خير وجه.." (١)

"تقرير أصول مذهب أهل السنة في باب القدر

اشتهر في كلام جملة من متأخري أهل السنة أن مراتب القدر أربعة:

المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه وتعالى بأفعال العباد.

المرتبة الثانية: كتابته لها.

المرتبة الثالثة: إرادته ومشيئته عز وجل.

المرتبة الرابعة: خلقه لأفعال العباد.

وهذا ترتيب صحيح، ولكن إذا أردنا الكمال في تقرير مسألة القدر فإن الأولى أن يقال: إن هذه المسألة محصلة بأصول سبعة عند السلف، وممن نص على هذه الأصول الإمام ابن تيمية رحمه الله، وهي كما يلي:

الأصل الأول: الإيمان بعموم علمه سبحانه وتعالى بكل شيء في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء؛ فعلم ما كان وما سيكون، وقد دخل في عموم علمه: علمه سبحانه وتعالى بأفعال العباد قبل كونها، فيعلم ما هم فاعلون، وما تصير إليه أمورهم وأحوالهم، وهذا أصل شرعي عقلي فطري من أنكره فإنه زنديق كافر، وهو مما لم ينكره أحد من المسلمين، حتى أن القدرية المعتزلة أقروا بهذا الأصل إجمالا.

---

(١) نقض أصول العقلانيين؟ سليمان الخراشي ٣/٢٣

فإن قيل: إن غلاة القدرية أنكروا هذا الأصل.

قيل: إن المراد بالغلاة هم من ينكر علم الرب بما يكون من أفعال العباد، ويقولون: إنه لا يعلمها إلا عند وقوعها، وهؤلاء ليسوا مسلمين، بل زنادقة منافقون، وإن زعموا الانتساب للإسلام، وكفرهم أعظم من كفر اليهود والنصارى؛ لأن في قولهم هذا إبطال لمقام الربوبية والألوهية؛ لأن الإله المعبود لابد أن يكون هو الرب المتفرد بالملكوت والتدبير والعلم والإرادة.

فإن قيل: هذا القول ما منشؤه؟

قيل: هذا قول قوم من غلاة الفلاسفة الملاحدة نقل إلى من يزعم الانتساب إلى الإسلام، وأما حكم القائلين به فهو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "منافقون نفاقا علميا في انتسابهم للإسلام، وإلا فهم قوم زنادقة" وقد أجمع السلف على تكفيرهم بأعيانهم، ولا يلزم أن تقام عليهم الحجة؛ لأن الحجة قائمة عليهم ضرورة، فإن هذه المسألة لا يمكن أن يحصل فيها اشتباه لكونها مستقرة بالفطرة والعقل والشرع.

الأصل الثاني: أن الله سبحانه وتعالى كتب في الذكر (اللوح المحفوظ) كل شيء، وقد دخل في عموم كتابته سبحانه وتعالى كتابته لأفعال العباد، وفي حديث عبد الله بن عمرو في الصحيح: (إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة).

مسألة: هل الكتابة لأفعال العباد أصل عرفناه بالعقل والشرع أم بالشرع فحسب؟

الجواب: بالشرع، وإن كان العقل بعد خبر الله بها لا ينفي شيئا من ذلك؛ فإن العقل لا يعارض النقل.

وهذا الأصل أقر به سواد المسلمين، ولم ينكره إلا قوم من غلاة القدرية، وهو دون الأصل الأول في المقام.

الأصل الثالث: الإيمان بعموم إرادة الله تعالى ومشيئته النافذة، فلا يقع شيء في ملكوت السماوات والأرض إلا وقد أراد الله سبحانه وتعالى وقوعه بمشيئته، وقد دخل في عموم إرادته ومشيئته إرادته لأفعال العباد طاعة أو معصية، خيرا أو شرا، عبادة أو عادة.

الأصل الرابع: الإيمان بأن الله خالق كل شيء، وقد دخل في عموم خلقه سبحانه وتعالى خلقه لأفعال العباد؛ لأن الشيء إما أن يكون خالقا وإما أن يكون مخلوقا، ولا شك أن الخالق هو الله وحده وما سواه مخلوق.

وهذا من طرق جدل المعتزلة والقدرية المنكرين لخلق أفعال العباد، أن يقال لهم: ما من شيء موجود إلا وهو أحد أمرين: إما أن يكون خالقا، وإما أن يكون مخلوقا، فإذا كان لا يوصف بأنه خالق إلا الله تعالى

لزم أن يكون كل ما سواه مخلوق، والعباد ليسوا خالقين، وإنما هم أهل فعل كما وصفهم الله بأنهم فاعلون مصلون مزكون صائمون إلى أمثال ذلك من الأفعال.

وقد أنكرت القدرية من المعتزلة وغيرهم الأصل الثالث والرابع، وهذه هي البدعة التي اشتهرت عند طائفة من أهل القبلة، وهي: القول بأن أفعال العباد لم يردها الله، ولم يشأها، ولم يخلقها.

الأصل الخامس: الإيمان بأن للعباد مشيئة وإرادة في أفعالهم لكنها تابعة لمشيئة الله وإرادته، والإيمان بأن هذه الإرادة والمشيئة على الحقيقة وليست على المجاز كما يقول بعض الأشاعرة، فإن الله أثبت إرادة العباد في مثل قوله: {لمن شاء منكم أن يستقيم} [التكوير:٢٨]، {منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة} [آل عمران:١٥٢]، فذكر أن إرادتهم متنوعة ومتعددة، وذكر أن أصحاب الآخرة بإرادتهم، وأصحاب الدنيا بإرادتهم، وهذا المقام -أعني: مشيئة العباد- ينكره الجبرية القائلون: إن العباد مجبورون على أفعالهم، وكذا ما يقوله أهل الكسب من الأشاعرة.

وأما قول السلف فيها فهو قول وسط بين طائفتين:

الطائفة الأولى: القدرية تقول: إن للعباد مشيئة مستقلة عن مشيئة الله وإرادته.

الطائفة الثانية: الجبرية تقول: إن العباد لا مشيئة لهم ولا إرادة.

وأهل السنة يقولون على قوله تعالى: {لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين} [التكوير:٢٨ - ٢٩]: إن للعباد مشيئة وإرادة ولكنها تابعة لمشيئة الله سبحانه وتعالى وإرادته.

الأصل السادس: الإيمان بعموم حكمته سبحانه وتعالى، وأن سائر أفعاله لحكمة، فعذاب المعذبين وثواب المصلين الطائعين المؤمنين، وما يقع في الكون من الحوادث وإن ظهر لبعض الناس أنها شر فإن الشر لا يضاف إليه سبحانه وتعالى، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (والشر ليس إليك)؛ فكل ما يقع في هذا العالم من الحوادث فإنها لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى، ولا يكون في ملكه وملكوته سبحانه شرا محضا لا خير فيه بوجه من الوجوه، أو لا يستلزم خيرا؛ فإن سائر ما يقع إما أن يكون خيرا محضا، وإما أن يكون متضمنا أو مستلزما للخير.

مثال ذلك: قتال الكفار للمسلمين، فأصل فعل الكفار شر، لكنه استلزم خيرا وهو مجاهدة المسلمين لهم، وإقامة ذكر الله، وإعلاء كلمته، إلى أمثال ذلك.

وهنا يقال: إن كل ما يقع في هذا العالم فإما أن يكون خيرا محضا كبعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وإما

أن يكون متضمنا للخير كالولد، ولهذا جعلهم الله نعمة وجعلهم فتنة، وإما أن يكون مستلزما للخير وإن كان في مبدئه أو في ظاهره شيء من الشر، ولهذا لما طعن على عائشة رضي الله عنها، ورماها المنافقون بالزنا، وكان في ظاهره ومبدئه شر وتعد نزهها الله في كتابه، فقال: {إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم} [النور:١١]؛ لأن به حصل شيء من المنافع لهم، منها: امتياز المؤمنين عن غيرهم، ومنها: تبرئة أم المؤمنين وتفضيلها وتقديمها.

وهذا ظاهر، وهذا هو معنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (والشر ليس إليك)، وهذه الكلمة تكلف بعض الشراح حتى أهل السنة المتأخرين في شرحها، وهي من البينات والهدى الذي لا إشكال فيه؛ فالله سبحانه وتعالى منزه عن الشر، ولا يضاف إليه الشر بحال من الأحوال، وكل ما يقع في هذا العالم مما ظاهره الشر ففيه مصلحة وخير من وجه آخر.

الأصل السابع: الإيمان بأن العباد مأمورون بما أمرهم الله به، منهيون عما نهاهم الله عنه، ولا حجة لأحد من الخلق على الله، بل لله الحجة البالغة على خلقه.

وهذا المقام هو ما يسمى بمقام الجمع بين الشرع -أمر الله ونهيه- وبين القدر، وأن القدر ليس حجة على إسقاط الأمر والنهي، وهذه المسألة -أعني: مسألة الاحتجاج بالقدر على المعصية- يأتي الكلام فيها إن شاء الله.

هذه هي الأصول السبعة الجامعة لمسألة أفعال العباد ومقامها في قدر الله وقضائه، وهي أصول أجمع عليها السلف، ومنها يظهر لنا أن السلف خالفوا بها غلاة القدرية في الأصل الأول والثاني، وخالفوا مجمل القدرية من المعتزلة وغيرهم في الأصل الثالث والرابع، وخالفوا الجبرية والقدرية وبعض الأشاعرة في الأصل الخامس، وخالفوا الجبرية الذين ينفون الحكمة في أفعال الله في الأصل السادس، وخالفوا المنحرفة من الصوفية الذين لم يحققوا الجمع بين الشرع والقدر في الأصل السابع، فهذه الأصول هي امتياز أهل السنة عن سائر طوائف أهل البدع في مسألة أفعال العباد ومقامها في قدر الرب سبحانه وتعالى.." (١)

"أنواع التقدير

ثم قال رحمه الله: [وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه: (بعث إليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات، فيقال

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد - يوسف الغفيص؟ يوسف الغفيص ٣/٩

له: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد) ونحو ذلك، فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديما، ومنكروه اليوم قليل] .

هذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا، أي: أنه يحصل الإجمال بما في قدر الله عز وجل، ويحصل في مواضع التفصيل، فهناك إجمال وتفصيل في تقدير الله عز وجل فما في اللوح المحفوظ هو: ما هو كائن إلى قيام الساعة، ثم إن ما في اللوح المحفوظ لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ويطلع الله جل وعلا من شاء من خلقه على بعض ما فيه، ولذلك فالملائكة لا تعلم ما في اللوح المحفوظ، ليس لها علم بما فيه إلا ما أطلعهم الله سبحانه وتعالى عليه، ودليل ذلك في القرآن، فإنهم لم يعلموا فضيلة آدم بل لم يعلموا خلقه، فلما أخبروا بخلقه تعاظموا ذلك: {قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك} [البقرة:٣٠] استغربوا أن يخلق خلق في الأرض، فبين الله عز وجل لهم **الحكمة من** الخلق.

المهم أن الأدلة تدل على أن ما في اللوح المحفوظ ليس معلوما للخلق، ولكن الله سبحانه وتعالى يطلع من شاء على ما شاء مما تضمنه هذا الكتاب الذي أحاط بما هو كائن إلى يوم القيامة.

ثم إن هذا التقدير السابق لخلق السماوات والأرض يعقبه تقدير بالنسبة لبني آدم عند نفخ الروح فيه، فإنه إذا خلق الجسد قبل نفخ الروح فيه بعث الله سبحان وتعالى إلى هذه المضغة المخلقة ملكا، وهذا من عناية الله عز وجل ببني آدم: (فيأمر بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد) بأربع كلمات، وهذا يسمى: التقدير العمري.

ثم إن هناك تقديرا حوليا، وهو: ما يكون في ليلة القدر، فـيكتب فيها ما هو كائن إلى ليلة القدر من العام القادم: تكتب فيها الآجال والأرزاق والأعمال.

ثم إن هناك تقديرا يوميا، وهو: ما أشار إليه قوله تعالى: {كل يوم هو في شأن} [الرحمن:٢٩] سبحانه وتعالى.

مراتب القدر هذه تجدها مفصلة ومجملة، فما يجمل في محل يفصل في محل، وهذا معنى قوله رحمه الله: [وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا] .

فحفظ رزقك مثلا الذي يكون في التقدير العمري هل هو مفصل: إنه سيأكل كذا، ويشرب كذا أم أنه مجمل؟ الظاهر أنه مجمل، وقد يكون مفصلا، لكن شقي أو سعيد: هذا فيه إجمال، يكتب أنه من أهل

السعادة مثلا، ويكتب تفاصيل العمل في التقدير الحولي، وفي التقدير اليومي.

قال: [ونحو ذلك، فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية] .

هذا التقدير من مراتب الإيمان بالقدر، وكان ينكره غلاة القدرية قديما أي: في أول ظهورهم.." (١)

"إثبات الحكمة في أفعال الله

وقوله: ((ليكون للعالمين نذيرا)) : المقصود الفرقان، وهذا التعليل لإنزال الفرقان بأنه ليكون للعالمين نذيرا، يدل على أن أفعال الله جل وعلا لها مقاصد وغايات معللة؛ فلا يفعل شيئا إلا لحكمة، وهذا ظاهر جدا في كثير من النصوص، ومن الصفات التي يجب أن تثبت، أن الله يفعل لغاية محمودة ولحكمة مقصودة يقصدها ربنا جل وعلا.." (٢)

"حكم التوغل في باب القدر

ثم بعد هذه نقول: إن العلماء قد نهوا عن التوغل والتعمق في مسألة القدر فقالوا: إن القدر سر الله في خلقه فلا ينبغي للإنسان أن يقع فيه، فهل معنى هذا: أننا لا نبحث في هذه المسائل حتى نعلمها ونوقن بها؟ ف

A ليس هذا هو المقصود، ولكن المقصود أسرار الأشياء من الأوامر وغيرها، كأن يبحث الإنسان عن أمور لا يدرك الحكمة منها ولا غايتها ولا المصلحة من خلقها، كأن يقول مثلا: لماذا خلقت الحيات والعقارب والذباب، وما أشبه ذلك من الأمور التي لا خير فيها وإنما فيها مضرة؟ ففي مثل هذه عليك أن تقول: إن الله عليم بكل شيء، وإن الله لا يخلق إلا لحكمة قد يدركها الإنسان وقد لا يدركها وهو الغالب، فعليك بالتسليم، والله جل وعلا جعل العقل في الإنسان حتى يذعن ويعبد ربه حقيقة، وإذا لم يقر لله جل وعلا بالإذعان وينقاد فالعبادة لم تكمل، ومن ذلك كذلك الأمور التي قد يؤمر بها الإنسان فلا يجوز له أن يبحث عن الأسرار فيها، مثل أن يقول: لماذا إذا أردنا أن نصلي نغسل وجوهنا وأيدينا وأرجلنا ونمسح برءوسنا، ما المقصود بهذا وما السر وما الحكمة؟! نقول: هذا أمر الله وعليك أن تنقاد له وتذعن ولا تبحث عن السبب والحكمة، وكذلك إذا قال القائل: لماذا أمرنا بقصد مكة والطواف بالبيت؟! وكذلك لماذا أمرنا برمي الجمار؟ وما الفائدة من أن يتزاحم الناس على هذه الجمار ويقتل بعضهم بعضا ويتأذون ويتكوم الحصى

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح؟ خالد المصلح ١٠/٢١

(٢) شرح العقيدة الواسطية للغنيمان؟ عبد الله بن محمد الغنيمان ١٤/١

في هذا المكان؟ نقول: يجب عليك أن تذعن لذلك وتنقاد، ولا تبحث عن السبب والحكمة.
ولهذا يقول العلماء: إن أمور العبادة تبعدية، فما معنى تعبدي؟ معناه: أنه يجب أن تخضع له وتعبد ربك بالانقياد في ذلك ولا تبحث عن الأسرار في هذا، وهكذا الأمور التي تخفى على الخلق، ولكن الذي أمر الله جل وعلا به ونهى عنه أمر واضح فيجب أن يجتنب النهي وأن يطاع الأمر، ثم ليس بين مشيئته جل وعلا وخلقه وأمره مناقضة.." (١)

"معرفة الله بأسمائه وصفاته هو زبدة الرسالة

تقدم حكاية قول ابن القيم رحمه الله حول زبدة الرسالة التي جاءت بها الرسل جميعا، فقد تكلم عن هذا بكلام طيب في مدارج السالكين، فهذا هو الموضع الذي تكلم به رحمه الله فقال: (والرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أرسلوا بالدعوة إلى الله وبيان الطريق الموصل إليه، وبيان حال المدعوين بعد وصولهم إليه، فهذه القواعد الثلاث ضرورية في كل ملة على لسان كل رسول، فعرفوا الرب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله تعريفا مفصلا، حتى كأن العباد يشاهدونه سبحانه وينظرون إليه فوق سماواته على عرشه، يكلم ملائكته، ويدبر أمر مملكته، ويسمع أصوات خلقه، ويرى أفعالهم وحركاتهم، ويشاهد بواطنهم كما يشاهد ظواهرهم، يأمر وينهى، ويرضى ويغضب، ويحب ويسخط، ويضحك، ويجيب دعوة مضطرهم، ويغيث ملهوفهم، ويعين محتاجهم، ويجبر كسيرهم، ويغني فقيرهم، ويميت ويحيي، ويمنع ويعطي، يؤتي الحكمة من يشاء، مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كل يوم هو في شأن، يغفر ذنبا، ويفرج كربا، ويفك عانيا، وينصر مظلوما، ويقصم ظالما، ويرحم مسكينا، ويغيث ملهوفا، ويسوق الأقدار إلى مواقيتها، ويجريها على نظامها، ويقدم ما يشاء تقديمه ويؤخر ما يشاء تأخيره، فأزمة الأمور كلها بيديه، ومدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة وزبدة الرسالة) .
انتهى كلامه رحمه الله.
وهو كلام بديع يزيد في الإيمان، ويبين عظم ووجوب الاهتمام بما ذكر الله سبحانه وتعالى عن نفسه في كتابه، وستجد أن الشيخ رحمه الله وافق شيخ الإسلام في هذه العبارة حيث قال: (وهذا مقصود الدعوة وزبدة الرسالة) ، أي: ما تقدم من التعريف بالله جل وعلا، وبيان أوصافه وأفعاله وما يجب له، وهذا هو

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للغنيمان؟ عبد الله بن محمد الغنيمان ١٥/٢٤

زبدة الرسالة ومقصود الدعوة التي جاءت بها الرسل، ولذلك قال الشيخ رحمه الله في الكلام السابق: (فلأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم، أو نهمة في العبادة، يكون البحث عن هذا الباب) يعني: باب أسماء الله عز وجل وصفاته (والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه، أكبر مقاصده وأعظم مطالبه) ، ثم ذكر بعد ذلك أن هذا هو الذي يعد زبدة الرسالة ومقصودها.

فهذا يبين وجوب الاهتمام بهذا الباب، وأن الاهتمام بباب الأسماء والصفات ليس لمجرد الرد على قول المبتدعين والمخالفين من المتكلمين وغيرهم، بل الاهتمام بباب الأسماء والصفات؛ ليزداد الإيمان ولتتم معرفة العبد بربه جل وعلا ليحصل له كمال العبودية، ولذلك لما كان أكثر الخلق علما بالله عز وجل هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان أعبد الخلق لربه، ولذلك قال: (والله إني لأعلمكم بالله وأخشاكم له) ، فالعبادة والخشية وسائر المقامات هي فرع عن تمام العلم به سبحانه وتعالى.." (١)

"تنوع دلائل الصفات والحكمة من ذلك

قال المصنف رحمه الله: [وقال تعالى: {إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون} [غافر:١٠] وقوله: {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة} [البقرة:٢١٠] وقوله: {ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين} [فصلت:١١] وقوله: {وكلم الله موسى تكليما} [النساء:١٦٤] وقوله: {وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا} [مريم:٥٢] وقوله: {ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون} [القصص:٦٢]].

يلاحظ تنوع الأدلة على بعض الصفات: فبعض الصفات جاءت بنص أو في سياق، وبعض الصفات -ولا سيما أصول الصفات؛ كعلم الله، وكعلوه، وكلامه، ونحو ذلك- جاءت دلائلها متنوعة.

ومن هنا قال بعض أهل العلم: إن أدلة العلو تقارب الألف دليل في الكتاب والسنة، وكذلك قالوا مثل ذلك عن كلام الله تعالى، وقد أخذوا ذلك من تنوع الأدلة، فمثلا: صفة الكلام ثابتة بقول الله تعالى: {وكلم الله موسى تكليما} [النساء:١٦٤] وثابتة بقوله: {ويوم يناديهم} [القصص:٦٢] وكل نص فيه ذكر مناداته سبحانه فإنه دليل على اتصافه بالكلام، وكل آية فيها ذكر قوله سبحانه فهي دليل على إثبات الكلام، مثل قوله تعالى: {إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له} [يس:٨٢] وقوله: {وقال ربكم} [غافر:٦٠] وكل آية

---

(١) شرح الفتوى الحموية؟ خالد المصلح ٢/٣

فيها ذكر أمره سبحانه وتعالى فهي دليل على اتصافه بالكلام، كقوله تعالى: {إن الله يأمركم} [النساء:٥٨]. ومثله صفة العلو: فآيات ذكر الفوقية، وآيات ذكر أن الله في السماء، وآيات ذكر أنه في العلو، وغير ذلك، كلها دليل على إثبات صفة العلو.

ومن فوائد تنوع الأدلة –مع تحقيق الإيمان بذلك-: أنك إذا كنت عارفا بتنوع الأدلة في هذه الصفة، وحاول المخالف تأويل آية من الآيات، فإن تأويل غيرها يكون ممتنعا، فلو فرض جدلا أن سياقا من السياقات يمكن تأويله، فيقال: لو سلمنا أن هذا السياق يمكن تأويله فإن ثمة سياقات أخرى يمتنع فيها التأويل، وهذا أيضا من باب رد ما يزعم المخالف أنه مختلف فيه إلى ما كان مؤتلفا في حكمه.." (١)

"حقيقته .... **والحكمة في** حشر الكافر على وجهه أنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا بأن يسحب على وجهه في القيامة، إظهارا لهوانه، بحيث صار وجهه مكان يده ورجله في التوقي عن المؤذيات" (١).

أما أدلة استعمال قياس الأولى بين صفات الله تعالى فمنها النصوص الآتية:

١ – قوله تعالى: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون} [آل عمران: ٥٩]، فقاس القدرة على خلق عيسى على القدرة على خلق آدم، لأن من قدر على الخلق من غير أب ولا أم فقدرته على الخلق من غير أب من باب أولى. يقول ابن تيمية: "شبهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح، فإذا كان سبحانه قادرا أن يخلقه من تراب والتراب ليس من جنس بدن الإنسان أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسان؟! " (٢).

٢ – قوله تعالى: {وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون * أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون} [يس: ٧٨ – ٨٢]، فقاس القدرة على الأيسر على القدرة على الأعظم، لأن القدرة على النشأة الأولى، وعلى خلق

---

(١) شرح القواعد السبع من التدمرية؟ يوسف الغفيص ٦/٦

(١) فتح الباري ١١/ ٣٨٢، ٣٨٣.

(٢) الجواب الصحيح ٤/ ٥٥، وانظر: إعلام الموقعين لابن القيم ١/ ١٣٥.." (١)

"ثانيا: زيارة القبور والنهي عن اتخاذها مساجد:

وهذا الموضوع له أهمية عظيمة نظرا لما له من الأثر المباشر في عقيدة التوحيد قديما وحديثا، وما حصل بسببه من الفتن التي أدت بكثير من أهلها إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى، ولهذا فقد كان له أهميته العظيمة، ومن أهم ما اهتم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبين الهدى فيه وأمر به، وحذر من الانحراف عنه وما يترتب على ذلك من عواقب وخيمة وفتن عظيمة.

والكلام عن هذا الموضوع الهام يتلخص في عدة أمور:

الأمر الأول: **الحكمة من** زيارة القبور

لقد بين عليه الصلاة والسلام الحكمة التي من أجلها شرعت زيارة القبور وهي أمران:

أحدهما: تذكر الآخرة، والاعتبار بحال أهل القبور وما سينتهي إليه كل إنسان كما قال صلى الله عليه وسلم: "فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت" ١.

فقد بين عليه الصلاة والسلام الغاية من زيارة القبور وأنها تذكر بالآخرة، وما ينبغي للزائر أن يكون قصده من زيارته للقبور، وهذه حكمة عظيمة تبعث في نفس المؤمن الاستعداد للموت والدار الآخرة، وتحذر من الغفلة والاغترار بالدنيا، وهذه حكمة عظيمة لو عقلها المسلمون.

---

١ صحيح مسلم بشرح النووي ٧/٤٦.." (٢)

"ثانيهما: من **الحكمة في** زيارة القبور: الدعاء للميت والاستغفار له والترحم عليه، وهذه حكمة أخرى من زيارة القبور، وهي حق للميت على الحي، إذ الميت قد انقطع عمله، وهو في أمس الحاجة وأشدها إلى من يدعو الله له بالمغفرة والرحمة.

فالزائر للقبور على الوجه المشروع تتحقق له هذه الحكمة، ويجمع بين خيرين له وللميت، فله بتذكر الآخرة والاستعداد لها، ونيل ثواب الزيارة وأجرها، وللميت بما حصل له من الاستغفار والدعاء.

---

(١) حقيقة المثل الأعلى وآثاره؟ عيسى السعدي ص/١٠٩

(٢) حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد؟ محمد بن عبد الله زربان الغامدي ص/٢٩٤

هذا هو الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور **والحكمة منها**.
ولكن المشركين عكسوا ذلك فجعلوا الزيارة لدعاء الميت والتوسل به وليس للدعاء له فيعود الزائر مأزورا لا مأجورا، فيجمع بين شرين، ويحرم الميت من حصول الدعاء له بسبب مخالفة هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته١.

الأمر الثاني: الزيارة الشرعية

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم كيفية الزيارة الشرعية للقبور بقوله وعمله، وعلمها أصحابه وعملوا بها كما علمهم عليه الصلاة والسلام، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم"، قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: "قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم

---

١ انظر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية ١/١٩٨-١٩٩.." (١)

"ذلك صراحة في آيات أخرى، وجعل القرآن هداية لهم كذلك من ظلمات الكفر والشرك والضلال. والله أعلم.

والحديث عن الاستقاء بالنجوم والأنواء يدفع إلى الكلام عن التنجيم وما جاء فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما واد" ١.

فهذا الحديث يبين أن التنجيم نوع من أنواع السحر الذي عده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اجتنبوا السبع الموبقات "، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات" ٢.

وهناك أحاديث أخرى في التحذير من ذلك حرصا منه عليه الصلاة والسلام على حماية التوحيد وسلامته

---

(١) حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد؟ محمد بن عبد الله زربان الغامدي ص/٢٩٥

من دنس الشرك ووسائله وطرقه.

وقد نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين **الحكمة من** خلق النجوم. قال عز وجل: {ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما

---

١ مختصر أبي داود للحافظ المنذري ٣٧١/٥، حديث صحيح.

٢ صحيح البخاري مع الفتح ٣٩٣/٥، وصحيح مسلم بشرح النووي ٩٢/١.." (١)

"الفصل السادس: الأدب العلمي عند الغزالي بين النظرية والتطبيق

من الناحية النظرية البحتة يقرر الشيخ ما يلي - ومن نصه نقلت-:

(إن الخلاف الفقهي في الفروع كان ويكون وسيبقى إلى آخر الدهر لأسباب طبيعية مقبولة ويجب ألا نتطير منه، وألا نحاول قتله أو تجاهله) . من كتاب (دستور الوحدة ص٥٧) : ثم ذكر الشيخ أسباب الاختلاف في الفروع، وكرر المعنى نفسه (ص١٣٣) فقال: (إن اختلاف وجهات النظر في التشريعات الفرعية حقيقة إنسانية وإسلامية لا محيص عنها ونشوء مدارس كبرى وصغرى على محاور قانونية مختلفة أمر لا غضاضة فيه ولا شر منه) ا. هـ.

ولقد لخص-الغزالي- في الكتاب هذه رسالة (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) لابن تيمية- رحمه الله-) في (ص٦٧ وما بعدها) . وفي كتاب (مائة سؤال٢٨٥/٢) ذكر من يرى الحجاب على المرأة ثم قال: (وجهة نظر في فقه ما ورد من الآثار، ولا أحارب هذا) (وهناك خلافات لا يضر بقاؤها إلى قيام الساعة) ا. هـ.

- إذن: وجهة نظر، ولا يحاربها، وخلاف لا يضر وجوده إلى قيام الساعة. هذه نقطة.

٢- النقطة الثانية: قال: (إن الإسراع في اتهام الناس وتلويث سمعتهم ليس دينا، **والحكمة في** معالجة الأخطاء مطلوبة وفي الحديث "إن الله يحب الرفق في الأمر كله") أ. هـ. من (دستور الوحدة ص٢٣١) ولهذا ينتقد المؤلف (ص١٣٩) وجود قضايا فرعية يعلو فيهل الصياح (وعلاجها الطبيعي يتم بالهمس والتريث) .

- وفي (كتاب السنة النبوية ص٨) يقول: (وقد تدارست مع أولى الألباب) ولم يبين لنا من أولو الألباب هؤلاء؟ (هذا الجو الفكري السائد واتفقت كلمتنا على ضرورة التعامل معه برفق واقتياده إلى الطريق المستقيم

---

(١) حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد؟ محمد بن عبد الله زربان الغامدي ص/٣٢٥

وأناة) .

• إذن: برفق وأناة.." (١)

"٣- النقطة الثالثة: في كتاب" هموم داعية ص٤٧" يطرح الغزالي القاعدة التي طرحها من قبله" البنا" وهي (يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، ونتعاون فيما اتفقنا عليه) .

فيقول الغزالي: (من الناحية العلمية يجب أن نتعاون في المتفق عليه ونتسامح في المختلف فيه، ونتساند صفا واحدا في مواجهة الهجمة الجديدة على ديننا وأرضنا حتى نردها على أعقابها) .

٤-النقطة الرابعة: في" دستور الوحدة ص ٩٧" بعد أن ذكر أن الاجتهاد الفقهي علامة صحة وهو شرف لتاريخنا قال: (ثم خلفت خلوف تحاول هدم القوم وتتلمس لها الأخطاء من بعيد وتريد أن تجعل الإسلام بلا تاريخ علمي ولا مفكرين كبار) أ. هـ.

إذن نحن أمام طرح نظري جيد -الخلاف الفقهي طبيعي ويجب أن يحل بالمناقشة الهادئة وإذا بقي خلاف فلا يضر ولا يؤثر في الأخوة وينبغي لكل من المختلفين أن يحترم الآخر، والمطلوب التعاون في مواجهة أعداء الإسلام، وينبغي حفظ أقدار الأئمة ومنازلهم، هذه خلاصة ما طرحه وحسب هذا الطرح فالشيخ يرى الخلاف أمرا لا بد منه، والنقاش هو الحل **والحكمة في** المعالجة مطلوبة، وحفظ كرامة الرجال من السلف والخلف أدب يجب أن يتحلى به كل منصف، وهذا كلام ليس عليه غبار.

• وقد تلطف المؤلف- سامحه الله- مع أقوام كنا ألا يجاملهم على حساب الدين فهو يعقب على مؤامرة (البابا شنودة) بقوله: (الأخ العزيز شنودة الرئيس الديني لإخواننا الأقباط!) وهذه كلمة نتمنى أن الشيخ الغزالي وفرها لأحد العلماء والمشايخ الذين اختلف معهم.

• وفي (حصاد الغرور١٦٨) ذكر كتابا ألفه نصراني مصري. اسم الكتاب (الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة) وسب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ووصفه بأبشع الألفاظ من الكذب والتفاهة والغلط والسلب والنهب إلى غير ذلك. ولقد لخص الغزالي أبرز ما فيه وعقب على هذا الكلام بتعقيب انتقد فيه المؤلف، لكنه ختم الكلام بقوله: (ونحن نأسف لهذا الخطأ في جنبنا، بل لهذه الخطيئة، ونوصي إخواننا المسلمين أن ينسوها ونوصي إخواننا المسيحيين ألا يكرروها) . ما ألطف هذه العبارة! إنها تكاد تسيل رقة وعذوبة وتسامحا، مع أنها تعقيب على ما يسميه خطأ بل خطيئة وأية خطيئة؟ إنها شتم الرسول صلى الله عليه

---

(١) حوار هادئ مع الغزالي؟ سلمان العودة ص/٧٦

وسلم في كتاب يطبع وتتبناه جهة رسمية لدى النصارى. وهذا في (ص١٧٠) وهذا نقض صارخ للعهد والميثاق بينهم وبين المسلمين- إن كان بينهم وبينهم عهد وميثاق.." (١)

"جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم) (١) .

ويقرر ابن تيمية رحمه الله مسلك التسليم، وتفويض الكيفيات في الغيبيات سواء كانت من الصفات، أم من أمور الآخرة مما لم يرد نص في تحديد كيفياتها، وهذا هو حال المؤمنين، يقول رحمه الله: (كل ما فعله علمنا أن له فيه حكمة، وهذا يكفينا من حيث الجملة، وإن لم نعرف التفصيل، وعدم علمنا بتفصيل حكمته بمنزلة عدم علمنا بكيفية ذاته ... وعدم علمنا **بالحكمة في** بعض الجزئيات لا يقدح فيما علمناه من أصل حكمته) (٢) .

وقال – أيضا – في التدمرية: (القاعدة الثانية: أن ما أخبر به الرسول عن ربه عز وجل فإنه يجب الإيمان به، سواء عرفنا معناه، أو لم نعرف؛ لأنه الصادق المصدوق فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه) (٣) .

وأما منهج ابن تيمية رحمه الله في الاستدلال على اعتقاد السلف: فمما ينبغي التنويه إليه قبل ذكر المنهج أن أبين أن مصادر التلقي في الاعتقاد عنده هي الكتاب والسنة، فالعقيدة توقيفية يعتمد فيها على الوحي والنقل لا على الأهواء والعقول، كما قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول} [النساء: ٥٩] .

وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله} [الحجرات: ١] .

وقال سبحانه وتعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا} [آل عمران: ١٠٣] ، إلى غيرها من الآيات.

يقول ابن تيمية رحمه الله: (أصل جامع في الاعتصام بكتاب الله ووجوب

---

(١) انظر: ذم التأويل لابن قدامة ص١١.

(٢) تفصيل الإجمال (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢٨/٦) ، وانظر: وسطية أهل السنة بين الفرق

---

(١) حوار هادئ مع الغزالي؟ سلمان العودة ص/٧٧

لمحمد باكريم باعبد الله.

(٣) ص٦٥.." (١)

"وهناك – أيضا – علة ثالثة في السند: وهي اضطراب عبد الرحمن، ومن دونه في إسناده، فتارة يروونه مرفوعا، وتارة موقوفا على عمر (ت – ٢٣هـ) عن عبد الله بن إسماعيل بن أبي مريم، وعبد الله هذا لا يعرف (١) .

وأما المتن: فعليه ملحوظتان:

الأولى: أن ظاهر الحديث ينص على أن مغفرة الخطيئة كانت بسبب توسل آدم بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا مخالف لنص القرآن الكريم، إذ المغفرة كانت بسبب الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، قال عز وجل: {فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم} [البقرة: ٣٧] ، وقيل: إن الكلمات هي ما ذكر في قوله تعالى: {قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين} [الأعراف: ٢٣] .

قال ابن تيمية رحمه الله: (أخبر أنه تاب عليه بالكلمات التي تلقاها منه، وقد قال تعالى: { {قالا ربنا ظلمنا أنفسنا} [الأعراف: ٢٣] الآية) (٢) .

الثانية: أن الحديث فيه زيادة: (ولولا محمد ما خلقتك) وهذه الزيادة تخالف القرآن الكريم، حيث نص على أن **الحكمة من** خلق الجن الإنس هي عبادة الله وحده، كما قال سبحانه: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦] .

وبعد هذا: فإن توسل آدم بمحمد – عليهما الصلاة والسلام – ليس بصحيح، والحديث مكذوب، لا يصح الاحتجاج به، كما قال ذلك ابن تيمية رحمه الله (٣) .

وأما الحال الثاني: وهو التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم في حياته: فالمراد به

---

(١) انظر: التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص١٢٤، وانظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص١٧٥.

(٢) الرد على البكري ص١٠.

---

(١) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية – عرض ونقد؟ عبد الله بن صالح الغصن ص/٥٢

(٣) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص١٦٦ - ١٧٠، الرد على البكري ص١٠، وقد حكم عليه الألباني بالوضع في سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/٣٨.." [(١)]

"٣- الحكمة والرفق في الدعوة:

قال سبحانه في أهمية: الحكمة١، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين} ٢.

وقال صلى الله عليه وسلم: "من يحرم الرفق يحرم الخير" ٣.

وقال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه" ٤.

وقال: "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله" ٥.

وقال: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا" ٦.

---

١ ينظر الموضوع الآتي بعنوان: **الحكمة في** الدعوة إلى السنة وصور من مظاهرها، وينظر تفنيد الشبهة المثارة حول هذا المبدأ في الموضوع الآتي بعنوان: أحاديث ظاهرها يعارض مبدأ الرفق والحكمة.

٢ ١٢٥: النحل: ١٦.

٣ أخرجه مسلم: ٤٥- كتاب البر والصلة والآداب، ح٧٤-٧٦ ٤/٢٠٠١، وأخرجه ابن ماجه: ٣٣- كتاب الأدب، ٩- باب الرفق ٢/١٢١٦، وأحمد في المسند: ٤/٣٦٦،٣٦٢.

٤ أخرجه مسلم، في الموضع السابق، ح٧٨ ٤/٢٠٠، وأخرجه أبو داود ٩- الجهاد، ١- باب ما جاء في الهجرة وسكنى البدو ٣/٧، وأخرجه أحمد ٦/٥٨ و١١٢، و١٢٥ و١٧١، و٢٠٦، و٢٢٢.

٥ أخرجه البخاري: ٨٨- استتابة المرتدين، ٤- إذا عرض الذمي أو غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم....، الفتح ١٢/٢٨٠، وفي مواضع أخر. وأخرجه مسلم في مواضع متعددة، منها الموضع السابق، ح٧٧، وأخرجه ابن ماجه: ٣٣-كتاب الأدب، ٩- باب الرفق ٢/١٢١٦ وغيرهم.

٦ أخرجه البخاري عن أنس، ٣-كتاب العلم، ١١- باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم

---

(١) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية – عرض ونقد؟ عبد الله بن صالح الغصن ص/٤٥٣

بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، الفتح ١٦٣/١، وفي مواضع أخر. وأخرجه مسلم في: ٣٢- الجهاد، ح ٤، وفي مواضع أخر، وأحمد في مواضع متعددة منها: ٢٢٩/١و٢٨٣.." (١)

"الحكمة في الدعوة إلى السنة وصور من مظاهرها

مدخل

...

الحكمة في الدعوة إلى السنة وصور من مظاهرها

الحكمة في الدعوة إلى السنة-وإلى سائر أحكام هذا الدين-علاج لكثير من الأخطاء الواقعة في هذا الباب. ولا يخفى أيضا أن الحكمة في منهج الدعوة إلى هذا الدين تمثل جانبا كبيرا من ذلك المنهج، ويكفي أنه تعالى قد أمر بها فقال: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين} ١.

إن نصوص الوحي أمثال هذه الآية تدل بعمومها على أن الحكمة في أغلب الأحوال تقضي بالأخذ بالرفق واللين والتيسير، على أن الحكمة كلمة عامة جميلة المعنى، تقضي بوضع الشيء في موضعه المناسب، وباختيار التصرف الأنسب، والوسيلة والأسلوب المناسبين كذلك للدعوة إلى الخير والمعاني الفاضلة، حتى تشمل الشدة في موضعها الشرعي المطلوبة فيه، لكن الواقع شاهد بأن موضعها المطلوبة فيه- في مجال الإصلاح -في بعض الأحيان نادر جدا، وأنه من الندرة بحيث تبدو الشدة، من عموم هذه النصوص، غير ملتفت إليها، ذلك لأن هذه الشدة ليست هي المبدأ الأصل في التعامل." (٢)

"الشرعي، وإنما يلجأ إليها بعد وجود أسبابها ودواعيها الشرعية النادرة.

وهناك صور كثيرة من مظاهر الحكمة في الأخذ بالسنة سواء في مجال التطبيق العملي لها أو في الدعوة إليها، التي إذا أخذ بها الإنسان كان متبعا للكتاب والسنة في هذا الباب؛ فمن ذلك:." (٣)

"بعض المظاهر المخالفة للسنة

هناك مظاهر عديدة لمخالفة السنة، سواء في جانب التطبيق العملي لها، أو في أسلوب الدعوة إليها، أود

---

(١) دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجا وأسلوبا؟ عبد الله الرحيلي ص/٤٢

(٢) دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجا وأسلوبا؟ عبد الله الرحيلي ص/٤٧

(٣) دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجا وأسلوبا؟ عبد الله الرحيلي ص/٤٨

الإشارة إلى بعضها، فمن ذلك ثلاثة مسالك هي:

- الخطأ في منهجية فقه السنة ومعرفتها.
- الشدة في الدعوة إلى السنة.
- عدم التوازن في الأخذ بالسنة والدعوة إليها.

ومن مظاهر هذه المسالك ما يلي:

١- الإنكار والتشدد في الأمور الخلافية في مجال السنن.

٢- تتبع شواذ المسائل الخلافية، وإثارتها في الناس على الرغم من أنها أمور اجتهادية قد يعذر فيها المخالف١.

٣- الغلو في السنة وفي تطبيقها.

٤- الغلو في الدعوة إلى بعض السنن على حساب غيرها من الأحكام الشرعية.

٥- شدة اللهجة في الدعوة إلى السنة، والابتداء بالشدة في إنكار المنكر.

٦- عدم مراعاة **الحكمة في** الدعوة إلى السنة وتطبيقها.

٧- عدم التفريق بين ترك السنة وترك كمالها.

---

١ ومعلوم أن هذا شيء، والتناصح الواجب بين المسلمين بالأسلوب الصحيح شيء آخر، سواء أكان التناصح في المسائل الاجتهادية أم في سواها.." (١)

"وبهذا يتبين أنه لا دليل في الشرع يدعو إلى العنف والشدة في الدعوة١، وأنه لا حجة لصنفين من الناس في هذا الباب:

الصنف الأول: من أخطأ عن براءة وحسن قصد؛ فأخذ بجانب الشدة في الدعوة ظنا منه بأن هذا هو طريق الدعوة إلى الله تعالى. ومثل هذا نقول له: اتق الله وصحح الفهم.

الصنف الثاني: من اتخذ الدين تكأة لأكل الدنيا، وزعم أن الشدة والغلظة هما طريق الدعوة إلى محاسن هذا الدين، وليس هدفه الدين، وإنما الدنيا!. ومثل هذا نقول له: اتق الله؛ فإن القضية عندك ليست قضية فهم، وإنما هي قضية لهم!.

---

(١) دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجا وأسلوبا؟ عبد الله الرحيلي ص/٨٣

والحمد لله الذي هدانا لهذا، فلولاه ما اهتدينا إليه.

---

١ وينظر أيضا ما سبق في موضوع: **الحكمة في** الدعوة إلى السنة وصور من مظاهرها.." [(١)]

"الباب الخامس: نماذج من منهجه في الدعوة إلى العقيدة السلفية

الفصل الأول: الأنموذج الأول حق الله على العباد وحق العباد على الله

...

نماذج من منهجه في الدعوة إلى العقيدة السلفية

الأنموذج الأول باب (حق الله على العباد وحق العباد على الله)

وقول الله تعالى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} (الذريات:٥٦) ، وقوله: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} الآية (النحل: ٣٦) ، وقوله: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا} الآية (الإسراء: ٢٣) ، وقوله: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا} الآية (النساء: ٣٦) . وقوله: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا} الآيات (الأنعام: ١٥١-١٥٣) .

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه، فليقرأ قوله تعالى: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم} إلى قوله: {وأن هذا صراطي مستقيما ... } الآية (الأنعام: ١٥١-١٥٣) .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: "يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ " فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا"، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا" أخرجاه في "الصحيحين".

فيه مسائل:

الأولى: **الحكمة في** خلق الجن والإنس.." [(٢)]

---

(١) دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجا وأسلوبا؟ عبد الله الرحيلي ص/١٠٤

(٢) دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية؟ أحمد بن عبد العزيز الحصين ص/١١٠

"الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} (الكافرون:٣ و٥) .

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت؛ ففيه معنى قوله: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله...} الآية (البقرة ٢٥٦) .

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في [الأنعام ١٥١-١٥٣] عند السلف. وفيها عشر مسائل، أولها النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله: {لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا} (الإسراء:٢٢) . وختمها بقوله: {ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا} (الإسراء: ٣٩) ، ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: {ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة} (الإسراء: ٣٩) .

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا} (النساء: ٣٦) .." (١)

"المحسن إليهما بالسعادة.

[الحكمة في مشروعية الزواج]

وشرع الزواج وبين الحكمة في مشروعيته في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وهي:

١ - أن بالزواج يتوافر سبب من أكبر أسباب العفة، وحفظ الفرج عن الحرام (الزنا) ، وحفظ العين عن النظر إلى الحرام.

٢ - وبالزواج تحصل السكينة والاطمئنان لكل من الزوجين بصاحبه؛ لأن الله جعل بينهما مودة ورحمة.

---

(١) دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية؟ أحمد بن عبد العزيز الحصين ص/١١١

٣ - وبالزواج يكثر عدد المسلمين تكاثرا شرعيا فيه الطهر والصلاح.

٤ - وبالزواج يخدم كل من الزوجين صاحبه حينما يقوم كل منهما بوظيفته التي تلائم طبيعته كما جعلها الله - سبحانه -.

فالرجل يعمل خارج البيت ويكتسب المال لينفق على زوجته وأولاده، والزوجة تعمل داخل البيت، فهي تحمل وترضع، وتربي الأطفال، وتهيئ الطعام لزوجها والبيت والفراش، فإذا دخل متعبا مهموما ذهب عنه التعب والهموم، واستأنس بزوجته وأولاده، وعاش الجميع في راحة وسرور.

ول مانع أن تقوم بجانب زوجها - إذا تراضيا - ببعض الأعمال." (١)

""الرابعة" الصبر على الأذى فيه.

الإسلام وحقائق الإيمان {والموعظة الحسنة} الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، وإلانة القول وتنشيط الموعوظ.

{وجادلهم بالتي هي أحسن} فيسلك كل طريق يكون أدعى للاستجابة: من الالتزام بالموضوع والبعد عن الانفعال والترفع عن المسائل الصغيرة في مقابل القضايا الكبرى حفظا للوقت وعزة للنفس وكمالا للمروءة١.

قوله: "الرابعة: الصبر على الأذى فيه"، أي: الرابعة من المسائل الأربع: الصبر على الأذى في الدعوة إلى الله تعالى، بأن يكون الداعية صابرا على ما يناله من أذية الناس؛ لأن الدعاة من طبيعة البشر إلا من هدى الله كما قال تعالى: {ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا} ٢.

فيجب على الداعية أن يكون صابرا على دعوته مستمرا فيها، صابرا على ما يعترض دعوته أو ما يعترضه هو من الأذى؛ لأن الداعية يطلب من الناس أن يتحرروا من شهواتهم ورغباتهم، وعادات أقوامهم، ويقفوا عند حدود الله تعالى في أوامره ونواهيه وأكثر الناس لا يؤمن بهذا المنهج.

فلهذا يقاومون الدعوة بكل قوة، ويحاربون دعاتها بكل سلاح، قال

---

١ انظر: "مدارج السالكين": "٤٧٨/٢"، "تفسير ابن سعدي": "٩٢/٣"، ورسالة "مفهوم **الحكمة في**

---

(١) دين الحق؟ عبد الرحمن بن حماد آل عمر ص/٩٩

الدعوة" للدكتور صالح بن حميد.

٢ سورة الأنعام، الآية: ٣٤.." (١)

". . . . .

تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله} ١ فالغاية من إرسال الرسل: طاعتهم واتباعهم فيما جاءوا به عن الله تعالى، وأما **الحكمة من** إرسال الرسل فهي هداية البشرية إلى الصراط المستقيم، وبيان عبادة الله تعالى على الوجه المرضي؛ لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك. والتلقي لا يمكن عن الله تعالى إلا بواسطة الرسل، فالرسل واسطة بين الله تعالى وبين الخلق، والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يشرع للأمة بعد تشريع الله تعالى {إن الحكم إلا لله} ٢.

ثم بين المصنف رحمه الله مآل الطائعين والعصاة بقوله: "فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار"، وهذا دل عليه القرآن الكريم في آيات كثيرة، قال تعالى: {ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم} ٣، وفي الجانب الآخر: {ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها} ٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى" ٥.

---

١ سورة النساء، الآية: ٦٤.

٢ سورة يوسف، الآية: ٤٠.

٣ سورة النساء، الآية: ١٣.

٤ سورة النساء، الآية: ١٤.

٥ أخرجه البخاري: "١٣/٢٤٩ فتح".." (٢)

---

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول؟ عبد الله الفوزان ص/٢٠

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول؟ عبد الله الفوزان ص/٣٢

"وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون}

فعلل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عبادة المخلصين له في عبادتهم، الذين أخلصهم الله، واختارهم، واختصهم لنفسه.

١- من أخلص في عبادة ربه في حرز من الشيطان. قال تعالى: {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان} ١، وقال الشيطان: {قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين} ٢.

٢- ثبت في حديث عتبان أنه قال: "إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله"٣.

قوله: "بذلك" اسم إشارة يعود إلى العبادة الخالصة، أي: بإخلاص العبادة "أمر الله جميع الناس" بدليل قوله تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} ٤.

قوله: "وخلقهم لها، كما قال تعالى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} ٥"، أي: خلقهم لعبادته، وهذه الآية العظيمة بينت **الحكمة من** خلق الجن والإنس، وهي العبادة، فإن الله جل وعلا ما خلق إلا

---

١ سورة الحجر، الآية: ٤٢، والإسراء، الآية: ٦٥.

٢ سورة ص، الآيتان: ٨٢، ٨٣.

٣ انظر: "مجموع الفتاوى: "١٠/٢٦٠-٢٦١"، والحديث أخرجه البخاري "رقم ٤٢"، ومسلم "رقم ٣٣".

٤ سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

٥ سورة الذاريات، الآية: ٥٦.." (١)

". . . . .

به رسول الله صلى الله عليه وسلم لابد من طاعته فيه، وقد يكون الأمر أمر وجوب أو أمر استحباب. وقد دلت النصوص على أن الأمر الواجب لابد من طاعته فيه وأن الأمر المستحب الذي تدل القرائن على أنه مستحب ليس على وجه الإلزام وهي **الحكمة من** بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله} ١، وإنما يطاع الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه يأمر بأمر الله، فشرعه

---

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول؟ عبد الله الفوزان ص/٤٤

صلى الله عليه وسلم هو شرع الله تعالى. قال تعالى: {إن الحكم إلا لله} ٢، وكثير من الناس يخل بهذا الجزء من الشهادة فهو ينطق بها في صلاته وفي سماعه للأذان يشهد أن محمدا رسول الله، لكنه يخل بتحقيق هذه الشهادة في مجال العمل والتطبيق، والله جل وعلا يقول: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا{ ٣.

قوله: "وتصديقه فيما أخبر"، أي: فلابد من تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به، ومن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم فهو لم يحقق شهادة أن محمدا رسول الله، وإنما وجب تصديقه صلوات الله وسلامه عليه؛ لأنه لا ينطق عن الهوى، فخبره صدق قطعا.

قوله: "واجتناب ما عنه نهى وزجر" هذا الأساس الثالث، وقد أخل به كثير من الناس أيضا؛ فارتكبوا ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال في العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك. وهذا دليل على

---

١ سورة النساء، الآية: ٦٤.

٢ سورة يوسف، الآية: ٤٠.

٣ سورة الحشر، الآية: ٧.." (١)

"تصدوا للدعوة إلى الله، وبذلوا جهودهم وأوقاتهم لها، يقفون من أمور العقيدة ومسائلها مواقف مخذولة، فيميعون مسائلها ويهونون من شأن المخالفة فيها، ويعدون المخالفين لأهل السنة في أمور من صلب الاعتقاد وجوهره، مخالفين في أمور شكلية لفظية، طالما أنهم يشهدون بكلمة التوحيد ويقرون بالرسالة في الجملة بغض النظر عن التفاصيل.

وليس هذا فحسب بل يقررون في ذلك قواعد كلية يبنون عليها مناهجهم ويحتكمون إليها في أمورهم، وأيم الله إنها لقواعد جائرة ما أنزل الله بها من سلطان، ومن هذه القواعد تلك القاعدة المشهورة، والتي تبنتها جماعة كبيرة متصدية للدعوة في عصرنا الحاضر، تلكم القاعدة هي قولهم:

"نجتمع فيما اتفقنا فيه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ".

والحق يقال: إن هذه القاعدة تحمل في طياتها خطرا عظيما، وضررا جسيما ينبغي الحذر والتحذير منه،

---

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول؟ عبد الله الفوزان ص/١١٧

حيث أنها تعني السكوت عن أهل البدع والأهواء، وعدم مصارمتهم ومعاداتهم وبغضهم، بل تعني أنهم يحبون ويوالون ويجالسون ويعاملون معاملة أهل السنة سواء، فمواضع الخلاف بيننا وبينهم نعذرهم فيها على حد تعبير هذه القاعدة، ومن ثم لا نعلن النكير عليهم ولا ننبه المسلمين على خطرهم وضررهم.

وعندئذ لا تسأل عن نشاط أهل البدع في نشر بدعهم وترويج باطلهم، إذ الطريق أمامهم سالكة، فليس هناك من ينكر أو يعكر عليهم نشاطهم، فينشرون باطلهم ويسعون في الأرض بالفساد، بكل راحة نفس وطمأنينة قلب، ونفوس أهل هذه القاعدة منشرحة لهم فيقابلون هؤلاء بطلاقة الوجه، ورحابة الصدر، وحسن المعاملة، ثم يزعمون أن فعلهم هذا من **الحكمة في** الدعوة إلى الله!!." (١)

"قوله تعالى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد} [المائدة: ٧٣] .

٢٣- **الحكمة من** كون بعض القرآن متشابها:

الحكمة من ذلك ابتلاء العباد واختبارهم ليتبين الصادق في إيمانه الراسخ في عمله من الشاك الجاهل الزائغ الذي يتبع ما تشابه منه، ليضرب كتاب الله بعضه ببعض فيضل ويضل.

٢٤- أقسام التشابه الواقع في القرآن:

ينقسم التشابه الواقع في القرآن إلى قسمين:

١. حقيقي، ٢. نسبي.

- أما الحقيقي فهو: وهو لا يعلمه إلا الله مثل ما أخبر عن نفسه وعن اليوم الأخر، وهذا النوع الذي لا يعلمه إلا الله لا يسأل عنه لتعذر الوصول إليه.
- أما التشابه النسبي فهو: وهو ما يكون متشابها على بعض الناس دون بعض، فيعلم منه الراسخون في العلم ما يخفى على غيرهم، إما لنقص في علمهم أو قصور في فهمهم أو سوء في قصدهم.

٢٥- حقيقة أهل التفويض ووجه الغلط عندهم:

حقيقة مذهب المفوضة: يزعمون أن نصوص الصفات من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله وهم في الظاهر طائفتان:

- الطائفة الأولى: تقول إن هذا الظاهر غير مراد ولا يعلمه أحد من الخلق.
- الطائفة الثانية: تقول إنها تجرى على ظاهرها وتأويلها باطل، ومع ذلك لا يعلمه إلا الله١.

---

(١) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه؟ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٤٥١

والتفويض متفق مع التأويل في كونه يفضي إلى التعطيل، ومع ذلك فالمفوضة ينسبون مذهبهم إلى السلف، ومن هنا اشتهرت عبارتهم. مذهب

---

١ انظر درء التعارض (١/١٥) .." (١)

"أفعال العباد"١. وهذا "ما دل عليه الكتاب، والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين، والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان"٢. "وهذا أمر متفق عليه بين الرسل-صلى الله عليهم وسلم-، وعليه اتفقت الكتب الإلهية، والفطر، والعقول، والاعتبار"٣، بل أدلة هذا من القرآن، والسنة لا تكاد تحصر٤.

ومما يجب التنبه له في هذا المقام أنه لا يلزم من اعتقاد أن كل ما شاء الله وجوده، وكونه فقد أمر به، ورضيه، فإن أهل السنة والجماعة "يقولون بما اتفق عليه السلف من أنه – سبحانه – ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ويثبتون الفرق بين مشيئته، وبين محبته، ورضاه. فيقولون:

إن الكفر، والفسوق، والعصيان، وإن وقع بمشيئته، فهو لا يحبه، ولا يرضاه، بل يسخطه، ويبغضه. ويقولون: إرادة الله في كتابه نوعان: نوع بمعنى المشيئة لما خلق، ونوع بمعنى محبته، ورضاه لما أمر به، وإن لم يخلقه"٥. وقد تقدم بيان هاتين الإرادتين، وأدلتهما في إثبات صفة الإرادة لله – تعالى-. وحكم الله – سبحانه وتعالى – "يجري على وفق هاتين الإرادتين، فمن نظر إلى الأعمال بهاتين العينين كان بصيرا، ومن نظر إلى القدر دون الشرع، أو الشرع دون القدر كان أعور"٦.

فتبين بهذا "أنه يحب ما لا يريد، ويريد ما لا يحبه، وذلك أن المراد قد يراد لغيره، فيريد الأشياء المكروهة؛ لما في عاقبتها من الأشياء المحبوبة، ويكره فعل بعض ما يحبه؛ لأنه يفضي إلى ما يبغضه. والله – تعالى – له الحكمة فيما يخلقه، وهو – سبحانه – يحب المتقين،

---

١ مجموع الفتاوى (٨/٤٤٩) ، وانظر: (٨/٦٣، ٢٣٦) .

٢ المصدر السابق.

٣ شفاء العليل لابن القيم (ص: ٤٩) .

٤ انظر: المصدر السابق (ص: ٦٥) ، منهاج السنة النبوية (٣ /٢٦٢) .

---

(١) شرح الرسالة التدمرية؟ محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٢٨٦

٥ مجموع الفتاوى (٨/٤٧٦) .

٦ المصدر السابق (٨/١٩٨) .." [1]

"...

= عبادة إلا إذا كانت سالمة من الشرك الأكبر والأصغر.

"كما قال تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء} [البينة: ٥] " جمع حنيف، وهو: المخلص لله عز وجل.

وهذه العبادة أمر الله بها جميع الخلق كما قال – تعالى- {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦] ، ومعنى يعبدون: يفردوني بالعبادة، فالحكمة من خلق الخلق: أنهم يعبدون الله عز وجل مخلصين له الدين، منهم من امتثل ومنهم من لم يمتثل، لكن الحكمة من خلقهم هي هذه، فالذي يعبد غير الله مخالف للحكمة من خلق الخلق، ومخالف للأمر والشرع.

وإبراهيم هو: أبو الأنبياء الذين جاءوا من بعده، فكلهم من ذريته، ولهذا قال – جل وعلا- {وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب} [العنكبوت: ٢٦١] ، فكلهم من بني إسرائيل –حفيد إبراهيم عليه السلام-، إلا محمدا –صلى الله عليه وسلم- فإنه من ذرية إسماعيل، فكل الأنبياء من بعد إبراهيم من أبناء إبراهيم – عليه الصلاة والسلام-، تكريما له.

وجعله الله إماما للناس –يعني: قدوة-: {قال إني جاعلك للناس إماما} [البقرة: ١٢٤] يعني: قدوة، {إن إبراهيم كان أمة} [النحل: ١٢٠] يعني: إماما يقتدى به. وبذلك أمر الله جميع الخلق كما قال –تعالى- : {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات:٥٦] ، فإبراهيم دعا الناس إلى عبادة الله عز وجل كغيره من النبيين، كل الأنبياء دعوا الناس إلى عبادة الله وترك عبادة ما سواه كما قال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل: ٣٦] .=." [2]

"كيف نعبده؛ لأن العبادات توقيفية لا يجوز أن يعبد الله بشيء إلا بما شرعه.

فالعبادات توقيفية على ما جاءت به الرسل – عليهم الصلاة والسلام -، فالحكمة من إرسال الرسل أن

---

(١) شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية؟ خالد المصلح ص/١٦٠

(٢) شرح القواعد الأربع؟ صالح الفوزان ص/١٣

يبينوا للناس كيف يعبدون ربهم، وينهونهم عن الشرك والكفر بالله – عز وجل – هذه مهمة الرسل – عليهم الصلاة والسلام –، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» فالعبادة توقيفية، والبدع مردودة، والخرافات مردودة، والتقليد الأعمى مرفوض لا تؤخذ العبادات إلا من الشريعة التي جاء بها الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

قوله: بل أرسل إلينا رسولا: هو محمد – صلى الله عليه وسلم – خاتم النبيين أرسله ليبين لنا لماذا خلقنا؟ ويبين لنا كيف نعبد الله – عز وجل –، وينهانا عن الشرك والكفر والمعاصي، هذه مهمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقد بلغ البلاغ المبين، وأدى الأمانة، ونصح الأمة – عليه الصلاة والسلام –، وبين ووضح، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وهذا كما في قوله." (١)

"يعترفون عندما يلقون في النار، قال تعالى: {كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير} [الملك: ٨، ٩] يقولون للرسل: أنتم في ضلال فهم يكذبون الرسل ويضللونهم.

هذه **الحكمة في** إرسال الرسل؛ إقامة الحجة على العباد، وهداية من أراد الله هدايته، الرسل يهدي الله بهم من يشاء، ويقيم الحجة على من عاند وجحد وكفر.

كما أرسلنا إلى فرعون رسولا: الرسول هو موسى – عليه الصلاة والسلام –، وفرعون هو الملك الجبار في مصر الذي ادعى الربوبية، وفرعون: لقب لكل من ملك مصر يقال له فرعون، المراد به هنا فرعون الذي أدعى الربوبية: {فقال أنا ربكم الأعلى} [النازعات: ٢٤] .

فعصى فرعون الرسول: هو موسى، كفر به فرعون كما قص الله في كتابه ما جرى بين موسى وفرعون، وما انتهى إليه أمر فرعون وقومه.

فأخذناه، أي: أخذنا فرعون بالعقوبة وهو أن الله أغرقه هو وقومه في البحر ثم أدخلهم النار: {مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا} ." (٢)

"الإيمان بالرسل

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى: {رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس

---

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان؟ صالح الفوزان ص/٤٦

(٢) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان؟ صالح الفوزان ص/٥٠

على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما} [النساء: ١٦٥] . [٧٤]

{وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم} [سبأ: ٣ - ٤] فالله أمر نبيه أن يقسم به على البعث وعلى قيام الساعة.

الآية الثالثة: هي التي معنا من سورة التغابن: {زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير} [التغابن: ٧] . **فالحكمة من** البعث هي جزاء العباد على أعمالهم، وقوله تعالى: لتنبئن، أي: لتخبرن بأعمالكم وتجازون بها.

[٧٤] الإيمان بالرسل هو أحد أركان الإيمان الستة. قال صلى الله عليه وسلم: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله» .." (١)

"الأخيرة معهم القتال، إذا كان المسلمون يطيقون القتال، قال تعالى: {فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد} [التوبة: ٥] الآية، وهذه الآية بيان **الحكمة من** الجهاد في الإسلام، وأنها: إزالة الشرك، حتى لا تكون فتنة، والمرتد بالفتنة: الشرك، أي حتى لا يوجد شرك، ويكون الدين كله لله، هذا هو المقصود من الجهاد، ليس المقصود من الجهاد توسيع السلطة والاستيلاء على الممالك، وحصول الثروة، ليس هذا هو المقصود، المقصود إعلاء كلمة الله عز وجل، وإزالة الشرك من الأرض، هذا هو المقصود.

وكذلك ليس المقصود من الجهاد في الإسلام الدفاع، كما يقوله بعض الكتاب المخذولين، يقولون: إن الإسلام من أجل الدفاع، يعني: إذا اعتدوا علينا نحن نقاتلهم؛ لصد العدوان فقط. سبحان الله! الله جل وعلا يقول: {فاقتلوا المشركين} [التوبة: ٥] ، {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله} [الأنفال: ٣٩] المقصود بالقتال في الإسلام: نشر الدعوة، ونشر الدين، وإزالة الشرك {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله} [الأنفال: ٣٩] ، هذا هو المقصود." (٢)

---

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان؟ صالح الفوزان ص/٢٨٦

(٢) شرح مسائل الجاهلية؟ صالح الفوزان ص/٣٠

"بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار} [ص: ٢٧] .

والله جل وعلا حكيم في خلقهن وحكيم في أمره ونهيه وتشريعه، لا ينهى عن شيء إلا وفيه مضرة خالصة أو راجحة، ولا يأمر بشيء إلا وفيه مصلحة خالصة أو راجحة. ومن حكمته سبحانه وتعالى: أنه يحاسب الخلائق، فيجازي المحسن بإحسانه، ويجازي المسيء بإساءته، ولا يترك الناس بدون جزاء كل يعما ثم لا يجازى، هذا يخالف الحكمة، ولهذا يقول جل وعلا: {وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين} [الأنبياء:١٦] ، ويقول سبحانه وتعالى: {وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار} [ص:٢٧] ، ويقول جل وعلا -ردا على الذين ينكرون البعث -: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون} [المؤمنون:١١٥] ،

{أيحسب الأنسان أن يترك سدى} [القيامة:٣٦] يعني: لا يؤمر ولا ينهى ولا يجازى؟!

وأهل الجاهلية ينكرون حكمة الله سبحانه وتعالى في خلقه وأمره، والمعتزلة والأشاعرة ينفون **الحكمة في** أفعال الله سبحانه وتعالى، فالأشاعرة ينفون **الحكمة في** أفعال الله سبحانه وتعالى، فالأشاعرة يقولون: الله لا يفعل لحكمة، وإنما يفعل لمشيئة مجردة فقط، لا لحكمة؛ لأن الحكمة معناها: أنه يعمل لغرض، والله منزه عن الأغراض، ولأن." (١)

"الحكمة تؤثر عليه فيكون خلقهم من أجل هذه العلة، والله جل وعلا يفعل ما يشاء بمجرد المشيئة والإرادة فقط، لا لحكمة. فينفون **الحكمة في** أفعال الله وفي شرعه؛ تنزيها لله -بزعمهم -عن الأغراض، ولهذا يقولون: يجوز أن يأمر الله بالكفر والفسق والمعاصي، وينهى عن الطاعة وعن إقام الصلاة وعن صلة الأرحام وعلى فعل الخير؛ لأنه يفعل ما يشاء.

ونقول لهم: نعم، يفعل ما يشاء سبحانه، وأن لا يفعل شيئا إلا لحكمة.

ويقولون: يجوز أن يدخل الله الكافر الجنة، وأن يدخل المؤمن التقي النار؛ لأن هذا راجع إليه، فلا تحكمه العلل.

ونقول: هذا كلام باطل لا يليق بحكمة الله سبحانه وتعالى، فالله جل وعلا يقول: {أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار} [ص:٢٨] ، ويقول: {أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون{

---

(١) شرح مسائل الجاهلية؟ صالح الفوزان ص/١٧٥

[الجاثية:٢١] فالذين قالوا هذه المقالة وصفوا الله بالسوء والجور، تعالى الله عن ذلك.
فهذا هو مذهب أهل الجاهلية ونفاة الحكمة من الأشاعرة ونحوهم، نسأل الله العافية.." (١)
"المسألة المائة: الاستدراك والاقتراح على الله

...

الاستدراك والاقتراح على الله

المسألة المائة

[التحكم على الله، كما في الآية السابقة]

الشرح

التحكم على الله يعني: الاقتراح على الله، كما في الآية: {لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة} [الفرقان: ٣٢] ويقترحون على الله، ويقولون: كيف يفرق الله القرآن وينزله منجما، ولم ينزله جملة واحدة؟ يتدخلون فيما لا يعنيهم وفيما لا علم لهم به.

ثم بين سبحانه الحكمة في إنزال القرآن مفرقا، وقال: {كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا} [الفرقان:٣٣] ، وقال تعالى: {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا} [الإسراء:١٠٦]." (٢)

"وأيضا لأجل التسهيل لوقت العمل به، ولو نزل القرآن جملة واحدة ما استطاع الناس العمل به وكذلك الله نزله منجما على حسب الوقائع؛ لأجل أن يبين حكم كل نازلة أو كل حادثة، هذه هي الحكمة في تنزيل القرآن مفرقا.

ولا يخلو الزمان ممن هم على هذه الشاكلة، يتدخلون في النصوص، ويقترحون على الله ورسوله، أنه لو كان النص كذا، أو كان الحديث كذا وكذا، يقول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله} [الحجرات: ١] لا تقترحوا على الله وعلى الرسول، عليكم بالإيمان بالله، والعمل بما أنزل الله، دون الاقتراحات والاعتراضات.." (٣)

---

(١) شرح مسائل الجاهلية؟ صالح الفوزان ص/١٧٦

(٢) شرح مسائل الجاهلية؟ صالح الفوزان ص/٢٦٣

(٣) شرح مسائل الجاهلية؟ صالح الفوزان ص/٢٦٤

"التعليل **والحكمة في** أفعال الله تعالى (١) ، وهذان الأمران يخالف فيهما الأشعري.

١١- والإيمان عند الماتريدي هو التصديق، ومحله القلب، ويستدل لذلك بدليل السمع والعقل (٢) ، ويرى التفريق بين التصديق والمعرفة، ويعقد لذلك مسألة مستقلة (٣) ، وهو بهذا يرد على الجهمية القائلين بأن الإيمان هو المعرفة. والماتريدي يرد على القائلين بأن الإيمان قول باللسان (٤) ، كما يرد على الذين يدخلون الأعمال في مسمى الإيمان (٥) ، وعلى ضوء ذلك فالماتريدي يمنع من الاستثناء في الإيمان (٦) .

١٢- ويوافق الماتريدي أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة، ولذلك فهو يرد على المعتزلة والخوارج في ذلك (٧) ، ويقرن ذلك بمسألة الشفاعة، وإنها رد عليهم (٨) .

١٣- وفي موضوع "الإرجاء" المنسوب إلى الحنفية عقد الماتريدي له مسألة مستقلة، ذكر فيها ما ورد من الأقوال فيه حيث إن كل طائفة تتهم الأخرى بالإرجاء - كما دافع عما نسب إلى القائلين بعدم دخول الأعمال في مسمى الإيمان من أنهم مرجئة، ويقول: إن تهمة الإرجاء واقعة إما على الجبرية حين أرجت أفعال الخلق إلى الله تعالى ولم تجعل للخلق فيها حقيقة البتة، وإما على من يسميهم بالحشوية حين يستثنون في الإيمان (٩) ، أما مسألة الفرق بين الإيمان والإسلام فيرجع أنهما بمعنى واحد (١٠) .

---

(١) انظر: التوحيد (ص: ١٧٧، ٢١٦-٢١٧) .

(٢) انظر: المصدر نفسه (ص: ٣٧٣-٣٧٨) .

(٣) (ن) انظر: المصدر نفسه (ص: ٣٨٠-٣٨١) .

(٤) وهم الكرامية، انظر: تفسير الماتريدي (١/٤٤) ، والتوحيد (ص: ٣٧٦-٣٧٨) .

(٥) انظر: كتاب التوحيد (ص: ٣٧٨-٣٧٩) .

(٦) انظر: المصدر السابق (ص: ٣٨٨-٣٩٢) .

(٧) انظر: تفسير الماتريدي (١/٧٣) ، والتوحيد (ص: ٣٢٣-٣٦٥) .

(٨) انظر: التوحيد (ص:٣٦٥-٣٧٣) .

(٩) انظر: المصدر السابق (ص: ٣٨١-٣٨٥) .

(١٠) انظر: المصدر نفسه (ص: ٣٩٣-٤٠١(.." (١)

"الظاهرين أقوى فيعول عليه بأنه "على هذا التقدير يصير ترك أحد الظاهرين لتقرير الظاهر الثاني مقدمة ظنية، والظنون لا يجوز التعويل عليها في المسائل العقلية القطعية" (١) .

ولما أبطل التعويل على الدليل اللفظي عول على الدليل العقلي المنفصل فقال: "فثبت بما ذكرنا أن صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح لا يجوز إلا عند قيام الدليل العقلي القاطع على أن ظاهره محال ممتنع، فإذا حصل هذا المعنى فعند ذلك يجب على المكلف أن يقطع بأن مراد الله تعالى من هذا اللفظ ليس ما أشعر به ظاهره. ومن لم يجوزه فوض علمه إلى الله تعالى" (٢) .

وخلاصة رأي الرازي أن الآية والخبر تصير متشابهة ويجب عدم اعتقاد ظاهرها بتأويل أو تفويض - إذا عارضها الدليل العقلي القاطع.

٢- ومن الأمور التي ركز عليها الرازي إدخاله الصفات في المتشابه، ومعلوم أ، كتابه "أساس التقديس" خصصه لمناقشات نصوص الصفات وتأويلها، وقد ناقش فيه بإسهاب موضوع المحكم والمتشابه ناصرا مذهبه الذي سار عليه.

٣- ومن الأمور التي ذكرها أن الحكمة من إنزال المتشابه مراعاة أحوال العوام في أول أمرهم فيخاطبون بما يدل على التجسيم والتحيز والجهة لأن ذلك يناسب ما تخيلوه وتوهموه. فهذا الذي يخاطبون به من باب المتشابهات، ثم يكشف لهم آخر الأمر استحالة هذه الأمور، الذي هو المحكمات (٣) .

٤- أنه قرر مذهب السلف بقوله: "حاصل هذا المذهب أن هذه المتشابهات يجب القطع فيها بأن مراد الله تعالى منها شيء غير ظواهرها، ثم يجب تفويض معناها إلى الله تعالى، ولا يجوز الخوض في تفسيرها" ثم قرر مذهب المتكلمين بقوله: "وقال جمهور المتكلمين: بل يجب الخوض في تأويل تلك

---

(١) أساس التقديس (ص:١٨٢) ط الحلبي.

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة؟ عبد الرحمن بن صالح المحمود ٢/٤٨٦

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق (ص: ١٩٢) ط الحلبي.." [١]

"الفرع الثاني: أفعال العباد ومسألة "الكسب":

ومن خلال ذلك سيتم عرض الخلاف باختصار، وبيان مذهب الأشاعرة وخطئهم ومنهج شيخ الإسلام في الرد عليهم من خلال بيانه لمذهب السلف.

أما تعريف القدر اصطلاحا: فهو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه لها.

والإيمان بالقدر يشمل الإيمان بأربع مراتب:

الأولى: العلم، أي أن الله علم ما الخلق عاملون بعلمه الأزلي.

الثانية: الكتابة: وأن الله كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ.

الثالثة: المشيئة: وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ليس في السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئته - سبحانه -، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد.

الرابعة: الخلق: أي أن الله خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد. هذا هو مذهب السلف الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة (١) .

وبعد بيان مذهب السلف بإجمال ننتقل إلى الكلام على الفرعين السابقين:

الفرع الأول: المسائل المتعلقة بالقدر:

وهذه المسائل: منها ما للخلاف فيه تأثير على مسألة القدر، حسب مذهب كل طائفة، ومنها ما له علاقة قوية بالقدر أو هي اثر من آثار الخلاف فيه. وأهم هذه المسائل:

أولا: تعليل أفعال الله وإثبات **الحكمة فيها**:

كل ما خلقه الله تعالى فله فيه حكمة، والحكمة تتضمن شيئين:

أحدهما: حكمة تعود إليه تعالى، يحبها ويرضاها.

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة؟ عبد الرحمن بن صالح المحمود ٣/١١٢٥

(١) انظر: الواسطية – مجموع الفتاوى – (٣/١٤٨–١٥٠) ، وشفاء العليل لابن القيم (ص:٦٦) ط دار التراث.." (١)

"معذبين حتى نبعث رسولا} (الاسراء: من الآية١٥) .

النوع الثاني: أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسنا، وإذا نهى عن شيء صار قبيحا، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع.

النوع الثالث: أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد، هل يطيعه أم يعصيه، ولا يكون المراد فعل المأمور به، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه {فلما أسلما وتله للجبين} (الصافات:١٠٣) حصل المقصود، ففداه بالذبح وكذلك حديث أبرص وأقرع وأعمى، فلما أجاب الأعمى قال الملك: أمسك عليك مالك، فإنما ابتليتم، فرضى عنك وسخط على صاحبيك" (١) . **فالحكمة منشؤها** من نفس الأمر لا من نفس الأمور به.

وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة، وزعمت أن الحسن والقبح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك بدون أمر الشارع، والأشعرية ادعوا أن جميع الشريعة من قسم الامتحان، وأن الأفعال ليست صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع. وأما الحكماء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة، وهو الصواب" (٢) .

وشيخ الإسلام يزيد الأمر تحقيقا فيبين أن التحسين والتقبيح قسمان:

أحدهما: كون الفعلا ملائما للفاعل نافعا له أو كونه ضارا له منافرا فهذا قد اتفق الجميع على أنه قد يعلم بالعقل (٣) .

الثاني: كونه سببا للذم والعقاب، فهذا هو الذي وقع فيه الخلاف:

– فالمعتزلة قالوا قبح الظلم والشرك والكذب والفواحش معلوم بالعقل، ويستحق عليها العذاب في الآخرة وإن لم يأت رسول.

---

(١) متفق عليه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع ورقمه (٣٤٦٤) الفتح (٦/٥٠٠) ، ومسلم كتاب الزهد ورقمه (٢٩٦٤) .

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة؟ عبد الرحمن بن صالح المحمود ٣/١٣١٠

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٤٣٤-٤٣٦) .

(٣) انظر: المصدر السابق (٨/٩٠، ٣٠٩-٣٠١) ، ومنهاج السنة (١/٣٦٤) - مكتبة الرياض الحديثة.."

(١)

"والتنجيم بخراسان والتشيع بالكوفة، وبين ما ليس كذلك، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطرق إليه"١.

وبه يتبين أهمية أن يستخدم المسلم **الحكمة في** أمر الهجر، لأن المسلم قد يخالط من هو مرتكب للمنكرات، إلا أنه حاكما أو سيدا مطاعا في قومه، أو من يكون تعلقت به مصالح العبد، فإن هجره له لا يؤثر فيه بالارتداع والانزجار بل قد يتمادى تكبرا وغطرسة، وقد يوصل إلى الهاجر الضرر، إما الجسدي، وإما المالي.

وكذلك فإن من الأمور التي ابتلي بها أهل زماننا كثرة العصاة وتنوع عصيانهم، وظهور أنواع من المنكرات تواطأ الناس على فعلها فصارت من عادات بعض الناس، وأعرافهم التي لا يستنكرون فعلها كحلق اللحى وشرب الدخان ونحو ذلك، مما لو هجر المسلم بسببه لصرم الناس إلا قليلا منهم، وفيهم أهله وأقرباؤه وذوي رحمه، وهؤلاء بهجره لهم لا يرتدعون ولا ينزجرون، فمن هنا أرى أن دعوتهم وتذكيرهم ووعظهم والإنكار عليهم بالرفق واللين واستعمال التأليف لهم بالهدية ونحوها مع القصد الصالح في دعوتهم ووعظهم، فلعل هذا يكون من الجنس الذي بين العلماء فيما نقلت عنهم كابن عبد البر، وشيخ الإسلام والذهبي أنه أنفع وأحرى في تحقق المقصود مع أنه في الحقيقة هو الأمر الممكن للإنسان في هذه الأزمان ولا حول ولا قوة إلا بالله، والله أعلم وأحكم.

---

١ مجموع الفتاوى (١٨/٢٠٤-٢٠٨) .." (٢)

"- الرحيم الحيي الكريم (١)

- الحيي الستير (٢)

- العظيم الحليم (٣)

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة؟ عبد الرحمن بن صالح المحمود ٣/١٣٢١

(٢) المباحث العقدية المتعلقة بالكبائر ومرتكبها في الدنيا؟ سعود بن عبد العزيز الخلف ص/١٠٨

ولعل الله ييسر لمن يفرد بحثا في توضيح وجه الكمال في اقتران الأسماء في الكتاب والسنة.
وللإمام ابن القيم كلام جميل في **الحكمة من** اقتران أسماء الله تعالى
وختم الآيات بها أنقلها للفائدة فقال: رحمه الله: " أمر سبحانه بتدبر كلامه والتفكر فيه، وفي أوامره ونواهيه وزواجره ولولا ما تضمنه من الحكم والمصالح والغايات المطلوبة والعواقب الحميدة، التي هي محل الفكر لما كان للتفكر فيه معنى وإنما دعاهم إلى التفكر والتدبر ليطلعهم ذلك على حكمته البالغة وما فيه من الغايات والمصالح المحمودة التي توجب لمن عرفها إقراره بأنه تنزيل من حكيم حميد.
فإن ما في خلق الله وأمره من الحكم والمصالح المقصودة بالخلق والأمر والغايات الحميدة أمر تشهد به الفطر والعقول ولا ينكره سليم الفطرة.
ويذكر تعالى هذين الاسمين عند ذكر مصدر خلقه وشرعه تنبيها على أنهما إنما صدرا عن حكمة مقصودة مقارنة للعلم المحيط التام لقوله: (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) [النمل: ٦]
وقوله: (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) [الزمر: ١]

---

(١) لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله رحيم حيي كريم يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه ثم لا يضع فيهما خيرا) أخرجه الحاكم عن أنس وهو في صحيح الجامع الصغير (١٧٦٨) .
(٢) رواه أبو داود برقم (٤٠١٢) ، والنسائي (٧٠/١) ، والبيهقي (١٩٨/١) .
(٣) لما رواه مسلم (٨٣/٤٨) عن ابن عباس (إن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم) .." (١)
"القاعدة الثالثة

ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر:
فباعتبار المعنى (١) هي معلومة وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة
وقد دل على ذلك السمع والعقل

---

(١) المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى؟ كاملة الكواري ص/٥٦

- أما السمع: فمنه قوله تعالى: {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب} (٢) [ص:٢٩] .

وقوله تعالى: {إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون} (٣) [الزخرف: ٣] .

وقوله تعالى: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون} (٤) [النحل:٤٤] .

---

(١) أي أصل المعنى لا المعنى الذي يكون في حق المخلوق فهذا غير مراد قطعا ولهذا يقول شارح الطحاوية ص٧٦ عن الصفات أن أصل معناها معلوم لنا ا. هـ

وانظر التدمرية ص٨٩ فقد ذكر شيخ الإسلام هذه القاعدة وفصل فيها.

(٢) قال السعدي في تفسير (٤/٤٨٧) :

[ليدبروا آياته] أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها. فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر، أفضل من سرعة التلاوة، التي لا يحصل بها هذا المقصود ا. هـ

إذا لا يمكن أن أتدبر ما لا أدرك معناه وإنما أتدبر وأعقل إذا كان الكلام معلوما لدي.

(٣) قال السعدي في تفسير (٤/٤٣٧) :

[إنا جعلناه قرآنا عربيا] هذا هو المقسم عليه، أنه جعل بأفصح اللغات وأوضحها وأبينها وهذا من بيانه.

وذكر الحكمة في ذلك: [لعلكم تعقلون] ألفاظه ومعانيه لتيسرها وقربها من الأذهان.

(٤) فقوله (لتبين للناس) دليل على إن الرسول صلى الله عليه وسلم بين القرآن بألفاظه ومعانيه ." (١)

"الفصل الثالث عشر: الإسلام والقومية

ذكرنا في البداية أن الإسلام لا يقف في طريق الشخص إذا انتسب لقومه أو لوطنه أو أهله، بل إنه يشجع هذا المسلك ويحبذه؛ إذ كان على أساس التواصل وصلة الرحم، بل أخبر الله تعالى أن انقسام الناس إلى

---

(١) المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى؟ كاملة الكواري ص/٢٢٥

شعوب وقبائل هو أمر منه -عز وجل، وأن **الحكمة من** وراء هذا بينها -عز وجل- بقوله: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير} ١.

وقد نهى الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن ينتسب الشخص إلى غير أبيه، أو ينتمي إلى غير مواليه٢، ولا يمنع كذلك أن ينتسب الإنسان إلى الوطن الذي يعيش فيه، ولا لوم عليه إذا أحبه لا على أساس الفخر الجاهلي، وإنما لأنه وطنه أواه، فإن تلك الأمور كلها لا حرج فيها، وواقع تعيشه البشرية كلها، ولا يمنعها الإسلام إلا في حالة واحدة، وهي الحالة التي يصبح ولاء الناس ومعاداتهم ومحبته واجتماعهم وافتراقهم كله قائم على دعوى القومية والتعصب لها، وتقديمها على الأخوة الإسلامية؛ لأن هذا الوضع منحرف؛ لأنه يصبح تشريعا جديدا لا تستند فيه مشروعية إلا على الحكم الوضعي البشري لا إلى حكم الله تعالى، وما أجمل أن يترك الإنسان كل علاقة خارجة عن الإسلام محاكيا

---

١ سورة الحجرات، الآية: ١٣.

٢ أخرجه البخاري ج٢، ص٦٦١، ومسلم ج٢، ص١١٤٧.." (١)

"كما أن آخذ المال بالربا يصبح هو الآخر في خطر؛ إذ تقوده رغبته في الثراء الذي يتخيله من وراء أخذ المال بالربا والدين إلى الإفلاس من وراء استثمار ذلك المال إذا لم يوفق في تصريفه بطريقة ناجحة، فيتحمل بعد ذلك سداد رأس المال وسداد الربا والإفلاس الذي حل به، ولم يقتصر ضرر الربا على شخص أو أسخاص معدودين، بل قد يشمل ضرره المجتمع والدولة بأجمعها، فبينما هي تستحلي أخذ الأموال بالربا؛ إذ بها تفيق على مبالغ هائلة متراكمة يصعب عليها أن تسددها، فتلجأ بعد ذلك إلى الذل والخضوع للدول الدائنة، أو استجداء من لا يبالي ولا يرحم، بل وقد تدخل تلك الدولة تحت حكم الدولة المرابية طوعا أو كرها كما فعلت الدول الاستعمارية في أكثر من بلد حين تدخلت بحجة حماية رعاياها ومصالحها الاقتصادية، وأخيرا إلى مشاركة الدولة المدينة في اقتصادها وأخذ الثمرة منه، والغرض هنا هو بيان نظرة الإسلام إلى مصالح البشر من وراء تحريم الربا، وقد استفاض علماء الإسلام في بيان شئون الربا وأضراره، **والحكمة من** تحريمه، وبيان نتائج التعامل به، وأقسامه المختلفة التي عددها علماء الفقه وبينوا أحكامها

---

(١) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها؟ د. غالب بن علي عواجي ٩٥٠/٢

على ضوء النصوص من كتاب الله –عز وجل، وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم، بما لا يحتمل المقام تفصيله هنا.

فيجب أن يحذر المسلم الحريص على سلامة دينه ودنياه أن ينساق مع دعاة تحليل ما حرمه الله من الربا وغيره، أو أن ينظر في شبهاتهم التي هي بمثابة استدراكات على الله –عز وجل– وإن لم ينطقوا بذلك، فإن الربا حرام تحت أي حيلة أو أية تسمية، فقد أخبر الله في كتابه." (١)

"في السراء والضراء، ولذلك روي عن أبي كريمة المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: «إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه» (١).

والحكمة من إخبار الأخ أخاه بمحبته إياه لتحصل بينهما المودة والصلة والتزاور والمناصحة والتعاون، فتزداد المحبة وتتقوى الصلة بينهما وتتوثق عرى الأخوة بين الإخوة في الله (٢) حيث أن الأخ إذا عرف أنك تحبه أحبك على ذلك ومعرفة الحب تكون بالقول والفعل، فإذا حصل ذلك بدأ الحب يتزايد بين الجانبين ويتضاعف والمحبة بين المؤمنين مطلوبة في الشرع ولذلك أرشد الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى أسبابها القولية والفعلية ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» (٣) هذا في أسباب المحبة القولية.

أما المحبة الفعلية فقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت» (٤) وفي حديث آخر كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقبل الهداية ويثيب عليها (٥).

ومن مقتضيات الموالاة في الله أن يدفع المسلم عن أخيه في الله ذم

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث صحيح انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين (١/ ٣٥٢) رقم الحديث (٩/ ٣٨٤).

(٢) انظر: نزهة المتقين شرح رياض الصالحين (١/ ٣٥٢).

(٣) رواه مسلم انظر: صحيح مسلم (١/ ٧٤).

---

(١) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها؟ د. غالب بن علي عواجي ١٣١٠/٢

(٤) رواه البخاري انظر: فتح الباري (٥/ ١٩٩).

(٥) المصدر السابق (٥/ ٢١٠).." (١)

"أحسن) [النحل: ١٢٥] وقال تعالى: (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب) [البقرة: ٢٦٩] وبناء على ذلك فإن من يسلك إحدى هذه السبل مع مجتمعه الذي يعيش فيه لا يعتبر من المنقطعين عن الدعوة ولا يوصف بالخوف أو الجبن في تجاهله لبعض المنكرات، لأنه ينظر إلى الأمور بحكمة وروية تختلف عن نظرة أهل الضحالة في العلم والتفكير الذين يقعد بهم الخوف عن العمل للإسلام في كل الميادين، أو الذين يندفعون بلا حكمة ورؤية في محاربة قشور الباطل وأغصانه ناسين أو متناسين العمل الجاد لاقتلاع جذور الباطل واجتثاث أصوله من أعماقها، فالباطل كالشجرة التي كلما قطع منها غصن خرج بدل منه ولا يزول الباطل إلا باقتلاع أصله قال تعالى: (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار * يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) [إبراهيم: ٢٦، ٢٧] ولذلك يجب أن نميز بين من يعمل لله بحكمة ومن يترك العمل لله خوفا من الناس.." (٢)

"الإيمان:

. الإيمان قول، وعمل، يزيد، وينقص، فهو: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح. فقول القلب: اعتقاده وتصديقه، وقول اللسان: إقراره. وعمل القلب: تسليمه وإخلاصه، وإذعانه، وحبه وإرادته للأعمال الصالحة.

وعمل الجوارح: فعل المأمورات، وترك المنهيات.

. مرتكب الكبيرة (*) لا يخرج من الإيمان، فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان، وفي الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، والموحدون كلهم مصيرهم إلى الجنة وإن عذب منهم بالنار من عذب، ولا يخلد أحد منهم فيها قط.

. لا يجوز القطع لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا من ثبت النص في حقه.

. الكفر (*) من الألفاظ الشرعية وهو قسمان: أكبر مخرج من الملة، وأصغر غير مخرج من الملة ويسمى

---

(١) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية؟ محماس الجلعود ٢٧٣/١

(٢) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية؟ محماس الجلعود ٤١٣/١

أحيانا بالكفر العملي.

. التكفير (*) من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل ما لم يدل دليل شرعي على ذلك، ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت موجبه في حق المعين إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع. والتكفير من أخطر الأحكام فيجب التثبت والحذر من تكفير المسلم، ومراجعة العلماء الثقات في ذلك.

؟ القرآن والكلام:

القرآن كلام الله (حروفه ومعانيه) منزل غير مخلوق؛ منه بدأ؛ وإليه يعود، وهو معجز دال على صدق من جاء به صلى الله عليه وسلم. ومحفوظ إلى يوم القيامة.

؟ القدر:

من أركان الإيمان، الإيمان بالقدر (*) خيره وشره، من الله تعالى، ويشمل:

. الإيمان بكل نصوص القدر ومراتبه؛ (العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق) ، وأنه تعالى لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

. هداية العباد وإضلالهم بيد الله، فمنهم من هداه الله فضلا. ومنهم من حقت عليه الضلالة عدلا.

. العباد وأفعالهم من مخلوقات الله تعالى، الذي لا خالق سواه، فالله خالق لأفعال العباد، وهم فاعلون لها على الحقيقة.

. إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى، وإثبات الأسباب بمشيئة الله تعالى.." (١)

"عن الحكم.. سار على نهجه، في صبغ اندونيسيا المسلمة بالصبغة العلمانية (اللادينية) وأطلق يد كل أعداء الإسلام للعمل في البلاد وفتح أبواب اندونيسيا للتنصير وإحياء الوثنية (*) ونشر الفساد والتحلل الأخلاقي في البلاد.

الأفكار والمعتقدات:

• يقوم البانتشاسيلا على خمسة مبادئ هي:

. الإيمان بالله الواحد الأحد (الربانية المتفردة) .

. القومية وتنادي (بالوحدة الاندونيسية) .

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة؟ مجموعة من المؤلفين ١/ ٤٠

. الديمقراطية (*) أو (الشعبية الموجهة **بالحكمة في** الشورى النيابية) .

. الإنسانية العادلة المهذبة.

. العدالة الاجتماعية.

. على أساس أن هذه المبادئ هي نقاط التفاهم بين جميع الطوائف في اندونيسيا.

. هذه المبادئ الخمسة بقيت مبادئ نظرية محضة، أو شعارات مرفوعة .كما هي الحال في الحكومات العسكرية في العالم الإسلامي . وتخفي وراءها العلمانية التي تسعى إلى سلخ الشعب المسلم في اندونيسيا عن الإسلام شيئا فشيئا.

. لا يقصد بـ (الإيمان بالله) (المبدأ الأول من المبادئ الخمسة) ، الإيمان القائم على العقيدة الصحيحة والوحي (*) الإلهي المجرد من كل المؤثرات، وفكرة الله عند سوكارنو (المنظر لهذه المبادئ) : (أن الإنسان الذي لا يزال يعيش على الزراعة يشعر بحاجة إلى الله، وإذا بلغ مرحلة الصناعة لم يعد يرى ثمة ضرورة لوجود الله) .

. إذا المقصود بوجود هذا المبدأ (الإيمان بالله) هو الخداع والتمويه على الحقيقة اللادينية للبانتشاسيلا.

• العلمانية والتغريب هما خلفية البانتشاسيلا ومن هذا الباب دخلت الصليبية والجمعيات التنصيرية من كل طائفة وملة إلى اندونيسيا بتسهيلات من الحكومة الاندونيسية، والأمم المتحدة (*) باسم رعاية الأمومة والطفولة، ومكافحة الأمراض وفتح المستشفيات.. الخ.

• بلغ عدد الذين تركوا الإسلام واعتنقوا الكاثوليكية في اندونيسيا ٢٠ ميلونا ضمن سكان الدولة المسلمة التي كانت مسلمة مائة بالمائة.

• الرابطة القومية . اللادينية . هي التي تربط أفراد الشعب الاندونيسي بعضهم ببعض.. وهذه الرابطة صدى للدعوات القومية التي ظهرت في أوروبا وتسعى الآن للتخلص." (١)

"غامضا مبهما، وما كان فوق طاقة العقل إدراكه من قبل مصداقا لقوله تعالى: {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد} ١.

والكهرباء وما نشأ عنها من المخترعات قربت إلى العقل فهم إمكان تحول المادة إلى قوة وتحول القوة إلى مادة، وقد انتفع الدكتور هيكل بشيء من هذا في تقريب قصة الإسراء"٢.

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة؟ مجموعة من المؤلفين ١/٤٦٧

واليوم يكتب شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود مقالا عن "موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة" فيقول:

"قد يتساءل إنسان عن نوعية العلم الذي يدعو إليه الإسلام ...

إن العلم الذي يدعو إليه الإسلام هو العلم بالطبيعة والأحياء، والكيمياء، والطب وغير ذلك من العلوم المادية، وهو بالضرورة أيضا علم الدين، من تفسير، وحديث، وفقه.. وإن الآية الكريمة: {إنما يخشى الله من عباده العلماء} ٣ إنما وردت في معرض الحديث عن الكونيات المادية.

والله سبحانه وتعالى يقول: {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم} وما من شك في أنه بمقدار تعمق الإنسان في الجانب العلمي على أساس من الإيمان وفي صدق وإخلاص تكون خشيته لله؛ إنه يرى من نواميس الكون، ومن الإتقان في الخلق، ومن **الحكمة في** التدبير ما يجعله يسجد لمبدع الكون ومنسقه.

وإن هؤلاء الذين يتصلون مثلا بعلم التشريح من قرب أو يتخصصون فيه، يرون من الإحكام ومن الدقة الدقيقة في مختلف الأجهزة الجسمية، وفي

---

١ فصلت: ٥٣.

٢ الطبعة الثالثة عشر: ص١٥-١٦ دار المعارف بمصر.

٣ فاطر: ٢٨.." (١)

"{إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا - أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا - والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما} [النساء: ١٥٠ - ١٥٢] (١) .

وقد بين الله **الحكمة من** بعثة الرسل الكرام، فقال تعالى: {رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما} [النساء: ١٦٥] (٢) .

ولقد أرسل الله رسلا وأنبياء كثيرين منهم من ذكره لنا في كتابه أو على لسان نبيه- صلى الله عليه وسلم - ومنهم من لم يخبرنا عنهم، قال تعالى {ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم

---

(١) النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام؟ أحمد عبد الوهاب ص/٢٢٩

نقصص عليك} [غافر: ٧٨] (٣) .

وقال: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل: ٣٦] (٤) .

---

(١) سورة النساء: الآيات، ١٥٠ - ١٥٢.

(٢) سورة النساء: الآية، ١٦٥.

(٣) سورة غافر: الآية، ٧٨.

(٤) سورة النحل: الآية، ٣٦.." (١)

"كما بين لنا من جانب آخر سنة من سنن الله في كونه تتحكم هذه السنة في مسار علاقة الإنسان بوحي السماء، وتتمثل هذه السنة في أصل طبيعة النفس البشرية ومن لوازمها "الضعف" أمام المغريات، الضعف أمام المثيرات، وأن أكبر عامل نعالج به هذه الحالة هو الاستعانة عليها بالله، ومتابعة هداه، والقرآن الكريم حين سجل لنا قصة آدم قد ختمها بهذه النهاية التي تتضمن هذا القانون العام الذي يحكم علاقة الإنسان بالله، قال تعالى: {قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى} [طه: ١٢٣-١٢٧] .

وقال تعالى في موضع آخر: {قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون} [البقرة: ٣٨] . وتكرر ذلك في القرآن في مواضع أخرى.

ولا نريد الخوض في تفاصيل هذه القضية أو التعرض لإرادة الله في ذلك، وما **الحكمة من** الأمر بالسجود لآدم وامتناع إبليس عن السجود، أو الأكل من الشجرة والخروج من الجنة؛ فإن ذلك له." (٢)

"فكلها تنفي الغاية **والحكمة من** وجود هذا العالم، ولا ترى فيه إلا العبثية المطلقة كما قال الشاعر الجاهلي قديما:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ... ومن تخطئ يعمر فيهرم

---

(١) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة؟ عبد الله بن عبد الحميد الأثري ٧٦/١

(٢) الوحي والإنسان - قراءة معرفية؟ محمد السيد الجليند ص/١٣

وقالوا: ما هي إلا أرحام تدفع، وقبور تبلع وما يهلكنا إلا الدهر. وكما عبر القرآن الكريم عن موقفهم بقوله تعالى: {وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر} [الجاثية: ٢٤] .

ولقد ترتب على هذا الموقف الرافض للغاية والحكمة الإلهية من الوجود والقائل بالعبثية أن فتش هؤلاء فيما تحت أيديهم من أقوال فلم يجدوا للوجود معنى ولا للحياة قيمة، وانعكس هذا التفسير على سلوكهم رفضا للحياة بأكملها، وهربا من الوجود الذي لا معنى له، فكان الانتحار هو المخلص لهم من هذا الوجود العبثي.

والعقل السليم يرفض هذا التفسير ويأباه، وليس ذلك من باب المصادرة على آراء الآخرين، وليس من باب وضع العربة أمام الحصان كما يسميها البعض، ولكن القضية أمامنا أشبه بالكتاب المفتوح، فمن أراد أن يقرأ بعقل واع خال من الشبهات فعليه أن يطالع صفحة الكون، وأن يتأمل في كل جزئية منه بدءا من نفسه هو ومن جسمه هو، ومن حبة القمح التي يزرعها ويأكلها، فإنه يجد لا محالة أن كل شيء في الكون موظف لأداء غاية مطلوبة ولحكمة." (١)

"والتربية النبوية في هذا العهد ذات شأن عظيم ذلك أنها كانت تربية تقوم على ضبط النفس، والصبر على الأذى، وإعداد العدة مع حبس دواعي الانطلاق وكف حدة الإقدام، واحتمال جهل الجاهلين وبغي الطاغين. وكل ذلك من غير ذل ولا استجداء، ولا يأس ولا وهن، بل إن عيونهم قريرة وقلوبهم مطمئنة إلى نصر الله ونفوسهم مستعلية على شرك المشركين وضلالهم وفتنتهم (١) .

ومن المهم في هذا الموضوع أن نلاحظ الحكمة الربانية في عدم فريضة القتال في مكة فإنه إنما شرع في العهد المدني أما (حين كان المسلمون في مكة فقد كان المشركون أكثر عددا، فلو أمر المسلمون وهم أقل من العشر بقتال الباقين لشق عليهم، ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا نيفا وثمانين قالوا: يا رسول الله ألا نميل على أهل الوادي – يعنون أهل منى – ليالي منى فنقتلهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إني لم أؤمر بهذا)) (٢) .

ونحن حين نلتمس **الحكمة في** هذه الحالة وفي غيرها من التكاليف الشرعية – كما يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله – لا نجزم بما نتوصل إليه، لأننا حينئذ نتألى على الله ما لم يبين لنا من حكمة. ونفرض أسبابا وعللا قد لا تكون هي الأسباب والعلل الحقيقة، أو قد تكون.

---

(١) الوحي والإنسان – قراءة معرفية؟ محمد السيد الجليند ص/٢٢٤

ذلك أن شأن المؤمن أمام أي تكليف، أو أي حكم من أحكام الشريعة هو التسليم المطلق لأن الله سبحانه هو العليم الخبير، وإنما نقول هذه الحكمة والأسباب من باب الاجتهاد وعلى أنه مجرد احتمال لأنه لا يعلم الحقيقة إلا الله، ولم يحددها هو لنا ويطلعنا عليها بنص صريح) (٣) .

وهذه الأسباب والعلل ذكرها الأستاذ سيد قطب رحمه الله في كتابيه القيمين: ((في ظلال القرآن)) عند تفسير سورة النساء، وفي ((معالم في الطريق)) (٤)

---

(١) سبيل الدعوة الإسلامية. د. محمد أمين المصري (ص ١١١، ١١٣) بتصرف.

(٢) تفسير ابن كثير: (٥/ ٤٣١) والحديث في مسند أحمد (٤٦٢/٣) في سنده (معبد بن كعب بن مالك، قال عنه ابن حجر في التقريب مقبول، وذكر في التهذيب أن له حديثا واحدا في صحيح البخاري وأخرج له مسلم. ووثقه ابن حبان.

(٣) انظر الظلال (٧١٤/٢) .

(٤) الظلال (٧١٤/٢ - ٧١٥) وفي المعالم (ص ٦٩ - ٧١) .." [(١)]

"وذكر سبحانه العلة والحكمة في تحريم نكاح المسلم أو المسلمة لمن خالفهما في الدين فقال (أولئك يدعون إلى النار) أي في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم فمخالطتهم على خطر منهم: بل إنه الشقاء الأبدي (١) .

ونكاح المسلم للكتابية مجمع عليه - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - من السلف والخلف ولكن يروى عن ابن عمر أنه كره نكاح النصرانية وقال: لا أعلم شركا أعظم ممن تقول إن ربها عيسى ابن مريم (٢) ، ولكن الجواب على ذلك من ثلاثة أوجه:

(١) أن أهل الكتاب لم يدخلوا في المشركين بدليل قوله تعالى:

{إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين { [سورة البقرة: ٦٢] .

فإن قيل قد وصفوا بالشرك بقوله:

{اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون { [سورة التوبة: ٣١] .

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام؟ محمد بن سعيد القحطاني ص/١٦٨

قيل: أهل الكتاب ليس في أصل دينهم شرك، لأن الله بعث الرسل

---

(١) تفسير كلام المنان لابن سعدي (١/٢٧٤) .

(٢) الحديث في صحيح البخاري كتاب الطلاق باب قول الله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) . عن نافع أن ابن عمر كان إذا سئل عن نكاح النصرانية واليهودية قال: إن الله حرم المشركات على المؤمنين ولا أعلم من الإشراك شيئا أكبر من أن تقول المرأة ربها عيسى وهو عبد من عباد الله. (٩/٤١٦ ح ٥٣٨٥) .." (١)

"من خلالها تحصيل الأجر والمثوبة ...

وهذا النوع من العمل من باب وضع **الحكمة في** غير موضعها، فسامع الكلام الذي لا يصل إليه فهمه إما أن يفهمه على غير وجهه وهو الغالب، وهذه فتنة تؤدي إلى التكذيب بالحق والشك في الشرع والعمل بالباطل، وإما لا يفهم منه شيئا وهو أسلم من سابقه، ولكن المحدث لم يعط الحكمة حقها من الصون بل صار في التحديث بها كالعابث بنعمة الله ومن منح الجهال علما أضاعه..

ومثال ذلك أن يطرح على العوام بعض أحاديث الصفات-كحديث الصورة- التي لا تصل إليها أفها مهم، أو بعض شبهات المبتدعة والكافرين، أو بعض النصوص التي قد تبدو للجاهل وبادي الرأي متعارضة، أو بعض مسائل الاختلاف، أو الحديث عن مسائل القضاء والقدر وأطفال المشركين، ووالدي الرسول، ونحو ذلك من المسائل التي قد تكون فتنة للجاهل والعامي.

ولأجل هذا جاء انهي عن كثير من السلف عن الأغلوطات والمسائل المشكلة، وقد ترجم لهذا المعنى البخاري في صحيحه فقال: (باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا) .

ثم ذكر حديثا موقوفا على علي-رضي الله عنه- أنه قال: (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله) .

وفي مسلم عن عبد الله بن مسعود رض الله عنه قال: (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) .

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام؟ محمد بن سعيد القحطاني ص/٣١٦

قال الذهبي في سير النبلاء: (كذا ينبغي للمحدث أن لا يشهر الأحاديث التي يتشبث بظاهرها أعداء السنن من الجهمية ... وأهل الأهواء والأحاديث." (١)

"" وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " فيه إثبات هذه الصفة لله تعالى ١، والقاعدة: أن كل ما يضاف إلى الله عز وجل من الصفات فهو على الوجه الذي يليق بكماله وجلاله وعظمته سبحانه وتعالى.

" وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"لما خلق الله الخلق كتب في كتاب، فكتبه على نفسه، فهو موضوع عنده على العرش: إن رحمتي تغلب غضبي""

هذا فيه تفسير للآية السابقة، وهي قوله جل وعلا: {كتب على نفسه الرحمة} ٢، ولهذا يورده المفسرون بالمأثور عند هذه الآية.

ولكتابته تبارك وتعالى لهذا الكتاب حكم، قد يظهر لنا منها شيء وقد لا يظهر، ومما ذكره أهل العلم من الحكم في ذلك: تعظيم هذا الأمر ومزيد العناية به؛ ففي إعلام العباد بهذا الكتاب من الآثار المباركة الشيء الكثير، فإذا علم العبد أن الرب العظيم كتب ـ عندما قدر إيجاد الخلائق ـ كتابا، كتب فيه: إن رحمتي غلبت غضبي ووضعه عنده فوق العرش، فلا شك أنه سيعظم رجاؤه في الله، ويعظم أمله في نيل رحمة الله، ويقبل في طلبها.

ونحن نؤمن بهذا الكتاب كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم سواء علمنا **الحكمة من** هذه الكتابة أو لم نعلمها.

وفي الحديث فوائد أخرى، منها: إثبات علو الله عز وجل على عرشه.

وفيه: إثبات العرش.

وفيه: إثبات هذا الكتاب، وأنه موضوع عنده تعالى فوق العرش.

" إن رحمتي تغلب غضبي " أي أن الرحمة أشمل وأوسع من الغضب،

---

١ انظر: فتاوى اللجنة الدائمة " ٣/١٩٦ "

٢ الآية ١٢ من سورة الأنعام.." (٢)

---

(١) حقيقة البدعة وأحكامها؟ سعيد بن ناصر الغامدي ٢/٣٣

(٢) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي؟ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/١٦٩

"لها أصل في الشرع"١"، ولأنه من أعظم أسباب الوقوع في الشرك الأكبر"٢"، ولما روى أبو واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين، ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم وأمتعتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال صلى الله عليه وسلم:" الله

بمكة وغيرها، فإذا كان الموضع الذي كان يطؤه بقدميه الكريمتين ويصلي عليه لم يشرع لأمته التمسح به ولا تقبيله، فكيف بما يقال: إن غيره صلى فيه أو نام عليه".

"١" هذا فيما يتعبد به لله تعالى، أما فيما يتعلق بالاستشفاء بها مع أنه لم يثبت بالتجربة أو غيرها أن فيها شفاء، ونحو ذلك فهو محرم أيضا من جهة اتخاذ ما ليس بسبب سببا، فهو من الشرك الأصغر.

"٢" قال الحافظ ابن حجر في الفتح في الجهاد، باب البيعة ١١٨/٦ في شرح قول ابن عمر: "كانت رحمة من الله"يريد خفاء موضع شجرة بيعة الحديبية على الصحابة:"سيأتي في المغازي موافقة المسيب بن حزن – والد سعيد – لابن عمر على خفاء الشجرة، وبيان الحكمة في ذلك: هو ألا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير، فلو بقيت لما أمن تعظيم بعض الجهال لها، حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها قوة نفع أو ضر، كما نراه الآن مشاهدا فيما هو دونها، وإلى ذلك أشار ابن عمر بقوله: كانت رحمة..". وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٣٦/٢٧، ١٣٧:"وأما الأشجار والأحجار والعيون ونحوها مما ينذر لها بعض العامة، أو يعلقون بها خرقا، أو غير ذلك، أو يأخذون ورقها يتبركون به، أو يصلون عندها، أو نحو ذلك: فهذا كله من البدع المنكرة، وهو من عمل أهل الجاهلية، ومن أسباب الشرك بالله تعالى".." (١)

"التي تقتضي شمول حكمته وإتقانه وإحسانه خلق كل شيء وسعة رحمته وعظمتها وأنها سبقت غضبه كل هذا حق» (١).

فالله عز وجل هو مالك الملك الذي {لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين} [سبأ:٣]، وإذا نظر العبد في تدبير الله تعالى لهذا الكون كاد عقله يطيش من هذه القدرة الباهرة، والقوة القاهرة، والرحمة الظاهرة، والإتقان والإحسان والحكمة في كل شيء.

---

(١) تسهيل العقيدة الإسلامية؟ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص/٣٠٤

* * *

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٠٠).." [(١)]

"٤٥ - توبة وإقبال

رب قد أقبلت في ظل رحابك

خاشع الطرف لدى نور شهابك

خاضع النفس ذليلا صاغرا

وفؤادي ساجد يجثو ببابك

كم بكى يا رب في سجدته

إذ يهاب الهول في يوم حسابك

يرقب الغفران في يوم الظما

وهو يرجو الورد من فيض شرابك

كلما وسوس شيطان الهوى

قلت يا شيطان سحقا لسرابك

أو دعاني خاطر يعصف بي

قلت يا شاعر رفقا بشبابك

كيف تشري ضلة بعد هدى

وتمني النفس ظلما بخرابك

أنت ما زلت فتى لا ترعوي

ضلت **الحكمة في** غض إهابك." [(٢)]

---

(١) تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد»؟ أحمد بن عثمان المزيد ص/٣٩

(٢) تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد»؟ أحمد بن عثمان المزيد ص/٢٢٦

"قربت. اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك». «اللهم إني أسألك النعيم المقيم، الذي لا يحول ولا يزول. اللهم إني أسألك العون يوم العيلة، والأمن يوم الخوف. اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا. اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين. اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك. اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق» (١).

قال ابن حجر رحمه الله: «قال العلماء: وكان في قصة أحد وما أصيب به المسلمون فيها من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة، منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية، وشؤم ارتكاب النهي؛ لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – أا يبرحوا منه.

ومنها أن عادة الرسل أن تبتلي وتكون لها العاقبة، **والحكمة في** ذلك أنهم لو انتصروا دائما دخل في المؤمنين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب، وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين، فلما جرت هذه القصة، وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحا، وعرف المسلمون أن لهم عدوا في دورهم، فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم. ومنها أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضما للنفس. وكسرا لشماختها، فلما ابتلي المؤمنون صبروا، وجزع المنافقون.

ومنها أن الله هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم ١٥٥٣١، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات وأخرجه الحاكم ١/ ٥٠٦ – ٥٠٧، وقال: صحيح على شرطهما وتعقبه الذهبي بقوله: الشيخان لم يخرجا لعبيد وهو ثقة (٤/ ٤٢٤)..." (١)

"المبحث الثاني: براهين التوحيد

المطلب الأول: دلالة الصفات على توحيد الألوهية

...

---

(١) ثقة المسلم بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنة؟ محمد بن إبراهيم الرومي ص/١٢٦

المبحث الثاني: براهين التوحيد

توحيد الألوهية هو غاية دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، **والحكمة من** خلق الخلق، ولقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب إفراد الله بالعبادة، وأنه وحده المستحق أن يعبد ويعظم.

والأدلة على ألوهية الله سبحانه وتعالى واستحقاقه للهبادة هي أيضا دلائل على ربوبيته، وأسمائه وصفاته؛ لأن توحيد الألوهية –كما مر– متضمن لتوحيد الربوبية، فمن أتى به فقد جاء بالتوحيد المطلوب المنجي من دخول النار، المقتضي دخول الجنة.

وقد اهتم الشيخ الأمين –رحمه الله– بهذه البراهين، فأورد في تفسيره نصوصا كثيرة من القرآن الكريم، وذكر أنها تدل على وحدانية الله واستحقاقه للعبادة دون سواه، وهذه النصوص منها ما هو في صفاته سبحانه وتعالى الدالة على ألوهيته وعظمته.

ومنها ما هو في آياته المنزلة والمخلوقة. وقد ذكرها في مواضع بالإجمال، وفي أخرى بالتفصيل، وسوف أوردها مجملة، ثم أفصل كل دليل على حدة مسترشدا بكلام الشيخ رحمه الله على فهم هذه البراهين.." (١)

"جل وعلا، أن ينظر فيه لينبه بذلك على وجوب المبادرة في امتثال أمر الله جل وعلا في قوله: {أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم} ١ ٢. ويوضح لنا –رحمه الله– في مكان آخر **الحكمة من** النظر في هذه الآيات الكونية التي أمر الله سبحانه وتعالى بالنظر إليها، وأن مراد الله من النظر في تلك الآيات هو الاستدلال على أنه سبحانه المستحق للعبادة، وأن له الكبرياء والعظمة، وأن ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حق:

يقول –رحمه الله– مبينا هذا الجانب عند تفسير قوله تعالى: {هو الذي يريكم آياته} ٣: "ذكر جل علا في هذه الآية الكريمة أنه جل وعلا هو الذي يري خلقه آياته؛ أي الكونية القدرية، ليجعلها علامات لهم على ربوبيته واستحقاقه العبادة وحده

فبين أنه يريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم، وأن مراده بذلك البيان أن يتبين لهم أن ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق؛ كما قال تعالى: {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق} ٤. والآفاق: جمع أفق؛ وهو الناحية. والله جل وعلا قد بين من غرائب صنعه، وعجائب مخلوقاته في نواحي

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف؟ عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ١١٨/١

سماواته وأرضه مايتبين به لكل عاقل أنه هو الرب المعبود وحده" ٥.

وبذلك يبين الشيخ –رحمه الله– أن النظر وسيلة إلى عبادة الله، وليس غاية يقف عنده المتأمل وقفة حيرة وغفلة، وإنما نظرة تفكر واتعاظ تأخذ بصاحبها

---

١ سورة الأعراف، الآية [١٨٥] .

٢ أضواء البيان ٤٣٩/٢.

٣ سورة غافر، الآية [١٣] .

٤ سورة فصلت، الآية [٥٣] .

٥ أضواء البيان ٧٤/٧-٧٥.." (١)

"إشكال، وتوضيح

في آخر هذا المبحث أورد إشكالا طرحه الشيخ الأمين –رحمه الله– بطريقة سؤال وجواب، ولأهميته أسوقه كما أورده:

قال –رحمه الله– عند تفسير قول الله تعالى: {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين} ١:

"وهنا يرد إشكال يسأل عنه طالب العلم؛ وهو: ما المانع من جعل الناس أمة واحدة؛ إما مهتدين على دين واحد، وإما كفارا كلهم؟ وما الحكمة في جعلهم مختلفين؟. والجواب: أن رب السموات والأرض غني غنى مطلقا بذاته، خلق الخلق لتظهر فيهم أسرار أسمائه وصفاته، وعلامات ملكه وسلطنته وقهره. ومن صفاته تعالى ما يدل على الرحمة والرأفة والشفقة، ومنها ما يدل على العزة والقهر والجبروت والغلبة؛ فلو جعل الناس كلهم مهتدين لما ظهر للخلق كمال الإنصاف والعدل، ولما ظهر للناس شدة قهره وجبروته. ولو جعلهم كلهم كفارا لما ظهر للناس آثار رحمته ورأفته وعطفه وجوده وإحسانه. ولهذا هدى الله تعالى قوما وطبعهم على الطيب من الأعمال، وصرف نياتهم إلى ما سبق به الأزل لهم من الخير؛ لتظهر فيهم آثار أسمائه الدالة على الرحمة وغيرها من صفات الإحسان والجود والكرم. وخلق آخرين وطبعهم على الخبث، وصرف نياتهم إلى ما كتب لهم في الأزل وفي سابق علمه من الشقاء؛ لتظهر فيهم آثار قدرته، وشدة بطشه،

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف؟ عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ١٣٢/١

وكمال عدله وإنصافه"٢.

ولابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- كلام قريب من هذا الكلام بين فيه الإمام ابن أبي العز -رحمه الله- بعض الحكم من خلق الخير والشر

١ سورة هود، الآية [١١٨] .

٢ معارج الصعود ص٢٩٤-٢٩٥.." (١)

"الأمور التي لا يكون التصديق بها مخالفا للقياس العقلي، أو التي يساعد العقل على التصديق بها، فإن الضمير يزداد طمأنينة في شأنها، وذلك مما يقوي الإيمان ويزيده أصالة ورسوخا١.

ولذلك فإن الطريق لمعرفة عالم الغيب والتصديق به إنما يكون عن طريق الخبر الصادق الذي يأتينا عن طريق الوحي، كما يكون عن طريق الآثار التي تدل عليه، والفطرة السليمة تتلقى معرفة ذلك بالتسليم والتصديق٢.

وهذه الخاصية للعقيدة الإسلامية تميزها عن المذاهب الفكرية المادية التي تتنكر للغيب ولا تؤمن إلا بما تقع عليه الحواس، ويخضع للتجربة الحسية، على ما ذهب إليه المذهب الوضعي التجريبي الذي عرف به الفيلسوف الأسكتلندي "هيوم" والذي نشأت عنه الفلسفة الوضعية٣. كما أن "ماكس مولر" أيضا يذهب إلى أنه لا شيء يتحقق في عقيدة الإنسان ما لم يكن قد أتى من قبل عن طريق حواسه٤.

وبذلك يكون الإنسان الأوروبي، "وكل مذهب مادي كذلك" قد سجن نفسه بطريقة تحكمية في حدود حواسه اءلخمس، منذ عهد النهضة الأوروبية٥.

كما أن هذه الخاصية للعقيدة الإسلامية لها آثارها الضخمة في حياة الإنسان، فالإيمان بالغيب ارتقاء بالإنسان إلى المستوى الذي يليق بإنسانيته ويميزه عن المخلوقات التي لا تدرك إلا ما تدركه بحواسها. وهو -كذلك- سبيل للتقدم العلمي وسعة الأفق في النظر والفكر، وفيه ضمانة أكيدة لاستقامة نفس المؤمن ونظافة سلوكه، عندما يشعر برقابة الله تعالى عليه، وأنه -سبحانه- يعلم السر وأخفى، فهو يعبد الله كأنه يراه، فيرتقي إلى مرتبة "الإحسان".

ومن هنا كانت الأحكام الدينية ضابطا لسلوك الإنسان المؤمن، وطريقا لتنمية الوازع الداخلي "الوجدان"

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف؟ عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ٥٦٣/٢

وهذا ما تفتقده المذاهب والقوانين البشرية التي لا تستطيع أن تضبط سوى الأمور الظاهرية. ولعل في هذا إشارة إلى **الحكمة من** ربط الأحكام التشريعية بتقوى الله تعالى، وبالخوف من عقابه.

---

١ "الحضارة الإسلامية: أسسها ومبادئها" للمودودي ص١١٦، ١١٧.

٢ "عالم الغيب والشهادة" ص٣٧.

٣ انظر عن هذا المذهب ومناقشته: "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي" للدكتور محمد البهي ص٢٣٣-٢٣٧، "الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان" د. محمد عبد الله دراز ص٨٤-٨٦، "العلمانية: نشأتها وتطورها" د. سفر الحوالي ص٣٧٧-٣٨٠.

٤ "نشأة الدين" ص٧٠، ٧١.

٥ "تأملات في سلوك الإنسان" تأليف ألكسيس كاريل، ترجمة د. محمد القصاص ص١٦٢.." (١)

"- عندهم - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلغ جزءا من الشريعة وكتم الباقي وأودعه الإمام عليا فأظهر علي منه جزءا في حياته وعند موته أودعه الحسن وهكذا كل إمام يظهر منه جزءا - حسب الحاجة - ثم يعهد بالباقي لمن يليه إلى أن صار عند إمامهم المنتظر.

يقول عالمهم محمد حسين آل كاشف الغطا:

(إن حكمة التدريج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة، ولكنه سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه كل وصي يعهد بها إلى الآخر لينشرها في الوقت المناسب لها حسب **الحكمة من** عام مخصص، أو مطلق، أو مقيد، أو مجمل مبين إلى أمثال ذلك، فقد يذكر النبي عاما ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته، وقد لا يذكره أصلا بل يودعه عند وصيه إلى وقته) (١) .

وقال شيخهم - المعاصر - بحر العلوم: (لما كان الكتاب العزيز متكفلا بالقواعد العامة دون الدخول في تفصيلاتها، احتاجوا إلى سنة النبي.. والسنة لم يكمل بها التشريع رأن كثيرا من الحوادث المستجدة لم تكن على عهده (احتاج أن يدخر علمها عند أوصيائه ليؤدوها عنه في أوقاتها) (٢) .

وشواهد هذا "المعتقد" من كتبهم المعتمدة - عندهم - كثيرة، وقد عقد الكليني في «الكافي» عدة أبواب ضمنها مجموعة من أحاديثهم لتأكيد هذه النظرية وشرحها - عندهم - فمن هذه الأبواب:

---

(١) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية؟ عثمان جمعة ضميرية ص/٣٨٧

(باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله (

---

(١) «أصل الشيعة وأصولها» : ص ٧٧.

(٢) «مصابيح الأصول» : ص ٤.." (١)

"بـ (المنع من المنافاة بين الحكمين - أي الحكم بالإسلام والحكم بالكفر - لأنا نحكم بأن من لم يتحقق له التصديق المذكور - وهو التصديق بإمامة الأئمة - كافر في نفس الأمر والحكم بإسلامه ظاهرا صحة ترتب كثير من الأحكام الشرعية على ذلك) . ثم قال: (أن الشارع جعل الإقرار بالشهادتين علامة على صحة إجراء أكثر الأحكام الشرعية على المقر، كحل مناكحته والحكم بطهارته وحقن دمه وماله وغير ذلك من الأحكام المذكورة في كتب الفروع، وكأن **الحكمة في** ذلك هو التخفيف عن المؤمنين "الشيعة" لمسيس الحاجة إلى مخالطتهم في أكثر الأزمنة والأمكنة) (١) . ثم قال: (أن القائلين بإسلام أهل الخلاف - يعني بأهل الخلاف أهل السنة - يريدون ما ذكرناه من الحكم بصحة جريان أكثر أحكام المسلمين عليهم في الظاهر لا أنهم مسلمون في نفس الأمر ولذا نقلوا الإجماع على دخولهم النار، ثم ذكر أيضا بأن القائلين بكفرهم إن أرادوا بذلك كونهم كافرين ظاهرا وباطنا فهو ممنوع ولا دليل عليه، بل الدليل قائم على إسلامهم ظاهرا) (٢) .

ويقول "المجلسي": (ويظهر من بعض الأخبار - بل كثير منها - أنهم في الدنيا أيضا في حكم الكفار، لكن لما علم الله أن أئمة الجور وأتباعهم يستولون على الشيعة وهم يبتلون بمعاشرتهم ولا يمكنهم الاجتناب عنهم وترك معاشرتهم ومخالطتهم ومناكحتهم؛ أجرى الله عليهم حكم الإسلام توسعة، فإذا ظهر القائم "ع" يجري عليهم حكم سائر الكفار في جميع الأمور، وفي الآخرة يدخلون النار ماكثين فيها أبدا مع الكفار، وبه

---

(١) «البحار» : المجلسي: (٨/٣٦٧- ٣٦٨) .

(٢) «البحار» : المجلسي: (٨/٣٦٧- ٣٦٨) .." (٢)

---

(١) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة؟ ناصر القفاري ١/٢٥٦

(٢) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة؟ ناصر القفاري ٢/٩١

"وبذلك نرى توافق المعنى اللغوي والاصطلاحي للغرض، وأنه غاية الفاعل من فعله، وهو الباعث له على فعله١.

جـ ماذا يريد أهل الكلام بهذه اللفظة؟ يريدون إبطال **الحكمة في** أفعال الله ـعز وجلـ وشرعه.

د ـ حجتهم في ذلك: يقول المتكلمون ـوعلى وجه الخصوص الأشاعرةـ: إننا ننزه الله عن الأغراض، فلا يكون له غرض فيما شرعه أو خلقه؛ فأبطلوا **الحكمة من** ذلك، وقرروا أن الله لم يشرع إلا لمجرد مشيئته فحسب؛ فإذا شاء تحريم شيء حرمه، أو شاء إيجابه أوجبه.

وقالوا: لو قررنا أن له حكمة فيما شرعه لوقعنا في محذورين:

الأول: أنه إذا كان لله غرض فإنه محتاج إلى ذلك الغرض؛ ليعود عليه من ذلك منفعة، والله منزه عن ذلك.

والثاني: أننا إذا عللنا الأحكام أي أثبتنا الحكمة والعلة لزم أن نوجب على الله ما تقتضيه الحكمة؛ لأن الحكم يدور مع علته؛ فنقع فيما وقع فيه المعتزلة من إيجاب الصلاح والأصلح على الله؛ لأن الغرض عند المعتزلة بمعنى الغاية التي فعل لها، وهم يوجبون أن يكون فعله معللا بالأغراض.

هـ ـ الرد عليهم:

١ـ أن هذا اللفظ ـالأغراض أو الغرضـ بدعي لم يرد في حق الله لا في الكتاب ولا في السنة، ولا أطلقه أحد من أئمة الإسلام وأتباعهم؛ لأن هذه

١ـ انظر الحكمة والتعليل في أفعال الله ص٢٦ـ٤٧.." (١)

"فكيف أن عجز آية يضم إلى صدرها ولا صلة بينهما؟ ثم كيف يكون الصدر متصلا بما قبله وما بعده، والعجز يبعد عن هذا كل البعد؟ وما **الحكمة في** وضعه هنا إذن؟ والأشد غرابة ونكرا أن يوجد احتمال وضعه بدون أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال الطبرسي: " متى قيل إن صدر الآية وما بعدها في الأزواج، فالقول فيه أن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم، فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه، والقرآن من ذلك مملوء، وكذلك كلام العرب وأشعارهم " (١) .

وهذا القول وإن كان ينقصه الدليل، وبيان الحكمة المقتضية لمثل هذا، وبالذات إذا كان الخروج إلى ما

---

(١) مصطلحات في كتب العقائد؟ محمد بن إبراهيم الحمد ص/٦٨

ليس له علاقة بالموضوع، هذا القول لا ينزل إلى مستوى القول السابق.
ونخرج من هذا بأن آية التطهير في نساء النبي وغيرهم من أهل البيت كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن إذا كان لأحد أن يتكلم في شمولها لأمهات المؤمنين فليس هناك دليل علی الإطلاق يخرج باقي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأي دليل يمنع شمولها لباقى بنات النبي؟ ومفارقتهن للحياة قبل نزول الآية لا يعنى عدم إرادة تطهيرهن في حياتهن، وما الذي يمنع دخول باقي ذرية الإمام على؟ وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس؟

وعلى القول بأنها منحصرة في الخمسة كيف تتعداهم إلى غيرهم من باقي الأئمة الاثنى عشر؟ ولماذا لم تشمل أئمة الزيدية مثلا أو الإسماعيلية أو باقي فرق الشيعة التي جاوزت السبعين؟

---

(١) مجمع البيان ١٣٩/٢ ط مكتبة الحياة.." (١)

"فكيف إذن اعتبر مبدأ خاصا بالشيعة؟ ينافحون عنه، ويبالغون في قيمته حتى أنهم قالوا: " ما عبد الله بشئ مثل البداء "، " ما عظم الله بمثل البداء " (١) .
إن توضيحهم لكيفية البداء تكشف عن هذا، فهم يقولون: إن الله جلت قدرته قد يخبر ملائكته، أو رسله المقربين بحادثة ما، ويخفى عنهم أشياء إذا تحققت تغيرت النتيجة، وقد يكون في علمه سبحانه أنها ستتحقق وسيتبع ذلك تغير الحال: مثال هذا: أن يخبرهم بأن فلانا سيموت في الثلاثين من عمره، ويخفى عنهم أن ذلك مقترن بعدم تصدقه، وأنه سيتصدق وسينسأ له في أجله، فعندما يظهر ذلك الذي أخفى يقال: بدا لله فيه أن يمد في أجله، فيكون البداء في التكوين كالنسخ في التشريع (٢) .
وإذا كنا نعلم الحكمة من النسخ في التشريع، فما الحكمة من هذا البداء؟ وكيف يخبر الله سبحانه وأنبياءه وملائكته بمعلومات ناقصة؟ وعندما يخبرون الناس بهذه المعلومات فما الفرق بينهم وبين المنجمين الكاذبين الضالين ... المضلين؟ (٣) .

إن الدافع الحقيقى لهذا المبدأ هو أنهم غالوا في أئمتهم، وأحلوهم منزلة فوق البشر كما رأينا من ذى قبل،

---

(١) مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع؟ علي السالوس ص/٨١

ونسبوا لهم العصمة وعلم الغيب، فكان لابد من مخرج إذا حدثوا بمغيب فكذبهم الواقع، وكان هذا المخرج هو القول بالبداء!

---

(١) راجع باب البداء من كتاب الكافى.

(٢) انظر: الدين والإسلام ص ١٧٢ وما بعدها، وانظر كذلك: جوامع الكلم ص ١٤٥ من الرسالة القطيفية، والدعوة الإسلامية ص ٣٥ وما بعدها.

(٣) لهذا وقع الخلاف بين الإمامية في الإخبار: أيجوز أم لا؟ (انظر الدعوة الإسلامية ... ص ٣٧-٣٨) .." (١)

"ومن هنا تكون التقية. وهذا الرأى وإن كان غير مقبول أصلا، إلا أنه يتمشى مع عقيدة الجعفرية.

أما التدرج في بيان الأحكام الذي يعتقده الجعفرية فيوضحه عالمهم المشهور محمد الحسين آل كاشف الغطاء بقوله: " يعتقد الإمامية أن لله بحسب الشريعة الإسلامية من كل واقعة حكما حتى أرش الخدش، وما من عمل من أعمال المكلفين من حركة أو سكون إلا ولله فيه حكم من الأحكام الخمسة: الوجوب، والحرمة، والندب، والكراهة، والإباحة. وما من معاملة على مال، أو عقد نكاح، ونحوها إلا وللشرع فيه حكم صحة أو فساد. وقد أودع الله سبحانه جميع تلك الأحكام عند نبيه خاتم الأنبياء، وعرفها النبي بالوحى من الله أو الإلهام، ثم إنه ـ سلام الله عليه ـ حسب وقوع الحوادث أو حدوث الوقائع أو حصول الابتلاء، وتجدد الآثار والأطوار، بين كثيرا منها للناس، وبالأخص لأصحابه الحافين به، الطائفين كل يوم بعرش حضوره، ليكونوا هم المبلغين لسائر المسلمين في الآفاق {لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} (١) وبقيت أحكام كثيرة لم تحصل الدواعى والبواعث لبيانها، إما لعدم الابتلاء بها في عصر النبوة، أو لعدم اقتضاء المصلحة لنشرها.. والحاصل أن حكمة التدرج اقتضت بيان جملة من الأحكام، وكتمان جملة، ولكنه ـ سلام الله عليه ـ أودعها عند أوصيائه، كل وصى يعهد به إلى الآخر لينشره في الوقت المناسب له حسب **الحكمة من** عام مخصص، أو مطلق مقيد، أو مجمل مبين، إلى أمثال ذلك، فقد يذكر النبي عاما ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته، وقد لا يذكره أصلا، بل يودعه عند وصيه إلى وقته " (٢).

---

(١) مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع؟ علي السالوس ص/٣٠٦

(١) ١٤٣: سورة البقرة.

(٢) أصل الشيعة وأصولها ص ١٤٥ ـ ١٤٦.." [(١)]

"من ذكره: ذكره ابن الوزير.

٨٢- "ملك الناس"

دليله: قوله تعالى: {ملك الناس} (الناس:٢) .

من ذكره: ذكره الشرباصى.

٨٣- "ماحي الباطل"

دليله: قوله تعالى: {ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته} (الشورى: من الآية٢٤) .

من ذكره: ذكره الشرباصي.

٨٤- " ما رج البحرين "

دليله: قوله تعالى: {مرج البحرين يلتقيان} (الرحمن:١٩)

من ذكره: ذكره الشرباصي.

٨٥- "مؤتي الحكمة"

دليله: قوله تعالى: {يؤتي **الحكمة من** يشاء} (البقرة: من الآية٢٦٩) .

من ذكره: ذكره الشرباصي.

٨٦- "مبطل الباطل"

دليله: قوله تعالى: {ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون} (لأنفال:٨) .

من ذكره: ذكره الشرباصي.

٨٧- "متوفي الأنفس"

دليله: قوله تعالى: {الله يتوفى الأنفس حين موتها} (الزمر: من الآية٤٢) .." [(٢)]

---

(١) مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع؟ علي السالوس ص/٤٥٨

(٢) معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى؟ محمد بن خليفة التميمي ص/٢٠٥

"مثال آخر: "الرحمن": اسم من أسماء الله تعالى متضمن للرحمة الكاملة التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها" يعني أم صبي وجدته في السبي فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته.

ومتضمن أيضا للرحمة الواسعة التي قال الله عنها: {ورحمتي وسعت كل شيء} ١، وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: {ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما} ٢.

وكما يكون الحسن في أسماء الله باعتبار كل اسم على انفراده فكذلك يكون باعتبار جمعه إلى غيره فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال.

مثال ذلك: "العزيز الحكيم" فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيرا، فيكون كل منهما دالا على الكمال الخاص الذي يقتضيه وهو: العزة في العزيز؛ والحكم **والحكمة في** الحكيم.

والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلما وجورا وسوء فعل كما قد يكون من أعزاء المخلوقين. فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف.

وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته، فإنهما يعتريهما الذل٣.

قال ابن القيم رحمه الله: "وهناك صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو: الغني الحميد، العفو

---

١ الآية ١٥٦ من سورة الأعراف

٢ الآية ٧ من سورة غافر.

٣ القواعد المثلى ص ٧- ٨.." (١)

"الإطلاق، إذ الاشتغال بفهمها والبحث التام عنها هو اشتغال بأعلى المطالب، وحصوله للعبد هو من أشرف المواهب.

٢- أن معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته، وخشيته، وخوفه، ورجائه، وإخلاص العمل له، وهذا هو عين

---

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى؟ محمد بن خليفة التميمي ص/٣١٦

سعادة العبد. ولا يمكن معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته وفهم معانيها؛ وقد اشتمل القرآن الكريم من تفصيلها، وبيان تعرف الله بها إلى عباده، وتعريفهم لنفسه كي يعرفوه ما لم يشتمل عليه غيره من بيان.

٣- أن معرفة الله تعالى هي أحد أركان الإيمان، بل أفضلها وأصلها، وليس الإيمان مجرد قوله: "آمنت بالله" من غير معرفته بربه، بل إن حقيقة الإيمان أن يعرف الرب الذي يؤمن به، بل ويجب عليه أن يبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته حتى يبلغ درجة اليقين، وبحسب معرفة العبد بربه تكون درجة إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه، وكلما نقصت معرفته نقص إيمانه، وأقرب طريق يوصل إلى معرفة الله تعالى تدبر أسمائه وصفاته من نصوص القرآن والسنة، فإذا مر به اسم من أسماء الله تعالى أثبت له معناه، وما يتضمنه من صفات كمال مطلقة، ومع ذلك ينزهه سبحانه عما يضاد كماله.

٤- أن الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه، فيقول تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} (الذاريات آية ٣٦) ، ولا يمكن أن يعبدوه دون أن يعرفوه، فلا بد من معرفتهم له سبحانه ليحققوا الغاية المطلوبة منهم والحكمة من خلقهم، والاشتغال بمعرفته سبحانه هو اشتغال العبد بما خلق له، وتركه وتضييعه إهمال لما خلق له، وقبيح بعبد لم تزل نعم الله عليه متواترة، وفضله عليه عظيم متوال من كل وجه، أن يكون جاهلا بربه، معرضا عن معرفته.

٥- أن معرفة الله تعالى هي أصل الأشياء كلها، حتى أن العارف به سبحانه حق المعرفة يستدل بما عرف من صفاته، وأفعاله على ما يفعله، وعلى ما يشرعه من الأحكام، لأنه سبحانه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته، فأفعاله دائرة بين العدل والفضل والحكمة، وكذلك لا يشرع ما يشرعه من أحكام إلا حسب ما يقتضيه حمده وحكمته، وفضله وعدله. فأخباره كلها حق وصدق، وأوامره ونواهيه كلها عدل وحكمة[١].

مما سلف يتبين أن معرفة الله تعالى لها من الأهمية العظمى للعبد ما لا يتصور استغناؤه عنه، لأنها الركيزة التي يقوم عليها حكمة إيجاده وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له.

لهذا بدأت في محاولة لتنبيه من غفل من المسلمين إلى أهمية العقيدة الإسلامية- أساس هذا الدين- ليجعلوا منطلق أعمالهم منها، حتى تصح لهم بالبناء عليها جميع الأعمال، وعلى الله بعد ذلك في قبولها تنعقد الآمال.

ولقد تبلور في فهمي ما أردت بيانه في بابين:

١ تيسير الكريم الرحمن الجزء الأول ص ١١،١٠ بتصرف." (١)

"رحلي، فرجع فنام، فاستيقظ. فإذا راحلته عند رأسه فقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح" (رواه البخاري) .

ويقول: "يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة" (متفق عليه) . في الآيات والأحاديث التي أوردتها، نجد أفعالا لربنا سبحانه وتعالى وهي: على حسب ترتيب الأحاديث كما يلي: أفعال: الخداع، المكر، الكيد، الاستهزاء، الإصمام، والإعماء، اللعن، الغضب، الإصلاء، الاستخلاف، الإغراق، السخرية، السخط، النسيان، التدمير، النزول، الفرح، الضحك. فهل يمكن أن نشتق من هذه الأفعال- وأمثالها- أسماء لله تعالى فنسميه جل وعلا بالأسماء الآتية؟: الخادع أو المخادع، الماكر، الكايد، المستهزئ، المصم، المعمي، اللاعن، الغاضب، المصلي، المستخلف، المغرق، الساخر، الساخط، الناسي، المدمر، النازل الفرح، الضاحك؟ لا ينبغي أن نسمي الله بهذه الأسماء، ونقرنها بالأسماء الحسنى كالرحمن، والرحيم، والغفور، والودود، واللطيف، والعلي، والكبير، والسميع، والبصير، ونحو ذلك مما سمى الله تعالى به نفسه من أسمى وأجل وأعظم الأسماء.

والسبب في أنه لا ينبغي ولا يشرع لنا أن نسمي الله سبحانه بمثل تلك الأسماء كالخادع وما ماثل ذلك أمران:

الأمر الأول: أنه لم يرد بها النص في الكتاب أو السنة.

الأمر الثاني: أن من هذه الأسماء (كالخادع أو المخادع، والماكر، والكايد، والمستهزئ، والغاضب، والناسي، والمدمر وما ماثلها) ليست ممدوحة على إطلاقها، بل تمدح في مواضع، وتذم في مواضع أخرى١، ومن ثم لا يجوز أن تطلق أفعالها على الله مطلقا، فلا ينبغي أن يقال بإطلاق: إن الله تعالى يخادع أو يستهزئ، أو يغضب؛ أو ينسى، أو يدبر، كما لا ينبغي أن يشتق منها أسماء يسمى بها سبحانه، وذلك لأن الله جل وعلا لم يصف نفسه بالخداع، والمكر، والكيد، والاستهزاء، والغضب، النسيان، والتدمير، وما ماثل ذلك، إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، أو استحق أن يجازى به بحق على فعله- والجزاء إنما يكون من جنس العمل، فمن خدع يستحق أن يخدع، ومن مكر يستحق أن يمكر به، ومن نسي الله

(١) مفهوم الأسماء والصفات؟ سعد بن عبد الرحمن ندا ٤٥/٧٨

يستحق أن ينساه الله، ومن فسق استحق أن يدمر، وهكذا لا يجازى الله جل وعلا إلا من يستحق المجازاة بالحق والعدل.

إن المخادع حين يخادع بباطل وظلم، أو الماكر حين يمكر بباطل وظلم، أو الكايد حين يكيد بباطل وظلم، أو المستهزئ حين يستهزئ بباطل وظلم، والناسي حين ينسى بباطل وظلم، والفاسق حين يرتكب فسقه بباطل وظلم، يكون أكمل **الحكمة من** الله تعالى حين يخادعه، أو يمكر به، أو يكيده، أو يستهزئ به، أو ينساه، أو يدمره بالحق والعدل. ومن ثم فلا يشرع أن يوصف الله تعالى بتلك الأفعال المذكورة ولا أن يسمى بأسماء تشتق منها على وجه الإطلاق، لأن الله

---

١ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة للإمام ابن القيم الجزء الثاني ص ٣٢ وما بعدها." [١]

"وقد ورد ذكر اسم (الله) في القران الكريم في مواضع متفرقة ثمانين وتسعمائة مرة ١.

وهذا التكرار العديد لهذا الاسم يدل على مدى عظمته وأهميته.

واختلف في: هل هو مشتق؟ أو غير مشتق؟ (أي جامد) ؟ : فقال البعض: إنه جامد لم يشتق من غيره، ذلك لأن اسمه تعالى أزلي، والأزلي في سبقه لم يؤخذ من غيره، ومن ثم فهو اسم علم محض كسائر الأعلام المحضة التي لا تتضمن صفات تقوم بمسمياتها.

وقال البعض: إنه مشتق: واختلفوا في اشتقاقه: فقال فريق: إنه مشتق من أله الذي مضارعها: يأله، ومصدرها: الآلهة، وألوهة، وألوهية ومعنى أله: عبد. وهذا الرأي هو الراجح. وقال فريق آخر: إنه مشتق من أله الذي مضارعها: يأله، ومصدرها: ألها. ومعنى أله: تحير. وهذا الرأي مرجوح.

وقال القرطبي في تفسيره الجزء الأول ص ١٠٢: "روى سيبويه عن الخليل أن أصله (ألاه) مثل فعال، فأدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة. قال سيبويه: مثل الناس أصله: أناس. وقيل أصل الكلمة (لاه) وعليه دخلت الألف واللام للتعظيم، وهذا اختيار سيبويه".

وقال الشوكاني في تفسيره الجزء الأول ص ١٨: "أصل اسم (الله) إله: حذفت الهمزة وعوضت عنها أداة التعريف فلزمت".

ومعنى اسم الجلالة (الله) :

---

(١) مفهوم الأسماء والصفات؟ سعد بن عبد الرحمن ندا ٤٥/٨٤

أنه المعبود وحده، الذي لا يستحق العبادة بجميع أنواعها سواه، ولهذا كانت الحكمة في خلقه للثقلين أن يحققوا هذه العبادة مجردة له وحده سبحانه، وهذا ما أشار إليه في قوله جل وعلا: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} (الذاريات آية ٥٦) .

هل يشرع ذكر الله باسم الجلالة (الله) مفردا؟

وأجد من المناسب وأنا أتكلم عن اسم الجلالة، أن أشير إلى ما يلجأ إليه بعض الجاهلين من المسلمين من ذكر الله باسم الجلالة مفردا- ذلك أننا نرى البعض منهم يجعل له وردا يردد فيه اسم الجلالة (الله) مرات عديدة كألف مرة، أو ألفين أو أكثر أو أقل؛ بل وقد تجتمع مجموعة من الناس يرددون اسم الجلالة (الله) رافعين أصواتهم، ويبدءون بقولهم: الله، الله الله، وهم جالسون مغمضي أعينهم، أو هم واقفون يتمايلون ذات اليمين وذات اليسار، ويقفزون بين الحين والآخر إلى أعلى، يتوسطهم قائد، يصفق بيديه، وبجواره أحيانا امرأة تتمايل كذلك تنشدهم أناشيد كفرية ماجنة، تدق على طبل بيدها، يلاصقها خليع يتمايل وهو يؤدى نغمات مزمار هي صفير يتسق مع الطبل والتصفيق، حتى يصير جو هذا الجمع كأنه ماخور حفته الشياطين من كل جانب، يتصاعد منه لهيب الإثم كأنما فتح على أبواب جهنم والعياذ بالله، ثم يدعى أولئك المخبولون أنهم بهذا الراقص الداعر، وهذه الوقاحة المتردية التي لا يليق صدورها من عاقل، وهذه الأصوات المنكرة التي لا تميز منها سوى (أه، أه، أه) - (حع، حع، حع) أو (هو، هو، هو) أنهم يذكرون الله.

---

١ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي.." (١)

"ونصرخ في وجه هذا الكاتب فنقول إنه ليس من الحكمة في شيء أن نفتدي بدينار ما نستطيع أن نفتديه بفلس.

ثم هناك إجابة أخرى عن هذا السؤال نقتبسها من كاتب مسيحي آخر هو الأب بولس اليافي الذي يقول: " مما لا ريب فيه أن المسيح كان باستطاعته أن يفتدي البشر ويصالحهم مع أبيه بكلمة واحدة أو بفعل سجود بسيط يؤديه باسم البشرية لأبيه السماوي لكنه أبى إلا أن يتألم، ليس لأنه مريض بتعشق الألم أو لأن أباه ظالم يطرب لمرأى الدماء، وبخاصة دم ابنه الوحيد، وما كان الله بسفاح ظلوم، لكن الإله الابن شاء مع الله الآب أن يعطي الناس أمثولة خالدة من المحبة تبقى على الدهر وتحركهم على الندامة لما اقترفوه

---

(١) مفهوم الأسماء والصفات؟ سعد بن عبد الرحمن ندا ٤٥/٨٧

من آثام وتحملهم على مبادلة الله المحبة ".

ومرة أخرى نصرخ في وجه هذا المؤلف مؤكدين أنه صور الداء أدق تصوير عندما تكلم عن الدماء والقسوة، لكنه عندما بدأ يجيب ويصف الدواء تعثر وكبا ولم يقل إلا عبارات جوفاء لا تحمل أي معنى.

٨ – ونعود إلى القس بولس ساباط، ونسأله كما سأل: إذا كان الكلمة قد تجسد لمحو الخطيئة الأصلية، فما العمل في الخطايا التي تحدث بعد ذلك؟ يجيب هذا الكاتب بما يلي:

" إذا عاد الناس إلى اجتراح الخطايا، فالذنب ذنبهم لأنهم نسوا النور وعشوا عنه مؤثرين الظلمة بإرادتهم ".

ومعنى هذا أن خطيئة واحدة محيت، وأن ملايين الخطايا سواها بقيت وجدت بعد ذلك. وسيحاسب الناس على ما اقترفوه، وبعض ما اقترفوه أقسى من عصيان آدم. فلقد أنكر بعض الناس وجود الله، وهاجمه آخرون وسخروا من جنته وناره. فلماذا كانت ظاهرة التجسد لخطيئة واحدة، وتركت خطايا أكبر، لا تعد ولا تحصى؟." (١)

"من إيليا. كذلك حدث لواحدة من نساء الأنبياء مع اليشع إذ أخبرته أن الدائنين يطالبونها وليس عندها شيء سوى دهنة زيت فأخذها وأمرها أن تطلب أواني كثيرة من جيرانها. وعلمها أن تسمك الدهنة وتعصر الأواني فكان ينزل الزيت الذي ملأ أواني كثيرة (الملوك الثاني ٤: ١– ٧) واستطاعت بذلك أن تسدد ديونها بمعجزة اليشع هذه.

وبالنسبة لتطهير الأبرص فقد فعلها اليشع (الملوك الثاني ٥: ٨– ١٤) .

وأما إقامة الموتى فقد ذكرنا كلا من إيليا واليشع وحزقيال أنهم أقاموا الموتى قبل المسيح كذلك فإن بطرس أقام ميتا (أعمال الرسل ٩: ٣٦– ٤٢) : " ولم يقل أحد إن بطرس إله. إن **الحكمة من** المعجزة أن الله– سبحانه– يؤيد نبيه لكي يؤمن الناس بأنه نبي الله ورسوله وإنه مبعوث من قبل مالك كل القوى والقدرة ".

وهذا ما حدث مع موسى: " ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين. فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى " (خروج ٣١: ١٤) .

وما حدث مع إيليا: " فقالت المرأة لإيليا هذا الوقت علمت أنك رجل الله وإن كلام الرب في فمك حق " (الملوك الأول ١٧: ٢٤) .

وما حدث مع المسيح نفسه: " فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم نظروا ما فعل يسوع فآمنوا به "

---

(١) مناظرة بين الإسلام والنصرانية؟ مجموعة من المؤلفين ص/١٢٢

(يوحنا ١١: ٤٥) .

مواجهة المسيح للكهنة بعد الحديث عن معجزات المسيح وأنه بشر وأنه نبي الله وأنه رسول الله، أريد أن أتحدث الآن عن مواجهة المسيح للكهنة ولذوي النفوذ في إسرائيل.." (١)

"روح الحق:

إن كل هذه النصوص تأتي من إنجيل يوحنا، ولنتناول الآن النص الأخير من عدد ١٢ إلى عدد ١٤ من (الإصحاح ١٦) فنرى أولا أن التلاميذ ليسوا على. المستوى المطلوب لحمل مسؤولية الدعوة. إنه يقول: " إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن "، وذلك بالإضافة إلى قوله في إنجيل (يوحنا ١٦: ٣٢) : " هو ذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوني وحدي ". من هذا نرى أن النبي الذي يأتي بعد المسيح قد وصفه بأنه روح الحق ومسؤوليته أن يرشدهم – أي سيرشد المسيحيين– إلى جميع الحق.

كذلك نجد المسيح – عليه السلام – يضع أصابعه في عيون المستشرقين الذين كفروا بنبوة محمد فيقول: " لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ". وهذا ما تحقق في الرسول عليه الصلاة والسلام الذي تلقى الوحي عن الروح القدس جبريل – عليه السلام – ,وهذا ما يقوله القرآن الكريم. {وما ينطق عن الهوى} {إن هو إلا وحي يوحى} . (١) .

وأما قوله: " ويخبركم بأمور آتية " فهذا يشير إلى عظمة الإسلام وعلو مصدره. إننا لو تصفحنا الإصحاحين الأول والثاني من سفر التكوين، ثم نرجع إلى القرآن الكريم وهو يحدثنا عن الإعجاز العلمي الذي ما كان يستطيعه ذلك النبي الأمي الذي عاش في بيئة أمية في القرن السابع الميلادي، بل ما كان يستطيعه أساطين العلم **والحكمة من** مختلف الأمم الراقية في ذلك الزمان، لأدركنا شيئا من عظمة القرآن الكريم. لنقرأ ما يقوله القرآن الكريم عن كيفية خلق الإنسان في بطن أمه ومراحله المختلفة التي يمر بها كما تقول سورة المؤمنون {ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين} {ثم جعلناه نطفة

---

(١) مناظرة بين الإسلام والنصرانية؟ مجموعة من المؤلفين ص/١٩٧

(١) سورة النجم، الآيات ٢، ٣.." (١)

"الإيمان وسلامة التفكير وقوة اليقين.

ثم لنأخذ القضية من زاوية أخرى:

إن ظاهرة **الحكمة في** الكون مما تقطع به البديهية الإنسانية، وتؤخذ به العقول السليمة، فكل ما حولنا من الكون شاهد عليها، ناطق بها، ومقتضى هذه الحكمة ولازمها: أن يكون هناك جزاء وحساب بالعدل، وإلا انحرفت ظاهرة **الحكمة في** أعظم وأشرف مظاهر الكون وهو الوجود الإنساني، فكيف نفسر استواء مصير طاغوت مجرم قتل الملايين وخرب الحضارات وانتهك الحرمات، ومصير أي رجل ممن تجمع الأمم على تعظيمهم وحسن سيرتهم وما جلبوه للعالم من خير عظيم كالأنبياء؟.

فهذا يموت وهذا يموت، وربما عاش الطاغية متمتعا بأعظم الملذات، مغمورا بأوسع الجاه، وعاش النبي مضطهدا محاربا ومات مقتولا ...

فكيف تفسر العقول السليمة والفطر المستقيمة استواء مصير كل منهما إلى موت لا بعث بعده ولا نشور، إلا على القول بأن هذا الكون كله عبث لا حكمة فيه، وهو مما تـحـكم باستحالته!!.

ومع وضوح هذه الآيات والعير يقول الأشاعرة: «إن أمر الآخرة مثل وقوف غراب الآن على جبل قاف، أومنارة الإسكندرية» (١)؟!.

والآن لنأت بأمثلة من كلامهم على ما ذكرنا.

---

(١) أي خبر ذهني مجرد قابل للثبوت والانتفاء بذاته، لا دخل فيه لضرورة العقل والفطرة.." (٢)

"وفيه تمهيد ومطلبان:

(تمهيد: في تعريف الكتب.

(المطلب الأول: معنى الإيمان بالكتب وما يتضمنه.

(المطلب الثاني: معنى الإيمان بالقرآن وما يتضمنه.

---

(١) مناظرة بين الإسلام والنصرانية؟ مجموعة من المؤلفين ص/٢٤٠

(٢) منهج الأشاعرة في العقيدة - الكبير؟ سفر الحوالي ص/٥٦

* المبحث الثالث: جهوده في تقرير الإيمان بالرسل.

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

(تمهيد: في تعريف النبي والفرق بينه وبين الرسول **والحكمة من** إرسال الرسل.

(المطلب الأول: الإيمان بالأنبياء والرسل عموما.

(المطلب الثاني: الإيمان بنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -.

(المطلب الثالث: خوارق العادات.

* المبحث الرابع: جهود الشيخ في تقرير الإيمان باليوم الآخر.

وفيه تمهيد ومطلبان:

(تمهيد: في تعريف اليوم الآخر.

(المطلب الأول: الحياة البرزخية.

(المطلب الثاني: الحياة الآخرة، وما تتضمنها.

* المبحث الخامس: جهود الشيخ في تقرير الإيمان بالقضاء والقدر.

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

(تمهيد: في تعريف القضاء والقدر.

(المطلب الأول: معنى الإيمان بالقضاء والقدر وما يتضمنه.

(المطلب الثاني: أفعال العباد.

(المطلب الثالث: التحسين والتقبيح.

الفصل الخامس: جهود الشيخ عبد الرزاق في مسائل الصحابة، والإمامة، والأسماء والأحكام، والولاء والبراء.

وفيه مبحثان:

* المبحث الأول: جهوده في مسائل الصحابة، والإمامة.." (١)

"المبحث الأول

حياة الشيخ الشخصية.

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٩

أولا: اسمه ومولده، ونشأته.

أ- اسمه ومولده:

هو (١): العالم الجليل، والسلفي النبيل عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية بن عبد البر ابن شرف الدين النوبي، ولد في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٢٣ هـ الموافق ١٦ ديسمبر سنة ١٩٠٥ م، في قرية شنشور مركز أشمون التابع لمحافظة المنوفية، وهي إحدى محافظات مصر.

ب- نشأته:

نشأ الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - في وسط أسرة محافظة، كانت طيبة الأخلاق، محمودة السيرة حسنة السمعة، متمسكة بالأخلاق الإسلامية وأخلاق أهل القرية والريف التي لم تتلون بمظاهر الحضارة الكاذبة، فتربى في كنف والده، الذي كان يتصف بصفات كريمة وفاضلة انطبعت وزادت في نجله عبد الرزاق؛ ثم انتظم الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - في سلك التعليم، بعدما نما عوده، وتفتحت مواهبه، فآل به طموحه وشدة رغبته إلى الأزهر، لينهل من العلم، وليزيد حصي‍ر‍ته بالسؤال والقراءة، حيث كان يغرس في طلابه هذا الأسلوب، باعتباره من أساليب رسوخ العلم، وزيادة المعرفة، فكان - رحمه الله - قوي الحافظة، سريع البديهة، مستحضر الفهم، شديد الذكاء وافر العلم غزير المادة، صاحب ألمعية نادرة ونجابة ظاهرة (٢).

---

(١) ينظر: الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي (حياته العلمية، وجهوده الدعوية، وآثاره الحميدة)، لمحمد بن أحمد سيد أحمد (١/ ٧٣)، **والحكمة من** إرسال الرسل، للشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - (ص ٥)، وفتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٢٨)، وإتحاف النبلاء بسير العلماء (٢/ ١١)، والعالم الرباني والمصلح المجاهد، محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس مفرغة في كتاب العلامة عبد الرزاق عفيفي .. (٢/ ٦١٩).

(٢) ينظر: الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي .. (١/ ٧٣ - ٧٤، ١٠٨ - ١٠٩) (٢/ ٥٩٨)، **الحكمة من** إرسال الرسل (ص ٥)، إتحاف النبلاء بسير العلماء (٢/ ١١ - ١٣).." (١)

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/١٧

"مخلوف (١)، وفضيلة الشيخ محمد حسين الذهبي (٢)،
وفضيلة الشيخ عبد المنعم النمر (٣)، وغيرهم؛ وقد امتاز – رحمه الله – عن غالب زملائه وأقرانه الذين درسوا في الأزهر وفي غيره من المؤسسات العلمية بحرصة على المتابعة لكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – (٤).

---

(١) كان مفتي الديار المصرية (١٩٤٦ – ١٩٥٠)، وكان عضوا مؤسسا لرابطة العالم الإسلامي بالمملكة العربية السعودية، واختير كذلك في مجلس القضاء الأعلى بالسعودية. له العديد من المؤلفات الهامة مثل كتاب كلمات القرآن تفسير وبيان، صفوة البيان لمعاني القرآن، آداب تلاوة القرآن وسماعه .... الخ. تميز الشيخ حسنين مخلوف بأفكاره الإصلاحية وفتواه الملائمة للواقع المعاش.
ينظر: حسنين محمد مخلوف، موقع ويكيبيديا (http://ar.wikipedia.org).

(٢) ولد الشيخ محمد حسين الذهبي في قرية مطوبس وهي قرية تقع على الشاطئ الشرقي للنيل تابعة لمحافظة كفر الشيخ إحدى محافظات الوجه البحري المصرية وكان مولده عام (١٩١٥ م)، نال شهادة العالمية من درجة أستاذ في علوم القرآن الكريم في ١٥ فبراير ١٩٤٧ م، وسافر – رحمه الله – في كوكبة من علماء الأزهر في أول بعثة إلى مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية للتدريس في دار التوحيد والتي كان يديرها آنذاك الشيخ محمد بن مانع – رحمه الله – وصحبه في تلك الفترة (١٩٤٨ – ١٩٥١ م) الشيخ عبد الرزاق عفيفي – رحمه الله – وغيره، ثم ندب للتدريس في المدينة المنورة لمدة عام وذلك (سنة ١٩٥١ م)، ثم عاد إلى القاهرة وأصبح وزيرا للأوقاف وشؤون الأزهر، وله مؤلفات كثيرة من أشهرها: التفسير والمفسرون، الاتجاهات المنحرفة في التفسير، شرح أحاديث العقيدة في الصحيحين، الأحوال الشخصية بين أهل السنة والجعفرية، وغيرها من المؤلفات.
مات قتيلا في ٣/ ٧ / ١٩٧٧ م، ومما قاله الدكتور إبراهيم أبو الخشب في رثائه:
في ذمة الله والإسلام والعرب ... ما سال من دمك المسفوك يا ذهبي
خطفت في ليلة ما نام حارسها ... وذقت فيها الذي قد ذقت من وصب
قتلت يا داعي الرحمن في غسق ... وللردى سبب لابد من سبب
سيان من مات في أمن وفي دعة ... ومن يموت صريع الجهل والشغب

لكنما لشهيد الحق منزلة ... يحيا بها رغم ما للموت من حجب

ينظر: محمد حسين الذهبي، موقع ملتقى أهل التفسير (http://www.tafsir.net).

(٣) أ. د. عبد المنعم النمر من مواليد قرية الخرزاني – مركز دسوق– عام (١٩١٣ م)، من علماء الأزهر، عين وزيرا للأوقاف سنة (١٩٧٩ م) كما أنه كان عضوا في مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر، توفي عام (١٩٩١ م)، له عدة مؤلفات منها: (الإسلام والشيوعية، الإسلام والغرب، الشيعة، المهدي، الدروز).

ينظر: أعلام كفر الشيخ الراحلون، موقع الشاعر إبراهيم بركات (http://ismaeilborik.blogspot.com).

(٤) ينظر: الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي .. لمحمد بن أحمد سيد أحمد (١/ ٦٣، ١٧٣)، العالم الرباني والمصلح المجاهد محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس مفرغة في كتاب العلامة عبد الرزاق عفيفي .. (٢/ ٦٢٤)، **الحكمة من** إرسال الرسل (ص ٦ – ٧)، إتحاف النبلاء بسير العلماء (٢/ ٢٥ – ٢٦).." [١]

"ثالثا: وفاته – رحمه الله –.

في السنوات الأخيرة من عمره، انتابته أمراض عديدة، ومع هذا لم يكن من الحريصين على التردد على الأطباء إلا عند الضرورة، يقول – رحمه الله –: إن هذا شيء قدره الله، ولا بد أن يحصل .. وقد أجري له عدة عمليات في المستشفى الجامعي بالرياض، تكللت بالنجاح، ولكن الروماتيزم الذي كان معه طويلا أقعده عن الحركة، فكان لا يأتي للعمل، ولا يذهب للمسجد إلا في عربة متنقلة، وكأن هاجسا باطنيا نبهه إلى قرب أجله، إذ أصر في حج عام ١٤١٤ هـ، أن يكون من ضيوف الرحمن، لعل الله أن يتقبل منه حجة الوداع هذه، وقد من الله عليه بإكمال الحج بيسر وسهولة .. وبعد عودته من الرياض انتابته الأمراض المضنية، فأدخل الشيخ – رحمه الله – على إثرها المستشفى العسكري بالرياض الساعة الواحدة بعد الظهر من يوم الثلاثاء الموافق ١٦/ ٣/١٤١٥ هـ في قسم العناية المركزة ثم أخرج منها في يوم الأحد ٢١/ ٣/١٤١٥ هـ وهو يعاني من ألم شديد في الكبد وضعف في الكلى ووجود سوائل في الرئتين وهبوط في ضربات القلب وظل بالمستشفى حتى وافاه الأجل المحتوم في يوم الخميس ٢٥/ ٣/١٤١٥ هـ في حوالي

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٢١

الساعة السابعة صباحا، ثم صلي على جنازته عقب صلاة الجمعة ٢٦/ ٣/١٤١٥ هـ في الجامع الكبير بالرياض وقد صلى عليه خلق كثير، وقد دفن بمقبرة العود بالرياض.

وما كان الجمع الغفير من مشيعيه الذين حضروا الصلاة عليه ودفنه إلا دليلا واضحا على محبتهم له، وإن العالم الإسلامي فعلا قد فقد عالما جليلا وشيخا فاضلا وعلما من أعلام الأمة، أمضى اثنين وتسعين خريفا من الجهاد والدعوة والعلم والتعليم بجميع جوانبه، فقدس الله روحه، ونور ضريحه، ورحمه وغفر له وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا به في دار كرامته وجبر الله مصاب الأمة على فقده (١).

---

(١) الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي (٢/ ٦٠٦ - ٦٠٧، ٦٦٧، ٧٤١)، العالم الرباني والمصلح المجاهد محاضر ألقاها فضيلة الشيخ أ. د. عبد الرحمن السديس مفرغة في كتاب العلامة عبد الرزاق عفيفي .. (٢/ ٦٣٧)، **الحكمة من** إرسال الرسل (ص ٩ - ١٠)، إتحاف النبلاء بسير العلماء (٢/ ٣٠٠ - ٣٠٢).."
(١)

"للقضاء بالرياض، ومن درس عليه في المدارس النظامية أو في المسجد؛ أمم لا يحصون كثرة (١).

ثالثا: مؤلفاته.

كان الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - لا يرى التأليف ولا يرغب فيه، مع غزارة علمه وسعة إدراكه ووفرة مادته، وكان يعلل ذلك بأن الناس عامة، وطلبة العلم خاصة بحاجة ماسة إلى القراءة والاطلاع أكثر من حاجتهم للتأليف والتصنيف؛ وأن هذه الكتب والمؤلفات الحديثة لا فائدة فيها، وأنه يكتفى بما كتبه وجمعه العلماء السابقون، حيث إنهم تطرقوا إلى كل فن، وأوضحوا ما يحتاج إلى توضيح، وأن من جاء بعدهم عيال عليهم (٢).

ولعل السبب الحقيقي الذي حمل الشيخ على ترك التأليف مع التمكن من أدواته، زهده في الشهرة والسمعة والمناصب، وتفرغه لتربية الأجيال، وبناء النفوس، وإعداد العلماء وتهيئتهم بالعلم والعمل وحمل أمانة التبليغ.

ومع ذلك فله - رحمه الله - التالي- مع العلم أنه لم يؤلف كتبا إنما كان جل تراثه عبارة عن تعليقات ومراجعات ومباحث كتبها للنفع العام أو أنها طلبت منه -:

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٢٢

١ - تعليقاته على كتاب الإحكام للآمدي.

٢ - تعليقه على تفسير الجلالين وتصويبه (من سورة غافر إلى آخر المصحف).

---

(١) ينظر: الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي .. (١/ ١١٦ - ١١٨)، العالم الرباني والمصلح المجاهد محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس مفرغة في كتاب العلامة عبد الرزاق عفيفي .. (٢/ ٦٢٣)، إتحاف النبلاء بسير العلماء (٢/ ٣٢ - ٣٣).

(٢) قال - رحمه الله -: " ما من شبهة تذاع اليوم إلا وقد سبق لها شياطين الملحدين السابقين في العصور الأولى، ووقفها وردها وأبطلها أجلة علماء السلف ببراعة فائقة فلا سبيل أرشد من سبيلهم ولا هدي أقوم مما كانوا عليه، فالخير كل الخير في العودة إلى كتاب الله تلاوة له وتفقها فيه وإلى أحاديث المصطفى صاحب جوامع الكلم - صلى الله عليه وسلم - دراية ورواية، والفتيا بهذين الأصلين وعرض أعمال الناس عليهما فذلك هو الفلاح والرشاد الذي ليس بعده رشاد".

ينظر: مجموعة ملفات الشيخ (ص ١٤٨)، كلام الشيخ القطان - رحمه الله - في كتاب الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي (٢/ ٥٨٥)، كلام الشيخ بن جبرين - رحمه الله - في كتاب الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي .. (٢/ ٥٨٨) وكلا الشيخ زهير الشاويش المرجع السابق (٢/ ٧٠٤)، **الحكمة من** إرسال الرسل (ص ٨)، إتحاف النبلاء بسير العلماء (٢/ ٣٥ - ٣٨).." (١)

"ومما تجدر الإشارة إليه، أن الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - لم يكن يعبأ بهذه الشهادات، ولم يفاخر بها.

ويؤكد هذا فضيلة الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قائلا: "كان الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - ممن يزهد في الشهادات الدراسية، والتشدق بذكرها، وإنما يراها وسيلة لحمل العلم، وثقل الأمانة التي يجب أن تؤدى، ولم نسمعه يوما يتحدث عن المؤهل الذي تحصل عليه" (١).

سابعا: جهوده في نشر العلم ومناصبه (٢).

لقد أدى الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - على مدار تسعة وأربعين عاما دورا مهما وفاعلا في الحياة

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٢٥

العلمية والاجتماعية ويمكن إجماله فيما يلي:

أ- لقد أمضى الشطر الأول من حياته في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان داعية من أبرز دعاة جماعة أنصار السنة المحمدية (٣) في مصر ومن المؤسسين لها (٤).

---

(١) ينظر: الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي .. (١/ ١١٤ - ١١٥)، وإتحاف النبلاء بسير العلماء (٢/ ١٢ - ١٣). فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٢٨ - ٢٩).

(٢) ينظر: الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي .. (١/ ١٦٥، ١٧٥ - ١٧٦، ٣٢٩، ٣٣٢ - ٣٣٤، ٣٣٨ - ٣٤٠)، العالم الرباني والمصلح المجاهد محاضر ألقاها فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس مفرغة في كتاب العلامة عبد الرزاق عفيفي .. (٢/ ٦٢٤ - ٦٢٥)، الحكمة من إرسال الرسل (ص ٦ - ٨)، فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٢٩ - ٣٠)، إتحاف النبلاء بسير العلماء (٢/ ١٥ - ٣٥، ٢٦ - ٢٧، ٣٣ - ٣٥).

(٣) جماعة أنصار السنة المحمدية: تأثرت هي وغيرها من الجماعات السلفية في القرن الرابع عشر الهجري- العشرين الميلادي- بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تأثرا ظاهرا جليا، لأن من أبرز أهدافها: الدعوة إلى التوحيد الخالص، ومتابعة النبي - صلى الله عليه وسلم - في العبادة والشعائر والشرائع ومحاربة الشرك والبدع والخرافة والشعوذة والدجل وهذه هي دعوة الرسل.

وقد بين منهجها ولب دعوتها الشيخ عبد الرزاق عفيفي في مبدأ وميثاق.

ينظر: جماعة أنصار السنة المحمدية للدكتور أحمد بن محمد الطاهر (ص ٧٣)، ومجموعة ملفات الشيخ (ص ١٤٦).

(٤) توفي فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي يوم الجمعة السابع من رجب سنة ١٣٧٨ هـ، ومما تجدر الإشارة إليه، أن الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - كان رئيسا لفرع أنصار السنة بالإسكندرية ثم أصبح نائبا للرئيس العام لأنصار السنة في مصر سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ٢/ ٢/١٩٤٦ م. ثم رئيسا عاما لجماعة أنصار السنة في مصر عام ١٣٧٩ هـ، ١٩٥٩ م.." (١)

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٣٢

"يقول تعالى: {ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (٧٠)} الإسراء: ٧٠، وبيان الآية أن الله سبحانه عدد على بني آدم ما خصهم به من المزايا من بين سائر الحيوان، ومن أفضل ما أكرم به الآدمي العقل الذي به يعرف الله تعالى ويفهم كلامه ويوصل إلى نعمه (١).

ومن هنا ندرك أهمية العقل، وأنه الميزة التي فضل الله بها الإنسان عن غيره، غير أنه تعالى جعل له حدودا في إدراكه للأشياء ينتهي إليها، فلو كان العقل يدرك كل مطلوب لاستغنى الخلق به عن الشرع، وانتفت الحكمة من إرسال الأنبياء والرسل، حيث يقول تعالى: {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (١٥)} الإسراء: ١٥، لكن العقل شرط في التكليف، وآلة للتمييز بين الحسن والقبيح، والسنة والبدعة، والرياء والإخلاص، ولولاه لم يكن تكليف ولا توجه أمر ولا نهي، وهو دائما محتاج إلى هداية الوحي وتنبيه الرسل لتقويمه وتأييده (٢).

واعتبر الإسلام العقل ولم يلغه، فمن مظاهر اعتباره للعقل وعدم إلغائه له أنه حثه علي التفكير فيما يدركه ويشاهده، ومنعه من التفكير والتخبط فيما لا يدركه ولا يقع تحت حسه من المغيبات التي لا يمكن أن يصل في تفكيره فيها إلى نتيجة فالسلف رحمهم الله لم يلغوا العقل كما يزعم خصومهم من أهل الكلام، أو من لا خبرة له بمذهب السلف من غيرهم، كما أنهم لم يحكموه في جميع أمورهم كما فعل أهل الضلال، وإنما وزنوا الأمر بموازين الشرع (٣).

٦ - الفطرة أو الحس:

الفطرة مطمئنة إلى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من أصول الدين، وأنه لو ترك الناس وفطرهم السليمة لما حصل خلاف في أصول الدين، فالفطرة شاهدة بصحة

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (١/ ٤٦٣)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (٥/ ١٨٨)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٤٤)، تفسير السمرقندي لنصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (٢/ ٣٢١)، النكت والعيون تفسير لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (٣/ ٢٥٧)، تفسير البغوي (٣/ ١٢٥).

(٢) منهج الإمام ابن أبي العز الحنفي لعبد الله الحافي (ص ٤٦).

(٣) ينظر: لمكانة العقل في الإسلام في كتاب موقف المتكلمين للدكتور سليمان الغصن (١/ ٢٦٢ - ٢٧٣)، المدرسة السلفية لمحمد بن عبد الستار نصار (ص ٤٧٨).." [١]

"وقال الشيخ الشنقيطي (١): "والوجه صفة من صفات الله - عز وجل - وصف بها نفسه، فعلينا أن نصدق ربنا ونؤمن بما وصف به نفسه مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق" (٢).

٥ - صفة الحكمة لله - عز وجل -:

يقرر الشيخ صفة الحكمة لله - عز وجل - وأنها ثبتت له-سبحانه- في صنعه وتشريعه وقدره وجزائه وكلامه وإرساله الرسل وإنزال الكتب وفي كل شؤونه (٣). وأنه ثبت له كمالها بدليل النقل والعقل وبالنظر في كونه وشرعه؛ فهو سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد على مقتضى **الحكمة في** فعله وشرعه، ويرعى في ذلك مصلحة عباده فضلا منه ورحمة. ورعاية **الحكمة في** أفعاله سبحانه وفي شرعه مما يوجب في حقه، وإن قلنا: إن ذلك واجب عليه؛ فهو سبحانه الذي أوجبه على نفسه فضلا وإحسانا رحمة منه بعباده {كتب ربكم على نفسه الرحمة} الأنعام: ٥٤ (٤). وثبت بالنص أنه سبحانه لا يفعل ولا يشرع إلا ما هو مقتضى الحكمة؛ إذن فـهو سبحانه لا يشاء إلا ما كان مقتضى الحكمة والعدالة (٥).

---

(١) هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، سلفي المعتقد، متفنن في علوم عدة، مبرزا في اللغة والتفسير، من مؤلفاته: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ومذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، آداب البحث والمناظرة، وغيرها؛ توفي سنة ١٣٩٣ هـ.

ينظر: ترجمة تلميذه عطية سالم له في أوائل كتابه أضواء البيان (١/ ١٩)، والأعلام للزركلي (٦/ ٤٥)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبد الله البسام (٦/ ٣٧١).

(٢) أضواء البيان (٧/ ٨٠١).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (٥٩، ٢٤١).

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٥١

(٤) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام (١/ ١٢٥، ١٣٠) و (١/ ٤٤) و (٢/ ٣٦٨) و (٢/ ٣٠).

(٥) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام (٢/ ٧٤).." [1]

"الحكمة صفة ذاتية ثابتة لله - عز وجل -، و (الحكيم (١)) من أسمائه تعالى؛ وهو ثابت بالكتاب والسنة.

فمن الكتاب:

-قوله تعالى: {وهو الحكيم الخبير (١٨)} الأنعام: ١٨.

-وقوله: {والله عزيز حكيم (٢٢٨)} البقرة: ٢٢٨.

ومن السنة:

-حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -، أن أعرابيا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: علمني كلاما أقوله، قال: (... وسبحان الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم ...) (٢).

قال ابن القيم في النونية (٣):

وهو الحكيم وذاك من أوصافه ... نوعان أيضا ما هما عدمان

حكم وإحكام فكل منهما ... نوعان أيضا ثابتا البرهان

قال ابن جرير (٤): (الحكيم) الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل.

وقال: حكيم فيما قضى بين عباده من قضاياه (٥).

---

(١) يبين الشيخ عبد الرزاق أن الحكيم من متعلق **الحكمة فيقول**: "الأولى التعميم في متعلق الحكمة، فيقال: الحكيم في كل شأن من شؤونه من صنعه وقدره وتشريعه وجزائه وكلامه وإرساله وإنزاله كتبه، إلى غير ذلك".

ينظر: تفسير الجلالين (ص ١٧١).

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/١٣٠

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء برقم (٢٦٩٦).

(٣) (٢/ ٢١٨ - ٢١٩).

(٤) هو أبو جعفر؛ محمد بن جرير بن يزيد ين كثير بن غالب الطبري، المفسر والمحدث، الفقيه، المقرئ، المؤرخ، صاحب التصانيف البديعة، أكثر من الترحل، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، ولد سنة٢٢٤ هـ، ومات سنة٣١٠ هـ، من آثاره: التفسير، والتاريخ وغيرهما.

ينظر: العبر (١/ ٤٦٠)، لسان الميزان (٥/ ١١٥)، النجوم الزاهرة (٣/ ٢٣٠)، شذرات الذهب (٢/ ٢٦٠).

(٥) جامع البيان (١/ ٤٣٦)، (٢/ ٣٦٣).." [(١)]

"سبق بذلك قبل بدء الخليقة، فقد جف القلم بما يلقاه كل عبد، فمن رضي، فله الرضا، ومن سخط فله السخط.

ويشهد أن القدر ما أصابه إلا لحكمة اقتضاها اسم الحكيم جل جلاله وصفته الحكمة، وأن القدر قد أصاب مواقعه، وحل في المحل الذي ينبغي له أن ينزل به، وأن ذلك أوجبه عدل الله وحكمته وعزته وعلمه وملكه العادل، فهو موجب أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، فله عليه أكمل حمد وأتمه، كما له الحمد على جميع أفعاله وأوامره " (١)

وبهذا يعلم أنه - سبحانه وتعالى- يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد على مقتضى **الحكمة في** فعله وشرعه، ويرعى في ذلك مصلحة عباده فضلا منه ورحمة.

٦ - صفة العلم لله - عز وجل -:

يقرر الشيخ - رحمه الله - بأن علم الله تعالى كامل وثابت له سبحانه بدليل النقل والعقل وبالنظر في كونه وشرعه (٢).

ويبين الشيخ - رحمه الله - في تعليقه على تفسير الجلالين عند قوله تعالى: {ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ...} الآية المجادلة: ٧، قال: "أي

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/١٣١

بعلمه وهو فوق عرشه بذاته لا يخفى عليه شيء من شؤون خلقه، وليس هذا من التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره (٣)، وذلك أن كلمة (مع) موضوعة لمطلق المقارنة، فيدخل في معناها المقارنة بالعلم وبالنصر والتأييد وبالهداية والتوفيق، فتفسيرها بالعلم ونحوه تفسير لمعنى وضع له اللفظ، وصدر الآية وتذييلها يعين هذا المعنى دون المقارنة بالذات" (٤).

---

(١) ينظر: طريق الهجرتين (١/ ٦٦ - ٦٩).

(٢) ينظر: تعليق الشيخ على الإحكام (١/ ١٢٥،٢٦)، (٢/ ٤٤)، وتفسير الجلالين (١٥٣).

(٣) قال ابن تيمية - رحمه الله - عند ذكره لهذه الآية: " وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا: هو معهم بعلمه، وقد ذكر ابن عبد البر وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولم يخالفهم فيه أحد يعتد بقوله، وهو مأثور عن ابن عباس، والضحاك، ومقاتل بن حيان، وسفيان الثوري، وأحمد ابن حنبل وغيرهم ... ".

ينظر: شرح حديث النزول (٢/ ١٠٣، ٢١٧ - ٢١٩، ٢٣٠).

(٤) تفسير الجلالين (ص ١٥٤ - ١٥٥).." [1]

"العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداء بنبيها بقي القرآن محفوظا في حرز حريز (١).

- الفرق بين القرآن وبين الحديث والكتب الأولى:

يبين الشيخ - رحمه الله - الفرق بينهما، فيقول: " لا تسمى الأحاديث النبوية قرآنا لأن ألفاظها من الرسول وإن كان معناها وحيا. ولا تسمى الكتب الأولى كالتوراة قرآنا لنزولها على غيره من الأنبياء ولا يسمى الحديث القدسي قرآنا لأنه ليس مما يتعبد بتلاوته" (٢).

هناك فروق كثيرة ذكرها العلماء منها:

-أن القرآن أوحيت ألفاظه من الله اتفاقا، وأن الحديث القدسي أوحيت ألفاظه من الله على المشهور،

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/١٣٥

والحديث النبوي أوحيت معانيه في غير ما اجتهد فيه الرسول والألفاظ من الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

-وأن القرآن له خصائصه من الإعجاز والتعبد به ووجوب المحافظة على أدائه بلفظه ونحو ذلك، وليس للحديث القدسي والنبوي شيء من هذه الخصائص؛ والحكمة في هذا التفريق أن الإعجاز منوط بألفاظ القرآن، فلو أبيح أداؤه بالمعنى لذهب إعجازه، وكان مظنة للتغيير والتبديل واختلاف الناس في أصل التشريع والتنزيل، أما الحديث القدسي والحديث النبوي فليست ألفاظهما مناط إعجاز، ولهذا أباح الله روايتهما بالمعنى، ولم يمنحهما تلك الخصائص والقداسة الممتازة التي منحها القرآن الكريم، تخفيفا على الأمة ورعاية لمصالح الخلق في الحالين من منح ومنع.

- أن ثواب تلاوة القرآن ثواب عظيم كما جاء في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه -: (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف

---

(١) النبأ العظيم لمحمد دراز (١٢ - ١٣).

(٢) مجموعة ملفات الشيخ عبد الرزاق عفيفي (ص ٣٥)، والإحكام في أصول الأحكام (١/ ٢١٦).."

(١)

"المبحث الثالث

جهوده في تقرير الإيمان بالرسل.

تمهيد

في تعريف النبي والفرق بينه وبين الرسول والحكمة من إرسال الرسل.

يعرف الشيخ - رحمه الله - النبي فيقول: "النبي: مشتق من النبأ، بمعنى: الخبر، فإن كان المراد أنه يخبر أمته بما أوحى الله إليه، فهو فعيل، بمعنى: فاعل، وإن كان المراد أن الله يخبره بما يوحي إليه، فهو فعيل، بمعنى: مفعول، ويصح أن يكون مأخوذا من النبء (بالهمزة وسكون الباء)، أو النبوة، أو النباوة (بالواو)، وكلها بمعنى: الارتفاع والظهور، وذلك لرفعة قدر النبي، وظهور شأنه، وعلو منزلته" (١).

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٣٣٥

النبي لغة: مأخوذ من (النبأ) بمعنى الخبر، أو (النباوة) أو (النبوة) بمعنى العلو والرفعة (٢).

والربط بين النبي والمعنى اللغوي واضح ذلك أن النبي ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء كما هو معلوم أشرف خلق الله وهم الأعلام التي يهتدي بها العباد فيما يكون فيه صلاح دينهم ودنياهم (٣).

والرسول لغة: مأخوذ من (الإرسال) بمعنى البعث والتوجيه، يقال، أرسلت فلانا في رسالة: أي بعثته، فهو مرسل ورسول؛ ويجمع الرسول على أرسل، ورسل ورسل، ورسلاء، وسموا الرسل بذلك لأنهم مبعوثون وموجهون من قبل الله – عز وجل –، لتبليغ الخلق أمر الله ووحيه (٤).

---

(١) مذكرة التوحيد (ص ٤٥).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (٤/ ٣٤٨٩)، معجم مقاييس اللغة (ص ١٠٠٩)، الصحاح (١/ ٧٤)، لسان العرب (١/ ١٦٢)، القاموس المحيط (ص ١٧٢٢).

(٣) ينظر: المصباح المنير للفيومي (٢/ ٥٩١).

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (٢/ ١٤٠٧)، معجم مقاييس اللغة (ص ٤٠٢)، الصحاح (٤/ ١٧٠٨)، لسان العرب (١١/ ٢٨٣)، القاموس المحيط (ص ١٣٠٠).." [١]

"ويقول ابن تيمية – رحمه الله –: " وسبهم –أي الأنبياء– كفر وردة إن كان من مسلم، ومحاربة إن كان من ذمي" (١).

– حاجة البشر إلى الرسل:

يبين الشيخ – رحمه الله – حاجة البشر إلى الرسل، فيقول: "لا يليق بعاقل رشيد عرف كمال حكمة الله وسعة رحمته، وعرف واقع الناس وما هم فيه من هرج ومرج وفساد وضلال؛ أن ينكر حاجة البشر إلى قيادة رشيدة، عمادها وحي الله وشريعته، تعتصم به، وتدعو الناس إليه، وتهديهم إلى سواء السبيل. فإن الإنسان قد يقصر عقله في كثير من أحواله وشؤونه ... وقد يعجز عن العلم بما يجب عليه عمله ... فكان في ضرورة إلى معين يساعده في ما قصر عنه إدراكه أو عجز عنه فهمه، ويهديه الطريق في أصول دينه ... ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب" (٢).

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٣٥٩

وقال كذلك – في حديثه عن حاجة البشر للرسل-: "بل في أشد الضرورة إليهم؛ لأن عقول الناس مختلفة أعظم اختلاف، ولا تستطيع أن تستقل بمعرفة ما يرضي الله سبحانه أو يسخطه من الأقوال والأعمال والعقائد، ومن أجل ذلك أرسل الله رسله من نوح عليه الصلاة والسلام إلى أن ختموا بنبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – الذي بعثه الله بدين شامل كامل باق عام للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين" (٣).

ويبين الشيخ – رحمه الله – بعض الحكم من إرسال الرسل، فيقول: "اقتضت حكمة الله أن يرسل رسله بالهدى ودين الحق رحمة منه بعباده، وإقامة للعدل بينهم، وتبصيرا لهم بما يجب عليهم من حقوق خالقهم وحقوق أنفسهم وإخوانهم، وإعانة لهم على أنفسهم، وإعذارا إليهم؛ فإنه لا أحد أحب إليه من العذر من الله، فمن أجل ذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب .. بل إن الله أرسلهم لمصالح البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة .. " (٤).

---

(١) الصارم المسلول (ص ٥٦٥).

(٢) الحكمة من إرسال الرسل (١٤ – ١٥).

(٣) فتاوى اللجنة (٣/ ٢٥٨).

(٤) الحكمة من إرسال الرسل (١٣ – ٢٣) باختصار؛ وينظر: مذكرة التوحيد (٥٦ – ٥٩).." [1]

"وما أروع كلام ابن تيمية عندما يتحدث عن حاجة البشر إلى الرسالات، فيقول: " والرسالة ضرورية للعباد لابد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، كما قال تعالى: {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها} الأنعام: ١٢٢. فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نورا يمشى به في الناس وأما الكافر فميت القلب في الظلمات" (١).

ويؤكد ابن القيم على ضرورة وأهمية الإيمان بالأنبياء عليهم السلام، فيقول: "لا سبيل إلى السعادة والفلاح

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٣٦٨

لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله ألبته إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق، ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأعمال والأخلاق، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين، فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي وما لجرح بميت إيلام" (٢).

قال الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله –: "قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٥٦)} الذاريات: ٥٦ ... ولهذا أعطى الله البشر عقولا، وأرسل إليهم رسلا، وأنزل عليهم كتبا، ولو كان الغرض من خلقهم كالغرض من خلق البهائم؛ لضاعت **الحكمة من**

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٣، ٩٤).

(٢) زاد المعاد (١/ ٦٩)، وينظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢)..." (١)

"إرسال الرسل، وإنزال الكتب؛ لأنه في النهاية يكون كشجرة نبتت، ونمت، وتحطمت، ولهذا قال تعالى: {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد} القصص: ٨٥، فلابد أن يردك إلى معاد تجازى على عملك إن خيرا فخير، وإن شرا فشر" (١).

- سبب جعل الرسل من البشر:

يبين الشيخ – رحمه الله – سبب ذلك، فيقول: " أما إرسالهم من البشر؛ فلأن ذلك أكمل في إقامة الحجة؛ لكونهم من جنسهم يستطيعون التفاهم معهم وسؤالهم عما يهمهم ويتمكنون من فهم كلامهم؛ لقول الله عز وجل: {وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا (٩٤) قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (٩٥)} الإسراء: ٩٤ – ٩٥، وقال

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٣٦٩

تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم} إبراهيم: ٤" (٢).

ويقول الشيخ - رحمه الله - كذلك: " وإرسال الله الرسل ليس مستحيلا في نفسه، ولا عبثا حتى يجافي حكمة الله؛ بل هو جائز عقلا، داخل في نطاق قدرة الله الشاملة وإرادته النافذة .. وإن الفطر السليمة التي فطر الله عليها الناس لا تستبعد أيضا ما مضت به سنة الله في عباده، وقضت به حكمته وعدله في خلقه من إرساله سبحانه رسلا مبشرين ومنذرين .. وليس بدعا أن يختار الله نبيا من البشر، ويبعث في الناس رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، بل ذلك مقتضى الحكمة وموجب العقل وما جرت به سنة الله في أنبيائه .. وشاء الله أن يكون سكان الأرض من البشر؛ فاقتضت حكمته أن يكون رسوله إليهم من جنسهم، بل اقتضت حكمته ما هو أخص من ذلك وأقرب إلى الوصول للغاية وتحصيل المقصود من الرسالة .. ومن نظر في آيات القرآن، وعرف تاريخ الأمم؛ تبين له أن سنة الله في عباده أن يرسل إليهم رسلا من أنفسهم" (٣).

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٠).

(٢) فتاوى اللجنة (٣/ ٢٥٨ - ٢٥٩).

(٣) الحكمة من إرسال الرسل (١٣ - ٢٣) باختصار؛ وينظر: مذكرة التوحيد (٥٦ - ٥٩).." [1]

"٢ - ما عد من خصائصه - صلى الله عليه وسلم - وهو غير ثابت.

- اختصاصه - صلى الله عليه وسلم - بأنه المقصود من خلق الخلق.

سئل الشيخ - رحمه الله - عن هذا الحديث (لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك) فأجاب بقوله: " ذكره العجلوني (١)، وقال: قال الصغاني (٢): إنه موضوع، ثم قال: وأقول: لكنه معناه صحيح وإن لم يكن حديثا. نقول: بل هو باطل لفظا ومعنى؛ فإن الله تعالى إنما خلق الخلق ليعبدوه، كما قال سبحانه: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٥٦)} الذاريات: ٥٦، ولم يثبت حديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - يدل على أن الخلق خلقوا من أجله لا الأفلاك ولا غيرها من المخلوقات، وذكره محمد بن علي الشوكاني (٣) وقال: قال الصغاني: موضوع، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: {الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٣٧٠

شيء علما (١٢)} الطلاق: ١٢" (٤).

ويبين الشيخ - رحمه الله - **الحكمة من** خلق السماوات والأرض، فقال: "لم تخلق السموات والأرض من أجله - صلى الله عليه وسلم -، بل خلق لما ذكره الله سبحانه من قوله عز وجل: {الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد

---

(١) في (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) وهو إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء، من مؤلفاته: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، شرح الحديث المسلسل بالدمشقيين، الفيض الجاري شرح صحيح البخاري وغيرها، توفي سنة ١١٦٢ هـ.

ينظر: سلك الدرر (١/ ٢٥٩)، الأعلام (١/ ٣٢٥).

(٢) هو محمد بن إسحاق بن جعفر الصغاني الخرساني، أبو بكر، نزيل بغداد، أحد الثقات، روى عنه مسلم والترمذي ومات سنة (٢٧٥ هـ).

ينظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (١/ ٥٠)، معجم البلدان (٣/ ٤٠٣).

(٣) في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٣٢٦).

(٤) فتاوى اللجنة (١/ ٤٦٥).." [(١)]

"أولا: حكم الإمامة.

قال الشيخ - رحمه الله -: " إنابة ولي أمر عام للمسلمين يتولى شئونهم وتنتظم به أمورهم ويجتمع شملهم واجب على المسلمين، ويجب عليهم أن يختاروا من بينهم من يصلح للقيام بواجب الأمة، وإن لم يكن في الأمة من يصلح لذلك إلا واحد تبين عليهم أن يقيموه واليا عاما عليهم، وتعين عليه أن يتقبل تولي هذا المنصب، حفاظا لكيانها، وتحقيقا لما ينهض بها سياسة وتدبيرا، وثقافة وعلما، وإنتاجا وكسبا ... **والحكمة في** ذلك رعاية مصلحة الأمة، ... وقد شهدت الفطرة بضرورة إقامة ولي عام على المسلمين على مصالحهم ... ويبذل وسعه في توحيد كلمتهم ولم شعثهم، بل عرف الإنسان أن اتخاذ القيادة وضرورتها أمر جبلت عليه الحيوانات العجماوات، فإنا لا نكاد نجد طائفة من الحيوانات على اختلاف أنواعها ... إلا اتخذت

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٤٣٨

لنفسها قيادة تنظم مسيرها وعملها ... وتنصيب الولاة والأئمة أمر معروف طبعت عليه القبائل والأمم، وكما دل العمل المستمر من النبي - صلى الله عليه وسلم - في بعث السرايا أنه ما بعث سرية إلا وقد أمر عليها أميرا وأوصاها بطاعته، ودل عمله في البلاد الإسلامية أنه لم يترك بلدا دون أن يؤمر على أهلها أميرا ولم يسافر عن المدينة إلا وقد أمر عليها أميرا، فإذا كان هذا شأنه في الولايات الخاصة، فالولايات العامة ألزم، والعناية بها أتم وأوجب، ولا تكون ولاية خاصة في أمة إلا عن طريق الولاية عامة" (١).

نصب الإمام واجب بدلالة الكتاب، والسنة، والإجماع، والقواعد الشرعية (٢).

فمن الكتاب: قوله تعالى: {يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} النساء: ٥٩. فالله سبحانه أوجب على المسلمين طاعة أولي الأمر منهم، وهم العلماء والأمراء، والأمر بالطاعة دليل على وجوب نصب ولي الأمر؛ لأن الله تعالى لا يأمر بطاعة من لا وجود

(١) مجموعة ملفات الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - (ص ١٩ - ٢٠).

(٢) ينظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٥)، والأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص ١٩)، والمقدمة الزهراء في إيضاح الإمامة الكبرى للذهبي (ص ٦٩)، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام لابن جماعة (ص ٤٨).." (١)

"٢ - التشبيه والحلول: أي القول بتشبيه الله بالإنسان، وأن له تعالى أعضاء كأعضائه، والقول بالحلول أيضا حين اعتقد غلاتهم حلول الإله بذاته أو روحه جزء أو كلا في البشر، وهذا قوي الصلة بوثنية الفرس وتحريفات اليهود والنصارى، وهو مناف لعقيدة التوحيد، فالقول بالحلول باطل ومحال: فحلول الشيء لا يتصور إلا إذا كان الحال بحيث لا يتعين إلا بتوسط المحل، ولا يمكن أن يتعين واجب الوجود سبحانه بغيره، فحلوله في غيره محال. وأما التشبيه فقد نتج عن تأويلهم لبعض النصوص الشرعية على غير وجهها الصحيح فوصفوا الله سبحانه بما لا يليق به، وما ذلك إلا لركونهم إلى التأويل المهلك وتركهم للتفويض المدرك (١).

٣ - البداء: وهو مما قالت به اليهود (٢)، ولا يجوز على الله؛ لأنه مخالف تماما للنسخ المقرر شرعا إذ

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٥٤٧

أن البداء بمعنى أنه بدا لله شيء كان يجهله أو يجهل **الحكمة منه**، ثم بدا له أن يفعله، وهذا مفهوم يؤدي إلى جواز التغير عليه سبحانه. وهو مختلف تماما عن معنى النسخ.

٤ - الرجعة: وهو القول برجعة الإمام مرة أخرى إلى الحياة بعد موته ليؤدي دوره في هداية الناس إلى مذهبه، وهذه أيضا يقول بها اليهود (٣).

٥ - التناسخ: أي القول بتناسخ الأرواح وانتقالها من جسم إلى جسم وهذا هو الثواب والعقاب، وهو معنى القيامة عندهم، ويكون ذلك في الدنيا فيثاب المطيع مثلا بأن تنتقل

---

(١) ينظر: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات (ص ٤٩).

(٢) وقد أطال العلامة موسى جار الله رحمه الله تعالى النفس في بيان بطلان دعوى البداء لله تعالى، وأن الرافضة قد أخذوه من اليهود، ونقل نصوص التوراة، من سفر التكوين وغيره، فينظر الوشيعة في كشف شنائع عقائد الشيعة، د. صالح الرقب، (١١٠ - ١٢٠)، وينظر: التوراة (سفر التكوين، الفصل السادس، فقرة: ٥)، (سفر الخروج، الفصل: ٣٢ فقرة: ١٢، ١٤)، (وسفر قضاة، الفصل الثاني، فقرة: ١٨)، (وسفر صموئيل الأول، الفصل الخامس عشرة فقرة: ١٠، ٣٤)، (وسفر صموئيل الثاني، الفصل: ٢٤، فقرة: ١٦)، (وسفر أخبار الأيام الأول، الفصل: ٢١، فقرة: ١)، (وسفر أرميا، الفصل: ٤٢، فقرة: ١٠)، (وسفر عاموس، الفصل: ٧، فقرة: ٣)، (وسفر يونان، الفصل: ٣، فقرة: ١٠) وغيرها.

(٣) ينظر: العهد القديم (إصحاح الفصل:٤، فقرة: ٥).." [١]

"المبحث السابع

مذاهب وفرق معاصرة.

لعلي أقسم ما ذكره الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - من فرق وأديان إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأديان الشرقية.

١ - البراهمة.

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٦٧٤

قال الشيخ – رحمه الله –: "البراهمة: قيل: إنهم جماعة من حكماء الهند تبعوا فيلسوفا يسمى "برهام" فنسبوا إليه، وقيل: إنهم طائفة عبدت صنما يسمى "برهم" فنسب إليه.

وتطرف البراهمة فأحالوا أن يصطفي الله نبيا، ويبعث من عباده رسولا، وزعموا أن إرسالهم عبث، إما لعدم الحاجة إليهم اعتمادا على العقل في التمييز بين المفاسد والمصالح، واكتفاء بإدراكه ما يحتاج إليه العباد في المعاش والمعاد. وإما لاستغناء الله عن عباده، وعدم حاجته إلي أعمالهم، خيرا كانت أم شرا، إذ هو – سبحانه – لا ينتفع بطاعتهم، ولا يتضرر لمعصيتهم.

وقد تقرر عدم كفاية العقل في إدراك المصالح والمفاسد وحاجة العالم إلى الرسالة تحقيقا لمصالحهم، مع غنى الله عن الخلق وأعمالهم، فليس إرسالهم عبثا بل هو مقتضى الحكمة، وموجب فضله وإحسانه ورحمته بعباده، والله عليم حكيم.

إن إرسال الله الرسل ليس مستحيلا في نفسه، ولا عبثا حتى يجافي حكمة الله؛ بل هو جائز عقلا، داخل في نطاق قدرة الله الشاملة وإرادته النافذة؛ مع أن بعض البراهمة قد اعترف برسالة آدم، وآخرين منهم اعترفوا برسالة إبراهيم – عليه السلام –، وعندهم من البدع الشركية ووسائل الشرك والخرافات الشيء الكثير" (١).

---

(١) ينظر: مذكرة التوحيد (ص ٥٨ – ٥٩)، مجموعة ملفات الشيخ (ص ١٦٥ – ١٦٦)، فتاوى اللجنة (٢/ ٣٠٨، ٣٠٩)، تعليق الشيخ على الإحكام (١/ ١١٣)، **الحكمة من** إرسال الرسل (ص ١٦).." [١]

"القسم الثالث: من ينكرون المحسوسات.

– السوفسطائية.

قال الشيخ – رحمه الله –: " السوفسطائية: قيل إنها ثلاث فرق:

الأولى: عنادية، وهي التي تنكر حقائق الأشياء الحسية والعقلية وتكذب حسها وعقلها وترى ذلك وهما وخيالا.

الثانية: اللاأدرية: وهي التي تشك في حقائق الأشياء وتتردد فيها وتقول: لا أدري ألها وجود أو لا.

الثالثة: عندية: وهي التي ترى أن ليس للأشياء حقيقة ثابتة في نفسها، بل تتبع إدراك من أدركها وعقيدة من خطرت بباله، وهذه مذاهب باطلة بضرورة الحس والعقل، ومعنى السفسطة: الحكمة المموهة.

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٧١٦

وتطلق على نوع من الأدلة، وهو ما كانت مقدماته وهمية كاذبة أو شبيهة بالحق وليست به" (١).

وقال الشيخ - رحمه الله -: " ومنهم من ضعف عقله، وضاقت مداركه؛ فعميت عليه الحقائق، واشتبه عليه الأمر الواضح؛ فأنكر البديهيات، ورد الآيات البينات، بل منهم من انتهى به انحراف مزاجه وضعف عقله إلى أن ينكر ما تدركه الحواس؛ كالسوفسطائية" (٢).

والسفسطائيون فرقة ينكرون المحسوسات، وهم من أصناف الكفرة الذين قبل الإسلام، وهم فلاسفة اليونان وزعيمهم "بروتاجوراس" ولد سنة ٤٨٠ق. م، ونظريتهم تقوم على أنه ليس هناك وجود خارجي مستقل عما في أذهاننا، فيما يظهر للشخص أنه الحقيقة يكون هو الحقيقة له، فإذا رأى السراب ماء فهو عنده حقيقة ماء (٣).

---

(١) تعليق الشيخ على الإحكام (٢/ ٢٦)، ينظر: فتاوى بن تيمية (ج١٩)، وكتاب التوحيد (ص ٤٧).

(٢) الحكمة من إرسال الرسل (ص ١٧)، وينظر: مجموعة ملفات الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - (ص ١٦٦).

(٣) ينظر: التعريفات (ص ٦٣)، وكشاف اصطلاح الفنون، لمحمد علي التهانوي (٣/ ١٧٣)، والمعجم الفلسفي، لمجمع اللغة العربية القاهرة (١/ ٦٥٨)، معجم ألفاظ العقيدة (ص ٢٢٨ - ٢٢٩)، الموسوعة الميسرة (٢/ ١٧٠).." (١)

"٢٩٩ - حاشية العدوي، لعلي الصعيدي العدوي المالكي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ.

٣٠٠ - حاشية كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن قاسم، ط:٤، ١٤١٤ هـ.

٣٠١ - الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، لمحمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي-القاهرة، دار الرفاعي-الرياض، ط:٣، ١٤٠٤ هـ.

٣٠٢ - الحاكمية في تفسير أضواء البيان، لعبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، دار طيبة، الرياض، ط:١، ١٤١٢ هـ.

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٧٢٥

٣٠٣ – الحاوي في الفتاوى، لجلال الدين السيوطي، تصوير دار الكتاب العربي بلبنان، عن الطبعة المصرية.

٣٠٤ – حجة الله على العالمين، ليوسف بن إسماعيل النبهاني، تحقيق: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، ط:١، ٢٠٠٥ م.

٣٠٥ – الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لإسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: د. محمد بن ربيع المدخلي وآخر، دار الراية، الرياض، ط:١، ١٤١١ هـ.

٣٠٦ – الحدائق الوردية، لعبد المجيد بن محمد الخاني النقشبندي، تحقيق: د. عاصم كيالي، دار الكتب العلمية، ط:١، ٢٠١٠ م.

٣٠٧ – الحذر في أمر الخضر، لعلي بن سلطان القاري الهروي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط:١، ١٩٠٠ م.

٣٠٨ – الحركات الباطنية في الإسلام، لمصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط:٢، ١٩٨٠ م.

٣٠٩ – حركة الأرض ودورانها حقيقة علمية أثبتها القرآن، لمحمد علي الصابوني، دار وحي القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط:١، ٢٠٠٤ م.

٣١٠ – حزب البعث تاريخه وعقائده، لسعيد بن ناصر الغامدي. دار الوطن للنشر، الرياض، ط:١، ١٤١١ هـ.

٣١١ – حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي، حققه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١٨ هـ.

٣١٢ – الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين، لعبد الرحمن السعدي، مطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي، القسم الثالث، مركز صالح بن صالح الثقافي في عنيزة، ط: ٢، ١٤١٢ هـ.

٣١٣ – الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، لمحمود عبد الرؤوف القاسم، دار الصحابة، بيروت، ط:١، ١٤٠٨ هـ

٣١٤ – حكم الإسلام في الصور والتصوير، لدندل جبر، مكتبة المنار.

٣١٥ – **الحكمة من** إرسال الرسل، للشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، ط:٢، ١٤٢٠ هـ.

٣١٦ – الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى، للدكتور محمد ربيع المدخلي، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، ط:١، ١٤٠٩ هـ.

٣١٧ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٣، ١٤٠٠ هـ.

٣١٨ – حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبد الرزاق البيطار.

٣١٩ – الباعث على إنكار الحوادث والبدع، لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط:٣، ١٤٠١ هـ.

٣٢٠ – الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار، للدكتور غالب عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ١٤٢١ هـ.

٣٢١ – حياة الأنبياء بعد وفاتهم، لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د. أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط:١، ١٤١٤ هـ.

٣٢٢ – حياة الحيوان الكبرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٢٣ – خالص الاعتقاد لأحمد رضا خان البريلوي، طبعة لاهور.

٣٢٤ – حدائق بخشش، لأحمد رضا خان البريلوي، ديوان شعري، طبعة باكستان.

٣٢٥ – خبيئة الأكوان في افتراق الأم على المذاهب والأديان، لصديق حسن خان، طبع في مطبعة الجوائب، كانبور، ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٩ م، (في آخر لقطة العجلان).

٣٢٦ – الخديعة حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي، لمحمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط:١.

٣٢٧ – الخصائص الكبرى، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤٢١ هـ.

٣٢٨ – خصائص المصطفى – صلى الله عليه وسلم – بن الغلو والجفاء، لصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط:١، ١٤٢١ هـ.

٣٢٩ – خلاصة الأثر، للمحبي، دار صادر، بيروت.

٣٣٠ – خلق أفعال العباد، للإمام البخاري، تحقيق: بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، ط:١، ١٤٠٥ هـ.." (١)

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/٨٣٠

"بالتحاكم إليه فقال: {وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله} ١، وقال: {إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله} ٢.

واعتمد الشيخ رشيد -كجميع المسلمين- على كتاب الله تعالى، مصدرا أساسيا في استمداد وبحث مسائل العقيدة، والاستدلال عليها. فمهما وجد في كتاب الله دليلا على شيء منها أورده وقدمه على غيره من الأدلة. لأن الله تعالى إنما أنزل القرآن هداية للناس.

لقد اعتنى الشيخ رشيد ببيان **الحكمة من** إنزال القرآن وكونه أنزل هداية عامة للناس، وأورد الآيات والأحاديث التي تبين هذه الحكمة، وحمل على الذين اتخذوا قراءته هدفا وحرفة دون الاهتداء به ٣. وخلاصة ما قاله في ذلك: إن الله تعالى أنزل القرآن نورا وهدى للناس ليهتدوا به ويسعدوا في الدنيا والآخرة. قال: "والآيات في هذا المعنى كثيرة وكلها ناطقة بأن القرآن أنزل عبرة وتذكرة وشفاء لما في الصدور أي القلوب من أمراض الجهل بالله وبما على عباده من الحقوق" ٤. واحتج أيضا في تقرير هذا المعنى بالأحاديث الواردة في القرآن فقال وقد أورد عددا منها ٥:" وأما الأحاديث الواردة في القرآن فمنها ما ورد في حفظه وتعلمه وتعليمه وهذا مطلوب لأمرين:

أحدهما: فرض عيني وهو معرفة العقائد الصحيحة والآداب الكاملة وفقه الأعمال التعبدية، والدنيوية التي فصلت السنة كيفياتها وبينت صورها.

والثاني: فرض كفاية؛ وهو تبليغه بلفظه على الوجه الذي أدي إليه.." ٦.

---

١ سورة الشورى: الآية (١٠)

٢ سورة النساء: الآية (١٠٥)

٣ وللشيخ رشيد فتويان في ذلك: الأولى مطولة في مجلة المنار (٨/ ٢٥٨) والثانية مختصرة في = = التفسير (١/ ٤) وما بعدها

٤ مجلة المنار (٨/ ٢٦٠)

٥ انظر نفس المصدر والصفحة.

٦ نفس المصدر (٨/ ٢٦١)." [١]

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة؟ تامر محمد محمود متولي ص/١١٠

"ولما كانت هذه **الحكمة من** إنزال القرآن فقد تكفل الله تعالى بحفظه لحفظ هذه الهداية العامة والخاتمة، وقد تبدى هذا الحفظ في توثيق نص القرآن الكريم توثيقا منقطع النظير على مر الأيام والعصور، فالقرآن كما يقول الشيخ رشيد هو:"الكتاب الإلهي الوحيد الذي نقل بنصه الحرفي تواترا عمن جاء به بطريقي الحفظ والكتابة معا.." ١.

وفيما يتعلق بهذا الحفظ ترد شبهة نسخ بعض الآيات والتي وقع فيها الشيخ رشيد، ورفض القول بنسخ بعض الآيات، وسوف أتناول هذه المسألة بعد قليل.

وإذا كانت **الحكمة من** إنزال القرآن هي الاهتداء به فإن ذلك يتوقف على فهم معانيه. فما هو منهج الشيخ رشيد في هذا الصدد؟

بين الشيخ رحمه الله المنهج الواجب اتباعه في تفسير القرآن وبيان معانيه، فقال: إن هناك علوما لا بد منها في فهم هذا الكتاب كفنون العربية، واصطلاحات الأصول وقواعده الخاصة بالقرآن وقواعد النحو والمعاني، ومنها أيضا معرفة سنن الله تعالى في هذا الكتاب ٢. كل ذلك مما يعين على فهم معاني القرآن. ولكن الشيخ رشيد يحمل على بعض المفسرين الذين شغلوا قراءه عن مقاصده العالية وهدايته السامية، بمباحث الإعراب، وقواعد النحو ونكت المعاني ومصطلحات البيان، وكذلك ما يصرف عن هدايته من جدل المتكلمين وتخريجات الأصوليين وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض، كما أن بعضها صرف الناس عن هدايته بكثرة الروايات وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات ٣. وزاد بعضهم صارفا آخر عن هذه الهداية بما

---

١ الوحي المحمدي (ص:٨٤)

٢ انظر: تفسير المنار (١/ ٧)

٣ الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، والمراد بها هنا: الأخبار المروية عن كتب أهل الكتاب في التفسير والقصص والتاريخ والمواعظ. انظر: محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات (ص: ١٢- ١٣) ط مكتبة السنة - القاهرة، الرابعة سنة ١٤٠٨هـ وعمر حسن فلاتة: الوضع في الحديث النبوي (١/٣٣٠) مكتبة الغزالي، دمشق. ١٤٠١هـ." (١)

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة؟ تامر محمد محمود متولي ص/١١١

"بالإعراض عن تلاوتها وكتبها في المصحف ١، فتندرس على مر الأيام كسائر كتب الله القديمة التي ذكرها الله في كتابه في قوله: {إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى} ٢، ولا يعرف اليوم منها شيء ٣.

وأما ما احتج به الشيخ رشيد من وجوب ثبوت القرآن بالتواتر؛ فنعم، لكن ليس المقام مقام إثبات القرآنية، بل إثبات النسخ، وهو لا يحتاج إلى التواتر، على أنه متواتر كما ذكرت، ولا يقول أحد بقرآنية المنسوخ، وبصحة التعبد بقرآته، ليلزمه ذلك، فإثبات النسخ شيء وإثبات القرآنية شيء آخر ٤.

وأما طعنه في الأحاديث ـ ولو في الصحيحين ـ فهو تعد ومجازفة، وسوف أفصل وأرد على موقفه هذا في الكلام عن السنة كمصدر من مصادر التلقي ـ إن شاء الله ..

وأما **الحكمة في** ذلك ـ والتي خفيت على الشيخ رشيد ـ فقد بين العلماء بعضها ٥، ولا بد أنه يخفى على الجميع بعضها ـ فالله تعالى ذو الحكمة البالغة.

والذي ظهر لي والله أعلم ـ أن هذا يجري على سنة الله تعالى في الاختبار وامتحان المؤمنين، ليعلم الراسخين في العلم والإيمان ويتميز هؤلاء عن غيرهم من ضعاف الإيمان والعلم، قال تعالى: {وما أرسلنا من قبلك

---

١ وقد رفض النبي (أن يستكتب عمر رضي الله عنه آية الرجم، انظر: أحمد: المسند (١٨٣/٥) والنسائي: الكبرى (٢٧٠/٤/ ٧١٤٥) والحاكم (٤٠١/٤) وصححه وأقره الذهبي. وانظر: الألباني الصحيحة (٦/ ٩٧٤)

٢ سورة الأعلى: الآية (١٩)

٣ انظر: السيوطي: الإتقان (٧٥/٣)

٤ انظر: مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ط. المعارف، الرياض (ص:٢٣٨) والألباني: الصحيحة (٩٧٠/٦، ٩٧١)

٥ انظر: السيوطي: الإتقان (٧٢/٣)." (١)

"الموقف الأول: موقف الشيخ رشيد رضا الإيجابي من السنة:

أول نقطة في هذا الموقف الإيجابي: أن الشيخ رشيد يعتبر أن الدين الإسلامي له مصدران هما الكتاب

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة؟ تامر محمد محمود متولي ص/١٢٣

والسنة، خلافا لمن يقول إن الإسلام هو القرآن وحده ١، ويقول: "إن الدين تعليم وتربية كما قال تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم {يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة} ٢ والتعليم كان للآيات: الكتاب، والحكمة التي هي أسرار التنزيل وفلسفته ٣، والتزكية أي التربية كانت بالسنة وهي طريقته في الاهتداء والعمل بالقرآن على الوجه الذي تتحقق به **الحكمة منه** ولذلك قال تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر} ٤، والأسوة به القدوة في سيرته وأعماله ... " ٥. ويقول: "وليس في السنة شيء لا أصل له في القرآن، بل كان خلق صاحب السنة القرآن، ولكن لا نستغني بالقرآن عن السنة إلا إذا استغنينا عن كون الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة وأسوة لنا، وذلك فسوق عن هدى القرآن وإهمال لنصه ... " ٦.

---

١ انظر: مجلة المنار (٩/٩٢٥) وما بعدها، وذلك جوابا لطبيب صديق للشيخ رشيد رضا قال: إن الإسلام هو القرآن وحده، ونشر الشيخ رشيد مقالاته ونشر ردودا عليها. وقد أتى هذا الطبيب في مقالاته بالعجائب، منها اقتراح تخفيض عدد الصلوات وهيئتها. انظر: مجلة المنار (٩/٥١٥) ، وردود عليه (٦/٦١٠ و٦٩٩) ثم رد له (٩/٩٠٦) . وقد خفف رشيد رضا بلة الطين، بقوله هذا، إلا أن د. محمد مطر الزهراني يرى أنه "زاد الطين بلة" ولم أدري ما وجهه، وقد نقل هذا الكلام عن رشيد رضا بالواسطة من درجتين. انظر: محمد مطر الزهراني: تدوين السنة (ص: ٥٢) ط. مكتبة الصديق، الأولى، ١٤١٢هـ.

٢ سورة البقرة: الآية (١٥١)

٣ نسبة الفلسفة للتنزيل غير سديدة، وكلمة الحكمة قبلها تغني عن هذه.

٤ سورة الأحزاب: الآية (٢١) .

٥ مجلة المنار (٩/٩٢٨-٩٢٩) .

٦ المصدر السابق (٩/٩٢٩) .." (١)

"الذين طعن فيهم الشيخ رشيد، وأكتفي في الرد على هذه المسألة الأساسية، وهي رواية الصحابة عن مسلمة أهل الكتاب لأن في كلام الشيخ رشيد ومن تبعه اتهام للصحابة بالغفلة وبعدم الفطنة والتمييز.

الحكمة من رواية الصحابة الإسرائيليات:

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة؟ تامر محمد محمود متولي ص/١٢٨

لقد قال الله تعالى مخاطبا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومخبرا عن أهل الكتاب: {وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون} ١، وقد أدب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وعلمهم المنهج في الرواية عن أهل الكتاب فقال لهم: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بما أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون" ٢. أفبعد هذا يجوز لأحد أن يتهمهم بالبلاهة والسذاجة وعدم التمييز وبتصديق الكاذبين؟؟!

وفي ضوء الآية السابقة والحديث نستطيع القول: إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يستمعون لحكايات كعب ووهب ونحوهما، لا على سبيل التصديق بل على سبيل الاعتبار والاتعاظ، وليحمدوا الله تعالى على ما أنعم عليهم من الكتاب والحكمة، وبضدها تتبين الأشياء، والضد يظهر حسنه الضد، وتنقض عرى الإسلام إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية، {لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون} ٣.

---

١ سورة آل عمران: الآية (٧٨)

٢ انظر: أبو داود: السنن: ك: العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب، ح: ٣٦٤٤. وانظر أيضا البخاري: الصحيح: ك: التوحيد: باب ما يجوز من تفسير التوراة..ح: ٧٥٤٢ (١٣/ ٥٢٥ مع الفتح)

٣ سورة يوسف: الآية (١١١)." (١)

"علمه تعالى ولم يؤثر في إرادته ولم يحمله على شيء لم يكن ليفعله لولاه ... " ١.

ثم يبين الشيخ رشيد ـ بعد هذا التقرير ـ أن الشفاعة الواقعة من العامة وغيرهم ـ هي من جنس الشفاعة المنفية، فيقول: " ... ومن هذا التقرير يفهم أن ما عليه أكثر العامة من الاستشفاع بالأولياء وأصحاب القبور المعلومين والمجهولين لأجل دفع المكاره وجلب المنافع هو من النوع الأول الذي منعه الدين، ويخل بالاعتقاد الصحيح بالله تعالى ... " ٢.

ويقول: "وأما الشفاعة الثابتة في الأحاديث فهي غير هذه، ولا تنافي التوحيد وكون الشفاعة لله جميعا، وسيأتي بيانه ... " ٣. ثم يبين الشيخ رشيد ـ كما وعد ـ هذه الشفاعة الجائزة الثابتة بالشرع فيقول: "وأما

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة؟ تامر محمد محمود متولي ص/١٥٧

العفو وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فهي عبارة عن دعاء يدعو به يوم القيامة فيستجيبه الله تعالى له فالحكمة في الأول . يعني العفو . أن لا ييأس المسرف على نفسه ... والحكمة في الثاني . يعني الشفاعة . إظهار كرامة للشافعين، على أنهم لا يشفعون إلا بإذنه ولمن ارتضى ... " ٤.

فهذه حقيقة الشفاعة الثانية، فالشفعاء لا يؤثرون في إرادته تعالى فيحملونه على العفو عن المشفوع لهم، وإنما هي إظهار كرامة وجاه لهم عنده لا إحداث تأثير للحادث في صفات الله ٥.

وكذلك فإن الشفاعة الثابتة لا تنفع إلا الموحدين، كما يقول الشيخ رشيد: " ... وإن الشفاعة لا تنال أحدا يشرك بالله تعالى شيئا" ٦.

---

١ مجلة المنار (٧/ ٤٩٨ . ٤٩٩)

٢ المصدر نفسه والصفحة.

٣ تفسير المنار (١/ ١٢١)

٤ مجلة المنار (٢/ ٣٦ . ٣٧)

٥ تفسير المنار (٨/ ١٣)

٦ المصدر نفسه (٧/ ٢٧٣)." (١)

"المطلب الثاني: الكتابة:

أثبت رشيد رضا الكتابة الإلهية التي ترتبط مع العلم، في درجة واحدة، فقد عرفها رشيد رضا لغة وشرعا وبين علاقتها بالعلم ثم بين الحكمة من هذه الكتابة.

عرف رشيد رضا الكتابة فقال: "الكتابة عبارة عن ضبط العلم بالشيء، والعلم نفسه لا يتعلق بالأشياء تعلق إيجاد وتكوين وإنما يتعلق بها تعلق انكشاف وإحاطة، فلا إجبار ولا تحتيم، وإنما يكتب الشيء على ما يكون." (٢)

"المبحث السادس: الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى

انقسم الناس في هذه المسألة إلى فريقين: الأول: من نفى الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى، وهم

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة؟ تامر محمد محمود متولي ص/٥٣٧

(٢) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة؟ تامر محمد محمود متولي ص/٥٩٧

الفلاسفة والأشعرية. والثاني: من أثبت الحكمة والتعليل وهم السلف ومن وافقهم. فالفريق الأول وهم النفاة؛ الفلاسفة والأشعرية، يقولون: إن الله تعالى خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لا لعلة ولا لداع ولا باعث، بل إنه تعالى فعل ذلك لمحض المشيئة وصرف الإرادة ١. قال ابن سينا: "فما أقبح ما يقال من أن الأمور العالية تحاول أن تفعل شيئا لما تحتها ... وأن الأول الحق يفعل شيئا لأجل شيء وأن لفعله لمية" ٢.وقال شارحه: "وإنما سلب الغاية عن فعل الحق الأول جل جلاله مطلقا، لأن الفاعل الذي يفعل لغاية فهو غير تام ... " ٣. والغرض عندهم "أنه علة تامة بذاته، واحد لا كثرة فيه، ولا شيء قبله ولا معه ولا غاية لفعله، بل هو بذاته فاعل وغاية للوجود كله" ٤.

فالفلاسفة ينفون الحكمة في أفعاله تعالى لأنه تعالى كامل بذاته، ومن يفعل لغاية فهو غير كامل بذاته، بل يكون مستكملا بوجود تلك الغاية.

---

١ انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٤) [الإرادة والأمر]

٢ الإشارات (٣/ ١٥٠)

٣ الطوسي: شرح الإشارات (٣/ ١٥١)

٤ المصدر نفسه والصفحة.." (١)

"ويعرض الشيخ رشيد رضا هذه الآراء مشيرا إلى هذه المسألة ـ الحسن والقبح ـ بمسألتي الحكمة والتعليل، مشيرا إلى سبب افتراق المعتزلة والأشعرية في هذه المسألة وهو الغلو، فيقول: " غلت القدرية في مسألة الحكمة في الخلق والتكوين، والأمر والتشريع، وغلت الجبرية في مسألة المشيئة والإرادة، فهؤلاء جوزوا أن تخلو المشيئة عن الحكمة، وأولئك قيدوا مشيئة الرب بما يصل إليه أفهامهم من الحكمة، وإن كان كل منهما يؤمن بالصفتين كلتيهما.."١.

ثم يبين الشيخ رشيد أن النزاع في مسألة الحسن والقبح مبني على الخلاف في الحكمة والتعليل، مبينا مذهب الفريقين، قائلا: ".. ونزاعهم الطويل العريض في مسألة الحسن والقبح والتحسين والتقبيح مبني على ذلك، فالغلاة في إثباتها قالوا: إن في كل فعل يقع التكليف به فعلا أو تركا حسنا أو قبحا ذاتيا يعرف بالعقل ويأتي بالشرع كاشفا لحسن المأمور به، وبالنهي كاشفا لقبح المنهي عنه، ولا يكون شيء حسنا

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة؟ تامر محمد محمود متولي ص/٦١٣

بمجرد الأمر، ولا قبيحا بمجرد النهي، والغلاة في نفيها قالوا: لا حسن ولا قبح ذاتيا في شيء من الأشياء يكون مناط التكليف، وسببه وسبب ما يترتب عليه من الثواب والعقاب وإنما ذلك بالشرع وحده ... والقول الأول أقرب إلى المعقول والمنقول، ولكن وقع كثير من القائلين به في الإفراط والغلو ... " ٢.

ويظهر من هذا النقل أن الشيخ رشيد رضا يقول بالحسن والقبح العقلي. وهذا هو الواقع، فإن الشيخ رشيد يذهب إليه ويقول به صراحة ولكنه يشير إلى الفرق بين قول أهل السنة وقول المعتزلة المتفقين معا في هذه المسألة خلافا للأشعرية.

فأولا: يعرف الشيخ رشيد المعروف والمنكر، قائلا: "والمعروف ما تعرف العقول السليمة حسنه، وترتاح القلوب الطاهرة له، لنفعه وموافقته

١ تفسير المنار (٨/ ٥٤)

٢ المصدر نفسه (٨/ ٥٥)." (١)

"ولم يستجب لهم من الناس إلا أفذاذ أو أفراد، ثم ذهبت معهم دعوتهم، فاتخذت لنفسها مكانا معهم في أجداثهم، فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا؟.

وأين علوم الأنبياء من علوم الحكماء؟ لقد أتى الأنبياء بعلوم وحقائق مات بحسرتها الفلاسفة، وما بلغوا شيئا منها، وما أتوا إلا بجهالات وسفسطات. يقول الشيخ رشيد: " ... فمن أعظم مزايا الوحي الدينية على العلمية الكسبية أن جميع طبقات المؤمنين بها يذعنون لها بالوازع النفسي التعبدي، فبذلك تكون عامة ثابتة لا مجال للخلاف والتفرق فيها، ما دام الفهم لها صحيحا، والإيمان بها راسخا، ولذلك نرى الشعوب التي ساء فهمها للدين وتزلزل إيمانها به أو زال، لا ينفعها من دونه علوم العلماء ولا حكمة الحكماء، وقد ارتقت العلوم والحكمة في هذا العصر، وعم انتشارها بما لم يعرف مثله في عصر آخر، وهم لا يذعنون في أنفسهم لإرادة ملك أو أمير، ولا لرأي عالم نحرير، ولا فيلسوف شهير، ولا مشرع خبير، بل صاروا إلى فوضى في الأخلاق والآداب والاجتماع، واستباحة الأموال والأعراض، وكذا الدماء لم يعهد لها في البشر نظير، صارت بها الأمم والدول عرضة لفتنة في الأرض وفساد كبير ... " ١.

وبهذا يبطل رشيد رضا كل الشبه التي قد توجه إلى عدم حاجة البشر إلى الوحي، ويثبت أن هذه الحاجة

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة؟ تامر محمد محمود متولي ص/٦١٨

كانت شديدة، وأننا اليوم بحاجة إلى هداية الأنبياء ـ ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ـ فلا بد إذن من الرجوع إلى هديه والاهتداء برسالته، وهو ما ألف رشيد رضا كتابه "الوحي المحمدي" من أجله.

---

١ الوحي المحمدي (٥٥ ٥٦)." [١]

"والفساق ... وإننا نقول لمن يأخذون أقوال هؤلاء بالتسليم: إذا كانت الخوارق تقع على أيدي جميع طبقات الناس فلا يجوز الاستدلال بها على أن من تظهر على يديه محق في اعتقاده أو مرضي عند ربه ... " ١.

هذه الحالة التي وصل إليها مفهوم الولاية والكرامة حتى وصلت للشرك بالله تعالى هو الذي جعل الشيخ رشيد يعلن الحرب على خوارق الدجالين المشعوذين، ويتخذ مع مبحث الكرامات عموما موقفا متشددا. وهو ما نراه في المبحث التالي.

ثانيا: الكرامات:

لقد بحث الشيخ رشيد مسألة الكرامات ضمن المجلدين الثاني والسادس، وفي غيرهما من مؤلفاته. وقد حصر الكلام في هذه المسألة في النقاط التالية: حقيقتها، **والحكمة فيها**، حجج القائلين بجوازها ووقوعها، حجج المنكرين لها، ادعاء جميع الأمم لها، منفعة الاعتقاد بها ومضرته، وتمحيص الحقيقة فيما نقل من الكرامات.

وقد يبدو من سياق حديث الشيخ في المجلد الثاني ـ بادئ الرأي ـ أنه ينكر الكرامات أو على الأقل يرجح أدلة المنكرين، ولكن يحسن بنا أن نتريث حتى نصل إلى النهاية.

أ) ـ تعريف الكرامة:

عرف الشيخ رشيد الكرامة، فقال: "بأنها الأمر الخارق للعادة يظهر على يد العبد الصالح وهو من يقوم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد. والأمر الخارق للعادة إما أن يكون خرقه لها بمجيئه على خلاف سنن الكون المعروفة ونقيض ما تقتضيه، أو بكونه لم تعرف له سنة طبيعية يندرج فيها، وإن كان في الواقع ونفس الأمر مندرجا تحت ناموس طبيعي غير معروف عند كافة الناس. مثال الأول: العلم والتهذيب اللذين كان عليهما نبينا عليه

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة؟ تامر محمد محمود متولي ص/٦٨٦

١ المصدر نفسه والصفحة، وقارن مع ابن تيمية: الفرقان (ص: ٣٤) وما بعدها.." [(١)]

"قوله صلى الله عليه وسلم: "الأئمة من قريش" ١، ويقول: " وحسبنا من قوة حديث "الأئمة من قريش" من حيث الرواية قول الحافظ في فتح الباري عند ذكره في "المناقب" من صحيح البخاري ما نصه: "قد جمعت طرقه عن نحو أربعين صحابيا" ٢.... فمن علم هذا لا يلتفت إلى ما ذكره بعض أهل هذا العصر من تأويل تلك الأحاديث والبحث في أسانيد بعضها ... " ٣، هذا من حيث الراوية، وأما من حيث الدراية فبين رشيد رضا **الحكمة من** اشتراط هذا الشرط فيقول؛ بعد أن نقل آراء بعضهم: "فحكمة جعله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ خلافة نبوته فيها ـ يعني قريش ـ وسببه: أمران: الأول: كثرة المزايا التي تنتشر بها الدعوة، وتكون ـ بسبب طباع البشر ـ سببا لجمع الكلمة، ومنع المعارضة، والمزاحمة أو ضعفها، وكذلك كان، فإن الناس أذعنوا لهم على تنازلهم وكثرة من لم يقم بأعباء الخلافة منهم ولا أخذها بحقها ... والثاني: أن تكون إقامة الإسلام متسلسلة في سلاسل أول من تلقاها ودعا إليها ونشرها حتى لا ينقطع اتصال سيرها المعنوي والتاريخي، فإن الحقوق الخاصة من الملل والأمم وليدة التاريخ ... " ٤.

والذي دفع رشيد رضا إلى الوقوف عند هذا الشرط ـ وهو ما صرح به ـ محاولة البعض تصحيح خلافة بني عثمان ـ بينما يرى رشيد رضا أنها خلافة بالتغلب ـ وسيأتي بيان رأيه فيها ـ وشيء آخر لم يصرح به، وهو ما وقع في نفوس البعض من ملوك ذاك العهد وتطلعهم لشغل هذا

---

١ روي هذا اللفظ عن عدد من الصحابة. انظر: ابن حجر: فتح الباري (١٣/ ١٢٢ ـ ١٢٣) ، والهيثمي: مجمع الزوائد (٥/ ١٩١ ـ ١٩٢) ، وترجم البخاري بلفظ: الأمراء من قريش، إذ لم يصح على شرطه: الصحيح، ك: الأحكام، باب: الأمراء من قريش، والمعنى ثابت في أحاديث أخرى في الصحيحين: انظر: البخاري: ك: الأحكام، باب: الأمراء من قريش، ح: ٧١٣٩ ٧١٤٠، ومسلم: الصحيح، ك: الإمارة، ح: ١٨١٨ وما بعده.

٢ انظر: فتح الباري (٦/ ٦١٣)

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة؟ تامر محمد محمود متولي ص/٧٣٩

٣ الخلافة (ص: ٢٨)

٤ الخلافة (ص: ٣٠)." (١)

"الفصل الثالث: الساعة وأشراطها

تمهيد

...

تمهيد

لقد أخبر الله تعالى "بقيام الساعة" ولكنه استأثر بعلم وقت قيامها، إلا أنه تعالى من رحمته جعل لنا علامات نعرف بها قرب وقوعها وقيامها، فينتبه الغافل ويجد المتكاسل ويزيد العامل. وإلى هذا المعنى أشار قوله تعالى: {إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى} ١.

ولقد تحدث رشيد رضا عن الساعة فعرفها، وبين أن الله تعالى استأثر بعلم وقتها {لا يجليها لوقتها إلا هو} ٢ ورد كل محاولة لكسر هذا الحجاب، ولكنه غلا في ذلك حتى أنكر أشراطها لأنه - حسب رأيه - يؤدي إلى معرفة وقتها وذهاب **الحكمة من** إخفائه، وفيما يلي تفصيل ذلك.

---

١ سورة طه، الآية (١٥)

٢ سورة الأعراف، الآية (١٨٧)." (٢)

"**الحكمة من** تقديم الأشراط - ليس صحيحا على إطلاقه هذا، فإن من الناس من يوفقه الله تعالى للاعتبار، فإذا رأى من أشراط الساعة شيئا مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم تنبه من غفلته وقام من رقدته، وأصلح من شأنه، لا يألو جهدا في التوبة ولا يتوانى في الحوبة، كالمريض إذا ظهر له قرب أجله فإنه يسارع في الإحسان، وينظر لنفسه وورثته وأصحاب الحقوق عنده، وينقطع عن الدنيا إلى الآخرة. ومنهم من طبع الله على قلبه وتمكنت منه الغفلة فهو على حد قوله تعالى: {ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون} ١.

وأما الأشراط الكبرى وخوف الشيخ رشيد أن تتعارض مع ما تقرر من عدم علم أحد بالساعة إلا الله تعالى،

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة؟ تامر محمد محمود متولي ص/٧٨٧

(٢) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة؟ تامر محمد محمود متولي ص/٨٢٩

ومن أن العالم بهذه الأشراط يكون في مأمن من الساعة، فالجواب عنه أيضا من وجوه:

أحدها: أن يقال فيه ما قيل فيما قد سبق من صنفي الناس، فمنهم حي القلب، العالم الذي ينفعه ذلك، ومنهم دون ذلك.

الثاني: أن الله تعالى ورسوله قد أخبرا مع وجود الأشراط وظهور العلامات أن الساعة لا تكون إلا بغتة، كما قال تعالى: {لا تأتيكم إلا بغتة} ٢، فالعلم بأشراطها لا يورث العلم بوقوعها، ومع أن السنة قد بينت أن الساعة تكون في آخر ساعة من يوم الجمعة، فلا تكون في يوم آخر ولا ساعة أخرى، إلا أنها كذلك قد بينت أنها لا تكون إلا فجأة. ومما يؤيد هذا الوجه اختلاف أهل العلم في بعض الأشراط والعلامات هل وقعت أم لا، كاختلافهم في الدخان ٣، والمهدي هل هو عمر بن عبد العزيز أم

---

١ سورة هود، الآية (٣٤)

٢ سورة الأعراف، الآية (١٨٧)

٣ انظر: أبا عمرو الداني: السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، ت: رضاء الله المباركفوري (٥/ ٩٩٥ ـ ١٠٠٢) مع التعليق. وأيضا: (٥/ ١٠٠٣ ـ ١٠٠٩) مع تعليق المحقق، وانظر: عمر سليمان الأشقر: اليوم الآخر: القيامة الصغرى (ص: ٢٢١) وما بعدها، دار النفائس، السادسة ١٤١٥هـ.." (١)

"المطلب الثاني: موقف رشيد رضا من أشراط الساعة تفصيلا:

أولا: الدجال:

لقد أورد الشيخ رشيد على روايات الدجال إشكالات في المتن والسند، مجموعها خمسة، وخص حديث الجساسة بمزيد بحث في تسع نقاط ٢.

أما أحاديث الدجال فقال إنها مشكلة من وجوه:

أولها ما استشكله آنفا من كونها تنافي **الحكمة في** إنذار القرآن الناس بقرب قيام الساعة وإتيانها بغتة، وقد تقدم الرد على هذه الشبهة قبل قليل ٣، وأزيد هنا أن هذه الحكمة المشار إليها ليست بنص الشرع، بل هي مما استنبطه أهل العلم واجتهدوا فيه ٤، وهي لا تنافي حكما أخرى لم يصلوا

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة؟ تامر محمد محمود متولي ص/٨٣٩

٢ تفسير المنار (٩/ ٤٩٠ - ٤٩١) وسيأتي ذكر حديث الجساسة.

٣ انظر (ص:٧٧٢)

٤ من هؤلاء القرطبي: التذكرة (ص: ٧٣٢) ، والحليمي: المنهاج (١/ ٣٤٣) ، وابن حجر: فتح الباري (١١/ ٣٥٠)." (١)

"ويقول: " ... وإذا لم يكن في الصحيحين ولا في كتب السنة المعتمدة حديث صحيح مرفوع في صفة الميزان ولا في أن له كفتين ولسانا فلا تغتر بقول الزجاج أنه مما أجمع عليه أهل السنة ... " ١.

وما أدري ما السبب الذي جعل الشيخ رشيد يتخذ هذا الموقف المتشدد من الكفتين ولم لم يجر عليهما قاعدته في تفويض الكيفية التي يكررها دائما؟ إنهما كفتان تسعان السماوات والأرض فليست إذن كالمعهودة في الدنيا ٢.

ومهما يكن من شيء فإن الكفتين ثابتتان في السنة فقد روى أحمد ٣، والترمذي ٤، وابن ماجه ٥، حديث البطاقة الذي أشار إليه الشيخ رشيد، وفيه: "فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة ... "، فثبت بهذا أن للميزان كفتين كما ثبت بغيره من الأحاديث ٦.

وأما **الحكمة من** وزن الأعمال، فيقول الشيخ رشيد: "أنه يكون أعظم مظهر لعدل الرب تبارك وتعالى، أي ولعلمه وحكمته وعظمته في ذلك اليوم العظيم ... " ٧.

وقد اختلف أهل العلم فيما هو الموزون؟ فذهب بعضهم إلى أنه الأعمال نفسها وبعضهم إلى أنه الكتب التي كتبت فيها الأعمال، وبعضهم

---

١ تفسير المنار (٨/ ٣٢٢)

٢ انظر: القرطبي: التذكرة (٢/ ٣٧٨)

٣ المسند (٢/ ٢١٣)

٤ سبق تخريجه قريبا.

٥ السنن (٢/ ١٤٣٧، ح:٤٣٠٠) ، والحاكم: المستدرك (١/ ٤٧) وصححه وافقه الذهبي. وصححه أحمد شاكر كما سبق في حاشية رقم (٥) (ص:٨٠٣) وكذلك الألباني: الصحيحة (ح: ١٣٥) .

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة؟ تامر محمد محمود متولي ص/٨٤٠

٦ انظر: ابن أبي عاصم: السنة (٢/ ٣٦٢) ، وابن أبي العز: شرح الطحاوية (ص: ٦١٠) ت: الأرناؤوط.
٧ تفسير المنار (٨/ ٣٢١و ٣٢٤)." [١]

"٢- أسئلة في إفحام المشركين.

٣- الاحتجاج على المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية وإقرارهم بتوحيد الإلهية عند الشدائد.

٤- الدعوة عن طريق السؤال والجواب.

٥- أمثلة من البراهين العقلية على وحدانية الله.

٦- الاستدلال بالمتقابلات.

٧- ضرب الأمثال.

٨- الجدل.

٩- تعجيزهم عن الإتيان بدليل عقلي أو نقلي يقر عبادتهم.

أما الفصل الثالث: فقد تحدثت فيه عن توجيهات وتحذيرات القرآن للمشركين، ويشتمل على ما يلي:

١- الأمر الجازم بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه.

٢- الأساليب الخبرية في دعوتهم.

٣- الدعوة إلى التجرد من التقاليد الموروثة.

٤- استعمال الحكمة في دعوتهم.

٥- أسلوب القصة.

٦- الدعوة إلى الاعتبار بالسابقين.

٧- تذكيرهم بالنعم وتحذيرهم من النقم.

٨- الشرك خرافات وأوهام وفيه:." [٢]

"والتعب أثناء النهار، حتى إذا أخذت النفوس راحتها، وأخذت تتطلع إلى معاشها وعملها، جاء خالق الإصباح سبحانه وتعالى بالنهار، فبدد تلك الظلمة، وكشفها عن العالم، فإذا هم مبصرون، فيهرع الناس إلى أعمالهم ومصالحهم، وكذلك تخرج الحيوانات والطيور وغيرها إلى معاشها ومصالحها، فسبحانه من إله

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة؟ تامر محمد محمود متولي ص/٨٧٤

(٢) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام؟ حمود الرحيلي ٢٣/١

حكيم، لا إله غيره، ولا معبود بحق سواه.

قال ابن القيم: " ثم تأمل **الحكمة في** طلوع الشمس على العالم، كيف قدرة العزيز العليم سبحانه، فإنها لو كانت تطلع في موضع من السماء فتقف فيه، ولا تعدوه، لما وصل شعاعها إلى كثير من الجهات، لأن ظل أحد جوانب كرة الأرض يحجبها عن الجانب الآخر، وكان يكون الليل دائما سرمدا على من لم تطلع عليهم، والنهار سرمدا على من هي طالعة عليهم، فيفسد هؤلاء وهؤلاء، فاقتضت الحكمة الإلهية والعناية الربانية أن قدر طلوعها من أول النهار من المشرق، فتشرق على ما قابلها من الأفق الغربي، ثم لا تزال تدور وتغشي جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب، فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار، فيختلف عندهم الليل والنهار، فتنتظم مصالحهم "١.

كما تحدث نديم الجسر عن حركات القمر ومنازله وأنواره، وأحكام نظامه، وما في ذلك من الدلالة على عظمة الخالق، ثم عقب على

---

١ مفتاح دار السعادة ١/٢٠٩.." (١)

"٤- استعمال **الحكمة في** دعوتهم:

ولما كانت دعوة القرآن الكريم مبنية على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كما قال تعالى: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين} ١.

فقد أمر الله المؤمنين بأن لا يسبوا آلهة المشركين، مخافة أن يحمل هذا السب أولئك الجهلة على سب الله تعالى.

قال سبحانه وتعالى: {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون} ٢.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالوا يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا، أو لنهجون ربك، فنهى الله أن يسبوا أوثانهم، فيسبوا الله عدوا بغير علم٣.

---

(١) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام؟ حمود الرحيلي ١/٣٧٠

١ سورة النحل الآية: ١٢٥.

٢ سورة الأنعام الآية: ١٠٨.

٣ أسباب النزول للواحدي ص: ١٢٧، وتفسير ابن جرير ٣٠٩/٧، وتفسير ابن كثير ١٧٧/٢.." (١)

"المبحث الثاني: إنكار المشركين لليوم الآخر ومنهج القرآن في إثباته:

الحكمة من البعث:

لقد خلق الله الخلق لعبادته، وكلفهم بالعبودية له، فقال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} ١.

وبين تبارك وتعالى للناس طريق الخير، وطريق الشر، ليكونوا على بينة من أمرهم، ولما كانت الطبيعة البشرية فيها الاستعداد لقبول الخير والشر، كما قال تعالى: {ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها} ٢.

ولما كان الخالق الحكيم لم يخلق الناس عبثا، ولم يتركهم سدى، كما قال تعالى: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون} ٣.

وقال تعالى: {أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني

---

١ سورة الذاريات الآية: ٥٦.

٢ سورة الشمس الآيتان: ٧-٨.

٣ سورة المؤمنون الآية: ١١٥.." (٢)

"وقال تعالى: {أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون} ١.

لهذا كله، فإن الحكمة واضحة في أنه لا بد من حياة أخرى غير هذه الحياة، يحضر فيها الجميع بين يدي الخالق تبارك وتعالى لمجازاة المكلفين منهم بحسب كسبهم الإرادي الاختياري، الذي كسبوه في هذه الدنيا، لأن الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء، كما قال تعالى: {كل نفس ذآئقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور} ٢.

---

(١) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام؟ حمود الرحيلي ٤٨٧/١

(٢) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام؟ حمود الرحيلي ٥٧٧/٢

وقال تعالى: {زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير} ٣.

شبه منكري البعث:

ومع ظهور **الحكمة في** إعادة الحياة إلى الموتى للحساب والجزاء، فإن

---

١ سورة الجاثية الآية: ٢١.

٢ سورة آل عمران الآية: ١٨٥.

٣ سورة التغابن الآية: ٧.." (١)

"لكنه سبحانه وتعالى له **الحكمة فيما** يشاؤه ويختاره {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} ١.

وفي قوله: {وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل} ٢، أي: وما جعلناك يا محمد رقيبا تحفظ أقوالهم وأعمالهم لتحاسبهم بها، وتجازيهم عليها، وما أنت موكل على أمورهم وأرزاقهم، وإنما عليك البلاغ، والله هو الذي يتولى حسابهم.

ومن هنا نفهم أنه ينبغي للداعية أن يوجه اهتمامه للذين استجابوا للدعوة، لأنهم في حاجة إلى بناء كيانهم كله على قاعدة العقيدة الصحيحة، أما الذين يقفون في الجانب الآخر، فإن الداعية إلى الله يكتفي بمجادلتهم بالتي هي أحسن، بعد إبلاغهم الدعوة وبيان الحق لهم.

ثم فإن الله تعالى سيجري سننه في خلقه، حيث يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

هذا وقد وردت آيات بينات، تؤكد أن الذي نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي وما فيه من قصص وأخبار عن السابقين، إنما هو تنزيل من رب العالمين، على الرسول صلى الله عليه وسلم

---

١ سورة الأنبياء الآية: ٢٣.

٢ سورة الأنعام الآية: ١٠٧.." (٢)

---

(١) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام؟ حمود الرحيلي ٥٨٠/٢

(٢) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام؟ حمود الرحيلي ٦٥٠/٢

"قال القفال: "**والحكمة في** وقوع التحريم على هذا الترتيب، أن الله تعالى علم أن القوم كانوا ألفوا شرب الخمر، وكان انتفاعهم بها كثيرا، فعلم الله أنه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم، فلا جرم استعمل في التحريم هذا التدرج وهذا الرفق"١.

٩- الربا:

الربا لغة: الزيادة، يقال: ربا المال يربو ربوا، إذا زاد وارتفع٢.

وهو في الشرع: الزيادة على أصل المال من غير عقد تبائع٣.

وقد كان هذا الوباء منتشرا في الجاهلية إنتشارا واسعا، ولا ريب أن لليهود الذين سكنوا الجزيرة العربية اليد الطولى في انتشار هذا الداء بينهم، فاليهود هم الذين {قالوا ليس علينا في الأميين سبيل} ٤.

والربا قسمان٥:

١-ربا النسيئة.

٢-وربا الفضل.

---

١ التفسير الكبير للفخر الرازي ٤٠/٦.

٢ انظر: النهاية لابن الأثير ١٩١/٢، والمفردات للأصفهاني ص: ١٨٧.

٣ النهاية لابن الأثير ١٩/٢.

٤ سورة آل عمران الآية: ٧٥.

٥ انظر فقه السنة لسيد سابق ١٣٥/٣.." (١)

"من الكافر الإيمان وإن لم يقع إلا الكفر، إن وقع، وكذا أراد من الفاسق الطاعة لا الفسق، حتى زعموا أن أكثر ما يقع من عباده على خلاف مراد الله، تعالى عن ذلك.

وظاهر عقيدتهم إرادة تنزيه الله تعالى، ولكننا سنعرف عندما نعرض لآراء أهل السنة، كم أخطأوا وشذوا، لأنهم لم ينتبهوا إلى التمييز بين الأمر والرضا والمحبة إذ الأخيرة لا تكون إلا في الخير، ولكن الإرادة قد تكون في غيره فهي تتعلق بكل ممكن كما يذكر ابن تيمية. قال الله تعالى: (ولا يرضى لعباده الكفر) [الزمر، الآية: ٧] ، (إن الله لا يأمر بالفحشاء) [الأعراف، الآية: ٢٨] فإن قيل، قد قال الله تعالى (يريد الله بكم

---

(١) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام؟ حمود الرحيلي ٧٩٢/٢

اليسر ولا يريد بكم العسر) [البقرة، الآية: ١٨٥] وقال: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) [الإسراء، الآية: ١٦] ، فالمقصود هنا أن الإرادة التي تعنيها هي الإرادة الكونية المتصلة **بالحكمة من** خلق العالمين.

وأما الإرادة الدينية المتصلة بالأوامر الشرعية فهي ترادف الرضا والمحبة.

وربما يلخص لنا موقف المعتزلة عبارة القاضي عبد الجبار في قوله: (سبحان من تنزه عن الفحشاء) ، بينما يعبر عن اتجاه أهل السنة والجماعة رد أبي إسحاق السفاريني "سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء) (١) وللقارئ مزيد إيضاح: الإيمان بالقدر وعلاقته بالإرادة الإنسانية:

من أفضل ما نستهل به هذا الموضوع، هو إجابة السؤال الذي وجه إلى جعفر الصادق رضي الله عنه عندما سئل عن قول الله تعالى: (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) [المؤمنون، الآية: ١١٥] لم خلق الله الخلق؟

فأجاب: لأن الله كان محسنا بما لم يزل فيما لم يزل، فأراد الله أن يفيض إحسانه إلى خلقه وكان غنيا عنهم، لم يخلقهم لجر منفعة ولا لدفع مضرة، ولكن خلقهم وأحسن إليهم فأرسل إليهم الرسل ليفصلوا بين الحق والباطل فمن أحسن كافأه الجنة ومن عصى كافأه النار (٢) .

ويشرح "ابن القيم" أنواع الابتلاءات التي يتعرض لها الإنسان أثناء حياته في

---

(١) شرح عقيدة السفاريني ص ٢٣١: ٢٣٢.

(٢) ابن تيمية: شرح حديث النزول ص ١٥٩ منشورات المكتب الإسلامي ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.." (١)

"فهو خليفة الخالق على الأرض، ولعل هذا هو عين ما يعنيه القديس بول بقوله: (ان للإنسان نشأة مقدسة) .

ويتفق ما وصلت اليه العلوم حول وجود الله مع ما جاء في الكتب السماوية من ان الانسان يحصل على العلم بطريقين: البصر والبصيرة. اما البصر فهو ما نتعلمه في حياتنا، وما نكتسبه عن طريق حواسنا من الخبرة بأمور الحياة، وأما البصيرة فهي ذلك النور الذي يفرغه الله في قلوبنا فيكشف لنا به ما لم نعلم (١) . وكذلك الحال فيما يتصل بالايمان بوجود الله، اذ لابد ان يقوم أولا على البصر وملاحظة ظواهر كتلك التي

---

(١) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين؟ مصطفى حلمي ص/٩٧

أشرنا اليها سابقا، ثم نلتجئ بعد ذلك إلى الله لكي يكمل ايماننا ويدعمه.

ان رجال العلوم يعتمدون على التجربة، وأنا مقتنع بوجود الله اعتقادا يستند إلى أدلة تجريبية، ولكنها تجارب شخصية صرف، ومع ذلك فهي أقوى لدي من كل دليل، وأشد إقناعا لي من أي برهان رياضي. لقد لمست هذا الدليل في نفسي منذ اثنتين وثلاثين سنة عندما كنت بحجرتي في القسم الداخلي بجامعة كورنل يوم جاءني البرهان وأغدق الله على قلبي نور الإيمان. لقد أصبح الله لدي أكبر من كل ما سواه حتى انني أرضى ان افقد كل شيء في هذا الوجود، ولا أرتد إلى حالتي السابقة.

لقد كان هو سبحانه صاحب الفضل في هذا البرهان، فهو الذي أنزله على قلبي وجعلني اعتقد في وجوده.

---

(١) - (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب) سورة البقرة، آية: ٢٦٩.." (١)

"وتمحصيها حتى يثق بصحة ما جاءت به في كثير من المواطن (١) . وقد تحقق كثير من نبوءتها بكل دقة بعد قرون عديدة، ولم يثبت خطؤها في اي أمر تاريخي أو جغرافي. حقيقة ان هنالك بعض المواطن التي لم يحط بها علمنا بعد، جعلت تلك الكتب تتعرض لبعض النقد الهدام، ولكنه نقد يتناسب مع عظم رسالتها وخطورتها. ولو أننا حللنا ذلك النقد، لا تضح لنا ان معظمه يرجع إلى نقص في معلوماتنا أو عجزنا عن الإحاطة ببعض الأمور والأسرار الكونية.

وكما ان الايمان بمعناه الواسع، يعتبر امرا ضروريا وجزءا طبيعيا بالنسبة لوجود الإنسان، فان الايمان بالله يعد كذلك لازما لاكتمال وجود الانسان وتمام فلسفته في الحياة، وبرغم ان بعض ميادين الخبرة الانسانية غير مادي، فانها ميادين حقيقية لا شك في امرها، ويترتب عليها نتائج هامة في حياة الانسان، وقد لمس مئات الآلاف من الرجال الأذكياء ذوي الشخصيات السليمة المتزنة نتائج الاتصال بالله والاخلاص في عبادته، لمسوا هذه النتائج في أنفسهم. وكان ايمانهم بالله سببا في قضاء حاجاتهم النفسية والانفعالية والروحية بطرق لا تستطيع ان تحيط بكنهها عقولهم، بل عقول البشر جميعا.

ويسلم كثير من الناس تسليما منطقيا بوجود الغاية أو الحكمة من وراء الظواهر الطبيعية. ولا شكل ان اعتقا وجود اله خالق لكل الاشياء يعطينا تفسيرا بسيطا سليما واضحا عن النشأة والابداع والغرض أو الحكمة،

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم؟ مجموعة من المؤلفين ص/١٣٤

ويساعدنا على تفسير جميع ما يحدث من الظواهر، اما النظريات التي ترمي إلى تفسير الكون تفسيرا آليا فانها تعجز عن تفسير كيف بدأ الكون، ثم ترجع ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الاولى إلى محض المصادفة،

---

(١) – ومن أروع ما جاء في القرآن في هذه الصدد قوله تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) سورة النساء، آية: ٨٠.." (١)

"وله معرفة بتأويل النصوص وإخراجها عن معانيها الظاهرة إلى المعاني الباطنة، وأن لا يبدأ بالمخالفة للمدعو بل يوافقه ثم يستدرجه بعد ذلك على حسب الخطط الباطنية إذا تفرس فيه القبول.

الحيلة الثانية:

وهي التأنيس: والمراد بها الوصول إلى قلب المدعو واستمالته بلطف الحديث وذكر بعض الآيات والأحاديث والأشعار، وبحث جوانب من الأمور اليومية، وإلقاء خطب ومواعظ، ويظهر له كل أمر يزيد في الأنس بينهما ويقرب بين الأفهام.

الحيلة الثالثة:

هي التشكيك: وهي أن يسأل الداعي المدعو عن مسائل في أمور الدين، وهي مسائل يعجز المدعو عن الإجابة عنها لجهله، وذلك أن الدعاة الباطنيين يركزون دعوتهم في العوام.

وأيضا لأن بعض تلك المسائل تعبدية قد لا تعرف **الحكمة فيها**، كأن يسأله عن متشابه القرآن، ومسائل يعجز المدعو عن الإجابة عنها لجهله، وذلك أن الدعاة الباطنيين يركزون دعوتهم في العوام.

وأيضا لأن بعض تـلك المسائل تعبدية قد لا تعرف **الحكمة فيها**، كأن يسأله عن متشابه القرآن، ومسائل فقهية: لم أمر بالغسل من المني، ومن الغائط والبول بالوضوء وهما أغلظ نجاسة؟ ولم أمرت الحائض بقضاء الصوم دون الصلاة وهما واجبان على السواء، ولم كانت أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة؟ وعن رمي الجمار، والإحرام، والطواف، وعن الحروف التي في أوائل." (٢)

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم؟ مجموعة من المؤلفين ص/١٣٧

(٢) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها؟ د. غالب بن علي عواجي ٢/٥٠٥

"كالتلاميذ له، وكانوا خلفا جيدا للغلام وجيدا للاستعمار البريطاني، ولكن بريطانيا لم تقدم على دعمهم دعما كاملا، ولم تدع إلى نبوتهم كما دعت إلى نبوة الغلام؛ لئلا يستهين الناس بالقادياني؛ فتبطل دعواه النبوة وينفر الناس عنها كما تقدم.

هؤلاء هم أشهر زعماء القاديانية، وهناك مئات من الزعماء الأشقياء لهذه الفرقة الضالة، وقد خذلهم الله في أماكن كثيرة وانبرى لهم أتباع محمد صلى الله عليه وسلم يردون عليهم ويبينون خروجهم عن الإسلام ويحذرون منهم، مما جعل القاديانيين يتتبعون بدعوتهم الديار النائية للمسلمين ومن تكثر بينهم الأمية، وقد نجحوا في دعوتهم بينهم.

والحرب بين قوى الخير وقوى الشر من الأمور التي لا تنتهي بين البشر، ولله **الحكمة في** ذلك والحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار.

{ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب} سورة آل عمران:٨

* * * * * * * * * * * * * * * * * ** ". (١)

"الاتصاف بالله وتهوين الفاحشة:

ذكر الفوتي أن أحد المريدين طلب من شيخه أن يدله على الله فقال له: اتصف بصفة من صفات الله تعالى، فاختار الصدق، ثم ارتكب جريمة زنا، وحين سأل أجاب بقوله: نعم، فسجنه الوالي لظنه أنه مجنون، فشفع فيه بعضهم فأخرج من السجن بفضل صدقه كما يزعم.

وقد صاغها الفوتي بأسلوب مزخرف مطول يهون الجريمة بدلا من التنفير عنها (١) ، وذكر الفوتي في رماحه قصصا كثيرة جدا كلها تهدف إلى طاعة المشائخ طاعة عمياء، لا اعتراض ولا جدال، حتى ولو أمر الشيخ المريد بفعل الفواحش وقتل النفوس فعليه التنفيذ، لأنه لا يعرف **الحكمة من** وراء ذلك إلا الشيخ.

منها: أن بعض المشائخ أمر مريدا له بقتل والده، فجاء المريد بالليل ووالده عند أمه فاحتز رأسه وجاء به إلى الشيخ، فلما عرف صدق إيمان المريد كشف له عن الرأس، فإذا هو ليس والد المريد وإنما كان علجا في حال غياب أبيه، جاء الشيخ الوحي بذلك.

ثم ذكر قصصا كثيرة حول هذه الطاعة، ثم عقب بذكر قصص أخرى تفيد أن التلميذ لا ينبغي أن يشك في

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها؟ د. غالب بن علي عواجي ٢/٨٤٥

شيخه حتى ولو رآه يشرب الخمر ويزني ويقتل النفوس، وقد دخلت على أحد المشائخ امرأة ولكنها الدنيا تصورت في صورة امرأة ثم دخلت عليه.

إلى آخر ما ذكر من أمثال هذه الفواحش بأسلوب سافر لم أذكره بنصه، لأولئك الذين سماهم أولياء، والذين قال عنهم بعد ذلك:

---

(١) ص ١١٤.." (١)

"والأصلح: كلمة توحي بأعمق من الصلاح، وقوة القرب من الخير والنفع.

والمعتزلة تؤكد أن الله تعالي لا يفعل بعبادة إلا الصلاح وما فيه نفعهم وجوبا عليه جلا وعلا، لأنه إذا لم يفعل ذلك كان ظلما لهم ونقصا مما فيه صلاحهم، بل وخلاف **الحكمة في** إيجاده لهم إذا لم يعنهم على ما كلفهم به، حسب ما يرى المعتزلة من الواجبات التي افترضوها على الله تعالى.

الرد عليهم:

أمر الله وأرشد عبادة إلى أن يفعلوا كل ما فيه صلاحهم، وأن مرد ذلك يعود إليهم هم، وأن الله تعالى لا تضره معصية العاصي ولا تنفعه طاعة المطيع، وقد كتب الله على نفسه الرحمة تفضلا منه، وحرم الظلم عدلا منه.

والله تعالى يفعل بعباده الأصلح لهم، ولكن لا يجوز القول بالوجوب عليه جل وعلا على سبيل المعاوضة كما هو الحال بين المخلوقين.

فإن العباد لا يوجبون عليه شيئا وإنما هو الذي أوجب على نفسه تفضلا منه وكرما، لا أنه يجب عليه فعل الصلاح والأصلح بمفهوم المعتزلة الذي فيه إقامة الحجة عليه إن لم يفعل بهم ذلك، فإنه حسب معتقد هؤلاء يحق للكافر أن يقول: يا رب أنت خلقتني ورزقتني ومكنتني من الكفر حتى مت كافرا، فلم أقدرتني على ذلك، ولم تعاملني بالأصلح كغيري من الناس الذين ماتوا على الإسلام؟

ويحق كذلك لمن كانتا درجته نازلة في الجنة أن يقول: لما لم تمكني من الأعمال التي توصلني إلى ما

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها؟ د. غالب بن علي عواجي ٩٢٧/٣

وصل إليه غيري من الدرجات العلى؟

ومذهب أهل السنة هو الحق، فلا إيجاب على الله إلا ما أوجبه على نفسه." (١)

"وجها على فرس أبلق١ ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، قال: "أسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم"٢.

فهذه الأحاديث صرحت بمشاركة الملائكة في قتال المشركين يوم بدر قال العلامة ابن القيم: "وكانت الملائكة يومئذ تبادر المسلمين إلى قتل أعدائهم"أ. هـ٣.

وإمداد الله ـ تعالى ـ لهم بالملائكة لم يكن دفعة واحدة بل كان بالتدريج "قال الربيع بن أنس: أمد الله المسلمين يوم بدر بألف، ثم زادهم فصاروا ثلاثة آلاف، ثم زادهم فصاروا خمسة آلاف، قال الحافظ ابن حجر: وكأنه جمع بذلك بين آيتي آل عمران والأنفال"٤.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى **الحكمة في** قتال الملائكة مع الصحابة في بدر فقال: قال الشيخ تقي الدين السبكي: "سألت عن **الحكمة في** قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه؟ فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله ـ تعالى ـ في عباده، والله تعالى هو فاعل الجميع والله أعلم"٥.

وفيما قدمنا من الآيات القرآنية إثبات لفضل تلك الفئة المؤمنة من البدريين وكما ثبت فضلهم بنص القرآن الكريم كذلك ورد في إثبات فضلهم الكثير من الأحاديث النبوية الصحيحة ومنها ما يلي:

١ـ قال في اللسان البلق: الدابة، والبلق سواد وبياض وكذلك البلقة: بالضم ـ ٢٥/١٠.

٢ـ المسند ١١٧/١.

٣ـ زاد المعاد ١٨٣/٣.

٤ـ فتح الباري ٣٣/٧، وانظر: جمع قتادة بين الآيتين في جامع البيان ٧٨/٤.

٥ـ فتح الباري ٣١٣/٧.." (٢)

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها؟ د. غالب بن علي عواجي ١١٨٥/٣

(٢) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ١٧٤/١

"وقال الحافظ ابن كثير: "وقوله تعالى: {إن الله كان لطيفا خبيرا} أي: بلطفه بكن بلغتن هذه المنزلة بخبرته بكن وأنكن أهل لذلك أعطاكن ذلك وخصكن بذلك١.

فالآية تضمنت مكانة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كلهن جميعا حيث شرفهن الله بتلاوة آيات الله والحكمة في مساكنهن وذلك دليل على أنهن جليلات القدر رفيعات المنزلة.

٦- ومن المناقب العامة التي شرف الله بها الصحابة من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إخباره تعالى أنه طهرهم من الرجس تطهيرا، ونوه بذلك في محكم كتابه الكريم قال تعالى: {وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا} ٢.

هذه الآية شاملة لجميع أهل بيته عليه الصلاة والسلام من الصحابة ذكورا وإناثا ولا يخرج عنها فرد منهم وكلهم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم منه تطهيرا وقد اختلف المفسرون في معنى "الرجس" على أربعة أقوال:

فقيل: الإثم. وقيل: الشرك. وقيل: الشيطان.

وقيل: الأفعال الخبيثة والأخلاق الذميمة، فالأفعال الخبيثة: كالفواحش ما ظهر منها وما بطن، والأخلاق الذميمة: كالشح والبخل والحسد وقطع الرحم٣.

وقال البغوي رحمه الله تعالى: "أراد بالرجس: الإثم الذي نهى الله النساء عنه قال مقاتل: وقال ابن عباس: يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا وقال

---

١. تفسير القرآن العظيم ٥/٤٥٩.

٢. سورة الأحزاب آية/٣٣.

٣. أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٥٣٧، زاد المسير لابن الجوزي ٦/٣٨١.." (١)

"فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون"١.

ففي هذين الحديثين بيان أن عمر رضي الله عنه لم يعهد بالخلافة من بعده إلى واحد بعينه وإنما جعلها شورى في الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، وقد التمس بعض أهل العلم

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ٣٣٨/١

وجه **الحكمة من** جعل عمر الأمر شورى بين الستة دون أن يعين واحدا.

فقد قال ابن بطال: "إن عمر سلك في هذا الأمر مسلكا متوسطا خشية الفتنة فرأى أن الاستخلاف أضبط لأمر المسلمين فجعل الأمر معقودا على الستة لئلا يترك الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، فأخذ من فعل النبي صلى الله عليه وسلم طرفا وهو ترك التعيين، ومن فعل أبي بكر طرفا وهو العقد لأحد الستة وإن لم ينص عليه"أ. هـ٢.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وأما عمر رضي الله عنه فرأى الأمر في الستة متقاربا فإنهم وإن كان لبعضهم من الفضيلة ما ليس لبعض فلذلك المفضول مزية أخرى ليست للآخر ورأى أنه إن عين واحدا فقد يحصل بولايته نوع من الخلل فيكون منسوبا إليه فترك التعيين خوفا من الله ـ تعالى ـ وعلم أنه ليس واحد أحق بهذا الأمر منهم فجمع بين المصلحتين بين تعيينهم إذ لا أحق منهم وترك تعيين واحد منهم لما تخوفه من التقصير، والله تعالى قد أوجب على العبد أن يفعل المصلحة بحسب الإمكان فكان ما فعله غاية ما يمكن من المصلحة وإذا كان من الأمور أمور لا يمكن دفعها فتلك لا تدخل في التكليف وكان كما رآه فعلم أنه إن ولي واحدا من الستة فلا بد أن يحصل نوع من التأخر عن سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأن يحصل بسبب ذلك مشاجرة كما جبل الله على ذلك طباع بني آدم، وإن كانوا من أولياء الله المتقين، وذكر في

---

١. صحيح البخاري ٤/٢٤٥-٢٤٦.

٢. فتح الباري ١٣/٢٠٧.." (١)

"الميراث ومخرج له عليه السلام منها إما وحده أو مع غيره من إخوانه الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام"١.

فلا سبيل للرافضة، للطعن على أبي بكر بقضية توريث فاطمة رضي الله عنها مما أفاء الله على رسوله من مال فدك والنضير وخيبر حيث: "إنه لما كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يرى أن فرضا عليه أن يعمل بما كان يعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلي ما كان يليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال: "وإني والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيه إلا صنعته"٢، وهذا هو

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ٢/٦٥٤

الحكم المصحوب بالصواب والسداد، وهو الحكم الذي ارتضته فاطمة رضي الله عنها وسلمت به عندما اعتذر لها الصديق بعذر يجب قبوله، وهو ما رواه عن أبيها صلى الله عليه وسلم في هذه القضية، فقالت له: "فأنت وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم"٣، وهذا هو الصواب والمظنون بها وما يليق بأمرها وسيادتها وعلمها ودينها رضي الله عنها.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى **الحكمة في** عدم توريث الأنبياء كغيرهم من الناس، فقال: "والفرق بين الأنبياء وغيرهم أن الله تعالى صان الأنبياء عن أن يورثوا دنيا لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وورثوها لورثتهم، وأما أبو بكر الصديق وأمثاله فلا نبوة لهم يقدح فيها بمثل ذلك، كما صان الله تعالى نبينا عن الخط والشعر صيانة لنبوته عن الشبهة وإن كان غيره لم يحتج إلى هذه الصيانة"٤.

ومما هو جدير بالتنبيه عليه أن أئمة أهل البيت اعترفوا بصحة ما حكم به أبو بكر فيما أفاء الله به على رسوله صلى الله عليه وسلم وأيدوه على ذلك، فهذا علي رضي الله عنه "قد تولى الخلافة بعد ذي النورين عثمان" وصار فدك وغيرها تحت

---

١. البداية والنهاية ٥/٣٢٥-٣٢٧.

٢. رواه الإمام أحمد في مسنده ١/١٠.

٣. المصدر السابق ١/٤.

٤. منهاج السنة ٢/١٥٧-١٥٨.." (١)

"وهذا الطعن قد يكون منشؤه قياسهم قصص القرآن بالقصص الأدبية التي يؤلفها البشر، ولكنهم لو نظروا إلى العظات والعبر التي في القصة الواحدة والتي تختلف من موضع لآخر، وأنه قد يذكر في موضع غير ما ذكر في المواضع الأخرى من نفس القصة، لعرفوا السر في هذا التكرار وأن فيه فوائد ولما كان مطعنا في رأيهم.

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن هذا المطعن بما فيه الكفاية والإقناع لمن أراد الحق وتجرد عن الهوى؛ حيث يقول في كلامه عن قصة موسى: "وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ٣/٩٩٤

القرآن يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الآخر كما يسمي الله رسوله وكتابه بأسماء متعددة كل اسم منها يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر، وليس في هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات ... وليس في القرآن تكرار أصلا، وأما ما ذكره بعض الناس من أنه كرر القصص مع إمكان الاكتفاء بالواحدة، وكان **الحكمة فيه** أن وفود العرب كانت ترد على رسول صلى الله عليه وسلم فيقرؤهم المسلمون شيئا من القرآن فيكون ذلك كافيا، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الآيات والقصص متناثرة متكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى قوم وقصة نوح إلى قوم، فأراد الله أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض، وأن يلقيها إلى كل سمع، فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره"[1] انتهى باختصار.

وإنني في هذا الفصل لن أتكلم عن قصص القرآن من جهة السرد التاريخي لما جرى لكل رسول مع قومه، كما أنني لن أتكلم عن كل أهداف القصص القرآني، لأن ذلك يطول بي البحث حيث أن قصة واحدة من قصص الرسل، وهدفا واحدا من أهداف القصص القرآني كفيل بأن يستغرق مئات الصفحات وليس

---

١ الفتاوى ١٩/١٦٦ - ١٦٧.." (١)

"٣- مناسبتها لجميع فئات الناس

سلك القرآن الكريم في الاستدلال على عقيدة التوحيد والإقناع بها مسلكا سهلا واضحا يستفيد منه جميع الناس على اختلاف مداركهم، ويفهم كل منهم أدلة القرآن حسب طاقته من التفكير.

إنه منهج يوافق العامة وفيه ما يناسب الخاصة، ولئن كان علماء النفس والاجتماع يقررون أن اختلاف مستويات الناس يوجب **الحكمة في** مخاطبتهم وإيصال المعلومات إليهم لجذبهم إلى المبدأ، فإن القرآن الكريم قد سبقهم في ذلك وإيراده عمليا في ثنايا آياته؛ لأن البشر تختلف طبائعهم وتتباين نزعاتهم، فكان يخاطب جميع الناس بحسب طبائعهم الفطرية وميولهم واستعداداتهم، ولذلك كان منهج القرآن أقوى حجة وأشد إقناعا من أي منهج بشري؛ لأن طبيعة القرآن لا تعبر عن نفسية بشرية ولا تمثل اتجاها بشريا معينا ولا هي متأثرة بمؤثرات زمنية عارضة، إنها طريقة القرآن الذي جاء لرد الناس إلى توحيد الله على اختلاف طبائعهم وميولهم، لذلك كانت طريقة مناسبة لكل أحد، إنها الطريقة الوحيدة البريئة من الأهواء والرغبات

---

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم؟ محمد خليل ملكاوي ص/١٩٠

البشرية وليست محدودة بحدود العقل البشري كما هو الحال في غيرها من الطرق.

إننا لن نجد في غير طريقة القرآن ما يعلم الجاهل وينبه الغافل ويرضي نهم العالم، فقوله تعالى: {ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر} ١، وقوله تعالى: {فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب} ٢، هذا الدليل على وحدانية الله تعالى يناسب

---

١ سورة المؤمنون آية ١٢-١٤.

٢ سورة الطارق آية ٥-٧.." (١)

"فأخبر سبحانه أن **الحكمة من** خلق الجن والإنس: هي قيامهم بعبادة الله، والله غني عن عبادتهم، وإنما هم المحتاجون إليها لفقرهم إلى الله تعالى، فيعبدونه على وفق شريعته، فمن أبى أن يعبد الله فهو مستكبر. ومن عبده وعبد معه غيره فهو مشرك. ومن عبده وحده بغير ما شرع فهو مبتدع. ومن عبده وحده بما شرع فهو المؤمن الموحد.

٢ -

أنواع العبادة وشمولها:

العبادة لها أنواع كثيرة؛ فهي تشمل كل أنواع الطاعات الظاهرة على اللسان والجوارح، والصادرة عن القلب؛ كالذكر والتسبيح والتهليل وتلاوة القرآن، والصلاة والزكاة والصيام، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين وابن السبيل، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، فهي شاملة لكل تصرفات المؤمن؛ إذا نوى بها القربة أو ما يعين عليها. حتى العادات، إذا قصد بها التقوي على الطاعات، كالنوم والأكل والشرب، والبيع والشراء، وطلب الرزق والنكاح، فإن هذه العادات مع النية الصالحة تصير عبادات؛ يثاب عليها، وليست العبادة قاصرة على الشعائر المعروفة.." (٢)

---

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم؟ محمد خليل ملكاوي ص/٣٣٧

(٢) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك؟ صالح الفوزان ص/٥٣

"ويعتقد الشيخ أن القرآن، هو الكتاب لا ريب فيه، كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ١.

وأنه الكتاب الكامل المهيمن على الكتب السابقة لا ريب فيه هدي للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة، وينفقون مما رزقهم الله وقول الله تعالى: {والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك} .

قال الشيخ: "هذا من عطف الخاص على العام" ٢.

وفي قوله تعالى: {كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون} (الأعراف: ٢، ٣) .

يقول الشيخ: في ذلك وصف القرآن بأنه كتاب منزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم والنهي عن الحرج بفاء التفريع: {كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه} وذكر **الحكمة في** ذلك وهي الإنذار العام والذكر الخاص، والأمر باتباعه والتحريض على ذلك بأنه منزل إلينا من ربنا: اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم، والنهي عن اتباع ماسواه٣.

---

١ مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ص ٩.

٢ الدرر السنية، ج١٠ ص ٣٩، ٤٠.

٣ مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ٩٦.." (١)

"في أول سورة اقرأ: معرفتك بنفسك وبربك – وأول المدثر: فيه العمل المختص والمتعدي.

وفي أول سورة اقرأ: الربوبية العامة – وأول سورة المدثر: الربوبية الخاصة.

وفي أول اقرأ: فضل الله عليك – وأول المدثر: حقه عليك.

وفي أول اقرأ: ذكر بدء الخلق – وأول المدثر: ذكر **الحكمة فيه**.

وفي أول اقرأ: فيه أصل الأسماء والصفات وهي العلم والقدرة – وأول المدثر: فيه أصل الأمر والنهي وهو الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك ١.

وفي سورة هود ذكر الله في صدرها من العلوم علم معرفة الله بأنه حكيم خبير وأنه قدير، ثم ذكر الله شيئا

---

(١) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي؟ صالح بن عبد الله العبود ٣٩٨/١

من تفصيل العلم بأنه يعلم ما يسرون وما يعلنون أنه عليم بذات الصدور وإن ثنوا صدورهم ليستخفوا منه واستغشوا ثيابهم، وذكر شيئا من تفصيل في القدرة في قوله {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين} .

ومن معرفة الله ذكر خلق السموات والأرض في ستة أيام وكون عرشه على الماء. ومن بيان حكمته سبحانه قوله: {ليبلوكم أيكم أحسن عملا} ٢.

---

١ مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، مقارنة ص ٣٦٦، ٣٦٧.

٢ مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ١١٥، ١١٦.." (١)

"كقوله: {لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم} (الزمر: ٥٣) .

وفي قوله: {حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير} (البقرة: ١٠٩) .

والاستدلال بالقدرة على ما يستشكل وما لا يظن وقوعه أيضا وتنزيه الله عن مضاد **الحكمة في** جميع أفعاله كما قال تعالى: {وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق} ١ (الحجر: ٨٥) .

وإذا نظرنا إلى مطالع خطب الشيخ يتضح استدلاله بالأسماء الحسنى والصفات العلية والأفعال الحكمية لله تبارك وتعالى على ما تدل عليه من المعاني الشريفة الكثيرة ٢.

مثل قوله: "الحمد لله الكريم الذي أسبغ نعمه علينا باطنة وظاهرة، الرحيم الذي لم تزل ألطافه على عباده متوالية متظاهرة، العزيز الذي خضعت لعزته رقاب الجبابرة والقوي المتين الذي أباد من كذب رسله من الأمم الطاغية الكافرة"٣.

وقوله: "الحمد لله اللطيف، الذي بلطفه تنكشف الشدائد، الرؤوف الذي برأفته تتواصل النعم والفوائد وبحسن الظن به تجري الظنون على

---

١ مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الحجرات ص ٣٥٠ والبقرة ص ٢٧، والزمر ص ٣١٩، ٣٣٦ والحجر ص ١٩٥.

---

(١) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي؟ صالح بن عبد الله العبود ٤٧٣/١

٢ مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية.

٣ مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص ١٥.." (١)

"الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم. والله يعلم ما تسرون وما تعلنون. والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون. أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون. إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون}

قال الشيخ: فيها ذكر الحكمة في إنزال الروح وهو إنذار الخلق عن الشرك، وفيها الاستدلال بخلق السموات والأرض وأنه بالحق، والاستدلال بخلق الإنسان، فذكر أولا: الخلق العام ثم الخاص وفيها الاستدلال بخلق الأنعام على اختلافها وأن ذلك لنا، وذكر الخيل والبغال والحمير في الاستدلال، والتنبيه على خلق ما لا نعلم، وفيها اللاستدلال بانزال المطر والاستدلال بخلق الليل والنهار والعلويات وتسخيرها لنا بأمره وأنها آيات مخصوصة بالذين يعقلون، وفيها الاستدلال بخلق ما في الأرض لنا على اختلافه وكثرته والآيات في ذلك وتخصيص المتفكرين بفهمها، وتسخير الله البحر وأنه الذي فعله لا غيره، والاستدلال بخلق الجبال وفي قوله تعالى: {أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون} الدليل القاطع البديهي الفطري الضروري، وأن الذين يدعون من دون الله ليس لهم قدرة ولا لهم علم فلا يخلقون شيئا ولا يدرون متى يبعثون، وأنهم أموات غير أحياء وذكر المدلول عليه وهو توحيد الإلهية وأنه مع تكاثر هذه الأدلة ووضوحها أنكرته قلوب هؤلاء وسببه عدم الإيمان بالآخرة لاخفاء الأدلة وأن الشرك." (٢)

"ذلك كله مزج الحق بالباطل، فالأول: محبة الصالحين.

والثاني: فعل أناس من أهل العلم شيئا أرادوا به خيرا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

وفيه تفسير الآية التي في سورة نوح وبيان جبلة الآدمي، في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد.

وفيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر.

وفيه بيان سبب محبة الشيطان للبدعة لمعرفته بما تؤول إليه، ولوحسن قصد الفاعل.

وفيه معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه.

وفيه مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح. ومعرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها. ومعرفة

---

(١) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي؟ صالح بن عبد الله العبود ٤٧٦/١

(٢) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي؟ صالح بن عبد الله العبود ٥٨٢/١

شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

وفيه فائدة وهي أعجب وأعجب: قراءة بعض أهل الزمان هذه المسألة إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، واعتقدوا أن نهي الله ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال.

وفيه التصريح بأن هؤلاء الذين دعوا صور الصالحين لم يريدوا إلا الشفاعة من الصالحين وظنهم أن الناس الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.." (١)

"القرآن والسنة وأن **الحكمة في** كون الله سبحانه يغفر الكبائر ولا يغفر الشرك هي لأنه أقبح المسبة لله تعالى، وهو الذي لا يبرأ من السوء والنقص والعيب سواه، ولا ينبغي الحمد والثناء مطلقا إلا له سبحانه لكماله، فالشرك أعظم الظلم، ولا تسعه المغفرة التي هي صفة كمال له سبحانه وتعالى عما يشركون١.

ويقرر الشيخ أن الشرك إذا دخل في العبادة بطلت ولم تقبل وأن كل ذنب يرجى له العفو إلا الشرك، والدليل قوله تعالى: {ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين} (الزمر: ٦٥) .

وقال تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا} (النساء: ١١٥) .

وقال تعالى: {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار} ٢ (المائدة: ٧٥) .

ويقول الشيخ في موضع آخر: إن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة، فإذا عرفت أن

---

١ مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٤٧، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٢٠،٢١.

٢ الدرر السنية، ج٢ ص ٣، ٤.." (٢)

---

(١) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي؟ صالح بن عبد الله العبود ٧٠٨/٢

(٢) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي؟ صالح بن عبد الله العبود ٧٣٢/٢

"عبد الوهاب السلفية فمنذ أن كان صغير السن كان له اهتمام بعلم الشيخ فلقد كتب للشيخ والشيخ إذ ذاك في العيينة عند ابن معمر يسأله أن يكتب له تفسير الفاتحة، فكتب الشيخ ذلك، وقد ضمن تفسير سورة الفاتحة عقيدة السلف الصالح، وأرسلها إلى الأمير عبد العزيز وقد ناهز الاحتلام١، وما من شك أن تلقي العلم في هذه الفترة من العمر له كبير الأثر والرسوخ.

ولذا فقد اجتمع في الإمام عبد العزيز مؤهلات الإمارة وملكاتها ومواهبها مع رسوخه في العلم وسلامة العقيدة منذ نعومة أظفاره فهو ليس أميرا يناصر الحق بقوة السلطان فحسب بل مع ذلك عالم ينصر الحق بقوة الحجة والبرهان.

ولهذا الإمام رسالة جليلة القدر، لها أثر كبير وواسع في نشر عقيدة السلف الصالح افتتحها بالثناء على الله والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال: من عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى من يراه من العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المشرق والمغرب ثم أخذ يشرح عقيدة السلف الصالح بالبيان الواضح والأدلة القويمة والبراهين العظيمة فتكلم عن **الحكمة من** إيجاد الله الخلق، ومعنى كلمة التوحيد والشفاعة والوساطة وحق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم وأوليائه،

---

١ انظر: روضة ابن غنام، ج١ص ٢٢٢.وما بعدها. وانظر: ٢/ ٨١٠ من هذا البحث.." (١)

"العلم المحيط بالغيوب التي لا نهاية لها، ومن أصول التوحيد أنه تعالى لا شريك له في ذاته ولا في صفة من صفاته، والرسول -صلى الله عليه وسلم- عبد الله، لا يعلم من الغيب إلا ما أوحاه الله تعالى إليه، لأداء وظيفة التبليغ.

ولكن الغلاة يرون من التقصير في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم- وتعظيمه أن تكون صفاته دون صفات ربه وإلهه، وخالق الخلق أجمعين، فكذبوا كلام الله تعالى، وشبهوا به بعض عبيده؛ إرضاء لغلوهم، ومثل هذا الغلو لم يعرف عن أحد من سلف هذه الأمة، ولو أراد الله تعالى أن يعلم رسوله -صلى الله عليه وسلم- بوقت قيام الساعة، بعد كل ما أنزله عليه في إخفائها، واستئثاره بعلمه، لما أكده كل هذا التأكيد في هذه السورة وغيرها؛ كقوله -عز وجل-: {يسألونك كأنك حفي عنها} (١) ". اهـ.

---

(١) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي؟ صالح بن عبد الله العبود ٨٢٨/٢

الحكمة في تقديم أشراط الساعة ودلالة الناس عليها

ثبت في حديث جبريل المشهور أنه قال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "فأخبرني عن الساعة"، فقال -صلى الله عليه وسلم-: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل"، قال: "فأخبرني عن أماراتها" (٢)، وفي رواية قال: "ما المسئول عنها باعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها ... " الحديث (٣).

---

(١) "تفسير المنار" (٩/ ٣٩١، ٣٩٢).

(٢) روى هذا اللفظ مسلم في "صحيحه " (٨).

(٣) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).." [1]

"قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: "**والحكمة في** تقدم الأشراط إيقاظ الغافلين، وحثهم على التوبة والاستعداد" (١).

ونقل القرطبي -رحمه الله تعالى- عن العلماء قولهم: "**والحكمة في** تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها: تنبيه الناس عن رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة؛ كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها، والله أعلم، وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها" (٢).

---

(١) "فتح الباري" (١١/ ٣٥٠).

(٢) "التذكرة" ص (٦٢٤).." [2]

"جاء ذلك واضحا في الأثر المشهور عن مالك – رحمه الله – عندما سئل عن كيفية الاستواء، فقال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

ومعنى كلام ابن أبي زيد أنه لا يستطيع أحد أن يصف الله بما هو عليه، بأن يعرف كيفية اتصافه بالصفات؛ لأن ذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلا هو.

وقوله: "ولا يحيط بأمره المتفكرون"، أمر الله منه ما هو كوني قدري، ومنه ما هو ديني شرعي، فالكوني

---

(١) فقه أشراط الساعة؟ محمد إسماعيل المقدم ص/٣٤

(٢) فقه أشراط الساعة؟ محمد إسماعيل المقدم ص/٣٥

مثل قول الله عز وجل: {إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون} ، والشرعي مثل قوله: {إن الله يأمر بالعدل والأحسان وإيتاء ذي القربى}

وكل من الأمر الكوني والأمر الشرعي مشتمل على حكمة، فما قدره الله فلحكمة، وما شرعه الله فلحكمة، وقد يعلم العباد شيئا من الحكم في الأمر الكوني القدري والأمر الشرعي، ولكنهم لا يحيطون بحكم الله في خلقه وشرعه،؛ فإن الواجب الإيمان بالقدر، والاستسلام للأمر والنهي، سواء عرف العباد حكم ذلك أم لم يعرفوها.

ولكنهم إذا عرفوا شيئا من ذلك زاد إيمانهم ويقينهم، وإذا لم يعرفوا **الحكمة في** القدر والشرع فإن ذلك لا يثنيهم عن القيام بما هو واجب عليهم من الإيمان بالقدر والانقياد للأحكام الشرعية.

والذي اشتمل عليه كلام ابن أبي زيد – رحمه الله – نفي الإحاطة بالحكم والأسرار؛ لتعبيره بقوله: "المتفكرون" وليس المقصود معرفة الأحكام الشرعية؛ فإن ذلك مطلوب فيه العلم والعمل؛ لقوله صلى الله عليه وسلم في." (١)

"٣ تحصى أعمال العباد ثم توزن، فمن ثقلت موازينه نجا، ومن خفت موازينه هلك، قال الله عز وجل: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين} ، وقال: {والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون} ، وقال: {فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون} ، وقال: {فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية. وما أدراك ما هيه نار حامية}

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض" رواه مسلم (٢٢٣) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" رواه البخاري (٧٥٦٣) ، ومسلم (٢٦٩٤) .

والأعمال وإن كانت أعراضا فالله يجعلها أجساما توضع في الميزان، **والحكمة من** وزن أعمال العباد إظهار

---

(١) قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني؟ عبد المحسن العباد ص/٦٦

عدل الله وإيقاف العبد على أعماله؛ فإنه سبحانه وتعالى عليم بكل شيء.
والوزن كما يكون للأعمال يكون لصحائف الأعمال، كما في حديث البطاقة والسجلات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله سيخلص رجلا." (١)

"ومنه الحكمة لأنها تمنع الفرس من التمرد، وكذا الحكمة تمنع الرجل عن السفاهة، ومنه الحكم لأنه يمنع الخصمين عن التعدي ومنه قولهم "في بيته يؤتى الحكم"١.
فاسمه ـ تعالى ـ الحكيم من لوازمه ثبوت الغايات المحمودة المقصودة له بأفعاله ووضعه الأشياء في مواضعها وإيقاعها على أحسن الوجوه فإنكار ذلك إنكار لهذا الإسم ولوازمه، وكذلك سائر أسمائه الحسنى"٢.
"فأسماء ـ الرب تبارك وتعالى ـ دالة على صفات كماله فهي مشتقة من الصفات فهي أسماء وهي أوصاف وبذلك كانت حسنى إذ لو كانت ألفاظا لا معاني فيها لم تكن حسنى ولا كانت دالة على مدح ولا كمال، ولساغ وقوع أسماء الإنتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان وبالعكس فيقال: "اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت المنتقم واللهم أعطني فإنك أنت الضار والمانع ونحو ذلك"٣.
فصفة الحكمة من صفاته ـ تعالى ـ القائمة به كسائر صفاته الأخرى من السمع، والبصر والقدرة، والإرادة والعلم، والحياة والكلام وهذه الحكمة هي التي أمر لأجلها وخلق لأجلها، وقدر لأجلها ـ سبحانه وتعالى ـ.
والحكمة نوعان:
أحدهما: حكمة في خلقه وهي نوعان: الأول: إحكام هذا الخلق وإيجاده في غاية الإحكام والإتقان.
الثاني: صدوره لأجل غاية محمودة مطلوبة له ـ جل وعلا ـ وهي التي أمر لأجلها، وخلق لأجلها.
النوع الثاني: الحكمة في شرعه وهي تنقسم إلى قسمين أيضا:
الأول: كونها في غاية الإحسان والإتقان.
الثاني: صدورها لغاية مطلوبة وحكمة عظيمة يستحق عليها الحمد.

١- تفسير أسماء الله الحسنى ص٤٣.

---

(١) قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني؟ عبد المحسن العباد ص/١٣٣

٢- مدارج السالكين ٣١/١.

٣- المصدر السابق ٢٨/١.." (١)

"حياتها، وليس المقصود هنا حصر مظاهر حكمة الله فيما خلق من المخلوقات، وإنما نقصد بهذا أن نلفت نظر القائلين بأن الله لم يخلق الخلق لحكمة ـ تعالى الله ـ عن ذلك علوا كبيرا، ومن أراد الإطلاع بتوسع على مظاهر حكمة الله في خلقه "فليقلب" كتاب مفتاح دار "السعادة" لابن القيم فإنه جمع فيه من مظاهر حكمة الله في خلقه ما لا يتسع له هذا المقام. وإذا نظرنا إلى تفسير اسمه ـ تعالى ـ "الحكيم" من حكم على الشيء بأنه كذا، أو ليس كذا، فإنه لا يستطيع أحد أن يحكم على الأشياء بخواصها ومميزاتها، ومنافعها، ومضارها إلا الله ـ تعالى ـ لأنه ـ وحده العليم ـ بظواهر الأشياء وبواطنها ومزاياها ومثالبها لأنه خالقها، والعليم بأسرارها، الخبير بخفاياها فحكمه ـ تعالى ـ عليها أصدق الحكم قال تعالى: {ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير} ١.

فصفة الحكمة أثبتها الله ـ تعالى ـ لنفسه في أكثر من ثمانين موضعا في كتابه الدال عليها اسمه ـ تعالى ـ الحكيم وهي كما قدمنا قريبا قائمة به ـ سبحانه وتعالى ـ كسائر صفاته الأخرى وهذا ما يجب اعتقاده في هذه الصفة.

قال تعالى: {قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم} ٢.

قال العلامة ابن كثير: أي: "العليم بكل شيء الحكيم في خلقك وأمرك، وفي تعليمك ما تشاء، ومنعك ما تشاء لك **الحكمة في** ذلك والعدل التام"٣.

وقال تعالى مثبتا لنفسه صفة الحكمة المقرونة بصفة العزة: {فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم} ٤.

وقال تعالى: {هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم} ٥.

١- سورة الملك، آية: ١٤.

٢- سورة البقرة، آية: ٣٢.

٣- تفسير القرآن العظيم: ١٢٨/١.

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/٧٩

٤- سورة البقرة، آية: ٢٠٩.

٥- سورة آل عمران، آية: ٦.." (١)

"الوجه الأول: أن قولهم لو خلق الخلق لعلة لكان ناقصا بدونها مستكملا بها منقوض بنفس ما يفعله من المفعولات، فإنه يمكن أن يقال: فيها أيضا إما أن يكون وجودها وعدمه بالنسبة إليه سواء أو لا يكون، فإن كان الأول امتنع صدورها عنه، وإن كان الثاني كان مستكملا بها فما كان جوابا في المفعولات كان جوابا عن هذا ونحن لا نعقل في الشاهد فاعلا إلا مستكملا بفعله.

الوجه الثاني: أن مقتضى الكمال أن يكون ـ الباري ـ لا يزال قادرا على الفعل بحكمة فلو قدر كونه غير قادر على ذلك لكان نقصا.

الوجه الثالث: قول القائل إنه مستكمل بغيره باطل، فإن ذلك إنما حصل بقدرته ومشيئته لا شريك له في ذلك فلم يكن في ذلك محتاجا إلى غيره، وإذا قيل كمل بفعله الذي لا يحتاج فيه إلى غيره كان كما قيل: كمل بذاته، أو صفاته فهو مثلا إذا فرح بتوبة عبده التائب وأحب من تقرب إليه بالنوافل ورضي عن السابقين الأولين، ونحو ذلك لم يجز أن يقال: إنه مفتقر في ذلك إلى غيره، أو مستكمل بسواه، فإنه هو الذي خلق هؤلاء وهداهم وأقدرهم حتى فعلوا ما يحبه ويرضاه ويفرح به.

الوجه الرابع: قول القائل كان قبل ذلك ناقصا إن أراد به عدم ما تجدد، فلا نسلم أن عدمه قبل ذلك الوقت الذي اقتضت الحكمة وجوده فيه، يكون ناقصا، وإن أراد بكونه ناقصا معنى غير ذلك فهو ممنوع بل يقال عدم الشيء في الوقت الذي لم تقتض الحكمة وجوده فيه كمال أيضا، فليس عدم كل شيء نقصا، بل عدم ما لا يصلح وجوده وهو النقص كما أن وجود ما لا يصلح وجوده نقص، فتبين أن وجود هذه الأمور حين اقتضت الحكمة عدمها هو النقص لا أن عدمها هو النقص١ فهذه حجة الفلاسفة والأشعرية قد نقضها شيخ الإسلام ابن تيمية وهي حجة فلسفية بحتة سرعان ما انهارت أمام مناقشتها بما أورد عليها من الوجوه القوية التي تبين أن الله ـ تعالى ـ موصوف بالحكمة.

٢ ـ المذهب الثاني: مذهب المعتزلة: وهم يثبتون لله ـ تعالى ـ الحكمة في خلقه وفي أمره غير أنهم لا يقولون إنها صفة قائمة بذاته ـ تعالى ـ بل يقولون: إنها مخلوقة منفصلة عنه، فيزعمون مثلا أن الحكمة في وجود الخلق هو الإحسان إليهم والحكمة في

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/٨١

١– مجموعة الرسائل والمسائل: ٥/١٦٢. ١٦٣.." (١)

"تكليفهم هو أنهم يعرضون للثواب ويقولون: إن الإحسان إلى الغير حسن محمود في العقل فخلق الله الخلق لهذه **الحكمة من** غير أن يعود عليه هو من ذلك مصلحة١ وهذا المذهب المعتزلي بين شيخ الإسلام بأنه متناقض لأن الإحسان إلى الغير إنما كان محمودا لكونه يعود منه إلى فاعله حكم يحمد لأجله إما لتكميل نفسه بذلك، وإما لرقة وألم يجده في نفسه يدفع بذلك الإحسان الألم، وإما لالتذاذه وسروره وفرحه بالإحسان فإن نفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها إلى غيرها، فالإحسان إلى الغير محمود لكون المحسن يعود إليه من فعله هذه الأمور حكم يحمد لأجله.

أما إذا قدر أن وجود الإحسان وعدمه بالنسبة إلى الفاعل سواء لم يعلم أن هذا الفعل يحسن منه، بل مثل هذا يعد عبثا في عقول العقلاء وكل من فعل فعلا ليس لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لا عاجلة ولا آجلة كان عبثا، ولم يكن محمودا على هذا. ولذلك لم يأمر الله ـ تعالى ـ ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من العقلاء أحدا بالإحسان إلى غيره ونفعه إلا لما في ذلك من المنفعة والمصلحة وإلا فأمر الفاعل بفعل لا يعود إليه منه لذة ولا سرور، ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لا في العاجل ولا في الآجل لا يستحسن من الآمر ٢.

٣ ـ المذهب الثالث: مذهب عبد الله بن كلاب٣ وأتباعه:

فهذا الرجل وأتباعه يثبتون حكمة وغاية قائمة بذاته ـ تعالى ـ ولكنهم يقولون: بأنها قديمة غير ملازمة للمفعول، ويزعمون أن إرادة الله وحبه ورضاه وغضبه وسخطه ورحمته وكرمه وغير ذلك قديم فهو ـ سبحانه ـ لم يزل راضيا عمن علم أنه يموت مؤمنا، ولم يزل ساخطا على من مات كافرا.

وهذا القول باطل: لأن الله ـ تعالى ـ إذا كان راضيا في أزله ومحبا وفرحا بما يحدثه قبل أن يحدثه، فإذا أحدثه هل حصل له بإحداثه حكمة يحبها ويرضاها ويفرح بها، أو لم

١– مجموعة الرسائل والمسائل ٥/٢٩١. ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ المحصل للرازي ص٢٠٥ ـ ٢٠٦.

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/٨٦

٢- مجموعة الرسائل الكبرى" الرسالة الثامنة الإرادة والأمر" ١/٣٣٢.

٣- هو: عبد الله بن سعيد التميمي البصري رأس الطائفة الكلابية توفي سنة أربعين ومائتين هجرية، انظر ترجمته في: "طبقات الشافعية الكبرى" لابن السبكي ٢/٢٩٩.." (١)

"السلام بذبح ولده مع أنه ـ تعالى ـ لم يرد وقوع ذبحه كونا وقدرا، وقد أبان الله ـ تعالى ـ أن الحكمة في ذلك ابتلاء إبراهيم عليه السلام حيث قال تعالى: {إن هذا لهو البلاء المبين} ١. وبهذا يبطل قول القدرية المعتزلة أنه لا يكون أمرا إلا بإرادة وقوعه، وقولهم هذا الفاسد هو الذي جرهم إلى القول بأن معصية العاصي ليست بمشيئة الله ـ تعالى ـ لأنه أمر بتركها ولم يرد إلا التزام الذي أمر به لأن الأمر لا يكون أمرا إلا بالإرادة فيترتب على قولهم نسبة العجز إلى الله واستقلال العبد بالفعل دون الله ـ تعالى ـ والله منزه عن قولهم تنزيها يليق بجلاله٢.

قال الطحاوي رحمه الله تعالى: "ولا يفعل إلا ما يريد".

قال الشارح حول هذه العبارة: "هذا رد لقول القدرية المعتزلة فإنهم زعموا أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم والكافر أراد الكفر وقولهم فاسد مردود لمخالفته الكتاب والسنة والمعقول الصحيح.... إلى أن قال: وأما أهل السنة فيقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدرا فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها وهذا قول السلف قاطبة فيقولون ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن" أ. هـ٣.

والحاصل مما تقدم في هذا المبحث أن صفة الرضا من الصفات التي أثبتها الله لنفسه في محكم كتابه، وأثبتها له رسوله (في سنته المطهرة، وأثبتها له سلف هذه الأمة حيث آمنوا بما جاء به الكتاب والسنة، ولم يتجاوزوهما إلى غيرهما إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل، أما الذين يفرقون بين صفات الله ويؤولون صفة الرضا، والمحبة، والغضب، والكراهة بالإرادة فهذا من تصرفات البشر الخاطئة التي مضمونها التفريق بين ما ورد به السمع. ولو قيل لهم: لم نفيتم صفة الرضا والمحبة والغضب وأثبتم الإرادة؟ لقالوا: إن إثباتها فيه تشبيه للخالق بالمخلوق لأن الغضب غليان دم القلب لقصد الإنتقام، والرحمة رقة تلحق المخلوق والرب منزه عن ذلك.

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/٨٧

١- سورة الصافات آية: ١٠٦.

٢- انظر مذكرة أصول الفقه للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص١٩٠ ـ ١٩١.

٣- شرح الطحاوية ص١١٦.." (١)

"قال تعالى: {ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} ١.

روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "إن الناس يصيرون يوم القيامة جيشا كل أمة تتبع نبيها تقول: يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود"٢.

وروى الترمذي في سننه وحسنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} .

قال: هي الشفاعة٣.

فالمقام المحمود هو الشفاعة العظمى لتفسير النبي صلى الله عليه وسلم الآية الواردة فيه بذلك.

جاء في لوامع الأنوار ما نصه: شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم نوع من السمعيات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي وانعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة لكن هذه الشفاعة العظمى مجمع عليها لم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر إذ هي للإراحة من طول الوقوف حتى يتمنون الإنصراف من موقفهم ذلك ولو إلى النار ...

وقد التمس بعض العلماء **الحكمة في** إلهام الناس التردد إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم قبله ولم يلهموا المجيء إليه لأول وهلة أن ذلك إظهار لفضله عليه الصلاة والسلام وشرفه على رؤوس الخلائق فصلوات الله وسلامه عليه"٤.

النوع الثاني:

شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع ليدخلوا الجنة.

النوع الثالث:

شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام أمر بهم إلى النار فيشفع فيهم أن لا يدخلوها.

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/١٤٤

١- سورة الإسراء آية: ٧٩.

٢- ١٥١/٣.

٣- ٣٦٥/٤.

٤- ٢٠٨/٢ وانظر شرح النووي على مسلم ٥٦/٣.." (١)

"تلك بعض معبودات المشركين التي استطعنا جمعها تحت هذا المبحث والذي نخلص إليه مما تقدم أن السورة أوضحت لنا أصل الشرك الذي دفع المشركين لعبادة غير الله ـ تعالى ـ من المعبودات التي ذكرناها والتي لم نذكرها وأن السبب الوحيد في حدوث الشرك هو قياس الخالق سبحانه على المخلوق فإن المشركين زعموا بعقولهم الفاسدة أن ملوك الدنيا لا يتوصل إليهم إلا بالوجهاء والشفعاء والوزراء الذين يرفعون إليهم حوائج رعاياهم ويطلبون لهم عطفهم فيكون ذلك تمهيدا للأمر المطلوب منهم. فظن المشركون أن الله ـ تعالى ـ كذلك، وهذا ظن سوء بالله ـ تعالى ـ وهذا القياس من أفسد الأقيسة إذ أنه يتضمن تسوية الخالق بالمخلوق مع ثبوت الفرق العظيم عقلا، ونقلا وفطرة إذ ملوك الدنيا إنما يحتاجون إلى الوساطة بينهم وبين رعاياهم لعدم علمهم بأحوال من استرعاهم الله فهم في أشد الحاجة إلى من يعلمهم بذلك، ولأنه ربما لا يكون في قلوبهم رحمة أو شفقة لصاحب الحاجة، فيحتاجون إلى من يعطفهم عليهم ويسترحمهم له، ولذلك يحتاجون إلى الشفعاء والوزراء فيقضون حوائج العباد مراعاة لوزرائهم ومداراة لخواطرهم وقد يمتنعون من ذلك خشية الفقر لأنهم فقراء.

أما الباري ـ سبحانه ـ فإنه أحاط بكل شيء علما يعلم ظواهر الأمور وبواطنها فلا يحتاج إلى من يخبره بأحوال عباده، ولا من يشفع لهم عنده، لأنه رحيم بعبادة جواد بالعطاء، ولا يحتاج إلى أحد منهم بل هو أرحم بهم من أنفسهم ومن والديهم وهو الكريم الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأخذ بالأسباب التي ينالون بها رحمته وهو يريد من مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم. وهو الغني الذي له الغنى التام المطلق الذي لو اجتمع الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم في صعيد واحد فسألوه جميعهم فأعطى كلا مسألته لم ينقصوا مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر.

وجميع الشفعاء يخافون منه ـ سبحانه ـ ولا شفاعة لأحد عنده إلا بعد إذنه له الشفاعة كلها.

ومن هذه الأمور يدرك المؤمن جهل المشركين ويعرف سفاهتهم وشدة جرأتهم على الله ـ تعالى ـ كما يعلم

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/٣٠٥

الحكمة في كون الشرك أعظم الذنوب وأنه لا يغفره الله لأنه يتضمن القدح في الله تعالى . نسأل الله أن يجنبنا ذلك.." (١)

"هو البياض غير الناصع ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث: "كقرصة النقي" بفتح النون وكسر القاف أي: الدقيق النقي من الغش والنخالة قاله الخطابي.

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: "ليس فيها معلم لأحد، أو علم كما في رواية مسلم هما بمعنى واحد".

قال الخطابي: يريد أنها مستوية والمعلم . بفتح الميم واللام . بينهما مهملة ساكنة: هو الشيء الذي يستدل به على الطريق.

وقال عياض: المراد أنها ليس فيها علامة سكن ولا بناء ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يهتدى بها في الطرقات كالجبل والصخرة البارزة.

قال الحافظ: "وفيه تعريض بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة منها".

وقال الداودي: "المراد أنه لا يحوز أحد منها شيئا إلا ما أدرك منها".

وقال ابن أبي جمرة١: "وفيه دليل على عظيم القدرة، والإعلام بجزئيات يوم القيامة ليكون السامع على بصيرة فيخلص نفسه من ذلك الهول لأن في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياضة النفس وحملها على ما فيه خلاصها بخلاف مجيء الأمر بغتة وفيه إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جدا، والحكمة في الصفة المذكورة أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهرا عن عمل المعصية والظلم، وليكون تجليه . سبحانه . على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمته ولأن الحكم فيه إنما يكون لله . وحده . فناسب أن يكون المحل خالصا له وحده" أ. هـ٢.

وقال عليه الصلاة والسلام: "يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر"٣.

١- هو محمد بن أحمد بن عبد الملك بن أبي جمرة الأموي بالولاة أبو بكر: فقيه مالكي من أعيان الأندلس، ولد بمرسية سنة ثماني عشرة وخمسمائة وتوفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة. انظر ترجمته في:

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/٤١٣

"شذرات الذهب" ٣٤٢/٤، والأعلام ٢١٣/٦.

٢- الفتح ٣٧٥/١١.

٣- رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. انظر الفتح ٣٩٥/٨.." (١)

""الخاتمة"

وأوجز في هذه الخاتمة النتائج التي اشتمل عليها هذا البحث المتعلق بمباحث العقيدة في "سورة الزمر" وذلك فيما يلي:

١ . الإيمان بالله يتضمن: الاعتقاد الجازم بأنه تعالى رب كل شيء ومليكه وأنه الخالق الرازق المحيي المميت، وأنه . وحده . الذي يستحق أن يفرده العباد بالعبودية والطاعة، والذل والخضوع وغير ذلك من أنواع العبادة، وأنه . تعالى . المتصف بصفات الكمال المنزه من كل عيب ونقصان، وهذا ما يجب على كل إنسان أن يعتقده في الله . عز وجل . حتى يحقق عبوديته للخالق . سبحانه وتعالى ..

٢ . الإيمان بأن الله . تعالى . عال على جميع المخلوقات مستو على عرشه بائن من خلقه، وأنه لا يحل بشيء ولا يتحد به.

٣ . القرآن كلام الله منزل غير مخلوق في جميع أحواله سواء كان مقروءا، أو مسموعا، أو مكتوبا فهو كلامه . تعالى . على كل حال لأن الكلام ينسب إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا، ومن ثم لا يكون مخلوقا.

٤ . ثبوت صفة العزة . للباري جل وعلا . بنص الكتاب والسنة فلا عزة لأحد إلا والله مالكها، ومن يريد العزة فليطلبها منه . جل وعلا . ولا سبيل إلى نيلها إلا بطاعته والخضوع له . وحده لا شريك له.

٥ . إن صفة **الحكمة من** الصفات التي أثبتها لنفسه . سبحانه . فله حكمة تتعلق به يحبها ويرضاها، ويفعل لأجلها فهو . تعالى . يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها، والنافون للحكمة والتعليل مخالفون للكتاب والسنة والإجماع والعقل الصحيح والفطرة المستقيمة التي فطر الله الناس عليها.

٦ . بطلان زعم اليهود والنصارى ومشركي العرب مما ادعوه من نسبتهم الولد إلى." (٢)

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/٥٨٨

(٢) مباحث العقيدة في سورة الزمر؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/٧١٠

